

تفسير الجليلين

ومعه حاشية هداية الموحدين

التفسير للإمامين

جلال الدين

عبد الرحمن بن أبي بكر الشيبوي

(٥٨٤٩ - ٥٩١١ هـ)

جلال الدين

محمد بن أحمد بن محمد المحلي

(٥٧٩١ - ٥٨٦٤ هـ)

والحاشية

أبو عبد الرحمن

هشام محمد سعيد برغش

مراجعة وقدم له

فضيلة الأستاذ الدكتور

أحمد عيسى المعصراوي

شيخ مؤسس القارئ المصرية ورئيس لجنة المصنف بالأزهر الشريف

مكة المكرمة للنشر والتوزيع

رفع

عبد الرحمن الجدي
أسستة النبى الفروسى
www.moswarat.com

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي

أسكنه الله الفردوس

www.moswarat.com

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

تفسير الجليلين
ومعه حاشية هداية الموحدين

حقوق الطبع محافظة

طبعة عام

١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م



مركز الوطن للدراسات والبحوث

المملكة العربية السعودية - الرياض

المقر الرئيسي - الروضة - ت: ١١٢٣١٣٠١٨

ت: ١١٤٧٩٢٠٤٢ (٣ خطوط) - ف: ١١٢٣٢٢٠٩٦

الموقع الإلكتروني: www.madaralwatan.com

البريد الإلكتروني: pop@madaralwatan.com

البريد الإلكتروني: madaralwatan@hotmail.com

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

٢٠٨/٢٢٤٧٧

رفع

سبحان الرحمن الرحيم
أسكنه الفردوس
www.moswarat.com

تفسير جلال الدين ومعه حاشية هداية الموحدين

التفسير للإمامين

جلال الدين

عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي
(٥٨٤٩ - ٩١١ هـ)

جلال الدين

محمد بن أحمد بن محمد الحلي
(٥٧٩١ - ٨٦٤ هـ)

والحاشية

أبو عبد الرحمن

هشام محمد سعيد برغش

راجعه وقدم له

فضيلة الأستاذ الدكتور

أحمد عيسى المعصراني

شيخ عموم المقارئ المصرية ورئيس لجنة الصحف بالأزهر الشريف



دار النشر
www.moswarat.com



تقرير فضيلة الشيخ الدكتور / احمد عيسى المعصراوي

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴿١﴾ فِيمَا لِنُذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ [الكهف: ١-٢]

أما بعد: فإن للقرآن الكريم أكبر شأن في أمر الإسلام، فهو هديهم في شريعتهم، وهو المنار الذي يستضاء به في أساليب البلاغة العربية، بل هو المنبع الصافي الذي ينهلون منه فلسفتهم الروحية والخلقية، وكما جعل المولى ﷺ النبوّة نبينا ﷺ مختمة، وجعل شرائع غير المسلمين بشرية الإسلام من وجه منتسخة، ومن وجه آخر مكملة ومتممة، حيث قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ [المائدة: ٣] فقد جعل المولى ﷺ كتابه المنزل على نبيه ﷺ متضمنا ثمره كتبه التي أولاهها أوائل الأمم؛ فقال سبحانه: ﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿١﴾ فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ﴾ [البينة: ٢-٣].

وجعل معجزة هذا الكتاب أنه مع قلة الحجم، فهو متضمن للمعنى الجم، وأنه لا يخلو الناظر فيه من نور ما يريه، ونفع ما يوليه، فهو كما قال الشاعر:

كَالْبَدْرِ مِنْ حَيْثُ التَّفَتُّ رَأَيْتَهُ يُهْدِي إِلَى عَيْنِكَ نُورًا ثاقِبًا
 كَالشَّمْسِ فِي كَبْدِ السَّمَاءِ وَضَوْوُهَا يَعْشَى الْبِلَادَ مَشَارِقًا وَمَعَارِبًا

ومع ذلك فإن محاسن أنواره لا تدرکها إلا البصائر الجليلة، وأطاب ثمره لا تقطفها إلا الأيدي الزكية، ومنافع شفافه لا تنالها إلا النفوس النقية، فهو كما قال سبحانه: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَّكُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٧٧-٧٩]

ولذلك يعد علم التفسير هو من أجل العلوم التي توضح ما في القرآن من معنى ومبنى، وعلم التفسير في غنى أن يشاد بجلالته، وشدة اعتناء الأمة به، فإنه يستحق ذلك وأكثر، لجلالة ما يضاف إليه في هذا المحل، ويعد من أجل القربات التي يتقرب بها العبد إلى ربه تبارك وتعالى هو تعلم كتابه وتعليمه الناس ذلك حيث قال سبحانه: ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّكُمْ نِعْمًا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩] وقال ﷺ: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»^(١)، فالخيرية تنأت بتعلم القرآن وتعليمه مع العمل به، ولذلك كانت معرفة تفسير آيات القرآن من أجل المعارف.

وبين أيدينا تفسير من تفاسير القرآن التي اشتهرت بين أهل العلم؛ ألا وهو تفسير الجلالين الذي كان ولا يزال موضع اهتمام العلماء وحفاوتهم، وذلك لسهولة تعبيره ودقة عرضه، والتي عبر عنها الإمام السيوطي بقوله: (وهو ذكر ما يفهم به كلام الله تعالى، والاعتماد على أرجح الأقوال، وإعراب ما يحتاج إليه، وتبنيه على القراءات المختلفة المشهورة على وجه لطيف وتعبير وجيز، وترك

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، عن عثمان بن عفان حديث رقم (٥٠٢٧).

التطويل بذكر أقوال غير مرضية، وأعريب محلها كتب العربية).

فالكتاب على ذلك موجز اقتصر فيه على ما هو ضروري لفهم النص إجمالاً مع بعض الاستطرادات في العربية أو القراءات، ومن ثم رآه العلماء في حاجة إلى تلك الحواشي لشرحه وتوضيحه.

وقد بلغ هذا التفسير من الإيجاز حدًا دفع بعض علماء اليمن إلى أن يعد حروفه، فوجدها مساوية لحروف القرآن إلى سورة المزمل، ولقد عبر الداوودي عن أهمية هذا التفسير بقوله عن الجلال المحلي: (وأجلّ كتبه التي لم تكمل: تفسير القرآن العظيم، كتب من أول سورة الكهف إلى آخر القرآن)^(١).

ويؤكد الإمام السيوطي هذا الكلام بقوله في مفتتح تأليفه للجزء الباقي، حيث قال: (هذا ما اشتدت إليه حاجة الراغبين في تكملة تفسير القرآن الكريم الذي ألفه الإمام العلامة المحقق جلال الدين محمد بن أحمد المحلي الشافعي رحمته الله وتتميم ما فاتته، وهو من أول سورة البقرة إلى آخر سورة الإسراء بتمة على نمطه).

ولقد طبع هذا التفسير طبعات كثيرة على مر العصور، ومن هذه الطبعات الطبعة التي بين أيدينا، والتي بذل فيها محققها فضيلة الشيخ هشام برغش، جهدًا كبيرًا استطاع أن يُخرج إلينا نسخة محققة وموثقة تساعد القارئ على فهم النصوص وتوثيقها من مصادرها الأساسية، وتخريج جميع الأحاديث، مما يعطي للقارئ الثقة فيما بين يديه، إضافة إلى تلافيتها للأخطاء الواقعة في الطبعات السابقة إن شاء الله.

والله أسأل أن ينفعنا بهذا العمل، وأن يكون في ميزان حسنات كل من قام به، وأن يسخرنا لخدمة كتابه، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبه

الأستاذ الدكتور

أحمد عيسى المعصراني

شيخ عموم المقارئ المصرية ورئيس لجنة المصحف بالأزهر الشريف
وأستاذ الحديث وعلمه بجامعة الأزهر

رَفَعُ

عبد الرحمن العجمي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



رَفَعَ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجًا، أحمدته سبحانه حمدًا يوافي نعمه، ويكافئ مزيده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد:

فإن هذا التفسير «تفسير الجلالين» من أوجز التفاسير وأدقها عبارة، وأكثرها انتشارًا؛ لما تميز به من سهولة العبارة ودقتها، مع الاهتمام بأرجح الأقوال، والبعث - في الجملة - عن الأقوال الشاذة.

إضافة إلى ما يحويه التفسير من أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، ووجوه القراءات المشهورة والإعراب، وشرح الغريب، مع إشارات مفيدة إلى آيات الأحكام؛ حتى بات هذا التفسير خلاصة من خلاصات العلوم.

ولا عجب أن يقول عنه صاحب «كشف الظنون»: «وهو - مع كونه صغير الحجم - كبير المعنى؛ لأنه لبُّ لباب التفاسير».

ولا يدرك قيمته ويعرف منزلته إلا من طالع ودرس كتب التفسير بمدارسها المختلفة، وإلا العلماء الأفاضل وطلبة العلم النابهون.

ولذا كان هذا التفسير موضع اهتمام الشارحين والدارسين، وألفت فيه حواشٍ وشروح كثيرة.

وقد انتشر هذا التفسير انتشارًا واسعًا، ومما ساعد على ذلك طباعته على هوامش المصحف الشريف.

غير أن هذا التفسير رغم مكانته هذه لم يخل من مؤاخذات، ولم يحظ بما يستحقه من عناية كافية وتنبه على ما فيه من مؤاخذات وأخطاء، وأهم هذه المؤاخذات على تفسير الجلالين هي:

١- الوقوع في تأويل الصفات.

٢- اشتماله على بعض الأحاديث الضعيفة والموضوعة وروايات لا أصل لها.

٣- وجود بعض الإسرائيليات.

٤- بعض الاختيارات المرجوحة في تفسير بعض الآيات.

وقد تتبع العلماء والمفسرون جملة من هذه الأخطاء وقاموا بالتنبيه عليها، ومنهم القاضي محمد كنعان في طبعة المكتب الإسلامي ببيروت (قرة العينين على تفسير الجلالين)، إلا أن الكتاب لم يستوعب جملة من الأخطاء التي وقع فيها مفسرا الجلالين، إضافة إلى بعض الأخطاء التي وقع فيها القاضي كنعان نفسه في التعليق، كما ذكر الشيخ محمد جميل زينو في

كتابه: «تنبيهات مهمة على قرّة العينين وتفسير الجلالين». وكذا هناك تعليقات وتعقيبات نفيسة للدكتور محمد عبد الرحمن الخميس في رسالة صغيرة بعنوان «أنوار الهلالين في التعقبات على الجلالين». كما قام الشيخ صفى الرحمن المباركفوري رَحِمَهُ اللهُ بالتعليق على التفسير المذكور في طبعة لدار السلام تعقب فيها الجلالين في تأويلهما لبعض الصفات... إلا أنه لم يستوعب ما وقع في الجلالين من تأويل.

وقد شرح الله صديري لاقتراح أحد الفضلاء - جزاه الله خيرًا - عليّ؛ أن أضع تعليقًا مختصرًا على ما وقع في هذا التفسير من تأويل لآيات الصفات؛ أئين فيه عقيدة أهل السنة والجماعة ومنهجهم، فانشرح صديري لذلك، فاشتغلت به على عجزى آملًا أن أنضم لهذه الكوكبة من أهل العلم والفضل، في بيان ما وقع فيه صاحب التفسير من تأويل لآيات الصفات، وعرض مذهب السلف الصالح فيها، مع التحذير مما وقع فيه من إسرائيليات وأقوال مردودة، مع كشف لبعض غوامض هذا التفسير وعباراته المبهمة، مع ضبط النص ومقابلته على أكثر من نسخة مطبوعة.

ومن هذه الطبعات:

- ١- طبعة دار إحياء الكتب العربية، الباني الحلبي مع حاشية الصاوي.
 - ٢- طبعة المكتبة التجارية مع حاشية الجمل.
 - ٣- طبعة دار المعرفة - بيروت ١٤١٦هـ.
 - ٤- طبعة دار البشائر الإسلامية - دمشق ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
 - ٥- طبعة دار السلام - الرياض، الطبعة الثانية ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
 - ٦- طبعة دار البشائر الإسلامية - بيروت، الطبعة السادسة ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، المسمى (قرّة العينين على تفسير الجلالين) للقاضي الشيخ محمد أحمد كنعان.
- وقد جعلت طبعة دار إحياء الكتب العربية مع حاشية الصاوي هي الأصل المعتمد لدقتها وقلة أخطائها، وإذا حدث اختلاف في النسخ أعتمد الأقرب منها الأوفق للسياق والمعنى، وأشير إلى ذلك في الحاشية.

التعريف بالتفسير والمفسرين

أما التفسير:

فلم يضع الجلالان رحمهما الله تعالى لهذا التفسير اسمًا، بل عُرف بين العلماء بـ«تفسير الجلالين» وبـ«الجلالين» - اختصارًا - نسبة إليهما، وسماه بعضهم: «كتاب الجلالين في تفسير القرآن العظيم».

وقد اعتمد الجلالان في تفسيرهما هذا على عدد من التفاسير، أشار إليها الجلال السيوطي رحمته الله في كتابه: «بغية الوعاة في تراجم اللغويين والنحاة» عند ترجمته للإمام موفق الدين: «أحمد بن يوسف الكواشي» الموصلي المفسر، المتوفى عام ستين وثمانمائة (٨٦٠هـ، الموافق ١٤٥٥م) حيث قال:

«وله التفسير الكبير والصغير، جود فيه الإعراب وحرر أنواع الوقوف^(١)، وأرسل منه نسخة إلى مكة والمدينة والقدس، قلت^(٢): وعليه اعتمد الشيخ جلال الدين المحلي في تفسيره، واعتمدت عليه أنا في تكملته مع الوجيز^(٣)، وتفسير البيضاوي، وابن كثير».

ولم يكتب الجلال المحلي مقدمة ولا خاتمة للقسم الذي فسره، أما الجلال السيوطي فقد كتب مقدمة مختصرة في أول سورة «البقرة»، وكتب خاتمة للقسم الذي فسره، في آخر تفسير سورة «الإسراء».

وأما المفسران:

فقد ألف هذا التفسير عالمان جليلان؛ لقب كل منهما: «جلال الدين»، وهما:

الأول هو: أبو عبد الله: «محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أحمد المحلي»، نسبة إلى «الحلّة الكبرى» - مدينة في مصر - المتوفى عام أربعة وستين وثمانمائة (٨٦٤هـ، الموافق ١٤٥٩م). وهو الذي فسّر: «فاتحة الكتاب» ومن أول سورة «الكهف» حتى آخر سورة «الناس».

والثاني هو: أبو الفضل: «عبد الرحمن بن كمال الدين - أبي بكر - الأسيوطي، أو: الشُّيوطي» - نسبة إلى «أسيوط أو شُيوط» بضم الهمزة والسين - على خلاف بين العلماء -

(١) قوله: «وحرر أنواع الوقوف» أي: بيّن مواضع الوقف في القرآن الكريم وأنواعها؛ كالوقف التام والحسن والقيح... إلخ.

(٢) قوله: «قلت» أي: الجلال السيوطي رحمته الله.

(٣) قوله: «مع الوجيز»: هو تفسير مختصر للشيخ أبي الحسن: علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، المتوفى عام

إحدى مدن الجنوب في مصر، وتعرف الآن بـ«أسيوط» بفتح الهمزة، المتوفى عام أحد عشر وتسعمائة (٩١١هـ، الموافق ١٥٠٥م).

وهو الذي فسّر التتمة، أي: من أول سورة «البقرة» إلى آخر سورة «الإسراء»، - وقد وهّم صاحب «كشف الظنون» في نسبة هذا القسم إلى الجلال المحليّ .. وكان عمره إذ ذاك اثنتين وعشرين سنة أو أقلّ منها بشهور، وكان ذلك بعد وفاة الجلال المحلي بست سنين.

مكانة هذا التفسير بين العلماء وعنايتهم به:

لما كان كتاب الجلالين من أجلّ كتب التفسير، فقد أجمع على الاعتناء به جمّ غفير من أهل البصائر والتنوير، وتوجهت هممهم لخدمته، فكان موضع اهتمام الشارحين والدارسين، وألفت فيه حواشٍ وشروح كثيرة؛ توضح مجمله، وتزيل غامضه، وتبين دقائقه، ومن أهمها:

١- حاشية للشيخ محمد بن عبدالرحمن العلقمي، المتوفى (٩٦٩هـ) سماها: «قَبَسُ النَّبِيِّينَ عَلَى تَفْسِيرِ الْجَلَالِينَ» فرغ من تأليفها عام (٩٥٢هـ). ولا تزال مخطوطة في المكتبة الظاهرية بدمشق.

٢- حاشية للشيخ محمد بن محمد الكرخي المتوفى، عام (١٠٠٦هـ) سماها: «مَجْمَعُ الْبَحْرَيْنِ وَمَطْلَعُ الْبَدْرَيْنِ عَلَى الْجَلَالِينَ» في أربعة مجلدات، وله حاشية أخرى صغرى عليه في مجلدين. (غير مطبوعتين).

٣- حاشية للشيخ الحافظ الملا علي بن محمد القاري، المتوفى عام (١٠١٠هـ) سماها: «حاشية الجمالين على الجلالين» فرغ من تأليفها عام (١٠٠٤هـ) طُبِعَ جزءٌ منها.

٤- حاشية للشيخ سليمان بن عمر العجيلي الأزهري المعروف بـ«الجمال»، المتوفى عام (١٢٠٤هـ) سماها: «الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية» وهي في أربعة مجلدات، مطبوعة معروفة.

٥- حاشية لتلميذ الشيخ الجمال معروفة بـ«حاشية الصاوي على الجلالين»، ألّفها الشيخ: أحمد ابن محمد الخلوّتي الصاوي، نسبة إلى بلدة «صاء الحجر» في إقليم الغربية بمصر، المتوفى عام (١٢٤١هـ).

وهاتان الحاشيتان هما المشهورتان، المتداولتان من شروح «تفسير الجلالين».

٦- حاشية للشيخ سلام الله الدهلوي سماها: «حاشية الكمالين على الجلالين» طبعت عام (١٢٨١هـ).

٧- حاشية للشيخ محمد بن صالح أبي السعود السباعي الحفناوي المصري، المتوفى عام (١٢٦٨هـ) في ثلاثة مجلدات - مخطوطة ..

٨- حاشية للشيخ سعد الله بن غلام القندهاري، سماها: «كشف المحجوبين عن خَدَي تَفْسِيرِ الْجَلَالِينَ» أو: «على تفسير الجلالين».

- ٩- حاشية للشيخ مصطفى الدومي، المعروف بالدوماني، ثم الصالحاني، المتوفى في أوائل القرن الثالث عشر الهجري، في مجلدين سماها: «ضوء الثَّيرين لفهم تفسير الجلالين».
- ١٠- حاشية للشيخ علي بن محمد عفيف الدين العقبي الأنصاري الشافعي محدث الديار اليمنية، المتوفى عام (١١٠١هـ).
- ١١- شرح على الجلالين للشيخ إسماعيل بن عبد الباقي اليازجي، المتوفى عام (١١٢١هـ).
- ١٢- حاشية للشيخ عطية الله بن عطية البرهاني الأجهوري، المتوفى عام (١١٩٠هـ)، وسماها: «كتاب الكوكبين الثَّيرين في حلِّ ألفاظ الجلالين».
- ١٣- حاشية للشيخ عبد الرحمن بن محمد التَّطواني الحائك، المتوفى عام (١٢٣٧هـ).
- ١٤- حاشية للشيخ عبد الله بن محمد الثَّيراي المصري، المتوفى عام (١٢٧٥هـ)، سماها: «قرة العين ونزهة الفؤاد» في أربعة مجلدات لا تزال بخطه محفوظة في المكتبة الأزهرية.
- ١٥- حاشية للشيخ أحمد بن عبد الكريم الثَّيراني - نسبة إلى «ثَيرمانين» إحدى قرى حلب - المتوفى عام (١٢٩٣هـ).
- ١٦- حاشية للشيخ محمد بن عبد الله الحسيني الزَّواك الحديدي الزَّيدي، المتوفى عام (١٣١١هـ).
- ١٧- حاشية للشيخ عبد الرحمن بن محمد القصري الفاسي، المتوفى عام (١٠٣٦هـ).
- ١٨- «مَسْرَّة العيين على تفسير الجلالين» للشيخ محمد بن خليل القاوقجي الطرابلسي، المتوفى عام (١٣٠٥هـ)^(١).
- ١٩- «قَرَّة العيين على تفسير الجلالين» للقاضي الشيخ محمد أحمد كنعان.
- ٢٠- هذا المختصر الذي سميته: «حاشية هداية الموحدين على تفسير الجلالين»،

رَفَعُ

عبد الرحمن البخاري
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

منهج العمل في الكتاب

- ١- قمت بضبط النص وتصحيحه ومقابلته على النسخ المطبوعة المعتمدة، وجعلت طبعة «دار إحياء الكتب العربية مع حاشية الصاوي» هي الأصل المعتمد؛ لدقتها وقلة أخطائها، وعدم وجود سقط بها، ثم نسخة القاضي كنعان؛ «قرة العينين على تفسير الجلالين»، ثم نسخة الشيخ صفى الرحمن، وعند وجود اختلاف جوهرى، أو سقط، أعتد ما جاء في نسخة حاشية الصاوي إلا ما ظهر لي خطؤه، وهو نادر جدًا - مع الإشارة إلى الاختلاف أو السقط في نسخة القاضي خاصة، ووجه ذلك.
- ٢- تتبعت ما وقع في الجلالين من تأويل لآيات الصفات، وبينت وجه مخالفتها لعقيدة السلف، وبينت عقيدة أهل السنة في تفسير هذه الآيات، في كل موضع وقفت فيه على شيء من ذلك، ولم أكتف بتناول بعضها والإحالة عليه.
- وكان هذا الأمر هو مقصود الكتاب الأول عند بدء العمل فيه، وقد استفدت في هذا الباب بما كتبه المفسرون الذين اعتمدوا طريقة السلف ونصروا عقيدة أهل السنة والجماعة؛ كابن جرير، وابن كثير، والبغوي، وابن سعدى.
- كما استفدت كثيرًا بما كتبه بعض المتأخرين من أهل العلم ممن عرف بسلامة اعتقاده، ونصرته لعقيدة أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات؛ ممن تعقب بعض ما في الجلالين من تأويل، ومن ذلك:
 - أ- «أنوار الهالين في التعقبات على الجلالين» للدكتور محمد بن عبدالرحمن آل خميس.
 - ب - «تنبيهات مهمة على قرة العينين وتفسير الجلالين» للشيخ محمد بن جميل زينو.
 - ج - تعليقات الشيخ عبدالرزاق عفيفي رَحِمَهُ اللهُ عَلَى تَفْسِيرِ الْجَلَالِينَ؛ من سورة غافر إلى سورة الناس.
 - د - «المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات» للشيخ محمد بن عبد الرحمن المغراوي.إضافة إلى بعض الكتب والرسائل المتفرقة في هذا الباب؛ كالعقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية وشروحها.
- ٣ - بينت ما وقع في الجلالين من إسرائيليات؛ مما لا يجوز نسبته إلى أنبياء الله الكرام أو الملائكة، وذكرت أقوال السلف وكلام أهل التفسير في كل ذلك.
- ٤ - قمت بضبط وشكل الكلمات التي قد يُشكل على القارئ فهمها أو نطقها النطق الصحيح.
- ٥ - كما اجتهدت في وضع علامات الترقيم بما يحقق توضيح المعنى وفهم العبارة، وإزالة ما قد يعترها من لبس أو غموض.

- ٦- كما بينت ما وقع في الجلالين من عبارات غامضة أو كلمات مشككة. وقد جعلت الآيات التي يتناولها المفسران بالتفسير بلون مغاير لغيرها من الآيات التي يذكرها المفسران في ثنايا الشرح؛ للتسهيل على القارئ في الوصول إلى الآيات موضع الشرح، وحتى لا تلتبس عليه بغيرها من الآيات؛ حيث إنني اعتمدت رسم المصحف في الآيات كلها، وليس فيما يفسره المفسران أصالة في كل سورة.
- ٧- بينت أوجه القراءات المختلفة التي تعرض لها المفسران، وعزوتها لأصحابها، مع بيان السببي منها من الشاذ. وذلك بالرجوع إلى كتب هذا الفن ومتخصصيه.
- ٨- تعقب ما اعتمده المفسران من أقوال مرجوحة، وذكرت قول جماهير المفسرين في هذه المواضع، وما اختاره محققوهم كالطبري وابن كثير.
- ٩- قمت بعزو الآيات التي وردت في أثناء التفسير، كما قمت بتخريج الأحاديث تخريجاً مختصراً، مع بيان درجتها من الصحة والضعف - إذا كانت في غير الصحيحين أو أحدهما -؛ بالرجوع إلى علماء هذا الفن، وكان جلُّ اعتمادي على كلام الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ، وما لم أقف له فيه على قول؛ فكنت أرجع فيه لكلام الشيخ أحمد شاكر رَحِمَهُ اللهُ أو الشيخ الأرنؤوط رَحِمَهُ اللهُ. وإلا فكنت أرجع إلى كلام المتقدمين في ذلك كالهيشمي وابن حجر وغيرهما.
- ١٠- أثبت في الحاشية الأولى ما جاء من صحيح أسباب النزول، مكتفياً بما جاء في الكتب الستة ومسند الإمام أحمد.
- واقصرت فيه على الصحيح فقط؛ معتمداً في ذلك على ما صححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ في كتبه، وأما ما لم أقف فيه على كلام الشيخ الألباني كما في مسند الإمام أحمد - غالباً - فقد رجعت فيه إلى كلام الشيخ أحمد شاكر رَحِمَهُ اللهُ في الجزء الذي أتمه من المسند، وكذا رجعت لتعليقات الشيخ شعيب الأرنؤوط رَحِمَهُ اللهُ في المسند. واكتفيت في أسباب النزول - في هذه الحاشية - بما صح في هذه الكتب فقط.
- وأما ما جاء في أسباب النزول - مما تعرض له المفسران - مما لم يصح في هذه الكتب الستة ومسند الإمام أحمد فقد جعلته في الحاشية الثانية.
- وكذلك ما ذكره المفسران في أسباب النزول في غير الكتب الستة ومسند أحمد - سواء أكانت صحيحة أم لا - فقد علق عليها بالعزو والتصحيح أو التضعيف، في الحاشية الثانية. جعلت في هذه الحاشية بعض الفوائد المتعلقة ببعض السور أو الآيات من خلال الأحاديث الصحيحة في الكتب الستة ومسند الإمام أحمد.
- ١١- اعتمدت مصحف المدينة لانتشاره ولجمال خطّه، واجتهدت قدر الإمكان أن أجعل التفسير وحواشيه متوافقة مع صفحات المصحف الشريف، إلا في مواضع قليلة اضطرت

إليها لضيق المجال المتاح.

١٢- حيث إن «الجلالين» لم يتقيدا في تفسيرهما بقراءة أو رواية واحدة، ولم يلتزما بتقديم قراءة بعينها، مع ارتباط تفسيرهما بالقراءة أو الرواية التي اعتمداها؛ فقد تعذر اعتماد رواية بعينها مثل حفص عن عاصم، أو ورش أو غيرهما؛ ومن ثم فقد اعتمدت ما اعتمدها من قراءات أو روايات، وما خالف قراءة حفص جعلته بين معقوفين؛ هكذا [] .

وقد استغرق العمل في هذا الكتاب المبارك قرابة عشر سنوات كاملة، حرصت خلالها على عرضه على كثير من أهل العلم ممن لهم عناية خاصة بالتفسير والقرآن وعلومه، واستفدت من توجيهاتهم ونصائحهم، وقد حاز الكتاب والحمد لله إعجابهم وحظي بثنائهم، وشجعوا على إتمامه وإخراجه، حتى يسر الله ﷻ إخراجه على هذه الصورة الطيبة، فله سبحانه الحمد أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً.

وأسأل الله ﷻ أن يتقبل مني هذا العمل بأحسن قبول؛ فهو سبحانه أكرم مسئول، وأرجى مأمول، كما أسأله سبحانه أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، نافعا لعباده الموحدين.

اللهم أنس به في القبر وحشتي، وفرّج به يوم القيامة كربتي، ويمنّ به يوم النشور صحيفتي، وثبت به على الصراط محجتي...

وصلّى الله وسلم وبارك على خاتم النبيين والمرسلين وسيد الأولين والآخرين، وعلى آله وصحبه أجمعين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

والحمد لله رب العالمين

وكتبه

أبو عبد الرحمن

هشام محمد سعيد برغش

الإسكندرية

ليلة الجمعة / غرة جمادى الأولى ١٤٢٨ هـ

dr_hesham_barghash@hotmail.com

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

تفسير الجلالين ومعه حاشية هداية الموحدين

التفسير للإمامين

جلال الدين
عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي
(٥٨٤٩-٥٩١١هـ)

جلال الدين
محمد بن أحمد بن محمد المحلي
(٥٧٩١-٥٨٦٤هـ)

والحاشية

أبو عبد الرحمن هشام بن محمد بن سعيد بن غيث

راجعته وقدم له

فضيلة الأستاذ الدكتور / أحمد عيسى المعصراني

شيخ عموم المقاريء المصرية ورئيس لجنة المصحف بالأزهر الشريف

سُورَةُ الْفَاتِحَةِ

[مَكِّيَّةٌ، سَنَّعَ آيَاتِهَا بِالسَّمَلَةِ إِنْ كَانَتْ مِنْهَا، وَالسَّابِعَةَ ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ﴾ إِلَى آخِرِهَا. وَإِنْ لَمْ تَكُنْ مِنْهَا؛ فَالسَّابِعَةَ ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ﴾ إِلَى آخِرِهَا، وَيَقْدَرُ فِي أَوْلَاهَا: «قُولُوا»؛ لِيَكُونَ مَا قَبْلَ «إِيَّاكَ نَعْبُدُ» مَنَاسِبًا لَهُ بِكُونِهَا مِنْ مَقُولِ الْعِبَادِ] (١) (٢) (٣)

[١] يَسْمُوهُ اللَّهُ الرَّجِيمَ

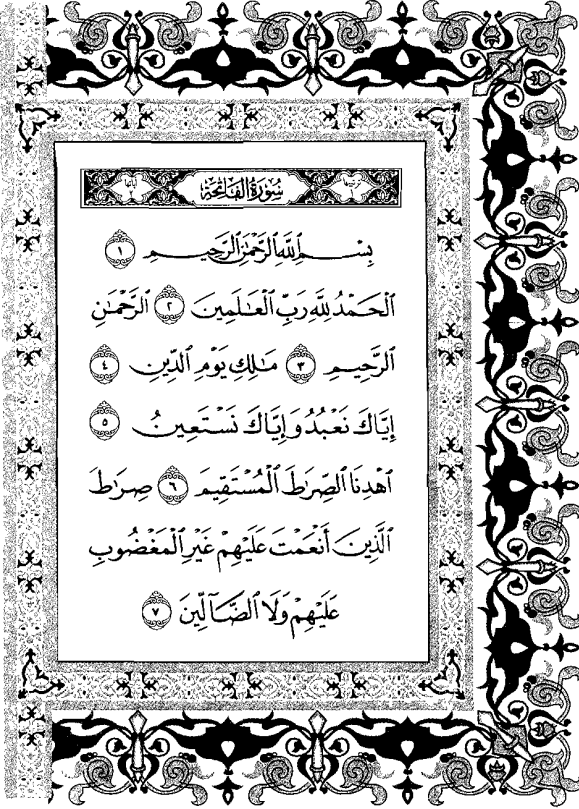
[٢] ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ جملة خبرية فُصِّدَ بها الثناء على الله بضمونها على أنه - تعالى -: مالكٌ لجميع الحمد من الخلق، أو مستحقٌ لأن يحمدوه، (والله) عَلَّمَ على المعبود بِحَقِّ ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي: مالكٌ جميع الخلق؛ من الإنس والجن والملائكة والدواب وغيرهم، وكل منها يُطَلَّقُ عليه عالم؛ يقال: عالم الإنس وعالم الجن إلى غير ذلك، وغُلِبَ في جمعه بالياء والنون أولي (٣) العلم على غيرهم، وهو (٤) من العلامة؛ لأنه علامة على موجدِه.

[٣] ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ أي: ذي الرحمة؛ وهي: إرادة الخير لأهله (٤). [٤] ﴿مَلِكٍ﴾ (٥) يَوْمِ الدِّينِ﴾ أي: الجزاء؛ وهو: يوم القيامة، وَخُصَّ بالذكر؛ لأنه لا ملك ظاهرًا فيه لأحد إلا لله - تعالى -: ؛ دليل ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ﴾ (٦)، وَمَنْ قَرَأَ: ﴿مَلِكٍ﴾ فَمَتَعَا: مالك الأمر كله في يوم القيامة، أو هو موصوفٌ بذلك دائماً؛ كـ ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ﴾ (٧)؛ فَضَخَّ وَقَوَّعَهُ صَفَةً لِعَرَفَةٍ.

[٥] «إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ» أي: نخصك بالعبادة من توحيد وغيره، ونطلب المعونة على العبادة وغيرها.

[٦] «أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ» أي: أرشدنا إليه، وَيُجَدَّلُ مِنْهُ (٨):

[٧] «صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ» بالهداية، وَيُجَدَّلُ مِنْ «الَّذِينَ» بِصَلَاتِهِ (٩): «غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ» وهم: اليهود ﴿وَلَا﴾ وغير ﴿الضَّالِّينَ﴾ (١٠) وهم: النصارى. ونكتة البدل إفادة أن المهتدين ليسوا يهودًا ولا نصارى. والله أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليمًا كثيرًا دائماً أبداً، وحسبنا الله



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ١
 الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ٢
 الرَّحِيمِ ٣
 مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ٤
 إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ٥
 أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ٦
 صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ٧

ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

(٥) فائدة: أخرج مسلم عن ابن عباس قال: بينما جبريل قاعد عند النبي ﷺ سمع نقيضًا من فوقه، فرفع رأسه فقال: هذا باب من السماء فتح اليوم لم يفتح قط إلا اليوم، فنزل منه ملك. قال هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم فسلم وقال: أبشر بنورين أتوتيهما لم يؤتيهما نبي قبلك، فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته. مسلم - كتاب صلاة المسافرين وقصرها (٦) باب (٤٣) فضل فاتحة وخواتيم سورة البقرة، وأخرج النسائي عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أنزل الله ﷻ في التوراة ولا في الإنجيل مثل أم القرآن، وهي السبع المثاني». النسائي - كتاب الافتتاح (١١) باب (٢٦)، وأخرجه الترمذي مطولاً، وفيه: «والذي نفسي بيده ما أنزلت في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثله». كتاب فضائل القرآن (٤٦) باب (١). (صحيح) صحيح سنن الترمذي (٢٣٠٧).

(١) في الأصل - من حيث وضع نسخ الجلال (أي السيوطي) - أورد تفسير سورة الفاتحة بعد سورة الناس؛ حيث إن الخليلي هو الذي فسرها بعد سورة الناس؛ فجعلها السيوطي خاتمة وآخر التفسير؛ ليكون تفسير الخليلي منضماً بعضه إلى بعض.

(٢) في بعض النسخ: «أولوه» على تقدير نائب فاعل لدغلب.

(٣) أي: العالم.

(٤) وهذا التأويل هو مذهب أَهْلِ الْوَأْتِزَةِ من أشعرية ومعتزلة وغيرهما، ومذهب السلف إثبات هذه الصفة وغيرها مما ثبت بالكتاب والسنة على الوجه اللائق به - شَيْخَانَهُ - ومن لوازمها إرادة الخير والإحسان والإنعام لمن يرحمه. (٥) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وحجزة، وقرأ عاصم والكسائي: ﴿مَلِكٍ﴾ (٦) غافر: ١٦. (٧) غافر: ٣.

(٨) أي: بدل كل من كل، وهو قوله بعدها: «صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ»، وفائدته التوكيد والتخصيص على أن صراط المسلمين هو المشهود عليه بالاستقامة على أكيد وجه وأبلغه.

(٩) أي: إن ﴿غَيْرِ﴾ بدل من «الَّذِينَ»، وقيل: هي نعت للذنين.

(١٠) قَائِدَةٌ: أي: الفاتحة قوله - تعالى -: «وَلَا الضَّالِّينَ»، وأما لفظ «أمين» فليس منها ولا من القرآن مطلقاً؛ بل هو شئ، وهو اسمٌ فِعْلِيٌّ بمعنى: «اللهم استجب».

بذكر أقوال غير مرضية وأعاريب محلها كتب العربية، والله أسأل النفع به في الدنيا وأحسن الجزاء عليه في العقبى بمنه وكرمه.

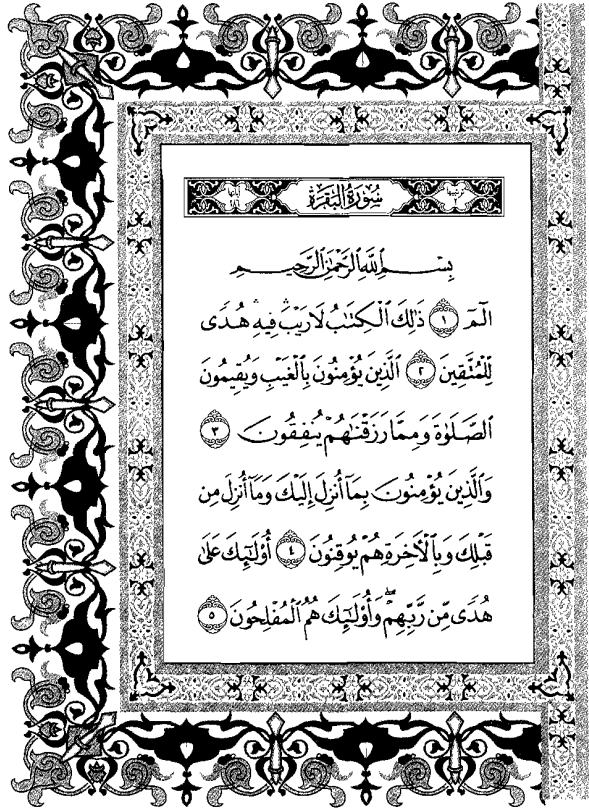
[١] ﴿الرَّحْمَةُ﴾ الله أعلم بمراده بذلك.

[٢] ﴿ذَلِكَ﴾ أي: هذا ﴿الْكِتَابُ﴾ الذي يقرؤه محمد ﴿لَا رَيْبَ﴾ لا شك ﴿فِيهِ﴾ أنه من عند الله، وجملة النفي خير مبتدؤه ﴿ذَلِكَ﴾، والإشارة به للتعظيم ﴿هُدًى﴾ خير ثانٍ؛ أي: هادٍ ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ الصائرين إلى التقوى بامتثال الأوامر واجتناب النواهي لاتقائهم بذلك النار.

[٣] ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾ يصدقون ﴿بِالْغَيْبِ﴾ بما غاب عنهم من البعث والجنة والنار ﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ أي: يأتون بها بحقوقها ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ أعطيتناهم ﴿يُقِفُّونَ﴾ في طاعة الله.

[٤] ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ أي: القرآن ﴿وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ أي: التوراة والإنجيل وغيرهما ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ يعلمون^(١).

[٥] ﴿أُولَئِكَ﴾ الموصوفون بما ذكر ﴿عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون بالجنة الناجون من النار.



نُبُوَّةُ النَّبِيِّ

[مدنية، مائتان وست أو: سبع وثمانون آية]*

مقدمة السيوطي رَحِمَهُ اللهُ:

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) الحمد لله حمدًا موافقًا لنعمه مكافئًا لمزيد، والصلاة والسلام على محمد وآله وصحبه وجنوده. هذا ما اشتملت إليه حاجة الراغبين في تكملة تفسير القرآن الكريم الذي ألفه الإمام العلامة المحقق جلال الدين محمد بن أحمد المحلي الشافعي رَحِمَهُ اللهُ وتتميم ما فاته وهو من أول سورة البقرة إلى آخر الإسراء. بتتمة على نمط من ذكر ما يفهم به كلام الله تعالى والاعتماد على أرجح الأقوال، وإعراب ما يحتاج إليه، وتنبيه على القراءات المختلفة المشهورة على وجه لطيف وتعبير وجيز وترك التطويل

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن يوسف بن ماهد قال: إني عند عائشة أم المؤمنين رَضِيَ اللهُ عَنْهَا إذ جاءها عراقي فقال: أي الكفن خير؟ قالت: ويحك، وما يضرك؟ قال: يا أم المؤمنين، أريني مصحفك، قالت: لم؟ قال: لعلي أؤلف القرآن عليه؛ فإنه يقرأ غير مؤلف، قالت: وما يضرك أيُّ قرأت قبل؟ إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا تاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء لا نشرهوا الحمر لقالوا: لا ندع الحمر أبدًا، ولو نزل لا نزنوا لقالوا: لا ندع الزنا أبدًا، لقد نزل بمكة على محمد ﷺ وإني لجارية ألعب: ﴿يَكِلُ الْأَمْرَ تُرَيْبُهُمْ وَكَاتِبَهُ أَحْمَدُ وَأُمُّهُ﴾، وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده، قال: فأخرجت له المصحف، فأملت عليه آي السور. البخاري كتاب فضائل القرآن (٦٦) باب (٦) تأليف القرآن.

(١) من هنا إلى آخر سورة الإسراء من وضع السيوطي، وكان المحلي قد بدأ في تفسير البقرة، وبعد أن مضى في تفسير آيات بسيرة نوفاه الله، وليس لدينا علم عن كم ما فسره المحلي من آيات. (٢) أي: علنا قطعًا لا شك فيه.

[٦] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ كأي جهل وأبي لهب ونحوهما ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ﴾ بتحقيق الهمزتين، وإبدال الثانية ألفاً، وتسهيلها وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه^(١)، ﴿أَمْ لَمْ نُؤْمِرْكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ لعلم الله منهم ذلك، فلا تطمع في إيمانهم، والإنذار إعلام مع تخويف.

[٧] ﴿حَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ طبع عليها واستوق؛ فلا يدخلها خير ﴿وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾ أي: مواضعه؛ فلا ينفعون بما يسمعون من الحق ﴿وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاةٌ﴾ غطاء؛ فلا يبصرون الحق ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ قوي دائم.

[٨] ونزل في المنافقين: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتُونَ الْآخِرَةَ﴾ أي: يوم القيامة؛ لأنه آخر الأيام ﴿وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ زوعج في معنى ﴿مَنْ﴾، وفي ضمير ﴿يَقُولُ﴾ لفظها.

[٩] ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ بإظهار خلاف ما أبطنوه من الكفر؛ ليدفعوا عنهم أحكامه الدنيوية، ﴿وَمَا يُخَادِعُونَ﴾^(٢) ﴿إِلَّا أَنفُسَهُمْ﴾ لأن وتآل خداعهم راجع إليهم؛ فيفتضحون في الدنيا بإطلاع الله نبيّه على ما أبطنوه، ويُتقون في الآخرة ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ يعلمون أن خداعهم لأنفسهم، والمخادعة هنا من واحد؛ كـ«عاقبت اللص»، وذكر الله فيها تحسين^(٣)، وفي قراءة: ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ﴾.

[١٠] ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾ شك ونفاق، فهو يمرض قلوبهم أي: يضعفها ﴿فَرَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ بما أنزله من القرآن لكفرهم به ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم ﴿بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ بالتشديد أي: نبي الله، وبالتخفيف أي: قولهم: ﴿ءَامَنَّا﴾^(٤).

[١١] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ أي: لهؤلاء: ﴿لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ بالكفر والتعويق عن الإيمان ﴿قَالُوا إِنَّمَا كُنَّ مَضْجُوتًا﴾ وليس ما نحن فيه بفساد. قال الله - تعالى - رداً عليهم: [١٢] ﴿أَلَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أُنذِرَهُمُ الْمَفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾ بذلك.

[١٣] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ عَابُوا كَمَا عَابَ النَّاسُ﴾ أصحاب النبي ﷺ، ﴿قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ الْأَشْقَاءُ﴾ الجهال؛ أي: لا نفع لك فعلهم. قال - تعالى - رداً عليهم: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السَّافِهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك.

[١٤] ﴿وَإِذَا لَقُوا﴾ أصله «لقبوا»؛ حذف الضمة؛ للاستتقال ثم الباء؛ لالتقائهما ساكنة مع الواو ﴿الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا﴾ منهم ورجعوا ﴿إِلَى شَطِيطِينَ﴾ رؤسائهم ﴿قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾ في الدين ﴿إِنَّمَا كُنَّ مَسْتَهْزِئِينَ﴾ بهم بإظهار الإيمان.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ حَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتُونَ الْآخِرَةَ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَرَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا كُنَّ مَضْجُوتًا ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ عَابُوا كَمَا عَابَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السَّافِهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السَّافِهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَتَّىٰ طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ سَفِهْتُهُمُ فِي شَتَّىٰ طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴿١٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهَدَىٰ فَمَا رَبِحَتْ تَوَجُّرُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٥﴾

[١٥] ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ يجازيهم باستهزائهم^(٥)، ﴿وَيُنذِرُهُمْ﴾ يجهلهم ﴿فِي طَائِفَاتٍ مِنْهُمْ﴾ بتجاوزهم الحد في الكفر ﴿بِعَمَهُمْ﴾ يترددون تحييراً، حال^(٦).

[١٦] ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهَدَىٰ﴾ أي: استبدلوا به ﴿فَمَا رَبِحَتْ تَوَجُّرُهُمْ﴾ أي: ما ربحوا فيها؛ بل خسروا لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم ﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ فيما فعلوا.

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وقالوا وهشام ورش يسهّل الهمزة الثانية، لكن الأكرهون عن ورش إبدالها ألفاً خالصة والمد قدر ألف، فإذا كان بعدها ساكن مد للساكنين. وفصل أبو عمرو وقالوا وهشام من طريق الحلواني بين الهمزتين بالألف. وهكذا في جميع النظائر من كل همزتين مجتمعين في كلمة، إلا ما يأتي النص على خلافه ويانه إن شاء الله. وأجمعوا على عدم الفصل في قوله - تعالى -: ﴿أَلَمْ نَشْكُرْكَ﴾ وسهل همزتها الثانية نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر.

(٢) هذه قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو، وقرا الباقون ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ﴾. (٣) أي: للكلام، وكأنه إجابة سؤال تقديره: كيف يُخَادِعُ الله؟ أي: يحتال عليه وهو يعلم الضمائر؟! فيجيب عنه بما ذكر.

(٤) والتشديد قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، والتخفيف قراءة الباقين. (٥) وهذا تأويل، والصواب في هذا ونحوه إثباته على ما يليق بجلال الله وعظمته من غير أن يشق له اسم أو صفة؛ فلا يقال: ماكر ولا مخادع ولا مستهزئ - تعالى الله عن ذلك. قال ابن القيم: «وقد قيل: إن تسمية ذلك مكرًا وكيدًا واستهزاءً وخذاعًا من باب الاستعارة ومجاز المقابلة... وقيل - وهو أصوب -: بل تسمية ذلك حقيقة على بابه...» [إعلام الموقعين (٣/ ٢١٣، ٢١٨)]. ومن ذلك ما أخبر - شيخنا - أنه يفعله بالمنافقين في قوله: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتِسَبْ مِنْ فُرْقَانِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا ذُنُوبَكُمْ فَمَنْ يَسْتَعِينُ بِهِمْ يُنصِرْ لَهُمْ رَبُّكَ يَوْمَ تَأْتِي الْبِلَاطُ بِهِمْ أَلْحِقَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ ذَكِيٌّ» [الحديد: ١٣]، وهذا عدل منه - شيخنا -، وحكمة، واتصاف.

(٦) أي: إن جملة ﴿بِعَمَهُمْ﴾ في محل نصب على الحال، إما من الضمير في ﴿وَيُنذِرُهُمْ﴾ أو من الضمير في ﴿طَائِفَاتٍ مِنْهُمْ﴾.

السحاب (٤) ﴿ظَلُمْتُ﴾ متكاثفة ﴿وَرَعَدٌ﴾ هو الملك الموكل به، وقيل: صوته ﴿رَبِّقٌ﴾ لمعان سوطيه الذي يجره به ﴿يَجْعَلُونَ﴾ أي: أصحاب الصيب ﴿أَصْبِعُهُمْ﴾ أي: أناملهم ﴿فِي مَآذِنِهِمْ مِنْ﴾ أجل ﴿الْفَوْصِقِ﴾ شدة صوت الرعد؛ لئلا يسمعوها ﴿حَدَرَ﴾ خوف ﴿الْمَوْتِ﴾ من سماعها؛ كذلك هؤلاء إذا نزل القرآن، وفيه ذِكْرُ الكفر المشبه بالظلمات، والوعيد عليه المشبه بالرعد، والحجج البينة المشبهة بالبرق يسدون آذانهم؛ لئلا يسمعهو فيميلوا إلى الإيمان وترك دينهم وهو عندهم موت ﴿وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ علما وقدره؛ فلا يفوتونه.

[٢٠] ﴿يَكَادُ﴾ يقر ب﴿الْبُرْقِ يَخطفُ أَبْصَرَهُمْ﴾ يأخذها بسرعة ﴿كَلَّمَ﴾ أَضَاءَهُمْ لَمْ يَمُوتُوا فِيهِ﴾ أي: في ضوئه ﴿وَإِذَا أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾ وقفا، تمثيل لإزعاج ما في القرآن من الحجج قلوبهم، وتصديقهم لما سمعوا فيه مما يحبون، ووقوفهم عما يكرهون. ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ﴾ بمعنى أسماعهم ﴿وَأَبْصَرَهُمْ﴾ الظاهرة كما ذهب بالباطنة ﴿إِن كَلَّمَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَاءَهُ﴾ ﴿قَدِيرٌ﴾ ومنه إذهاب ما ذُكِرَ.

[٢١] ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسَ﴾ أي: أهل مكة ﴿أَعْبُدُوا﴾ وخذلوا ﴿رَبِّكُمْ﴾ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ أنشأكم ولم تكونوا شيئا ﴿وَوَجَدَ خَلْقَ الَّذِيرِ﴾ مِنَ قَبْلِكُمْ لَمَّا كُنْتُمْ تَتَّقُونَ﴾ بعبادته عباده، ولعل: في الأصل للترجي، وفي كلامه - تعالى - للتحقيق. [٢٢] ﴿الَّذِي جَعَلَ خَلْقَ لَكُمْ الْأَرْضَ رِشَاءً﴾ حال (٥)، بساطا يُفْتَرَشُ، لا غاية في الصلاة أو الليونة فلا يمكن الاستقرار عليها ﴿وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾ سقفا ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ﴾ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٣﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٤﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَأْزَنُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٥﴾

[٢٣] ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ﴾ شك ﴿وَمِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا﴾ محمد من القرآن أنه من عند الله ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾ أي: المنزل، و(من لبيان؛ أي: هي مثله في البلاغة وحسن النظم والإخبار عن الغيب. والسورة قطعة لها أول وآخر، ألقها ثلاث آيات (١)، ﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ﴾ ألهمكم التي تعبدونها ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: من غيره لتعينكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في أن محمداً قاله من عند نفسه فافعلوا ذلك؛ فإنكم عربيون فصحاء مثله. ولما عجزوا عن ذلك قال - تعالى: - [٢٤] ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا﴾ ما ذُكِرَ لعجزهم ﴿وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾ ذلك أبداً؛ لظهور إعجازه، اعتراض (٧)، ﴿فَأْتُوا﴾ بالإيمان بالله، وأنه (٨) ليس من كلام البشر ﴿الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ﴾ الكفار ﴿وَالْحِجَارَةُ﴾ كأصنامهم منها؛ يعني: أنها مفرطة الحرارة تنقد بما ذُكِرَ، لا كئار الدنيا تنقد بالخطب ونحوه ﴿أُعِدَّتْ﴾ هُبَيْتٌ ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ يُعَذَّبُونَ بها، جملة مستأنفة (٩) أو حال لازمة (١٠).

مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ، ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٧﴾ صَمُّ بُكْمٌ عُمَى فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٨﴾ أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْبِعَهُمْ فِءَ آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٩﴾ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخطفُ أَبْصَرَهُمْ كَلَّمَ أَضَاءَهُ لَمْ يَمُوتُوا فِيهِ وَإِذَا أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرَهُمْ إِنْ لَمْ يَشَاءَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠﴾ يَتَأْتِيَ النَّاسَ الْعَبْدُ وَالرَّبُّ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٢﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَأْزَنُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٤﴾

[١٧] ﴿مَثَلُهُمْ﴾ صفتهم في نفاقهم ﴿كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ﴾ أوقد ﴿نَارًا﴾ في ظلمة ﴿فَلَمَّا أَضَاءَتْ﴾ أنارت ﴿فَمَا حَوْلَهُ﴾ فأبصر واستندأ وأمن من يخافه ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ أطفاله، وجميع الضمير مراعاة لمعنى ﴿الَّذِي﴾ (١)، ﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ ما حولهم، متحررين عن الطريق، خائفين؛ كذلك هؤلاء أمثوا بإظهار كلمة الإيمان؛ فإذا ماتوا جاءهم الخوف والعذاب.

[١٨] هم ﴿صَمٌّ﴾ عن الحق فلا يسمعون سماع قبول ﴿بِكُمْ﴾ خرس عن الخير فلا يقولونه (١) ﴿عُمَى﴾ عن طريق الهدى فلا يرونه (٢) ﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ عن الضلالة.

[١٩] ﴿أَوْ﴾ مَثَلُهُمْ ﴿كَمَثَلِ﴾ أي: كأصحاب مطر، وأصله صيوب من صاب يصوب أي: ينزل ﴿مِنَ السَّمَاءِ﴾ السحاب ﴿فِيهِ﴾ أي:

(٣) أي: رؤية نافعة.

(٢) أي: قولاً مطابقاً للواقع؛ لما سبق أنهم مؤمنون ظاهراً.

(١) وهو جعلها بمعنى: الذين.

(٤) وظاهر النظم، وكلام كثير من المفسرين أن الضمير راجع للصب.

(٥) أي: من الأرض، وهذا بناء على ما جرى عليه من أن ﴿جَعَلَ﴾ بمعنى: خَلَقَ المتعدي لواحد وهو الأرض، وجرى غيره على أنه بمعنى: «صَبَّرَ»، وأن ﴿وَرَبَّكَ﴾ المفعول الثاني.

(٦) بيان لخالفها من الواقع؛ فإن أقصر سورة ثلاث آيات، وليس من التعريف، ولو فرض أنها آياتان لعجزوا أيضاً.

(٧) أي جملة: ﴿وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾ معترضة بين الشرط وجوابه، ومعنى الاعتراض في الغالب التوكيد.

(٨) أي: وبأنه.

(٩) أي: لا ارتباط لها بما قبلها، وقعت في جواب سؤال مقدر، تقديره: هذه النار التي وقودها الناس والحجارة لمن؟

(١٠) أي: والتقدير: فاتقوا النار حال كونها معدة ومهيأة للكافرين، ودفع بقوله: «لازمة» ما قيل: إنها معدة للكافرين اتقوا أم لم يتقوا. «حاشية الصاوي».

[٢٥] ﴿وَيَبْرُءٌ﴾ أُخْبِرَ ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ صدقوا بالله ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ من الفروض والنوافل ﴿أَنْ﴾ أي: بأن ﴿لَهُمْ جَنَّاتُ﴾ حدائق ذات أشجار ومساكن ﴿يَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا﴾ أي: تحت أشجارها وقصورها ﴿الْأَنْهَارُ﴾ أي: المياه فيها، والنهر الموضع الذي يجري فيه الماء؛ لأن الماء يَنْهَرُ أي: يحفره، وإسناد الجري إليه مجاز ﴿كَلِمًا زُرْقًا﴾ أي: مثل ما ﴿زُرْقًا﴾ من تلك الجنة ﴿بَيْنَ﴾ أي: قبله في الجنة^(١)؛ لنشابه ثمارها، بقرينة ﴿وَأَنْوَأُ بِهِ﴾ أي: جيئوا بالرزق ﴿مُتَّكِنِينَ﴾ يشبه بعضه بعضاً لوناً ويختلف طعماً ﴿وَلَهُمْ فِيهَا﴾ ﴿أَزْوَاجٌ﴾ من الحور وغيرها^(٢) ﴿مُطَهَّرَةٌ﴾ من الحيض وكل قَدْرٍ^(٣) ﴿وَهُمْ فِيهَا﴾ ﴿يَخْلِدُونَ﴾ ما يكون أبداً، لا يفنون^(٤)، ولا يخرجون. ﴿وَنَزَّلَ﴾ ﴿رِذًا﴾ لِقول اليهود لما ضرب الله المثل بالذباب في قوله: ﴿وَإِنْ يَسْتَكْبِرُوا﴾ ﴿الذُّبَابُ شَيْئًا﴾^(٥)، والعنكبوت في قوله: ﴿كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ﴾^(٦): ما أراد الله بذكر هذه الأشياء الخسيسة؟ فأنزل الله: [٢٦] ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي﴾^(٧) أن يضرب بهما، ويجعل ﴿مَثَلًا﴾ مفعول أول ﴿مَا﴾ نكرة موصوفة بما بعدها، مفعول ثانٍ؛ أي: أيُّ مثل كان، أو زائدة لتأكيد الخسيسة^(٨)، فما بعدها المفعول الثاني ﴿بِعُوضَةٍ﴾ مفرد البعوض؛ وهو صغار البق ﴿فَمَا قَوْهَا﴾ أي: أكبر منها؛ أي: لا يترك بيانه لما فيه من الحكم ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ ﴿فَيَقُولُونَ﴾ ﴿أَنَّهُ﴾ أي: المثل ﴿الْحَقُّ﴾ الثابت الواقع موقعه ﴿بَيْنَ رَبِّهِمْ﴾ ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ﴿فَيَقُولُونَ﴾ ﴿مَاذَا ءَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾ تمييز^(٩)؛ أي: بهذا المثل، وما استفهام إنكار مبتدأ، وذا بمعنى الذي يصلته خبره؛ أي: أي فائدة فيه؟ قال - تعالى - في جوابهم: ﴿يُضِلُّ بِهِ﴾ أي: بهذا المثل ﴿كَثِيرًا﴾ عن الحق لكفرهم به ﴿وَيَهْدِي بِهِ﴾ كثيرًا من المؤمنين لتصديقهم به ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ﴾ إلا ﴿الْفَاسِقِينَ﴾ الخارجين عن طاعته.

[٢٧] ﴿الَّذِينَ﴾ نعت ﴿يَتَّقُونَ عَهْدَ اللَّهِ﴾ ما عهده إليهم في الكتب من الإيمان بمحمد ﷺ ﴿مِنْ بَدَلٍ مِثْقَلِ ذَرَّةٍ﴾ توكيده عليهم ﴿وَيَقُولُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ﴾ أن يؤصل من الإيمان بالنبي والرحم وغير ذلك، ﴿وَأَنْ﴾ بدل من ضمير ﴿به﴾ ﴿وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ بالمعاصي والتعويق عن الإيمان ﴿أُولَئِكَ﴾ الموصوفون بما ذكر ﴿هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم. [٢٨] ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾ يا أهل مكة ﴿بِاللَّهِ وَرَبِّكُمْ﴾ ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾ نطقاً في الأصلاب ﴿فَأَنذِرْكُمْ﴾ في الأرحام والدنيا بنفخ الروح فيكم، والاستفهام للتعجب من كفرهم مع قيام البرهان أو للتوبيخ ﴿فَإِنَّكُمْ تَكْفُرُونَ﴾ عند انتهاء آجالكم ﴿ثُمَّ يَحْيِيكُم﴾ بالبعث ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ تَكْفُرُونَ﴾

وَيُبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَن لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كَلِمًا زُرْقًا مِمَّا زُرْقًا مِنْ تِلْكَ الْجَنَّةِ الَّتِي دَخَلُوا مِنْ قَبْلُ وَأَنْوَأُ بِهِمْ فَأْتُوا بِهِمْ فِيهَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٥﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي﴾ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا ءَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي﴾ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَيَقْطَعُونَ مِمَّا ءَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٢٧﴾ ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ ءَاهْوَاءَ فَاحِشٍ كُمُ تُرْمِثُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِنَّهُمْ تُرْجَعُونَ﴾ ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ءَسْتَوِيهِ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾

تُرْمِثُونَ ﴿تردون بعد البعث فيجازيكم بأعمالكم. وقال دليلاً على البعث لما أنكروه: [٢٩] ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: الأرض وما فيها ﴿جَمِيعًا﴾ لتنتفعوا به وتعتبروا ﴿ثُمَّ ءَسْتَوِيهِ﴾ بعد خلق الأرض أي: قَصَدَ^(١) ﴿إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ﴾ الضمير يرجع إلى السماء؛ لأنها في معنى الجملة الآيلة إليه؛ أي: صيرها؛ كما في آية أخرى: ﴿فَقَضَّاهُنَّ﴾^(٢) ﴿سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ مجملاً ومفصلاً، أفلا تعتبرون أن القادر على خلق ذلك ابتداءً. وهو أعظم منكم. قادر على إعادتهم!؟

(١) أشار بذلك إلى رد ما قيل: إن المراد بقوله: ﴿بَيْنَ جَنَّاتٍ﴾ في الدنيا، وقوله: ﴿وَأَنْوَأُ بِهِ مُتَّكِنِينَ﴾: أي يشبه ثمر الدنيا في الصورة.

(٢) أي نساء الدنيا، وهن يكن أجمل من الحور العين - كما جاء به الحديث.

(٣) كالفاس والمخاط والنصاق.

(٤) أي: أي لا يمرضون.

(٥) أي: قوله - تعالى -: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي﴾ أن يضرب مثلاً ما بعوضةً فما فوقها ﴿البقرة: [٢٦].

(٦) الحج: ٧٣.

(٧) العنكبوت: ٤١.

(٨) ومعنى ﴿لَا يَسْتَحْيِي﴾ أي: لا يستكف، وقيل: لا يخشى.

(٩) فليست زيادة محضة، وكذا أي زائد في القرآن عند من يقول به. (١٠) أي: من اسم الإشارة تمييز نسبة، وهي نسبة التعجب والإنكار إلى المشار إليه.

(١١) وكذا فسره ابن كثير هنا، فقال: أي قصد إلى السماء، والاستواء هنا مضمن معنى القصد والإقبال؛ لأنه عدي به إلى. - اهـ. وهذا التفسير مخالف لما رواه البخاري في صحيحه؛ حيث نقل عن مجاهد وأبي العالية: معنى ﴿ءَسْتَوِيهِ﴾ أي: علا وارتفع، واختاره الطبري. وقال ابن عثيمين: «إن لأهل السنة في تفسيرها قولين: أحدهما: أنها بمعنى ارتفع إلى السماء... القول الثاني: أن الاستواء هنا بمعنى القصد التام، وإلى هذا القول ذهب ابن كثير في تفسير سورة البقرة، والبخاري في تفسير سورة فصلت... وهذا الكلام ليس صرفاً للكلام عن ظاهره؛ وذلك لأن الفعل «استوى» اقترن بحرف يدل على الغاية والاتهاء؛ فانتقل إلى معنى يناسب الحرف المقترن به...» القواعد المثلثة لابن عثيمين ص ٥٧، ٥٨.

(١٢) فصلت: ١٢.

أي: وجهها؛ بأن قبض منها قبضة من جميع ألوانها، وُجِنَتْ بالمياه المختلفة، وسَوَّاهُ، ونفخ فيه الروح؛ فصار حيواناً حساساً بعد أن كان جماداً.

[٣١] ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ﴾ أي: أسماء السميات ﴿كُلَّمَا﴾ حتى القصعة والقصبعة، والفسوة والفسية والمعرفة^(٨) بأن أتى في قلبه علمها ﴿فَتَمَّ عَرَضَهُمْ﴾ أي: السميات، وفيه تغليب العقلاء^(٩) ﴿عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ لَهُمْ تَبَكُّوا﴾: أي: أتواوني أخبروني بأسماء هؤلاء السميات ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في أنني لا أخلق أعلم منكم، أو أنكم أحق بالخلافة، وجواب الشرط دل عليه ما قبله. [٣٢] ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ﴾ تنزيهاً لك عن الاعتراض عليك ﴿لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ إياه ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْكَافُّ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ الذي لا يخرج شيء عن علمه وحكمته. [٣٣] ﴿قَالَ تَعَالَى﴾ ﴿يَتَذَكَّرُ أُنْفُسَهُمْ﴾ أي: الملائكة ﴿بِأَسْمَائِهِمْ﴾ السميات، فسعى كل شيء باسمه، وذكر حكمته التي خلق لها ﴿فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ﴾ - تعالى - لهم ﴿مُوبِحًا﴾: ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض، ما غاب فيهما ﴿وَأَنْبَأَهُمْ مَا بُدُونُ﴾ ما تظهرون من قولكم: ﴿أَجْمَلُ فِيهَا﴾ الخ ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ تسيئون من قولكم: لن يخلق أكرم عليه منا ولا أعلم.

[٣٤] ﴿وَوَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ سجود تحية بالاحناء^(١٠) ﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ هو أبو الجن، كان بين الملائكة ﴿أَبَى﴾ امتنع من السجود ﴿وَأَسْتَكْبَرَ﴾ تكبر عنه، وقال: أنا خير منه، ﴿وَكَانَ مِنَ الْكٰفِرِينَ﴾ في علم الله. [٣٥] ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَالزَّوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ المستتر: ليغطف عليه ﴿وَزَوْجُكَ﴾ حواء - بالمد - وكان خلقها من ضلعه الأيسر ﴿الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا﴾ أكلاً ﴿وَرَعَدًا﴾ واسعاً لا حجر فيه ﴿حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣١﴾ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَقْبِلُوا عَلَىٰ مَا أَنزَلْنَا بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالُوا سُبْحٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٣﴾ قَالَ تَعَالَى أَتُنَبِّئُهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ الْغَيْبَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكٰفِرِينَ ﴿٣٥﴾ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُرْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٦﴾ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٧﴾ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٣٨﴾

[٣٠] ﴿وَوَ﴾ اذكر يا محمد ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ يخلفني في تنفيذ أحكامي فيها وهو آدم^(١١) ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا﴾ بالمعاصي ﴿وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ يريقها بالقتل؛ كما فعل بنو الحان، وكانوا فيها، فلما أفسدوا أرسل الله عليهم الملائكة فطردوهم إلى الجزائر والجبال ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ﴾ متلبسين ﴿بِحَمْدِكَ﴾ أي: نقول: سبحان الله وبحمده ﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ ننزهك عما لا يليق بك، فاللام زائدة^(١٢)، والجملة حال^(١٣)؛ أي: فنحن أحق بالاستخلاف^(١٤) ﴿قَالَ تَعَالَى﴾: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من المصلحة في استخلاف آدم، وأن ذريته فيهم الطبع والمعاصي؛ فيظهر العدل بينهم، فقالوا^(١٥): لن يخلق ربنا خلقاً أكرم عليه منا ولا أعلم؛ لسبقنا له^(١٦)، ورؤيتنا ما لم يره^(١٧)؛ فخلق الله - تعالى - آدم من آدم الأرض؛

(١) قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: أي قوماً يخلف بعضهم بعضاً قرناً بعد قرن وجيلاً بعد جيل، كما قال - تعالى -: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ خَلِيفَةً﴾ وليس المراد هنا بالخليفة آدم الطيب فقط؛ كما يقوله طائفة من المفسرين...؛ إذ لو كان ذلك لما حسن قول الملائكة: ﴿أَجْمَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾. اهـ.

(٢) أي: لتأكيد التخصص، ويحتمل أنها للتلبية والتعليل؛ أي: ننزهك لك، لا طعماً ولا خوفاً؛ وإنما لذاتك فقط. (٣) أي: جملة قوله: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾.

(٤) ليس المقصود من ذلك الاعتراض على الله، ولا احتقار آدم، وإنما ذلك لطلب جواب يريحهم من الغناء؛ حيث وقعت المشورة من الله لهم.

(٥) أي: سؤاً. (٦) فنحن أكرم.

(٨) سقط من الأصل: «حتى القصعة والقصبعة، والفسوة والفسية والمعرفة». والثبت من نسخة حاشية الصاوي على الجلالين، وفي هذا إشارة إلى كونه تعلم جميع الأسماء؛ شريفة وخسيسة، وحكمتها أيضاً.

(٩) أي: في الضمير في: ﴿عَرَضَهُمْ﴾ تغليب العقلاء؛ وهم: الجن والإنس والملائكة على غير العقلاء والجمادات؛ حيث لم يقل: «عرضها».

(١٠) وحكى القرطبي عن الجمهور: أن المراد هنا هو السجود بوضع الجباه على الأرض؛ كالسجود المعتاد في الصلاة؛ لأنه الظاهر من السجود في العرف والشرع.

(١١) الأولى ألا تختص من غير دليل قاطع. (١٢) الأولى لابن كثير. (١٣) لحمزة. (١٤) الأعراف: ٢٣.

[٣٨] ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا﴾ من الجنة ﴿جَمِيعًا﴾ كزوره؛ ليعطف عليه ﴿فَإِنَّمَا﴾ فيه إدغام نون «إِنْ» الشرطية في «مَا» الزائدة ﴿يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى﴾ كتاب ورسول ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ﴾ فأمّن بي وعمل بطاعتي ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الآخرة؛ بأن يدخلوا الجنة.

[٣٩] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ كتبنا ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ما كتون أبدًا، لا يفنون ولا يخرجون. [٤٠] ﴿يَبْنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أولاد يعقوب ﴿أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ أي: على آباءكم من الإنجاء من فرعون، وفاق البحر، وظليل الغمام، وغير ذلك بأن تشكروها بطاعتي ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي﴾ الذي عهدته إليكم من الإيمان بمحمد ﴿أَوْفُوا بِعَهْدِي﴾ الذي عهدت إليكم من الثواب عليه بدخول الجنة ﴿وَرِئَيتُ قَارِهِيونَ﴾ تخافون في ترك الوفاء به دون غيري. [٤١] ﴿وَأَمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ﴾ من القرآن ﴿مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ﴾ من التوراة بموافقة له في التوحيد والنبوة ﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ يَدْعُو﴾ من أهل الكتاب؛ لأن خلفكم تبع لكم؛ فاتهمم عليكم ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا﴾ تستبدلوا ﴿بِآيَاتِي﴾ التي في كتابكم من نعت محمد ﷺ ﴿ثَمَانًا قِيلًا﴾ عرضًا يسيرًا من الدنيا؛ أي: لا تكتنموا خوف فوات ما تأخذونه من سفليكم^(١) ﴿وَرِئَيتُ قَاتِقُونَ﴾ تخافون في ذلك دون غيري. [٤٢] ﴿وَلَا تَلْسَبُوا﴾ تخططوا ﴿الْحَقَّ﴾ الذي أنزلت عليكم ﴿بِالْبَطْلِ﴾ الذي تفترونه ﴿وَإِذَا تَكَلَّمْتُمُوهَا﴾ نعت محمد ﷺ ﴿وَأَنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ أنه الحق.

[٤٣] ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ صلوا مع المسلمين محمد وأصحابه. ونزل في علمائهم - وكانوا يقولون لأقربائهم المسلمين: اثبتوا على دين محمد؛ فإنه حقٌّ :: [٤٤] ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ﴾ بالإيمان بمحمد ﴿وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾ تتركونها فلا تأمرونها به ﴿وَأَنْتُمْ تَنْتَوُونَ إِلِكْتِيبَ﴾ التوراة، وفيها الوعيد على مخالفة القول العمل ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ سوء فليلكم فترجعون، فجملة النسيان محل الاستفهام الإنكاري.

[٤٥] ﴿وَأَسْتَعِينُوا﴾ اطلبوا المعونة على أموركم ﴿بِالصَّبْرِ﴾ الحس للنفس على ما تكره ﴿وَالصَّلَاةِ﴾ أفردها بالذكر؛ تعظيمًا لشأنها، وفي الحديث: «كان ﷺ إذا حزبه أمر، بادر إلى الصلاة»^(٢). وقيل: الخطاب لليهود لما عاقبهم عن الإيمان الشريعة وحب الرياسة؛ فأمرؤا بالصبر وهو الصوم؛ لأنه يكسر الشهوة، والصلاة؛ لأنها تورث الحشوع وتنفى الكبر ﴿وَرِئَيتُهَا﴾ أي: الصلاة ﴿لكبيرة﴾ ثقيلة ﴿إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هُمْ﴾ الساكين إلى الطاعة.

[٤٦] ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾ يوقنون ﴿أَنَّهُمْ مُلْقَوُا رِيحًا﴾ بالبعث ﴿وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ

قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ^(٣٨) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ^(٣٩) يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفُوا بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّي فَأَرْحَبُونَ^(٤٠) وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ يَدْعُو وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَانًا قِيلًا وَإِنِّي فَأَتَّقُونَ^(٤١) وَلَا تَلْسَبُوا الْحَقَّ بِالْبَطْلِ وَكُتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْمُونَ^(٤٢) وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ^(٤٣) أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَنْتَوُونَ إِلِكْتِيبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ^(٤٤) وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ^(٤٥) الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْقَوُا رِيحًا وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ^(٤٦) يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَإِنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ^(٤٧) وَأَتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُبْصَرُونَ^(٤٨)

رَاجِعُونَ﴾ في الآخرة؛ فيجازيهم.

[٤٧] ﴿يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ بالشكر عليها بطاعتي ﴿وَإِنِّي فَضَّلْتُكُمْ﴾ أي: آباءكم ﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ عالمي زمانهم.

[٤٨] ﴿وَأَتَّقُوا﴾ خافوا ﴿يَوْمًا لَا تَجْزِي فِيهِ نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ وهو يوم القيامة ﴿وَلَا تُقْبَلُ﴾ والباء^(٣) والياء ﴿مِنْهَا شَفَعَةٌ﴾ أي: ليس لها شفاعة فضيل ﴿فَمَا لَنَا مِنَ شَفِيعِينَ﴾^(٤) ﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ فداء ﴿وَلَا هُمْ يُبْصَرُونَ﴾ يُعْتَمُونَ من عذاب الله.

(١) أي: عامتكم.

(٢) رواه أحمد (٢٢٧٨٨)، وأبو داود (١٣١٩)، وهو في صحيح الجامع (٤٧٠٣).

(٣) لابن كثير وأبي عمرو.

(٤) الشعراء: ١٠٠.

ذَلِكُمْ ﴿٥٠﴾ الْعَذَابُ أَوْ الْإِنْجَاءُ ﴿٥١﴾ بَلَاءٌ ﴿٥٢﴾ أَوْ إِنْعَامٌ ﴿٥٣﴾ مِمَّنْ رَزَقَكُمْ عَظِيمًا ﴿٥٤﴾

[٥٠] ﴿وَذِكْرُوا﴾ اذكروا ﴿إِذْ فَرَقْنَا﴾ فَلَقْنَا ﴿بَيْنَكُمْ﴾ بِسَبَبِكُمْ ﴿الْبَحْرَ﴾ حَتَّى دَخَلْتُمُوهُ هَارِبِينَ مِنْ عُدُوكُمْ ﴿فَأَنجَيْنَاكُمْ﴾ مِنَ الْغَرَقِ ﴿وَأَغْرَقْنَا﴾ أَلَّ الْفِرْعَوْنَ ﴿مَعَهُ﴾ وَأَنْتُمْ نَظَرُونَ ﴿إِلَى﴾ انْتِطَاقِ الْبَحْرِ عَلَيْهِمْ.

[٥١] ﴿وَأِذْ وَعَدْنَا﴾ بِالْفِ دَوْنَهَا ﴿مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ نَعِيطِهِ - عِنْدَ انْقِضَائِهَا - التَّوْرَةَ؛ لِتَعْمَلُوا بِهَا ﴿ثُمَّ أَخَذْتُمُ الْعِجْلَ﴾ الَّذِي صَاغَهُ لَكُمْ الشَّامِرِيُّ إِلَيْهَا ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ أَي: بَعْدَ ذَهَابِهِ إِلَى مِيعَادِنَا ﴿وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ بِاتِّخَاذِهِ؛ لِوَضْعِكُمُ الْعِبَادَةَ فِي غَيْرِ مَحَلِّهَا.

[٥٢] ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ﴾ مَحْوُنَا ذُنُوبَكُمْ ﴿مِمَّنْ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ الْاِتِّخَاذِ ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نَعْمَتَنَا عَلَيْكُمْ.

[٥٣] ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ﴾ التَّوْرَةَ ﴿وَالْفُرْقَانَ﴾ عَطْفٌ تَفْسِيرِيٌّ؛ أَي: الْفَارِقَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ بِهِ مِنَ الضَّلَالِ.

[٥٤] ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ﴾ الَّذِينَ عَبَدُوا الْعِجْلَ: ﴿يَقَوْمِ إِنِّي كُنْتُ نَذِيرًا لَكُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلِ﴾ إِلَيْهَا ﴿فَقَتُّوهُ إِلَىٰ بَارِيكُمْ﴾ خَالَفْتُمْكَ مِنْ عِبَادَتِهِ ﴿فَأَقْبَلُوا أَنفُسَكُمْ﴾ أَي: لِيَقْتُلَ الْبَرِيءُ مِنْكُمْ الْحَرَمَ ﴿ذَلِكُمْ﴾ الْقَتْلُ ﴿خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ﴾ فَوْقَكُمْ لِفِعْلِ ذَلِكَ، وَأَرْسَلَ عَلَيْكُمْ سَحَابَ سُودَاءٍ؛ لِأَنَّهُ يَبْصُرُ بَعْضَكُمْ بَعْضًا فَيَرْجِمُهُ؛ حَتَّى قَتَلَ مِنْكُمْ نَحْوَ سَبْعِينَ أَلْفًا ﴿فَنَابَ عَلَيْكُمْ﴾ قَبْلَ تَوْبَتِكُمْ ﴿إِنَّهُ هُوَ الْوَكِيلُ الرَّحِيمُ﴾.

[٥٥] ﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾ وَقَدْ خَرَجْتُمْ مَعَ مُوسَى؛ لِتَعْتَدُوا إِلَى اللَّهِ مِنْ عِبَادَةِ الْعِجْلِ، وَسَمِعْتُمْ كَلَامَهُ: ﴿يَأْتِيكُمْ لَنْ تُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَرَىٰ اللَّهُ جَهَنَّمَ﴾ عِيَانًا ﴿فَأَخَذْنَاكُمْ الصَّلْوةَ﴾ الصَّحِيحَةَ؛ فَمُتُّمْ ﴿وَأَنْتُمْ نَظَرُونَ﴾ مَا حَلَّ بِكُمْ.

[٥٦] ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ﴾ أَحْيَيْنَاكُمْ ﴿مِمَّنْ بَعْدَ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نَعْمَتَنَا بِذَلِكَ.

[٥٧] ﴿وَوَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ اللَّعَامَةَ﴾ سَرْنَاكُمْ بِالسَّحَابِ الرَّقِيقِ مِنْ حُرِّ الشَّمْسِ فِي النَّيِّهِ ﴿وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ﴾ فِيهِ ﴿الْمَنَّاءُ وَالسَّلْوَىٰ﴾ هُمَا التَّرْبِيعِيْنِ (٥) وَالطَّيْرُ السَّمَانِيُّ بِتَخْفِيفِ الْمَيْمِ وَالْقَصْرِ، وَقُلْنَا: ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ وَلَا تَدْبِجُوا. فَكَفَرُوا بِالنِّعْمَةِ وَادْخَرُوا؛ فَفَطَعْنَا عَنْهُمْ ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾ بِذَلِكَ ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ لِأَنَّ رَبَّاهُ عَلَيْهِمْ.

وَإِذْ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِمَّنْ رَزَقَكُمْ عَظِيمًا ﴿٥١﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بَيْنَكُمْ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ أَخَذْنَا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَتَقَوْمِ إِنِّي كُنْتُ نَذِيرًا لَكُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلِ فَاقْبَلُوا إِلَىٰ بَارِيكُمْ فَاقْبَلُوا أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٥٦﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِمُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَرَىٰ اللَّهُ جَهَنَّمَ فَخَذْنَاكَ الصَّلْوةَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿٥٧﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ اللَّعَامَةَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَىٰ كُلًّا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٩﴾

[٤٩] ﴿وَذِكْرُوا﴾ اذكروا ﴿إِذْ بَعَثْنَاكُمْ﴾ أَي: أَبَاءَكُمْ، وَالخَطَابُ بِهِ وَبِمَا بَعْدَهُ لِلْمَوْجُودِينَ فِي زَمَنِ نَبِينَا بِمَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَىٰ آبَائِهِمْ؛ تَذَكِيرًا لَهُمْ بِنِعْمَةِ اللَّهِ - تَعَالَى - لِيُؤْمِنُوا ﴿مِمَّنْ رَزَقْنَا فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ﴾ يُدَبِّحُونَكُمْ ﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾ أَشَدَّهُ، وَالْجَمْلَةُ حَالٌ مِنْ ضَمِيرِ ﴿بَعَثْنَاكُمْ﴾ ﴿يُدَبِّحُونَ﴾ بَيَانٌ لِمَا قَبْلَهُ ﴿أَبْنَاءَكُمْ﴾ الْمَوْلُودِينَ ﴿يَسْتَحْيُونَ﴾ يَسْتَهْجُونَ ﴿نِسَاءَكُمْ﴾ لِقَوْلِ بَعْضِ الْكَاهِنَةِ لَهُ: إِنْ مَوْلِدًا يُؤَلِّدُ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ يَكُونُ سَبِيًّا لِهَذَا بَلَدِكُمْ وَفِي

(١) أَي: مِنْ حَيْثُ عَدِمَ الشُّكْرَ عَلَيْهِ؛ فَضَارَ بِلَاءِ.

(٢) رَاجِعٌ لِلْعَذَابِ.

(٣) رَاجِعٌ لِلْإِنْجَاءِ.

(٤) بِدُونِ أَلْفِ لَأَيِ عَمْرٍو.

(٥) مَادَّةٌ صَغِيرَةٌ حَلُوءَةٌ؛ كَالْعَمَلِ السَّقَطِ عَلَى الشَّجَرِ؛ كَمَا يَسْقُطُ الطَّلُّ.

[٥٨] ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَهُمْ بَعْدَ خُرُوجِهِمْ مِنَ الْبَيْتِ: ﴿أَنْتُمْ هَٰؤُلَاءِ أَلْقَيْتُمْ﴾ بيت المقدس أو أريحا ﴿فَكُنُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ﴾ وأسعا لا حجر فيه ﴿وَأَنْتُمْ هَٰؤُلَاءِ أَلْقَيْتُمْ﴾ أي: بابها ﴿سُجُودًا﴾ مُتَخَيِّبِينَ ﴿وَقُولُوا﴾: مسألنا ﴿حِطَّةً﴾ أي: أن تحط عنا خطايانا ﴿تَعَفُّرًا﴾ وفي قراءة بالياء^(١) والياء^(٢) مبيتا للمفعول فيهما ﴿لَكُنَّ حَطَّائِكُمْ وَسَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ بالطاعة ثوابا.

[٥٩] ﴿فَدَلَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ ﴿قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ فقالوا: حبة في شجرة. ودخلوا يرحفون على أستاذهم^(٣) ﴿فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ فيه وضع الظاهر موضع المضمر؛ مبالغة في توبيخ شأنهم ﴿وَجَزَّاءٌ عَذَابًا طَاعُونَ﴾ ﴿مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ بسبب فسقهم؛ أي: خروجهم عن الطاعة؛ فهلك منهم في ساعة سبعون ألفا أو أقل.

[٦٠] ﴿وَإِذْ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ﴾ ﴿إِذْ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ﴾ أي: طلب الشفيا ﴿لِقَوْمِهِ﴾ وقد عطشوا في الشيبه ﴿فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾ وهو الذي فؤ بئويه، خفيف مربع كراس الرجل رخام، أو كذبان^(٤)، فضربه^(٥) ﴿فَانفَجَرَتْ﴾ انشقت وسالت ﴿وَمِنهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ نَجًّا﴾ بعدد الأسباط ﴿قَدْ عَايَرَ كُلُّ أُنَاسٍ﴾ سبط منهم ﴿مَشْرِبَهُمْ﴾ موضع شربهم؛ فلا يشركهم فيه غيرهم. وقلنا لهم: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْآرَافِ مُفْسِدِينَ﴾ حال مؤكدة لعاملها^(٦)، من عتبي بكسر المثلثة: أفسد.

[٦١] ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِمُوسَىٰ لَنْ نَضْرِبَ عَلَىٰ طَعَامِكَ وَرِجْلِكَ﴾ نوع منه ﴿وَجِدْ﴾ وهو المن والسلوى ﴿فَأَنْزَلْنَا لَكَ رَبِّكَ حُجْرًا مَبْنِيًّا﴾ ﴿مِنَّا نُفِثَ الْآرَضُ مِنْ﴾ لَيْتِيَانِ ﴿بِقَلْبِهَا وَقَتَابِهَا وَفُؤْمِهَا﴾ حطنتها ﴿وَعَدَسِهَا وَبَصِلَهَا﴾ قال لهم موسى: ﴿أَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ أَحْسَنُ﴾ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَشْرَفُ؛ أَتَأْخُذُونَهُ بِذَلِكُمْ؟ والهجرة للإبكار، فأبوا أن يرجعوا فدعا الله - تعالى -؛ فقال - تعالى -: ﴿أَهْطُوا﴾ انزلوا ﴿وَمِصْرًا﴾ من الأمصار ﴿فَإِنَّ لَكُمْ﴾ فيه ﴿مِمَّا سَأَلْتُمْ﴾ من النبات ﴿وَوَضِعْنَا﴾ جعلنا ﴿عَلَيْهِمُ﴾ الذَّلَّةَ ﴿الَّذِلَّ﴾ الذل والهوان ﴿وَاللَّسْكَنَةَ﴾ أي: أتر الفقراء من السكن والخزي؛ فهي لازمة لهم - وإن كانوا أغنياء - لزوم الدرهم المضروب لسكنه^(٨) ﴿وَبَنَاءُ﴾ رجعوا ﴿بِعَضْبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ﴾ أي: الضرب والغضب ﴿يَأْتَهُمْ﴾ أي: بسبب أنهم

وَإِذْ قُلْنَا أَدْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَأَدْخِلُوا الْبَابَ سَجَدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرَ لَكُمْ خَطِيئَتِكُمْ وَسَزِيدِ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَدَلَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ وَإِذْ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ نَجًّا فَادْعُ إِلَىٰ طَاعَةِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِمُوسَىٰ لَنْ نَضْرِبَ عَلَىٰ طَعَامِكَ وَرِجْلِكَ رَبِّكَ يُخْرِجُ لَكَ مِمَّا تُبِيتُ الْأَرْضَ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُؤْمِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصِلَهَا قَالَ أَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهْطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مِمَّا سَأَلْتُمْ وَضَعْنَا عَلَيْهِمُ الذَّلَّةَ وَالْمَسْكَنَةَ وَبَنَاءَ وَبِعَضْبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ يَأْتُهُمْ كَمَا نَزَّلْنَا فِي الْقُرْآنِ لِقَوْمٍ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّيْنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾

﴿كَأَنَّهُمْ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ﴾ كركريا ويحسى ﴿بِعَدْرِ الْحَقِّ﴾ أي: ظلما ﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ يتجاوزون الحد في المعاصي، وكثرة^(٩) للناكيد.

(١) لنافع.

(٢) لابن عامر.

(٣) جمع سته؛ وهو: الدرر؛ أي: أديارهم.

(٤) الحجر اللبني.

(٥) يحكى كثير من المفسرين - ومنهم: ابن كثير - هنا أقوالا كثيرة وغريبة في وصف الحجر، ومن أين جيء به، وكلها لا دليل عليها، وتغاضها يُدلل على عدم صحتها، والظاهر أنها من الإسرائيليات، ثم لا حاجة لنا في العلم بذلك، بل لعل القول الأرجح ما ذكره الزمخشري - وحكاه عنه ابن كثير - بقوله: «...ويحتمل أن تكون اللام للجنس لا للعهد؛ أي: اضرب الشيء الذي يقال له: الحجر. وعن الحسن: لم يأمره أن يضرب حجرا بعينه، قال: وهذا أظهر في المعجزة، وأبين في القدرة».

(٦) أي: لأن معناها قد فهم من عاملها، وحسن ذلك اختلاف اللغتين؛ كما في قوله: ﴿لَمْ يَكُنْ لَكُمْ قُدْرَةٌ﴾ [براءة: ٢٥].

(٧) أي: وعلى ذرياتهم ثم نحا نحوهم إلى يوم القيامة.

(٨) الكلام على القلب؛ أي: لزوم السكة للدرهم؛ والمراد بالسكة: أثرها؛ لأن السكة اسم للحديدة المنقوشة يضرب عليها الدراهم، فكذا لا يخلو يهودي من آثار الفجر.

(٩) أي: اسم الإشارة؛ وهو لفظ: ﴿ذَلِكَ﴾.

[٧٠] ﴿قَالُوا أَوَ لَنَا رَبٌّ لَنَا مَا هِيَ﴾ أسأمة أم عاملة؟ ﴿إِنَّ الْبَقْرَةَ﴾ أي: جنسه المنوت بما ذكر ﴿تَشَبَّهَ عَلَيْنَا﴾ لكثرة؛ فلم تهتدي إلى المقصودة ﴿رَبًّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ إليها، وفي الحديث: «لو لم يستنوا لما بينت لهم لآخر الأبد»^(١).

[٧١] ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا ذَلُّ لَهَا﴾ غير مذلة بالعمل ﴿يُنِيرُ الْأَرْضَ﴾ تغلبها للزراعة، والجملة صفة ﴿ذَلُّوا﴾ داخلة في النفي^(٢) ﴿وَلَا تَسْقِي الْمَوْتَى﴾ الأرض المهياة للزراعة ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾ من العيوب وأثار العمل ﴿لَا شَيْءَ﴾ لون ﴿فِيهَا﴾ غير لونها ﴿قَالُوا أَلَمْ نَجْعَلْهَا لَكُمْ نَظْفًا﴾ نطفت البلبان النام، فطلبوها؛ فوجدوها عند الفتى البئر بأمة؛ فاشتروها بملء مسكها^(٣) ذهبا ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ لئلا تئمنها، وفي الحديث: «لو ذبحوا أي بقرة كانت، لأجزأتهم، ولكن شددوا على أنفسهم؛ فشدد الله عليهم»^(٤).

[٧٢] ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَآذَرْتُمْ﴾ فيه إدغام الدال في التاء؛ أي: تخاصمتم وتدافعتم ﴿وَيَبِّئُوا اللَّهَ مَخْرُجَ﴾ مظهر ﴿مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ من أمرها، وهذا اعتراض^(٥) وهو أول القصة^(٦).

[٧٣] ﴿فَقَتَلْنَا أَمْرَأَتَهُ﴾ أي: القتل ﴿بِعَظْمٍ﴾ فضرب بلسانها أو عجب ذنبها؛ فحيا، وقال: قتلي فلان وفلان لا تبي عمه، ومات؛ فخرم الميراث وقيل، قال - تعالى -: ﴿كَذَلِكَ﴾ الإحياء ﴿يَبِّئُ اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكَمْ مَا يَبِيئُهُ﴾ دلائل قدرته ﴿لَمَلِكُمْ تَقُولُونَ﴾ تدبرون؛ فتعلمون أن القادر على إحياء نفس واحدة قادر على إحياء نفوس كثيرة؛ فتؤمنون.

[٧٤] ﴿ثُمَّ قَسَتْ فُلُوبَكُمْ﴾ أيها اليهود؛ صلبت عن قبول الحق ﴿وَمِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ المذكور من إحياء القتل، وما قبله من الآيات ﴿فِيهِ كَالْحِجَارَةِ﴾ في القسوة ﴿أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ منها ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ﴾ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَّا يَنْفَجَّرُ فِيهِ إدغام التاء في الأصل في الشين ﴿فِيخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ﴾ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَّا يَنْفَجَّرُ ينزل من علو إلى أسفل ﴿مِنْ حَشِيَّةِ اللَّهِ﴾ وقلوبكم لا تتأثر ولا تلين ولا تخشع ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَمَلُّونَ﴾ وإنما يؤخركم لوقفتكم، وفي قراءة^(٧) بالتحانية، وفيه التفات عن الخطاب.

[٧٥] ﴿فَأَنْظَمُونَ﴾ أيها المؤمنون ﴿أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾ أي: اليهود ﴿وَقَدْ كَانَ قَرِيبٌ﴾ طائفة ﴿مِنْهُمْ﴾ أحبارهم ﴿يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ﴾ في التوراة ﴿ثُمَّ يُخْرِفُوتَهُ﴾ يغيرونه ﴿مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾ فهموه ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنهم مفترون، والهجرة للإنكار؛ أي: لا تطمعوها؛ فلهم سابقة بالكفر.

قَالُوا أَوَ لَنَا رَبٌّ لَنَا مَا هِيَ إِنْ الْبَقْرَةَ تَشَبَّهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا ذَلُّ لَهَا تَشَبَّهَ عَلَيْنَا وَلَا تَسْقِي الْمَوْتَى ﴿٧١﴾ قَالُوا أَلَمْ نَجْعَلْهَا لَكُمْ نَظْفًا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَآذَرْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مَخْرُجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٣﴾ فَقَتَلْنَا أَمْرَأَتَهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُخَيِّ اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ مَا يَبِيئُهُ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٤﴾ ثُمَّ قَسَتْ فُلُوبَكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فِيهِ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَّا يَنْفَجَّرُ مِنْهَا لَمَّا يَنْفَجَّرُ فِيخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَّا يَنْفَجَّرُ مِنْ حَشِيَّةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٥﴾ أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا بَكُمْ وَقَدْ كَانَ قَرِيبٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُخْرِفُوتَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِذْ لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنُوا وَإِنَّا كَلَّا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَنَحَدُّونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٧﴾

[٧٦] ﴿وَإِذْ لَقُوا﴾ أي: منافقو اليهود ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا﴾ بأن محمداً ﷺ نبي، وهو المبشر به في كتابنا ﴿وَإِذْ كَلَّا﴾ رجع ﴿بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا﴾ أي: رؤسأوهم الذين لم ينافقوا لمن نأفق ﴿أَنَحَدُّونَهُمْ﴾ أي: المؤمنون ﴿بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ أي: عزفكم في التوراة من نعت محمد ﷺ ﴿لِيُحَاجُّوكُمْ﴾ ليخاصموكم، واللام للصرورة ﴿بِهِ﴾ عند ربكم في الآخرة، ويقوموا عليكم الحجة في ترك أتباعه مع علمكم بصدقه ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أنهم يحاجونكم إذا حدثتموهم ففتنوهوا؟! .

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره، قال: قال ابن جرير: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّمَا أُبْرِأُ بِأَدْنَى بَقْرَةٍ، وَكَثْرَتُهُمْ لَمَّا شَدَّدُوا شُدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وَإِذَا لَوْ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَشْهَدْنَا لَمَّا بَعِثْنَا لَهُمْ آخِرَ الْأَنْبِيَاءِ أَهـ. فالحدث فيه انقطاع.

(٢) أي: ليست مذلة لعمل ولا مثيرة للأرض.

(٣) الجلد.

(٤) ذكره ابن كثير كما تقدم وضعفه.

(٥) أي: جملة معترضة بين المطوف؛ وهو: ﴿فَقَتَلْنَا أَمْرَأَتَهُ﴾ الآية (البقرة: ٧٢)، والمطوف عليه؛ وهو: ﴿فَذَبَحُوهَا﴾ (البقرة: ٧١).

(٦) وإنما أخرفه ليوصل قبائح بني إسرائيل بعضها بعض.

(٧) لابن كثير.

﴿أَمَانٍ﴾ أكاذيب تلقوها من رؤسائهم فاعتمدها ﴿وَإِنْ﴾ ما ﴿هُمْ﴾ في جحد نبوة النبي وغيره مما يختلقونه ﴿إِلَّا يَطْنُونَ﴾ ظلماً ولا علم لهم.

[٧٩] ﴿فَوَيْلٌ﴾ شدة عذاب ﴿لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ﴾ أي: مختلفاً من عندهم ﴿ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ نَسْأَةً قَلِيلًا﴾ من الدنيا؛ وهم اليهود غيَّبوا صفة النبي في التوراة وآية الرجم وغيرهما، وكتبوها على خلاف ما أنزل ﴿فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ من المخلوق ﴿وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْتُمُونَ﴾ من الرشا^(٤).

[٨٠] ﴿وَقَالُوا﴾ مَا وَعَدْتُهُمُ النَّبِيُّ النَّارُ: ﴿لَنْ تَمَسَّنَا﴾ تصيبنا ﴿النَّارُ﴾ إِلَّا آتِينَا مَعْدُودَةً﴾ قليلة، أربعين يوماً، مدة عبادة آبائهم العجل ثم تزول ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد: ﴿أَعْتَدْتُمْ﴾ لحذف منه همزة الوصل استغناء بهمزة الاستفهام ﴿عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا﴾، ميثاقاً منه بذلك ﴿فَلَنْ نُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ﴾ به؟ لا ﴿أَمْ﴾ بل ﴿نَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ﴾.

[٨١] ﴿بَلَى﴾ تمسكهم وتخلدون فيها ﴿مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ شركاً ﴿وَأَحْطَتْ﴾ به خطيئته ﴿بِأَلْفَادٍ﴾ بالافراد^(٥) والجمع؛ أي: استولت عليه وأحدت به من كل جانب بأن مات مشركاً ﴿فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ زوعى فيه معنى «من». [٨٢] ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

[٨٣] ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ في التوراة وقلنا: ﴿لَا تَعْبُدُونَ﴾ بالناء والياء^(٦) ﴿إِلَّا اللَّهَ﴾ خبر بمعنى النهي، وقرئ^(٧): ﴿لَا تَعْبُدُوا﴾ أحسنوا ﴿بِالْوَالِدِينَ إِحْسَانًا﴾ بِنَاءِ ﴿وَذِي الْقُرْبَىٰ﴾ القرابة عطف على الوالدين ﴿وَالْيَتَامَىٰ وَالسَّكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ﴾ قولاً ﴿إِحْسَانًا﴾ من الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والصدق في شأن محمد، والرفق بهم، وفي قراءة^(٨) بضم الحاء وسكون السين مصدر وصف به مبالغة ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ﴾ فقبلتم ذلك ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾ أعرضتم عن الوفاء به، فيه التفات^(٩) عن الغيبة؛ والمراد آبائهم ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ﴾ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ﴾ عنه؛ كآبائكم.

أَوْ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يَعْلَمُونَ
وَمَنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانٍ وَإِنْ هُمْ
إِلَّا يَطْنُونَ ﴿٧٩﴾ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ
ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ نَسْأَةً قَلِيلًا
فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْتُمُونَ
﴿٨٠﴾ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ
أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ دَأْمُ
تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً
وَأَحْطَتْ بِهِنَّ حَظِيئَتُهُنَّ رَفَأُوهُنَّ وَأَصْحَابُ النَّارِ هُمْ
فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨٢﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨٣﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا
مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَآ تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَالْوَالِدِينَ
إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا
لِلنَّاسِ حُسْنًا وَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ
تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٨٤﴾

قال - تعالى -: [٧٧] ﴿أَوْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ الاستفهام للتقرير^(١)، والواو الداخل^(٢) عليها للعطف ﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يَعْلَمُونَ﴾ ما يخفون وما يظهرون من ذلك وغيره؛ فَيَزَعُوا^(٣) عن ذلك؟! [٧٨] ﴿وَمِنْهُمْ﴾ أي: اليهود ﴿أُمِّيُونَ﴾ عوام ﴿لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿إِلَّا﴾ لكن

(١) أي: على سبيل التوبيخ؛ حيث اعتقدوا أن المناقح يؤخذ والكافر الأصلي لا حجة عليه، وله عذر قائم عند ربه.

(٢) الواو الداخل الاستفهام عليها للعطف على محذوف تقديره: أيلومونهم على الحديث بما ذكر، ولا يعلمون... الخ.

(٣) أي: يتكفروا ويتزجروا.

(٤) بكسر الراء وضمة: جمع رشوة؛ بتثنية الراء.

(٥) بالافراد؛ أي: باعتبار ذات الشرك. والجمع؛ أي: باعتبار أفراد، وقرأها نافع بالجمع (خطيبته).

(٦) بالياء حمزة والكسائي وابن كثير.

(٧) قراءة شاذة، وقاعدة المفسر غالباً أنه يشير للشاذة بقوله: قرئ، والسبعة بقوله: في قراءة.

(٨) بفتح الحاء وسكون السين حمزة والكسائي، جعلاه صفة لمصدر محذوف، تقديره: وقولوا للناس قولاً حسناً.

(٩) وحكمته الاستدلال للسامع وعدم الملل منه، وهو من المحسنات.

وإذ أخذنا ميثاقكم ولا تسفكون دماءكم ولا تحرجون
 أنفسكم من دياركم ثم أقررناهم وأنتم تشهدون ﴿٨٤﴾
 ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقاً
 منكم من ديارهم تظهرون عليهم بالإثم والعدوان
 وإن يأتوكم أسرى فادؤهم وهو محرر عليكم
 إخراجهم أفئدة مؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض
 فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا الآخرة في الحياة
 الدنيا ويوم القيمة يردون إلى أشد العذاب وما الله
 بغافل عما تعملون ﴿٨٥﴾ أولئك الذين اشتروا الحياة
 الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون
 ﴿٨٦﴾ ولقد آتينا موسى الكتاب وفقيناً من بعده
 بالرسول وءاتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح
 القدس أفكلمنا جاءكم رسول وما لا تهوى أنفسكم
 استكبرتم ففرقناكم بفرقنا ففرقنا ففرقنا ففرقنا
 غلب بل لعنهم الله بكفرهم فقليلاً ما يؤمنون ﴿٨٧﴾

[٨٤] ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ وقلنا: ﴿لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ﴾ تريقونها
 بقتل بعضهم بعضاً ﴿وَلَا تَحْرُجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ﴾ لا يخرج بعضهم
 بعضاً من داره ﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ﴾ قَبِلْتُمْ ذَلِكَ الْمِيثَاقَ ﴿وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ على
 أنفسكم. [٨٥] ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءَ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾ بقتل
 بعضهم بعضاً ﴿وَتَخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ تَطَاهَرُونَ ﴿فِيهِ﴾ فيه
 إدغام التاء في الأصل في الظاء، وفي قراءة بالتنخيف على حذفها^(١)؛
 تتعاونون ﴿عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ﴾ بالمصيبة ﴿وَالْعُدْوَانَ﴾ الظلم ﴿وَإِنْ يَأْتُوكُمْ﴾
 أُسْرَىٰ ﴿وَفِي قِرَاءَةٍ﴾: ﴿أَسْرَىٰ﴾: ﴿تَفْدُوهُمْ﴾^(٢)، وفي قراءة:
 ﴿تَفْدُوهُمْ﴾ تنقدوهم من الأسر بالمال أو غيره، وهو مما عهد إليهم
 ﴿وَهُوَ﴾ أي: الشأن^(٣) ﴿مَحْرَمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجَهُمْ﴾ متصل بقوله:
 ﴿وَتَخْرِجُونَ﴾، والجملة بينهما^(٤) اعتراض؛ أي: كما محرم ترك الفداء،
 وكانت قُرَيْظَةُ خَالِقُوا الْأَوْسَ، والنضير الخرج؛ فكان كل فريق يقاتل مع
 حلفائه، ويخرب ديارهم، ويخرجهم، فإذا أُبْرِئُوا فدوهم، وكانوا إذا سِيلُوا: لِمَ
 تقاتلوهم وتقدونهم؟! قالوا: أَمْرًا بالفداء. يُقَالُ: قَلِمَ تقاتلوهم؟! فيقولون:
 حياة أن يشتدل حلفاؤنا، قال - تعالى -: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ﴾
 وهو الفداء ﴿وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ وهو ترك القتل، والإخراج، والمظاهرة
 ﴿فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ﴾ هوان وذل ﴿فِي الْحَيَاةِ﴾
 الدُّنْيَا ﴿وَقَدْ خَرُوا بِقَتْلِ قُرَيْظَةَ، ونفي النصير إلى الشام، وضرب الجزية
 ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ بالبلاء
 والتاء^(٥).

[٨٦] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾ بأن أتواها عليها
 ﴿فَلَا يُخَفِّفْ عَنْهُمْ الْعَذَابَ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ يُنْتَوْنَ منه.

[٨٧] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿وَفَقَيْنَا مِنْ بَعْدِهِ﴾
 بِالرُّسُلِ ﴿أَي: أُنْبِغْتَاهُمْ رَسُولًا فِي لُتْرِ رَسُولٍ﴾ وءاتينا عيسى ابن مريم
 الْبَيِّنَاتِ المعجزات؛ كإحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص ﴿وَأَيَّدْنَاهُ﴾
 قُوَيْنَاهُ ﴿بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ من إضافة الموصوف إلى الصفة؛ أي: الروح المقدسة
 «جبريل» لطهارته يسير معه حيث سار، فلم تستقيموا ﴿أَفَكَلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ﴾
 بِمَا لَا تَهْوَىٰ تَحِبُّ ﴿أَنْفُسَكُمْ﴾ من الحق ﴿أَسْتَكْبَرْتُمْ﴾ تكبرتم عن اتباعه،
 جواب كلما، وهو محل الاستفهام، والمراد به التوبيخ ﴿فَفَرَّقْنَا﴾ منهم
 ﴿كَذَّبْتُمْ﴾ كعيسى ﴿وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ المضارع لحكاية الحال الماضية؛
 أي: قتلتم؛ كزكريا ويحيى.

[٨٨] ﴿وَقَالُوا﴾ للنبي استهزاء: ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ جمع أغلف؛ أي: مغشاة

بأغطية؛ فلا تعي ما تقول. قال - تعالى -: ﴿بَلْ لِلْإِضْرَابِ﴾^(٨) ﴿لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾
 أبعدهم من رحمته وحذلمهم عن القبول ﴿يَكْفُرْهُمْ﴾ وليس عدم قبولهم لخلل
 في قلوبهم^(٩) ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ «ما» زائدة؛ لتأكيد القلة؛ أي: إيمانهم قليل
 جدًا.

- (١) وهي قراءة نافع وابن كثير وابن عمرو وابن عامر.
- (٢) أي: بحذف التاء الثانية التي ليست للمضارع، وهي قراءة عاصم وحزمة والكسائي.
- (٣) لحمزة.
- (٤) لحمزة وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ نافع وعاصم والكسائي (تفادوهم)، والحاصل أن القراءات خمس: ﴿أَسْرَىٰ﴾ بالإمالة مع ﴿تَفْدُوهُمْ﴾ فقط، و﴿أَسْرَىٰ﴾ بالإمالة مع ﴿تَفْدُوهُمْ﴾ مع ﴿تَفْدُوهُمْ﴾، و﴿تَفْدُوهُمْ﴾ مع ﴿تَفْدُوهُمْ﴾.
- (٥) ضمير القصة يفسره ما بعده. قال ابن هشام: ويختص بخمسة أشياء: كونه مفردًا. ولو كان مرجعه مثنى أو مجموعًا، وتأخير مرجعه، وكونه جملة، ولا يعمل فيه إلا الابتداء والناسخ، ولا يتبع.
- (٦) الجملة هي قوله: ﴿وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسْرَىٰ تَفْدُوهُمْ﴾ وقوله: «بينهما»؛ أي: بين المطوف؛ وهو قوله: ﴿وَهُوَ مُحْرَمٌ﴾ الآية، والمطوف عليه؛ وهو جملة: ﴿تَقْتُلُونَ﴾؛ لأنها حال.
- (٧) بالبلاء لنافع وابن كثير وشعبة. وقرأ الباقون (تعملون).
- (٨) أي: الإبطالي.
- (٩) أي: كما ادعوا من أنها مغشاة، فهذا هو الخلل.

حسداً وخوفاً على الرياسة، وجواب «لأ» الأولى دل عليه جواب الثانية ﴿فَلَمَّا سَأَلَ اللَّهُ عَنِ الْكَافِرِينَ﴾.

[٩٠] ﴿يَسْمَأُ أَشْرَوْا﴾ باعوا ﴿بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾ أي حفظها من الثواب، و«ما» نكرة؛ بمعنى: شيئاً؛ تمييز لفاعل «بس». والخصوص بالذم «أن يَكْفُرُوا» أي كفرهم ﴿بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ من القرآن ﴿تَعْبِيًّا﴾ مفعول له ﴿يَكْفُرُوا﴾ أي؛ حسداً على ﴿أَنْ يُنَزَّلَ اللَّهُ﴾ بالتخفيف والتشديد (١) ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ الوحي ﴿عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ للرسالة ﴿مَنْ عِبَادَةٌ فَبَاءُ﴾ رجعوا ﴿بِفَضْلِهِ﴾ من الله بكفرهم بما أنزل الله، والتشكير للتعظيم ﴿عَلَى عَصَبٍ﴾ استحقوه من قبل بتضييع التوراة والكفر بعيسى ﴿وَاللَّكْفِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ ذو إهانة.

[٩١] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ القرآن وغيره ﴿قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا﴾ أي التوراة، قال - تعالى -: ﴿وَيَكْفُرُونَ﴾ الواو للحال ﴿بِمَا وَرَأَوْا﴾ سواء أو بعده من القرآن ﴿وَهُوَ الْحَقُّ﴾ حال ﴿مُصَدِّقًا﴾ حال ثانية مؤكدة ﴿لِمَا مَعَهُمْ قُلْ لَهُمْ﴾: ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ﴾ أي تقتلهم ﴿أَنْبِيَاءَ اللَّهِ﴾ من قبل إن كنتم مؤمنين ﴿بالتوراة﴾ وقد نهيتم فيها عن قتلهم، والخطاب للموجودين من زمن نبينا بما فعل آبائهم لرضاهم به.

[٩٢] ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالمعجزات؛ كالعصا، واليد، وقلق البحر ﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ﴾ إليها ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ من بعد ذهابه إلى الميقات ﴿وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ باتخاذها.

[٩٣] ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ على العمل بما في التوراة ﴿وَقَدْ رَفَعْنَا قُرْقُومَ السُّورِ﴾ الجبل حين امتنعتم من قبولها؛ ليسقط عليكم، وقلنا: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ بجد واجتهاد ﴿وَأَسْمِعُوا﴾ ما تؤمرون به سماع قبول. ﴿قَالُوا سَمِعْنَا﴾ قولك ﴿وَعَصَيْنَا﴾ أمرك ﴿وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ العجل؛ أي خالط قلوبهم؛ كما يخالط الشراب ﴿يَكْفُرِهِمْ﴾ ﴿قُلْ لَهُمْ﴾: ﴿يَسْمَأُ﴾ شيئاً ﴿يَأْمُرُكُمْ بِهِ﴾ إيمانكم ﴿بالتوراة﴾ عبادة العجل لا يأمر بعبادة العجل؛ المراد: آبائهم؛ أي: فكذلك أنتم لستم بمؤمنين بالتوراة وقد كذبتم محمدًا، والإيمان بها لا يأمر بتكذيبه.

وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٩٠﴾ يَسْمَأُ أَشْرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَعِيًّا أَنْ يُنَزَّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُ وَيَعْصِبُ عَلَى غَضَبٍ وَاللَّكْفِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٩١﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَأَوْا وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٢﴾ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٩٣﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا قُرْقُومَ السُّورِ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَأَسْمِعُوا قُلُوبَكُمْ لِمَا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ يَسْمَأُ يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٤﴾

[٨٩] ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ﴾ من التوراة؛ هو: القرآن ﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ﴾ قبل مجيئه ﴿يَسْتَفْتِحُونَ﴾ يستنصرون ﴿عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يقولون: اللهم انصرنا عليهم بالنبي المبعوث آخر الزمان، ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا﴾ من الحق؛ وهو: بعثة النبي ﴿كَفَرُوا بِهِ﴾

(١) بالتخفيف قراءة ابن كثير وأبي عمرو. وقرأ الباقون بالتشديد.

(٢) أي: بسبب كفرهم.

قُلْ إِنْ كُنْتُمْ لَكُمْ آخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١﴾ وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ إِلَيْهِمْ ۗ ﴿١٢﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِمْ وَمَا هُوَ بِمُزْحَجِهِمْ مِّنَ الْعَذَابِ ۗ إِنَّ عَصْرَ اللَّهِ يَصِيرُ لِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِلجِبْرِيلِ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴿١٦﴾ أَوْ كَلِمَاتٍ عَدُوًّا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَوْ كَلِمَاتٍ لِّتُؤْمِنُوا ۗ ﴿١٧﴾ وَمَا كَلِمَاتُ اللَّهِ إِلَّا لِيُذَكِّرَ الَّذِينَ لَمْ يَرْجِعُوا إِلَى اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿١٨﴾ قُلْ لَئِن لَّمْ يَظْهَرْ عَلَيْنَا آيَاتُ رَبِّنَا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّنَا نَحْنُ كَالَّذِينَ لَمْ يَمْلِكُوا كَلِمَةً سَعَى تَتَوَكَّلُ عَلَيْهَا فَيَرَا فِي نَقْلِهَا ثِغْرًا وَخِثْلًا ضَلَّ فِيهَا سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۗ ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُ الْقُرْآنَ بِأُذُنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُ الْقُرْآنَ بِأُذُنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُ الْقُرْآنَ بِأُذُنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُ الْقُرْآنَ بِأُذُنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُ الْقُرْآنَ بِأُذُنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُ الْقُرْآنَ بِأُذُنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُ الْقُرْآنَ بِأُذُنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٦﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُ الْقُرْآنَ بِأُذُنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٧﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُ الْقُرْآنَ بِأُذُنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُ الْقُرْآنَ بِأُذُنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُ الْقُرْآنَ بِأُذُنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُ الْقُرْآنَ بِأُذُنٍ مُّبِينٍ ﴿٣١﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُ الْقُرْآنَ بِأُذُنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُ الْقُرْآنَ بِأُذُنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٣﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُ الْقُرْآنَ بِأُذُنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٤﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُ الْقُرْآنَ بِأُذُنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٥﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُ الْقُرْآنَ بِأُذُنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٦﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُ الْقُرْآنَ بِأُذُنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٧﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُ الْقُرْآنَ بِأُذُنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُ الْقُرْآنَ بِأُذُنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٩﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُ الْقُرْآنَ بِأُذُنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُ الْقُرْآنَ بِأُذُنٍ مُّبِينٍ ﴿٤١﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُ الْقُرْآنَ بِأُذُنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٢﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُ الْقُرْآنَ بِأُذُنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٣﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُ الْقُرْآنَ بِأُذُنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٤﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُ الْقُرْآنَ بِأُذُنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُ الْقُرْآنَ بِأُذُنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٦﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُ الْقُرْآنَ بِأُذُنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُ الْقُرْآنَ بِأُذُنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُ الْقُرْآنَ بِأُذُنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٩﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُ الْقُرْآنَ بِأُذُنٍ مُّبِينٍ ﴿٥٠﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُ الْقُرْآنَ بِأُذُنٍ مُّبِينٍ ﴿٥١﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُ الْقُرْآنَ بِأُذُنٍ مُّبِينٍ ﴿٥٢﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُ الْقُرْآنَ بِأُذُنٍ مُّبِينٍ ﴿٥٣﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُ الْقُرْآنَ بِأُذُنٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُ الْقُرْآنَ بِأُذُنٍ مُّبِينٍ ﴿٥٥﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُ الْقُرْآنَ بِأُذُنٍ مُّبِينٍ ﴿٥٦﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُ الْقُرْآنَ بِأُذُنٍ مُّبِينٍ ﴿٥٧﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُ الْقُرْآنَ بِأُذُنٍ مُّبِينٍ ﴿٥٨﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُ الْقُرْآنَ بِأُذُنٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُ الْقُرْآنَ بِأُذُنٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُ الْقُرْآنَ بِأُذُنٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُ الْقُرْآنَ بِأُذُنٍ مُّبِينٍ ﴿٦٢﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُ الْقُرْآنَ بِأُذُنٍ مُّبِينٍ ﴿٦٣﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُ الْقُرْآنَ بِأُذُنٍ مُّبِينٍ ﴿٦٤﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُ الْقُرْآنَ بِأُذُنٍ مُّبِينٍ ﴿٦٥﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُ الْقُرْآنَ بِأُذُنٍ مُّبِينٍ ﴿٦٦﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُ الْقُرْآنَ بِأُذُنٍ مُّبِينٍ ﴿٦٧﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُ الْقُرْآنَ بِأُذُنٍ مُّبِينٍ ﴿٦٨﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُ الْقُرْآنَ بِأُذُنٍ مُّبِينٍ ﴿٦٩﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُ الْقُرْآنَ بِأُذُنٍ مُّبِينٍ ﴿٧٠﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُ الْقُرْآنَ بِأُذُنٍ مُّبِينٍ ﴿٧١﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُ الْقُرْآنَ بِأُذُنٍ مُّبِينٍ ﴿٧٢﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُ الْقُرْآنَ بِأُذُنٍ مُّبِينٍ ﴿٧٣﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُ الْقُرْآنَ بِأُذُنٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُ الْقُرْآنَ بِأُذُنٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُ الْقُرْآنَ بِأُذُنٍ مُّبِينٍ ﴿٧٦﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُ الْقُرْآنَ بِأُذُنٍ مُّبِينٍ ﴿٧٧﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُ الْقُرْآنَ بِأُذُنٍ مُّبِينٍ ﴿٧٨﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُ الْقُرْآنَ بِأُذُنٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُ الْقُرْآنَ بِأُذُنٍ مُّبِينٍ ﴿٨٠﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُ الْقُرْآنَ بِأُذُنٍ مُّبِينٍ ﴿٨١﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُ الْقُرْآنَ بِأُذُنٍ مُّبِينٍ ﴿٨٢﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُ الْقُرْآنَ بِأُذُنٍ مُّبِينٍ ﴿٨٣﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُ الْقُرْآنَ بِأُذُنٍ مُّبِينٍ ﴿٨٤﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُ الْقُرْآنَ بِأُذُنٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُ الْقُرْآنَ بِأُذُنٍ مُّبِينٍ ﴿٨٦﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُ الْقُرْآنَ بِأُذُنٍ مُّبِينٍ ﴿٨٧﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُ الْقُرْآنَ بِأُذُنٍ مُّبِينٍ ﴿٨٨﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُ الْقُرْآنَ بِأُذُنٍ مُّبِينٍ ﴿٨٩﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُ الْقُرْآنَ بِأُذُنٍ مُّبِينٍ ﴿٩٠﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُ الْقُرْآنَ بِأُذُنٍ مُّبِينٍ ﴿٩١﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُ الْقُرْآنَ بِأُذُنٍ مُّبِينٍ ﴿٩٢﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُ الْقُرْآنَ بِأُذُنٍ مُّبِينٍ ﴿٩٣﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُ الْقُرْآنَ بِأُذُنٍ مُّبِينٍ ﴿٩٤﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُ الْقُرْآنَ بِأُذُنٍ مُّبِينٍ ﴿٩٥﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُ الْقُرْآنَ بِأُذُنٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُ الْقُرْآنَ بِأُذُنٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُ الْقُرْآنَ بِأُذُنٍ مُّبِينٍ ﴿٩٨﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُ الْقُرْآنَ بِأُذُنٍ مُّبِينٍ ﴿٩٩﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُ الْقُرْآنَ بِأُذُنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠٠﴾

عند الله ﴿١١﴾ محمد ﷺ ﴿١٢﴾ ﴿١٣﴾ ﴿١٤﴾ ﴿١٥﴾ ﴿١٦﴾ ﴿١٧﴾ ﴿١٨﴾ ﴿١٩﴾ ﴿٢٠﴾ ﴿٢١﴾ ﴿٢٢﴾ ﴿٢٣﴾ ﴿٢٤﴾ ﴿٢٥﴾ ﴿٢٦﴾ ﴿٢٧﴾ ﴿٢٨﴾ ﴿٢٩﴾ ﴿٣٠﴾ ﴿٣١﴾ ﴿٣٢﴾ ﴿٣٣﴾ ﴿٣٤﴾ ﴿٣٥﴾ ﴿٣٦﴾ ﴿٣٧﴾ ﴿٣٨﴾ ﴿٣٩﴾ ﴿٤٠﴾ ﴿٤١﴾ ﴿٤٢﴾ ﴿٤٣﴾ ﴿٤٤﴾ ﴿٤٥﴾ ﴿٤٦﴾ ﴿٤٧﴾ ﴿٤٨﴾ ﴿٤٩﴾ ﴿٥٠﴾ ﴿٥١﴾ ﴿٥٢﴾ ﴿٥٣﴾ ﴿٥٤﴾ ﴿٥٥﴾ ﴿٥٦﴾ ﴿٥٧﴾ ﴿٥٨﴾ ﴿٥٩﴾ ﴿٦٠﴾ ﴿٦١﴾ ﴿٦٢﴾ ﴿٦٣﴾ ﴿٦٤﴾ ﴿٦٥﴾ ﴿٦٦﴾ ﴿٦٧﴾ ﴿٦٨﴾ ﴿٦٩﴾ ﴿٧٠﴾ ﴿٧١﴾ ﴿٧٢﴾ ﴿٧٣﴾ ﴿٧٤﴾ ﴿٧٥﴾ ﴿٧٦﴾ ﴿٧٧﴾ ﴿٧٨﴾ ﴿٧٩﴾ ﴿٨٠﴾ ﴿٨١﴾ ﴿٨٢﴾ ﴿٨٣﴾ ﴿٨٤﴾ ﴿٨٥﴾ ﴿٨٦﴾ ﴿٨٧﴾ ﴿٨٨﴾ ﴿٨٩﴾ ﴿٩٠﴾ ﴿٩١﴾ ﴿٩٢﴾ ﴿٩٣﴾ ﴿٩٤﴾ ﴿٩٥﴾ ﴿٩٦﴾ ﴿٩٧﴾ ﴿٩٨﴾ ﴿٩٩﴾ ﴿١٠٠﴾

[٩٤] ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿إِنْ كَانَتْ لَكُمْ آخِرَةُ﴾ أي الجنة ﴿عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً﴾ خاصة ﴿مِن دُونِ النَّاسِ﴾ كما زعمتم ﴿فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ﴾ إن صدقت في زعمكم أنها لكم، ومن كانت له يؤثرها، في الثاني^(١)؛ أي: إن صدقت في زعمكم أنها لكم، ومن كانت له يؤثرها، والموصل إليها الموت، فتمنؤه. [٩٥] ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾ من كفرهم بالنبي المستتر لكذبهم ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ الكافرين فيجازيهم. [٩٦] ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ﴾ لام قسم ﴿أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِمْ﴾ أحرص ﴿مِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ المنكرين للبعث عليهم؛ لعلمهم بأن مصيرهم النار دون المشركين لإنكارهم له ﴿يُودُّ﴾ يمتنى ﴿أَحَدُهُمْ تَوَّعَّرَ﴾ سَكَتُوا ﴿لَوْ﴾ مصدرية؛ بمعنى: «أن»، وهي بصلتها في تأويل مصدر مفعول «يود» ﴿وَمَا هُوَ﴾ أي أحدهم ﴿بِمُزْحَجِهِ﴾ مبعده ﴿مِنَ الْعَذَابِ﴾ النار ﴿أَنْ يَمَعَّرَ﴾ فاعل «مزحجه»؛ أي: تعميره ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ لِّمَا يَعْمَلُونَ﴾ بالياء والتاء^(٢)؛ فيجازيهم. وسأل ابن صوريا^(٣) النبي أو عمر عن يأتي بالوحي من الملائكة؟ فقال: «جبريل»؛ فقال: هو عدونا، يأتي بالعذاب، ولو كان ميكائيل لآتانا؛ لأنه يأتي بالحسب والسلم^(٤). ﴿فَقُلْ﴾ [٩٧] ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ﴾ فليمت غيظًا ﴿فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ﴾ أي القرآن ﴿عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ قلبه من الكذب ﴿وَهُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَبُشْرَى﴾ بالجنة ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(٥). [٩٨] ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ﴾ بكسر الجيم وفتحها، بلا همز وبه، بياء ودونها^(٦) ﴿وَمِيكَالَ﴾ عطف على الملائكة، من عطف الخاص على العام^(٧)، وفي قراءة: «ميكائيل» بهمزة وباء^(٨)، وفي أخرى بلا بياء^(٩) ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ أوقعه موقع «لهم» بيانًا لحالهم. [٩٩] ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ أي: واضحات، حال؛ ردُّ لقول ابن صوريا للنبي: ما جئنا بشيء^(١٠) ﴿وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾ كفروا بها. [١٠٠] ﴿أَوْ كَلِمَاتٍ عَدُوًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ الله ﴿عَهْدًا﴾ على الإيمان بالنبي إن خرج، أو النبي أن لا يعاونوا عليه المشركين ﴿يُذَكِّرُ﴾ طرحة ﴿فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾ بنقضه، جواب «كلمات»، وهو محل الاستفهام الإنكاري؟! ﴿يَلْجَأَنَّ لِلانْتِقَالِ﴾ لا يؤمنون. [١٠١] ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾

(٥) ما جاء في نزول الآية (٩٧) وما بعدها: أخرج أحمد عن ابن عباس قال: حضرت عصاة من اليهود نبي الله ﷺ يوماً فقالوا: يا أبا القاسم، حدثنا عن خلال نسألك عنهم لا يعلمهن إلا نبي. . . الحديث وفي آخره: قالوا: وأنت الآن تحدثنا؛ من وليك من الملائكة فعندها نجاملك أو نفارقك.

قال: «فإن وليي جبريل الميكائيل، ولم يبعث الله نبياً قط إلا وهو وليه». قالوا: فعندها نفارقك؛ لو كان وليك سواه من الملائكة لتابعناك وصدقناك. قال: «فما يتممكم من أن تصدقوه؟» قالوا: إنه عدونا. قال: «فمذ ذلك قال الله ﷻ: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾. إلى قوله ﷻ: ﴿كَتَبَ اللَّهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَاتِبَهُمْ لَا يَسْأَلُونَ﴾ فمذ ذلك ﴿يَأْتُوا بِمَنْسُوبٍ عَلَى عَصَى﴾ الآية. المسند (٢٧٨/١). (إسناده صحيح) شاكر (٢٥٤).

(١) في العبارة قلب، والأصل تعلق تمنيه بالشرطين؛ لأن «تكنوا» هو الجواب، وهو متعلق بالشرطين.

(٢) خالصته: أنه إذا اجتمع شرطان وتوسط بينهما جواب كان الأول قيلاً في الثاني؛ بمعنى: أنه من تمام معناه.

(٣) ظاهره أنهما سبعيتان، وليس كذلك، بل التاء عشرية قرأ بها يعقوب، واختلف فيما زاد عن السبعة؛ هل يلحق بها فجزوز القراءة والصلاة بها، أم بالشواذ فيمتنع؟ والمعتمد الأول.

(٤) واسمه عبد الله، وكان من أحبار اليهود.

(٥) انظر: مسند أحمد (٢٥١٠). وروى البخاري في كتاب التفسير (٤٤٨٠) عن أنس نحو هذا في عبد الله بن سلام قبيل إسلامه وليس فيه أنه سبب نزل الآية..

(٦) جبريل وجبرئيل وجبرئيل، لأن كثير، ثم شعبة ثم حمزة والكسائي على الترتيب، جبرئيل لنافع وأبي عمرو وابن عامر وحفص.

(٧) والكتابة: شرفهنا وعظمتها وكون النزاع فيها.

(٨) حمزة والكسائي وشعبة وابن كثير وابن عامر.

(٩) لنافع.

(١٠) أخرجه ابن إسحاق وابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس [الدر المنثور (١٨١/١)].

يعمل السحر؛ لأنه كفر ﴿وَلَكِنَّ﴾ بالشديد والتخفيف^(١) ﴿الْشَّيْطَانَ﴾ كَفَرُوا يَعْلَمُونَ النَّاسَ السَّحْرَ ﴿الجملة حال من ضمير «كفروا»﴾ ﴿وَمَا يَعْلَمُونَهُمْ﴾ ﴿مَا أَنْزَلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ﴾: أي: ألهماه من السحر^(٢)، وفُرئَ بكسر اللام^(٣)، الكائنين ﴿بِبَابِلَ﴾ بلد في سواد العراق ﴿هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾ بدل أو عطف بيان للملكين، قال ابن عباس: هما ساحران، كانا يعلمان السحر، وقيل: ملكان أنزلا؛ لتعليمه ابتلاء من الله للناس ﴿وَمَا يَعْلَمَانِ مِنَ﴾ زائدة ﴿أَمْوَالِهِمْ يَقُولُونَ﴾ له نصحا: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فَتَنَةٌ﴾ بِلِقَاءِ اللَّهِ مِنَ الْإِنْسَانِ؛ ليمتنعهم بتعليمه؛ فَمَنْ تَعَلَّمَهُ كَفَرَ، وَمَنْ تَرَكَهُ فَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴿فَلَا تَكْفُرْ﴾ بِتَعْلِيمِهِ. فإن أتى إلا التعليم علمناه ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَيْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَأَتَقُوا لَمُوبَةَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾ بِأَيِّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعَيْتَ وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٤﴾ مَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٥﴾

[١٠٣] ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا﴾ أي اليهود ﴿ءَامَنُوا﴾ بالنبي والقرآن ﴿وَأَتَقُوا﴾ عقاب الله بترك معاصيه؛ كالسحر، وجواب «لو» محذوف؛ أي: لأيتوبوا؛ ذلَّ عليه ﴿لَمُوبَةَ﴾ ثواب، وهو مبتدأ، واللام فيه للقسمة ﴿مَنْ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ﴾ خيره، مما شروا به أنفسهم ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ أنه خير لما آثروه عليه. [١٠٤] ﴿بِأَيِّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا﴾ للنبي: ﴿رَاعَيْتَ﴾ أمر من المراعاة، وكانوا يقولون له ذلك، وهي بلغة اليهود سبَّ من الرعونة^(٤)، فَشَرُّوا بِذَلِكَ، وخاطبوا بها النبي؛ فَنَهَى الْمُؤْمِنُونَ عَنْهَا ﴿وَقُولُوا﴾ بدلها: ﴿انظُرْنَا﴾ أي: انظر لنا ﴿وَأَسْمَعُوا﴾ ما تومرون به سماع قبولي ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم هو النار.

[١٠٥] ﴿مَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ﴾ من العرب، عطف على أهل الكتاب، و«من» للبيان ﴿أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ﴾ وحي ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ حسدا لكم ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ﴾^(٥) بِنُورِهِ ﴿مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

وَأَتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ عَلَى مُلْكٍ سُلَيْمَنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنَ وَلَا كُنَّ الشَّيْطَانُ كَفَرُوا يَعْلَمُونَ النَّاسَ السَّحْرَ وَمَا أَنْزَلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِلَابِلِ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فَتَنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَيْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَأَتَقُوا لَمُوبَةَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ بِأَيِّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعَيْتَ وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٤﴾ مَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٥﴾

[١٠٢] ﴿وَأَتَّبَعُوا﴾ عطف على «بئذ»^(١) ﴿مَا تَتْلُوا﴾ أي: تلت الشَّيْطَانُ عَلَى عَهْدِ مُلْكِ سُلَيْمَانَ من السحر، وكانت ذَنْفَتُهُ تحت كرسيه لما نزع ملكه، أو كانت تسترق السمع، وتضم إليه أكاذيب، وتلقيه إلى الكهنة؛ فيدونونه، وفشا ذلك، وشاع أن الجن تَعْلَمُ الْغَيْبَ؛ فجمع سليمان الكذب ودفعها، فلما مات دَلَّتِ الشَّيْطَانُ عَلَيْهَا النَّاسَ؛ فاستخرجوها، فوجدوا فيها السحر، فقالوا: إنما ملككم بهذا فتعلموه. فرفضوا كتب أنبيائهم^(٢). قال تعالى: تبرئة لسليمان وردًا على اليهود في قولهم: انظروا إلى محمد يذكر سليمان في الأنبياء، وما كان إلا ساحرًا: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾ أي: لم

(١) استشكل بأن المعطوف على الجواب جواب، وقوله: ﴿أَتَّبَعُوا﴾ لا يصلح أن يكون جوابًا؛ لعدم ترتبه على الشرط؛ لأنه سابق على بعثة الرسول ﷺ، فألحس عطفه على جملة: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ﴾ الآية، فهو بيان لسوء حالهم.

(٢) هذه التفاصيل من قصته مع الجن والكتب وما جلدوه منها من سحر ونحوه ظاهرها من الإسرائيليات، التي تخالف مناصب الأنبياء وعصمتهم وشأنهم ولا يمكن التصديق بصحتها.

(٣) بتخفيف نون ﴿لَكِنَّ﴾ ورفع ﴿الْشَّيْطَانَ﴾ قراءة حمزة والكسائي وابن عامر.

(٤) وقيل: ﴿مَا﴾ نافية؛ أي: لم ينزل على الملكين. قال ابن الأباري: وهذا الوجه ضعيف جدًا؛ لأنه خلاف الظاهر والمعنى.

(٥) وهي قراءة شاذة.

(٦) أي: الحمق، والجهل، وقلة العقل، وهي بهذا المعنى عبرية، وقيل: هي عبرانية، أو سريانية. ومعناها: اسمع لا سمعت.

(٧) وفيها إثبات صفة الرحمة على الوجه اللاتق بجلاله - سبحانه، ومن آثار رحمته الشرع الذي شرعه لنبيه ﷺ ولأمته. وأما تفسيره الرحمة بالنبوة فخلاف الظاهر.

ولما طعن الكفار في النسخ، وقالوا: إن محمداً يأمر أصحابه اليوم بأمر وينهى عنه غداً، نزل: ﴿١٠٦﴾ ﴿مَا﴾ شرطية ﴿تَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ﴾ أي: نزل حكمها؛ إما مع لفظها أو لا، وفي قراءة^(١) بضم النون من أنسخ؛ أي: نامرك أو جبريل بنسخها ﴿أَوْ [تَنْسَأَهَا]﴾ تؤخرها؛ فلا تنزل حكمها، وترفع تلاوتها، أو تؤخرها في اللوح المحفوظ، وفي قراءة بلا همز^(٢) من النسيان^(٣)؛ أي: نسيكها؛ أي: نغحها من قلبك، وجواب الشرط ﴿نَأَتْ بِحَيْثُ وَنَهَا﴾ أنفع للعباد في السهولة أو كثرة الأجر ﴿أَوْ وَيُثَلِّهًا﴾ في التكليف والثواب ﴿أَلَمْ تَسَلِّمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَّ كُلَّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه النسخ والتبديل، والاستفهام للتعريف.

﴿١٠٧﴾ ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يفعل ما يشاء ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي غيره ﴿مِنْ﴾ زائدة ﴿وَلَيْ﴾ يحفظكم ﴿وَلَا تَصِيرُ﴾ يمنع عنكم عذابه إن أتاكم. ونزل لما سأله أهل مكة أن يوسعها ويجعل الصفا ذهبا^(٤): ﴿١٠٨﴾ ﴿أَمْ﴾ بَلْ أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سَأَلُوا مُوسَى﴾ أي: سأله قومه ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ من قولهم: ﴿إِنَّا اللَّهُ جَهْرَةً﴾ وغير ذلك؟ ﴿وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ﴾ أي: يأخذ به بدله بترك النظر في الآيات واقتراح غيرها ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ أخطأ الطريق الحق، والسواء في الأصل الوسط.

﴿١٠٩﴾ ﴿وَدَكَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ﴾ مصدرية ﴿يُرْدُونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِكُمْ كَمَا كَانَ سَكَنًا﴾ مفعول له، كائنًا ﴿مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾ أي: حملتهم عليهم أنفسهم الخبيثة ﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ﴾ في التوراة ﴿الْحَقُّ﴾ في شأن النبي ﴿فَاعْفُوا﴾ عنهم؛ أي: اتركوهم ﴿وَأَصْفَحُوا﴾ أعرضوا، فلا تجازروهم ﴿حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ﴾ فيهم من القتال ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿١١٠﴾ ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقِيمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ حَيْرٍ﴾ طاعة؛ كصلة وصدقة ﴿وَتَجِدُوهُمْ﴾ أي: ثوابه ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ إِنَّ اللَّهَ يَسَاءُ تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيجازيكم به.

﴿١١١﴾ ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا﴾ جمع هَائِدٍ ﴿أَوْ نَصْرِي﴾ قال ذلك يهود المدينة ونصارى نجران لما تناظروا بين يدي النبي ﷺ؛ أي: قال اليهود: لن يدخلها إلا اليهود. وقال النصارى: لن يدخلها إلا النصارى^(٥)، ﴿يَلَكُ﴾ القولة ﴿أَمَانِيَهُمْ﴾ شهواتهم الباطلة ﴿فَقُلْ﴾ لهم: ﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ حججتكم على ذلك ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فيه. ﴿١١٢﴾ ﴿يَلَكُ﴾ يدخل الجنة غيرهم ﴿مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ أي: انقاد لأمره، وخصَّ الوجه؛ لأنه أشرف الأعضاء؛ فغيره أَوْلَى ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ موحد ﴿قَلْبُهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ أي: ثواب عمله الجنة ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الآخرة.

﴿١١٣﴾ ﴿مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِمَّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾ ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ وَمَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سَأَلُوا مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ﴾ ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ ﴿وَدَكَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُرِيدُونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِكُمْ كَمَا كَانَ سَكَنًا﴾ ﴿مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَأَصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِي﴾ ﴿تِلْكَ أَمَانِيَهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿يَلِكُ﴾ ﴿مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

(١) لابن عامر.

(٢) أي: مع ضم النون ﴿نسيها﴾ لنافع وعاصم وحزمة والكسائي، والقراءة المفسرة (تَنْسَأَهَا) لابن كثير وأبي عمرو.

(٣) الأولى أن يقول: من الإنساء؛ لأنه مصدر الرباعي الذي الكلام فيه.

(٤) واستشكل ذلك بأن هذه السورة مدنية، والسؤال من أهل مكة كان قبل الهجرة، فالحق أن يقال: إن سبب نزولها سؤال يهود المدينة إنزال كتاب من السماء؛ لأن السياق في مخاطبة اليهود، ويكون قوله: ﴿رَسُولَكُمْ﴾ أي: محمد ﷺ لأنه رسول الخلق أجمعين.

(٥) أخرجه ابن إسحاق في السيرة (٥٤٨/١)، ومن طريقه الطبري في تفسيره (٣٩٤/١)، وفي إسناده محمد بن أحمد؛ مجهول.

وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصْرَى
لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ
قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن
مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا
أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي
الدُّنْيَا خِزْيٌ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَاللَّهُ الْمَشْرِقُ
وَالْمَغْرِبُ فَائِنَّمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَسِعَ عَلَيْهِ ﴿١١٥﴾
وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَ اللَّهِ ذَلِكُمْ لَهُ دَرَجَاتُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَدِينٌ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ وَقَالَ
الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ
كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهتْ
قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ
بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْئَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾

[١١٣] وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرَى عَلَى شَيْءٍ مُعْتَدٍ بِهِ، وكفرت
بعيسى وَقَالَتِ النَّصْرَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ مُعْتَدٍ بِهِ، وكفرت بموسى
وَهُمْ أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ يَتْلُونَ الْكِتَابَ الْمَنْزِلَ عَلَيْهِمْ، وفي كتاب اليهود
تصديق عيسى، وفي كتاب النصارى تصديق موسى، والجملة حال
كَذَلِكَ كَمَا قَالَ هُوَ لَا يُعْلَمُونَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِنْ

العرب وغيرهم ﴿مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ بيان لمعنى ذلك؛ أى: قالوا لكل ذي دين:
ليسوا على شيء ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾
من أمر الدين؛ فيدخل الحق الجنة والمقبل النار: [١١٤] ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ أى:
لا أحد أظلم ﴿مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ بالصلاة والتسبيح
﴿وَسَعَى فِي خَرَابِهَا﴾ بالهدم أو التعطيل، نزلت إخباراً عن الروم الذين خربوا
بيت المقدس، أو في المشركين لما صدوا النبي ﷺ عام الحديبية عن البيت
﴿أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ﴾ خبر بمعنى الأمر؛ أى:
أخيفوهم بالجهاد؛ فلا يدخلها أحد أمناً ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ هوان بالقتل
والسبي والجزية ﴿وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ هو النار. ونزل لما طعن اليهود
في نسخ القبلة أو في صلاة النافلة على الرحلة في السفر حيثما توجهت: [١١٥]
﴿وَاللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ (١) أى: الأرض كلها؛ لأنهما تاجبتاها ﴿فَإِنَّمَا تُولُوا﴾
وجوهكم في الصلاة بأمره ﴿فَتَمَّ﴾ هناك ﴿وَجْهَ اللَّهِ﴾ (٢) قبلته التي رضيها (٣)
﴿إِنَّ اللَّهَ وَسِعَ﴾ يسع فضله كل شيء ﴿عَلَيْكُمْ﴾ بتدبير خلقه (٤).
[١١٦] ﴿وَقَالُوا﴾ بواو ويدونها (٥)، اليهود والنصارى وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ
الْمَلَائِكَةَ بنات الله: ﴿اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ قال. تعالى: .: ﴿سُبْحَانَكَ﴾ تنزيهاً
له عنه ﴿بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ملكاً وخلقاً وعبداً، والملكية تنافي
الولادة، وعبر بـ«ما» تغليظاً لما لا يعقل ﴿كُلُّ لَّهُ قَدِينٌ﴾ مطيعون، كل بما يتراد
منه، وفيه تغليب العاقل. [١١٧] ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ موجدهم لا
على مثال سبق ﴿وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا﴾ أراد ﴿أَمْرًا﴾ أى: إيجاده ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ
فَيَكُونُ﴾ أى: فهو يكون، وفي قراءة (٦) بالنصب (٧) جواباً للأمر.

[١١٨] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أى: كفار مكة (٨) للنبي ﷺ: ﴿لَوْلَا﴾
هَلَا ﴿يُكَلِّمُنَا اللَّهُ﴾ بأنك رسوله ﴿أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ﴾ مما اقترحه على
صدقك ﴿كَذَلِكَ﴾ كما قال هؤلاء ﴿قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من كفار الأمم
الماضية لأبيانهم ﴿مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ من التعت وتطلب الآيات ﴿تَشَابَهتْ
قُلُوبُهُمْ﴾ في الكفر والعناد، فيه تسلية للنبي ﷺ ﴿قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ
يُوقِنُونَ﴾ يعلمون أنها آيات فيؤمنون، فاقترح آية معها تعنت. [١١٩]
﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ﴾ يا محمد ﴿بِالْحَقِّ﴾ بالهدى ﴿بَشِيرًا﴾ مَنْ أَحَابَ إِلَيْهِ
بالجنة ﴿وَنَذِيرًا﴾ مَنْ لَمْ يَجِبْ إِلَيْهِ النَّارُ ﴿وَلَا تُسْئَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ النار؛
أى: الكفار ما لهم لم يؤمنوا؟ إنما عليك البلاغ، وفي قراءة بجزء «تسأل» نهياً (٩).

(٥) ما جاء في نزول الآية (١١٥): أخرج مسلم عن ابن عمر قال: كان رسول الله ﷺ يصلي وهو مقبل من مكة إلى المدينة على راحلته حيث كان وجهه. قال: وفيه نزلت: ﴿فَإِنَّمَا تُولُوا قَوْمَهُ وَجْهَ اللَّهِ﴾ مسلم - كتاب صلاة المسافرين وقصرها (٦) باب (٤) جواز صلاة النافلة على الدابة في السفر حيث توجهت. وأخرج الترمذي: عن عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أبيه قال: كنا مع النبي ﷺ في سفره في ليلة فلم ندر أين القبلة، ففصل كل رجل منا على حياله، فلما أصبحنا ذكرنا ذلك للنبي ﷺ فنزلت: ﴿فَإِنَّمَا تُولُوا قَوْمَهُ وَجْهَ اللَّهِ﴾ الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٣) سورة البقرة. (حسن) صحيح الترمذي (٥٨٤، ٢٣٥٧).

(١) اختار القرطبي أنها عامة في كل مسجد إلى يوم القيامة؛ لأن اللفظ عام ورد بصيغة الجمع، فتخصيصها ضعيف. (٢) انظر الحديث وتخرجه في أسباب النزول.

(٣) وفيه إثبات لوجه الله - تعالى - على الوجه اللاتق به - تعالى -، وأن له وجهاً لا تشبهه الوجوه.

(٤) وهذا قول مجاهد وتبعه الشافعي. قال ابن القيم: إنه لا يعرف إطلاق وجه الله على القبلة لغة ولا شرعاً ولا عرفاً... بل القبلة لها اسم يخصها، والوجه له اسم يخصه... وأيضاً فمن المعلوم أن قلة الله التي نصبت لها عبادة هي قلة واحدة... فكيف يقال: أي وجهة وجهتها واستقبلتها فهي قبلة الله... وحصل الآية على استقبال المسافر في التنقل، وعلى الراحلة، وعلى حال العجم ونحوه بعيد جداً عن ظاهر الآية وإطلاقها وعمومها وما قصد بها... والآية لا تعرض فيها للقبلة ولا لحكم الاستقبال؛ بل سياقها لمعنى آخر؛ وهو: بيان عظمة الرب - تعالى - وسعته، وأنه أكبر من كل شيء وأعظم منه، وأنه محيط بالعالم العلوي والسفلي، فذكر في أول الآية إحاطة ملكه في قوله: ﴿وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَاللَّاتُ وَاللَّاتُ﴾ [البقرة: ١١٥]، فبينها بذلك على ملكه ما بينهما، ثم ذكر عظمته سبحانه. وأنه أكبر وأعظم من كل شيء؛ فأينما ولى العبد وجهه فوجه الله، ثم ختم باسمين دالين على السعة والإحاطة؛ فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَسِعَ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ١١٥]، وأيضاً هذه الآية ذكرت مع ما بعدها لبيان عظمة الرب، والرد على من جعل له ولداً، قال - تعالى - بعدها: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَ اللَّهِ ذَلِكُمْ لَهُ دَرَجَاتُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَدِينٌ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الآية [البقرة: ١١٦]، فهذا السياق لا تعرض فيه للقبلة، ولا سبق الكلام لأجلها... فالمقام مقام تقرير لأصول التوحيد والإيمان والرد على المشركين لا بيان فرع معين جزئي. نقلنا عن: [المفسرون بين الإثبات والتأويل (١/ ٣٦٤ - ٣٦٧)] بصرف. تفسير الوجه بالقبلة فيه تعطيل لصفة الوجه.

(٥) بدون الواو لابن عامر. (٦) لابن عامر. (٧) بـ«أن» مضمره بعد فاء السبيبية.

(٨) تقدم الإشكال بأن السورة مدنية وأن السائل له يهود المدينة، وقيل: ويمكن أن يكون كفار مكة أرسلوا ذلك السؤال له وهو بالمدينة.

(٩) مع فتح التاء النافع.

[١٢٠] ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودَ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ دِينهم ﴿قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هِيَ الْإِسْلَامُ هُوَ الْهُدَىٰ﴾ وما عدها ضلال ﴿وَلِينَ﴾ لام قسم ﴿أَتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ التي يدعونك إليها فوضاً^(١) ﴿بَعْدَ الَّذِي بَكَرَكَ مِنَ الْوَحْيِ مِنَ اللَّهِ﴾ ﴿مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ﴾ يحفظك ﴿وَلَا تَصْبِرُ﴾ يمتنع منه.

[١٢١] ﴿الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ﴾ مبتدأ ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ أي؛ يقرءونه كما أنزل، والجملة حال، و«حق» نصب على المصدر، والخبر: ﴿أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ نزلت في جماعة قدموا من الحبشة وأسلموا ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ﴾ أي؛ بالكتاب المؤتى بأن يحرفه ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم.

[١٢٢] ﴿يَتَّبِعِي إِسْرَاءَ بِلَ أَدْرُكُوا نِعْمَتِي﴾ ﴿وَأَن تَشْكُرُوا عَلَيَّ﴾ ﴿وَأَن تَفْضَلْتُمْ عَلَيَّ﴾ تقدم مثله.

[١٢٣] ﴿وَأَتَّقُوا﴾ خافوا ﴿يَوْمًا لَا تَجْرِي فِيهِ تَغْنِي﴾ تغني ﴿نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ﴾ فيه ﴿سَيِّئًا وَلَا يَقُولُ مِنَّا عَدْلٌ﴾ فداء ﴿وَلَا تَنفَعُهَا شَفَعَةٌ وَلَا هُمْ يُصْرُونَ﴾ يُتَّقُونَ من عذاب الله.

[١٢٤] ﴿وَإِذْ أَبَدْنَا﴾ الحَبْرَ ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ وفي قراءة: ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ [إبراهيم]^(١) ﴿رَبُّهُ بِكَلِمَتٍ﴾ بأوامر وتواو كلفه بها؛ قيل: هي مناسك الحج. وقيل: المضمضة، والاستنشاق، والسواك، وقص الشارب، ورفق الشعر، وقلم الإظفار، ونف الإبط، وحلق العانة، والختان، والاستنجاء ﴿فَأَتَيْنَاهُ﴾ أذاهر تامات ﴿قَالَ﴾ - تعالى - له: ﴿إِنِّي جَاعِلٌكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ قدوة في الدين ﴿قَالَ وَمِنَ ذُرِّيَّتِي﴾ أولادي: اجعل أئمة ﴿قَالَ لَا يَتَّالِ عَهْدِي﴾ بالإمامة ﴿الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين منهم؛ ذل على أنه ينال غير الظالم [١٢٥] ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا آلِيَّكَ﴾ الكعبة ﴿مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾ مرجعاً يشوبون إليه من كل جانب ﴿وَأَمَّا﴾ أمماً لهم من الظلم والإغارات الواقعة في غيره؛ كان

الرجل يلقي قاتل أبيه فيه فلا يهجه ﴿وَأَعْتَدْنَا﴾ أيها الناس ﴿مِنَ مَّقَابِرِ إِبْرَاهِيمَ﴾ هو الحجر الذي قام عليه عند بناء البيت ﴿مُصَلًّى﴾ مكان صلاة بأن تصلوا خلفه ركعتي الطواف، وفي قراءة بفتح الحاء خبر^(٢) ﴿وَعَهْدَنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ﴾ أمرناهما ﴿أَنْ﴾ أي بأن ﴿ظَهَرَا بَيْتِي﴾ من الأوثان ﴿لِلطَّائِفِينَ وَالْمُكَيِّبِينَ﴾ المقيمين فيه ﴿وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ جمع راكم وساجد، المصلين.

[١٢٦] ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَاكَ﴾ المكان ﴿بَلَدًا آمِنًا﴾ ذا أمن، وقد أحاب الله دعاءه؛ فجعله حرماً، لا يسفك فيه دم إنسان، ولا يُظلم فيه

وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودَ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلِينَ الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ يَتَّبِعِي إِسْرَاءَ بِلَ أَدْرُكُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَن تَفْضَلْتُمْ عَلَيَّ وَأَن تَشْكُرُوا عَلَيَّ لَأَجْزِيَنَّهُمْ نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَعَةٌ وَلَا هُمْ يُصْرُونَ وَإِذْ أَبَدْنَا إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَتٍ فَأَتَيْنَاهُ أَذَاهُ مِمَّا قَالُوا وَلَئِنِّي لَأَكْفُرُ بِكُفْرِي إِذْ قَالَ لِلنَّاسِ إِنِّي جَاعِلٌكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالُوا وَمِنَ ذُرِّيَّتِي قَالِ لَا يَتَّالِ عَهْدِي الظَّالِمِينَ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمَّا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْمُكَيِّبِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَاكَ بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأَمَتُّهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ

أحد، ولا يُصاد صيده، ولا يُختلى خلاه^(٤) ﴿وَأَرْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ وقد فعل بنقل الطائف من الشام إليه، وكان أوفر لا زرع فيه ولا ماء ﴿مَنْ آمَنَ﴾ آمَنَ بِمِلَّتِهِم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ بدل من أهله، وخصهم بالدعاء لهم موافقة لقوله: ﴿لَا يَتَّالِ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾. ﴿قَالَ﴾ - تعالى -: ﴿وَوَرِّقْ﴾ من كثر ﴿فَأَمَتُّهُ﴾ بالتشديد والتخفيف^(٥) في الدنيا بالرزق ﴿قَلِيلًا﴾ مدة حياته ﴿ثُمَّ أَضْطَرُّهُ﴾ ألجته في الآخرة ﴿إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ﴾ فلا يجد عنها محيصاً ﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ المرجع هي.

(١) أي: على فرض وقوعه.
(٢) لابن عامر، سوى النقاش عن الأحفش، وذلك في ثلاثة وثلاثين موضعاً منها خمسة عشر في هذه السورة.
(٣) أي: اتخذوا، لنافع وابن عامر.
(٤) أي: حشيشه.
(٥) بالتخفيف قراءة ابن عامر.

لتقدم قوله: ﴿لَا يَتَّالِ عَهْدَى الظَّالِمِينَ﴾ ﴿وَأَرَانَا﴾ علمنا ﴿مَنَاسِكَهَا﴾ شرائع عبادتنا أو حجتنا ﴿وَتُبَّ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ سألاه التوبة مع عصمتها تواضعا وتعلينا لذريتهما.

﴿١٢٩﴾ ﴿رَبَّنَا وَأَعِثْ فِيهِمْ﴾ أي: أهل البيت ﴿رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ من أنفسهم، وقد أجاب الله دعاءه محمد ﷺ ﴿يَتْلُوا عَلَيْكَ آيَاتِكَ﴾ القرآن ﴿وَيَعْلَمُهَا الْكِتَابُ﴾ القرآن ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ أي: ما فيه من الأحكام ﴿وَيُرَكِّبُهُمْ﴾ يظهرهم من الشرك ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْقَرِيرُ﴾ الغالب ﴿الْحَكِيمُ﴾ في صنعه^(١).

﴿١٣٠﴾ ﴿وَمَنْ﴾ أي: لا ﴿يَرْغَبْ عَنْ بَيْتِهِ إِذْ يَرْهَقُ﴾ فيتركها ﴿إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ جهل أنها مخلوقة لله، يجب عليها عبادته، أو استخف بها وامتنعها ﴿وَلَقَدْ أَصْطَلَقْتَنِي﴾ اخترناه ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ بالسؤال والخلة ﴿وَأَيْدِي﴾ في الآخرة ﴿لِمَنْ الصَّالِحِينَ﴾ الذين لهم الدرجات العلى.

﴿١٣١﴾ ﴿وَإِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمُ﴾ انقاد لله وأخلص له دينك ﴿قَالَ أَشَكَّمْتُ رَبِّيَ الْعَلَمِينَ﴾.

﴿١٣٢﴾ ﴿وَوَصَّيْ﴾ وفي قراءة^(٢): ﴿أَوْصَى﴾ ﴿بِهَا﴾ بالملة ﴿إِذْ يَرْهَقُ بَيْتَهُ وَيَعْقُوبُ﴾ بيته قال: ﴿يَبِيَّ قَالَ﴾ ﴿تَبِيَّ إِنَّ اللَّهَ أَصْطَلَقَ لَكُمْ الدِّينَ﴾ دين الإسلام ﴿فَلَا تُمَوِّنْ﴾ لا وأنته مسلمون ﴿نَهَى﴾ عن ترك الإسلام، وأمر بالنبات عليه إلى مصافة الموت.

ولما قال اليهود للنبي: ألسنت تعلم أن يعقوب يوم مات أوصى بيته باليهودية؛ نزل: ﴿١٣٣﴾ ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ﴾ حضورا ﴿إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ﴾ بدل من ﴿إِذ﴾ قبله^(٣) ﴿قَالَ لِسِيهِ مَا تُعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي﴾ بعد موتي ﴿قَالُوا نُعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِذْ يَرْهَقُ﴾ وإسماعيل ﴿وَأَسْحَقَ﴾ عدو إسماعيل من الآباء تغليط، ولأن العم بمنزلة الأب ﴿إِلَهِهَا وَجِدًا﴾ بدل من إلهك ﴿وَتَحَقُّ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾، وهم ﴿بمعنى همزة الإنكار^(٤)﴾؛ أي: لم تحضروه وقت موته فكيف تنسبون إليه ما لا يليق به؟

﴿١٣٤﴾ ﴿تَبْلُوكَ﴾ مبتدأ، والإشارة إلى إبراهيم ويعقوب وتببهما، وأنت؛ لتأنيث خبره ﴿أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ سلفت ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ من العمل؛ أي: جزاؤه، استئناف ﴿وَلَكُمْ﴾ الخطاب لليهود ﴿مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ كما لا يسألون عن عملكم، والجملة تأكيد لما قبلها.

وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبَّ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَأَعِثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيَعْلَمُهَا الْكِتَابُ وَالْحِكْمَةَ وَيُرَكِّبُهُمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ أَصْطَلَقْتَنِي فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لِمَنِ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمُ قَالَ أَشَكَّمْتُ رَبِّيَ الْعَلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّي بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَيْتِهِ وَيَعْقُوبَ يَبِيَّ إِنَّ اللَّهَ أَصْطَلَقَ لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تُمَوِّنْ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِسِيهِ مَا تُعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نُعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْإِسْحَاقَ وَالْجِدَّ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾

﴿١٢٧﴾ ﴿و﴾ اذكر ﴿إِذْ يَرْفَعُ﴾ إبراهيم القواعد الأسس أو الجدر ﴿وَمِنْ الْبَيْتِ﴾ بيته، متعلق بـ«يرفع» ﴿وَأِسْمَاعِيلُ﴾ عطف على إبراهيم، بقولان: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾ بناهنا ﴿إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ﴾ للقول ﴿الْعَلِيمُ﴾ بالفعل.

﴿١٢٨﴾ ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ﴾ منقادين ﴿وَلَكَ﴾ و﴿اجعل﴾ من ذُرِّيَّتِنَا أولادنا ﴿أُمَّةً﴾ جماعة ﴿مُسْلِمَةً لَكَ﴾ «ومن» للتبعيض، وأتى به؛

(١) الأولى: التعميم في مثقل الحكمة؛ فيقال: الحكيم في كل شأن من شئونه؟ من صنعه، وقدره، وتشريعه، وجزائه، وإرساله رسله، وإنزاله كعبه، ... إلخ. وكذا يقال في كل موضع فصرنا فيه المصنفان الحكمة على صنعه سبحانه وتعالى فقط.

(٢) نافع وابن عامر.

(٣) أي: بدل اشتمال.

(٤) أي: فتارة تفسر بها وحدها، وتارة تفسر به «بل» وحدها.

[١٣٥] ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا﴾ «أو» للتفصيل، وقال الأول يهود المدينة، والثاني نصارى نجران ﴿قُلْ لَهُمْ: ﴿بَلْ﴾ نتبع ﴿وَمِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ حال من إبراهيم، ماثلاً عن الأديان كلها إلى الدين القيم ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

[١٣٦] ﴿قُولُوا﴾ خطاب للمؤمنين: ﴿ءَأَمَّنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ من القرآن ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا مِن آيَاتِهِ﴾ من الصحف العشر ﴿وَلَا تَمْتَلِكُ﴾ ﴿وَأَسْحَقُ﴾ ﴿وَبِعُقُوبِ رَبِّهِمْ﴾ أولاده ﴿وَمَا أَوْقَىٰ مَوْسَىٰ﴾ من التوراة ﴿وَبِعِيسَىٰ﴾ من الإنجيل ﴿وَمَا أَوْقَىٰ النَّبِيِّينَ﴾ من زبهرهم ﴿من الكتب والآيات﴾ ﴿لَا تَفْرُقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾ فنؤمن ببعض ونكفر ببعض؛ كاليهود والنصارى ﴿وَنَحْنُ لَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾.

[١٣٧] ﴿فَإِنِ ءَامَنُوا﴾ أي: اليهود والنصارى ﴿بِئْسَلُ﴾ «مثل» زائدة ﴿مَاءَ ءَامَنَةٍ يَدُ فَقْدٍ ءَاهْتَدُوا﴾ وَنَ ﴿قُولُوا﴾ عن الإيمان به ﴿فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾ خلاف معكم ﴿سَنَبِيضُهُمُ اللَّهُ﴾ يا محمد شِقَاقُهُمْ ﴿وَهُوَ التَّسْبِيحُ﴾ لأقوالهم ﴿الْعَلِيمُ﴾ بأحوالهم، وقد كفاه إياهم بقتل قريظة، ونفي النضير وضرب الجزية عليهم.

[١٣٨] ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾ مصدر مؤكد لـ ﴿ءَامَنَّا﴾ ونصبه بفعل مقدر؛ أي: صبغتنا الله؛ والمراد بها: دينه الذي فطر الناس عليه؛ لظهور أثره على صاحبه؛ كالصبغ في الثوب ﴿وَمَنْ﴾ أي: لا أحد ﴿أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةَ﴾ تمييز ﴿وَنَحْنُ لَهُمْ عِبْدُونَ﴾. قال اليهود للمسلمين: نحن أهل الكتاب الأول، وقبلتنا أقدم، ولم تكن الأنبياء من العرب، ولو كان محمد نبياً، لكان منا. ﴿فَتَرَى﴾ [١٣٩] ﴿قُلْ لَهُمْ: ﴿أَتَمَّاجُونَنَا﴾ تخاصمونا ﴿فِي اللَّهِ﴾ أن اصطفى نبياً من العرب ﴿وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾. فله أن يصطفى من يشاء ﴿وَلَكَّا أَسْمَلْنَا﴾ مجازى بها ﴿وَلَكَّمْ أَشْمَلَكُمْ﴾ مجازون بها؛ فلا يعد أن يكون في أعمالنا ما نستحق به الإكرام ﴿وَنَحْنُ لَهُمْ خُضُّونَ﴾ الدين والعمل دونكم؛ فنحن أولى بالاصطفاء، والهمزة للإنكار، والجمل الثلاث أحوال.

[١٤٠] ﴿أَمْ﴾ بل أَمْ ﴿نَقُولُونَ﴾ بالثناء والياء^(١): ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ لَهُمْ: ﴿ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَرَأَيْتُمْ﴾ أي: الله أعلم، وقد تراءى منهما إبراهيم بقوله: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا﴾^(٢) والمذكورون معه تبع له ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ﴾ أخفى على الناس ﴿شَهَادَةَ عِنْدَهُ﴾ كائنة ﴿بِرَبِّ اللَّهِ﴾ أي: لا أحد أظلم منه؛ وهم: اليهود؛ كَتَمُوا شهادة الله في التوراة لإبراهيم بالحنيفية^(٣) ﴿رَمَا اللَّهُ يَفْضِلَ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ تهديد لهم.

[١٤١] ﴿وَتِلْكَ ءَأُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْئَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ تقدم مثله.

وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا وَقُلْ لَهُمْ: ﴿بَلْ﴾ نتبع ﴿وَمِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿قُولُوا ءَأَمَّنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا مِن آيَاتِهِ﴾ من الصحف العشر ﴿وَلَا تَمْتَلِكُ﴾ ﴿وَأَسْحَقُ﴾ ﴿وَبِعُقُوبِ رَبِّهِمْ﴾ أولاده ﴿وَمَا أَوْقَىٰ مَوْسَىٰ﴾ من التوراة ﴿وَبِعِيسَىٰ﴾ من الإنجيل ﴿وَمَا أَوْقَىٰ النَّبِيِّينَ﴾ من زبهرهم ﴿من الكتب والآيات﴾ ﴿لَا تَفْرُقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾ فنؤمن ببعض ونكفر ببعض؛ كاليهود والنصارى ﴿وَنَحْنُ لَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾.

[١٣٧] ﴿فَإِنِ ءَامَنُوا﴾ أي: اليهود والنصارى ﴿بِئْسَلُ﴾ «مثل» زائدة ﴿مَاءَ ءَامَنَةٍ يَدُ فَقْدٍ ءَاهْتَدُوا﴾ وَنَ ﴿قُولُوا﴾ عن الإيمان به ﴿فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾ خلاف معكم ﴿سَنَبِيضُهُمُ اللَّهُ﴾ يا محمد شِقَاقُهُمْ ﴿وَهُوَ التَّسْبِيحُ﴾ لأقوالهم ﴿الْعَلِيمُ﴾ بأحوالهم، وقد كفاه إياهم بقتل قريظة، ونفي النضير وضرب الجزية عليهم.

[١٣٨] ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾ مصدر مؤكد لـ ﴿ءَامَنَّا﴾ ونصبه بفعل مقدر؛ أي: صبغتنا الله؛ والمراد بها: دينه الذي فطر الناس عليه؛ لظهور أثره على صاحبه؛ كالصبغ في الثوب ﴿وَمَنْ﴾ أي: لا أحد ﴿أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةَ﴾ تمييز ﴿وَنَحْنُ لَهُمْ عِبْدُونَ﴾. قال اليهود للمسلمين: نحن أهل الكتاب الأول، وقبلتنا أقدم، ولم تكن الأنبياء من العرب، ولو كان محمد نبياً، لكان منا. ﴿فَتَرَى﴾ [١٣٩] ﴿قُلْ لَهُمْ: ﴿أَتَمَّاجُونَنَا﴾ تخاصمونا ﴿فِي اللَّهِ﴾ أن اصطفى نبياً من العرب ﴿وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾. فله أن يصطفى من يشاء ﴿وَلَكَّا أَسْمَلْنَا﴾ مجازى بها ﴿وَلَكَّمْ أَشْمَلَكُمْ﴾ مجازون بها؛ فلا يعد أن يكون في أعمالنا ما نستحق به الإكرام ﴿وَنَحْنُ لَهُمْ خُضُّونَ﴾ الدين والعمل دونكم؛ فنحن أولى بالاصطفاء، والهمزة للإنكار، والجمل الثلاث أحوال.

[١٤٠] ﴿أَمْ﴾ بل أَمْ ﴿نَقُولُونَ﴾ بالثناء والياء^(١): ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ لَهُمْ: ﴿ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَرَأَيْتُمْ﴾ أي: الله أعلم، وقد تراءى منهما إبراهيم بقوله: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا﴾^(٢) والمذكورون معه تبع له ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ﴾ أخفى على الناس ﴿شَهَادَةَ عِنْدَهُ﴾ كائنة ﴿بِرَبِّ اللَّهِ﴾ أي: لا أحد أظلم منه؛ وهم: اليهود؛ كَتَمُوا شهادة الله في التوراة لإبراهيم بالحنيفية^(٣) ﴿رَمَا اللَّهُ يَفْضِلَ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ تهديد لهم.

[١٤١] ﴿وَتِلْكَ ءَأُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْئَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ تقدم مثله.

(١) فائدة: أخرج مسلم عن عبد الله بن عباس أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في ركعتي الفجر في الأولى منهما: ﴿قُولُوا ءَأَمَّنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ التي في البقرة، وفي الآخرة منهما: ﴿ءَأَمَّنَّا بِاللَّهِ وَكَأَنَّهُمْ يَأْتِي سُبُلَهُمْ﴾. مسلم. كتاب صلاة المسافرين وقصرها (٦) باب (٣٨) القراءة في ركعتي الفجر.

(١) بالياء نافع وابن كثير وأبي عمرو وشعبة.

(٢) آل عمران: ٦٧.

(٣) أي: ولحمد ﷺ بالرسالة؛ حيث ذكر الله أوصافه وأخلاقه في كتبهم فغيروها وبدلوا.

يا أمة محمد ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾ خياراً عدولاً ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ يوم القيامة؛ أن رسلمهم بلغتهم ﴿وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ أنه بلغكم ﴿وَمَا جَعَلْنَا صُورَتَا لَكَ الْآنَ﴾ القبلتة ﴿الجهة﴾ التي كنت عليها ﴿أولاً﴾ وهي: الكعبة، وكان ﷺ يصلي إليها، فلما هاجر، أمر باستقبال بيت المقدس؛ تألفاً لليهود؛ فصلى إليه ستة أو سبعة عشر شهراً، ثم تحول ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ علم ظهور ﴿مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ﴾ فيصده ﴿وَمَنْ يَتَّقِ عَلَى عَقِبَيْهِ﴾ أي: يرجع إلى الكفر؛ شكاً في الدين، وظناً أن النبي ﷺ في حيرة من أمره، وقد ارتد لذلك جماعة ﴿وَإِنْ﴾ مخففة من الثقيلة، واسمها محذوف؛ أي: وإنما ﴿كَانَتْ﴾ أي: التولية إليها ﴿لِكِبْرَةٍ﴾ شاقة على الناس ﴿إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ منهم ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ أي: صلاتكم إلى بيت المقدس^(١)؛ بل يبيحكم عليه؛ لأن سبب نزولها السؤال عن مات قبل التحويل^(٢) ﴿إِنَّكَ اللَّهُ بِالْكَائِنِ﴾ المؤمنين ﴿لِرُؤُوفٍ رَحِيمَةٍ﴾ في عدم إضاعة أعمالهم، والرأفة شدة الرحمة، وقدم الأبلغ للفاصلة^(٣).

[١٤٤] ﴿قَدْ رَأَى تَقَلُّبَ﴾ تصرف ﴿وَجَهَكَ﴾ في جهة ﴿السَّمَاءِ﴾ منطلقاً إلى الوحي ومنتشوقاً للأمر باستقبال الكعبة، وكان يود ذلك؛ لأنها قبلة إبراهيم، ولأنه أذعى إلى إسلام العرب ﴿فَلَوْلَا سِتْرُكَ﴾ تحولت ﴿قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾ تحبها ﴿قَوْلٍ وَجْهَكَ﴾ استقبال في الصلاة ﴿سَطَّرَ﴾ نحو ﴿الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أي: الكعبة ﴿وَجَيْتَ مَا كُنْتُ﴾ خطاب للأمة ﴿قَوْلُوا وَجْهَكُمْ﴾ في الصلاة ﴿سَطَّرُوا وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ﴾ أي: التولي إلى الكعبة ﴿الْحَقُّ﴾ الثابت ﴿وَمِنْ رَبِّهِمْ﴾ لما في كتبهم من نعت النبي ﷺ من أنه يتحول إليها ﴿وَمَا اللَّهُ بِمُتَّبِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾^(٤) بالناء^(٥)، أيها المؤمنون من امتثال أمره، وبالياء؛ أي: اليهود من إنكار أمر القبلة.

[١٤٥] ﴿وَلَيْنَ﴾ لام القسم ﴿أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ﴾ على صدقك في أمر القبلة ﴿مَا تَيَمَّوْا﴾ أي: [لا] يتبعون ﴿فَلَسْتُكَ﴾ عناداً ﴿وَمَا أَنتَ بِسَائِعٍ قِبْلَتِهِمْ﴾ قطع لطمعه في إسلامهم وطمعهم في عوده إليها ﴿وَمَا بَعْضُهُمْ بِسَائِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾ أي: اليهود قبلة النصارى، وبالعكس ﴿وَلَيْنَ أَتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ التي يدعونك إليها ﴿وَمِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ السُّورِ﴾ الوحي ﴿إِنَّكَ إِذَا﴾ إن اتبعتمهم فوضاً ﴿لَيُنَالِكُنَّ﴾

﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ﴿١٤٦﴾ ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿١٤٧﴾ ﴿قَدْ رَأَى تَقَلُّبَ وَجْهَكَ فِي السَّمَاءِ فَلَوْلَا سِتْرُكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٤٨﴾ ﴿لَيْنَ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَتَّبِعُوا فِئْتَانَكُ وَمَا أَنتَ بِسَائِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِسَائِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَيْنَ أَتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿١٤٩﴾

[١٤٢] ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ الْجُهَالُ﴾ من الناس ﴿مِنْ النَّاسِ﴾ اليهود والمشركين: ﴿مَا وَلَّاهُمْ﴾ أي شئء صرف النبي ﷺ والمؤمنين ﴿عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾ على استقبالها في الصلاة؛ وهي: بيت المقدس؛ والإيتان بالسين الدالة على الاستقبال من الإخبار بالغيب ﴿قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ أي: الجهات كلها؛ فيأمر بالتوجه إلى أي جهة شاء لا اعتراض عليه ﴿يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ هدايته ﴿إِلَى صِرَاطٍ﴾ طريق ﴿مُسْتَقِيمٍ﴾ دين الإسلام أي: ومنهم أنتم^(١)؛ ذل على هذا: [١٤٣] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما هديناكم إليه ﴿جَعَلْنَاكُمْ﴾

(٥) ما جاء في نزول الآية (١٤٤): أخرجه البخاري عن البراء بن عازب ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يصلي نحو بيت المقدس ستة عشر - أو سبعة عشر - شهراً، وكان رسول الله ﷺ يحب أن يوجه إلى الكعبة، فأنزل الله: ﴿قَدْ رَأَى تَقَلُّبَ وَجْهَكَ فِي السَّمَاءِ﴾ فتوجه نحو الكعبة... البخاري - كتاب التفسير (٦٥) - (٢) سورة البقرة باب (٢).

(١) أي: من المهتدين أمة محمد ﷺ.

(٢) عبر بالإيمان عن الصلاة؛ لأنها أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين.

(٣) هو عند البخاري وغيره، وأخرجه البخاري في التفسير من حديث البراء (٤٤٨٦).

(٤) أي: مع أن العادة العكس؛ ليكون للأبلغ بعد غيره فائدة؛ فيقال: عالم نحير، ولا يقال: نحير عالم. والفاصلة هي الكلمة آخر الآية، ككافية الشعر وقرينة السجع.

(٥) وقيل: للتكثير. وهي بالنظر لفعل النبي ﷺ لا لرؤية الله، وهو خطاب ترداد.

(٦) لابن عامر، وحزقة، والكسائي، وقرأ الباقون بالياء.

الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ
 وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْمُونَ ﴿١٤٦﴾ الْحَقُّ
 مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَلِكُلِّ وُجْهَةٍ
 هُومٌ لِّهَا فَأَسْتَخِفُّوا الْحَبْرَاتِ ابْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ
 جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ
 قَوْلٌ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ
 وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ قَوْلٌ
 وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا
 وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ
 ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَا تَمْرُقْ عَلَيَّكُمْ
 وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُو
 عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ
 وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَأَذْكُرُوا لِي آذِكْرِكُمْ
 وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
 اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٣﴾

[١٤٦] ﴿الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ﴾ أي: محمدًا ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ
 آبَاءَهُمْ﴾ بنعته في كتبهم؛ قال ابن سلام: لقد عرفته حين رأته؛ كما أعرَف
 ابني، ومعرفتي لمحمد أشد ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ﴾ نعته ﴿وَهُمْ
 يَكْتُمُونَ﴾ هذا الذي أنت عليه [١٤٧] ﴿الْحَقُّ﴾ كائنا ﴿مِنْ رَبِّكَ فَلَا
 تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ الشاكين فيه؛ أي: من هذا النوع، فهو أبلغ من: لا تمتز.

[١٤٨] ﴿وَلِكُلِّ وُجْهَةٍ﴾ من الأمم ﴿وَجْهَةٌ﴾ قبله ﴿هُوَ مَوْلِيَّهَا﴾ وجهه في
 صلته، وفي قراءة^(١): ﴿مَوْلَاهَا﴾ ﴿فَأَسْتَخِفُّوا الْحَبْرَاتِ﴾ بادروا إلى الطاعات
 وقولها ﴿ابْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ يجمعكم يوم القيامة؛
 فيجازيكم بأعمالكم ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَنَ كُلِّ نَفْسٍ بِقَدِيرٌ﴾.

[١٤٩] ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ﴾ لسفر^(٢) ﴿قَوْلٌ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ
 الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ بالثناء واليباء^(٣)،
 تقدم مثله، وكرره؛ لبيان تساوي حكم السفر وغيره.

[١٥٠] ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ قَوْلٌ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا
 كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ كرهه؛ للتأكيد^(٤) ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ﴾
 اليهود أو المشركين ﴿عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾ أي: مجادلة في التولي إلى غيره؛ لنتفي
 مجادلتهم لكم من قول اليهود: يجدد ديننا ويتبع قبلتنا. وقول المشركين:
 يدعي ملة إبراهيم ويخالف قبلته، ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ بالعناد؛ فإنهم
 يقولون: ما تحول إليه إلا ميلاً إلى دين آباءه. والاستثناء متصل؛ والمعنى: لا
 يكون لأحد عليكم كلام إلا كلام هؤلاء ﴿فَلَا تَحْشَوْهُمْ﴾ تخافوا جدالهم في
 التولي إليها ﴿وَإَخْشَوْنِي﴾ بامتثال أمري ﴿وَلَا تَمْرُقْ عَلَيَّ﴾ عطف على ﴿لِئَلَّا
 يَكُونَ﴾ يمتني عليكم، بالهداية إلى معالم دينكم ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾
 إلى الحق.

[١٥١] ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا﴾ متعلق بـ﴿أَنْتُمْ﴾؛ أي: إتمام كإتمامها بإرسالنا
 ﴿فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ﴾ محمدًا ﷺ ﴿يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا﴾ القرآن
 ﴿وَيُزَكِّيكُمْ﴾ يطهركم من الشرك ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ﴾ القرآن
 ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ ما فيه من الأحكام ﴿وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾.

[١٥٢] ﴿فَأَذْكُرُوا لِي﴾ بالصلاة والتسبيح ونحوه ﴿أَذْكُرِكُمْ﴾ قيل: مغناة
 أجازكم. وفي الحديث عن الله: «مَنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَمَنْ
 ذَكَرَنِي فِي مَالٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَالِي خَيْرٌ مِنْ مَلِيهِ»^(٥) ﴿وَأَشْكُرُوا لِي﴾ نعمتي
 بالطاعة ﴿وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ بالعصية.

[١٥٣] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا﴾ على الآخرة ﴿بِالصَّبْرِ﴾ على
 الطاعة والبلاء ﴿وَالصَّلَاةِ﴾ خصَّصها بالذكر؛ لتكررها وعظمتها ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ
 الصَّابِرِينَ﴾ بالعون.

(١) لابن عامر.

(٢) ظاهره فرضاً ونفلاً، ولكن السنة خصصت ذلك بالفريضة، وأما النافلة فنجز في السفر لغير القبلة بشروط.

(٣) بالياء لأبي عمرو.

(٤) لغرابية الحكم حينئذ؛ لأنه أول ما ورد من النسخ.

(٥) البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥).

لِيَهُ. مِلْكًا وَعَبِيدًا، يفعل بنا ما يشاء ﴿وَأِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ في الآخرة؛ فيجازينا، وفي الحديث: ﴿مَنْ اشْتَرَجَ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ أَجْرَهُ اللَّهُ فِيهَا وَأَخْلَفَ اللَّهُ عَلَيْهِ خَيْرًا﴾^(١)، وفيه أن مصباح النبي ﷺ طُفِعَ؛ فاسترجع؛ فقالت عائشة: إنما هذا مصباح!! فقال: ﴿كُلُّ مَا أَسَاءَ الْمُؤْمِنُ فَهُوَ مُصِيبَةٌ﴾^(٢) [رواه أبو داود في مراسله].

[١٥٧] ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ مِّنْ رَبِّهِمْ وَنِعْمَةٌ مِّنْ رَبِّهِمْ﴾ [١٥٧] ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَهْتَدُونَ﴾ إلى الصواب.

[١٥٨] ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن مَّعَابِرِ اللَّهِ﴾ جبلان بمكة ﴿مِن مَّعَابِرِ اللَّهِ﴾ أعلام دينه، جمع شعيرة ﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ﴾ أي: تَلَبَّسَ بالحج أو العمرة، وأصلهما القصد والزيارة ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمْ﴾ إنهم عليه ﴿أَن يَطَّوَّفَا﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الطاء ﴿بِهِمَا﴾ بأن يسعى بينهما سبعا، نزلت لما كره المسلمون ذلك؛ لأن أهل الجاهلية كانوا يطوفون بهما، وعليهما ضمان بمسحونهما، وعن ابن عباس: أن السعي غير فرض؛ لما أفاده رفع الإثم من التخيير. وقال الشافعي وغيره: ركن، ويحرم ﷺ فريضته بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَيْكُمُ الشَّعْيَ﴾^(٣) [رواه البيهقي وغيره]، وقال: ﴿ابْدُؤْا بِمَا بَدَأَ اللَّهُ بِهِ﴾^(٤) يعني الصَّفَا ﴿رَوَاهُ مُسْلِمٌ﴾ [وَمَنْ طَفَعَ] وفي قراءة: ﴿بِالتَّحْتِيةِ وَتَشْدِيدِ الطَّاءِ مَجْزُومًا﴾ وفي إدغام التاء فيها ﴿حَجًّا﴾ أي: بخير؛ أي: عمل ما لم يجب عليه من طواف وغيره ﴿وَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ لِّعْمَلِهِ الْإِنَابَةِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ﴾ به^(٥).

ونزل في اليهود: [١٥٩] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ﴾ الناس ﴿مَّا أُنزِلْنَا مِنْ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ كآية الرجم وعت محمد ﷺ ﴿وَمِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ﴾ التوراة ﴿أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ﴾ يعدهم من رحمته ﴿وَيَلْعَنُهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ الملائكة والمؤمنون أو كل شيء بالدعاء عليهم باللعنة.

[١٦٠] ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ رجعوا عن ذلك ﴿وَأَصْلَحُوا﴾ غَمَلَهُمْ ﴿وَيَتَّبِعُوا﴾ مَا كَتَبُوا ﴿فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ أقبل توبهم ﴿وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ بالمؤمنين. [١٦١] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ حال ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ أي: هم مستحقون ذلك في الدنيا والآخرة، ﴿وَالنَّاسِ﴾ قيل: عامٌّ. وقيل: المؤمنون. [١٦٢] ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ أي: اللعنة والنار المدلول بها عليها ﴿لَا يَصْفَقُهُمْ عَلَيْهِمُ الْمُؤَدَّبُونَ﴾ طرفة عين ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ يُهْمَلُونَ توبة أو لعنرة. ونزل - لما قالوا: ﴿صِفْنَا لَكَ رَبُّكَ﴾^(٦): [١٦٣] ﴿وَاللَّهُكَ﴾ المستحق للعبادة منكم ﴿إِلَّا اللَّهُ وَجِدَّ﴾ لا نظير له؛ لا في ذاته ولا في صفاته ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ هو ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾. وطلبوا آية على ذلك؛ فنزل:

وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ وَلَتَبْلُوَنَّكُمْ بَشِيءٌ مِّنَ الْأَخْوَفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ وَأُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن مَّعَابِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ مَا أُنزِلْنَا مِنْ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُنَّ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّا فَاُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَخَفُونَ لِعَذَابِ اللَّهِ أَهْمًا يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾ وَاللَّهُمَّ إِنَّهُ وَجِدٌ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾

[١٥٤] ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ هم ﴿أَمُوتَ بَلْ﴾ هم ﴿أَحْيَاءٌ﴾ أرواحهم في حواصل طيور حُضِرَ تَشْرَحُ في الحِجَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ؛ لحديث بذلك^(١) ﴿وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ تعلمون ما هم فيه. [١٥٥] ﴿وَلَتَبْلُوَنَّكُمْ بَشِيءٌ مِّنَ الْأَخْوَفِ﴾ للعدو ﴿وَالْجُوعِ﴾ القحط ﴿وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ﴾ بالهلاك ﴿وَالنَّفْسِ﴾ بالقتل والموت والأمراض ﴿وَالثَّمَرَاتِ﴾ بالجواحش؛ أي: لنختبركم؛ فننظر أن تصبرون أم لا؟ ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ على البلاء بالجنة. هم [١٥٦] ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ﴾ بلاء ﴿قَالُوا إِنَّا﴾

(٥) ما جاء في نزول الآية (١٥٨): أخرج البخاري عن الزهري قال عروة: سألت عائشة ﷺ فقلت لها: رأيت قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن مَّعَابِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمْ أَن يَطَّوَّفَا بِهِمَا﴾ فوالله ما على أحد جناح أن لا يطوف بالصفاء والمروة؛ قالت: بس ما قلت يا ابن أخي، إن هذه لو كانت كما أولتها عليه كانت لا جناح عليه أن لا يطوف بهما، ولكنها أنزلت في الأنصار، كانوا قبل أن يسلموا يهلون لمائة الطاغية التي كانوا يعبدونها عند المشلل، فكان من أهل يثرب أن يطوف بالصفاء والمروة، فلما أسلموا سألو رسول الله ﷺ عن ذلك؛ قالوا: يا رسول الله، إننا كنا نتخرج أن تطوف بين الصفا والمروة. فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن مَّعَابِرِ اللَّهِ﴾ الآية، قالت عائشة ﷺ: وقد سن رسول الله ﷺ الطواف بينهما، فليس لأحد أن يترك الطواف بينهما. ثم أخبرت أبا بكر بن عبد الرحمن فقال: إن هذا لعلم ما كنت سمعته. ولقد سمعت رجلاً من أهل العلم يذكر أن الناس - إلا من ذكرت عائشة من كان يهل بمكة - كانوا يطوفون كلهم بالصفاء والمروة، فلما ذكر الله تعالى الطواف بالبيت ولم يذكر الصفا والمروة؟ فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن مَّعَابِرِ اللَّهِ﴾ الآية. قال أبو بكر: فأسع هذه الآية نزلت في الفريقين كليهما. البخاري - كتاب الحج (٢٥) باب (٧٩) وجوب الصفا والمروة.

(١) وهو قوله ﷺ: فأرواح الشهداء في أجواف طيور حُضِرَ تَرُدُّ أَنفُسَهُمُ إِلَى حَقِّهَا، وتَأْكُلُ مِنْ ثَمَرِهَا، وتَأْوِي إِلَى قَادِيلٍ مُّغْلَقَةٍ فِي ظِلِّ الْفَرْشِ. مسلم (١٨٨٧) من حديث ابن مسعود. (٢) مسلم (٩١٨) بيهو من حديث أم سلمة. (٣) ضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٤٢٣٣). (٤) وهذا تأويل كما هو مذهبه في الصفات، والصفوات إثبات هذه الصفة وغيرها. الثابت بالكتاب والسنة. لله على الوجه اللاتق به - شبيخانة. ومن لازمهما إتمامه على من يرحم. (٥) ورواه أحمد في المسند (٢٧٤٧٤) من حديث حبيبة بنت أبي جراح، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٩٦٨). (٦) ضعف بهذا اللفظ بصيغة الأمر، وضح بلفظ «بئذا بما بدأ الله به» وبلغظ «أبدأ بما بدأ الله به» عند مسلم وغيره (مسلم ١٢١٨).

(٧) حمزة والكسائي. (٨) ذكره الواحدي في الوسيط (٢٤٥/١) من رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس. وهو موضوع كما ذكر صاحب الاستيعاب في بيان الأسباب (٩٠/١).

[١٦٤] ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وما فيهما من العجائب ﴿وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ بالذهاب والجيء، والزيادة والنقصان ﴿وَالَّذِي فِي السَّمَاءِ مِمَّا يَنْزِلُ فِي الْبَحْرِ يَمَسُّ مِنْهَا مِنَ الْمَاءِ﴾ لا ترسب موقرة ﴿يَمَسُّ مِنْهَا مِنَ الْمَاءِ﴾ من التجارات والحمل ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ مَطْرًا فَاتَّخِذُوا بِهِ الْوَسِيلَ﴾ بالنبات ﴿بَعْدَ مَوْتِكُمْ﴾ يَسِينًا ﴿وَبَيْنَ﴾ فَوْقَ وَتَسْتَرْ بِهِ ﴿فِيهَا مِنْ كُلِّ ذَاتٍ حَيَّةٍ﴾ لأنهم يسمون بالخصب الكائن عنه ﴿وَتَضْرِبُ بِهِ الْأَرْضَ﴾ تغليبها جنوبًا وشمالًا، حارةً وباردةً ﴿وَالسَّحَابِ﴾ الغيم ﴿الْمُسَخَّرِ﴾ المذلل بأمر الله - تعالى - يسير إلى حيث شاء الله ﴿بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ بلا علاقة ﴿لَا يَتَّبِعُ﴾ دالات على وحدانيته - تعالى - ﴿يَقُولُونَ﴾ يتدبرون.

[١٦٥] ﴿وَمَنْ آتَى مِنْ بَنِيكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿أَنْدَادًا﴾ أصنامًا ﴿يُحِبُّونَهُمْ﴾ بالتعظيم والخضوع ﴿كَمَا حُبَّ اللَّهِ﴾ أي: كحبهم له ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْشَدُوا حُبًّا لِلَّهِ﴾ من حبهم للأنداد؛ لأنهم لا يعدلون عنه بحال ما، والكفار يعدلون في الشدة إلى الله ﴿وَلَوْ [رَبَّكَ]﴾ (١) تبصر يا محمد ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ باتخاذ الأنداد ﴿إِذْ يَرُونَ﴾ بالبناء للفاعل والمفعول (٢)؛ يصرون (٣) ﴿الْعَذَابِ﴾ لرأيت أمرًا عظيمًا، ﴿إِذْ﴾ بمعنى إذا ﴿أَنْ﴾ أي: لأن ﴿الْقُوَّةَ﴾ القدرة والغلبة ﴿بِهِمَا جَمِيعًا﴾ حال ﴿وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ وفي قراءة: ﴿بَرَى﴾ بالتحانية، والفاعل ضمير السامع (٤)، وقيل: «الذين ظلموا»؛ فهي بمعنى يعلم، و«أن» (٥) وما بعدها (٦) سدت مسد المفعولين (٧)، وجواب «لو» محذوف؛ والمعنى: لو علموا في الدنيا شدة عذاب الله وأن القدرة لله وحده وقت معاينتهم له وهو يوم القيامة، لما اتخذوا من دونه أندادًا.

[١٦٦] ﴿إِذْ﴾ بدل من ﴿إِذْ﴾ قبله ﴿تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾ أي: الرؤساء ﴿وَمِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾ أي: أنكروا إضلالهم ﴿وَرَأَوْا الْعَذَابَ﴾ وعطف على ﴿تَبَرَّأَ﴾ ﴿بِهِمْ﴾ عنهم ﴿الْأَسْتَبَابِ﴾ الوصل التي كانت بينهم في الدنيا من الأرحام والمودة.

[١٦٧] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كُنَّا كَرَّةً﴾ رجعة إلى الدنيا ﴿فَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ﴾ أي: التبوعين ﴿كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا﴾ اليوم، و«لو» للتعني، و«تبرأ» جوابه ﴿كَذَلِكَ﴾ أي كما أراهم شدة عذابه، وتبرأ بعضهم من بعض ﴿يُرِيهِمْ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ﴾ السيفة ﴿حَسْرَتٍ﴾ حال؛ ﴿تَدَامَاتٍ﴾ (٨) ﴿عَلَيْهِمْ﴾ وما هم يخرجون من النار بعد دخولها.

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالَّذِي فِي السَّمَاءِ مِمَّا يَنْزِلُ فِي الْبَحْرِ يَمَسُّ مِنْهَا مِنَ الْمَاءِ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَخْبَاهُ الْأَرْضُ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَيْنَ فِيهَا مِنْ كُلِّ ذَاتٍ حَيَّةٍ وَتَضْرِبُ بِهِ الْأَرْضَ تَغْلِبُهَا جَنُوبًا وَشَمَالًا حَارَةً وَبَارِدَةً وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ بِلَا عِلَاقَةٍ لَّا يَتَّبِعُ عَلَيَّ وَحْدَانِيَّتِهِ - تَعَالَى - يَقُولُونَ بِتَدْبِيرِي

[١٦٥] وَمَنْ آتَى مِنْ بَنِيكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَمَا حُبَّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْشَدُوا حُبًّا لِلَّهِ مِنْ حُبِّهِمْ لِلْأَنْدَادِ؛ لِأَنَّهُمْ لَا يَعْدِلُونَ عَنْهُ بِحَالٍ مَا، وَالْكَافِرِينَ يَعْدِلُونَ فِي الشَّدَةِ إِلَى اللَّهِ ﴿وَلَوْ [رَبَّكَ]﴾ (١) تَبْصُرُ يَا مُحَمَّدُ ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بِاتِّخَاذِ الْأَنْدَادِ ﴿إِذْ يَرُونَ﴾ بِالْبِنَاءِ لِلْفَاعِلِ وَالْمَفْعُولِ (٢)؛ يَصْرُونَ (٣) ﴿الْعَذَابِ﴾ لِرَأَيْتَ أَمْرًا عَظِيمًا، ﴿إِذْ﴾ بِمَعْنَى إِذَا ﴿أَنْ﴾ أَيْ: لِأَنَّ ﴿الْقُوَّةَ﴾ الْقُدْرَةَ وَالْغَلْبَةَ ﴿بِهِمَا جَمِيعًا﴾ حَالٌ ﴿وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ وَفِي قِرَاءَةٍ: ﴿بَرَى﴾ بِالتَّحَانِيَةِ، وَالْفَاعِلُ ضَمِيرُ السَّامِعِ (٤)، وَقِيلَ: «الَّذِينَ ظَلَمُوا»؛ فَهِيَ بِمَعْنَى يَعْلَمُ، وَ«أَنَّ» (٥) وَمَا بَعْدَهَا (٦) سَدَّتْ مَسَدَ الْمَفْعُولَيْنِ (٧)، وَجَوَابُ «لَوْ» مُحْذَوْفٌ؛ وَالْمَعْنَى: لَوْ عَلِمُوا فِي الدُّنْيَا شِدَّةَ عَذَابِ اللَّهِ وَأَنَّ الْقُدْرَةَ لِلَّهِ وَحْدَهُ وَقَدْ مَعَايَنْتَهُمْ لَهْ وَهُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَمَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَنْدَادًا.

ونزل فيمن حرم السوايب ونحوها: [١٦٨] ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوا مِنَّا فِي الْأَرْضِ حَلَلًا﴾ حال ﴿حَلَلًا﴾ طَلَبًا ﴿صِفَةٌ مُؤَكَّدَةٌ﴾ أي: مُشْتَقَلًا ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوتَ﴾ طرق ﴿الشَّيْطَانِ﴾ أي: تزييه ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ بين العداوة.

[١٦٩] ﴿إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِالسُّوءِ﴾ الإنم ﴿وَالْفَحْشَاءِ﴾ الفحش شرعًا ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من تحريم ما لم يحرم وغيره.

(١) وهي قراءة نافع وابن عامر. وقرأ الباقون: (برى).

(٢) أي: بضم الياء، لابن عامر. وقرأ الباقون: (تَرَوْنَ) بالبناء للفاعل.

(٣) على القراءة الأولى: يصرون، وعلى الثانية: يمشرون.

(٤) لو قال: ضمير الرائي؛ لكان أظهر.

(٥) أي: الأولى مع معموليها.

(٦) وهو «أن» الثانية مع معموليها.

(٧) أي: فلذلك وجب فتحها، وإن لم يصح تأويلها بالمفرد؛ لأن وجوب الفتح مداره على أحد أمرين: إما تأويلها بالمصدر، وإما وقوعها موقع المفعولين لعلم - كما هنا - مع عدم التعليق باللام.

(٨) جمع تدامة.

ولا يفهم معناه؛ أي: في سماع الموعظة وعدم تدبرها؛ كالبهايم؛ تسمع صوت راعيها ولا تفهمه^(١)، هم ﴿صُمُّ بَنُوكُمْ عَمَىٰ فَهَمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ الموعظة.

[١٧٢] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كَلِمًا مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ كُنْتُمْ يَكْفُرُونَ﴾ خلا لايت ﴿مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ﴾ على ما أحل لكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ يَكْفُرُونَ﴾.

[١٧٣] ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾ أي: أكلها؛ إذ الكلام فيه، وكذا ما بعدها؛ وهي: ما لم يُذَكَّ شَرَعًا، وألحق بها بالسنة ما أئين من حي؛ وخص منها السمك والجراد ﴿وَالدَّم﴾ أي: المسفوح؛ كما في الأنعام ﴿وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ﴾ خُصَّ اللحم؛ لأنه معظم المقصود، وغيره تبع له ﴿وَمَا أُهْلَ بِهِ﴾ يعتر الله ﴿أي: ذُبِحَ على اسم غيره، والإهلال رفع الصوت، وكانوا يرفعونه عند الذبح لألبيتهم ﴿فَمَنْ أَضْطَرَّ﴾ أي: ألجأته الضرورة إلى أكل شيء مما ذكِر، فأكله ﴿غَيْرِ بَاطِنٍ﴾ خارج على المسلمين ﴿وَلَا عَادٍ﴾ متعد عليهم بقطع الطريق^(٢) ﴿فَلَا إِنَّمِ عَلَيْهِ﴾ في أكله ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لأوليائه ﴿رَحِيمٌ﴾ بأهل طاعته؛ حيث وسع لهم في ذلك، وخرج الباغي والعادي، ويلحق بهما كل عاص بسفره؛ كالأبي والمكاس^(٣)؛ فلا يحل لهم أكل شيء من ذلك ما لم يتوبوا، وعليه الشافعي.

[١٧٤] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ﴾ المشتغل على نعت محمد ﷺ؛ وهم: اليهود ﴿وَشَرُّوهُ﴾ أي: تمنأ قليلاً ﴿مِنَ الدُّنْيَا﴾ يأخذونه بدل من سفلتهم، فلا يظهرونه؛ خوف فوته عليهم ﴿أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ﴾ لأنها مألهم ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ غضبًا عليهم ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ يظهرهم من دنس الذنوب ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم من النار.

[١٧٥] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَسْرَرْنَا السَّلَافَ بِالْهُدَىٰ﴾ أخذوها بدل في الدنيا ﴿وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ﴾ المعدة لهم في الآخرة لو لم يكنوا ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ أي: ما أشد صبرهم!! وهو تعجب للمؤمنين من ارتكابهم موجباتها من غير مبالاة، وإلا فأني صبر لهم.

[١٧٦] ﴿ذَلِكَ﴾ الذي ذكر من أكلهم النار، وما بعده ﴿يَأْنٍ﴾ بسبب أن الله سَرَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ متعلق ب﴿سَرَّلَ﴾؛ فاختلفوا فيه؛ حيث آمنوا ببعضه، وكفروا ببعضه بكنمه ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ﴾ بذلك - وهم اليهود، وقيل: المشركون في القرآن؛ حيث قال بعضهم: شعر. وبعضهم: سحر. وبعضهم: كهانة - ﴿لِنَبِيِّ شِقَاقٍ﴾ خلاف ﴿بِعِيدٍ﴾ عن الحق.

وَأَذَقِمْ لَهُمْ أَتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَسَبِعُ مَا الْقَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٣﴾ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَتَّعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دَعَاةً وَيَذَّاءُ صُمُّ بَنُوكُمْ عَمَىٰ فَهَمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧٤﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كَلِمًا مِنْ رَبِّكَ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ يَكْفُرُونَ ﴿١٧٥﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَّ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرِ بَاطِنٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنْ أَتَى اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَسْرَرْنَا السَّلَافَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴿١٧٨﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿١٧٩﴾

[١٧٠] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ: ﴿اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ من التوحيد وتحليل الطيبات ﴿قَالُوا﴾: لا ﴿بَلْ نَسَبِعُ مَا الْقَيْنَا﴾ وجدنا ﴿عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا﴾ من عبادة الأصنام وتحريم السوابب والباطن.

قال - تعالى -: ﴿أَمْ﴾ يتبعونهم ﴿وَلَوْ كَانَتْ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا﴾ من أمر الدين ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ إلى الحق؟! والهجرة للإنكار.

[١٧١] ﴿وَمَثَلُ﴾ صفة ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ومن دعواهم إلى الهدى ﴿كَمَثَلِ الَّذِي يَتَّعِقُ﴾ بصوت ﴿بِأَنَّ﴾ لا يسمع ﴿إِلَّا دَعَاةً وَيَذَّاءُ﴾ أي: صوتًا،

(١) الباء بمعنى: على.

(٢) وقيل في تفسيره - أيضًا -: مثل مضروب لنشبه الكافر في دعائه للأصنام بالناعق على البهايم. وقيل غير ذلك.

(٣) وقيل: ﴿غَيْرِ بَاطِنٍ﴾ أي: غير طيب. أي: غير طالب للمحرم مع قدرته على الحلال، أو مع عدم جوعه ﴿وَلَا عَادٍ﴾ أي: متجاوز الحد في تناول ما ليح له اضطراء؛ أي: لا يشبع منها.

(٤) الأبق: العبد الهارب من سيده، و «المكاس»: «التكس»: بفتح الميم: الخيانة، والمراد به: الذي يأخذ الضريبة ظلماً.

[١٧٧] ﴿لَيْسَ آيْرَ أَنْ تَوَلَّوْا وُجُوهَكُمْ﴾ في الصلاة ﴿يَكِلَ الْمَشْرِقَ وَالْمَغْرِبَ﴾ نَزَلَ رَدًّا عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى؛ حَيْثُ زَعَمُوا ذَلِكَ ﴿وَلَكِنَّ الْآيْرَ﴾ أَي: ذَا الْبِرِّ، وَقُرَى^(١) بفتح الباء؛ أَي: الْبَارِ ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَاللَّيْبَةِ وَالْكِتَابِ﴾ أَي: الْكُتُبِ ﴿وَالْيَتِيمَ﴾ وَآقَى النَّالَ عَلَٰنَ ﴿مَعَ حُبِّهِ﴾ لَهُ ﴿ذَوِي الشَّرَفِ﴾ الْقَرَابَةِ ﴿وَالْيَتِيمَ وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنَ السَّبِيلِ﴾ الْمَسَاغِرَ ﴿وَالسَّابِلِينَ﴾ الطَّالِبِينَ ﴿وَوَفَى﴾ فَكُ ﴿الرِّقَابَ﴾ الْمَكَاتِبَ وَالْأَسْرَى ﴿وَأَقَامَ الصَّلَاةَ﴾ وَآقَى الرِّكَوَةَ الْمَفْرُوضَةَ، وَمَا قَبْلَهُ فِي التَّطَوُّعِ ﴿وَالْمُؤْتُونَ يَهْدِيهِمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾ اللَّهُ أَوْ النَّاسَ ﴿وَالصَّابِرِينَ﴾ نَصَبَ عَلَى الْمَدْحِ^(٢) ﴿فِي الْبِأْسَاءِ﴾ شِدَّةِ الْفَقْرِ ﴿وَالْفَرَّارَةَ﴾ الْمَرَضَ ﴿وَيَسِّرَ الْبَأْسَ﴾ وَقَتَّ شِدَّةَ الْقِتَالِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴿أُولَئِكَ﴾ الْمُصَوِّفُونَ بِمَا ذَكَرَ ﴿الَّذِينَ صَدَّقُوا﴾ فِي إِيْمَانِهِمْ أَوْ ادَّعَى الْبِرَّ ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ اللَّهُ.

[١٧٨] ﴿فَاتَّبَعَ الَّذِينَ آمَنُوا كَيْتَ﴾ فُرْضَ ﴿عَلَيْكُمْ الْقَصَاصَ﴾ الْمَائِلَةَ ﴿فِي الْقَتْلِ﴾ وَصِفَا^(٣) وَفِعْلًا^(٤) ﴿الْحَرْجَ﴾ يُقْتَلُ ﴿بِالْحَرْجِ﴾ وَلَا يُقْتَلُ بِالْعَبْدِ ﴿وَالْعَبْدُ بِالْمَعْدِ وَالْمَعْدُ بِالْأَنْثَى بِالْأُنْثَى﴾ وَيَصِيَّتُ الشُّنَّةُ أَنَّ الذَّكَرَ يُقْتَلُ بِهَا^(٥)، وَأَنَّهُ تُعْتَبَرُ الْمَائِلَةُ فِي الدِّينِ؛ فَلَا يُقْتَلُ مُسْلِمٌ لَوْ عُبِدَ بِكَافِرٍ وَلَوْ حَرْجًا^(٦) ﴿فَمَنْ عَفَى﴾ لَهُمُ ﴿مِنَ الْقَاتِلِينَ﴾ مِنْ ذَمِّ ﴿أَيْبِهِ﴾ الْمَقْتُولِ ﴿مَتَى﴾ بِأَنْ تَرَكَ الْقَصَاصَ مِنْهُ، وَتَنَكَّرَ ﴿مَتَى﴾ يَفِيدُ سِقْمُ الْقَصَاصِ بِالْعَفْوِ عَنْ بَعْضِهِ^(٧) وَمِنْ بَعْضِ الْوَرَقَةِ، وَفِي ذِكْرِ ﴿أَيْبِهِ﴾ تَعَطُّفٌ^(٨) ذَاعَ إِلَى الْعَفْوِ، وَإِبْدَانُ بَأْسِ الْقَتْلِ لَا يَقْطَعُ أَخُو الْإِيْمَانِ^(٩)، وَ«مَتَى» مُبْتَدَأٌ شَرْطِيَّةٌ أَوْ مُوَصَّلَةٌ، وَالْحَيْرُ: ﴿فَاتَّبَعَ﴾ أَي: فَعَلَى الْعَافِيَ اتِّبَاعٌ لِلْقَاتِلِ ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ بِأَنْ يَطْلُبَهُ بِالْيَدِ بِلَا عَنَفٍ، وَتَرْتِيبُ الْإِتِّبَاعِ عَلَى الْعَفْوِ يَفِيدُ أَنَّ الْوَاجِبَ أَحَدَهُمَا، وَهُوَ أَحَدُ قَوْلِي الشَّافِعِيِّ، وَالثَّانِي: الْوَاجِبُ الْقَصَاصُ، وَالْيَدِيَّةُ يَدُلُّ عَلَيْهِ؛ فَلَوْ عَفَا وَلَمْ يَسْمَعْهُ فَلَا شَيْءَ وَرَجَحَ ﴿وَوَفَى﴾ عَلَى الْقَاتِلِ ﴿أَذَاهُ﴾ الْيَدِيَّةَ ﴿إِيَّاهُ﴾ أَي: الْعَافِيَ؛ وَهُوَ الْوَارِثُ ﴿بِإِحْسَانٍ﴾ بِلَا مَطْلٍ وَلَا بَخْسٍ ﴿ذَلِكَ﴾ الْحُكْمُ الْمَذْكُورُ مِنْ جَوَازِ الْقَصَاصِ وَالْعَفْوِ عَلَيْهِ عَلَى الْيَدِيَّةِ ﴿تَخْفِيفٌ﴾ تَسْهِيلٌ ﴿مَنْ رَزَقَكُمْ﴾ عَلَيْكُمْ ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ بِكُمْ؛ حَيْثُ وَسِعَ فِي ذَلِكَ، وَلَمْ يَحْتَمِ أَحَدًا مِنْهُمَا؛ كَمَا حَتَمَ عَلَى الْيَهُودِ الْقَصَاصَ، وَعَلَى النَّصَارَى الْيَدِيَّةَ ﴿فَمَنْ عَفَى عَنْ قَتْلِهِ﴾ بِالْمَعْرُوفِ ﴿بِعَدْلٍ﴾ أَي: الْعَفْوُ ﴿فَلَهُ عَذَابُ آيْرٍ﴾ مُؤَلَّمٌ فِي الْآخِرَةِ بِالنَّارِ، أَوْ فِي الدُّنْيَا بِالْقَتْلِ.

[١٧٩] ﴿وَكَمْ فِي الْقَصَاصِ حَيْوَةٌ﴾ أَي: بَقَاءٌ عَظِيمٌ ﴿يَتَأْوَلِي الْأَلْبَابَ﴾ ذَوِي الْعُقُولِ؛ لِأَنَّ الْقَاتِلَ إِذَا عَلِمَ أَنَّهُ يُقْتَلُ ارْتَدَعَ؛ فَأَخْبَتَا نَفْسَهُ وَمَنْ أَرَادَ قَتْلَهُ؛ فَشَرَعَ ﴿لَمَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ الْقَتْلَ؛ مَخَافَةَ الْقَوْدِ. [١٨٠] ﴿كُتِبَ﴾ فُرْضَ ﴿عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتَ﴾ أَي: أَسْبَابُهُ^(١٠) ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا﴾ مَالًا

﴿لَيْسَ آيْرَ أَنْ تَوَلَّوْا وُجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ وَلَكِنَّ الْآيْرَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَكِ وَالْكِتَابِ وَالْيَتِيمَ وَالْيَتِيمَ وَآقَى النَّالَ عَلَٰنَ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتِيمَ وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنَ السَّبِيلِ وَالسَّابِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآقَى الرِّكَوَةَ وَالْمُؤْتُونَ يَهْدِيهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبِأْسَاءِ وَالْفَرَّارَةَ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَّقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ يَتَابِعُهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمْ الْقَصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرْجُ بِالْحَرْجِ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَى بِالْأَنْثَى فَمَنْ عَفَى لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبَعَ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاهُ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنْ عَفَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابُ آيْرٍ ﴿١٧٨﴾ وَكَوَيْتُ فِي الْقَصَاصِ حَيْوَةٌ يَتَأْوَلِي الْأَلْبَابَ لَعَدَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلذَّكَرِ وَاللِّأُنثَى وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا أَثْمُهُ وَعَلَى الَّذِينَ يَبْدُلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾

﴿الْوَصِيَّةُ﴾ مَرْفُوعٌ بِ«كُتِبَ»^(١١)، وَمَتَلَقٌ بِ«إِذَا» إِنْ كَانَتْ ظَرْفِيَّةً^(١٢)، وَدَالٌ عَلَى جَوَابِهَا إِنْ كَانَتْ شَرْطِيَّةً، وَجَوَابُ^(١٣) «إِنْ» أَي: فَلْيُوصِ ﴿لِلذَّكَرِ وَاللِّأُنثَى وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ بِالْعَدْلِ بَأَنْ لَا يَزِيدَ عَلَى الثَّلَاثِ، وَلَا يُفْضَلُ الْغَنِيِّ حَقًّا، مُصَدَّرٌ مُؤَكَّدٌ لِمَضْمُونِ الْجُمْلَةِ قَبْلَهُ ﴿عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ اللَّهُ، وَهَذَا مَسْنُوعٌ بِأَيَّةِ الْمِرَاثِ، وَبِحَدِيثِ: «لَا وَصِيَّةَ لِوَارِثٍ»^(١٤) [رواه الترمذي].

[١٨١] ﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ﴾ أَي: الْإِبْصَاءَ مِنْ شَاهِدٍ وَوَصِيٍّ ﴿بَعْدَمَا سَمِعْتُمْ﴾ عِلْمَهُ ﴿فَاتَّبَعُوا إِتْمَامَهُ﴾ أَي: الْإِبْصَاءَ الْمُبَدَّلَ ﴿عَلَى الَّذِينَ يَبْدُلُونَهُ﴾ فِيهِ إِقَامَةُ الظَّاهِرِ مَقَامَ الْمَضْمُونِ^(١٥) «إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» لِقَوْلِ الْمُوصِي «عَلَيْكُمْ» بِفِعْلِ الْوَصِيٍّ؛ فَمُجَازٌ عَلَيْهِ.

(١) أي شدودًا.

(٢) وليس المراد أنه يقدر عامل من مادة «مدح» فقط؛ بل المراد أنه معمول لفعل محذوف كأخص أو أذكر أو أمدح؛ وهو للتبني على فضيلة الصبر.

(٣) بأن يكون القاتل مثل المقتول أو أدنى منه، ولا فلا قود.

(٤) أي: فلو قتل بسيف فإنه يقتل به، أو بغيره فغيره.

(٥) كما عند البخاري (٢٤١٣)، ومسلم (١٦٧٢) من حديث أنس؛ أن النبي ﷺ أمر برض - دق - رأس يهودي بين حجرين؛ لرضه رأس جارية.

(٦) كما عند البخاري (٣٠٤٧)، ومسلم (١٣٧٠) من حديث علي مرفوعًا: «لا يقتل مسلم بكاف».

(٧) أي: القصاص، ولو شيئًا يسيرًا كمشره، وذلك إذا كان الولي واحدًا وعفا عن بعض القصاص.

(٨) أي: من الله ﷻ.

(٩) أي: علاماته؛ كالأمراض الشديدة والجراحات التي يظن منها الموت عادة.

(١٠) أي: محضة، لم يكن فيها معنى الشرط، بل المراد منها الوقت والزمن. وتقدير الكلام: «كُتِبَ عَلَيْكُمْ الْوَصِيَّةُ إِذَا حَضَرَ أَي وقت حضور الموت».

(١١) أي: ودال على جواب «إن». (١٤) صحيح سنن الترمذي (٢٢١٨). (١٥) أي: مع مراعاة معنى «من»، ولو راعى لفظها فقال: على الذي بدله. ولو أضمر لقال: عليه.

فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بِنَهْمِهِ فَلَا إِنَّمَا عَلَيْهِ إِنْ آتَى اللَّهُ عَفْوَ رَجِيمٌ ﴿١٨٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَا مَا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَتْ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَإِنْ تَصَوْمُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِلِعَالَمِهِمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾

[١٨٢] ﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ مُخَفَّفًا وَمُنْفَلًا﴾ (١) ﴿جَنَفًا﴾ ميلاً عن الحق خطأ ﴿أَوْ إِثْمًا﴾ بأن تعمد ذلك بالزيادة على الثلث أو تخصيص غني مثلاً ﴿فَأَصْلَحَ بِنَهْمِهِ﴾ بين الموصي والموصى له بالأمر بالعدل ﴿فَلَا إِنَّمَا عَلَيْهِ﴾ في ذلك ﴿إِنَّ اللَّهَ عَفْوٌ رَجِيمٌ﴾.

[١٨٣] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ من الأمم ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ المعاصي؛ فإنه يكسر الشهوة التي هي مبدؤها.

[١٨٤] ﴿أَيَّامًا﴾ نصب بالصيام، أو «صوما» مقدرًا ﴿تَمَعْدُودَاتٍ﴾ أي: قلائل أو مؤقتات بعدد معلوم؛ وهي: رمضان، كما سيأتي، وَقَلَّةٌ تسهلاً على المكلفين ﴿فَمَنْ كَانَتْ مِنْكُمْ﴾ حين شهوده ﴿مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ﴾ أي: مسافراً سفر القصر، وأجهد الصوم في الحالين؛ فأفطر ﴿فَعِدَّةٌ﴾ فعلية عدة ما أفطر ﴿وَمِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ بصومها بدله ﴿وَعَلَى الَّذِينَ لَا يُطِيقُونَهُ﴾ لكبر أو مرض لا يُجِزِي برؤيه ﴿فِدْيَةٌ﴾ هي: ﴿طَعَامُ مَسْكِينٍ﴾ أي: قدر ما يأكله في يومه؛ وهو: مُدٌّ من غالب قوت البلد لكل يوم، وفي قراءة بإضافة ﴿فِدْيَةٌ﴾ (٢)، وهي للبيان - وقيل: (لا) غير مقدره (٣)، وكانوا مخيرين في صدر الإسلام بين الصوم والفدية، ثم نَسَخَ بتعيين الصوم بقوله: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمْ أَشْهَرٌ فَلْيَصُمْهُ﴾ قال ابن عباس: إلا الحامل والمرضع إذا أفطرتا خوفاً على الولد؛ فإنها باقية بلا نسخ في حقهما ﴿فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ بالزيادة على القدر المذكور في الفدية ﴿فَهُوَ﴾ أي: التطوع ﴿خَيْرٌ لَكَ وَأَنْ تَصُومُوا﴾ مبتدأ خبره: ﴿خَيْرٌ لَكُمْ﴾ من الإفطار والفدية ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنه خير لكم فافعلوه.

تلك الأيام [١٨٥] ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا في ليلة القدر منه ﴿هُدًى﴾ حال؛ هادياً من الضلالة ﴿لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ﴾ آيات واضحات ﴿وَمِنْ الْفُرْقَانِ﴾ بما يهدي إلى الحق من الأحكام ﴿وَمِنْ﴾ من ﴿الْفُرْقَانِ﴾ مما يفرق بين الحق والباطل ﴿فَمَنْ شَهِدَ﴾ حضر ﴿بِنَهْمٍ أَشْهَرٌ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ تقدم مثله، وكرر؛ لئلا يتوهم نسخه بتعميم من شهد (٤) ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ ولذا أباح لكم الفطر في المرض والسفر؛ ولكون ذلك في معنى العلة أيضاً؛ للأمر بالصوم (٥) ﴿عَطَفَ عَلَيْهِ﴾ ﴿وَلِتُكْمِلُوا﴾ بالتخفيف والتشديد (٦) ﴿الْعِدَّةَ﴾ أي: عدة صوم رمضان ﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ﴾ عند إكمالها ﴿عَلَى مَا هَدَيْتُمْ﴾ أرشدكم لمعالِم دينه ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ الله على ذلك.

وسأل جماعة النبي ﷺ: أقرئ ربنا فتناجيه أم يعيد فتناديه؟ فنزل: [١٨٦] ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ (٧) منهم بعلمي فأخبرهم بذلك ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ بإنالته ما سأل ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾ دعائي بالطاعة ﴿وَلْيُؤْمِنُوا﴾ يداوموا على الإيمان ﴿بِلِعَالَمِهِمْ يَرْشُدُونَ﴾ بهتدون.

(١) بفتح الواو وتشديد الصاد حمزة والكسائي وشعبة.
 (٢) نافع وابن ذكوان، ومع جمع ﴿مَسْكِينٍ﴾ نافع وابن عامر.
 (٣) أي: لفظه لآله غير مقدره في قوله: ﴿يُطِيقُونَهُ﴾، وعلى التفسير الأول بتقدير لآله تكون الآية محكمة، وعند عدم التقدير تكون منسوخة.
 (٤) فإنه يعم المسافر وغيره والمرضى وغيره.
 (٥) أي: صوم القضاء يعني: من غير تعقيد بتتابع أو غيره.
 (٦) أي: بتشديد الميم مع فتح الكاف لشعبة.
 (٧) أخرجه ابن جرير والبخاري في معجمه وابن أبي حاتم وغيرهم من طريق الضُّبِّي بن حكيم عن أبيه عن جده. وفي الدر المنثور: عن طريق الضُّبِّي بن حكيم عن رجل من الأنصار عن أبيه عن جده (٣٥٢/١). وضعفه أحمد شاكر في تعليقه على جامع البيان (٤٨١/٣).

[١٨٧] ﴿أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّبَاوِ الرَّفْعُ﴾ بمعنى الإفشاء ﴿إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ بالجماع، ونزل نسخًا لما كان في صدر الإسلام على تحريمه وتحريم الأكل والشرب بعد العشاء^(١) ﴿هُنَّ نِسَاءُ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٍ لِهِنَّ﴾ كناية عن تعاقبهما أو احتياج كل منهما إلى صاحبه ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنْتُمْ كُنْتُمْ تَحْتَانُوتَ﴾^(٢) تخونون ﴿أَنْفُسَكُمْ﴾ بالجماع ليلة الصيام؛ وقع ذلك لعمر وغيره^(٣)، واعتذروا إلى النبي ﷺ ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ قَبْلَ تَوْبَتِكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ إِذْ أَحَلَّ لَكُمْ ﴿نَبَشْرُوهُنَّ﴾ جامعوهن ﴿وَابْتَغُوا﴾ اطلبوا ﴿مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ أي: أباحه من الجماع أو قدَرَهُ مِنَ الْوَلَدِ ﴿وَكُلُوا﴾ وَأَشْرَبُوا اللَّيْلَ كُلَّهُ ﴿حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمْ﴾ يظهر ﴿لَكُمْ الْخَطِيطَ الْأَبْيَضَ مِنَ الْخَطِيطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ أي: الصادق؛ بيان للخط الأبيض، وبيان الأسود محذوف؛ أي: من الليل؛ شَيْءٌ مَا يَبْدُو مِنَ الْبَيَاضِ وَمَا يَمْتَدُّ مَعَهُ مِنَ الْغَيْشِ^(٤) يخيطين أبيض وأسود في الامتداد ﴿فَتَرَى أَتَمَّوُا الصِّيَامَ﴾ من الفجر ﴿إِلَى الْبَيْتِ﴾ أي: إلى دخوله بغروب الشمس ﴿وَلَا تَبَشِّرُوهُنَّ﴾ أي: نساءكم ﴿وَأَنْتُمْ عَلَيْكُمْ﴾ مقيمون بنية الاعتكاف ﴿فِي الْمَسْجِدِ﴾ متعلق بـ ﴿عَلَيْكُمْ﴾، نهي لمن كان يخرج وهو معتكف فيجامع امرأته ويعود ﴿بِتِلْكَ﴾ الأحكام المذكورة ﴿حُدُودَ اللَّهِ﴾ حُدَّهَا لِعِبَادِهِ لِيُقْفُوا عِنْدَهَا ﴿فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ أبلغ من «لا تتعدوها» المعبر به في آية أخرى^(٥) ﴿كَذَلِكَ﴾ كما بيّن لكم ما ذكر ﴿بَيَّنَّ اللَّهُ إِلَيْكُمْ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ محارمة^(٦). [١٨٨] ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ﴾ أي: يأكل بعضهم مال بعض ﴿بِالْبَاطِلِ﴾ الحرام شرعًا؛ كالسرقة والغصب ﴿وَوَ﴾ لا^(٧) ﴿تُدُلُّوهُ﴾ تلقوا^(٨) ﴿بِهَا﴾ أي: بحكومتها^(٩) أو بالأموال رشوة ﴿إِلَى الْمَخْذِيِّ﴾ لِتَأْكُلُوا بِالْحَاكِمِ ﴿قَرِيبًا﴾ طائفة ﴿مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ﴾ متلبسين ﴿بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنكم مطبوعون.

[١٨٩] ﴿يَسْتَلُونَكُمْ﴾ يا محمد ﴿عَنِ الْأَوْلَادِ﴾ جمع هلال: لم تبدؤا ذِقْفَةً، ثم تزيد حتى تمتلئ نورا، ثم تعود كما بدت، ولا تكون على حالة واحدة؛ كالشمس^(١٠)؟! ﴿فَلِ﴾ لهم: ﴿هِيَ مَوْقِفٌ﴾ جمع ميقات ﴿لِلنَّاسِ﴾ يعلمون بها أوقات زرعهم، ومناجرهم، وعدد نساءهم، وصيامهم، وإفطارهم ﴿وَالْحَسْبُ﴾ عطف على الناس؛ أي: يُعْلَمُ بِهَا وَقْتُهُ؛ فلو استمرت على حالة، لم يُعْرِضْ ذَلِكَ ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾ في الإحرام؛ بأن تقبوا فيها فبقا تدخلون منه وتخرجون، وتركو الباب، وكانوا يفعلون ذلك ويزعمونه براءً ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ﴾ أي: ذا البر ﴿مَنْ أَتَى اللَّهَ بِرِجَالٍ مُخْلِصَةٍ﴾ وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ في الإحرام

أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّبَاوِ الرَّفْعُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ نِسَاءُ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لِهِنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنْتُمْ كُنْتُمْ تَحْتَانُوتُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ إِذْ أَحَلَّ لَكُمْ نَبَشْرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَأَشْرَبُوا اللَّيْلَ كُلَّهُ حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمْ الْخَطِيطَ الْأَبْيَضَ مِنَ الْخَطِيطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتَمُّوُا الصِّيَامَ إِلَى الْبَيْتِ وَلَا تَبَشِّرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَلَيْكُمْ فِي الْمَسْجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يَبَيِّنَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدُلُّوهُنَّ إِلَى الْمَخْذِيِّ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿يَسْتَلُونَكُمْ عَنِ الْأَهْلِ قُلُوبُهَا هِيَ مَوْقِفٌ لِلنَّاسِ وَالْحَسْبُ﴾ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِرِجَالٍ مُخْلِصَةٍ وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَأَتَوْا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتَلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ

﴿وَأَتَقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ تفوزون^(١١).

وَمَا ضَدَّ ﷺ عن البيت عام الحديبية، وضالَّح الكفاز على أن يعود العام القابل ويُخَلُّو له مكة ثلاثة أيام، وتَجَهَّزَ لعمرة القضاء، وخافوا أن لا تفي قريش ويقاتلوهم، وكرة المسلمون قتالهم في الحرم والإحرام والشهر الحرام، نزل: [١٩٠] ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: لإعلاء دينه ﴿الَّذِينَ يُقْتَلُونَكُمْ﴾ الكفار ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾ عليهم بالابتداء بالقتال ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ المتجاوزين ما حدَّ لَهُمْ، وهذا منسوخ بآية براءة^(١٢)، أو بقوله:

(٥) ما جاء في نزول الآية (١٨٧): أخرج البخاري عن أبي إسحاق قال: سمعت البراء ﷺ: لما نزل صوم رمضان كانوا لا يقربون النساء رمضان كله، وكان رجال يخونون أنفسهم فأنزل الله: ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنْتُمْ كُنْتُمْ تَحْتَانُوتُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ﴾ البخاري - كتاب التفسير (٦٥) - سورة البقرة: (٢) باب (٢٧). وأخرج أيضًا عن البراء ﷺ قال: وكان أصحاب محمد ﷺ إذا كان الرجل صائمًا فحضر الإفطار فنام قبل أن يظفر لم يأكل ليلته ولا يومه حتى يمسي، وإن قبس من صيرمة الأضراري كان صائمًا، فلما حضر الإفطار أتى امرأته فقال لها: أعندك طعام؟ قالت: لا، ولكن أطلق فأطلب لك، وكان يومه يعمل، فقلبه عيناه، فجاءت امرأته، فلما رأتها قالت: خيبة لك، فلما انتصف النهار غشي عليه. فذكر ذلك للنبي ﷺ فنزلت هذه الآية: ﴿أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّبَاوِ الرَّفْعُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ فزحوا بها فرحا شديدًا، ونزلت: ﴿وَكُلُوا وَأَشْرَبُوا حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمْ الْخَطِيطَ الْأَبْيَضَ مِنَ الْخَطِيطِ الْأَسْوَدِ﴾ البخاري - كتاب الصوم (٣٠) باب (١٥). (٥٥) ما جاء في نزول الآية (١٨٩): أخرج البخاري عن أبي إسحاق قال: سمعت البراء ﷺ يقول: «نزلت هذه الآية فبنا؛ كانت الأضراس إذا حجوا فجعوا لم يدخلوا من قبل أبواب بيوتهم، ولكن

(١) أي: دخول وقتها أو بعد النوم ولو قبلها، كما حصل لقبس من صيرمة؛ فغشي عليه نصف النهار من الجوع، رواه البخاري (١٩١٥) وسيأتي في أسباب النزول. (٢) لم يقل: «تخونون» لأنه لم تكن منهم الخيانة، بل كان منهم الاختيان؛ وهو: تحرك الإنسان للوقوع في الخيانة. (٣) رواه أحمد في المسند (١٥٣٦٨) من حديث كعب بن مالك، وأبو داود في سننه (٢٣١٣) من حديث ابن عباس بنحوه، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢٠٢٨).

(٤) بقية الليل أو ظلمة آخر الليل، والمراد باستداده مع اتصاله به على سبيل التعاقب. (٥) هي الآية ٢٢٩ من هذه السورة. (٦) إشارة إلى أن ﴿تُدُلُّوهُ﴾ مجزوم عطفًا على النهي، ويؤيده قراءة أبي: ﴿وَلَا تَدُلُّوهُ﴾ بإعادة «لا» الناهية. (٧) أي: تسرعوا وتبادروا؛ أي: لا تسرعوا بالخصومة على الأموال إلى الحكام؛ ليعينكم على إبطال حق أو تحقيق باطل. (٨) أي بإقامة الدعوى بها باطلًا. (٩) وهذه صيغة سؤالهم. (١٠) وهي قوله - تعالى -: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً﴾ [براءة: ٣٦]، قال ابن كثير بعد أن حكى هذا القول: «وفي هذا نظر، لأن قوله: ﴿الَّذِينَ يُقْتَلُونَكُمْ﴾ إنما هو

حَتَّى لَا تَكُونَ تَوَجِدُ فِيهِ شَرِكًا ﴿١٩٤﴾ وَتَكُونَ مِنَ الْعَابِدِينَ ﴿١٩٥﴾ لِلَّهِ وَحْدَهُ، لَا يُعْبَدُ سِوَاهُ ﴿١٩٦﴾ فَإِنِ انْتَهَوْا عَنِ الشَّرِكِ، فَلَا تَعْتَدُوا عَلَيْهِمْ؛ ذَلِكَ عَلَى هَذَا: ﴿فَلَا تَعْتَدُوا﴾ اعتداء بقتل أو غيره ﴿إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ ومن انتهى فليس بظالم؛ فلا عدوان عليه. [١٩٤] ﴿الْمَنْعَرُ لَقَرَامٌ﴾ الحرم مقابل ﴿بِالْمَنْعَرِ﴾ ﴿وَالْمَنْعَرُ﴾ جمع حرمة؛ ما يجب احترامه ﴿فِيصَاصٌ﴾ أي: يقتصر بمنه إذا انتهكت ﴿فَمَنْ أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ بالقتال في الحرم أو الإحرام أو الشهر الحرام ﴿فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ سقى مقابلته اعتداء؛ لشيءها المقابل به في الصورة ﴿وَأَتَقُوا اللَّهَ﴾ في الانتصار وترك الاعتداء ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَعَّ الْمُتَّقِينَ﴾ بالعون والنصر. [١٩٥] ﴿وَأَفِيقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ طاعته بالجهاد وغيره ﴿وَلَا تَقْفُوا يَأْيُدِيكُمْ﴾ أي: أنفسكم، والباء زائدة ﴿إِلَى الْهَيْكَلِ﴾ الهلاك؛ بالإمسك عن النفقة في الجهاد^(١)، أو تركه؛ لأنه يقوي العدو عليكم ﴿وَأَخِيصُوا﴾ بالنفقة وغيرها ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ أي: يبيهم^(٢).

[١٩٦] ﴿وَأَتَمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ أودهما بحقهما ﴿فَإِنِ أَحْصَرْتُمْ﴾ مُغَيِّضٌ عن إتمامها بعدو ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ﴾ تسر ﴿مِنَ الْمَدْيَةِ﴾ عليكم؛ وهو: شاة ﴿وَلَا تَحْمِلُوا زِينَاكُمْ﴾ أي: لا تتحللوا ﴿حَتَّى تَبْلُغَ الْمَدْيَةَ﴾ المذكور ﴿حِجْرًا﴾ حيث يجلب ذبجه؛ وهو: مكان الإحصار عند الشافعي؛ فيذبح فيه بنية التحلل، ويفرق على مساكنه، ويحلق، وبه يحصل التحلل. ﴿فَمَنْ كَانَ مِنكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ آذَى مِنْ زَانِيَةٍ﴾ كتمل وصداق، فحلق في الإحرام ﴿فَذَبْحَةً﴾ عليه ﴿مِنَ صِيَارِهِ﴾ ثلاثة أيام ﴿أَوْ صَدَقَةً﴾ بثلاثة أصع من غالب قوت البلد على ستة مساكن ﴿أَوْ نُسُكًا﴾ أي: ذبح شاة، وأو: للتخيير، والحق به من خلق لغير عذر؛ لأنه أولى بالكفارة، وكذا من استمتع بغير الحلق؛ كالطيب واللبس والدهن لعذر أو غيره ﴿وَإِذَا أَسَيْتُمْ﴾ العدو، بأن يذهب، أو لم يكن ﴿فَمَنْ تَمَنَّعَ﴾ استمتع ﴿بِالْعُمْرَةِ﴾ أي: بسبب فراغه منها بمحظورات الإحرام^(٣) ﴿إِلَى الْحَجِّ﴾^(٤) أي: إلى الإحرام به بأن يكون أحرم بها في أشهره ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ﴾ تسر ﴿مِنَ الْمَدْيَةِ﴾ عليه؛ وهو: شاة يذبحها بعد الإحرام به، والأفضل يوم النحر^(٥) ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ﴾ الهدى؛ لفقده أو فقد ثمنه ﴿فَصِيَامٌ﴾ أي: فعله صيام ﴿ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنَ الْحَجِّ﴾ أي: في حال الإحرام به؛ فيجب حينئذ أن يُحْرِمَ قبل السابع من ذي الحجة، والأفضل قبل السادس؛ لكرهه صوم يوم عرفة، ولا يجوز صومها أيام التشريق على أصح قولي الشافعي ﴿وَسَبْعًا﴾ إذا رَجَعْتُمْ إِلَى وِطَنِكُمْ مَكَّةَ أَوْ غَيْرَهَا، وقيل: إذا فرغتم من أعمال الحج، وفيه

وَأَقْبَلُوهُم مِّنْ حَيْثُ تَفْتَنُوهُمْ وَأَخْرَجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوهُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تَقْتُلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يَقْتُلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَتَلْتُمْ فَأَقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿١٩٧﴾ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٨﴾ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٩٩﴾ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَتُ قِصَاصٌ فَمَنْ أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَعْمُوا أَنَّهُ اللَّهُ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٠٠﴾ وَأَفِيقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تَقْفُوا يَأْيُدِيكُمْ إِلَى الْهَيْكَلَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٠١﴾ وَأَتَمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنِ أَحْصَرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْمِلُوا زِينَاكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ آذَى مِنْ رَأْسِهِ فَفِذْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَسَيْتُمْ فَمَنْ تَمَنَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فِصْيَامًا فَلِثَّةٌ آتِيًا فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٌ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْكُمْ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلَهُ حَاضِرًا الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٠٢﴾

[١٩٧] ﴿وَأَقْبَلُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ تَفْتَنُوهُمْ﴾ وجدتموهم ﴿وَأَخْرَجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوهُمْ﴾ أي: من مكة، وقد فعل بهم ذلك عام الفتح ﴿وَالْفِتْنَةُ﴾ الشرك منهم ﴿أَشَدُّ﴾ أعظم ﴿مِنَ الْقَتْلِ﴾ لهم في الحرم والإحرام الذي اشتغلتموه ﴿وَلَا تَقْتُلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أي: في الحرم ﴿حَتَّى يَقْتُلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَتَلْتُمْ فِيهِ فَأَقْتُلُوهُمْ﴾ فيه، وفي قراءة: بلا ألف في الأفعال الثلاثة^(١) ﴿كَذَلِكَ﴾ القتل والإحراج ﴿جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾. [١٩٨] ﴿فَإِنِ انْتَهَوْا﴾ عن الكفر وأسلموا ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لهم ﴿رَّحِيمٌ﴾ بهم. [١٩٩] ﴿وَقَاتِلُوهُمْ

= من ظهورها، فجاء رجل من الأنصار فدخل من قبل بابه فكانه غير بذلك، فنزلت: ﴿وَلَيْسَ الذِّمِّيُّ بِأَنَّ تَأْتُوا الشِّيْطَانَ مِنْ ظُهُورِكُمْ وَكَذَلِكَ أَلِيمٌ مِنَ الشَّقْوَى وَأَتُوا الشِّيْطَانَ مِنْ أَيْمَانِهِمْ﴾ البخاري - باب (١٨) كتاب العمرة (٢٦). وفي رواية عن البراء قال: كانوا إذا أحرموا في الجاهلية أتوا البيت من ظهره فانزل الله: ﴿وَلَيْسَ الذِّمِّيُّ بِأَنَّ تَأْتُوا الشِّيْطَانَ مِنْ ظُهُورِكُمْ...﴾ الآية. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة البقرة (٢) باب (٢٩).

(٥) ما جاء في نزول الآية (١٩٥): أخرج أبو داود عن أسلم أبي عمران قال: غزونا من المدينة زيد القسطنطينية، وعلى الجماعة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، والروم ملصقو ظهورهم بحائط المدينة، فحمل رجل على العدو، فقال الناس: مئة مئة، لا إله إلا الله، يلقي يديه إلى الهلاك! فقال أبو أوب: إنما نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار، لما نصر الله نبيه وأظهر الإسلام، قلنا: هل من نقيم في أمواتنا ونصلحها، فانزل الله تعالى: ﴿وَأَفِيقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تَقْفُوا يَأْيُدِيكُمْ إِلَى الْهَيْكَلَةِ﴾؛ فالإلقاء بالأيدي إلى الهلاك: أن نقيم في أمواتنا، ونصلحها، وندع الجهاد... أبو داود كتاب الجهاد (٩) باب (٢٣)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢١٩٣).

= تهيج وإغراء بالأعداء الذين همتهم قتال الإسلام وأهله، أي: كما يقاتلونكم فاقبلوهم أتمم؛ كما قال: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا قَاتَلْتُمُوهُمْ كَافَّةً﴾؛ ولهذا قال في هذه الآية: ﴿وَأَقْبَلُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ تَفْتَنُوهُمْ وَأَخْرَجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجْتُمُوهُمْ﴾ أي: تكون همتمكم منعمة على قتلهم كما أن همتهم منعمة على قتالكم، وعلى إخراجهم من بلادهم التي أخرجوكم منها قساصاً. وقوله: ﴿وَلَا تَمَسُّوهُم بِالسَّبِيلِ﴾ أي: قاتلوا في سبيل الله ولا تعتدوا في ذلك، ويدخل في ذلك ارتكاب المناهي... من المَلَكَةِ وَالْعُقُولِ، وَقَتْلُ النِّسَاءِ وَالصَّبِيَّانِ وَالشُّوْبَحِ الَّذِينَ لَا رَأْيَ لَهُمْ وَلَا قَاتِلَ فِيهِمْ، وَالرَّهْيَانِ، وَأَصْحَابِ الصَّوَامِعِ، وَتَحْرِيقِ الْأَشْجَارِ، وَقَتْلِ الْحَيْوَانِ لِغَيْرِ مَصْلَحَةٍ... (١) حمزة والكسائي.

(٢) وهذا مذهب الأشاعرة وأمثالهم من المبتدعة الذين يؤولون الصفات بدعوى أنها تورم نقضاً في حق الخالق، أما أهل السنة فيثبتونها لله على ما يليق بجلاله، من غير أن يقضي ذلك نقضاً أو تشبيهاً، كما يثبتون لازمها؛ وهو: إرادته - سبحانه - إكرام أهل محبته وإثابتهم، وهذه الصفة ثابتة بالكتاب والسنة والإجماع.

(٣) متعلق بتمتع. (٤) متعلق بمحذوف؛ أي: واستمر تمعه وانتفاعه بالمحظورات إلى الحج. (٥) هذا قول الشافعي. والجمهور على أن وقت ذبجه يوم النحر، فلا يجوز ذبح الهدى قبله كالأضحية.

التفات عن الغيبة^(١). **﴿وَتِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ﴾** جملة تأكيد لما قبلها **﴿ذَلِكَ﴾** الحكم المذكور من وجوب الهدى أو الصيام على من تمتع **﴿لَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلَهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْمَرْأَةِ﴾** بأن لم يكونوا على دون مرحلتين من الحرم عند الشافعي، فإن كان فلا دم عليه ولا صيام وإن تمتع، وفي ذكر الأهل إشعار باشتراك الاستيطان؛ فلو أقام قبل أشهر الحج ولم يستوطن فعله ذلك، وهو أحد وجهين عند الشافعي، والثاني؛ لا، والأهل كناية عن النفس^(٢)، وألحق بالمتمتع - فيما ذكر السنة - الفأرن؛ وهو: من أحرم بالعمرة والحج معاً أو يُذخِل الحج عليها قبل الطواف^(٣) **﴿وَأَتَقُوا اللَّهَ﴾** فيما يأمركم به وينهاكم عنه **﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَيِّدُ أَعْيَابٍ﴾** لئلا تخالفه.

[١٩٧] **﴿الْحَجَّ﴾** وقته **﴿أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ﴾** شوال وذو القعدة وعشر ليل من ذي الحجة، وقيل: كله **﴿مَنْ قَرَضَ﴾** على نفسه **﴿فِيهِ الْحَجَّ﴾** بالإحرام به **﴿فَلَا زَنْتَ﴾**^(٤) جماع فيه **﴿وَلَا فُشِقَ﴾**^(٥) متعص **﴿وَلَا جِدَالَ﴾** خصام **﴿فِي الْحَجِّ﴾** وفي قراءة: بفتح الأولين^(٦)، والمراد في الثلاثة النهي **﴿وَمَا تَعْلَمُوا مِنْ حَيْرٍ﴾** كصدقة **﴿يَسْأَلُكُمْ اللَّهُ﴾** فيجازيكم به.

ونزل في أهل اليمن - وكانوا يحجون بلا زاد؛ فيكونون كلأ على الناس^(٧) - **﴿وَسَكَرُودُوا﴾** ما يبلغكم لسفركم **﴿فَلَا تَحَيْرَ الزَّادِ النَّقْوَى﴾** ما يبقى به سؤال الناس وغيره **﴿وَأَتَقُوا يَا أُولَى الْأَلْبَابِ﴾** ذوي العقول [١٩٨] **﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾** في **﴿أَنْ تَبْتَغُوا﴾** طلبوا **﴿فَضَلَّ﴾** زرقاً **﴿وَبَيْنَ رَبَّيْكُمْ﴾** بالتجارة في الحج، نزل زداً لكرهتهم ذلك^(٨) **﴿فَإِذَا أَقَضْتُمْ﴾** دفعتم **﴿وَبَيْنَ عَرَاقَتِ﴾** بعد الوقوف بها **﴿فَإَذْكُرُوا اللَّهَ﴾** بعد المبيت بمزدلفة بالتلبية والتهليل والدعاء **﴿عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾** هو جبل في آخر المزدلفة يقال له: قُوح^(٩). وفي الحديث: **﴿اللَّهُ يَلْبَسُهُ وَقَفَّ بِهِ، يَذْكُرُ اللَّهُ وَيَدْعُو، حَتَّى أَشْفَرَّ جِدًّا﴾**^(١٠) [رواه مسلم] **﴿وَأَذْكُرُوا كَمَا هَدَيْتُمْ﴾** لعالم دينه ومناسك حجه، والكاف للتعليل **﴿وَأَنْ مَخْفَةٌ﴾** كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ.

قبل هداة **﴿لِيَمُنَّ الْمَسْأَلِينَ﴾** [١٩٩] **﴿ثُمَّ أَيْضُوا﴾** يا قريش **﴿وَبَيْنَ حَيْثُ أَكَاصُ الْكَاثِ﴾** أي: من عرفه؛ بأن تقفوا بها معهم، وكانوا يقفون بالمزدلفة؛ ترفعان عن الوقوف معهم، و«ثم» للترتيب في الذكر **﴿وَأَسْتَنْبُوا اللَّهَ﴾** من ذنوبكم **﴿إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ﴾** للمؤمنين **﴿رَجِيمٌ﴾** بهم^(١١) [٢٠٠] **﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ أَدْبَاتُمْ﴾** نَسَائِكُكُمْ عبادات حجكم؛ بأن رَمَيْتُمْ جِمْرَةَ الْعَقِيبَةِ وَطَعْتُمْ وَاسْتَقْرَضْتُمْ يَمِينِي **﴿فَإَذْكُرُوا اللَّهَ﴾** بالتكبير والنساء **﴿كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ﴾** كما كنتم تذكرونهم عند فراغ حجكم بالمفاخرة^(١٢) **﴿أَوْ أَسَكَّدَ ذِكْرًا﴾** من ذكركم بإهام، ونصب **﴿أَسَكَّدَ﴾** على الحال من ذكر المنصوب به [اذكروا]؛

الْحَجَّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ مَن قَرَضَ فِيهِ رَبَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَتْ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَعْلَمُوا مِنْ حَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ النَّقْوَى وَأَتَقُوا يَا أُولَى الْأَلْبَابِ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَقَضْتُمْ مِنْ عَرَاقَتِ فَادْكُمْ وَاللَّهُ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَأَذْكُرُوا كَمَا هَدَيْتُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ ثُمَّ أَيْضُوا مِنْ حَيْثُ أَقَاصُ النَّاسِ وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَجِيمٌ فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَادْكُمْ وَاللَّهُ كَذِكْرِكُمْ ءَابَاءَكُمْ أَوْ أَسَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً لَهُمْ تَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ

إذ لو تأخر عنه لكان صفة له **﴿فَيَوْمَ﴾** الناس من يقول **﴿رَبَّنَا آتِنَا﴾** نصيباً **﴿فِي الدُّنْيَا﴾** فيؤتاه فيها **﴿وَمَا لَهُ﴾** في الآخرة من خلقي نصيب [٢٠١] **﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾** نعمة **﴿وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾** هي الجنة **﴿وَفَقَاتِ عَدَابِ النَّارِ﴾** بعدم دخولها، وهذا بيان لما كان عليه المشركون ولحال المؤمنين، والقصد به الحث على طلب خير الدارين، كما وعد بالثواب عليه بقوله: [٢٠٢] **﴿أُولَئِكَ لَهُمْ تَصِيبٌ﴾** ثواب **﴿تَصِيبٌ﴾** من أجل **﴿مِمَّا كَسَبُوا﴾** عملوا من الحج والدعاء **﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾** يحاسب الخلق كلهم في قدر نصف نهار من أيام الدنيا؛ لحدوث

= وأخرج البخاري عن حذيفة: **﴿وَأَنْبِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾** قال: نزلت في النفقة البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة البقرة (٢) باب (٣١).
 (٥) ما جاء في نزول الآية (١٩٧): أخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما: كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون، ويقولون: نحن المتوكلون، فإذا قدموا مكة سألوهم الله تعالى: **﴿وَسَكَرُودُوا﴾** فلبك حَيْرَ الزَّادِ النَّقْوَى. البخاري - كتاب الحج (٢٥) باب (٦) قول الله تعالى: **﴿وَسَكَرُودُوا...﴾**
 (٥٥) ما جاء في نزول الآية (١٩٨): أخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كانت عكاظ ومجنته وذو الحجاز أسواقاً في الجاهلية، فلما كان الإسلام، كأنهم تأمروا، فنزلت: **﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ﴾**. البخاري - كتاب البيوع (٣٤) باب (١).
 (٥٥) ما جاء في نزول الآية (١٩٩): أخرج البخاري عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها: «كانت قريش ومن دان دينها يقفون بالمزدلفة، وكانوا يسمون الحرس، وكان سائر العرب =

(١) حيث روعي معنى ضمير الجمع **﴿مَنْ﴾**، ولو روعي اللفظ لقل: إذا رجع، بضمير الغيبة.
 (٢) وهو معنى بعيد، والأولى ما قاله غيره: من أن المراد بالأهل: الزوجة والأولاد دون الآباء والإخوة؛ ومعدوم الأهل المتوطن بنفسه كذلك، وإنما عبر بالأهل لكون شأن التوطن يكون بذلك.
 (٣) أي: قبل الشروع في طوافها. (٤)، (٥) قرأ ابن كثير وأبو عمرو: **﴿فَلَا رَفَتْ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ﴾** بتنوين ورفع «رفت» و«فسوق». وقرأ بقية السبعة: **﴿فَلَا رَفَتْ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ﴾**.
 (٦) أي: «رفت» و«فُسُوقَ» وهي قراءة بقية السبعة كما تقدم. (٧) وزن عمر.
 (٩) عن ابن عباس **﴿﴾** قال: كان أهل الجاهلية يقفون في الموسم، يقول الرجل منهم: كان أبي يطعم ويحمل الحملات، ويحمل الديبات، ليس لهم ذكر غير فعال آبائهم؛ فأقول الله: **﴿فَإَذْكُرُوا اللَّهَ﴾**
 (١٢) مسلم (١٢١٨).

﴿وَأذْكُرُوا لِلَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾^(١٢) وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ ۖ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿١٣﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴿١٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ وَجَهَنَّمُ وَلَيْسَ الْمَهَادُ ﴿١٥﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلَاحِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٧﴾ فَإِن زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَ تَكْمُلُ الْبَيِّنَاتِ فَاذْكُرُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ إِلَى اللَّهِ تَرْجِعَ الْأُمُورُ ﴿١٩﴾

بذلك^(١).

[٢٠٣] ﴿وَأذْكُرُوا لِلَّهِ﴾ بالتكبير عند رمي الجمرات ﴿فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾ أي: أيام التشريق الثلاثة ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ﴾ أي: استعجل بالنفر من يثى ﴿فِي يَوْمَيْنِ﴾ أي: في ثاني أيام التشريق بعد رمي جماره ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ بالتعجيل ﴿وَمَنْ تَأَخَّرَ﴾ بها حتى بات ليلة الثالث ورمى جماره ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ بذلك أي: هم مخيرون في ذلك ونفي الإثم ﴿لِمَنِ اتَّقَى﴾

أَتَقَى اللَّهُ فِي حَجِّهِ؛ لأنه الحاج في الحقيقة ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ في الآخرة؛ فيجازيكم بأعمالكم.

[٢٠٤] ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ ولا يعجبك في الآخرة؛ لمخالفته لاعتقاده ﴿وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ﴾ أنه موافق لقوله ﴿وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ شديد الخصومة لك ولأتباعك؛ لعداوته لك؛ وهو: الأخنس بن شريق؛ كان منافقاً حلوا الكلام للنبي ﷺ، يحلف أنه مؤمن به ومحب له؛ فيدني مجلسه؛ فأكذبه الله في ذلك، ومَرَّ بِرِزْقٍ وَخُبْرٍ لِبَعْضِ الْمُسْلِمِينَ فَأَحْرَقَهُ وَعَقَرَهَا لَيْلَةً^(٢)؛ كما قال - تعالى -: [٢٠٥] ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ انصرفت عنك ﴿سَعَىٰ﴾ مشى ﴿فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾ من جملة الفساد ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ أي لا يرضى به^(٣). [٢٠٦] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ﴾ في فعلك ﴿أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ﴾ حملته الأنفة والحمية على العمل ﴿بِالْإِثْمِ﴾ الذي أمر باتباعه ﴿فَحَسْبُهُ﴾ كافيه ﴿جَهَنَّمُ وَلَيْسَ الْمَهَادُ﴾ الفراش هي. [٢٠٧] ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُشْرِي بِسِعِّهِ نَفْسَهُ﴾ أي: يبدلها في طاعة الله ﴿بِابْتِغَاءِ﴾ طلب ﴿مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ رضاه؛ وهو: صهيب لما آذاه المشركون هاجر إلى المدينة وترك لهم ماله^(٤) ﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ حيث أرشدهم لما فيه رضاه. ونَزَلَ فِي عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ سَلَامٍ وَأَصْحَابِهِ لَمَّا عَظَمُوا السَّبْتَ^(٥) وكرهوا الإبل^(٦) بعد الإسلام: [٢٠٨] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ﴾ [فتح السين وكسرهما]^(٧)؛ الإسلام ﴿كَافَّةً﴾ حال من [السِّلْمِ]؛ أي: في جميع شرائعه ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ طَرِقِ الشَّيْطَانِ﴾ أي: تزيينه بالتفريق ﴿وَأَنَّكُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ بين العداوة.

[٢٠٩] ﴿كَلِمَاتٍ لَّا يَنْفَعُ الْكُفْرَ﴾ بلئتم عن الدخول في جميعه ﴿وَمَنْ يَمْسُرْ مَا جَاءَ تَكْمُلُ الْبَيِّنَاتِ﴾ الحجج الظاهرة على أنه حق ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ لا يعجزه شيء عن انتقامه منكم ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه.

[٢١٠] ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ ينتظر التاركون الدخول فيه ﴿وَلَا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾ أي: أمره^(٨)؛ كقوله: ﴿أَوْ يَأْتِي أَمْرٌ رَيْبُكَ﴾^(٩) أي: عذابه ﴿فِي ظُلَلٍ﴾ جمع ظلة ﴿وَمِنَ الْغَمَامِ﴾ السحاب ﴿وَالْمَلَائِكَةِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ ثم أمر هلاكهم ﴿وَزُلِّيَ اللَّهُ تَرْجِعَ الْأُمُورَ﴾ - البناء للمفعول والفاعل^(١٠) - في الآخرة؛ فيجازي كلاً بعمله.

= يقفون بعرفات، فلما جاء الإسلام أمر الله ﷺ أن يأتي عرفات ثم يقف بها، ثم يفيض منها، لذلك قوله تعالى: ﴿شَرُّ أَوْسُطُوا مِنْ حَيْثُ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) باب (٣٥)، وفي رواية قال: «أخبرني أبي عن عائشة رضي الله عنها أن هذه الآية نزلت في الحسن: ﴿شَرُّ أَوْسُطُوا مِنْ حَيْثُ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ قال: كانوا يفيضون من جمع إلى عرفات» البخاري - كتاب الحج (٢٥) باب (٩١) الوقوف بعرفة.

= كَوَكَّرُوا مَبَأَهُمْ أَوْ أَكْسَدُوا وَضَعُوا... أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٥٥/٢ رقم ١٨٧)، والسيوطي في الدر المنثور (٥٥٧/١). وحسنه صاحب الاستيعاب (١٤٢/١، ١٤٣). (١) لقد مها الجلال السيوطي كَتَلَفَهُ في وصفه نصف النهار بأنه من أيام الدنيا، والصحيح أنه نصف يوم مقداره خمسون ألف سنة، كما جاء في حديث ابن حبان عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «يقوم الناس لرب العالمين مقدار نصف يوم من خمسين ألف سنة...» وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ في عقاب ماني الزكاة في المحشر - قوله ﷺ: «في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد... البخاري (١٣١٤)، ومسلم (١٦٤٧)، وقد تكرر هذا السهو من السيوطي كَتَلَفَهُ في ثلاثة مواضع غير هذا، وهي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ اللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ آية ١٩٩ من آل عمران، وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ آية ٥١ من سورة إبراهيم، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ لِلتَّائِبِينَ﴾ آية ٦٢ من سورة الأنعام. ووقع مثله من الجلال المحلي في تفسيره قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ اللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ آية ١٧ من سورة غافر، وقد نبه على ذلك القاضي كتمان في فرة العيتين على تفسير الجلالين. (٢) أخرجه الطبري (٣٢٤/٢) في تفسيره عن السدي مرسلًا، ووضعه جدًا في الاستيعاب (١٤٤/١، ١٤٥). (٣) وهذا من تأويل صفة المحبة التي يهبها أهل السنة لله ﷻ على الوجه اللائق به، فهذا من تأويل الصفة ببعض لوازمها، وسبق بيان ذلك. (٤) جاء ذلك من عدة طرق كلها ضعيفة كما ذكر صاحب الاستيعاب (١٤٦/١، ١٤٧).

(٥) أي: الخنزيرة بتحريم الصيد فيه كما كان في شرع موسى. والأثر أخرجه الطبري (١٨٩/٢) من طريق ابن جريج عن عكرمة به. وهو مرسل ضعيف كما في الاستيعاب (١٤٨/١). (٦) حيث حرموا أكل لحومها وشرب ألبانها. (٧) بالفتح قراءة نافع وابن كثير والكسائي، وقرأ الباقون بالكسر. (٨) وهذا تأويل تأتأة النصوص وكلام السلف، وهو مذهب المبتدعة، أما الذي عليه السلف أهل السنة والجماعة: أن الإتيان والمجيء صفتان من صفات الفعل له - شَيْخَانَةٌ - وهما من أفعاله الاختيارية التي يبتونها لله - شَيْخَانَةٌ - على الوجه اللائق بجلاله وعظمته منزها عن جميع التشبيه الذي يحظر في عقول المعتدلة. [المفسرون بين الإثبات والتأويل (٢/ ٣٧٩)]. (٩) النحل: ٣٣. (١٠) قوله: (البناء للمفعول) يعني من الرجوع وهو الرد. وقوله: (والفاعل) يعني من =

[٢١١] ﴿سَلِّ﴾ يا محمد ﴿بِحَبْلِ إِسْرَائِيلَ﴾ نبيكيا: ﴿كَمْ ءَاتَيْنَهُمْ كَمْ استفهامية معلقة^(١)﴾ ﴿سَلِّ﴾ عن المفعول الثاني، وهي ثاني مفعولي «آتيناه»^(٢)، وميزها^(٣): ﴿مِنَ ءَايَمٍ يَبِينُ﴾ ظاهرة؛ كقلق البحر وإنزال المن والسلوى، فبدلوها كَفَرُوا ﴿وَمَنْ يَبْدُلْ يَمَّةَ اللَّهِ﴾ أي: ما أنعم به عليه من الآيات؛ لأنها سبب الهداية ﴿مَنْ بَعْدَ مَا جَاءَتْهُ﴾ كَفَرُوا ﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ له.

[٢١٢] ﴿زَيْنٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكة ﴿الْحَيوةُ الدُّنْيَا﴾ بالتمويه^(٤)؛ فأجبرها ﴿زَيْنٌ﴾ هُنَّ ﴿بِشَحْوَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ لفقهم؛ كبلال وعمار وصهيب؛ أي: يستهزئون بهم ويعالون عليهم بالمال ﴿وَالَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الشرك؛ وهم هؤلاء ﴿فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِعَمْرِ حِسَابٍ﴾ أي: رزقا واسعا في الآخرة أو الدنيا؛ بأن يملك المسخوّر منهم أموال الساحرين وراقبهم.

[٢١٣] ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ على الإيمان فاختلفوا؛ بأن آمن بعض وكفر بعض ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ﴾ إليهم ﴿مُبَشِّرِينَ﴾ من آمن بالجنة ﴿وَمُنذِرِينَ﴾ من كفر بالنار ﴿وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾ بمعنى: الكتب ﴿بِالْحَقِّ﴾ متعلق بـ﴿أَنْزَلَ﴾، ﴿لِيَحْكُمَ﴾ به ﴿بَيْنَ النَّاسِ﴾ فيما اختلفوا فيه ﴿مِنَ الدِّينِ﴾ وَمَا اختلف فيه ﴿أَي: الدِّينِ﴾ ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءُوتُوهُ﴾ أي: الكتاب؛ فأمن بعض وكفر بعض ﴿مَنْ بَعْدَ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ الحجج الظاهرة على التوحيد، و﴿مِنْ﴾ متعلقة بـ﴿اختلف﴾، وهي وما بعدها مقدم على الاستثناء في المعنى ﴿بَعْثًا﴾ من الكافرين ﴿بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اختلفوا فيه مِنَ الْبَيِّنَاتِ﴾ ﴿الْحَقِّ بِآيَاتِهِ﴾ بإرادته ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ هدايته ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ طريق الحق. ونزل في جهد أصاب المسلمين: [٢١٤] ﴿أَمْ﴾ بَلْ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا لَمْ يَأْتِكُمْ مَثَلٌ شِبْهُ مَا آتَى الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ من المؤمنين من الحن؛ فنصبروا كما صبروا ﴿مُسْتَبْرِحِينَ﴾ جملة مستأنفة مبنية ما قبلها ﴿أَلَيْسَاءُ﴾ شدة الفقر ﴿وَالضَّرَّاءُ﴾ المرض ﴿وَوَزَّلُوا﴾ أزعجوا بأنواع البلاء ﴿حَتَّى يَقُولَ﴾ بالنصب والرفع^(٥)؛ أي: قال ﴿الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ﴾ استبطاء للنصر؛ لنهاي الشدة عليهم: ﴿مَتَى﴾ يأتي ﴿نَضَّرَ اللَّهُ﴾ الذي وعدناه؛ فأجيبوا من قبل الله: ﴿أَلَا إِنَّ نَضَّرَ اللَّهُ قَرِيبٌ﴾ إتيانه

[٢١٥] ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ يا محمد: ﴿مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾ أي: الذي ينفقونه، والوسائل عمرو بن الجموح، وكان شيخا ذا مال، فسأل ﷺ عَمَّا ينفق وعلى مَنْ ينفق^(٦)؟ ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ﴾ بيان لـ﴿مَا﴾،

سَلِّ بِحَبْلِ إِسْرَائِيلَ كَرَّمَ ءَاتَيْنَهُمْ مِنْ ءَايَمٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يَبْدُلْ يَمَّةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ زَيْنٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيوةُ الدُّنْيَا وَسَحْوَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِعَمْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٣﴾ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اختلفوا فيه وَمَا اختلف فيه إِلَّا الَّذِينَ ءُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتِ بَعْثًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اختلفوا فيه مِنَ الْحَقِّ بِآيَاتِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢١٤﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْزِءُونَ وَالضَّرَّاءُ وَزَلَّلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَضَّرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَضَّرَ اللَّهُ قَرِيبٌ ﴿٢١٥﴾ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّذِينَ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُونَ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢١٦﴾

شامل للقليل والكثير، وفيه بيان التَّفَقُّ الذي هو أحد شقي السؤال، وأجاب عن المصرف الذي هو الشق الآخر بقوله: ﴿فَالَّذِينَ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ أي: هم أولى به ﴿وَمَا تَفْعَلُونَ مِنْ خَيْرٍ﴾ إنفاق أو غيره ﴿فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ فمجاز عليه.

= الرجوع؛ فرجع يستعمل لازما ومتعديا، وقرأها ابن عامر وحزمة والكسائي والبياء للفاعل والباقون بالياء للمفعول.

(١) التعليق: هو إبطال العمل لفظاً لا محلاً، والإلغاء: إبطاله لفظاً ومحلاً، فتكون جملة: ﴿كَمْ ءَاتَيْنَهُمْ﴾ في المعنى في محل المفعول الثاني لـ﴿سَلِّ﴾، والتعليق مختص بأفعال القلوب، والسؤال وإن لم يكن من أعمال القلوب؛ إلا أنه سبب للعلم، والعلم منها، فأعطي حكمها من نصب المفعولين وصحة التعليق.

(٢) أي: إن ﴿كَمْ﴾ هي المفعول الثاني لـ﴿آتيناه﴾، ومفعول «آتيناه» الأول هو: الهاء من الضمير «هم»، وهذا مذهب الجمهور.

(٣) إما زيدت؛ ليعلم بها أن مدخولها وهو قوله: ﴿مِنَ ءَايَمٍ يَبِينُ﴾ يميز لا مفعول ثانٍ لـ﴿ءَاتَيْنَهُمْ﴾.

(٤) الباء سببية؛ أي: بسبب التمويه؛ أي: الزخرفة والبهجة.

(٥) بالرفع قراءة نافع، والنصب بـ (أن) مضمره، و﴿حَتَّى﴾ بمعنى: إلى، وهي تنصب المضارع بعدها إذا كان مستقبلاً، والرفع باعتبار ما بعدها حالاً مقارناً لما قبلها، أو أن الفعل بعده ماضٍ؛ بمعنى: أن القول والزوال قد مضى.

(٦) ذكره الواحدي في أسباب النزول ص ٤٠، وابن الجوزي في زاد المسير (٢٢٣/١)، من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس به. والكلبي وأبو صالح متهمان بالكذب؛ فهو موضوع، وذكر السيوطي في الدر المنثور (٥٨٥/١) نحوه، دون تسمية السائل، وعزاه لعبد بن حميد.

خبر لكم ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَشْكُرُونَ﴾ ذلك؛ فبادروا إلى ما يأمركم به. وأرسل النبي أول سراياه وعليها عبد الله بن جحش^(١)؛ فقاتلوا المشركين وقتلوا ابن الحضرمي أجز يوم من جمادى الآخرة، وألتبس عليهم برحب؛ فعبرهم الكفار باستحلاله؛ فنزل^(٢): [٢١٧] ﴿يَسْتَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمِ وَقَالَ فِيهِ﴾ بدل اشتمال^(٣) ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿وَقَالَ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ عظيم وزر^(٤)، مبتدا وخبر ﴿وَصَدَّقَ﴾ مبتدأ^(٥)، منع للناس ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دينه ﴿وَكَفَّرَ بِهِ﴾ بالله ﴿وَوَقَّ﴾ صد عن^(٦) ﴿الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أي: مكة ﴿وَلِإِخْرَاجِ أَهْلِيهِ مِنْهُ﴾ وهم النبي ﷺ والمؤمنون، وخبر المبتدأ^(٧): ﴿الْأَكْبَرُ﴾ أعظم وزرًا ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ من القتال فيه ﴿وَالْفِتْنَةَ﴾ الشرك منكم ﴿أَكْبَرَ مِنَ الْقَتْلِ﴾ لكم فيه ﴿وَلَا يَزَالُونَ﴾ أي: الكفار ﴿يَقْتُلُونَكُمْ﴾ أيها المؤمنون ﴿حَتَّى﴾ كي ﴿يُرْذَوْكُمْ عَنْ دِينِكُمْ﴾ إلى الكفر ﴿إِنْ أَسْتَظْهَرُوا وَمَنْ يَزِيدْكُمْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ قِيمَتٌ وَهُوَ كَأَوْ قَاتِلِكُمْ حَيْطَتْ﴾ بطلت ﴿أَعْمَلُهُمْ﴾ الصالحة ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ فلا اعتداد بها ولا ثواب عليها، والتقييد بالموت عليه يفيد أنه لو رجع إلى الإسلام لم يظلم عمله؛ فيثاب عليه، ولا يعيده كالخج مثلاً، وعليه الشافعي ﴿وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾. ولما ظن السريّة أنهم إن سلموا من الإثم فلا يحصل لهم أجر؛ نزل^(٨): [٢١٨] ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فَآرَضُوا أوطانهم﴾ وجاهدوا في سبيل الله ﴿لِإِعْلَاءِ دِينِهِ﴾ وأولئك يرجون رحمت الله ﴿ثوابه﴾ والله عفوٌّ للمؤمنين ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم. [٢١٩] ﴿يَسْتَلُونَكَ عَنِ الْحَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ الفحش، ما حكمهما؟ ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿فِيهِمَا﴾ أي: في تعاطيهما ﴿إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ عظيم، وفي قراءة: بالثلاثة^(٩)، لما يحصل بسببهما من المخاصمة والمشاقة وقول الفحش ﴿وَمَنْبَغٌ لِلنَّاسِ﴾ بالذلة والفرح في الخمر، وإصابة المال بلا كد في الميسر ﴿وَأَيْضًا﴾ أي: ما ينشأ عنهما من المفساد ﴿الْأَكْبَرُ﴾ أعظم ﴿مَنْبَغُهُمَا﴾ ولما نزلت شربها قومٌ وامتنع عنها آخرون إلى أن حرمتها آية المائدة^(١٠) ﴿يَسْتَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾ أي ما قدره؟ ﴿قُلْ﴾: أنفقوا ﴿الْمَعْرُوفَ﴾ أي: الفاضل عن الحاجة، ولا تنفقوا ما تحتاجون إليه وتضيعوا أنفسكم، وفي قراءة: بالرفع^(١١) بتقدير «هو» ﴿كَذَلِكَ﴾ أي كما نرى لكم ما ذكر ﴿يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾^(١٢).

كَيْتَبَ عَلَيْكُمْ الْقِتَالَ وَهُوَ كَرِهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٧﴾ يَسْتَلُونَكَ عَنِ الشَّهِْرِ الْحَرَامِ وَقَالَ فِيهِ قُلْ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدَّقَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكَفَّرَ بِهِ وَالْمَسْجِدَ الْحَرَامَ وَإِخْرَاجِ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرَ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةَ أَكْبَرَ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّى يُرْذَوْكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ أَسْتَظْهَرُوا وَمَنْ يَزِيدْكُمْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ قِيمَتٌ وَهُوَ كَأَوْ قَاتِلِكُمْ حَيْطَتْ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢١٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَفْوٌ رَحِيمٌ ﴿٢١٩﴾ يَسْتَلُونَكَ عَنِ الْحَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْبَغٌ لِلنَّاسِ وَاشْمَهُمَا أَكْبَرَ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْتَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَكَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٢٠﴾

[٢١٦] ﴿كَيْتَبَ﴾ فرض ﴿عَلَيْكُمْ﴾ أَلْفَتْحَالٌ للكفار ﴿وَهُوَ كَرِهٌ﴾ مكروه ﴿لَكُمْ﴾ طبعًا لمشقتة ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ﴾ لميل النفس إلى الشهوات الموجبة لهلاكها، وتفورها عن التكليفات الموجبة لسعادتها؛ فلعل لكم في القتال - وإن كرهتموه - خيرًا؛ لأن فيه إما الظفر والغنيمة، أو الشهادة والأجر، وفي تركه - وإن أحببتموه - شرًا؛ لأن فيه الذل والفقر وحرمان الأجر ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾ ما هو

(٥) ما جاء في نزول الآية (٢١٩): أخرج أبو داود عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لما نزل تحريم الخمر قال عمر: اللهم زين لنا في الخمر بيانًا شفاءً، فنزلت الآية التي في البقرة: ﴿يَسْتَلُونَكَ عَنِ الْحَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ الآية. أبو داود - كتاب الأشربة (٢٠) باب (١) في تحريم الخمر. صحيح سنن أبي داود (٣١١٧)، وسنن أبي الحديث بتمامه في سورة النساء الآية (٤٣)، والمائدة الآية (٦).

(١) لم تكن سرية عبد الله بن جحش أول السرايا؛ بل كانت خامستها وثامنة التحركات العسكرية، وقد ذكر أهل السير أنهم قتلوا ابن الحضرمي في آخر يوم من رجب والتبس عليهم بأول يوم من شعبان.

(٢) أخرج نحوه البيهقي في السنن الكبرى (١٢/٩)، وفي دلائل النبوة (١٧/٣) من حديث عروة بن الزبير، وهو مرسل. وأخرجه أبو نعيم في معرفة الصحابة (٢٧٢٩/٥) رقم (٦٥١٣) من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف كما ذكر صاحب الاستيعاب (١٤٥/١)، وأخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٠٤/٢) عن قتادة مرسلًا، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٦٠٢/١).

(٣) أي من الشهر؛ إذ هو مشتعل على القتال لوقوعه فيه. (٤) أي: إن كان عمدًا، فإن كان خطأ فكفل السرية؛ فلا إثم فيه.

(٥) أي: مع ما عطف عليه، وجعلنا أربعة فأخبر عنها بقوله: ﴿الْأَكْبَرُ﴾ لأنه أفعال تفضيل، وهو يستوي فيه الواحد والأكثر إذا كان مجردًا من (أل) والإضافة.

(٦) إشارة إلى أن ﴿الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ معطوف على ﴿سَبِيلِ اللَّهِ﴾. (٧) أي: وما عطف عليه - كما سبق.

(٨) أخرجه بنحو ابن اسحاق في السيرة (٢٣٩/٢)، (٢٤٠) من طريق عروة بن الزبير مرسلًا، والبيهقي في دلائل النبوة (١٨/٣)، والطبري في تفسيره (٢٠٧/٢). وهو ضعيف لإرساله كما ذكر صاحب الاستيعاب (١٥٤/١).

(٩) أي: كبير، وهي قراءة حمزة والكسائي. (١٠) أي: عمرو، خبر لمخذوف تقديره: هو.

﴿ فِي ﴾ [٢٢٠] أمر ﴿ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾ فأخذون بالأصلح لكم فيها ﴿ وَسَتَلُونَكُمْ عَنِ آيَاتِنَا ﴾ وما يلقونه من الحرج في شأنهم؛ فإن أكلوهم يأثموا، وإن عزلوا ما لهم من أموالهم وصنعوا لهم طعاما وحدهم فحرج ﴿ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ ﴾ في أموالهم؛ بتبنيها، ومدخلتكم ﴿ خَيْرٌ ﴾ من ترك ذلك ﴿ وَإِنْ تَخَاطَبْتُمْ فِيهَا ﴾: تخلطوا بفتنكم بنفتهم ﴿ فَإِخْوَانُكُمْ ﴾ أي: فهم إخوانكم في الدين، ومن شأن الأخ أن يخاطب أخاه؛ أي: فلكم ذلك ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ ﴾ لأموالهم بمخالطته ﴿ مِنَ الْمُصْلِحِ ﴾ بها؛ فيجازي كلاً منهما ﴿ وَلَوْ سَاءَ اللَّهُ لَأَعْتَبْتَكُمْ ﴾ لَصَيِّبَ عَلَيْكُمْ بتحريم المخالطة ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ﴾ غالب على أمره ﴿ حَكِيمٌ ﴾ في صنعه^(٥). [٢٢١] ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا ﴾ تزوجوا أيها المسلمون ﴿ الْمُشْرِكِينَ ﴾ أي: الكافرات ﴿ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلِأَمَّةٍ مُؤْمِنَةٍ ﴾ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكِكُمْ؛ حرة؛ لأن سبب نزولها العيب^(٦) على من تزوج أمة، وترغيبه في نكاح حرة مشركة ﴿ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ﴾ لجمالها ومالها، وهذا مخصوص بغير الكتابيات بآية: ﴿ وَالْفَضْلَتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾ ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا ﴾ تزوجوا ﴿ الْمُشْرِكِينَ ﴾ أي: الكفار المومنات ﴿ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَدَّ ﴾ مؤمناً خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ﴾ لاله وجماله ﴿ أُولَئِكَ ﴾ أي: أهل الشرك ﴿ يَدْعُونَ إِلَى الْفِتْنِ ﴾ بدعاهم إلى العمل الموجب لها؛ فلا تليق مَنَّا كُفْرُهُمْ ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُوهُمْ ﴾ على لسان رسله ﴿ إِلَى الْبَيْتَةِ وَالْمَغْرِبَةِ ﴾ أي: العمل الموجب لهما ﴿ بِإِذْنِهِ ﴾ بإرادته؛ فتجب إجابته بتزويج أولياته ﴿ وَبَيْنَ آيَاتِهِ ﴾ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ يتعلمون. [٢٢٢] ﴿ وَسَتَلُونَكُمْ عَنِ الْمَحِيضِ ﴾ أي: الحيض أو مكانه، ماذا يفعل بالنساء فيه؟ ﴿ قُلْ هُوَ أَذَى ﴾ قدر أو محله ﴿ فَأَعْتَرَلُوا النِّسَاءَ ﴾ اتركا وطاهن ﴿ فِي الْمَحِيضِ ﴾ أي: وقته أو مكانه^(٧)، ﴿ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ ﴾ بالجماع ﴿ حَتَّى يَطْهُرْنَ ﴾ بسكون الطاء وتشديد الهمزة، وفيه إدغام التاء في الأصل في الطاء^(٨)؛ أي: يتنسلن بعد انقطاعه ﴿ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ ﴾ بالجماع ﴿ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ﴾ بتجنبه في الحيض؛ وهو القبل، ولا تعدوه إلى غيره ﴿ إِنَّ اللَّهَ جَبِيحٌ ﴾ يثيب ويكرم^(٩) ﴿ التَّوْبِينَ ﴾ من الذنوب ﴿ وَبِحَيْثُ الْمَطْهُرَاتِ ﴾ من الأذكار^(١٠). [٢٢٣] ﴿ يَسْأَلُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ ﴾ أي: محل زرعكم الولد ﴿ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ ﴾ أي: محله؛ وهو: القبل ﴿ أُنَى ﴾ كيف ﴿ شِئْتُمْ ﴾ من قيام وقعود واضطجاع وإقبال وإدبار، ونزل رداً لقول اليهود: (من أتى امرأته في قبليها؛ أي: من جهة دبرها جاء الولد أحول^(١١)) ﴿ وَقَدِيمُوا لِشُرِكِكُمْ ﴾ العمل الصالح؛ كالتسمية عند الجماع

﴿ وَأَتَقُوا اللَّهَ ﴾ في أمره ونهيه ﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلْكُوهُ ﴾ بالبعث؛ فيجازيكم بأعمالكم ﴿ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ الذين اتقوه بالحجة. [٢٢٤] ﴿ وَلَا تَحْسَبُوا اللَّهَ ﴾ أي: الحلف به ﴿ عَرَضَةً ﴾ علة مائة^(١٢) ﴿ لِأَنْبِيائِكُمْ ﴾ أي: نبيها^(١٣) لها بأن تكفروا بالحلف^(١٤) به ﴿ أَنْ ﴾ لا ﴿ تَبْرَأُوا ﴾ وَتَسْقُوا ﴿ فَكُفْرَةُ الْيَمِينِ ﴾ على ذلك، ويسن فيه الحنث، ويكفر بخلافها على فعل البر ونحوه، فهي طاعة ﴿ وَتَضَلُّوا بِرَبِّ النَّاسِ ﴾ المعنى: لا تمنعوا من

(٥) ما جاء في نزول الآية (٢٢٠): أخرج أبو داود عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما أنزل الله ﷻ: ﴿ وَلَا تَحْسَبُوا مَالَ الْبَيْتِ إِلَّا بَالِيَهُ مِنْ أَحْسَنِ ﴾ [الأمم: ١٥٢] ﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى كُلْمًا ﴾ الآية [النساء: ١٠]، انطلق من كان عنده نبيم فعزل طعامه من طعامه وشرا به من شرا به، فما فضل من طعامه فيجس له حتى يأكله أو يفسد، فاشد ذلك عليهم، فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فأزل الله ﷻ: ﴿ وَسَتَلُونَكُمْ عَنِ آيَاتِنَا قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَاطَبْتُمْ فِيهَا فَأَخْوَانُكُمْ ﴾ فخلطوا طعامهم بطعامه، وشرا بهم بشرا به. أبو داود - كتاب الوصايا (١٢) باب (٧) مخالطة النبيم في الطعام ...

(٥٥) ما جاء في نزول الآية (٢٢٢): أخرج مسلم: عن أنس ﷺ: أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها ولم يجامعوهن في البيوت، فسأل أصحاب النبي ﷺ فأزل الله تعالى: ﴿ وَسَتَلُونَكُمْ عَنِ الْمَحِيضِ ﴾ ... إلى آخر الآية. فقال رسول الله ﷺ: «اصنعوا كل شيء إلا النكاح»، فبلغ ذلك اليهود فقالوا: ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه. مسلم - كتاب الحيض (٣) باب (٢) جواز غسل الخائض رأس زوجها وترجيله.

(٥٥٥) ما جاء في نزول الآية (٢٢٣): أخرج البخاري عن ابن المنكدر قال: سمعت جابراً ﷺ قال: «كانت اليهود تقول: إذا جماعنا من ورائها جاء الولد أحول، فنزلت: ﴿ يَسْأَلُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأَتُوا ﴾

(١) التعيب من المسلمين. (٢) يشير إلى ما أخرجه الواحدي في أسباب النزول ص ٤٥ عن ابن عباس أن الآية نزلت في عبد الله بن رواحة ﷺ؛ كانت عده أمة سوداء فأعقها وتزوجها؛ فأبوا عليه ذلك وعابوه؛ فأزل الله: ﴿ وَلِأَمَّةٍ مُؤْمِنَةٍ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ﴾. وضعف إسناده في الاستيعاب (١/١٦٨)؛ قال: فيه أسباط من نصر؛ ضعفه النسائي وأبو زرعة وأبو نعيم وغيرهم. (٣) فهو مصدر مبني يصلح للحدث والزمان والمكان. (٤) بتشديد الطاء وفتحها وفتح الهاء، قراءة حمزة والكسائي وشعبة. (٥) وهذا تأويل لصفة الهجبة لبعض لوزاهم، وسبق بيان المذهب الحق في ذلك وإثباته وغيرها من الصفات الثابتة بالكتاب والسنة على الوجه اللائق به - شيخنا. (٦) الحسية والمعنوية. (٧) البخاري (٤٥٢٨)، ومسلم (١٤٣٥) من حديث جابر. وانظر ما جاء في نزول الآية. (٨) المعنى: لا تجعلوا الحلف بالله سبباً مانعاً لكم من البر والتقوى؛ يدعي أحدكم لي بر أو صلة رحم فيقول: قد حلفت بالله لا أفعله؛ فيعتل بيمينه في ترك البر والإصلاح. (٩) أي: غرضاً مانعاً من فعل البر. (١٠) هذا تفسير آخر للآية؛ أي: لا تكفروا بالحلف وإن كنتم بآئتين متقين مصلحين؛ لما فيه من ابتداء اسمه - تعالى. في كل شيء، وكان المناسب أن يقول: «أو أن =

لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾ الَّذِينَ يُؤُولُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرِيصًا أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءَ وَإِنْ فَاءَ فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبِعَوْنِهِنَّ أَحَقُّ بِرَدِّ هُنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فِيمَا سَأَلَكَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٍ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمَّ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾

تَسْبِيحٌ لقولهم ﴿عَلَيْكُمْ﴾ بغيرهم، المعنى: ليس لهم بعد تریص ما ذُكِرَ (١) إلا الفیفة أو الطلاق.

[٢٢٨] ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ﴾ أي: لیتنظرن ﴿بِأَنْفُسِهِنَّ﴾ عن النکاح ﴿ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ (٢) تمضي من حين الطلاق، جمع قرء؛ بفتح القاف (٣)؛ وهو: الطهر (٤)، أو الحيض (٥)، قولان، وهذا في المَدَّحُولِ بهنَّ، أما غیرهنَّ؛ فلا عدة عليهنَّ؛ لقوله: ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عَدْوٍ﴾ (٦) وفي غير الآیسة والصغیرة: ﴿فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ﴾، والحوامل: فعِدَّتُهُنَّ ﴿أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ (٧) كما في سورة الطلاق، والإماء: فعِدَّتُهُنَّ قُرُوءَانِ بالسنة ﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ﴾ من الولد والحيض ﴿إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبِعَوْنِهِنَّ﴾ أزواجهن ﴿أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾ بمراجعتهن، ولو أئیسن ﴿فِي ذَلِكَ﴾ أي: في زمن التریص ﴿إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا﴾ بينهما؛ لا إضرار المرأة (٨)، وهو تحریض على قصده لا شرط لجواز الرجعة، وهذا في الطلاق الرجعی، و﴿أَحَقُّ﴾ لا تفضیل فیہ؛ إذ لا حق لغيرهم من نکاحهن (٩) في العدة ﴿وَهُنَّ﴾ على الأزواج ﴿بِشَلِّ الْاِذَى﴾ لهم ﴿عَلَيْهِنَّ﴾ من الحقوق ﴿وَالْمَعْرُوفِ﴾ شرعاً؛ من حسن العشرة وترك الإضرار ونحو ذلك ﴿وَالرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ فضیلة في الحق؛ من وجوب طاعتهن لهم لما ساقوه من المهر والإنفاق ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ في ملكه ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما ذبَّره خلقه.

[٢٢٩] ﴿الطَّلَاقُ﴾ أي: التطلق الذي یراجع بعده ﴿مَرَّتَانٍ﴾ أي: اثنتان ﴿فِيمَا سَأَلَكَ﴾ أي: فعليكم إمساکهن بعده بأن تراجعهن ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ من غیر ضرر ﴿أَوْ تَسْرِيحٍ﴾ أي: إرسالهن ﴿بِإِحْسَانٍ﴾ وَلَا يَحِلُّ لَكُمَّ ﴿أَيُّهَا﴾ الأزواج ﴿أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ﴾ من المهور ﴿شَيْئًا﴾ إذا طلقتموهن (١٠) ﴿إِلَّا أَنْ يَخَافَا﴾ أي: الزوجان ﴿أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾ أي: أن لا یأتیا بما حدَّه لهما من الحقوق، وفي قراءه: ﴿يَخَافَا﴾ (١١) بالبناء للمفعول، ف﴿أَلَّا يُقِيمَا﴾ بدل اشتمال من الضمیر فیہ، وقرئ: بالفوقانية في الفعلان (١٢) ﴿فَإِنْ خِفْتُمَا﴾ ن ﴿أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِنَّ من المال لیطلقها؛ أي: لا حرج على الزوج في أخذها ولا الزوجة في بذلها ﴿تِلْكَ﴾ الأحكام المذكورة ﴿حُدُودَ اللَّهِ﴾ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٢٩﴾.

[٢٣٠] ﴿وَإِنْ طَلَّقَهَا﴾ الزوج بعد الثنيتين ﴿فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ﴾ بعد الطلقة الثالثة ﴿حَتَّى تَنْكِحَ﴾ تزوج ﴿زَوْجًا غَيْرَهُ﴾ ويطأها؛ كما في الحديث الذي رواه الشيخان (١٣) ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا﴾ أي: الزوج الثاني ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ أي: الزوجة والزوج الأول ﴿أَنْ يَتَرَاجَعَا﴾ إلى النکاح بعد انقضاء العدة ﴿إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ﴾ المذكورات ﴿حُدُودَ اللَّهِ﴾ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾ يتدبرون.

فعل ما ذُكِر من البرِّ ونحوه إذا حلفت عليه، بل اثته وكفروا؛ لأن سبب نزولها الامتناع من ذلك ﴿وَاللَّهُ تَسْبِيحٌ﴾ لأقوالكم ﴿عَلَيْكُمْ﴾ بأحوالكم.

[٢٢٥] ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ﴾ الكائن ﴿فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ وهو ما يسبق إلى اللسان من غير قصد الحلف؛ نحو: والله، وبلى والله؛ فلا إثم عليه، ولا كفارة (١٤) ﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ أي: قصده من الأيمان إذا حنثتم ﴿وَاللَّهُ عَفُورٌ﴾ لما كان من اللغو ﴿حَلِيمٌ﴾ بتأخير العقوبة عن مستحقها.

[٢٢٦] ﴿لَّذِينَ يُؤُولُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ﴾ أي: يخلفون أن لا يجامعوهن ﴿تَرِيصًا﴾ انتظار ﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ فَإِنْ فَاءَ وَإِنْ فَاءَ رجعوا فيها أو بعدها عن اليمين إلى الوطء ﴿وَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ﴾ لهم ما أتوه من ضرر المرأة بالحلف ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم.

[٢٢٧] ﴿وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ﴾ أي: عليه؛ بأن لا يفياها؛ فليوقعه ﴿وَإِنَّ اللَّهَ

= تَرَبَّصَتْ أَنْ يَضَعْنَ ٥. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة البقرة (٢) باب (٣٩).

(٥) ما جاء في نزول الآية (٢٢٥): أخرجه البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ﴾: أنزلت في قوله: لا والله، وبلى والله. البخاري - كتاب الأيمان والنذور (٨٣) باب (١٤).

(٥٥) ما جاء في نزول الآية (٢٢٨): أخرجه أبو داود: عن أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية رضي الله عنها أنها طلقت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يكن المطلقة عدة، فأرسل الله صلى الله عليه وسلم حين طلقت أسماء بالعدة للطلاق، فكانت أول من أنزلت فيها العدة للمطلقات. أبو داود - كتاب الطلاق (٧) باب (٣٦) (في عدة المطلقة) حسن. صحيح سنن أبي داود (١٩٩٦).

= نكثوا... بدلاً من قوله: «بأن نكثوا». (١) أي: الأربعة أشهر. (٢) إنما ضبطه المفسر بالفتح فقط مع أنه يصح فيه الوجهان بالضم والفتح؛ لأجل جمعه في الآية على «قروء»؛ ففردها: «قرء»، أما «قرء» فجمعها «أقراء». (٣) وهو مذهب الجمهور. (٤) وهو مذهب أبي حنيفة وأحمد في رواية، وهو الراجح بأدلة كثيرة جمعها ابن القيم في إزداد المعاد (٢٢٥/٤).

(٥) الأحزاب: ٤٩. (٦) الطلاق: ٤. (٧) فحرم الرجعة إذ ذلك. (٨) صوابه أن يقول: فلا حق لغيرهم في ردهن ورجعتن كما عر به غيره. (٩) أي: وأما إن كانت في عصمته ووهبت له صداقتها أو بعضه فلا بأس بذلك. (١٠) لحزمة. (١١) وهي قراءة شاذة. (١٢) البخاري (٢٦٣٩)، وسلم (١٤٣٣) من حديث عائشة رضي الله عنها.

[٢٣١] ﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمَّا تَمَنَّ أَجَلَهُنَّ﴾ قَارِئِن انقضاء عدتهن ﴿فَأَنْبَسِكُوهُنَّ﴾ بأن تراجعوهن ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ من غير ضرر ﴿أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ اتركوهن حتى تنقضي عدتهن ﴿وَلَا تُنْسِكُوهُنَّ﴾ بالرجعة ﴿ضِرَارًا﴾ مفعول لأجله ﴿لِيَسْتَأْذِنُوا﴾ عليهن بالإحياء إلى الانتداع، والتطليق، وتطويل الحبس ^(١) ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ بتعريضها إلى عذاب الله ﴿وَلَا تَنْجِدُوا مَا بَيْتَ اللَّهِ هُرُوجًا﴾ مهزوعًا بها بمخالفتها ^(٢) ﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بالإسلام ﴿وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ﴾ القرآن ﴿وَالْحِكْمَةِ﴾ ما فيه من الأحكام ﴿يَعْظُرُكُمْ بِهِ﴾ بأن تشكروها بالعمل به ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ولا يخفى عليه شيء.

[٢٣٢] ﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمَّا تَمَنَّ أَجَلَهُنَّ﴾ انقضت عدتهن ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ خطاب للأولياء؛ أي: تمنعهن من ﴿أَنْ يَنْكِحَنَّ أَرْوَاجَهُنَّ﴾ المطلقين لهن؛ لأن سبب نزولها: أن أخت معقل بن يسار طلقها زوجها، فأراد أن يراجعها؛ فمنعها معقل بن يسار؛ كما رواه الحاكم ^(٣) ﴿إِذَا رَزَّضُوا﴾ أي: الأوج والنساء ﴿بِئْتِمِّمْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ شرعًا ﴿ذَلِكَ﴾ النهي عن العضل ﴿يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ لأنه المنتفع به ﴿ذَلِكَ﴾ أي: ترك العضل ﴿أَذْكُرُ﴾ خير ﴿لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ لكم ولهم لما يخشى على الزوجين من الريبة بسبب العلاقة بينهما ﴿وَاللَّهُ بِسَلْمِهِ﴾ ما فيه المصلحة ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ذلك فاتبعوا أوامره.

[٢٣٣] ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ﴾ أي: ليرضعن ﴿أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنَ﴾ عامين ﴿كَامِلَيْنَ﴾ صفة مؤكدة ^(٤)، ذلك ﴿لَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنِمْ الرِّضَاعَةَ﴾ ولا زيادة عليه ﴿وَعَلَى الْوَالِدِ لَكُمْ﴾ أي: الأب ﴿رِزْقُهُنَّ﴾ إطعام الولادات ﴿وَكِسْوَتُهُنَّ﴾ على الإرضاع إذا كنَّ مطلقات ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ بقدر طاقته ﴿لَا تُكَلِّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾ طاقتها ﴿لَا تُضَاكِرُ وَايَةَ يَوْلِيهَا﴾ أي: بسببه بأن نكره على إرضاعه إذا امتعت ﴿وَلَا﴾ يضار ﴿مَوْلُودٌ لَمْ يُولَدِهِ﴾ أي: بسببه بأن يكلف فوق طاقته، وإضافة الولد إلى كل منهما في الموضعين للاستعفاف ^(٥) ﴿وَعَلَى الْوَالِدِ﴾ أي: وارث الأب؛ وهو: الصبي؛ أي: على وليه في ماله ﴿وَمِثْلُ ذَلِكَ﴾ الذي على الأب للوالدة من الرزق والكسوة ﴿فَإِنْ أَرَادَا﴾ أي: الوالدان ﴿فِيصَالًا﴾ فطامًا له قبل الحولين، صادرًا ﴿عَنِ الرِّضَاعِ﴾ اتفاق ﴿بَيْنَهُمَا وَتَشَاوُرٍ﴾ بينهما؛ لتظهر مصلحة الصبي فيه ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ في ذلك ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ﴾ خطاب للأبَاء ﴿أَنْ تَسْرِضِعُوا أَوْلَادَكُمْ﴾ مرضع غير الولادات ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ فيه ﴿إِذَا سَلَّمْتُمْ﴾ إليهن ﴿مَاءَ آيَاتِهِمْ﴾ أي: أردتم إتيانه لهن من الأجرة ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ بالجميل؛ كطيب النفس ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْمَلُوا﴾ أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ لا يخفى عليه شيء منه.

وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمَّا تَمَنَّ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تَمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِيَتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَنْجِدُوا مَا بَيْتَ اللَّهِ هُرُوجًا وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْمَلُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمَّا تَمَنَّ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحَنَّ أَرْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَضُوا بَيْنَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ أَزْكُرُ لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرِّضَاعَةَ وَعَلَى الْوَالِدِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلِّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تَضَارُّ وَايَةَ يَوْلِيهَا وَلَا تُضَاكِرُ وَايَةَ يَوْلِيهَا وَلَا تُكَلِّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا وَإِنْ أَرَادْتُمْ أَنْ تُسْرِضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَاءَ آيَاتِهِمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْمَلُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ

(١) ما حاه في نزول الآية (٢٣٢): أخرج البخاري عن الحسن قال: ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ قال: حدثني معقل بن يسار أنها نزلت فيه؛ قال: زوجت أختا لي من رجل فطلقها حتى إذا انقضت عدتها جاء يحطها؛ فقلت له: زوجتك وأوسئتك وأكرمئتك فطلقها؛ ثم جئت تحطها؟! لا والله لا تعود إليك أبداً؛ وكان رجلاً لا بأس به، وكانت المرأة تريد أن ترجع إليه، فأقول الله: ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾، فقلت: الآن أفعل يا رسول الله؛ قال: فزوجها إياه. البخاري - كتاب الطلاق (٢٧)، باب (٧٥) نسخ المراجعة بعد التطليقات الثلاث.

(١) أي: العدة.
 (٢) أطلق الاستهزاء وأراد المخالفة.
 (٣) رواه البخاري (٤٥٢٩)، والحاكم (٢٨٠/٢).
 (٤) وفائدتها اعتبار الحولين من غير نقص.
 (٥) وتنبه على أنه حقيق بأن يتفقا على استصلاحه والإشفاق عليه؛ فلا ينبغي أن يضربا به أو يتضاربا بسببه.

أَجَلَهُنَّ ﴿٢٣٥﴾ انقضت مدة تربصهن ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ أيها الأولياء ﴿فِيمَا قَعَلْتُمْ فِي أَنْفُسِهِنَّ﴾ من التزين والتعرض للخطاب ﴿يَا الْمَعْرُوفِ﴾ شرعا ﴿وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ عالم بباطنه كظاهره.

[٢٣٥] ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَضْتُمْ لَهُمْ لَوْ خَشِيتُمْ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ﴾ المتوفى عنهن أزواجهن في العدة، كقول الإنسان - مثلا -: «إنيك جميلة، ومن يجد مثلك، ورُبُّ راعِبٍ فيك» ﴿أَوْ أَكْتَشَرْتُمْ﴾ أضمرتم ﴿فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ من قصد نكاحهن ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرْنَهُنَّ﴾ بالخطبة ولا تصبرون عنهن؛ فأباح لكم التعريض ﴿وَلَكِنْ لَا تَوَاعِدُوهُنَّ بِيْرًا﴾ أي: نكاحا ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ أي: ما عرف شرعا من التعريض، فلکم ذلك ﴿وَلَا تَمَيِّزُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ﴾ أي: على عقده ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ﴾ أي: المكتوب من العدة ﴿أَجَلَهُ﴾ بأن ينتهي ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ من العزم وغيره ﴿فَأَحْذَرُوهُ﴾ أن يعاقبكم إذا عرستم ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُوٌّ﴾ لمن يحذرهُ ﴿حَلِيمٌ﴾ بتأخير العقوبة عن مستحقها.

[٢٣٦] ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمْ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ﴾ وفي قراءة^(١): ﴿تَمَاشُوهُنَّ﴾ أي: تجمعهن ﴿أَوْ﴾ لم ﴿تَقْرُبُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ مهرا، ومصدرية ظرفية؛ أي: لا تبعة عليكم في الطلاق زمن عدم المسيس والفرض ياتم ولا مهر فطلقوهن ﴿وَمَتَّعُوهُنَّ﴾ أعطوهن ما يتمتعن به ﴿عَلَىٰ الْمَوْسِعِ﴾ الغني منكم ﴿قَدَرُهُ وَعَلَىٰ الْمُقْتَرِ﴾ الضيق الرزق ﴿قَدَرُهُ﴾ يفيد أنه لا نظر إلى قدر الروجة ﴿مَتَّعًا﴾ تمتعا ﴿يَا الْمَعْرُوفِ﴾ شرعا، صفة ﴿مَتَّعًا﴾ ﴿حَقًّا﴾ صفة ثانية، أو مصدر مؤكد^(٢) ﴿عَلَىٰ الْمُحْسِنِينَ﴾ المطيعين.

[٢٣٧] ﴿وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فِضْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾ يجب لهن ويرجع لكم النصف ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿أَنْ يَعْفُوا﴾ أي: الزوجات؛ فبقرته ﴿أَوْ يَعْفُوا الَّذِي يَبْذُرُهُ عِنْدَ النِّكَاحِ﴾ وهو الزوج؛ فترك لها الكل، وعن ابن عباس: الولي، إذا كانت محجورة فلا حرج في ذلك ﴿وَأَنْ تَعْفُوا﴾ مبتدأ، خبره: ﴿أَقْرَبَ لِلتَّقْوَىٰ﴾ ولا تنسوا الفضل بينكم ﴿أَيُّ﴾ أن يتفضل بعضكم على بعض ﴿إِنْ اللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيجازيكم به.

وَالَّذِينَ يَتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْتُمْ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٦﴾ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْتَشَرْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عِلْمَ اللَّهِ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تَوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْرَضُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُوٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٣٧﴾ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَقْرُبُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَىٰ الْمَوْسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَىٰ الْمُقْتَرِ قَدَرُهُ مَتَّعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَىٰ الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٨﴾ وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فِضْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُوا أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بَيْنَهُمَا عِنْدَ النِّكَاحِ وَأَنْ يَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٩﴾

[٢٣٤] ﴿وَالَّذِينَ يَتَوَفَّوْنَ﴾ يموتون ﴿مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ﴾ يتركون ﴿أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ﴾ أي: ليربصن ﴿بِأَنْفُسِهِنَّ﴾ بتدبُّهم عن النكاح ﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ من الليالي، وهذا في غير الحوامل، أما الحوامل: فعدتهن ﴿أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ بآية الطلاق، والأمة على النصف من ذلك بالشئ^(١) ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ

(١) أي عدة الأمة المطلقة؛ كما في حديث عائشة مرفوعا: «طلاق الأمة تطليقتان وعدتها حيضتان». رواه الترمذي (١٨٢) وضعفه، وأبو داود (٢١٨٩)، وابن ماجه (٢٠٨٠)، وضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي (١١٩٩). ورواه الدارقطني عن ابن عمر موقوفاً ومرفوعاً وصحح الموقوف كما في التلخيص الحبير (٢١٣/٢).

(٢) لحزمة والكسائي.

(٣) في النسخة المطبوعة: «مؤكدة»، والمبني من الصاري.

[٢٣٨] ﴿حَفِظُوا عَلَيَّ الصَّلَاةَ﴾ الخمس بأدائها في أوقاتها ﴿وَالصَّلَاةَ الْوُسْطَى﴾^(١) هي العصر أو الصبح أو الظهر أو غيرها، أقوال، وأفردها بالذكر؛ لفضلها ﴿وَقَوْمُوا لِلَّهِ﴾ في الصلاة ﴿قَلْبَيْنِ﴾ قيل: مطيعين لقوله ﷺ: «كُلُّ قَوْمٍ فِي الْقُرْآنِ فَهُوَ طَاعَةٌ»^(٢) [رواه أحمد وغيره]، وقيل: ساكتين؛ لحديث زيد بن أرقم: «كُنَّا نَتَكَلَّمُ فِي الصَّلَاةِ حَتَّى نَزَلَتْ، فَأَمْرًا بِالسُّكُوتِ، وَنَهْيًا عَنِ الْكَلَامِ»^(٣) [رواه الشيخان]. [٢٣٩] ﴿فَإِنْ خَفْتُمْ﴾ من عدو أو سيل أو سبع ﴿وَسِئَالًا﴾ جمع راجل؛ أي: مشاة، صلوا ﴿أَوْ رُكْبَانًا﴾ جمع راكب؛ أي: كيف أمكن؛ مستقبلي القبلة أو غيرها، ويومئ بالركوع والسجود ﴿فَإِذَا أَمِنْتُمْ﴾ من الخوف ﴿فَادْكُرُوا اللَّهَ﴾ أي: صلوا ﴿كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ قيل تعليمه؛ من فرائضها وحقوقها، والكاف بمعنى: مثل، ﴿وَمَا﴾ مصدرية أو موصولة.

[٢٤٠] ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَقَّفُونَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا﴾ فليوصوا ﴿وَصِيَّةً﴾ وفي قراءة: بالرفع^(٤)؛ أي: عليهم ﴿لِأَزْوَاجِهِمْ﴾ وليعطون ﴿مَتْنَعًا﴾ ما يتمتعن به من النفقة والكسوة ﴿إِلَى﴾ تمام ﴿الْحَوْلِ﴾ من موتهم، الواجب عليهن تربصه ﴿غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ حال؛ أي: غير مخرجات من مسكنهن ﴿فَإِنْ خَرَجْنَ﴾ بأنفسهن ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ يا أولياء الميت ﴿فِي مَا قَعَلْتُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ مِنْ مَعْرُوفٍ﴾ شرعاً؛ كالترين، وترك الإحداد، وقطع النفقة عنها ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ في ملكه ﴿حَكِيمٌ﴾ في ضعيه، والوصية المذكورة منسوخة بآية الميراث، وتربص الحول بآية أربعة أشهر وعشرا السابقة المتأخرة في النزول، والسكنى ثابتة لها عند الشافعي^(٥) - رحمه الله ..

[٢٤١] ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ مَتْنَعٌ﴾ يُعْطِيهِنَّ ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ بقدر الإمكان ﴿حَقًّا﴾ نصب بفعله المقدر^(٦) ﴿عَلَى الْمُتَوَقَّفِينَ﴾ الله - تعالى -، كرهه ليحتم المسوسة أيضاً؛ إذ الآية السابقة في غيرها.

[٢٤٢] ﴿كَذَلِكَ﴾ كما بين لكم ما ذكر ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ آيَاتِهِ﴾ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿تَدْبِرُونَ﴾.

[٢٤٣] ﴿لَمْ تَرَ﴾ استفهام تعجب^(٧) وتشويق^(٨) إلى استماع ما بعده؛ أي: بينه علمك^(٩) ﴿إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ﴾ أربعة أو ثمانية أو عشر أو ثلاثون أو أربعون أو سبعون ألفاً^(١٠) ﴿حَدَرُ الْمَوْتِ﴾ مفعول له، وهم قوم من بني إسرائيل وقع الطاعون ببلادهم؛ ففروا ﴿فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا﴾ فماتوا ﴿ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ بعد ثمانية أيام أو أكثر؛ بدعاء نبيهم «جرزئيل» - بكسر الهملة والقاف وسكون الزاي -؛ فعاشوا دهوراً عليهم أثر

حَفِظُوا عَلَى الصَّلَاةِ وَالصَّلَاةَ الْوُسْطَى وَقَوْمُوا لِلَّهِ قَلْبَيْنِ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خَفْتُمْ فِرْجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾ وَالَّذِينَ يُتَوَقَّفُونَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتْنَعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا قَعَلْتُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾ وَالْمُطَلَّقَاتُ مَتْنَعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَقَاتِ ﴿٢٤١﴾ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَدَرُ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ وَقَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ مَن ذَا الَّذِي يقرضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيضْعِفُهُ لَهُ أضعافًا كثيرةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرجعون ﴿٢٤٥﴾

الموت لا يلبسون ثوباً إلا عاد كالخفن، واستمرت في أسباطهم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ ومنه إحياء هؤلاء ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ وهم الكفار ﴿لَا يَشْكُرُونَ﴾ والقصد من ذكر خبر هؤلاء تشجيع المؤمنين على القتال؛ ولذا عطف عليه: [٢٤٤] ﴿وَقَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: لإعلاء دينه ﴿وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لأقوالكم ﴿عَلِيمٌ﴾ بأحوالكم فمجازيكم. [٢٤٥] ﴿مَن ذَا الَّذِي يقرضُ اللَّهَ﴾ بإنفاق ماله في سبيل الله ﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾ بأن ينفقه لله ﴿يَكْفُلُ﴾ عن طيب قلب ﴿فَيضْعِفُهُ﴾ وفي قراءة^(١):

(٥) ما جاء في نزول الآية (٢٣٨): أخرج أبو داود عن عروة بن الزبير عن زيد بن ثابت قال: كان رسول الله ﷺ يصلي الظهر بالهاجرة. ولم يكن يصلي صلاة أشد على أصحاب رسول الله ﷺ منها، فنزلت: ﴿حَفِظُوا عَلَيَّ الصَّلَاةَ وَالصَّلَاةَ الْوُسْطَى﴾ وقال: إن قبلها صلاتين وبعدها صلاتين؛ أبو داود. كتاب الصلاة (٢) باب (٥) في وقت صلاة العصر (صحيح) صحيح سنن أبي داود (٣٩٧). وأخرج مسلم عن شقيق بن عبيدة عن البراء بن عازب قال: نزلت هذه الآية: ﴿حَفِظُوا عَلَيَّ الصَّلَاةَ وَالصَّلَاةَ الْوُسْطَى﴾ فنزلت: ﴿حَفِظُوا عَلَيَّ الصَّلَاةَ وَالصَّلَاةَ الْوُسْطَى﴾ فقال رجل كان جالساً عند شقيق له: هي إذن صلاة العصر؟ فقال البراء: قد أخبرتك كيف نزلت وكيف نسخها الله، والله أعلم. مسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة - باب (٣٦) (الدليل لمن قال: الصلاة الوسطى صلاة العصر).

وأخرج مسلم عن زيد بن أرقم قال: كنا نتكلم في الصلاة، يكلم الرجل صاحبه وهو إلى جنبه في الصلاة حتى نزلت: ﴿وَقَوْمُوا لِلَّهِ قَلْبَيْنِ﴾ فأمرنا بالسكوت، ونهينا عن الكلام. مسلم - المساجد ومواضع الصلاة (٥) باب (٧) تحريم الكلام في الصلاة.

(١) أخرجه أحمد بن حنبل (٧٥/٣)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٤٢٢٥). (٢) البخاري (١٢٠٠)، ومسلم (٥٣٩). (٣) لنافع وابن كثير والكسائي وشعبة.

(٤) أي: أربعة أشهر وعشرا. (٥) وتقديره: أحقه. (٦) أي: إيقاع للمخاطب في العجب، ويستفاد من الآية أن المخاطب لم يسبق له علم بتلك القصة قبل نزول الآية.

(٧) أي: إيقاعه في الشوق؛ لأن ما سبق بعد الطلب إنما سبق بلا تعب، وعطف التشويق على التعجب من عطف المسبب على السبب. (٨) في إشارة إلى أن الرؤية علمية، وضمن الفعل معنى الانتهاء؛ ليصح تعديته بـ«إلى»؛ أي: ألم بينه علمك إلى كذا. (٩) ذكر المفسر ستة أقوال، أصحها الثلاثة الأخيرة؛ لأن ألوفاً جمع كثر، ومبدؤه بعد العشرات.

(١٠) لابن كثير - بالتشديد - مع الرفع، ولابن عامر - بالتشديد - مع النصب، ولحمزة والكسائي ونافع وأبي عمرو بالرفع مع التخفيف ومع إثبات الألف، ولعاصم بالنصب مع التخفيف وإثبات الألف.

شَمُولٍ ﴿أَبَتْ﴾ أقم ﴿لَنَا مَلِكًا نَقْتُلُ﴾ معه ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ تنتظم به كلمتنا ونرجع إليه ﴿قَالَ﴾ النبي لهم: ﴿هَلْ عَسَيْتُمْ﴾ بالفتح والكسر^(١) ﴿إِنْ كُنْتُمْ عَلَيْهِمْ﴾ أَلْتَمَاتُ أَهْلُ ن ﴿لَا تَقْتُلُوا﴾ خير «عسى»، والاستفهام لتقرير التوقع بها ﴿قَالُوا وَمَا نَأَىٰ عَنْكَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أَخْرَجْنَا مِنْ دِينِنَا وَأَبْنَيْنَا﴾ بسببهم وقتلهم، وقد فعل بهم ذلك قوم جالوت؛ أي: لا مانع لنا منه مع وجود مقتضيه، قال - تعالى -: ﴿فَلَمَّا كَتَبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالَ تَوَلَّوْا﴾ عنه وجنبا ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾ وهم الذين عبروا النهر مع طالوت - كما سيأتي - ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ فمجازيهم، وسأل النبي^(٢) ربه إرسال ملك؛ فأجابته إلى إرسال طالوت. [٢٤٧] ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ؟﴾ لأنه ليس من سبط المملكة ولا النبوة، وكان دابعا أو راعيا ﴿وَلَمْ يَأْتِ سَمَةً يَتِ الْمَالِ﴾ يستعين بها على إقامة الملك ﴿قَالَ﴾ النبي لهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ﴾ اختاره للملك ﴿عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً﴾ سعة ﴿فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ وكان أعلم بني إسرائيل يومئذ وأجملهم وأتمهم خلقا ﴿وَاللَّهُ يُوْتِي مَلِكَهُ مَن يَشَاءُ﴾ إتياءه لا اعتراض عليه ﴿وَاللَّهُ وَسِيعٌ﴾ فضله ﴿عَلِيمٌ﴾ بمن هو أهل له.

[٢٤٨] ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ﴾ لما طلبوا منه آية على ملكه: ﴿إِنَّ آيَةَ مَلِكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ﴾ الصندوق، كان فيه صور الأنبياء، أنزله على آدم واستمر إليهم؛ فغلبهم العاقلة عليه وأخذوه، وكانوا يستفتحون به على عدوهم، ويقدمونه في القتال، ويسكنون إليه^(٣)، كما قال - تعالى -: ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ﴾ طمأنينة لقلوبكم ﴿مِن رَّبِّكُمْ وَبَيِّنَةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ﴾ وهي نغلا موسى وعصاه وعمامة هارون، وفضيز من المني الذي كان ينزل عليهم، ورضاض^(٤) من الألواح ﴿تَحْمِيلُهُ الْمَلَكَةَ﴾ حال من فاعل ﴿يَأْتِيَكُمُ﴾ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُم﴾ على ملكه ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ فحملته الملائكة بين السماء والأرض، وهم ينظرون إليه حتى وضعت عند طالوت؛ فأقروا بملكه وتسارعوا إلى الجهاد؛ فاختار من شبابهم سبعين ألفا.

أَلْتَمَاتُ أَهْلُ ن ﴿لَا تَقْتُلُوا﴾ قالوا لئلا نقتلهم لئلا نقتلنا في سبيل الله قال هل عسيتهم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من دِينِنَا وَأَبْنَيْنَا فَلَمَّا كَتَبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالَ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةَ مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلِكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٨﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مَلِكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَيِّنَةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِيلُهُ الْمَلَكَةَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُم إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٤٩﴾

﴿فِيضَعْفُهُ﴾ بالتشديد ﴿لَهُمْ أَضْعَافًا كَثِيرَةٌ﴾ من عشر إلى أكثر من سبعمئة - كما سيأتي - ﴿وَاللَّهُ يَفِيضُ﴾ يمسك الرزق عن يشاء ابتلاء ﴿وَيَبْسُطُ﴾ يوسع لمن يشاء امتحانا ﴿وَالَّذِي تَرْجَعُونَ﴾ في الآخرة بالبعث؛ فيجازيكم بأعمالكم^(٥).

[٢٤٦] ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَكِ الْجَمَاعَةَ﴾ الجماعة ﴿مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مَن بَدَّ﴾ موت ﴿مُوسَىٰ﴾ أي: إلى قصتهم وخبرهم ﴿إِذْ قَالُوا لَنَبِيِّ آلِهِمْ﴾ هو:

(٥) فائدة: أخرج أحمد عن أنس رضي الله عنه قال: لما نزلت: ﴿إِن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾ ﴿وَمَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ قال أبو طلحة: يا رسول الله، وحاطني الذي كان يمكن كذا وكذا، والله لو استطعت أن أسرها لم أعلنها، قال: فاجعله في فراقه أهلك أحمد - السنن (١٤١/٣) وأصله في الصحيحين مطولا، وسيأتي في سورة آل عمران، الآية (٩٢)، وانظر رواية الترمذي عند الآية (١١) من سورة الحديد.

(١) أي بفتح السين وكسرها، والكسر قراءة نافع.

(٢) أي النبي المذكور في الآية السابقة.

(٣) الكلام عن التابوت وهيته وتوارثه... إلخ لم يثبت فيه شيء عن النبي صلى الله عليه وسلم وإنما هذه من أخبار بني إسرائيل التي نقلها إلينا مسلمة أهل الكتاب، وحملها عنهم بعض الصحابة والتابعين، ومرجمها إلى وهب بن منبه، وكتب الأخبار، وأمثالهما، والإسرائيليات على ثلاثة أقسام: الأول: ما علم صحته بالنقل الصحيح، أو كان له شاهد من الشرع يؤيده؛ فهذا صحيح مقبول، الثاني: ما علم كذبه من شرعنا أو كان لا يتفق مع العقل؛ فهذا لا يصح قبوله ولا روايته، الثالث: ما سكت عنه؛ لا هو من قبيل الأول، ولا قبيل الثاني؛ فهذا نتوقف فيه لا نكذبه ولا نصدق.

(٤) ورضاض (بضم الراء): أي فئات.

[٢٤٩] ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ﴾ من بيت المقدس، وكان حراً شديداً وطلبوا منه الماء ﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ﴾ مختبركم ﴿بِنَهْرٍ﴾ ليظهر الطمئع منكم والعاصي؛ وهو: بين الأردن وفلسطين ﴿فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ﴾ أي: من مائه ﴿فَلَيْسَ مِنِّي﴾ أي: من أتباعي ﴿وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ﴾ يذقه ﴿فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً﴾ بالفتح والضم (١) ﴿يَكُودٌ﴾ فاكثى بها ولم يزد عليها؛ فإنه مني ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ﴾ لما وافوه بكثرة ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ فاقصروا على الغرفة، روي أنها كفتهم لشربهم ودوابهم، وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُ﴾ أي: الذين اقتصروا على الغرفة ﴿قَالُوا﴾ أي الذين شربوا (٢): ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا﴾ قوة ﴿لِنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ أي: بقتالهم، وجبنوا ولم يجاوزوه ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾ يوقنون ﴿أَنَّهُمْ مُّلتَفُوا﴾ أي: بالبعث؛ وهم: الذين جاوزوه: ﴿كَمْ﴾ خبرية؛ بمعنى: كثير ﴿وَمِن فَتَنَةِ﴾ جماعة ﴿قَلِيلَةٍ غَلَبَتِ فَتَنَةٌ كَثِيرَةٌ﴾ أي: ياذن الله بإرادته ﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ بالعون والنصر.

[٢٥٠] ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ أي: ظهوروا لقتالهم وتصافوا ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ﴾ أي: اصب ﴿عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾ بتقوية قلوبنا على الجهاد ﴿وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾. ﴿فَهَزَمُوهُمْ كَسْرُوهُمْ﴾ أي: ياذن الله بإرادته ﴿وَقَتَلَ دَاوُدُ﴾ وكان في عسكر طالوت ﴿جَالُوتَ﴾ وَاكْتُمُ﴾ أي: داود ﴿اللَّهُ الْمَلِكُ﴾ في بني إسرائيل ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ النبوة بعد موت شمويل وطالوت، ولم يجتمعا لأحد قبله ﴿وَعَلَّمَهُ﴾ أي: كصنعة الدروع، ومنطق الطير ﴿وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَصَاهِرِهِمْ﴾ بدل، بعض من الناس ﴿بِبَعْضِ لَفْسَدَتِ الْأَرْضِ﴾ بغلبة المشركين وقتل المسلمين وتخريب المساجد ﴿وَلَا كُنَّ اللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ فدفع بعضهم ببعض.

[٢٥٢] ﴿تِلْكَ﴾ هذه الآيات ﴿عَلَّمْتُ اللَّهُ تَتْلُوهَا﴾ نقصها ﴿عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿يَا حَقِّي﴾ بالصدق ﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ التأكيد بـ«إن» وغيرها رد لقول الكفار له: ﴿كُنْتَ مُرْسَلًا﴾ (٣).

فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهْرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُّلتَفُوا اللَّهَ كَمْ مِّنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتِ فَتَنَةٌ كَثِيرَةٌ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بِبَعْضِهِمْ بِبَعْضِ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾

(١) أي: فتح العين وضمها، والفتح قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو. وقرأ الباقون بالضم.

(٢) أي: العصاة، وعلى هذا التفسير يكون قولهم تبرؤوا لنكولهم، وأكثر المفسرين على أنهم قالوا هذا القول بعدما عبروا النهر مع طالوت ورأوا جالوت وجنوده، وبعض المفسرين - ومنهم المصنف - أن العصاة لم يعبروا النهر، بل وقفوا بساحله وقالوا معتذرين عن التخلف منادين ومستمعين لطالوت والمؤمنين معه: ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ﴾ الآية؛ ولذا قال المصنف: ... وجبنوا ولم يجاوزوه. ويحتمل أن يكون القائلون هم طائفة ممن عبروا مع طالوت ولم يشربوا من النهر، ولكن حصل معهم نوع استضعاف لأنفسهم فشحهم على الثبات والإقدام أهل الإيمان الكامل واليقين الراسخ.

(٣) الرعد: ٤٣.

تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْ كَلِمِ اللَّهِ
 وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَهَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيْتَاتِ
 وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن
 بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا
 فَمِنْهُمْ مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَّنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا
 وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا
 مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلَّةَ وَلَا
 شَفَاعَةَ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٥٥﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
 الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ
 وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ
 مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا
 بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا
 وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٦﴾ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ
 الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ
 بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٧﴾

[٢٥٣] ﴿تِلْكَ﴾ مبتدأ ﴿الرُّسُلُ﴾ نعت أو عطف بيان (١)، والخبر: ﴿فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ بتخصيصه بمنقبة ليست لعيره ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾ كموسى ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ﴾ أي: محمداً ﷺ ﴿دَرَجَاتٍ﴾ على غيره؛ بعموم الدعوة، وحثم النبوة، وتفضيل أمته على سائر الأمم، والمعجزات المتكاثرات، والخصائص العديدة ﴿وَهَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيْتَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ﴾

قوبناه ﴿رُوحِ الْقُدُسِ﴾ جبريل يسير معه حيث سار ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ هدى الناس جميعاً ﴿مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ﴾ بعد الرسل؛ أي: أمهم ﴿وَمِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ﴾ لاختلافهم وتضليل بعضهم بعضاً ﴿وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا﴾ لمشيئته ذلك ﴿فَمِنْهُمْ مَّنْ ءَامَنَ﴾ ثبت على إيمانه ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ كَفَرَ﴾ كالنصارى بعد المسيح ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا﴾ تأكيد ﴿وَلَكِنِ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ من توفيق من شاء، وخذلان من شاء.

[٢٥٤] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾ زكاته ﴿مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلَّةَ﴾ صداقة تنفع ﴿وَلَا شَفَاعَةَ﴾ بغير إذنه؛ وهو: يوم القيامة، وفي قراءة: يرفع الثلاثة (٢) ﴿وَالْكَافِرُونَ﴾ بالله، أو بما فرض عليهم ﴿هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ لوضعهم أمر الله في غير محله.

[٢٥٥] ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: لا معبود بحق في الوجود ﴿إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ الدائم بالبقاء ﴿الْقَيُّومُ﴾ المبالغ في القيام بتدبير خلقه ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ نَّعَاسٌ﴾ ولا نوم ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ملكاً وخلقاً وعبيداً ﴿مَنْ ذَا الَّذِي﴾ أي: لا أحد ﴿يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ له فيها ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ الخلق ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ أي: من أمر الدنيا والآخرة، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ﴾ أي: لا يعلمون شيئاً من معلوماته ﴿إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ أن يعلمهم به منها؛ بإخبار الرسل ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ قيل: أحاط علمه بهما. وقيل: الكرسي نفسه مشتمل عليهما لعظمته (٣). الحديث: ﴿مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ فِي الْكُرْسِيِّ إِلَّا كَدَرَاهِمِ سَبْعَةِ أَقْيَيتِ فِي نَوْسِ﴾ (٤) ﴿وَلَا يَئُودُهُ﴾ ينقله ﴿حِفْظُهُمَا﴾ أي: السماوات والأرض ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ فوق خلقه بالقهر (٥) ﴿الْعَظِيمُ﴾ الكبير.

[٢٥٦] ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ على الدخول فيه ﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ أي: ظهر بالآيات البينات أن الإيمان رُشْدٌ والكفر غيٌّ، نزلت فيمن كان له من الأنصار أولاد أراد أن يكرههم على الإسلام (٦) ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ﴾ الشيطان أو الأصنام، وهو يطلق على المفرد والجمع (٧) ﴿وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ﴾ تمسك ﴿بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ بالعقد المحكم ﴿لَا انْفِصَامَ﴾ انقطاع ﴿لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ لما يقال ﴿عَلِيمٌ﴾ بما يفعل.

(١) ما جاء في نزول الآية (٢٥٦): أخرج أبو داود عن ابن عباس قال: كانت المرأة تكون مقلاة فتجعل على نفسها إن عاش لها ولد أن تهوده، فلما أحبلت بنو النضر كان فيهم من أبناء الأنصار، فقالوا: لا ندع أبناءنا، فأزل الله ﷻ: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾. المقلاة: التي لا يعيش لها ولد. أبو داود - كتاب الجهاد (٩) باب (١٢٦) في الأسير يكره على الإسلام. وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢٣٣٢).

- (١) أو بدل؛ لأن المحلى به «ال» بعد اسم الإشارة يجوز فيه الثلاثة.
- (٢) والقراءة المشهورة بالفتح من غير تنوين لابن كثير وأبي عمرو، وقرأ الباقون برفع الثلاثة.
- (٣) الصحيح أن الكرسي موضع القدمين الشريفتين كما صحت بذلك الآثار عن ابن عباس وغيره، وأما تفسيره بالعلم فهو قول ضعيف وينسب إلى ابن عباس، والمخفوظ عنه ما تقدم.
- (٤) رواه ابن جرير (١٠/٣) عن ابن زيد عن أبيه مرفوعاً به. وابن زيد هو عمر بن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب وهو ثقة من رجال الشيخين، يروي عنه ابن وهب وغيره. وأبو محمد بن زيد ثقة مثله روى عن العبادة الأربعة - فالحدِيث منقطع. وجاء نحوه عن أبي ذر مرفوعاً بلفظ: « ما السماوات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة» وهو في الصحيحة (١٠٩).
- (٥) والواجب إثبات اللؤلؤ - شجخاته - بأقسامه الثلاثة، وهي علوه بذاته فوق عرشه، وعلوه بالقهر والغلبة فوق خلقه، وعلو شأنه بتعاليه عن جميع القاصص والعيوب.
- (٦) روي عن ابن عباس أنه: الحصين من بني سالم بن عوف، كان له ابنان فنصرا قبل مبعث النبي ﷺ، فأحب أن يكرههما على الإسلام فأخذهما إلى النبي ﷺ فنزلت - ذكره ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/٣)، وهو ضعيف جداً؛ كما في الاستيعاب في بيان الأسباب (١٩٦/١).
- (٧) وقد حده ابن القيم حكماً جامعاً، فقال: «الطاغوت: كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع؛ فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله، أو يعبدونه من دون الله، أو يتبعونه غير غير بصيرة من الله، أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله». فإذا تأملت هذ التعريف عرفت أن حكم القانون من الطاغوت، وأن الحكم القانوني طاغوت؛ لأنه يحكم بتشريع وضعي لا يستند إلى القرآن أو السنة أو إجماع الأمة. وتظهير الجنان والأركان عن درن الشرك والكفران (ص ١٠).

[٢٥٧] ﴿اللَّهُ وَلِيُّ﴾ ناصر ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُغْفِرُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾ الكفر ﴿إِلَى النُّورِ﴾ الإيمان ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الظُّلُمَاتُ﴾ يُغْفِرُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ذكر الإخراج؛ إما في مقابلة قوله: ﴿يُغْفِرُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾، أو في كلٍّ من آمن بالنبي قُتِلَ بعثته من اليهود ثم كَفَر به^(١) ﴿أُولَئِكَ أَحْصَى النَّارَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

[٢٥٨] ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ جَادِلَ﴾ جَادِلَ ﴿إِبْرَاهِيمَ فِي رِيبِهِ﴾ ل^(٢) ﴿أَن آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾ أي: حَمَلَهُ بَطْرَةً بنعمة الله على ذلك؛ وهو: النمرود ﴿إِذْهُ بَدَلٌ مِنْ حَاجِّ﴾^(٣) ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾ لَمَّا قَالَ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ الَّذِي تَدْعُونَا إِلَيْهِ؟: ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ أي: يخلق الحياة والموت في الأجساد ﴿قَالَ﴾ هو: ﴿أَنَا أَنِّي وَيُؤْتِي﴾ بالقتل والغو عنه؛ ودعا برجلين، قتل أحدهما، وترك الآخر، فلما رآه غيباً^(٤) ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾ منتقلاً إلى حجة أوضح منها: ﴿فَلَمَّا آتَاهُ اللَّهُ الْيَقِينَ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتَتْ بِهَا﴾ أنت ﴿وَمِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ تَحَيَّرَ وَدُهَشَ ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ بالكفر إلى محجة الاحتجاج.

[٢٥٩] ﴿أَوَلَمْ يَرَأَى﴾ كَالَّذِي الكاف زائدة ﴿مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ﴾ هي بيت المقدس^(١)، رابكنا على حمار، ومعه سلة تين وقدح عصير؛ وهو: عزيز^(٢) ﴿وَوَيْ حَاوِيَةَ﴾ ساقطة ﴿عَلَى عُرُوشِهَا﴾ سقوطها لما خَرَّتْهَا «بختنصر»^(٣) ﴿قَالَ أَنَّى﴾ كيف^(٤) ﴿يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا؟﴾ استعظاما لقدرته - تعالى^(٥) - ﴿فَأَمَّا اللَّهُ﴾ وَالْبَيْتَةُ ﴿مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾ أحياء ليريه كيفية ذلك ﴿قَالَ﴾ - تعالى - له: ﴿كَمْ لَيْتَ﴾ مكنت هنا؟ ﴿قَالَ لَيْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ لأنه نام أول النهار؛ فقبض، وأحيى عند الغروب؛ فظن أنه يوم النوم ﴿قَالَ بَلْ لَيْتَ مِائَةَ عَامٍ فَأَنْظِرْ إِلَى طَعَامِكَ﴾ التين ﴿وَشَرَابِكَ﴾ العصير ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ لم يتغير مع طول الزمان، والهاء؛ قيل: أصل من «سَانَهَتْ»^(٦)، وقيل للسكت من «سَانَيْتُ»^(٧)، وفي قراءة: بحذفها^(٨) ﴿وَأَنْظِرْ إِلَى حِمَارِكَ﴾ كيف هو؛ فرأه ميتاً وعظامه بيض تلوح! فَعَلْنَا ذَلِكَ لتعلم ﴿وَلَتَعْلَمَنَّ آيَةَ﴾ على البعث ﴿لِلنَّاسِ﴾ وَأَنْظِرْ إِلَى الْعِظَامِ من حمارك ﴿كَتَيْفَ﴾ [تُنْبِتُهَا] نحيبها^(٩)؛ بضم النون، وقرئ: بفتحها^(١٠) من «أنشأ، ونشأ»

اللَّهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا يُغْفِرُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ
وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الظُّلُمَاتُ يُغْرِبُونَ فِيهَا
خَالِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رِيبِهِ
أَن آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي
وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أَنِّي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي
بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي
كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ أَوَلَمْ يَرَأَى
مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي
هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَّا اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ
قَالَ كَمْ لَيْتَ قَالَ لَيْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ
لَيْتَ مِائَةَ عَامٍ فَأَنْظِرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ
وَأَنْظِرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِتَعْلَمَنَّ آيَةَ النَّاسِ وَأَنْظِرْ إِلَى
الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِرُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا الْحَمَامًا فَلَمَّا
تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْمَرَ أَبْتَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾

لنتان^(١٦)، وفي قراءة: بضمها، والزاي^(١٧)، نحرهما ونرفعها^(١٨) ﴿ثُمَّ نَكْسُوها الْحَمَامًا﴾ فظن إليه وقد تركت وكسيت لحمًا ونفخ فيه الروح ونهق ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ﴾ ذلك بالمشاهدة ﴿قَالَ أَعْلَمُ﴾ علم مشاهدة ﴿أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ وفي قراءة: «اعلم»^(١٩) أمر من الله له.

- (١) قوله: «ذكر الإخراج... الخ» جواب عن سؤال مقدر حاصله: أن الكفار لم يكونوا في نور حتى يخرجوا منه إلى الظلمات، فكيف ذلك؟ أجاب المفسر بجوابين، الأول: أنه مشاكلة لما قبله، والمراد منهم من أصل النور، والثاني: أنه إخراج حقيقي، وهو في كل من آمن بالنبي ﷺ قبل معننه ثم ارتد بعد ذلك. (٢) أي: إن قوله: ﴿أَن آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾ مفعول لأجله، وهو مجرور باللام للفعل أحد شروطه؛ وهو: عدم اتحاد الفاعل؛ لأن فاعل المحاجة هو النمرود، وفاعل إتياء الملك هو الله، وإنما حذف اللام لأن حذفها مطرد مع «أن» و«إن». (٣) أي: بدل اشتمال. (٤) حيث لم يفهم معنى الكلام؛ لأن معنى: «يُحْيِي وَيُمِيتُ»: يخلق الحياة والموت، وما أجاب به اللعين ليس فيه خلق لهما كما هو ظاهر؛ ومن ثم فلم يصدق عليه إبراهيم في ذلك وانتقل إلى حجة أخرى أظهر.
- (٥) أشار بهذا إلى أن ﴿كَالَّذِي﴾ معمول مخذوف يدل عليه السياق، وبه قال بعضهم، لكن من قال به جعل الكاف اسماً بمعنى «مثل» لا زائدة. أما من جعلها زائدة جعل مدحولها مفعولاً على الموصول ولا يكون في الكلام حذف عامل، فلفق الشارح بين القولين على وجه أوجب صعوبة الفهم. (٦) وقيل: هي القرية التي خرج منها الألو فحذر الموت. وقيل: غيرهما.
- (٧) وهذا هو القول المشهور، وقيل: غير ذلك. وضح البعض أنه رجل شاك في البعث، كما هو ظاهر الآية... ولعله الأورب من هذه الحادثة والتي قبلها كدليلين عظيمين على قدرة الله، وعلى البعث، ولا فائدة في الانشغال بتعيين ما أبهمه الله في كتابه، والله أعلم.
- (٨) «بخت»: معناه: ابن، و«بخت»: اسم للضم؛ سمي بذلك لأن أمه لما ولدته وضعت عنده، فلما وجدوه قالوا: بختنصر. أي ابن الضنم، وكان كافراً ملك الأرض مشرقاً ومغرباً.
- (٩) وقيل: بمعنى: متى. (١٠) أي: لا يقدر على ذلك إلا صاحب القدرة العظيمة.
- (١١) أي: فهي لام الكلمة، والفعل مجزوم بسكون الهاء، فأصل سنة: سنهة، وهي ثابتة وصلاً ووقفاً.
- (١٢) أي: فهي زائدة، ولام الكلمة واو، والفعل مجزوم بحذف حرف العلة، وثبتت الهاء في الوقف لا في الوصل، وهي قراءة حمزة والكسائي.
- (١٣) أي: وصلاً، وظاهره أنها قراءة مستقلة وليس كذلك؛ وإنما هي بقية قراءة حمزة والكسائي، فهي عندهما تثبت ووقفاً وتحذف وصلاً.
- (١٤) هذا التفسير لا يلتم مع قوله بعدها: ﴿ثُمَّ نَكْسُوها كَسْمًا﴾؛ فإن الإحياء قبله لا بعده، ويمكن أن يراد بالإحياء جمعها وضم بعضها إلى بعض، وهو معنى قراءة الزاي المعجمة.
- (١٥) وهي قراءة شاذة. (١٦) لف ونشر مرتب؛ أي: نُشِرْها من أنشأ، ونُشِرْها من نشر. (١٧) وبها قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي، والباقون بالراء.
- (١٨) أي: نرفعها من الأرض وتردها إلى مكانها من الجسد وتركب بعضها على بعض.

وضمها^(١)؛ أمهلن^(٢) إليك وقطعن واخلط لحمهن وريشهن ﴿ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْ جبالِ أَرْضِكَ جِبْتًا جُرَّةً ثُمَّ أَدْعُهُنَّ﴾ إليك ﴿يَأْتِيَنَّكَ سَعِيًّا﴾ سرعيا ﴿وَأَعْلَمَنَّ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لا يعجزه شيء، ﴿حَكِيمٌ﴾ في ضعيه؛ فأخذ طاووسا ونسرا وغرابا وديكًا^(٣) وفعل بهن ما ذكر، وأمسك رعو سهن عنده ودعاهن؛ فطارت الأجزاء إلى بعضها حتى تكاملت، ثم أقبلت إلى رعو سهن.

[٢٦١] ﴿مَثَلُ﴾ ﴿صَفَةِ نَفَقَاتٍ﴾ ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: طاعته ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سَبْتَلَةٍ مِائَةٌ حَبًّا﴾ فكذلك نفقاتهم تضاعف لسبعائة ضعف ﴿وَاللَّهُ يُضْعِفُ مَا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾^(٤) فضله ﴿عَلِيمٌ﴾ بمن يستحق المضاعفة.

[٢٦٢] ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَثَلًا﴾ على المنفق عليه، بقولهم - مثلا: - ﴿قَدْ أَحْسَنْتَ إِلَيْهِ وَحَبِزْتَ خَالَهٗ﴾ ﴿وَلَا أَدَّى﴾ له يذكر ذلك إلى من لا يحب وقوفه عليه ونحوه ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ ثواب إنفاقهم ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ في الآخرة.

[٢٦٣] ﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾ كلام حسن، ورَدٌّ على السائل جميل ﴿وَمَعْفُورَةٌ﴾ له في الخاسه ﴿خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتَّبِعُهَا أَدَّى﴾ بالمعنى وتغيير له بالسؤال ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ عن صدقة العباد ﴿حَلِيمٌ﴾ بتأخير العقوبة عن المأذوم والمؤذي.

[٢٦٤] ﴿يَتَّبِعُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يُطْلُؤُوا صَدَقَتِكُمْ﴾ أي: أجورها ﴿بِالْمَنْ وَالْأَدَى﴾ إبطالا ﴿كَالَّذِي﴾ أي: كإبطال نفقة الذي ﴿يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَةً لِلنَّاسِ﴾ مراتبا لهم ﴿وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ هو المنافق ﴿فَمَسَلَهُ﴾ كمثل صغوان ﴿حَجْرٍ أَمْلَسَ عَلَيْهِ تَرَابٌ فَأَصَابَهُ وَأَبْلُ﴾ مطر شديد ﴿فَتَرَكَهُ صَلْدًا﴾ صلبا أملس لا شيء عليه ﴿لَا يَقْدِرُونَ﴾ استنثاق^(٥)

ليبان مثلا المنافق المنفي رثاة الناس؛ وجمع الضمير باعتبار معنى "الذي" ﴿عَلَى شَيْءٍ وَمَا كَسَبُوا﴾ عملوا؛ أي: لا يجدون له ثوابا في الآخرة؛ كما لا يوجد على الصغوان شيء من التراب الذي كان عليه لإذهاب المطر له ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾.

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولَئِكَ تُؤْمِنُونَ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصِرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِيَنَّكَ سَعِيًّا وَاعْلَمَنَّ أَنَّهُ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦١﴾ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سَبْتَلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٢﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَثَلًا وَلَا أَدَى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٣﴾ قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَعْفُورَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتَّبِعُهَا أَدَى وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَلِيمٌ ﴿٢٦٤﴾ يَتَّبِعُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يُطْلُؤُوا صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنْ وَالْأَدَى كَالَّذِي كَالَّذِي يَنْفِقُ مَالَهُ رِثَةً لِلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَسَلَهُ كَمَثَلِ صَغْوَانٍ عَلَيْهِ تَرَابٌ فَأَصَابَهُ وَأَبْلُ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦٥﴾

[٢٦٥] ﴿وَر﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾ قال - تعالى - له: ﴿أُولَئِكَ تُؤْمِنُونَ﴾ بقدرتي على الإحياء؛ سأله مع علمه بإيمانه بذلك؛ ليجيبه بما سأل؛ فيعلم السامعون غرضه ﴿قَالَ بَلَىٰ﴾ آمنت ﴿وَلَٰكِن﴾ سألتك ﴿لِيَطْمَئِنَّ﴾ يسكن ﴿قُلُوبِي﴾ بالمعينة المضمومة إلى الاستدلال ﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصِرْهُنَّ﴾ إليك ﴿بِكسر الصاد

(١) بالكسر قراءة حمزة وقرأ بقية السبعة بالضم.

(٢) تفسير للفعل على كل من القراءتين، وأمره بإماتهن إليه؛ أي: تقريرهن منه ليحقق أوصافهن، حتى يعلم بعد الإحياء أنه لم ينتقل جزء منها عن موضعه الأول أصلا.

(٣) ولم يرد تحديدهن وتعيينهن في شيء من الأخبار الصحيحة الثابتة، فالأولى الاقتصار على إطلاق القرآن دون تعيين.

(٤) لا بد من تقدير مضاف في أحد الجانبيين؛ أي: مثل نفقتهم كمثل حبة، أو مثلهم كمثل باذر حبة، والشارح سلك الأول.

(٥) غني يعطي عن سعة.

(٦) الجملة استنثاق مبني على السؤال؛ كأنه قيل: فماذا يكون مآلهم حيثذا؟ فقيل: لا يقدرُونَ... إلخ.

[٢٦٥] ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَلَبٍ مَرْضَاتٍ لِلَّهِ (١) وَتَبِيئًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ أي: تحقيقاً للثواب عليه، بخلاف المنافقين الذين لا يرجون لإنكارهم له، ﴿وَمِنَ ابْتِغَاءِ﴾ (٢) ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِسْتَانٍ [بِرَبْوَةٍ]﴾ بضم الراء وفتحها (٣)؛ مكان مرتفع مستو ﴿أَصَابَهَا وَايُّلٌ فَانْتَثَرَ﴾ أعطت ﴿أُكْلَهَا﴾ بضم الكاف وسكونها (٤)؛ ثمرها ﴿يَضَعُ ثَمَرَهَا مِثْلِي مَا يُلْمُزُ غَيْرَهَا﴾ (٥) ﴿فَإِن لَّمْ يُمْسِكْهَا وَايُّلٌ فَطَلَّ﴾ (٦) مطر خفيف يصيبها ويكفيها لارتفاعها؛ المعنى: ثمر وتزكو كثر المطر أم قل؛ فكذاك نفقات من ذكر تزكو عند الله كثر أم قلت ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيجازيكم به.

[٢٦٦] ﴿أَيُّوبُ﴾ أيحب ﴿أَمَدَكُمُ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ﴾ بسنان ﴿وَمِنَ نَّجِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَبُ فِيهَا﴾ ثمر ﴿وَمِنَ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ (٧) ﴿وَقَدْ أَصَابَهُ الْكِبَرُ﴾ فضعف من الكبر عن الكسب ﴿وَلَهُ ذُرِّيَةٌ ضَعُفَاءٌ﴾ أولادٌ صغارٌ لا يقدرون عليه ﴿فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ﴾ ريح شديدة ﴿فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ﴾ ففقدتها أخوَج ما كان إليها، وبقي هو وأولاده عجرة متحيرين لا حيلة لهم. وهذا تمثيل لشفقة المرائي والمأن في ذهابها وعدم نفعها أخوَج ما يكون إليها في الآخرة، والاستفهام بمعنى النفي (٨)، وعن ابن عباس: هو الرجل عميل بالطاعات، ثم بعث له الشيطان فعيل بالمعاصي حتى أخوَج أعماله (٩) ﴿كَذَلِكَ﴾ كما بين ما ذكر ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ فتعتبرون.

[٢٦٧] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا﴾ أي: زكوا ﴿مِنَ طَيِّبَاتِ﴾ حياض ﴿مَا كَسَبَتْ﴾ من المال (١٠) ﴿وَمِنْ حَيْثُ طَيَّبْتُمْ﴾ ما أخرجنا لكم من الأرض من الحبوب والثمار ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا﴾ تقصدوا ﴿الْحَيَاتِ﴾ الرديء ﴿مِنْهُ﴾ أي: من المذكور ﴿تُنْفِقُونَ﴾ في الزكاة، حال من ضمير ﴿تَمَنَّوْا﴾ ﴿وَلَسْتُمْ بِيَاغِظِيهِ﴾ أي: الخبيث لو أعطيتموه في حقوقكم ﴿إِلَّا أَنْ تَعْمُرُوا فِيهِ﴾ بالساهل وعض البصر، فكيف تؤدون منه حق الله؟! ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ عن نفقاتكم ﴿حَكِيمٌ﴾ محمود على كل حال (١١).

[٢٦٨] ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ يَبِغِزُوا﴾ أي: يفتشوا ﴿فَتَشِيقُوا﴾ ﴿وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ﴾ البخل ومنع الزكاة ﴿وَاللَّهُ يَهْدِيكُمْ عَلَى الْإِنْفَاقِ﴾ ﴿مَتَّقِرَةً مِنْهُ﴾ لذنوبكم ﴿وَقَصَلًا﴾ رزقاً خلقاً منه ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ (١٢) فضله ﴿عَلِيمٌ﴾ بالمنفق.

وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتٍ لِلَّهِ وَتَبِيئًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَايُّلٌ فَانْتَثَرَ أَكْلَهَا ضَعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصَيِّهَا وَايُّلٌ فَطَلَّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾ أَيُّوبُ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّجِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَةٌ ضَعُفَاءٌ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبُوا وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَتَمَنَّوْا الْحَيَاتِ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِيَاغِظِيهِ إِلَّا أَنْ تَعْمُرُوا فِيهِ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٧﴾ الشَّيْطَانُ يَعْزِكُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذْكَرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٦٩﴾

[٢٦٩] ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ﴾ أي: العلم النافع المؤدي إلى العمل ﴿مَنْ بِنَاءَهُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ لمصيره إلى السعادة الأبدية ﴿وَمَا يَذْكَرُ﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الذال؛ يتعظ ﴿إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ أصحاب العقول.

(١) ما جاء في نزول الآية (٢٦٧): أخرج الترمذي عن البراء: ﴿وَلَا تَمَنَّوْا الْحَيَاتِ مِنْهُ تُنْفِقُونَ﴾ قال: نزلت فينا معشر الأنصار، كنا أصحاب نخل، فكان الرجل يأتي من نخله على قدر كثرته وقلته، وكان الرجل يأتي بالفتو والقنوين فيلحقه في المسجد، وكان أهل الصفة ليس لهم طعام، فكان أحدهم إذا جاء أي الفتو فضره بعضا، فيسقط من البسر والتمر فيأكل، وكان ناس من لا يرغب في الخير يأتي الرجل بالفتو فيه الشيب والحنشف، وبالفتو قد انكسر فيلحقه، فأنزل الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبُوا وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَمَنَّوْا الْحَيَاتِ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِيَاغِظِيهِ إِلَّا أَنْ تَعْمُرُوا فِيهِ﴾ قالوا: لو أن أحدكم أهدي إليه مثل ما أعطاه لم يأخذه إلا على إغماض وحياء. قال: فكان بعد ذلك يأتي أحدنا بالصالح ما عنده. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٣) سورة البقرة. صحيح سنن الترمذي (٢٣٨٩).

(١) أي: طلب رضا الله، وفيها إثبات صفة الرضا له - سبحانه - على الوجه اللائق به.

(٢) كقولهم: ﴿حَسْبًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ﴾ [البقرة: ١٠٩]، والمعنى هنا: أي تبيئنا مبتدأ من أصل أنفسهم لا من جهة أخرى.

(٣) بالضم قراءة السبعة عدا ابن عامر وعاصم.

(٤) بالسكون قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو، وقرأ الباقون بضم الكاف.

(٥) أي: فهو استفهام إنكاري؛ يعني: لا يحب المسلم ذلك.

(٦) تفسير الطبري (٧٥/٣).

(٧) وهو النقد والمواشي وعروض التجارة.

(٨) واسع الصفات كثير الهبات.

﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٧٧﴾ إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٧٨﴾ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَا يُفْسِدْكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٧٩﴾ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَاقًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٨٠﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْأَيْدِي وَالْأَنْهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٨١﴾

[٢٧٣] ﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾ خير مبتدأ محذوف؛ أي: الصدقات ﴿الَّذِينَ أَحْصَرُوا﴾ في سبيل الله ﴿أي:﴾ حسبوا أنفسهم على الجهاد، نزلت في أهل الضمَّة؛ وهم: أربعمائة من المهاجرين أُزِيدُوا لِتَعْلَمَ الْقُرْآنَ والخروج مع السرايا ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا﴾ سفرًا ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ للتجارة والمعاش لشغلهم عنه بالجهاد ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ﴾ بحالهم ﴿أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾ ﴿أي:﴾ لتعففهم عن السؤال وتركة ﴿تَعْرِفُهُمْ﴾ يا مخاطبًا ﴿بِسِيمَتِهِمْ﴾ علامتهم من التواضع وأثر الجهد ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ﴾ شيئًا فيلحظون ﴿إِلْحَاقًا﴾ ﴿أي:﴾ لا سؤال لهم أصلاً؛ فلا يقع منهم إلحاف؛ وهو: الإلحاح ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ فمجاز عليه.

[٢٧٤] ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْأَيْدِي وَالْأَنْهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

[٢٧٠] ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَمَا يَعْلَمُهَا﴾ ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾ ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ مانعين لهم من عذابه.

[٢٧١] ﴿إِنْ تُبْدُوا﴾ تظهروا ﴿الصَّدَقَاتِ﴾ أي: النوافل ﴿فَنِعِمَّا هِيَ﴾

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: ليس للمسكين الذي ترده التمرة والتمرثان، ولا للقمعة واللقمتان، وإنما للمسكين الذي يتعفف، أقره إن شئتم - يعني قوله تعالى: ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَاقًا﴾. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) - سورة البقرة (٢) باب (٤٨). وأخرجه مسلم - كتاب الزكاة (١٢) باب (٣٤) المسكين الذي لا يجد غنى، ولا يفتن له، فيصدق عليه.

(١) بالنون مع الجزم قراءة نافع وحزمة والكسائي، والنون مع الرفع قراءة ابن كثير وأبي عمرو وشعبة، وقرأ ابن عامر وحفص بالياء ورفع الراء.

(٢) أي: مع خبره ومحلله جزم لوقوعه جواب الشرط.

(٣) وفيها إثبات صفة الوجه لله - سبحانه - على الوجه اللاتق به.

(٤) قال ابن القيم: إن حمله - أي الوجه - على الثواب المنفصل من أبطال الباطل؛ فإن اللغة لا تحتمل ذلك، ولا يعرف أن الجزء يسمى وجهًا للمجازي، كما أن الثواب مخلوق؛ فقد صح عنه ﷺ أنه استأذ بوجه الله فقال: «أَعُوذُ بِوَجْهِكَ الْكَرِيمِ أَنْ تُضِلَّنِي...» [رواه أبو داود وغيره]، ولا يظن برسول الله ﷺ أن يستعذ بمخلوق... [المفسرون بين الإثبات والتأويل (٢/ ٣٥٩، ٣٦٠)] بتصرف.

(٥) أي: لا تنفقوا إلا ابتغاء وجه الله.

(٦) أي: قوله: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ﴾، وقوله: ﴿وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾.

(٧) أي: للشرطية الأولى، وهي: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَا يُفْسِدْكُمْ﴾.

(٨) نكرة غير مقصودة للإشارة إلى أن حالهم ظهر لكل أحد.

(٩) مفعل مطلق عامله محذوف كما قدره المفسر، ويصح أن يكون مفعولاً لأجله؛ أي: لا يسألون لأجل الإلحاف، ويصح أن يكون حالاً؛ أي: مصدرًا من موضع الحال تقديره: لا يسألون ملحقين.

الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي
يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ
مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ
مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَاتَّبَعَهَا فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ
عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ
اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ
﴿٢٧٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ
وَأَتَوُوا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ
وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا
فَأَذْنَا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتِغُوا فَلَكَؤُوسٌ
أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِنْ كَانَ
ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ
إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى
اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾

﴿٢٧٥﴾ [الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا] أي: يأخذونه، وهو الزيادة في
المعاملة بالقتود والمطمومات في القَدْرِ^(١) أو الأَجَلِ^(٢) ﴿لَا يَقُومُونَ﴾ من
قبورهم ﴿إِلَّا﴾ قيامًا ﴿كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ﴾ بصرعه ﴿الشَّيْطَانُ مِنَ
الْمَسِّ﴾ الجنون، متعلق بـ﴿يَقُومُونَ﴾، ﴿ذَلِكَ﴾ الذي نزل بهم ﴿بِأَنَّهُمْ﴾
بسبب أنهم ﴿قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾ في الجواز، وهذا من عكس
التشبيه مبالغة؛ فقال - تعالى - رَدًّا عليهم: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ
جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَاتَّبَعَهَا﴾ عن أَكْلِهِ ﴿فَلَهُ مَا سَلَفَ﴾
قَبْلَ النَّهْيِ؛ أي: لا يسترد منه ﴿وَأَمْرُهُ﴾ في العفو عنه ﴿إِلَى اللَّهِ وَمَنْ
عَادَ﴾ إِلَى أَكْلِهِ مُشَبَّهًا لَهُ بِالْبَيْعِ فِي الْحِلِّ ﴿فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ
فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

﴿٢٧٦﴾ ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا﴾ ينقصه ويذهب بركته ﴿وَيُرِي الصَّدَقَاتِ﴾
يزيدها وينميها ويضاعف ثوابها ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ﴾ كُلَّ كَفَّارٍ ﴿تَحْلِيلِ الرِّبَا
﴿أَثِيمٍ﴾ فاجر يأكله؛ أي: يعاقبه^(٤).

﴿٢٧٧﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا
الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

﴿٢٧٨﴾ ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا﴾ اتركوا ﴿مَا بَقِيَ مِنَ
الرِّبَا﴾ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿صَادِقِينَ فِي إِيمَانِكُمْ﴾ فَإِنْ مِنْ شَأْنِ الْمُؤْمِنِ امْتِنَالٌ أَثَرُ
اللَّهِ - تعالى - نَزَلَتْ مَا طَالَتْ بَعْضُ الصَّحَابَةِ بَعْدَ النَّهْيِ رِيبًا كَانَ لَهُمْ مِنْ قَبْلِ.

﴿٢٧٩﴾ ﴿إِنْ لَمْ تَفْعَلُوا﴾ مَا أَمَرْتُ بِهِ ﴿فَأَذْنَا بِحَرْبٍ مِنَ
اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ لَكُمْ، فِيهِ تَهْدِيدٌ شَدِيدٌ لَهُمْ، مَا نَزَلَتْ قَالُوا: ﴿لَا يَذِي﴾ لَنَا
بِحَرْبِهِ ﴿وَإِنْ تُبْتِغُوا﴾ رَجَعْتُمْ عَنْهُ ﴿فَلَكَؤُوسٌ﴾ أَصُولُ ﴿أَمْوَالِكُمْ لَا
تَظْلِمُونَ﴾ بِزِيَادَةٍ ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ بِنَقْصٍ^(٥).

﴿٢٨٠﴾ ﴿وَإِنْ كَانَتْ﴾ وَقَعَ^(٦) غَرِيمٌ ﴿ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ﴾ لَهُ؛ أَي:
عَلَيْكُمْ تَأْخِيرُهُ ﴿إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾ بِفَتْحِ السِّينِ وَضَمِّهَا^(٧)؛ أَي: وَقْتُ يَسْرِ وَأَنْ
[تَصَدَّقُوا] بِالتَّشْدِيدِ عَلَى إِدْغَامِ النَّاءِ فِي الْأَصْلِ فِي الصَّادِ، وَبِالتَّخْفِيفِ عَلَى
حَذْفِهَا^(٨)؛ أَي: تَصَدَّقُوا عَلَى الْمَعْسَرِ بِالْإِزْءَاءِ^(٩) ﴿خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ
تَعْلَمُونَ﴾ أَنَّهُ خَيْرٌ فَافْعَلُوا، وَفِي الْحَدِيثِ: ﴿مَنْ أَنْظَرَ مُغْسِرًا أَوْ وَضَعَ عُنُقَهُ أَظْلَهُ
اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ﴾^(١٠) [رواه مسلم].

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن ابن عباس قال: آخر آية نزلت على النبي ﷺ آية الربا. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة البقرة (٢) باب (٥٠).

وأخرج أيضًا عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما نزلت الآيات من سورة البقرة في الربا خرج النبي ﷺ إلى المسجد فقرأهن على الناس، ثم حرم تجارة الخمر. البخاري - كتاب الصلاة (٨) باب (٣٧) حرم تجارة الخمر في المسجد.

(١) وهو ربا الفضل ولا يكون إلا عند اتحاد الجنس.

(٢) وهو ربا النساء، ويكون في متحد الجنس ومختلفه، وهو البيع مع تأجيل العوضين أو أحدهما.

(٣) فيها إثبات صفة الحجة لله ﷻ على الوجه اللائق به - شَيْخَانَهُ - وعلى ما تقتضيه الحكمة البالغة.

(٤) وهذا التأويل هو مذهب الأشاعرة ينفونها بدعوى أنها توهم نقضًا؛ فيرجعونها إلى معنى إرادة الثواب والعقاب، ومذهب السلف لإثباتها على الحقيقة على الوجه اللائق به - شَيْخَانَهُ - دون أن يقتضي ذلك عندهم نقضًا ولا تشبيهاً، كما يثبتون لازم الحجة وهو الإكرام والإثابة، ولزام ضدها وهو الإهانة والعقاب، أما المعتزلة؛ فلأنهم لا يثبتون إرادة قائمة به فيفسرون الحجة بأنها نفس الثواب الواجب عندهم على الله، وضدها بالعقاب الواجب عندهم على الله؛ بناء على مذهبه في وجوب إثابة المطيع وعقاب العاصي.

(٥) بصيغة الأفراد في نسخة، وفي أكثر النسخ بصيغة التثنية «لا يذِي» وحذفت النون تخفيفًا؛ والمعنى على كل من النسختين: لا قدرة ولا طاقة لنا.

(٦) أشار بذلك إلى أن «كانت» تامّة، و«ذُو» فاعلها، وهو الأقر، ويصح كونها ناقصة و«ذُو» اسمها، وخبرها محذوف تقديره: غريمًا لكم.

(٧) بالضم قراءة نافع.

(٨) والتشديد قراءة السبعة عدا عاصم.

(٩) من كل الدّين أو بعضه.

(١٠) مسلم (٣٠٠٦).

(١١) أي: «تُرْجَعُونَ»، وهي قراءة أبي عمرو.

﴿٢٨١﴾ ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ﴾ بالبناء للمفعول: تردون، وللفاعل: تسيرون^(١١) ﴿يَوْمَ إِلَى اللَّهِ﴾ هو يوم القيامة ﴿يَوْمَ تُوَفَّى﴾ فِيهِ ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾ جِزَاءً ﴿مَا كَسَبَتْ﴾ عملت من خير وشر ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ بنقص حسنة أو زيادة سيئة.

الكاتب ﴿الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾ الدُّنْيُ لأنه المشهود عليه، فيقر ليعلم ما عليه ﴿وَلَيْسَ لِلَّهِ رَبُّهُ﴾ في إملائه ﴿وَلَا يَبْحَسُ﴾ ينقص ﴿بِئْتَهُ﴾ أي: الحق ﴿سَبِيحًا﴾ فَإِنَّ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيحًا ﴿مَبْدَرًا﴾ أَوْ ضَعِيفًا عن الإملاء لِيَصْغُرَ أَوْ كَثِيرًا ﴿أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُبَيِّنَ هُوًّا﴾ لِحَرْبٍ أَوْ جَهْلٍ بِاللُّغَةِ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ ﴿فَلْيُحْمَلْ وَلْيُؤْمَرْ﴾ متولي أمره من الولد ووصيِّه وقرَّبِمْ ﴿وَالْمَدْلُ﴾ وَأَسْتَشْهِدُوا ﴿أَشْهَدُوا عَلَى الدِّينِ﴾ سَهِيدِينَ ﴿شَاهِدِينَ﴾ من رَجَالِكُمْ ﴿أَي: الْبَالِغِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْرَارَ﴾ فَإِنَّ لَمْ يَكُونُوا ﴿أَي: الشَّهِيدَانَ﴾ رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ وَمَنْ تَرَضَّوْنَ مِنَ الشَّهَادَةِ ﴿لِدِينِهِ وَعَدَالَتِهِ﴾ وتعدد النساء لأجل ﴿أَنْ تَضِلَّ﴾ تنسى ﴿إِنْ كُنْتُمْ سَاءَ﴾ الشهادة لنقص عقلمن وضبطهن ﴿فَقَدْ كَرِهَ﴾ بالتخفيف والتشديد^(١) ﴿إِخْلَافًا﴾ الذِّكْرَةَ ﴿الْأُخْرَى﴾ النّاسِيَةَ، وَجَمَلَةُ الْإِذْكَارِ مَحَلُّ الْعَلَّةِ؛ أَي: لِتَذَكَّرَ إِنْ ضَلَّتْ وَدَخَلَتْ عَلَى الضَّلَالِ؛ لِأَنَّهُ سَبِيحٌ^(٢)، وَفِي قِرَاءَةٍ: بِكسْرٍ^(٣) ﴿أَنْ﴾ شَرْطِيَّةٌ، وَرَفَعٌ ﴿تَذَكَّرَ﴾^(٤) اسْتِنْفَافٌ^(٥)، جَوَابُهُ: ﴿وَلَا يَأْتِ الشَّهَادَةَ إِذَا مَا﴾ زَائِدَةٌ ﴿دُعُوا﴾ إِلَى تَحْمَلِ الشَّهَادَةِ وَأَدَائِهَا ﴿وَلَا تَسْمَعُوا﴾ تَمَلُّوْا مِنْ ﴿أَنْ تَكْتُمُوهُ﴾ أَي: مَا شَهِدْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْحَقِّ لِكثْرَةِ وَقُوعِ ذَلِكَ ﴿صَاحِبًا﴾ كَانَ ﴿أَوْ كَبِيرًا﴾ قَلِيلًا أَوْ كَثِيرًا ﴿إِلَّا أَجْلِيَّةً﴾ وَقْتُ حُلُولِهِ، حَالٌ مِنَ الْهَاءِ فِي ﴿تَكْتُمُوهُ﴾^(٦) ﴿ذَلِكَ﴾ أَي: الْكُتْمُ ﴿أَفْسَطُ﴾ أَعْدَلُ ﴿عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ﴾ أَي: أَعْوَنُ عَلَى إِقَامَتِهَا؛ لِأَنَّهُ يَذْكُرُهَا ﴿وَأَدَقُّ﴾ أَقْرَبُ إِلَى ﴿أَنْ﴾ نَ ﴿لَا تَرْتَابُوا﴾ تَشْكُوا فِي قَدْرِ الْحَقِّ وَالْأَجْلِ ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونُوا﴾ تَقَعُ ﴿بِحِجْرَةٍ﴾ خَاضِرَةٍ^(٧) فِي قِرَاءَةٍ: بِالنَّصْبِ، فَ﴿تَكُونُ﴾ نَاقِصَةٌ، وَاسْمُهَا ضَمِيرٌ «التَّجَارَةُ»^(٨) ﴿تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾ أَي: تَقْبِضُونَهَا وَلَا أَجَلَ فِيهَا ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ فِي ﴿أَنْ﴾ نَ ﴿لَا تَكْتُمُوهُمَا﴾ الْمُرَادُ بِهَا الْمُنْجَرُ فِيهِ ﴿وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ عَلَيْهِ؛ فَإِنَّهُ أَدْفَعُ لِلْخِلَافِ، وَهَذَا وَمَا قَبْلَهُ أَمْرٌ نَدْبٌ ﴿وَلَا يُضَارُّكُمْ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ صَاحِبُ الْحَقِّ وَمَنْ عَلَيْهِ؛ بِتَحْرِيفٍ أَوْ امْتِنَاعٍ مِنَ الشَّهَادَةِ أَوْ الْكِتَابَةِ، وَلَا يَضُرُّهُمَا صَاحِبُ الْحَقِّ بِتَكْلِيفِهِمَا مَا لَا يَلِيقُ فِي الْكِتَابَةِ^(٩) وَالشَّهَادَةِ ﴿وَإِنْ تَقَعَلُوا﴾ مَا نَهَيْتُمْ عَنْهُ ﴿فَلَيْتُمْ سُوقًا﴾ خُرُوجٌ عَنِ الطَّاعَةِ لِاحْتِاجِ ﴿بِكُمْ﴾ وَأَنْشَأُوا اللَّهَ فِي أَمْرِهِ وَنَهَيْهِ ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ مَصَالِحَ أُمُورِكُمْ، حَالٌ مُقَدَّرَةٌ، أَوْ مُسْتَأْنَفَةٌ^(١٠) ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾

يَتَابِعُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَآكْتُمُوهُ وَلَيْكُتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبًا بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَسِّقِ اللَّهُ رَبَّهُ وَلَا يَبْحَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيحًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُبَيِّنَ هُوًّا فَوَلْيُمْلِلْ وَلْيُؤْمَرْ بِالْعَدْلِ وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رَجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرَضَّوْنَ مِنَ الشَّهَادَةِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْتِ الشَّهَادَةَ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْمَعُوا أَنْ تَكْتُمُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِمْ ءَلَا أَفْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجْرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُمُوهُمَا وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارُّكُمْ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَقَعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾

[٢٨٢] ﴿يَتَابِعُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ﴾ تعاملتم ﴿بِدِينٍ﴾ كَسَلَّمْ وَقَرْضٌ ﴿إِلَّا أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ مَعْلُومٌ ﴿فَآكْتُمُوهُ﴾ اسْتِنْفَافًا، وَدَفْعًا لِلنِّزَاعِ^(١) ﴿وَلْيَكْتُبْ﴾ كِتَابَ الدِّينِ ﴿بَيْنَكُمْ﴾ كَاتِبًا بِالْعَدْلِ ﴿بِالْحَقِّ فِي كِتَابَتِهِ لَا يَزِيدُ فِي الْمَالِ وَالْأَجَلَ وَلَا يَنْقُصُ﴾ وَلَا يَأْتِ ﴿بِمَنْعٍ﴾ كَاتِبٌ ﴿مِنْ أَنْ يَكْتُبَ﴾ إِذَا دُعِيَ إِلَيْهَا ﴿كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾ أَي: فَضَّلَهُ بِالْكِتَابَةِ؛ فَلَا يَخْلُ بِهَا، وَالْكَافُ مُتَعَلِّقَةٌ بِ﴿يَأْتِ﴾^(٢) ﴿فَلْيَكْتُبْ﴾ تَأْكِيدٌ ﴿وَلْيُمْلِلْ﴾ يُمْلِلُ

(١) أشار بذلك إلى أن الأمر في الآية للإرشاد لا للوجوب، وهو مذهب الجمهور.

(٢) عبارة غير المفسر: متعلقة ب﴿وَلَا يَأْتِ﴾ وهي الصواب؛ لأن التعلق المذكور على وجه التعليل للنهي عن الإباء؛ أي يحرم عليه الإباء المذكور؛ أي الامتناع من الكتابة؛ لأجل تعليم الله - تعالى - إياها؛ فيجب عليه أن يئذنها كما أمره الله - تعالى - ولا يخل بها؛ فالكاف للتعليل، وهما مصدرية، والهاء للكاتب.

(٣) بالتخفيف قراءة ابن كثير وأبي عمرو، ولازمه سكنون الذال، فتكون: ﴿فَقَدْ كَرِهَ﴾، قال البعض: من «الذِّكْرَةِ» الذي هو ضد الأشي؛ والمعنى: إن المرأة الثانية إذا شهدت مع الأولى ذكَّرتها؛ أي: جعلتها كالذِّكْرِ؛ أَي: كالجرجل الذي لا يحتاج إلى غيره في الشهادة.

(٤) أَي: لِأَنَّ الضَّلَالَ سَبَبُ الْإِذْكَارِ، وَالْإِذْكَارُ مُسَبَّبٌ عَنْهُ؛ فَنَزَلَ مِنْزَلُهُ؛ وَمَنْ شَأْنُ الْعَرَبِ إِذَا كَانَ لِلْعَلَّةِ عِلَّةٌ قَدِمُوا ذِكْرَ عِلَّةِ الْعَلَّةِ وَجَعَلُوا الْعَلَّةَ مَعْقُوفَةً عَلَيْهَا بِالْفَاءِ؛ لِتَحْصُلِ الدَّلَالَتَيْنِ مَعًا بِعِبَارَةٍ وَاحِدَةٍ، وَهَذَا مِمَّا يَبُولُ فِيهِ عَلَى الْمَعْنَى وَيَهْجُرُ فِيهِ جَانِبُ اللَّفْظِ، فَلَا يَرِدُ كَيْفَ جَعَلَ ﴿أَنْ تَضِلَّ﴾ عِلَّةَ لاسْتِشْهَادِ الرَّأْيَيْنِ بِدَلِّ رَجُلٍ مَعَ أَنَّ عِلَّةَ إِثْمَا هِيَ الذِّكْرُ. [تفسير أبي السعود].

(٥) لحزمة.

(٦) أَي: إِنْ أَدَاءَ الشَّرْطِ لَمْ تَعْمَلْ فِي لَفْظِهِ، وَجَمَلَةُ «هُذِّكْرُ» خَيْرٌ لِمَبْدَأِ مَحْذُوفٍ؛ أَي: وَفِيهِ تَذَكَّرُ وَالْجَمَلَةُ فِي مَحَلِّ جَزْمِ جَوَابِ الشَّرْطِ.

(٧) أَي: لَا تَهْمَلُوا الْأَجَلَ فِي الْكِتَابَةِ، وَإِنَّمَا تَقُولُونَ: ثَبِتْ كَذَا مُوَجَّلاً بِكَذَا.

(٨) أَي: اسْمُهَا مُضْمَرٌ فِيهَا وَتَقْدِيرُهُ: لِأَنَّهَا لَا تَكُونُ الْعَامِلَةَ أَوْ الْمَبَايَعَةَ أَوْ التَّجَارَةَ.

(٩) مِثْلُ أَنْ يَأْمُرَ بِكِتَابَةِ مَا لَمْ يَطَّلِعْ عَلَيْهِ، أَوْ يَمْنَعُ مِنْ إعْطَائِهِ أَجْرَتَهُ لَهُ.

(١٠) وَالْأَوَّلِيُّ الْاِقْتِصَارُ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّ جَمَلَهُ حَالًا خِلَافَ الْقَاعِدَةِ النُّحْوِيَّةِ: أَنَّ الْجَمَلَةَ الْمُضَارِعَةَ الثَّبِيَّةَ إِذَا وَقَعَتْ حَالًا فَإِنَّ الضَّمِيرَ يَلْزِمُهَا وَتَخْلُو مِنَ الْوَارِءِ، وَلَا يَصِحُّ أَيْضًا عَطْفُهَا عَلَى جَمَلَةٍ: ﴿وَأَنْشَأُوا اللَّهَ﴾؛ لِأَنَّهُ يَلْزَمُ مِنْهُ عَطْفُ الْخَيْرِ عَلَى الْإِنْشَاءِ.

[٢٨٣] ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ﴾ أي: مسافرين وتدابيتهم ﴿وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهْنَ﴾ (١) وفي قراءة: ﴿فَرِهَانَّ﴾ جمع رهن (٢) ﴿مَقْبُوضَةٌ﴾ تستوثقون بها، وَيَبَيْتُ الشُّئْنَةَ جواز الرهن في الحضرة ووجود الكاتب، فالتفيد بما ذكر؛ لأن التوثيق فيه أشد (٣)، وأفاد قوله: ﴿مَقْبُوضَةٌ﴾ اشتراط القبض في الرهن والاكتفاء به من المرتهن ووكيله ﴿فَإِنْ آمَنَ بِعَضُكُم بِضَاءً﴾ أي: الدائن المدين على حقه فلم يرتهن ﴿فَلْيُؤَرِّدْ الَّذِي آوَيْتُمْ﴾ أي: المدين ﴿أَمْتَنَتْ﴾ دينه ﴿وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾ في أدائه ﴿وَلَا تَكْفُرُوا بِاللَّهِ﴾ إذا دعيت لإقامتها ﴿وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ يَكْفُرُ بِاللَّهِ﴾ لأنه محل الشهادة، ولأنه إذا أتم تبعه غيره (٤)؛ فيعاقب عليه معاقبة الآمنين ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ لا يخفى عليه شيء منه. [٢٨٤] ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَزْ تُخْفُوهُ﴾ تضرروا ﴿وَمَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ من سوء العزم عليه ﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾ تسروه ﴿يُمَيِّسِكُمْ﴾ يخبركم (٥) ﴿بِذَلِكَ﴾ يوم القيامة ﴿فَيَعْفُرُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [وَيُعَذِّبُ] مَنْ يَشَاءُ ﴿تَعَذُّبُهُ﴾ والفعالان بالجزم عطف على جواب الشرط، والرفع (٦)؛ أي: فهو ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه محاسبتكم وجزاؤكم. [٢٨٥] ﴿آمَنَ﴾ صدق ﴿الرَّسُولَ﴾ محمد ﷺ ﴿بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ﴾ من القرآن ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ عطف عليه (٧) ﴿كُلٌّ﴾ تنوينه عوض (٨) من المضاف إليه ﴿آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ﴾ بالجمع والإفراد (٩) ﴿وَرُسُلِهِ﴾ يقولون: لا نفرق بين رُسُلِهِ مِنْ رُسُلِهِمْ ﴿فَمَنْ يَبْعُضْ وَيَكْفُرْ بِبَعْضِ مَا كُنَّا نَأْتِيكُم بِهِ﴾ أي: ما أمرنا به سماع قبول ﴿وَأَطَعْنَا﴾ نسألك ﴿عَفْرَانِكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ المرجع بالبعث. ولما نزلت الآية التي قبلها شكك المؤمنون من الوسوسة، وشق عليهم المحاسبة بها؛ فنزل: [٢٨٦] ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ أي: ما تسعه قدرتها ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ من الخير؛ أي: ثوابه ﴿وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ من الشر؛ أي: وزره، ولا يؤاخذ أحد بذنب أحد، ولا بما لم يكسبه مما وسوست به نفسه، قولوا: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا بِالْعَقَابِ﴾ بالعقاب ﴿إِنْ كُنَّا نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ تركنا الصواب لا عن عمد؛ كما أخذت به من قبلنا، وقد رفع الله ذلك عن هذه الأمة؛ كما ورد في الحديث (١٠)، فسؤاله اعتراف بنعمة الله ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا أَوْرَاقَهُمْ﴾ أمرًا يتحمل علينا حمله ﴿كَمَا كَانَتْ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾ أي: بني إسرائيل؛ من قتل النفس في التوبة، وإخراج رُبع المال في

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهْنَ مَقْبُوضَةٌ﴾ فَإِنْ آمَنَ بِعَضُكُم بِضَاءً فَلْيُؤَرِّدْ الَّذِي آوَيْتُمْ وَأَمْتَنَتْ وَاللَّهُ رَبُّهُ وَلَا تَكْفُرُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ يُكْفِرُ بِاللَّهِ رَبِّهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٤﴾ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَزْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَعْفُرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٥﴾ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نَفِرُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَلَا نَفِرُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَلَا نَفِرُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٦﴾ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا أَوْرَاقَهُمْ كَمَا كَانَتْ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفُرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٧﴾

الزكاة، وفرض موضع النجاسة ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ قوة ﴿لَنَا بِهِ﴾ من التكاليف والبلاء ﴿وَاعْفُ عَنَّا﴾ امح ذنوبنا ﴿وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا﴾ في الرحمة زيادة على المغفرة ﴿أَنْتَ مَوْلَانَا﴾ سيدنا ومتولي أمورنا ﴿فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ إقامة الحجج والغلبة في قتالهم؛ فإن من شأن المولى أن ينصر مواليه على الأعداء، وفي الحديث: «لما نزلت هذه الآية فقرأها ﷺ قيل له عقب كل كلمة: قد فعلت» (١١).

(٥) ما جاء في نزول الآيات (٢٨٤-٢٨٦): أخرج مسلم عن أبي هريرة قال: لما نزلت على رسول الله ﷺ ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ قال: فاشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، فأثروا رسول الله ﷺ ثم بركوا على الركب فقالوا: أي رسول الله، كلفنا من الأعمال ما نطيق، الصلاة والصيام والجهاد والصدقة، وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيعها. قال رسول الله ﷺ: «أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم: سمعنا وعصينا، بل قولوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير». قالوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير، فلما اقترأها القوم ذلت بها أنفسهم فأثروا الله في إثرها: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ﴾ =

(١) لابن كثير وأبي عمرو، وقرأ بقية السبعة ﴿فَرِهَانًا﴾. (٢) أي: كل من «فرهن» و«رهان» جمع «فرهن»؛ مثل شقفت وشقفت، وكفبت وكفبت. (٣) لأن الغالب في السفر عدم وجود الكاتب ونسيان الدين والتعرض للامتنع، وبينت السنة جواز الرهن في الحضرة كما في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ اشتري طعامًا من يهودي ورتخته درعًا من حديد البخاري (٢٠٦٨)، ومسلم (١٠٣٠). (٤) أي: في الإثم، لأنه ملك الأعضاء، إذا ضلح صلح الجسد كله، وإذا قسدت فسد الجسد كله كما في حديث النعمان بن بشير في الصحيحين؛ البخاري (٥٢) ومسلم (١٥٩٩). (٥) قوله: «يخبركم»: جواب عن سؤال وهو: أنه كيف قال في الإخفاء بحاسبكم به الله، مع أن حديث النفس لا إثم فيه ما لم يفعل؛ للحديث المشهور فيه؛ فأجاب: بأن المراد بالحاسبة مجرد الإخبار به لا المعاقبة عليه، ولا حامل على هذا التقدير؛ إذ إن المواجهة إما أن تكون منسوخة بقوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ كما في حديث مسلم. أو أن تكون المواجهة على ما أخفوه من العزم القطع والاعتقاد الجازم، وليس مجرد حديث النفس والوسوسة. (٦) أي: على الاستئناف، والجزم قراءة نافع وابن كثير وحزمة والكسائي وأبي عمرو. (٧) وهو أحد الوجهين، والوجه الثاني: أن يكون ﴿الْمُؤْمِنُونَ﴾ مبتدأ، و﴿كُلٌّ﴾ مبتدأ ثانٍ خبره ﴿آمَنَ﴾. (٨) أي: عن ﴿الرَّسُولَ﴾ و﴿الْمُؤْمِنُونَ﴾. (٩) بالافراد قراءة حمزة والكسائي. (١٠) وهي قوله ﷺ: «رُفِعَ عَنِّي الْحَطَأُ وَالشَّيْبَانُ وَمَا اسْتَكْرَهُوا عَلَيَّ»، رواه ابن ماجه من حديث أبي ذر الغفاري مرفوعًا به، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٧٣١). (١١) مسلم (١٢٦)، وانظر الحديث وتخرجه في أسباب النزول.

سورة آل عمران

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المرَّ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ مِنْ قَبْلِ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ إِنْ اللَّهُ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ

سورة آل عمران

[مدنية، مائتان أو: إلا آية، نزلت بعد الأنفال]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] المرَّ اللَّهُ أعلم بمراده بذلك. [٢] اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ. [٣] نَزَلَ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ الْكِتَابَ الْقُرْآنَ مَلْتَبِسًا بِالصِّدْقِ فِي أَحْبَارِهِ مُمَدِّدًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ قَبْلَهُ مِنَ الْكُتُبِ

﴿وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ [٤] ﴿مِنْ قَبْلِ﴾ أي: قبل تنزيله ﴿هُدًى﴾ حال^(١)؛ بمعنى: هاديين من الضلالة ﴿لِلنَّاسِ﴾ من تبعهما، وعبر فيها به «أُنزِلَ» وفي القرآن به «نَزَلَ» المقضي للتكرير؛ لأنيهما أُنزِلَا دفعة واحدة بخلافه^(٢) ﴿وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ﴾ بمعنى: الكتب الفارقة بين الحق والباطل، وذكره بعد ذكر الثلاثة؛ ليعم ما عداها^(٣)، ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ القرآن وغيره ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾ غالب على أمره؛ فلا يمنعه شيء من إنجاز وعده ووعيده ﴿ذُو انتِقَامٍ﴾ عقوبة شديدة من عصاه، لا يقدر على مثلها أحد. [٥] ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ﴾ كائن ﴿فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ لعلمه بما يقع في العالم من كلي وجزئي، وخصصها بالذكر؛ لأن المحس لا يتجاوزهما. [٦] ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ من ذكورة وأنوثة، وبياض وسواد، وغير ذلك ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ في ملكه ﴿الْحَكِيمُ﴾ في صنعته. [٧] ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ لا تفهم معانيها؛ كأوائل السور، وجعله كله مُحْكَمًا في قوله: ﴿أُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾^(٤) بمعنى: أنه ليس فيه عيب، ومُتَشَابِهَاتٌ في قوله: ﴿كَيْتَابًا مُتَشَابِهًا﴾^(٥) بمعنى: أنه يشبه بعضه بعضًا في الحسن والصدق ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ مثل عن الحق ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ﴾ طلب ﴿الْفِتْنَةِ﴾ لجهاليتهم بوقوعهم في الشبهات واللبس ﴿وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ تفسيره ﴿وَمَا يَسْمَعُ تَأْوِيلَهُ﴾ تفسيره ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ وحده^(٦) ﴿وَالرَّاسِخُونَ﴾ الثابتون المتعمقون^(٧) ﴿فِي الْعِلْمِ﴾ مبتدأ خبيرة؛ ﴿يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾ أي: بالمشابهة؛ أنه من عند الله، ولا نعلم معناه ﴿كُلٌّ﴾ من المحكم والمشابهة ﴿مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ﴾ يادغام الناء في الأصل في الدال؛ أي: يعظم ﴿إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ أصحاب العقول. ويقولون أيضًا إذا رَأَوْا مَنْ يُشْبِعُهُ^(٨): [٨] ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ أرشدتنا إليه ﴿وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ﴾ من عندك ﴿رَحْمَةً﴾ تَنْبِيئًا^(٩) ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾. [٩] يا ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ﴾ تجمعهم ﴿لِيَوْمٍ﴾ أي: في يوم ﴿لَا رَيْبَ﴾ لا شك ﴿وَيَوْمَ﴾ هو يوم القيامة؛ فتجازيهم بأعمالهم؛ كما وعدت بذلك ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ مواعده بالبعث، فيه التفات^(١٠) عن الخطاب، ويحتمل أن يكون من كلامه - تعالى^(١١) -، والغرض من الدعاء بذلك بيان أن هَهُمُ أُمَّةٌ الْأُخْرَى؛ ولذلك سألوا الثبات على الهداية؛ لينالوا ثوابها؛ روى الشيخان عن

= وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِيَّتِهِ وَكَلِمَتِهِ وَرُسُلِهِ، لَا تَقُولُ بِشَيْءٍ مِنْ رُسُلِهِ، وَكَانُوا سَوِيَّةً وَلَمَّا لُبَّتْنا عَفَرْنَاكَ رَبَّنَا وَإِنَّكَ التَّوْحِيدُ، فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى، فأنزل الله ﷻ: ﴿لَا يَخْلُقُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُضِعَ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَفَتْحًا مَا كَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تَأْخُذُكَ إِنَّ هِيَئَتُهُمْ تُؤْتُواهُمُ الْغَنَاءَ﴾ قال: نعم، ﴿رَبَّنَا وَلَا تَجْعَلْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ قال: نعم، ﴿وَإِشْفُ عَنَّا وَانْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ قال: نعم. مسلم - كتاب الإيمان (١) باب (٥٧) بيان مجازي الله عن حديث النفس. **قائلة:** وأخرج مسلم أيضًا: عن ابن عباس قال: بينما جبريل قاعد عند النبي ﷺ سمع نقيضًا من فوقه، فرفع رأسه فقال: هذا باب من السماء فتح اليوم =

(١) أشار به إلى أن قوله: ﴿يَالْحَيُّ﴾ متعلق بمحذوف؛ فيكون في محل نصب على الحال. (٢) أي: قبل تنزيل الكتاب الذي هو القرآن. (٣) أي: من التوراة والإنجيل. (٤) قال الشيخ صفي المبركفوري في تعليقه على تفسير الجلالين ص ٥٩: «هذا التوجيه لبيان الفرق بين الإنزال والتنزيل غير صحيح، وقد جرى على هذا الخطأ كثير من أهل العلم؛ فقد وقع التعبير عن نزول القرآن بالإنزال ومشتقاه بنحو مائة مرة، أما التعبير بالتنزيل ومشتقاه فقد وقع ما بين ثلاثين وأربعين مرة فقطه. (٥) فهر من عطف العام على الخاص؛ الفراء: ﴿الْفُرْقَانَ﴾ هنا: الفارق بين الحق والباطل لا خصوص القرآن؛ فالفرقان كما يطلق على القرآن يطلق على غيره من الكتب. (٦) هود: ١. (٧) الزمر: ٢٣. (٨) أشار به إلى أن الوقف على ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ وهو مذهب الأكثرين، وهو أقرى بالبرية وأشبه بظاهر الآية. (٩) قال مالك: الراسخ في العلم من جمع أربع خصال: الخشية فيما بينه وبين الله، والتواضع فيما بينه وبين الناس، والزهد فيما بينه وبين الدنيا، والمجاهدة فيما بينه وبين نفسه. (١٠) أي: يتبع المشابهة بالعلم بظواهرها؛ أو بتأويله تأويلًا لا يليق. (١١) تفسيره الرحمة بالتبنيح جريًا على مذهبه في تأويل الرحمة، وسبق بيان المذهب الحق، والتبنيح من لازم الرحمة كما قال ابن كثير: ﴿رَحْمَةً﴾ تثبت بها قلوبنا وتجمع بها شملنا وتزيدنا بها إيمانًا وإيمانًا. [ابن كثير ١/ ٢٢٩]. (١٢) هذا على أنه من كلام الراسخين؛ فيه التفات من الخطاب في قولهم: ﴿يَالْحَيُّ جَامِعُ النَّاسِ﴾ إلى الغيبة في قولهم: ﴿إِنَّكَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾. (١٣) فلا يكون فيه التفات على مذهب الجمهور، وفيه التفات عن التكلم على مذهب السكاكي.

عائشة رضي الله عنها قالت: «تلا رسول الله ﷺ هذه الآية **هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ** إلى آخرها، وقال: فإذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه؛ فأولئك الذين سئى الله، فأخذوهم»^(١)، وروى الطبراني في «الكبير» عن أبي موسى الأشعري أنه سمع النبي ﷺ يقول: «ما أخاف على أمتي إلا ثلاث جلال...» وذكر منها: أن يُفتَحَ لهم الكتاب؛ فيأخذهُ المؤمن يتتبع تأويله، وليس يعلم تأويله إلا الله، **وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ**»^(٢) الحديث.

[١٠] **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِي عَنْهُمْ آموالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ** أي: عذابه **وَسَيُنَازِلُهُمْ الْعَذَابُ** بفتح الواو^(٣)؛ ما تؤخذ به. [١١] **ذَلَّحُم كَذَابٌ** كعادة **عَالِي فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ** من الأمم؛ كعاد وثمود **كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ** أهلهم **بِذُنُوبِهِمْ** والجملة^(٤) مفسرة لما قبلها^(٥) **وَاللَّهُ شَهِيدٌ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ**. ونزل - لما أمر النبي ﷺ اليهود بالإسلام مزجعة من بدر؛ فقالوا: لا يغرنك أن قلت نفرا من قريش أعمارا لا يعرفون القتال :: [١٢] **قُلْ** يا محمد **يَلْبَسُونَ كَفْرًا** من اليهود: **سَتَقُولُونَ** بالياء والياء^(٦)، في الدنيا بالقتل والأسر وضرب الجزية، وقد وقع ذلك **وَيُخَشِرُونَ** بالوجهين^(٧)، في الآخرة **إِنَّكُمْ جَهَنَّمَ** فندخلونها **وَيُبَسِّئُ إِلَهُمُ الْفِرَاسَ** هي^(٨).

[١٣] **قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ** عبرة، **وَذَكَرَ الْفِعْلُ**^(٩) للفضل **فِي يَتَقَاتِلَ فِي فِتْنَتَيْنِ** ففتين **وَالْفِتْنَتَانِ** يوم بدر للقتال **فِي سَبِيلِ اللَّهِ** أي: طاعته؛ هم: النبي وأصحابه، وكانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا، معهم فرسان وست أدرع وثمانية سيوف، وأكثرهم رجالة **وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم** أي: الكفار **وَيَخْتَفِهِم** أي: المسلمين؛ أي: أكثر منهم، وكانوا نحو ألف **رَأَى الْقَاتِلِينَ** أي: رؤية ظاهرة معاينة، وقد نصرهم الله مع قلتهم **وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بَقْوَى** يقوي **بِصَبْرِهِ** من صبأه **إِنَّ فِي ذَلِكَ** المذكور **لِآيَةٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ** لذوي البصائر؛ ألا تعتبرون بذلك فتؤمنون؟! [١٤] **رَبِّ النَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ** ما تشتهيه النفس وتدعو إليه، زيتها الله^(١٠) ابتلاء أو الشيطان^(١١) **مِنَ الْمَرْغَبَاتِ وَالْبَسِينِ وَالْفَنَاطِيرِ** الأموال الكثيرة **الْمُقَنطَرَةِ** الجمعة **مِنَ الْغَنَمِ وَالْفِضَّةِ وَالْحَبْلِ الْمُسَوَّمَةِ** الحسان **وَالْأَنْعَامِ** أي: الإبل والبقر والغنم **وَالْحَرَبِ** الزرع **وَالْحَرَبِ** المذكور **مِنَ الْحَيَوَاتِ الدُّنْيَا** يتمتع بها فيه ثم يفنى **وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَصَابِ** المرجع؛ وهو: الجنة؛ فينبغي الرغبة فيه دون غيره. [١٥] **قُلْ** يا

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِي عَنْهُمْ آموالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُم وَقُودُ النَّارِ كَذَابٌ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَعْلَبُونَ وَخُشِرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَيَسُ الْمِهَادُ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِتْنَتِ الَّذِينَ اتَّقَوْا فَنُفِّلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَهُمْ رَأَى الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بَصْرَهُ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ رَبِّ النَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ الْمَرْغَبَاتِ وَالْبَسِينِ وَالْفَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الْغَنَمِ وَالْفِضَّةِ وَالْحَبْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْحَرَبِ ذَلِكَ مِمَّا مَتَّعَ الْحَيَوَاتِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَصَابِ قُلْ أُوْتَيْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَلِكَ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَرْوَجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ

محمد لقومك: **أُوْتَيْتُكُمْ** أخرجكم **بِخَيْرٍ** من ذلكم **مِنَ الْمَذْكَورِ** الشهوات، استفهام تقرير^(١٢) **لِلَّذِينَ اتَّقَوْا** الشرك **عِنْدَ رَبِّهِمْ** خير مبتدؤه **جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا** أي: مقدرين الخلود^(١٣) **فِيهَا** إذا دخلوها **وَأَرْوَجٌ مُّطَهَّرَةٌ** من الحيض وغيره مما يشتدُّ **وَرِضْوَانٌ** بكسر أوله وضمه لغتان^(١٤)؛ أي: رضا^(١٥) كثير **مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ** عالم^(١٦) **بِالْعِبَادِ** فيجازي كلأ منهم بعمله.

= لم يفتح قط إلا اليوم، فنزل منه ملك. قال: هذا منزل نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم. فسلم وقال: أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتمنما نبي قبلك، فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته. سبق تخريجه في تفسير سورة الفاتحة. وأخرج الترمذي عن العمان بن بشير عن النبي ﷺ قال: «إن الله كتب كتابا قبل أن يخلق السموات والأرض بألفي عام، وأنزل منه اثنين ختم بهما سورة البقرة، ولا يقرآن في دار ثلاث ليال فيقرنها شيطان». الترمذي - كتاب فضائل القرآن (٤٦) باب (٤) ما جاء في آخر سورة البقرة. صحيح سنن الترمذي (٢٣١١).

(١) البخاري (٤٥٤٧)، ومسلم (٢٦٦٥).
 (٢) الحديث أخرجه الطبراني في «الكبير» وضعفه الألباني في «ضعيف الترغيب والترهيب» (٨٠).
 (٣) وهي قراءة العشرة، وقرأ الحسن بضم الواو مصدر بمعنى: الإيقاد.
 (٤) أي جملة: **كَذَّبُوا... الآية**. (٥) وهي قوله: **كَذَّبَ آلِي فِرْعَوْنَ** الآية [آل عمران: ١١].
 (٦) بالياء قراءة حمزة والكسائي. (٧) أي: بئاءه والياء، بالياء قراءة حمزة والكسائي.
 (٨) أخرجه أبو داود عن ابن عباس، وضعفه الألباني في «ضعيف سنن أبي داود» (٦٤٧). وحسنه في الاستيعاب مجموع طرقه. الاستيعاب في بيان الأسباب (١/٢٣٢، ٢٣٣).
 (٩) وهو **كأن** **ذُكِرَ للفصل والحار والجرور**، وهو قوله: **هَلْ كُنْتُمْ**. (١٠) كما في قول عمر: **اللَّهُمَّ لا ضيرَ لنا على ما زَيَّبتَ لنا إلا بك** [رواه البخاري معناني الرقاق باب قول النبي ﷺ: «هذا المال خضرة حلوة»].
 (١١) أي: بالموسم. (١٢) وليس المراد به هنا طلب الإقرار والاعتراف من المخاطبين كما هو معنى الاستفهام التقريري في الأصل، بل المراد به التحقيق والتثبت في نفوس المخاطبين.
 (١٣) أي: فهي حال مقدرة.
 (١٤) وهما قراءتان، والضم قراءة شعبة.
 (١٥) أشار بذلك إلى أن كلأ من المكسور والمضموم مصدر «رضي» فهما بمعنى واحد، وإن كان الثاني سماعيًا والأول قياسيًا.
 (١٦) وهذا تأويل، وصفة البصر من الصفات الثابتة لله ﷻ بالكتاب والسنة على الوجه اللاتق به دون أن يقتضي ذلك نقضا أو تمثيلا له المخلوق كما قال - شيخنا: **لَيْسَ كَثِيرُهُ شَيْءٌ وَقُوهُ أَلْسِيحُ الْخَيْرِ** [الشورى: ١١].

معبود في الوجود يَحَقُّ ﴿إِلَّا هُوَ﴾ وشهد بذلك ﴿الْمَلَكُ﴾ بالإقرار ﴿وَأُولُوا الْقُرْبَىٰ﴾ من الأنبياء والمؤمنين بالاعتقاد واللفظ ﴿قَائِمًا﴾ بتدبير مصنوعاته، ونَصَبَهُ على الحال^(١)، والعاقل فيها معنى الجملة؛ أي: تَقَرَّرَ ﴿بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ كرره تأكيدًا ﴿الْمَرْزُوقِ﴾ في ملكه ﴿الْحَكِيمِ﴾ في صنعه.

[١٩] ﴿إِنَّ الَّذِينَ﴾ المرضيَّ ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ هو ﴿الْإِسْلَامُ﴾ أي: الشرح المبعوث به الرسل، المبني على التوحيد، وفي قراءة بفتح ﴿إِنَّ﴾ بدل من «أنه... إلخ»، بدل اشتمال^(٢) ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أَوْلُوا الْأَكْتَبَ﴾ اليهود والنصارى في الدين؛ بأن وَخَدَ بعضٌ وَكَفَرَ بعضٌ ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ أَلِيمٌ﴾ بالتوحيد ﴿بَنِيًّا﴾ من الكافرين ﴿بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرُ يَتَّخِذَ اللَّهُ فِتْنَةً اللَّهُ فَتَنُ اللَّهُ سَرِيعَ الْحِسَابِ﴾ أي: المجازاة له.

[٢٠] ﴿فَإِنَّ حَاجُونَكَ﴾ خاصمك الكفار يا محمد في الدين ﴿نَقَلْ﴾ لهم: ﴿أَسَأَلْتُ وَيَسْأَلُنِي لِلَّهِ﴾ انْقَذْتُ لَهُ أَنَا ﴿وَمَنْ أَسَأَلْتُمْ﴾ وخص الوجه بالذكر؛ لشرفه؛ فغيره أَوْلَىٰ ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أَوْلُوا الْأَكْتَبَ﴾ اليهود والنصارى ﴿وَالْأَيْمِينَ﴾ مشركي العرب: ﴿ءَأَسَأَلْتُمْ﴾ أي: أسألوا ﴿فَإِنَّ أَسَأَلُوا فَقَدْ أَهْتَدُوا﴾ من الضلال ﴿وَإِنْ أَوْلُوا﴾ عن الإسلام ﴿فَكَيْفَا عَلَيْكَ الْبَلْعُ﴾ أي: التبليغ للرسالة ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ فيجازيهم بأعمالهم، وهذا قبل الأمر بالقتال^(٣).

[٢١] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ﴾ يتَّخِذُ اللَّهُ وَيَقْتُلُونَ ﴿وفي قراءة: ﴿يَقْتُلُونَ﴾﴾^(٤) ﴿الَّذِينَ يَسْتُرُونَ﴾ وَيَقْتُلُونَ ﴿الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿مِنْ أَلْيَيْنَ﴾ وهم: اليهود؛ روي أنهم قتلوا ثلاثة وأربعين نبيًّا؛ فنهاهم مائة وسبعون من عُجَابِهِمْ؛ فقتلواهم من يومهم ﴿فَيَنْبِرُهُمْ﴾ أعلمهم ﴿بِعَذَابِ أَلِيمٍ﴾ مؤلم، وذَكَرَ البشارة تَهَكُّمَ بهم، ودخلت الفاء في خبر ﴿إِنَّ﴾؛ لثبته اسمها الموصول بالشرط^(٥).

[٢٢] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حِمَلَتْ﴾ بطلت ﴿أَعْمَالُهُمْ﴾ ما عملوا من خير؛ كصدقة وصلة رحم ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ فلا اعتداد بها؛ لعدم شرطها ﴿وَمَا لَهُمْ مِنَ نَّصِيرَةٍ﴾ مانعين من العذاب.

الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا أَمَتَانَا فَأَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩﴾ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿٢٠﴾ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢١﴾ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ لَلْإِسْلَامِ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أَوْلُوا الْأَكْتَبَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ الْعِلْمُ بَعِيًّا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ يَتَّخِذَ اللَّهُ فِتْنَةً فَإِنَّ حَاجُونَكَ ﴿٢٢﴾ فَكُلُّ أَسَأَلْتُ وَجَهِي إِلَيْهِ وَمَنْ أَسَأَلْتُمْ وَقُلْ لِلَّذِينَ أَوْلُوا الْأَكْتَبَ وَالْأَيْمِينَ أَسَأَلْتُمْ فَإِنْ أَسَأَلُوا فَقَدْ أَهْتَدُوا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْعُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ يَتَّخِذُ اللَّهُ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ يَغْيِرُ حَقِّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَيَشْتَرُهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ حِمَلَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَّصِيرَةٍ ﴿٢٥﴾

[١٦] ﴿الَّذِينَ﴾ نعت أو بدل من «الذين» قبله ﴿يَقُولُونَ﴾: يا ﴿رَبَّنَا﴾ إِنَّمَا أَمَتَانَا صدقنا بك وبرسولك ﴿فَأَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾.

[١٧] ﴿الصَّابِرِينَ﴾ على الطاعة وعن المعصية، نعت ﴿وَالْمُسْتغْفِرِينَ﴾ في الإيمان^(١) ﴿وَالْقَانِتِينَ﴾ المطيعين لله ﴿وَالصَّادِقِينَ﴾ المتصدقين ﴿وَالْمُنْفِقِينَ﴾ اللّهُ؛ بأن يقولوا: اللهم اغفر لنا ﴿وَالْأَسْحَارِ﴾ أواخر الليل، حُصِّتْ بالذكر؛ لأنها وقت الغفلة ولذة النوم.

[١٨] ﴿شَهِدَ اللَّهُ﴾ يَبَيِّنُ لخلقهِ بالدلائل والآيات ﴿أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾

(١) بالتصدق بالقلب واللسان، والانقياد بالقلب واللسان والجوارح.

(٢) إما من لفظ الجلالة، أو من الضمير المنفصل ﴿هُوَ﴾ بعد ﴿إِلَّا هُوَ﴾، والأحسن الثاني؛ ليفيد أن الله شهد شهادتين الأولى: أنه لا إله إلا هو، والثانية: أنه قائم بالقسط، ومتعلق الأولى تنزيه ذاته، ومتعلق الثانية تنزيه صفاته.

(٣) وهي قراءة الكسائي، والتقدير: شهد الله أنه لا إله إلا هو، وشهد أن الدين...

(٤) وهذا بناء على تفسيره الإسلام بأنه الشريعة؛ لأن وحدانية الله اشتمل عليها الإسلام، أما إذا فُسر بالإيمان أو التوحيد كان بدل كل من كل. وذكر الرضي: أن بدل الاشتمال أن يكون المخاطب متفظًا للبدل عند سماع المبدل منه وهنا ليس كذلك.

(٥) أي: فهو منسوخ.

(٦) الصوابُ ذَكَرَ هذه العبارة بعد قوله: ﴿وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ﴾ الآية [آل عمران: ٢١]؛ لأن القراءتين إنما هما في الثانية، أما الأولى فهي ﴿يَقْتُلُونَ﴾ لا غيرها؛ فذَكَرَهَا هنا سبق قَلَمٍ مِنْ بَيْنِ الشارح.

(٧) في قراءة حمزة: ﴿يَقْتُلُونَ﴾.

(٨) واسمها الموصول هو ﴿الَّذِينَ﴾ وهو في الأصل مبتدأ، والمبتدأ متى وقع اسم موصول ولو منسوخًا قرن خبره بالفاء، إلا إذا نسخ بـ«ليت»، ولعل، وكان «فتمتنع الفاء عند الجميع لتغير المعنى لانتفاء معنى الخبرية؛ فلا يبقى الكلام محتملاً للصدق والكذب بخلافه بعد دخول «إن».

[٣٣] ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ خَبَرَ﴾ اختار ﴿مَادِمًا وَوُكَا وَمَالَ إِبْرَاهِيمَ وَمَالَ عِمْرَانَ﴾ بمعنى: أنفسهما ﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾^(٤) يجعل الأنبياء من نسلهم.

[٣٤] ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنَّيْ وَوَلَدٌ بَعْضُهُمْ مِّنْهُمْ﴾ والله سمع عليهم.

[٣٥] اذكر ﴿إِذْ قَالَتْ أُمَّرَأَتُ عِمْرَانَ حِنَّةً﴾ لما أسنت واشتاق للولد؛ فدعت الله، وأحست بالحمل: يا رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُكَ أَن أَجْعَلَ ﴿لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾ عتيقًا خالصًا من شواغل الدنيا لخدمة بيتك المقدس ﴿فَقَبَّلَ مِنِّي﴾ إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ ﴿لِلدَّعَاءِ﴾ الْعَلِيمُ ﴿بِالْثِّيَابِ﴾ وَهَلَكَ عمران وهي حامل.

[٣٦] ﴿فَلَمَّا وَصَّعَتْهَا﴾ ولدتها جارية، وكانت ترجو أن يكون غلامًا؛ إذ لم يكن يحرر إلا الغلمان ﴿قَالَتْ﴾ معتذرة: يا رَبِّ إِنِّي وَصَّعْتُهَا أَنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ ﴿أَي﴾ عالم ﴿بِمَا وَصَّعْتُ﴾ جملة اعتراض من كلامه - تعالى - وفي قراءة: بضم التاء^(٥)، ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ﴾ الَّذِي طَلَبْتُ ﴿كَالذَّكَرِ﴾ النَّثِيِّ وَهَيْبَتْ؛ لأنه يُفَصِّدُ للخدمة، وهي لا تصلح؛ لضعفها وعورتها وما يعترها من الخيض ونحوه ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا بِأَوْلَادِهَا وَمِنْ أَشْطَنِ النَّاسِ الرَّجِيمِ﴾ المطرود، في الحديث: «ما من مؤلود يؤلَّد إلا مشأ الشيطان حين يؤلَّد؛ فيشتهل صارخًا إلا مؤرِّمًا وإبنتها»^(٦) [رواه الشيخان].

[٣٧] ﴿فَقَبَّلَهَا رَبُّهَا﴾ أَي: قَبِلَ مريمَ مِنْ أُمِّهَا ﴿يَقْبُولُ حَسَنًا وَأُنْتَبَتْهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ أنشأها بخلق حسن؛ فكانت تنبت في اليوم؛ كما نبت المولود في العام، وأنت بها أمُّها الأجزاء سدة بيت المقدس، فقالت: دونكم هذه النذيرة. فننافسوا فيها؛ لأنها بنت إمامهم؛ فقال زكريا: أنا أحقُّ بها؛ لأن خالتها عندي. فقالوا: لا حتى نقترع. فانطلقوا وهم تسعة وعشرون إلى نهر الأردن، وألقوا أقلامهم على أن من ثبت قلمه في الماء وصعد أولى بها، فثبت قلم زكريا؛ فأخذها وتبى لها غرفة في المسجد بشلم لا يصعد إليها غيره، وكان يأتيها بأكملها وشربها ودهنها، فيجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف؛ كما قال - تعالى -: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ صَمَّهَا إِلَيْهِ، وفي قراءة: بالتشديد^(٧)، ونصب «زكريا» ممدودًا ومقصورًا^(٨)، والفاعل «الله» ﴿كَلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ﴾ الغرفة، وهي أشرف المجالس ﴿وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرُؤُا أَنَّىٰ لَكَ هَذَا قَالَ﴾ وهي صخرية: ﴿هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ يأتيني به من الجنة ﴿إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ حساب ﴿رِزْقًا وَسِعًا بِلَا تَعْدَةٍ﴾

يَوْمَ يَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيَحَدِّثُكَ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٣٥﴾ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَعِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٨﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٩﴾ إِذْ قَالَتْ أُمَّرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلَ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا وَصَّعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَصَّعْتُهَا أَنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَصَّعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٤١﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كَلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرُؤُا أَنَّىٰ لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٢﴾

[٣٠] اذكر ﴿يَوْمَ يَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾ هُ ﴿مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ﴾ هُ ﴿مِنْ سُوءٍ﴾ مبتدأ خبره: ﴿تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ غاية في نهاية البعد فلا يصل إليها ﴿وَيَحَدِّثُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ كرر للتأكيد ﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾. ونزل - لما قالوا: ما نعبد الأصنام إلا حبا لله؛ ليقرَّبونا إليه^(١) -: [٣١] ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ بمعنى: يتبعكم^(٢) ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لِيَنْتَبِعِي مَا سَلَفَ مِنْهُ قَبْلَ ذَلِكَ ﴿رَجِيمٌ﴾ به.

[٣٢] ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ فيما يأمركم به من التوحيد ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ أعرضوا عن الطاعة ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكٰفِرِينَ﴾ فيه إقامة الظاهر مقام المضمر؛ أي: لا يحبهم؛ بمعنى: أنه يعاقبهم^(٣).

(١) يشير إلى ما أخرجه الواحدي بنحوه عن جوير عن الضحاك عن ابن عباس به، وقال الحافظ في العجايب (٢/٦٧٨): «وهذا من منكرات جوير؛ فإن آل عمران مدينة، وهذه القصة إما كانت بمكة قبل الهجرة، ولعل الذي نزل فيها في أوائل الزمر»، وضعفه جتأ في الاستيعاب (١/٢٤٢).

(٢) وهذا تأويل لصفة الحجة التي أنبتها الله لنفسه وأبنتها له رسوله ﷺ ببعض لوازمها، وسبق بيان مذهب السلف في ذلك وأنهم يبنونها على الوجه الذي يليق به - سبحانه.

(٣) وهذا تأويل مخالف لظاهر اللفظ ومذهب السلف، وسبق بيان ذلك مرارًا، ومن لازم عدم محبه - سبحانه - لهم أنه يعاقبهم.

(٤) المراد: عالم زمانهم.

(٥) لآين عامر وشعبة، وعلى هذه القراءة يكون ذلك من كلامها اعتذارًا.

(٦) البخاري (٣٤٣١)، ومسلم (٢٣٦٦) من حديث أبي هريرة.

(٧) والقراءة المشفرة بالتخفيف لنافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

(٨) بالمد؛ أي: زكرياء، لمن سبق ومعهم شعبة.

[٣٨] ﴿هُنَالِكَ﴾ أي: لما رأى زكريا ذلك، وعلم أن القادر على الإتيان بالشيء في غير حينه قادرٌ على الإتيان بالولد على الكبر، وكان أهل بيته انفضوا ﴿دَعَا زَكْرِيَّا رَبَّهُ﴾ لما دخل الحراب^(١) للصلاة جوف الليل ﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ﴾ من عندك ﴿ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ ولذا ضاحياً ﴿إِنَّكَ سَمِيعٌ﴾^(٢) مجيب ﴿الدُّعَاءِ﴾.

[٣٩] ﴿فَدَاتَهُ الْمَلَكُ﴾ أي: جبريل^(٣) ﴿وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ﴾ أي: المسجد ﴿أَنْ﴾ أي: بأن، وفي قراءة: بالكسر^(٤) بتقدير القول ﴿اللَّهُ يُبَشِّرُكَ مِثْلًا وَمِثْلًا مَخْفَى﴾^(٥) ﴿يَحْيِي مِصْرًا بِكَمَرٍ﴾ كائنة ﴿بَيْنَ اللَّهِ﴾ أي: بعيسى أنه روح الله، وسُمِّيَ كلمة؛ لأنه خلق بكلمة: ﴿كُنْ﴾ ﴿وَسَيِّدًا﴾ متبوعاً ﴿وَصُورًا﴾ متبوعاً من النساء ﴿وَيَبِّئًا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ روي أنه لم يعمل خطيئة ولم يهَمْ بها.

[٤٠] ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى﴾ كيف ﴿يَكُونُ لِي عَلْمٌ﴾ وُلِدَ ﴿وَقَدْ بَلَغْتَ الْكِبَرَ﴾ أي: بلغت نهاية السن مائة وعشرين سنة ﴿وَأَمْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾ بلغت ثمانين وتسعين ﴿قَالَ﴾: الأمر ﴿كَذَلِكَ﴾ من خلق الله غلاماً منكماً ﴿اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ لا يعجزه عنه شيء، ولإظهار هذه القدرة العظيمة ألهمه السؤال؛ ليجاب بها. ﴿وَمَا تَأْتِي نَفْسَهُ إِلَى سُرْعَةِ الْمُبَشِّرِ بِهِ﴾.

[٤١] ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾ أي: علامة على حمل امرأتي ﴿قَالَ إِنِّي أَنبِئُكَ عَلَيْهِ﴾ ن ﴿لَأُنَبِّئَنَّ النَّاسَ﴾ أي: تمتع من كلامهم بخلاف ذكر الله - تعالى - ﴿وَنَلْنَهُ آيَاتٍ﴾ أي: بلياليها ﴿إِلَّا مَرًّا﴾ إشارة ﴿وَأَذْكُرُ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَمِعَ﴾ صل ﴿بِالْمُبَشِّرِ وَالْإِنْبِئَةِ﴾ أواخر النهار وأوائله.

[٤٢] ﴿وَوَدَّ أَنْ يُدْعَى بِسْمِ اللَّهِ﴾ أي: جبريل: ﴿يُنْعِمُ﴾^(٦) إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكِ بِطُحْتِكِ﴾ اختارك ﴿وَطَهَّرَكَ﴾ من مسيس الرجال^(٧) ﴿وَأَمْتَلَقَكَ عَلَى نَيْسَاءِ الْعُلَمَاءِ﴾ أي: أهل زمانك.

[٤٣] ﴿يُنْعِمُ بِرَبِّهِ أَفْتَى لِرَبِّكَ﴾ أطبعه ﴿وَأَسْجُدِي وَأَذْكُوعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ أي: ضلِّي مع المصلين.

[٤٤] ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور من أمر زكريا ومرم ﴿بَيْنَ أَنْبَاءِ النَّبِيِّ﴾ أخبار ما غاب عنك ﴿فُوجِيهِ إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَفْلَحَ هُمُ﴾ في الماء يفترون؛ ليظهر لهم ﴿أَنَّهُمْ يَكْفُلُ﴾ يرعي ﴿مَرْيَمَ﴾ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ في كفالها؛ فتعرف ذلك؛ فتخبر به، وإنما عرفته من جهة الوحي.

هُنَالِكَ دَعَا زَكْرِيَّا رَبَّهُ وَقَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾ فَدَاتَهُ الْمَلَكُ هُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي عَلْمٌ وَقَدْ بَلَغْتَ الْكِبَرَ وَأَمْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ إِنِّي أَنبِئُكَ أَنَّ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا مَرًّا وَأَذْكُرُ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَمِعَ بِالْمُبَشِّرِ وَالْإِنْبِئَةِ ﴿٤١﴾ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَكُةُ لَمَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكِ بِطُحْتِكِ وَطَهَّرَكَ وَاصْطَفَىكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٤٢﴾ لَمَرْيَمُ أَفْتَى لِرَبِّكَ وَأَسْجُدِي وَأَذْكُوعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُونَ أَفْلَحَ هُمُ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذْ قَالَتِ الْمَلَكُةُ لَمَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾

[٤٥] اذكر ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَكُةُ﴾ أي جبريل: ﴿يُنْعِمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ﴾ أي: ولد ﴿اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ خاطبها بنسبته إليها تبيها على أنها تلده بلا أب؛ إذ عادة الرجال نسبهم إلى آبائهم ﴿وَجِيهًا﴾ ذا جلال ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ بالنسبة، ﴿وَالْآخِرَةِ﴾ بالشفاعة والدرجات العلى ﴿وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ عند الله.

(١) أي: المسجد.

(٢) فيه إثبات صفة السمع لله ﷻ على الوجه اللائق به - سبحانه ..

(٣) فهو من تسمية الخاص باسم العام تعظيماً له.

(٤) حمزة وابن عامر.

(٥) بالتخفيف قراءة حمزة والكسائي، ويكون بفتح الياء وسكون الباء وضم الشين.

(٦) لعل الحكمة في أن الله لم يذكر في القرآن امرأة باسمها إلا هي الإشارة بطرف خفي إلى رد ما قاله الكفار من أنها زوجته، فإن العظيم عالي الهمة يأنف من ذكر اسم زوجته بين الناس؛ فكان الله يقول: لو كانت زوجة لي لما صرحت باسمها. (حاشية الصاوي على الجلالين).

(٧) ومن الحيض والنفس وكل قدر.

[٤٩] ﴿و﴾ يجعله ﴿رَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ في الصبا أو بعد البلوغ؛ فنفخ جبريل في جيب درعها؛ فحملت، وكان من أمرها ما ذكر في سورة مريم، فلما بعث الله إلى بني إسرائيل، قال لهم: ﴿إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ ﴿أَنْتَ﴾ أي: بأني ﴿فَدَجِّتُكُمْ بِبَايِعَةٍ﴾ علامة على صدقي ﴿مِن رَّبِّكُمْ﴾ هي: ﴿أَنْتَ﴾ وفي قراءة^(١): بالكسر؛ استنفاً ﴿أَخْلَقُ﴾ أصور ﴿لَكُمْ مِّنَ الطَّيْرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾ مثل صورته؛ فالكاف اسم مفعول ﴿فَأَنْفُخُ فِيهِ﴾ الضمير للكاف^(٢) ﴿فَيَكُونُ طَيْرًا﴾ وفي قراءة^(٣): ﴿طَائِرًا﴾ ﴿يَلْذَنُ اللَّهُ﴾ يارادته، فخلق لهم الخفاش؛ لأنه أكمل الطير خلقاً؛ فكان بطير وهم ينظرونه، فإذا غاب عن أعينهم سقط ميتاً ﴿وَأُتْرِي﴾ أُنشئي ﴿الْأَكْصَمَةَ﴾ الذي ولد أعمى ﴿وَالْأَبْرَصَ﴾ وَخَصًّا بالذكر؛ لأنهما ذاء إعياء^(٤)، وكان بعثه في زمن الطب؛ فأبرأ في يوم خمسين ألف بالداء بشرط الإيمان ﴿وَأُتِي الْمُؤْمِنُ يَلْذَنُ اللَّهُ﴾ كرهه؛ لنفي توهم الألوهية فيه؛ فأحيا «عازر» - صديقاً له - وابن العجور، وابنة العاشر؛ فعاشوا وولد لهم، و«سام بن نوح» مات في الحال ﴿وَأُتِيْتُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَشْرَبُونَ﴾ تخبئون ﴿فِي بُيُوتِكُمْ﴾ مما لم أعابنه؛ فكان يخبر الشخص بما أكل وبما يأكل بعد ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَلَّذِكْرَ﴾ المذكور ﴿لَايَةً لَّكُمْ﴾ إن كنتم مؤمنين ﴿٤٩﴾

[٥٠] ﴿و﴾ جنتكم ﴿مُضْطَفًّا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْ﴾ قبلي ﴿مِنَ التَّوْرَةِ﴾ ولأجل لكم بعض الذي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ فيها؛ فأحل لهم من السمك والطير ما لا صبيصة له^(٥)، وقيل: أحل الجميع؛ فبعض بمعنى «كل» ﴿وَجِئْتُكُمْ بِبَايِعَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ كرهه تأكيداً وليني عليه ﴿فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ فيما أمركم به من توحيد الله وطاقته. [٥١] ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبُّكُمْ وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوا هَذَا﴾ الذي أمركم به ﴿صِرَاطٌ﴾ طريق ﴿مُسْتَقِيمٌ﴾ فكذبوه ولم يؤمنوا به.

[٥٢] ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ﴾ علم ﴿عِيسَىٰ مَهُمُّ الْكُفْرَ﴾ وأرادوا قتله ﴿قَالَ مَن أَنصَارِي﴾ أعواني ذاهباً^(١) ﴿إِلَى اللَّهِ﴾ لأنصر دينه ﴿قَالَ الْخَوَارِجُ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ﴾ أعوان دينه؛ وهم: أصفياء عيسى، أول من آمن به، وكانوا اثني عشر رجلاً من الحور؛ وهو: البياض الخالص، وقيل: كانوا قصارين يحررون الثياب؛ أي: يبيضونها ﴿عَامَّةً﴾ صدقنا ﴿بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ﴾ يا عيسى ﴿يَأْتَا سُؤْلُوتُ﴾

وَيَكْفُرُ النَّاسُ فِي الْمَهْدِ وَكَهَلًا وَمِنَ الصَّلَاحِينَ ﴿٤٩﴾
قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسَّسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ
اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ
﴿٥٠﴾ وَيَعْلَمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ
﴿٥١﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَايِعَةٍ مِّن
رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِّنَ الطَّيْرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ
فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا يَلْذَنُ اللَّهُ وَأُتْرِي الْأَكْصَمَةَ وَالْأَبْرَصَ
وَأُتِي الْمُؤْمِنُ يَلْذَنُ اللَّهُ وَأُتِيْتُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَشْرَبُونَ
فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَلآيَةَ لَكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾
وَمُضْطَفًّا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْ مِّنَ التَّوْرَةِ لِأَجْلِ لَكُمْ
بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِبَايِعَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ
فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿٥١﴾ إِنَّ اللَّهَ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ
هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمْ
أَنصَارُ اللَّهِ قَالَ مَن أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِجُ نَحْنُ
أَنصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾

[٤٦] ﴿وَيَكْفُرُ النَّاسُ فِي الْمَهْدِ﴾ أي: طفلاً قبل وقت الكلام ﴿وَكَهَلًا﴾^(١) وَمِنَ الصَّلَاحِينَ ﴿٤٩﴾

[٤٧] ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى﴾ كيف ﴿يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسَّسْنِي بَشَرٌ﴾ بتزوج ولا غيره ﴿قَالَ اللَّهُ﴾ كَذَلِكَ ﴿مِن خَلْقٍ وَلَدٍ مِنْكَ بِلَا أَبٍ﴾ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا ﴿أَرَادَ خَلْقَهُ﴾ فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿أي: فهو يكون﴾

[٤٨] ﴿وَيَعْلَمُهُ﴾ بالنون والياء^(٢) ﴿الْكِتَابَ﴾ الخط^(٣) ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾^(٤) وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٥٠﴾

(١) أي: ويكلمهم بأن يدعوهم إلى دين الله حال كونه كهلاً، والكهل: ما بين الغلام والشبح، وقيل: من له ثلاث وثلاثون سنة، وقيل: من ناهز الأربعين، وقيل: في الآية إشارة إلى نزوله - عَلَيْهِ السَّلَامُ - في آخر الزمان؛ ففيها إخبار عن معجزتين وحجتين.

(٢) بالنون قراءة السبعة عدا عاصم ونافع.

(٣) أي: الكتابة، وقيل: المراد جنس الكتب الإلهية.

(٤) قيل: المراد بها العلم، وقيل: تهذيب الأخلاق. وقيل: قوة الفهم وحسن التدبير للأمور بوضعها في مواضعها.

(٥) لنافع.

(٦) ويصح أن يعود على الطين، وحكمة المغايرة بين ما هنا وما يأتي في آخر المائدة أن التكلم هنا عيسى، وهناك الله ﷻ.

(٧) لنافع.

(٨) أي: أغنيا الأطباء الذين كانوا في زمنه.

(٩) أي: شوكة يؤذي بها، وأما ما له صبيصة فهو باق على حله لم يحرم.

(١٠) حَمَلَةُ الْمَثُورِ عَلَى أَنَّهُ مُتَعَلِّقٌ بِمَحْدُوفٍ، عَلَى أَنَّهُ حَالٌ مِنَ الْبَاءِ فِي ﴿أَنصَارِي﴾ أَي: مَن أَنصاري حال كوني ذاهباً إلى الله؛ أي: مُتَجَبِّحاً إِلَى اللَّهِ وَشَارِعاً فِي نَصْرَةِ دِينِهِ، وَقَالَ السُّدِّيُّ وَابْنُ جَرِيرٍ: ﴿مَن أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٥٢] مع الله. وقال الحسن وأبو عبيدة: ﴿إِلَى﴾ بمعنى: «في»؛ أي: مَن أعواني في الله؛ أي: في ذات الله وسبيله.

[٥٣] ﴿رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا آتَيْتَنَا مِنَ الْإِنجِيلِ وَآتَيْنَا الرَّسُولَ عِيسَىٰ ﴿٥٣﴾ فَكَتَبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ لك بالوحداية ولرسولك بالصدق. قال -تعالى-:

[٥٤] ﴿وَمَكَرُوا﴾ أي: كفار بني إسرائيل بعيسى؛ إذ وُكِّلُوا به من يقتله غيلة ﴿وَمَكَرَ اللَّهُ﴾ بهم؛ بأن ألقى شبه عيسى على من قصد قتله فقتلوه^(١) ورفع عيسى إلى السماء ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمُنْكَرِينَ﴾ أعلمهم به.

[٥٥] اذكر ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ قابضك ﴿وَرَأَيْتَكَ﴾ إنك من الدنيا من غير موت ﴿وَمُطَهِّرُكَ﴾ بمعدك ﴿مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ ﴿صَادِقُوا بَنَاتِكُم مِّنَ الْمُسْلِمِينَ وَالنَّصَارَىٰ﴾ فَوَقَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴿بِكَ﴾ وهم: اليهود؛ يعلنونهم بالحجة والسيف ﴿إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ﴾ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَاحْكُم بَيْنَكُمْ فِي مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿مِنَ أَمْرِ الدِّينِ﴾.

[٥٦] ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَذَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ في الدنيا بالقتل والسبي والجزية ﴿وَالْآخِرَةَ﴾ بالنار ﴿وَمَا لَهُمْ بَيْنَ نَجْمَيْكَ﴾ مانعين منه.

[٥٧] ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ﴾ بالياء والنون^(٢) ﴿أَجْرَهُمْ﴾ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿أي: يعاقبهم﴾^(٣) روي أن الله -تعالى- أرسل إليه سبحانه فرقة؛ فَعَلَّقَتْ بِهٖ أُمَّه وَبَكَتْ؛ فقال لها: إن القيامة تجمعنا. وكان ذلك ليلة القدر ببيت المقدس، وله ثلاث وثلاثون سنة، وعاشت أمه بعده ست سنين^(٤). وروي الشيخان حديث: «إنه ينزل قرب الساعة، ويحكم بشريعة نبينا، ويقتل الدجال والخنزير، ويكسر الصليب، ويضع الجزية^(٥). وفي حديث مسلم: «إنه يمكث سبع سنين»^(٦). وفي حديث عند أبي داود الطيالسي: أربعين سنة، ويتوفى ويصلى عليه^(٧). فيحتمل أن المراد مجموع ليله في الأرض قبل الرفع وبعد.

[٥٨] ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور من أمر عيسى ﴿تَتَلَوُوهُ﴾ نقصه ﴿عَلَيْكُمْ﴾ يا محمد ﴿مِنَ الْأَيَّاتِ﴾ حال من البهاء في ﴿تَتَلَوُوهُ﴾، وعامله ما في ﴿ذَلِكَ﴾ من معنى الإشارة^(٨) ﴿وَالذِّكْرُ الْحَكِيمُ﴾ الحكم؛ أي: القرآن.

[٥٩] ﴿إِنَّمَا مَثَلُ عِيسَىٰ﴾ شأنه الغريب ﴿عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ﴾ كشأنه في خلقه من غير أب، وهو من تشبيه الغريب بالأغرب؛ ليكون أقطع للخصم وأوقع في النفس ﴿خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ﴾ بشوا ﴿فَيَكُونُ﴾ أي: فكان؛ وكذلك عيسى قال له: «كن» من غير أب؛ فكان.

[٦٠] ﴿الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ خبر مبتدأ محذوف؛ أي: أمر عيسى ﴿فَلَا تَكْفُرْ مِنَ الْمُنْذَرِينَ﴾ الشاكرين فيه.

[٦١] ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ﴾ جادلك من النصارى ﴿فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ بأمره ﴿فَقُلْ﴾ لهم: ﴿تَعَالَوْا نُبَيِّنْ لَكُمْ آيَاتِنَا وَنُبَيِّنْ لَكُمْ

رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا آتَيْتَنَا مِنَ الْإِنجِيلِ وَآتَيْنَا الرَّسُولَ فَكُتِبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكَرُوا وَاللَّهُ خَيْرُ الْمُنْكَرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِنِّي مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَذَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِّنْ نَّاصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أَجْرَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٥٧﴾ ذَلِكَ تَتَلَوُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرُ الْحَكِيمُ ﴿٥٨﴾ إِنَّمَا مَثَلُ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكْفُرْ مِنَ الْمُنْذَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نُبَيِّنْ لَكُمْ آيَاتِنَا وَنُبَيِّنْ لَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكٰذِبِينَ ﴿٦١﴾

وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾ فجمعهم ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ﴾ تتضرع في الدعاء ﴿فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكٰذِبِينَ﴾ بأن نقول: اللهم العن الكاذب في شأن عيسى. وقد دعا ﷺ وقد نجران لذلك لما حاجوه به؛ فقالوا: حتى ننظر في أمرنا ثم نأتيك. فقال ذوو رأيهم: لقد عرفتم نبوته وأنه ما تأهل قوم نبيا إلا هلكوا فوادعوا الرجل وانصرفوا. فأتوا الرسول ﷺ وقد خرج ومعه الحسن والحسين، وفاطمة وعلي، وقال لهم: «إِذَا دَعَوْتُمْ فَأَمْتُوا»، فأبوا أن يلاعوا وصالحوه على الجزية^(٩). [رواه أبو نعيم]. وعن ابن عباس قال: لو خرج الذين يياهلون، لرجعوا لا يجدون مالا ولا أهلا. وروي: لو خرجوا لاحترقوا.

(١) وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: إن الذي صلب شاب من تلاميذ المسيح ﷺ، رضي بأن يلقى عليه شبه المسيح، ويقتل مكانه ليكون رفيقه في الجنة. الدر المنثور [٢/٧٢٧].

(٢) بالنون، للسبعة عدا حفص.

(٣) وهذا تأويل سبق التنبيه والرد عليه وإثبات صفة الحب لله ﷻ على الوجه الذي يليق به سبحانه، ومن لازم عدم محبته سبحانه لهم أنه يعاقبهم.

(٤) وهذا لم تأت به سنة صحيحة وهو أشبه بالإسرائيليات التي يتوقف في القول بها.

(٥) البخاري (٣٤٤٨)، ومسلم (١٥٥).

(٦) مسلم (٢٩٤٠).

(٧) وأخرجه أحمد وأبو داود (٤٢٢٤)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣٦٣٥)، والصححة (٢١٨٢)، من حديث أبي هريرة، وفيه: «هَوَيْتُ عَلَيْهِ الْمَثَلُونَ».

(٨) لأنه مضمن معنى «أشيرة»، واغترض ذلك بأن العامل في الحال هو العامل في صاحبها، وصاحبها هو الهاء في: ﴿تَتَلَوُوهُ﴾؛ فالعامل هو: ﴿تَتَلَوُوهُ﴾. قال بعضهم معترضا عن المفسر: بأنه خلط إعرابا بآخر.

(٩) أخرجه أبو نعيم في الدلائل كما في الدر المنثور (٢٣٢/٣) وأصله عند مسلم (٢٠٤).

[٧١] ﴿يَأْهَلِ الْكِتَابِ لِمَ تَلْسُونَهُمْ﴾ تخططون ﴿أَلْحَقَ بِالْبَطْلِ﴾ بالتحريف والتزوير ﴿وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ﴾ أي: نعت النبي ﴿وَأَنْتُمْ تَقْتُلُونَ﴾ أنه حق!.

[٧٢] ﴿وَقَالَتْ طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ اليهود لبعضهم: ﴿يَأْتِينَا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَيَّ الْبُرْهَانُ﴾ أي: القرآن ﴿وَتَجِدَنَّ أَهْلَهُ﴾ أوله ﴿وَكَافِرًا﴾ به ﴿يَاجِرُهُ لَعَلَّهُمْ﴾ أي: المؤمنون ﴿يَرْجِعُونَ﴾ عن دينهم؛ إذ يقولون: ما رجع هؤلاء عنه بعد دخولهم فيه وهم أولو علم إلا لعلمهم بطلانه. وقالوا أيضًا:

[٧٣] ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا﴾ تصدقوا ﴿إِلَّا لِمَنْ﴾ اللام زائدة^(١) ﴿تَبِعَ﴾ وافق ﴿دِينَكُمْ﴾ قال - تعالى -: ﴿قُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّد: ﴿إِنَّ إِلَهَنَا هُدَى اللَّهِ﴾ الذي هو الإسلام، وما عباده ضلال، والحملة اعتراض^(٢) ﴿أَنْ﴾ أي: بأن ﴿يُؤْتِيَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مَّا أُوتِينَا﴾ من الكتاب والحكمة والفضائل، و﴿أَنْ﴾ مفعول «تؤمنوا»، والمستثنى منه «أحد»^(٣) قدم عليه المستثنى؛ المعنى: لا تقروا^(٤) بأن أحدًا يؤتى ذلك إلا لمن اتبع دينكم ﴿أَوْ﴾ بأن ﴿يَمَّا جُؤِرَ﴾ أي:

المؤمنون يغلبوكم ﴿عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾ يوم القيامة؛ لأنكم أصبح دينًا، وفي قراءة: ﴿أَنْ﴾^(٥) بهمة التوسيع^(٦)؛ أي: إيتاء^(٧) أحد مثله تقرون به؟ قال - تعالى -: ﴿قُلْ إِنْ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ﴾ فمن أين لكم أنه لا يؤتى أحد مثل ما أوتيتم ﴿وَاللَّهُ وَسِيعٌ﴾ كثير الفضل ﴿عَلَيْكُمْ﴾ بمن هو أهله.

[٧٤] ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾. ﴿وَمِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن﴾ إن تأمته يقطار^(٨) أي: مجال كثير ﴿يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ﴾ لأمانته؛ كعبد الله بن سلام أودعه رجل ألفًا ومائتي أوقية ذهبًا فأداها إليه ﴿وَمِنْهُمْ مَن﴾ إن تأمته يدينار^(٩) لا يؤدُّهُ إِلَيْكَ﴾ لخيانته ﴿إِلَّا مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾ لا تفارقه، فمتى فارقه أنكره؛ كعبد بن الأشرف استودعه قرشي دينارًا ففجده ﴿وَذَلِكَ﴾ أي: ترك الأداء ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا مَا سَبَّبَ قَوْلَهُمْ: ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيْنِ﴾﴾ أي: العرب ﴿سَبِيلٌ﴾ أي: إنهم لاستحلالهم ظلم من خالف دينهم، ونسبوه إليه - تعالى -، قال - تعالى -: ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ في نسبة ذلك إليه ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنهم كاذبون.

[٧٥] ﴿بَلَىٰ مَن أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ﴾ أي: أوفى ﴿وَأَتَقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾. ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَأَخْلَقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

[٧٦] ﴿بَلَىٰ﴾^(١٠) عليهم فيهم سبيل ﴿مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ﴾ الذي عاهد عليه، أو بعهد الله إليه من أداء الأمانة وغيره ﴿وَأَتَقَىٰ﴾ الله بترك المعاصي وعمل الطاعات ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ فيه وضع الظاهر موضع المضمرة^(١١)؛ أي: يحبهم؛ بمعنى: يبيهم^(١٢). و﴿نَزَّلَ﴾ في اليهود؛ لما بدلوا نعت

النبي ﷺ وعهد الله إليهم في التوراة^(١٣)، وفيمن حلف كاذبًا في دعوى أو في بيع سلعة -: [٧٧] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ﴾ يستبدلون ﴿بِعَهْدِ اللَّهِ﴾ إليهم في الإيمان بالنبي وأداء الأمانة ﴿وَأَيْمَانِهِمْ﴾ حلفهم به - تعالى - كاذبين ﴿فَمَنَّا قَلِيلًا﴾ من الدنيا ﴿أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ﴾ نصيب ﴿لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ﴾ غضبًا^(١٤) ﴿وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ﴾ يرحمهم^(١٥) ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ يطهرهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم^(١٦).

[٧٨] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَأَخْلَقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

[٧٩] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَأَخْلَقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

[٨٠] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَأَخْلَقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

[٨١] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَأَخْلَقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

[٨٢] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَأَخْلَقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

[٨٣] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَأَخْلَقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

(١) ما جاء في نزول الآية (٧٧): أخرج البخاري عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه أن رجلاً أقام سلعة وهو في السوق فحلف بالله لقد أعطى بها ما لم يعط، ليقع فيها رجلان من المسلمين، فنزلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَأَخْلَقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. (٢) بين العامل والمفعول. (٣) هذا باعتبار أن اللام في قوله: ﴿لِمَنْ﴾ زائدة، أما على عدم تقدير زيادتها فالمستثنى منه محذوف تقديره: ولا تؤمنوا؛ أي: تقروا وتعترفوا وتصرحوا لأحد من الناس بأن أحدًا يؤتى مثل ما أوتيتم من الفضائل والكمالات إلا لشخص اتبع دينكم. (٤) ضغن المفسر ﴿تُؤْمِنُوا﴾ معنى: تقروا؛ لتكون اللام في قوله: ﴿لِمَنْ﴾ أصلية. (٥) لابن كثير، وعلى هذه القراءة يكون هذا الكلام مستأنفًا. (٦) بهمة الاستفهام الذي هو للتوبيخ مع الإنكار. (٧) أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿أَنْ يُؤْتِيَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مَّا أُوتِينَا﴾ في تأويل مصدر مبتدأ خبره محذوف تقديره: تقرون به. (٨) وكان مقتضى الظاهر أن يقول: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ بِحَبْءِهِمْ﴾، وهذا للاعتناء بشأن المؤمنين، وإشارة إلى عمومهم لكل مثق. (٩) وهذا تأويل غير جائز لهذه الصفة، وسبق بيان فساده، وبيان مذهب السلف في صفات الله ﷻ مرارًا. (١٠) ذكره ابن حجر في المحاب (٧٠٢/٢) عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، وقال في الفتح (٢١٣/٨): «وقص الكلبي في تفسيره في ذلك قصة طويلة، وهي محتسلة أيضًا، لكن المعتمد في ذلك ما ثبت في الصحيح». والكلبي وأبو صالح متهما بالكذب؛ فالحديث موضوع. (١١) أي: لا يكلمهم كلاً ما يتفهم ويسرهم، ولكن يمكن أن يكلمهم كلاً ما يسوؤهم كما في قوله - سبحانه - لهم: ﴿أَخْتَرْنَا فِيهَا وَلَا تَكْفُرُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٨]، وفي هذه الآية وغيرها إثبات صفة الكلام لله - سبحانه - على الوجه اللائق به كما هو مذهب السلف. (١٢) أي: لا ينظر إليهم نظر رحمة وإحسان، ومن لازمها: إثبات أنه ينظر للمؤمنين نظر رحمة، وفي هذا إثبات صفة البصر له على الوجه اللائق به كما جاء صريحاً في غير آية.

(١) ما جاء في نزول الآية (٧٧): أخرج البخاري عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه أن رجلاً أقام سلعة وهو في السوق فحلف بالله لقد أعطى بها ما لم يعط، ليقع فيها رجلان من المسلمين، فنزلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَأَخْلَقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

(٢) ما جاء في نزول الآية (٧٧): أخرج البخاري عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه أن رجلاً أقام سلعة وهو في السوق فحلف بالله لقد أعطى بها ما لم يعط، ليقع فيها رجلان من المسلمين، فنزلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَأَخْلَقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

(٣) ما جاء في نزول الآية (٧٧): أخرج البخاري عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه أن رجلاً أقام سلعة وهو في السوق فحلف بالله لقد أعطى بها ما لم يعط، ليقع فيها رجلان من المسلمين، فنزلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَأَخْلَقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

(٤) ما جاء في نزول الآية (٧٧): أخرج البخاري عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه أن رجلاً أقام سلعة وهو في السوق فحلف بالله لقد أعطى بها ما لم يعط، ليقع فيها رجلان من المسلمين، فنزلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَأَخْلَقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

كاذبون. ونزل - لما قال نصارى نجران: إن عيسى أمرهم أن يتخذوه^(١) رباً. أو لما طلب بعض المسلمين السجود له ﷺ^(٢): [٧٩] ﴿مَا كَانَ يَنْبَغِي﴾ **﴿لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ﴾** أي: الفهم للشرعية **﴿وَالشُّبُهَةَ﴾** ثم يقول للناس كوثوا عباداً لي من دون الله ولكن **﴿وَاللَّيْسَ كُوثُوا﴾** ربكيتن **﴿عِلْمَاءُ عَامِلِينَ مَسْئُومِينَ إِلَى رَبِّهِمْ﴾** زيادة ألف ونون تضيخاً **﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾** بالضعيف والتشديد^(٣) **﴿الْكِتَابَ وَمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾** بسبب ذلك؛ فإن فائدته أن تعملوا. [٨٠] **﴿وَلَا تَأْمُرُوا﴾** بالرفع^(٤) استئنافاً؛ أي: الله^(٥)، والنصب عطفًا على **﴿يَقُولُ﴾**؛ أي: البشر^(٦) **﴿أَنْ تَتَّخِذُوا لِلْمَلَائِكَةِ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا﴾** كما اتخذت الصابئة الملائكة، واليهود عزيرًا، والنصارى عيسى **﴿أَيُّكُمْ بِالْكَفَرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾** لا ينبغي له هذا^(٧).

[٨١] **﴿وَ﴾** اذكر **﴿إِذْ﴾** حين **﴿أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ﴾** عهدهم **﴿لَمَّا﴾** بفتح اللام؛ للابتداء وتوكيد معنى القسم^(٨) الذي في أخذ الميثاق، وكسرها متعلقة بـ«أخذ»^(٩)، و«ما» موصولة على الوجهين؛ أي: للذي **﴿عَاتَبْتِكُمْ﴾** إياه، وفي قراءة: **﴿عَاتَبْتِكُمْ﴾**^(١٠) **﴿مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ﴾** من الكتاب والحكمة؛ وهو: محمد ﷺ **﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ﴾** ولتصبرن **﴿وَلتصبرن﴾** جواب القسم: إن أدركموه، وأثمهم تبع لهم في ذلك **﴿قَالَ﴾** تعالى لهم: **﴿ءَأَقْرَرْتُمْ﴾** بذلك **﴿وَأَخَذْتُمْ﴾** قبلتم **﴿عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي﴾** عهدي؟ **﴿قَالُوا أَقْرَرْنَا﴾** قال فأنشدها **﴿عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ﴾** وأتباعكم بذلك **﴿وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾** عليكم وعليهم.

[٨٢] **﴿فَمَنْ تَوَلَّى﴾** أعرض **﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾** الميثاق **﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْفٰلِقُونَ﴾**.

[٨٣] **﴿فَعَدَّ دِينَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ﴾** بالياء والتاء^(١١)؛ أي: المتولون **﴿وَلَهُ أَسْلَمَ﴾** انقاد **﴿مَنْ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا﴾** بلا إباء **﴿وَكَرْهًا﴾** بالسيف ومعانبة ما يلجئ إليه **﴿وَأَلِيهِ رُجِعُونَ﴾** بالياء^(١٢)، والهمزة في أول الآية للإنكار.

وَأَنَّ مِنْهُمْ لَفِرًا يَقِيلُونَ أَلَيْسَتْ لَهُمُ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنْ أَلْكِتَابٍ وَمَا هُوَ مِنَ أَلْكِتَابٍ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُوثُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُوثُوا رَبِّيِّنَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَلْكِتَابَ وَمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا لِلْمَلَائِكَةِ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيُّ أَمْرٍ كُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَّا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفٰلِقُونَ ﴿٨٢﴾ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْعَثُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

[٧٨] **﴿وَأَنَّ مِنْهُمْ لَفِرًا﴾** أي: أهل الكتاب **﴿يَقِيلُونَ﴾** طائفة؛ ككعب بن الأشرف **﴿يَقِيلُونَ أَلَيْسَتْ لَهُمُ بِالْكِتَابِ﴾** أي: يعطفونها بقراءته عن المنزل إلى ما حرفوه من نعت النبي ﷺ ونحوه **﴿وَلتَحْسَبُوهُ﴾** أي: المحرف **﴿مِنْ أَلْكِتَابٍ﴾** الذي أنزله الله **﴿وَمَا هُوَ مِنْ أَلْكِتَابٍ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾** أنهم

(١) ذكره ابن جرير في تفسيره (٣/٣٢٥)، وعراه في الدر المنثور للبيهقي في الدلائل عن ابن عباس عن أبي رافع القرظي. وضعفه في الاستيعاب (١/٢٦٨).

(٢) أخرجه عبد بن حميد عن الحسن كما في الدر المنثور (٣/٢٥٠). وهو ضعيف مرسل كما في الاستيعاب (١/٢٦٩).

(٣) بالتحفيف قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو، ويكون مع فتح التاء وسكون العين. وقرأ بقية السبعة: **﴿تَعْلَمُونَ﴾** بالتشديد مع ضم التاء وفتح العين.

(٤) أي: بضم الراء، قراءة نافع وابن كثير والكلابي. وقرأ أبو عمرو وبخلف عن الدوري: **﴿يَأْمُرُكُمْ﴾** بسكون الراء، وبقية السبعة **﴿يَأْمُرُكُمْ﴾** بالفتح.

(٥) أشار بذلك إلى أن فاعل **﴿يَأْمُرُكُمْ﴾** - بالرفع - ضمير مستتر عائد على «الله».

(٦) أي: على هذا التقدير يكون فاعل **﴿يَأْمُرُكُمْ﴾** - بالنصب - ضميرًا مستترًا عائدًا على «بشر».

(٧) أشار بهذا إلى أن الاستفهام إنكاري تعجبي.

(٨) أي: مؤكدة لليقين المأخوذ من الميثاق؛ فإنه تقدم أن معنى الميثاق عهد مؤكد بيمين.

(٩) أي: على أنها للتعليل **﴿لَمَّا﴾**؛ أي: لرعاية وحفظ ما آتيتكم، وهي قراءة حمزة.

(١٠) لنافع.

(١١) بالياء لأبي عمرو وحفص، وبالتاء للباقيين.

(١٢) بالياء قراءة حفص، وقرأ بقية السبعة بالتاء.

قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ
وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ
وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ
وَنَحْنُ لَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٨٥﴾ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ
يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٦﴾ كَيْفَ
يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ
الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاءُ هُمْ أَنْ عَلَيهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ
وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٨﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَخَفُ
عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ
بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ
كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ نُقْبَلَ تَوْبَتَهُمْ
وَأُولَٰئِكَ هُمُ الصَّالُونَ ﴿٩١﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ
كُفَرَاءَ فَلَنْ يَاقَبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلَّةٌ مِنَ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ
أَفْتَدَىٰ بِهِ ۗ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٩٢﴾

[٨٤] ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد: ﴿ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ
إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ﴾ أولاده ﴿وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ
وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾ بالصدق والتكذيب
﴿وَنَحْنُ لَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾^(٥) مخلصون في العبادة. ونزل فيمن ارتد ولحق
بالكفار:

[٨٥] ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ
الْخَاسِرِينَ﴾ لمصيره إلى النار المؤبدة عليه.

[٨٦] ﴿كَيْفَ﴾ أي: لا ﴿يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ
وَشَهِدُوا﴾ أي: وشهادتهم ﴿أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَ﴾ قد ﴿جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾
الحجج الظاهرات على صدق النبي ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الضَّالِّينَ﴾ أي:
الكاافرين.

[٨٧] ﴿أُولَٰئِكَ جَزَاءُ هُمْ أَنْ عَلَيهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ
أَجْمَعِينَ﴾.

[٨٨] ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ أي: اللعنة أو النار المدلول بها عليها ﴿لَا يَخَفُ
عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ يُجْهَلُونَ.

[٨٩] ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا﴾ عملهم ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ
لَهُمْ رَحِيمٌ﴾^(٦) بهم. ونزل في اليهود:

[٩٠] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعيسى ﴿بَعْدَ إِيمَانِهِمْ﴾ موسى ﴿ثُمَّ
أَزْدَادُوا كُفْرًا﴾ بمحمد ﴿لَنْ نُقْبَلَ تَوْبَتَهُمْ﴾ إذا غرغروا أو ماتوا كفاراً
﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الصَّالُونَ﴾.

[٩١] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَرَاءَ فَلَنْ يَاقَبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلَّةٌ
مِنَ الْأَرْضِ﴾ مقدار ما يملؤها ﴿ذَهَبًا وَلَوْ أَفْتَدَىٰ بِمِلَّةٍ﴾ أدخل الفاء في خبر
﴿إِنَّ﴾؛ لشبهه «الذي»^(٧) بالشرط وإيداناً بتسبب عدم القبول عن الموت على
الكفر ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾
مانعين منه.

(٥) فائدة: أخرج أبو داود عن أبي هريرة أنه سمع النبي ﷺ يقرأ في ركعتي الفجر: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ في الركعة الأولى، وفي الركعة الأخرى بهذه الآية: ﴿رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أُنزِلَتْ
وَأَنبَعَثْنَا أَكْرَمًا لَعَنَّا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ أو ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾. أبو داود - كتاب الصلاة (٢) باب (٢٩٢) في تخفيفها. وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود
(١١٢٢).

(٥٥) ما جاء في نزول الآيات (٨٦ - ٨٩): أخرج النسائي عن ابن عباس قال: كان رجل من الأنصار أسلم ثم ارتد ولحق بالشرك ثم تدم، فأرسل إلى قومه: سلوا لي رسول الله ﷺ، هل لي من توبة؟
فجاء قومه إلى رسول الله ﷺ فقالوا: إن فلاناً قد تدم، وإنه أمرنا أن نسألك: هل له من توبة؟ فنزلت: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ فأرسل إليه
فأسلم. النسائي - كتاب تحريم الدم (٣٧)، باب (١٥) توبة المرتد، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (٣٧٩٢). واسم هذا الأنصاري: الحارث بن سويد كما في المطالب العالية لابن
حجر (٣/٣١٤).

(١) فيه حكاية بالمعنى؛ إذ المذكور في الآية ﴿الَّذِينَ﴾ لكن حكمهما واحد.

لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا حُبَبْتُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ
فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾ * كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلالًا لِبَنِي
إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ
التَّوْرَةُ قُلْ فَأَتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ
﴿٩٣﴾ فَمَنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ
هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩٤﴾ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا
وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي
بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ
إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ
مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ
﴿٩٧﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ
عَلَى مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصَدُّونَ عَنِ
سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبِعُونَهَا وَعَجَابَ وَإِنَّهُ لَشَهِيدٌ عَلَى مَا اللَّهُ
يَعْمَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ طُغِيَوا فَرِيضًا
مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كُفْرِينَ ﴿١٠٠﴾

تكن على عهده حرامًا كما زعموا ﴿٩٢﴾ قُلْ لهم: ﴿قَاتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا﴾
ليتبين صدق قولكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فيه؛ فبهتوا ولم يأثروا بها. قال -
تعالى :- [٩٤] ﴿فَمَنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ أي: ظهور
الحجة بأن التحريم إنما كان من جهة يعقوب لا على عهد إبراهيم ﴿فَأُولَئِكَ
هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ المتجاوزون الحق إلى الباطل. [٩٥] ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ﴾ في هذا؛
كجميع ما أخبر به ﴿فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ التي أنا عليها ﴿حَنِيفًا﴾ مائلًا عن
كل دين إلى الإسلام ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾. ونزل - لما قالوا: قبلتنا قبل
قبلتكم :- [٩٦] ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ﴾ متعبداً ﴿لِلنَّاسِ﴾ في الأرض
﴿لِلَّذِي بِبَكَّةَ﴾ بآباءه، لغة في «مكة»، سميت بذلك؛ لأنها تك أضاف
الجارية؛ أي: تدقيقها، بناه الملائكة قبل خلق آدم، ووضع بعده الأقصى، وبينهما
أربعون سنة؛ كما في حديث الصحيحين^(١)، وفي الحديث: «أنه أول ما ظهر
على وجه الماء عند خلق السماوات والأرض زنبدة بيضاء؛ فحدث الأرض من
تحتها»^(٢). ﴿مُبَارَكًا﴾ حال من «الذي»؛ أي: ذا بركة ﴿وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ لأنه
قبلتهم. [٩٧] ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾ منها^(٣): ﴿مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾ أي: الحجر
الذي قام عليه عند بناء البيت؛ فأثرت قدماءه فيه وبقي إلى الآن مع تطاول الزمان
وتداول الأيدي عليه، ومنها: تضعيف الحسنات فيه، وأن الطير لا يعلوه^(٤)
﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ لا يتعرض إليه بقتل أو ظلم أو غير ذلك ﴿وَلِلَّهِ عَلَى
النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ﴾ واجب، بكسر الحاء وفتحها^(٥) لغتان في مصدر حج؛
بمعنى: قصد، وببديل من^(٦) «الناس»: ﴿مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ طريقًا؛ فشره
﴿بِئْرٍ بِالزَّادِ وَالزَّاجِلَةِ﴾^(٧). [رواه الحاكم وغيره] ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ بالله أو بما فرضه
من الحج ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ الإنس والجن والملائكة وعن عبادتهم.
[٩٨] ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ القرآن ﴿وَاللَّهُ شَهِيدٌ
عَلَى مَا تَعْمَلُونَ﴾ فيجازيكم عليه. [٩٩] ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ
تَصَدُّونَ﴾ تصرفون ﴿عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: دينه ﴿مَنْ آمَنَ﴾ بتكذيبكم
النبي وكنتم نقيبه ﴿تَبِعُونَهَا﴾ أي: تطلبون السبيل ﴿عَجَابًا﴾ مصدر؛ بمعنى:
معوجة؛ أي: مائلة عن الحق ﴿وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ﴾ علمون بأن الدين المرضي
القيم هو دين الإسلام؛ كما في كتابكم ﴿وَمَا اللَّهُ يَفْعَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ من
الكفر والتكذيب، وإنما يؤخركم إلى وقتكم؛ ليجازيكم. ونزل - لما مرَّ بعض
اليهود^(٨) على الأوس والخزرج، وغاظهم تألفهم؛ فذكروهم بما كان بينهم في
الجاهلية من الفتن؛ فتشاجروا وكادوا يقتلون :- [١٠٠] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
إِنْ طُغِيَوا فَرِيضًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كُفْرِينَ﴾.

[٩٢] ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ﴾ أي: ثوابه؛ وهو: الجنة ﴿حَتَّى تُنْفِقُوا﴾
تصدقوا ﴿وَمِمَّا حُبَبْتُمْ﴾ من أموالكم ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَلَا يَرِيهِ
عَلَيْكُمْ﴾ فيجازي عليه^(٩). ونزل - لما قال اليهود: إنك تزعم أنك على ملة
إبراهيم وكان لا يأكل لحوم الإبل وألبانها^(١٠): [٩٣] ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ
حِلالًا حلالًا﴾ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ ﴿يعقوب﴾ على
نفسه. وهو الإبل لما حصل له عرق الشَّاء - بالفتح والقصر؛ فنذر إن شفي
لا يأكلها فحرم عليه ﴿وَمِن قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ﴾ وذلك بعد إبراهيم، ولم

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن أنس بن مالك قال: كان أبو طلحة أكثر أنصاري بالمدينة نخلًا، وكان أحب أمواله إليه بيرحاء، وكانت مستقبلة المسجد. وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب قال: يا رسول الله، إن الله يقول: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا حُبَبْتُمْ﴾ وإن أحب أموالي إلي بيرحاء. وإنها صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله، فضعاها يا رسول الله حيث أراك الله. قال رسول الله ﷺ: «بيح. ذلك مال رايح، ذلك مال رايح. وإني سمعت ما قلت. وإني أرى أن تجعلها في الأفريين» قال أبو طلحة: أعمل يا رسول الله. قسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة آل عمران (٣) باب (٥).

(١) ذكره الواحدي في أسباب النزول ص (٧٥، ٧٦)، والحاظ في العجائب (٧١/٢)، عن الكلبي وأبي ورق، وهو موضوع كما في الاستيعاب (١/٢٧٤، ٢٧٥).

(٢) البخاري (٣٣٦٦)، ومسلم (٥٢٠) من حديث أبي ذر وليس فيه أن الذي بناه الملائكة..

(٣) ذكره الطبري في تفسيره من طريق عبد الله بن عمرو ومجاهد موقوفًا عليهما. وعزاه في الدر المنثور للطبراني والبيهقي في شعبه عن عبد الله بن عمرو [الدر المنثور (٤/٢٦٥)].

(٤) أشار الشارح بذلك أن آياته لا تنحصر في هذين المثلين: ﴿مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾، ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾، وإنما خصهما بالذكر؛ لعظهما، وأنها تقوم بهما الحجة على الكفار؛ إذ هم مدركون لهما بحواسهم.

(٥) ليس على هذا دليل والواقع على خلافه إذ إن الطير يعلوه ويجلس على سقفه كما هو مشاهد.

(٦) بالفتح قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة. (٧) أي: بدل بعض من كل، والعائد محذوف تقديره: منهم.

(٨) الحاكم في المستدرک (١/٤٤٢)، وابن ماجه (٢٨٩٦)، والترمذي (٨١٣) من حديث ابن عمر، والدارقطني من حديث أنس، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٣٣٣٥).

(٩) أخرجه ابن إسحاق في المغازي (١٨٥/٢) عن زيد بن أسلم، ومن طريقه الطبري في تفسيره (١٧/١٦٤)، وضعفه الحاكم في إسناده في الإصابة (١/٨٧)، وهذا اليهودي قبل اسمه: شاس بن =

﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُنَادُونَ عَلَيْنَا آيَاتِ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾
 يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً قَالَتْ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَاصِحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَمِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٧﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدٌ ﴿١٠٨﴾ وَمَا الْحَقُّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠٩﴾

[١٠١] ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾ استفهام تعجب وتوبيخ ﴿وَأَنْتُمْ تُنَادُونَ عَلَيْنَا﴾ أي: تطلبون من الله أن يعذبكم ما يبتليكم الله ويفيكم رسوله ﴿وَمَنْ يَعْتَصِم﴾ يمسك ﴿بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

[١٠٢] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ أي: بطاع فلا بغضي، ويخشرك فلا بكفر، ويذكر فلا ينسى؛ فقالوا: يا رسول الله، ومن يقوى على هذا؟ ﴿فَنَسِخَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى﴾: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ (١). ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ موحدون.

[١٠٣] ﴿وَأَعْتَصِمُوا﴾ تمسكوا ﴿بِحَبْلِ اللَّهِ﴾ أي: دينه ﴿جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ بعد الإسلام ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ﴾ إنعامه ﴿عَلَيْكُمْ﴾ يا معشر الأوس والخزرج ﴿إِذْ كُنْتُمْ﴾ قبل الإسلام ﴿أَعْدَاءً قَالَتْ﴾ جمع ﴿بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ بالإسلام ﴿فَأَصْبَحْتُمْ﴾ فصرتم ﴿بِنِعْمَتِهِ﴾ إخواناً ﴿فِي الدِّينِ وَالْوَلَايَةِ﴾ وكنتم على شفا حفرة ﴿طُوفَ﴾ حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ ﴿لَيْسَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الْوُقُوعِ فِيهَا إِلَّا أَنْ تَمُوتُوا كَفَرًا﴾ ﴿فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا﴾ بالإيمان ﴿كَذَلِكَ﴾ كما بين لكم ما ذكر ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.

[١٠٤] ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾ الإسلام ﴿وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ﴾ الداعون الأمرون الناهون ﴿هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون، و﴿مِنْ﴾ للتبعض (٢)؛ لأن ما ذكر فرض كفاية لا يلزم كل الأمة، ولا يليق بكل أحد؛ كاجاهل.

[١٠٥] ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا﴾ عن دينهم ﴿وَاخْتَلَفُوا﴾ فيه ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ وهم اليهود والنصارى (٤) ﴿وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

[١٠٦] ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ أي: يوم القيامة ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ وهم الكافرون فيلقون في النار ويقال لهم تويخا: ﴿أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ يوم أخذ الميثاق ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾.

[١٠٧] ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ وهم المؤمنون ﴿فَمِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ (٥) أي: جنته ﴿هُمُ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

[١٠٨] ﴿تِلْكَ﴾ أي: هذه الآيات ﴿آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿بِاللَّهِ﴾ ﴿وَمَا الْحَقُّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ﴾ بأن يأخذهم بغير جرم.

= قيس. وجاء نحوه عن مجاهد كما في تفسير الطبري (١٧/٤). وضعفهما في الاستيعاب (٢٧٩/١، ٢٨٠).

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد وعبد الرزاق والفريابي وعبد بن حميد وابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والنحاس في الناسخ والطبراني والحاكم وصححه ابن مردويه عن ابن مسعود. [الدر المنثور (١٠٥/٢)].

(٢) الثغاني: ١٦.

(٣) وقال: صلة؛ كقوله تعالى: ﴿وَأَجْعَلِيكَمُ الْآيَاتِ﴾ [الحج: ٣٠] لم يرد اجتناب بعض الأوثان، بل أراد: فاجتنبوا الأوثان. قال ابن كثير: المقصود من هذه الآية أن تكون فرقة من هذه الأمة متصدية لهذا الشأن، وإن كان ذلك واجبا على كل فرد من الأمة بحسبه، كما ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ يَدِيهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَكَذَلِكَ أضعف الإيمان﴾ [تفسير ابن كثير (٣٦٨/١)].

(٤) حكى هذا عن أبي بن كعب. وقال الحسن: هم المناقون تكلموا بالإيمان بالسننهم وأنكروا بقلوبهم. وعن عكرمة أنهم أهل الكتاب، آمنوا بأنبياهم وبمحمد ﷺ قبل أن يبعث، فلما بعث كفروا به والآن أعلم. وتحذير لهذه الأمة أن يسلكوا سبيل التفرق والاختلاف في الدين كما سلكه من قبلهم من اليهود والنصارى حتى ربما أدى بهم إلى الكفر. والعياذ بالله. بعد إيمانهم، فيقال لهم كما قيل لهؤلاء: ﴿أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾، ويشهد له قوله تعالى: ﴿فِي أَمْرِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْإِعْتِمَادِ بِحَبْلِ اللَّهِ وَبِهِمْ عَنِ التَّفَرُّقِ بَعْدَ أَنْ أَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾.

(٥) فيها إثبات صفة الرحمة لله - سبحانه.

أُخْرِجَتْ ﴿١١٠﴾ أَظْهَرَتْ ﴿لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ أَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ الْكِتَابُ لَكَانَ﴾ الْإِيمَانَ ﴿خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ﴾ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ ﷺ وَأَصْحَابِهِ ﴿وَأَكْرَمَهُمُ الْفَلْسَفِيُّونَ﴾^(١٠٠) الْكَافِرُونَ.

[١١١] ﴿لَنْ يَضُرُّوكُمْ﴾ أَي: الْيَهُودُ يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ بِشَيْءٍ ﴿وَإِلَّا أَذَى﴾ بِاللَّسَانِ مِنْ سَبِّ وَوَعِيدٍ ﴿وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُؤَلِّمُوكُمُ الْأَذْيَارَ﴾ مِنْهُمْ مِنْهُمْ ثُمَّ لَا يُضُرُّوكُمْ ﴿عَلَيْكُمْ﴾ بَلْ لَكُمْ النَّصْرُ عَلَيْهِمْ.

[١١٢] ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا تَفَقَّهُوا﴾ حِينَمَا وَجَدُوا؛ فَلَا عَزْ لِهِمْ وَلَا اعْتِصَامَ ﴿وَإِلَّا﴾ كَاتِبِينَ ﴿يَحْبِلُ مِنَ اللَّهِ وَحَبِلَ مِنَ النَّاسِ﴾^(١٠١) الْمُؤْمِنِينَ؛ وَهُوَ: عَهْدُهُمْ لِإِيْمَانِهِمْ بِالْأَمَانِ عَلَى آدَاءِ الْحَرْبِ؛ أَي: لَا عِصْمَةَ لَهُمْ غَيْرَ ذَلِكَ^(١٠٢) ﴿وَبَاءَهُمْ﴾ رَجَعُوا ﴿بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ﴾ بِأَنَّهُمْ ﴿أَي: بِسَبِّ أَنَّهُمْ﴾ كَانُوا يُكْفَرُونَ بِتَأْيِيدِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكَ ﴿تَأْكِيدًا﴾ بِمَا عَصَوْا ﴿أَمَرَ اللَّهُ﴾ وَكَانُوا يَسْتَدُونَ ﴿يَتَجَاوَزُونَ الْحِلَالَ إِلَى الْحَرَامِ﴾.

[١١٣] ﴿لَيْسُوا﴾ أَي: أَهْلُ الْكِتَابِ ﴿سَوَاءٌ﴾ مُسْتَوِينَ ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾ مُسْتَقِيمَةٌ ثَابِتَةٌ عَلَى الْحَقِّ؛ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ ﷺ وَأَصْحَابِهِ ﴿يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ عَائِلَةً﴾ أَي: فِي سَاعَاتِهِمْ ﴿وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ يَصَلُونَ، حَالًا.

[١١٤] ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ وَتُؤْمِنُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأَوْلِيَّاتِكُمْ ﴿الْمُوصِفُونَ بِمَا ذَكَرَ اللَّهُ﴾ مِنْ الْفَضْلِ وَالصَّالِحِينَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَيْسُوا كَذَلِكَ، وَلَيْسُوا مِنَ الصَّالِحِينَ.

[١١٥] ﴿وَمَا تَفَعَّلُوا﴾ بِالنَّاءِ^(١٠٣)؛ أَي: أَيُّهَا الْأُمَّةُ، وَالْيَاءُ؛ أَي: الْأُمَّةُ الْقَائِمَةُ ﴿مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوا﴾ بِالْوَجْهِينِ^(١٠٤)؛ أَي: تَعْلَمُوا نَوَابِهِ؛ بَلْ تَجَاوَزُوا عَلَيْهِ وَاللَّهُ عَلَيْهِمُ بِالْمُتَّقِينَ^(١٠٥).

وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿١١٠﴾ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ أَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ الْكِتَابُ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْرَمَهُمُ الْفَلْسَفِيُّونَ ﴿١١١﴾ لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذَى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُؤَلِّمُوكُمُ الْأَذْيَارَ شَرًّا لَا يُضُرُّوكُمْ ضَرْبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا تَفَقَّهُوا إِلَّا يَحْبِلُ مِنَ اللَّهِ وَحَبِلَ مِنَ النَّاسِ وَبَاءَهُمْ وَبِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يُكْفَرُونَ بِتَأْيِيدِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾ لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ عَائِلَةً لَيْلٍ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوا وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾

[١٠٩] ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ مُلْكًا وَخَلْقًا وَعَيْدًا ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ﴾ تَصِيرُ ﴿الْأُمُورُ﴾.

[١١٠] ﴿كُنْتُمْ﴾ يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ فِي عِلْمِ اللَّهِ - تَعَالَى - ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ﴾

(١٠) فائدة: أخرج البخاري عن أبي هريرة ﷺ: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ قال: خير الناس للناس، تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا في الإسلام. البخاري - كتاب التفسير

(٦٥) - سورة آل عمران (٣) باب (٧) ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾.

(٥٥) ما جاء في نزول الآيات (١١٣-١١٥): أخرج أحمد عن ابن مسعود قال: أخر رسول الله ﷺ صلاة العشاء ثم خرج إلى المسجد إذا الناس ينتظرون الصلاة.

قال: أما إنه ليس من أهل الأديان أحد يذكر الله هذه الساعة غيركم. قال: وأنزل هؤلاء الآيات: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ حتى بلغ: ﴿وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوا وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ أحمد - المسند (٣٩٦/١). قال أحمد شاكر: إسناده صحيح (٣٧٦٠).

(١) يعني: إلا بعهد من الله، وهو أن يسلموا.

(٢) لكن إن كان اعتصامهم بحبل من الله بأن يسلموا ارتفع عنهم الذل وعصموا نفوسهم وأموالهم، وإن كان من الناس فقد عصموا نفوسهم وعاشوا في ذل.

(٣) بالثناء قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ بقية السبعة بالياء.

(٤) أي: الياء والناء، بالثناء لمن سبق ذكرهم.

[١١٦] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُنْفِكَ﴾ تدفع ﴿عَنْهُمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا أَوْلَادَهُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ أي: من عذابه ﴿سَيِّئًا﴾ وخصهما بالذكر؛ لأن الإنسان يدفع عن نفسه نارة بفداء المال، ونارة بالاستعانة بالأولاد ﴿وَأَوْلَادِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

[١١٧] ﴿مَثَلُ﴾ صفة ﴿مَا يُبْفِقُونَ﴾ أي: الكفار ﴿فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ في عداوة النبي أو صدقة ونحوها^(١) ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾ حر أو برد شديد ﴿أَصَابَتْ حَرْثَ﴾ زرع ﴿قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بالكفر والمعصية ﴿فَأَهْلَكْنَاهُ﴾ فلم ينتفخوا به؛ وكذلك نفقاتهم ذاهبة لا ينتفعون بها ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ﴾ بضياع نفقاتهم ﴿وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بالكفر الموجب لضياعها.

[١١٨] ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً﴾ أصفياء تطلعونهم على سرهم ﴿مِنَ دُونِكُمْ﴾ أي: غيركم من اليهود والنصارى والمنافقين ﴿لَا يَأْتُونَكُمْ حَبَآلًا﴾ نصب بنزع الحافض؛ أي: لا يقصرون لكم في الفساد ﴿وَدُّوا﴾ تموا ﴿مَا عَيْنُهُمْ﴾ أي: عنتكم؛ وهو: شدة الضرر ﴿فَقَدْ بَدَتْ﴾ ظهرت ﴿الْبَغْضَاءُ﴾ العداوة لكم ﴿مِنَ أَقْوَابِهِمْ﴾ بالوقعة فيكم وإطلاع المشركين على سرهم ﴿وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ﴾ من العداوة ﴿أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ﴾ على عداوتهم ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَقُولُونَ﴾ ذلك فلا توالوهم.

[١١٩] ﴿هَا﴾ للتبعية ﴿أَنْتُمْ﴾ يا ﴿أَوْلَادَ﴾ المؤمنين ﴿مُحِبُّوهُمْ﴾ لقرابتهم منكم وصدقتهم ﴿وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾ لخالفتمكم لكم في الدين ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ﴾ أي: بالكتب كلها، ولا يؤمنون بكتابكم ﴿وَإِذَا لَقُّوكم قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُوا عَلَىكُمْ أَلْسِنَهم﴾ أطراف الأصابع ﴿مِنَ اللَّغْطِ﴾ شدة الغضب؛ لما يرون من اختلافكم، ويعبر عن شدة الغضب بفض الأنايل مجازًا، وإن لم يكن ثم غض ﴿فَلَمْ مَوْتُوا بِعَيْظِكُمْ﴾ أي: ابغوا عليه إلى الموت^(٢)؛ فلن تروا ما يسركم ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ بما في القلوب، ومنه ما يضمه هؤلاء.

[١٢٠] ﴿إِنْ تَسْتَكْتُمُ﴾ تصبكم ﴿حَسَنَةً﴾ نعمة؛ كصبر وغنيمة ﴿سَيُؤْتِكُمْ﴾ تخزيهم ﴿وَإِنْ تَصِيحْكُمُ سَيِّئَةً﴾ كهزيمة وجذب ﴿يَقْرَحُوا بِهَا﴾ وجملة الشرط متصلة بالشرط قبل، وما بينهما اعتراض؛ والمعنى: أنهم متناهون في عداوتكم؛ فلم توالوهم؟! فاجتنبوهم ﴿وَإِنْ تَصَيَّرُوا﴾ على أذاهم ﴿وَتَتَّقُوا﴾ الله في موالائهم وغيرها ﴿لَا يَضُرُّكُمْ﴾ بكسر الضاد، وسكون الراء^(٣) وضمها وتشديدها^(٤) ﴿كَيْدَهُمْ سَيِّئًا﴾ إِنَّ اللَّهَ يَمَّا يَمْلِكُ ﴿بِالْيَأْسِ وَالنَّاءِ﴾^(٥) ﴿مُحِيطٌ﴾ عالم^(٦)؛ فيجازيهم به.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُنْفِكَ عَنْهُمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا أَوْلَادَهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١٦﴾
مَثَلُ مَا يُبْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكْنَاهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾ يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّنَ دُونِكُمْ لَا يَأْتُونَكُمْ حَبَآلًا وَدُّوا مَا عَيْنَتْمْ قَدْ بَدَتْ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَقْوَابِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ كَبُرَ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَآئِنْتُمْ أَوْلَادٌ يُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُّوكم قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُوا عَلَىكُمْ أَلْسِنَهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِنْ تَسْتَكْتُمُ حَسَنَةً تَسْأَلُهُمْ وَإِنْ تَصِيحْكُمُ سَيِّئَةً يَقْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصَيَّرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ وَإِذْ عَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدَ الْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾

[١٢١] ﴿وَر﴾ اذكر يا محمد ﴿إِذْ عَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ من المدينة ﴿تُبَوِّئُ﴾ تنزل ﴿الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدَ﴾ مراكز يقفون فيها ﴿لِلْقِتَالِ﴾ وَاللَّهُ سَمِيعٌ ﴿لَأَقُولُكُمْ﴾ عَلِيمٌ ﴿بِأَحْوَالِكُمْ﴾ وهو يوم أحد؛ خرج النبي ﷺ بالرف أو إلا خمسين رجلا، والمشركون ثلاثة آلاف، ونزل بالشعب يوم السبت سابع شوال سنة ثلاث من الهجرة، وجعل ظهره وعسكره إلى أحد، وسوى صفوفهم، وأجلس جيشًا من الرماة، وأمر عليهم عبد الله بن جبير بسفح الجبل، وقال: «انضحوا غنًا بالثبل، لا يأتون من ورائه، ولا تبرزوا غلبنا أو نضرنا»^(٧).

(١) كصلة الرحم ومواساة الفقراء.

(٢) دعاء عليهم بدوام الغيظ وزيادته بتضاعف قوة الإسلام وأهله إلى أن يهلكوا به، أو باشتداده إلى أن يهلكهم.

(٣) من ضار يضير، وهذه القراءة لنافع وابن كثير وأبي عمرو.

(٤) أي: تشديد الراء، مع ضم الضاد من ضر يضرو، وهي قراءة بقية السبعة.

(٥) قراءة العشرة بالياء، والقراءة بالراء شاذة، وقد سها السيوطي عن التبني إلى ذلك كما جرت عادته بأن يقول عن القراءة الشاذة: وقرئ.

(٦) فهو - سبحانه - محيط بهم وبأعمالهم ومكائدهم، حافظ له، لا يعزب عنه شيء منه.

(٧) لم أعره عليه بهذا اللفظ لكن أخرجه البخاري (٢٧٢٧) من حديث البراء بن عازب نحوه.

فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٣﴾ لِيَقْتُوا بِهِ دُونَ غَيْرِهِ. وَنَزَلَ - لَمَا هَزَمُوا تَذَكِيرًا لِيَهْمُ بِنِعْمَةِ اللَّهِ -. [١٢٣] ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ﴾ مَوْضِعٌ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ ﴿وَأَنْتُمْ أَوْلَىٰ﴾ بِقَلْعَةِ الْعُدُوِّ وَالسَّلَاحِ ﴿فَأَنْتَقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نَعْمَهُ.

[١٢٤] ﴿إِذْ﴾ غُرِفَ لَهُ النَّصْرُ ﴿وَقَوْلِ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ تَوَدِّعُهُمْ تَطْمِينًا: ﴿أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُبَدِّدَكُمْ﴾ بِعَيْنِكُمْ ﴿رَبِّكُمْ﴾ بِتَلْفِظِهِ ﴿أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ﴾ مُزِيلِينَ ﴿بِالتَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيدِ﴾ (١).

[١٢٥] ﴿بَلَىٰ﴾ بِكْفَيْكُمْ ذَلِكَ، وَفِي الْأَنْفَالِ ﴿بِأَلْفٍ﴾؛ لِأَنَّهُ أَمْدَهُمْ أَوْلَىٰ بِهَا، ثُمَّ صَارَتْ ثَلَاثَةً، ثُمَّ صَارَتْ خَمْسَةً؛ كَمَا قَالَ - تَعَالَى -: ﴿إِنْ تَصَبَّرُوا﴾ عَلَىٰ لِقَاءِ الْعَدُوِّ ﴿وَتَسْتَعِينُوا﴾ اللَّهُ فِي الْخَالْفَةِ ﴿وَأَتَوْكُم﴾ أَي: الْمَشْرُوكُونَ ﴿مِنْ قُورَيْهِمْ﴾ وَفَتَحَهُمْ ﴿هَذَا يُبَدِّدُكُمْ رَبِّكُمْ بِحَسَّةٍ أَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ بِكَسْرِ الْوَاوِ وَفَتْحِهَا (٢)؛ أَي: مُعَلِّمِينَ، وَقَدْ صَبَرُوا وَأَنْجَرَ اللَّهُ وَعَدَهُ، بِأَنَّ قَاتِلَتِ مَعَهُمُ الْمَلَائِكَةُ عَلَى خَيْلِ بَلْق، عَلَيْهِمْ عِمَامَتُ صَفَرٍ (٣) أَوْ بِيضٍ (٤)، أَرْسَلُوها بَيْنَ أَكْتَافِهِمْ.

[١٢٦] ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ﴾ أَي: الْإِمْدَادُ ﴿إِلَّا بُنْتَرَىٰ لَكُمْ﴾ بِالنَّصْرِ ﴿وَلِيُظْمِنَ﴾ تَسْكُنَ ﴿قُلُوبَكُمْ بِرُءُوسِهِمْ﴾ فَلَا تَجْرَعُ مِنْ كَثْرَةِ الْعَدُوِّ وَقِلَّتِكُمْ ﴿وَمَا أَنْصَرَ إِلَّا مَنْ عِنْدَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ يُوْتِيهِمْ مِنْ شِئَاءِ، وَلَيْسَ بِكَفْرَةِ الْجَنْدِ.

[١٢٧] ﴿لِيَقْطَعُ﴾ مُتَعَلِّقٌ بِ«نَصْرِكُمْ»؛ أَي: لِيَهْلِكَ ﴿طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بِالْقَتْلِ وَالْأَسْرِ ﴿أَوْ يَكْفِيَهُمْ﴾ بِذَلْفِهِمْ بِالْهَزِيمَةِ ﴿فَيَنْقَلِبُوا﴾ يَرْجِعُوا ﴿حَايِبِينَ﴾ لَمْ يَبَالُوا مَا رَامَهُ. وَنَزَلَتْ - لَمَّا كَثُرَتْ رِبَاعِيَّتُهُ ﷺ، وَشَجَّ وَخَجَّهُ يَوْمَ أُحُدٍ، وَقَالَ: «كَيْفَ يَفْلَحُ قَوْمٌ خَضَعُوا وَجْهَ نَبِيِّهِمْ بِالْذَمِّ؟» (٥) -.

[١٢٨] ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ بَلِ الْأَمْرُ لِلَّهِ فَاصْبِرْ ﴿أَوْ﴾ بِمَعْنَى: «إِلَىٰ» أَنْ ﴿يُتَوَبَّ عَنِّيهِمْ﴾ بِالْإِسْلَامِ ﴿أَوْ يُعَذِّبَهُمْ﴾ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴿بِالْكَفْرِ.

[١٢٩] ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ مُلْكًا وَخَلْقًا وَعَيْبَادًا ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ﴾ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً﴾ وَأَنْتَقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿وَأَنْتَقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٠﴾

[١٣٠] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً﴾ بِأَلْفٍ وَدُونِهَا (٦)؛ بِأَنَّ تَرْبِيدًا فِي الْمَالِ عِنْدَ حُلُولِ الْأَجَلِ وَتَوَخُّرِ الْوَأْتِ بِالطَّلَبِ ﴿وَأْتَقُوا اللَّهَ﴾ بِتَرْكِهِ ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ﴾ تَفْوِزُونَ. [١٣١] ﴿وَأْتَقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ أَنْ تَعْبُدُوا بِهَا. [١٣٢] ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكَ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٣﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَأَنْتَقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾ إِذْ قَوْلُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُبَدِّدَكُمْ رَبِّكُمْ بِحَسَّةٍ أَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُزِيلِينَ ﴿١٢٥﴾ بَلَىٰ إِنْ تَصَبَّرُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ أَلَمْ تَكُنْ لَهُمْ آيَةً فَذَلِكُمْ أَزْهَبَ عَنْ قُلُوبِكُمْ غَيْبٌ مِنَ اللَّهِ لِيَعْلَمَ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَعْفُرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٢٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَأَنْتَقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٢٧﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٢٨﴾

[١٢٣] ﴿إِذْ﴾ بَدَلَ مِنْ «إِذْ» قَبْلَهُ ﴿هَمَّتْ﴾ بَنُو سُلَيْمَةَ وَبَنُو حَارِثَةَ جَنَاحِ الْعَسْكَرِ ﴿طَّائِفَتَانِ مِنْكَ﴾ أَنْ تَفْشَلَا؛ تَجَنَّبَا عَنِ الْقِتَالِ وَتَرَجَعَا؛ لَمَّا رَجَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ أَبِي الْمُنَافِقِ وَأَصْحَابُهُ، وَقَالَ: غَلَامٌ نَقَلَتْ أَنْفُسَنَا وَأَوْلَادُنَا؟! وَقَالَ - لِأَبِي جَابِرِ السَّلْمِيِّ الْقَاتِلِ لَهُ: أَسْتَنْدِكُمُ اللَّهَ فِي نَبِيِّكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ -. لَوْ نَعْلَمُ قِتَالَ لَا تَبِعْنَاهُمَا. فَتَبِعْنَاهُمَا اللَّهُ وَلَمْ يَنْصُرْنَا ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّنَا﴾ نَاصِرُهُمَا ﴿وَعَلَىٰ آئِهِ﴾

(٥) مَا جَاءَ فِي نَزْوِ الْآيَةِ (١٢٨): أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ ابْنِ عَمْرِوَةَ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ فِي الرُّكْعَةِ الْآخِرَةِ مِنَ الصَّلَاةِ، يَقُولُ: «اللَّهُمَّ الْعَنِ فُلَانًا وَفُلَانًا وَفُلَانًا»، بَعْدَمَا يَقُولُ: «سَمِعَ اللَّهُ لِمَن حَمِدَهُ، رَبَّنَا وَلِلَّهِ الْحَمْدُ»؛ فَانزَلَ اللَّهُ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿ظَالِمُونَ﴾. الْبُخَارِيُّ كِتَابُ التَّفْسِيرِ (٦٥). سُورَةُ آلِ عَمْرَانَ (٣) بَابُ (٩).
 وَأَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ أَنَسِ بْنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَسْرَتْ رِبَاعِيَّتُهُ يَوْمَ أُحُدٍ، وَشَجَّ فِي رَأْسِهِ، فَجَعَلَ يَسْلُطُ الدَّمَ عَنْهُ، وَيَقُولُ: «كَيْفَ يَفْلَحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ، وَكَسَرُوا رِبَاعِيَّتَهُ، وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ؟» فَانزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾. مُسْلِمٌ - كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ (٦٤) بَابُ غَزْوَةِ أُحُدٍ.
 قَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ (٧٥/٨): «وَطَرِيقُ الْجَمْعِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ حَدِيثِ ابْنِ عَمْرِوَةَ ﷺ دَعَا عَلَى الْمَذْكُورِينَ بَعْدَ ذَلِكَ فِي صَلَاتِهِ؛ فَانزَلَتْ الْآيَةُ فِي الْأَمْرِينِ مَعًا؛ فِيمَا وَقَعَ مِنَ الْأَمْرِ الْمَذْكُورِ، وَفِيمَا نَشَأَ عَنْهُ مِنَ الدَّعَاءِ عَلَيْهِمْ. وَذَلِكَ فِي أُحُدٍ...».

(١) بِالتَّشْدِيدِ، وَمَعَهُ فَتْحُ النُّونِ، قِرَاءَةُ ابْنِ عَامِرٍ.
 (٢) قِرَاءَتَانِ سَبْعِيَّتَانِ، وَهِيَ بِالْكَسْرِ: اسْمُ فَاعِلٍ؛ وَالْمَعْنَى: مُعَلِّمِينَ أَنْفُسَهُمْ آدَابَ الْحَرْبِ، وَبِالْفَتْحِ: اسْمُ مَفْعُولٍ؛ بِمَعْنَى: أَنَّ اللَّهَ عَلَّمَهُمْ آدَابَهُ، وَبِالْفَتْحِ قِرَاءَةُ حِمْرَةَ وَالْكَسَائِي وَنَافِعُ وَابْنُ عَامِرٍ.
 (٣) هَذَا مَا رَوَاهُ أَبُو نَعِيمٍ فِي «فَضَائِلِهِ» عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ: «كَانَتْ عِمَامَةُ جَبْرِيلَ يَوْمَ بَدْرٍ صَفْرَاءَ؛ فَتَرَكْتُ الْمَلَائِكَةَ كَذَلِكَ».
 (٤) هَذَا مَا رَوَاهُ إِسْحَاقُ وَطَبْرَانِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «كَانَتْ سِيَمَاءُ الْمَلَائِكَةِ يَوْمَ بَدْرٍ عَمَائِمُهُمْ بِيضًا، مُعَلِّمِينَ بِالصُّرُوفِ الْبَيْضِ فِي تَوَاجِيهِ الدُّوَابِّ وَأَذْيَانِهَا»، وَجَمَعَ بَيْنَ الرَّوَاتِبِينَ بِأَنَّ جَبْرِيلَ كَانَتْ عِمَامَتُهُ صَفْرَاءَ، وَغَيْرُهُ كَانَتْ عِمَامَتُهُ بِيضًا.
 (٥) أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهَ (٤٠١٧) وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ، وَأَحَدٌ (١٢٣٦٦، ١٢٦٦٣) مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٣٣٤٦) بِالْفَلْظِ «كَيْفَ يَفْلَحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ وَكَسَرُوا رِبَاعِيَّتَهُ...».
 (٦) أَي: «مُضَاعَفَةً» وَهِيَ قِرَاءَةُ ابْنِ كَثِيرٍ وَابْنِ عَامِرٍ، وَمَعْنَاهَا كَمَا ذَكَرَ الْمُبَرِّقِيُّ: كَانَ الطَّلَبُ يَقُولُ: «تَقْضِي أَمْ تَرَبِّي؟ فَرَبْمَا فَعَلَ ذَلِكَ مَرَارًا فَيُزِيدُ الدِّينَ أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً». وَإِنْ شَاءَ إِلَى تَكْرِيرِ التَّضْعِيفِ عَامًّا بَعْدَ عَمَلٍ كَمَا كَانُوا يَضْعِفُونَ، وَهَذَا تَوْجِيحٌ لَا تَقْيِيدٌ أَوْ بِحَسَبِ الْوَاقِعَةِ.

[١٣٣] ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَعْرِفَةِ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ أي: كمرضهما لو وصلت إحداهما بالأخرى، والعرض: السعة ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ الله بعمل الطاعات وترك المعاصي.

[١٣٤] ﴿الَّذِينَ يُبْفِقُونَ﴾ في طاعة الله ﴿فِي السَّرَّاءِ وَالْقَرْءِ﴾ السر والعسر ﴿وَالْكَلْبِطِيِّنَ﴾ الكافين عن إمضائه مع القدرة ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ﴾ من الظالمين؛ أي: التاركين عقوبتهم ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ بهذه الأفعال؛ أي: يبيهم^(١).

[١٣٥] ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَجِيئَةً﴾ ذنباً قبيحاً؛ كالزنا ﴿أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾ بما دونه؛ كالفحشاء ﴿ذَكَرُوا اللَّهَ﴾ أي: وعيده ﴿فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ أَيْ: لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا﴾ يداوموا ﴿عَلَى مَا فَعَلُوا﴾ بل أعلعوا عنه ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ﴾ أن الذي أتوه معصية.

[١٣٦] ﴿أُولَئِكَ جَزَاءُهم مَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّتْ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ حال مقدرة؛ أي: مقدرين الخلود فيها إذا دخلوها ﴿وَيَتِمَّ أَجْرُ الْعَمَلِينَ﴾ بالطاعة هذا الأجر. ونزل في هزيمة أحد:

[١٣٧] ﴿قَدْ خَلَّتْ مَضَتْ﴾ من قَبْلِكُمْ سُنٌّ طرائق في الكفار يأمهلهم ثم أخذهم ﴿فَيَسِيرُوا﴾ أيها المؤمنون ﴿فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ الرسل؛ أي: آخر أمرهم من الهلاك؛ فلا تجرنا لغلبتهم؛ فإنا أمهلهم لوقتهم.

[١٣٨] ﴿هَذَا﴾ القرآن ﴿بَيِّنَاتٌ لِلنَّاسِ﴾ كلهم ﴿وَهُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾ منهم.

[١٣٩] ﴿وَلَا تَهْتُوا﴾ تضعفوا عن قتال الكفار ﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾ على ما أصابكم بأحد ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ﴾ بالغلبة عليهم ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ حقاً، وجوابه دل عليه مجموع ما قبله.

[١٤٠] ﴿إِنْ يَمَسُّكُمْ﴾ يصبكم بأحد ﴿وَجْحٌ﴾ بفتح القاف وضمها^(٢)؛ جهد من جرح ونحوه ﴿فَقَدِمَسَ الْقَوْمَ﴾ الكفار ﴿فَرِحَ﴾ يفرح ﴿بِئْسَ مَا يَفْعَلُونَ﴾ يبدون ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاؤُهَا﴾ نضرتُها ﴿بَيْنَ النَّاسِ﴾ يوماً لفرقة ويوماً لأخرى؛ ليتعظوا ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ﴾ علم ظهور ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أخلصوا في إيمانهم من غيرهم ﴿وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾ يكرمهم بالشهادة ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين؛ أي: يعاقبهم^(٤)، وما ينعم به عليهم استدرج.

﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَعْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ الَّذِينَ يُبْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالْقَرْءِ وَالْكَلْبِطِيِّنَ وَالْمُؤْمِنِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَجِيئَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَهُ وَلَا يَمُوتْ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ أَعْلَمَ مَا فَعَلُوا وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَيْهِمْ فَلَا يَغْفِرُ اللَّهُ لَهُمْ وَلَا يَجْعَلُ لَهُمْ جَزَاءً إِلَّا مَا عَمِلُوا فَوَيْلٌ لِلنَّاصِبِينَ ﴿١٣٦﴾ أُولَئِكَ جَزَاءُهم مَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّتْ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَعَبَّرَ عَن جَزَاءِ الْعَمَلِينَ أَجْرًا لِلْعَمَلِينَ ﴿١٣٧﴾ قَدْ خَلَّتْ مَضَتْ مِّن قَبْلِكُمْ سُنٌّ قَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿١٣٨﴾ هَذَا بَيِّنَاتٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٩﴾ وَلَا تَهْتُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٤٠﴾ إِنْ يَمَسُّكُمْ فَجْحٌ فَقَدِمَسَ الْقَوْمَ فَرِحَ وَمِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاؤُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤١﴾

(١) وثابت الواو قراءة الجمهور عطفًا تفسيريًا على: ﴿وَأَلْبِئُوا اللَّهَ﴾؛ كرسم مصاحف مكة والعراق، و«دونها» في قراءة نافع وابن عامر على الاستئناف؛ كرسم المصحف الشامي والمديني.

(٢) وهذا تأويل - كما سبق مرارًا - ومذهب السلف إثبات هذه الصفات دون أن يقتضي ذلك نقضًا في حق البارئ سبحانه، كما يزعم هؤلاء المولوة وغيرهم من المعتلة، ومن لازم محبته - سبحانه وتعالى - للمحسنين أن يبيهم.

(٣) بالضم لحمزة والكسائي وشعبة. وقرأ بقية السبعة بالفتح.

(٤) وهما تأويل، ومذهب السلف إثبات صفات ربنا على الوجه اللائق به - سبحانه -، ومن لازم عدم محبته للظالمين أن يعاقبهم.

[١٤٣] ﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ﴾ فيه حذف إحدى التاءين في الأصل ﴿أَلَمْ تَرَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ﴾ حيث قلت: ليت لنا يوماً كيوم بدر؛ لننال ما نال شهداؤه ﴿فَقَدْ رَأَيْتُمْوَهُ﴾ أي: سببته؛ الحرب ﴿وَأَنْتُمْ نَظُرُونَ﴾ أي: بصراء تتأملون الحال كيف هي؟ فلم انهزمتم؟! ونزل في هزمتهم لما أشيع أن النبي قُتل، وقال لهم المنافقون: إن كان قُتل فارجعوا إلى دينكم:

[١٤٤] ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإَيْنَ مَاتَ أَوْ قُتِلَ فُتِلَ﴾ كغيره ﴿انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾ رجعتم إلى الكفر، والجملة الأخيرة محل الاستفهام الإنكاري؛ أي: ما كان معبوداً فترجعوا ﴿وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنَ يَصُرُّ اللَّهُ شَيْئاً﴾ وإنما يضر نفسه ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ نعمته بالثبات.

[١٤٥] ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بقضائه ﴿كَتَبْنَا﴾ مصدر؛ أي: كتب الله ذلك ﴿مُوجِلاً﴾ مؤقثاً، لا يتقدم ولا يتأخر؛ فلم انهزمتم والهزيمة لا تدفع الموت، والثبات لا يقطع الحياة؟! ﴿وَمَنْ يُرِدْ﴾ بعمله ﴿تَوَابَ الدُّنْيَا نُوْتِيهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ تَوَابَ الْآخِرَةِ نُوْتِيهِ مِنْهَا﴾ ما قسم له، ولا حظه في الآخرة ﴿وَمَنْ يُرِدْ تَوَابَ الْآخِرَةِ نُوْتِيهِ مِنْهَا﴾ أي: من ثوابها ﴿وَسَيَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾.

[١٤٦] ﴿وَكَانَ﴾ كم ﴿مِنْ نَبِيِّ قُتِلَ﴾^(٤) وفي قراءة: ﴿قَتَلَ﴾، والفاعل ضميره^(٥) ﴿مَعَهُ﴾ خبر مبتدؤه: ﴿رَبِّيُونَ كَثِيراً﴾ جموع كثيرة ﴿فَمَا وَهَنُوا﴾ جنوا ﴿لَمَّا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ من الجراح وقتل أنبيائهم وأصحابهم ﴿وَمَا ضَعُفُوا﴾ عن الجهاد ﴿وَمَا اسْتَكَاثَرُوا﴾ خضعوا لعدوهم؛ كما فعلتم حين قتل: قتل النبي ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّادِرِينَ﴾ على البلاء؛ أي: يشيهم^(٦).

[١٤٧] ﴿وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ﴾ عند قتل نبيهم مع ثباتهم وصبرهم ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا آغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا﴾ تجاوزنا الحد ﴿فِي أَمْرِنَا﴾ إيداناً بأن ما أصابهم لسوء فعلهم وهضمنا لأنفسهم ﴿وَكُنْتُمْ أَقْدَامُنَا﴾ بالقرعة على الجهاد ﴿وَأَنْصَرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.

[١٤٨] ﴿فَقَاتِلْهُمْ﴾ الله ﴿تَوَابَ الدُّنْيَا﴾ النصر والغنيمة ﴿وَحَسَنَ تَوَابَ الْآخِرَةِ﴾ أي: الجنة، وحسنه: التفضل فوق الاستحقاق ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.

وَلِيْمُحْصِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمَحَقِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٣﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْتُمْ أَلَمُوتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿١٤٥﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا الرَّسُولُ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإَيْنَ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنَ يَصُرَّ اللَّهُ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَتْ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كَتَبْنَا مُوَجِلاً وَمَنْ يُرِدْ تَوَابَ الدُّنْيَا نُوْتِيهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ تَوَابَ الْآخِرَةِ نُوْتِيهِ مِنْهَا وَسَيَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَكَانَ مِنْ نَبِيِّ قَتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيراً فَمَا وَهَنُوا لَمَّا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَاثَرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٨﴾ وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا آغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبَّتْ أَقْدَامُنَا وَأَنْصَرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٩﴾ فَكَاتَبَهُمُ اللَّهُ تَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسَنَ تَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٥٠﴾

[١٤١] ﴿وَلِيْمُحْصِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ يطهرهم من الذنوب بما يصيهم ﴿وَيَمَحَقِ﴾ يهلك ﴿الْكُفْرِينَ﴾.

[١٤٢] ﴿أَمْ﴾ بل^(١) ﴿أَمْ﴾ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا﴾ لم ﴿يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ﴾ علم ظهور ﴿وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ في الشدائد!.

(١) ﴿أَمْ﴾ منقطعة؛ فلذا فسرها المفسر بـ«بل» التي للإضراب الانتقالي.

(٢) الهمزة المقدره للاستفهام الإنكاري.

(٣) أخرجه ابن جرير عن الضحاك (٧٤/٤) من طريق جوير عنه به، وجوير ضعيف جداً كما في التقریب (١٣٦/١) وهو مرسل أيضاً، وضعفه جداً في الاستيعاب (٣٠٥/١).

(٤) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو، وقرأ الباقون ﴿قاتل﴾.

(٥) يعود إلى النبي، ويحتمل أن يكون الفاعل «ربون»، وعلى القراءة الأولى: (قُلْ) يكون نائب الفاعل: «ربون»، أو ضميراً مستتراً يعود إلى «نبي».

(٦) هذا تأويل سبق الرد عليه مراراً ويان مذهب السلف من إثبات الصفات على الوجه اللائق به - سبحانه - ومن لازم محبته سبحانه للصابرين أن يشيهم ويكرههم.

[١٤٩] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فيما يأمرونكم به ﴿رُدُّوكُمْ إِلَى الْكُفْرِ﴾ وَعَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿١٥٠﴾ ﴿بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ﴾ ناصركم ﴿وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾ فأطيعوه دونهم.

[١٥١] ﴿سَنَلْقَىٰ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ بسكون العين وضماً^(١)؛ الخوف، وقد عزموا بعد ارتحالهم من أخذ على العود واستئصال المسلمين، فوعبوا ولم يرجعوا^(٢) ﴿يَمَا أَشْرَكُوا﴾ بسبب إشراكهم ﴿بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ﴾ سُلْطَنًا ﴿حِجَّةٌ﴾ على عبادته؛ وهو: الأصنام ﴿وَمَا أَوْلَاهُمْ﴾ النَّارُ وَيَتَسَمَّوْنَ الْفٰطِنِينَ الكافرين هي.

[١٥٢] ﴿وَلَقَدْ مَكَنَّاكُمْ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ إياكم بالنصر ﴿إِذْ تَحْسَبُونَهُمْ﴾ تقتلونهم ﴿بِإِذْنِهِ﴾ بإرادته ﴿حَتَّىٰ إِذَا فِشَلْتُمْ﴾ جبنتم عن القتال ﴿وَتَوَدَّعْتُمْ﴾ اختلفتم ﴿فِي الْأَمْرِ﴾ أي: أمر النبي ﷺ بالمقام في سفح الجبل للرمي؛ فقال بعضهم: نذهب؛ فقد نصّر أصحابنا. وبعضكم: لا نخالف أمر النبي ﷺ ﴿وَوَعَّضْتُمْ﴾ أمره؛ فتركتم المركز؛ لطلب الغنيمة ﴿مَنْ بَعَدَ مَا أَرْسَلَكُمْ﴾ اللَّهُ ﴿مَا جُئْتُمْ﴾ من النصر، وجواب «إذا» ذلّ عليه ما قبله؛ أي: منعكم نصرة ﴿وَبَنَيْتُمْ مِّنْ بُرُودٍ﴾ فترك المركز للغنيمة ﴿وَبَنَيْتُمْ مِّنْ بُرُودٍ﴾ فثبت به حتى قتل؛ كعبد الله بن جبير وأصحابه^(٤) ﴿ثُمَّ سَكَّزْتُمْ﴾ عطف على جواب «إذا» المقدر: رُدُّكُمْ بِالْهَزِيمَةِ عَنْهُمْ أَي: الكفار ﴿لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾ ليمتحنكم؛ فيظهر الخالص من غيره ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ﴾ ما ارتكبتموه ﴿وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بالعمو.

[١٥٣] اذكروا ﴿إِذْ تَضَعُورَتِ﴾ تبعدون في الأرض هارين ﴿وَلَا تَكُلُورَتِ﴾ تُعْرِجُونَ ﴿عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَجْتُمْ﴾ أي: من وراءكم؛ يقول: «إني عباد الله»^(٥) ﴿فَأَتَيْتُمْ﴾ فجازاكم^(٦) ﴿عَمَّا﴾ الهزيمة ﴿يَعْمَرُ﴾ بسبب عَمَمِكُمُ للرسول بالخالفه، وقيل: الباء بمعنى: على؛ أي: مضاعفاً على غم فَوَيْتِ الْغَنِيمَةَ ﴿لِيَكَيْلًا﴾ متعلق بـ«عفا»، أو بـ«أتابكم»؛ فلا زائدة^(٧) ﴿تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾ من الغنيمة ﴿وَلَا مَا أَصَابَكُمْ﴾ من القتل والهزيمة ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ يِمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ سَنَلْقَىٰ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ يَمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَنًا وَمَا أَوْلَاهُمْ النَّارُ وَيَتَسَمَّوْنَ الْفٰطِنِينَ مَثْوَى الظالمين ﴿١٥١﴾ وَلَقَدْ مَكَنَّاكُمْ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحْسَبُونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّىٰ إِذَا فِشَلْتُمْ وَتَوَدَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا أَرْسَلَكُمْ مَا جُئْتُمْ مِّنْ بُرُودٍ لِّبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ إِذْ تَضَعُورَتِ وَلَا تَكُلُورَتِ عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَجْتُمْ فَأَتَيْتُمْ عَمَّا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَيْرٌ يِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾

(١) بالضم لابن عامر والكسائي.

(٢) أخرجه ابن جرير عن السدي (٨١/٤) وضعفه جداً في الاستيعاب (٣٠٧/١).

(٣) سميت سلطاناً؛ لوضوحها والارتها، أو لقوتها ونفوذها.

(٤) أخرجه البخاري (٣٠٣٩).

(٥) أخرجه الطبري عن السدي (٨٠٥٠).

(٦) جعل الإثابة بمعنى: العقاب، وأصلها في الحسنات؛ لأنه وضعها موضع الثواب؛ ومعناه: جعل مكان الثواب الذي كنتم ترجون ﴿عَمَّا يَمُورُ﴾.

(٧) قوله: «فلا زائدة» راجع إلى تعليق «كَيْلًا» بـ«أتابكم» فقط؛ والمعنى: فجازاكم بالغم لأجل أن تحزنوا، أما إذا كانت متعلقة بـ«عَمَّا» فلا تكون زائدة؛ أي: عفا عنكم لأجل أن ينفي حزنكم.

﴿الْحَقُّ ظَنُّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ أي: كظنُّ ﴿الْجَاهِلِيَّةِ﴾ حيث اعتقدوا أن النبي قُتِلَ^(٦) أو لا يُضَرُّ ﴿يَقُولُونَ هَلْ﴾ ما^(٧) ﴿لَنَا مِنَ الْأَمْرِ﴾ أي: النصر الذي وعدناه ﴿مِنْ﴾ زائدة ﴿عَنْ قَلْبِهِ﴾ لهم: ﴿إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ﴾ بالنصب توكيد، أو الرفع مبتدأ خبره: ﴿لِلَّهِ﴾ أي: القضاء له، يفعل ما يشاء ﴿يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ﴾ يظهرهون ﴿لَكَ﴾ يقولون، بيان لما قبله ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قَاتَلْنَا هُنَا﴾ أي: لو كان الاختيار إلينا، لم نخرج؛ فلم نقل، لكن أخرجنا كرهنا ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ وفيكم من كَتَبَ اللهُ عليه القتل ﴿لَبَرَزْتُمْ﴾ خرج ﴿الَّذِينَ كُتِبَ فِيهِمْ﴾ قضي ﴿عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ﴾ منكم ﴿إِنْ مَضَّاجِعُهُمْ﴾ مصارعهم؛ فيقتلوا، ولم ينجم قعودهم؛ لأن قضاء - تعالى - كائن لا محالة ﴿وَرَوْى﴾ فعل ما فعل بأحد ﴿وَلِيَتَّبِعِيَ﴾ يختبر ﴿اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾ قلوبكم من الإخلاص والنفاق ﴿وَلِيُخَبِّرَ﴾ يميز ﴿مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ والله عليمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿بِمَا فِي الْقُلُوبِ﴾ لا يخفى عليه شيء؛ وإنما يتلبي؛ ليظهر للناس.

[١٥٥] ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ﴾ عن القتال ﴿يَوْمَ اتَّخَذَ الْجَمْعَانَ﴾ جمع المسلمين وجمع الكفار بأحد؛ وهم: المسلمون إلا اثني عشر رجلاً ﴿وَإِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمْ﴾ أزلهم ﴿الضَّلِيلُ﴾ بوسوته ﴿بِعِضِّ مَا كَسَبُوا﴾ من الذنوب وهو مخالفة أمر النبي ﴿وَوَلَدَ عَقًا اللَّهُ عَنَّمُ﴾ إنَّ الله عَفُورٌ ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ حليمٌ لا يتعجل على العصاة.

[١٥٦] ﴿يَتَّخِذُ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: المناقذين ﴿وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ﴾ أي: في شأنهم ﴿إِذَا ضَرَبُوا﴾ سافروا ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ فماتوا ﴿أَوْ كَانُوا عُرَى﴾ جمع غار؛ فقتلوا: ﴿لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا﴾ أي: لا تقولوا قتلهم ﴿لِيَجْعَلَ اللهُ ذَلِكَ﴾ القول في عاقبة أمرهم ﴿حَسْرَةً﴾ في قلوبهم والله يحيي ويميت ﴿فلا يمنع عن الموت قعود﴾ والله بما تعملون ﴿بالتاء والياء﴾ بصيرٌ ﴿فيجازيكم به﴾.

[١٥٧] ﴿وَلِيُنزِلَ﴾ لام قسم ﴿فَيُنزِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ أي: الجهاد ﴿أَوْ مُتْرَفًا﴾ بضم الميم وكسر هاء؛ من مات يموت^(١١) وميت^(١٢)؛ أي: أتاكم الموت فيه ﴿لَتَعْرِفَنَّهُ﴾ كائنه ﴿بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ لذنوبكم ﴿وَرَحْمَةً﴾ منه لكم على ذلك، واللام ومدخولها جواب القسم^(١٣)، وهو في موضع الفعل، مبتدأ خبره: ﴿خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ من الدنيا بالتاء والياء^(١٤).

ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُبَأَ سَائِعِيهِمْ طَائِفَةٌ مِّنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قَاتَلْنَا هُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٥٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ اتَّخَذَ الْجَمْعَانَ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِعِضِّ مَا كَسَبُوا وَوَلَدَ عَقًا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا عُرَى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٨﴾ وَلِيُنزِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْفَاتِهِمْ لِمَعْرِفَةٍ مِنَ اللهِ وَرَحْمَةٍ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٩﴾

[١٥٤] ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً﴾ أمناً^(١) ﴿نُبَأَ سَائِعًا﴾ بدل^(٢) ﴿يَتَّبِعِينَ﴾ بالياء والتاء^(٣) ﴿طَائِفَةٌ مِّنْكُمْ﴾ وهم المؤمنون؛ فكانوا يبدون^(٤) تحت الحجب^(٥) وتسقط السيوف منهم ﴿وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾ أي: حملتهم على الهيم؛ فلا رغبة لهم إلا بنجاتها دون النبي وأصحابه؛ فلم يناموا؛ وهم: المناقرون ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ﴾ ظناً ﴿غَيْرَ الظَّنِّ﴾

(١) أشار بذلك إلى أن الأمانة والأمن بمعنى واحد، وهو الطمأنينة سواء زال الخوف أم لا؟ وقيل: إن الأمن هو الطمأنينة مع زوال سبب الخوف، والأمانة هي الطمأنينة مع وجود أسبابه.

(٢) أي: بدل كل من كل وهو ظاهر؛ لأن الأمانة هي التعاس بينهما، وقيل: بدل اشتغال؛ لأن الأمانة لها اشتغال بالعباس وهو له اشتغال بها؛ لأنه لا يحصل التعاس إلا للأمن.

(٣) بالتاء قراءة حمزة والكسائي، وعلى الياء الضمير عائد على التعاس، وعلى التاء الضمير عائد على الأمانة.

(٤) أي: يميلون.

(٥) جمع حجبفة: اسم للترس والدرقة.

(٦) أي: ولن يظهر دبه ولا ينم ما دعا إليه.

(٧) أشار به إلى أنه استفهام إنكاري معناه النبي.

(٨) وجملة ﴿كَلِمَةً لِلَّهِ﴾ خبر ﴿إِنَّ﴾، والرفع قراءة أبي عمرو.

(٩) بالياء قراءة حمزة والكسائي وابن كثير.

(١٠) بالكسر قراءة حمزة والكسائي ونافع.

(١١) قوله: (من مات يموت)، راجع إلى قراءة الضم، من باب: قال يقول، وأصله: يموت؛ يسكون الميم وضم الواو، نقلت حركة الواو إلى الساكن قبلها.

(١٢) قوله: (وميت)، راجع إلى قراءة الكسر؛ وهي من باب: خاف يخاف، وأصله: من مات يموت؛ يسكون الميم وفتح الواو، نقلت فتحة الواو إلى الساكن قبلها، ثم تحركت الواو وانفتح ما قبلها فقلت ألفاً.

(١٣) وجواب الشرط محذوف دل عليه جواب القسم؛ لقول ابن مالك: واحذف لدى اجتماع شرط وقسم. جواب ما أخرت فهو ملتزم

(١٤) بالتاء قراءة السبعة عدا حفص.

[١٥٨] ﴿وَلَيْنَ لَمِ قَسَمٌ مِّمَّنْ بِالْوَجْهِينَ^(١)﴾ أَوْ قِيلَتْمْ فِي الْجِهَادِ وَغَيْرِهِ ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ لَا إِلَىٰ غَيْرِهِ ﴿تُحْشَرُونَ﴾ فِي الْآخِرَةِ؛ فَيَجَازِيكُمْ.

[١٥٩] ﴿يَسَا رَحْمَةً مِنَ اللَّهِ لَيْتَ﴾ يَا مُحَمَّدٌ ﴿لَهُمْ﴾ أَي: سَهَلَتْ أَحْلَاكَ إِذْ خَالَفَكَ ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَطًّا﴾ سَيِّئَ الْخَلْقِ ﴿غَلِيظَ الْقَلْبِ﴾ جَانِبًا فَأَغْلَطْتَ لَهُمْ ﴿لَا تَقْضُوا﴾ تَفْرُقُوا ﴿مِنَ حَوْلِكَ﴾ تَجَاوِزَ ﴿عَنَّهُمْ﴾ مَا أَنُوهُ ﴿وَاسْتَعْفِرْ لَهُمْ﴾ ذُنُوبَهُمْ حَتَّىٰ أَغْفِرَ لَهُمْ ﴿وَسَآوِرْهُمْ﴾ اسْتَخْرَجَ أَرَاهِمَ ﴿فِي الْأَمْرِ﴾ أَي: شَأْنِكُمْ مِنَ الْحَرْبِ وَغَيْرِهِ؛ تَطْيِيبًا لِقُلُوبِهِمْ، وَلِيَسْتَنْتَ بِكَ، وَكَانَ ﷺ كَثِيرَ الْمَشَاوِرَةِ لَهُمْ ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ﴾ عَلَىٰ إِمْرَاءٍ مَا تَرِيدُ بَعْدَ الْمَشَاوِرَةِ ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ ثَبِّتْ بِهِ لَا بِالْمَشَاوِرَةِ ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ عَلَيْهِ.

[١٦٠] ﴿إِنَّ يَمْزُرَكُمُ اللَّهُ﴾ يُعْتَمِدُكُمْ عَلَىٰ عَدُوِّكُمْ؛ كَيَوْمِ بَدْرٍ ﴿فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾ وَإِنَّ يَحْذُلْكُمْ بِرُكْنِكُمْ؛ كَيَوْمِ أُخَيْدٍ ﴿فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ﴾ أَي: بَعْدَ خِذْلَانِهِ؛ أَي: لَا نَاصِرَ لَكُمْ ﴿وَعَلَى اللَّهِ﴾ لَا غَيْرُهُ ﴿فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾. وَتَرَكْتُ - لِمَا فَدَدْتُ قَطِيفَةَ حِمْرَاءَ يَوْمِ أُخَيْدٍ؛ فَقَالَ بَعْضُ النَّاسِ: لَعَلَّ النَّبِيَّ أَخَذَهَا -: [١٦١] ﴿وَمَا كَانَ﴾^(١) مَا يَنْبَغِي ﴿لِيُنْبِئَ أَنْ يَغْلِبَ﴾ يَخُونُ فِي الْغَنِيمَةِ؛ فَلَا تَطْنُوا بِهِ ذَلِكَ، وَفِي قِرَاءَةِ الْبِنَاءِ لِلْمَسْعُولِ^(٢)؛ أَي: أَنْ يُنْسَبَ إِلَى الْغُلُولِ ﴿وَمَنْ يَغْلِبْ يَأْتِ بِمَا عَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ حَامِلًا لَهُ عَلَىٰ عَنَقِهِ ﴿ثُمَّ تَوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ﴾ الْعَالَ وَغَيْرُهُ جِزَاءً ﴿مَا كَسَبَتْ﴾ عَمِلَتْ ﴿وَهُمْ لَا يظْلُمُونَ﴾ شَيْئًا^(٣).

[١٦٢] ﴿أَقْمِنِ أَسْبَغَ رِضْوَانِ اللَّهِ﴾ فَأَطَاعَ وَلَمْ يَغْلِبْ ﴿كَمَنْ بَاءَهُ﴾ رَجَعَ ﴿بِسَخَطِ مِنَ اللَّهِ﴾ لِمَعْصِيَتِهِ وَغُلُولِهِ ﴿وَمَا وَنُهُ جَهَنَّمَ وَيَسَّ الْمَصِيرَ﴾ الْمَرْجِعُ هِيَ؟ لَا^(٤). [١٦٣] ﴿هُمْ دَرَجَاتٌ﴾ أَي: أَصْحَابُ دَرَجَاتٍ ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ أَي: مُخْتَلِفُو الْمَنَازِلِ؛ فَيَلْتَمِسُ أَتْبَعُ رِضْوَانَهُ الثَّوَابَ، وَلِيُنْجِ بِأَهْلِ سَخَطِهِ الْعِقَابَ ﴿وَاللَّهُ بِصِيرَتِهِمَا يَعْمَلُونَ﴾ فَيَجَازِيهِمْ بِهِ. [١٦٤] ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ أَي: عَرَبِيًّا مِثْلَهُمْ؛ لِيَفْهَمُوا عَنْهُ وَيَشْرَفُوا بِهِ، لَا مَلِكًا وَلَا عَجَمِيًّا ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾ الْقُرْآنَ ﴿وَيُرْسِلُ فِيهِمْ﴾ يَطْهَرُهُمْ مِنَ الذُّنُوبِ ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾ الْقُرْآنَ ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ السَّنَةَ ﴿وَإِنْ﴾ مَخْفِضَةً؛ أَي: لِيُنْجِ مِنْ قَبْلِ؛ أَي: قَبْلَ بَعَثِهِ ﴿لِيَفِيَّ صَلَاتِ مُيْمِنٍ﴾ يَبِينُ.

[١٦٥] ﴿أَوْ لَمَّا أَصَابَكُمْ مُصِيبَةٌ﴾ بِأُخَيْدٍ بِقَتْلِ سَبْعِينَ مِنْكُمْ ﴿قَدْ أَصَابَكُمْ مِثْلَهَا﴾ بِيَدْرِ بِقَتْلِ سَبْعِينَ وَأَسْرَ سَبْعِينَ مِنْهُمْ ﴿فَلْتَنَزَّ﴾ مَتَعَجِبِينَ: ﴿أَنْتَى﴾ مِنْ أَيْنَ لَنَا ﴿هَذَا﴾ الْخِذْلَانُ وَنَحْنُ مُسْلِمُونَ وَرَسُولُ اللَّهِ فِيْنَا؟! وَالْجُمْلَةُ الْآخِرَةُ^(٥) مَحَلُّ اسْتِفْهَامِ الْإِنْكَارِيِّ^(١) ﴿قُلْ﴾ لَهُمْ: ﴿هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنفُسِكُمْ﴾ لِأَنَّكُمْ تَرَكْتُمْ الْمَرْكَزَ؛ فَخِذَلْتُمْ ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَيَّ كُلِّ مُنَىٰ وَقَدِيرٌ﴾ وَمِنَهُ النَّصْرُ وَمَعْنَاهُ، وَقَدْ جَازَاكُمْ بِخِلَافِكُمْ.

(٥) مَا جَاءَ فِي نَزْلِ الْآيَةِ (١٦١): أَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. قَالَ: نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿وَمَا كَانَ لِيُنْبِئَ أَنْ يَغْلِبَ﴾ فِي قَطِيفَةِ حِمْرَاءَ يَوْمِ بَدْرٍ، فَقَالَ بَعْضُ النَّاسِ: لَعَلَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَخَذَهَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ لِيُنْبِئَ أَنْ يَغْلِبَ﴾ إِلَىٰ آخِرِ الْآيَةِ. أَبُو دَاوُدَ - كِتَابُ الْحُرُوفِ وَالْقِرَاءَاتِ (٢٤) رَقْمٌ (٣٩٧١). وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ (٣٣٦٠).

(١) أَي: ضَمَّ الْمِيمَ وَكَسَّرَهَا، وَالْكَسْرُ قِرَاءَةُ حِمْرَةَ وَالْكَسَائِيُّ وَنَافِعٌ.

(٢) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (٣٩٧١)، وَالتِّرْمِذِيُّ (٣٠٠٩)، وَانظُرْ مَا جَاءَ فِي نَزْلِ الْآيَةِ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ (٣٣٦٠).

(٣) لِحِمْرَةَ وَالْكَسَائِيُّ وَنَافِعٌ وَابْنُ عَامِرٍ.

(٤) قَوْلُهُ: (لَا)، جَوَابُ اسْتِفْهَامٍ.

(٥) وَهِيَ قَوْلُهُ: ﴿فَلْتَنَزَّ﴾.

(٦) أَي: فَهُوَ بِمَعْنَى النَّفْيِ؛ وَالْمَعْنَى: لَا تَقُولُوا ذَلِكَ حِينَ أَصَابَكُمْ مُصِيبَةٌ؛ لِأَنَّ مِنْ عِنْدِ أَنفُسِكُمْ؛ فَسَبِيهِ ظَاهِرٌ لَا يَتَعَجَّبُ مِنْهُ.

وَلَيْنَ مَثَرٌ أَوْ قِيلَتْمْ لِأَنَّ اللَّهَ تُحْشَرُونَ ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ لَيْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَطًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَا تَقْضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَسَآوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ إِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ﴾ فَلَا عَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَحْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿وَمَا كَانَ لِيُنْبِئَ أَنْ يَغْلِبَ﴾ وَمَنْ يَغْلِبْ يَأْتِ بِمَا عَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تَوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿أَقْمِنِ أَسْبَغَ رِضْوَانِ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَهُ بِسَخَطِ مِنَ اللَّهِ وَمَا وَنُهُ جَهَنَّمَ وَيَسَّ الْمَصِيرَ﴾ هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِصِيرَتِهِمَا يَعْمَلُونَ ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُرْسِلُ فِيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ لِيَفِيَّ صَلَاتِ مُيْمِنٍ ﴿أُولَئِكَ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْ مَنْ هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَيَّ كُلِّ مُنَىٰ وَقَدِيرٌ﴾

للمؤمنين، وكانوا قبل أقرب إلى الإيمان من حيث الظاهر ﴿يَقُولُونَ﴾
 يَأْفُوهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴿١٦٦﴾ ولو علموا قتالاً لم يتبعوكم ﴿وَأَلَّهَ أَعْلَمُ﴾
 بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ من النفاق.

[١٦٨] ﴿الَّذِينَ﴾ بدل من «الذين» قبله، ﴿أُرِيتَ﴾ أو نعت ﴿قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ﴾
 في الدين ﴿وَقَدْ قَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ عن الجهاد: ﴿لَوْ أَطَاعُوا نَأَى﴾: شهداء أُخِذَ
 أو إخواننا في القعود ﴿مَا قُتِلُوا قُلٌّ﴾ لهم: ﴿قَادَرَهُ وَأُكِّدُوا﴾ ادفَعُوا ﴿عَنْ﴾
 أَنْفُسِكُمْ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿فِي أَنْ الْقَعْدَ يَنْجِي مِنْهُ﴾.

[١٦٩] ﴿وَنَزَلَ فِي الشَّهَادَةِ﴾: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا﴾ بالتخفيف
 والشهيد (٤) ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: لأجل دينه ﴿أَمْوَاتًا بَلْ هُمْ أَحْيَاءُ﴾
 عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴿أُرَوِّجُهُمْ فِي حَوَاصِلِ طُيُورٍ خَضِرَ تَسْرَحُ فِي الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ﴾؛
 كما ورد في الحديث (٥) ﴿يَرْزُقُونَ﴾ يأكلون من ثمار الجنة (٦).

[١٧٠] ﴿وَرِحِينَ﴾ حال من ضمير «يرزقون» ﴿يَسَاءَ عَاتَيْتَهُمُ اللَّهُ مِنْ﴾
 فَضْلِهِ ﴿وَمِنْ﴾ هم ﴿بَسْتَشِيرُونَ﴾ يفرحون ﴿بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ﴾
 من إخوانهم المؤمنين، ويبدل من «الذين» ﴿أَخِيَّ﴾: أي: بَأَنَّ ﴿لَا خَوْفَ﴾
 عَلَيْهِمْ ﴿أَيُّ﴾ الذين لم يلحقوا بهم ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الآخرة؛ المعنى:
 يفرحون بأمنهم وفرحهم.

[١٧١] ﴿بَسْتَشِيرُونَ بِنِعْمَةٍ﴾ ثواب ﴿مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ﴾ زيادة عليه
 ﴿وَأَنَّ﴾ بالفتح عطفًا على «نعمة» وبالكسر استئنافًا (١) ﴿اللَّهُ لَا يُضِيعُ أَجْرَ﴾
 الْمُؤْمِنِينَ ﴿بَلْ يَأْجُرُهُمْ﴾.

[١٧٢] ﴿الَّذِينَ﴾ مبتدأ ﴿اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولَ﴾ دعاءً بالخروج
 للقتال؛ لما أراد أبو سفيان وأصحابه العودة (٢)، تواعدوا مع النبي ﷺ سوق بدر
 العام المقبل من يوم أُخِذَ ﴿مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾ بأخذ (٨)، وخبر
 المبتدأ: ﴿بِالَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ﴾ بطاعته ﴿وَأَتَوْا﴾ مخالفتَهُ ﴿أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾
 هو الجنة.

[١٧٣] ﴿الَّذِينَ﴾ بدل من «الذين» قبله، أو نعت ﴿قَالَ لَهُمُ النَّاسُ﴾
 أي: نعيم بن مسعود الأشجعي: ﴿إِنَّ النَّاسَ﴾ أبا سفيان وأصحابه ﴿قَدْ﴾
 جَبَعُوا لَكُمْ﴾ الجموع؛ ليستأصلوكم ﴿فَأَخَذْتَهُمْ﴾ ولا تأتوهم ﴿فَزَادَهُمْ﴾
 ذلك القول ﴿إِيصًا﴾ تصديقًا بالله ويقينًا ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ﴾ كافيًا
 أَمْرُهُمْ ﴿وَيَعْتَمِدُ الْوَكِيلُ﴾ المفوض إليه الأمر هو، وخرجوا مع النبي ﷺ؛
 فوافوا سوق بدر، وألقى الله الرعب في قلب أبي سفيان وأصحابه؛ فلم يأتوا،
 وكان معهم تجارات فباعوا وربحوا (٩). قال الله - تعالى: .:

وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَيَا ذُنَّ اللَّهُ وَيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ
 وَيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا فَيَقْتُلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
 أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعَمْنَا قَاتَلْنَا لَاتَّبَعْتُمْ هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمَئِذٍ
 أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ
 وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٨﴾ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا
 لَوْ أَطَاعُوا نَأَى قَاتَلُوا قَادَرَهُ وَأَعْنِ أَنْفُسِكُمْ الْمَوْتَ إِنْ
 كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٦٩﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
 أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزُقُونَ ﴿١٧٠﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمْ
 اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ
 مِنْ خَلْفِهِمْ أَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧١﴾ يَسْتَبْشِرُونَ
 بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ
 الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧٢﴾ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ
 الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٣﴾
 الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ
 فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٤﴾

[١٦٦] ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ بأخذ ﴿فَيَا ذُنَّ اللَّهُ﴾ بإرادته
 ﴿وَيَعْلَمَ﴾ علم ظهور (١) ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾ حَقًّا.

[١٦٧] ﴿وَيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا﴾ والذين ﴿قِيلَ لَهُمْ﴾ لما انصرفوا عن
 القتال؛ وهم: عبدالله بن أُتَيْ وَأَصْحَابُهُ: ﴿تَمَازُوا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾
 أعداءه ﴿أَوْ ادْفَعُوا﴾ عنا القوم بتكثير سوادكم إن لم تقاتلوا ﴿قَالُوا لَوْ﴾
 نَعَلْنَا نُحْبِسِينَ (٢) ﴿وَقَاتَلْنَا لَاتَّبَعْتُمْ﴾ قال - تعالى - تكذبنا لهم:
 ﴿هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ بما أظهروا من خذلانهم

(٥) ما جاء في نزول الآية (١٦٩): أخرج أبو داود عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في جوف طير خضرت ترد أنهار الجنة، تأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا: من يبلغ إخواننا عنا أنا أحياء في الجنة نرزق، لتلا يهدوا في الجهاد ولا يتكلموا عند الحرب؟ فقال الله سبحانه: أنا أبلغهم عنكم. قال: فأنزل الله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ إلى آخر الآية. أبو داود كتاب الجهاد (٩) باب (٢٧) في فضل الشهادة. وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢١٩٩).

(١) أي: بالنسبة للخلق.

(٢) وفي الآية قول آخر لعله الأقرب، وهو أن المعنى: لو تعلم أنه سيكون قتال لقاتلنا معكم. وفي الإتيان (١٢٧/٢) قال الشيخ السيوطي تَكَلَّفُهُ في كلامه على الحذف: «نحو ﴿لَوْ نَعَلْنَا قَاتَلْنَا لَاتَّبَعْتُمْ﴾ أي: مكان قتال، والمراد مكانًا صالحًا للقتال، وإنما كان كذلك لأنهم كانوا أخير الناس بالقتال، ويتفخيرون بأن يتفوهوا بأنهم لا يعرفونه، فالعادة تنه عن أن يريدوا، لو تعلم حقيقة القتال، لذلك قدره مجاهد: مكان قتال». (٣) وهو قوله: ﴿الَّذِينَ نَافَقُوا﴾. (٤) بالتشديد قراءة ابن عامر. (٥) رواه مسلم من حديث ابن مسعود (١٨٨٧)، وسبق ذكره وتخريجه عند الآية (١٥٤) من سورة البقرة. (٦) بالكسر قراءة الكسائي. (٧) أخرج نحو السائي في التفسير (٣٤٣/١، ٣٤٤)، والطبراني في الكبير عن ابن عباس (١١/١١٣٢)، وقال البيهقي في مجمع الزوائد (١٢١/٦): «ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن منصور الجوزي، وهو ثقة»، وضححه السيوطي في الدر المنثور (٣٨٥/١). وقال الحافظ في الفتح (٢٢٨/٨ - ٢٢٩): «المخفوط لإرساله عن عكرمة ليس فيه ابن عباس... وضعفه في الاستيعاب (٣٣٤/١)». (٨) فيه أن الذين استجابوا لله والرسول ﷺ هم الذين حضروا الأحداث، ونزلت في أهل أحد حين دعاهم للقتال ثانية، وقال: «لا يخرج معنا إلا من شهد القتال»، واستجاب له المسلمون على ما بهم من الجرح الشديد والخوف المرید، وسار ﷺ والمسلمون معه حتى بلغوا وجرأ الأسد على بعد ثمانية أميال من المدينة، فالآية ليست في غزوة بدر الموعد كما ذهب المصنف. وقول المفسر: لما أراد أبو سفيان وأصحابه... إلخ غير صحيح؛ إذ إن خروجه ﷺ والصحابه لم يكن نتيجة إرادة أبي سفيان وأصحابه العود كما ذكر.

(٩) ذكره الواقدي في معانيه (٣٨٤/١)، وأكثر أهل السير أن هذه الحادثة كانت بعد أحد في حمرأ الأسد، ويؤيده ما أخرجه في الصحيحين عن عائشة ﷺ: «قلت قلت لعروة: يا ابن أخي كان أبوك، منهم الزبير وأبو بكر، لما أصاب رسول الله ﷺ ما أصاب يوم أحد وانصرف عنه المشركون: خاف أن يرجعوا، قال: «من ذهب في إثرهم... الحديث» البخاري (٤٠٧٧)، ومسلم (١٨٨١).

[١٧٤] ﴿فَأَنْقَلِبُوا﴾ رجعوا من بدر ﴿بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ وفضل ﴿بِسْمَةِ رَبِّكَ وَنَبِّئِهِمْ سُوْرَةً﴾ من قتل أو جرح ﴿وَأَتَّبِعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ﴾ بطاعته و طاعة رسوله في الخروج ﴿وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ على أهل طاعته.

[١٧٥] ﴿إِنَّمَا ذَلِكَ لَكُمْ﴾ أي: القائل لكم: إن الناس... إلخ ﴿الشَّيْطَانُ يَجْوِفُ﴾ كُم ﴿أَوْلِيَاءُ﴾ الكفار ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا﴾ في ترك أمري ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ حقًا.

[١٧٦] ﴿وَلَا يُخِزِّنَا﴾ بضم الباء وكسر الزاي^(١)، ويفتحها وضم الزاي؛ من «خزنته» لغة في «أخزته»^(٢) ﴿الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ يعقون فيه سريعًا بنصرته؛ وهم: أهل مكة أو المنافقون؛ أي: لا تهتم لكفرهم ﴿إِنَّهُمْ لَنْ يَصْرُوا اللَّهَ شَيْئًا﴾ بفعلهم؛ وإنما يضرون أنفسهم ﴿رُبِّدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطًّا﴾ نصيبًا ﴿فِي الْآخِرَةِ﴾ أي: الجنة؛ فلذلك خذلهم الله ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ في النار.

[١٧٧] ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ الكفر بالإيمان ﴿أَيُّ أَخْذِهِ بَدَلَهُ﴾ لن يصرُوا الله بكفرهم ﴿شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم.

[١٧٨] ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ﴾ بالياء والتاء^(٣) ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُكَلِّمُهُمْ﴾ أي: إملأنا ﴿لَهُمْ﴾ بتطويل الأعمار وتأخيرهم ﴿حَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ﴾ وأنهم ومعمولها سدت مسد المفعولين في قراءة التحتانية، ومسد الثاني في الأخرى ﴿إِنَّمَا نُكَلِّمُهُمْ نَهْمٌ﴾ نهم ﴿لَهُمْ لِيَزَادُوا إِسْمًا﴾ بكرة المعاصي ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ ذو إهانة في الآخرة.

[١٧٩] ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ﴾ ليرك ﴿الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ﴾ أيها الناس ﴿عَلَيْهِ﴾ من اختلاط المخلص بغيره ﴿حَتَّىٰ يَمِيزَ﴾ بالتخفيف والتشديد؛ يفصل ﴿الْحَيِّتَ﴾ المنافق ﴿مِنَ الطَّيِّبِ﴾ المؤمن بالتكاليف الشاقة المبيدة لذلك؛ ففعل ذلك يوم أُحُدٍ ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾ فتعرفوا المنافق من غيره قبل التمييز ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي﴾ يختار ﴿مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ﴾ فيطلعه على غيبه؛ كما أطلع النبي ﷺ على حال المنافقين ﴿فَتَأْمُرُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ وإن تؤمنوا ﴿وَتَتَّقُوا﴾ النفاق ﴿فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

[١٨٠] ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ﴾ بالياء والتاء^(٤) ﴿الَّذِينَ يَبْتَخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ أي: بركاته ﴿هُوَ﴾ أي: بخلهم ﴿حَيْرًا لَهُمْ﴾ مفعول ثان، والضمير للفصل، والأول^(٥) «بخلهم» مقدارًا قبل الموصول على الفوقانية^(٦)، وقبل الضمير على التحتانية^(٧) ﴿بَلْ هُوَ مَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ﴾ أي: بركاته من المال ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ بأن يجعل حية في عنقه تنهشه؛ كما ورد في الحديث^(٨) ﴿وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يرثهما بعد فناء أهلها ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ بالباء والياء^(٩) ﴿حَيِّرٌ﴾ فيجازيكم به.

(١) وهي قراءة نافع.

(٢) قوله: «من «خزنته»... إلخ» راجع إلى القراءة الثانية بفتح الباء وضم الزاي.

(٣) قراءتان سبجتان، وبإتاء قراءة حمزة. وعلى قراءة التاء وهي قراءة حمزة: الخطاب للنبي ﷺ، وقوله: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مفعول أول لـ (تحسين)، وقوله: ﴿أَنَّمَا نُكَلِّمُهُمْ﴾ في محل المفعول الثاني. وعلى قراءة الباء - وهي قراءة الباقين - : يكون قوله: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فاعل (تحسين) وقوله: ﴿أَنَّمَا نُكَلِّمُهُمْ حَيْرٌ...﴾ سد مسدًا مفعوليًا كما ذكر المفسر.

(٤) التاء: قراءة حمزة، والياء: قرأ الباقون.

(٥) أي المفعول الأول.

(٦) أي فقديره: (ولا تحسن بخل الذين يبخلون... إلخ) خيرًا لهم؛ فقول المفسر: «بخلهم» فيه تسميح؛ لأن المقدر قبل الموصول يكون مضافًا له لا للضمير، وإنما المضاف إلى الضمير هو ما قدر قبله.

(٧) أي فقديره: (ولا يحسن الذين يبخلون... إلخ) بخلهم خيرًا لهم.

(٨) وهو قوله ﷺ: «يمثل مال مانع الزكاة شجاع أقرع له زبيتان، يأخذ بهرمتيه ويقول: أنا كبرك، أنا مالك، ثم تلا: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْتَخُلُونَ...﴾ الآية. البخاري (٤٥٦٥)، ومسلم (٩٨٨).

(٩) بالياء قراءة ابن كثير، وأبي عمرو، وبإتاء قرأ الباقون.

فَأَنْقَلِبُوا بِنِعْمَةِ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّسْهُمُ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَلِكَ لَكُمْ الشَّيْطَانُ يَجْوِفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَا يَخِزِّنَا الَّذِينَ يَسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَصْرُوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ أَشْرَكُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَصْرُوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُكَلِّمُهُمْ أَنفُسُهُمْ إِنَّمَا نُكَلِّمُهُمْ نَهْمٌ لِيَزَادُوا إِسْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الطَّيِّبَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ فَتَأْمُرُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْتَخُلُونَ بِمَا آتَاهُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾

نكس ﴿وَقَتْلَهُمْ﴾ بالنصب والرفع^(١) ﴿الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ﴾ بالنون والياء^(٢)؛ أي: الله لهم في الآخرة على لسان الملائكة: ﴿ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ النار. ويقال لهم إذا ألقوا فيها: [١٨٢] ﴿ذَلِكَ الْعَذَابُ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ﴾ عبر بها عن الإنسان؛ لأن أكثر الأفعال تزاوُل بها ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّبَشَرٍ﴾ أي: بذي ظلم^(٣) ﴿لَلْعَبِيدِ﴾ فيعذبهم بغير ذنب. [١٨٣] ﴿الَّذِينَ﴾ نعت للذين قبله ﴿قَالُوا﴾ محمد: ﴿إِنَّ اللَّهَ قَدْ عَاهَدَ إِلَيْنَا﴾ في التوراة ﴿أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ﴾ نصدهه ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانَ تَأْكُلُهُ النَّارُ﴾ فلا نُؤْمِنُ لك حتى تأتينا به؛ وهو ما يُقَرَّبُ به إلى الله من نعم وغيرها، فإن قيل جاءت نار بيضاء من السماء فأحرقته، والابقي مكانه، وعُهد إلى بني إسرائيل ذلك إلا في المسيح ومحمد، قال - تعالى -: ﴿فَلَمَّا﴾ لهم توبيخاً: ﴿قَدَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّن قَبْلِ يَأْتِيَنَّتِ﴾ بالمعجزات ﴿وَالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ رُسُلًا مِّن قَبْلِكُمْ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمْتَعٌ مُّؤْتٍ﴾ ﴿لَتَسْلُوتَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِّن عَزْمِ الْأُمُورِ﴾

الواضح؛ هو: التوراة والإنجيل؛ فاصبر كما صبروا. [١٨٥] ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أَجُورَكُمْ﴾ جزاء أعمالكم ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحِرَ﴾ بعد ﴿عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ نال غاية مطلوبه^(٤) ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ أي: العيش فيها ﴿إِلَّا مَتَاعٌ مُّؤْتٍ﴾ الباطل؛ يتمتع بها قليلاً ثم ينفى.

[١٨٦] ﴿لَتَسْلُوتَ﴾ حذف منه نون الرفع؛ لتوالي النونات، والواو ضمير الجمع؛ لانتفاء الساكنين؛ لِتُخَيَّرُونَ ﴿فِي أَمْوَالِكُمْ﴾ بالفرائض فيها والحوالح ﴿وَأَنفُسِكُمْ﴾ بالعبادات والبلاء ﴿وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ اليهود والنصارى^(٥) ﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ من العرب ﴿أَذًى كَثِيرًا﴾ من السب والظعن والتشبيب^(٦) بسناكهم ﴿وَإِن تَصْبِرُوا﴾ على ذلك ﴿وَتَتَّقُوا﴾ الله ﴿فَإِنَّ ذَلِكَ مِّن عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ أي: من معزوماتها التي يعزم عليها؛ لوجوبها.

لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكُتُ بِمَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْآبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٨٢﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴿١٨٣﴾ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَاهَدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّن قَبْلِ يَأْتِيَنَّتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٨٤﴾ فَإِنْ كَذَّبُوكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ رُسُلًا مِّن قَبْلِكُمْ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿١٨٥﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمْتَعٌ مُّؤْتٍ ﴿١٨٦﴾ لَتَسْلُوتَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِّن عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٨٧﴾

[١٨١] ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ وهم اليهود قالوه لما نزل: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُرْسِلُ اللَّهَ قَرْمًا حَسَنًا﴾ وقالوا: لو كان غنياً ما استقرضنا^(١). ﴿سَنَكُتُ﴾ نأمر بكسب ﴿مَا قَالُوا﴾ في صحائف أعمالهم؛ ليجازوا عليه، وفي قراءة: بالياء مبيهاً للمفعول^(٢) ﴿و﴾

(٥) ما جاء في نزول الآية (١٨٦): أخرجه أبو داود عن عبد الرحمن بن عبدالله بن كعب بن مالك عن أبيه - وكان أحد الثلاثة الذين تيب عليهم - وكان كعب بن الأشرف يهجو النبي ﷺ ويحرض عليه كفار قريش وكان النبي ﷺ حين قدم المدينة وأهلها أخلاط، منهم المسلمون، ومنهم المشركون يعبدون الأوثان، واليهود. وكانوا يؤذون النبي ﷺ وأصحابه، فأمر الله ﷻ نبيه ﷺ بالصبر والعفو، فبينهم أنزل الله: ﴿وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ الآية. فلما أبين كعب بن الأشرف أن ينزع عن أذى النبي ﷺ أمر النبي ﷺ سعد بن معاذ أن يبعث رهطاً يقتلونه، فبعث محمد بن مسلمة - وذكر قصة قتله، فلما قتلوه فرغت اليهود والمشركون، فعدوا على النبي ﷺ، فقالوا: طرق صاحبنا قتل. فذكر لهم النبي ﷺ الذي كان يقول، ودعاهم النبي ﷺ إلى أن يكسب بينه وبينهم كتاباً يتنون إلى ما فيه. فكتب النبي ﷺ بينه وبينهم وبين المسلمين عامة صحيفة. أبو داود - كتاب الخراج والإمارة (١٤) باب (٢٢) كيف كان إخراج اليهود من المدينة. (صحيح الإسناد) صحيح سنن أبي داود (٢٥٩٤).

(٢) أي: (سَيَكُتُ) وهي قرأة حمزة.

(١) أخرجه نحوه ابن أبي حاتم في تفسيره (٤٦٠/٢). عن ابن عباس بسند حسن.

(٣) لف ونشر مرتب؛ والنصب (وقتلهم): على قراءة (النون) وهي قرأة حمزة، والرفع (وقتلهم): على قراءة الياء للباقيين.

(٤) على التفضيل في الهامش السابق. (٥) دفع بذلك ما يقال: إن المنفي: كثرة الظلم؛ فيفيد أن أصل الظلم ثابت - فأجاب بأن هذه الصيغة للنسب لا للباعية.

(٦) قرأ هشام: (وبالزبر وبالكتاب)، وقرأ ابن ذكوان: (وبالزبر والكتاب).

(٧) هذا التفسير يوهم عدم إثبات رؤية المؤمنين ربه يوم القيامة، وهو مذهب المعتزلة - الذي هو أعظم نعيم وغاية مطلوب، كما قال البلقيني: استخرجته من الكشف اعتزالاً بالمناقش من تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَن زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾. قال: أي فوز أعظم من دخول الجنة؛ أشار به إلى عدم الرؤية. والمصنف مذهبه إثبات الرؤية كما في تفسيره قوله تعالى: ﴿وَلَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ...﴾ [الأنعام: ١٠٣] قال: أي لا تراه، وهذا مخصوص؛ لرؤية المؤمنين له في الآخرة؛ لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ الْيَوْمُ الْكَلِيمُ﴾ [الأنعام: ٢٢، ٢٣]، وحديث الشيخين: (إنكم سترون ربكم...).

(٨) أي بذكر محاسنها وأوصافها بالفصائد، وتناشدها بينهم، وكان يفعل ذلك كعب بن الأشرف، لعنه الله.

[١٨٧] ﴿وَذَكَرْ﴾ أي ذكر ﴿إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ أي: العهد عليهم في التوراة ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ﴾ أي: الكتاب ﴿لِلنَّاسِ وَلَا تَكْفُرُونَهُ﴾ أي: الكتاب، الباء والناء في الفعلين^(١) ﴿فَتَبَدُّوهُ﴾ طرحوا الميثاق ﴿وَرَأَى ظُهُورَهُمْ﴾ فلم يعملوا به ﴿وَأَشْرَوْا بِهِ﴾ أخذوا بدله ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ من الدنيا من سفلتهم برياستهم في العلم؛ فكتموه خوف فوته عليهم ﴿فَيَسَّ مَا يَشْتَرُونَ﴾ شراؤهم هذا.

[١٨٨] ﴿لَا يَخْسِرُونَ﴾ بالياء والناء^(٢) ﴿الَّذِينَ يَصْرَحُونَ بِمَا أُنُوتُوا﴾ فعلوا في إضلال الناس ﴿وَيُجِبُونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾ من التمسك بالحق وهم على ضلال ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّاهُمْ﴾ في الوجهين^(٣) تأكيد ﴿بِمَعَارِزِهِمْ﴾ بمكان ينجون فيه ﴿وَمِنَ الْعَذَابِ﴾ في الآخرة؛ بل هم في مكان يعذبون فيه؛ وهو: جهنم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم فيها^(٤)، ومفعولا «بحسب» الأولى ذل عليها مفعولا الثانية على قراءة التحتانية^(٥)، وعلى الفوقانية حذف الثاني فقط^(٦). [١٨٩] ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ خزائن المطر والرزق والنبات وغيرها ﴿وَاللَّهُ عَٰلِمُ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه تعذيب الكافرين وإنجاء المؤمنين.

[١٩٠] ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وما فيها من العجائب ﴿وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ بالجيء والذهاب، والزيادة والنقصان ﴿لَايَكْتِبُ﴾ دلالات على قدرته - تعالى - ﴿لِأُولَى الْأَلْبَابِ﴾ لذوي العقول. [١٩١] ﴿الَّذِينَ﴾ نعت لما قبله، أو بدل ﴿يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ مضطجعين؛ أي: في كل حال، وعن ابن عباس: يصلون كذلك حسب الطاقة ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ليستدلوا به على قدرة صانعها، يقولون: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا﴾ الخلق الذي نراه ﴿بَطَلًا﴾ حال، عبثًا؛ بل دليلا على كمال قدرتك ﴿سُبْحَانَكَ﴾ تنزيها لك عن العبث ﴿فَقِيَمًا عَذَابَ النَّارِ﴾.

[١٩٢] ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَن ذَخِرَ النَّارَ﴾ للخلود فيها ﴿فَقَدَّ أَخْرَجْتَهُ﴾ أهنته ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾ الكافرين، فيه وُضِعَ الظَّاهِرُ مَوْضِعَ الْمَضْمُونِ^(٧)؛ إشعارًا بتخصيص الخزي بهم ﴿وَمِنْ زَائِدَةٍ﴾ ﴿أَنْصَارٍ﴾ يمنعونهم من عذاب الله - تعالى.

[١٩٣] ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي﴾ يدعو الناس ﴿لِلْإِيمَانِ﴾ أي: إليه؛ وهو: محمد، أو القرآن ﴿أَنْ﴾ أي: بأن ﴿ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا﴾ به ﴿رَبَّنَا فَاقْرِئْنَا دُؤُوبَنَا وَكَقَرِّ عَطِّ﴾^(٨) ﴿عَنَا سَيِّئَاتِنَا﴾ فلا تظهرها

وَأِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْفُرُونَهُ، فَتَبَدُّوهُ وَرَأَى ظُهُورَهُمْ وَأَشْرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَيَسَّ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَصْرَحُونَ بِمَا أُنُوتُوا وَيُجِبُونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولَى الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطَلًا سُبْحَانَكَ قِيَمًا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن ذَخِرَ النَّارَ فَقَدَّ أَخْرَجْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّافًا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾

بالعقاب عليها ﴿وَتَوَقَّافًا﴾ اقبض أرواحنا ﴿مَعَ﴾ في جُمْلَةٍ ﴿الْأَبْرَارِ﴾ الأنبياء والصالحين. [١٩٤] ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا﴾ أعطنا ﴿مَا وَعَدْتَنَا﴾ به ﴿عَلَىٰ﴾ السنة ﴿رُسُلِكَ﴾ من الرحمة والفضل، وشؤالُهُمْ ذَلِكَ - وإن كان وعده - تعالى - لا يُخْلَفُ - سؤالٌ أن يجعلهم من مستحقه؛ لأنهم لم يتقنوا استحقاقهم له، وتكرير «ربنا» مبالغة في التضرع ﴿وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ الوعد بالبعث والجزاء.

(٥) ما جاء في نزول الآية (١٨٨): أخرج البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه إن رجلاً من المنافقين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الغزو تخلفوا عنه وفرحوا بمقدمهم بخلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتذروا إليه وحلفوا، وأجروا أن يحمدا بما لم يفعلوا، فنزلت: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَصْرَحُونَ...﴾ الآية. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) - سورة آل عمران (٣) باب (١٦).

(١) أي وهما: «ليبينته» و«لا يكتمونه»، وقراءة الباء لابن كثير وأبي عمرو وشعبة، وقرأ الباقون بالناء في الموضعين.

(٢) قرأ بالياء: نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر، والباقون بالناء.

(٣) أي على القراءتين بالياء والناء.

(٤) والتقدير: أنفسهم ناجين.

(٥) وتقديره: ناجين من عذاب الله.

(٦) حيث قال: ﴿وما للظالمين﴾ ولم يقل: «وما لهم».

(٧) للتوكيد.

(٨) في نسخة: «عطه»، والنبت هو المواق لما بعده في قوله: «فلا تظهرها... الخ».

إلى المدينة ﴿وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي﴾ ديني ﴿وَقَاتَلُوا﴾ الكفار ﴿وَقَاتَلُوا﴾ بالتخفيف والتشديد^(١)، وفي قراءة: بتقديمه^(٢) ﴿لَا كُفْرَانَ عَنْهُمْ﴾ سَيِّئَاتِهِمْ، أسرها بالمغفرة ﴿وَلَا نُؤْخِذُهُمْ بِجَنَّتِ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ تَوَابًا﴾ مصدر من معنى «لا كفرن» مؤكدا له ﴿مَنْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ فيه التفات عن التكلم^(٣) ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ التَّوَابِ﴾ الجزاء.

[١٩٦] ونزل - لما قال المسلمون: أعداء الله فيما نرى من الخير، ونحن في الجهد -: ﴿لَا يَغْرِبُكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾^(٤) تصرفهم ﴿فِي الْبَلَدِ﴾ بالتجارة والكسب.

[١٩٧] هو ﴿مَتَّعٌ قَلِيلٌ﴾ يتمتعون به يسيرا في الدنيا ويفنى ﴿ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّرْنَا لِيَهَادُكَ الْفَرَّاشِ﴾ هي.

[١٩٨] ولكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها، أي: مقدرين الخلود ﴿فِيهَا نُزُلًا﴾ وهو ما يعد للضيف، ونصبه على الحال من «جنات»، والعامل فيها معنى الظرف ﴿مَنْ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ من التواب ﴿حَيْرٌ لِلْآبِرِينَ﴾ من متاع الدنيا.

[١٩٩] ﴿وَلَنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ كعبد الله بن سلام وأصحابه، والنجاشي^(٥) ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ أي: القرآن ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ﴾ أي: التوراة والإنجيل ﴿حَشِيشِينَ﴾ حال من ضمير «يؤمن» مرأى فيه معنى «من»؛ أي: متواضعين لله لا يشترتون بعبادته التي عندهم في التوراة والإنجيل من بعث النبي ﷺ ﴿ثُمَّ نَمَّا قَلِيلًا﴾ من الدنيا بأن يكتموها؛ خوفا على الرياسة؛ كفعل غيرهم من اليهود ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ ثواب أعمالهم ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ يؤتونه مرتين؛ كما في القصص^(٦) ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ يحاسب الخلق في قدر نصف نهار من أيام الدنيا^(٧).

[٢٠٠] ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْرًا﴾ على الطاعات والمصائب، وعن المعاصي ﴿وَصَارُوا﴾ الكفار؛ فلا يكونوا أشد صبرا منكم ﴿وَرَابِطُوا﴾ أقبموا على الجهاد ﴿وَأَتَقُوا اللَّهَ﴾ في جميع أحوالكم ﴿لَعَلَّكُمْ تَقْلِحُونَ﴾ تفوزون بالجنة وتنجون من النار.

فَأَسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنَ الَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ تَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ التَّوَابِ ﴿١٩٥﴾
لَا يَغْرِبُكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبَلَدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَّعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّرْنَا لِيَهَادُكَ الْفَرَّاشِ ﴿١٩٧﴾ لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْآبِرِينَ ﴿١٩٨﴾ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَشِيعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِعِبَادَتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْرًا وَصَارُوا وَرَابِطُوا وَأَتَقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَقْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾

سُورَةُ التَّوْبَةِ

[١٩٥] ﴿فَأَسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾ دعاهم ﴿إِنِّي﴾ أي: بأني ﴿لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُمْ﴾ كائن ﴿بَعْضٌ﴾ أي: الذكور من الإناث وبالعكس، والجملة مؤكدة لما قبلها؛ أي: هم سواء في المجازة بالأعمال وترك تضييعها، نزلت لما قالت أم سلمة: يا رسول الله، إنني لا أسمع ذكر النساء في الهجرة بشيء^(٨)، ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ من مكة

(٥) ما جاء في سبب نزول الآية (١٩٥): أخرجه الترمذي عن أم سلمة قالت: يا رسول الله لا أسمع ذكر النساء في الهجرة! فأقول الله تعالى: ﴿إِنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ أخرجه الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٥) سورة النساء (صحيح بما قبله) صحيح سنن الترمذي (٢٤٢٠).

(٥٥) ما جاء في سبب نزول الآية (١٩٩): أخرجه النسائي في تفسيره (٣٥٦/١) عن أنس قال: لما جاء نبي النجاشي؛ قال رسول الله ﷺ: «صلوا عليه»، قالوا: يا رسول الله، نصلي على عبد حشيشي؟ فأقول الله ﷻ: ﴿وَلَنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَشِيعِينَ لِلَّهِ﴾، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٨/٣): «رواه الزوار والطبراني في الأوسط، ورجال الطبراني ثقاة». اهـ.

وذكره الواحدي في أسباب النزول. وصحح إسناده في الاستيعاب (٣٥٢/١).

(١) بالتشديد قراءة ابن كثير وابن عامر.

(٢) أي: بتقديم المبنى للمفعول، لكن بالتخفيف، وتكون الواو على هذه القراءة بمعنى: مع؛ أي: مع كونهم قاتلوا فلم يفروا، بل قاتلوا في حال مقاتلتهم الأعداء، وهي قراءة حمزة والكمالي.

(٣) أي: وكان مقتضى الظاهر أن يقول: «توآبا من عندي»، وإنما أظهر محل الإضمار تشريفاً لهم.

(٤) ذكره الواحدي في أسباب النزول، وذكره البغوي في تفسيره (١٥٤/٢).

(٥) الآيات من ٥٠ حتى ٥٥ من السورة.

(٦) سبق بيان أن هذا سهو من الجلال السيوطي رحمه الله في تفسير آية البقرة رقم (٢٠٢). - والصحيح أن الله يحاسب الخلق في قدر نصف نهار مقداره خمسون ألف سنة؛ كما في صحيح ابن حبان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يقوم الناس لرب العالمين مقدار نصف يوم من خمسين ألف سنة...»، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة في عقاب مانعي الزكاة في الحشر - قوله ﷺ: «في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضي بين العباد... البخاري (١٣١٤)، ومسلم (١٦٤٧).

سورة النساء

[مدنية، وآياتها مائة وخمس أو ست أو سبع وسبعون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ أي: أهل مكة ﴿اتَّقُوا رَبَّ﴾ أي: عقابه بأن تطيعوه ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ آدم ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ حواء - بالمد - من ضلع من أضلاعه اليسرى ﴿وَبَنَى﴾ فرق ونشر ﴿وَمِنْهُمَا﴾ من آدم وحواء ﴿رَجُلًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ كثيرة ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ﴾ (١) فيه إدغام التاء في الأصل في السين (٢)، وفي قراءة بالتخفيف (٣) بحذفها؛ أي: تتساءلون ﴿يَدِي﴾ فيما بينكم حين يقول بعضهم لبعض: أسألك بالله، وأنشدك بالله ﴿وَاتَّقُوا﴾ اتقوا ﴿الْأَرْحَامَ﴾ أن تقطعوها، وفي قراءة (٤) بالجر عطفًا على الضمير في «به»، وكانوا يتناشدون بالرحم ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ حافظًا لأعمالكم؛ فيجازيكم بها؛ أي: لم يزل منصفًا بذلك.

[٢] ونزل في يتيم طلب من وليه ماله فتمعه: ﴿وَمَا أَوْلَىٰ لِلْيَتِيمِ﴾ (٥) الصغار الأولى (٦) لا أب لهم ﴿أَمْوَالِهِمْ﴾ إذا بلغوا ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا الْهَيْبَةَ﴾ الحرام ﴿بِالطَّيِّبِ﴾ الحلال؛ أي: تأخذوه بدلته كما تفعلون من أخذ الحيد من مال اليتيم وجعل الرديء من مالكم مكانه ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ﴾ مضمومة ﴿إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ﴾ أي: أكلها ﴿كَانَ حُرْبًا﴾ ذنبًا ﴿كَبِيرًا﴾ عظيمًا.

[٣] ولما نزلت تخرجون من ولاية التامى، وكان فيهم من تحته العشر أو الثمان من الأزواج؛ فلا يعدل بينهم؛ فنزل: ﴿وَلَنْ خِفْتُمْ أَلْفًا﴾ ن ﴿لَا تَقْسِطُوا﴾ تعدلوا ﴿فِي الْبَيْنِينَ﴾ فتخرجتم من أمرهم فخافوا - أيضًا - أن لا تعدلوا بين النساء (٧) إذا نكحتموهن ﴿فَأَنْكِحُوا﴾ تزوجوا ﴿مَا﴾ بمعنى: من ﴿طَابَ لَكُمْ مِنْ نِسَاءٍ مَتَّقٍ وَتَلَّتْ وَرَبَّعٌ﴾ أي اثنين اثنين، وثلاثًا ثلاثًا، وأربعًا أربعًا، ولا تزيدوا على ذلك ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلْفًا﴾ ن ﴿لَا تَقْسِطُوا﴾ فيها بالنفقة والقسم ﴿فَوَجِدُوا﴾ انكحوها ﴿أَوْ﴾ اقتصروا على ﴿مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ من الإماء؛ إذ ليس لهن من الحقوق ما للزوجات (٨) ﴿ذَلِكَ﴾ أي: نكاح الأربع فقط، أو الواحدة، أو الثنوي ﴿أَدْنَىٰ﴾ أقرب إلى ﴿أَلَّا تَعُولُوا﴾ تجوروا (٩).

[٤] ﴿وَمَا أَوْلَىٰ﴾ أعطوا ﴿النِّسَاءَ صَدَقَتَهُنَّ﴾ جمع صدقة: مهرهن ﴿حِجْلَةً﴾ مصدر (١٠)، عطية عن طيب نفس ﴿فَإِنْ طِبَّنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِثْلَهُ نَسَأًا﴾ تمييز محول عن الفاعل؛ أي: طابت أنفسهن لكم عن شيء من الصداق فوهبهن لكم ﴿فَكُلُّهُنَّ هَيِّبَاتٌ طَيِّبَاتٌ﴾ محمودا العاقبة، لا ضرر فيه عليكم في الآخرة، نزلت ردًا على من كره ذلك.

[٥] ﴿وَلَا تُؤْتُوا﴾ أيها الأولياء ﴿الْمُبْدِرِينَ﴾ من الرجال والنساء والصبيان ﴿أَمْوَالَكُمْ﴾ أي: أموالكم التي في أيديكم ﴿الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾ مصدر «قام»؛ أي: تقوم بمعاشكم وصلاح أولادكم؛ فضيعوها في غير وجهها، وفي قراءة: ﴿قِيَامًا﴾ (١١) جمع «قيمة»؛ ما تقوم به الأمعة ﴿وَأَرْزُقُوهُمْ فِيهَا﴾ أي: أطعموهم منها ﴿وَأَكْسُوهُمْ﴾ وقلوا ﴿قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾

(٥) ما جاء في نزول الآية (٣): أخرج البخاري عن عائشة (رضي الله عنها) أن رجلاً كانت له يتيمة فنكحها، وكان لها علق، وكان يسكها عليه، ولم يكن لها من نفسه شيء، فنزلت: ﴿وَلَنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَقْسِطُوا﴾

- (١) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر. (٢) فأصله: تتساءلون؛ فقلت التاء سينًا ثم أدغمت في السين؛ فلقب مخرجهما. (٣) قرأه الكوفيون حمزة والكسائي وعاصم مخففًا على حذف إحدى التائين، وشدد الباقون على إدغام التاء الثانية في السين. (٤) حمزة. (٥) أخرجه ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير (الدر المنثور ٢٠٧/٢) وسنده ضعيف كما في الاستيعاب (٣٥٨/١). (٦) أي الدين. (٧) أي: التامى. (٨) أي: فلا يجب العدل بينهن لا في القسم ولا في النفقة ولا في الكسوة. (٩) مؤكد من معنى قوله: ﴿أَنْتُمْ﴾ (١٠) نافع وابن عامر. (١١) وكذلك هو عند الحنابلة، وأما أبو حنيفة فقال: يبلوغ الذكر ثمانين سنة، والمجارية سبع عشرة سنة. وقال مالك: يبلوغها ثمانين سنة. والأرجح الأول وهو قول الجمهور. (١٢) الأفضل أن يقول: علمتم؛ لمناسبتة للرشد. (١٣) أي: تعليم لمصالح الدنيا؛ فهو أمر نذوب.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ وَعَاتُوا الْيَتِيمَ أَموالهم وَلَا تَتَّبِعُوا الْحَيْبَةَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَقْسِطُوا فِي الْيَتِيمِ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَتَّقٍ وَتَلَّتْ وَرَبَّعٌ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاجِدَةٌ أَوْ مَمْلُوكَةٌ تَمْلِكُ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴿٣﴾ وَعَاتُوا النِّسَاءَ صَدَقَتَهُنَّ رِجْلَةً فَإِنْ طِبَّنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِثْلَهُ نَسَأًا فَكُلُّهُ هَيِّبَاتٌ مَرِيئَاتٌ ﴿٤﴾ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَأَكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٥﴾ وَأَتُوا الْيَتِيمَ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ عَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾

عذوهم عذة جميلة؛ بإعطائهم أموالهم إذا رشدوا.

[٦] ﴿وَابْتَلُوا﴾ اختبروا ﴿الْيَتِيمَ﴾ قبل البلوغ؛ في دينهم، وتصرفهم في أموالهم ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ﴾ أي: صاروا أهلاً له؛ بالاحتلام أو السن؛ وهو: استكمال خمس عشرة سنة عند الشافعي (١) ﴿فَإِنْ آنَسْتُمْ﴾ أبصرتم (٢) ﴿وَبِتَّمَّ رُشْدًا﴾ صلاحًا في دينهم ومالهم ﴿فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ وَلَا تَأْكُلُوهَا أيها الأولياء ﴿إِسْرَافًا﴾ بغير حق، حال ﴿وَبِدَارًا﴾ أي: مبادرين إلى إنفاقها مخافة ﴿أَنْ يَكْبَرُوا﴾ رُشْدًا؛ فيلزمكم تسليمها إليهم ﴿وَمَنْ كَانَ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ﴾ عَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ﴿أَي﴾ يعف عن مال اليتيم ويمتنع من أكله ﴿وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ﴾ منه ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ بقدر أجرة عمله ﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾ أي: إلى التامى ﴿أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ﴾ أنهم تسلموها، ويرثتم؛ لئلا يقع اختلاف؛ فترجعوا إلى البيعة، وهذا أمر إرشاد (٣) ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ﴾ الباء: زائدة ﴿حَسِيبًا﴾ حافظًا لأعمال خلقه، ومحاسبهم.

تهاون الناس في تركه؛ وعليه فهو نذب، وعن ابن عباس: واجب.

[٩] ﴿وَلْيَحْشَ الَّذِينَ يُبْذَرُونَ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِهِمْ﴾ أي: ليحش على اليتامى ﴿الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا﴾ أي: قاربوا أن يتركوا ﴿مِنْ خَلْفِهِمْ﴾ أي: من بعد موتهم ﴿ذُرِّيَّةً ضِعَفًا﴾ أولادًا صغارًا ﴿خَافُوا عَلَيْهِمْ﴾ الضعاع ﴿فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ﴾ في أمر اليتامى، وليأتوا إليهم ما يحبون أن يفعل بذريعتهم من بعدهم ﴿وَلْيَقُولُوا لِلْمَيْتِ﴾ ﴿قَوْلًا سَدِيدًا﴾ صوابًا؛ بأن يأمره أن يتصدق بدون ثلته، ويدع الباقي لورثته، ولا يتركهم عائلة.

[١٠] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا﴾ بغير حق ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ﴾ أي: ملاًها ﴿نَارًا﴾ لأنه يقول إليها ﴿وَسَمَلُونَ﴾ بالبناء للفاعل والمفعول^(١)؛ يدخلون ﴿سَوِيْرًا﴾ نازًا شديدة يحترقون فيها.

[١١] ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي﴾ شأن ﴿أَوْلَادِكُمْ﴾ بما يذكر ﴿لِلذَّكَرِ﴾ منهم ﴿مِثْلَ حَظِّ﴾ نصيب ﴿الْأُنثَى﴾ إذا اجتمعتا معه فله نصيب نصف المال ولهما النصف، فإن كان معه واحدة فلها الثلث وله الثلثان، وإن انفرد حاز المال ﴿فَإِنْ كُنَّ﴾ أي: الأولاد ﴿نِسَاءً﴾ فقط ﴿فَوَقَّ﴾ أي: قلها ﴿ثُلُثًا مِمَّا تَرَكَ﴾ المثلث، وكذا الانتان؛ لأنه للأختين بقوله: ﴿فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ﴾ فيما أولى؛ ولأن البنت تستحق الثلث مع الذكر؛ فمع الأشي أولى، ﴿وَوَقَّ﴾ قيل: صلة، وقيل: لدفع توهم زيادة النصيب بزيادة العدد؛ لما فهم استحقاق البنين الثلثين من جعل الثلث للواحدة مع الذكر ﴿وَلِنْ كَانَتْ﴾ المولودة ﴿وَاحِدَةً﴾ وفي قراءة: بالرفع^(٢)؛ فلا كان؛ تامة ﴿فَلَهَا النِّصْفُ وَالْأُخْتُ﴾ أي: الميِّت، ويبدل منهما ﴿لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا﴾ السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ ﴿ذَكَرٌ أَوْ أُنثَى﴾ ونكته البدل؛ إفادة أنهما لا يشتركان فيه، وأخى بالولد ولد الابن، وبالأب الجد ﴿فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ﴾ فقط أو مع زوج ﴿فَلِأُمِّهِ﴾ بضم الهمزة وكسرها^(٣)؛ فرازا^(٤) من الانتقال من ضمة إلى كسرة؛ لتلقه في الموضعين^(٥) ﴿الثُّلُثُ﴾ أي: ثلث المال أو ما يبقى بعد الزوج، والباقي للأب ﴿فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ﴾ أي: اثنان فصاعداً - ذكورا أو إناثاً - ﴿فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ﴾ والباقي للأب، ولا شيء للإخوة، وإرث من ذكر ما ذكر ﴿مِنْ بَعْدِ﴾ تنفيذ ﴿وَصِيَّتِهِ يُوْصِي﴾ بالبناء للفاعل والمفعول^(٦) ﴿بِهَا أَوْ﴾ قضاء ﴿دِينٍ﴾ عليه^(٧).

وتقديم الوصية على الدين وإن كانت مؤخره عنه في الوفاء؛ للاهتمام بها، ﴿عَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ﴾ مبتدأ خبره؛ لا تدرؤن أيهم أقرب لكم تقعا في الدنيا والآخرة؛ فظان أن ابنه أنفع له؛ فبعضه الميراث؛ فيكون الأب أنفع، وبالعكس، وإنما العالم بذلك هو الله؛ ففرض لكم الميراث ﴿فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ﴾ إِنْ كَانَ عَلِيًّا بخلقه ﴿حَكِيمًا﴾ فيما ذبته لهم؛ أي: لم يزل مخصصا بذلك.

لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانُ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانُ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ فَأَرْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٨﴾ وَلْيَحْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ لِلَّذَكَرِ مِثْلَ حَظِّ الْأُنثَىٰ وَإِن كَانَتْ نِسَاءٌ فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأُخْتَيْهِمَا كِلْتَا بَنِيهِمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِهِ يُوصِي بِهَا أَوْلَادُهُ أَوْ كَثُرَ وَأَبْنَاؤُهُمْ لَاتَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفَعًا فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾

[٧] ونزل - ردًا لما كان عليه في الجاهلية من عدم توريث النساء والصغار^(١) : ﴿لِلرِّجَالِ﴾ الأولاد والأقرباء ﴿نَصِيبٌ﴾ حظ ﴿مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانُ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ المتوفون ﴿وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانُ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ﴾ جعله الله ﴿نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ مقطوعًا بتسليمه إليهم.

[٨] ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ﴾ للميراث ﴿أُولُو الْقُرْبَىٰ﴾ ذوو القرابة من لا يرث ﴿وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ﴾ فأرزقوهم منه ﴿شَيْقًا قَبْلَ الْقِسْمَةِ﴾ وقولوا أيها الأولياء ﴿لَهُمْ﴾ إذا كان الورثة صغارًا ﴿قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ جميلًا؛ بأن تعتذروا إليهم أنكم لا تملكونه وأنه للصغار، وهذا قيل؛ إنه منسوخ، وقيل: لا، ولكن

في التبيين البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة النساء (٤) باب (١).

(٥) ما جاء في نزول الآية (١١)؛ أخرجه البخاري عن جابر رضي الله عنه قال: عادي النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر في بني سلمة ماشين، فوجدني النبي صلى الله عليه وسلم لا أعقل، فدعا بماء فوضأ منه ثم رش علي فأنفت، قلت: ما تأمرني أن أصنع في مالي يا رسول الله؟ فنزلت: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة النساء (٤) باب (٤).

وأخرج أبو داود عن جابر بن عبد الله قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جئنا امرأة من الأنصار في الأسواق، فجمعت المرأة بائنتين لها، فقالت: يا رسول الله، هاتان بنتا ثابت بن قيس قتل معك يوم أحد، وقد استفاء عمهما وميراثهما كله فلم يدع لهما مالا إلا أخذته فماتت يا رسول الله، فولله لا تتكحان أبداً إلا ولهما مال. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بفضي الله في ذلك». قال: فنزلت سورة ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ الآية. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ادعوا لي المرأة وصاحبها» فقال لهما: «أعططهما الثلثين، وأعطت أمهما الثمن، وما بقي فلها». أبو داود - كتاب الفرائض (١٣) باب (٤) ما جاء في ميراث الصلب. وقال عقبه: «أخطأ يشر فيه، إنما هما ابنتا سعد بن الربيع. وثابت بن قيس قتل يوم اليمامة. ثم ساق رواية أخرى على الصواب.

(١) أخرجه نحوه الطبري في جامع البيان (١٧٦/٤) عن قتادة، وهو مرسل صحيح الإسناد كما في الاستيعاب (٣٦٧/١).

(٢) أي: لمن حضرته الوفاة. (٣) بالبناء للمفعول لابن عامر وشعبة. (٤) لتألف. (٥) بالكسر حمزة والكسائي. (٦) راجع إلى الكسر.

(٧) أي: في قوله: ﴿فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ﴾، وقوله: ﴿فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ﴾. (٨) بالبناء للمفعول لابن كثير وابن عامر وشعبة.

﴿١٢﴾ ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ﴾ منكم أو من غيركم ﴿فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِي يَوْصِيَنَّ بِهِمَا أَوْ دَرَبِي﴾ وألحق بالولد في ذلك ولد الابن بالإجماع ﴿وَلَهُنَّ﴾ أي: الزوجات: تعدد أو لا ﴿الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ﴾ منهن أو من غيرهن ﴿فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِي تَوْصُونَ بِهِمَا أَوْ دَرَبِي﴾ وولد الابن في ذلك كالولد إجماعاً ﴿وَإِنْ كَانَتْ رَجُلٌ يُوْرَثُ﴾ صفة، والخبر^(١): ﴿كَكَلَّةٍ﴾ أي: لا ولد له ولا ولد له ولد ﴿أَوْ أَمْرَأَةٍ﴾ تورث كلالته ﴿وَلَكُمْ﴾ أي: للموروث كلالته ﴿أَخٌ أَوْ أُخْتٌ﴾ أي: من أم، وقرأ به ابن مسعود وغيره^(٢) ﴿فَلِكُلِّ وَجِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ﴾ مما ترك ﴿فَإِنْ كَانُوا﴾ أي: الإخوة والأخوات من الأم ﴿أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ﴾ أي: من واحد ﴿فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ﴾ يستوي فيه ذكرهم وأنثاهم ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِي يَوْصِيَنَّ بِهِمَا أَوْ دَرَبِي غَيْرَ مُضَارٍّ﴾ حال من ضمير «يوصي»؛ أي: غير مدخل الضرر على الورثة بأن يوصي بأكثر من الثلث ﴿وَصِيَّتِي﴾ مصدر مؤنث لـ «يوصيكم» ﴿وَمَنْ أَلَّهِ وَاللَّهُ عَلَيْهِ﴾ بما دبره لخلقه من الفرائض ﴿حَلِيمَةً﴾ بتأخير العقوبة عنهم خالفه، وخصت الشئة تورث من ذكر بمن ليس فيه مانع من قتل، أو اختلاف دين، أورد.

﴿١٣﴾ ﴿تِلْكَ الْأَعْكَامُ الَّتِي كُتِبَ عَلَيْهَا أَنْ يَقْبِلُوا عَذَابَ النَّارِ﴾ من أمر اليتامى وما بعده - ﴿حُدُودُ اللَّهِ﴾ شرائعه التي حدها لعباده؛ ليعملوا بها، ولا يتعدوها ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ فيما حكم به ﴿يُدْخِلْهُ﴾ بالياء، والنون^(٣): ﴿الْفَقْرَةَ﴾ ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ وذلك الفوز العظيم.

﴿١٤﴾ ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ﴾ بالوجهين^(٤) ﴿سَارًّا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ فِيهَا عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ ذو إهانة، روعي في الضمائر في الآيتين لفظ «من»^(٥) وفي «خالدين» معناها.

﴿١٥﴾ ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ فِي النَّارِ﴾ بالوجهين^(٦) ﴿سَارًّا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ فِيهَا عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ ذو إهانة، روعي في الضمائر في الآيتين لفظ «من»^(٥) وفي «خالدين» معناها.

(١) أي: خبر «كان»، وهذا على أنها ناقصة، وأما باعتبارها تامة؛ فتكون «ككلالة» حالاً.

(٢) وهي قراءة شاذة.

(٣) بالنون لنافع وابن عامر.

(٤) راجع للنون؛ وهو النفات من الغيبة للتكلم.

(٥) أي: بالياء والنون، والنون لنافع وابن عامر.

(٦) أي: فأورد في قوله: «يُدْخِلْهُ» في الموضعين، وفي قوله: «ولَهُ فِيهَا عَذَابٌ مُّهِينٌ».

الفاحشة: الزنا أو اللواط^(١) ﴿مِنْكُمْ﴾ أي: الرجال ﴿فَتَادُوهُمْ﴾ بالسب والضرب بالنعال ﴿فَإِنَّ تَابَ﴾ منها ﴿وَأَصْلَحَ﴾ العمل ﴿فَاعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾ ولا تؤذوهما ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا﴾ على من تاب ﴿رَحِيمًا﴾ به، وهذا منسوخ بالحد إن أريد بها الزنا، وكذا إن أريد بها اللواط عند الشافعي، لكن المفعول به لا يرجع عنده - وإن كان مُحضًا - بل يجلد ويغرب، وإرادة اللواط أظهر؛ بدليل ثنية الضمير^(٢)، والأول قال: أراد الزاني والزانية، ويرده تبيينهما بـ«من» المتصلة بضمير الرجال^(٣)، واشتركا في الأذى. والتوبة والإعراض، وهو مخصوص بالرجال لما تقدم في النساء من الحسب.

[١٧] ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ وكان الله عليهم ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ ﴿١٧﴾ ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ الذنوب ﴿حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾ وأخذ في النزاع ﴿قَالَ﴾ عند مشاهدة ما هو فيه: ﴿إِنِّي تَبْتُ الْكُفْرَ﴾ فلا ينفعه ذلك، ولا يقبل منه ﴿وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ إذا تابوا في الآخرة عند معابة العذاب؛ لا تقبل منهم ﴿أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا أَغْدَانًا﴾ ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمًا﴾ مؤلماً.

[١٨] ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ الذنوب ﴿حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾ وأخذ في النزاع ﴿قَالَ﴾ عند مشاهدة ما هو فيه: ﴿إِنِّي تَبْتُ الْكُفْرَ﴾ فلا ينفعه ذلك، ولا يقبل منه ﴿وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ إذا تابوا في الآخرة عند معابة العذاب؛ لا تقبل منهم ﴿أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا أَغْدَانًا﴾ ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمًا﴾ مؤلماً.

[١٩] ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَجِدُ لَكُمْ أَنْ تَرْتُوا النِّسَاءَ﴾ أي: ذَاتَهُنَّ ﴿كَرِهًا﴾ بالفتح والضم، لغتان^(١)؛ أي: مكرهين^(٢) على ذلك - كانوا في الجاهلية^(٣) يرثون نساء أقرانهم، فإن شاءوا تزوجوهن بلا صداق، أو زوّجوهن وأخذوا صداقهن، أو عضلوهن؛ حتى يقتدين بما ورثه، أو يمتنن فيرثوهن؛ فنهوا عن ذلك - ﴿وَلَا﴾ أن ﴿تَمْضُلُوهُنَّ﴾ أي: تمنوا أزواجهن عن نكاح غيركم؛ يأمساكهن ولا رغبة لكم فيهن: ضارًا ﴿لِيَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾ من المهر ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحْشَةٍ مُبِينَةٍ﴾ بفتح الباء وكسرها^(٤)؛ أي: بيّنة^(٥)، أو هي بيّنة؛ أي: زنا أو نشوز^(٦)؛ فلکم أن تضاروهن؛ حتى يقتدين منكم ويختلفن ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ أي: بالإجمال في القول والنفقة والمبيت ﴿فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ﴾ فاصبروا ﴿فَمَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ ولعله يجعل فيهن ذلك؛ بأن يرضكن منهن ولدًا صالحًا.

وَالَّذِي يَأْتِيَنَّ الْفَحْشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَیْنَيْنِ أَرْبَعَةً مِّنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَقَّعُنَّ الْمَوْتَ أَوْ يُجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾ وَالَّذَانِ يَأْتِيَنَّهَا مِنْكُمْ فَعَادُوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿١٦﴾ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴿١٧﴾ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْكُفْرَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَجِدُ لَكُمْ أَنْ تَرْتُوا النِّسَاءَ كَرِهًا مُبِينَةً وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَمَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾

[١٥] ﴿وَالَّذِي يَأْتِيَنَّ الْفَحْشَةَ﴾ الزنا ﴿مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَیْنَيْنِ أَرْبَعَةً مِّنْكُمْ﴾ أي: من رجالكم المسلمين ﴿فَإِنْ شَهِدُوا﴾ عليهن بها ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾ احبسوهن ﴿فِي الْبُيُوتِ﴾ وامنعوهن من مخالطة الناس ﴿حَتَّىٰ يَتَوَقَّعُنَّ الْمَوْتَ﴾ أي: ملائكنه ﴿أَوْ﴾ إلى أن ﴿يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ طريقًا إلى الخروج منها - أمروا بذلك أول الإسلام ثم جعل لهن سبيلًا؛ بجلد البكر مائة وتعريها عامًا؛ ورجم المحصنة، وفي الحديث: لَمَّا بَيَّنَّ الْحَدَّ - قال: ﴿تُحْدُوا عَنِّي تُحْدُوا عَنِّي قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ [رواه مسلم]^(١).

[١٦] ﴿وَالَّذَانِ﴾ بتخفيف النون وتشديدها^(٢) ﴿يَأْتِيَنَّهَا﴾ أي:

(١) مسلم (١٦٩٠). وتامه: «الْبُيُوتِ تَوْجُمٍ، وَالْبُيُوتِ تَجْلُدُهُ».

(٢) بالتشديد مع اللد اللازم لابن كثير.

(٣) قولان للمفسرين، ورجح المصنف الثاني بقوله: «إرادة اللواط أظهر... الخ».

(٤) أي: في قوله: ﴿وَالَّذَانِ﴾، وقد يقال: إنه فيه تغليب الذكر على الأنثى.

(٥) وهو قوله: ﴿مِنْكُمْ﴾.

(٦) وهما قراءتان، والضم قراءة حمزة والكسائي.

(٧) وفي بعض النسخ: «مكرهين» جمع مكره: اسم فاعل، ومفعوله محذوف؛ أي: مكرهين لهن.

(٨) أي: وفي صدر الإسلام.

(٩) بالفتح لابن كثير وشعبة.

(١٠) أي: بينها من يدعيها وأوضحها وأظهرها.

(١١) خروج عن طاعة الزوج.

[٢٠] ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ سَبِّدَالَ زَوْجٍ مَكَاتٍ زَوْجٍ﴾ أي: أخذها بدلها بأن طلقتموها ﴿و﴾ قد ﴿ءَاتَيْتُمْ إِيَّاهُنَّ﴾ أي: الزوجات ﴿قِطَارًا﴾ مالا كثيرا؛ صدقا ﴿فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ سَحِيحًا﴾ أتأخذونه بَهْتِنًا ﴿ظُلْمًا﴾ وإِنَّمَا مَيْبَتَا بَيْتَا، ونصبهما على الحال، والاستفهام للتوبيخ وللإنكار في قوله: [٢١] ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ﴾ أي: بأي وجه ﴿وَقَدْ أَفْضَى﴾ وصل ﴿بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ بالجماع المُقَرَّرُ لِلْمَهْرِ ﴿وَأَخَذَتْ مِنْكُمْ بَيْتُنَا﴾ عَهْدًا ﴿عَلِيظًا﴾ شديداً؛ وهو: ما أمر الله به من إفساحهنَّ بمعروف أو تبريجهنَّ لإحسان.

[٢٢] ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا﴾ بمعنى: ممن ﴿نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا﴾ لكن ﴿مَا قَدْ سَلَفَ﴾ من فلكم ذلك؛ فإنه مغفورٌ عنه ﴿إِنَّهُ﴾ أي: يكافئهنَّ ﴿كَانَ فَحِشَةً﴾ فيها ﴿وَمَقْتًا﴾ سببا للمقت من الله - وهو أشد البغض - ﴿وَسَاءَ﴾ بس ﴿سَبِيلًا﴾ طريقا ذلك.

[٢٣] ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾ أن تنكحوهنَّ، وشملت الجدات من قبل الأب أو الأم ﴿وَبَنَاتُكُمْ﴾ وشملت بنات الأولاد وإن سفلنَّ ﴿وَأَخَوَاتُكُمْ﴾ من جهة الأب أو الأم ﴿وَعَمَّتُكُمْ﴾ أي: أخوات آبائكم وأجدادكم ﴿وَوَحَلَاتُكُمْ﴾ أي: أخوات أمهاتكم وجداتكم ﴿وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأَخْتِ﴾ ويدخل فيهن أولادهنَّ ﴿وَأُمَّهَاتُكُمْ﴾ أي: أمهاتكم ﴿وَأَخَوَاتُكُمْ﴾ استكمال الحولين خمس رضعات^(١) - كما بينه الحديث - ﴿وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرِّضَاعَةِ﴾ ويلحق بذلك - بالشيء - البنات منها؛ وهنَّ من أرضعتهم مؤطراتهنَّ، والعمات والحالات وبنات الأخ وبنات الأخت منها؛ لحديث «يُحْرَمُ مِنَ الرِّضَاعِ مَا يُحْرَمُ مِنَ النَّسَبِ» [رواه البخاري ومسلم]^(٢).

﴿وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبِّبَاتُكُمْ﴾ جمع «رَبِيَّة»؛ وهي بنت الزوجة من غيره ﴿الَّتِي فِي حُجُورِكُمْ﴾ تربونهن، صفة موافقة للغالب؛ فلا مفهوم لها ﴿وَمِنْ نِسَائِكُمُ الَّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ﴾ أي: جامعتموهنَّ ﴿فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ﴾ فلا جناح عليكنَّ ﴿فِي نِكَاحِ بَنَاتِهِنَّ إِذَا فَارَقْتُمُوهُنَّ وَوَحَلَاتِكُمْ﴾ أزواج «أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أُمَّتِكُمْ» بخلاف من تَبَيَّنْهُمْ؛ فلكم نكاح حلالهم ﴿وَأَنْ تَجَمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ﴾ من نسب أو رضاع؛ بالنكاح، ويُلتحق بهما - بالشيء - الجمع بينها وبين عمتهَا، أو خالتها^(٣)، ويجوز نكاح كل واحدة على الانفراد، ويملكهُمَا مَعًا، وَبَطْأً وَاحِدَةً ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿مَا قَدْ سَلَفَ﴾ في الجاهلية - من نكاحهم بغير ما ذُكِرَ. فلا جناح عليكم فيه ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا﴾ لما سلف منكم قبل النهي ﴿رَجِيمًا﴾ بكم في ذلك.

﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ سَبِّدَالَ زَوْجٍ مَكَاتٍ زَوْجٍ وَعَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا﴾ أتأخذونه بَهْتِنًا ﴿وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا عَلِيظًا﴾ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأَخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمْ الَّتِي أَرْضَعْتَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرِّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبِّبَاتُكُمْ الَّتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ الَّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَوَحَلَاتِكُمْ الَّتِي مِنْ أُمَّتِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أُمَّتِكُمْ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَأَنْ تَجَمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا رَجِيمًا﴾

(١) وهو مذهب الشافعي وأحمد وهو الراجح؛ لحديث عائشة عند مسلم: «كَانَ فِيمَا أُتِرَ مِنَ الْقُرْآنِ: عَشْرُ رِضَاعَاتٍ مَعْلُومَاتٍ يُحْرَمُ، ثُمَّ نُسِخْنَ بِمَعْلُومَاتٍ، فَزُفِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُنَّ فِيمَا يُقْرَأُ مِنَ الْقُرْآنِ».

(٢) البخاري (٢٦٤٥)، ومسلم (١٤٤٧).

(٣) البخاري (٥١٠٨)، ومسلم (١٤٠٨).

مُتَزَوِّجِينَ^(٥) عَيْرٌ مُسْفِهِينَ زَانِينَ ﴿فَمَا﴾ فَمَنْ ﴿أَسْتَمْتَعْتُمْ﴾ تَمَتَّعْتُمْ ﴿بِهِ﴾ وَنَهْنٌ مِنْ تَزْوِجْتُمْ بِالْوَطْءِ ﴿فَتَأْوَهُنَّ أَجُورَهُنَّ﴾ مُهُورَهُنَّ الَّتِي فَرَضْتُمْ لَهُنَّ ﴿وَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ فِيمَا تَرَصَّيْتُمْ عَنْهُنَّ وَأَنْتُمْ وَهْنٌ ﴿بِهِ﴾ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ مِنْ حَطْلَهَا أَوْ بَغْضِهَا أَوْ زِيَادَةِ عَلَيْهَا ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بِخَلْقِهِ ﴿حَكِيمًا﴾ فِيمَا دَبَّرَهُ لَهُمْ.

[٢٥] ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا﴾ غَشَى لِي أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْحُرَّاتِ الْمُؤْمِنَاتِ ﴿وَهُوَ جَزَائِي عَلَى الْغَالِبِ﴾ فَلَا مَفْهُومَ لَهُ^(٦) ﴿فَمَنْ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ يَنْكِحُ ﴿مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ﴾ فَانْكَحُوا بظَاهِرِهِ، وَكَلُّوا الشَّرَائِرَ إِلَيْهِ؛ فَإِنَّهُ الْعَالَمُ بِتَفْصِيلِهَا، وَرَبُّ أُمَّةٍ تَفْضُلُ حُرَّةً فِيهِ، وَهَذَا تَأْنِيسٌ بِنِكَاحِ الْإِمَاءِ ﴿بِبَعْضِكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ أَي: أَنْتُمْ وَهَنْ سِوَاهُ فِي الدُّنْيَا؛ فَلَا تَسْتَنْكِفُوا مِنْ نِكَاحِهِنَّ ﴿فَأَنْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِيهِنَّ﴾ مَوَالِيهِنَّ ﴿وَأَنْفُسَهُنَّ﴾ أَعْطَوْهُنَّ ﴿أَجُورَهُنَّ﴾ مَهْرَهُنَّ ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ مِنْ غَيْرِ مَطْلٍ وَنَقْصٍ ﴿مُحْصَنَاتٍ﴾ غَفَائِفُ، حَالٌ ﴿عَيْرٌ مُسْفِهَاتٍ﴾ زَانِيَاتٌ جَهْرًا ﴿وَلَا مَخْذَلَاتٍ أَخْدَانٍ﴾ أَخْلَاءُ يَزْنُونَ بِهِنَّ سِرًّا ﴿فَإِذَا أَحْصَيْتُمْ زُوجَهُنَّ﴾ وَفِي قِرَاءَةِ الْبِنَاءِ لِلْفَاعِلِ^(٧): تَزْوِجَنَّ ﴿فَإِنَّ آتِيَتَكَ بِفَحِشَةٍ﴾ زَانَا ﴿فَقَلْبِيْنَ نِصْفَ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ﴾ الْحُرَّاتِ الْأَبْكَارِ إِذَا زَانِينَ ﴿وَمِنْ الْعَدَابِ﴾ الْحَدِّ؛ فَيَجْلِذُنَّ خَمْسِينَ وَيُعْرَبْنَ نِصْفَ سَنَةٍ، وَيُقَاسُ عَلَيْهِنَ الْعَبِيدُ، وَلَمْ يُجْعَلِ الْإِحْصَانُ شَرْطًا لَوْجُوبِ الْحَدِّ؛ بَلْ لِإِفَادَةِ أَنَّهُ لَا رَجْمَ عَلَيْهِنَ أَسْلًا ﴿ذَلِكَ﴾ أَي: نِكَاحِ الْمَمْلُوكَاتِ عِنْدَ عَدَمِ الطَّوْلِ ﴿لِيَمُنَّ حَيَاتِيْنَ﴾ خَافَ ﴿الْعَنَتِ﴾ الزَّانَا، وَأَصْلُهُ الْمُشَقَّةُ؛ سُمِّيَ بِهِ الزَّانَا؛ لِأَنَّهُ سَبِيهَا بِالْحَدِّ فِي الدُّنْيَا وَالْعُقُوبَةِ فِي الْآخِرَةِ ﴿وَمِنْكُمْ﴾ بِخِلَافِ مَنْ لَا يَخَافُهُ مِنَ الْأَحْرَارِ؛ فَلَا يَحِلُّ لَهُ نِكَاحُهَا، وَكَذَا مَنْ اسْتَطَاعَ طَوْلَ حُرَّةٍ؛ وَعَلَيْهِ الشَّافِعِيُّ، وَخَرَجَ بِقَوْلِهِ: ﴿مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ الْكَافِرَاتِ؛ فَلَا يَحِلُّ لَهُ نِكَاحُهَا - وَلَوْ عَدِمَ^(٨) وَخَافَ - ﴿وَأَنْ تَصْبِرُوا﴾ عَنِ نِكَاحِ الْمَمْلُوكَاتِ ﴿حَيْرٌ لَكُمْ﴾ لِتَلَا بَصِيرِ الْوَالِدِ رَقِيْقًا ﴿وَاللَّهُ عَفْوٌ رَحِيمٌ﴾ بِالتَّوْبَةِ فِي ذَلِكَ.

[٢٦] ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذَيِّبَ لَكُمْ﴾ شَرَائِعَ دِينِكُمْ وَمَصَالِحَ أَمْرِكُمْ ﴿وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ﴾ طَرِيقَ ﴿الذِّبْرِ﴾ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنْ الْأَنْبِيَاءِ؛ فِي التَّحْلِيلِ وَالتَّحْرِيمِ فَتَبْعُوهُمْ ﴿وَيُتَوَبُّ عَلَيْكُمْ﴾ يَرْجِعُ بِكُمْ عَنْ مَعْصِيَتِهِ الَّتِي كُنْتُمْ عَلَيْهَا إِلَى طَاعَتِهِ ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بِكُمْ ﴿حَكِيمٌ﴾ فِيمَا دَبَّرَهُ لَكُمْ.

﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَأَحْلَلْ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصَنِينَ عَيْرٌ مُسْفِهِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَتَأْوَهُنَّ أَجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَصَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مَنْ فَتَيْتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَأَنْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِيهِنَّ وَأَتَوْهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ عَيْرٌ مُسْفِهَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أَحْصَيْتُمْ فَإِنَّ آتِيَتَكُمْ بِفَحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَإِنْ تَصْبِرُوا وَآخِرُ لَكُمْ وَاللَّهُ عَفْوٌ رَحِيمٌ ﴿١٢﴾ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذَيِّبَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيُتَوَبُّ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٣﴾

[٢٤] ﴿وَمَنْ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمُحْصَنَاتُ﴾ ذَوَاتِ الْأَزْوَاجِ ﴿مِنْ النِّسَاءِ﴾ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ قَبْلَ مَفَارِقَةِ أَزْوَاجِهِنَّ - حُرَّاتٌ مُسَلَّمَاتٌ كُنَّ أَوْ لَا - ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾^(٩) مِنَ الْإِمَاءِ بِالسُّبْحِيِّ؛ فَلَكُمْ وَطْؤُهُنَّ - وَإِنْ كَانَ لَهُنَّ أَزْوَاجٌ فِي دَارِ الْحَرْبِ بَعْدَ الْاِسْتِبْرَاءِ - ﴿كَتَبَ اللَّهُ﴾ نُصِبَ عَلَى الْمَصْدَرِ^(١٠)؛ أَي: كَتَبَ ذَلِكَ ﴿عَلَيْكُمْ﴾ [وَأَحْلَلْ] بِالْبِنَاءِ لِلْفَاعِلِ، وَالْمَفْعُولُ^(١١) ﴿لَكُمْ﴾ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَي: سِوَى مَا حُرِّمَ عَلَيْكُمْ مِنَ النِّسَاءِ ﴿أَنْ تَبْتَغُوا﴾ تَطْلُبُوا النِّسَاءَ ﴿بِأَمْوَالِكُمْ﴾ بِصَدَاقِ^(١٢) أَوْ تَمَنِ^(١٣) مُحْصَنِينَ

(٥) ما جاء في نزول الآية (٢٤): أخرج مسلم عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ يوم حنين بعث جيشًا إلى أوطاس فلقوا عدوًّا فقاتلوه، فظهروا عليهم وأصابوا لهم سبائب، فكان ناسًا من أصحاب رسول الله ﷺ تخرجوا من غشيانهم من أجل أزواجهم من المشركين، فأزول الله ﷻ في ذلك: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ أَي: فَمِنْ لَكُمْ حِلَالٌ إِذَا انْقَضَتْ عِدَّتُهُنَّ. مسلم - كتاب الرضاغ (١٧) باب (٩) جواز وطء النسبية بعد الاستبراء.

(١) أي: المؤكد لعامله المعنوي، المستفاد من قوله: ﴿حُرِّمَتْ﴾؛ فإن التحريم والفرض والكتب بمعنى واحد.

(٢) بالبناء للفاعل قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة.

(٣) أي: بالتزويج.

(٤) أي: بالملك.

(٥) أو متملكين، بدليل قوله: «أو تمن».

(٦) وعلى هذا القول فإنه إن قدر على طول حرة كناية فليس له أن يتزوج أمة مسلمة، واختاره القرطبي. والقول الثاني: إن له ذلك، والأمة المؤمنة خير من الحرة الكناية، واختاره ابن العربي. وهو الأولى والأظهر بنص هذه الآية. والله أعلم.

(٧) وهي قراءة حمزة والكسائي وشعبة.

(٨) أي: غنم الطول، وخاف العنت.

[٢٧] ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ كَوْرُهُ لِيُنِي عَلَيْهِ ﴿وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ﴾ اليهود والنصارى، أو الجوس، أو الزناة ﴿أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ تعدلوا عن الحق؛ بارتكاب ما حرم عليكم فتكونوا مثلهم.

[٢٨] ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ﴾ يُسَهِّلَ عَلَيْكُمْ أَحْكَامَ الشَّرْعِ ﴿وَخَلِقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا﴾ لَا يَصِيرُ عَنِ النِّسَاءِ وَالشَّهَوَاتِ.

[٢٩] ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَأَمَّوْا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبُطْلِ﴾ بالحرام في الشرع؛ كالربا والغصب ﴿إِلَّا﴾ لَكِنْ^(١) ﴿أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً صَادِرَةً عَنِ تَرَاضٍ بَيْنَكُمْ﴾ وفي قراءة بالنصب^(٢)؛ أَنْ تَكُونَ الْأَمْوَالُ أَمْوَالًا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ بارتكاب ما يؤدي إلى هلاكها. أيا كان في الدنيا أو الآخرة - بقريئة: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ في منعه لكم من ذلك.

[٣٠] ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ أَي: مَا نَهَى عَنْهُ ﴿عُدْوَانًا﴾ تَجَاوُزًا لِلْحَلَالِ، حَالًا ﴿وَطُلْمًا﴾ تَأْكِيدًا ﴿فَسَوْفَ نُضَلِّهِهُ﴾ نَدَخَلُهُ ﴿نَارًا﴾ يَحْتَرِقُ فِيهَا ﴿وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ هَيْئًا.

[٣١] ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبِيرًا﴾ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ وَهِيَ مَا وَرَدَ عَلَيْهَا وَعِيدٌ؛ كَالْقَتْلِ وَالزَّانَا وَالسَّرْقَةِ، وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: هِيَ إِلَى السَّبْعِمِائَةِ أَقْرَبُ^(٣) ﴿تُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ الصَّغَائِرُ؛ بِالطَّاعَاتِ ﴿وَنُدْخِلْكُمْ مَدْخَلًا﴾ بضم الميم وفتحها^(٤)؛ أَي: إِدْخَالًا، أَوْ مَوْضِعًا^(٥) ﴿كَرِيمًا﴾ هُوَ الْجَنَّةُ.

[٣٢] ﴿وَلَا تَنَّمَوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ مِنْ جِهَةِ الدُّنْيَا أَوْ الدِّينِ؛ لِأَنَّ يُوْدِي إِلَى التَّحَاشِدِ وَالتَّبَاغُضِ ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ﴾ نَوَابٍ ﴿وَمَا أَكْتَسَبُوا﴾ سَبَبٌ مَا عَمِلُوا مِنَ الْجِهَادِ وَغَيْرِهِ ﴿وَاللِّسَاءِ نَصِيبٌ﴾ مِمَّا أَكْتَسَبْنَ مِنْ طَاعَةِ أَزْوَاجِهِنَّ، وَحِفْظِ فُرُوجِهِنَّ - نَزَلَتْ لِمَا قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: لَيْتَنَا كُنَّا رِجَالًا فَجَاهَدْنَا؛ وَكَانَ لَنَا مِثْلُ أَجْرِ الرِّجَالِ^(٦) - ﴿وَسْتَلُوا﴾ بِهَمْزَةٍ، وَدُونَهَا^(٧) ﴿اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ مَا اخْتَجَّمُ إِلَيْهِ يُعْطِيكُمْ ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ يَكُلُّ شَيْءًا عَالِمًا﴾^(٨) وَمِنْهُ مَحَلُّ الْفَضْلِ وَسُؤَالِكُمْ.

[٣٣] ﴿وَلِكُلٍّ﴾ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ ﴿جَعَلْنَا مَوَالِيَّكُمْ﴾ عُضْبَةً يَعْطُونَ ﴿وَمَا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ لَهُمْ مِنَ الْمَالِ ﴿وَالَّذِينَ عَاقَدْتَ﴾ بِالْفِ، وَدُونَهَا^(٩) ﴿أَيْتُنَّكُمْ﴾ جَمْعُ «يَمِين» بِمَعْنَى الْقِسْمِ، أَوْ الْيَدِ؛ أَي: الْخُلَفَاءُ الَّذِينَ عَاهَدْتَهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ عَلَى الثَّمَرَةِ وَالْإِرْثِ ﴿فَقَاتُوهُمْ﴾ الْآنَ

وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخَلِقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَأَمَّوْا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبُطْلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَطُلْمًا فَسَوْفَ نُضَلِّهِهُ تَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبِيرًا مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مَدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَنَّمَوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا أَكْتَسَبُوا وَاللِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا أَكْتَسَبْنَ وَسَعَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ ؕ إِنَّ اللَّهَ كَانَ يَكُلُّ شَيْءًا عَالِمًا ﴿٣٢﴾ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَّ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدْتَ أَيْمَانَكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ؕ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾

﴿نَصِيبَهُمْ﴾ حَظُّوهُمْ مِنَ الْمِيرَاثِ؛ وَهُوَ: السُّدُسُ ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ مُطْلَعًا، وَمِنْهُ حَالِكُمْ، وَهَذَا مَنْسُوخٌ^(١) بِقَوْلِهِ: ﴿وَأُولُوا الْأَرْكَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾^(٢).

(٥) مَا جَاءَ فِي نَزْوْلِ آيَةِ (٣٢): أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: يَغْزُو الرِّجَالُ وَلَا يَغْزُو النِّسَاءُ، وَإِنَّمَا لَنَا نِصْفُ الْمِيرَاثِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَلَا تَنَّمَوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾. التِّرْمِذِيُّ - كِتَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ (٤٨) بَابُ (٥) سُورَةِ النِّسَاءِ. التِّرْمِذِيُّ - كِتَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ (٤٨) بَابُ (٥) (صَحِيحُ الْإِسْنَادِ) صَحِيحُ سَنَنِ التِّرْمِذِيِّ (٢٤١٩).

(١) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ الِاسْتِنَاءَ مَنْقُوعٌ؛ لِأَنَّ التِّجَارَةَ لَيْسَتْ مِنْ جِنْسِ الْأَمْوَالِ الْمَأْكُولَةِ بِالْبَاطِلِ، وَخِصَّ التِّجَارَةُ بِالذِّكْرِ دُونَ غَيْرِهَا كَالِهَبَةِ وَالصَّدَقَةِ وَالْوَصِيَّةِ؛ لِأَنَّ غَالِبَ التَّصْرِيفِ فِي الْأَمْوَالِ بِهَا. (٢) وَالْقِرَاءَةُ الْمُفْشَرَةُ بِالضَّمِّ، نَافِعٌ وَابْنُ كَثِيرٍ وَأَبُو عَمْرٍو وَابْنُ عَامِرٍ.

(٣) أَي: مِنْهَا لِلسَّبْعِينَ الَّتِي قَبِلَ بِهَا.

(٤) وَالْفَتْحُ قِرَاءَةُ نَافِعٍ.

(٥) لَفًا وَنَشْرَ مَرْتَبٍ؛ فِإِدْخَالًا عَلَى قِرَاءَةِ «مَدْخَلًا»؛ وَمَوْضِعًا عَلَى قِرَاءَةِ: «مَدْخَلًا»؛ فَيَكُونُ اسْمَ كَانٍ.

(٦) أَخْرَجَ نَجْدِيُّ الطَّرِيقِيِّ عَنِ مَجَاهِدٍ (٩٢٣٩، ٩٢٤٠) وَنَجْدِيُّ عَطَاءٍ (٩٢٤٥) وَنَجْدِيُّ عَن شَيْخٍ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ (٩٢٤٢) وَلَكِنَّا سَهْمَةٌ فِي النِّسَاءِ لَيْسَ فِيهَا تَعْيِينٌ أَمْ سَلْمَةَ فِي هَذَا الْمَقُولِ. وَلَكِنْ أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ (٢٩٤٨) وَغَيْرُهُ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ يَغْزُو الرِّجَالُ وَلَا تَغْزُو النِّسَاءُ وَإِنَّمَا لَنَا نِصْفَ الْمِيرَاثِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَلَا تَنَّمَوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ وَأَنْزَلَ فِيهَا: ﴿إِنَّ الْمُتَسَلِّمِينَ وَالْمُسْتَلْمِينَ﴾ وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

(٧) بِلُونِهَا قِرَاءَةُ الْكَسَائِيِّ وَابْنِ كَثِيرٍ.

(٨) بِالْأَلْفِ قِرَاءَةُ نَافِعٍ وَابْنِ كَثِيرٍ وَأَبُو عَمْرٍو وَابْنُ عَامِرٍ.

(٩) أَي: قَوْلُهُ: ﴿وَالَّذِينَ عَقَدْتَ أَيْمَانَكُمْ﴾ [النِّسَاءِ: ٣٣].

(١٠) الْأَحْزَابُ: ٦.

أَمْوَالَهُمْ فَأَلْبَسْتُمْ لَهُمْ مَنَافِعَ أَزْوَاجِهِمْ وَمِنْهُنَّ يُكْفَىٰ أَوْلَادُهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾
 لِّلْعَيْبِ ۖ أَي: لفروجهن وغيرها في غيبة أزواجهن ﴿بِمَا حَفِظْتُمْ﴾ هن (١)
 ﴿اللَّهُ﴾ حيث أوصى عليهن الأزواج (٢) ﴿وَأَلْفَىٰ نَحْوَهُنَّ﴾ عصبانهن لهن؛ بأن ظهرت أمارته ﴿فَيُطَوَّرُهُنَّ﴾ فحَوَّوهُنَّ الله ﴿وَأَضْرِبُهُنَّ﴾
 فِي الْمَضَاجِعِ اعترضوا إلى فراش آخر؛ إن أظهرن النشوز ﴿وَأَضْرِبُوهُنَّ﴾ ضرباً
 غَيْرَ مَبْرُوحٍ؛ إن لم يرجعن بالهجران ﴿فَإِن أَطَعْتُمْ﴾ فيما يراد منهن ﴿فَلَا تَبْغُوا﴾ تطلبوا ﴿عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً﴾ طريقاً إلى ضربهن ظلماً ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَليّاً كَبيراً﴾ فاحذروه أن يعاقبكم إن ظلمتموهن.

[٣٥] ﴿وَإِن خِفْتُمْ﴾ علمتم ﴿شِقَاقَ﴾ خلاف ﴿بَيْنَهُمَا﴾ بين الزوجين، والإضافة للاتساع؛ أي: شقاقاً بينهما ﴿فَاتَّبَعُوا﴾ إلهما رضاهما ﴿حَكَمًا﴾ رجلاً عدلاً ﴿وَمِنَ أَهْلِيهِ﴾ أقاربه ﴿وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا﴾ وتوكل (٣) الرُّوحُ حَكْمُهُ فِي الطَّلَاقِ وَقَبُولِ عَوْضِ عَلَيْهِ، وَتَوَكُّلُ هِيَ حَكْمَتُهَا فِي الْاِخْتِلَاعِ؛ فِيجْتَهِدَانِ وَأَمْرَانِ الظَّالِمِ بِالرُّجُوعِ، أَوْ يَفْرَقَانِ؛ إِنْ رَأَيْتَاهُ، قَالَ - تَعَالَى -: ﴿إِنْ يُرِيدَا حَكْمًا﴾ أي: الحكمان (٤) ﴿إِصْلَاحًا يُوَفِّقُ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ بين الزوجين (٥)؛ أي: يُقَدِّرُهُمَا عَلَى مَا هُوَ الطَّاعَةُ مِنْ إِصْلَاحٍ أَوْ فِرَاقٍ ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً﴾ بكل شيء ﴿خَيْرًا﴾ بالبوطن كالظواهر.

[٣٦] ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ﴾ وَخُدُّوهُ ﴿وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ وَأَحْسِنُوا ﴿بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ يَرَا وَيَلِينُ جَانِبَ ﴿وَبِذِي الْقُرْبَىٰ﴾ الْقَرَابَةِ ﴿وَالْيَتَامَىٰ﴾ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنْ اللَّهُ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ﴾ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِمًا ﴿٣٧﴾

[٣٧] ﴿الَّذِينَ﴾ مَبْتَدَأُ ﴿يَبْخُلُونَ﴾ بِمَا تَجِبُ عَلَيْهِمْ ﴿وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾ بِهِ ﴿وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ مِنَ الْعِلْمِ وَالْمَالِ؛ وَهَم: الْيَهُودُ، وَخَيْرِ الْمَبْتَدَأِ: «لَهُمْ وَعِيدٌ شَدِيدٌ» (١) ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ﴾ بِذَلِكَ وَبِغَيْرِهِ ﴿عَذَابًا مُّهِمًا﴾ ذَا إِهَانَةٍ.

الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَأَلْصَقْتَ قَلْبَكَ بِمَا حَفِظْتَ لِلْعَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَالَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعَطُوهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُنَّ فَإِن أَطَعْتَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنْ اللَّهُ كَانَ عَلِيّاً كَبِيراً (٤) وَإِن خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَاتَّبِعُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقُ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً خَيْرًا (٥) وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنْ اللَّهُ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا (٦) الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِمًا (٧)

[٣٤] ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ﴾ مَسْلُطُونَ ﴿عَلَى النِّسَاءِ﴾ يُؤَدِّبُونَهُنَّ وَيَأْتُونَ عَلَى أَيْدِيهِنَّ ﴿بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ أَي: بِتَفْضِيلِهِ لَهُمْ عَلَيْهِنَ بِالْعِلْمِ وَالْعَقْلِ وَالْوَلَايَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ﴿وَبِمَا أَنْفَقُوا﴾ عَلَيْهِنَ ﴿وَمِنَ

(١) أشار المصنف إلى أن «ما» اسم موصول، أو نكرة موصوفة، والمائد محذوف قدره بقوله: «هن».

(٢) وقيل: حفظ الله لهن؛ أي: توفيق الله لهن. وقيل: يهتجن عن المخالفة.

(٣) اشتراط التوكيل هو مذهب الأحناف والشافعية، لانحصار مهمة الحكامين عندهم في الإصلاح، ولا يحق لهما التفريق بين الزوجين إلا بتفويض منهما، بخلاف المذهب المالكي الذي يعطي الحكامين حق الحكم بالتفريق من غير توكيل منهما.

(٤) ويحتمل أن يعود الضمير على الزوجين؛ والمعنى: إن برد الزوجان إصلاحاً؛ معاشرة بالمعروف وترك ما يسيء، تحصل الموافقة بينهما.

(٥) ويحتمل أن يعود الضمير على الحكامين؛ والمعنى: لا يحصل اختلاف بين الحكامين؛ بل تحصل الموافقة بينهما.

(٦) أي: محذوف، وهذا تقديره.

[٣٨] ﴿وَالَّذِينَ عَظَّمَ عَلَى الَّذِينَ قَبْلِهِمْ أَنْ يَقُولُوا أَمْوَالُهُمْ رِثَاةَ النَّاسِ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ كالمناقين وأهل مكة ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا كَبِيرًا﴾ صاحبنا؛ يعمل بأمره: كهؤلاء ﴿فَسَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ هو.

[٣٩] ﴿وَمَاذَا عَلِمْتُمْ لَوِ امْتَأَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَعُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ﴾ أي: أي ضرر عليهم في ذلك، والاستفهام للإنكار، ولو: مصدرية^(١)؛ أي: لا ضرر فيه، وإنما الضرر فيما هم عليه ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾ فيجازيهم بما عملوا.

[٤٠] ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظُنُّهُ أَحَدًا﴾ ﴿يُقَالُ﴾ وزن ﴿ذَرَقَ﴾ أصغر نغلة؛ بأن ينقصها من حسنته أو يزيد بها في سيئته ﴿وَإِنْ تَكُ الذَّرَّةُ﴾ حسنة ﴿مِنْ مَوْءُونَ﴾ وفي قراءة: بالرفع^(٢)؛ فلا كانه: تامة ﴿يَضَعُهَا﴾ من عشر إلى أكثر من سبعائة، وفي قراءة: ﴿يَضَعُهَا﴾ بالتشديد^(٣) ﴿وَيُؤْتِي مِنْ لَدُنْهُ﴾ من عنده مع المضاعفة ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ لا يقدره أحد.

[٤١] ﴿فَكَيْفَ﴾ حال الكفار ﴿إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ يشهد عليها بعملها؛ وهو: نبيا ﴿وَجِئْنَا بِكَ﴾ يا محمد ﴿وَعَلَىٰ هَذِهِ شَهِيدًا﴾.

[٤٢] ﴿يَوْمَ يُدْعَىٰ﴾ يوم الجيء ﴿يَوْمَ الدِّينِ﴾ كَقَرَأُوا وَعَصُوا الرَّسُولَ لَوْ ﴿أي: أن ﴿شُؤِي﴾ بالبناء للمفعول والفاعل مع حذف إحدى التاءين في الأصل، ومع إدغامها في السين^(٤)؛ أي: تنسوي ﴿بِهِمُ الْأَرْضُ﴾ بأن يكونوا ترابا مثلها؛ لعظم هولها - كما في آية أخرى ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾^(٥) - ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ عما عملوه، وفي وقت آخر يكتمونه، ويقولون: ﴿وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾^(٦).

[٤٣] ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ﴾ أي: لا تصلوا ﴿وَأَنْتُمْ شُكْرَىٰ﴾ من الشراب؛ لأن سبب نزولها صلاة جماعة في حال سكر ﴿حَتَّىٰ تَمْلَأُوا مَا نَقُولُونَ﴾ بأن تضحوا^(٧) ﴿وَلَا جُنُبًا﴾ بإبلاج أو إنزال، ونصبه على الحال، وهو يطلق على المفرد وغيره ﴿إِلَّا عَابِرِي﴾ مجتازي ﴿سَبِيلٍ﴾ طريق؛ أي: مسافرين ﴿حَتَّىٰ تَمْتَلِئُوا﴾ فلكم أن تصلوا، واستثناء المسافر؛ لأن له حكما آخر سيأتي، وقيل: المراد النهي عن قربان مواضع الصلاة؛ أي: المساجد، إلا عبورها من غير مكث ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْتَجِينَ﴾ مرضا يضره الماء ﴿أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ أي: مسافرين، وأنتم جنب أو محدثون ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ﴾ هو المكان المعد لقضاء الحاجة؛ أي: أحدث ﴿أَوْ لَمَسْتُمْ النِّسَاءَ﴾ وفي قراءة: بلا ألف^(٨)، وكلاهما بمعنى: اللبس؛ وهو: الجنس باليد، قاله ابن عمر - وعليه الشافعي - وألحق به الجنس بباقي البشرية، وعن ابن عباس؛

وَالَّذِينَ يُفْقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِثَاةَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا كَبِيرًا ﴿٣٨﴾ وَمَاذَا عَلِمْتُمْ لَوِ امْتَأَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَعُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَإِنْ تَكُ الذَّرَّةُ مِنْ مَوْءُونَ وَإِنْ تَكُ الذَّرَّةُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٩﴾ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَذِهِ شَهِيدًا ﴿٤٠﴾ يَوْمَ يُدْعَىٰ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصُوا الرَّسُولَ لَوْ تَسْوَىٰ بِهِمُ الْأَرْضَ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤١﴾ يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَمْتَلِئُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْتَجِينَ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوًا غَفُورًا ﴿٤٢﴾ الرَّتْرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْفُوا نَصِيحَاتِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الصَّلَاةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ ﴿٤٣﴾

هو: الجماع^(١) ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً﴾ تطهرون به للصلاة بعد الطلب والتفتيش، وهو راجع إلى ما عدا المرضى ﴿فَتَيَمَّمُوا﴾ أفصدوا بعد دخول الوقت ﴿صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ ترابا طاهرا، فاضربوا به ضربتين ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾ مع المؤقتين منه^(٢)، ومسح: يتعدى بنفسه^(٣) وبالحر^(٤) ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوًا غَفُورًا﴾.

[٤٤] ﴿الرَّتْرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْفُوا نَصِيحَاتِنَا﴾ حطأ ﴿مِنَ الْكِتَابِ﴾ وهم اليهود ﴿يَشْتَرُونَ الصَّلَاةَ﴾ بالهدى ﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾ تخطئوا الطريق الحق؛ لتكونوا مثلهم.

(٥) ما جاء في نزول الآية (٤٣): أخرج أبو داود عن علي بن أبي طالب أن رجلا من الأنصار دعاه وعبدالرحمن بن عوف فسقاها قبل أن تحرم الخمر، فأهمه علي في المغرب فقرا: ﴿فَلْيُكَلِّمْنَا الْمَكْتُمِينَ﴾ فخلط فيها، فنزلت: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَمْلَأُوا مَا نَقُولُونَ﴾. وأخرج أيضا: عن عمر بن الخطاب قال: لما نزل تحريم الخمر قال عمر: =

(١) أي: والكلام على تقدير حرف الجر «في» الداخل على المصدر المقدر؛ أي: وماذا عليهم في إيمانهم؟! (٢) نافع وابن كثير. (٣) لابن كثير وابن عامر. (٤) قرأها ﴿شُؤِي﴾ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم، وقرأها ﴿شُؤِي﴾ حمزة والكسائي، وقرأها ﴿شُؤِي﴾ نافع وابن عامر. (٥) سورة النبأ: آية ٤٠ - (٦) سورة الأنعام: آية ٢٣، (٧) حذرة والكسائي. (٨) وهذا هو الصحيح في تفسير الآية - إن شاء الله، ولا ينقض الوضوء مجرد لمس المرأة ولو بشهوة... لأن الأصل عدم النقص حتى يقوم دليل صحيح صريح على ذلك، ولما روت عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ «فَلْيُكَلِّمْنَا بِغَضِّ نِسَائِهِ ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ وَلَمْ يَتَوَضَّأْ»، كما أن تفسير ابن عباس عليه هو المناسب لسباق الآية كما بينته أهل العلم، وإن كانوا قد اختلفوا في صحة الحديث المذكور والذي أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي، فقد صححه ابن عبد البر كما في «البلد»، وأما ما ورد عن ابن عباس فقد قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: إن ذلك صح عنه وهو الذي دعا له النبي ﷺ أن يعلمه التأويل، وهو أولى من يؤخذ قوله في التفسير إلا أن يعارضه من هو أرجح منه. انظر: [الشرح المنع (١/٢٣٩)]. (٩) أي: من الصعيد الطيب، وهو مذهب الشافعي في الجديد، واستدل بحديث ضعيف، والراجح أن التيمم يكون بمسح الوجه واليدين إلى الكفين فقط، ويكون بضرية واحدة. (١٠) فكأن الباء زائدة. (١١) وتكون الباء لتعدية.

قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴿٤٥﴾ بَدَلٌ ﴿وَعَصَيْنَا﴾ ﴿وَأَسْمَعُ﴾ فَقَطُّ ﴿وَأَنْظُرْنَا﴾ انظر إلينا بدل ﴿رَعَيْتَا﴾ ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ مما قالوه ﴿وَأَقْوَمُ﴾ أعدل منه ﴿وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾ أبعدهم عن رحمته ﴿يَكْفُرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ منهم، كعبد الله بن سلام وأصحابه.

[٤٧] ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ أَوْفُوا الْكِتَابَ ءَأَمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا﴾ من القرآن ﴿مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ﴾ من التوراة ﴿مِن قَبْلِ أَنْ تَطْغَسَ وَجُوهَهَا﴾ منحوما فيها من العين والأنف والحاجب ﴿فَرَدَّهَا عَلَيَّ آذَابَهَا﴾ فنجعلها كالأقفاء لوجها واحدا ﴿أَوْ لَعَنَهُمْ﴾ نمسخهم قرده ﴿كَمَا لَعْنَا﴾ مسخنا ﴿أَصْحَابَ السَّبْتِ﴾ منهم ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ قضاؤه ﴿مَفْعُولًا﴾، ولما نزلت أسلم عبد الله بن سلام (١)؛ فقيل: كان وعيدا بشرط؛ فلما أسلم بعضهم رُفِعَ، وقيل: يكون طمس ومسح قبل قيام الساعة.

[٤٨] ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ أي: الإشراك ﴿بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ﴾ سوى ﴿ذَلِكَ﴾ من الذنوب ﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾ المغفرة له؛ بأن يدخله الجنة بلا عذاب، ومن شاء عذبه من المؤمنين بذنوبه ثم يدخله الجنة ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَى إِثْمًا كَبِيرًا﴾ ذنبا ﴿عَظِيمًا﴾ كبيرا.

[٤٩] ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزُكُّونَ أَنفُسَهُمْ﴾ وهم اليهود؛ حيث قالوا: ﴿عَنْ آبَائِنَا اللَّهُ وَاجْتَبَوهُ﴾ (٢) أي: ليس الأمر بتزكيتهم أنفسهم ﴿بَلِ اللَّهُ يَزُكِّيهِمْ﴾ يُطَهِّرُهُمْ ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ بالإيمان ﴿وَلَا يَطْلُمُونَ﴾ يُنْقَضُونَ من أعمالهم ﴿فَقِيلَ﴾ قَدَّرَ قشرة (٣) النواة.

[٥٠] ﴿انظُرْ﴾ مُتَعَجِّبًا ﴿كَيْفَ يَقْفَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَلْبُ﴾ بذلك ﴿وَكَفَىٰ﴾ بِهِ إِثْمًا مُبِينًا ﴿يَتَنَا﴾. ونزل في كعب بن الأشرف ونحوه من علماء اليهود لما قَدِمُوا مَكَّةَ، وشاهدوا قتلى بدر؛ وحرصوا المشركين على الأخذ بأنهم ومحاربة النبي ﷺ.

[٥١] ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْفُوا ضَيْبًا مِنَ الْكُتُبِ يُؤْمِنُونَ بِالْجَنَّةِ وَالْجَنَّةِ﴾ (٤) صنمان لقريش ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي سفيان (٥) وأصحابه؛ حين قالوا لهم: أنحن أهدى سبيلا ونحن ولادة البيت؛ نسقي الحاج ونفري الضيف، ونفك العاني، ونفعل... أم محمد؛ وقد خالف دين آباءه، وقطع الرحم، وفارق الحرم؟ ﴿هَؤُلَاءِ﴾ أي: أنتم ﴿أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ ءَأَمَنُوا سَبِيلًا﴾ أقوم طريقا.

وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ ﴿٤٥﴾ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٦﴾ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا وَيَمْحُرُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعُ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا لِيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنَا فِي الَّذِينَ وَلَّوْهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمَعُ وَأَنْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٧﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ أَوْفُوا الْكِتَابَ ءَأَمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَطْغَسَ وَجُوهَا فَرَدَّهَا عَلَيَّ آذَابَهَا أَوْ لَعَنَهُمْ كَمَا لَعْنَا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٨﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٩﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزُكُّونَ أَنفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يَزُكِّيهِمْ مِنْ يَشَاءُ وَلَا يَطْلُمُونَ قَتِيلًا ﴿٥٠﴾ انظُرْ كَيْفَ يَقْفَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَكَفَىٰ بِهِ إِثْمًا مُبِينًا ﴿٥١﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْفُوا نَصِيبًا مِنَ الْكُتُبِ يُؤْمِنُونَ بِالْجَنَّةِ وَالْجَنَّةِ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ ءَأَمَنُوا سَبِيلًا ﴿٥١﴾

[٤٥] ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ﴾ منكم؛ فيخبركم بهم لتجنبوهم ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾ حافظا لكم منهم ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾ مانعا لكم من كيدهم.

[٤٦] ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ قَوْمٌ ﴿يَمْحُرُونَ﴾ يغيرون ﴿الْكَلِمَ﴾ الذي أنزل الله في التوراة من نعت محمد ﷺ ﴿عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ التي وضع عليها ﴿وَيَقُولُونَ﴾ للنبي ﷺ إذا أمرهم بشيء: ﴿سَمِعْنَا﴾ قولك ﴿وَعَصَيْنَا﴾ أملك ﴿وَأَسْمَعُ غَيْرَ مُسْمِعٍ﴾ حال؛ بمعنى: الدعاء؛ أي: لا سمعت ﴿وَرَعَيْتَا﴾ له ﴿رَعَيْتَا﴾ وقد نهى عن خطابه بها؛ وهي كلمة سب بلغتهم ﴿لِيًّا﴾ تحريفا ﴿بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنَا﴾ قذحا ﴿فِي الَّذِينَ﴾ الإسلام ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ﴾

= اللهم بين لنا في الحمر بيانا شفاء، فنزل الآية التي في البقرة: ﴿يَتَأْتِيكَ مِنَ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا قُلُوبٌ كَثِيرَةٌ﴾ الآية. قال: فدعا عمر، فقرئت عليه. قال: اللهم بين لنا في الحمر بيانا شفاء، فنزل الآية التي في النساء: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَأَمِنُوا لَا تَقْرَأُوا الْكُتُوبَ وَأَنْتُمْ مُشْكِرِينَ﴾ فكان منادي رسول الله ﷺ إذا أقيمت الصلاة ينادي: ألا لا يقربن الصلاة سكران. فدعي عمر فقرئت عليه فقال: اللهم بين لنا في الحمر بيانا شفاء، فنزلت هذه الآية: ﴿قَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ قال عمر: انتهينا. وضححه الألباني وسبق تخريجه عند الآية (٢١٩) من سورة البقرة.

(١) لم أجد أن عبد الله بن سلام أسلم لما نزلت، وإن كان القرطبي قد ذكره في تفسيره بلا إسناد، ولكن ورد إسلام كعب الأخبار لما سمع هذه الآية فيما أخرجه ابن أبي حاتم عن أبي إدريس الخولاني، وابن جرير عن عيسى بن المغيرة وإسناده ضعيف (الدر المنثور ٣٠١/٢).

(٢) المائة : ١٨. (٣) قشرة النواة هي القظمير، وأما الفليل فهو الحيط الذي في شق النواة.

وقيل: الفليل هو ما يخرج بين إصبعيك أو كفك من الوسخ إذا فلتتها، وقيل فيه غير ذلك. انظر: (الدر المنثور ٣٠٥/٢) وغيره.

(٤) أخرجه نحوه عبد الرزاق وابن جرير عن عكرمة مرسلًا بدون ذكر قتلى بدر (الدر المنثور ٣٠٦/٢)، وأخرجه أحمد كما في تفسير القرآن العظيم (٥٢٥/١)، والطبري في جامعه (٨٥/٥)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٩٧٣/٣)، وابن حبان في صحيحه (٦٥٧٢) عن عكرمة عن ابن عباس، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح صحيح على شرط الصحيح.

(٥) وذلك قبل إسلامه ﷺ.

[٥٢] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾ مانعاً من عذابه.

[٥٣] ﴿أَمْ﴾ بل أ ﴿لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا﴾ أي ليس لهم شيء منه ولو كان ﴿فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا﴾ أي شيئاً تافهاً قدّر النقرة في ظهر النواة؛ لفرط بخلهم.

[٥٤] ﴿أَمْ﴾ بل ﴿يَحْسُدُونَ النَّاسَ﴾ أي: النبي ﷺ ﴿عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ من النبوة وكثرة النساء؛ أي: يتعنون زواله عنه، ويقولون: لو كان نبياً لاشتغل عن النساء^(١) ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ﴾ جدّه؛ كموسى^(٢) وداود وسليمان ﴿الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ والنبوة ﴿وَرَأَيْنَهُمْ مُتْكِفِينَ﴾ فكان لداود تسع وتسعون امرأة، ولسليمان ألف؛ ما بين حرة وسُرْبِيَّة^(٣).

[٥٥] ﴿فِيهِمْ مَن مَّاتَ مِنْهُمْ بِمِحْمَدٍ﴾ بمحمد ﷺ ﴿وَمِنْهُمْ مَن صَدَّقَ﴾ أغرض عنه ﴿فلم يؤمن﴾ وكفى بجهنم سعيراً ﴿عذاباً لمن لا يؤمن﴾.

[٥٦] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّبُهُمْ﴾ ندخلهم ﴿نَارًا﴾ يحترقون فيها ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ﴾ احترقت ﴿جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ بأن تعاد إلى حالها الأول، غير محترقة ﴿يَلِدُونَ الْعَذَابَ﴾ ليقاسوا شدته ﴿إِنَّكَ اللَّهُ كَانْ عَزِيزًا﴾ لا يعجزه شيء ﴿حَكِيمًا﴾ في خلقه.

[٥٧] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَمْ يَكُنْ فِيهَا آزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ من الحيض وكل قدر ﴿وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ دائماً لا تتسخه شمس؛ هو: ظل الجنة.

[٥٨] ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ﴾ أي: ما أوتمن عليه من الحقوق ﴿إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ نزلت لما أخذ علي ﷺ مفتاح الكعبة من عثمان بن طلحة الحنفي سادنها قسراً، لما قدّم النبي ﷺ مكة عام الفتح ومنعه؛ وقال: لو علمت أنه رسول الله لم أتمعه. فأمر رسول الله ﷺ برده إليه؛ وقال: «هاك خالدةً تالدة»^(٤)، فعجب من ذلك؛ فقرأ له عليّ الآية؛ فأسلم، وأعطاه عند موته لأخيه شيبه فبقي في ولده والآية. وإن وردت على سبب خاص - فعمومها مُغْتَبَرٌ بقرينة الجمع ﴿وَرِثَ إِذْ حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ﴾ يأمركم ﴿أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ إِنَّ اللَّهَ يُبَيِّنُ لَكُمْ آيَاتِهِ فِيهِ إِدْغَامٌ مِمَّ «نِغْمٌ» في «ما» النكرة الموصوفة؛ أي: نعم شيئاً ﴿يُبَيِّنُكُمْ لَكُمْ آيَاتِهِ تَأْدِيبَةً أَمَانَةً وَالْحُكْمَ بِالْعَدْلِ﴾ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا ﴿يَصِيرًا﴾ بما يُفْعَلُ.

[٥٩] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ﴾

أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾
 أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾
 فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَعَنَّهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾
 إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّبُهُمْ نَارًا كَمَا فَضَحَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَمْ يَكُنْ فِيهَا آزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾

﴿الْأَمْرِ﴾ أي: الولاية ﴿مِنْكُمْ﴾ إذا أمرتكم بطاعة الله ورسوله^(١) ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ﴾ اختلفتم ﴿فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ﴾ أي: إلى كتابه ﴿وَالرَّسُولِ﴾ مُدَّة حياته، وبعده إلى شئبه؛ أي: اكشفوا عليه منهما ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ ذلك ﴿لَكُمْ﴾ الرد إليهما ﴿خَيْرٌ﴾ لكم من التنازع والقول بالرأي ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ مآلاً.

(٥) ما جاء في نزول الآية (٥٩): أخرجه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ قال: نزلت في عبدالله بن عبد الله بن عدي إذ بعث النبي ﷺ في سرية البخاري. كتاب التفسير (٦٥) سورة النساء (٤) باب (١١). وأخرجه أيضاً عن عليّ ﷺ قال: بعث النبي ﷺ سرية فاستعمل رجلاً من الأنصار وأمرهم أن يطيعوه. ففضب، فقال: أليس أمركم النبي ﷺ أن تطيعوني؟ قالوا: بلى. قال: فاجمعوا لي حطبا. فجمعوا. فقال: أوقدوا نارا، فأوقدوا. فقال: ادخلوها. فهجروا، وجعل بعضهم يسلك بعضها ويقولون: فرنا إلى النبي ﷺ من النار. فمارالوا حتى حمدت النار فسكن غضبه. فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: وار دخلوها ما خرجوا منها إلى يوم القيامة إما الطاعة في المعروف البخاري. كتاب المغازي (٦٤) باب (٥٩).

(١) والظاهر أن المراد بالناس هنا: الرسول والمؤمنون، والفضل: النبوة والكتاب والعز والنصر والتكمين، حسدتهم اليهود على ذلك، كما اختاره طائفة من المفسرين؛ كالفاسمي والسعدي، ولا وجه ظاهر لإحجام ذكر النساء، كما لا نقل صحيح. والله أعلم. (٢) أي: جد النبي ﷺ والمراد الجد الأعلى، وآل إبراهيم ذريته، ومنهم موسى وداود وسليمان. (٣) المعنى: فقد جمعنا لأسلافكم من ذرية إبراهيم بين الملك والنبوة، فلأني شيء تخصون محمداً ﷺ والحسد دون غيره من أئمة الله عليه. وأما تخصيص المفسر الملك العظيم بتعدد الزوجات فبني نظر، والصواب الإطلاق. والله أعلم. (٤) ذكره الواحدي في أسباب النزول بدون ذكر جملة (هاك...)، وأخرجه الطبراني عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «خذوها يا بني طلحة خالدة تالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم»، يعني حجابة الكعبة [الدر المنثور (٣١٢/٢)]. وإسنادها ضعيف كما في الاستيعاب (٤١٤/١)، وأخرجه ابن إسحاق بسند صحيح في السيرة (٤١١/٢)، ونقله ابن كثير في تفسيره (٥٢٨/١) عن صفية بنت شيبه: أن رسول الله ﷺ لما نزل بمكة واطمأن الناس، خرج حتى جاء البيت؛ فطاف به سبعا على راحته... فلما فرغ من طوافه؛ دعا عثمان بن أبي طلحة فأخذ منه مفتاح الكعبة؛ ففتحت له فدخلها.. ثم جلس رسول الله ﷺ في المسجد فقام إليه علي بن أبي طالب ومفتاح الكعبة في يده، فقال يا رسول الله، اجمع لنا الحجابة مع السقاية؛ فقال رسول الله ﷺ: «أين عثمان بن أبي طلحة؟» فدعي له، فقال: «هاك مفتاحك يا عثمان؛ اليوم يوم وفاء وبره».

وَمَا أَنْزَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ بُرُودًا أَنْ يَتَّكِمُوا إِلَى الظُّلُمَاتِ ﴿٦١﴾ الكثير الطعنان؛ وهو: كعب بن الأشرف ﴿وَقَدْ أَمَرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾ ولا يوالوه ﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ عن الحق.

[٦١] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ مِنَ الْحُكْمِ وَإِلَى الرَّسُولِ﴾ ليحكم بينهم ﴿رَأَيْتَ الْمُتَنَفِقِينَ يَصُدُّونَ﴾ يغرصون ﴿عَنْكَ﴾ إلى غيرك ﴿صُدُّوْا﴾.

[٦٢] ﴿فَكَيْفَ﴾ يصنعون ﴿إِذَا أَصَبْتَهُمْ مُصِيبَةٌ﴾ عقوبة ﴿بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ من الكفر والمعاصي؛ أي: أيقنوا على الإعراض والفرار منها؛ لا ﴿ثُمَّ جَاءَهُمْ﴾ معطوف على: ﴿يَصُدُّونَ﴾ ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ﴾ ما ﴿أَرَدْنَا﴾ بالحاكمة إلى غيرك ﴿إِلَّا إِحْسَانًا﴾ صلحا ﴿وَتَوَفِّيْنَا﴾ تأليفاً بين الخصمين؛ بالتقريب في الحكم دون الحمل على مُر الحن.

[٦٣] ﴿أَوَلَيْكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ من النفاق وكذبهم في عذرهم ﴿فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ﴾ بالصفح ﴿وَعَظَّمَهُمْ﴾ عَظَّمَهُمُ اللَّهُ ﴿وَقُلْ لَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ شأن ﴿أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ مؤثرا فيهم؛ أي: ازجرهم ليرجعوا عن كفرهم.

[٦٤] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ﴾ فيما يأمر به ويحكم ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بأمره؛ لا ليُعصَى ويُخَالَفَ ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾ بتحاكمهم إلى الطاغوت ﴿جَاءَهُمْ﴾ تائبين ﴿فَأَسْتَغْفَرُوا اللَّهَ﴾ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ﴾ فيه التفات عن الخطأ؛ تضحيمًا لشأنه ﴿لَوْجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا﴾ عليهم ﴿رَجِيمًا﴾ بهم.

[٦٥] ﴿فَلَا وَرَبِّكَ﴾ (١) لا: زائدة (٢) ﴿لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكُمْ﴾ فيما شَجَرَ﴾ اختلط ﴿بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا﴾ ضيقًا أو شكًا ﴿وَمَا قَضَيْتُمْ بِهِ﴾ ﴿وَيُسَلِّمُوا﴾ ينفادوا للحكمك ﴿سَلِيمًا﴾ من غير مغارضة (٣).

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ بُرُودًا أَنْ يَتَّكِمُوا إِلَى الظُّلُمَاتِ وَقَدْ أَمَرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦١﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُتَنَفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُّوْا ﴿٦٢﴾ فَكَيْفَ إِذَا أَصَبْتَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ ثُمَّ جَاءَهُمْ وَكَيْ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٣﴾ أَوَلَيْكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَعَظَّمَهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴿٦٤﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءَهُمْ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿٦٥﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكُمْ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتُمْ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾

[٦٠] ونزل لما اختصم يهودي ومنافق؛ فدعا المنافق إلى كعب بن الأشرف ليحكم بينهما، ودعا اليهودي إلى النبي ﷺ فأثابه فقبض لليهودي؛ فلم يرضَ المنافق، وأثا عزمه؛ فذكر اليهودي ذلك، فقال للمنافق: أكذاك؟ قال: نعم؛ فقتله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ﴾

(٥) ما جاء في نزول الآية (٦٥): أخرجه البخاري عن عروة قال: حاصم الزبير رجلاً من الأنصار في شريح من الحرة، فقال النبي ﷺ: «اسق يا زبير، ثم أرسل الماء إلى جارك» فقال الأنصاري: يا رسول الله، أن كان ابن عمك؟ فظن وجهه، ثم قال: «اسق يا زبير ثم أحبس الماء حتى يرجع إلى الجذر ثم أرسل الماء إلى جارك». واستوعى النبي ﷺ للزبير حقه في صريح الحكم حين أحفظه الأنصاري. وكان أشار عليهما بأمر لهما فيه سعة. قال الزبير: فما أحسب هذه الآيات إلا نزلت في ذلك ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكُمْ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾. كتاب التفسير (١٢) سورة النساء (٤) باب (١٢).

(١) أخرجه التلمبي عن ابن عباس [الدر المنثور (٢/٣٢٠)]: وقال المحافظ في الفتح (٣٨/٥): «وهذا الإسناد وإن كان ضعيفاً؛ لكن تقوى بطريق مجاهد، ولا يضره الاختلاف لإمكان التعدد». وتُعَبُّ بأن في إسنادها الكلبي وأبا صالح وهما كذابان. (الاستيعاب ١/٤٢٤)، وأخرج الطبراني في الكبير (١١/٢٩٥/٤٥٠/١٢) وابن أبي حاتم في تفسيره بسند صحيح عن ابن عباس قال: «كان أبو بردة الأسلمي كاهنًا يقضي بين اليهود فيما يتنافرون؛ ففتنوا إليه أناس من أسلم؛ فأنزل الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ...﴾».

(٢) قال القرطبي: قال مجاهد وغيره: المراد بهذه الآية من تقدم ذكره عن أراد التحاكم إلى الطاغوت، وفيهم نزلت،... وقالت طائفة: نزلت في الزبير مع الأنصاري، وكانت الخصومة في سقي بستان... وذكر القصة.

(٣) وهو اختيار الرمخشري، وقال الطبري: قوله: ﴿فَلَا﴾ رد على ما تقدم ذكره، تقديره: فليس الأمر كما يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك. ثم استأنف القسم بقوله: ﴿وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

[٦٦] ﴿وَلَوْ أَنَا كُنْتُمْ عَلَيْهِمُ أَنْ مُسْرَةً﴾ (١) ﴿أَفْتَلَوْا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أَخْرَجُوا مِنْ دِينِكُمْ﴾ كما كتبنا على بني إسرائيل ﴿مَا فَعَلُوهُ﴾ أي: المكتوب عليهم ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ بالرفع: على البدل، والنصب: على الاستثناء (٢) ﴿بَيْنَهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ﴾ من طاعة الرسول ﷺ ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَكُمْ وَأَشَدَّ تَبِيحًا﴾ تحقيقاً لإيمانهم.

[٦٧] ﴿وَإِذَا﴾ أي: لو تبتلوا ﴿لَأَتَيْنَهُمْ مِنَ لَدُنَّا﴾ من عندنا ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ هو: الجنة [٦٨] ﴿وَلَهَدَيْنَهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾.

[٦٩] قال بعض الصحابة للنبي ﷺ: كيف نراك في الجنة وأنت في الدرجات العلى ونحن أسفل منك؟ فنزل: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ (٣) ﴿فَمَا أَمْرٌ بِهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ﴾ أفاضل أصحاب الأنبياء؛ لمباغتهم في الصدق والتصديق ﴿وَالشَّاهِدَاءَ﴾ القتلى في سبيل الله ﴿وَالصَّالِحِينَ﴾ غير من ذكر ﴿وَحَسَنَ أَوْلَئِكَ رَفِيقًا﴾ رفقاء في الجنة؛ بأن يستمتع فيها برؤيتهم وزيارتهم والحضور معهم - وإن كان مقرهم في الدرجات العالية بالنسبة إلى غيرهم..

[٧٠] ﴿ذَلِكَ﴾ أي: كونهم مع من ذكر، مبتدأ خبره: ﴿الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ﴾ تفضل به عليهم، لا أنهم نالوه بطاعتهم ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ عِلْمًا﴾ بنبأ الآخرة؛ أي: ففوقوا بما أخبركم به ﴿وَلَا يَبْتَئِثُكَ مِثْلُ خَيْرٍ﴾ (٤).

[٧١] ﴿يَأْتِيَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ﴾ من عدوكم؛ أي: احترزوا منه وتيقظوا له ﴿فَأَنْفِرُوا﴾ انفضوا إلى قتاله ﴿تَبَاتٌ﴾ متفرقين؛ سرية بعد أخرى ﴿أَوْ أَنْفِرُوا جَمِيعًا﴾ مجتمعين.

[٧٢] ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ﴾ لَيُبَطِّئَنَّ عن القتال؛ كعبد الله بن أبي المنافع وأصحابه، وجعلهم منهم من حيث الظاهر (٥)، واللام في الفعل: للقسمة ﴿فَإِنْ أَصَبْتُمْ مِصْبِيَّةً﴾ كقتل وهزيمة ﴿فَقَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَوْ أَنَّهُمْ مَعَهُمْ شَهِيدًا﴾ حاضرًا فأصاب.

[٧٣] ﴿وَلَيْنَ﴾ لام قسم ﴿أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ﴾ كفتح وغنيمة ﴿لَيَقُولَنَّ﴾ نأدينا ﴿كَأَنَّ﴾ مُخَفَّفَةٌ، واسمها: محذوف؛ أي: كأنه ﴿لَمْ يَكُنْ﴾ بالياء والتاء (٦) ﴿بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ﴾ معرفة وضدافة، وهذا راجع إلى قوله: ﴿قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ﴾ واعتراض به بين القول ومقوله؛ وهو: ﴿يَا لَتَبْتَنِي﴾ لَتَبْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُورٌ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ أخذ خطأ وأفوا من الغنيمة.

وَلَوْ أَنَا كُنْتُمْ عَلَيْهِمْ أَنْ أَفْتَلَوْا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أَخْرَجُوا مِنْ دِينِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلًا وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَكُمْ وَأَشَدَّ تَبِيحًا وَإِذَا لَأَتَيْنَهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا وَلَهَدَيْنَهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشَّاهِدَاءَ وَالصَّالِحِينَ وَحَسَنَ أَوْلَئِكَ رَفِيقًا ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عِلْمًا يَأْتِيَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ فَانْفِرُوا أَوْ أَنْفِرُوا جَمِيعًا وَإِنْ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَبْتُمْ مِصْبِيَّةً قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَوْ أَنَّهُمْ مَعَهُمْ شَهِيدًا وَلَيْنَ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَلَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُورٌ فَوْزًا عَظِيمًا فَلْيَقْتُلِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقْتَلِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا

[٧٤] قال تعالى: ﴿فَلْيَقْتُلِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ لإعلاء دينه ﴿الَّذِينَ يَشْرُونَ﴾ يبيعون ﴿الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾ وَمَنْ يُقْتَلِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ يُسْتَشْهَدُ أَوْ يَغْلِبُ يُظْفَرُ بِغَدْوِهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ثوابًا جزيلاً.

(١) أي: بمعنى: أي، وضابطها أن يتقدمها جملة فيها معنى القول دون حروفه.

(٢) أي: ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾، وهي قراءة ابن عامر.

(٣) أخرج نحوه إساندا حسن بمجموع طرقه الطبراني في الصغير (٢٦/١)، والأوسط (١٥٢/١)، ١٥٣ (رقم ٤٧٧) من حديث عائشة. قال الحافظ ابن حجر في «العجاب» (٩١٤/٢): «رجال مؤثقون». وأخرج ابن شعبة في مصنفه (٥٠١/١١) رقم ١١٨٢٣، والطبري في جامعه (١٠٤/٥) عن مسروق مرسلاً، ويشهد له رواية الطبراني عن عائشة.

(٤) سورة فاطر: آية ١٤.

(٥) مفردها: تبة؛ وهي: الجماعة من الرجال فوق العشرة إلى المائة.

(٦) أي: إنه ليس منهم في حقيقة الأمر، بل هو عدو لهم.

(٧) بالياء قراءة السبعة عدا حفص وابن كثير.

دعاهم؛ فَيَسَّرَ لِعِضْهِمُ الْخُرُوجَ، وبقي بعضهم إلى أن فَيَحْتَ مَكَّةَ، وَوَلَّى ﷺ عتاب بن أسيد^(١)؛ فأُصِفَ مَظْلُومِهِمْ مِنْ ظَالِمِهِمْ.

[٧٦] ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقْبَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقْبَلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ﴾ الشيطان ﴿فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ﴾ أنصار دينه؛ تغلبوهم؛ لقرنكم بالله ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ﴾ بالمؤمنين ﴿كَانَ ضَعِيفًا﴾ واهيًا؛ لا يقاوم كَيْدَ اللَّهِ بِالْكَافِرِينَ.

[٧٧] ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ﴾ عن قتال الكفار - لما طلبوه بمكة؛ لأذى الكفار لهم - وهم؛ جماعة من الصحابة ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ﴾ فُرِضَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فُيئِتُّ مِنْهُمْ يَجْشُونَ﴾ يخافون ﴿النَّاسَ﴾ الكفار؛ أي: عذابهم بالقتل ﴿كَخَشِيتُمْ﴾ بهم عَذَابَ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ حَشِيَّةً﴾ من خشيتهم له، ونَضَبْتُ ﴿أَشَدَّ﴾ على الحال، وجواب ﴿لَمَّا﴾ دل عليه ﴿إِذَا﴾ وما بعدها؛ أي: فأجابهم الخشية ﴿وَقَالُوا﴾ جَزَعًا مِنْ الْمَوْتِ: ﴿رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا﴾ فلا ﴿أَخْرَجْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ﴾ لهم: ﴿مَنْعَ الدُّنْيَا﴾ ما يَمْتَنِعُ به فيها، أو الاستمتاع بها ﴿قِيلَ﴾ أَيْلَ إِلَى الْفَنَاءِ ﴿وَالْآخِرَةُ﴾ أي: الجنة ﴿خَيْرٌ لِمَنْ أَتَى﴾ عتاب الله، ترك معصيته ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ بالثناء والباء^(٢): ﴿تُنْقَضُونَ﴾ من أعمالكم ﴿قِيلَ﴾ قدر قشرة النواة^(٣)؛ فجاهدوا^(٤).

[٧٨] ﴿أَنِنَّمَا تَكُونُوا يَدْرِكُكُمْ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ﴾ محضون ﴿مُسَيَّرَةً﴾ مُؤْتَفَعَةً؛ فلا تخشوا القتال خوفاً الموت ﴿وإن نُصِبْتُمْ﴾ أي: اليهود ﴿حَسَنَةً﴾ خَضَّتْ وَسِعَةً ﴿يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِن نُّصِبْتُمْ سَيِّئَةً﴾ جَذَبَتْ وَتَلَاثًا؛ كما حصل لهم عند قدوم النبي ﷺ المدينة ﴿يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ﴾ يا محمد؛ أي: بشؤمك ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿كُلٌّ﴾ من الحسنة والسيفة ﴿مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ من قِبَلِهِ ﴿فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ﴾ أي: لا يقاربون أن يفهموا ﴿حَدِيثًا﴾ يُلْقَى إِلَيْهِمْ، و«ما»: استفهام تعجب من فرط جهلهم، ونفي مقارنة الفعل أشد من نفيه.

[٧٩] ﴿مَّا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ﴾ أيها الإنسان ﴿وَمِنْ حَسَنَةٍ﴾ خير ﴿فَإِنَّ اللَّهَ﴾ أتتك فَضْلًا مِنْهُ ﴿وَمَّا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ﴾ تَلِيَّةٌ ﴿فَإِنَّ نَفْسِكَ﴾ أتتك؛ حيث ارتكبت ما يستوجبها من الذنوب ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ﴾ يا محمد ﴿لِلنَّاسِ رَسُولًا﴾ حالٌ مُؤَكَّدَةٌ ﴿وَكُنْ بِاللَّهِ تَهَيِّدًا﴾ على رسالتك.

وَمَا لِكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ الَّذِينَ آمَنُوا يُقْبَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقْبَلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فُيئِتُّ مِنْهُمْ يَجْشُونَ النَّاسَ كَخَشِيَةِ اللَّهِ وَأَشَدَّ حَشِيَّةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخْرَجْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمْ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ وَإِن نُّصِبْتُمْ حَسَنَةً يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِن نُّصِبْتُمْ سَيِّئَةً يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكُنْ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾

[٧٥] ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ﴾ استفهام توبيخ؛ أي: لا مانع لكم من القتال ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ في تخليص ﴿الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾ الذين خبستهم الكفار عن الهجرة وأذوهم - قال ابن عباس عليهما السلام: كنت أنا وأمي منهم - ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ داعين؛ يا ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ﴾ مَكَّةَ ﴿الظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾ بالكفر ﴿وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ﴾ من عندك ﴿وَلِيًّا﴾ يتولى أمورنا ﴿وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾ يمنعنا منهم، وقد استجاب الله

(٥) ما جاء في نزول الآية (٧٧): أخرج النسائي عن ابن عباس أن عبد الرحمن بن عوف وأصحاباً له أتوا النبي ﷺ بمكة؛ فقالوا: يا رسول الله، إنا كنا في عُرٍّ ونحن مشركون؛ فلما أتنا سرنا أدلة. فقال: «إني أمرت بالعمو، فلا تقالوا». فلما حولنا الله إلى المدينة أمرنا بالقتال مكفوك، فأنزل الله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾. أخرجه النسائي - كتاب الجهاد (٢٥) باب (١) وجوب الجهاد. وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (٢٨٩١).

(١) استخلاف الرسول عليه الصلاة والسلام لعتاب بن أسيد على مكة المذكور في المغازي للواقدي وفي سيرة ابن هشام وحسنه الألباني في [فقه السيرة (ص ٤٠٠)] [وجعل عتاب بن أسيد أميراً على مكة].

(٢) بالياء قراءة حمزة والكسائي وابن كثير.

(٣) تقدم قريباً عند الآية (٤٩)، أن الغنيل هو الذي في شق النواة طولاً، وليس هو قشر النواة.

[٨٠] ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ اطَّاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى﴾ أَعْرَضَ عَنْ طَاعَتِكَ فَلَا يَهْتَمُّكَ ﴿فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ حَافِظًا لِأَعْمَالِهِمْ بَلْ نَذِيرًا، وَالنِّبَا أَمْرُهُمْ؛ فَنَجَازِيهِمْ، وَهَذَا قَبْلَ الْأَمْرِ بِالْقِتَالِ.

[٨١] ﴿وَيَقُولُونَ﴾ أَي: الْمُنَافِقُونَ. إِذَا جِئَاكَ - : أَمْرُنَا ﴿طَاعَةَ﴾ لَكَ ﴿فَإِذَا بَرَّرُوا﴾ خَرَجُوا ﴿مِنْ عِنْدِكَ بِتَّ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ﴾ بِإِدْغَامِ التَّاءِ فِي الطَّاءِ وَتَرَكَهُ (١)؛ أَي: أَضْمَرَتْ ﴿غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ﴾ لَكَ فِي حَضْرِكَ مِنَ الطَّاعَةِ؛ أَي: عَصِيَانِكَ ﴿وَاللَّهُ يَكْتُبُ﴾ بِأَمْرِ يَكْتُبُ (٢) ﴿مَا يَبْتَغُونَ﴾ فِي صَحَافَتِهِمْ؛ لِجَازَاوِ عَلَيْهِ ﴿فَاعْرَضَ عَنْهُمْ﴾ بِالصَّفْحِ ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ يُقَى بِهِ؛ فَإِنَّهُ كَافِيكَ ﴿وَتَكُنْ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ مُفَوَّضًا إِلَيْهِ.

[٨٢] ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ﴾ بِتَأْمُلِهِمْ ﴿الْقُرْآنَ﴾ وَمَا فِيهِ مِنَ الْمَعَانِي الْبَدِيْعَةِ ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ تَنَاقُضًا فِي مَعَانِيهِ وَتَبَايُحًا فِي نَظْمِهِ.

[٨٣] ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ﴾ عَنِ سِرَابِ النَّبِيِّ ﷺ بِمَا حَصَلَ لَهُمْ ﴿وَمِنْ أَلَمِينَ﴾ بِالنَّصْرِ ﴿أَوْ الْخَوْفِ﴾ بِالْهَزِيمَةِ ﴿أَدْعُوا بِهِ﴾ أَفْشُوهُ، نَزَلَ فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الْمُنَافِقِينَ، أَوْ فِي ضِعْفَاءِ الْمُؤْمِنِينَ كَانُوا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ فَتَضَعُفُ قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ وَيَتَأَذَى النَّبِيُّ ﷺ (٣) ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ﴾ أَي: الْخَبْرَ ﴿إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ﴾ أَي: ذَوِي الرَّأْيِ مِنْ أَكْبَارِ الصَّحَابَةِ؛ أَي: لَوْ سَكَنُوا عَنْهُ حَتَّى يُخْبِرُوا بِهِ ﴿لَعَلِمَهُ﴾ هَلْ هُوَ مِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يَبْذَعَ أَوْ لَا ﴿الَّذِينَ يَسْتَنْطِطُونَ﴾ يَتَّبِعُونَهُ وَيَطْلُبُونَ عِلْمَهُ؛ وَهُمْ: الْمَذْبُوعُونَ ﴿وَمِنْهُمْ﴾ مِنَ الرَّسُولِ وَأُولَى الْأَمْرِ ﴿وَلَوْ لَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ بِالْإِسْلَامِ ﴿وَرَحْمَتُهُ﴾ لَكُمْ؛ بِالْقُرْآنِ ﴿لَا تَبْعُتُمُ الشَّيْطَانَ﴾ فِيمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ مِنَ الْفَوَاحِشِ ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾.

[٨٤] ﴿فَقَاتِلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تَكْفُلْ إِلَّا نَفْسَكَ﴾ فَلَا تَهْتَمُ بِتَخْلُفِهِمْ عَنْكَ، الْمَعْنَى: قَاتِلْ - وَلَوْ وَحْدَكَ - فَإِنَّكَ مَوْعُودٌ بِالنَّصْرِ ﴿وَحَرِيصٌ الْمُؤْمِنِينَ﴾ حُتْمُهُمْ عَلَى الْقِتَالِ، وَرَغْبَتُهُمْ فِيهِ ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكْفِكَ بِأَسْ﴾ حَرْبَ ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بِأَسًا﴾ مِنْهُمْ ﴿وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا﴾ تَعْدِيًّا مِنْهُمْ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ؛ لَأُخْرِجَنَّ لَوْ وَخَيْدِي﴾ (٤) فَخَرَجَ بِسَبْعِينَ (٥) رَاكِبًا إِلَى بَدْرِ الصُّغْرَى؛ فَكَفَّ اللَّهُ بِأَسِ الْكُفَّارِ؛ بِإِلْقَاءِ الرَّعْبِ فِي قُلُوبِهِمْ، وَمَنْعِ أَيِّ سَفِيَانٍ عَنِ الْخُرُوجِ - كَمَا تَقَدَّمَ فِي آلِ عِمْرَانَ ..

[٨٥] ﴿مَنْ يَشْفَعْ﴾ بَيْنَ النَّاسِ ﴿شَفَعَةً حَسَنَةً﴾ مُوَافِقَةً لِلشَّرْعِ ﴿يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ﴾ مِنَ الْأَجْرِ ﴿مِنْهَا﴾ بِسَبَبِهَا ﴿وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً سَيِّئَةً﴾ مُخَالَفَةً لَهُ ﴿يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ﴾ نَصِيبٌ مِنَ الْوِزْرِ ﴿مِنْهَا﴾ بِسَبَبِهَا ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾

مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ اطَّاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى ﴿فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ وَيَقُولُونَ طَاعَةَ فَإِذَا بَرَّرُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيْتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبْتَغُونَ فَاَعْرَضَ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنْ الْأَمْرِ أَوْ الْخَوْفِ أَدْعُوا بِهِهُ وَاتَّوَكَّلُوا عَلَى الرَّسُولِ وَإِلَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْطِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتَهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تَكْفُلْ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِيصٌ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكْفِكَ بِأَسِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بِأَسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا﴾ مَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿يَأْحَسِنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾

شَيْءٍ مُقَيَّبًا مُفْتَدِرًا؛ فَيَجَازِي كُلَّ أَحَدٍ بِمَا عَمِلَ.

[٨٦] ﴿وَإِذَا حُيِّبْتُمْ يَنْجِئْكُمْ﴾ كَأَنَّ قِيلَ لَكُمْ: سَلَامَةٌ عَلَيْكُمْ ﴿فَحَيُّوهُمُ﴾ الْحَيُّيَّ بِأَحْسَنِ مِنْهَا ﴿بَأَنَّ تَقُولُوا لَهُ: عَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ﴾ أَوْ رُدُّوهُمَا ﴿بَأَنَّ تَقُولُوا لَهُ كَمَا قَالَ: أَي: الْوَأَجِبْ أَحَدَهُمَا، وَالْأَوَّلُ أَفْضَلُ﴾ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿مُحَابِبًا؛ فَيَجَازِي عَلَيْهِ، وَمِنْهُ رَدُّ السَّلَامِ، وَحَصَتْ السَّنَةُ الْكَافِرَ وَالْمُبْتَدِعَ وَالْفَاسِقَ وَالْمُتَمَلِّمَ عَلَى قَاضِي الْحَاجَةِ وَمَنْ فِي الْحَمَامِ وَالْأَكْلِ؛ فَلَا يَجِبُ الرُّدُّ عَلَيْهِمْ؛ بَلْ يُكْرَهُ لَيْتَ غَيْرِ الْأَجْبِرِ؛ وَيُقَالُ لِلْكَافِرِ: «وَعَلَيْكَ».

(١) بالإدغام. لحمزة وأبي عمرو.

(٢) وصفة الكتابة ثابتة لله - سبحانه - على الوجه اللائق به، كما هو ظاهر هذه الآية، والتي قبلها، وغير ذلك من الآيات. وفي الحديث: «مَا خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ كَتَبَ بِيَدِهِ عَلَى نَفْسِهِ: أَنْ رَعَيْتِي غَابَتْ غَضْبِي». وفي حديث احتجاج آدم وموسى: «قَالَ آدَمُ: يَا مُوسَى اضْطَفَاكَ اللَّهُ بِكَلَامِي وَخَطَّ لَكَ الثُّورَةَ بِيَدِهِ [متفق عليهما].»

(٣) أخرج نحوه ابن جرير عن ابن زيد [الدر المنثور (٢/٢٣٤)].

(٤) ذكره البهري عن مجاهد وعكرمة (١٣٧/٢)، ورواه البيهقي في دلائل النبوة.

(٥) قال الواقدي وغيره من أهل السير: الصحيح أنه خرج في ألف وخمسمائة في السنة الرابعة للهجرة.

[٨٨] ولما رجع ناس من أحد اختلف الناس فيهم؛ فقال فريق: اقتلهم، وقال فريق: لا، فنزل: ﴿فَمَا لَكُمْ﴾ ما شأنكم صرتم ﴿فِي الْكٰفِرِيْنَ﴾ في الكافرين ﴿فَتَتَّبِعِن﴾ فتتبعن ﴿وَاللّٰهُ اَرْكَسُهُمْ﴾ ردّهم ﴿يَمَّا كَسَبُوْا﴾ من الكفر والمعاصي ﴿اَتُرِيْدُوْنَ اَنْ تَهْتَدُوْا مِّنْ اَضَلِّ اُمَّةٍ﴾ أي: تعدّوهم من جملة المهتدين، والاستهتام في الموضعين للإنكار ﴿وَمَنْ يُضِلِلْهُ﴾ الله فلن نجد له سبيلاً ﴿طريقاً إلى الهدى﴾.

[٨٩] ﴿رُدُّوْا﴾ تمّوا ﴿اَوْ تَكْفُرُوْنَ كَمَا كَفَرُوْا فَتَكُوْنُوْنَ اَنْتُمْ وَهَمَّ سَوَءٌ﴾ في الكفر ﴿فَلَا تَنْجِدُوْا مِنْهُمْ اَوْلِيَاءَهُ﴾ توالوهم - وإن أظهروا الإيمان - ﴿حَتّٰى يَهٰجِرُوْا فِي سَبِيْلِ اللّٰهِ﴾ هجرة صحيحة تحقّق إيمانهم ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ وأقاموا على ما هم عليه ﴿فَعَذُوْبُهُمْ﴾ بالأسر ﴿وَأَقْتُلُوْهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوْهُمْ وَلَا تَنْجِدُوْا مِنْهُمْ وَيٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ﴾ ﴿وَلَا تُصَيِّرُوْا﴾ تنتصرون به على عدوكم.

[٩٠] ﴿إِلَّا الَّذِيْنَ يَصِلُوْنَ﴾ بلجئون ﴿إِلَىٰ قَوْمٍ يَبِيْنُكُمْ وَيَبِيْنَهُمْ مِّثْقَالُ عَسْفَرٍ﴾ بالآمان لهم ولمن وصل إليهم؛ كما عاهد النبي ﷺ هلال بن عوير الأسلمي^(١) ﴿أَوْ﴾ الذين ﴿جَاءَكُمْ﴾ وقد ﴿حَصَرْتُمْ﴾ ضاقت ﴿صُدُوْرُهُمْ﴾ عن ﴿أَنْ يُقَاتِلُوْكُمْ﴾ مع قومهم ﴿أَوْ يُقَاتِلُوْا قَوْمَهُمْ﴾ معكم؛ أي: تمسكين عن قتالكم وقتالهم؛ فلا تعرضوا إليهم بأخذ ولا قتل - وهذا وما بعده منسوخ بآية السيف - ﴿وَلَوْ شَاءَ اللّٰهُ﴾ تسليطهم عليكم ﴿لَسَلَطَهُمْ عَلَيْكُمْ﴾ بأن يعوي قلوبهم ﴿فَلَقَاتِلُوْهُمْ﴾ ولكنه لم يشأ؛ فآلقى في قلوبهم الرعب ﴿فَإِنْ اعْتَرَفْتُمْ﴾ فتمّ يقتلواكم ﴿وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ الصَّلْحَ﴾ أي: اتقادوا ﴿فَمَا جَمَلٌ لَّكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيْلًا﴾ طريقاً بالأخذ والقتل.

[٩١] ﴿سَتَجِدُوْنَ اٰخَرِيْنَ يُرِيْدُوْنَ اَنْ يَّامِنُوْكُمْ﴾ يظهرون الإيمان عندكم ﴿وَيَأْمِنُوْا قَوْمَهُمْ﴾ بالكفر إذا رجعوا إليهم؛ وهم: أسد وغطفان ﴿كُلُّ مَا رُدُّوْا إِلَى الْاٰفَنَةِ﴾ دعا إلى الشرك ﴿أَرْكَسُوْا فِيْهَا﴾ وقعوا أشدّ وقوع ﴿فَإِنْ لَّمْ يَعْزِلُوْكُمْ﴾ يترك قتالكم ﴿وَوَلَّوْا﴾ لم ﴿يَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلْمَ﴾ لم يكتفوا أيديهم عنكم ﴿فَعَذُوْبُهُمْ﴾ بالأسر ﴿وَأَقْتُلُوْهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوْهُمْ﴾ وجدتموهم ﴿وَأُوْلٰئِكَ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطٰنًا مِّمَّنَّا﴾ برهاناً بيّناً ظاهرهما على قتلهم وسيبهم؛ لغدرهم.

اللّٰهُ لَا إِلٰهَ اِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيْهِ وَمَنْ اٰصَدَقُ مِنَ اللّٰهِ حَدِيْثًا ﴿٨٧﴾ ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنٰفِقِيْنَ فِتْنٰتِيْنَ وَاللّٰهُ اَرْكَسُهُمْ يَمَّا كَسَبُوْا اَتُرِيْدُوْنَ اَنْ تَهْتَدُوْا مِّنْ اَضَلَّ اللّٰهُ وَمَنْ يُّضِلِلْهُ فَلَنْ يَّجِدَ لَهُ سَبِيْلًا ﴿٨٨﴾ وَوَلَوْ تَكَفَّرُوْنَ كَمَا كَفَرُوْا فَتَكُوْنُوْنَ سَوَءٌ فَلَا تَتَّخِذُوْا مِنْهُمْ اَوْلِيَاءَ حَتّٰى يَهٰجِرُوْا فِي سَبِيْلِ اللّٰهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَعَذُوْبُهُمْ وَاَقْتُلُوْهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوْهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوْا مِنْهُمْ وَيٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ اِلَّا الَّذِيْنَ يَصِلُوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ يَبِيْنُكُمْ وَيَبِيْنَهُمْ مِّثْقَالُ اَوْجَانٍ وَكَمْ حَصِرْتُمْ صُدُوْرُهُمْ اَنْ يُقَاتِلُوْكُمْ اَوْ يُقَاتِلُوْا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللّٰهُ لَسَلَطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَاقَتُلُوْكُمْ فَاِنْ اعْتَرَفْتُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوْكُمْ وَالْقَوٰى اِلَيْكُمْ اَلَسَمَءُ فَمَا جَعَلَ اللّٰهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيْلًا ﴿٩٠﴾ سَتَجِدُوْنَ اٰخَرِيْنَ يُرِيْدُوْنَ اَنْ يَّامِنُوْكُمْ وَيَأْمِنُوْا قَوْمَهُمْ كُلُّ مَا رُدُّوْا إِلَى الْفِتْنَةِ اَرْكَسُوْا فِيْهَا فَاِنْ لَّمْ يَعْزِلُوْكُمْ وَيَلْقَوْا اِلَيْكُمْ اَلَسَمَءُ وَيَكْفُرُوْا اَيْدِيَهُمْ فَعَذُوْبُهُمْ وَاَقْتُلُوْهُمْ حَيْثُ تَقْتُلُوْهُمْ وَاُوْلٰئِكَ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطٰنًا مِّمَّنَّا ﴿٩١﴾

[٨٧] ﴿اللّٰهُ لَا إِلٰهَ اِلَّا هُوَ﴾ والله^(١) ﴿لِيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ من قبوركم ﴿إِلَى﴾ في ﴿يَوْمِ الْقِيٰمَةِ لَا رَيْبَ﴾ لا شك ﴿فِيْهِ وَمَنْ﴾ أي: لا أحد ﴿اٰصَدَقُ مِنَ اللّٰهِ حَدِيْثًا﴾ قولاً.

(٥) ما جاء في نزول الآية (٨٨): أخرج البخاري عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: لما خرج النبي ﷺ إلى أحد رجع ناس من أصحابه، فقالت فرقة: تقتلهم، وقالت فرقة: لا تقتلهم، فنزلت: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْكٰفِرِيْنَ﴾.

(١) أشار بذلك إلى أن اللام في قوله: ﴿لِيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ موطقة لقسم محذوف.

(٢) روى ابن أبي حاتم عن طريق مجاهد أنها نزلت في هلال بن عوير الأسلمي وكان بينه وبين المسلمين عهد، وقصدته ناس من قومه ففكره أن يقاتل المسلمين وكره أن يقاتل قومه [ضع الباري (١٠٤/٨)].

[٩٢] ﴿وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا أَنْ يَقْتُلُوا الْمُؤْمِنِينَ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ أي: ما ينبغي أن يصدر منه قتل له ﴿إِلَّا خَطَاً﴾ مخطئاً في قتله من غير قصد ﴿وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَاً﴾ بأن قصد رمي غيره؛ كصيد أو شجرة، فأصابه أو ضربه بما لا يقتل غالباً^(١) ﴿فَتَحْرِيْرٌ﴾ عتق ﴿رَقَبَةٍ﴾ نسمة ﴿مُؤْمِنَةٍ﴾ عليه ﴿وَوَدِيَّةٌ مُسَلَّمَةٌ﴾ مودة ﴿إِلَّا أَهْلِيْهِ﴾ أي: ورثة المقتول ﴿إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا﴾ يصدقوا عليه بها؛ بأن يعفوا عنها. وبينت السنة أنها مائة من الإبل؛ عشرون^(٢) بنت مخاض، وكذا بنت لبون وبنو لبون، وحقاق وجذاع، وأنها على عاقلة القتال^(٣)؛ وهم: عصبته في الأصل والفرع، موزعة عليهم على ثلاث سنين؛ على الغني منهم نصف دينار، والمتوسط ربع كل سنة^(٤)؛ فإن لم يفوا فمِن بيت المال؛ فإن تعذر فعلى الجاني ﴿فَإِنْ كَانُوا الْمُقْتُولِ﴾ المقتول ﴿مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ﴾ حرب ﴿لَكُمْ﴾ وهو مؤمن ﴿فَتَحْرِيْرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ على قتاله كفارة، ولا دية تسلم إلى أهله؛ لخراجتهم ﴿وَلِنْ كَانُوا الْمُقْتُولِ﴾ المقتول ﴿مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ﴾ عهد؛ كأهل الذمة ﴿فَدِيَّةٌ﴾ له ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾ إليه ﴿أَهْلِيْهِ﴾ وهي ثلث دية المؤمن إن كان يهودياً أو نصرانياً^(٥)، وثلثا عشراً إن كان مجوسياً^(٦) ﴿وَتَحْرِيْرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ على قتاله ﴿فَإِنْ لَمْ يَجِدْ﴾ الرقية؛ بأن فقدها وما يخلصها به ﴿فَصِيَامٌ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾ عليه كفارة، ولم يذكر الله - تعالى - الانتقال إلى الطعام كالظهار، وبه أخذ الشافعي في أصح قوليه^(٧) ﴿تَوْبَةٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ مصدرٌ منصوبٌ بفعله المقدر ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيْمًا﴾ بخلقه ﴿حَكِيْمًا﴾ فيما دبره لهم.

[٩٣] ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّعْتَدِياً﴾ بأن يقصد قتله بما يقتل غالباً بإيمانه ﴿فَجَزَاءُ جَهَنَّمَ خَلِيدًا فِيهَا وَعُضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعْنَتْهُ﴾ أبعده من رحمته ﴿وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيْمًا﴾ في النار، وهذا مؤول من يستحله، أو بأن هذا جزاؤه إن جوزي، ولا بدع في خلف الوعيد لقوله: ﴿وَيُعَذِّبُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾^(٨)، وعن ابن عباس: أنها على ظاهرها وأنها ناسخة لغيرها من آيات المغفرة. ويثبت آية البقرة: أن قاتل العمد يقتل به، وأن عليه الدية إن عُفي عنه - وسبق قدرها^(٩)، ويثبت السنة أن بين العتد والخطأ قتلاً يسمى شبه العمد^(١٠) وهو: أن يقتله بما لا يقتل غالباً؛ فلا قصاص فيه، بل دية كالعمد في الصفة^(١١) والخطأ في التأجيل والحمل^(١٢)، وهو العمد أولى بالكفارة من الخطأ^(١٣).

[٩٤] ونزل - لما مرَّ نَفَرٌ من الصحابة يربجل من بني سليم وهو يسوق غنماً، فسلم عليهم، فقالوا: ما سلم علينا إلا تقيّة، فقتلوه واستاقوا غنمه^(١٤): ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا بَرَأْتُمُوهَا سَافِرَتُمْ لِلْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَقَاتِلَ فِيهَا﴾ وفي قراءة^(١٥): ﴿فَتَقَاتِلُوا فِيهَا﴾ في الموضوعين^(١٦) ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ آتَى إِلَيْكُمْ مِنَ الْكُفْرِ بَأْسٌ﴾ أو دونها^(١٧)؛ أي: التحية أو الانقياد بكلمة الشهادة التي هي أمانة على الإسلام

(٥) ما جاء في نزول الآية (٩٤): أخرج البخاري ومسلم عن ابن عباس: كان رجل في غنيمه فله حلقه المسلمون، فقال: السلام عليكم، فقتلوه وأخذوا غنيمته، فأمر الله في ذلك إلى قوله: =

﴿وَمَا كَانَ لِلْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَقْتُلُوا الْمُؤْمِنَةً إِلَّا خَطَاً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَاً فَتَحْرِيْرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَوَدِيَّةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِيْهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانُوا مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُمْ مُؤْمِنُونَ فَتَحْرِيْرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ فَدِيَّةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِيْهِ وَتَحْرِيْرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيْمًا حَكِيْمًا﴾ ﴿١٣﴾ ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّعْتَدِياً فَجَزَاءُ وَهُوَ جَهَنَّمُ خَلِيدًا فِيهَا وَعُضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعْنَتْهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيْمًا﴾ ﴿١٤﴾ ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا بَرَأْتُمُوهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَقَاتِلُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ آتَى إِلَيْكُمْ مِنَ الْكُفْرِ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَابِرُ كَثِيْرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِّن قَبْلُ فَمَنْ لَّهِ عَلَيْكُمْ فَتَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ ﴿١٥﴾

﴿لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ وإنما قلت هذا تقيه لنفسك ومالك، فقتلوه ﴿تَبْتَغُونَ﴾ تطلبون لذلك ﴿عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ متاعها من الغنيمه ﴿فَعِنْدَ اللَّهِ مَكَانٌ كَرِيْمٌ﴾ تغنيكم عن قتل مثله ماله ﴿كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِّن قَبْلُ﴾ تُغضم دماؤكم وأمواكم بمجرد قولكم الشهادة ﴿فَمَنْ لَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بالاشتهار بالإيمان والاستقامة ﴿فَتَقَاتِلُوا﴾ أن تقتلوا مؤمناً، وافعلوا بالداخل في الإسلام كما فعل بكم ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيْرًا﴾ ﴿١٥﴾

(١) وهذا الأخير هو قتل شبه العمد، والذي يقول به جمهور الفقهاء، والمشهور عن مالك أنه لا في الإين مع آية، والصحيح قول الجمهور باعتبارها. قال الشافعي: شبه العمد ما كان عمدًا في الضرب خطأ في القتل، والخطأ ما كان خطأً فيها جميعاً، والعمد ما كان عمدًا فيها جميعاً. (بداية المجتهد ٢/ ٣٩٧). (٢) أخرجه أحمد (٤٠٧٦)، وأبو داود (٣٣٩٩)، والترمذي (١٣٠٧)، والنسائي (٤٧٢٠) عن ابن مسعود، وضعفه الألباني (صحيح وضعيف الجامع ٤٠١٢)، السلسلة الضعيفة (٤٠٢٠، ٢٦٢١)، وابن ماجه وابن المنذر [الدر المنثور ٦٢/ ٣٤٦٢]، لكن حسن الألباني أحاديث أخر ورد فيها تفصيل المدة: ثلاثون بنت مخاض وثلثون بنت لبون وثلثون حقة وعشرة بني لبون (صحيح وضعيف الجامع ٦٤٤٣)، وكذلك حسن الألباني أحاديث فيها ذكر المائة بدون تفصيل في الإرواء (٢٢٠٤) و«بنت المخاض»: هي أنثى الإبل التي أتمت السنة الأولى. و«اللبنون»: التي أتمت الثانية. و«الحقنة»: التي أتمت الثالثة. و«الجمدة»: التي أتمت الرابعة. (٣) أخرجه البخاري (٦٧٧٣)، ومسلم (١٦٨٢) من حديث أبي هريرة. (٤) ذكره البيهقي عن عمر وعلي رضي الله عنهما، ورواه ابن أبي شيبة من طريق إبراهيم التيمي عن عمر، وكذا رواه عبد الرزاق من طريقه عن عمر (تحفة الأوحدي، شرح الحديث رقم ١٣٠٧)، وضعفه الألباني في الإرواء (٢٣٠٨). (٥) لم أجده في السنة صريحاً. (٦) هذا مذهب الشافعي، وأما عند مالك فهو على النصف من الحر المسلم؛ كآثي الحر المسلم. وكذلك قول أحمد إلا أنه ضعف الدية على المسلم إذا قتل ذنباً أو مستأنساً عمدًا، وأما عند الحنفية فديته كدية المسلم، والراجح قول الإمام مالك للحديث الوارد في ذلك. (٧) وهذا باتفاق بين مالك والشافعي، وأثابته على الصفة منه. (٨) سورة النساء: آية ٤٨. (٩) الصفة المساقفة. (١٠) أخرجه النسائي (٤٧٠٩)، وأبو داود (٣٩٤١)، وابن ماجه (٢٦١٧)، وأحمد (٦٧٩١)، والدارمي (٢٢٧٧) عن عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعاً، وصححه الألباني في الإرواء (٢١٩٧). (١١) أي: كونها من ثلاثة أنواع. (١٢) أي: كون العاقلة تحملها. (١٣) وهذا واضح في شبه العمد؛ لأنه يجري مجرى الخطأ في نفي القصاص، وحمل العاقلة دية، وتأجيلها في ثلاث سنين، فجرى مجراها في وجوب الكفارة، وهذا مذهب الحنفية والشافعية والحنابلة، أما في العمد فالأقرب عدم وجوب الكفارة كما هو ظاهر هذه الآيات، وهو قول الإمام مالك والحنفية والمشهور من مذهب الحنابلة، وأرجحها الشافعي بأن حاجته إلى تكفير ذنبه أعظم. (١٤) رواه البخاري (٤٥٩١) ومسلم (٣٠٢٥) وغيرهما. (١٥) الحزمة والكسائي. (١٦) هنا، وقوله فيما يأتي: ﴿فَمَنْ لَّهِ عَلَيْكُمْ فَتَقَاتِلُوا﴾، ويحتمل أنه يقصد ما هنا بشقيه، وآية الحجرات ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا بَرَأْتُمُوهَا سَافِرَتُمْ لِلْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَقَاتِلُوا فِيهَا﴾، وهذا كذلك. (١٧) بدلونها قراءة نافع وحزمة وابن عامر.

لضرر **﴿درجته﴾** فضيلة لاستوائهما في النية وزيادة المجاهدين بالباشرة **﴿وَكَلَّا﴾** من الفريقين **﴿وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَ﴾** الجنة **﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْفَاعِلِينَ﴾** لغير ضرر **﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾** ويبدل منه ^(٢) ^(٥).

[٩٦] **﴿وَرَجَّحْتُ بَيْنَهُ﴾** منازل بعضها فوق بعض من الكرامة **﴿وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً﴾** منصوبان بفعلهما المقدر ^(٦) **﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾** لأوليائه **﴿رَجِيمًا﴾** بأهل طاعته.

[٩٧] ونزل في جماعة أسلموا ولم يهاجروا فقتلوا يوم بدر مع الكفار **﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمْ الْمَلَائِكَةَ ظَالِمِينَ أَلْفُسِيهِمْ﴾** بالمقام مع الكفار وترك الهجرة **﴿قَالُوا﴾** لهم موبخين: **﴿وَيْدَمُ كُنْتُمْ﴾** أي: في أي شيء كنتم في أمر دينكم **﴿قَالُوا﴾** معترضين: **﴿كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ﴾** عاجزين عن إقامة الدين **﴿فِي الْأَرْضِ﴾** أرض مكة **﴿قَالُوا﴾** لهم توبيخًا: **﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجَرُوا﴾** فيها **﴿مِنْ أَرْضِ الْكُفْرَى﴾** بلد آخر كما فعل غيركم، قال الله تعالى: **﴿قَالُوا لَيْتَكُمَا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾** هي ^(٧).

[٩٨] **﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوَالِدِينَ﴾** الذين لا يستطيعون جيلة لا قوة لهم على الهجرة ولا نفقة **﴿وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾** طريقًا إلى أرض الهجرة.

[٩٩] **﴿قَالُوا لَيْتَكُمَا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَفْعُو عَنْهُمْ﴾** وكات **﴿اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾**.

[١٠٠] **﴿وَمَنْ يَهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرْتَضًا﴾** مهاجرًا **﴿كَبِيرًا وَسَعَةً﴾** في الرزق **﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مِنْهُاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْوَأْتُ﴾** في الطريق؛ كما وقع لجندع بن صرمرة الليثي ^(٨) **﴿فَقَدَّ وَقَع﴾** ثبت **﴿أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾** وكان **﴿اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾**.

[١٠١] **﴿وَلِيَا صَبْرَتِكُمْ﴾** سافرت **﴿فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾** في أن تقصروا **﴿وَمِنَ الصَّلَاةِ﴾** بأن تردوها من أربع إلىنتين **﴿إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ﴾** أي: ينالككم بمكروه **﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾** بيان للواقع إذ ذاك ^(٩)؛ فلا مفهوم له، وبينت السنة أن المراد بالسفر: الطويل؛ وهو: أربع برد؛ وهي مرحلتان، ويؤخذ من قوله: **﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾** أنه رخصة لا واجب، وعليه الشافعي ^(١٠) **﴿إِنَّ الْكُفْرَانَ كَانُوا كُفْرًا عَدُوًّا مُبِينًا﴾**.

لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَلَا وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ۖ دَرَجَاتٍ مِمَّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۖ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۝٩٦ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمْ الْمَلَائِكَةَ ظَالِمِينَ أَلْفُسِيهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجَرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ۝٩٧ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوَالِدِينَ لَا يَسْتَطِيعُونَ جِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ۝٩٨ قَالُوا لَيْتَكُمَا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَفْعُو عَنْهُمْ ۖ وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا غَفُورًا ۝٩٩ وَمَنْ يَهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرْعًا كَبِيرًا وَسَعَةً ۖ وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مِنْهُاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَع أَجْرُهُ وَعَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۝١٠٠ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ۖ إِنَّ الْكُفْرَانَ كَانُوا كُفْرًا عَدُوًّا مُبِينًا ۝١٠١

[٩٥] **﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾** عن الجهاد **﴿غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾** بالرفع صفة، والنصب ^(١) استثناء؛ من زمانة أو عمى ونحوه **﴿وَالْمُجَاهِدُونَ﴾** في سبيل الله **﴿بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾** فضل الله **﴿الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ﴾**

= **﴿عَرَضَ الْحَبَشِيُّ الْأَذْيَا﴾**: تلك الغنمة. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة النساء (٤) باب (١٧)، ومسلم - كتاب التفسير (٥٤) رقم (٣٠٢٥). وفي رواية لأحمد عن ابن عباس (٢٢٩/١): «مر رجل من بني سليم بنفر من أصحاب رسول الله ﷺ وهو يسوق غنما له، فسلم عليهم، فقالوا: ما سلم علينا إلا ليتعود منا. فعدلوا إليه فقتلوه، وأتوا بغنم النبي ﷺ فنزلت هذه الآية...».

(٥) ما جاء في نزول الآية (٩٥): أخرج البخاري عن زيد بن ثابت أن رسول الله ﷺ أملى عليه **﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾** **﴿وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾** فجاء ابن أم مكتوم وهو يلها علي قال: يا رسول الله، والله لو أستطيع الجهاد لجاهدت - وكان أعمى - فأنزل الله على رسول الله ﷺ **﴿فخذته على فخذي، فنقلت علي حتى نفت أن ترض فخذي ثم شوي عنه، فأنزل الله: ﴿غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾﴾**. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة النساء (٤) باب (١٨).

(٥٥) ما جاء في نزول الآية (٩٧): أخرج البخاري عن محمد بن عبد الرحمن أبو الأسود قال: قطع على أهل المدينة بعث فاكتبت فيه، فقلت عكرمة مولى ابن عباس فأخبرته، فنهاه عن ذلك أشد النهي، ثم قال: أخبرني ابن عباس أن ناشا من المسلمين كانوا مع المشركين يكترون سواد المشركين على رسول الله ﷺ يأتي السهم يرمي به فيصيب أحدهم فيقتله، أو يضرب فيقتل، فأنزل الله: **﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمْ الْمَلَائِكَةَ ظَالِمِينَ أَلْفُسِيهِمْ﴾** الآية. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة النساء (٤) باب (١٩).

(٢) أي: يبدل **﴿وَرَجَّحْتُ﴾** بدلًا من **﴿أَجْرًا﴾** وهو بدل كل من كل مين لكسمة التفضيل.

(١) بالنصب قراءة نافع والكسائي وابن عامر.

(٣) أي: غفر لهم مغفرة، ورحمهم رحمة.

(٤) ذكره الطبري مرسلًا عن قتادة في جامع البيان (١٥١/٥)، وكان شيخًا مريضًا كثيرًا، فلما سمع الآية قال: والله ما أتأ من استثنى الله؛ فإني لأجد حيلة ولي من المال ما يلغني وأهد منها، والله لا أبيت بمكة، أخرجوني. فخرجوا به على سرير حتى أتوا به التثنية فأدرکه الموت... وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٥٠/٣) وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٩٥٣/٢، ٩٥٤) بسند حسن عن الزبير بن العوام قال: هاجر خالد بن حزام إلى أرض الحبشة؛ فنهشته حية في الطريق؛ فمات فنزلت فيه: **﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مِنْهُاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْوَأْتُ فَقَدْ وَقَع أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾** الآية.

(٥) أي: قوله: **﴿إِنْ خِفْتُمْ﴾** الآية، إلخ.

(٦) وعليه أيضًا جمهور أهل العلم خلافاً للحنفية القائلين بوجوبه على المسافر.

وَإِذْ أَكُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلَتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ مَعَكَ وَلِيَأْخُذُوا آسَلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَائِكُمْ وَلِتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسَلِحَتَهُمْ وَذَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ إِذَى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرَضًا أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرًا إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾

فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقُعودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾

فرماه طعمة بها، وحلف أنه ما سرقها، فسأل قومه النبي ﷺ أن يجادل عنه ويرثه، فنزل: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ (١٠٢) القرآن ﴿بِالْحَقِّ﴾ متعلق به أنزل ﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ﴾ أعلمك ﴿اللَّهُ﴾ فيه ﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ﴾ كطعمة ﴿خَصِيمًا﴾ محاصمًا عنه.

[١٠٢] ﴿وَلِذَٰكَ كُنْتُ﴾ يا محمد حاضرًا ﴿فِيهِمْ﴾ وأنتم تخافون العدو ﴿فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ﴾ وهذا جرى على عادة القرآن في الخطاب، فلا مفهوم له ﴿فَلَتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ مَعَكَ﴾ وتأخر طائفة ﴿وَلِيَأْخُذُوا﴾ أي: الطائفة التي قامت معك ﴿أَسْلِحَتَهُمْ﴾ معهم ﴿فَإِذَا سَجَدُوا﴾ أي: صلوا ﴿فَلْيَكُونُوا﴾ أي: الطائفة الأخرى ﴿مِن وَرَائِكُمْ﴾ يحرسون إلى أن تقضوا الصلاة، وتذهب هذه الطائفة تحرس ﴿وَلِتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلِيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ معهم إلى أن تقضوا الصلاة، وقد فعل النبي ﷺ كذلك بطن نخل. [رواه الشيخان] (١) ﴿وَذَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ﴾ إذا قمتم إلى الصلاة ﴿عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً﴾ بأن يحملوا عليكم؛ فيأخذوكم، وهذا علة الأمر بأخذ السلاح ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ إِذَى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرَضًا أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ﴾ فلا تحملوها، وهذا يفيد إيجاب حملها عند عدم العذر، وهو أحد قولين للشافعي، والثاني: أنه سنة، ورجح ﴿وُخُذُوا حِذْرًا﴾ من العدو؛ أي: احترزوا منه ما استطعتم ﴿إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ ذا إهانة (٢).

[١٠٣] ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ﴾ فرغتم منها ﴿فَادْكُرُوا اللَّهَ﴾ بالهليل والتسبيح ﴿قِيَمًا وَقُعودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ مضطجعين؛ أي: في كل حال ﴿فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ﴾ أمنتم ﴿فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ أدوها بحقوقها ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾ مكتوبًا؛ أي: مفروضًا ﴿مَوْقُوتًا﴾ أي: مقدرا وقتها؛ فلا تؤخر عنه.

[١٠٤] ﴿وَأَنْزَلَ﴾ لما بعث ﷺ طائفة (١) في طلب أبي سفيان وأصحابه، لما رجعوا من أحد فشكوا الجراحات :: ﴿وَلَا تَهِنُوا﴾ تضعفوا ﴿فِي ابْتِغَاءِ﴾ طلب ﴿الْقَوْمِ﴾ الكفار لقتالهم ﴿إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ﴾ تجدون ألم الجراح ﴿فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ﴾ أي: مثلكم، ولا يجيبون (٢) على قتالكم ﴿وَتَرْجُونَ﴾ أنتم ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ من النصر والثواب عليه ﴿مَا لَا يَرْجُونَ﴾ هم، فأنتم تزيدون عليهم بذلك؛ فينبغي أن تكونوا أرغب منهم فيه ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾ بكل شيء ﴿حَكِيمًا﴾ (٣) في صنعه.

[١٠٥] وسرق طعمة بن أبيرق درعًا وخبأها عند يهودي، فوجدت عنده،

(٥) ما جاء في نزول الآية (١٠٢): أخرج أحمد عن مجاهد عن أبي عياش الزرقني قال: كنا مع رسول الله ﷺ بعسفان فاستقبلنا المشركون عليهم خالد بن الوليد، وهم بيننا وبين القبلة. فصلى بنا رسول الله ﷺ الظهر، فقالوا: قد كانوا على حال لو أصبنا غرتهم. ثم قالوا: تأتي عليهم الآن صلاة هي أحب إليهم من أبياتهم وأنفسهم قال: فنزل جبريل ﷺ بهذه الآيات بين الظهر والعصر: ﴿وَلِذَٰكَ كُنْتُ فِيهِمْ فَأَقَمْتُ لَهُمُ الصَّلَاةَ﴾ قال: فحضرت، فأمرهم رسول الله ﷺ فأخذوا السلاح. قال: نصفقتنا خلفه صفيين... إلخ. أحمد - المسند (٤/٥٩٠ - ٦٠) وأخرجه أبو داود دون التصريح بلفظ الآية، وفيه نزلت آية القصر. كتاب الصلاة (٢) باب (٢٨١) صلاة الخوف. وصحیح سنن أبي داود (١٠٩٦).

(١) البخاري (٤١٣٧)، ومسلم (٨٤٠) من حديث جابر بن عبد الله. (٢) وهم جميع من حضر أحدًا من المؤمنين الناجين، وكانوا ستمائة وثلاثين.

(٣) في «حاشية الصاوي»: «يجنبوا»، وقال في «الشرح»: المناسب فيجبون بالنون إلا أن يقال: حذفت تخفيفًا.

(٤) ذكره البغوي في تفسيره (٢٨٢/٢).

(٥) أخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن قتادة نحوه [الدر الثور (٢/٣٨٤)]]، ورواه الكلبي عن ابن عباس كما في تفسير البغوي (٢٨٢/٢)، ورواه الطبري برقم (١٠٤١٤) عن ابن زيد أيضًا (١٨٤/٩).

لأن وبال خيانتهم عليهم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّاتًا﴾ كثير الخيانة ﴿أَيْسًا﴾ أي: بعاقبه^(١).

[١٠٨] ﴿يَسْتَخْفُونَ﴾ أي: طعمة وقومه حياءً ﴿مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ﴾ بعلمه ﴿إِذْ يَبْتَئِنُونَ﴾ يضمرون ﴿مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ﴾ من عزمهم على الحلف على نفي السرقة ورمي اليهودي بها ﴿وَكَانَ اللَّهُ يَمَّا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ علماً.

[١٠٩] ﴿هَاتَيْنِمْ﴾ يا ﴿هُؤُلَاءِ﴾ خطاب لقوم طعمة ﴿جَدَلْتُمْ﴾ خاصتم ﴿عَنْهُمْ﴾ أي: عن طعمة وذويه، وقرئ: ﴿عَنْهُ﴾^(٢) ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ فمن يُجدل الله عنهم يؤدِّ أَلَيْسَ لَهُمْ إِذَا عَذِبَهُمْ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكَيْلًا﴾ يتولى أمرهم، ويدب عنهم؛ أي: لا أحد يفعل ذلك^(٣).

[١١٠] ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا﴾ ذنبا يسوء به غيره؛ كرمي طعمة اليهودي ﴿أَوْ يظَلِّمْ نَفْسَهُ﴾ يعمل ذنبا قاصرا^(٤) عليه ﴿ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ﴾ منه؛ أي: يثبُّ ﴿يَجِدِ اللَّهُ عَفْوَا﴾ له ﴿رَحِيمًا﴾ به.

[١١١] ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا﴾ ذنبا ﴿فَلْيَمَّا يَكْسِبُهُ عَلَيَّ نَفْسِهِ﴾ لأن وئالها عليها ولا يضُرُّ غيره ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ في صنعه.

[١١٢] ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً﴾ ذنبا صغيرا ﴿أَوْ إِثْمًا﴾ ذنبا كبيرا ﴿ثُمَّ يَرَوْهُ بَرِيًّا﴾ منه ﴿فَقَدْ أَحْتَمَلَ﴾ تحمل ﴿ثِيئَتَنَا﴾ برميهِ ﴿وَإِنَّمَا تُنِيبًا﴾ نبيئا بكسبه.

[١١٣] ﴿وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿وَرَحْمَتُهُ﴾^(٥) بالعصمة ﴿لَهَمَّتْ﴾ أضمرت ﴿طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾ من قوم طعمة ﴿أَنْ يُضِلُّوكَ﴾ عن القضاء بالحق بتبليسهم عليك ﴿وَمَا يُضِلُّوكَ إِلَّا أَنفُسُهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾^(٦) وغيره ﴿عَظِيمًا﴾.

وَأَسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجِدِلْ عَنِ الَّذِينَ يَحْتَابُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّاتًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبْتَئِنُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَاتَيْنِمْ هَؤُلَاءِ جَدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلِ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِسْمَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكَيْلًا ﴿١٠٩﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظَلِّمْ نَفْسَهُ وَثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ عَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ وَعَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾ وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيًّا فَقَدْ أَحْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّوكَ إِلَّا أَنفُسُهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾

[١٠٦] ﴿وَأَسْتَغْفِرِ اللَّهَ﴾ ما هممت به ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

[١٠٧] ﴿وَلَا تُجِدِلْ عَنِ الَّذِينَ يَحْتَابُونَ أَنفُسَهُمْ﴾ يخونونها بالمعاصي؛

(١) وهذا تأويل من المصنف يَكْتَلِبُهُ لصفة عدم المحبة من الله بلازمها، ومذهب السلف إثبات هذه الصفات وغيرها على ما يليق بجلال الله ﷻ.

(٢) وهي قراءة شاذة.

(٣) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي.

(٤) في حاشية الصاوي: «يعمل ذنب قاصره».

(٥) وفيها إثبات صفة الرحمة لله - سبحانه.

[١١٤] ﴿لَا حَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ﴾ أي: الناس؛ أي: ما يتناجون فيه ويتحدثون ﴿إِلَّا﴾ نجوى ﴿مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ﴾ عمل ﴿أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿أَتَيْكَ﴾ طلب ﴿مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ لا غيره من أمور الدنيا ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ﴾ بالنون والياء^(١)؛ أي: الله ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

[١١٥] ﴿وَمَن يُشَاقِقِ﴾ يخالف ﴿الرَّسُولَ﴾ فيما جاء به من الحق ﴿وَمِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَىٰ﴾ ظهر له الحق بالمعجزات ﴿وَيَتَّبِعْ﴾ طريقاً ﴿غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: طريقهم الذي هم عليه من الدين؛ بأن يكفر ﴿تَوَلَّى﴾ ما تَوَلَّى فَعَمَلَهُ وَالْيَا لَمَّا تَوَلَاهُ مِنَ الضَّلَالِ؛ بأن نخلي بينه وبينه في الدنيا ﴿وَتَضَلَّوْا﴾ ندخله في الآخرة ﴿جَهَنَّمَ﴾ فيحترق فيها ﴿وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ مرجعاً هي.

[١١٦] ﴿إِنِ اللَّهُ لَا يَغْفِرَ لِمَن يَشْرِكْ بِهِ﴾ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ عن الحق^(٢).

[١١٧] ﴿إِن﴾ ما ﴿يَدْعُونَ﴾ يعبد المشركون ﴿مِن دُونِهِ﴾ أي: الله؛ أي: غيره ﴿إِلَّا إِنْ شَاءَ أَصْنَانًا مَّوْتَنَةً﴾ كاللات والعزى ومناة ﴿وَإِن﴾ ما ﴿يَدْعُونَ﴾ يعبدون بعبادتها ﴿إِلَّا سَطَنًا مَّرِيدًا﴾ خارجاً عن الطاعة لطاعتهم له فيها؛ وهو: إبليس.

[١١٨] ﴿لَعَنَهُ اللَّهُ﴾ أبعده عن رحمته ﴿وَقَالَ﴾ أي: الشيطان ﴿لَأَتَّخِذَنَّ﴾ لأجعل لي ﴿مِن عِبَادِكَ ضَلِيلًا﴾ حَقًّا ﴿مَقْرُوضًا﴾ مقطوعاً أدعوه إلى طاعتي.

[١١٩] ﴿وَلَا ضَلَّيْنَهُمْ﴾ عن الحق بالسوسة ﴿وَلَا مَبِينَتَهُمْ﴾ التي في قلوبهم طول الحياة، وأن لا تغت ولا حساب ﴿وَلَا مَرْهَمَهُمْ﴾ لِيَبْتَكِنَ يَقْطَعَنَّ عَادَاتِ الْأَنْعَامِ﴾ وقد فعل ذلك بالبخائر^(٣) ﴿وَلَا مَرْهَمَهُمْ فَلَيَغْتِرَّك خَلْقَ اللَّهِ﴾ دينه^(٤) بالكفر، وإحلال ما حرم الله وتحريم ما أحل ﴿وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا﴾ يتولاه ويطبعه ﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ يَبْتَئ مَصِيرَهُ إِلَى النَّارِ الْمُؤَبَّدَةِ عَلَيْهِ.

[١٢٠] ﴿يَعِدُّهُمْ﴾ طول العمر ﴿وَيُؤَمِّنُهُمْ﴾ نيل الآمال في الدنيا، وأن

﴿لَا حَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ أَتْبَعَهُ مَرْضَاتُ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ أَجْرًا وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ إِنِ اللَّهُ لَا يَغْفِرُ لِمَن يَشْرِكْ بِهِ وَبِغَيْرِ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ إِنِ اللَّهُ لَا يَغْفِرُ لِمَن يَشْرِكْ بِهِ وَإِن تَدْعُونَ إِلَّا لِيُتَّخِذَنَّ مَرْيَدًا ﴿١١٧﴾ لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَا ضَلَّيْنَهُمْ وَلَا مَبِينَتَهُمْ وَلَا مَرْهَمَهُمْ فَلَيَغْتِرَّك خَلْقَ اللَّهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُّهُمْ وَيُؤَمِّنُهُمْ مَّا أُوتِيكَ وَأُولَٰئِكَ مَا أُنزِلَتْ مِنْهُم مَّوَدَّةٌ وَلَا يُجَادُونَ عَنْهَا مَجِيصًا ﴿١٢٠﴾

لا تغت ولا جزاء ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ﴾ بذلك ﴿إِلَّا غُرُورًا﴾ باطلاً. [١٢١] ﴿أُولَٰئِكَ مَا أُنزِلَتْ مِنْهُم مَّوَدَّةٌ وَلَا يُجَادُونَ عَنْهَا مَجِيصًا﴾ معدلاً.

(٥) ما جاء في نزول الآيات: (١٠٥ - ١١٦): أخرج الترمذي عن قتادة بن العمان قال: كان أهل بيت مئاً يقال لهم بنو أريق بشر، وبشير، ومبشر، وكان بشير رجلاً منافقاً يقول الشعر يهجو به أصحاب رسول الله ﷺ ثم ينحله بعض العرب ثم يقول: قال فلان كذا وكذا، قال فلان كذا وكذا، فإذا سمع أصحاب رسول الله ﷺ ذلك الشعر قالوا: والله ما يقول هذا الشعر إلا هذا الحديث أو كما قال الرجل، وقالوا ابن الأريق قالها ... فقدمت صافطة من الشام فابتاع عمي رفاعه بن زيد حملاً من الدرملك فجعله في مشربة له، وفي المشربة سلاح ودرع وسيف، فعدي عليه من تحت البيت فنقبت المشربة، وأخذ الطعام والسلاح، فلما أصبح أتاني عمي رفاعه، فقال: يا ابن أخي إنه قد عدي علينا في ليلتنا هذه فنقبت مشربتنا فذهب بطعامنا وسلاحنا. قال: فنحسنا في الدار وسألنا فقيل لنا: قد رأينا بني أريق استوقدوا في هذه الليلة ولا نرى فيما نرى إلا على بعض طعامكم. قال: وكان بنو أريق قالوا: ونحن نسأل في الدار. والله ما نرى صاحبكم إلا ليبد من سهل - رجل منا له صلاح وإسلام - فلما سمع ليبد اخترط سيفه وقال: أنا أسرق؟ فوالله ليخالطكم هذا السيف أو لنبين هذه السرعة. قالوا: إليك عنها أيها الرجل فما أنت بصاحبها، فسألنا في الدار حتى لم نشك أنهم أصحابها. فقال لي عمي: يا ابن أخي، لو أتيت رسول الله فذكرت ذلك له.

قال قتادة: فأتيت رسول الله ﷺ فقلت: إن أهل بيت منا أهل جفاء عمدوا إلى عمي رفاعه بن زيد فنقبوا مشربة له وأخذوا سلاحه وطعامه، فليدروا علينا سلاحنا، فأما الطعام فلا حاجة لنا فيه، فقال النبي ﷺ: «سأمر في ذلك» فلما سمع بنو أريق أنوا رجلاً منهم يقال له أسير بن عروة فكلموه في ذلك، فانجمع في ذلك ناس من أهل الدار فقالوا: يا رسول الله، إن قتادة بن العمان وعمه عمدوا إلى أهل بيت منا أهل إسلام وصلاح يرمونهم بالسرقة من غير بينة ولا ثبت. قال قتادة: فأقيمت رسول الله ﷺ فكلمته، فقال: عمدت إلى أهل بيتك ذك منهم إسلام وصلاح ترميهم بالسرقة على غير ثبت ولا بينة. قال: فرجعت، ولوددت أنني خرجت من بعض مالي ولم أكلم رسول الله ﷺ في ذلك فأتاني عمي رفاعه فقال: يا ابن أخي، ما صنعت؟ فأخبرته بما قال لي رسول الله ﷺ، فقال: الله المستعان.

فلم يلبث أن نزل القرآن: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا أُتْرِكَ اللَّهُ وَلَا تُكِنِّ لِلظَّالِمِينَ حَسْبُكُمْ﴾ بني أريق ﴿وَأَسْتَفْهِرُ اللَّهُ﴾ أي ما قلت لتنادي ﴿إِنَّكَ اللَّهُ =

(١) بآلاء قراءة حمزة وأبي عمرو.

(٢) جمع بحيرة، وهي أن تلد الناقة أربعة بطون وتأتي في الخامس يذكرو، فكانوا لا يحملون عليها ولا يأخذون نتاجها ويجعلون لبنا للظواغيت، ويشقون أذانها علامة على ذلك.

(٣) وقيل: المراد بهذا التغيير الوشم. وقيل: المراد خصاء الدواب. والأقرب كما اختاره بعض المفسرين: أنه يشعل تغيير الحلقة الظاهرة؛ بالوشم والوشم والتقص والتطليح للحسن، ونحو ذلك، كما يشمل الحلقة الباطنة؛ حيث إنه - سبحانه - خلق عبادة حنفاء مطهورين على الحق، فأجنتهم عن هذا الخلق الجميل، وزين لهم الشر والشرك والكفر والفسوق والعصيان.

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٣﴾ لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٤﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَبِيرًا ﴿١٢٥﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ شَيْئًا مِمَّا كَفَرَ بِهِ كَثِيرًا وَلَا يَجِدْ لِشَيْءٍ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ حَلِيلًا ﴿١٢٦﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا ﴿١٢٧﴾ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتْلَىٰ النِّسَاءِ الَّتِي لَا تُوْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْعَبْنَ أَنْ تَنْكَحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلنِّسَاءِ بِالْقِسْطِ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ﴿١٢٨﴾

وعداً وحققه حقاً^(١) ﴿ومن﴾ أي: لا أحد ﴿أصدق من الله قيبلاً﴾ أي: قولاً.
 [١٢٣] ونزل - لما افتخر المسلمون وأهل الكتاب -: ﴿لنن﴾ الأمر منوطاً ﴿بأمانيتكم ولا أمانتي أهل الكتاب﴾^(٢) بل بالعمل الصالح ﴿ومن يعمل سوءاً يجز به﴾. إما في الآخرة^(٣) أو في الدنيا بالبلاء والنحن - كما ورد في الحديث^(٤) - ﴿ولا يجد لكم من دون الله﴾ أي غيره ﴿وليّاً﴾ يحفظه ﴿ولا نصيراً﴾^(٥) يمنع منه.
 [١٢٤] ﴿ومن يعمل شيئاً مما كلفنا من ذكركم أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئاً﴾ بالبناء للمفعول والفاعل^(٦) ﴿الجنة ولا يظلمون نبيراً﴾ قدر نقرة النواة.
 [١٢٥] ﴿ومن﴾ أي: لا أحد^(٧) ﴿أحسن ديناً ممن أسلم وجهه﴾ أي: انقاد وأخلص عمله ﴿لله وهو محسن﴾ مؤخذاً ﴿وأتبع ملة إبراهيم﴾ الموافقة لملة الإسلام ﴿حنيفاً﴾ حال؛ أي: مائلاً عن الأديان كلها إلى الدين القيم ﴿واتخذ الله إبراهيم حليلاً﴾ صفيّاً لخالص المحبة له.
 [١٢٦] ﴿ولله ما في السموات وما في الأرض﴾ ملكاً وحلقاً وعبداً ﴿وكان الله بكل شيء محيطاً﴾ علماً وقدره؛ أي: لم يزل متصفاً بذلك.
 [١٢٧] ﴿ويستفتونك﴾ يطلبون منك الفتوى ﴿في﴾ شأن ﴿النساء﴾ وميراثهن ﴿قل﴾ لهم ﴿الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب﴾ القرآن من آية الميراث، وفتيكم أيضاً ﴿في يتلى النساء﴾ التي لا تؤتونهن ما كتب ﴿لهن﴾ فرض ﴿لهن﴾ من الميراث ﴿وترعبن﴾ أيها للأولياء عن^(٨) ﴿أن تنكحوهن﴾ لدمامتهن، وتعطلوهن^(٩) أن يتزوجن طمعاً في ميراثهن؛ أي: فتيتكم أن لا تفعلوا ذلك ﴿وهو﴾ في ﴿المستضعفين﴾ الصغار ﴿من الولدان﴾ أن تعطوهم حقوقهم^(١٠) ﴿وهو﴾ يأمركم ﴿أن تقوموا لليتيم بالقسط﴾ بالعدل في الميراث والمهر ﴿وما تفعلوا من خير فإن الله كان به عليمًا﴾ فيجازيكم به^(١١).

[١٢٢] ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً وعد الله حقاً﴾ أي: وعدمه الله ذلك

كان عفوكم رحيمًا ولا تجادل... إلى قوله: ﴿عفوراً رحيمًا﴾ أي لو استغفروا الله لغفر لهم، ﴿ومن يكتب إثمًا﴾ إلى قوله: ﴿إثمًا ثمينًا﴾ قوله للبيد: ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته﴾ إلى قوله: ﴿سوف تؤذيكم أكبر عذاباً﴾.

فلما نزل القرآن أتى رسول الله ﷺ بالسلح فرده إلى رفاعه، فقال قتادة: لما أتيت عمي بالسلح، وكان شيئاً قد عسى أو عشي في الجاهلية، وكنت أرى إسلامه مدخولاً، فلما أتته بالسلح قال: يا ابن أخي، هو في سبيل الله، ففرقت أن إسلامه كان صحيحاً، فلما نزل القرآن لحق بشير بالمشركين، فنزل على سلافة بنت سعد بن سمية، فأقول الله: ﴿ومن يتقنا يقنا الرسول من بعد ما نبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين يؤذي ما تولى وتضلوا جهنم وساءت مصيراً﴾^(١) إن الله لا يقوهر أن يشرك به، ويقوهر ما دوت ذلك لمن يشكك بالله فقد شل سلكاً بعيداً. فلما نزل على سلافة رماها حسان بن ثابت بأبيات من شعره، فأخذت رحله فوضعت على رأسها، ثم خرجت به فرمت به في الأبطح، ثم قالت: أهديت لي شعر حسان؟ ما كنت تأتيني بخير. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٥) سورة النساء (حسن). صحيح سنن الترمذي (٢٤٣٢).

(٥) فائدة: أخرج مسلم عن أبي هريرة قال: لما نزلت: ﴿من يعمل سوءاً يجز به﴾ بلغت من المسلمين مبلغاً شديداً، فقال رسول الله ﷺ: ﴿قاروا وسددوا﴾ ففي كل ما يصاب به المسلم كفارة حتى النكبة ينكها أو الشوكة يشاكها. مسلم - كتاب البر والصلوة (٤٥) باب (١٤) ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن.

(٥٥) ما جاء في نزول الآية (١٢٧): أخرج البخاري عن عروة بن الزبير أنه سأل عائشة رضي الله عنها عن قول الله تعالى: ﴿ولن يخفتم﴾ إلى ﴿ووليتم﴾ فقالت: يا ابن أخي، هي البيعة تكون في حجر وليها =

(١) أشار بذلك إلى أن «وعداً» و«حقاً» منصوبان بفعلين محذوفين من لفظهما، ويصح أن يكون «حقاً» صفة له و«عداً». (٢) أخرجه ابن جرير وابن المنذر من طريق جوير عن الضحاك كما في الدر المنثور (٣٩٩/٢).

(٤) يشير إلى ما أخرجه عبد بن حميد في مسنده، والترمذي في سننه وضعفه، في نزول الآية أن أبا بكر قال: يا رسول الله، وأبنا لم يعمل السوء؟ وأنا يجزؤون بكل سوء عملناه؟ فقال ﷺ: «أما أنت وأصحابك المؤمنين فتجزؤون بذلك في الدنيا؛ حتى تلقوا الله ولين عيسى عليكم ذنوب، وأما الآخرون فيجتمع لهم ذلك، حتى يجازوا به يوم القيامة» وضعف الألباني إسناده في ضعيف سنن الترمذي (٣٢٤٣).

(٥) بالبناء للمفعول قراءة ابن كثير وأبي عمرو وشعبة. (٦) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري.

(٧) هذا على أحد وجهي التفسير، وأن الرغبة بمعنى: الرهد، والبعض قدر «في» إشارة إلى أن الرغبة بمعنى: الحب، ويؤيده ما رواه مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها: «فهذه البيعة تكون في حجر وليها؛ فيزغف في جمالها وتالها، وتزيد أن يتقص صدقاتها؛ فتهوا عن تكاثرهن إلا أن يقسطوا لهن في إكمال الصدقة... الحديث. (٨) أي: تتموهن.

(٩) وكانوا في الجاهلية لا يورثون الصبيان مطلقاً ولا النساء.

[١٢٨] ﴿وَإِنْ أَسْرَأْتُمْ﴾ مرفوعٌ بفعل^(١) يفسره ﴿خَافَتْ﴾ تَوَقَّعَتْ ﴿مِنْ﴾ بَعْلَيْهَا زوجها ﴿شُورًا﴾ تَزَعُّعًا عليها بترك مضاجعتها، والتقصير في نفقتها، لبعضها وطموح عينه إلى أجمل منها ﴿أَوْ إِعْرَاصًا﴾ عنها بوجهه ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ أَنْ يُبْسِلْنَ﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الصاد، وفي قراءة: ﴿يُضِلِّحْنَ﴾^(٢) من أصلح ﴿بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾ في القسم والنفقة؛ بأن ترك له شيئًا طلبًا لبقاء الصحبة؛ فإن رضيت بذلك، وإلا فعلى الزوج أن يوفيهما حقها أو يفارقها ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ من الفرقة والشور والإعراض، قال - تعالى - في بيان ما يجبل عليه الإنسان: ﴿وَأَحْزَبْتَ الْأَنْفُسَ الشَّحَّ﴾ شدة البخل؛ أي: مجبَلَتْ عليه؛ فكانها حاضرته لا تعيب عنه؛ المعنى: أن المرأة لا تكاد تسمح بنصيها من زوجها، والرجل لا يكاد يسمح عليها بنفسه إذا أحب غيرها ﴿وَإِنْ تَحْسَبُوا﴾ عشرة النساء ﴿وَتَتَّقُوا﴾ الجور عليهن ﴿فَارْتَبُوا﴾ كَانَتْ بِمَا تَعْمَلُونَ خَيْرًا﴾ فيجازيكم به^(٣).

[١٢٩] ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا﴾ تسوا ﴿بَيْنَ النِّسَاءِ﴾ في المحبة ﴿وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ على ذلك ﴿فَلَا تَبْسِلُوا كُلَّ الْمَيْلِ﴾ إلى التي تحبون في القسم والنفقة ﴿فَتَدْرُوهَا﴾ أي: تتركوا الممال عنها ﴿كَالْمُعَلِّقَةِ﴾ التي لا هي أُمُّ ولا هي ذات بعل ﴿وَإِنْ تَصْلِحُوا﴾ بالعدل بالقسم ﴿وَتَتَّقُوا﴾ الجور ﴿فَارْتَبُوا﴾ كَانَتْ فِي قَلْبِكُمْ مِنَ الْمَيْلِ ﴿رَحِيمًا﴾ بكم في ذلك.

[١٣٠] ﴿وَإِنْ يَفْرَقَا﴾ أي: الزوجان بالطلاق ﴿يُعْنِ اللَّهُ كِلَيْمَا﴾ عن صاحبه ﴿مِنْ سَعْيِهِ﴾ أي: فضله؛ بأن يرزقها زوجها غيره ويرزقه غيرها ﴿وَكَانَ اللَّهُ وَسِعًا﴾ خلقه في الفضل ﴿حَكِيمًا﴾ فيما دَبَّرَ لهم.

[١٣١] ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ بمعنى الكتب ﴿مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ أي: اليهود والنصارى ﴿وَإِنَّا كُنَّا﴾ يا أهل القرآن ﴿أَنْ﴾ أي بأن ﴿أَتَقُوا اللَّهَ﴾ خافوا عقابه؛ بأن تطيعوه ﴿وَلَقَدْ﴾ لهم ولكم: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا﴾ بما وُصِّيتُمْ به ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ خلقًا وملكوًا وعبيدًا؛ فلا يضره كفركم ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا﴾ عن خلقه وعبادتهم ﴿حَكِيمًا﴾ محمودًا في صنعه بهم.

[١٣٢] ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ كرره تأكيدًا؛ لتقرير موجب التقوى ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ شهيدًا؛ بأن ما فيهما له.

[١٣٣] ﴿إِنْ يَسْأَلْكُمْ﴾ يا ﴿أَهْلَ النَّاسِ وَيَأْتِ بِحَاثِرَاتِكُمْ﴾ بَدَلِكُمْ ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾.

وَإِنْ أَمْرًا خَافَتْ مِنْ بَعْلَيْهَا نُشُورًا أَوْ إِعْرَاصًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْزَبْتَ الْأَنْفُسَ الشَّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلِّقَةِ وَإِنْ تَصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٢٩﴾ وَإِنْ يَفْرَقَا يُعْنِ اللَّهُ كِلَيْمَا مِنْ سَعْيِهِمْ وَكَانَ اللَّهُ وَسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِنَّا كُنَّا أَنْتَقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَكِيمًا ﴿١٣١﴾ وَإِنْ يَفْرَقَا يَفْرَقَا وَيَأْتِ بِحَاثِرَاتِكُمْ وَإِنْ يَسْأَلْكُمْ عَنْ دِينِكُمْ فَلَا حَرَجَ مِنَ اللَّهِ لِيَسْأَلَكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِذَا لَمْ يَسْأَلْكُمْ عَنِ الدِّينِ إِذْ قَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ حُرْجٌ مِنْ دِينِكُمْ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٢﴾ وَإِنْ يَسْأَلْكُمْ عَنِ الدِّينِ فَقُلْ يُبَدِّلُ اللَّهُ الدِّينَ كَمَا يَشَاءُ لِيَسْأَلَكُمْ عَنِ الدِّينِ إِذَا لَمْ يَسْأَلْكُمْ عَنِ الدِّينِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٣﴾

[١٣٤] ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدْ﴾ بعمله ﴿تَوَابَ الدُّنْيَا فَوَدَّ اللَّهُ تَوَابَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ لمن أرادها لا عند غيره، فلم يطلب أحدكم^(٤) الأخص وهلا طلب الأعلى بإخلاصه له؛ حيث كان مطلبه لا يوجد إلا عنده ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾

= تشاركه في ماله فيعجبه ماله وجمالها، فريد وليها أن يتزوجها بغير أن يقسط في صداقتها فيعطيهما مثل ما يعطيهما غيره. فهو أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا لهن ويلبوا بهن أعلى سنتهن من الصداق ... قالت عائشة: ثم إن الناس استفتوا رسول الله ﷺ بعد هذه الآية، فأنزل الله: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ﴾، والذي ذكر الله أنه ينلى عليكم في الكتاب الآية الأولى التي قال فيها: ﴿وَإِنْ جُنِحْتُمْ آلَا تَقْطِطُوا فِي الْبَيْنِ فَاكْرَهُمَا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾، وقول الله في الآية الأخرى: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ﴾ يعني هي رغبة أحدكم لبيتمه التي تكون في حجره حين تكون قليلة المال والجمال، فهو أن ينكحوا ما رغبوا في ماله من يتامى النساء إلا بالقسط من أجل رغبتهن عنهن. البخاري - كتاب الشركة (٤٧) باب (٧) شركة اليتيم وأهل الميراث. (٥) ما جاء في نزول الآية (١٢٨): أخرجه البخاري عن عائشة رضي الله عنها: ﴿وَإِنْ أَمْرًا خَافَتْ مِنْ بَعْلَيْهَا نُشُورًا أَوْ إِعْرَاصًا﴾ قالت: الرجل تكون عنده المرأة ليس بمسكتر منها، يريد أن يفارقها، فتقول: أجملك من شأني في حل، فنزلت هذه الآية. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة النساء (٤) باب (٢٤).

(١) ولا يصح جملة مبتدأ؛ لأن أداة الشرط لا يليها إلا الفعل ولو تقديرا.
(٢) وهي قراءة عاصم وحزمة والكسائي، وقرأ بقية السبعة رضي الله عنهم.
(٣) في حاشية الصاوي: فأحمد.

وأخرج الترمذي عن ابن عباس قال: خشيت سورة أن يطلقها النبي ﷺ فقالت: لا تطلقني وأمسكني، واجعل يومي لعائشة. ففعل، فنزلت: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾. فما اصطلحا عليه من شيء فهو جائز. كانه من قول ابن عباس. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٥) سورة النساء (صحيح). صحيح سنن الترمذي (٢٤٣٤).

وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ ﴿١﴾ المشهود عليه ﴿عَنِّيَّأَوْ قَٰفِرًا ۗ قَالَهُ ۗ أَوَّلَ عِيَاً﴾ منكم، وأعلم بمصالحهما ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ﴾ في شهادتكم؛ بأن تخافوا الغنى لرضاه، أو الفقير رحمة له ﴿أَنْ لَا تَقْدِرُوا﴾ عن الحق ﴿وَلِإِنْ تَلَّوْا﴾ تحرفوا الشهادة، وفي قراءة^(١) بحذف الواو الأولى تخفيفاً ﴿أَوْ تُعْرَضُوا﴾ عن أداها ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ فيجازيكم به.

[١٣٦] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنًا﴾ داوموا على الإيمان ﴿بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ﴾ محمد ﷺ؛ وهو: القرآن ﴿وَالْكِتَابِ الَّذِي أُنزِلَ مِنْ قَبْلُ﴾ على الرسل؛ بمعنى: الكتاب، وفي قراءة بالبناء للفاعل في الفعلين^(٢) ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَٰئِكَتِهِ وَرُسُلِهِ ۗ وَالْيَوْمِ ٱلْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ عن الحق.

[١٣٧] ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بوسى؛ وهم: اليهود ﴿ثُمَّ كَفَرُوا﴾ بعبادتهم العجل ﴿ثُمَّ ءَامَنُوا﴾ بعده ﴿ثُمَّ كَفَرُوا﴾ بعيسى ﴿ثُمَّ أَزَادُوا كُفْرًا﴾ بمحمد ﴿لَنْ يَكُنَ اللَّهُ لِيُغْفِرَ لَهُمْ﴾ ما أقاموا عليه ﴿وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا﴾ طريقاً إلى الحق.

[١٣٨] ﴿بَشِيرٌ ۗ أَخْبَرَ يَا مُحَمَّدُ ﴿الْمُنْفِقِينَ﴾ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ مؤلماً؛ هو: عذاب النار.

[١٣٩] ﴿الَّذِينَ﴾ بدل أو نعت للمنافقين ﴿يَتَّخِذُونَ ٱلْكَافِرِينَ ٱوْلِيَآءَ مِنْ دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ لما يتوهمون فيهم من القوة ﴿أَيَّبَنُّوْنَ﴾ يطلبون ﴿عِنْدَهُمُ ٱلْعِزَّةَ﴾؟ استفهام إنكارى؛ أى: لا يجدون عندهم ﴿فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ في الدنيا والآخرة، ولا ينالها إلا أولياؤه.

[١٤٠] ﴿وَقَدْ نَزَّلَ﴾ بالبناء للفاعل والمفعول^(٣) ﴿عَلَيْكُمْ﴾ في الكتاب ﴿القرآن في سورة الأنعام^(٤)﴾ ﴿أَنْ﴾ مخففة، واسمها محذوف؛ أى: أنه ﴿إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَاتَ ٱللَّهِ﴾ القرآن ﴿يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا ۗ فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهَا﴾ أى: الكافرين والمستهزئين ﴿حَتَّىٰ يَخْرُجُوا فِي حَدِيثِ عَذَابِ عَذَابِ إِذْكَ إِذًا﴾ إن قدمت معهم ﴿يَتَلَهَّىٰ﴾ في الإثم^(٥) ﴿إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنْفِقِينَ ۗ وَالْكَافِرِينَ﴾ في جهنم جميعاً، كما اجتمعوا في الدنيا على الكفر والاستهزاء.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوْمِينَ﴾ قاتمين ﴿بِٱلْقِسْطِ ۗ شَٰهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَالِدِينَ ۗ وَٱلْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ عَنِّيَّأَوْ قَٰفِرًا ۗ قَالَهُ ۗ أَوَّلَ عِيَاً﴾ ﴿بِهِمَا ۗ فَلَا تَتَّبِعُوا ٱلْهَوَىٰ ۗ أَنْ تَقْدِرُوا أَوْ لَوْ أَنَّ تَلَّوْا أَوْ تُعْرَضُوا ۗ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنًا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ ۗ وَالْكِتَابِ الَّذِي أُنزِلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَٰئِكَتِهِ وَرُسُلِهِ ۗ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ أَزَادُوا كُفْرًا ۗ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيُغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا﴾ ﴿بَشِيرٌ ٱلْمُنْفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ ﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَافِرِينَ ٱوْلِيَآءَ مِنْ دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۗ يَتَّبِعُونَ عِنْدَهُمُ ٱلْعِزَّةَ ۗ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْنَا فِي ٱلْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَاتَ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا ۗ فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخْرُجُوا فِي حَدِيثِ عَذَابِ عَذَابِ إِذْكَ إِذًا مِمَّا لَهُمْ﴾ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنْفِقِينَ ۗ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾

[١٣٥] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوْمِينَ﴾ قاتمين ﴿بِٱلْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿شَٰهَدَآءَ﴾ بالحق ﴿وَلَوْ﴾ كانت الشهادة ﴿عَلَيْكُمْ﴾ فاشهدوا عليها؛ بأن تقروا بالحق ولا تكتموه ﴿أَوْ﴾ على ﴿ٱلْوَالِدِينَ﴾

(١) لحمزة وابن عامر.

(٢) أي: ﴿تُؤَلَّ﴾ و﴿أُنزِلَ﴾ وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

(٣) بالبناء للمفعول قراءة السبعة عدا عاصم.

(٤) وهو قوله - تعالى -: ﴿وَإِذَا كُنَّ ٱلَّذِينَ يَخْرُجُونَ فِي مَآكِنِكُمْ لَأَخْرُجَنَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخْرُجُوا فِي حَدِيثِ عَذَابِ عَذَابِ﴾ [الأنعام: ٦٨].

(٥) أي: كفراً أو غيره؛ فالراضي بالكفر كافر، والراضي بالمحرم عاصي.

[١٤١] ﴿الَّذِينَ﴾ بدل من ﴿الَّذِينَ﴾ قبله^(١) ﴿يَرْتَضُونَ﴾ ينتظرون ﴿بِكُمْ﴾ الدوائر ﴿وَقَانَ كَانَ لَكُمْ فَتَحَ﴾ ظفر وغنيمة ﴿وَمِنَ اللَّهِ قَالُوا﴾ لكم: ﴿أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ﴾ في الدين والجهاد؛ فأعطونا من الغنيمة ﴿وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ﴾ من الظفر عليكم ﴿قَالُوا﴾ لهم: ﴿أَلَمْ نَسْتَحِذْكُمْ﴾ نشتول ﴿عَلَيْكُمْ﴾ ونقدر على أخذكم وقتلكم فأبقينا عليكم ﴿وَوَدَّ أَلَمْ﴾ ننتفخكم من المؤمنين ﴿أَنْ يَظْفَرُوا بِكُمْ﴾ بنخذيهم ومراسلتكم بأخبارهم؛ فلما عليكم المنة، قال - تعالى -: ﴿فَاللَّهُ يَخْتَمُ بَيْنَكُمْ﴾ وبينهم ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ بأن يدخلكم الجنة ويدخلهم النار ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ طريقاً بالاستئصال^(٢).

[١٤٢] ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ﴾ بإظهار خلاف ما أبطنه من الكفر؛ ليدفعوا عنهم أحكامه الدينية ﴿وَهُوَ خَدِيعُهُمْ﴾ مجازيهم على خداعهم^(٣)؛ فيفتضحون في الدنيا بإطلاع الله نبيته على ما أبطنوه، ويعاقبون في الآخرة ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ﴾ مع المؤمنين ﴿قَامُوا كَسَالًا﴾ متعاقبين ﴿بِرَأْيِهِمْ مِنَ النَّاسِ﴾ بصلاتهم ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ﴾ يصلون ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ رياء.

[١٤٣] ﴿مُذَّبِّدِينَ﴾ مترددين ﴿بَيْنَ ذَلِكَ﴾ الكفر والإيمان ﴿لَا﴾ منسويين ﴿إِلَّا هَوْلًا﴾ أي: الكفار ﴿وَلَا إِلَى هَوْلًا﴾ أي: المؤمنين ﴿وَمَنْ يُضِلِلْ﴾ به ﴿اللَّهُ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾ طريقاً إلى الهدى. ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أُرِيدُونَ أَنْ يَجْعَلُوا اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ بمواليتهم ﴿سُلْطَنًا مُبِينًا﴾ برهاناً بيناً على نفاقكم.

[١٤٥] ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْمَسْفُورِ﴾ المكان ﴿الَّذِينَ تَرَى مِنْ النَّارِ﴾ وهو قعرها ﴿وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ مانعاً من العذاب.

[١٤٦] ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ من النفاق ﴿وَأَصْلَحُوا﴾ عملهم ﴿وَأَعْتَصَمُوا﴾ وتقوا ﴿بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾ من الرياء ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فيما يؤتونه ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ في الآخرة؛ وهو: الجنة.

الَّذِينَ يَرْتَضُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحِذْكُمْ عَلَيْهِمْ وَنَمْنَعُكُمْ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَخْتَمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالًا يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُذَّبِّدِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَوْلًا وَلَا إِلَى هَوْلًا وَمَنْ يُضِلِلْ اللَّهُ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أُرِيدُونَ أَنْ يَجْعَلُوا اللَّهُ عَلَيْهِمْ سُلْطَنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْمَسْفُورِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ إِنْ شَكَرْتُمْ وَعَافَيْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾

[١٤٧] ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ﴾ نعمته ﴿وَعَافَيْتُمْ﴾ به، والاستفهام بمعنى النفي؛ أي: لا يعذبكم ﴿وَوَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا﴾ لأعمال المؤمنين بالإثابة ﴿عَلِيمًا﴾ بخلفه.

(١) وهو قوله: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ﴾ [النساء: ١٣٩]، والأحسن أنه نعت ثانٍ للمنافقين.

(٢) دفع بذلك ما يقال: إن الكفار بالمشاهدة لهم سبيل على المؤمنين في الدنيا، فأجاب بأن المعنى: أن الكفار لا يستأصلون المؤمنين، ويحجب أيضاً: أن المراد سبيلاً بالشرع؛ فإن شريعة الإسلام ظاهرة إلى يوم القيامة؛ فمن ذلك أن الكافر لا يرث المسلم، وليس له أن يملك عبداً مسلماً، ولا يقتل المسلم بالذمي.

(٣) وهذا تأويل لهذه الصفة التي أتمتها الله لنفسه، وسبق بيان مذهب السلف فيها وفي أمثالها في مواضع كثيرة ووجوب الإيمان بها وإثباتها لله على ما يليق به - سبحانه وتعالى - دون تأويل أو تعطيل أو تمثيل أو تكيف.

ويدعو عليه ﴿وَكَانَ اللَّهُ تَعَالَى﴾ لما يقال ﴿عَلَيْمَا﴾ بما يفعل. [١٤٩] ﴿إِنْ تَبْدُوا﴾ تظهروا ﴿حَيًّا﴾ من أعمال الرب ﴿أَوْ تَخْفُوا﴾ تعلموه سرًّا ﴿أَوْ تَعْمُوا عَنْ سُوءٍ﴾ ظلم ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوًا قَدِيرًا﴾. [١٥٠] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ ويريذون أن يقرؤا بين الله ورسوله ﴿بأن يؤمنوا به دونهم﴾ وبقولوت تؤمن ببعض من الرسل ﴿وَتَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾ منهم ﴿ويريذون أن يتخذوا بين ذلك الكفر والإيمان سبيلاً﴾ طريقاً يذهبون إليه.

[١٥١] ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾ مصدر مؤكد (٢) لمضمون الجملة قبله ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ ذا إهانة؛ وهو: عذاب النار. [١٥٢] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ كلهم ﴿وَلَمْ يَفْرُقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ﴾ بالياء والنون (٣) ﴿أَجْرَهُمْ﴾ نواب أعمالهم ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَفْوًّا﴾ لأوليائه ﴿رَحِيمًا﴾ بأهل طاعته.

[١٥٣] ﴿يَسْأَلُكَ﴾ يا محمد ﴿أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ اليهود ﴿أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ﴾ جملة كما أنزل على موسى تعنتاً؛ فإن استكبرت ذلك ﴿فَقَدْ سَأَلُوا﴾ أي: أباهم ﴿مُوسَى أَكْبَرَ﴾ أعظم ﴿وَمِنْ ذَلِكَ قَالُوا أَرَأَى اللَّهُ جَهَنَّمَ﴾ عياناً ﴿فَأَخَذْنَاهُمُ الصَّاعِقَةَ﴾ الموت عقاباً لهم ﴿يَطَّلِعُهَا﴾ حيث تعنتوا في السؤال ﴿ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ﴾ لها ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ المعجرات على وحدانية الله ﴿فَعَقَبْنَا عَنْ ذَلِكَ﴾ ولم نستأصمهم ﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا﴾ تسلطاً بيننا ظاهرًا عليهم؛ حيث أمرهم بقتل أنفسهم توبة فأطاعوه.

[١٥٤] ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ﴾ الجبل ﴿بِمِيثَقِهِمْ﴾ بسبب أخذ الميثاق عليهم؛ ليخافوا قبلوه ﴿وَقُلْنَا لَهُمْ﴾ وهو مظل عليهم: ﴿ادْخُلُوا الْبَابَ﴾ باب القرية ﴿سُجَّدًا﴾ سجدوا انحناء ﴿وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا﴾ وفي قراءة بفتح العين وتشديد الدال (٤)، وفيه إدغام التاء في الأصل في الدال؛ أي: لا تعدوا ﴿فِي السَّبْتِ﴾ باصطياد الحيتان فيه ﴿وَأَعْتَدْنَا مِنْهُمْ مِيثَقًا عَلِيمًا﴾ على ذلك فنقضوه.

﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ وكان الله سميعاً عليماً ﴿إِنْ تَبْدُوا حَيًّا أَوْ تَخْفُوا أَوْ تَعْمُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوًا قَدِيرًا﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفْرِقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يَفْرُقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفْوًّا رَحِيمًا﴾ ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلَ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرَأَى اللَّهُ جَهَنَّمَ فَأَخَذْنَاهُمُ الصَّاعِقَةَ يُطَّلِعُهَا ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَقَبْنَا عَنْ ذَلِكَ وَأَتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا﴾ ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَقًا عَلِيمًا﴾

[١٤٨] ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ من أحد؛ أي: يعاقبه عليه (١) ﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ فلا يؤاخذه بالجهر به؛ بأن يخبر عن ظلم ظالمه

(١) وهذا تأويل لصفة المحبة التي أثبتها لنفسه ببعض لوازمها، وسبق بيان مذهب السلف في ذلك وإثباتها على ما يليق بجلاله - سبحانه -

(٢) أي: وعامله محذوف ويقدر مؤخراً عن الجملة المؤكدة لها، وتقديره: أحقه حقاً.

(٣) بالنون قراءة السبعة عدا حفص.

(٤) لتأنيق، واحتسب قالون حركة العين.

[١٥٥] ﴿فِيمَا نَقَضِهِمْ﴾ «ما زائدة، والباء» للسببية متعلقة بمحذوف؛ أي: لعناهم بسبب نقضهم ﴿وَيَسْتَفْهَمُ وَكَفَّرَهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ فُلُونَا عُظْمًا﴾ لا تعني كلامك ﴿بَلْ طَمَعُ﴾ حتم ﴿اللَّهُ عَلَيَّابًا يَكْفُرُهُمْ﴾ فلا تعني وعظما ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ منهم؛ كعبدالله بن سلام وأصحابه.

[١٥٦] ﴿وَيَكْفُرُهُمْ﴾ ثانيا بعيسى، وكرر الباء للفصل بينه وبين ما عطف عليه ﴿وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ هَيْئًا عَظِيمًا﴾ حيث رموها بالزنا.

[١٥٧] ﴿وَقَوْلِهِمْ﴾ مفخرين ﴿إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ﴾ في زمعهم^(١)؛ أي: بمجموع ذلك عذبناهم، قال - تعالى - تكذبتا لهم في قتلته: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾ المقتول والمصلوب - وهو صاحبه - بعيسى؛ أي: ألقى الله عليه شبهه فظنوه إياه ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ أي: في عيسى ﴿لَيُبَيِّنَنَّ اللَّهُ لَهُمْ مِنْ قَتْلِهِ﴾ حيث قال بعضهم - لما رأوا المقتول؛ الوجه وجه عيسى والجسد ليس بجسده -: فليس به، وقال آخرون: بل هو هو ﴿مَا لَهُمْ بِهِ﴾ بقتله ﴿وَمَنْ عَلَيْهِ إِلَّا آتِبَاعَ الظَّنِّ﴾ استثناء منقطع^(٢)؛ أي: لكن يتبعون فيه الظن الذي تخيلوه ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ حال مؤكدة لنفي القتل

[١٥٨] ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا﴾ في ملكه ﴿حَكِيمًا﴾ في صنعه.

[١٥٩] ﴿وَإِنَّ﴾ ما ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ أحد ﴿إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ﴾ بعيسى ﴿قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ أي: الكتابي حين يعاين ملائكة الموت؛ فلا ينفعه إيمانه، أو قبل موت عيسى^(٣) لما ينزل قرب الساعة - كما ورد في حديث^(٤) - ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ﴾ عيسى ﴿عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ بما فعلوه، لما بعث إليهم.

[١٦٠] ﴿فَيُظَلَّرُ﴾ أي: فيسب ظلم ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ هم اليهود ﴿حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ طَيْبَاتٍ أَجَلَّتْ لَهُمْ﴾ هي التي في قوله - تعالى -: ﴿حَرَمْنَا كُلَّ ذِي ظُلْفُرٍ﴾^(٥) الآية ﴿وَبَصَدَّهِمُ﴾ الناس ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دينه صفا ﴿كَثِيرًا﴾.

[١٦١] ﴿وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ﴾ في التوراة ﴿وَأَنكَبَهُمْ آمُولَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾ بالرشا في الحكم ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ مؤلما.

[١٦٢] ﴿لَنَكِينِ الرَّاسِخُونَ﴾ الثابتون ﴿فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ﴾ كعبدالله بن سلام ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ المهاجرون والأنصار ﴿يُؤْمِنُونَكَ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنزَلَ مِنْ

فِيمَا نَقَضِهِمْ وَيَسْتَفْهَمُ وَكَفَّرَهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ فُلُونَا عُظْمًا بَلْ طَمَعُ اللَّهُ عَلَيَّابًا يَكْفُرُهُمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا وَيَكْفُرُهُمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ هَيْئًا عَظِيمًا وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَيُبَيِّنَنَّ اللَّهُ لَهُمْ مِنْ قَتْلِهِ وَحَيْثُ قَالَ بَعْضُهُمْ - لَمَّا رَأَوْا الْمَقْتُولَ؛ الْوَجْهَ وَجْهَ عِيسَى وَالْجِسْدَ لَيْسَ بِجِسْدِهِ -: فَلَيْسَ بِهِ، وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ هُوَ هُوَ مَا لَهُمْ بِهِ بِقَتْلِهِ وَمَنْ عَلَيْهِ إِلَّا آتِبَاعَ الظَّنِّ اسْتِثْنَاءٌ مَنْقُوعٌ؛ أَيْ: لَكِنْ يَتَّبِعُونَ فِيهِ الظَّنَّ الَّذِي تَخِيلُوهُ وَوَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا حَالٌ مُؤَكَّدَةٌ لِنَفْيِ الْقَتْلِ فِي صُنْعِهِ.

[١٥٩] ﴿وَإِنَّ﴾ مَا ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ أَحَدٌ ﴿إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ﴾ بِعِيسَى ﴿قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ أَيْ: الْكِتَابِيُّ حِينَ يَعَايِنُ مَلَائِكَةَ الْمَوْتِ؛ فَلَا يَنْفَعُهُ إِيمَانُهُ، أَوْ قَبْلَ مَوْتِ عِيسَى^(٣) لَمَّا يَنْزِلُ قُرْبَ السَّاعَةِ - كَمَا وَرَدَ فِي حَدِيثٍ^(٤) - ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ﴾ عِيسَى ﴿عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ بِمَا فَعَلُوهُ، لَمَّا بَعَثَ إِلَيْهِمْ.

[١٦٠] ﴿فَيُظَلَّرُ﴾ أَيْ: فِي سَبَبِ ظَلْمٍ ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ هُمُ الْيَهُودُ ﴿حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ طَيْبَاتٍ أَجَلَّتْ لَهُمْ﴾ هِيَ الَّتِي فِي قَوْلِهِ - تَعَالَى -: ﴿حَرَمْنَا كُلَّ ذِي ظُلْفُرٍ﴾^(٥) آيَةُ ﴿وَبَصَدَّهِمُ﴾ النَّاسَ ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دِينَهُ صَفَا ﴿كَثِيرًا﴾.

قَبْلِكَ﴾ من الكتب ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ الصَّالِحِينَ﴾ نصب على المدح^(٦)، وقرأ بالرفع^(٧) ﴿وَالْمُؤْمِنَاتِ الرَّاكِبَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ﴾ بالنون والياء^(٨) ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ هو الجنة.

(٥) نائلة: أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم عدلا، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الحرب، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها، ثم يقول أبو هريرة: وقرأوا إن شئتم: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ كَيْدًا﴾. البخاري - كتاب أحاديث الأنبياء (٦٠) باب (٤٩) نزول عيسى ابن مريم، وأخرجه مسلم - كتاب الإيمان (١) باب (٧١) نزول عيسى ابن مريم حاكما بشرعة نبينا محمد ﷺ.

(١) متعلق بقوله: ﴿فَيُظَلَّرُ﴾، وفي نسخة «في زمعه» بالإفراد؛ ويكون متعلقا بقوله: ﴿رَسُولَ اللَّهِ﴾.

(٢) لأن اتباع الظن ليس من جنس العلم.

(٣) وهذا وجه آخر في التفسير.

(٤) الأنعام: ١٤٦.

(٥) وذلك تنظيما للشأنهم.

(٦) وهي قراءة شاذة.

(٧) بياء قراءة حمزة.

وَأَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ ۗ
وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ
وَأَلْسَابِطَ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ
وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زُورًا ﴿١٦٦﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ
مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى
تَكْلِيمًا ﴿١٦٧﴾ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ
لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٨﴾
لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ وَبِعِلْمِهِ ۗ وَالْمَلَكُوتُ
يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٧٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ
كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ
طَرِيقًا ﴿١٧١﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ
ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٧٢﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ
مِنْ رَبِّكُمْ فَخَامِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ
مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧٣﴾

﴿١٦٣﴾ ﴿١٦٤﴾ ﴿١٦٥﴾ ﴿١٦٦﴾ ﴿١٦٧﴾ ﴿١٦٨﴾ ﴿١٦٩﴾ ﴿١٧٠﴾ ﴿١٧١﴾ ﴿١٧٢﴾ ﴿١٧٣﴾

﴿١٦٣﴾ ﴿١٦٤﴾ ﴿١٦٥﴾ ﴿١٦٦﴾ ﴿١٦٧﴾ ﴿١٦٨﴾ ﴿١٦٩﴾ ﴿١٧٠﴾ ﴿١٧١﴾ ﴿١٧٢﴾ ﴿١٧٣﴾

﴿١٦٤﴾ ﴿١٦٥﴾ ﴿١٦٦﴾ ﴿١٦٧﴾ ﴿١٦٨﴾ ﴿١٦٩﴾ ﴿١٧٠﴾ ﴿١٧١﴾ ﴿١٧٢﴾ ﴿١٧٣﴾

﴿١٦٦﴾ ﴿١٦٧﴾ ﴿١٦٨﴾ ﴿١٦٩﴾ ﴿١٧٠﴾ ﴿١٧١﴾ ﴿١٧٢﴾ ﴿١٧٣﴾

﴿١٦٦﴾ ﴿١٦٧﴾ ﴿١٦٨﴾ ﴿١٦٩﴾ ﴿١٧٠﴾ ﴿١٧١﴾ ﴿١٧٢﴾ ﴿١٧٣﴾

﴿١٦٧﴾ ﴿١٦٨﴾ ﴿١٦٩﴾ ﴿١٧٠﴾ ﴿١٧١﴾ ﴿١٧٢﴾ ﴿١٧٣﴾

﴿١٦٨﴾ ﴿١٦٩﴾ ﴿١٧٠﴾ ﴿١٧١﴾ ﴿١٧٢﴾ ﴿١٧٣﴾

﴿١٦٩﴾ ﴿١٧٠﴾ ﴿١٧١﴾ ﴿١٧٢﴾ ﴿١٧٣﴾

﴿١٧٠﴾ ﴿١٧١﴾ ﴿١٧٢﴾ ﴿١٧٣﴾

﴿١٧١﴾ ﴿١٧٢﴾ ﴿١٧٣﴾

﴿١٧٢﴾ ﴿١٧٣﴾

﴿١٧٣﴾

﴿١٧٣﴾

﴿١٧٣﴾

﴿١٧٣﴾

﴿١٧٣﴾

﴿١٧٣﴾

﴿١٧٣﴾

﴿١٧٣﴾

﴿١٧٣﴾

﴿١٧٣﴾

(١) وهي قراءة حمزة.

(٢) أي: الجلال الخلي.

(٣) أي: عند تفسير قوله - تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا بَيْنَ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر: ١٧٨].

(٤) القصص: ٤٧.

(٥) أخرجه ابن إسحاق وابن جرير وابن المنذر والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس [الدر المنثور (٤٣٩/٢)]. وإسناده ضعيف كما ذكر صاحب الاستيعاب (١/٥٢٠).

[١٧١] ﴿يَتَأَمَّلَ الْكِتَابَ﴾ الإنجيل ﴿لَا تَسْأَلُوا﴾ تتجاوزوا الحدَّ ﴿فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْقَوْلَ﴾ الْحَقُّ ﴿مَنْ تَزَيَّهَ عَنِ الشَّرِيكِ وَالْوَلَدِ﴾ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا ﴿أَوْصَلَهَا اللَّهُ﴾ إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ ﴿أَي: ذُو رُوحٍ﴾ مِّنْهُ ﴿أَضْيَفَ إِلَيْهِ - تَعَالَى - تَشْرِيفًا لَهُ، وَلَيْسَ كَمَا زَعَمَ ابْنُ اللَّهِ، أَوْ إِلَهًا مَعَهُ، أَوْ نَالِكٌ ثَلَاثَةً، لِأَنَّ ذَا الرُّوحِ مَرْكَبٌ، وَالْإِلَهَ مَنْزَعٌ عَنِ التَّرْكِيبِ وَعَنِ نِسْبَةِ الْمَرْكَبِ إِلَيْهِ﴾ ﴿فَتَأَمَّلُوا بِاللَّهِ وَرَسُولَهُ﴾ وَلَا تَقُولُوا الْآلِهَةَ ﴿ثَلَاثَةً﴾ اللَّهُ وَعَيْسَى وَأُمُّهُ ﴿أَنْتَهُوْا﴾ عَنِ ذَلِكَ وَأَنْتَوا ﴿حَيْرًا لَّكُمْ﴾ مِنْهُ؛ وَهُوَ: التَّوْحِيدُ ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَحِدٌ سُبْحَانَهُ﴾ تَزَيَّهَ لَهُ عَنِ ﴿أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ خَلْقًا وَمَلَكًا وَعَبِيدًا، وَالْمَلَكِيَّةُ تَنَافِي النُّبُوَّةَ ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ شَهِيدًا عَلَى ذَلِكَ.

[١٧٢] ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ﴾ يَنْكِبُ وَيَأْنِفُ ﴿الْمَسِيحُ﴾ الَّذِي زَعَمَ أَنَّهُ إِلَهٌ عَنِ ﴿أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَكِيَّةَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ عِنْدَ اللَّهِ لَا يَسْتَنْكِفُونَ أَنْ يَكُونُوا عَبِيدًا، وَهَذَا مِنْ أَحْسَنِ الْإِسْتِطْرَادِ، ذُكِرَ لِلرَّدِّ عَلَى مَنْ زَعَمَ أَنَّهَا آلِهَةٌ أَوْ بَنَاتُ اللَّهِ، كَمَا رَدَّ بِمَا قَبْلَهُ عَلَى النَّصَارَى الرَّاعِمِينَ - ذَلِكَ الْمَقْصُودُ - حِطَابُهُمْ ﴿وَمَنْ يَسْتَنْكِفَ عَنِ عِبَادَتِي وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيَّ جَمِيعًا﴾ فِي الْآخِرَةِ.

[١٧٣] ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾ ثَوَابَ أَعْمَالِهِمْ ﴿وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ مَا لَا عَيْنَ رَأَتْ، وَلَا أُذُنَ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا﴾ عَنِ عِبَادَتِهِ ﴿فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ مُؤَلَّمًا؛ هُوَ: عَذَابُ النَّارِ ﴿وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أَي: غَيْرِهِ ﴿وَلِيًّا﴾ يَدْفَعُهُ عَنْهُمْ ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ يَنْصُرُهُمْ مِنْهُ.

[١٧٤] ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسَ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾ هُوَ: النَّبِيُّ ﷺ ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾ بَيِّنًا؛ هُوَ: الْقُرْآنُ.

[١٧٥] ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةِ يَتَنَّهُ﴾

يَتَأَمَّلَ الْكِتَابَ لَا تَقُولُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَتَأَمَّلُوا بِاللَّهِ وَرَسُولَهُ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً أَنْتَهُوْا حَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا أَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَكِيَّةَ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفَ عَنِ عِبَادَتِي وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيَّ جَمِيعًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا يَتَأْتِيَ النَّاسَ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةِ يَتَنَّهُ

وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ طَرِيقًا مُسْتَقِيمًا هُوَ دِينُ الْإِسْلَامِ

(١) وهذه الألفاظ محدثة ومهمة، فإن كان يقصد منها نفي الصفات التي أنبأها الله لنفسه أو أنبأها له رسوله ﷺ من اليد والقدم وغيرها؛ فهو باطل، وإن كان يقصد منها نفي صفات النقص عنه - سبحانه - فهو حق، ولكن التعبير عن ذلك بعبارة السلف أشمل وأولى.

﴿فَإِنْ كَانَتْ﴾ أي الأختان ﴿أُثْنَيْنِ﴾ أي: فصاعداً؛ لأنها نزلت في جابر وقد مات عن أخوات^(٥) ﴿فَلَهُمَا الثَّلَاثَانُ بِمَا تَرَكَ﴾ الأخ ﴿وَإِنْ كَانُوا﴾ أي: الورثة ﴿إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلَّذَكَرِ﴾ منهم ﴿مِثْلَ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ﴾ شرائع دينكم لـ ﴿أَنْ﴾ لا ﴿تَصَلُّوا وَاللَّهُ يَكْتُبُ لَكُمْ﴾ ومنه الميراث، روى الشيخان عن البراء: أنها آخرة نزلت؛ أي: من الفرائض^(٦).

سورة التائدة

[مدنية، وآياتها مائة وعشرون آية^(٥)]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ العهد المؤكدة التي بينكم وبين الله والناس ﴿أَحَلَّتْ لَكُمْ بَيْعَتُكُمْ أَلْفَاظُ﴾ الإبل والبقر والغنم أكلاً بعد الذبح^(١) ﴿إِلَّا مَا بَقِيَ عَلَيْكُمْ﴾ تحريمه في ﴿حُرْمَتِ عَلَيْكُمْ﴾ الآية، فالاستثناء منقطع، ويجوز أن يكون متصلاً، والتحريم لما عرّض من الموت^(٢) ونحوه ﴿غَيْرِ حَيْلٍ أَلْفَاظُ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾ أي: مُخْرَجُونَ، ونصب ﴿غَيْرِ﴾ على الحال من ضمير ﴿لَكُمْ﴾ ﴿وَإِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من التحليل وغيره لا اعتراض عليه.

[٢] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا شَعِيرَةَ اللَّهِ﴾ جمع شعيرة؛ أي: معالم دينه؛ بالصيد في الإحرام ﴿وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾ بالقتال فيه ﴿وَلَا الْمَدَى﴾ ما أهدي إلى الحرم من الثعم بالعرض له ﴿وَلَا الْقَلْبِدَ﴾ جمع قلادة؛ وهي: ما كان يقلده من شجر الحرم ليأمن؛ أي: لا تعرضوا لها ولا لأصحابها ﴿وَلَا﴾ تحلوا ﴿عَيْنَيْنِ﴾ قاصدين ﴿الْبَيْتِ الْحَرَامِ﴾ بأن تقاتلوه^(٣) ﴿يَتَّبِعُونَ﴾ فضلاً ﴿رِزْقًا﴾ من رزقهم ﴿بِالتَّجَارَةِ﴾ و﴿رِضْوَانًا﴾ منه بقصد برعهم الفاسد، وهذا منسوخ بآية براءة^(٤) ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ﴾ من الإحرام ﴿فَأَصْلِحُوا﴾ أمر بإباحة ﴿وَلَا تَجْرِمُوا﴾ يكسبكم ﴿شَتَاتًا﴾ بفتح النون وسكونها^(٥)؛ بعض ﴿قَوِيًّا﴾ لأجل ﴿أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا﴾ بترك عليهم بالقتل وغيره ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبُرِّ﴾ بفعل ما أمرتم به ﴿وَالْتَقَوْتُمْ﴾ بترك ما نهيتهم عنه ﴿وَلَا تَمَأْوُوا﴾ فيه حذف إحدى التاءين في الأصل ﴿عَلَى الْإِثْمِ﴾ المعاصي ﴿وَالْمُدْرَيْنِ﴾ التعدي في حدود الله ﴿وَأَتَّقُوا اللَّهَ﴾ خافوا عقابه بأن تطيعوه ﴿إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لمن خالفه.

(٥) ما جاء في نزول الآية (١٧٦): أخرج مسلم عن جابر بن عبد الله قال: مرضت فأتاني رسول الله ﷺ وأبو بكر عوداني ماشيين فأعني علي، فوضأ ثم صب علي من وضوئه فأقمت. قلت: يا رسول الله كيف أفضي في مالي؟ فلم ير علي شيئاً حتى نزلت آية الميراث: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ مسلم - كتاب الفرائض (٢٣) - باب (٢) ميراث الكلاله.

(١) اختلف في المراد بالكلاله؛ وأصح الأقوال فيها هي أن يموت الميت وليس له فرع ولا أصل.

(٢) لأن الجملة الشرطية لا يليها إلا الفعل ولو تقديرًا.

(٣) البخاري (١٩٤) من حديث جابر، وأخرج نحوه مسلم (١٦١٦).

(٤) البخاري (٤٦٠٥)، ومسلم (١٦١٨).

(٥) في نسخة: مدنية، مائة وعشرون أو: وثلاثون أو: ثلاث آية.

(٦) لو قال: «بعد التذكية» لكان أحسن؛ ليشمل النحر - أيضًا.

(٧) وهي عشرة أشياء مطعومة كما جاءت في الآية: أولها الميتة وأخرها ما ذبح على النصب.

(٨) لأن ما قبل ﴿إِلَّا﴾ فيما أحل، وما بعدها فيما حرم؛ أي: ما بعدها مغاير لما قبلها في الحكم والاتصال إذا كانا متفقين في الحكم، ويلزم من ذلك أن كل استثناء منقطع؛ لأن ما بعد «وَأَلَّا» دائماً مخالفت لما قبلها منقطعاً كان أو متصلاً. وأهل اللغة على أن الاستثناء المتصل أن يكون المستثنى من جنس المستثنى منه، والمنقطع أن يكون من غير جنسه.

(٩) وإن حمل على غير القتال؛ كالظلم، فليس منسوخ.

(١٠) أي: قوله: ﴿وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْمَدَى وَلَا الْقَلْبِدَ وَلَا عَيْنَيْنِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ﴾ [المائدة: ٢]، وليس في المائدة منسوخ غير هذه الآية.

(١١) بالسكون قراءة شعبة وابن عامر.

يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنْ أَمْرٌ وَأَهْلَكَ لَيْسَ لَهُ وُلْدٌ وَوَلَةٌ أَحْتُ فَالَهَا نِصْفٌ مَاتَرَكَ وَهُوَ يَرِيهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وُلْدٌ فَإِنْ كَانَتْ أُثْنَيْنِ فَالَهُمَا الثَّلَاثَانُ بِمَا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلَّذَكَرِ مِثْلَ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَصَلُّوا وَاللَّهُ يَكْتُبُ لَكُمْ عِلْمٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَيْعَتُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا بَقِيَ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّ الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنْ اللَّهُ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا شَعِيرَةَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلْبِدَ وَلَا أَمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَتَّبِعُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ رِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا تَجْرِمُوا مَنَاسِكَ اللَّهِ أَنْ صَدُّوا عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبُرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ

[١٧٦] ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ في الكلاله^(١) ﴿قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ إِنْ أَمْرٌ ﴿مَرْفُوعٌ﴾ بفعل يفسره^(٢) ﴿هَلْكَ﴾ مات ﴿لَيْسَ لَهُ وُلْدٌ﴾ أي: ولا والد؛ وهو: الكلاله ﴿وَلَةٌ﴾ أختٌ ﴿من أبوين أو أب﴾ ﴿فَلَهَا نِصْفٌ﴾ ما تَرَكَ ﴿وَهُوَ﴾ أي: الأخ كذلك ﴿بَرِيهَا﴾ جميع ما تَرَكَتْ ﴿إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وُلْدٌ﴾ فإن كان لها وُلْدٌ ذَكَرٌ؛ فلا شيء له، أو أنثى فله ما فضل من نصيبها، ولو كانت الأخت أو الأخ من أمِّ فَزَوْضَةُ الشُّدُسُ - كما تقدم أول السورة -

حَرَمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَحَلَّمَ الْخِزِيرَ وَمَا أَهْلَ لَعْنِ اللَّهِ بِهِ
وَالْمُنْخَفَةَ وَالْمَوْفُودَةَ وَالْمَرْدِيَّةَ وَالنَّطِيحَةَ وَمَا أَكَلَ
السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النَّصْبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا
بِالْأَزْلَمِ ذَلِكَ فَمَنْ يَمَسُّ الْيَوْمَ بَيْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا
تَحْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ
بِعَمَّتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ إِلَّا سَلَمَ دِينًا فَمَنْ أَضْطَرَّ فِي مَحْصَبَةٍ
غَيْرِ مَتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾ يَسْتَلُونَكَ مَاذَا
أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ
مُكَلِّبِينَ يُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكَنَّ عَلَيْكُمْ
وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَأَنْفِقُوا اللَّهُ إِنَّ سَرَيعَ الْحِسَابِ ﴿٢﴾
الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلَلٌ لَكُمْ
وَطَعَامُكُمْ حَلَلٌ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ
مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ
مُحْصِنِينَ غَيْرِ مُسَلِّفِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ
بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِيرِينَ ﴿٣﴾

لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ
مِن قَبْلِكُمْ حَل لَكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ
مُحْصِنِينَ مَتْرُوجِينَ غَيْرِ مُسَلِّفِينَ مَعْلَنِينَ بِالزَّانَا بَيْنَ وَلَا
مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ مَنَّهُنَّ تَسْرُونَ بِالزَّانَا بَيْنَ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ
يَرْتَدْ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ الصَّالِحِ قَبْلَ ذَلِكَ؛ فَلَا يَعْتَدُ بِهِ، وَلَا يَنْبَأُ عَلَيْهِ
وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِيرِينَ إِذَا مَاتَ عَلَيْهِ.

[٣] حَرَمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةَ أَي: أكلها ﴿وَالدَّمَ﴾ أَي: المسفوح - كما
في الأنعام^(١) - ﴿وَلَعْنَةُ الْخِزِيرِ وَمَا أَهْلَ لَعْنِ اللَّهِ بِهِ﴾ بَأَن ذُبِحَ عَلَى اسْمِ غَيْرِهِ
﴿وَالْمُنْخَفَةَ﴾ المَيْتَةُ نَحْتًا ﴿وَالْمَوْفُودَةَ﴾ المَقْتُولَةُ ضَرْبًا ﴿وَالْمَرْدِيَّةَ﴾ السَّاقِطَةُ
مِنْ عُلُوِّ إِلَى أَسْفَلِ فَمَاتَتْ ﴿وَالنَّطِيحَةَ﴾ المَقْتُولَةُ يَنْطَحُ أُخْرَى لَهَا ﴿وَمَا أَكَلَ
السَّبْعُ﴾ مِنْهُ ﴿إِلَّا مَا ذَكَيْتُمْ﴾ أَي: أَدْرَكْتُمْ فِيهِ الرُّوحَ مِنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ
فَذَبَحْتُمُوهُ، ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى﴾ اسْمِ ﴿النَّصْبِ﴾ جَمْعُ نَصَابٍ؛ وَهِيَ: الْأَصْنَامُ
﴿وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا﴾ تَطْلُبُوا الْقِسْمَ وَالْحُكْمَ ﴿بِالْأَزْلَمِ﴾ جَمْعُ زَلْمٍ - يَفْتَحُ
الزَّاي وَضَمُّهَا مَعَ فَتْحِ اللَّامِ -: قَدَحٌ - بِكَسْرِ الْقَافِ - صَغِيرٌ لَا رِيشَ لَهُ وَلَا
نَصْلَ، وَكَانَتْ سَبْعَةٌ عِنْدَ سَادَنِ الْكَعْبَةِ، عَلَيْهَا أَعْلَامٌ، وَكَانُوا يَحْكُمُونَهَا؛ فَإِنْ
أَمْرَتْهُمْ اتَّعَمَرُوا وَإِنْ نَهَيْتَهُمْ اتَّهَمُوا ﴿ذَلِكُمْ فِتْنَةٌ﴾ خُرُوجٌ عَنِ الطَّاعَةِ، وَنَزْلُ
يَوْمِ عَرَفَةَ عَامَ حِجَّةِ الْوِدَاعِ^(٢): ﴿الْيَوْمَ بَيْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ﴾ أَنْ
تَرْتَدُوا عَنْهُ بَعْدَ طَمَعِهِمْ فِي ذَلِكَ مَا رَأَوْا مِنْ قُوَّتِهِ ﴿فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ
أَكَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ أَحْكَامُهُ وَفَرَائِضُهُ، فَلَمْ يَنْزَلْ بَعْدَهَا حَلَالٌ وَلَا حَرَامٌ
﴿وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ بِعَمَّتِي﴾ يَأْكُمَالَهُ، وَقِيلَ: بِدُخُولِ مَكَّةَ آمِنِينَ ﴿وَرَضِيْتُ﴾
أَي: اخْتَرْتُ^(٣) ﴿لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنْ أَضْطَرَّ فِي مَحْصَبَةٍ﴾ مَجَاعَةٌ إِلَى أَي
شَيْءٍ مِمَّا حَرَّمَ عَلَيْهِ فَأَكَلَهُ ﴿غَيْرِ مَتَجَانِفٍ﴾ مَائِلٍ ﴿لِإِثْمٍ﴾ مَعْصِيَةٍ ﴿فَإِنَّ اللَّهَ
عَفُورٌ﴾ لَهُ مَا أَكَلَ ﴿رَحِيمٌ﴾ بِهِ فِي إِحْسَانِهِ، بِخِلَافِ الْمَائِلِ لِإِثْمٍ؛ أَي: التَّلْبِيسِ
بِهِ كَقَطَاعِ الطَّرِيقِ وَالْبَاغِي مَثَلًا؛ فَلَا يَحِلُّ لَهُ الْأَكْلُ.

[٤] يَسْتَلُونَكَ يَا مُحَمَّدُ ﴿مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ﴾ مِنَ الطَّعَامِ ﴿قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ
الطَّيِّبَاتُ﴾ الْمُسْتَلَذَاتُ ﴿وَرَبِّ صَيْدٍ﴾ مَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ الْكَوَاسِبِ مِنَ
الْكِلَابِ وَالسَّبَاعِ وَالطَّيْرِ ﴿مُكَلِّبِينَ﴾ حَالٌ مِنْ كَلَبَتِ الْكَلْبَ - بِالتَّشْدِيدِ؛
أَي: أُرْسَلَتْهُ عَلَى الصَّيْدِ ﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ﴾ حَالٌ مِنْ ضَمِيرِ ﴿مُكَلِّبِينَ﴾؛ أَي:
تُؤَدِّبُونَهُنَّ ﴿يَمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ﴾ مِنَ آدَابِ الصَّيْدِ ﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكَنَّ عَلَيْكُمْ﴾ وَإِنْ
قَتَلْتَهُ؛ بَأَن لَمْ يَأْكُلْ مِنْهُ، بِخِلَافِ غَيْرِ الْعَلَمَةِ؛ فَلَا يَحِلُّ صَيْدُهَا، وَعَلَامَتُهَا^(٤)
أَنْ تَسْتَوِيلَ إِذَا أُوسِيَتْ وَتَنْزَجِرَ إِذَا رُجِرَتْ، وَتَمْسِكُ الصَّيْدَ وَلَا تَأْكُلُ مِنْهُ،
وَأَقْلٌ مَا يَعْرِفُ بِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ؛ فَإِنْ أَكَلَتْ مِنْهُ فَلَيْسَ مِمَّا أَمْسَكَنَّ عَلَى
صَاحِبِهَا؛ فَلَا يَحِلُّ أَكْلُهُ كَمَا فِي حَدِيثِ الصَّحِيحِينَ وَفِيهِ: «أَنَّ صَيْدَ الْكَلْبِ
إِذَا أُوسِيَتْ وَذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ كَصَيْدِ الْعَلَمِ مِنَ الْجَوَارِحِ»^(٥). ﴿وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ
عَلَيْهِ﴾ عِنْدَ إِسْرَائِهِ^(٦) ﴿وَأَنْفِقُوا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾.

[٥] الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ الْمُسْتَلَذَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ
أَي: ذَبَابُ الْبُهْرَدِ وَالنَّصَارَى ﴿حَلَلٌ﴾ حَلَالٌ ﴿لَكُمْ﴾ وَطَعَامُكُمْ ﴿إِيَّاهُمْ﴾ حَلُّ

(١) أَي: فِي قَوْلِهِ - تَعَالَى -: ﴿أَوْ ذَكَرًا مَسْتَوْسًا﴾ [الأنعام: ١٤٥].

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٤٤٠٧)، وَمُسْلِمٌ (٣٠١٧).

(٣) هَذَا تَأْوِيلٌ لَصَفَةِ الرِّضَا الثَّابِتَةِ لِلَّهِ ﷻ عَلَى الرَّجُلِ الَّذِي يَلْبَسُ بِهِ سَبْحَانَهُ. وَمِنْ لُؤْزَامِهَا أَنَّهُ اخْتَارَ مَا رَضَاهُ مِنَ الدِّينِ لِهَذِهِ الْأَمَةِ.

(٤) ذَكَرَ أَرْبَعَ عِلْمَاتٍ وَهِيَ مَعْتَبَرَةٌ فِي الْكَلْبِ وَالسَّبْعِ، وَأَمَّا الطَّيْرُ فَلَا يَجْعُرُ فِيهِ إِلَّا قَبْدَانٌ: أَلَا يَأْكُلُ مِنْهُ، وَإِذَا أُرْسِلَ اسْتَرْسَلَ، وَيَرَى مَالِكًا أَنْ الْأَكْلَ لَيْسَ قَبْدًا كَذَلِكَ فِي الْكَلْبِ وَالسَّبْعِ، وَلَمْ يَأْخُذْ بِالْحَدِيثِ.

(٥) لَا يَبُوجِدُ بِهَذَا اللَّفْظِ فِي الصَّحِيحِينَ وَلَكِنْ يَسْتَفَادُ هَذَا الْحُكْمَ مِنْ أَحَادِيثَ فِيهَا. انظر: الْبُخَارِيُّ (٥٠٦٢)، وَمُسْلِمٌ (٣٥٦٥).

(٦) ذَهَبَ الْمَصْنَفُ إِلَى أَنَّ الضَّمِيرَ عَائِدٌ إِلَى ﴿مَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ﴾، وَقِيلَ: عَائِدٌ إِلَى ﴿مَا أَمْسَكَنَّ عَلَيْكُمْ﴾؛ أَي: سَمَوُا اللَّهَ إِذَا أَدْرَكْتُمْ ذِكَاةً.

أصقوا المسح بها من غير إسالة ماء، وهو اسم جنس فيكفي أقل ما يصدق عليه؛ وهو: مسح بعض شعره^(٦)، وعليه الشافعي **﴿وَأَرْكَبَكُمْ﴾** بالنصب، عطفًا على **﴿أَيَّدِيكُمْ﴾**، وبالجر على الجوار^(٧) **﴿إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾** أي: معها - كما يثبت الشئ^(٨) ٤. وهما: العظام الناتان في كل رجل عند مفصل الساق والقدم، والفصل بين الأيدي والأرجل الممسولة بالرأس الممسوح يفيد وجوب الترتيب في طهارة هذه الأعضاء، وعليه الشافعي، ويؤخذ من السنة وجوب النية فيه كغيره من العبادات **﴿وَأَن كُنْتُمْ جُنُبًا فَأَطَهَّرُوا﴾** فاعتسلوا **﴿وَأَن كُنْتُمْ مَرْتَبِينَ﴾** مرضًا يضره الماء **﴿أَوْ عَلَيَّ سَفَرٌ﴾** أي: مسافرين **﴿أَوْ جَسَدًا أَحَدٌ مِنكُم مِّنَ الْعَائِلَةِ﴾** أي: أخذت **﴿أَوْ لِنِسَاءِ الْبَنَاتِ﴾** سبق مثله في آية النساء **﴿فَلَمَّ يَجِدُوا مَاءً﴾** بعد طلبة **﴿فَتَيَسَّمُوا﴾** اقصدا **﴿صَدِيدًا طَيِّبًا﴾** ترابًا طاهرًا **﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾** مع المرفقين **﴿بِئْتَهُ﴾** بضرين^(٩)، والباء للإلصاق، وتبينت الشئ أن المراد استيعاب العضوين بالمسح^(١٠) **﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّن حَرَجٍ﴾** ضيق بما فرض عليكم من الوضوء والغسل والتيمم **﴿وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ﴾** من الأحداث والذنوب **﴿وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ﴾** بالإسلام؛ بيان شرائع الدين **﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾** نعمة^(١١).

[٧] **﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾** بالإسلام **﴿وَمِنْ نِعْمَتِهِ﴾** عهده **﴿الَّذِي وَافَّقَكُمْ بِهِ﴾** عاهدكم عليه **﴿إِذْ قُلْتُمْ﴾** للنبي ﷺ حين بايعتموه: **﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾** في كل ما تأمر به وتنهى؛ بما نحب ونكره **﴿وَأَتَقُوا اللَّهَ﴾** في ميثاقه أن تنقضوه **﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾** بما في القلوب، فغيره أولى.

[٨] **﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾** كُنُوا قَوْمِينَ قاتمين **﴿لِلَّهِ﴾** بحقوقه **﴿شُهَدَاءَ يَلْقَسُ﴾** بالعدل **﴿وَلَا يَجْرِمُكُمْ﴾** يحميلكم **﴿سِتَانًا﴾** بغض **﴿قَوْمٍ﴾** أي: الكفار **﴿عَلَىٰ آلَا تَعْدَلُوا﴾** فناولوا منهم؛ لعداوتهم **﴿أَعْدَلُوا﴾** في العدو والولي **﴿هُوَ﴾** أي: العدل **﴿أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾** وَأَتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ فيجازيكم به.

[٩] **﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾** وعدًا حسنًا **﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾** هو الجنة.

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِن كُنْتُمْ جُنُبًا فَأَطَهَّرُوا وَإِن كُنْتُمْ مَرَضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِبِ أَوْ لِمَسَاةٍ فَاسْتَجِدُوا مَاءً فَتَيَسَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِمَّا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّن حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾
وَأَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُنُوا قَوْمِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ يَلْقَسُ وَلَا يَجْرِمُكُمْ سِتَانًا قَوْمًا عَلَىٰ الْآتَعْدَلُوا أَعْدَلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَأَتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾

[٦] **﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ﴾** أي: أردتم القيام **﴿إِلَى الصَّلَاةِ﴾** وأنتم محدثون **﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾** أي: معها - كما يثبت الشئ^(١١) - **﴿وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾** الباء للإلصاق^(١٢)؛ أي:

(٥) ما جاء في نزول الآية (٦): أخرج البخاري عن عائشة **﴿سقطت فلاة لي بالبيداء - ونحن داخلون المدينة - فأناب النبي ﷺ ونزل، فنى رأسه في حجري راقدا. أقبل أبو بكر فلكرني لكرة شديدة وقال: حبست الناس في فلاة؟ في الموت لكان رسول الله ﷺ وقد أوجعني، ثم إن النبي ﷺ استيقظ وحضرت الصبح فامسح الماء فلم يوجد؛ فنزلت: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ الآية. قال أسيد بن حضير: لقد بارك الله للناس فيكم يا آل أبي بكر، ما أنتم إلا بركة لهم. البخاري - التفسير (٦٥) - سورة المائدة (٥) باب (٣).**

(١١) من حديث وائل بن حجر الحضرمي أن النبي ﷺ **﴿غسل في وضوئه: يمينه ويساره، حتى جاوز المرفق ثلاثاً، وغسل رجله حتى جاوز الكعبين﴾**. أخرجه الدارقطني من حديث عثمان، وأخرجه الدارقطني والبيهقي عن جابر، وأخرجه الزبير الطبراني من حديث وائل بن حجر، وأخرجه الطحاوي والطبراني من حديث ثعلبة بن عباد عن أبيه مرفوعاً [فتح الباري (١/٣٥٠)]. وانظر: صحيح الجامع (٤٦٩٨)، والسلسلة الصحيحة (٩٩/٥).

(١٢) وقيل: للتبعض. وهو قول مرجوح.
(٣) وقال أبو حنيفة: يجب مسح أربع الرأس. وقال مالك وأحمد: يجب مسح الجميع كما يجب مسح الوجه في التيمم. وهو الصحيح.
(٤) قراءة الجرايين كثير وأبي عمرو وحمره وشعبة، وقوله: **﴿على الجوار﴾**؛ أي: فهو في المعنى منصوب بفتحة مقدرة على آخره، واعتراض على هذا بأنه لم يرد الجر بالمجاورة إلا في النعت، والأولى أن يقال: إنه مجرور لفظاً ومعنى، معطوف على الرؤوس، والمسح مسلط عليه ويحمل على حالة ليس الخف.
(٥) كما تقدم قريباً في حديث وائل بن حجر.
(٦) حديث الضربين ضعيف، والصحيح أن التيمم ضربة واحدة كما في حديث عمار عند البخاري مرفوعاً: **﴿إنما كان يكفيك هكذا، ونفخ فيها ثم مسح بهما وجهه وكفيه﴾** البخاري (٣٤٧).
(٧) لحديث زوي عن ابن عمر عند الدارقطني (١٨٠/١) مرفوعاً، وصحح الأئمة وفقه على ابن عمر.

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ
 الْجَحِيمِ ﴿١٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ
 اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ لَّا يَسْطُونَ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ
 فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
 الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ
 وَبَعَثْنَا فِيهِمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي
 مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ
 وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا
 حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ
 جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ
 مِنكُم مِّنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٢﴾ فِيمَا نَقَضْتُمُ
 مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَلِيلًا يُحَرِّفُونَ
 الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهَا وَتَوَسَّوْا حِطًّا ﴿١٣﴾ وَلَا تَزَالُ
 بِقَبْضِ الْعَهْدِ وَإِنِّي لَأَقْصِي بَصَرِي وَمَا أَصْفَحُ عَنْهُمْ
 فَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾

[١٠] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾

[١١] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ لَّا يَسْطُونَ﴾ هـم قريش ﴿وَأَن يَسْطُوا﴾ يبدوا ﴿وَالْيَكُمُ أَيْدِيَهُمْ﴾ ليفتكوا بكم ﴿فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ﴾ وعصمكم مما أرادوا بكم ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾^(١)

[١٢] ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ بما يذكر بعد ﴿وَبَعَثْنَا فِيهِمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ - فيه التفات عن الغيبة - أقمنا ﴿وَمِنْهُمْ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ من كل سبط نقيب يكون كفيلاً على قومه؛ بالوفاء بالعهد توثقة عليهم ﴿وَقَالَ لَهُمْ﴾ ﴿اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ﴾ بالعون والصره ﴿لَئِنْ﴾ لام قسم ﴿أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾ نصرتموهم ﴿وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ بالإنفاق في سبيله ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ الميثاق ﴿مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ أخطأ طريق الحق؛ والسواء في الأصل: الوسط، فنقضوا الميثاق.

[١٣] قال الله - تعالى -: ﴿فِيمَا نَقَضْتُمُ﴾ «ما» زائدة ﴿مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ﴾ أبعدناهم عن رحمتنا ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَلِيلًا﴾ لا تلين لقبول الإيمان ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ﴾ الذي في التوراة من نعت محمد ﷺ وغيره ﴿عَن مَّوَاضِعِهِ﴾ التي وضعه الله عليها؛ أي: يبدلونه ﴿وَتَوَسَّوْا حِطًّا﴾ نصيباً ﴿وَمِمَّا ذُكِّرُوا﴾ أمروا ﴿بِهِ﴾ في التوراة من اتباع محمد ﷺ ﴿وَلَا تَزَالُ بِقَبْضِ الْعَهْدِ﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿تَطَّلِعُ﴾ تظهر ﴿عَلَى خَائِبَةٍ﴾ أي: خيانة ﴿وَمِنكُمْ﴾ بنقض العهد وغيره ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ من أسلم ﴿فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَأَصْفَحْ﴾ إنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿وَهَذَا مَنسُوحٌ بِآيَةِ السِّيفِ﴾^(٢)

(٥) فائدة: قال الأوسى: هو الآية إشارة إلى ما أخرجه مسلم وغيره من حديث جابر أن المشركين رأوا أن رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله تعالى عنهم بعسفان قاموا إلى الظهر معاً، فلما صلوا ندما ألا كانوا أكبوا عليهم، وهما أن يوقعوا بهم إذا قاموا إلى صلاة العصر؛ فرد الله تعالى كيدهم بأن أنزل صلاة الخوف....

وقيل غير ذلك. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١٢٤/٦، ١٢٥).

(١) أي: من قوله: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ﴾ الآية [التائده: ١٢].

(٢) وهي الآية الخامسة من سورة التوبة.

[١٤] ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَرْنَا﴾ متعلق بقوله: ﴿أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ﴾ كما أخذنا على بني إسرائيل العهد، ﴿فَسَوَّاهُمْ حَقًّا﴾ دُكِّرُوا بِهِ، في الإنجيل؛ من الإيمان وغيره، ونقضوا الميثاق ﴿فَأَغْرَيْنَا أَوْعَانَهُمْ﴾ بِيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ بتفرقهم واختلاف أهوائهم، فكل فرقة تكفر الأخرى ﴿وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ فِي الْآخِرَةِ﴾ ﴿بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ فيجازيهم عليه.

[١٥] ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ﴾ أي: بالكتاب ﴿اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ﴾ بأن آمن ﴿سُئِلَ السَّلَامَةُ﴾ طرق السلامة ﴿وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ﴾ الكفر ﴿إِلَى النُّورِ﴾ الإيمان ﴿بِإِذْنِهِ﴾ بإرادته ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ دين الإسلام.

[١٦] ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ حيث جعلوه إلهًا، وهم العيقوية - فرقة من النصارى (١) - ﴿قُلْ مَن يَمْلِكُ﴾ أي: يدفع ﴿وَمَن عَذَابُ اللَّهِ سَيِّئًا إِنِ ارْتَدَّ﴾ أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعًا، أي: لا أحد يملك ذلك، ولو كان المسيح إلهًا؛ لقد علم عليه ﴿وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾

[١٧] ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ حيث جعلوه إلهًا، وهم العيقوية - فرقة من النصارى (١) - ﴿قُلْ مَن يَمْلِكُ﴾ أي: يدفع ﴿وَمَن عَذَابُ اللَّهِ سَيِّئًا إِنِ ارْتَدَّ﴾ أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعًا، أي: لا أحد يملك ذلك، ولو كان المسيح إلهًا؛ لقد علم عليه ﴿وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾

وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَرْنَا أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا دُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ وَسُئِلَ السَّلَامُ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَأُمُّهُ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾

(١) فائدة: أخرج الحاكم (٤/٤٠٠) وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (من كفر بالرجم، فقد كفر بالقرآن من حيث لا يحاسب. وذلك قول الله تعالى: ﴿يَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ فكان مما أخفوه الرجم.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.
وأخرجه ابن حبان في صحيحه (٢٧٦/١٠) وصححه الأرنؤوط. الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٤٤٣٠).

(١) بل هذا هو معتقد عامتهم.

(٢) والأولى الإطلاق وعدم التقييد، كما أطلق الله تعالى، ورسوله صلى الله عليه وسلم، كما أنه أكمل في الصفة، والله أعلم.

وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّهُ هُوَ قُلٌّ فَلَمَّ يُعَذِّبْكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَعْزُبُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى قَتَرٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ قَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَعَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ أذكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ رُسُلًا مِنكُمْ فَأَجَابْتُمْ لَهُمْ كِبْرًا وَنَسَوْتُمْ آيَاتِي الَّتِي أَنزَلْتُ بِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ أذكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ رُسُلًا مِنكُمْ فَأَجَابْتُمْ لَهُمْ كِبْرًا وَنَسَوْتُمْ آيَاتِي الَّتِي أَنزَلْتُ بِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢١﴾ وَيَقُولُوا نَحْنُ قَوْمٌ مُّسْتَضَلُّونَ وَإِنَّا لَنَحْنُ الَّذِينَ كَذَّبُوا ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ كَاذِبًا سَاءً مَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِهِ قَبُولًا وَإِنَّهُ لَشَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ أذكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ رُسُلًا مِنكُمْ فَأَجَابْتُمْ لَهُمْ كِبْرًا وَنَسَوْتُمْ آيَاتِي الَّتِي أَنزَلْتُ بِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ أذكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ رُسُلًا مِنكُمْ فَأَجَابْتُمْ لَهُمْ كِبْرًا وَنَسَوْتُمْ آيَاتِي الَّتِي أَنزَلْتُ بِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ أذكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ رُسُلًا مِنكُمْ فَأَجَابْتُمْ لَهُمْ كِبْرًا وَنَسَوْتُمْ آيَاتِي الَّتِي أَنزَلْتُ بِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ أذكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ رُسُلًا مِنكُمْ فَأَجَابْتُمْ لَهُمْ كِبْرًا وَنَسَوْتُمْ آيَاتِي الَّتِي أَنزَلْتُ بِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ أذكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ رُسُلًا مِنكُمْ فَأَجَابْتُمْ لَهُمْ كِبْرًا وَنَسَوْتُمْ آيَاتِي الَّتِي أَنزَلْتُ بِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ أذكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ رُسُلًا مِنكُمْ فَأَجَابْتُمْ لَهُمْ كِبْرًا وَنَسَوْتُمْ آيَاتِي الَّتِي أَنزَلْتُ بِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ أذكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ رُسُلًا مِنكُمْ فَأَجَابْتُمْ لَهُمْ كِبْرًا وَنَسَوْتُمْ آيَاتِي الَّتِي أَنزَلْتُ بِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٣٠﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ أذكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ رُسُلًا مِنكُمْ فَأَجَابْتُمْ لَهُمْ كِبْرًا وَنَسَوْتُمْ آيَاتِي الَّتِي أَنزَلْتُ بِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ أذكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ رُسُلًا مِنكُمْ فَأَجَابْتُمْ لَهُمْ كِبْرًا وَنَسَوْتُمْ آيَاتِي الَّتِي أَنزَلْتُ بِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٣٢﴾

القرية، ولا تخشوهم؛ فإنهم أجساد بلا قلوب ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِذْكُمُ عَلَيْهِمْ﴾ فالأذن في ذلك تيقنا بنصر الله وإجازه وعده ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾.

[١٨] ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى﴾ أي: كل منهما: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ﴾ أي: كآبائنا في القرب والمنزلة، وهو كآبائنا في الرحمة والشفقة ﴿وَأَحِبُّهُ هُوَ قُلٌّ﴾ لهم يا محمد: ﴿فَلَمَّ يُعَذِّبْكُمْ بِذُنُوبِكُمْ﴾ إن صدقتم في ذلك، ولا يعذب الأب ولده ولا الحبيب حبيبه، وقد عذبكم؛ فأنتم كاذبون ﴿بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾ من جملة من ﴿خَلَقَ﴾ من البشر، لكم ما لهم، وعليكم ما عليهم ﴿يَعْزُبُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ المغفرة له ﴿وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ تعذيبه، لا اعتراض عليه ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ المرجع.

[١٩] ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا﴾ محمد ﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ﴾ شرائع الدين ﴿عَلَى قَتَرٍ﴾ انقطاع ﴿مِّنَ الرُّسُلِ﴾ إذ لم يكن بينه وبين عيسى رسول، ومدة ذلك خمسمائة وتسع وستون سنة (١) ﴿لأن﴾ لا ﴿تَقُولُوا﴾ إذا عذبتم: ﴿مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ قَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ﴾ فلا عذر لكم إذا ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه تعذيبكم إن لم تتبعوه.

[٢٠] ﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ رُسُلًا مِنكُمْ فَأَجَابْتُمْ لَهُمْ كِبْرًا وَنَسَوْتُمْ آيَاتِي الَّتِي أَنزَلْتُ بِكُمْ﴾ أي: منكم ﴿وَجَعَلَ فِيكُمْ رُسُلًا﴾ أصحاب خدم وخشم ﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ رُسُلًا مِنكُمْ فَأَجَابْتُمْ لَهُمْ كِبْرًا وَنَسَوْتُمْ آيَاتِي الَّتِي أَنزَلْتُ بِكُمْ﴾ من المُرِّ والسلوى وقلبي البحر وغير ذلك.

[٢١] ﴿وَيَقُولُوا نَحْنُ قَوْمٌ مُّسْتَضَلُّونَ وَإِنَّا لَنَحْنُ الَّذِينَ كَذَّبُوا﴾ أي: كذب الله لكم ﴿أمركم بدخولها؛ وهي: الشام﴾ ولا تزدوا على آدابكم ﴿تنهزوا خوف العدو﴾ فتسقبلوا خيرين في سعيكم.

[٢٢] ﴿وَيَقُولُوا نَحْنُ قَوْمٌ مُّسْتَضَلُّونَ وَإِنَّا لَنَحْنُ الَّذِينَ كَذَّبُوا﴾ أي: كذب الله لكم ﴿أمركم بدخولها؛ وهي: الشام﴾ ولا تزدوا على آدابكم ﴿تنهزوا خوف العدو﴾ فتسقبلوا خيرين في سعيكم.

[٢٣] ﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ رُسُلًا مِنكُمْ فَأَجَابْتُمْ لَهُمْ كِبْرًا وَنَسَوْتُمْ آيَاتِي الَّتِي أَنزَلْتُ بِكُمْ﴾ أي: منكم ﴿وَجَعَلَ فِيكُمْ رُسُلًا﴾ أصحاب خدم وخشم ﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ رُسُلًا مِنكُمْ فَأَجَابْتُمْ لَهُمْ كِبْرًا وَنَسَوْتُمْ آيَاتِي الَّتِي أَنزَلْتُ بِكُمْ﴾ من المُرِّ والسلوى وقلبي البحر وغير ذلك.

(١) أخرجه البخاري (٣٦٥٤) عن سلمان الفارسي قال: فترة بين عيسى ومحمد ﷺ ستماية سنة. وعن قتادة خمسمائة وستون سنة. أخرجه عبد الرزاق عن معمر عنه.

وعن الكلبي: خمسمائة وأربعين، وقيل: أربعمائة سنة. انظر: [فتح الباري (٧/٣٢٥)].

وعن الضحاك: أربعمائة وبضع وثلثون سنة.

والمشهور ستماية سنة. ومنهم من يقول: ستماية وعشرون سنة بالقرمية فكون ستماية بالشمسية [البداية والنهاية].

(٢) يشير إلى ما ورد في الإسرائيليات من وصف هؤلاء القوم، واختار بعض أهل العلم أن لا يعتمد ذلك في تفسير كلام الله ﷻ، بل لا يفسر القرآن إلا بما هو متيقن غير مشكوك فيه، وأما الإذن في نقل أخبار أهل الكتاب وأحاديثهم بغير تصديق ولا تكذيب فهو في غير تفسير القرآن الكريم، وهو قول وجيه وقوي، وسبق الكلام عن أقسام الإسرائيليات في سورة البقرة عند ذكر الثابت، فليراجع.

(٣) أخرجه ابن جرير عن ابن عباس، وأخرجه عبد بن حميد عن عطية العوفي [الدر المنثور (٢/٤٧٩)].

[٢٦] ﴿قَالَ﴾ تعالى له: ﴿فَإِنَّهَا﴾ أي: الأرض المقدسة ﴿مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾ أن يدخلوها ﴿أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ﴾ يتحIRON ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ وهي تسعة فراسخ، قاله ابن عباس ﴿فَلَا تَأْسُ﴾ تحزن ﴿عَلَى الْقَوْرِ الْفَيْسِقِينَ﴾ روي أنهم كانوا يسيرون الليل جادين فإذا أصبحوا إذا هم^(١) في الموضع الذي ابتعدوا منه، وسيرون النهار كذلك حتى انقضوا كلهم إلا من لم يبلغ العشرين، قيل: وكانوا ستمائة ألف، ومات هارون وموسى في الشَّيْءِ وكان رحمة لهما وعدايباً لأولئك، وسأل موسى ربه عند موته أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر؛ فأدناه - كما في الحديث^(٢) -، وثبت يوشع بعد الأربعين، وأمر بقتال الجبارين؛ فسار بمن بقي معه وقتلهم، وكان يوم الجمعة، ووقفت له الشمس ساعة حتى فرغ من قتالهم، وروى أحمد في مسنده حديث: «إِنَّ الشَّمْسَ لَمْ تَحْسَبْ عَلَيَّ بَشَرًا إِلَّا يَوْشَعَ^(٣) لِيَالِي سَارَ إِلَى بَيْتِ الْمُقَدَّسِ^(٤)».

[٢٧] ﴿وَأَتَى﴾ يا محمد ﴿عَلَيْهِمْ﴾ على قومك ﴿نَبَأٌ﴾ خبر ﴿أَبْنَى عَادَمَ﴾ هابيل وقابيل ﴿بِالْحَقِّ﴾ متعلق بـ ﴿أَتَى﴾ ﴿إِذْ قَرَأَ قُرْآنًا﴾ إلى الله؛ وهو: كسب لهابيل وزرع لقابيل ﴿فَنُقِلَ مِنْ أَسْوَاهِمَا﴾ وهو هابيل؛ بأن نزلت نار من السماء فأكلت قربانه ﴿وَلَمْ يُنْقَلْ مِنَ الْآخِرِ﴾ وهو قابيل؛ فغضب وأضمر الحسد في نفسه إلى أن حج آدم ﴿قَالَ﴾ له: ﴿لَأَقْتُلَنَّكَ﴾ قال: لم؟ قال: لتقبل قربانك دوني ﴿قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾.

[٢٨] ﴿لِيُنْزِلَ﴾ لام قسم ﴿بَسَطَتْ﴾ مددت ﴿إِلَيْكَ يَدَكَ﴾ ليقبلكي ما أتى بأسيط يدي إليك لاقتلك إلى أخاف الله رب العالمين في تلك^(٥).

[٢٩] ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ﴾ ترجع ﴿بِإِيْمِي﴾ بإيمت قلبي ﴿وَأَيْمُكَ﴾ الذي ارتكبه من قبل ﴿فَتَكُونُ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ ولا أريد أن أبوء بإيمتك إذا قتلتك؛ فأكون منهم، قال - تعالى -: ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾.

[٣٠] ﴿فَطَوَّعَتْ﴾ زينت ﴿لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ﴾ فصار ﴿مِنَ الْفَاسِقِينَ﴾ بقتله، ولم يدر ما يصنع به؛ لأنه أول ميت على وجه الأرض من بني آدم، فحمله على ظهره.

[٣١] ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ﴾ يَبْحَثُ التراب بمنقاره ويرجله وَيَبْرِئُهُ على غراب ميت حتى وازاه ﴿لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُؤِيرِي﴾ يشترئ ﴿سَوْءَةَ﴾ جيفة ﴿أَخِيهِ قَالِ يَتَوَلَّى عَجْرَتُ﴾ عن ﴿أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوْرِي سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ على حمله، وحفر له ووراه.

قَالُوا يَمُوسَى إِنَّا لَنَدَّخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلْنَا إِنَّا هُنَا قَاعِدُونَ ﴿٢٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسُ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٨﴾ وَأَتَى عَلَيْهِمْ نَبَأُ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَأَ قُرْآنًا فَتُقِلُّ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لِيَنْ بَسَطَتْ إِلَيْكَ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطِ يَدِي إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِيْمِي وَأَيْمُكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ وَقَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ وَأَصْبَحَ مِنَ الْفَاسِقِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُؤِيرِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالِ يَتَوَلَّى عَجْرَتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوْرِي سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴿٣١﴾

[٢٤] ﴿قَالُوا يَمُوسَى إِنَّا لَنَدَّخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلْنَا﴾ هم ﴿إِنَّا هُنَا قَاعِدُونَ﴾ عن القتال. [٢٥] ﴿قَالَ﴾ موسى حينئذ: ﴿رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَ﴾ إلا ﴿أَخِي﴾ ولا أملك غيرهما؛ فاجبرهم على الطاعة ﴿فَافْرُقْ﴾ فافصل ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾.

(٥) فائدة: أخرج أبو داود عن سعد بن أبي وقاص عن النبي ﷺ في هذا الحديث، قال: قلت يا رسول الله، أرأيت إن دخل علي بيتي وبسط يده ليقبلكي؟ قال: فقال رسول الله ﷺ: «كن كإبن آدم»، وتلا يزيد. هو يزيد بن خالد الرملي شيخ أبي داود. «لِيُنْزِلَ بَسَطَتْ إِلَيْكَ يَدَكَ لِيَقْتُلَنَّكَ مَا أَنَا بِبَاسِطِ يَدِي إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ» الآية. أبو داود - كتاب الفتن والملاحم (٢٩) باب (٢) في النهي عن السعي في الفتنة. وأشار محققه في هامشه (٤٥٦/٤) أنه وقع في نسخة: «كن كخبر ابني آدم». وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣٥٨١).

وقوله: «في هذا الحديث» يعني حديث أبي بكر مرفوعاً: «إنها ستكون فتنة، يكون المضطجع فيها خيرا من الجالس...» وهو عند مسلم في كتاب الفتن (٥٢) باب (٣) نزول الفتن كموافق القطر.

وفي آخر الحديث عند مسلم: «فقال رجل: يا رسول الله أرأيت إن أكرهت حتى ينطلق بي إلى أحد الصغين - أو إحدى الفغين - فضررتي رجل بسيفه، أو يحيي سهم فيقتلني؟ قال: يوء يائمه وإيمتك، ويكون من أصحاب النار».

(١) أخرج نحوه ابن جرير عن مجاهد وعن الربيع بن أنس [الدر المنثور (٤٨٢/٢)].

(٢) البخاري (٣٤٠٧)، ومسلم (٢٣٧٢).

(٣) أي: قبل يوشع، وإلا فقد حسبت لبينا ﷺ مرتين؛ يوم الخندق، وصيحة ليلة الإسراء.

(٤) رواه أحمد (٧٩٦٤) عن أبي هريرة مرفوعاً بلفظ: «إن الشمس لم تحس لبشر...». وانظر: صحيح الجامع (٥٦١٢).

مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ
نَفْسًا يَغْيِرْ نَفْسًا أَوْ فَسَادًا فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ
النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ
جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنْ كَثُرُوا
مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمَسْرِقُونَ ﴿٢٢﴾ إِنَّمَا
حَزَرْنَا الَّذِينَ يَحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي
الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يَقْتُلُوا أَوْ يُصَلِّبُوا أَوْ يَقَطَعَ أَيْدِيَهُمْ
وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْقَوْنَ مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ
لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ
﴿٢٣﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا
أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا
اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَآئِن لَّهُمْ
مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ
عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقْبِلُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٦﴾

[٢٢] ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ﴾ الذي فعله قاييل ﴿كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُمْ﴾ أي: الشأن ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا يَغْيِرْ نَفْسًا﴾ قتلها ﴿أَوْ﴾ بغير ﴿فَسَادًا﴾ آتاه ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ من كُفِّرَ أَوْ زَنَا أَوْ قَطَعَ طَرِيقَ أَوْ نَحْوَهُ ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾ بأن امتنع عن قتلها ﴿وَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ قال ابن عباس: من حيث انتهالك حرمتها وصونها^(١) ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ﴾ أي: بني إسرائيل ﴿رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ المعجزات ﴿ثُمَّ إِنْ كَثُرُوا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمَسْرِقُونَ﴾ مجاوزون الحد بالكفر والقتل وغير ذلك.

[٢٣] ونزل في العرنيين - لما قدموا المدينة وهم مرضى^(٢)؛ فأذن لهم النبي ﷺ أن يخرجوا إلى الإبل ويشربوا من أبوابها وألبانها، فلما صَحُّوا قَتَلُوا رَاعِي النَّبِيِّ ﷺ واستاقوا الإبل -: ﴿إِنَّمَا حَزَرْنَا الَّذِينَ يَحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ بمحاربة المسلمين ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾ يقطع الطريق ﴿أَنْ يَقْتُلُوا أَوْ يُصَلِّبُوا أَوْ يَقَطَعَ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ مِنْ خَلْفٍ﴾ أي: أيديهم اليمنى وأرجلهم اليسرى ﴿أَوْ يُنْقَوْنَ مِنَ الْأَرْضِ﴾ ﴿أَوْ﴾ لترتيب الأحوال، فالقتل لمن قتل فقط، والصلب لمن قتل وأخذ المال، والقطع لمن أخذ المال ولم يقتل، والنفي لمن أخاف فقط، قاله ابن عباس، وعليه الشافعي^(٣)، وأصح قوله: أن الصلب ثلاثاً^(٤) بعد القتل، وقيل: قبله قليلاً. ويلحق بالنفي ما أشبهه في التشكيل من الحبس وغيره^(٥) ﴿ذَلِكَ﴾ الجراء المذكور ﴿لَهُمْ خِزْيٌ﴾ ذل ﴿فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ هو عذاب النار.

[٢٤] ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ من الحاربين والْقَطَاعِ ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لهم ما أتوه ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم، عتبر بذلك دون ﴿فلا تحذوهم﴾؛ ليفيد أنه لا يسقط عنه توبته إلا حدود الله دون حقوق الأدميين، كذا ظهر لي، ولم أرى من تعرض له، والله أعلم. فإذا قتل وأخذ المال يقتل ويقطع ولا يصلب^(٦)، وهو أصح قول الشافعي، ولا تنفيذ توبته بعد القدرة عليه شيئاً، وهو أصح قوله أيضاً^(٧).

[٢٥] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ خافوا عقابه؛ بأن تطيعوه ﴿وَابْتَغُوا﴾ اطلبوا ﴿إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ ما يقربكم إليه من طاعته ﴿وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ﴾ لإعلاء دينه ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ﴾ تفوزون.

[٢٦] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَآئِن لَّهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقْبِلُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

(٥) ما جاء في نزول الآيتين (٢٣، ٢٤): أخرج النسائي عن أنس: أن نغزاً من عُكَلٍ قدموا على النبي ﷺ فاجتوا المدينة فأمرهم النبي ﷺ أن يأتوا إبل الصدقة فيشربوا من أبوابها وألبانها ففعلوا، فقتلوا راعيها واستاقوها، فبعث النبي ﷺ في طلبهم قال: فأتي بهم فقطع أيديهم وأرجلهم، وسمر أعينهم، ولم يحسمهم، وتركهم حتى ماتوا، فأنزل الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا حَزَرْنَا الَّذِينَ يَحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ الآية. النسائي - كتاب تحريم الدم (٣٧) باب (٧)، والحديث عند البخاري بدون ذكر نزول الآية.

البخاري - كتاب الوضوء (٤) باب (٦٦) أبواب الإبل والدواب والغمم ومرايضها.

(١) لم أجده عن ابن عباس أو غيره، وأخرج ابن جرير (٢٠٢/٤) عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ قال: أوبق نفسه كما لو قتل الناس جميعاً. وفي قوله: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾ قال: من سلم من قتلها. وانظر أيضاً: [الدر المنثور (٦٤/٣)]. وروى الشيخان عن عبد الله بن مسعود ﷺ أن النبي ﷺ قال: «ليس من نفس تُقتل ظلماً، إلا كان على ابن آدم الأول كفل - أي نصيب - من دمها؛ لأنه أول من سنَّ القتل». البخاري (٣٣٣٥)، ومسلم (٤٤٧٣).

(٢) أخرجه أبو داود (٣٧٩٨) والنسائي (٣٩٥٩) عن أنس بن مالك، والقصة في البخاري ومسلم بدون ذكر أنها سبب لنزول الآية. وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (٣٧٥٨).

(٣) وعند مالك: ﴿أَوْ﴾ على بابها للتخيير، لكن بحسب ما يراه الحاكم.

(٤) أي: ثلاثة أيام.

(٥) وعند مالك: النفي بإعاده عن الأرض مسافة قصر، ولا يكفي الحبس.

(٦) أي: إذا تاب قبل القدرة عليه؛ فلا يسقط في هذه الحال المذكورة إلا الصلب؛ لأنه من حق الله.

الكوع، وَبَيَّنَتِ الشُّنَّةُ أَنْ الَّذِي (١) يَقَطَعُ فِيهِ رِيعَ دِنَارٍ فِصَاعِدًا، وَأَنَّهُ إِذَا عَادَ قَطَعْتَ رِجْلَهُ الْبِيسْرَى مِنْ مِفْصَلِ الْقَدَمِ ثُمَّ الْبِدَ الْبِيسْرَى ثُمَّ الرَّجْلَ الْبِيسْرَى، وَبَعْدَ ذَلِكَ يَعْزُرُ (٢) ﴿جَزَاءً﴾ نَصَبَ عَلَى الْمَصْدَرِ ﴿يَمَا كَسَبَا نَكَالًا﴾ عِقَابَهُ لِهَمَا ﴿وَمَنْ أَلَّهَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ غَالِبَ عَلَى أَمْرِهِ ﴿حَكِيمٌ﴾ فِي خَلْقِهِ. [٣٩]

﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ﴾ رَجَعَ عَنِ السَّرْقَةِ ﴿وَأَصْلَحَ﴾ عَمَلَهُ ﴿فَارْتَأَى اللَّهُ يَتُوبَ عَلَيْهِ﴾ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿فِي التَّعْبِيرِ بِهَذَا مَا تَقَدَّمَ؛ فَلَا يَسْقُطُ بَتَوْبَتِهِ حَقُّ الْأَدَمِيِّ مِنَ الْقَطْعِ وَرَدِّ الْمَالِ، نَعَمْ بَيَّنَّتِ الشُّنَّةُ أَنَّهُ إِنْ عَفَا عَنْهُ قَبْلَ الرَّفْعِ إِلَى الْإِمَامِ سَقَطَ الْقَطْعُ، وَعَلَيْهِ الشَّافِعِيُّ (٣)﴾.

[٤٠] ﴿أَلَمْ تَلَمَّ﴾ الْاسْتِفْهَامُ فِيهِ لِلتَّقْرِيرِ ﴿أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَمْلِكْ أَنْ يَسْمُكُوا بِهِنَّ﴾ وَالْأَرْضُ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ ﴿وَيَعْفُو لِمَنْ يَشَاءُ﴾ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿وَمِنَ التَّعْذِيبِ وَالْمَغْفِرَةِ﴾.

[٤١] ﴿يَأْتِيهَا الرَّسُولُ لَا بَحْرُنَاك﴾ صَنَعَ ﴿الَّذِينَ يَسْتَرْغُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ يَقَعُونَ فِيهِ بِسُرْعَةٍ؛ أَي: يَظْهَرُونَ إِذَا وَجَدُوا فُرْصَةً ﴿وَمَنْ لَبِيَانٌ﴾ ﴿الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَقْوَاهِمَ﴾ بِالسُّنَنِ مَتَلَقٌ بِهِنَّ ﴿قَالُوا﴾ ﴿وَلَمْ تَكُنْ تَوَّابِينَ﴾ وَهِيَ الْمَنَافِقُونَ ﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ قَوْمٌ ﴿سَمِعُوا لِلْكَذِبِ﴾ الَّذِي افْتَرَاهُ أَجْرَاهُمْ سَمَاعٌ قَبُولٌ ﴿سَمِعُوا﴾ مِنْكَ ﴿لِقَوْمٍ﴾ لِأَجْلِ قَوْمٍ ﴿عَاقِبِينَ﴾ مِنَ الْيَهُودِ ﴿لَمْ يَأْتُواكَ﴾ وَهِيَ أَهْلُ خَيْرٍ، زَنَى فِيهِمْ مَحْصَنَانِ فَكْرَهُمَا رَجَمَهُمَا؛ فَبَعَثُوا قَرِيبَةَ لِيَسْأَلُوا النَّبِيَّ ﷺ عَنْ حُكْمِهِمَا ﴿يَعْرِفُونَ الْكَلِمَ﴾ الَّذِي فِي التَّوْرَةِ؛ كَاتِبَةَ الرَّجْمِ ﴿مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾ الَّتِي وَضَعَهُ اللَّهُ عَلَيْهَا؛ أَي: يَبْدُلُونَهُ ﴿يَقُولُونَ﴾ لِمَنْ أَرْسَلُوهُمْ: ﴿إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا﴾ الْحُكْمَ الْمَحْرُوفَ؛ أَي: الْجِلْدَ الَّذِي أَفْتَاكُمْ بِهِ مُحَمَّدٌ ﴿فَخَذُوهُ﴾ فَاقْبَلُوهُ ﴿وَإِنْ لَمْ تَوْتَوْهُ﴾ بَلْ أَفْتَاكُمْ بِخِلَافِهِ ﴿فَأَخَذُوا﴾ أَنْ تَقْبَلُوهُ ﴿وَمَنْ يُبْرِدِ اللَّهُ فَتَنَتْهُ﴾ إِضْلَالَهُ ﴿فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ﴾ فِي دَفْعِهَا ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِيدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ﴾ لَكَانَ ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا حِرْزٌ﴾ ذَلْ بِالْفِصْحِيَّةِ وَالْحِزْبَةِ ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴿٣٧﴾ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا كَلَامًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَعْفُو لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾ يَأْتِيهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسْتَرْغُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَقْوَاهِمَ وَلَمْ تَوْتُمْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا وَسَمِعُوا لِلْكَذِبِ سَمْعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُواكَ بِخَيْرٍ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَقْوَاهِمَ وَلَمْ تَوْتُمْ قُلُوبُهُمْ وَإِنْ لَمْ تَوْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُبْرِدِ اللَّهُ فَتَنَتْهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِيدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ فِي الدُّنْيَا حِرْزٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾

[٣٧] ﴿يُرِيدُونَ﴾ يَتَمَنُونَ ﴿أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾ دَائِمٌ.

[٣٨] ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ﴾ «ال» فِيهِمَا مُوَصُولَةٌ مُبْتَدَأٌ، وَلِشَبْهِهِ بِالشَّرْطِ دَخَلَتْ الْفَاءُ فِي خَبَرِهِ؛ وَهِيَ: ﴿فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ أَي: يَمِينُ كُلِّ مِنْهُمَا مِنْ

(٥) مَا جَاءَ فِي نَزْلِ الْآيَةِ (٣٩): أَخْرَجَ أَحْمَدُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ امْرَأَةً سَرَقَتْ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ فَجَاءَ بِهَا الَّذِي سَرَقْتَهُمْ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ هَذِهِ امْرَأَةٌ سَرَقْنَا. قَالَ قَوْمُهَا: فَحَنَنْ نَفْسِيهَا. بِعْنِي أَمَلُهَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اقْطَعُوا يَدَيْهَا فَقَالُوا: نَحْنُ نَفْسِيهَا بِخَمْسِمِائَةِ دِينَارٍ. قَالَ: «اقْطَعُوا يَدَيْهَا بِعَيْنِي، فَقَالَتِ امْرَأَةٌ: هَلْ لِي مِنْ تَوْبَةٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «نَعَمْ، أَنْتَ الْيَوْمَ مِنْ حَطِيئَتِكَ كَيَوْمٍ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ» فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ: ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ. أَحْمَدُ - الْمُسْنَدُ (١٧٧/٢). وَقَالَ أَحْمَدُ شَاكِرٌ: إِسْنَادُهُ صَاحِحٌ (٦٦٥٧). قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: وَهِيَ امْرَأَةٌ هِيَ الْخَزْرُومِيَّةُ الَّتِي سَرَقَتْ. وَحَدِيثُهَا ثَابِتٌ فِي الصَّحِيحِينَ.

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٦٢٩١)، وَمُسْلِمٌ (٣١٨٩، ٣١٩٠، ٣١٩٢)، عَنْ عَائِشَةَ مَرْفُوعًا.

(٢) وَهَذَا مَذْهَبُ الشَّافِعِيِّ وَمَالِكٍ، وَعِنْدَ الْحَنَفِيِّ وَرَجَّحَهُ ابْنُ قَدَامَةَ: لَوْ عَادَ فِي الثَّلَاثَةِ وَالرَّابِعَةِ يَعْزُرُ، وَلَا تَقْطَعُ يَدَهُ الْبِيسْرَى وَلَا رِجْلَهُ الْبِيسْرَى. وَهُوَ الْأَصْحَحُ؛ لِأَنَّ قَطْعَ يَدَيْهِ يَفُوتُ نَمْفَةَ الْجِنْسِ، فَلَا يَبْقَى لَهُ يَدٌ يَأْكُلُ بِهَا وَلَا يَتَوَضَّأُ وَلَا يَسْتَنْبِطُ وَلَا يَدْفَعُ عَنْ نَفْسِهِ؛ فَيَصِيرُ كَالْهَالِكِ، وَلِأَنَّهُ لَوْ جَازَ قَطْعُ الْبَيْدَيْنِ لَقَطَعْتَ الْبِيسْرَى فِي الْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ لِأَنَّهَا آتَةٌ الْبَطْلَانِ كَالْبِيسْرَى، وَإِنَّمَا لَمْ يَقْطَعْ لِلْمَسْئَلَةِ فِي قَطْعِهَا. [البخاري (١٠٦/٩ - ١٠٩)].

(٣) وَعِنْدَ مَالِكٍ: لَا يَنْضَعُ عَفْوُهُ عَنْهُ مَطْلَقًا؛ لِأَنَّهُ حَقٌّ لِلَّهِ.

(٤) أَي: لِقَوْلِهِ: ﴿الَّذِينَ يُسْتَرْغُونَ﴾ [المائدة: ٤١].

سَمِعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَلُونَ لِلسُّخْتِ فَإِنْ جَاءَكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَبَيْنَهُمْ قَلْبٌ مُتَمِّدٌ فَإِنْ تَوَلَّوْا يَضُرُّوكُمْ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ وَكَيْفَ يُحْكُمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّورَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ تَوَلَّوْا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّورَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يُحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْمَوْا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّيْبِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِي وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَلِيلٍ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصًا فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٥﴾

أي: بالقصاص؛ بأن مَن من نفسه ﴿فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ﴾ لما أتاه ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ في القصاص وغيره ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

[٤٢] هُمْ ﴿سَمِعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَلُونَ لِلسُّخْتِ﴾ بضم الحاء وسكونها^(١)؛ أي: الحرام؛ كالرشا ﴿فَإِنْ جَاءَكَ وَكَ﴾ لتحكم بينهم ﴿فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ هذا التخيير منسوخ بقوله - تعالى -: ﴿وَأَنْ أَحْكَمَ بَيْنَهُمْ﴾ الآية، فيجب الحكم بينهم إذا ترفعوا إلينا، وهو أصح قولي الشافعي^(٢)، فلو ترفعوا إلينا مع مسلم وجب إجماعاً ﴿وَإِنْ تَمَرَضَ عَنْهُمْ فَكَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ﴾ بينهم ﴿فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ العادلين في الحكم؛ أي: بينهم^(٣).

[٤٣] ﴿وَكَيْفَ يُحْكُمُونَكَ وَيُنْذِرُ التَّورَةَ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ﴾ بالرجم، استفهام تعجب؛ أي: لم يقصدوا بذلك معرفة الحق، بل ما هو أهون عليهم^(٤) ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا﴾ يعرضون عن حكمك بالرجم الموافق لكتابهم ﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ التحكيم ﴿وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾.

[٤٤] ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّورَةَ فِيهَا هُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَنُورٌ﴾ بيان للأحكام ﴿يُحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ﴾ من بني إسرائيل ﴿الَّذِينَ أَسْمَوْا﴾ انقادوا لله ﴿لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّيْبِيُّونَ﴾ العلماء منه ﴿وَالْأَحْبَارُ﴾ الفقهاء ﴿وَمَا﴾ أي: بسبب الذي ﴿اسْتُحْفِظُوا﴾ استودعوه؛ أي: استحفظهم الله إياهم ﴿مِنْ كِتَابِ اللَّهِ﴾ أن يدلوه ﴿وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾ أنه حق ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ﴾ أيها اليهود في إظهار ما عندكم من نعت محمد ﷺ والرجم وغيرها ﴿وَاخْشَوْنِي﴾ في كتمانها ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا﴾ تستبدلوا ﴿بِأَهْوَاءِ قَلِيلٍ﴾ من الدنيا تأخذونه على كتمانها ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ به.

[٤٥] ﴿وَكُنَّا﴾ فرضنا ﴿عَلَيْهِمْ فِيهَا﴾ أي: التوراة ﴿أَنَّ النَّفْسَ﴾ تقتل ﴿بِالنَّفْسِ﴾ إذا قتلها ﴿وَالْعَيْنَ﴾ ثَقْفًا ﴿بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ﴾ يَجْدَعُ ﴿بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ﴾ تقطع ﴿بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ﴾ تقلع ﴿بِالسِّنِّ﴾ وفي قراءة بالرفع في الأربعة^(٥) ﴿وَالْجُرُوحَ﴾ بالوجهين^(٦) ﴿قِصَاصٌ﴾ أي: يقتض فيها إذا أمكن؛ كاليد والرجل ونحو ذلك، وما لا يمكن فيه الحكمة، وهذا الحكم وإن كتب عليهم فهو مقرر في شرعنا ﴿فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ﴾

(٥) ما جاء في نزول الآية (٤٥): أخرج الترمذي عن عمران بن حصين أن رجلاً عض يد رجل، فزعم يده، فوقعت ثيباه، فاختمصوا إلى النبي ﷺ، فقال: «بعض أحدكم أناه كما بعض الفحل!! لا دية لك»، فأنزل الله: ﴿وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾. الترمذي - كتاب الديات (١٤) باب (٢٠) ما جاء في القصاص. وقال: حسن صحيح. والحديث في صحيح مسلم بدون ذكر نزول الآية، وكذلك في صحيح البخاري لكن من حديث يعلى بن أمية.

(١) بالضم قراءة الكسائي وابن كثير وأبي عمرو.

(٢) ومشهور مذهب مالك أن التخيير باق وليس بمنسوخ، وبه قال أحمد وهو الراجح، واختاره السعدي مملأ بأنهم لا قصد لهم في الحكم الشرعي إلا أن يكون موافقاً لأهوائهم، وكذلك القاسمي وزاد: لأنه لا منافاة بين الآيتين، فالأولى فيها التخيير، والأخرى فيها كيفية الحكم إذا حكم بينهم.

(٣) وهذا تأويل يلازم الصفة، وسبق بيان مذهب السلف من إثبات هذه الصفة وغيرها على الوجه اللائق به - سبحانه.

(٤) وهو الجلد.

(٥) للكسائي.

(٦) أي: بالرفع والصب، والرفع قراءة الكسائي وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

وَقَفَّتْ عَلَيَّ أَثَرُهُمْ بَعْدِي أَبْنِ مَرِيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ
 مِنَ التَّورَةِ وَعَاطِيَةً الْإِنْجِيلِ فِيهِ هُدًى وَتُورٌ وَمُصَدِّقًا
 لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّورَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾
 وَيُحْكِمُ أَهْلَ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ
 بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ
 الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ
 وَمُهَيِّئًا عَلَيْهِ طُرُقًا فَأَحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ
 عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَا جَا
 وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ
 فِي مَاءِ آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا
 فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِنْ أَحْكَمْتُمْ بَيْنَهُمْ
 بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَأَحْذَرْتُمْ أَنْ يَفْتِنُوا عَنْ
 بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ
 بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْنَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾ الْخُكْرُ
 الْجَهْلِيَّةُ يَبْعُونَ وَمَنْ أَحْسَنَ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لَقَوْمٌ يُوقُونَ ﴿٥٠﴾

[٤٦] ﴿وَقَفَّتْ عَلَيَّ أَثَرُهُمْ﴾ أي: النبيين ﴿بَعْدِي﴾ أي: بعدي

مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴿فِيهِ﴾ مِنَ التَّورَةِ وَعَاطِيَةً الْإِنْجِيلِ فِيهِ هُدًى ﴿مِنْ
 الصَّلَاةِ وَتُورٌ﴾ بَيَانٌ لِلْأَحْكَامِ ﴿وَمُصَدِّقًا﴾ حَالٌ ﴿لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ
 التَّورَةِ﴾ لِمَا فِيهَا مِنَ الْأَحْكَامِ ﴿وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾.

[٤٧] ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ في قراءة (١) ينصب «يحكم» وكسر لامه؛ عطفًا على معمول الأحكام، وفي قراءة (٢) ينصب «يحكم» بما أنزل الله فآولئك هم الفاسقون (٣).

[٤٨] ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ ﴿الْكِتَابَ﴾ الْقُرْآنَ ﴿بِالْحَقِّ﴾ مَتَعَلِقٌ
 بِأَنْزَلْنَاهُ ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَرَزَتْ يَدَيْهِ﴾ قَبْلَهُ ﴿وَمِنْ الْكِتَابِ وَهُدًى﴾ شَاهِدًا
 ﴿عَلَيْهِ﴾ وَالْكِتَابُ بِمَعْنَى: الْكِتَابِ (١) ﴿فَأَحْكُمْ بَيْنَهُمْ﴾ بَيْنَ أَهْلِ الْكِتَابِ إِذَا
 تَرَاغَوْا إِلَيْكَ ﴿بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ﴿عَادِلًا﴾ عَمَّا
 جَاءَكَ ﴿مِنْ الْحَقِّ﴾ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ ﴿شِرْعَةً﴾ شَرِيعَةً ﴿وَمِنْهَا جَا
 وَبَيْنَهَا جَا﴾ طَرِيقًا وَاضِحًا فِي الدِّينِ يَمْشُونَ عَلَيْهِ ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ
 أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ عَلَى شَرِيعَةٍ وَاحِدَةٍ ﴿وَلَكِنْ﴾ فَفَرَقَكُمْ فَرْقًا ﴿يَلْبِسُكُمْ﴾
 لِخَبِيرَتِكُمْ ﴿فِي مَا آتَاكُمْ﴾ مِنَ الشَّرَائِعِ الْخُفْيَةِ؛ لِئِنْ لَبِظَ الطَّيْعُ مِنْكُمْ وَالْعَاصِي
 ﴿فَلْيَسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ سَارِعُوا إِلَيْهَا ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ بِالْبَعْتِ
 ﴿فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ مِنَ أَمْرِ الدِّينِ، وَيَجْزِي كَلَامًا مِنْكُمْ
 بِعَمَلِهِ.

[٤٩] ﴿وَإِنْ أَحْكَمْتُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَأَحْذَرْتُمْ﴾
 لَمْ أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَأَحْذَرْتُمْ أَنْ يَفْتِنُوا عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا
 عَنْ الْحُكْمِ الْمُنَزَّلِ وَأَرَادُوا غَيْرَهُ ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ﴾ بِالْعُقُوبَةِ فِي
 الدُّنْيَا ﴿بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾ الَّتِي أَنْوَهَا؛ وَمِنْهَا: التَّوَلَّى، وَيَجْزَاهُمْ عَلَى جَمِيعِهَا
 فِي الْآخِرَةِ ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾.

[٥٠] ﴿فَأَحْكُمْ بَيْنَهُمْ يَبْعُونَ﴾ بِالْبَاءِ وَالنَّوْءِ (٢)؛ يَطْلُبُونَ مِنَ الْمَدَاهِنَةِ وَالْمِيلِ
 إِذَا تَوَلَّوْا؟ اسْتَفْهَامُ انْتِكَارِي ﴿وَمَنْ﴾ أَيُّ لَا أَحَدٌ ﴿أَحْسَنَ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لَقَوْمٌ﴾
 عِنْدَ قَوْمٍ ﴿يُوقُونَ﴾ بِهِ خُصَا بِالذِّكْرِ؛ لِأَنَّهُمْ الَّذِينَ يَتَذَكَّرُونَ.

(٥) مَا جَاءَ فِي زَيْلِ الْآيَاتِ (٤١ - ٤٧): أَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: رَأَى عَلَى النَّبِيِّ ﷺ يَهُودِيٍّ مَحْمُومًا مَجْلُوحًا فِدَعَاهُمْ ﷺ فَقَالَ: «هَكَذَا تَحْدِثُونَ حَدِيثَ الرَّبَّانِيِّ فِي كِتَابِكُمْ؟» قَالُوا: نَعَمْ. فِدَعَا رَجُلًا مِنْ عِلْمَانِهِمْ، فَقَالَ: «أَتَشْتَبِكُ بِاللَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ التَّورَةَ عَلَى مُوسَى، أَهَكَذَا تَحْدِثُونَ حَدِيثَ الرَّبَّانِيِّ فِي كِتَابِكُمْ؟» قَالَ: لَا، وَلَوْلَا أَنَّكَ نَشَدْتَنِي بِهَذَا لَمْ أُحْبِرْكَ. تَجَدَّدَ الرَّجُلُ، وَلَكِنَّهُ كَثِيرٌ فِي أَشْرَافِنَا، فَكُنَّا إِذَا أَحَدْنَا الشَّرِيفَ تَرَكَاهُ، وَإِذَا أَحَدْنَا الضَّعِيفَ أَقْبَمْنَا عَلَيْهِ الْحَدِيثَ، فَقُلْنَا: تَعَالَوْا فَلْنَجْتَمِعْ عَلَى شَيْءٍ نَقْبِيهِ عَلَى الشَّرِيفِ وَالْوَضِيعِ، فَجَعَلْنَا التَّحْسِيمَ وَالْجِدْلَ مَكَانَ الرَّجْمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُ إِنْ أَوْلَى مِنْ أَحْيَا أَمْرًا إِذْ أَمَرْتُمْ. فَأَمْرٌ بِهِ فِرْجٌ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ لَا يَحْزَنْكَ الَّذِينَ يُسَبِّحُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: «إِنْ أُوْتِيْتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ» يَقُولُ: اتَّوَا مُحَمَّدًا فَإِنْ أَمَرَكُمُ بِالنَّحْسِ وَالْجِدْلِ فَخُذُوهُ وَإِنْ أَنْصَابَكُمْ بِالرَّجْمِ فَاحْذَرُوا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ. وَأَخْرَجَ أَحْمَدُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ ﷻ أَنْزَلَ: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكٰفِرُونَ﴾ وَ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ وَ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾، وَأَنْزَلَهَا اللَّهُ فِي الطَّائِفَتَيْنِ مِنَ الْيَهُودِ، وَكَانَتْ إِحْدَاهُمَا قَدْ فَهَرَّتِ الْآخَرَى فِي الْجَاهِلِيَّةِ، حَتَّى ارْتَضَوْا، أَوْ أُضْطَلِحُوا. عَلَى أَنَّ كُلَّ قَبِيلٍ قَتَلَهُ الْعَزِيزَةُ مِنَ الدَّلِيلَةِ فَدَبَّهَ حَسْبُونَ وَسَقَا، وَكُلَّ قَبِيلٍ قَتَلَهُ الدَّلِيلَةُ مِنَ الْعَزِيزَةِ فَدَبَّهَ مِائَةَ وَسَقَا. فَكَانُوا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَدِينَةَ فَذَلَّتِ الطَّائِفَتَانِ كَلِمَاتُهُمَا لِمَقْدَمِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَيَوْمَذْ لَمْ يَظْهَرْ لَمْ يَظْهَرْ وَلَمْ يَظْهَرْ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي الصَّلْحِ.

فَقَبَّلَتْ الدَّلِيلَةُ مِنَ الْعَزِيزَةِ قَبِيلًا، فَأَرْسَلَتْ الْعَزِيزَةَ إِلَى الدَّلِيلَةِ أَنْ ابْعُوا إِلَيْنَا مِائَةَ وَسَقَا، فَقَالَتْ الدَّلِيلَةُ: وَهَلْ كَانَ هَذَا فِي حِينِ فَطْمِ، دَبَّهَ وَنَسَبَهَا وَاحِدًا، وَبَلَدَهَا وَاحِدًا، دَبَّهَ بَعْضُهُمْ نِصْفَ دَبَّهِ بَعْضٍ. إِنَّا إِذَا أَعْطَيْنَاكُمْ هَذَا ضَيْمًا مِنْكُمْ نَنَا وَفَرْقًا مِنْكُمْ، فَمَا إِذَا قَدِمَ مُحَمَّدٌ فَلَا نَعطِيقُكُمْ ذَلِكَ، فَكَادَتْ الْحَرْبُ تَهِيحُ بَيْنَهُمَا، ثُمَّ ارْتَضَوْا عَلَى أَنْ يَجْعَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَيْنَهُمْ، ثُمَّ ذَكَرَتْ الْعَزِيزَةُ فَقَالَتْ: وَاللَّهِ مَا مُحَمَّدٌ يَعْطِيقُكُمْ مِنْهُمْ ضَعْفٌ مَا يَعْطِيقُكُمْ مِنْكُمْ، وَلَقَدْ صَدَقُوا؛ مَا أَعْطَيْنَا هَذَا إِلَّا ضَيْمًا مَنَا وَقَهْرًا لَهُمْ، فَدَشُوا إِلَى مُحَمَّدٍ مِنْ بَيْحَرٍ لَكُمْ رَأْيَهُ، إِنْ أَعْطَاكُمْ مَا تَرِيدُونَ حَكْمَتَهُمْ، وَإِنْ لَمْ يَعْطِيقُكُمْ فَكَمْ حَكْمَتُهُمْ.

فَدَسَّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَاسًا مِنَ الْمُنَافِقِينَ لِيُخْرِجُوا لَهُمْ رَأْيَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَخْبَرَهُ اللَّهُ سِرَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ كُلِّهِ، وَمَا أَرَادُوا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ لَا يَحْزَنْكَ الَّذِينَ يُسَبِّحُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا﴾ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾. ثُمَّ قَالَ: فِيهَا: وَاللَّهِ نَزَلَتْ، وَابْهَامَ عَنِ اللَّهِ ﷻ. أَحْمَدُ. الْمُسْنَدُ (١/٢٤٦). قَالَ أَحْمَدُ شَاكِرٌ: إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ (٢٢٢).

وَأَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: لَمْ تَنْزَلْ هَذِهِ آيَةً، ﴿وَإِنْ جَاءَكَ وَكَذَّابُكُمْ بِبَيْنِهِمْ أَوْ كَرِهْتَ عُنْتَهُمْ﴾، ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ﴾ آيَةً. قَالَ: كَانَ بَيْنَ النَّظِيرِ إِذَا قَتَلُوا مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ أَدْرَا نِصْفَ الدَّبَّهِ، وَإِذَا قَتَلَ بَنُو قُرَيْظَةَ مِنْ بَنِي النَّظِيرِ أَدْرَا إِلَيْهِمْ الدَّبَّهِ كَامِلَةً. سُؤْيُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَيْنَهُمْ. أَبُو دَاوُدَ. كِتَابُ الْأَضْيَةِ (١٨) بَابُ (١٠). الْحُكْمُ بَيْنَ أَهْلِ الذَّمَّةِ. (حَسَنٌ صَحِيحٌ الْإِسْنَادُ) صَحِيحٌ سَنَنِ أَبِي دَاوُدَ (٣٠٦٢).

(١) أَيُّ فِي «العين» وما بعدها، وهي قراءة لحزمة. (٢) أَيُّ: فَعَالَءٌ لِلْجِنْسِ. (٣) بِالنَّوْءِ قِرَاءَةُ ابْنِ عَبَّاسٍ.

[٥١] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ﴾ تولوهم وتوادونهم ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ لآحادهم في الكفر ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ من جملتهم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ بمولاتهم الكفار [٥٢] ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ ضعف اعتقاد؛ كبد الله بن أبي المنافق ﴿يَسْتَرْغِبُونَ فِيهِمْ﴾ في مولاتهم ﴿يَقُولُونَ﴾ معذرين عنها: ﴿تَحْتَسِبُ أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾ يدور بها الدهر علينا؛ من جذب أو غلبة، ولا يتم أمر محمد؛ فلا يبرونا، قال - تعالى -: ﴿فَمَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ﴾ بالنصر لنبهه بإظهار دينه ﴿أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ﴾ بهتك ستر المنافقين وافتضحهم ﴿فَيُصِيبُحُوا عَلَنَ مَا أَسْرَوْا فِي أَنفُسِهِمْ﴾ من الشك وموالات الكفار ﴿تَنذِيرًا﴾

[٥٣] ﴿وَيَقُولُ﴾ بالرفع استئنافاً - براو ودونها^(١) ، وبالنصب^(٢) عطفًا على ﴿يَأْتِي﴾ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ لبعضهم إذا هنك سترهم تعجبًا: ﴿أَهْوَلَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ غاية اجتهادهم فيها ﴿إِنَّهُمْ لَمَعَكُمُ﴾ في الدين قال - تعالى -: ﴿حَيَّطَتْ﴾ بطلت ﴿أَعْيُنُهُمْ﴾ الصالحة^(٣) ﴿فَأَصْبَحُوا﴾ صاروا ﴿خَائِرِينَ﴾ الدنيا بالفضيحة والآخرة بالعقاب.

[٥٤] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَرَدٍ﴾ بالفك والإدغام^(٤)، يرجع ﴿مِنْكُمْ﴾ عن دينه. إلى الكفار، إخبار بما علم الله وقوعه، وقد ارتد جماعة بعد موت النبي ﷺ ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِدَلِيمٍ﴾ يقولونهم ويؤنبه، قال ﷺ: ﴿هُم قَوْمٌ هَذَا﴾، وأشار إلى أبي موسى الأشعري^(٥) [رواه الحاكم في صحيحه] ﴿أَذَلَّةٍ﴾ عاطفين ﴿عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعْرَضُوا﴾ أُنشدها ﴿عَلَى الْكُفْرَيْنِ يَجْهَدُونَ﴾ في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم. فيه؛ كما يخاف المنافقون لوم الكفار ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾^(٦) كثير الفضل ﴿عَلَيْكُمْ﴾ من هو أهله. [٥٥] وَنَزَّلَ - لما قال ابن سلام: يا رسول الله، إن قومنا هجرونا: ﴿إِنَّمَا وَرِثَكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رُكُوعٌ﴾^(٧) خاشعون، أو يصلون صلاة التطوع.

[٥٦] ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ فيعينهم وينصرهم ﴿فَإِنَّ حَرْبَ اللَّهِ هُمْ الْغَالِبُونَ﴾ لنصره إياهم؛ أوقعه موقع: ﴿فإنهم﴾ بياناً لأنهم من حربه؛ أي: أتباعه.

[٥٧] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوعًا﴾ مهزوعاً به

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّمْ مِنْكُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْتَرْغِبُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ خَشْيٌ أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فَيُصِيبُحُوا عَلَنَ مَا أَسْرَوْا فِي أَنفُسِهِمْ تَنذِيرًا﴾ ﴿يَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهْوَلَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمُ حَيَّطَتْ أَعْيُنُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَائِرِينَ﴾ ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَرَدٍ مِّنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِدَلِيمٍ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿إِنَّمَا وَرِثَكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رُكُوعٌ﴾ ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حَرْبَ اللَّهِ هُمْ الْغَالِبُونَ﴾ ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوعًا وَلِوَعَابٍ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارِ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مُّؤْمِنُونَ﴾

﴿وَلِوَعَابٍ مِّنَ﴾ للبيان ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارِ﴾ المشركين؛ بالجر والنصب^(٨) ﴿أَوْلِيَاءَ﴾ واتقوا الله ﴿بترك مولاتهم﴾ إن كنتم مؤمنين ﴿صادقين في إيمانكم﴾.

= وأخرج السنائي عن ابن عباس قال: كان قريظة والنضير، وكان النضير أشرف من قريظة، وكان إذا قتل رجل من قريظة رجلاً من النضير قتل به، وإذا قتل رجل من النضير رجلاً من قريظة أدى مائة وسق من تمر، فلما بعث النبي ﷺ قتل رجل من النضير رجلاً من قريظة، فقالوا: ادفعوا لنا نقتله، فقالوا: بينا وبينكم النبي ﷺ، فأثمه، فنزلت: ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ﴾ والقسط: النفس بالنفس، ثم نزلت: ﴿أَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَتُورُونَ﴾. السنائي - كتاب القسامة (٤٥) باب (٩، ٨).

(١) بدلونها قراءة نافع وابن كثير وابن عامر.
 (٢) أي: مع إثبات الواو قراءة أبي عمرو.
 (٣) أي: بحسب الظاهر.
 (٤) بالفك؛ أي: ﴿يَسْتَرْغِبُونَ﴾، وهي قراءة نافع وابن عامر.
 (٥) أخرجه ابن سعد وابن أبي شبة في مسنده وعبد بن حميد والحكيم الترمذي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ والطبراني وابن مردويه والحاكم والبيهقي في الدلائل من حديث عياض الأشعري، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٣٦٨/٧) [الدر المنثور (٥١٨/٢)].
 (٦) قال ابن جرير: يسع خلقه كلهم بالكفاية والإفضال والجدود والتدبير. وقال مثله ابن كثير.
 (٧) أخرج ابن مردويه من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس نحوه [الدر المنثور (٥٢٠/٢)] وهو موضوع كما ذكر صاحب الاستيعاب (٦٧/٢).
 (٨) بالجر قراءة الكسائي وأبي عمرو.

على ﴿أَنْ آمَنَّا﴾ المعنى: ما تذكرون إلا إيماننا، ومخالفتكم في عدم قبوله المبرر عنه بالفسق اللازم عنه، وليس هذا مما ينكر^(١).

[٦٠] ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ﴾ أخبركم ﴿بِشَرِّ مَنِ﴾ أهل ﴿ذَلِكَ﴾ الذي تنقمونه ﴿مُنُوبَةً﴾ ثواباً بمعنى جزاء^(٢) ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ هو ﴿مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ﴾ أبعدته عن رحمته ﴿وَعَصَبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ﴾ بالمسخ ﴿وَمِنْ﴾ ﴿عِبَدِ الطَّاغُوتِ﴾ الشيطان بطاعته، وروعي في ﴿مِنْهُمْ﴾ معنى ﴿مِنْ﴾، وفيما قبله: لفظها؛ وهم: اليهود، وفي قراءة^(٣) بضم باء ﴿عَبِيدَ﴾ وإضافته إلى ما بعد اسم جمع لـ «عبيد»، ونصبه بالعطف على «القردة» ﴿أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا﴾ تمييز؛ لأن ماواهم النار ﴿وَأَصْلُ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ طريق الحق، وأصل السواء الوسط، وذكر ﴿شَرٌّ﴾ ﴿وَأَصْلُ﴾ في مقابلة قولهم: لا نعلم ديناً شراً من دينكم.

[٦١] ﴿وَإِذَا جَاءَكُمْ﴾ أي: مناقفوا اليهود ﴿قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا﴾ إليكم متلبسين ﴿بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا﴾ من عندكم متلبسين ﴿بِالْيَوْمِ﴾ ولم يؤمنوا ﴿وَاللَّهُ أَقْبَرُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ﴾ من النفاق.

[٦٢] ﴿وَرَبِّ كَثِيرًا مِنْهُمْ﴾ أي: اليهود ﴿يَسْتَرْعُونَ﴾ يقعون سريعاً ﴿فِي الْآثَرِ﴾ الكذب ﴿وَالْعُدُولِ﴾ الظلم ﴿وَأَكْثِلُهُمُ الشُّحَّتَ﴾ الحرام؛ كالرشا ﴿لَيْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من عملهم هذا [٦٣] ﴿لَوْلَا﴾ هلا ﴿يَهْتَمُّهُمُ الرَّبِّيَّوْتُ وَالْأَخْبَارُ﴾ منهم ﴿عَنْ قَوْلِهِ الَّذِينَ﴾ الكذب ﴿وَأَكْثِلُهُمُ الشُّحَّتَ لَيْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ من ترك نهيمهم.

[٦٤] ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ﴾ لما ضيق عليهم بتكذيبهم النبي ﷺ بعد أن كانوا أكثر الناس ملاً: ﴿يَدُ اللَّهِ مَقْلُوبَةٌ﴾ مقبوضة عن إدرار الرزق علينا؛ كُنُوتًا به عن البخل - تعالى الله عن ذلك - قال - تعالى: ﴿عَلَّتْ﴾ أمسكت ﴿أَبْيَهُمُ﴾ عن فعل الخيرات دعاء عليهم ﴿وَلِيُؤْتُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ مبالغة في الوصف بالجلود، وتنتى اليد؛ لإفادة الكثرة^(٤)؛ إذ غاية ما يبذله السخي من ماله أن يعطي يديه ﴿يُفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ من توسيع وتضييق لا اعتراض عليه ﴿وَلِيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ من القرآن ﴿طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ لكفرهم به ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ فكل فرقة منهم تخالف الأخرى ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ﴾ أي: لحرب النبي ﷺ ﴿أطفاها الله﴾ أي: كلما أرادوه ردُّهم ﴿وَسَعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾ أي: مفسدين بالمعاصي ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ بمعنى: أنه يعاقبهم^(٥).

وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوا هَاهُنَا وَلِجَاءِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَتَّقُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنْ كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦١﴾ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مَنِ ذَلِكَ مُتَوَبِّعٌ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ لَعْنَةِ اللَّهِ وَعَظِيبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَصْلُ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٦٢﴾ وَإِذَا جَاءَهُمْ قَوْلُهُ آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَكْبَرُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ ﴿٦٣﴾ وَرَبِّ كَثِيرًا مِنْهُمْ يَسْتَرْعُونَ فِي الْآثَرِ وَالْعُدُولِ وَأَكْثِلُهُمُ الشُّحَّتَ لَيْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْلَا يَهْتَمُّهُمُ الرَّبِّيَّوْتُ وَالْأَخْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْآثَرِ وَأَكْثِلُهُمُ الشُّحَّتَ لَيْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَقْلُوبَةٌ عَلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعْنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلِيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كَمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَسَعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٦٦﴾

[٥٨] ﴿و﴾ الذين ﴿إِذَا نَادَيْتُمْ﴾ دعوتهم ﴿إِلَى الصَّلَاةِ﴾ بالأذان ﴿اتَّخَذُوا﴾ أي: الصلاة ﴿هُزُؤًا وَلِجَاءًا﴾ بأن يستهزئوا بها ويتضحكوا ﴿ذَلِكَ﴾ الانخاذ ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ أي: بسبب أنهم ﴿قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾.

[٥٩] ﴿وَنَزَّلَ﴾ لما قال اليهود للنبي ﷺ: ﴿مَنْ يَأْتِيَنَّ مِنَ الرِّسْلِ﴾ فقال: ﴿بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ الآية، فلما ذكر عيسى قالوا: لا نعلم ديناً شراً من دينكم: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَتَّقُونَ﴾^(١) تنكرون ﴿وَمَا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ﴾ إلى الأنبياء ﴿وَأَنْ أَكْثَرُكُمْ قٰتِلُونَ﴾ عطف

(١) ذكره البخاري في تفسيره (٧٤/٣)، والواحد في أسباب النزول (ص ١٦٥)، وأخرج نحوه ابن إسحاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن ابن عباس وفيه: «فلما ذكر عيسى جحدوا نبوته وقالوا: لا تؤمن بعيسى» [الدر المنثور (٥٢٢/٢)]، وإسناده ضعيف كما ذكر صاحب الاستيعاب (٧١/٢).

(٢) فالاستثناء منقطع.

(٣) أي: بالعقاب، وهو تهكم بهم.

(٤) لجمرة.

(٥) وله - سبحانه - يدان حقيقة، ومذهب السلف بالإجماع إثبات الصفات لله على الوجه اللائق به من غير تكيف ولا تحريف ولا تمثيل ولا تعطيل.

(٦) وهذا تأويل بلازم للصفة وهو خلاف مذهب السلف، وسبق بيان إثبات هذه الصفة ونحوها لله على الوجه اللائق به - سبحانه - «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ» [الشورى: ١١٠].

[٦٥] ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَاتَّقَوْا﴾ الكفر ﴿لَكَفَرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا لَظَنَّهُمْ جَنَّتِ النَّعِيمُ﴾.

[٦٦] ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ آفَمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ بالعمل بما فيها؛ ومنه الإيمان بالنبي ﷺ ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ﴾ من الكتب ﴿مِن رَّبِّهِمْ لِأَكْفُلُوا مِنْ قَوْعِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ بأن يوسع عليهم الرزق ويفيض من كل جهة ﴿مِنْهُمْ أُمَّةٌ﴾ جماعة ﴿مُقْتَصِدَةٌ﴾ تعمل به؛ وهم: من آمن بالنبي ﷺ؛ كعبد الله بن سلام وأصحابه ﴿وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءٌ﴾ بس ﴿مَا﴾ شيئاً ﴿يَعْمَلُونَ﴾ به.

[٦٧] ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ يَلْعَجُ﴾ جمع ﴿مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ ولا تكتم شيئاً منه؛ خوفاً أن تنال بمكروه ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ﴾ أي: لم تبلغ جمع ما أنزل إليك ﴿فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ بالإنفراد والجمع^(١)؛ لأن كتمان بعضها ككتمان كلها ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ أن يقتلوك، وكان ﷺ يحرس حتى نزلت، فقال: «انصرفوا فقد عصمتني الله»^(٢) [رواه الحاكم] ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾.

[٦٨] ﴿قُلْ يَأْهَلِ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ﴾ من الدين معتد به ﴿حَتَّى تَقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾^(٣) بأن تعملوا بما فيه؛ ومنه الإيمان بي ﴿وَلْيُرِيدَنَّ كَثِيرٌ مِنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ من القرآن ﴿طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ لكفرهم به ﴿فَلَا تَأْسَ﴾ تحزن ﴿عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ إن لم يؤمنوا بك؛ أي: لا تهتم بهم.

[٦٩] ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ هم اليهود، مبتدأ ﴿وَالصَّابِقُونَ﴾^(٤) فرقة منهم ﴿وَالصَّادِقِينَ﴾ ويبدل من المبتدأ ﴿مَنْ آمَنَ﴾ منهم ﴿بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الآخرة، خبر المبتدأ^(٥)، ودال على خبر إن.

[٧٠] ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ على الإيمان بالله ورسله ﴿وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ رُسُلًا كَمَا جَاءَهُمْ رَسُولُكَ﴾ منهم ﴿وَمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ﴾ من الحق كذبوه ﴿فَرِيقًا﴾ منهم ﴿كَذَّبُوا وَفَرِيقًا﴾ منهم ﴿يَقْتُلُونَ﴾ كركريا، والتعبير به^(٦) دون (قتلوا) حكاية للحال الماضية^(٧) للفاصلة.

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا لَظَنَّهُمْ جَنَّتِ النَّعِيمُ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ آفَمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لِأَكْفُلُوا مِنْ قَوْعِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءٌ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾ يَأْتِيهَا الرُّسُولُ يَلْعَجُ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٧﴾ قُلْ يَأْهَلِ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تَقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلْيُرِيدَنَّ كَثِيرٌ مِنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِقُونَ وَالصَّادِقِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ رُسُلًا كَمَا جَاءَهُمْ رَسُولُكَ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن سفيان قال: ما في القرآن آية أشد علي من ﴿لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تَقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾. البخاري - كتاب الرقاق (٨١) باب (١٩) الرجاء مع الحرف.

قال الحافظ في الفتح: «يعني أن من لم يعمل بما أنزل الله في كتابه فليس على شيء، ومقتضاه أن من أجل بعض الفرائض قد أجل بالجميع، ولأجل ذلك أطلق كونها أشد من غيرها...».

الفتح (١١٩/٨).

(١) بالجمع قراءة نافع وابن عامر وشعبة.

(٢) الحاكم (٣١٣/٢)، ورواه الترمذي في تفسير القرآن، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٤٤٠)، وروى ابن حبان في صحيحه (١٧٢٩ - موارد) عن أبي هريرة قال: كان رسول الله ﷺ إذا نزل منزلاً نظروا أعظم شجرة يرونها فاجعلوها للنبي ﷺ فينزل تحتها، وينزل أصحابه بعد ذلك في ظل الشجرة. فبينما هو نازل تحت شجرة - وقد علق السيف عليها - إذ جاء أعرابي فأخذ السيف من الشجرة، ثم دنا من النبي ﷺ وهو نائم فأيقظه، فقال: يا محمد من يمنعك مني الليلة؟ فقال النبي ﷺ: «الله»؛ فأزل الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ نَلِغًا مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ وحسنه الألباني في الصحيحة (٢٤٨٩).

(٣) رُفِعَ عَلَى الْإِبْدَاءِ، وخبره محذوف، كأنه قيل: إن الذين آمنوا والذي هادوا والنصارى حكمهم كذا، والصابغون كذلك. «القاسمي».

(٤) أي: قوله: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة: ٦٩].

(٥) أي: بالمضارع.

(٦) أي: كأنها حاصله الآن.

(٧) أي: ومراعاة للفاصلة، وهي المحافظة على رعوس الآي.

[٧٤] ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ﴾ مما قالوا، استفهام توبيخ **﴿وَاللَّهُ عَفُورٌ﴾** لمن تاب **﴿رَجِيمٌ﴾** به.

[٧٥] ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ فهو يضي مثلهم وليس ياله كما زعموا، وإلا لما مضى **﴿وَأَنْتُمْ صَادِقَةٌ﴾** مبالغة في الصدق **﴿كَأَنَّا يَاكُلَانِ الطَّلْعَامَ﴾** كغيرهما من الناس؛ ومن كان كذلك لا يكون إلهًا؛ لتركيبه وضعفه وما ينشأ منه من البول والغائط **﴿أَنْظُرُ﴾** متعجبًا **﴿كَيْفَ تَبَيَّنَتْ لَهُمُ الْآيَاتُ﴾** على وحدانيتنا **﴿ثُمَّ أَنْظُرْ أَنْ﴾** كيف **﴿يُؤْفَكُونَ﴾** يصرفون عن الحق مع قيام البرهان.

[٧٦] ﴿قُلْ أَتُودُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره **﴿مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾** لأقوالكم **﴿الْعَلِيمُ﴾** بأحوالكم، والاستفهام للإنكار.

[٧٧] ﴿قُلْ يَٰأَهْلَ الْكِتَابِ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى: ﴿لَا تَتَّبِعُوا﴾ تجاوزوا الحد **﴿فِي دِينِكُمْ﴾** غُلُوًّا **﴿غَيْرَ الْحَقِّ﴾** بأن تضعوا عيسى أو ترفعه فوق حقه **﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ﴾** بغلوهم؛ وهم: أسلافهم **﴿وَأَضَلُّوا كَثِيرًا﴾** من الناس **﴿وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾** عن طريق الحق، والسواء في الأصل: الوسط.

وَحَسِبُوا إِلَّا تَكُونُ فِتْنَةً فَعَمُوا وَصَمُوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا عَمِلُوا ﴿٧٤﴾
لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ يَلْعَبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٧٥﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمِمَّنْ إِلَهٌ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٦﴾
أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لَهُ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٧﴾
مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأَمَّهُ وَصَدِيقَتُهُ كَأَنَّا يَاكُلَانِ الطَّلْعَامَ أَنْظُرْ كَيْفَ تَبَيَّنَتْ لَهُمُ الْآيَاتُ ثُمَّ أَنْظِرْ أُنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٧٨﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٧٩﴾ قُلْ يَٰأَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٨٠﴾

[٧١] ﴿وَحَسِبُوا﴾ ظنوا **﴿أَنْ﴾** ن **﴿لَا تَكُونُ﴾** بالرفع (١)؛ فَأَنْ مخففة، والنصب؛ فهي ناصبة؛ أي: تقع **﴿فِتْنَةً﴾** عذاب بهم على تكذيب الرسل وقتلهم **﴿فَعَمُوا﴾** عن الحق؛ فلم يبصروه **﴿وَصَمُوا﴾** عن استماعه **﴿ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾** لما تابوا **﴿ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا﴾** ثانيا **﴿كَثِيرٌ مِنْهُمْ﴾** بدل من الضمير (٢) **﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا عَمِلُوا﴾** فيجازيهم به.

[٧٢] ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ سبق مثله (٣) **﴿وَقَالَ﴾** لهم **﴿الْمَسِيحُ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ يَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾** فإني عبد ولست ياله **﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾** في العبادة غيره **﴿فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾** منه أن يدخلها **﴿وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾** بمنعهم من عذاب الله.

[٧٣] ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ أي: أحدها، والآخران: عيسى وأمه؛ وهم: فرقة من النصارى **﴿وَمِمَّنْ إِلَهٌ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُوا﴾** من الثلاث **﴿وَيُؤْحَدُوا﴾** ليمسَّنَّ آذِينَ كَفَرُوا **﴿أَي:﴾** ثبتوا على الكفر **﴿وَمِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾** مؤلم؛ وهو: النار.

(١) قراءة أبي عمرو وحمة والكسائي.

(٢) أي: في قوله: ﴿فَعَمُوا وَصَمُوا﴾ [المائدة: ٧١]، والضمير هو الفاعل.

(٣) في سورة النساء في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهَى حَرْفٌ لَكُمْ﴾ [النساء: ١٧١].

[٧٨] ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ ﴿٧٨﴾ بِأَن دَعَا عَلَيْهِمْ؛ فَسَخَوُا يُرَدِّدُهُ؛ وَهُمْ: أَصْحَابُ أَيْلَةَ ﴿٧٩﴾ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﴿٨٠﴾ بِأَن دَعَا عَلَيْهِمْ؛ فَسَخَوُا خُتَايِرًا؛ وَهُمْ: أَصْحَابُ الْمَائِدَةِ ﴿٨١﴾ ذَلِكَ ﴿٨٢﴾ اللَّعْنُ ﴿٨٣﴾ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٨٤﴾.

[٧٩] ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ﴾ أي: لا ينهى بعضهم بعضًا ﴿عَنْ﴾ معاودة ﴿مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ فعلهم هذا.

[٨٠] ﴿تَرَى﴾ يا محمد ﴿كَثِيرًا مِمَّنْهُمُ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكة بقضا لك ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمْتُمْ لِنَفْسِكُمْ﴾ من العمل لمعادهم الموجب لهم ﴿أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾.

[٨١] ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِئَاتِ﴾ محمد ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا أَخَذُوهُمْ﴾ أي: الكفار ﴿أُولَئِكَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِمَّنْهُمْ فَسَقُونَ﴾ خارجون عن الإيمان.

[٨٢] ﴿لَتَجِدَنَّ﴾ يا محمد ﴿أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ من أهل مكة؛ لتضاعف كفرهم وجهلهم وانهماكهم في اتباع الهوى ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرُكَ ذَلِكَ﴾ أي: قرب مردتهم للمؤمنين ﴿بِأَنَّ﴾ بسبب أن ﴿مِنْتَهُمْ قَيْسِيَّةٌ﴾ علماء ﴿وَرُهَبَانَا﴾ عُثَاذًا ﴿وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ عن اتباع الحق كما يستكبر اليهود وأهل مكة. نزلت في وفد النجاشي القادمين عليه من الحبشة قرأ ﴿سورة يس﴾ فبكوا وأسلموا؛ وقالوا: ما أشبه هذا بما كان ينزل على عيسى ^(١).

[٨٣] قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ مِنَ الْقُرْآنِ تَرَى أَصْبَحَهُمْ تَفِيضٌ مِّنَ الدَّمْعِ وَمَا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا﴾ صدقنا نبيك وكتابك ﴿فَاكْتُمْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ المقرين بتصديقهم.

لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَى كَثِيرًا مِمَّنْهُمُ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُمْ أَنْفُسَهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِئَاتِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا أَخَذُوا مِنْهُمْ أَكْثَرَ مِمَّنْهُمْ فَسَقُونَ ﴿٨١﴾ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرُكَ ذَلِكَ بَأْتٍ مِنْهُمْ قَيْسِيَّةٌ وَرُهَبَانَا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضٌ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُمْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾

(١) أخرجه نحوه عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه عن سعيد بن جبير [الدر المنثور (٥٣٧/٢)].

والمشهور في كتب السير والتفاسير أنها نزلت في النجاشي وأصحابه، بعدما سمعوا سورة «مرم» من جعفر بن أبي طالب عليه السلام، لما قدم مع المسلمين في الهجرة الأولى للحبيشة، ففاضت أعينهم من الدمع مما عرفوا من الحق، ثم أسلم النجاشي. أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٤٩/١٤)، وابن أبي حاتم في التفسير (١١٨٠٥/٤)، وأبو نعيم في الحلية (١١٧/١) عن عروة بن الزبير. وهو مرسل صحيح الإسناد كما في الاستيعاب (٨٠/٢).

قال القاضي كنعان معلقاً على ذلك في قرة العينين على تفسير الجلالين ص ١٥٣: «وما يجب التنبيه إليه؛ أن هذه الآيات لا تشمل جميع النصارى كما يتوهم البعض؛ فإن عدائهم للمسلمين ظاهرة، ووقائع التاريخ في الأندلس والحروب الصليبية، حتى عصرنا، تشهد على ذلك، بل تشير الآيات إلى جماعة موصوفة منهم، سمعوا القرآن؛ ففاضت أعينهم من الدمع لمعرفة الحق، ثم آمنوا؛ ففي هؤلاء نزلت الآيات...» اهـ.

قلت: ويؤكد ذلك ما أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢٤٩/٦) (٦١٢١) بسند صحيح عن سلمان قال: لما قدم النبي ﷺ المدينة صنعت طعنائاً، فبحت به النبي ﷺ فقال: «ما هذا يا سلمان؟» قلت: صدقة. فقال لأصحابه: «كلوا» ولم يأكل، ثم إنني رجعت حتى جمعت طعنائاً، فأنتبه به، فقال: «ما هذا يا سلمان؟» قلت: هدية، فضرب يده فأكل، وقال لأصحابه: «كلوا». قلت: يا رسول الله، أخبرني عن النصارى؟ قال: «لا خير فيهم ولا يمين أحبهم»، فقتت وأنا منقلب؛ فأمر الله ﷻ: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ حتى بلغني: ﴿تَفِيضٌ مِّنَ الدَّمْعِ﴾؛ فأرسل إلي رسول الله ﷺ فقال: «يا سلمان، إن أصحابك هؤلاء الذين ذكر الله. قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٤٣/٩): «رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير سلامة العجلي وقد وثقه عن حبابه وصححه في الاستيعاب (٨٢/٢)».

[٨٧] ونزل - لما هم قَوْمٌ من الصحابة أن يلازموا الصوم والقيام، ولا يقربوا النساء والطيب، ولا يأكلوا اللحم، ولا يناموا على الفراش :: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحْزَمُوا طَيِّبَاتٍ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا﴾^(١) تتجاوزوا أمر الله ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾.

[٨٨] ﴿وَكُلُوا وَمَا رَزَقَكُمْ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ مفعول، والجار والمجرور قبله حال متعلق به ﴿وَأَقْرَأُوا اللَّهَ الَّذِي أَنشَأَ بِهِ مَوْمِنُونَ﴾^(٢).

[٨٩] ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ﴾ الكائن ﴿فِي أَيْتِنَاكُمْ﴾ هو: ما يسبق إليه اللسان من غير قصد الخلف؛ كقول الإنسان: لا والله، وبلى والله، ولكن

﴿يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَدْتُمْ﴾ بالتخفيف والتشديد، وفي قراءة: ﴿عَاقَدْتُمْ﴾^(٣) ﴿الْأَيْتِنَ﴾ عليه؛ بأن حلفتم عن قصد ﴿فَكَفَّرْتُمُوهُ﴾ أي: اليمين؛ إذا حثتم فيه ﴿بِطَعَامٍ عَشْرَةَ مَسْكِينٍ﴾ لكل مسكين مِدَّةٌ ﴿وَمِنْ أَوْسَطِ مَا تَطْعَمُونَ﴾

منه ﴿أَهْلِيكُمْ﴾ أي: أفضديه وأغلبه؛ لا أعلاه ولا أدناه ﴿أَوْ كَسَوْتُمْهُمَا﴾ بما يسمى كسوة؛ قميص وعمامة وإزار، ولا يكفي دفع ما ذكر إلى مسكين

واحد، وعليه الشافعي^(٤) ﴿أَوْ تَحْرِيرَ﴾ عتق ﴿رَقَبَةٍ﴾ أي: مؤمنة كما في كفارة القتل والظهار حلاً للمطلق على المقيد^(٥) ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ﴾ واحداً ما

ذكر ﴿فَصِيَامٌ لِمَنْ لَمْ يَلْبَسْهُ﴾ كفارته، وظاهره أنه لا يشترط التسابع؛ وعليه الشافعي ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿كَفَّارَةٌ لَيْتِنَاكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾ وحسنتم

﴿وَاحْفَظُوا أَيْتِنَاكُمْ﴾ أن تتكثروا ما لم تكن على فعل ير أو إصلاح بين الناس - كما في سورة البقرة - ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: مثل ما بين لكم ما ذكر ﴿بَيْنَ اللَّهِ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، هـ على ذلك^(٦).

[٩٠] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا لَقَرْتُمْ﴾ المسكر الذي يخامر العقل ﴿وَالْمَيْسِرَ﴾ القمار ﴿وَالْأَنْصَابَ﴾ الأضنام ﴿وَالْأَرْزَامَ﴾ قدام الاستقسام ﴿وَجَسْنَ﴾ حيث مستقذر ﴿مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ الذي يرينه ﴿فَاجْتَنِبُوهُ﴾ أي:

الرجس المعبر عن هذه الأشياء أن تفعلوه ﴿لَعَلَّكُمْ تَقْلِحُونَ﴾.

الرجس المعبر عن هذه الأشياء أن تفعلوه ﴿لَعَلَّكُمْ تَقْلِحُونَ﴾.

وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٧﴾ فَأْتِيَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا اجْتَنِبُوا تَجَرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٨٩﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحْزَمُونَ طَيِّبَاتٍ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٩٠﴾ وَكُلُوا وَمَا رَزَقَكُمْ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَأَقْرَأُوا اللَّهَ الَّذِي أَنشَأَ بِهِ مَوْمِنُونَ ﴿٩١﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِيمَا كَفَرْتُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْيَائِسِينَ ﴿٩٢﴾ فَكَفَّرْتُمُوهُ وَأَطَعْتُمْ عَشْرَةَ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تَطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كَسَوْتُمْهُمَا أَوْ تَحْرِيرَ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ كَفَّارَةٌ لَيْتِنَاكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْتِنَاكُمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٩٣﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْحَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَرْزَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تَقْلِحُونَ ﴿٩٤﴾

[٨٤] ﴿و﴾ قالوا في جواب من عرهم بالإسلام من اليهود: ﴿مَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ﴾ القرآن؛ أي: لا مانع لنا من الإيمان مع وجوب مقتضيه ﴿وَنَطْمَعُ﴾ عطف على: ﴿نُؤْمِنُ﴾ ﴿أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾ المؤمنين الجنة.

[٨٥] قال تعالى: ﴿فَأْتِيَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا اجْتَنِبُوا تَجَرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ بالإيمان.

[٨٦] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾.

(٥) ما جاء في نزول الآية (٨٧)، (٨٨): أخرجه الترمذي عن ابن عباس أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إني إذا أصبت اللحم انتشرت إلى النساء وأخذتني شهوتي، فحرمت علي اللحم، فأنزل الله: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحْزَمُوا طَيِّبَاتٍ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ وَكُلُوا وَمَا رَزَقَكُمْ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٦) سورة المائدة (صحيح). صحيح سنن الترمذي (٢٤٤١).

(٥٥) ما جاء في نزول الآية (٨٩): أخرجه ابن ماجه عن ابن عباس قال: كان الرجل يقوت أهل قرناً فيه سعة، وكان الرجل يقوت أهل قرناً فيه شدة، فنزلت: ﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تَطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾. ابن ماجه - كتاب الكفارات (١١) باب (١٠)، وسكت عليه الألباني. فائدة: أخرجه البخاري عن عائشة أن أباه كان لا يبحث في بين حتى أنزل الله كفارة اليمين. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة المائدة (٥).

(١) أخرجه نحوه عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن عكرمة وليس فيه ذكر الطيب والقيام، وأخرجه ابن جرير عن إبراهيم النخعي (قال: كانوا حرموا الطيب واللحم فأنزل الله هذا فيهم)، وفي البخاري (٤٦٧٥) ومسلم (٢٤٨٧) عن عائشة قصة نحو ذلك بدون ذكر أنها سبب لنزول الآية، وليس فيها ذكر الطيب [الدر المنثور (٥٤٤/٢)]. وأخرجه الطبري عن السدي... فحرم بعضهم أكل اللحم والودك وأن يأكل بالنهار وحرم بعضهم النوم وحرم بعضهم النساء... (١٢٢٤٥).

(٢) لابن ذكوان، وبالتخفيف بدون ألف قراءة حمزة والكسائي وشعبة.

(٣) والجمهور، وهو الراجح.

(٤) وهذا مذهب مالك والشافعي، وعند أبي حنيفة: لا يحمل المطلق على المقيد إلا إذا اتحد السبب، وهنا اختلف فلا حمل، ويكفي في اليمين والظهار عنده عتق الكافرة.

[٩١] ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ إذا أتيتكما ما يحصل فيهما من الشر والفتن ﴿وَيُضِلُّكُمَا بِالْإِشْتِغَالِ بِهِمَا﴾ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَتَمَنِّي الصَّلَاةِ ﴿خَصَّهَا بِالذِّكْرِ تَعْظِيمًا لَهَا﴾ فَهَلَّ أَنْتُمْ مِنْهُنَّ عَنْ إِيْتَانِهِمَا أَي: انتهىوا^(٩١).

[٩٢] ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا﴾ المعاصي ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ عن الطاعة ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلْغُ الْمُبِينُ﴾ الإبلاغ بين، وجزاؤكم علينا. [٩٣] ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾ أكلوا من الخمر والميسر قبل التحريم ﴿إِذَا مَا اتَّقَوْا﴾ الخمرات ﴿وَمَا آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا﴾ ثبتوا على التقوى والإيمان ﴿ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا﴾ العمل ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ بمعنى: أنه يشيهم^{(٩٢) (٩٣)}.

[٩٤] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيْسَ عَلَيْكُمُ لَيْسَ عَلَيْكُمْ﴾ ليعتبركم ﴿اللَّهُ يَنْقُصُ﴾ يرسله لكم ﴿مِنْ أَلْفٍ مِائَةِ تَنَاهَى﴾ أي: الصغار منه ﴿أَيْدِيَكُمْ وَيَمَسُّكُمْ﴾ الكبار منه، وكان ذلك بالحدبية وهم مخرمون^(٩٤)؛ فكانت الوحش والطيور تغشاهم في رحالهم ﴿يَلْعَنُ اللَّهُ﴾ علم ظهور ﴿مَنْ يَخَافُ بِالطَّيْبِ﴾ حال: أي: غائبا لم يره؛ فيجنب الصيد ﴿مَنْ أَتَى بَدَنَهُ بَدَنَ ذَلِكَ﴾ النهي عنه؛ فاصطاده ﴿فَلَمْ عَدَابٌ أَلَيْسَ﴾.

[٩٥] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾ مخرمون يحج أو عمرة ﴿وَمَنْ قَتَلَ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ﴾ بالتقويتين ورفع ما بعدها؛ أي: فعليه جزاء هو: ﴿يُؤْتَى مَا قَتَلَ مِنْ النَّعَمِ﴾ أي: شبهه في الخلقة، وفي قراءة^(٩٥): «إضافة الجزاء»، ﴿يُحْكَمُ بِهِ﴾ أي: بالمثل رجلا «ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ لهما فطنة يميزان بها أشبه الأشياء به، وقد حكم ابن عباس وعمر وعلي^(٩٥) في النعامة بتدنية، وابن عباس وأبو عبيدة في بقر الوحش وحمارة ببقرة، وابن عمر وابن عوف في الظبي بشاة، وحكم بها^(٩٥) ابن عباس وعمر وغيرهما في الحمام؛ لأنه يشبهها في العيب^(٩٥) «هَذَا» حال من «جزاء» ﴿بَلِغْ أَلْكَبَةَ﴾ أي: يبلغ به الحرم؛ فيذبح فيه، ويتصدق به على مساكينه، ولا يجوز أن يذبح حيث كان، ونصبه نعتا لما قبله. وإن أضيف؛ لأن إضافته لفظية؛ لا تفيد تعريفا؛ فإن لم يكن للصيد مثل من النعم كالعصفور والحراد فعليه قيمته «أَوْ» عليه «كَفَّارَةٌ» غير الجزاء. وإن وجده - هي: «طَعَامٌ مَسْكِينٍ» من غالب قوت البلد ما يساوي قيمة الجزء لكل مسكين مئذ، وفي قراءة^(٩٥): «كَفَّارَةٌ» لما بعده، وهي للبيان «أَوْ» عليه «عَدْلٌ» مثل «ذَلِكَ» الطعام «صِيَامًا» يصومه؛ عن كل مئذ يوم، وإن وجده وجب ذلك عليه «يُدَوَّقُ وَيَأْكُلُ» نقل جزء «أَمْرِي» الذي فعله ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْ سَلْفٍ﴾ من قتل الصيد قبل تحريمه

إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيُضِلُّكُمَا بِالْإِشْتِغَالِ بِهِمَا عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلَّ أَنْتُمْ مِنْهُنَّ عَنْ إِيْتَانِهِمَا أَي: انتهىوا. وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلْغُ الْمُبِينُ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيْسَ عَلَيْكُمُ لَيْسَ عَلَيْكُمْ مِنْ أَلْفٍ مِائَةِ تَنَاهَى أَي: الصغار منه أَيْدِيَكُمْ وَيَمَسُّكُمْ الْكَبَارُ مِنْهُ، وَكَانَ ذَلِكَ بِالْحَدَبِيَّةِ وَهُمْ مَخْرُمُونَ؛ فَكَانَتْ الْوَحْشُ وَالطَّيْرُ تَغْشَاهُمْ فِي رِحَالِهِمْ يَلْعَنُ اللَّهُ عِلْمَ ظُهُورِ مَنْ يَخَافُ بِالطَّيْبِ حَالٌ: أَي: غَائِبًا لَمْ يَرَهُ؛ فَيَجْتَنِبُ الْصَيْدَ مَنْ أَتَى بَدَنَهُ بَدَنَ ذَلِكَ النَّهْيُ عَنْهُ؛ فَاصْطَادَهُ فَلَمْ عَدَابٌ أَلَيْسَ عَمْرٍو يَأْكُلُ مِنْ النَّعَمِ مِثْلَ الْجَزَاءِ هُوَ: يَشْبَهُهُ فِي الْخَلْقَةِ، وَفِي قِرَاءَةٍ: «إِضَافَةُ الْجَزَاءِ»، يُحْكَمُ بِهِ أَي: بِالْمِثْلِ رَجُلَانِ «ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ» لِهَاتِيهِمَا فِطْنَةٌ يُمَيِّزَانِ بِهَا أَشْبَهَ الْأَشْيَاءِ بِهِ، وَقَدْ حَكَّمَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَعُمَرُ وَعَلِيٌّ فِي النَّعَامَةِ بِتَدْنِيَّةِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَأَبِي عُبَيْدَةَ فِي بَقْرِ الْوَحْشِ وَحُمَارَةَ بِبَقْرَةٍ، وَابْنُ عُمَرَ وَابْنَ عَوْفٍ فِي الظُّبْيِ بِشَاةٍ، وَحَكَّمَ بِهَا ابْنُ عَبَّاسٍ وَعُمَرُ وَغَيْرُهُمَا فِي الْحَمَامِ؛ لِأَنَّهُ يَشْبَهُهَا فِي الْعَيْبِ «هَذَا» حَالٌ مِنَ «جَزَاءٍ» بَلِّغْ أَلْكَبَةَ أَي: بَلِّغْ بِهِ الْحَرَمَ؛ فَيَذْبَحُ فِيهِ، وَيَتَصَدَّقُ بِهِ عَلَى مَسَاكِينِهِ، وَلَا يُجُوزُ أَنْ يَذْبَحَ حَيْثُ كَانَ، وَنَصَبَهُ نَعْتًا لِمَا قَبْلَهُ. وَإِنْ أُضِفَ؛ لِأَنَّ إِضَافَتَهُ لِفُظِّيَّةٍ؛ لَا تَفِيدُ تَعْرِيفًا؛ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لِلصَّيْدِ مِثْلٌ مِنَ النَّعَمِ كَالْعَصْفُورِ وَالْحِرَادِ فَعَلَيْهِ قِيَمَتُهُ «أَوْ» عَلَيْهِ «كَفَّارَةٌ» غَيْرُ الْجَزَاءِ. وَإِنْ وَجَدَهُ - هِيَ: «طَعَامٌ مَسْكِينٍ» مِنَ غَالِبِ قُوْتِ الْبِلَادِ مَا يَسَاوِي قِيَمَةَ الْجِزَاءِ لِكُلِّ مَسْكِينٍ مِئْذٌ، وَفِي قِرَاءَةٍ: «كَفَّارَةٌ» لِمَا بَعْدَهُ، وَهِيَ لِلْبَيَانِ «أَوْ» عَلَيْهِ «عَدْلٌ» مِثْلُ «ذَلِكَ» الطَّعَامِ «صِيَامًا» يَصُومُهُ؛ عَنِ كُلِّ مِئْذٍ يَوْمًا، وَإِنْ وَجَدَهُ وَجِبَ ذَلِكَ عَلَيْهِ «يُدَوَّقُ وَيَأْكُلُ» نَقَلَ جِزَاءَ الَّذِي فَعَلَهُ ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْ سَلْفٍ﴾ مِنَ قَتْلِ الصَّيْدِ قَبْلَ تَحْرِيمِهِ

﴿وَمَنْ عَادَ﴾ إليه ﴿فَيَنْقُصُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ غالب على أمره ﴿ذُو أُنْيَابٍ﴾ ممن عصاه، والحق بقتله متعمدا فيما ذكر الخطأ.

(٩٥) ما جاء في نزول الآيتين (٩٠، ٩١): أخرج مسلم عن سعد بن أبي وقاص أنه نزلت فيه آيات من القرآن. قال: ... وأتيت على نفر من الأنصار والمهاجرين، فقالوا: تعال نطعمك ونسقيك حمزا - وذلك قبل أن تحرم الخمر - قال: فأتيتهم في حش - والحش: البستان - فإذا رأس جزور مشوي عندهم وزق من خمر. قال: فأكلت وشربت معهم. قال: فذكرت الأنصار والمهاجرين عندهم، فقلت: المهاجرون خير من الأنصار. قال: فأخذ رجل أحد لحبي الرأس فضرمني به، فجرح بأفني، فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته، فأقول الله ﷻ في - يعني نفسه - شأن الخمر ﴿إِنَّمَا كُنْتُمْ وَالْمَيْسِرِ وَالْأَلْسَابِ وَالْأَلْكَامِ﴾. مسلم كتاب فضائل الصحابة (٤٤) باب (٥) فضل سعد بن أبي وقاص.

وأخرج الترمذي عن عمر بن الخطاب أنه قال: اللهم بيّن لنا في الخمر بيان شفاء، فنزلت التي في البقرة: ﴿يَسْتَوِيكُمُ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ الآية. فدعي عمر فقُرئت عليه. ثم قال: اللهم بيّن لنا في الخمر بيان شفاء، فنزلت التي في المائدة: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ إلى قوله: ﴿فَهَلَّ أَنْتُمْ مِنْهُنَّ﴾ فدعي عمر فقُرئت عليه فقال: انتهينا انتهينا. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٦) سورة المائدة. وأخرج أحمد عن أبي هريرة قال: حرمت الخمر ثلاث مرات: قدم رسول الله ﷺ المدينة وهم يشربون الخمر ويأكلون الميسر، فسألوا رسول الله ﷺ عنهما فأقول الله على نبيه: ﴿يَسْتَوِيكُمُ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ إلى آخر الآية. فقال الناس: ما حرم علينا، إنما قال: ﴿فَهِيَمَا إِنَّكُمْ كَصَبْرٍ﴾، وكانوا يشربون الخمر حتى إذا كان يوم من الأيام صلى رجل من المهاجرين، ثم أصحابه في المغرب خلط في قراءة، فأقول الله فيها آية أعظم منها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى﴾ فدعي عمر فقُرئت عليه فقال: انتهينا انتهينا. سبق تخريجه في سورة البقرة عند الآية رقم (٢١٩).

(٩٥) ما جاء في نزول الآية (٩٢): أخرج البخاري عن أنس ﷺ: كنت سافيا القوم في منزل أبي طلحة - وكان خمرهم يومئذ الفضيخ - فأمر رسول الله ﷺ مناديا ينادي: ألا إن الخمر قد حرمت.

(١) وهذا تأويل للصفة بلازمها، ومذهب السلف إيثابتها والإيمان بها على الوجه اللائق به - سبحانه - وسبق ذلك مرازا. (٢) أخرجه ابن أبي حاتم عن مقاتل بن حيان [الدر المنثور (٥٧٦/٢)]. (٣) لنافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر. (٤) أي بالبدنة. (٥) أي: شرب الماء بلا مش. (٦) لنافع وابن عامر.

نمات كل شيء إليه، وفي قراءة^(١): ﴿فِيمَا﴾ بلا ألف؛ مصدر قام غير مُغْلٍ ﴿وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾ بمعنى: الأشهر الحرم. ذو القعدة وذو الحجة والحرم ورجب. قياما لهم؛ بأمنهم من القتال فيها ﴿وَالْمَهْدَى وَالْقَلْبَدَى﴾ قياما لهم؛ بأمن صاحبيهما من العرض له ﴿ذَلِكَ﴾ الجعل المذكور ﴿يَتَعَلَّمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ فإن جملة ذلك لطلب المصالح لكم ودفع المضار عنكم قبل وقوعها دليل على علمها بما هو في الوجود وما هو كائن.

[٩٨] ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لأعدائه ﴿وَأَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ ذَلِيلٌ لِلنَّاسِ﴾ لهم.

[٩٩] ﴿مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ لكم ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ تخفون منه؛ فيجازيكم به.

[١٠٠] ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ الْحَرَامُ وَالطَّيِّبُ الْحَلَالُ وَرَبُّوْهُمَا﴾ ﴿أَعْبَابُكُمْ﴾ أي: شرك ﴿كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في تركه ﴿يَتَذَكَّرُ الْأَنْبِيَاءَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ تفوزون.

[١٠١] ﴿وَنَزَّلَ﴾ لما أكرهوا سؤاله ﴿يَتَأْتِيهَا الْزَبَاتُ عَمَّوًا لَا يَسْتَلُونَ عَنْ آسِيَاءَهُ إِنْ تَبَدَّدَ﴾ تظهر ﴿لَكُمْ سُؤْمُكُمْ﴾ لما فيها من المشقة ﴿وَإِنْ سَأَلْتُمْ عَمَّا جَاءَ مِنْ سُورَةِ الْقُرْآنِ﴾ في زمن النبي ﴿يُبَدِّلْ لَكُمْ﴾ المعنى: إذا سألت عن أشياء في زمنه ينزل القرآن بإدائها، متى أبدأها ساءتكم؛ فلا تسألوا عنها؛ قد عفا الله عنها عن مسألتكم؛ فلا تعودوا ﴿وَاللَّهُ عَفُورٌ حَلِيمٌ﴾.

[١٠٢] ﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ أنبياءهم؛ فأجيبوا ببيان أحكامها ﴿ثُمَّ أَصْبَحُوا صَارُوا﴾ بها كافرين ﴿بِزَكَمِ الْعَمَلِ بِهَا﴾.

[١٠٣] ﴿مَا جَعَلَ﴾ شرع ﴿اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيَّةٍ وَلَا حَمْرٍ﴾ كما كان أهل الجاهلية يفعلونه، روى البخاري عن سعيد بن المسيب قال: البحيرة: التي يمنح درها للطواغيت؛ فلا يحلبها أحد من الناس، والسائبة: التي كانوا يسيبونها لأنهمهم؛ فلا يحمل عليها شيء، والوصيلة: الناقة البكرة؛ تكرر في أول نتاج الإبل بأثنى، ثم تنثني بغد بأثنى، وكانوا يسيبونها لطواغيتهم؛ إن وصلت إحداها بأحرى، ليس بينهما ذكر، والحام: فحل الإبل يضرب الضراب المعداد؛ فإذا قضى ضرابه ودغوه للطواغيت وأعفوه من أن يحمل عليه شيء وسقوه الحامي ﴿وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَقْتُلُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ﴾ في ذلك وفي نسبته إليه ﴿وَأَكْذَبَهُمْ لَا يَقُولُونَ﴾ في ذلك افتراء؛ لأنهم قلدوا فيه آباءهم.

أَجَلٌ لَكُمْ صَيْدَ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحَرَمَ عَلَيْكُمْ صَيْدَ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرْمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٨﴾ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَمًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْمَهْدَى وَالْقَلْبَدَى ذَلِكَ لِيَتَعَلَّمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٩﴾ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٠٠﴾ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْبَجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَتَذَكَّرُ اللَّهُ يَتَأْتِي الْأَلْبَابَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٢﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ آسِيَاءَهُ إِنْ تَبَدَّدَ لَكُمْ سُورَةٌ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ أَنْ تَبَدَّدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٠٣﴾ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ ﴿١٠٤﴾ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيَّةٍ وَلَا حَمْرٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَقْتُلُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَأَكْذَبَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٥﴾

[٩٦] ﴿أَجَلٌ لَكُمْ﴾ أيها الناس - لجلالنا أو مؤخرين - ﴿صَيْدَ الْبَحْرِ﴾ أن تأكلوه؛ وهو: ما لا يعيش إلا فيه؛ كالسمك، بخلاف ما يعيش فيه وفي البر؛ كالسرطان ﴿وَطَعَامُهُ﴾ ما يقذفه ميتا ﴿مَتَاعًا﴾ تمتيحا ﴿لَكُمْ﴾ تأكلونه ﴿وَالسَّيَّارَةَ﴾ المسافرين منكم؛ يتزودونه ﴿وَحَرَمَ عَلَيْكُمْ صَيْدَ الْبَرِّ﴾ وهو: ما يعيش فيه من الوحش المأكول؛ أن تصيدهوه ﴿مَا دُمْتُمْ حُرْمًا﴾ فلو صاده خلل فللمحرم أكله. كما بينته السنة^(١). ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [٩٧] ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾ الحرم ﴿قِيَمًا لِلنَّاسِ﴾ يقوم به أمر دينهم؛ بالحج إليه، وديناهم؛ بأمن داخله، وعدم التعرض له، وجبي

= قال: فقال لي أبو طلحة: أخرج أهرقها، فخرجت فهرقتها، فحرت في سلك المدينة. فقال بعض القوم: قد قتل قوم وهي في بطونهم، فأقول الله: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾ الآية. البخاري - كتاب المظالم (٤٦) باب (٢١) صب الخمر في الطريق.

(٥) ما جاء في نزول الآية (١٠١): أخرج البخاري عن موسى بن أسن عن أسن رضي الله عنه قال: خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة ما سمعت مثلها قط. قال: «لو تعلمون ما أعلم لضحككم قليلا ولبكيكم كثيرا». قال: فغضى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوههم ولهم خنين، فقال رجل: من أي؟ قال: «أبوك فلان». فنزلت هذه الآية: ﴿يَتَأْتِيهَا الْزَبَاتُ عَمَّوًا لَا يَسْتَلُونَ عَنْ آسِيَاءَهُ إِنْ تَبَدَّدَ لَكُمْ سُورَةٌ﴾. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة المائدة باب (١٢).

وأخرج أيضا عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: كان قوم يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم استهزاء، فيقول الرجل من أي؟ ويقول الرجل تضل ناقته: أين ناقتي؟ فأقول الله فيهم هذه الآية: ﴿يَتَأْتِيهَا الْزَبَاتُ عَمَّوًا لَا يَسْتَلُونَ عَنْ آسِيَاءَهُ إِنْ تَبَدَّدَ لَكُمْ سُورَةٌ﴾ حتى فرغ من الآية كلها. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة المائدة (٥) باب (١٢).

(١) روى البخاري (٢٣٨٢) ومسلم (٢٠٦٣). واللفظ له عن أبي قتادة السلماني أنه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان ببعض طريق مكة تخلف مع أصحابه له محررين وهو غير محرم فرأى حملازا وحشيا فاستوى على فرسه فسأل أصحابه أن يناولوه سوطه فأبوا عليه فسألهم رمحه فأبوا عليه فأخذته ثم شد على الحمار فقتله، فأكل منه بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وأبى بعضهم، فأدركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه عن ذلك فقال: «إنما هي طعمعة أطعمكموها الله». (٢) لابن عامر. (٣) أخرج نحوه الطبري عن أسن بن مالك وفيه (سألوه حتى أجفوه بالمسألة...) (١٢٩٧)، وعن قتادة وفيه «حتى أكرهوا ذلك»... (١٢٨٠). وأخرج البخاري (٤٢٥٦) عن ابن عباس قال: كان قوم يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم استهزاء فيقول الرجل: من أي؟ ويقول الرجل تضل ناقته: أين ناقتي؟

[١٠٤] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَقَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ ۗ أَيْ: إلى حكمه من تحليل ما حرمتم ﴿تَقَالُوا حَسْبُنَا﴾ كافينا ﴿مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ مَنَافِقَةً﴾ من الدين والشريعة، قال تعالى: ﴿أَلَمْ حَسِبْتُمْ أَنَّا نَكْتُبُ لَكُمْ كِتَابًا وَمَا نَعْتَدُ بِكُمْ إِلَّا الْخِزْيَانَةَ وَالِاسْتِفْهَامَ لِلْإِنكَارِ﴾ [١٠٥] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ أي: احفظوها، وقوموا بصلاحها ﴿لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا أَهْتَدَيْتُمْ﴾ قيل: المراد: لا يضركم من ضل من أهل الكتاب، وقيل: المراد غيرهم؛ لحديث أبي ثعلبة الحاشني: سألت عنها رسول الله ﷺ فقال: ﴿اتَّبِعُوا بِالْغُرُوبِ﴾، وتناهاها عن المنكر؛ حتى إذا رأيت شُخْطًا مُطَاعًا وَهَوَىٰ مُتَّبِعًا وَذُنُوبًا مُؤْتَرَةً وَإِعْجَابًا كُلِّ ذِي رَأْيٍ يَرَأِيهِ؛ فَعَلَيْكَ نَفْسُكَ﴾^(١) [رواه الحاكم وغيره] ﴿إِلَىٰ اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فيجازيكم به.

[١٠٦] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهِدُوا بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ ۗ أَيْ: أسبابه ﴿حِينَ الْوَصِيَّةِ أَتَيْنَا دَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ خبر بمعنى الأمر أي: لشهيد، وإضافة ﴿شَهِدُوا﴾ لهذين على الاتساع^(٢) ﴿وَحِينَ﴾ بدل من ﴿إِذَا﴾ أو ظرف لـ ﴿حَضَرَ﴾ ﴿أَوْ أَحْرَانَ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ أي: غير ملتكم ﴿إِن أَنْتُمْ صَرِيحُونَ﴾ سافرتهم ﴿فِي الْأَرْضِ فَاصْبِرْتُمْ مُصِيبَةَ الْمَوْتِ تَحْسِبُونَهَا﴾ توقفتونها، صفة ﴿ءَأْحْرَانَ﴾ ﴿وَمِن بَعْدِ الصَّلَاةِ﴾ أي: صلاة العصر ﴿فَيُقْسِمَانِ﴾ يحلفان ﴿يَاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ﴾ شكتم فيها، ويقولان: ﴿لَا نَشْتَرِي بِهَا﴾ بالله ﴿ثَمَانًا﴾ عوضًا نأخذ به من الدنيا؛ بأن نحلف به أو نشهد كذبًا لأجله ﴿وَلَوْ كَانَ مِنَ الْقِسْمِ لَهُ أَوْ الشَّهَادَةِ لَهُ﴾ ﴿ذَا قُرْبَىٰ﴾ قرابة منا ﴿وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ﴾ التي أمرنا بها ﴿إِنَّا إِذَا كُنَّا مِنَ الْإِنْسَانِ﴾ [١٠٧] ﴿وَإِن غَيْرُكَ﴾ أطلع بعد حلفهما ﴿عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا﴾ أي: فعلا ما يوجب؛ من خيانة أو كذب في الشهادة؛ بأن وجد عندهما مثلا ما أتتهما به وادعيا أنهما ابتاعا من الميت أو وصى لهما به ﴿فَأَحْرَانَ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا﴾ في توجه اليمين عليهما ﴿مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ﴾ الوصية؛ وهم: الورثة، ويبدل من ﴿ءَأْحْرَانَ﴾ ﴿الْأَوْلِيَّيْنَ﴾ بالميت؛ أي: الأقران إليه وفي قراءة^(٣) ﴿الْأَوْلِيَّيْنَ﴾ جمع أول؛ صفة أو بدل من ﴿الَّذِينَ﴾ ﴿فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ﴾ على خيانة الشاهدين؛ ويقولان: ﴿لَنَشْهَدَنَّ﴾ يميننا ﴿أَنَّكَ﴾ أصدق ﴿وَمِن شَهِدْتَهُمَا﴾ يمينهما ﴿وَمَا أَهْتَدَيْنَا﴾ تجاوزنا الحق في اليمين ﴿إِنَّا إِذَا لَمِنَ الْفُلُجِيِّيْنَ﴾ المعنى: ليُشْهَدَ الْمُحَضَّرُ عَلَىٰ وَصِيَّتِهِ اثْنَيْنِ، أو يوصى إليهما من أهل دينه أو غيرهم؛ إن فقدهم لسفر ونحوه، فإن ارتاب الورثة فيهما؛ فأدعوا أنهما خانا بأخذ شيء أو دفعه إلى شخص زعما أن الميت أوصى له به؛ فليحلفا إلى آخره، فإن أطلع على أمارة تكذيبهما فأدعيا دافعا له؛ حلف أقرب الورثة على كذبهما وصدق ما ادعوه، والحكم ثابت في الوصيين، منسوخ في الشاهدين^(٤)، وكذا شهادة غير أهل الملة منسوخة، واعتبار صلاة العصر؛ للتغليب، وتخصيص الحلف في الآية ب اثنين من أقرب الورثة؛ لخصوص الواقعة التي نزلت لها؛ وهي: ما رواه البخاري^(٥) أن رجلاً

من بني سهم خرج مع تميم الداري وعدي بن بدء - أي: وهما نصرانيان -

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَقَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا أَهْتَدَيْتُمْ إِلَىٰ اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهِدُوا بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ أَتَيْنَا دَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ أَحْرَانَ مِنْ غَيْرِكُمْ إِن أَنْتُمْ صَرِيحُونَ فِي الْأَرْضِ فَاصْبِرْتُمْ مُصِيبَةَ الْمَوْتِ تَحْسِبُونَهَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لَأَن نَّشْتَرِي بِهِ ثَمَانًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذَا لَمِنَ الْأَثَمِينَ ﴿إِن عِثَرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَأَحْرَانَ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَقْرَبِينَ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهِدْنَا أَنَّ مَن شَهِدْتَهُمَا وَمَا أَهْتَدَيْنَا إِنَّا إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿ذَلِكَ أَذَىٰ أَن يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا وَيُخَافُوا أَن تُرَدَّ أَيْمَنُ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا اللَّهَ لَآ يَهْدِيَ الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿

فمات السهمي بأرض ليس فيها مسلم، فلما قدما بتركته فقدوا جثتا من فضة مَحْوُضًا بالذهب؛ فرعوا إلى النبي ﷺ؛ فنزلت؛ فأحلفهما؛ ثم وجد الجام بمكة؛ فقالوا: ابتعنا من تميم وعدي؛ فنزلت الآية الثانية؛ فقام رجلان من أولياء السهمي فحلفا، وفي رواية الترمذي^(١)؛ فقام عمرو بن العاص ورجل آخر منهم فحلفا وكانا أقرب إليه، وفي رواية: فمريض؛ فأوصى إليهما؛ وأمرهما أن يُبْلِغَا ما ترك أهله؛ فلما مات أحذا الجام ودفعًا إلى أهله ما بقي.

[١٠٨] ﴿ذَلِكَ﴾ الحكم المذكور؛ من رد اليمين على الورثة ﴿أَذَىٰ﴾ أقرب إلى ﴿أَنْ يَأْتُوا﴾ أي: الشهود أو الأوصياء ﴿بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا﴾ الذي تحملوها عليه من غير تحريف ولا خيانة ﴿أَقْرَبُ﴾ أقرب إلى أن ﴿يُخَافُوا أَن تُرَدَّ أَيْمَنُ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ﴾ على الورثة المدعين؛ فيحلفون على خيانتهم وكذبهم؛ فيفتضحون ويغرمون؛ فلا يكذبوا ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ بترك الخيانة والكذب ﴿وَاسْمَعُوا﴾ ما تؤمرون به سماع قبولي ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ الخارجين عن طاعته إلى سبيل الخير^(٢).

(٥) ما جاء في نزول الآيات (١٠٦ - ١٠٨): أخرج البخاري عن ابن عباس ﷺ؛ قال: خرج رجل من بني سهم مع تميم الداري وعدي بن بدء؛ فمات السهمي بأرض ليس بها مسلم، فلما قدما =

(١) لم أجده عند الحاكم، ورواه الترمذي (٢٩٨٤) وأبو داود (٣٧٧٨) وابن ماجه (٤٠٠٤) وضعفه الألباني لكن بعضه صحيح. صحيح وضعيف الجامع (٢٣٤٤)، ضعيف الترغيب والترهيب (١٨٤٦). (٢) أي: التسمع والتجوز، وأضيفت إلى «البين» ولم تنصف إلى «الأموال»؛ لأن الشهادة على الأموال تمنع فساد البين، والأصل فيه شهادة بيمينك؛ أي فرض عليكم أن يشهد الوصية بيمينك اثنان؛ فحذف المفعول به، وأضيفت الشهادة إلى الطرف، وهو المسمى عند النحويين بالمفعول على السعة. (٣) محررة وشعبة. (٤) أي: عند من يشترط في الشهود الإسلام ولو عند فقد المسلمين، وأما من لم يشترط فلا نسخ عنده. (٥) البخاري (٢٧٨٠). (٦) أخرجه الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٤٦) سورة المائدة. [ضعيف الإسناد جليل]، [ضعيف سنن الترمذي (٥٨٦)].

لهم توييحاً لقومهم: ﴿مَاذَا﴾ أي: الذي ﴿أَجْتَدُّ﴾ به حين دعوتهم إلى التوحيد ﴿قَالُوا لَا عَمَلٌ لَنَا﴾ بذلك ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمْتَ الْعُلُوبِ﴾ ما غاب عن العباد، وذهب عنهم علمه، لشدة هول يوم القيامة؛ وفرغهم، ثم يشهدون على أمهم لما يسكنون.

[١١٠] اذكر ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَقِلْ وَادَّبْكَ﴾ بشكرها ﴿إِذْ آتَيْنَاكَ﴾ قُوَّتَكَ ﴿يُرِجُ الْقَدْسِ﴾ جبريل ﴿تُكَلِّمُ النَّاسَ﴾ حال من الكاف في ﴿آتَيْنَاكَ﴾ ﴿فِي الْمَهْدِ﴾ أي: طفلاً ﴿وَكَهَلًا﴾ يفيد نزوله قبل الساعة؛ لأنه رُفِعَ قبل الكهولة. كما سبق في آل عمران.. ﴿وَإِذْ عَلَّمْنَاكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ نَحْنُ مِنَ الطَّيِّبِينَ كَهَيْئَةٍ﴾ كصورة ﴿الطَّيِّبِ﴾ والكاف؛ اسم بمعنى: مثل، مفعول ﴿بِإِذْنِي فَتَنفِخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي﴾ يارادني ﴿وَنُزِجُ الْأَكْصَمَةَ وَالْأَنْزَمَ﴾ بِإِذْنِي وَإِذْ نُخْرِجُ الْمَوْتَى مِنْ قُبُورِهِمْ أَحْيَاءَ ﴿بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ﴾ حين هَمُّوا بقتلك ﴿إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ المعجزات ﴿فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْحَرُومِيْنٌ﴾ وفي قراءة: ﴿سَاجِرٌ﴾ (١) أي: عيسى.

[١١١] ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ﴾ أمرتهم على لسانه ﴿أَنْ﴾ أي: بأن ﴿ءَامِنُوا بِرِسُولِي﴾ عيسى ﴿قَالُوا ءَامَنَّا﴾ بهما ﴿وَأَشْهَدُ بِأَنَّنا مُسْلِمُونَ﴾.

[١١٢] اذكر ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَعْيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ نَسْتَطِيعُ﴾ أي: يفعل ﴿رَبُّكَ﴾ وفي قراءة: بالفوقانية ونصب ما بعده (٢)؛ أي: تقدر أن تسأله ﴿أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾ قال لهم عيسى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾ في اقتراح الآيات ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

[١١٣] ﴿قَالُوا نُرِيدُ﴾ سؤالها من أجل ﴿أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَنَطْمِئِنَ﴾ تسكن ﴿قُلُوبَنَا﴾ بزيادة اليقين ﴿وَنَعْلَمَ﴾ نرداد علماً ﴿أَنْ﴾ مخففة؛ أي: أنك ﴿قَدْ صَدَقْتَنَا﴾ في ادعاء النبوة ﴿وَنُكُونُ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾.

﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عَمَلٌ لَنَا﴾
 ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمْتَ الْعُلُوبِ﴾ (١٠) ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَقِلْ وَادَّبْكَ إِذْ آتَيْنَاكَ يُرِجُ الْقَدْسِ تَكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهَلًا وَإِذْ عَلَّمْنَاكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ نَحْنُ مِنَ الطَّيِّبِينَ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفِخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَنُزِجُ الْأَكْصَمَةَ وَالْأَنْزَمَ بِالْأَنْزَمِ بِإِذْنِي وَإِذْ نُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْحَرُومِيْنٌ﴾ (١١) ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ ءَامِنُوا بِرِسُولِي قَالُوا ءَامَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّنا مُسْلِمُونَ﴾ (١٢) ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَعْيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ نَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١٣) ﴿قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَنَطْمِئِنَ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَكُونُ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ (١٤)

[١٠٩] اذكر ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ﴾ هو: يوم القيامة ﴿فَيَقُولُ﴾

بتركته فقدوا جاماً من فضة مخوصاً من ذهب، فأحفظها رسول الله ﷺ ثم وجد الجم بمكة، فقالوا: اجعنا من تميم وعدي، فقام رجلان من أولياء السهمي فحلفا: لشهادتنا أحق من شهادتهما، وإن الجم لصاحبهم. قال: وفيهم نزلت هذه الآية: ﴿يُنَادِيا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهَدُا بَيْنَكُم إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾. البخاري كتاب الوصايا (٥٥) باب (٣٥).

(١) لحمة والكسائي.

(٢) أي: ﴿نَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ وهي قراءة الكسائي.

﴿١١٤﴾ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ اللَّهُ وَمَا عِدَّةٌ مِنْكُمْ فَاصْبِرُوا عَلَى مَا كُنْتُمْ يَفْعَلُونَ ﴿١١٦﴾ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعْقُوبَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَنْتَ كَانَتْ لِقَابُ رَجُلٍ فَاكْفُرْ بِاللَّهِ وَكُفِّرْ بِنِعْمِهِ إِنَّكُنتَ مِنَ الْفَاسِقِينَ ﴿١١٧﴾ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعْقُوبَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَنْتَ كَانَتْ لِقَابُ رَجُلٍ فَاكْفُرْ بِاللَّهِ وَكُفِّرْ بِنِعْمِهِ إِنَّكُنتَ مِنَ الْفَاسِقِينَ ﴿١١٨﴾ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعْقُوبَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَنْتَ كَانَتْ لِقَابُ رَجُلٍ فَاكْفُرْ بِاللَّهِ وَكُفِّرْ بِنِعْمِهِ إِنَّكُنتَ مِنَ الْفَاسِقِينَ ﴿١١٩﴾ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعْقُوبَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَنْتَ كَانَتْ لِقَابُ رَجُلٍ فَاكْفُرْ بِاللَّهِ وَكُفِّرْ بِنِعْمِهِ إِنَّكُنتَ مِنَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٢٠﴾

﴿١١٤﴾ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ اللَّهُ وَمَا عِدَّةٌ مِنْكُمْ فَاصْبِرُوا عَلَى مَا كُنْتُمْ يَفْعَلُونَ ﴿١١٦﴾ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعْقُوبَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَنْتَ كَانَتْ لِقَابُ رَجُلٍ فَاكْفُرْ بِاللَّهِ وَكُفِّرْ بِنِعْمِهِ إِنَّكُنتَ مِنَ الْفَاسِقِينَ ﴿١١٧﴾ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعْقُوبَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَنْتَ كَانَتْ لِقَابُ رَجُلٍ فَاكْفُرْ بِاللَّهِ وَكُفِّرْ بِنِعْمِهِ إِنَّكُنتَ مِنَ الْفَاسِقِينَ ﴿١١٨﴾ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعْقُوبَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَنْتَ كَانَتْ لِقَابُ رَجُلٍ فَاكْفُرْ بِاللَّهِ وَكُفِّرْ بِنِعْمِهِ إِنَّكُنتَ مِنَ الْفَاسِقِينَ ﴿١١٩﴾ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعْقُوبَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَنْتَ كَانَتْ لِقَابُ رَجُلٍ فَاكْفُرْ بِاللَّهِ وَكُفِّرْ بِنِعْمِهِ إِنَّكُنتَ مِنَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٢٠﴾

﴿١١٥﴾ قَالَ اللَّهُ وَمَا عِدَّةٌ مِنْكُمْ فَاصْبِرُوا عَلَى مَا كُنْتُمْ يَفْعَلُونَ ﴿١١٦﴾ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعْقُوبَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَنْتَ كَانَتْ لِقَابُ رَجُلٍ فَاكْفُرْ بِاللَّهِ وَكُفِّرْ بِنِعْمِهِ إِنَّكُنتَ مِنَ الْفَاسِقِينَ ﴿١١٧﴾ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعْقُوبَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَنْتَ كَانَتْ لِقَابُ رَجُلٍ فَاكْفُرْ بِاللَّهِ وَكُفِّرْ بِنِعْمِهِ إِنَّكُنتَ مِنَ الْفَاسِقِينَ ﴿١١٨﴾ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعْقُوبَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَنْتَ كَانَتْ لِقَابُ رَجُلٍ فَاكْفُرْ بِاللَّهِ وَكُفِّرْ بِنِعْمِهِ إِنَّكُنتَ مِنَ الْفَاسِقِينَ ﴿١١٩﴾ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعْقُوبَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَنْتَ كَانَتْ لِقَابُ رَجُلٍ فَاكْفُرْ بِاللَّهِ وَكُفِّرْ بِنِعْمِهِ إِنَّكُنتَ مِنَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٢٠﴾

﴿١١٦﴾ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعْقُوبَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَنْتَ كَانَتْ لِقَابُ رَجُلٍ فَاكْفُرْ بِاللَّهِ وَكُفِّرْ بِنِعْمِهِ إِنَّكُنتَ مِنَ الْفَاسِقِينَ ﴿١١٧﴾ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعْقُوبَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَنْتَ كَانَتْ لِقَابُ رَجُلٍ فَاكْفُرْ بِاللَّهِ وَكُفِّرْ بِنِعْمِهِ إِنَّكُنتَ مِنَ الْفَاسِقِينَ ﴿١١٨﴾ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعْقُوبَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَنْتَ كَانَتْ لِقَابُ رَجُلٍ فَاكْفُرْ بِاللَّهِ وَكُفِّرْ بِنِعْمِهِ إِنَّكُنتَ مِنَ الْفَاسِقِينَ ﴿١١٩﴾ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعْقُوبَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَنْتَ كَانَتْ لِقَابُ رَجُلٍ فَاكْفُرْ بِاللَّهِ وَكُفِّرْ بِنِعْمِهِ إِنَّكُنتَ مِنَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٢٠﴾

﴿١١٧﴾ وَمَا كُنْتُمْ يَفْعَلُونَ ﴿١١٨﴾ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعْقُوبَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَنْتَ كَانَتْ لِقَابُ رَجُلٍ فَاكْفُرْ بِاللَّهِ وَكُفِّرْ بِنِعْمِهِ إِنَّكُنتَ مِنَ الْفَاسِقِينَ ﴿١١٩﴾ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعْقُوبَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَنْتَ كَانَتْ لِقَابُ رَجُلٍ فَاكْفُرْ بِاللَّهِ وَكُفِّرْ بِنِعْمِهِ إِنَّكُنتَ مِنَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٢٠﴾

﴿١١٨﴾ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعْقُوبَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَنْتَ كَانَتْ لِقَابُ رَجُلٍ فَاكْفُرْ بِاللَّهِ وَكُفِّرْ بِنِعْمِهِ إِنَّكُنتَ مِنَ الْفَاسِقِينَ ﴿١١٩﴾ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعْقُوبَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَنْتَ كَانَتْ لِقَابُ رَجُلٍ فَاكْفُرْ بِاللَّهِ وَكُفِّرْ بِنِعْمِهِ إِنَّكُنتَ مِنَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٢٠﴾

﴿١١٩﴾ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعْقُوبَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَنْتَ كَانَتْ لِقَابُ رَجُلٍ فَاكْفُرْ بِاللَّهِ وَكُفِّرْ بِنِعْمِهِ إِنَّكُنتَ مِنَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٢٠﴾

﴿١٢٠﴾ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعْقُوبَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَنْتَ كَانَتْ لِقَابُ رَجُلٍ فَاكْفُرْ بِاللَّهِ وَكُفِّرْ بِنِعْمِهِ إِنَّكُنتَ مِنَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٢٠﴾

وغيرها ﴿وَمَا فِيهَا مِنْ نَجْوَى لَهُمْ﴾ أي بـ«ما» تعليقا لغير العاقل ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه إثابة الصادق وتعذيب الكاذب. وخص العقل ذاته فليس عليها بقادر.^(٧)

(٧) فائدة: أخرج الترمذي عن أبي هريرة قال: تلقى عيسى حجه، ولقاه الله في قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعْقُوبَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَنْتَ كَانَتْ لِقَابُ رَجُلٍ فَاكْفُرْ بِاللَّهِ وَكُفِّرْ بِنِعْمِهِ إِنَّكُنتَ مِنَ الْفَاسِقِينَ﴾. فلقاه الله: ﴿سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّكَ﴾ الآية كلها. الترمذي. كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٦) سورة المائدة، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٤٥٠).

(١) بالتخفيف؛ أي: للزاي، ولازمه سكون النون، قراءة حمزة والكسائي وابن كثير وأبي عمرو.
(٢) ذكره البغوي عن ابن عباس (١١٩/٣)، وأخرج قريبا منه ابن جرير عن إسحاق بن عبد الله [الدر المنثور (٦١٣/٢)].
(٣) أخرجه الترمذي (٢٩٨٧) وابن جرير وابن أبي حاتم وابن الأباري في كتاب الأضداد وأبو الشيخ وابن مردويه عن عمار بن ياسر مرفوعا [الدر المنثور (٦١٢/٢)]، وضعف الألباني إسناده في ضعيف سنن الترمذي (٥٨٧).
(٤) ومذهب السلف إثبات صفة النفس لله ﷻ على الوجه اللاتق به، وهل هي الذات أم صفة للذات؟ قولان للسلف، والجمهور أنها هي الذات.
(٥) وهذا تأويل لصفة رضاه ﷻ ومذهب السلف إثباتها لله ﷻ على الوجه اللاتق به بلا تأويل أو تعطيل أو تكيف أو تمثيل، وسبق مرااا التنبيه على ذلك.
(٦) هذا تأويل لصفة الرضا ببعض لوازمها من الثواب ونحوه، وسبق مرااا التنبيه على ذلك.
(٧) ومثل هذا الإطلاق الأولي الإمساك عنه، ولم يقل به أحد من السلف.

سورة الأعراف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ
وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي
خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ
تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ
وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ
آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوعَهَا مَعْرِضِينَ ﴿٤﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ
لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا يَستَهْزِئُونَ ﴿٥﴾
أَلَمْ يَرَوْا كَرَاهِيَةً لِّكُلِّ لُغَةٍ مِّن قَبْلِهِمْ مِّن قَرْنٍ مَّكِّنَّهْمُ فِي الْأَرْضِ
مَا لَهُمْ فِيهَا مِن قُوَّةٍ وَلَا لَهَا لَهُمْ فِيهَا حِسَابٌ ﴿٦﴾ وَبَدَّلْنَاهُم بِأَنفُسِهِمْ
أَخْرَجْنَا مِنْ مَّكَّنَّهِمْ مَكَّنًا آخَرَ بِمِثْلِ مَا كَانُوا فِيهِ يُسْكِنُونَ ﴿٧﴾ وَقَالُوا لَوْلَا
أُنزِلَ عَلَيْنَا آيَاتٌ مِّن سَمَوَاتِنَا لَعَلَّ نَحْنُ مُوقِنُونَ ﴿٨﴾

سورة الأعراف

[مكية*] إلا: ﴿١﴾ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ ﴿٢﴾ الآيات الثلاث، وإلا: ﴿٣﴾ قُلْ تَسَاءَلُونَ

الآيات الثلاث، وهي: مائة وخمسة، أو: وست وستون آية [١] ﴿١﴾ الْحَمْدُ لَهُ: وهو: الوصف بالجميل، ثابت ﴿٢﴾ لِلَّهِ: وهل المراد الإعلام بذلك للإيمان به أو الشاء به أو هما؟ احتمالات، أفيدها الثالث، قاله

الشيخ^(١) في سورة الكهف ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ خصهما بالذكور؛ لأنهما أعظم المخلوقات للناظرين ﴿وَجَعَلَ﴾ خلق ﴿الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ أي: كل ظلمة ونور، وجمعها^(٢) دونه؛ لكثرة أسبابها، وهذا من دلائل وحدانيته ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مع قيام هذا الدليل ﴿يَرِيهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ يسوون غيره في العبادة.

[٢] ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ﴾ بخلق أبيكم آدم منه ﴿ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا﴾ لكم تموتون عند انتهائه ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ مضروب ﴿عِنْدَهُ﴾ لبعثكم ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ﴾ أيها الكفار ﴿تَمْتَرُونَ﴾ تشكون في البعث بعد علمكم أنه ابتداء خلقكم، ومن قدر على الابتداء فهو على الإعادة أقدر.

[٣] ﴿وَهُوَ اللَّهُ﴾ مستحق للعبادة ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ ما تسرون وما تجهرون به بينكم ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ تعملون من خير وشر.

[٤] ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ من القرآن ﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾.

[٥] ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ﴾ بالقرآن ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ﴾ عواقب ﴿مَا كَانُوا يَستَهْزِئُونَ﴾.

[٦] ﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾ في أسفارهم إلى الشام وغيرها ﴿كُلِّ مَكَّنٍّ﴾ خيرية؛ بمعنى كثيرة ﴿أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ بَيْنَ قَرْنٍ﴾ أمم من الأمم الماضية ﴿مَكَّنَّهِمْ﴾ أعطيناها مكانا ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ بالقوة والسعة ﴿مَا لَرُّ تُكُنُّ﴾ نعط ﴿لِكُلِّ مَكَّنٍّ﴾ فيه، التفات عن العبيية ﴿وَأَنْزَلْنَا السَّمَاءَ﴾ المطر ﴿عَلَيْهِمْ مِّدْرَارًا﴾ متابعا ﴿وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ﴾ تحت مسابغهم ﴿فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِدُونِهِمْ﴾ بتكذيبهم الأنبياء ﴿وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَدْوِهِمْ قَرْنًا آخَرَ﴾.

[٧] ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا﴾ مكتوبا ﴿فِي قُرْطَابٍ﴾ رقيق؛ كما اقترحوه ﴿فَلَسَوْهُ بِأَبْدَانِهِمْ﴾ أبلغ من «عابونه»؛ لأنه أنفى للشك ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ﴾ ما ﴿هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّؤْتَمِرٌ﴾ تمتعنا وعتادا.

[٨] ﴿وَقَالُوا لَوْلَا﴾ هلا ﴿أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ على محمد ﷺ ﴿مَلَكٌ﴾ يصدقه ﴿وَلَوْ أُنزِلْنَا مَلَكًا﴾ كما اقترحوه؛ فلم يؤمنوا ﴿فَلَقَضَى الْأَمْرَ﴾ بهلاكهم ﴿ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ﴾ يهلون لنوبة أو معذرة، كعادة الله فيمن قبلهم؛ من إهلاكهم عند وجود مقترحهم إذا لم يؤمنوا.

(٥) فائدة: تفسير الشور إلى مكية ومدني، وتكون الشورة كلها مكية أو مدنية إما هو الأعلب الأعم في شور القرآن، ذلك أنه قد وردت آيات مدنية في شور مكية والعكس على وجه القلة، وسبب ذلك ما نفقز بأن ترتيب الآيات توقيفي بالإجماع كما تقدم، قال ابن حجر *تكملة*: وقد اعتنى بعض الأئمة ببيان ما نزل من الآيات بالمدنية في الشور المكية... إلى أن قال: *ووأما عكس ذلك وهو نزول شيء من سورة مكية، تأخر نزول تلك الشورة إلى المدنية فلم أره إلا نادرا.* والامتناء المذكور مشهور في تحب القراء ومثبت في المصاحف، وثبوت وقوعه دللت عليه الأدلة، لكن هل يقبل كل ما يذكر من الامتناء، أم لا بد من النظر فيه؟ ذهب المحققون من أهل التفسير إلى أنه لا يصح الامتناء إلا بتبليغ لأنه يخلط الأصل. ولا يجوز القول عن هذا الأصل إلا بتبليغ صحيح صريح. قال ابن الحصار في نظرية للسور المكية والمدنية:

وذا الذي احتفظت فيه الزوافة له
وربما استحييت آتي من الشور
وما سوى ذلك مكى تنزله
فلا تكن من خلاف الناس في خبر
فليس كل خلاف جاء مفتريا
إلا خلاف له حظ من الشظر
وقد تكبح السوطي *تكملة* ما قبل باستثناءه وذكر الأدلة على ذلك مختصرا في كتابه الإعتقان.

(١) أي: الحلال المحلي.
(٢) أي: الظلمة.

[٩] ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ﴾ أي: المنزل إليهم ﴿مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ﴾ أي: الملك ﴿رَجُلًا﴾ أي: على صورته؛ ليتمكنوا من رؤيته؛ إذ لا قوة للبشر على رؤية الملك ﴿وَوَلَّى لُو أَنْرُلَاهُ وَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا﴾ للبيننا ﴿شَبَّهْنَا﴾ عليهم ما يليسوت ﴿على أنفسهم؛ بأن يقولوا: ما هذا إلا بشر مثلكم.

[١٠] ﴿وَلَقَدْ آسَّهَزَيْتُمْ بُرْسِلَ بَيْنَ بَيْتِكَ﴾ فيه تسلية للنبي ﷺ ﴿فَحَقَّ﴾ نزل ﴿يَأْتِيكَ سَجْرُوا مِنْهُرَ مَا كَانُوا يَوْمَ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ وهو: العذاب؛ فكذا يحيق بمن استهزأ بك.

[١١] ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ الرسل؛ من هلاكهم بالعذاب؛ ليعتبروا.

[١٢] ﴿قُلْ لَيْنَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ﴾ إن لم يقولوه؛ لا جواب غيره ﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ﴾^(١) قضى على نفسه ﴿الرَّحْمَةَ﴾ فضلاً منه، وفيه تلطف في دعائهم إلى الإيمان ﴿لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ ليجازيكم بأعمالكم ﴿لَا رَبَّ﴾ شك ﴿فِيهِ الَّذِينَ خَيْرُوا أَنفُسَهُمْ﴾ بتعريضها للعذاب، مبتدأ، خبره: ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

[١٣] ﴿وَلَهُ﴾ - تعالى - ﴿مَا سَكَنَ﴾ حل ﴿فِي الْأَيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ أي: كل شيء؛ فهو ربه وخالقه ومالكة ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لما يقال ﴿الْعَلِيمُ﴾ بما يفعل.

[١٤] ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿أَعَزَّ اللَّهُ أَخْبَذَ وَيَأَى﴾ أعبده ﴿فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ مبدعهما ﴿وَهُوَ يُعْطِمُ﴾ يوزق ﴿وَلَا يُطْعَمُ﴾ يوزق ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَسْجُوتَ أَوْلَ مَنْ أَسْمَهُ﴾ لله من هذه الأمة ﴿وَوُجَّهْتُ قَلْبِي﴾ لا تَكُونُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ به.

[١٥] ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ﴾ إن عصيت ربي ﴿إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾ بعبادة غيره ﴿عَذَابَ يَوْمِ عَظِيمٍ﴾ هو: يوم القيامة.

[١٦] ﴿مَنْ يُصْرَفْ﴾ بالبناء للمفعول؛ أي: العذاب، وللفاعل^(٢)؛ أي: الله، والعائد: محذوف ﴿عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَجِمْتَهُ﴾ - تعالى؛ أي: أراد له الخير^(٣) ﴿وَذَكَرَ الْفُورُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ النجاة الظاهرة.

[١٧] ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ﴾ بلاء كمرض وفقر ﴿فَلَا كَافِرٌ﴾ رافع ﴿لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِنْ يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ﴾ كصحبة وعتى ﴿فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمَ مَا يَلْبَسُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ آسَّهَزَيْتُمْ بُرْسِلَ مِنْ بَيْتِكَ فَحَقَّ بِالَّذِينَ سَجْرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَوْمَ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿١١﴾ قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي الْأَيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣﴾ قُلْ أَعَزَّ اللَّهُ أَخْبَذَ وَيَأَى فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعَمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَسْجُوتَ أَوْلَ مَنْ أَسْمَهُ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَجِمْتَهُ وَذَلِكَ الْفُورُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِنْ يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ الْغَايُ الْقُورُ فُوقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١٨﴾

قَدِيرٌ ومنه تشك به؛ ولا يقدر على رده عنك غيره.

[١٨] ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ الْقَادِرُ﴾ الذي لا يعجزه شيء مستعاليا^(٤) ﴿فُوقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾ في خلقه ﴿الْخَبِيرُ﴾ بيواطنهم؛ كظواهرهم.

(١) وفيها إثبات صفة الكتابة له - سبحانه - كما سبق التنبيه عليه.

(٢) قراءة حمزة والكسائي وشعبة.

(٣) هنا تأويل للصفة بلازمها، ومذهب السلف إثبات ما أثبت الله لنفسه على ما يليق به سبحانه.

(٤) قال ابن جرير: ﴿الْقَاهِرُ﴾: الْمَلِكُ الْمُتَعَبِدُ خَلْقَهُ الْعَالِي عَلَيْهِمْ. وقال ابن كثير: هو الذي خضعت له الرقاب، وَذَلَّتْ له الجبابرة، وَعَثَّتْ له الوجوه، وَفَقَرَ كل شيء.

(٥) وهذا تأويل لصفة الفوقية، وهو مذهب المؤولة الذين ينفون عن الله علو الذات، وهو - سبحانه - له علو الذات وعلو الشأن وعلو القهر.

الأصنام.

[٢٠] ﴿الَّذِينَ عَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ﴾ أي: محمدًا؛ بنعته في كتابهم ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ﴾ منهم ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^{٥٤}.

[٢١] ﴿رَمَنَ﴾ أي: لا أحد ﴿أَطْلَمَ مِنِّي أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بنسبة الشريك إليه ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ القرآن ﴿إِنَّهُ﴾ أي: الشأن ﴿لَا يَفْلِحُ الْظَالِمُونَ﴾ بذلك. ﴿وَمَا أَذَكَرَ يَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ توبيخًا: ﴿إِنَّ شِرْكَاءَ الَّذِينَ كُفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَنَّهُمْ شِرْكَاءُ اللَّهِ﴾.

[٢٢] ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ﴾ بالباء والياء^(٥٥) ﴿فَتَنَّتَهُمْ﴾ بالنصب والرفع^(٥٦)؛ أي: معذرتهم ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾ أي: قولهم ﴿وَاللَّهُ رَبُّنَا﴾ بالجر: نعمت، والنصب^(٥٧) نداء ﴿مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾^(٥٨).

[٢٣] قال - تعالى -: ﴿أَنْظُرْ﴾ يا محمد ﴿كَيْفَ كَذَّبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ بنفي الشرك عنهم ﴿وَوَضَّلَ﴾ غاب ﴿عَنَّهُمْ تَمَا كَانُوا يَقْتَرُونَ﴾ له على الله من شركاء.

[٢٤] ﴿وَمَنَّهُمْ مَن يَسْتَعِزُّ بِآبِكَ﴾ إذا قرأت ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ أعطية لهم ﴿أَنْ﴾ لا ﴿يَفْقَهُوهُ﴾ يفهموا القرآن ﴿وَوَفَىٰ عَادَاتِهِمْ وَفَا﴾ صمما؛ فلا يسمعون سماع قبول ﴿وَإِنْ يَرَوْا كَلِمًا مَّا يُؤْمِنُ بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ﴾ ما ﴿هَذَا﴾ القرآن ﴿إِلَّا آسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ كالأصاحب والأعاجيب، جمع أسطورة، بالضم.

[٢٥] ﴿وَمَنْ يَهْتَوِي﴾ الناس ﴿عَنَّهُ﴾ عن اتباع النبي ﷺ ﴿وَيَتَّبِعُونَ﴾ يتبعون ﴿عَنَّهُ﴾ فلا يؤمنون به، وقيل: نزلت في أبي طالب كان ينهى عن أذاه ولا يؤمن به^(٥٩).

[٢٦] ﴿وَإِنْ﴾ ما ﴿يَهْتَكِرُونَ﴾ بالنأي عنه ﴿إِلَّا أَنفُسَهُمْ﴾ لأن ضرره عليهم ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ بذلك.

[٢٧] ﴿وَلَوْ تَرَىٰ﴾ يا محمد ﴿إِذْ يُفْتَنُونَ﴾ عرضوا ﴿عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَلنَّيبَةِ﴾ أي: لآيبتنا ﴿تَرُدُّ﴾ إلى الدنيا ﴿وَلَا تُكْذِبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يرفع الفعلين استئنافًا، ونصبهما في جواب التمني، ورفع الأول ونصب الثاني^(٦٠)، وجواب «لو» لرأيت أمرًا عظيمًا.

(٥٤) فائدة: أخرج البخاري عن سعيد قال: قال رجل لابن عباس: إني أجد في القرآن أشياء تختلف عليّ؛ قال: ... ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾، ﴿وَاللَّهُ رَبُّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ فقد كتموا في هذه الآية... فقال: ... أما قوله: ﴿مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾، ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ فإن الله يغفر لأهل الإخلاص ذنوبهم، وقال المشركون: تعالوا نقول: «ما كنا مشركين»، فحتم على أفواههم، فتنتق أيدهم؛ فنشدت عرف أن الله لا يكتم حديثًا، وعنده ﴿يَوْمَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصُوا أَرْسُولَ لَوْ شِئْنَا لَوْ شِئْنَا لَمَّا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ معه من الترجمة.

(١) ذكره الواحدي في أسباب النزول عن الكلبي، والكلبي كذاب.

(٢) بالياء قراءة حمزة والكسائي.

(٣) بالنصب قراءة نافع وحمزة والكسائي وأبي عمرو وشعبة.

(٤) بالنصب قراءة حمزة والكسائي.

(٥) أخرج نحوه الفريابي وعبد الرزاق وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وأبو الشيخ وابن مردويه والحاكم والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس، وقال الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه» وواقعه الذهبي. وحسنه صاحب الاستيعاب بمجموع طرقه (١٣٢/٢)، وأخرج نحوه أيضًا ابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وأبو الشيخ عن القاسم بن مخيمرة [والدر المنثور (١/٥٣)].

(٦) بالرفع ثم النصب قراءة ابن عامر، وبالرفع في الفعلين قراءة نافع والكسائي وابن كثير وأبي عمرو وشعبة.

قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُذَكِّرَكُمْ بِهِ وَمَنِ بَلَغَ أَبْتِكُمْ لَشَهَادَتِهِمْ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٦﴾ الَّذِينَ عَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ وَكَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿١٨﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّا سَازِغُوا آلَهُمْ لِيُرَءَوْا ﴿١٩﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتَنَّاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ إِلَّا قَالُوا وَلَوْلَا رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٠﴾ أَنْظُرْ كَيْفَ كَذَّبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْهُمْ مَن يَسْتَعِزُّ بِالَّذِينَ هُمْ يَدْعُونَ أَن يَكْفُرُوا بِهِمْ وَإِن يُنذِرُهم بِآيَاتِنَا أَذْهَبُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ يَجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا آسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٢﴾ وَهُمْ يَهْتَوُونَ عَنْهُ وَيَسْتَوُونَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يُفْتَنُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْلَتَنَا نُتَرَدُّ وَلَا نُكْذِبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٤﴾

[١٩] وَنَزَلَ - لما قالوا للنبي ﷺ: اثنا من يشهد لك بالنبوة؛ فإن أهل الكتاب أنكروا^(١) :: ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً﴾ تمييز محوّل عن المبتدأ ﴿قُلْ﴾ الله ﴿إِنْ لَمْ يَقُولُوا﴾ لا جواب غيره؛ هو ﴿شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ على صدقي ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُذَكِّرَكُمْ﴾ أخوفكم يا أهل مكة ﴿بِهِ﴾ و﴿مَنْ يَبْلُغُ﴾ عطف على ضمير «أنذركم»؛ أي: بلغه القرآن من الإنس والجن ﴿إِيْتَكُمْ لَتَنْبَهُدُونَ أَنَّهُ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةٌ أُخْرَى﴾ استنفاء إنكاري ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿لَا أَشْهَدُ﴾ بذلك ﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ معه من

[٢٨] قال - تعالى :- ﴿بَلْ لِلْإِضْرَابِ^(١) عَنِ إِزَادَةِ الْإِيمَانِ الْمَفْهُومِ مِنَ التَّمْنِي «بَدَأَ» ظَهَرَ «لَهُمْ مَا كَانُوا يُحْتَمُونَ مِنْ قَبْلِ» يَكْتُمُونَ بِقَوْلِهِمْ: «وَاللَّهُ رَيْبًا مَا كُنَّا مُتَّكِرِينَ» بِشَهَادَةِ جَوَارِحِهِمْ؛ فَضَمُّوا ذَلِكَ «وَلَوْ رُذُّوا» إِلَى الدُّنْيَا فَرْضًا «لَعَادُوا لِمَا نَهَوْا عَنْهُ» مِنَ الشَّرِكِ «وَأَيْتَهُمْ لَكَيْدُونَ» فِي وَعْدِهِمْ بِالْإِيمَانِ.

[٢٩] ﴿وَقَالُوا﴾ أَي: مَنَكَرُوا الْبَعثَ: «إِنْ» مَا «هِيَ» أَي: الْحَيَاةُ «إِلَّا حَيَاتِنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ».

[٣٠] ﴿وَلَوْ رَيَّبْنَا إِيذًا وَقُفُوا﴾ عَرْضُوا «عَلَى رَبِّهِمْ» لَرَأَيْتَ أَمْرًا عَظِيمًا «قَالَ» لَهُمْ عَلَى لِسَانِ الْمَلَائِكَةِ تَوْبِيحًا: «أَلَيْسَ هَذَا» الْبَعثَ وَالْحِسَابَ «بِالْحَقِّ» قَالُوا بَلَى وَرَبِّيَ «إِنَّهُ لِحَقِّ» «قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ» بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ «بِهِ فِي الدُّنْيَا».

[٣١] ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ﴾ بِالْبَعثِ «حَتَّى» غَايَةَ لِلتَّكْذِيبِ «إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ الْغَيَامَةُ» بِمَنْعَتِهِمْ «فَجَاءَهُ» قَالُوا «يَحْسَرُنَا» هِيَ شِدَّةُ التَّأَلُّمِ، وَنَدَاؤُهَا مَجَازٌ؛ أَي: هَذَا أَوْرَاكُ فَاحْضِرِي «عَلَى مَا فَرَقْنَا» قَضَرْنَا «فِيهَا» أَي: الدُّنْيَا «وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْرَاغَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ» بِأَنْ تَأْتِيَهُمْ عِنْدَ الْبَعثِ فِي أَفْبَحِ شَيْءٍ صَوْرَةٌ، وَأَنْتَهُ رَيْحًا؛ فَفَرَكِبَهُمْ «أَلَا سَاءَ» بِسَ «مَا يَرُورُونَ» يَحْمِلُونَهُ حَمْلَهُمْ ذَلِكَ.

[٣٢] ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ أَي: الْإِشْتِغَالُ بِهَا «إِلَّا لُيُبٌ وَلَهْوٌ» وَأَمَّا الطَّاعَةُ وَمَا يَبِينُ عَلَيْهَا مِنْ أُمُورِ الْآخِرَةِ «وَاللَّذَارُ الْآخِرَةُ» وَفِي قِرَاءَةٍ^(٢): «وَالَّذَارُ الْآخِرَةُ» أَي: الْجَنَّةُ «خَيْرٌ لِّذِينَ يَتَّقُونَ» الشَّرِكِ «أَفَلَا يَعْقِلُونَ» بِالْبَاءِ وَالتَّاءِ^(٣)، ذَلِكَ فِيؤْمِنُونَ.

[٣٣] ﴿قَدْ﴾ لِلتَّحْقِيقِ^(٤) «تَعَلَّمَ إِنَّهُمْ» أَي: الشَّانَ «لِيَحْزُنَكَ الَّذِي يَقُولُونَ» لَكَ مِنَ التَّكْذِيبِ «فَأَيْتَهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ» فِي السَّرِّ لَعَلَّهُمْ أَنْتَ صَادِقٌ، وَفِي قِرَاءَةٍ بِالْتَّخْفِيفِ^(٥)؛ أَي: لَا يَسْبُونَكَ إِلَى الْكُذْبِ «وَلَكِنَّ الْفَالِغِينَ» وَضَعَهُ مَوْضِعَ الْمُضْمَرِ «يَايَتِ اللَّهِ» الْقُرْآنَ «يَحْضَدُونَ» يَكْذِبُونَ.

[٣٤] ﴿وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾ فِيهِ تَسْلِيَةٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ «فَصَبَرُوا عَلَى مَا كَذَّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّىٰ أَنَّهُمْ نَصَرُوا» بِإِهْلَاكِ قَوْمِهِمْ؛ فَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَأْتِيكَ النُّصْرُ بِإِهْلَاكِ قَوْمِكَ «وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ» مَوَاعِيدِهِ^(٦) «وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيِّئِ الْمُرْسَلِينَ» مَا يَسْكُنُ بِهِ قَلْبِكَ.

بَلْ بَدَأَ لَهُمْ مَا كَانُوا يُحْتَمُونَ مِنْ قَبْلِ وَرُذُّوا وَالْعَادُوا لِمَا نَهَوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ لَكَيْدُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ ذُوقُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّيَ قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمُ السَّاعَةُ بَعَثَهُ قَالُوا يَحْسَرُنَا عَلَىٰ مَا فَرَقْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْرَاغَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَرُورُونَ ﴿٣١﴾ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لُيُبٌ وَلَهْوٌ وَلِلَّذَارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾ قَدْ تَعَلَّمَ إِنَّهُ لِيَحْزُنَكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيَّاتِ اللَّهِ يَحْضَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا كَذَّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّىٰ أَنَّهُمْ نَصَرُوا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيِّئِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ وَإِنْ كَانَ كَبْرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سَلْمًا فِي السَّمَاءِ فَاتَّبِعْهُم بِأَيَّةٍ وَوَشَّاءَ اللَّهُ لَجَمْعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٥﴾

[٣٥] ﴿وَإِنْ كَانَ كَبْرٌ عَظِيمٌ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ﴾ عَنِ الْإِسْلَامِ؛ لِحِرْصِكَ عَلَيْهِمْ «فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا سَرِيًّا فِي الْأَرْضِ أَوْ سَلْمًا» مُصْعَدًا «فِي السَّمَاءِ فَاتَّبِعْهُم بِأَيَّةٍ» مِمَّا اقْتَرَحُوا فَاغْفِرْ؛ أَيْ: أَنْتَ لَا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ؛ فَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ «وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ» هِدَايَتَهُمْ «لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ» وَلَكِنْ لَمْ يَشَأْ ذَلِكَ؛ فَلَمْ يُؤْمِنُوا «فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ» بِذَلِكَ.

(هـ) فائدة: دخول «قد» على الفعل المضارع من «علم» جاء في ستة مواضع في القرآن الكريم، قال ابن هشام في كتابه «معنى اللبيب عن كتب الأعريب»: «... المعنى الثالث من معاني «قد»: التقليل، وهو ضربان: تقليل وقوع الفعل نحو: «قد يصدق الكذوب»، وقد يجرد البخيل»، وتقليل متعلقه نحو قوله تعالى: «قَدْ بَعَثْنَا مَا أُسِّدَ عَلَيْهِ» أَي: مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ هُوَ أَقْلُ مَعْلُومَاتِهِ سَبْحَانَهُ، وَزَعَمَ بَعْضُهُمْ أَنَّهَا فِي هَذِهِ الْأَمْثَلَةِ لِلتَّحْقِيقِ. اهـ. وقد أخذ الجلالان؛ المحلي والسيوطي بقول هذا البعض؛ إنَّها لِلتَّحْقِيقِ لَا لِلتَّغْلِيلِ فِي هَذِهِ الْمَوَاضِعِ عَلَى خِلَافِ الْقَاعِدَةِ.

(١) أَي: الْإِطْطَالِي؛ وَالْمَعْنَى: لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا قَالُوا: مِنْ أَنْهَمُ لَوْ رُذُّوا لِأَمْنًا.

(٢) لِابْنِ عَامِرٍ.

(٣) بِالْبَاءِ، قِرَاءَةُ حِمْرَةَ وَالْكَسَائِي وَابْنُ كَثِيرٍ وَأَبُو عَمْرٍو وَشُعْبَةُ.

(٤) لِلنَّفْعِ وَالْكَسَائِي.

(٥) الْمُرَادُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ هُنَا مَا كَتَبَهُ بِالنُّصْرِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، وَوَعَدَهُ إِيَّاهُمْ بِذَلِكَ. وَمِنْ لَوَازِمِ ذَلِكَ إِثْبَاتُ صِفَةِ الْكَلَامِ لِلَّهِ تَجَلُّقٌ كَمَا هُوَ مَذْهَبُ السَّلَفِ.

بالتشديد والتخفيف^(١) ﴿أَيَّةٌ﴾ مما اقترحوا ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾
أن نزولها بلائاً عليهم؛ لوجوب هلاكهم إن جحدوها.

[٣٨] ﴿وَمَا مِنْ﴾ زائدة ﴿دَابَّةٍ﴾ تمشي ﴿فِي الْأَرْضِ وَلَا ظَلِيمٍ يَطِيرُ﴾ في
الهواء ﴿يَخْتَلِعُ إِلَّا أُمَّمٌ أُمَّنَّاكُمْ﴾ في تدبير خلقها ورزقها وأحوالها ﴿مَا
فَرَقْنَا﴾ تركنا ﴿فِي الْكِتَابِ﴾ اللوح المحفوظ ﴿مِنْ﴾ زائدة ﴿شَيْءٍ﴾ فلم
نكتبه ﴿ثُمَّ لِي رَبِّهِمْ مُحَشَّرَاتٌ﴾ فيقضي بينهم، ويقصص للجماع من القرناء،
ثم يقول لهم: كونوا تراباً.

[٣٩] ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ القرآن ﴿صُدُّوا﴾ عن سماعها سماع قبول
﴿وَبِكُمْ﴾ عن النطق بالحق ﴿فِي الظُّلُمَاتِ﴾ الكفر ﴿مَنْ يَسْأَلِ اللَّهَ﴾ إضلاله
﴿بِضَلِيلَةٍ وَمَنْ يَسْأَلِ﴾ هدايته ﴿بِجَعْلِهِ عَلَنَ صِرَاطٍ﴾ طريق ﴿مُسْتَوِيرٍ﴾ دين
الإسلام.

[٤٠] ﴿فَلِ﴾ يا محمد لأهل مكة: ﴿أَرْءَ يَتَّكُمُ﴾ أخبروني ﴿إِنْ أَنْتُمْ
عَذَابُ اللَّهِ﴾ في الدنيا ﴿أَوْ أَنْتُمْ السَّاعَةُ﴾ القيامة المشتملة عليه بغته
﴿أَعْبَرِ اللَّهُ تَدْعُونَ﴾ لا ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في أن الأصنام تنفعكم
فادعوها.

[٤١] ﴿بَلِ إِيَّاهُ﴾ لا غيره ﴿تَدْعُونَ﴾ في الشدائد ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ
إِلَيْهِ﴾ أن يكشفه عنكم من الضُّر ونحوه ﴿إِنْ شَاءَ﴾ كَشَفَهُ ﴿وَنَسُونَ﴾
تتركون ﴿مَا تَشْكُرُونَ﴾ معه من الأصنام؛ فلا تدعون.

[٤٢] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ﴾ زائدة ﴿فَبِئْسَ﴾ رسلاً فكذبوهم
﴿فَأَخَذْتَهُمُ بِالْبَأْسَاءِ﴾ شدة الفقر ﴿وَالضَّرَّاءِ﴾ المرض ﴿لَعَلَّهُمْ يَضُرُّونَ﴾
يتذللون فيؤمنون.

[٤٣] ﴿فَلَوْلَا﴾ فهلاً ﴿إِذَا جَاءَهُمْ بِأُسْنَاهُ﴾ عذابنا ﴿تَضَرَّعُوا﴾ أي: لم
يفعلوا ذلك مع قيام المقضي له ﴿وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ فلم تزل للإيمان
﴿وَزَيَّنَّ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من المعاصي؛ فأصروا عليها.

[٤٤] ﴿فَلَمَّا سَوَّأُ﴾ تركوا ﴿مَا ذُكِّرُوا﴾ وُعظوا وُخُوفُوا ﴿بِيدِهِ﴾ من
البأساء والضراء؛ فلم يعظوا ﴿فَتَحَنَّنَّا﴾ بالتخفيف والتشديد^(٢) ﴿عَلَيْهِمْ
أَيُّوبَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ من النعم استدراجاً لهم ﴿حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا﴾
فَرِحَ بَطْنٌ ﴿أَخَذْتَهُمْ﴾ بالعذاب ﴿بَغْتَةً﴾ فجأة ﴿فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ أيسون
من كل خير^(٣).

﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَهُمُ اللَّهُ قُرْآنًا لِيَهُ
يُرْجَعُونَ﴾ وَقَالُوا لَوْلَا نَزَّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنْ أَلَّ اللَّهُ
قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ وَمَا
مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا ظَلِيمٍ يَطِيرُ يَخْتَلِعُ إِلَّا أُمَّمٌ أُمَّنَّاكُمْ
مَا فَرَقْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ لِي رَبِّهِمْ مُحَشَّرُونَ ﴿٣٨﴾
وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمُّوا وَبِكُمْ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَاءُ
اللَّهُ يُضِلُّهُ وَمَنْ يَشَاءُ يُجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾ قُلْ
أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَنْتُمْ السَّاعَةُ أَعْبَرِ اللَّهُ
تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلِ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ
مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَنَسُونَ مَا تَشْكُرُونَ ﴿٤١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا
إِلَيْكُمْ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْتَهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ
يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بِأُسْنَاهُمْ لَضَرُّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ
قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَّ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا
نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى
إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾

[٣٦] ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ﴾ دعاءك إلى الإيمان ﴿الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ سماع
تفهم واعتبار ﴿وَالْمَوْتَى﴾ أي: الكفار، شبههم به في عدم السماع ﴿يَبْعُهُمُ﴾
اللَّهُ في الآخرة ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ يردون؛ فيجازيهم بأعمالهم.

[٣٧] ﴿وَقَالُوا﴾ أي: كفار مكة: ﴿لَوْلَا﴾ هلا ﴿نَزَّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ
رَبِّهِ﴾ كالناقة والعصا والمائدة ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿إِنِ اللَّهُ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ﴾

(٥) فالدة: أخرج أحمد عن عتبة بن عامر، عن النبي ﷺ قال: «إِذَا رَأَيْتَ اللَّهَ بَعْظِي الْعَبْدَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى مَعْصِيَةٍ مَا يَجِبُ فَإِنَّمَا هُوَ اسْتِدْرَاجٌ، ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿فَلَمَّا سَوَّأُ مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾. مسند أحمد (١٤٥/٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٦١).

(١) بالتخفيف، ولازمه سكون النون، قراءة ابن كثير وأبي عمرو.

(٢) بالتشديد قراءة ابن عامر.

[٤٥] ﴿فَقَطَّعَ دَابِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي: أحرهم؛ بأن استوصلوا ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ على نصر الرسل وإهلاك الكافرين.

[٤٦] ﴿قُلْ لِّأَهْلِ مَكَّةَ﴾ أي: بئس ﴿أَخْبِرُونِي﴾ أي: أخبروني ﴿إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ﴾ أصمكم ﴿وَأَبْصَرَكُمْ﴾ أعماكم ﴿وَوَحَّمَ﴾ طبع ﴿عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾ فلا تعرفون شيئاً ﴿مَنْ إِلَهُ غَيْرَ اللَّهِ بَأْسِكُمْ يَوْمَ﴾ بما أخذه منكم؛ برعكم ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ نَصْرَفُ النَّبِيِّنَ﴾ أي: الآيات ﴿الدَّلَالَاتِ عَلَى وَحْدَانِنَا﴾ نتمهم يصرفون؛ يفرضون عنها؛ فلا يؤمنون.

[٤٧] ﴿قُلْ لَهُمْ﴾ أي: آراءيتكم إن أنكم عذاب الله بفتنة أو جهرة ﴿لِيَلْأَوْ نَهَارًا﴾ هل يهلك إلا القوم الظالمون ﴿الْكَافِرُونَ﴾ أي: ما يهلك إلا هم.

[٤٨] ﴿وَمَا رُسُلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ﴾ من آمن بالجنة ﴿وَمُنذِرِينَ﴾ من كفر بالنار ﴿فَمَنْ آمَنَ﴾ بهم ﴿وَأَصْلَحَ﴾ عمله ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الآخرة.

[٤٩] ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَسْمِهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ يخرجون عن الطاعة.

[٥٠] ﴿قُلْ لَهُمْ﴾ أي: آقول لكم عندي خزائن الله التي منها يوزق ﴿وَلَا إِنِّي﴾ أعلم الغيب ﴿مَا غَاب عَنِّي وَلَمْ يُوْحِ إِلَيَّ﴾ ولا أقول لكم إنِّي ملكٌ من الملائكة ﴿إِنِّي﴾ ما أتيت إلا ما يوحي إنك قل هل يستوي الأعمى والكافر ﴿وَالْبَصِيرُ﴾ المؤمن؟ لا ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ في ذلك فتؤمنون.

[٥١] ﴿وَأَنْذِرْ خَوْفٌ بِهِ﴾ أي: القرآن ﴿الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْسَرُوا﴾ إلى ربهم ليس لهم من دونه شيء؛ أي: غيره ﴿وَلَوْ﴾ ينصروهم ﴿وَلَا شَفِيعٌ﴾ يشفع لهم؛ وجملة النفي: حال من ضمير ﴿يُحْسَرُوا﴾؛ وهي محل الخوف، والمراد بهم: المؤمنون العاصون ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ الله؛ بإقلاعهم عما هم فيه، وعمل الطاعات.

[٥٢] ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَبْثِيِّ يَرْيُدُونَ﴾ بعبادتهم ﴿وَجَهَنَّمَ﴾ - تعالى - لا شيئاً من أعراض الدنيا؛ وهم: الفقراء؛ وكان المشركون طعنوا فيهم وطلبوا أن يطردهم؛ ليجالسوه، وأراد النبي ﷺ ذلك؛

فَقَطَّعَ دَابِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾

قُلْ آرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَرَكُمْ وَوَحَّمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهُ غَيْرَ اللَّهِ بَأْسِكُمْ بِهِ أَنْظُرْ كَيْفَ نَصْرَفُ الْأَيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ قُلْ آرَأَيْتُمْ إِنْ أَنزَلْنَا اللَّهُ بَعْتَهُ أَوْ جَهْرَةً هَلْ يَهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا رُسُلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوْحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْسَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَبْثِيِّ يَرْيُدُونَ وَجَهَنَّمَ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٢﴾

طمعاً في إسلامهم^(١) ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ زائدة ﴿وَمَنْ﴾ إن كان باطنهم غير مريض ﴿وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ﴾ جواب النفي ﴿فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ إن فعلت ذلك.

(١) أخرج نحو ذلك مسلم (٢٤١٣) عن سعد بن أبي وقاص.

اللَّهُ يَا أَعْلَمُ بِالْمُنْجِبِينَ ﴿٥٤﴾ له؛ فيهديهم؟ بلى.

﴿٥٤﴾ ﴿وَإِذَا جَاءَ آيَةَ الْذِّكْرِ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا قُلْ لَهُمْ: ﴿سَأَلْتُكُمْ عَنِ كِتَابِكُمْ﴾ فضي ﴿رَبِّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ إِنَّهُ﴾ أي: الشأن، وفي قراءة: بالفتح ^(١)؛ بدل من ﴿الرَّحْمَةَ﴾ ﴿مَنْ عَجَلَ مِنْكُمْ سَوْءًا بِجَهَنَّمَ﴾ من حيث ارتكبه ﴿ثُمَّ تَابَ﴾ رجع ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ بعد عمله عنه ﴿وَأَصْلَحَ﴾ عمله ﴿فِيئَاتِهِ﴾ أي: الله ﴿عَفُورٌ﴾ له ﴿رَجِيمٌ﴾ به، وفي قراءة: بالفتح ^(٢)؛ أي: الملعونة له.

﴿٥٥﴾ ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما بنا ما ذكر ﴿نُفِصِلُ﴾ بين ﴿الْآيَاتِ﴾ القرآن؛ ليظهر الحق؛ فيعقل به ﴿وَلِتَسْتَبِينَ﴾ تظهر ﴿سَبِيلُ﴾ طريق ﴿الْمُجْرِمِينَ﴾ فتختبئ، وفي قراءة: بالتحانية ^(٣)، وفي أخرى: بالفوقانية ونصب ﴿سَبِيلُ﴾ ^(٤)؛ خطاب للنبي ﷺ.

﴿٥٦﴾ ﴿قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الْذِّكْرَ تَتَّصُونَ﴾ تعبدون ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أَنْتُمْ أَهْوَاءُكُمْ﴾ في عبادتها ﴿قَدْ ضَلَّكُمْ إِذَا﴾ إن اتبعها ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾.

﴿٥٧﴾ ﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾ بيان ﴿مِنْ رَبِّي﴾ قد ﴿كُذِّبْتُ بِرَبِّي﴾ بري؛ حيث أشركم ﴿مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْتَلُونَ بِهِ﴾ من العذاب ﴿إِنْ﴾ ما ﴿الْحُكْمُ﴾ في ذلك وغيره ﴿إِلَّا لِلَّهِ يَقُضَى﴾ القضاء ﴿الْحَقُّ﴾ وهو سبب النصيبين ﴿الْحَاكِمِينَ﴾ وفي قراءة: ﴿يَقُضُ﴾ ^(٥) أي: يقول.

﴿٥٨﴾ ﴿قُلْ لَهُمْ: ﴿لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْتَلُونَ بِهِ لَفُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ بأن أجهل لكم؛ وأستريح، ولكنه عند الله ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ﴾ متى يعاقبهم ^(٦).

﴿٥٩﴾ ﴿وَعِنْدُكَ﴾ - تعالى - ﴿مَفَاتِحُ الْغَيْبِ﴾ خزائنه أو الطرق الموصلة إلى علمه ﴿لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ وهي: الخمسة التي في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ الآية ^(٧)، كما رواه البخاري ^(٨) ﴿وَيَتِمُّ مَا﴾ يحدث ﴿فِي الرِّقِّ الْقَفَّارِ﴾ والبرق الذي على الأنهار ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ زَائِدَةٍ﴾ وورقة إلا يسلمها ولا حبة في ظلمت الأرض ولا رطب ولا يابس ﴿عطف على: ﴿وَرَقَةٍ﴾﴾ إلا في كتب مؤيين ﴿هو: اللوح المحفوظ، والاستثناء: بدل اشتمال ^(٩) من الاستثناء قبله.

وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مِنْ مَنَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ مَنْ يَبِينَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّكِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا قُلْ سَأَلْتُكُمْ عَنِ كِتَابِكُمْ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَجَلَ مِنْكُمْ سَوْءًا بِجَهَنَّمَ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّهُ عَفُورٌ رَجِيمٌ ﴿٥٤﴾ وَكَذَلِكَ نُفِصِلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾ قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا اتَّبِعْ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُمْ إِذَا وَمَا أَنْتُمْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْتَلُونَ بِهِ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُضُ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْتَلُونَ بِهِ لَفُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ ﴿٥٨﴾ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلْمَةٍ إِلَّا الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٥٩﴾

﴿٥٣﴾ ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا﴾ ابتلينا ﴿بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ﴾ أي: الشريف بالوضيع، والغني بالفقير؛ بأن قدمناه بالسبق إلى الإيمان ﴿لِيَقُولُوا﴾ أي: الشرفاء والأغنياء؛ منكرين: ﴿أَهَؤُلَاءِ﴾ الفقراء ﴿مَنْ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَنْ يَبِينُنَا﴾ بالهداية؛ أي: لو كان ما هم عليه هدى ما سبقونا إليه، قال - تعالى -: ﴿أَلَيْسَ

(٥) ما جاء في نزول الآيات (٥١ - ٥٨): أخرج مسلم عن سعد قال: كنا عند النبي ﷺ ستة نفر، فقال المشركون للنبي ﷺ: اطرد هؤلاء لا يجزئون علينا. قال: ركت أنا، وابن مسعود، ورجل من هذيل، وبلال، ورجلان لست أسميهما، وقع في نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقع، حدث نفسه، فأنزل الله ﷻ: ﴿وَلَا تَطْرُقُ الْأُيُنُ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْقُدْرَةِ وَالشَّيْءِ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾. مسلم - كتاب فضائل الصحابة (٤٤) باب (٥) في فضائل سعد بن أبي وقاص.

وأخرج ابن ماجه عن خباب في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُقُ الْأُيُنُ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْقُدْرَةِ وَالشَّيْءِ﴾ إلى قوله: ﴿تَكُونُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ قال: جاء الأقرع بن حابس التميمي، وعيينة بن حصن الفزاري، فوجدوا رسول الله ﷺ مع صهيب وبلال وعمار وخباب قاعدًا في ناس من الضعفاء من المؤمنين. فلما رأوهم حول النبي ﷺ حرقوهم. فأتوه فخلوا به وقالوا: إنا نريد أن نجعل لنا منك مجلسًا تعرف لنا به العرب فضلنا؛ فإن فود العرب تأتيك فستحي أن ترانا العرب مع هذه الأعباد. فإذا نحن جئناك فأقمهم عنك، فإذا نحن فرغنا فاعد معهم إن شئت.

قال: «نعم». فسألو: فاكذب لنا عليك كتابًا. قال: فدعا بصحيفة، ودعا عليًا ليكتب، ونحن قعود في ناحية، فنزل جبرائيل عليه السلام فقال: ﴿وَلَا تَطْرُقُ الْأُيُنُ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْقُدْرَةِ وَالشَّيْءِ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا تَكَلَّمَكَ مِنْ جِوَابِهِمْ مِنْ جِوَابِهِمْ وَمَنْ جَسَدِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ مَنْ قَطَّرْتَهُمْ فَتَكُونُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾، ثم ذكر الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن فقال: ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مِنْ مَنَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ مَنْ يَبِينُنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّكِرِينَ﴾، ثم قال: فدنوننا منه حتى وضعنا ركبنا على ركبته، وكان رسول الله ﷺ يجلس معنا. ابن ماجه - كتاب الزهد (٢٧) باب (٧) مجلسة الفقراء (صحيح سنن ابن ماجه (٣٢٢٩). وستأتي بقيته عند الآية (٢٨) من سورة الكهف.

وأخرج أحمد عن ابن مسعود قال: مر اللأ من قريش على رسول الله ﷺ وعنده خباب وصهيب وبلال وعمار، فقالوا: أرضيت بهؤلاء؟ فنزل فيهم القرآن: ﴿وَكَأَيُّذِ يَوْمِ الَّذِينَ يَخْتَفُونَ أَنْ يُحْسِنُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ﴾.

(١) قرأ نافع بفتح ﴿أَنَّهُ﴾ وكسر ﴿فَاتَنَّهُ﴾، وقرأ حمزة والكسائي وابن كثير وأبي عمرو بالكسر في الموضعين.
(٢) قرأ نافع بفتح ﴿أَنَّهُ﴾ وكسر ﴿فَاتَنَّهُ﴾، وقرأ حمزة والكسائي وابن كثير وأبي عمرو بالكسر في الموضعين. (٣) حمزة والكسائي وشعبة. (٤) نافع. (٥) والقراءة المفسرة لحمزة والكسائي وأبي عمرو وابن عامر. (٦) لقمان: ٣٤. (٧) البخاري (١٠٣٩) عن عبد الله بن عمر مرفوعًا. (٨) وذلك أن دائرة العلم أوسع من دائرة اللوح، وهذا على أن المراد الكتاب اللوح، وكما أفاده المفسر، وأما إن أريد بالكتاب علم الله كان بدل كل من كل لزيادة التأكيد والإيضاح.

[٦٠] ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيُقَبِّضُ أَرْوَاحَكُمْ عِنْدَ النَّوْمِ وَيَسْأَلُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾ أي: النهار؛ يرُدُّ أرواحكم ﴿لِيُقَضَّىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ هو: أجل الحياة ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ بالبعث ﴿ثُمَّ يُبْعَثُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فيجازيكم به.

[٦١] ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ﴾ مستعليا^(١) ﴿فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ ملائكة؛ تحصي أعمالكم ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ﴾ وفي قراءة: ﴿تَوَفَّاهُ﴾^(٢) ﴿رُسُلَنَا﴾ الملائكة الموكلون بقبض الأرواح ﴿وَهُمْ لَا يُفْرَطُونَ﴾ يقصرون فيما يؤمرون به.

[٦٢] ﴿ثُمَّ رُدُّوهُ﴾ أي: الخلق ﴿إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ﴾ مالكهم ﴿الْحَقِّ﴾ الثابت العدل؛ ليجازيهم ﴿أَلَّا لَهُ الْحُكْمُ﴾ القضاء النافذ فيهم ﴿وَهُوَ أَسْرِعُ الْحُسْبَانِ﴾ يحاسب الخلق كلهم في قدر نصف نهارٍ من أيام الدنيا؛ لخديث^(٣) بذلك.

[٦٣] ﴿قُلْ﴾ يا محمد لأهل مكة: ﴿مَنْ يُجِيبُكُم مِّنْ ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَأَنْبَارٍ﴾ أهوالهما في أسفاركم حين ﴿تَدْعُونَهُ قَضَعًا﴾ علانية ﴿وَسُخْفِيَّةً﴾ سرا؛ تقولون: ﴿لَيْنٌ﴾ لام قسم ﴿أَتَيْتَنَا﴾ وفي قراءة: ﴿أَتَيْتَنَا﴾^(٤) أي: الله ﴿وَمِنْ هَذِهِ﴾ الظلمات والشدائد ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ المؤمنين.

[٦٤] ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿اللَّهُ يُجِيبُكُمْ﴾ بالتخفيف والتشديد^(٥) ﴿بَيْنَهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ﴾ غم سواها ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْكِرُونَ﴾ به.

[٦٥] ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا بَيْنَ فَوْقِكُمْ﴾ من السماء؛ كالخجارة والصبحة ﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ كالخسف ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ﴾ يُخْلِطُكُمْ ﴿شَيْعًا﴾ فرقا مختلفة الأهواء ﴿وَيُؤَيِّنُ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾ بالقتال، قال البخاري^(٦) لما نزلت: «هَذَا أَهْوَاؤُ وَأَيْمُسُهُ»، ولما نزل ما قبله: «أَعُوذُ بِوَجْهِكَ» [رواه البخاري]^(٧)، وروى مسلم حديث: «سَأَلْتُ رَبِّي أَلَّا يُجْعَلَ بَأْسُ أُمَّتِي بَيْنَهُمْ؛ فَمَنْعَتِيهَا»^(٨)، وفي حديث: «لَمَّا نَزَلَتْ قَالَتْ: أَمَّا إِنِّي كَاتِبَةٌ وَلَمْ يَأْتِ تَأْوِيلُهَا بِغَدِّ»^(٩) ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ نَصَرَفْ﴾ نيين لهم ﴿الْأَلَايَاتِ﴾ الدلالات على قدرتنا ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ يعلمون أن ما هم عليه باطل.

[٦٦] ﴿وَكَذَّبَ بِهِ﴾ بالقرآن ﴿قَوْمَكَ وَهُوَ الْحَقُّ﴾ الصدق ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿أَسَأْتِ عَلَيْكُمْ يَوْكِيْلَ﴾ فأجازيكم، إنما أنا مُؤَيِّدٌ، وأمركم إلى الله. وهذا قبل الأمر بالقتال ..

[٦٧] ﴿لِكُلِّ نَبَلٍ﴾ خير ﴿مُسْتَقَرًّا﴾ وقت يقع فيه ويستقر، ومنه عذابكم ﴿وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ تهديد لهم.

﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقَضَّىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(١) ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرَطُونَ﴾^(٢) ﴿ثُمَّ رُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقِّ أَلَّا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرِعُ الْحُسْبَانِ﴾^(٣) ﴿قُلْ مَنْ يُنَبِّئُكُمْ مِّنْ ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّيْنٍ أَجِدْنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾^(٤) ﴿قُلْ اللَّهُ يُجِيبُكُمْ مِّنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ مُّشْكِرُونَ﴾^(٥) ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا بَيْنَ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شَيْعًا وَيُؤَيِّنُ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ أَنْظُرْ كَيْفَ نَصَرَفْ الْأَلَايَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾^(٦) ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾^(٧) ﴿لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرًّا وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾^(٨) ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آبِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَتَكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾^(٩)

[٦٨] ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آبِنَا﴾ القرآن؛ بالاستهزاء ﴿فَاعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ ولا تجالسهم ﴿حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا﴾ فيه إدغام نون ﴿إِنْ﴾ الشرطية في ﴿إِمَّا﴾ المزيدة ﴿بُنْسِيَتِكَ﴾ بسكون النون والتخفيف، وفتحها والتشديد^(١) ﴿الشَّيْطَانُ﴾ فقعدت معهم ﴿فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ﴾ أي: تذكرة ﴿مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ فيه وضع الظاهر موضع المضمَر.

(١) سبق الرد على ما ذهب إليه المفسر من تأويل هذه الصفة وبيان مذهب السلف فيها.
 (٢) حمزة.
 (٣) سبق بيان أن هذا سبق قلم من السيوطي رحمته الله ، وأن الحساب يقع في قدر نصف نهار مقداره خمسون ألف سنة وليس أيام الدنيا. راجع تفسير آية (٢٠٢) من سورة البقرة.
 (٤) نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.
 (٥) بالتخفيف قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن ذكوان.
 (٦) البخاري (٤٦٢٨) عن جابر بن عبد الله مرفوعا.
 (٧) مسلم (٢٨٩٠) عن سعد بن أبي وقاص مرفوعا.
 (٨) رواه الترمذي (٢٩٩٢) وأحمد (١٣٨٧) ونعيم بن حماد في الفتن وابن أبي حاتم وابن مردويه عن سعد بن أبي وقاص مرفوعا [الدر المنثور (٣٢/٣)] وضعف الألباني إسناده في ضعيف سنن الترمذي (٥٩٢).
 (٩) بفتحها قراءة ابن عامر.

عليهم ﴿ذَكَرْنِي﴾ تذكرة لهم وموعظة ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ الخوض.
 [٧٠] ﴿وَدَّرَ﴾ اترك ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمُ﴾ الذي كلفوه ﴿لِعِبَادٍ﴾
 ولهم ﴿باستهزائهم به﴾ وعزَّتهم الحيوة الدنيا ﴿فلا تتعرض لهم﴾ - وهذا
 قبل الأمر بالقتال ﴿وَذَكَرَ﴾ عظ ﴿بِهِ﴾ بالقرآن الناس ل ﴿أَنْ﴾ لا
 ﴿يُبْسَلُ نَفْسٌ﴾ تسلم إلى الهلاك ﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾ عملت ﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾
 دُونِ اللَّهِ أي: غيره ﴿وَلِيٌّ﴾ ناصر ﴿وَلَا شَفِيعٌ﴾ يمنع عنها العذاب
 ﴿وَإِنْ تَعَدَّلَ كَعَدْلٍ نَقْدًا﴾ تفدى كل فداء ﴿لَا يُؤَخِّدُ رَبُّهَا﴾ ما تفدى به
 ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أُتْبِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ﴾ ماء بالغ نهاية
 الحرارة ﴿وَعَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم ﴿بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ بكفرهم.

[٧١] ﴿قُلْ أَدْعُوا﴾ أعبد ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا﴾ بعبادته ﴿وَلَا يَضُرُّنَا﴾
 بتركها؛ وهو: الأصنام ﴿وَتُرَدُّ عَلَيْنَا أَعْيَانُنَا﴾ ترجع مشركين ﴿بَعْدَ﴾
 إِذْ هَدَيْتَنَا اللَّهُ إِلَى الْإِسْلَامِ ﴿كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ أَضْلَتُهُ﴾ الشَّيْطَانِ فِي
 الْأَرْضِ حَيْرَانٌ متحيرا؛ لا يدري أين يذهب، حال من: الهاء (١) ﴿لَهُ﴾
 أَصْحَابٌ رُفَقَةٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى أَي: ليهدوه الطريق؛ يقولون له:
 ﴿أَتَيْنَا﴾ فلا يجيبهم؛ فيهلك، والاستفهام (٢): للإنكار، وجملة التشبيه:
 حال من ضمير ﴿تُرَدُّ﴾ ﴿قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ﴾ الذي هو الإسلام ﴿هُوَ﴾
 الْهُدَى وما عداه ضلال ﴿وَأَمْرُنَا لِنُسَلِّمَ﴾ أَي: بأن نسلم ﴿لِرَبِّ﴾
 الْمَلَكِيِّتِ.

[٧٢] ﴿وَأَنْ﴾ أَي: بأن ﴿أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا زَكَاةَ﴾ - تعالى - ﴿وَهُوَ﴾
 الَّذِي إِلَيْهِ تُحْتَشَرُونَ ﴿تجمعون يوم القيامة؛ للحساب.

[٧٣] ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ أَي: محققا.
 ﴿وَمَنْ يَذُكُرْ﴾ يوم يقول ﴿لِلشَّيْءِ﴾: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ هو: يوم القيامة؛
 يقول للخلق: قوموا؛ فيقوموا. ﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ﴾ الصدق الواقع لا محالة ﴿وَلَهُ﴾
 الْمَلَكُتِ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ القرن؛ النفخة الثانية من إسرافيل، لا ملك فيه
 لغيره ﴿لَمَنْ الْمَلَكُتِ الْيَوْمَ لِلَّهِ﴾ (٤) ﴿عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ ما غاب وما
 شوهد ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾ في خلقه ﴿الْقَلِيلِ﴾ بباطن الأشياء كظواهرها.

وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ
 ذَكَرْنِي لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾ وَدَّرَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ
 لِعِبَادٍ وَلَهُمْ وَعَزَّهْمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكَرَ بِهِ أَنْ
 يُبْسَلُ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ
 وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعَدَّلَ كَعَدْلٍ لَا يُؤَخِّدُ مِنْهَا أَُولَئِكَ
 الَّذِينَ أُتْبِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ
 وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ
 اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ
 هَدَيْتَنَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيْطَانُ فِي الْأَرْضِ
 حَيْرَانٌ لَهُ وَأَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى أَتَيْنَا قُلْ إِنْ
 هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهُدَى وَأَمْرُنَا لِلشَّيْءِ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنْ
 أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا زَكَاةَ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْتَشَرُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُوَ
 الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ
 فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمَلَكُتِ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ
 عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾

[٦٩] وقال المسلمون: إن قمنا كلما خاضوا لم نستطع أن نجلس في
 المسجد وأن نطوف؛ فنزل: ﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ (١) الله ﴿مِنْ﴾
 حِسَابِهِمْ أَي: الخاضعين ﴿مِنْ﴾ زائدة ﴿شَيْءٍ﴾ إذا جالسوه ﴿وَلَكِنْ﴾

(١) ذكر البغوي عن ابن عباس نحوه (١٥٥/٣).

(٢) أي: الضمير في: ﴿اسْتَهْوَتْهُ﴾.

(٣) في قوله: ﴿أَدْعُوا﴾.

(٤) غافر: ١٦.

[٧٤] ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأبيهِ أَرَدُّهُ أَفِئَةً مِّنْ عِبَادِكُمْ فَاسْتَفْتِهِمْ أَفْ يَتَّبِعُونَ مَا يَشَاءُونَ أَمْ هُمْ مُّقْتَدِرُونَ ﴾ (١) تَارخ (١) ﴿أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً﴾ تعبدها؟ استفهام توبيخ ﴿إِنِّي أَرَأَيْتَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لَأَبِيهِ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً﴾ هو: لقبه واسمه: وقومك؟ باتخاذها ﴿فِي ضَلَالٍ عَنَ الْحَقِّ﴾ مُّبِينٌ ﴿بَيْنَ﴾.

[٧٥] ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كما أربناه إضلال أبيه وقومه ﴿نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ﴾ ملك ﴿السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ﴾ ليستدل به على وحدانيتنا ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ السُّؤْمِيْنَ﴾ بها، وجملة ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ وما بعدها: اعتراض وعطف على ﴿قَالَ﴾.

[٧٦] ﴿فَلَمَّا جَزَّ أَظْلَمُ﴾ عَلَيْهِ الْبَيْتُ رَأَىٰ كَوْكَبًا ﴿قِيلَ﴾: هو الزُّهُرَةُ ﴿قَالَ﴾ لقومه - وكانوا نجّامين -: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ في زعمكم ﴿فَلَمَّا أَفَلَ﴾ غاب ﴿قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ أن أخذهم أرباباً؛ لأن الرب لا يجوز عليه التغير والانتقال (٢)؛ لأنهما من شأن الحوادث؛ فلم ينجع فيهم ذلك.

[٧٧] ﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا﴾ طالعا ﴿قَالَ﴾ لهم: ﴿هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ﴾ قَالَ لَيْنَ لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي ﴿بَشْتِي﴾ على الهدى ﴿لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ تعريض لقومه؛ بأنهم على ضلال؛ فلم ينجع (٣) فيهم ذلك.

[٧٨] ﴿فَلَمَّا رَأَى السَّمْسَ بَازِعَةً﴾ قَالَ هَٰذَا ذَكَرْتُهُ لِنَدِيرٍ ﴿رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ﴾ من الكوكب والقمر ﴿فَلَمَّا أَفَلَتْ﴾ وقويت عليهم الحجة؛ ولم يرجعوا ﴿قَالَ يَقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَشْرِكُونَ﴾ بالله - من الأصنام والأجرام الْمُحَدَّثَةِ الْمُحْتَاجَةِ إِلَىٰ مُخَيَّدٍ ..

[٧٩] فقالوا له: ما تعبد؟ قال: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ﴾ قصدت بعبادتي ﴿لِلَّذِي فَطَرَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ﴾ أي: الله ﴿حَنِيفًا﴾ مائلاً إلى الدين القيم ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ به.

[٨٠] ﴿وَسَآجِدٌ قَوْمَهُ﴾ جادلوه في دينه، وهددوه بالأصنام؛ أن تصبيه بسوء إن تركها ﴿قَالَ أَنَحْنُ جُؤثِرٌ﴾ بتشديد النون، وتخفيفها؛ بحذف إحدى النونين (٤) - وهي: نون الرفع عند النحاة، ونون الوقاية عند الفراء - أُنْجَادِلُونِي ﴿فِي﴾ وحدانية ﴿اللَّهِ وَقَدْ هَدَّنَّا﴾ - تعالى - إليها ﴿وَلَا أَنفَاقَ مَا تَشْرِكُونَ﴾ به. من الأصنام؛ أن تصبيني بسوء؛ لعدم قدرتها على شيء ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا﴾ من المكروه يصبيني؛ فيكون ﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ أي: وسع علمه كل شيء ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ هذا؛ فتؤمنون؟.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأبيهِ أَرَدُّهُ أَفِئَةً مِّنْ عِبَادِكُمْ فَاسْتَفْتِهِمْ أَفْ يَتَّبِعُونَ مَا يَشَاءُونَ أَمْ هُمْ مُّقْتَدِرُونَ ﴾ (١) تَارخ (١) ﴿أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً﴾ تعبدها؟ استفهام توبيخ ﴿إِنِّي أَرَأَيْتَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لَأَبِيهِ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً﴾ هو: لقبه واسمه: وقومك؟ باتخاذها ﴿فِي ضَلَالٍ عَنَ الْحَقِّ﴾ مُّبِينٌ ﴿بَيْنَ﴾.

[٧٥] ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كما أربناه إضلال أبيه وقومه ﴿نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ﴾ ملك ﴿السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ﴾ ليستدل به على وحدانيتنا ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ السُّؤْمِيْنَ﴾ بها، وجملة ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ وما بعدها: اعتراض وعطف على ﴿قَالَ﴾.

[٧٦] ﴿فَلَمَّا جَزَّ أَظْلَمُ﴾ عَلَيْهِ الْبَيْتُ رَأَىٰ كَوْكَبًا ﴿قِيلَ﴾: هو الزُّهُرَةُ ﴿قَالَ﴾ لقومه - وكانوا نجّامين -: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ في زعمكم ﴿فَلَمَّا أَفَلَ﴾ غاب ﴿قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ أن أخذهم أرباباً؛ لأن الرب لا يجوز عليه التغير والانتقال (٢)؛ لأنهما من شأن الحوادث؛ فلم ينجع فيهم ذلك.

[٧٧] ﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا﴾ طالعا ﴿قَالَ﴾ لهم: ﴿هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ﴾ قَالَ لَيْنَ لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي ﴿بَشْتِي﴾ على الهدى ﴿لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ تعريض لقومه؛ بأنهم على ضلال؛ فلم ينجع (٣) فيهم ذلك.

[٧٨] ﴿فَلَمَّا رَأَى السَّمْسَ بَازِعَةً﴾ قَالَ هَٰذَا ذَكَرْتُهُ لِنَدِيرٍ ﴿رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ﴾ من الكوكب والقمر ﴿فَلَمَّا أَفَلَتْ﴾ وقويت عليهم الحجة؛ ولم يرجعوا ﴿قَالَ يَقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَشْرِكُونَ﴾ بالله - من الأصنام والأجرام الْمُحَدَّثَةِ الْمُحْتَاجَةِ إِلَىٰ مُخَيَّدٍ ..

[٧٩] فقالوا له: ما تعبد؟ قال: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ﴾ قصدت بعبادتي ﴿لِلَّذِي فَطَرَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ﴾ أي: الله ﴿حَنِيفًا﴾ مائلاً إلى الدين القيم ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ به.

[٨٠] ﴿وَسَآجِدٌ قَوْمَهُ﴾ جادلوه في دينه، وهددوه بالأصنام؛ أن تصبيه بسوء إن تركها ﴿قَالَ أَنَحْنُ جُؤثِرٌ﴾ بتشديد النون، وتخفيفها؛ بحذف إحدى النونين (٤) - وهي: نون الرفع عند النحاة، ونون الوقاية عند الفراء - أُنْجَادِلُونِي ﴿فِي﴾ وحدانية ﴿اللَّهِ وَقَدْ هَدَّنَّا﴾ - تعالى - إليها ﴿وَلَا أَنفَاقَ مَا تَشْرِكُونَ﴾ به. من الأصنام؛ أن تصبيني بسوء؛ لعدم قدرتها على شيء ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا﴾ من المكروه يصبيني؛ فيكون ﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ أي: وسع علمه كل شيء ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ هذا؛ فتؤمنون؟.

[٨١] ﴿رَكَعَتْ أَنفَاقٌ مَا أَشْرَكْتُمْ﴾ بالله - وهي لا تضر ولا تنفع - ﴿وَلَا تَخَافُونَ﴾ أنتم من الله ﴿أَنْتُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ﴾ في العبادة ﴿مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ﴾ بعبادته ﴿عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا﴾ حُجَّةً وبرهاناً - وهو القادر على كل شيء - ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ﴾ نحن أم أنتم؟ ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ من الأحق به؟ أي: هو؛ نحن؛ فاتبعوه.

(١) ويقرأ بالحاء المعجمة، والحاء المهملة، وقيل: إن أزر أشئمة، وتارخ لقبه.

(٢) وهذه العبارة مجملة، ولم ترد في كلام السلف، فإن أراد بها نفي صفات الفعل من المحيي، والنزول الإلهي وغيرها من الصفات التي أنبتها الله لنفسه وأنبتها له رسوله ﷺ، فهذا تأويل وتعطيل وهو خلاف مذهب السلف، وإن أراد بها نفي التغير الذي يقتضي نقضاً فيكون المعنى صحيحاً، ولكن هذه الألفاظ لم ترد في كلام السلف، فالأولى اجتنابها.

(٣) أي: يؤثر ويثقل.

(٤) وهو قوله: ﴿رَبِّي﴾.

(٥) بالتخفيف والحذف قراءة نافع وابن ذكوان.

على وحدانية الله - من أقول الكوكب وما بعده - والنجوى: ﴿وَاتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ﴾ أرشدناه لها؛ حجة ﴿عَلَى قَوْمِهِ تَرَفَعَ دَرَجَاتٍ مَن لَّمْ يَسْتَأْذِنِ بِالْإِضَافَةِ وَالنَّوْنِ (٢)﴾؛ في العلم والحكمة ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ﴾ في صنعه ﴿عَلِيمٌ﴾ بخلقه.

[٨٤] ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ ابنه ﴿وَكُلًّا﴾ منها ﴿هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ﴾ أي: قبل إبراهيم ﴿وَمِن دُرِّيَّتِهِ﴾ أي: نوح ﴿ذَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ﴾ ابنه ﴿وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ﴾ ابن يعقوب ﴿وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ﴾ كما جزناهم ﴿بِحُجْرَى الْمُحْسِنِينَ﴾.

[٨٥] ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى﴾ ابنه ﴿وَعِيسَى﴾ ابن مريم؛ يفيد أن الذرية تتناول أولاد البنت ﴿وَالْيَاسَّ﴾ ابن أخي (٣) هارون؛ أخي موسى ﴿كُلٌّ﴾ منهم ﴿مِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

[٨٦] ﴿وَإِسْمَاعِيلَ﴾ ابن إبراهيم ﴿وَاللَيْسَ﴾ اللام زائدة ﴿وَيُوشَعَ﴾ ولوطاً ﴿ابن هارون؛ أخي إبراهيم﴾ ﴿وَكُلًّا﴾ منهم ﴿فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ بالنبوة.

[٨٧] ﴿وَمِنَ آيَاتِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ﴾ عطف على «كُلًّا» أو «نُوحًا»، وإيماء: للتعويض؛ لأن بعضهم لم يكن له ولد، وبعضهم كان في ولده كافراً ﴿وَأَجْنِبْتَهُمْ﴾ اخترناهم ﴿وَهَدَيْتَهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

[٨٨] ﴿ذَلِكَ﴾ الدين الذي هدوا إليه ﴿هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنَ عِبَادِهِ﴾ ولو أشركوا ﴿فَرَضًا﴾ فرضاً ﴿لَحِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَمْعَلُونَ﴾.

[٨٩] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ﴾ بمعنى: الكتب ﴿وَالْحِكْمَ﴾ الحكمة ﴿وَالنَّبِيَّةَ﴾ فإن يكفر بها ﴿أَي: بهذه الثلاثة﴾ ﴿هُؤُلَاءِ﴾ أي: أهل مكة ﴿فَقَدْ رَكْنَا بِهَا﴾ أرصدنا لها ﴿قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ هم: المهاجرون والأنصار.

[٩٠] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى﴾ هم ﴿اللَّهُ فَيَهْدِيهِمْ﴾ طريقهم من التوحيد والصبر ﴿أَقْسَدَةً﴾ بهاء السكت وقفاً وصلوا، وفي قراءة (٤): بحذفها وصلوا ﴿قُلْ﴾ لأهل مكة: ﴿لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ أي: القرآن ﴿أَجْرًا﴾ تعطينه ﴿إِن هُوَ﴾ ما القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾ عطية ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ الإنس والجن.

الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمَنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن لَّمْ يَسْتَأْذِنِ إِنْ رَبُّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٤﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن دُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُوشَعَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَمِنَ آيَاتِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَأَجْنِبْتَهُمْ وَهَدَيْتَهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٨٨﴾ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنَ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٩﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَ وَالنَّبِيَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴿٩٠﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَيَهْدِيهِمْ أَقْسَدَةً قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِن هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾

[٨٢] قال - تعالى -: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا﴾ يخلطوا ﴿إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ أي: شوك - كما فُسر بذلك في حديث الصحيحين (١) - ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمَنُ﴾ من العذاب ﴿وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾.

[٨٣] ﴿وَتِلْكَ﴾ مبتدأ، ويُبدل منه: ﴿حُجَّتُنَا﴾ التي احتج بها إبراهيم

(١) وهو حديث ابن مسعود: لما نزلت ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ الآية [الأنعام: ٨٢] شق ذلك على المسلمين وقالوا: أبنا لم يظلم نفسه؟ فقال رسول الله ﷺ: «لَيْسَ ذَلِكَ، إِنَّمَا هُوَ الشُّرْكُ؛ أَلَمْ تَسْمَعُوا قَوْلَ لُقْمَانَ لَأَيُّوبَ: «يَسْتَجِبْ لَكَ شُرْكُ يَأْتِيكَ بِأَنَّكَ إِسْكُ الْبَرِّكَ لَطْفٌ عَظِيمٌ» [لقمان: ١٣]... الحديث. البخاري (٤٦٢٩)، ومسلم (١٢٤).

(٢) بالإضافة قرأه نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

(٣) كذا في أكثر النسخ المطبوعة، وفي نسخة القاضي كنعان: «ابن هارون» قال: وهو الصحيح؛ فالإياس من ذرية هارون.

(٤) لحمزة والكسائي.

[٩١] ﴿وَمَا قَدَرُوا﴾ أي: اليهود ﴿اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ أي: ما عظموه حق عظمتهم: أو ما عرفوه حق معرفته ﴿إِذْ قَالُوا﴾ للنبي ﷺ - وقد خاصموه في القرآن -: ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ﴾ لهم: ﴿مَنْ أَنْزَلَ إِلَيْنَا الَّذِي جَاءَ بِمُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ لِيَجْزِيَوهَا﴾ بالياء والتاء^(١) في المواضع الثلاثة^(٢) ﴿فَرَأَيْتُمْ﴾ أي: يكتبونه في دفاتر مقطعة ﴿يُنَادُونَهَا﴾ أي: ما يحبون إبداه منها ﴿وَيُخْفُونَ﴾ كثيرًا ﴿مَّا فِيهَا﴾ كتبت محمد ﷺ ﴿وَعَلِمْتُمْ﴾ أيها اليهود؛ في القرآن ﴿مَا لَمْ تَدُلُّوا أَنَّهُ وَلَا آبَاءُكُمْ﴾ من التوراة؛ بيان ما التمس عليكم، واختلقت فيه ﴿قُلْ اللَّهُ﴾ أنزله - إن لم يقولوه - لا جواب غيره ﴿فَمَنْ دَرَهُمْ فِي حَوَاصِرِهِمْ﴾ باطلهم ﴿يَلْمُونَ﴾^(٣).

[٩٢] ﴿وَهَذَا﴾ القرآن ﴿كُتِبَ أَنْزَلْتَهُ مِبْرَأَةً مَّصْدُوقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من الكتب ﴿وَالْيُنذِرَ﴾ بالتاء والياء^(٤)، عطف على معنى ما قبله؛ أي: أنزلناه للبركة، والتصديق، ولتنبيه ﴿أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ أي: أهل مكة وسائر الناس ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِمُوسَىٰ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ خوفًا من عقابها^(٥).

[٩٣] ﴿وَمَنْ﴾ أي: لا أحد ﴿أَطْلَقَ وَمَنْ أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بادعاء النبوة؛ ولم يبيأ ﴿أَوْ قَالَ أُوْحَىٰ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحِ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾ نزلت في مسليمة^(٦) ﴿وَمَنْ قَالَ سَأَزِلُّ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ وهم: المستهزون؛ قالوا: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾ ﴿وَلَوْ تَرَىٰ﴾ يا محمد ﴿إِذِ الظَّالِمُونَ﴾ المذكورون ﴿فِي عَمْرَاتٍ﴾ سكرات ﴿الْوَرَىٰ وَالْمَلِكُتْ كُتْ﴾ بأسطوا أيديهم؛ إليهم بالضرب والتعذيب؛ ويقولون لهم تعنيًا: ﴿أَخْرَجُوا أَنفُسَكُمْ﴾ إلينا؛ لنقضها ﴿الْيَوْمَ تُجْرَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ الهوان ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ عَتْرَ الْحَقِّ﴾ بدعوى النبوة والإيحاء كذبًا ﴿وَكُنْتُمْ عَن آيَاتِيهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ تكبرون عن الإيمان بها، وجواب (لَوْ): لرأيت أمرا فظيحا.

[٩٤] ﴿وَوَ﴾ يقال لهم - إذا بعثوا -: ﴿لَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ﴾ منفردين عن الأهل والمال والولد ﴿كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ أي: حفاة عراة غولًا ﴿وَرَكْنَكُمْ مَّا حَوَّلْنَاكُمْ﴾ أعطيناكم من الأموال ﴿وَرَكَّةَ﴾ ظهوركم في الدنيا بغير اختياركم ﴿وَوَ﴾ يقال لهم توبيخًا: ﴿مَا تَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ﴾ الأصنام ﴿الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ﴾ أي: في استحفاق عبادتكم ﴿شُرَكَؤُكُمْ﴾ لله ﴿لَقَدْ

وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ لِيَجْعَلُوهُ قُرْآنًا يَتْلَوْنَ بِهَا وَيُحْفُونَ كَثِيرًا وَعَلِمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنَّهُ وَلَا آبَاءُكُمْ قُلْ اللَّهُ تَزِدْهُمْ فِي حَوَاصِرِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ وَهَذَا كُتِبَ أَنْزَلْتَهُ مِبْرَأَةً مَّصْدُوقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِيُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِمُوسَىٰ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾ وَمَنْ أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحِ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي عَمْرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنفُسَهُمْ الْيَوْمَ تُجْرَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ عَتْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَؤُكُمْ لَقَدْ نَقَطَ بَيْنَكُمْ وَصَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾

تَقَطَّ بَيْنَكُمْ﴾^(٧) وصلكم؛ أي: تشتت جمعكم، وفي قراءة: بالنصب^(٨): طرف؛ أي: وصلكم بئسكم وصلَّ ذهب عنكم ما كنتم تزعمون في الدنيا؛ من شفاعتها.

(١) بالياء قراءة ابن كثير وأبي عمرو.

(٢) أي: «يجعلون»، و«يدعون»، و«يخفون».

(٣) أخرج الطبري نحوه عن ابن عباس في جامع البيان (١٧٧/٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره، وحسن صاحب الاستيعاب إسناده (١٤٥/٢).

(٤) بالياء قراءة شعبة.

(٥) أي: الآخرة.

(٦) أخرجه عبد بن حميد وابن المنذر عن ابن جريج، وأخرجه عبد بن حميد وابن جرير وأبو الشيخ عن قتادة، وأخرجه ابن جرير وأبو الشيخ عن عكرمة [الدر المنثور (٥٦/٢)]. وقال صاحب الاستيعاب: «إسناده ضعيف جدًا» (١/٤٨).

(٧) بالرفع قراءة حمزة وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة: هو فاعل ﴿نَقَطَ﴾، و«الين» بمعنى: الوصل، وهو المراد هنا، ويطلق ويراد به البعد من باب تسمية الأضداد.

(٨) والفاعل في هذه القراءة: ضمير يعود على الوصل المفهوم من قوله: ﴿شُفَعَاءَكُمُ﴾ و«شُرَكَؤُكُمْ»؛ لأن بين الشفع والمشفوع له اتصالًا، و«بَيْنَكُمْ» ظرف له، والتقدير: تقطع الوصل فيما بينكم.

﴿اللَّيْلِ﴾ ﴿حُسْبَانًا﴾ حسابًا للأوقات، أو الباء محذوفة؛ وهو: حال من مُقَدَّرٌ؛ أي: يجريان بحسبان - كما في آية الرحمن (١) - ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿تَقْدِيرُ الْمَرْبِ﴾ في ملكه ﴿الْعَلِيِّ﴾ بخلفه.

[٩٧] ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ النُّجُومَ لِيَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ﴾ في الأسفار ﴿قَدْ فَصَّلْنَا بَيِّنًا﴾ الآيات ﴿الدَّلَالَاتِ﴾ على قدرتنا ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ يتدبرون.

[٩٨] ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ﴾ خلقكم ﴿مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ هي: آدم ﴿فَسَمَّيْتُمْ﴾ (٢) منكم في الرحم ﴿وَمُسَوِّعٌ﴾ منكم في الصلب، وفي قراءة: بفتح الفاف؛ أي: مكان قرار لكم ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ما يقال لهم.

[٩٩] ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ النَّبَاتِ﴾ فيه النفاث عن الغيبة ﴿بِهِ﴾ بالماء ﴿بَنَاتٍ كُلِّ شَيْءٍ﴾ نبت ﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ﴾ أي: النبات، شيئًا ﴿حَضْرًا﴾ بمعنى: أخضر ﴿وَنُخْرَجٌ مِنْهُ﴾ من الخضرة ﴿حَبًّا مُّتْرَاجِكًا﴾ يركب بعضه بعضًا، كسابل الخنطة ونحوها ﴿وَمِنَ النَّخْلِ﴾ خبز، ويبدل منه: ﴿مِنَ طَلْحًا﴾ أول ما يخرج منها، والمبتدأ: ﴿فَتَوَّانٌ﴾ عراجين ﴿وَدَائِبُهُ﴾ قريب بعضها من بعض ﴿وَوَجَّهْنَا﴾ أخرجنا به ﴿جَنَّتَيْنِ﴾ بساتين ﴿وَمِنَ الْأَنْبِيَةِ وَالرُّزْمَانِ وَالرَّمَّانِ مُسْتَبِيحًا﴾ حال ﴿وَعَرَبٍ مُّسْتَبِيحًا﴾ ثمرهما ﴿أَنْظُرُوا﴾ يا مخاطبون (٤) نظر اعتبار ﴿إِلَى ثَمَرِهِ﴾ بفتح التاء والميم، وبضمهما (٥)؛ وهو: جمع ﴿ثَمَرَةٍ﴾ كـ ﴿شَجَرَةٍ﴾ و﴿شَجَرٍ﴾، و﴿حَشَبِيَّةٍ﴾ و﴿حَشْبٍ﴾ ﴿إِذَا أَمْرٌ﴾ أول ما يبدو كيف هو ﴿وَوَجَّهْنَا﴾ إلى ﴿بَيْعِهِ﴾ نضجه إذا أدرك كيف يعود ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَُمْ لآيَاتٍ﴾ دلالات على قدرته - تعالى - على البعث وغيره ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ خصوصا بالذكر؛ لأنهم المنتفعون بها في الإيمان بخلاف الكافرين.

[١٠٠] ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ﴾ مفعول ثانٍ ﴿شُرَكَاءَ﴾ مفعول أول، ويبدل منه: ﴿الْحِينَ﴾ حيث أطاعوهم في عبادة الأوثان ﴿وَوَجَّهْنَا﴾ قد ﴿خَلَقْتُمُ﴾ فكيف يكونون شركاء ﴿وَعَرَفُوا﴾ بالتخفيف، والتشديد (٦)؛ أي: اختلفوا ﴿لَمْ يَبَيِّنْ وَبَيَّنَّتْ يَغْيَرٌ عَلَيْهِ﴾ حيث قالوا: عُزَيْرٌ ابن الله والملائكة بنات الله ﴿سُبْحَانَهُ﴾ تنزيها له ﴿وَتَعَلَّى عَمَّا يَصِفُونَ﴾ بأن له ولداً.

[١٠١] هو ﴿بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ مبدعهما من غير مثال سبق ﴿أَنَّى﴾ كيف ﴿يَكُونُ لَكُمْ وِلْدًا﴾ ولدهم ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَمْ صَاحِبَةً﴾ زوجة ﴿وَمَخْلُقَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ من شأنه أن يُخْلَقَ ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْغَيْبِ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْغَيْبِ مِنَ اللَّيْلِ﴾ وَمُخْرِجُ النَّخْلِ ﴿يُخْرِجُ الْغَيْبِ مِنَ اللَّيْلِ﴾ كالإنسان والطارق من النطفة والبيضة ﴿وَيُخْرِجُ الْغَيْبِ مِنَ النَّخْلِ وَالْبَيْضَةِ﴾ وَمِنَ الْغَيْبِ ذَلِكَُمُ ﴿فَالِقُ الْخَرْجِ﴾ اللَّهُ فَالِقُ نُؤْفِكُونَ ﴿فكيف تصرفون عن الإيمان مع قيام البرهان؟!﴾

[٩٦] ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾ مصدرٌ بمعنى: الصبح؛ أي: شاقٌ عمودَ الصبح؛ وهو: أول ما يبدو من نور النهار عن ظلمة الليل ﴿وَجَاعِلُ اللَّيْلِ﴾ (١) ﴿سَكَنًا﴾ تسكن فيه الخلق من التعب ﴿وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ﴾ بالنصب: عطفًا على محل

[٩٥] ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْغَيْبِ﴾ شاقٌ ﴿الغَيْبِ﴾ عن النبات ﴿وَالنَّوَى﴾ عن النخل ﴿يُخْرِجُ الْغَيْبِ مِنَ اللَّيْلِ﴾ كالإنسان والطارق من النطفة والبيضة ﴿وَيُخْرِجُ الْغَيْبِ مِنَ النَّخْلِ وَالْبَيْضَةِ﴾ وَمِنَ الْغَيْبِ ذَلِكَُمُ ﴿فَالِقُ الْخَرْجِ﴾ اللَّهُ فَالِقُ نُؤْفِكُونَ ﴿فكيف تصرفون عن الإيمان مع قيام البرهان؟!﴾

[٩٦] ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾ مصدرٌ بمعنى: الصبح؛ أي: شاقٌ عمودَ الصبح؛ وهو: أول ما يبدو من نور النهار عن ظلمة الليل ﴿وَجَاعِلُ اللَّيْلِ﴾ (١) ﴿سَكَنًا﴾ تسكن فيه الخلق من التعب ﴿وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ﴾ بالنصب: عطفًا على محل

(١) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

(٢) وهو قوله تعالى: ﴿الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ بِحُسْبَانٍ﴾ [الرحمن: ٥].

(٣) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو.

(٤) وفي بعض النسخ: «يا مخاطبين» باعتباره نكرة غير معين.

(٥) بالضم حمزة والكسائي.

(٦) بالتشديد قراءة نافع.

[١٠٢] ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَاعْبُدُوهُ وَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ حفظ.

[١٠٣] ﴿لَا تُذِرْكُمُ الْآبَصْرُ﴾ (١) أي: لا تراه، وهذا مخصوص؛ لرؤية المؤمنين له في الآخرة؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْمِرْ بِأَخِيهِ فَلْيَفْسُقْ﴾ (٢) إلى ربها ناطقة (٣) وحديث الشيخين ﴿أَنْتُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ انْتِدَارِهِ﴾ (٤) وقيل: المراد: لا تحيط به ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الْآبَصْرَ﴾ أي: يراها، ولا تراه، ولا يجوز في غيره أن يدرك البصر وهو لا يدركه أو يحيط به علماً ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ﴾ بأوليائه ﴿الْخَيْرُ﴾ بهم.

[١٠٤] قل يا محمد لهم: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرٌ﴾ محجج ﴿مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ﴾ ها فأمّن ﴿فَلْيَفْسُقْ﴾ أبصر؛ لأن ثواب إبصاره له ﴿وَمَنْ عَمِيَ﴾ عنها؛ فضل ﴿فَعَلَيْهَا﴾ وبال إضلاله ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ رقيب لأعمالكم، إنما أنا نذير.

[١٠٥] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما بينا ما ذكر ﴿نُصِرْتُ﴾ نين ﴿الْآيَاتِ﴾ ليعتبروا ﴿وَلْيُقُولُوا﴾ أي: الكفار في عاقبة الأمر: ﴿إِذَا رَسَتْ﴾ (١) ذكرت أهل الكتاب، وفي قراءة: ﴿ذَرَسَتْ﴾ أي: كتب الماضي؛ وجمت بهذا منها ﴿وَلْيُسَيِّرُوا لِقَوْمٍ يَعْمَلُونَ﴾.

[١٠٦] ﴿أَنْتُمْ مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ أي: القرآن ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرَضَ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾.

[١٠٧] ﴿وَلَوْ سَأَلَ اللَّهُ مَا أَتَرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ رقيباً؛ فتجازيهم بأعمالهم ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ فتجبرهم على الإيمان - وهذا (٢) قبل الأمر بالقتال..

[١٠٨] ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْهُمْ﴾ من دون الله ﴿أَي: الْأَصْنَامِ﴾ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا﴾ اعتداء وظلماً ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أي: جهلاً منهم بالله ﴿كَذَلِكَ﴾ كما زيننا لهؤلاء ما هم عليه ﴿رَبَّنَا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ﴾ من الخير والشر؛ فأتوه ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ تَرْجِعُهُمْ﴾ في الآخرة ﴿فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ فيجازيهم به.

[١٠٩] ﴿وَأَقْسَمُوا﴾ أي: كفار مكة ﴿بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: غاية اجتهادهم فيها ﴿لَنْ جَاءَهُمْ آيَةٌ﴾ مما اقترحوا ﴿لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلٌّ﴾ لهم: ﴿إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ ينزلها كما يشاء، وإنما أنا نذير ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾ يدريكم بإيمانهم إذا جاءت؛ أي: أنتم لا تدرون ذلك ﴿إِنَّهَا﴾ (٣) إذا جاءت لا يُؤْمِنُونَ﴾ لما سبق في علمي، وفي قراءة: بالناء (٤) خطاباً للكفار، وفي أخرى:

ذَالِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تُذِرْكُمُ الْآبَصْرُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْآبَصْرَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلْيَفْسُقْ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾ وَكَذَلِكَ نُصِرُ الَّذِينَ آمَنُوا وَرَجِعُوا إِلَى اللَّهِ فَيَرْجِعُهُمْ إِيَّاهُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرَضَ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ وَلَوْ سَأَلَ اللَّهُ مَا أَتَرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ وَإِلَىٰ رَبِّهِمْ تَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْدِيهِمْ لَنْ جَاءَهُمْ آيَةٌ وَلَٰكِنْ هُمْ فِيهَا كَاذِبُونَ ﴿١٠٩﴾ وَإِنَّمَا الْآيَاتُ لِنَاصِرِ الَّذِينَ هُمْ يَدْعُونَ وَلَٰكِن يَعْصُونَكَ يَأْتِيهِمْ الْآيَاتُ فَتَحْتَفِلُ فِي الْكِبَرِ ﴿١١٠﴾

يفتح (أن)؛ بمعنى: لعل، أو معمولاً لما قبلها.

[١١٠] ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْسَادَهُمْ﴾ نحول قلوبهم عن الحق؛ فلا يفهمونه ﴿وَأَبْصُرُهُمْ﴾ عنه؛ فلا يبصرونه؛ فلا يؤمنون ﴿كَمَا لَوْ يُؤْمِنُوا بِهِ﴾ أي: بما أنزل من الآيات ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرَهُمْ﴾ نتركهم ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ﴾ ضلالهم ﴿يَعْمَهُونَ﴾ يترددون متحيرين.

(١) فائدة: أخرج البخاري عن مسروق قال: قلت لعائشة رضي الله عنها: ما أمناه، هل رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه؟ فقالت: لقد فقه شعري مما قلت، أين أنت من ثلاث؟ من حدثكهن فقد كذب؛ من حدثك أن محمداً صلى الله عليه وسلم رأى ربه فقد كذب، ثم قرأت: ﴿لَا تُذِرْكُمُ الْآبَصْرُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْآبَصْرَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾...، ولكن رأى جبريل عليه السلام في صورته مرتين. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) - سورة النجم (٥٣) باب (١)، وأخرجه مسلم - كتاب الإيمان (١) باب (٧٨) [إثبات رؤية المؤمنين ربه في الآخرة].

(٢) القيامة: ٢٢، ٢٣.

(٣) أخرج نحوه البخاري (٧٤٤٠)، ومسلم (١٨٣).

(٤) لابن كثير وأبي عمرو، وقرأ ابن عامر بفتح السين أيضاً ﴿ذَرَسَتْ﴾ بمعنى: انمحت.

(٥) أي: الأمر بالإعراض عن المشركين، وليس الإجماع على الإيمان.

(٦) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو، وشعبة بخلاف عنه.

(٧) لحزمة وابن عامر، ولا يقرأ بالناء إلا من يقرأ هاءه [أنها] بالفتح. أما من يقرأ بكسر «إن» فيتمين معها الباء في «لا يؤمنون».

﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ ذلك.

[١١٢] ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾ كما جعلنا هؤلاء أعداءك، ويبدل منه: ﴿شَيْطَانٍ مَّرَدَّةً﴾ الأييس والجن يوحى يوسوس ببعضهم إلى بعض زخرف القول موهبة من الباطل ﴿غُرُورًا﴾ أي ليغروهم ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا قَهَرْتَهُمْ﴾ أي: الإيهام المذكور ﴿فَدَرَرْتَهُمْ﴾ دع الكفار ﴿وَمَا يَفْقَرُونَ﴾ من الكفر وغيره مما زين لهم. وهذا قبل الأمر بالقتال..

[١١٣] ﴿وَلِيَصْحَبَنَّ﴾ عطف على ﴿غُرُورًا﴾ أي: تميل ﴿إِلَيْهِ﴾ أي: الزخرف ﴿أَقْبَعَهُ﴾ قلوب ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرَضُوا﴾ وَيَلْعَنُوا ﴿بِكُفْرِهِمْ﴾ أن يجعل بينه وبينهم حكماً: [١١٤] قل: ﴿أَفَسَرَ اللَّهُ أَبْتِي﴾ (٢) أطلب ﴿حَكْمًا﴾ قاضياً بيني وبينكم ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿مُفَصَّلًا﴾ مبيناً فيه الحق من الباطل ﴿وَالَّذِينَ آمَنَّا بِهِمْ﴾ التوراة؛ كعبد الله بن سلام وأصحابه ﴿يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْزَلٌ﴾ بالتحفيف والتشديد (٣) ﴿مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُنْكَرِينَ ﴿الشَّاكِينَ فِيهِ﴾ والمراد بذلك: التقرير للكفار أنه حق.

[١١٥] ﴿وَوَعَدْنَا﴾ ﴿كَلِمَاتٍ﴾ (٤) ﴿رَبِّكَ﴾ بالأحكام والمواعيد ﴿صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ تمييز ﴿لَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ بنقص أو خلف ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لما يقال ﴿الْعَلِيمُ﴾ (٥) بما يفعل.

[١١٦] ﴿وَإِنْ نَطَعْنَا أَكْثَرَ مِنْ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: الكفار ﴿يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دبه ﴿إِنْ﴾ ما ﴿يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ في مجادلتهم لك في أمر الميتة؛ إذ قالوا: ما قتل الله أحق أن تأكلوه مما قتلتم ﴿وَإِنْ﴾ ما ﴿هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ يكذبون في ذلك.

[١١٧] ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ﴾ أي: عالم ﴿مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿فيجازي كلاً منهم.

[١١٨] ﴿فَكُلُوا﴾ وَمِمَّا ذُكِّرَ بِكُمْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴿أي: ذبح على اسمه﴾ ﴿إِنْ كُنتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ﴾

﴿وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَكِيَّةَ وَكَوَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا قَهَرْتَهُمْ وَمَا يَفْقَرُونَ﴾ ﴿وَلِيَصْحَبَنَّ إِلَيْهِ أَقْبَعَهُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرَضُوا وَيَلْعَنُوا مَا هُمْ مُقْتَرُونَ﴾ ﴿أَفَسَرَ اللَّهُ أَبْتِي﴾ ﴿حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آمَنَّا بِهِمْ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْزَلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ ﴿وَوَعَدْنَا رَبَّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ﴿وَإِنْ نَطَعْنَا أَكْثَرَ مِنْ فِي الْأَرْضِ يَضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ إِلَيْكُمْ اللَّهُ عَلَيْهِ إِنْ كُنتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ﴾

[١١١] ﴿وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَكِيَّةَ وَكَوَّمَهُمُ الْمَوْتَى﴾ كما افترحوا ﴿وَحَشَرْنَا﴾ جمعنا ﴿عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا﴾ بضمين؛ جمع «قبيل» أي: فوجا فوجا، وبكسر القاف وفتح الباء (١)؛ أي: معاينة؛ فشهدوا بصدقك ﴿وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾ لما سبق في علم الله ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ إيمانهم؛ فيؤمنوا

(٥) فائدة: أخرج النسائي عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال: لما أمر النبي ﷺ بحفر الخندق عرضت لهم صخرة حالت بينهم وبين الحفر، فقام رسول الله ﷺ وأخذ يقول ووضع رداه ناحية الخندق، وقال: ﴿وَوَعَدْنَا رَبَّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ فندر. أي سقط. ثلث الحجر، وسلمان الفارسي قائم ينظر، فبرق مع ضربة رسول الله ﷺ بركة. ثم ضرب الثانية وقال: ﴿وَوَعَدْنَا رَبَّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ فندر الثلث الآخر، فبرقت بركة فرأها سلمان. ثم ضرب الثالثة وقال: ﴿وَوَعَدْنَا رَبَّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ فندر الثلث الباقي، وخرج رسول الله ﷺ فأخذ رداه وجلس. النسائي - كتاب الجهاد (٢٥) باب (٤٢) غزوة الترك والحبيشة، وحسنه الألباني في صحيح سنن النسائي (٢٩٧٦).

(١) بالكسر قراءة نافع وابن عامر.

(٢) لم أجده.

(٣) بالتحفيف قراءة السبعة عدا ابن عامر وحفص.

(٤) قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

﴿وَمَا لَكُمْ أَنْ﴾ [١١٩] ﴿لَا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ من الذبائح ﴿وَقَدْ فَضَّلَ﴾ بالبناء للمفعول، وللفاعل في الفعلين^(١) ﴿لَكُمْ مَا حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾^(٢) في آية ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَيْسَتُهُ﴾ إلا ما اضطررتم إليه منه، فهو أيضا حلال لكم؛ المعنى: لا مانع لكم من أكل ما ذكر، وقد بين لكم الحرام أكله؛ وهذا ليس منه ﴿وَإِنْ كَثُرَ بَيْتُكُمْ فَضَعُوا مِثْلَهَا﴾ بما تهواه أنفسهم؛ من تحليل الميتة وغيرها ﴿يَغْيِرَ عَلَيْهِ﴾ يعتمدونه في ذلك ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾ المتجاوزين.

[١٢٠] ﴿وَدَرُوا﴾ اتروا ﴿ظَهَرَ الْآثِرُ وَبَاطِنُهُ﴾ علانيته وسره، و﴿الْآثِرُ﴾ قيل: الزنا، وقيل: كل معصية ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْآثِمَ سَيَجْزَوْنَ﴾ في الآخرة ﴿يَمَّا كَانُوا يَقْتَرُونَ﴾ يكتسبون.

[١٢١] ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكَرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ بأن مات، أو ذبح على اسم غيره، وإلا فما ذبحه المسلم ولم يُسَمَّ فيه عمداً أو نسياناً؛ فهو حلال، قاله ابن عباس، وعليه الشافعي^(٤) ﴿وَإِنَّهُ﴾ أي: الأكل منه ﴿لَيْسَ﴾ خروج عما يحل ﴿وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَيْسَ﴾ يوسوس ﴿إِلَّا أَوْلِيَاءَهُمُ﴾ الكفار ﴿لِيُجْبَدُوا﴾ في تحليل الميتة ﴿وَإِنْ أَلْعَمْتُمْ﴾ فيه ﴿إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾^(٥).

[١٢٢] ﴿وَنَزَلَ فِي أَبِي جَهْلٍ وَغَيْرِهِ﴾: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مِثْلًا﴾ بالكفر ﴿فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ بالهدى ﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾ ينصر به الحق من غيره؛ وهو: الإيمان ﴿كَمَنْ تَمَلَّكَ﴾ «مثل»: زائدة؛ أي: كمن هو ﴿فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾ وهو: الكافر؛ لا ﴿كَذَلِكَ﴾ كما زين للمؤمنين الإيمان ﴿رَبِّينَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَسْمُوتُونَ﴾ من الكفر والمعاصي.

[١٢٣] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما جعلنا فشق مكة آكارها ﴿جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مَجْرِمَهَا لِيَتَكَبَّرُوا فِيهَا﴾ بالصد عن الإيمان ﴿وَمَا يَتَّبِعُونَ إِلَّا يَأْتِسِبَهُمْ﴾ لأن وباله عليهم ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ بذلك.

[١٢٤] ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ﴾ أي: أهل مكة ﴿آيَةٌ﴾ على صدق النبي ﷺ ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَا﴾ به ﴿حَتَّىٰ نُنْفِقَ بِمِثْلِ مَا آتَيْنَا مِنْ رِيسَالَتِهِ﴾ من الرسالة والوحي؛ وإنما لأننا أكثر مالا، وأكبر سببا، قال تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِيسَالَتَهُ﴾ بالجمع والافراد^(٦)، و﴿حَيْثُ﴾ مفعول به لفعل دل عليه ﴿أَعْلَمُ﴾

أي: يعلم الموضع الصالح لوضعها فيه؛ فيضعها، وهؤلاء ليسوا أهلاً لها ﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾ بقولهم ذلك ﴿صَعَارٌ﴾ ذل ﴿عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ بما كانوا يتكبرون؛ أي: بسبب مكرهم.

(٥) ما جاء في نزول الآيات: (١١٩ - ١٢١). أخرج الترمذي عن عبد الله بن عباس قال: أتى ناس النبي ﷺ قالوا: يا رسول الله، نأكل ما نقتل، ولا نأكل ما يقتل الله؟ فأمر الله: ﴿تَكُونُوا مِثْلًا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِتِلْكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ إلى قوله: ﴿وَإِنْ أَلْعَمْتُمْ لَكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٧) سورة الأنعام. (صحيح) صحيح سنن الترمذي (٢٤٥٤).

(١) البناء للمفعول قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، ووافقهم في الثاني حمزة والكسائي وشعبة.

(٢) المائدة: ٣.

(٣) بالفصح قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

(٤) وعند مالك وأبي حنيفة ورواية عن أحمد: إن تركها عمداً لا تؤكل.

(٥) وقيل: إن الضمير يعود على ما ذكر اسم غير الله عليه عند الذبح، ويؤيده قوله تعالى: ﴿أَوْ يَشْقَ أَوْلَىٰ يَغْيِرَ اللَّهُ بِهِ﴾.

(٦) بالجمع قراءة السبعة عدا ابن كثير وحفص.

أي: يسلمه ﴿عَلَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

[١٢٦] ﴿وَهَذَا﴾ الذي أتت عليه يا محمد ﴿صِرْطُ﴾ طريق ﴿رَبِّكَ﴾ مُسْتَقِيمًا لا عوج فيه، ونصبه على الحال المؤكد للجملته، والعمل فيها معنى الإشارة ﴿فَدَفَعْنَا﴾ بِنَا ﴿الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الدال؛ أي: يتعظون، وخصشوا بالذكر؛ لأنهم المنتفعون.

[١٢٧] ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلْوَى﴾ أي: السلام؛ وهي الجنة ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَيْلُهُمْ﴾ بما كانوا يعملون.

[١٢٨] ﴿وَإِذْ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾ بالنون والياء^(٦)؛ أي: الله الخلق ﴿جَمِيعًا﴾ ويقال لهم: ﴿يَمَعَمَّرَ الْيَتِيمَ﴾ فَمَا اسْتَكْرَمْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ ﴿يَاغَاوَاكُمْ﴾ وَقَالَ أَوْلِيَائُهُمُ ﴿الَّذِينَ أَطَاعُوهُمْ﴾ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ انتفع الإنس بتزوين الجن لهم الشهوات، والجن بطاعة الإنس لهم ﴿وَكَلَّفْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتُمْ لَنَا﴾ وهو يوم القيامة، وهذا تحسر منهم ﴿قَالَ﴾ - تعالى - لهم على لسان الملائكة^(٧): ﴿الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ﴾ مأواكم ﴿خَلِيلِينَ فِيهَا إِلَّا مَا سَاءَ اللَّهُ﴾ من الأوقات التي يخرجون فيها لشرب الحميم^(٨)؛ فإنه خارجها؛ كما قال - تعالى -: ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَكِلَى الْجَحِيمِ﴾^(٩) وعن ابن عباس: أنه فيمن علم الله أنهم يؤمنون ف«مأ» بمعنى: «من» ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ﴾ في صنعه ﴿عَلِيمٌ﴾ بخلقه.

[١٢٩] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما متعنا عصاة الإنس والجن بعضهم ببعض ﴿تُؤْتَى﴾ من الولاية ﴿بَعْضُ الظَّالِمِينَ بَعْضًا﴾ أي: على بعض ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ من المعاصي.

[١٣٠] ﴿يَمَعَمَّرَ الْيَتِيمَ وَالْإِنْسِ﴾ أَلَّا يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ ﴿مِنْ جَمْعِهِمْ﴾ أي: بعضهم الصادق بالإنس، أو رسل الجن تُذَرُّهُمْ الذين يسمعون كلام الرسل فيبلغون قومهم ﴿يَقْضُونَ عَلَيْكُمْ﴾ آيَاتِي وَبُذِرْتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا أَن قَدْ بَلَّغْنَا قَال - تعالى -: ﴿وَعَزَّزْتُمْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ فلم يؤمنوا ﴿وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾

فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَمْشَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَمَا أَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٦﴾ وَهَذَا صِرْطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَضَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٧﴾ لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَيْلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٨﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا نَمَعَمَّرَ الْيَتِيمَ قَدْ اسْتَكْرَمْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَائِهِمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتُمْ لَنَا قَالُوا نَارًا مَثُوبَلَةً كَمْ خَلِيلِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٩﴾ وَكَذَلِكَ نُؤَيِّدُ بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٣٠﴾ يَمَعَمَّرَ الْيَتِيمَ وَالْإِنْسِ أَلَّا يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقْضُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَعَزَّزْتُمْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿١٣١﴾

[١٢٥] ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَمْشَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ بأن يقذف في قلبه نورًا؛ فينفسح له ويقبله - كما ورد في حديث^(١) - ﴿وَمَنْ يُرِدْ اللَّهُ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا﴾ بالتخفيف والتشديد^(٢)؛ عن قبوله ﴿خَرَجًا﴾ شديد الضيق؛ بكسر الراء؛ صفة، وفتحها^(٣): مصدر؛ وصف فيه المبالغة ﴿كَأَنَّمَا يَصْعَدُ﴾ وفي قراءة: ﴿بِضَاعِدُ﴾^(٤) وفيهما إدغام التاء في الأصل في الصاد، وفي أخرى بسكونها^(٥) ﴿فِي السَّمَاءِ﴾ إذا كلف الإيمان لشدة عليه ﴿كَذَلِكَ﴾ الجعل ﴿يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ﴾ العذاب أو الشيطان؛

(١) يشير إلى ما جاء في حديث: لما نزلت هذه الآية سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عن شرح الصدر، فقال: «هُوَ نُورٌ يُقَدِّفُهُ اللَّهُ فِي قَلْبِ الْمُؤْمِنِ؛ فَيُنْشِرُ لَهُ وَيَنْفِخُ لَهُ...» الحديث. أخرجه الطبري في جامع البيان (٢٧/٥)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٣٢٥)، وإسناده ضعيف جدًا؛ فيه عبد الله بن المسور وهو متروك كما قال الدارقطني.

(٢) بالكسر قراءة نافع وشعبة.

(٣) لابن كثير.

(٤) بالنون قراءة السبعة عدا حفص.

(٥) ظاهر الآية أن هذا الكلام من الله تعالى إليهم، وفيها إثبات صفة الكلام لله ﷻ كما هو مذهب السلف. وقول المصنف: على لسان الملائكة، صرف اللفظ عن ظاهره بغير دليل، وربما هذا فرار من إثبات صفة الكلام لله ﷻ. والله أعلم.

(٦) في معنى هذا الاستثناء أقوال عدة للمفسرين، فذهب بعضهم إلى أنها شاملة لعصاة الموحدين وللكفار، والمستثنى العصاة؛ لأنهم لا يخلدون، ورؤى بأن السياق في بيان حال الكفار، وبأن استعمال ﴿بِمَا﴾ للمقابلة، وذهب بعضهم إلى أن المراد المدة التي كانوا فيها في الدنيا والبرزخ ويوم القيامة قبل دخولهم النار، وذهب بعضهم إلى أن المراد النقل من النار إلى الزمهرير، وقيل: المراد المبالغة في الخلود؛ بمعنى: أنه لا ينتهي إلا وقت مشيئة الله، وهو مما لا يكون. وقيل: المراد بيان أن أمرهم موكوف إلى الله، وأن ذلك ليس بأمر واجب عليه. وقيل: المراد إلا ما شاء من زيادة عذابهم، وقيل: استثنى قوما سبق علمه أنهم يسلمون. وقيل غير ذلك، فإله أعلم.

(٩) الصفات: ٦٨.

[١٣١] ﴿ذَلِكَ﴾ أي: إرسال الرسل ﴿أَنْ﴾ اللام مقدره، وهي مخففة؛ أي: لأنه ﴿لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْفَرَىٰ يُظَلِّرُ﴾ منها ﴿وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾ لم يُؤسَل إليهم رسول بين لهم؟

[١٣٢] ﴿وَلِكُلِّ﴾ من العالين ﴿دَرَجَاتٍ﴾ جزاء ﴿وَمَا عَمِلُوا﴾ من خير وشر ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ بالياء والتاء^(١).

[١٣٣] ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ﴾ عن خلقه وعبادتهم ﴿ذُو الرَّحْمَةِٰ إِنْ يَشَاءُ يُدْهِبْكُمْ﴾ يا أهل مكة بالإهلاك ﴿وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ﴾ من الخلق ﴿كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ مَلَكَوْنَ﴾ أذهبهم؛ ولكنه أبقاكم رحمة لكم.

[١٣٤] ﴿إِنَّ مَا نُوعِدُكُمْ﴾ من الساعة والعذاب ﴿لَآتٍ﴾ لا محالة ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ فانتين عذابنا.

[١٣٥] ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿يَتَقَوَّرُوا عَلَىٰ مَكَاتِكُمْ﴾ حالتكم ﴿إِنِّي عَائِلٌ﴾ على حالتي ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ من موصولة؛ مفعول العلم ﴿تَكُونُ لَهُمْ عَاقِبَةُ الدَّارِ﴾ أي: العاقبة المحمودة في الدار الآخرة، نحن أم أنتم ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ﴾ يسعد ﴿الظَّالِمُونَ﴾ الكافرون.

[١٣٦] ﴿وَجَعَلُوا﴾ أي: كفار مكة ﴿يَوْمَ مَا دَرَأَ﴾ خلق ﴿مِنَ الْحَرِّ﴾ الزرع ﴿وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا﴾ بصرفونه إلى الضيفان والمساكين، ولشركائهم نصيبا بصرفونه إلى سدنتها ﴿فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرْغِمِهِمْ﴾ بالفتح والضم^(٢) ﴿وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا﴾ فكانوا إذا سقط في نصيب الله شيء من نصيبها التقطوه، أو في نصيبها شيء من نصيبه تركوه؛ وقالوا: إن الله غني عن هذا. كما قال - تعالى -: ﴿كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ﴾ أي: لجهته^(٣) ﴿وَمَا كَانَ لِلَّهِ يَصِلُ إِلَيْكَ شُرَكَائِهِمْ﴾^(٤) ساء ﴿بِئْسَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ حكمهم هذا.

[١٣٧] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما زين لهم ما ذُكِرَ ﴿رَبُّكَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ﴾ بالوَأَدِ ﴿مُشْرِكًاؤُهُمْ﴾ من الجن؛ بالرفع: فاعل ﴿رَبُّكَ﴾، وفي قراءة: بينائه للمفعول ورفع «قتل»، ونصب «الأولاد» به، وجر «شركائهم» بإضافته^(٥)، وفيه الفصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول - ولا يضر^(٦) - وإضافة القتل إلى الشركاء لأمرهم به ﴿لِيُرْذَوْهُمْ﴾ يهلكوهم ﴿وَلِيَلْبِسُوا﴾ يخلطوا ﴿عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرَهُمْ وَمَا يَفْعَلُونَ﴾

ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْفَرَىٰ يُظَلِّرُ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ ﴿١٣١﴾ وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَاءُ يُدْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ مَلَكَوْنَ ﴿١٣٣﴾ إِنَّ مَا نُوعِدُكُمْ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ قُلْ إِنِّي عَائِلٌ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿١٣٥﴾ وَجَعَلُوا مِنَ الْحَرِّ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرْغِمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ يَصِلُ إِلَيْكَ شُرَكَائِهِمْ ﴿١٣٦﴾ وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاءُؤُهُمْ لِيُرْذَوْهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرَهُمْ وَمَا يَفْعَلُونَ ﴿١٣٧﴾

(١) بالياء قراءة ابن عامر.

(٢) أي: للزاي، والضم للكسائي.

(٣) أي: إلى المصارف التي شرع الله الصرف فيها؛ كالصدقة وصلة الرحم وقري الضيف.

(٤) أي: يجعلونه لأنهم ويفقونها في مصالحتها.

(٥) لابن عامر.

(٦) يرد على من أنكر ذلك.

﴿وَأَنْعَمَ حَرَمْتَ طُهُورَهَا﴾ فلا تركب؛ كالسواحب والحوامي ﴿وَأَنْعَمَ لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَاءَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾ عند ذبحها، بل يذكرون اسم أصنامهم، ونسبوا ذلك إلى الله ﴿أَفِرَاءَ عَلَيْهِ سَجَزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ عليه.

[١٣٩] ﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ﴾ الحرمة؛ وهي: السواحب والبياتر ﴿خَالِصَةً﴾ حلال ﴿لِنُكُورِنَا وَمُحَرَّمٍ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا﴾ أي: النساء ﴿وَأِنْ تَكُنْ فِتْنَةً﴾ بالرفع والنصب (١) مع تأنيث الفعل وتذكيره (٢) ﴿فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَجَزِيهِمْ﴾ الله ﴿وَصَفَّهُمْ﴾ ذلك بالتحليل والتحریم؛ أي: جزاءه ﴿إِنَّهُ حَكِيمٌ﴾ في صنعه ﴿عَلِيمٌ﴾ بخلقه.

[١٤٠] ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا﴾ بالتخفيف والشديد (٣) ﴿أَوْلَادَهُمْ﴾ بالوأة ﴿سَفَهًا﴾ جهلاً ﴿يَتَّبِعُوا عِلْمًا وَحَرَمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ﴾ مما ذكر ﴿أَفِرَاءَ عَلَى اللَّهِ فَذُصَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ (٤).

[١٤١] ﴿هُوَ الَّذِي أَنْشَأَ﴾ خلق ﴿جَنَّتٍ﴾ بساين ﴿مَعْرُوشَتٍ﴾ مسوطات على الأرض؛ كالطبخ ﴿وَعَيْرٍ مَعْرُوشَتٍ﴾ بأن ارتفعت على ساق؛ كالنخل ﴿وَمَا أَنْشَأَ﴾ أنشأ ﴿النَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُمْ﴾ ثمره وخفه في الهيئة والطعم ﴿وَالزَّرْعُ وَالرَّمَاتُ مُتَشَابِهًا﴾ ورقهما، حال ﴿وَعَيْرٍ مُتَشَابِهٍ﴾ طعمهما ﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ﴾ قبل النضج ﴿وَمَا تَأْتُوا حَقَّهُ﴾ زكاته ﴿يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ بالفتح والكسر (٥)؛ من العشر (٦) أو نصفه (٧) ﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾ بإعطاء كله (٨)؛ فلا يبقى لبيابلكم شيء ﴿إِنَّكُمْ لَا يُحِبُّونَ الْمُسْرِفِينَ﴾ المتجاوزين ما حدَّ لهم.

[١٤٢] ﴿وَمَا أَنْشَأَ﴾ من الأنعام ﴿حَمُولَةً﴾ صالحة للحمل عليها؛ كالإبل الكبار ﴿وَمَرِيضًا﴾ لا تصلح له؛ كالإبل الصغار والغنم؛ سُمِّيت فرسًا؛ لأنها كالفرس للأرض؛ لدنوها منها ﴿كُلُوا وَمِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ طرائقه من التحريم والتحليل ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ بين العداوة.

﴿وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْتُ حِجْرًا لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بَرَعْمِهِمْ وَأَنْعَمَ حَرَمْتَ طُهُورَهَا وَأَنْعَمَ لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَاءَ اللَّهِ عَلَيْهَا أَفِرَاءَ عَلَيْهِ سَجَزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ ﴿١٣٩﴾ ﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِدُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مِمَّا تَنَعَمُ فِيهِ شُرَكَاءُ سَجَزِيهِمْ وَصَفَّهُمْ إِنَّهُ وَحَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿١٤٠﴾ ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ أَفِرَاءَ عَلَى اللَّهِ فَذُصَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ ﴿١٤١﴾ ﴿هُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّتٍ مَعْرُوشَتٍ وَعَيْرٍ مَعْرُوشَتٍ وَغَيْرِ مَعْرُوشَتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرَّمَاتُ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ وَرَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ ﴿١٤٢﴾ ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَسَاتٌ كُلُّوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ ﴿١٤٣﴾

[١٣٨] ﴿وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْتُ حِجْرًا﴾ حرام ﴿لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ﴾ من خدمة الأوثان وغيرهم ﴿بَرَعْمِهِمْ﴾ أي: لا حجة لهم فيه

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «إذا سرك أن تعلم جهل العرب، فاقرا ما فوق الثلاثين ومائة من سورة الأنعام: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ إلى قوله: ﴿قَدْ صَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾. البخاري كتاب المناقب (٦١) باب (١٢) قصة زمر وجهل العرب.

(١) بالرفع لابن كثير وابن عامر.
(٢) بالتأنيث لابن عامر وشعبة.
(٣) بالنشديد لابن كثير وابن عامر.
(٤) أي: حاء «حصاده». بالكسر قراءة حمزة والكسائي ونافع وابن كثير.
(٥) أي: فيما سقي بغير كلفة؛ كمطر ونحوه من غير آلة.
(٦) أي: فيما احتاج في سقيه إلى كلفة وآلة.
(٧) قوله: «إعطاء كله فلا يبقى لبيابلكم شيء»؛ تفسيره الإسراف بهذا هو قول محمد بن مروان المعروف بالسدي الصغير، وهو قول غير قوي. واختار ابن جرير الطبري قول عطاء بن أبي رباح أنه نهى عن الإسراف في كل شيء، وظاهر سياق الآية النهي عن الإسراف في الأكل؛ لما فيه من مضرة العقل والبدن؛ كقولته تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ [الأعراف: ٣١].

[١٤٣] ﴿تَمَيَّنَۥ أَرْوَجُۥ﴾ أضاف؛ بدل من ﴿حَمُولَةٌ وَفَرَسًا﴾
 ﴿وَمِنَ الْفَصَّانِ﴾ زوجين ﴿أَتَيْنِ﴾ ذكر وأنتى ﴿وَمِنَ الْمَعَزِ﴾ بالفتح
 والسكون^(١) ﴿أَتَيْنِي قُلُوبًا﴾ يا محمد - لمن حرم ذكور الأنعام تارة وإنانها
 أخرى، ونسب ذلك إلى الله: ﴿وَالَّذِينَ﴾ من الضأن والمعز ﴿حَرَّمَ﴾ الله
 عليكم ﴿أَيُّ الْأُنثِيَّاتِ﴾ منهما ﴿أَمَّا أَشْتَمَلْتُ عَلَيْكَ أَرْحَامُ الْأُنثِيَّاتِ﴾ ذكرا
 كان أو أنثى ﴿تَبْعُونِي بِعَيْرِ﴾ عن كيفية تحريم ذلك ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾
 فيه؛ المعنى: من أين جاء التحريم؟ فإن كان من قبل الذكورة فجميع الذكور
 حرام، أو الأنوثة فجميع الإناث، أو اشتمال الرحم فالزوجان، فمن أين
 التخصص؟ والاستفهام للإنكار.
 [١٤٤] ﴿وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْ قُلُوبٍ﴾ وَالَّذِينَ حَرَّمَ أَيْ
 الْأُنثِيَّاتِ أَمَّا أَشْتَمَلْتُ عَلَيْكَ أَرْحَامُ الْأُنثِيَّاتِ أَمْ بَلْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ
 حُضُورًا وَإِذْ وَصَلْتُكُمْ اللَّهُ بِهَذَا الْحَرَمِ فَاعتمدتم ذلك! لا بل أنتم
 كاذبون فيه ﴿فَمَنْ﴾ أي: لا أحد ﴿أَطْلَعُ مِنِّي أَقْرَبَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بذلك
 ﴿يُضِلُّ النَّاسَ بِعَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾
 [١٤٥] ﴿قُلْ لَا أُجِدُ فِي مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ شَيْئًا مَّحْرَمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ
 مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خَنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ
 فِسْقًا أَهْلَ لِعَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ أَضْطَرَّ عَلَيْهِ غَيْرَ بَاطِلٍ وَلَا عَادٍ
 فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا
 كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْعَنَمِ حَرَمًا عَلَيْهِمْ
 شُحُومُهُمْ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمْ أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ
 بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِعَيْرِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿١٤٦﴾

[١٤٦] ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا﴾ أي: اليهود ﴿حَرَمًا كُلَّ ذِي
 ظُفْرٍ﴾ وهو ما لم تفرق أصابعه؛ كالإبل والنعام ﴿وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْعَنَمِ
 حَرَمًا عَلَيْهِمْ شُحُومُهُمَا﴾ الثروب^(٢)، وشحم الكلى ﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ
 ظُهُورُهُمَا﴾ أي: ما علق بها منه ﴿أَوْ﴾ حملته ﴿الْحَوَايَا﴾ الأمعاء، جمع
 حاوية، أو حاوية ﴿أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾ منه؛ وهو: شحم الإلية؛ فإنه أحل
 لهم ﴿ذَلِكَ﴾ التحريم ﴿جَزَيْنَاهُمْ﴾ به ﴿بِعَيْرِهِمْ﴾ بسبب ظلمهم - بما سبق
 في سورة النساء^(٣) - ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ في أخبارنا ومواعدنا.

(١) بالفتح لابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

(٢) بالناء قراءة حمزة وابن كثير وابن عامر.

(٣) وهذا سبق قلم من المصنف كجمله؛ فقراءة الرفع مع الفوقانية وليس مع الفوقانية كما ذكر المصنف، وهي لابن عامر.

(٤) راجع تفسير ﴿عَقْرٍ سَابِغٍ وَلَا عَادٍ﴾ في سورة البقرة آية (١٧٣).

(٥) جمع «ثرب»: شحم رقيق يغشى الكرش والأمعاء، والمراد هنا الذي على الكرش فقط.

(٦) أي: قوله تعالى: ﴿وَمَا تَنْصِفِهِمْ يُشَفِّرُهُمْ وَكُفْرِهِمْ كَبِدَتْ أَلْبَابُ﴾ الآية [النساء: ١٥٥]، إلى قوله: ﴿وَيُظَلِّرُونَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا عَلَيْهِمْ طَبِيبَتٍ أُحْلَتْ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٦٠].

رَحْمَةً وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ وَبِهِ يَعْزِبُ الَّذِينَ آمَنُوا بِرَحْمَتِهِ عِندَ رَحْمَتِ اللَّهِ كَذِبًا ۚ وَأُولَٰئِكَ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَجْمَعِينَ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ۚ ﴿١٤٨﴾

﴿١٤٨﴾ ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِن شَيْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ سَلِّمْ عَلَيْهِمُ ۚ إِنَّهُمْ يَكْفُرُونَ ۚ﴾
 ما أبأؤنا ولا حرمتنا من شيء، فإشراكنا وتحريمنا بمشيئته، فهو راض به، قال - تعالى -: ﴿كذالك﴾ كما كذب هؤلاء ﴿كذب الذين من قبلهم﴾
 رسلهم ﴿حتى ذاقوا بأسنا﴾ عذابنا ﴿قل هل عندكم من عليهم﴾ بأن الله راض بذلك ﴿فتخرجوه لنا﴾ أي: لا علم عندكم ﴿إن﴾ ما ﴿كذبتم﴾ في ذلك ﴿إلا الظن وإن﴾ ما ﴿أنتم إلا تخضعون﴾ تكذبون فيه.

﴿١٤٩﴾ ﴿قل﴾ إن لم يكن لكم حجة ﴿فليله الحجة البليغة﴾ الثامة ﴿فلو شاء هدايتكم﴾ هدايتكم ﴿لهدنتكم أجمعين﴾.

﴿١٥٠﴾ ﴿قل هلم﴾ أحضروا ﴿شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرم هذا﴾ الذي حرمتوه ﴿فإن شهدوا فلا تشهد معهم ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم يربيهم يعدلون﴾ يشركون.

﴿١٥١﴾ ﴿قل﴾ ﴿تعالى أنزل﴾ أقرأ ﴿ما حرم ربكم عليكم﴾ أن نؤلفكم ﴿بما أحسنوا﴾ بالولدين إحساناً ولا تقتلوا أولادكم ﴿بالبواد﴾ من أجل ﴿إملاق﴾ فقر تخافونه ﴿نحن نرؤفكم وإياتهم﴾ ولا تقرؤوا الفواحش الكبار؛ كالزنا ﴿ما ظهر منها وما بطن﴾ أي: علانيتها وسرها ﴿ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق﴾ كالثور، وحذ الرذة، ورجم المحضن ﴿ذلكم﴾ المذكور ﴿وصنكم﴾ به لعلكم تعلمون ﴿تدبرون﴾.

فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَسِعَتْ وَلَا يُرِيدُ بِأَسْءُ وَعَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِن شَيْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاهُوا بِأَسْءَا ۚ قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِن أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ الحُجَّةُ البليغة ۚ فلو شاء لهدنكم أجمعين ﴿١٤٩﴾ قُلْ هل هم شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرم هذا فإن شهدوا فلا تشهد معهم ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم يربيهم يعدلون ﴿١٥٠﴾ قُلْ تَعَالَىٰ أَنزَلَ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِّنْ إِمْلَاقٍ مِّنْ نَّرْفِكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرُبُوا الفواحش مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۚ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَنَّمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾

﴿١٤٧﴾ ﴿فإن كذبوك﴾ فيما جئت به ﴿فقل﴾ لهم: ﴿ربكم ذو

(٥) فائدة: أخرج الحاكم في مستدرکه (٣٤٨/٢) عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: «أبيكم يابني على ثلاث؟» - ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿قُلْ مَا حَرَّمَ رَبِّي﴾ حتى فرغ من الآيات - فمن وثق فأجره على الله، ومن انتقص منهن شيئاً فآدرکه الله به في الدنيا كانت عقوبته، ومن أخرج إلى الآخرة فأمره إلى الله، إن شاء عبده، وإن شاء عفا عنه، وقال الحاكم: صحیح الإسناد ولم يعرجاه. وأخرجه أيضاً محمد ابن نصر في تعظیم قدر الصلاة (٦١٥/٢).

[١٥٢] ﴿وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالْيَقِينِ﴾ أي: بالحصلة التي ﴿هِيَ أَحْسَنُ﴾ وهي ما فيه صلاحه ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ بأن يحتلم^(١) ﴿وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل وترك البخس ﴿لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ طاقها في ذلك؛ فإن أخطأ في الكيل والوزن. والله يعلم صحة نيته؛ فلا مؤاخذه عليه؛ كما ورد في حديث^(٢)، ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فِي حُكْمٍ أَوْ فِي غَيْرِهِ﴾ فأعدوا لله ﴿وَأَوْفُوا﴾ ذلكم ﴿وَصَنَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ بالشديد تتعظون^(٣) والسكون.

[١٥٣] ﴿وَأَن﴾ بالفتح؛ على تقدير اللام، والكسر استئنافاً^(٤) ﴿هَذَا﴾ الذي وصيتكم به ﴿صِرْطِي مُسْتَقِيمًا﴾ حال ﴿فَاتَّبِعُونَهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾ الطرق المخالفة له ﴿فَتَفَرَّقَ﴾ فيه حذف إحدى التاءين؛ تمليل ﴿بِكُمْ عَنِ سَبِيلِهِ﴾ دينه ﴿ذَلِكَ﴾ و﴿صَنَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٥).

[١٥٤] ﴿ثُمَّ﴾ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ التوراة، و﴿ثُمَّ﴾ لترتيب الأخبار ﴿تَمَامًا﴾ للنعمة ﴿عَلَى الَّذِينَ أَحْسَنَ﴾ بالقيام به ﴿وَتَفْصِيلًا﴾ بياناً ﴿لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ يُخْتِاجُ إِلَيْهِ فِي الدِّينِ ﴿وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لِّعَالَمِهِمْ﴾ أي: بني إسرائيل ﴿بِإِلْقَاءِ رَبِّهِمْ﴾ بالبعث ﴿يَوْمَئِذٍ﴾.

[١٥٥] ﴿وَهَذَا﴾ القرآن ﴿كَذَّبَ أَنْزَلْنَاهُ مَبَارَكًا فَآتَيْنَاهُ﴾ يا أهل مكة بالعمل بما فيه ﴿وَأَنْفَرُوا﴾ الكفر ﴿لَمَلِكُمْ رُحْمُونَ﴾ أنزلناه.

[١٥٦] ﴿لَ﴾ أن لا ﴿تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابَ عَلَى طَائِفَتَيْنِ﴾ اليهود والنصارى ﴿مِن قَبْلِنَا وَإِن﴾ مخففة، واسمها محذوف؛ أي: إنا ﴿كُنَّا عَنِ دِرَاسَتِهِمْ﴾ قراءتهم ﴿لَعَنَفَيْنَا﴾ لعدم معرفتنا لها؛ إذ لَمْ نَشَأْ بَلِّغْتِنَا.

[١٥٧] ﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ﴾ لجملة أذهاننا ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ﴾ بيان ﴿مِن رَّبِّكُمْ وَهُدَىٰ وَرَحْمَةٌ﴾ لمن اتبعه ﴿فَمَنْ﴾ أي: لا أحد ﴿أَطْلَمَ﴾ مَن كَذَّبَ بِكَائِبَتِ اللَّهِ وَصَدَفَ ﴿أَعْرَضَ عَنْهَا سَتَجِرَى الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَدَابِ﴾ أي: أشده ﴿بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾

﴿وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالْيَقِينِ﴾ هي أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فِي حُكْمٍ أَوْ فِي غَيْرِهِ فَأَعِدُوا لِلَّهِ وَأَوْفُوا ذَلِكَمُ وَصَنَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنْ هَذَا صِرْطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُونَهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنِ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدَىٰ وَرَحْمَةً لِّعَالَمِهِمْ بِإِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبَارَكًا فَآتَيْنَاهُ وَأَتَّفَعُوا لَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابَ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَعَنَفَيْنَا ﴿١٥٦﴾ وَأَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدَىٰ وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَطْلَمَ مِمَّنْ كَذَّبَ بِكَائِبَتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَتَجِرَى الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَدَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾

(١) ما جاء في نزول الآية (١٥٢): أخرج أبو داود عن ابن عباس قال: لما أنزل الله ﷻ: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالْيَقِينِ﴾ وَرَبِّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتِيمِ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ الآية. انطلق من كان عنده يبيع فزول طعامه من طعامه وشرابه من شرابه، فجعل يفضل من طعامه فيحس له حتى يأكله أو يفسد، فاشتد ذلك عليهم، فذكروا ذلك لرسول الله ﷻ فأنزل الله ﷻ: ﴿وَتَسْوَلُونَكَ عَنِ الْيَتِيمِ قُلْ إِصْلَاحٌ لِّمَنْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَارْحَمُواهُمْ﴾ فخلطوا طعامهم ببطعامه وشرابهم بشرابه. سبق تخريجه عند الآية (٢٢٠) من سورة البقرة. فائدة: أخرج الإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود قال: خط رسول الله ﷺ خطاً بيده، ثم قال: «هذا سبيل الله مستقيماً». قال: ثم خط عن يمينه وشماله، ثم قال: «هذا السبيل، ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه» ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرْطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُونَهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾. مسند أحمد (٤٦٥/١، ٤٣٥)، وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح (٤١٤٢)، وأخرج نحوه ابن ماجه من حديث جابر بن عبد الله، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (١١).

(١) أخرج ابن مردويه عن سعيد بن المسيب قال: تلا رسول الله ﷺ ﴿وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ فقال: من أوفى على يديه في الكيل والميزان والله يعلم صحة نيته بالوفاء فيهما لم يؤاخذ وذلك تأويل وسعها (الدر المنثور (١٠/٣)).
 (٢) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة.
 (٣) بالكسر قراءة حمزة والكسائي، وقرأ ابن عامر بالفتح مع سكن النون.

تنفعها توبتها؛ كما في الحديث ﴿قُلْ أَنْظِرُوا﴾ أخذ هذه الأشياء ﴿إِنَّا مُنظِرُونَ﴾ ذلك.

[١٥٩] ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَرَأُوا دِيَنَهُمْ﴾ باختلافهم فيه؛ فأخذوا بعضه وتركوا بعضه ﴿وَكَانُوا يَشِيخًا﴾ فرقا في ذلك، وفي قراءة: ﴿فَأَرَأَوْا﴾ (٤) أي: تركوا دينهم الذي أمروا به؛ وهم: اليهود والنصارى ﴿لَسْتَ فِي شَيْءٍ أَيْ: فلا تتعرض لهم ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ﴾ يتولاه ﴿ثُمَّ يُبَيِّنُهُمْ﴾ في الآخرة ﴿وَمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ فيجازيهم به، وهذا منسوخ بآية السيف.

[١٦٠] ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ﴾ أي: لا إله إلا الله ﴿فَلَمْ يَشُرْ أَمْثَالَهَا﴾ أي: جزاء عشر حسنة ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا﴾ أي: جزاءه ﴿وَهُمْ لَا يُلْطَفُونَ﴾ ينقصون من جزائهم شيئا.

[١٦١] ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ويبدل من محله: ﴿دِينًا قِيَمًا﴾ مستقيما ﴿يَلَهُ إِزْهَابُهُمْ حَيْثُ مَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

[١٦٢] ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي عِبَادَتِي مِنْ حَجِّ وَغَيْرِهِ وَنَحْيَايَ حَيَاتِي وَوَمَاتِي وَمَوْتِي﴾ لله رب العالمين.

[١٦٣] ﴿لَا شَرِيكَ لَمْ﴾ في ذلك ﴿وَيَذَلِكِ﴾ أي: التوحيد ﴿أُزِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ السَّالِفِينَ﴾ من هذه الأمة.

[١٦٤] ﴿قُلْ أَغْنَى اللَّهُ عَنِّي رَبِّي﴾ إلهاء؛ أي: لا أطلب غيره ﴿وَهُوَ رَبُّ مَالِكٍ﴾ كل شيء ولا تكسب كل نفس ذنبا ﴿إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزُرُ﴾ تحمل نفس ﴿وَارِزَّةً﴾ أئمة ﴿وَزَرَ﴾ نفس ﴿أُخْرَى ثُمَّ لِي رِيكٌ مَرَجِعُكَ فَيُنِيئُكَ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخِيلُونَ﴾.

[١٦٥] ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ خَلْقَ الْأَرْضِ﴾ جمع خليفة؛ أي: يخلف بعضكم بعضا فيها ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ بالمال والجاه وغير ذلك ﴿لِيَبْلُوكُمْ﴾ ليختبركم ﴿فِي مَا آتَاكُمْ﴾ أعطاكم؛ ليظهر المطيع منكم والعاصي ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ﴾ لمن عصاه ﴿وَأَنْتُمْ لَعَنُونَ﴾ للمؤمنين ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم.

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلْ أَنْظِرُوا إِنَّا مُنظِرُونَ ﴿١٥٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ قَرَأُوا دِيَنَهُمْ وَكَانُوا يَفْعَلُونَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ تُرِيبُيْتُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٦٠﴾ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظَاهَمُونَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦٢﴾ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٣﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمَسْلُومِينَ ﴿١٦٤﴾ قُلْ أَغْنَى اللَّهُ عَنِّي رَبِّي وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٥﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ خَلْقَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٥٩﴾

[١٥٨] ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ ما ينتظر المكذوبون ﴿إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ﴾ بالثناء والبياء (١) ﴿الْمَلَائِكَةُ﴾ لقبض أرواحهم ﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾ أي: أمره؛ بمعنى: عذابه (٢) ﴿أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ أي: علاماته الدالة على الساعة ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ وهي طلوع الشمس من مغربها؛ كما في حديث الصحيحين (٣) ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ﴾ الجملة صفة «النفس» ﴿أَوْ﴾ نفسا لم تكن ﴿كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ (٤) طاعة؛ أي: لا

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت فرأها الناس آمنوا أجمعون، فذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا». البخاري - كتاب الرقاق (٨١) باب (٤٠)، وأخرجه مسلم - كتاب الإيمان (١) باب (٧٢) بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان.

(١) بالباء قراءة حمزة والكسائي.

(٢) وهذا تأويل لهذه الصفة من صفات الفعل التي أتيها ربنا ﷻ لنفسه، ونحن نثبتها له ونؤمن بها على الوجه اللاتق به - شبهة، ولا يشبه إتيانه إتيان الخلقين، لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْغَنِيُّ [الشورى: ١١].

(٣) البخاري (٤١٣٦)، ومسلم (١٥٧)، وعند مسلم من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه» (٢٧٠٣)، والأحاديث في هذا المعنى كثيرة.

(٤) حمزة والكسائي.

(٥) وهذا التفسير على القراءة بالشديد، وهي نافع وابن كثير وأبي عمرو، وأما على قراءة باقي السبعة بدون تشديد فعلى أنه مصدر نعت به، وأصله «قوم» ك«عوض»، فأُعلِل لإعلال فغلبه كالتقديم.

سُورَةُ الْأَعْرَافِ

[مكية إلا ﴿وَسَتَلَّهُمْ﴾ عن الْقَرْيَةِ ﴿الثمان أو الخمس آيات، مائتان وخمس أو : ست آيات، نزلت بعد (ص)]^(*)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿التَّصَّ﴾ الله أعلم بمراده بذلك.

[٢] هذا ﴿كُنْتُ أُزِيلُ إِلَيْكَ﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ﴾ ضيق ﴿وَبَنِيَّةٌ﴾ أن تبلغه مخافة أن تكذب ﴿لِيُنذِرَ﴾ متعلق بـ ﴿أُنزِلَ﴾ أي: للإنذار ﴿بِهِ﴾ وذكروا في تذكرة ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ به.

[٣] قل لهم: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ أي: القرآن ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا﴾ تتخذوا ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ أي: الله؛ أي: غيره ﴿أُولَئِكَ﴾ تطيعونهم في معصيته - تعالى - ﴿فَلَيْلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ بالثناء والياء^(١)؛ تعظون، وفيه إغغام التاء في الأصل في الذال، وفي قراءة: بسكونها^(٢)، ﴿وَمَا﴾ زائدة؛ لتأكيد القلة.

[٤] ﴿وَمَكٌّ﴾ خبرية، مفعول ﴿مِنْ قَرْيَةٍ﴾ أريد أهلها ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾ أردنا إهلاكها ﴿فَمَا بَعَا بِأَسْنَاءٍ﴾ عذابنا ﴿بَيْنَنَا﴾ ليلاً ﴿أَوْ هُمْ قَالُوا﴾ نأتمون بالظنيرة؛ والقيلولة: استراحة نصف النهار وإن لم يكن معها نوم؛ أي: مرة جاءها ليلاً، ومرة جاءها نهاراً. [٥] ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ﴾ قولهم ﴿إِذْ جَاءَهُمْ بِأَسْنَاءٍ﴾ إِلَّا أَن قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ.

[٦] ﴿فَلَنَسْتَأَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾ أي: الأمم عن إجابتهم الرسل، وعملهم فيما بلغهم ﴿وَلَنَسْتَأَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ عن الإبلاغ.

[٧] ﴿فَلَنَقْصُرَ عَنْهُمْ بَعْدَهُمْ﴾ لنخبرنهم عن علم بما فعلوه ﴿وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ﴾ عن إبلاغ الرسل والأمم الخالية فيما عملوا.

[٨] ﴿وَالْوَزْنَ﴾ للأعمال أو لصحافتها بيزان له لسان وكفتان - كما ورد في حديث^(٣) - كائن ﴿بِوَيْبِذٍ﴾ أي: يوم السؤال المذكور؛ وهو: يوم القيامة ﴿الْحَقِّ﴾ العدل، صفة الوزن ﴿فَمَنْ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ بالחסنات ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون.

[٩] ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ بالسينات ﴿فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ﴾ بتصويرها إلى النار ﴿بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ بيجحدون.

[١٠] ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ﴾ يا بني آدم ﴿فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَةً﴾ بالياء^(٤)؛ أسباباً تعيشون بها، جمعت معيشة ﴿فَلَيْلًا مَا﴾ لتأكيد القلة ﴿تَسْكُرُونَ﴾ على ذلك.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْمَصَّ ﴿١﴾ كُنْتُ أُزِيلُ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ
لِيُنذِرَ بِهِ وَذَكَرَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ
مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾
وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيِّنًا أَوْ هُمْ
قَائِلُونَ ﴿٤﴾ فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بِأَسْنَاءٍ إِلَّا أَن قَالُوا
إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٥﴾ فَلَنَسْتَأَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْتَأَنَّ
الْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقْصُرَ عَنْهُمْ بَعْدَهُمْ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ﴿٧﴾
وَالْوَزْنَ بِوَيْبِذٍ الْحَقِّ فَمَنْ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ
الْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا
أَنفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظَاهَرُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ
فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَةً قَلِيلًا مَا تَسْكُرُونَ ﴿١٠﴾
وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قَلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ
اسْجُدُوا لِلآدَمِ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿١١﴾

[١١] ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ﴾ أي: أباكم آدم ﴿فَمِنْ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ أي: صورناه وأنتم في ظهركم ﴿فَمِنْ قَلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِلآدَمِ﴾ سُجُودٌ تَحْقِيقٌ بِالانحناء ﴿تَسْجُدُوا﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ ﴿أَبَا الْجِنِّ﴾ كان بين الملائكة ﴿لَمْ يَكُنْ مِّنَ السَّاجِدِينَ﴾

(ه) فائدة: أخرج البخاري عن مروان بن الحكم قال: قال لي زيد بن ثابت: «ما لك تقرأ في المغرب بقصار؟» وقد سمعت النبي ﷺ يقرأ بطول الطولين. البخاري - كتاب الأذان (١٠) باب (٩٨) القراءة في المغرب. وأخرجه أبو داود وزاد: «قال: أي ابن أبي مليكة راوي الحديث.. قلت: وما طولى الطولين؟ قال: أي عروة بن الزبير الراوي عن مروان: الأعراف، والأخرى الأمام». أبو داود - كتاب الصلاة (٢) باب (١٢٢) قدر القراءة في المغرب، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٧٢٨).

(١) قوله: «بالتاء» أي: مع تشديد الذال بعدها، وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وشعبة، وقوله: «والياء» أي: قبل التاء مع تخفيف الذال، وهي قراءة ابن عامر. (٢) هكذا في النسخ المطبوعة التي بأيدنا، وهو سهو من المصنف رحمه الله، وصوابه: «بتخفيفها»، أي الذال، وحاصله: أن في «تذكرون» ثلاث قراءات سبعة هي: «تذكرون» بالتاء مع تشديد الذال وتخفيفها، و«تذكرون» بياء قبل التاء.

(٣) أخرج ابن النذر واللاكاثي عن عبد الملك بن أبي سليمان قال: ذكر الميزان عند الحسن فقال: له لسان وكفتان. وأخرج أبو الشيخ عن الكلبي في قوله: ﴿وَالْوَزْنَ بِوَيْبِذٍ الْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٨] قال: أخبرني أبو صالح عن ابن عباس أنه قال: له لسان وكفتان وزن، فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم ومنزلة لهم في الجنة بما كانوا بأياتنا يظلمون [الدر المنثور (١٢٩/٣)]، وأخرج البيهقي في الشعب عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: «الميزان له لسان وكفتان، يوزن فيه الحسنات والسيئات»، ولم أقف على حديث مرفوع فيه ذكر اللسان.

(٤) أي: باتفاق القراء؛ لأن الياء أصلية.

[١٥] ﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾ وفي آية أخرى: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْوَعْدِ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (١) أي: يوم الفتح الأولى.

[١٦] ﴿قَالَ فِيمَا آغَاوَيْتِي﴾ أي: يا غوائل لي؛ و«الباء» للقسمة وجوابه ﴿لَأَمْتَدَنَّ لَكُمْ﴾ أي: لبني آدم ﴿صِرْطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ أي: على الطريق الموصل إليك.

[١٧] ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾ أي: من كل جهة؛ فأمنعهم عن سلوكه، قال ابن عباس: ولا يستطيع أن يأتي من فوقهم؛ لئلا يحول بين العبد وبين رحمة الله - تعالى. ﴿وَلَا يَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ مؤمنين.

[١٨] ﴿فَالْأَخْرَجَ مِنْهَا مَذْءُومًا﴾ بالهمزة؛ معيبًا أو موقوتًا ﴿مَنْحُورًا﴾ مُبْعَدًا عن الرحمة ﴿لَمَنْ يَمَكُّ مِنْهُمْ﴾ من الناس؛ و«اللام» للابتداء، أو موطئة للقسمة؛ وهو: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أي: منك بذريعتك ومن الناس، وفيه تغليب الحاضر على الغائب، وفي الجملة معنى جزاء «من» الشرطية؛ أي: من تبعك أعذبه.

[١٩] ﴿ذِكْرٌ﴾ قال: ﴿يَتَذَكَّرُ أَسْكَنْ أَنْتَ﴾ تأكيد للضمير في ﴿أَسْكَنْ﴾ ليعطف عليه ﴿وَرَوْحِكَ﴾ حواء، بالمد ﴿الْجَنَّةِ فَكَلَّا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ بالأكل منها؛ وهي: الخنطة (٢) ﴿فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

[٢٠] ﴿فَوَسَّوَسَ لَهَا الشَّيْطَانُ﴾ إبليس ﴿يُبْدِي﴾ يظهر ﴿لَهَا مَا وُورِيَ﴾ فوجعل؛ من المواراة ﴿عَنْهَا مِنْ سَوَاءِ تَيْهَمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا كَرَاهَةٍ﴾ أن تكونا ملكين ﴿وقرى بكسر اللام (٣)﴾ ﴿أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ أي: وذلك لازم عن الأكل منها؛ كما في آية أخرى: ﴿هَلْ أَذْكَ عَلَى شَجَرَةٍ تُقَلَّدُ وَمَلِكٍ لَا يُبَلِّغُ﴾ (٤).

[٢١] ﴿وَقَاسَمَهُمَا﴾ أي: أقسم لهما بالله ﴿إِنِّي لَكُمَا لَوْنُ النَّاصِحِينَ﴾ في ذلك.

[٢٢] ﴿فَدَلَّلَهُمَا﴾ حطَّهُمَا عن منزلتهما ﴿يُرِيدُ﴾ منه ﴿فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ﴾ أي: أكلَا منها ﴿بَدَتْ لَهَا سَوَاءُ تَيْهَمَا﴾ أي: ظهر لكل منهما فبئله وقيل الآخر ودؤره، وسُمِّي كل منهما سواة؛ لأن انكشافه بسوء صاحبه ﴿وَطَوَّقَا بِمُخَصَّفَانِ﴾ أخذًا يلزقان ﴿عَلَيْهِمَا مِنْ رَوْحِ الْجَنَّةِ﴾ ليستترا به ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ بيش العداوة، والاستفهام للتقرير.

قَالَ مَا مَنَعَكَ إِلَّا سَجْدًا إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿١٥﴾ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٦﴾ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يَبْعَثُونَ ﴿١٧﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿١٨﴾ قَالَ فِيمَا آغَاوَيْتَنِي لِأَقُدَنَّ لَهُمْ صِرْطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿٢٠﴾ قَالَ أَخْرَجَ مِنْهَا مَذْمُومًا وَمَأْمُورًا لِمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٢١﴾ وَيَتَادَمُّرُ اسْكَنْ أَنْتَ وَرَوْحُكَ الْجَنَّةَ فَكَلَّا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوَاءِ تَيْهَمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَائِكَةً أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٣﴾ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢٤﴾ فَدَلَّلَهُمَا بَعْرُورٌ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوَاءُ تَيْهَمَا وَطَوَّقَا يَخْضَعَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ رَوْحِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢٥﴾

[١٢] ﴿قَالَ﴾ - تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَهْنُ﴾ ﴿لَا﴾ زائدة ﴿سَجْدَ إِذْ﴾ حين ﴿أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾.

[١٣] ﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا﴾ أي: من الجنة، وقيل: من السماوات ﴿فَمَا يَكُونُ﴾ ينبغي ﴿لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ﴾ منها ﴿إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ الدُّلِيلِينَ.

[١٤] ﴿قَالَ أَنْظِرْنِي﴾ أخرى ﴿إِنَّ يَوْمَ يَبْعَثُونَ﴾ أي: الناس.

(١) الحجر: ٣٨.

(٢) لم يرد ما يعتمد عليه في تعيين هذه الشجرة، ولا حاجة إلى ذلك؛ لأنه ليس المقصود معرفة عين تلك الشجرة، وما لا يكون مقصودًا لا ينبغي الانشغال به - كما ذكر أهل التحقيق.

(٣) وهي قراءة شاذة.

(٤) طه: ١٢٠.

[٢٣] ﴿قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا بِمَعْصِيَتِنَا وَإِن لَّر تَعْفُرَ لَنَا وَرَحِمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

[٢٤] ﴿قَالَ أَهْطُوا﴾ أي: آدم وجواء؛ بما اشمتمنا عليه من ذريكتما ﴿بَعْضُكُمْ﴾ بعض الذرية ﴿لِيُعْصِدَ عَدُوٌّ﴾ من ظلم بعضهم بعضاً ﴿وَلَكَّرَ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرًّا﴾ أي: مكان استقرار ﴿وَمَتَّعَ﴾ تمتع ﴿إِلَى حِينٍ﴾ تنقضي فيه أجالكم.

[٢٥] ﴿قَالَ فِيهَا﴾ أي: الأرض ﴿تَحْيَوْنَ﴾ ويحيون وفيها تموتون ومنها ﴿تَخْرُجُونَ﴾ بالبناء للفاعل والمفعول^(١).

[٢٦] ﴿يَبْنِي بَيْنَهُمَا دَمْعًا قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ لِيَأْسَ﴾ أي: خلقناه لكم^(٢) ﴿يُؤْرَثُ﴾ بستر ﴿سَوَاءٌ لَكُمْ وَرِثَاةٌ﴾ وهو ما يتجمل به من الثياب ﴿وَلِيَأْسَ الْقَتِيلُ﴾ العمل الصالح والسمت الحسن، بالنصب^(٣) عطف على ﴿لِيَأْسَ﴾، والرفع مبتدأ، خبره: جملة ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ دلائل قدرته ﴿لِيَأْسَهُمْ يَذَكَّرُونَ﴾ فيؤمنون، فيه التفات عن الخطاب.

[٢٧] ﴿يَبْنِي بَيْنَهُمَا دَمْعًا لَا يُفَيْدُهُمْ﴾ بضلنكم ﴿الَّذِينَ﴾ أي: لا تتبعوه؛ ففتنوا ﴿كَمَا أَخْرَجَ أَبُو يَكْرِبُ﴾ بنته ﴿وَمِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ﴾ حال ﴿عَنْهُمْ﴾ لِيَأْسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوَاءَهُمَا إِنَّهُمْ﴾ أي: الشيطان ﴿رَبِّكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ﴾ جنوده ﴿وَمِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ للظافة أجسادهم، أو عدم ألوانهم ﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيْطَانَ أَوْلِيَاءَ﴾ أعرافاً وقرناء ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

[٢٨] ﴿وَإِذَا قَالُوا فَجِئْنَا﴾ كالشرك، وطوافهم بالبيت عراة قائلين: لا تطوف في ثياب عصينا الله فيها. فنوها عنها ﴿قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آيَاتِنَا﴾ فافتدنا بهم ﴿وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ أيضاً ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أنه قاله، استفهام إنكار.

[٢٩] ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿وَأَقِيمُوا﴾ معطوف على معنى ﴿بِالْقِسْطِ﴾ أي: قال: أقسطوا وأقيموا. أو قبله فاقبلوا، مقدراً ﴿وَتُؤْمَرُكُمْ﴾ لله ﴿عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ أي: أحلصوا له سجدكم ﴿وَأَذَعُوهُ﴾ اعبده ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ﴾ من الشرك ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ﴾ خلقكم ولم تكونوا شيئاً ﴿تَعُودُونَ﴾ أي: يعيدكم أحياء يوم القيامة.

[٣٠] ﴿فَرِيقًا﴾ منكم ﴿هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيْطَانَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾.

قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّر تَعْفُرَ لَنَا وَرَحِمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ أَهْطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكَّرَ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرًّا وَمَتَّعَ إِلَى حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَفِيهَا تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ يَبْنِي بَيْنَهُمَا دَمْعًا قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ لِيَأْسَ يَأْسًا يُؤْرَثُ بِسَوَاءٍ لَكُمْ وَرِثَاةٌ وَلِيَأْسَ الْقَتِيلُ ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لِيَأْسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوَاءَهُمَا إِنَّهُمْ يَذَكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ يَبْنِي بَيْنَهُمَا دَمْعًا لَا يُفَيْدُهُمْ الشَّيْطَانَ كَمَا أَخْرَجَ أَبُو يَكْرِبُ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِيَأْسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوَاءَهُمَا إِنَّهُمْ يَذَكَّرُونَ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيْطَانَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ وَإِذَا قَالُوا فَجِئْنَا قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آيَاتِنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيْطَانَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾

(١) بالبناء للفاعل قراءة حسنة والكسائي وابن ذكوان.

(٢) وهذا أحد الأقوال، وهو كقولهم تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ حَنِينَةَ آتِخِجْ﴾ أي: خلق، وقيل: المراد المطر الذي يبتس به القطن والكتان. فجعل المسبب بمنزلة السبب، وقيل: المعنى: ألهمناكم كيفية صنعته. وقيل: المعنى: فضينا وقسمنا لكم؛ حيث كتب ذلك في اللوح المحفوظ، وقضاياه - شيخانته - مما توصف بالنزول. وقيل: هو على ظاهر معناه المعروف، فإنه ينزل من ظهور الأنعام من أصوافها وأوبارها وأشعارها، وهذا الأخير هو الأثر. وفي الآية إنبات صفة علوية. جل وعلا. فوق خلقه، وهو ما يتحاشى المفسر - عفا الله عنه - إنباته موافقة مذهبه الأشعري. ﴿لَا يَنْفَعُ تَسَاءُلَ إِيْتِنَا لَر تَكُنَّ مَأْسَتٌ مِنْ قَبْلِ﴾ وانظر مجموع الفتاوى (١٢/٢٤٦ - ٢٥٧).

(٣) وهي قراءة نافع والكسائي وابن عامر.

لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣٢﴾

[٣٢] ﴿قُلْ﴾ إنكاراً عليهم: ﴿مَنْ حَرَمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾ من اللباس ﴿وَالطَّيِّبَاتِ﴾ المستلذات ﴿وَمِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بالاستحقاق، وإن شاركهم فيها غيرهم ﴿خَالِصَةً﴾ خاصة بهم، بالرفع والنصب (١) حال ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نَفِصِلُ الْآيَاتِ﴾ نبيها مثل ذلك التفصيل ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ يتدبرون؛ فإنهم المنتفعون بها.

[٣٣] ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ﴾ الكباثر؛ كالزنا ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا نَطَرَ﴾ أي: جهرها وسرها ﴿وَالإِثْمَ﴾ المعصية ﴿وَالَّذِينَ﴾ على الناس ﴿يَغْتَرِبُونَ﴾ وهو الظلم ﴿وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُرْسِلْ بِهِ﴾ بإشراكه ﴿سُلْطَانًا﴾ حجة ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من تحريم ما لم يحرم وغيره.

[٣٤] ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ مدة ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾ عنه ﴿سَاعَةً وَلَا يَسْتَأْذِنُونَ﴾ عليه.

[٣٥] ﴿يَنْبِئُكَ إِذًا﴾ فيه إدغام نون ﴿إن﴾ الشرطية في ﴿ما﴾ المريدة ﴿بِأَيِّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَفْضُونَ عَلَيْكُمْ﴾ أي: فَمَنْ أَتَى الشُّرَكَ وَأَصْلَحَ عمله ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الآخرة.

[٣٦] ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاشْتَبِهُوا﴾ تكبروا ﴿عَنَّا﴾ فلم يؤمنوا بها ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

[٣٧] ﴿فَمَنْ﴾ أي: لا أحد ﴿أَطَاعَ﴾ مَنِ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا بنسبة الشريك والولد إليه ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِنَا﴾ القرآن ﴿أُولَئِكَ إِنَّمَا يَصِيبُهُمْ﴾ حطهم ﴿مِنْ أَلْفِ نَفْسٍ﴾ مما كتب لهم في اللوح المحفوظ من الرزق والأجل وغير ذلك ﴿حَسْرًا﴾ إذا جاءتهم رؤسنا: أي: اللانكسة ﴿يَتَوَفَّوهُمْ قَالُوا﴾ لهم تبكيًا: ﴿إِنِّي مَا كُنْتُ نَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿وَمِن دُونِ اللَّهِ قَالُوا صَلُّوا﴾ غابوا ﴿عَنَّا﴾ فلم نرهم ﴿وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ عند الموت ﴿أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾.

﴿يَنْبِئُكَ إِذًا﴾ ما جاء في نزول الآية (٣١): أخرج مسلم عن ابن عباس قال: كانت المرأة تطوف بالبيت وهي عريانة تقول: من يعيرني تطوافاً يجعله على فرجها؟ وتقول: اليوم يدو بعضه أو كله. فما بدا منه فلا أحله. فنزلت هذه الآية: ﴿حُدُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ ولا تُشْرِكُوا إِسْمَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالتَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نَفِصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَإِلَافِهِمُ الْبَغْيُ وَالتَّجْوِيزُ وَالْحَقُّ أَن تَشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُرْسِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ولكل أمة أجل فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ﴿يَنْبِئُكَ إِذًا﴾ ما يأتيتكم رُسُلٌ مِنْكُمْ يَفْضُونَ عَلَيْكُمْ أَيُّكُمْ فَمَنْ أَتَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ إِنَّمَا يَصِيبُهُمْ مِنَ الْعَذَابِ حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ تَهْرُؤُهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا اضْلُوعًا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿٣٧﴾

[٣١] ﴿يَنْبِئُكَ إِذًا﴾ ما يستعرونكم (٣٠) عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ عند الصلاة والطواف ﴿حُدُوا زِينَتَكُمْ﴾ ما شئتم ﴿وَلَا تُشْرِكُوا إِسْمَ اللَّهِ﴾

(٣١) ما جاء في نزول الآية (٣١): أخرج مسلم عن ابن عباس قال: كانت المرأة تطوف بالبيت وهي عريانة تقول: من يعيرني تطوافاً يجعله على فرجها؟ وتقول: اليوم يدو بعضه أو كله. فما بدا منه فلا أحله. فنزلت هذه الآية: ﴿حُدُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾. مسلم - كتاب التفسير (٥٤) باب (٢) رقم (٣٠٢٨).

(١) بالرفع قراءة نافع.

[٣٨] ﴿قَالَ﴾ - تعالى - لهم يوم القيامة: ﴿ادْخُلُوا فِي﴾ جملة ﴿أمر قد دخلت من قبلكم من الجن والإنس في النار﴾ متعلق بـ ﴿ادخلوا﴾. ﴿كلما دخلت أمة﴾ النار ﴿لمنت أخفها﴾ التي قبلها؛ لضلالها بها ﴿حتى إذا أداركها﴾ تلاحقوا ﴿فيها جميعاً قالت أخرجهم﴾ وهم الأنبياء ﴿ولا أولئهم﴾ أي: لا أعلمهم^(١)؛ وهم: المشبورون: ﴿ربنا هؤلاء أصلونا فتأبناهم عذاباً ضِعْفًا مَضْعُفًا﴾ من النار قال - تعالى -: ﴿ليكل﴾ منكم ومنهم ﴿ضعف﴾ عذاب مضعف ﴿ولكن لا يعلمون﴾ [بالياء والناء^(٢)، ما لكل فريق.

[٣٩] ﴿وقالت أولئهم لأخرجهم فما كانت لكر علينا من فضل لأنكم لم تكفروا بسبينا؛ فحنن وأنتم سواء﴾ قال - تعالى - لهم: ﴿فدوفوا العذاب بما كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾.

[٤٠] ﴿إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا﴾ تكبروا ﴿عنها﴾ فلم يؤمنوا بها ﴿ولا فتتح لهم أبواب السماء﴾ إذا غرغ بأرواحهم إليها بعد الموت، يهبط بها إلى «سجين»، بخلاف المؤمن، ففتح له، ويصعد بروحه إلى السماء السابعة؛ كما ورد في حديث^(٣)، ﴿ولا يسلطون الجنة حتى يلبح﴾ يدخل ﴿المسل في سائر الخياطين﴾ ثقب الإبرة، وهو غير ممكن، فكذا دخولهم ﴿وكذلك﴾ الجزاء ﴿تجزى المجرمين﴾ بالكفر، [٤١] ﴿لهم من جهنم مهاد﴾ فراش ﴿ومن فوقهم غواش﴾ أعظية من النار، جمع عاشية، وتنوينه عوض من الياء المحذوفة ﴿وكذلك تجزي الظالمين﴾.

[٤٢] ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ مبتدأ، وقوله: ﴿لا تكلف نفساً إلا وسعها﴾ طاقتهما من العمل اعتراض بينه وبين خبره؛ وهو: ﴿وأولئك أصحبت الجنة هم فيها خالدون﴾.

[٤٣] ﴿وزرعنا ما في صدورهم من علي﴾ حقد كان بينهم في الدنيا ﴿تجزي من تخيمهم﴾ تحت قصورهم ﴿الآنهم﴾ وقالوا: عند الاستقرار في منازلهم ﴿الهدى إلى الذي هدانا لهذا﴾ العمل الذي هذا جزاؤه ﴿وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله﴾ حذف جواب ﴿كولا﴾ لدلالة ما قبله عليه. ﴿لقد جاءت رسلنا بالحق ونودوا أن﴾ مخففة؛ أي: أنه، أو مفسرة في المواضع الخمسة ﴿فلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون﴾^(٤).

قَالَ ادْخُلُوا فِي أَمْرٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كَمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ آخَتَهَا حَتَّى إِذَا آدَارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أَخْرِجْهُمْ لَوْلَاهُمْ رَبَّنَا هَذَا أَصْلُونَا فَتَأَبْنَا عَنْهُمْ عَذَابًا ضِعْفًا مَضْعُفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ مِنْكُمْ وَمِنْهُمْ ضِعْفٌ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أَوْلَئِهِمْ لَأَخْرِجُهُمْ فَمَا كَانَتْ لَكُرِّ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلِ فَدَوْفُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا فَلَمْ يُمْنُوا بِهَا وَلَا نَفَتْ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلْبِغَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ تُجْزَى الْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ تُجْزَى الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَزَرَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ عَلِيٍّ تَجْزَى مِنْ تَخِيمِهِمْ تَحْتِ قُصُورِهِمْ وَالْآنَ هُمْ فِي مَا كَانُوا يَنْزِلُونَ وَكَذَلِكَ يَهْتَدِي لَوْلَا أَنْ هَدَيْنَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكَ الْجَنَّةُ أَوْرَثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾

(١) فائدة: أخرج مسلم عن أبي سعيد وأبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «ينادي منادي: إن لكم أن تحبوا فلا تموتوا أبداً، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً، وإن لكم أن تتعموا فلا تبسوا أبداً، فذلك قول الله ﷻ: ﴿وَنُودُوا أَنْ تِلْكَ الْجَنَّةُ أَوْرَثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾». مسلم - كتاب الجنة (٥١) باب (٨) في دوام نعيم أهل الجنة.

(٢) وفي نسخة «الأجلهم».

(٣) بالياء قراءة شعبة.

(٤) روى أحمد (٨٥٥١)، والنسائي (١٨٣٣)، وابن ماجه (٤٢٦٢) عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال: «الميت تحضره الملائكة؛ فإذا كان الرجل صالحاً، قالوا: اخرجي أيتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب، اخرجي حميدة، وأبشري بروح وريحان ورب غير غضبان، فلا يزال يقال لها ذلك حتى تنتهي إلى السماء السابعة التي فيها الله ﷻ. وإذا كان الرجل سوءاً، قالوا: اخرجي أيتها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث، اخرجي ذميمة، وأبشري بحميم وغساق وآخر من شكله أزواج، فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج، ثم يبرج بها إلى السماء فيستفتح لها فيقال: من هذا؟ فيقال: فلان. فيقال: لا مرحبا بالنفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث. ارجعي ذميمة؛ فإنها لا تفتح لك أبواب السماء؛ فترسل من السماء ثم تصير إلى القبر». والحديث أصله في الصحيحين وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٢٤٢٧).

﴿أَنْ لَّمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾.

[٤٥] ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ﴾ الناس ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دينه ﴿وَيَبْغُونَ﴾ أي: يطلبون السبيل ﴿عِوَجًا﴾ معوجة ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ﴾.

[٤٦] ﴿وَيَبْغُونَ﴾ أي: أصحاب الجنة والنار ﴿حِجَابًا﴾ حاجر، قيل: هو سور الأعراف ﴿وَعَلَى الأَعْرَافِ﴾ وهو سور الجنة ﴿رِجَالٌ﴾ استوت حسنتهم وسيتانهم؛ كما في الحديث^(١) ﴿يَعْرِفُونَ كُلًّا﴾ من أهل الجنة والنار ﴿بِسِيمَتِهِمْ﴾ بعلامتهم؛ وهي: يبيض الوجوه للمؤمنين وسوادها للكافرين؛ لرؤيتهم لهم؛ إذ موضعهم عال ﴿وَنَادُوا أَصْحَابَ الجنةَ أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْنَا﴾ قال - تعالى -: ﴿لَنْ يَدْخُلُوهَا﴾ أي: أصحاب الأعراف الجنة ﴿وَهُمْ يَطْمَئِنُّونَ﴾ في دخولها. قال الحسن: لم يطمعهم إلا لكرامة يريدها بهم. وروى الحاكم عن حذيفة قال: «بينما هم كذلك إذ طلع عليهم ربك فقال: قوموا ادخلوا الجنة؛ فقد غفرت لكم»^(٢).

[٤٧] ﴿وَأَيُّ أَصْحَابِ الأَعْرَافِ﴾ أي: أصحاب الأعراف ﴿بِلقاءِ﴾ جهة ﴿أَصْحَابِ النارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِي النارِ﴾ مع القوم الظالمين.

[٤٨] ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الأَعْرَافِ رِجَالًا﴾ من أصحاب النار ﴿يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَتِهِمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ ﴿٤٨﴾ ﴿أَهْلَؤَلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَبُوءُونَ﴾ أي: واستكباركم عن الإيمان، ويقولون لهم مشيرين إلى ضعفاء المسلمين: ﴿أَهْلَؤَلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَبُوءُونَ﴾ قد قيل لهم: ﴿أَدْخُلُوا الجنةَ لَا خَوْفَ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ ﴿٤٩﴾ ﴿أَدْخُلُوا﴾ بالبناء للمفعول، و«دخّلوا»^(٣) فجملة النفي حال؛ أي: مقولاً لهم ذلك^(٤).

[٥٠] ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النارِ أَصْحَابَ الجنةَ أَنْ أَوْضُوا عَلَيْنَا مِنَ المَاءِ أَوْ مِثْرًا رَزَقْنَاهُمْ﴾ من الطعام ﴿قَالُوا إِنَّ اللهَ حَرَّمَهَا﴾ منعها ﴿عَلَى الكافرين﴾.

[٥١] ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلِبًا وَعَزَّزْتُمُ الحَيوةَ الدُّنْيَا قَالِيَوْمَ نُنْفِسُكُمْ﴾ تركهم في النار ﴿كَمَا كُنْتُمْ أَلْفَاةً يَوْمَهُمْ هَذَا﴾ بتركهم العمل له ﴿وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ أي: وكما جحدوا.

وَنَادَى أَصْحَابُ الجنةَ أَصْحَابَ النارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ قَالَتِ الْمُؤَدَّنُ بَيْنَهُمْ إِنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤٦﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَيَبْغُونَهَا حِجَابًا وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَتِهِمْ وَنَادُوا أَصْحَابَ الجنةَ أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْنَا لِيُرِيدَ خُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَئِنُّونَ ﴿٤٦﴾ * وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ القومِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَى أَصْحَابُ الأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَتِهِمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهْلَؤَلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَبُوءُونَ لَكُمْ اللهُ بِرَحْمَةٍ أَدْخَلُوا الجنةَ لَا خَوْفَ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾ وَنَادَى أَصْحَابُ النارِ أَصْحَابَ الجنةَ أَنْ أَوْضُوا عَلَيْنَا مِنَ المَاءِ أَوْ مِثْرًا رَزَقْنَاهُمْ اللهُ قَالُوا إِنَّ اللهَ حَرَّمَهَا عَلَى الكافرين ﴿٥٠﴾ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلِبًا وَعَزَّزْتُمُ الحَيوةَ الدُّنْيَا قَالِيَوْمَ نُنْفِسُكُمْ كَمَا كُنْتُمْ أَلْفَاةً يَوْمَهُمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾

[٤٤] ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الجنةَ أَصْحَابَ النارِ﴾ تقييداً أو توكيداً: ﴿أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا﴾ من الثواب ﴿حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ﴾ كم ﴿رَزَقْنَاهُمْ﴾ من العذاب ﴿حَقًّا قَالُوا نَعَمْ قَالَتِ الْمُؤَدَّنُ بَيْنَهُمْ﴾ نادى مناد ﴿بَيْنَهُمْ﴾ بين الفريقين أسمعهم:

(١) أخرجه أبو الشيخ وابن مردويه وابن عساکر عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «توضع الميزان يوم القيامة فتوزن الحسنات والسيئات، فمن رجحت حسناته على سيئاته مثقال صوابه دخل الجنة، ومن رجحت سيئاته على حسناته مثقال صوابه دخل النار». قيل: يا رسول الله فمن استوت حسناته وسيئاته؟ قال: «أولئك أصحاب الأعراف» ﴿لَنْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَئِنُّونَ﴾.

والأحاديث والآثار في هذا المعنى كثيرة وإلدر المنثور (١/٦٦٢/٣).

(٢) الحاكم (٢/٣٢٠)، وقال في التلخيص: على شرط البخاري ومسلم.

(٣) وهما قراءتان شاذتان، على عادة المصنف رحمه الله؛ حيث يغير في الشاذ في الغالب «بقرى»، وفي السبعي بقوله: «وفي قراءة».

(٤) قال السمين الحلبي: «أبي وعلى هاتين القراءتين؛ فالجملة النافية في محل نصب بقول مقدر، ذلك القول منصوب على الحال؛ أي مقولاً لهم: لا خوف... له».

[٥٢] ﴿وَلَقَدْ جِئْتَهُمْ﴾ أي: أهل مكة ﴿بِكِتَابٍ﴾ قرآن ﴿فَصَلَّيْنَاهُ﴾ بَيَّنَّاهُ بالأخبار والوعيد والوعيد ﴿وَعَلَىٰ عِلْمٍ﴾ حال؛ أي: عالين بما فُضِّلَ فيه ﴿هُدًى﴾ حال من الهاء ﴿وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ به .

[٥٣] ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ ما ينتظرون ﴿إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾ عاقبة ما فيه ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ﴾ هو يوم القيامة ﴿يَقُولُ الَّذِينَ سَبَّوْهُ مِنْ قَبْلُ﴾ تركوا الإيمان به: ﴿قَدْ جَاءَتْ رَبَّنَا بِالْحَقِّ فَبَلَّغْنَا مِنْ آيَاتِنَا إِلَهُكَ﴾ ﴿فَتَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ نوحده الله ونترك الشرك؛ فيقال لهم: لا .

قال - تعالى -: ﴿قَدْ خَيْرُوا أَنفُسَهُمْ﴾ إذ صاروا إلى الهلاك ﴿وَصَلَّ﴾ ذهب ﴿عَنَّهُمْ مَا كَانُوا يَفْعَرُونَ﴾ من دعوى الشركين .

[٥٤] ﴿إِن كَرِهَ رَبِّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ من أيام الدنيا؛ أي: في قدرها؛ لأنه لم يكن ثمَّ شمس، ولو شاء خلقهن في لحظة، والعدول عنه لتعليم خلقه التثبت ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى السَّمَوَاتِ﴾ هو في اللغة: سير الملك، استواءً يليق به^(١) ﴿يُعْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾ مخففاً ومشدداً^(٢)؛ أي: يُعْطِي كُلًّا مِنْهُمَا بِالْآخِرِ ﴿يَطْلُبُهُ﴾ يطلب كل منهما بالآخر طلباً ﴿حَيْثُ كَانَ سَرِيعًا﴾ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ ﴿بِالنَّصْبِ عَطْفًا عَلَى السَّمَوَاتِ﴾ والرفع مبتدأ خبره: ﴿مُسَخَّرَاتٍ﴾^(٣) مُذَلَّلَاتٍ ﴿بِأَمْرِهِ﴾ بقدرته^(٤) ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ﴾ جميعاً ﴿وَالْأَكْرَمُ﴾ كله ﴿تَبَارَكَ﴾ تعظيم ﴿اللَّهُ رَبُّ﴾ مالك ﴿الْعَالَمِينَ﴾ .

[٥٥] ﴿ادْعُوا رَبِّكُمْ تَضَرُّعًا﴾ حال؛ تذللاً ﴿وَرُخْفَةً﴾ سراً ﴿إِنَّهُ لَا يَجِدُ الْمُتَعَدِّينَ﴾ في الدعاء؛ بالتشدد ورفع الصوت .

[٥٦] ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ بالشرك والمعاصي ﴿بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ بيعت الرسل ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا﴾ من عقابه ﴿وَطَمَعًا﴾ في رحمته ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ المطيعين، وتذكير ﴿قَرِيبٌ﴾ الخبير به عن ﴿رَحْمَتِكَ﴾ لإضافتها إلى الله .

[٥٧] ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ﴾ [نُشْرًا]^(٥) بِيَدَيْ رَحْمَتِهِ ﴿أَي: متفرقة فُدَّامَ المطر، وفي قراءة: بسكون الشين تخفيفاً^(٦)، وفي أخرى: بسكونها وفتح النون مصدر^(٧)، وفي أخرى: بسكونها وضم الموحدة بدل النون^(٨)؛ أي: مبشراً، ومفرد الأولى: «نشور» كـ«رسول»، والأخيرة^(٩): «بشير» ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ﴾ حملت الرياح ﴿سَحَابًا يَقْرَأُ﴾ بالمطر

وَلَقَدْ جِئْتَهُمْ بِكِتَابٍ فَصَلَّيْنَاهُ عَلَىٰ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ وَيَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ ﴿٥٣﴾ قَدْ جَاءَتْ رَبَّنَا بِالْحَقِّ فَبَلَّغْنَا مِنْ آيَاتِنَا إِلَهُكَ ﴿٥٤﴾ ادْعُوا رَبِّكُمْ تَضَرُّعًا وَرُخْفَةً إِنَّهُ لَا يَجِدُ الْمُتَعَدِّينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا لِّبَنِينَ بِيَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا نِّقَالًا سَقَيْنَا لِبَلَدِهِ مِائِمًا فَانزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾

﴿سَقَيْنَاهُ﴾ أي: السحاب، وفيه التفات عن الغيبة ﴿لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ لا نبات به؛ أي: لإحيائها ﴿فَانزَلْنَا بِهِ﴾ بالبلد ﴿الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ﴾ بالماء ﴿مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ﴾ الإخراج ﴿نُخْرِجُ الْمَوْتَى﴾ من قبورهم بالإحياء ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ فتؤمنون .

(١) إن كان المصنف يريد بذلك توبيخ كيفية الاستواء فهذا حق، كما قال مالك: «... والكيف مجهول»، وأما إن كان يريد بذلك أن معنى الاستواء نفسه مجهول، فيكون فراغاً من إثبات صفة العلو والاستواء على العرش؛ إذ إن كلام السلف في معنى الاستواء أنه العلو والارتفاع والاستقرار .
(٢) بتشديد الشين، ولازمه فتح الباء قراءة حمزة والكسائي وشعبة .
(٣) بالرفع في الأربع الكلمات قراءة ابن عامر .
(٤) وهذا صرف اللفظ عن ظاهره، وتعطيل لصفة الأمر، والمراد منه كلام الله وحكمه، وهو غير القدرة .
(٥) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو .
(٦) لابن عامر .
(٧) لحمزة والكسائي .
(٨) وهي قراءة عاصم .
(٩) في نسخة مطبوعة: «والآخرة» .

رَبِّهِ ﴿ هَذَا مَثَلٌ لِلْمُؤْمِنِ بِسَمْعِ الْمَوْعِظَةِ فَيَنْتَفِعُ بِهَا ﴾ ﴿ وَالَّذِي خَبَتْ ﴾ تَرَابَهُ ﴿ لَا يَخْرُجُ ﴾ نَبَاتُهُ ﴿ إِلَّا نَكِيدًا ﴾ غَيْرًا بِمَشَقَّةٍ، وَهَذَا مَثَلٌ لِلْكَافِرِ ﴿ كَذَلِكَ ﴾ كَمَا يَكُونُ مَا ذُكِرَ ﴿ نُصْرَفُ ﴾ نَبِيُّنُ ﴿ الَّذِينَ لِقَوْمِهِمْ يَشْكُرُونَ ﴾ اللَّهُ فَيُؤْمِنُونَ.

[٥٩] ﴿ لَقَدْ ﴾ جَوَابُ قِسْمٍ مَحذُوفٍ ﴿ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَنْقُورُ عَبْدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِهِ ﴾ بِالْحُرِّ (١) صِفَةً لَهُ ﴿ إِلَهُي ﴾، وَبِالرَّفْعِ بَدَلٌ مِنْ مَحَلِّهِ ﴿ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ ﴾ إِنْ عَبْدْتُمْ غَيْرَهُ ﴿ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ.

[٦٠] ﴿ قَالَ الْمَلَأُ ﴾ الْأَشْرَافُ ﴿ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرِيكَ فِي صَدَلٍ مُبِينٍ ﴾ يَبِينُ.

[٦١] ﴿ قَالَ يَنْقُورُ لَيْسَ بِ صَلَاةٍ ﴾ هِيَ أَمُّ مِنَ الضَّلَالِ؛ فَفِيهَا أَبْلَغُ مِنْ نَفِيهِ ﴿ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾.

[٦٢] ﴿ [أَبْلَغُكُمْ] ﴾ (٢) بِالنَّخْفِيفِ وَالشَّدِيدِ ﴿ رَسَلْتَنِي رَبِّي وَأَنْصَحُ ﴾ أُرِيدُ الْحَيْرَ ﴿ لَكُرْ وَأَعْلَمُ ﴾ مِنْ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ.

[٦٣] ﴿ أَمْ ﴾ كَذِبٌ ﴿ وَبِحَسْرَةٍ أَنْ جَاءَكَ ذِكْرٌ ﴾ مَوْعِظَةٌ ﴿ مِنْ رَبِّكَ ﴾ عَلَيَّ ﴿ لَسَانَ ﴾ رَجُلٍ يَنْكُرُ يُنذِرُكُمْ ﴿ الْعَذَابِ إِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا ﴾ ﴿ وَلِنَقُورًا ﴾ اللَّهُ ﴿ وَلَقَدْ كُورُؤْمُونَ ﴾ بِهَا.

[٦٤] ﴿ كَذَبُوهُ فَانجَبْتَهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ ﴾ مِنَ الْغُرُقِ ﴿ فِي الْفُلِكِ ﴾ السَّفِينَةِ ﴿ وَأَعْرَفْنَا الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا ﴾ بِالطُّورِفَانِ ﴿ إِنِّي هُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ﴾ عَنِ الْحَقِّ.

[٦٥] ﴿ وَ ﴾ أَرْسَلْنَا ﴿ إِلَىٰ عَادٍ ﴾ الْأُولَى (٣) ﴿ لَهَا هُمْ هُودًا ﴾ قَالَ يَنْقُورُ عَبْدُوا اللَّهَ ﴿ وَحَدِيثُهُ ﴾ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرَهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿ تَخَافُونَهُ فَتُؤْمِنُونَ.

[٦٦] ﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرِيكَ فِي سَفَاهَةٍ ﴾ جَهَالَةٍ ﴿ وَإِنَّا لَنُنظُّنُكَ ﴾ مِنَ الْكَذِبِينَ ﴿ فِي رِسَالَتِكَ.

[٦٧] ﴿ قَالَ يَنْقُورُ لَيْسَ بِ سَفَاهَةٍ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾.

وَالْبَدَأُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبَتْ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِيدًا كَذَلِكَ أَنْصَرَفُ الْأَيْدِي لِقَوْمِهِمْ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَنْقُورُ عَبْدُوا اللَّهَ وَاللَّهُ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرِيكَ فِي صَدَلٍ مُبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَنْقُورُ لَيْسَ بِ صَلَاةٍ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبْلَغُكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوْ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَبُوهُ فَانجَبْتَهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلِكِ وَأَعْرَفْنَا الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾ وَالَّذِينَ عَادُوا أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَنْقُورُ عَبْدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَأَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرِيكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنُنظُّنُكَ مِنَ الْكَذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَنْقُورُ لَيْسَ بِ سَفَاهَةٍ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٧﴾

[٥٨] ﴿ وَالْبَدَأُ الطَّيِّبُ ﴾ الْعَذْبُ التَّرَابِ ﴿ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ ﴾ حَسَنًا ﴿ بِإِذْنِ

(١) وهي قراءة الكسائي.

(٢) بالنخفيف قراءة أبي عمرو.

(٣) وهم قوم نبي الله هود عليه السلام؛ كما جاء وصفهم بذلك في سورة النجم في قوله تعالى: ﴿وَأَنذَرْتَهُمْ أَهْلَكُ عَادًا الْأُولَى﴾ [النجم: ٥٠]، وأما عاد الآخرة، وهم المعينون بوعده عند الإطلاق - فهم

«شوء» قوم نبي الله صالح عليه السلام.

[٦٨] ﴿أَبْلَغْتُمْ وَسَلَكْتُمْ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ مأمون على الرسالة.
 [٦٩] ﴿أَوْ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى لِسَانٍ رَّجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَأَذْكُرَكُمْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَرَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَضْطَةً قُوَّةً وَطَوْلًا، وَكَانَ طَوْلُهُمْ مِائَةَ ذِرَاعٍ وَفَصِيرَتُهُمْ سِتِينَ^(١)﴾ فَادْكُرُوا ءَالَ اللَّهِ فِي نِعْمَةٍ ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ﴾ تفوزون.
 [٧٠] ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَإِنَّا بِمَا تَعْبُدُونَ مِنَّا لَمَلَكُوا تَفْلِحُونَ﴾ إن كنت من الصّديقين في قولك.
 [٧١] ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ وَجِبَ عَلَيَّكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ رَجْسٌ عَذَابٌ وَعَظِيمٌ أَتَجِدُونَنِي فِي سَمَاءٍ سَمِيئُوهَا﴾ أي: سميت بها أنته وءاباؤكم أصناما تعبدونها ﴿مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا﴾ أي: بعبادتها ﴿مِن سُلْطَنٍ حِجَّةً وَبِرْهَانٍ فَانظُرُوا﴾ العذاب ﴿إِنِّي مَعَكُمْ مِّنَ الْمُنظَرِينَ﴾ ذلك بتكذيبكم لي؛ فأرسلت عليهم الريح العقيم.
 [٧٢] ﴿فَأَنجَيْنَاهُ﴾ أي: هوذا ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ من المؤمنين ﴿يَرْجِعُونَ وَإِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ أي: استأصلناهم ﴿وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ عطف على ﴿كَذَّبُوا﴾.
 [٧٣] ﴿و﴾ أرسلنا ﴿إِلَى ثَمُودَ﴾ بترك الصرف^(٢)؛ مرادًا به القبيلة ﴿أَنَّهُمْ صَالِحٌ قَالَ يَتَقَوَّمُوا عِبَادًا لِلَّهِ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ معجزة ﴿مِن رَّبِّكُمْ﴾ على صدقي ﴿هَذِهِ نَافَةٌ اللَّهُ لَكُمْ آيَةٌ﴾ حال، عاملها معنى الإشارة، وكانوا سألوه أن يخرجها لهم من صخرة غشيها ﴿فَدَرُوهَا تَأْكُلُ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا يُسُوءُ﴾ يعقر أو ضرب ﴿فِيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

أَبْلَغْتُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوْ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى لِسَانٍ رَّجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَأَذْكُرَكُمْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَرَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَضْطَةً قُوَّةً وَطَوْلًا، وَكَانَ طَوْلُهُمْ مِائَةَ ذِرَاعٍ وَفَصِيرَتُهُمْ سِتِينَ^(١) فَادْكُرُوا ءَالَ اللَّهِ فِي نِعْمَةٍ ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ﴾ تَفُوزُونَ.
 [٧٠] قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَإِنَّا بِمَا تَعْبُدُونَ مِنَّا لَمَلَكُوا تَفْلِحُونَ
 [٧١] قَالَ قَدْ وَقَعَ وَجِبَ عَلَيَّكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ رَجْسٌ عَذَابٌ وَعَظِيمٌ أَتَجِدُونَنِي فِي سَمَاءٍ سَمِيئُوهَا أَي: سَمِيَّتْ بِهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ أَصْنَامًا تَعْبُدُونَهَا ﴿مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا﴾ أَي: بِعِبَادَتِهَا ﴿مِن سُلْطَنٍ حِجَّةً وَبِرْهَانٍ فَانظُرُوا﴾ الْعَذَابُ ﴿إِنِّي مَعَكُمْ مِّنَ الْمُنظَرِينَ﴾ ذَلِكَ بِتَكْذِيبِكُمْ لِي؛ فَأَرْسَلْتُ عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ.
 [٧٢] فَأَنجَيْنَاهُ أَي: هُوَذَا ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿يَرْجِعُونَ وَإِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ أَي: اسْتَأْصَلْنَاهُمْ ﴿وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ عَطْفٌ عَلَى ﴿كَذَّبُوا﴾.
 [٧٣] ﴿و﴾ أَرْسَلْنَا ﴿إِلَى ثَمُودَ﴾ بِتَرْكِ الصَّرْفِ^(٢)؛ مَرَادًا بِهَ الْقَبِيلَةَ ﴿أَنَّهُمْ صَالِحٌ قَالَ يَتَقَوَّمُوا عِبَادًا لِلَّهِ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ مَعْجَزَةٌ ﴿مِن رَّبِّكُمْ﴾ عَلَى صِدْقِي ﴿هَذِهِ نَافَةٌ اللَّهُ لَكُمْ آيَةٌ﴾ حَالٌ، عَامِلُهَا مَعْنَى الْإِشَارَةِ، وَكَانُوا سَأَلُوهُ أَنْ يُخْرِجَهَا لَهُمْ مِنْ صَخْرَةٍ غَشِيَتْهَا ﴿فَدَرُوهَا تَأْكُلُ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا يُسُوءُ﴾ يَعْقِرُ أَوْ ضَرْبٌ ﴿فِيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

(١) تحديد طول أطولهم وأقصهرهم على هذا النحو مخالف لما جاء في الصحيح في وصف آدم عليه السلام؛ ففي الصحيحين وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: «خلق الله آدم وطوله ستون ذراعًا فلم يرزل الخلق ينقص بعده حتى الآن». البخاري (٣٣٢٦)، ومسلم (٢٨٤١). فهذا الحديث صريح في أنه ليس بعد آدم من هو أطول منه.

(٢) أي بالنقص من الصرف؛ للعلمية والتأنيث.

وَبَوَّأَكُمْ ﴿٧٦﴾ أَسْكَنْكُمْ ﴿٧٦﴾ فِي الْأَرْضِ تَنْبِذُونَ مِنْ سُهولِهَا فَصُورًا ﴿٧٦﴾ تَسْكُونُهَا فِي الصَّيْفِ ﴿٧٦﴾ وَتَنْجُونَ الْجِبَالَ بِيُوتًا ﴿٧٦﴾ تَسْكُونُهَا فِي الشَّوَاءِ، وَنُصِبَ عَلَى الْحَالِ الْمَقْدَرَةُ ﴿٧٦﴾ فَأَذْكُرُوا آيَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٦﴾.

[٧٥] ﴿٧٥﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ، تَكَبَّرُوا عَنِ الْإِيمَانِ بِهِ ﴿٧٥﴾ لِلَّذِينَ اسْتَضَعُوا لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ ﴿٧٥﴾ أَي: مِنْ قَوْمِهِ، بَدَلُ مَا قَبْلَهُ لِإِعَادَةِ الْجَارِ ﴿٧٥﴾ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مَرَّسَلٌ مِنْ رَبِّهِ، إِلَيْكُمْ ﴿٧٥﴾ قَالُوا: نَعَمْ ﴿٧٥﴾ إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ، مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾.

[٧٦] ﴿٧٦﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي ءَامَنْتُمْ بِهِ، كَافِرُونَ ﴿٧٦﴾ وَكَانَتِ النَّاقَةُ لَهَا يَوْمَ فِي الْمَاءِ وَلَهُمْ يَوْمَ، فَمَلُوا ذَلِكَ.

[٧٧] ﴿٧٧﴾ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ ﴿٧٧﴾ عَقَرَهَا «فَعَدَّاهُ» (١) بِأَمْرِهِمْ؛ بَأَن قَتَلَهَا بِالسَّيْفِ ﴿٧٧﴾ وَعَعَرُوا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يُصَلِّحُ أَثْمِنًا يَمَّا تَعَدَّاهُ ﴿٧٧﴾ بِهِ مِنَ الْعَذَابِ عَلَى قَتْلِهَا ﴿٧٧﴾ إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾.

[٧٨] ﴿٧٨﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ ﴿٧٨﴾ الرَّزْلَةُ الشَّدِيدَةُ مِنَ الْأَرْضِ، وَالصَّيْحَةُ مِنَ السَّمَاءِ ﴿٧٨﴾ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَثِيمِينَ ﴿٧٨﴾ بَارَكِينَ عَلَى الرُّكْبِ مَبِيتِينَ.

[٧٩] ﴿٧٩﴾ فَتَوَلَّى ﴿٧٩﴾ أَعْرَضَ صَالِحٌ ﴿٧٩﴾ عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحَةَ ﴿٧٩﴾.

[٨٠] ﴿٨٠﴾ وَ﴿٨٠﴾ لَوْطًا ﴿٨٠﴾ وَيُثِدُّ مِثْنَهُ ﴿٨٠﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ النَّجْحَةَ ﴿٨٠﴾ أَي: أَدْبَارَ الرِّجَالِ ﴿٨٠﴾ مِمَّا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَسَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ.

[٨١] ﴿٨١﴾ [الْإِنكُم] ﴿٨١﴾ بِتَحْقِيقِ الْهَمْزَتَيْنِ، وَتَسْهِيلِ الثَّانِيَةِ، وَإِدْخَالِ الْأَلْفِ بَيْنَهُمَا عَلَى الْوَجْهِينِ، وَفِي قِرَاءَةِ ﴿٨١﴾ [إِنكُم] (٢) ﴿٨١﴾ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِثْنِ دُونَ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ مُتَجَاوِزُونَ الْحِلَالَ إِلَى الْحَرَامِ.

وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَا خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ ﴿٧٦﴾ فِي الْأَرْضِ تَنْبِذُونَ مِنْ سُهولِهَا فَصُورًا وَتَنْجُونَ الْجِبَالَ بِيُوتًا فَأَذْكُرُوا آيَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٦﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعُوا لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مَرَّسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي ءَامَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَعَرُوا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يُصَلِّحُ أَثْمِنًا يَمَّا تَعَدَّاهُ إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَثِيمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحَةَ ﴿٧٩﴾ وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ النَّجْحَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِثْنِ دُونَ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾

[٧٤] ﴿٧٤﴾ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَا خُلَفَاءَ ﴿٧٤﴾ فِي الْأَرْضِ ﴿٧٤﴾ مِنْ بَعْدِ عَادٍ ﴿٧٤﴾

(١) أي تنجوتها مقدّرين جعلها بيوتًا لكم.

(٢) ابن سالف.

(٣) قرأ السبعة عددا نافع وحفص بهمزتين على لفظ الاستفهام، الذي في معناه التوبيخ، غير أن ابن كثير يسهل الهمزة الثانية بين الهمزة والياء، وكذلك أبو عمرو لكنه يدخل بين الهمزتين ألفًا فيمد، وهشامًا يدخل بين الهمزتين ألفًا مع تخفيفهما، بخلاف عه، وهكذا في جميع النظائر من كل همزتين مجتمعتين في كلمة، الثانية منهما مكسورة، ومع موافقة نافع لابن كثير موافقة قالون لأي عمرو وهشام.

وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ ﴿٨٢﴾ أَي: لوطاً
وَأَبْنَاءَهُ الَّذِينَ قَرَّبْتُمْ إِلَيْهِمْ أَنْاسٌ يَبْطَلُهُونَ ﴿٨٣﴾ مِنْ أَدْبَارِ الرِّجَالِ.
﴿٨٣﴾ فَأَجَبْتَهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرًا تَمَّ كَانَتْ مِنَ الْفَاطِمِيِّينَ ﴿٨٤﴾ الْبَاقِينَ فِي
الْعَذَابِ.
﴿٨٤﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا ﴿٨٥﴾ هُوَ حِجَارَةٌ السَّجِيلِ؛ فَاهْلَكْتَهُمْ
﴿٨٥﴾ فَأَنْظَرَ كَيْفَ كَانَتْ عِقَابُهُ الْمُجْرِمِينَ.
﴿٨٥﴾ ﴿٨٥﴾ وَأَرْسَلْنَا إِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا
اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ ﴿٨٦﴾ مَعْجزة ﴿٨٦﴾ مِنْ
رَبِّكُمْ ﴿٨٧﴾ عَلَى صِدْقِي ﴿٨٨﴾ فَأَوْفُوا ﴿٨٩﴾ أَمْوَالَكُمْ ﴿٩٠﴾ وَالْمِيزَانَ وَلَا
تَبْخَسُوا ﴿٩١﴾ تَنْقُصُوا ﴿٩٢﴾ النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَفْسُدُوا فِي الْأَرْضِ بِالْكَفْرِ
وَالْمَعَاصِي ﴿٩٣﴾ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ﴿٩٤﴾ بَيْعِ الرِّسْلِ ﴿٩٥﴾ ذَالِكُمْ ﴿٩٦﴾ الْمَذْكُورُ ﴿٩٧﴾ حَتَّى لَكُمْ
إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٨﴾ مَرِيدِي الْإِيمَانِ فَبَادِرُوا إِلَيْهِ.
﴿٩٨﴾ ﴿٩٨﴾ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ طَرِيقٌ ﴿٩٩﴾ تَوْعِدُونَ ﴿١٠٠﴾ تَخَوُّفُونَ
النَّاسَ بِأَخْذِ ثِيَابِهِمْ أَوْ التَّمَكُّسِ (١) مِنْهُمْ ﴿١٠١﴾ وَتَصُدُّونَ ﴿١٠٢﴾ تَصْرِفُونَ ﴿١٠٣﴾ عَنِ سَبِيلِ
اللَّهِ ﴿١٠٤﴾ دِينَهُ ﴿١٠٥﴾ مَنْ ءَامَرَ بِهِ ﴿١٠٦﴾ بِنُوعِدْكُمْ إِيَّاهُ بِالْقَتْلِ ﴿١٠٧﴾ وَتَعْمُونَهَا ﴿١٠٨﴾ تَطْلُبُونَ
الطَّرِيقَ ﴿١٠٩﴾ عَوَجًا ﴿١١٠﴾ مَعُوجَةً ﴿١١١﴾ وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَذَّبْتُمْ
وَأَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَتْ عِقَابَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١١٢﴾ قَبْلَكُمْ بِتَكْذِيبِ رَسُلِهِمْ؛ أَي: أَخْرَجُوا
أَمْرَهُمْ مِنَ الْهَلَاكِ.
﴿١١٢﴾ ﴿١١٢﴾ وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ ءَامَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ
وَطَائِفَةٌ لَا يُؤْمِنُوا بِهِ ﴿١١٣﴾ فَاصْبِرُوا ﴿١١٤﴾ وَانظُرُوا ﴿١١٥﴾ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا
وَبَيْنَكُمْ بِإِجْمَاعِ الْحَقِّ وَهَلَاكِ الْمُبْطَلِ ﴿١١٦﴾ وَهُوَ خَيْرٌ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿١١٧﴾ أَعْدَلُهُمْ.

وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ ﴿٨٢﴾ أَي: لوطاً
وَأَبْنَاءَهُ الَّذِينَ قَرَّبْتُمْ إِلَيْهِمْ أَنْاسٌ يَبْطَلُهُونَ ﴿٨٣﴾ مِنْ أَدْبَارِ الرِّجَالِ.
﴿٨٣﴾ فَأَجَبْتَهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرًا تَمَّ كَانَتْ مِنَ الْفَاطِمِيِّينَ ﴿٨٤﴾ الْبَاقِينَ فِي
الْعَذَابِ.
﴿٨٤﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا ﴿٨٥﴾ هُوَ حِجَارَةٌ السَّجِيلِ؛ فَاهْلَكْتَهُمْ
﴿٨٥﴾ فَأَنْظَرَ كَيْفَ كَانَتْ عِقَابُهُ الْمُجْرِمِينَ.
﴿٨٥﴾ ﴿٨٥﴾ وَأَرْسَلْنَا إِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا
اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ ﴿٨٦﴾ مَعْجزة ﴿٨٦﴾ مِنْ
رَبِّكُمْ ﴿٨٧﴾ عَلَى صِدْقِي ﴿٨٨﴾ فَأَوْفُوا ﴿٨٩﴾ أَمْوَالَكُمْ ﴿٩٠﴾ وَالْمِيزَانَ وَلَا
تَبْخَسُوا ﴿٩١﴾ تَنْقُصُوا ﴿٩٢﴾ النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَفْسُدُوا فِي الْأَرْضِ بِالْكَفْرِ
وَالْمَعَاصِي ﴿٩٣﴾ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ﴿٩٤﴾ بَيْعِ الرِّسْلِ ﴿٩٥﴾ ذَالِكُمْ ﴿٩٦﴾ الْمَذْكُورُ ﴿٩٧﴾ حَتَّى لَكُمْ
إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٨﴾ مَرِيدِي الْإِيمَانِ فَبَادِرُوا إِلَيْهِ.
﴿٩٨﴾ ﴿٩٨﴾ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ طَرِيقٌ ﴿٩٩﴾ تَوْعِدُونَ ﴿١٠٠﴾ تَخَوُّفُونَ
النَّاسَ بِأَخْذِ ثِيَابِهِمْ أَوْ التَّمَكُّسِ (١) مِنْهُمْ ﴿١٠١﴾ وَتَصُدُّونَ ﴿١٠٢﴾ تَصْرِفُونَ ﴿١٠٣﴾ عَنِ سَبِيلِ
اللَّهِ ﴿١٠٤﴾ دِينَهُ ﴿١٠٥﴾ مَنْ ءَامَرَ بِهِ ﴿١٠٦﴾ بِنُوعِدْكُمْ إِيَّاهُ بِالْقَتْلِ ﴿١٠٧﴾ وَتَعْمُونَهَا ﴿١٠٨﴾ تَطْلُبُونَ
الطَّرِيقَ ﴿١٠٩﴾ عَوَجًا ﴿١١٠﴾ مَعُوجَةً ﴿١١١﴾ وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَذَّبْتُمْ
وَأَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَتْ عِقَابَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١١٢﴾ قَبْلَكُمْ بِتَكْذِيبِ رَسُلِهِمْ؛ أَي: أَخْرَجُوا
أَمْرَهُمْ مِنَ الْهَلَاكِ.
﴿١١٢﴾ ﴿١١٢﴾ وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ ءَامَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ
وَطَائِفَةٌ لَا يُؤْمِنُوا بِهِ ﴿١١٣﴾ فَاصْبِرُوا ﴿١١٤﴾ وَانظُرُوا ﴿١١٥﴾ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا
وَبَيْنَكُمْ بِإِجْمَاعِ الْحَقِّ وَهَلَاكِ الْمُبْطَلِ ﴿١١٦﴾ وَهُوَ خَيْرٌ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿١١٧﴾ أَعْدَلُهُمْ.

(١) التَّمَكُّسُ (بفتح الميم وسكون الكاف): الضريبة، والجمالية والإتاوة التي تؤخذ بغير حق. وأصله في اللغة: الخيانة. «والتَّمَكُّسُ»: هو أخذها.

وأخرج مسلم في صحيحه (١٦٩٥) في قصة رجم العاصية: «... لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له...». وفي هذا دليل على عظم هذا الذنب وأن المكس من أقيح المعاصي والذنوب والموبقات؛ وذلك لكثرة مطالبات الناس له وظلماتهم عنده. كما ذكر النووي في شرحه على صحيح مسلم.

وأخرج أحمد في مسنده (١٦٨٤٣) وأبو داود في سننه (٢٩٣٧) من حديث عقبة بن عامر مرفوعاً: «لا يدخل الجنة صاحب مكس». وضعفه الألباني في ضعيف أبي داود (٦٣١).

ملتهم قَطُّ، وعلى نحوه أجاب: ﴿قَالَ أَلَمْ نَعُدْ فِيهَا ﴿وَلَوْ كُنَّا كَرِيمِينَ﴾ لها؟! استفهام إنكار.

[٨٩] ﴿فَإِذْ أَفْتَرْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنَّمَدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ جَعَلْنَا اللَّهُ مَتَابًا وَمَا يَكُونُ﴾ ينبغي ﴿لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَسْأَلَ اللَّهُ رَبُّنَا﴾ ذلك فيدخلنا ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ أي: وسع علمه كل شيء، ومنه حالي وحالكم ﴿عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ﴾ احكم ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْتَزِلِينَ﴾ الحاكمين.

[٩٠] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾ أي: قال بعضهم لبعض: ﴿لَيْنٍ﴾ لام قسم ﴿أَتَبِعْتُمْ شُعْبًا إِذْ كُنَّا إِذَا الْخَيْرُونَ﴾.

[٩١] ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الرِّجْفَةَ﴾ الزلزلة الشديدة ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جاثين﴾ باركين على الرُّكَبِ ميتين ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعْبًا﴾ مبتدأ وخبره: ﴿كَانَ﴾ مخففة، واسمها محذوف؛ أي: كأنهم ﴿لَمْ يَنْتَوُوا﴾ يقيموا ﴿فِيهَا﴾ في ديارهم.

[٩٢] ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعْبًا كَانُوا هُمُ الْخَائِرُونَ﴾ التأكيد بإعادة الموصول وغيره للرد عليهم في قولهم السابق.

[٩٣] ﴿فَتَوَلَّى﴾ أعرض ﴿عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولِي رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾ فلم تؤمنوا ﴿فَكَيْفَ ءَأْسَى﴾ أحزن ﴿عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ استفهام بمعنى النفي^(١).

[٩٤] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ﴾ فكذبوه ﴿إِلَّا أَخَذْنَا عَاقِبَتَنَا﴾ أهلها بالأساءة ﴿وَالضَّرَّاءَ﴾ بشدة الفقر ﴿وَالضَّرَّاءَ﴾ المرض ﴿لَعَلَّهُمْ يَضُرُّونَ﴾ يتذللون فيؤمنون.

[٩٥] ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا﴾ أعطيناهم ﴿مَكَانَ السَّيِّئَةِ﴾ العذاب ﴿الْحَسَنَةَ﴾ الغنى والصحة ﴿حَتَّىٰ عَفَوْا﴾ كثروا ﴿وَقَالُوا﴾ كفروا للنعمة: ﴿قَدْ مَسَّ ءَابَاءَنَا الضَّرَّاءَ وَالسَّرَّاءَ﴾ كما مسنا، وهذه عادة الدهر وليست بعقوبة من الله، فكونوا على ما أنتم عليه، قال - تعالى -: ﴿فَأَخَذْتَهُمُ﴾ بالعذاب ﴿بِقِتَّةٍ﴾ فجأة ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بوقت مجيئه قبله.

﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ بِشُعْبٍ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لنعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أُولُو كُنَّا كَرِيمِينَ﴾ ﴿فَإِذْ أَفْتَرْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنَّمَدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ جَعَلْنَا اللَّهُ مَتَابًا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَسْأَلَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْتَزِلِينَ﴾ ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَيْنٍ أَتَبِعْتُمْ شُعْبًا إِذْ كُنَّا إِذَا الْخَيْرُونَ﴾ ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الرِّجْفَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جاثين﴾ ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعْبًا كَانُوا لَمْ يَنْتَوُوا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعْبًا كَانُوا هُمُ الْخَائِرِينَ﴾ ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولِي رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ ءَأْسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْأَسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرُّونَ﴾ ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ ءَابَاءَنَا الضَّرَّاءَ وَالسَّرَّاءَ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾

[٨٨] ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾ عن الإيمان ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ بِشُعْبٍ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لنعُودَنَّ﴾ ترجعن ﴿في مِلَّتِنَا﴾ ديننا، وغلبوا في الخطاب الجمع على الواحد؛ لأن شعبيًا لم يكن في

[٩٦] ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ لَكَافِرُونَ﴾ المكذبن ﴿ءَامِنُوا﴾ بالله ورسوله ﴿وَاتَّقُوا﴾ الكفر والمعاصي ﴿لَفَتَحْنَا﴾ بالتخفيف والتشديد^(١) ﴿عَلَيْهِمْ﴾ بركت يَنْ السَّمَاءِ ﴿بالمطر﴾ وَالْأَرْضِ ﴿بالنبات﴾ وَلَكِنْ كَذَّبُوا ﴿الرسَل﴾ فَاحْذَرْتَهُمْ ﴿عاقبناهم﴾ ﴿يَمَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

[٩٧] ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ﴾ المكذبون ﴿أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا﴾ عذابنا ﴿بَيْتَاتًا﴾ ليلاً ﴿وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ غافلون عنه.

[٩٨] ﴿أَوْ آمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا صُحْحًا﴾ نهاراً ﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾.

[٩٩] ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ﴾ استدراجاً إياهم بالنعمة وأخذهم بغتة^(٢) ﴿فَلَا يَأْتِيَنَّ مَكْرًا﴾ اللَّهُ إِلَّا الْقَوْمَ الْخَاسِرُونَ ﴿١٠٠﴾.

[١٠٠] ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ﴾ بين ﴿لِلَّذِينَ يَرْتُوبُونَ﴾ الْأَرْضَ ﴿بالسكنى﴾ مِنْ بَعْدِ هَلَاكِ ﴿أَهْلِهَا﴾ أَنْ ﴿فاعل، مخففة واسمها محذوف؛ أي: أنه ﴿لَوْ نَشَاءُ﴾ أَصْبَنَهُمْ ﴿بالعذاب﴾ يَذُوبُهُمْ ﴿كما أصبنا من قبلهم، والهمزة في المواضع الأربعة للتوبيخ، والفاء والواو الداخلة عليهما للعطف، وفي قراءة: يسكون الواو في الموضع الأول^(٣) عطفًا بـ ﴿أَوْ﴾ ﴿وَو﴾ نحن ﴿نَطْبَعُ﴾ نختم ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ الموعظة سماع تدير.

[١٠١] ﴿ذَلِكَ الْقُرَىٰ﴾ التي مر ذكرها ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿مِنْ أَنْبِيَائِهَا﴾ أخبار أهلها ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ المعجزات الظاهرات ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾ عند مجيئهم ﴿يَمَّا كَذَّبُوا﴾ كفروا به ﴿مِنْ قَبْلِ﴾ قبل مجيئهم، بل استمروا على الكفر ﴿كَذَلِكَ﴾ الطبع ﴿يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾.

[١٠٢] ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ﴾ أي: الناس ﴿مِنْ عَهْدٍ﴾ أي: وفاء بعهدهم يوم أخذ الميثاق^(٤) ﴿وَإِنْ﴾ مخففة ﴿وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾.

[١٠٣] ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ أي: الرسل المذكورين ﴿مُوسَىٰ﴾ يَأْتِيَنَّا ﴿التسع﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ﴿قومه﴾ فَظَلَمُوا ﴿كفروا﴾ بِهَا فَأَنْظَرْنَا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿بالكفر من إهلاكهم.

[١٠٤] ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَفِرْعَوْنَ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ إليك.

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامِنُوا وَأَتَقُوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَحَذْتَهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَّتَاتٍ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوْ آمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا صُحْحًا وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْتِيَنَّ مَكْرًا لِلَّهِ إِلَّا الْقَوْمَ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرْتُوبُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصْبَنَهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ ذَلِكِ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبِيَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا يَمَّا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلِكَ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴿١٠١﴾ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَأَنْظَرْنَا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَفِرْعَوْنَ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾

(١) بالتشديد قراءة ابن عامر.

(٢) ومنهذ السلف في هذا النوع من الصفات إثباته لله ﷻ على الوجه اللائق به . شجاعتاً ، وهي فيما سيقف له مدح وكمال، ولكن لا تطلق عليه ﷻ مجردة بدون ذكر متعلقها، وكذا لا يشتق له اسم أو صفة منها؛ فلا يقال: ماكر ولا مخادع.

(٣) وهو قوله - تعالى -: ﴿أَوْ آمِنَ﴾، وهي قراءة نافع وابن عباس وابن عامر.

(٤) وهم في صلب أبيهم آدم ﷺ كما في قوله تعالى: ﴿وَوَدَّ أَنْزَلَ رَبُّكَ مِنْ نَجْوَىٰ مَادَمَ مِنْ لُطُوفِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَنبَتَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَسْتَبْرَأُكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

- [١٠٦] ﴿قَالَ﴾ فرعون له: ﴿إِنْ كُنْتُ جِئْتُ بِآيَةٍ﴾ على دعواك ﴿فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتُ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ فيها.
- [١٠٧] ﴿فَأَلْفَنُ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾ حية عظيمة.
- [١٠٨] ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ﴾ أخرجها من جيبه ﴿فَإِذَا هِيَ بِيضَةٌ﴾ ذات شعاع^(١) ﴿لِلنَّظِيرِينَ﴾ خلاف ما كانت عليه من الأدمة^(٢).
- [١٠٩] ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ﴾ فائق في علم السحر، وفي الشعراء: أنه من قول فرعون نفسه، فكانهم قالوه معه على سبيل التشاور.
- [١١٠] ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَأَمَّا أَنَا فَأَكْرَمُ﴾.
- [١١١] ﴿قَالُوا أَرَبِيَّةٌ وَأُنْثَىٰ﴾ أخر امرهما ﴿وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ جامعين.
- [١١٢] ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سِحْرِ عَالِمٍ﴾ وفي قراءة: ﴿سَحَائِرٍ﴾^(٤) ﴿عَلِيمٍ﴾ بفضل موسى في علم السحر، فجمعوا.
- [١١٣] ﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا أَأُتِينَا﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين^(٥) ﴿لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾.
- [١١٤] ﴿قَالَ نَمَّ وَإِنَّكُمْ لَيَنَّ الْمُرْغَبِينَ﴾.
- [١١٥] ﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ عَصَاكَ﴾ وإمَّا أَنْ تَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ﴾ ما معنا.
- [١١٦] ﴿قَالَ أَلْقُوا﴾ أمر للإذن بتقديم إلقاءهم توصلاً به إلى إظهار الحق ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا﴾ حبالهم وعصيهم ﴿سَكَرُوا عَيْنًا﴾ صرفوها عن حقيقة إدراكها ﴿وَأَسْتَهْوَهُمْ﴾ خوفهم؛ حيث خيلوها حيات تسعى ﴿وَجَاءَهُ سِحْرٌ عَظِيمٌ﴾.
- [١١٧] ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ﴾ بحذف إحدى التاءين في الأصل^(٦)؛ تبتلع ﴿مَا يَأْتِيكُنَّ﴾ يلبون بتمويههم.
- [١١٨] ﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من السحر.
- [١١٩] ﴿فَعُلْبُوا﴾ أي: فرعون وقومه ﴿هَذَا لِكِ أَنْتَقَلَبُوا صُنْعِينَ﴾ صاروا ذليين.
- [١٢٠] ﴿وَأَلْفَى السَّحَرَةُ سَجِدِينَ﴾.

حَقِيقٌ عَلَىٰ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ
مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٠٦﴾ قَالَ إِنْ كُنْتُ
جِئْتُ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتُ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٠٧﴾ فَأَلْفَنُ
عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٨﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بِيضَةٌ
لِلنَّظِيرِينَ ﴿١٠٩﴾ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ
عَلِيمٌ ﴿١١٠﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَأَمَّا أَنَا فَأَكْرَمُونَ
﴿١١١﴾ قَالُوا أَرَبِيَّةٌ وَأُنْثَىٰ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿١١٢﴾ يَأْتُوكَ
بِكُلِّ سِحْرِ عَالِمٍ ﴿١١٣﴾ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنْ
لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ نَمَّ وَعَمَّ وَإِنَّكُمْ
لَيَنَّ الْمُرْغَبِينَ ﴿١١٥﴾ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ عَصَاكَ
تَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ أَلْقُوا لَمَّا أَلْقَوْا سَكَرُوا
عَيْنًا ﴿١١٧﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ
﴿١١٨﴾ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٩﴾ فَعُلْبُوا
هَذَا لِكِ أَنْتَقَلَبُوا صُنْعِينَ ﴿١٢٠﴾ وَأَلْفَى السَّحَرَةُ سَجِدِينَ ﴿١٢١﴾

- [١٠٥] فكذبه فقال: أنا ﴿حَقِيقٌ﴾ جدير ﴿عَلَىٰ أَنْ﴾ أي: بأن ﴿لَا أَقُولُ﴾ على الله إلا الحق، وفي قراءة: بتشديد الياء^(١)، ف﴿حَقِيقٌ﴾ مبتدأ خبره: ﴿أَنْ﴾ وما بعده.
- ﴿قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ﴾ إلى الشام ﴿بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ وكان استعجابهم.

(١) مع فتحها، أي: ياء ﴿عَلَىٰ﴾ من قوله: ﴿حَقِيقٌ عَلَيَّ﴾ وهي لنافع.

(٢) من غير برص ولا مرض.

(٣) أي: السمرة.

(٤) لحزمة والكسائي.

(٥) ظاهر كلام المصنف يفيد أن هنا قراءتين فقط، مع أنها أربع، فكان عليه أن يقول: وإدخال ألف بينهما وتركه، وبقيت خامسة وهي ﴿إِنَّ﴾ بهزئة واحدة، وهي قراءة نافع وابن كثير وحفص، أما قراءة الاستفهام فهي لباقي السبعة، على أصل كل واحد كما سبق ذكره في: ﴿إِنَّكُمْ لَأَتُونَ﴾.

(٦) أي: وأصلها: تلتقف، وهي قراءة السبعة عدا حفص.

[١٢١] ﴿قَالُوا أَمَّا رَبِّي فَأَعْبُدْهُ﴾ .
 [١٢٢] ﴿رَبِّي مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾ لعلمهم بأن ما شاهده من العصا لا يتأتى بالسحر.
 [١٢٣] ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ أَنَّمَنْتُمْ﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفاً^(١) ﴿بِي﴾ بموسى ﴿قَالَ أَن مَّاذَنْ﴾ أنا ﴿لَكُرَّ إِنَّ هَذَا﴾ الذي صنعتموه ﴿لَمَكْرٌ مَّكْرْتُهُمْ فِي الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْمَلُونَ﴾ .
 [١٢٤] ﴿لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ﴾ أي: يد كل واحد اليمنى ورجله اليسرى ﴿ثُمَّ لَأَصْلِبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ .
 [١٢٥] ﴿قَالُوا إِنَّا إِلَهُ رَبِّنَا﴾ بعد موتنا بأي وجه كان ﴿مُتَقَلِّبُونَ﴾ راجعون في الآخرة.
 [١٢٦] ﴿وَمَا نُنْقِمُ﴾ تنكر ﴿وَمَا إِلَا أَنْ ءَامَنَّا بِإِلَهِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَنَا رَبَّنَا أَفَرَأَىٰ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ عند فعل ما توعدنا به؛ لئلا نرجع كفاراً ﴿وَتَوَفَّانَا مُسْلِمِينَ﴾ .
 [١٢٧] ﴿وَقَالَ الْكَلْبُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ﴾ له ﴿أَنْدَرُ﴾ ترك ﴿مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ بالدعاء إلى مخالفتك ﴿وَيَذُرْكُ وَءَالِهَتِكَ﴾ وكان صنع لهم أصناماً صغاراً يعبدونها، وقال: «أنا ربكم وربها»؛ ولذا قال: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَخْلَىٰ﴾ ﴿قَالَ سَنْقِيلُ﴾ بالتشديد والتخفيف^(٢) ﴿أَبْنَاءَهُمْ﴾ المولودين ﴿وَسَتِّي﴾ نستبي ﴿بِنِسَاءِهِمْ﴾ كفلنا بهم من قبل ﴿وَأِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ قادرون؛ ففعلوا بهم ذلك فشكا بنو إسرائيل.
 [١٢٨] ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا﴾ على أذاهم ﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا كَيْفَ يَشَاءُ﴾ يعطيها ﴿مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ وَالْعَاقِبَةُ ﴿لِلْمُحْسِنِينَ﴾ المحمودة ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ لله.
 [١٢٩] ﴿قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَوَيْلٌ لِمَنْ جَاءَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ فيها.
 [١٣٠] ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِاللِّسِينِ﴾ بالقسط ﴿وَنَقِصَ مِنْ أَلْمَمَرَاتِ لَمَأَهُمْ يَذْكُرُونَ﴾ يتعظون فيؤمنون.

قَالُوا أَمَّا رَبِّي فَأَعْبُدْهُ رَبِّي مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ أَمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرْتُهُمْ فِي الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ ثُمَّ لَأَصْلِبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوا إِنَّا إِلَهُ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا نُنْقِمُ مِنْهَا إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِإِلَهِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَنَا رَبَّنَا أَفَرَأَىٰ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّانَا مَسْلُومِينَ ﴿١٢٦﴾ وَقَالَ الْكَلْبُ مِنَ الْمَلَأِينَ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَنْدَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذُرْكُ وَءَالِهَتِكَ قَالَ سَنْقِيلُ أَبْنَاءَهُمْ وَسَتِّي وَنِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِاللِّسِينِ وَنَقِصَ مِنْ أَلْمَمَرَاتِ لَمَأَهُمْ يَذْكُرُونَ ﴿١٣٠﴾

(١) وهي قراءة نافع والنبري وأبي عمرو وابن عامر؛ حيث قرأوا بهزرة مخففة وبعدها همزة بين يين، وبعدها ألف بدل من الساكنة، وكذلك قرأ قبل إذا ابتداء بها، أما في الوصل فيقرأ بواو بدل من الهمزة الأولى؛ لانضمام ما قبلها وهي مفتوحة، وخفف الثانية بين يين إرادة التخفيف، وقرأ حفص بإسقاط الأولى وتحقيق الثانية وبعدها ألف، وقرأ حمزة والكسائي وشعبة بهمزتين محققتين بهما ألف، وكذلك في موضع طه والشعراء.

(٢) بالتخفيف قراءة نافع وابن كثير.

نستحقها ولم يشكروا عليها ﴿وإِنْ تُصِيبْهُمْ سَيْئَةٌ﴾ جذب وبلاء ﴿يَظُنُّوْا﴾ يتشاءموا ﴿يَمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ﴾ من المؤمنين ﴿أَلَا إِنَّمَا طَلَيْتَهُمْ شُؤْمُهُمْ﴾ عند الله ﴿يَأْتِيهِمْ بِهِ﴾ ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴿أَنْ مَا يَصِيْبُهُمْ مِنْ عِنْدِهِ﴾.

[١٣٢] ﴿وَقَالُوا﴾ موسى: ﴿مَهْمَا تَأْتَيْنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِنَسْحَرَنَّ بِهَا فَمَا تَحْنُ لَكَ يَمْزِينِ﴾ فدعا عليهم.

[١٣٣] ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ﴾ وهو ماء دخل بيوتهم ووصل إلى حلوق الجالسين سبعة أيام ﴿وَالجُرَادَ﴾ فأكل زرعهم وثمارهم كذلك ﴿وَالقُمَّلَ﴾ السوس، أو نوع من الفُرَادِ (١) فتبع ما تركه الجراد ﴿وَالصَّفصَاءَ﴾ فملأت بيوتهم وطعامهم ﴿وَالدَّمَ﴾ في مياههم ﴿آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ﴾ مبيات ﴿فَأَسْتَكْبَرُوا﴾ عن الإيمان بها ﴿وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾.

[١٣٤] ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ﴾ العذاب ﴿قَالُوا يَمْوَسَىٰ اذْعُ لَنَا رَبِّكَ﴾ بما عهد عندك ﴿لَنْ كَشَفْتَنَا عَنْهَا الرَّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ﴾

[١٣٥] ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا﴾ بدعاء موسى ﴿عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُمْ يَلْفُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُرُونَ﴾ بنقضون عهدهم ويصرون على كفرهم.

[١٣٦] ﴿فَأَنفَقْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾ البحر الصليح ﴿بِآيَاتِنَا﴾ بسبب أنهم ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ لا يتدبرونها.

[١٣٧] ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِيْنَ كَانُوا يُسْتَعْمِفُونَ﴾ بالاستعباد؛ وهم: بنو إسرائيل ﴿مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا الَّتِي بَدَرْنَا فِيهَا﴾ بالماء والشجر صفة

للأرض؛ وهي: الشام ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ﴾ وهي قوله - تعالى -: ﴿وَرُبِّيذُ أَنْ تَمُنَّ عَلَىٰ الَّذِيْنَ أُسْتَضْعَفُوا فِي الْأَرْضِ﴾ (٢) إلخ ﴿عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ بما صبروا ﴿عَلَىٰ أذى عُدُوهُمْ﴾ ودمرتنا أهلكتنا ﴿مَا كَانَتْ يَصْغُرُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ﴾ من العمارة ﴿وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ بكسر الراء وضمها (٣)؛ يرفعون من البنيان.

فَإِذَا جَاءَهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِيبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَظُنُّوْا يُمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ ۗ وَأَلَا إِنَّمَا طَلَيْتُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِنَسْحَرَنَّ بِهَا فَمَا تَحْنُ لَكَ يَمْوَمِينَ ﴿١٣٣﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجُرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالصَّفصَاءَ وَالِدَّمَ ۗ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٤﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَمْوَسَىٰ اذْعُ لَنَا رَبِّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَنْ كَشَفْتَنَا عَنْهَا الرَّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنْرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٣٥﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُمْ يَلْفُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُرُونَ ﴿١٣٦﴾ فَانفَقْنَا مِنْهُمْ بِالْأَيِّمِ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِيْنَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا الَّتِي بَدَرْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾

[١٣١] ﴿فَإِذَا جَاءَهُمُ الْحَسَنَةُ﴾ الخصب والغنى ﴿قَالُوا لَنَا هَذِهِ﴾ أي:

(١) وقيل: هو القمل المعروف.

(٢) القصص: ٥٠.

(٣) بالضم قرأه شعبة وابن عامر.

وَجَوْرًا بِنَاتِنَا بِسَرِّ بِلِ الْبَحْرِ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ
عَلَى أَصْنَانِهِمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا
لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَتْ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ مَتَرٌ
مَّا هُمْ فِيهِ وَبَطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَتْ أَعْبُدْ اللَّهَ
أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضْلٌ كَرِيمٌ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذْ أَخْبَرْنَاكَ
مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكَ سُوءَ الْعَذَابِ يَهْتَلُونَ
أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكَ بَلَاءٌ
مِنَ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾ وَوَعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً
وَأْتَمَّتْهَا بِعِشْرِينَ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ
مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلِفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ
سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ
رَبُّهُ وَقَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرِنِي وَلَكِنْ
أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ وَفَسُوفَ تَرِنُنِي فَلَمَّا
تَبَيَّنَ لِرَبِّهِ وَالْجَبَلُ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَبْحًا فَكَلَّمَ
أَقَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ نُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾

[١٣٨] ﴿وَجَوْرًا﴾ وَجَوْرًا ﴿بِنَاتِنَا﴾ بِسَرِّ بِلِ الْبَحْرِ فَأَتَوْا ﴿عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ﴾ بِضَمِّ الْكَافِ وَكَسْرِ هَا ﴿١﴾ ﴿عَلَى أَصْنَانِهِمْ﴾ يَقِيمُونَ عَلَى عِبَادَتِهَا قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا صَمَا نَعْبُدُهُ كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَتْ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ جَيْتِ قَابِلْتُمْ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ بِمَا قَلْتُمْ. [١٣٩] ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ مَتَرٌ﴾ هَالِكٌ ﴿مَّا هُمْ فِيهِ وَبَطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

[١٤٠] ﴿قَالَتْ أَعْبُدْ اللَّهَ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا﴾ مَعْبُودًا، وَأَصْلُهُ: أَبْغَى لَكُمْ ﴿وَهُوَ فَضْلٌ كَرِيمٌ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ فِي زَمَانِكُمْ بِمَا ذَكَرَهُ فِي قَوْلِهِ: [١٤١] ﴿وَإِذْ أَخْبَرْنَاكَ﴾ اذْكُرُوا ﴿إِذْ أَخْبَرْنَاكُمْ﴾ وَفِي قِرَاءَةٍ: ﴿أَخْبَرْنَاكُمْ﴾ (٢) ﴿مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكَ﴾ يَكْلِفُونَكُمْ وَيَذِيقُونَكُمْ ﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾ أَشَدُّهُ؛ وَهُوَ: ﴿يَهْتَلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ يَسْتَحْيُونَ ﴿وَفِي ذَلِكَ بَلَاءٌ﴾ الْإِنجَاءُ وَالْعَذَابُ ﴿سَبَأٌ﴾ إِنْجَاءٌ أَوْ ابْتِلَاءٌ ﴿مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ أَفَلَا تَتَعَطَّوْنَ فَتَنْتَهُوْا عَمَّا قَلْتُمْ؟

[١٤٢] ﴿وَوَعَدْنَاكَ﴾ بِالْفِ وَدُونِهَا (٣) ﴿ثَلَاثِينَ لَيْلَةً﴾ نُكَلِّمُهُ عِنْدَ انْتِهَائِهَا؛ بَأَن يَصُومَهَا؛ وَهِيَ: ذُو الْقَعْدَةِ؛ فَصَامَهَا، فَلَمَّا تَمَّتْ أَنْكَرَ تَحْلُوفَ فِيهِ (٤)؛ فَاسْتَأْذَنَ؛ فَأَمَرَ اللَّهُ بِعِشْرَةٍ أُخْرَى لِيُكَلِّمَهُ بِخُلُوفٍ فِيهِ؛ كَمَا قَالَ - تَعَالَى -: ﴿وَأْتَمَّتْهَا بِعِشْرِينَ﴾ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ﴿فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ﴾ وَقْتُ وَعْدِهِ بِكَلَامِهِ إِيَّاهُ ﴿أَرْبَعِينَ﴾ حَالٌ ﴿لَيْلَةً﴾ تَمَيِّزٌ ﴿وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ﴾ عِنْدَ ذَهَابِهِ إِلَى الْجَبَلِ لِلْمَنَاجَاةِ: ﴿أَخْلِفْنِي﴾ كُن خَلِيفَتِي ﴿فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ﴾ أَزْهِمُهُمْ ﴿وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ بِمُوَافَقَتِهِمْ عَلَى الْمَعَاصِي.

[١٤٣] ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا﴾ أَي: لِلْوَقْتِ الَّذِي وَعَدْنَاهُ بِالْكَلامِ فِيهِ ﴿وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ بِلَا وَسْطَةٍ كَلَامًا سَمِعَهُ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ (٥) ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي﴾ نَفْسَكَ ﴿أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ قَالَ لَنْ تَرِنُنِي أَي: لَا تَقْدِرْ عَلَى رُؤْيِي، وَالتَّعْبِيرُ بِهِ دُونَ «لَنْ أَرَى» يُفِيدُ إِمْكَانَ رُؤْيَيْهِ - تَعَالَى - ﴿وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ﴾ الَّذِي هُوَ أَقْوَى مِنْكَ ﴿فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ﴾ ثَبَّتَ ﴿مَكَانَهُ فَسُوفَ تَرِنُنِي﴾ أَي: تَثَبَّتَ لِرُؤْيِي، وَإِلَّا فَلَا طَاقَةَ لَكَ.

﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ رَبُّهُ﴾ أَي: ظَهَرَ مِنْ نُورِهِ قَدْرُ نِيْضِ أَنْمَلِيَةِ الْخِصْرِ؛ كَمَا فِي حَدِيثِ صَحِيحِهِ الْحَاكِمِ (٦) ﴿لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ بِالْفِصْرِ وَالْمَدِّ (٧)؛ أَي: مَدْكُوكًا مُسْتَوِيًا بِالْأَرْضِ ﴿وَخَرَّ مُوسَى صَبْحًا﴾ مَغْشِيًا عَلَيْهِ لَهْلُولَ مَا

رَأَى ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ﴾ تَنْزِيهَا لَكَ ﴿ثَبَّتَ إِلَيْكَ﴾ مِنْ سَوَالِ مَا لَمْ أَوْمُرْ بِهِ ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فِي زَمَانِي.

(١) بِالْكَسْرِ قِرَاءَةُ حِمْرَةَ وَالْكَسَالِيِّ.

(٢) لِابْنِ عَامِرٍ.

(٣) بِدُونِ أَلْفِ قِرَاءَةِ أَبِي عَمْرٍو.

(٤) أَخْرَجَهُ الدَّبْلِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ مَرْفُوعًا. [الدر المنثور (٥٣٦/٣)].

(٥) وَهَذَا فِرَارٌ مِنَ الْمَقْسَرِ مِنْ إِثْبَاتِ الْجِهَةِ وَالْعُلُوِّ بِذَاتِهِ - شَيْخَانَهُ، كَمَا هُوَ مَنِجَّحٌ الْأَشَاعِرَةُ، وَأَمَّا عِنْدَ أَهْلِ السَّنَةِ: فَهَمَّ مَجْمُوعُونَ عَلَى إِثْبَاتِ هَذَا الْعُلُوِّ، وَمِنْهُمْ مَنْ بَيَّنَّ الْجِهَةَ لَكِنْ يَقْصِدُونَ بِذَلِكَ إِثْبَاتَ الْعُلُوِّ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ فِي الْجِهَةِ وَالْمَكَانِ: لَا يَنْبَغِي إِثْبَاتُهُمَا وَلَا نَفِيُّهُمَا مَطْلَقًا. يَعْنِي يَسْتَفْصِلُ الْقَائِلُ بِذَلِكَ عَنِ مَرَادِهِ؛ فَإِنَّ أَرَادَ نَفْيَ الْعُلُوِّ أَوْ غَيْرَهُ مِنَ الْمَعْنَى الْبَاطِلَةَ رَدُّ قَوْلِهِ، وَإِنْ أَرَادَ بِذَلِكَ إِثْبَاتَ الْعُلُوِّ، وَاقْتَضَاهُ، وَهَذَا هُوَ الصَّحِيحُ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

(٦) الْمُسْتَدْرَكُ (٣٢٠/٢) وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ. وَوَقَّعَهُ الذَّهَبِيُّ. وَرَوَى أَحْمَدُ (١١٨١٢) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ مَرْفُوعًا ذَكَرَ طَرَفَ الْخِصْرِ.

وَفِي سَنَنِ التِّرْمِذِيِّ (٣٠٠) وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ ذَكَرَ أَهْلَةُ الْإِسْبَاطِ، وَصَحَّحَهُ الْأَبَانِيُّ فِي صَحِيحِ سَنَنِ التِّرْمِذِيِّ (٢٤٥٨).

وَفِي ظِلَالِ الْجَنَّةِ (٤٨١) (أَنَّهُ أَخْرَجَ طَرَفَ الْخِصْرِ)، وَصَحَّحَهُ الْأَبَانِيُّ.

وَفِي ظِلَالِ الْجَنَّةِ (٤٨٠) (وَضَعُ إِهَامَهُ عَلَى قَرِيبٍ مِنْ طَرَفِ أَمْلَتِهِ)، وَصَحَّحَهُ الْأَبَانِيُّ.

(٧) بِالْمَدِّ قِرَاءَةُ حِمْرَةَ وَالْكَسَالِيِّ.

[١٤٥] ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ﴾ أي: ألواح التوراة، وكانت من صدر الجنة، أو زبرجد، أو زمرد، سبعة أو عشرة^(١) ﴿مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ يحتاج إليه في الدين ﴿مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا﴾ تبيينًا ﴿لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ بدل من الجار والمجرور ﴿قَبْلَهُ﴾ فمذمومًا ﴿قَبْلَهُ﴾ قبله ﴿فَلَمَّا﴾ مقدرا ﴿بِقَوْلِهِ﴾ بجد واجتهاد ﴿وَأَمَرَ قَوْمَكُمُ﴾ يأخذوا يأخذونها ﴿سَائِرِكُمْ﴾ ذار الفاسقين ﴿فَرَعُونَ﴾ أتباعه، وهي: مصر؛ لتعبروا بهم.

[١٤٦] ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ﴾ دلائل قدرتي من المصنوعات وغيرها ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَكَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ بأن أخذلهم؛ فلا يتكبرون فيها ﴿وَإِنْ يَرَوْا كَلِمًا﴾ أي: لا يؤمنوا بها ﴿وَإِنْ يَرَوْا سَيْلًا﴾ طريق ﴿الرُّشْدِ﴾ الهدى الذي جاء من عند الله ﴿لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ يسلكوه ﴿وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْعَذَابِ﴾ الضلال ﴿يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ ذلك ﴿الضَّرْفُ﴾ بأنهم كذبوا بآياتنا وكافروا عنها غفيلين ﴿تَقَدَّمَ﴾ تقدم مقلة.

[١٤٧] ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ﴾ البعث وغيره ﴿حَصِبَتْ﴾ بطلت ﴿أَعْمَالُهُمْ﴾ ما عملوه في الدنيا من خير؛ كصلة رحم وصدقة؛ فلا ثواب لهم^(٢)؛ لعدم شرطه ﴿هَلْ﴾ ما ﴿يُجْزَوْنَ﴾ إلا جزء ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من التكذيب والمعاصي.

[١٤٨] ﴿وَأَتَّخَذَ قَوْمٌ مَوْسَىٰ مِنْ بَدْوِهِ﴾ أي: بعد ذهابه إلى المناجاة ﴿مِنْ حُلِيِّهِمْ﴾ الذي استعاروه من قوم فرعون بعبدة غزوي^(٣)؛ فبقي عندهم ﴿عِبْرًا﴾ صاغه لهم منه السامري ﴿جَسَدًا﴾ بدل؛ لحمًا ودماغًا ﴿لَهُ﴾ خوار؛ أي: صوت يسمع؛ انقلب كذلك بوضع التراب الذي أخذه من حافر فرس جبريل في فمه؛ فإن أثره الحياة فيما يوضع فيه^(٤)، ومفعول ﴿أَتَّخَذَ﴾ الثاني محذوف؛ أي: لها ﴿أَتَّخَذَ قَوْمٌ مَوْسَىٰ مِنْ بَدْوِهِمْ﴾ ولا يهديهم سبيلًا فكيف يتخذونها؟! ﴿وَأَتَّخَذُوهُ﴾ لها ﴿وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾ باتخاذها.

[١٤٩] ﴿وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا لَوْلَا أَلَيْنَ لَمَرَّ حِمَارُنَا وَبَغَيْرُنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾

قَالَ يَمْوَسَىٰ إِنِّي أَصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمِي فَخُذْ مَا آتَيْنَاكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٤٦﴾ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلِمًا آيَةً لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْعَذَابِ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٤٧﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَصِبَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٨﴾ وَأَتَّخَذَ قَوْمٌ مَوْسَىٰ مِنْ بَدْوِهِمْ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ أَلْمَرُّ رَوًّا أَنَّهُ لَا يَكِلُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴿١٤٩﴾ وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا لَوْلَا أَلَيْنَ لَمَرَّ حِمَارُنَا وَبَغَيْرُنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٥٠﴾

[١٤٤] ﴿قَالَ﴾ - تعالى - له: ﴿يَمْوَسَىٰ إِنِّي أَصْطَفَيْتُكَ﴾ اخترتك ﴿عَلَى النَّاسِ﴾ أهل زمانك ﴿بِرِسَالَتِي﴾ بالجمع والإفراد^(١) ﴿وَبِكَلِمِي﴾ أي: تكليمي إياك ﴿فَخُذْ مَا آتَيْنَاكَ﴾ من الفضل ﴿وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ لأنعمي.

(١) بالإفراد قراءة نافع وابن كثير.

(٢) والصحيح عدم تحديد شيء من ذلك من غير دليل.

(٣) في الآخرة؛ لعدم إيمانهم، ولكنهم يجازون عليه في الدنيا لحديث أنس بن مالك مرفوعا عند مسلم وغيره وإن الله لا يظلم مؤمنا حسنة؛ يعطى بها في الدنيا، ويجزى بها في الآخرة. أما الكافر فيقطع بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يجزى بها. رواه مسلم (٢٨٠٨).

(٤) هذا قول أكثر المفسرين، وظاهر الآية يقتضي أن الحلي ملك لهم؛ وأن الإضافة في قوله: ﴿حُلِيِّهِمْ﴾ هي إضافة الملك. لكن قولهم في آية طه: ﴿جَمَلًا أَوْزَارًا مِّن رِّبَاطِ الْقَوْمِ﴾ [طه: ٨٧] لإضافة الزينة إلى غيرهم وهم القبط يعمد على ذلك. وأجيب بأن قولهم يحتمل أن يكون لظنهم الحرمة لجهلهم بأنفسهم؛ وقيل غير ذلك. والله أعلم.

(٥) أخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر عن مجاهد في قوله: ﴿وَأَتَّخَذَ قَوْمٌ مَوْسَىٰ مِنْ بَدْوِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ﴾ [الأعراف: ١٤٨]. قال: حين دفنوها ألقي عليها السامري قبضة من تراب من أثر فرس جبريل عليه السلام. [الدر المنثور (٣/٢٣٤)].

(٦) بالناء قراءة حمزة والكسائي، وعلى قراءة الباء يكون ﴿وَرَبَّنَا﴾ مرفوعا على الفاعلية، وعلى قراءة التاء يكون منصوبا على النداء.

﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَتَىٰ عَلَىٰكُمْ أَمْرٌ رِيبِكُمْ ۖ وَالْقِيََامَةُ لِلرَّابِعِ الْأَوَّلِ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوْنِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٥١﴾ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيِّئًا لَّهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِهَا وَآمَنُوا بِرَبِّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَعَنُوا لَعْنًا رَّجِيمًا ﴿١٥٣﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَىٰ الْعَصْبُ أَخَذَ الْأَلْوَابُ وَفِي سُخْرِيهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ وَأَخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا أَلِيمِينَ فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِنِّي أَنُتَلِّكُهُم بَإِذْنِكَ يَا أَعْلَى السَّمَوَاتِ إِنِّي أَنُتَلِّكُهُم مِّنَ الْإِنسَانِ وَمِمَّا كُنْتُمْ عَلَىٰ السَّفَرِهِمْ إِذْ قَالَ لَهُمُ الْمُؤْمِنُونَ يَا أَيُّهَا السَّافِرُونَ إِنَّا نَجْعَلُكُمْ قَوْمًا مَّبْعُوثِينَ لِمَا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿١٥٥﴾

[١٥٠] ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ﴾ من جهتهم ﴿أَسِفًا﴾ شديد الحزن ﴿قَالَ لَهُمْ﴾: ﴿بِئْسَمَا﴾ أي: بئس خلافة ﴿خَلَفْتُمُونِي﴾ ها ﴿مِنْ بَعْدِي﴾ ﴿خَلَفْتُمْ هَذِهِ﴾ حيث أشرككم ﴿أَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ﴾ أي: بأخيه ﴿يَجُرُّهُ إِلَيْهِ﴾ وفتكسرت ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ﴾ أي: بشعره يمينه، ولحيته بشماله ﴿يَجُرُّهُ إِلَيْهِ﴾ غضبا ﴿قَالَ﴾: يا ﴿ابْنَ أُمَّ﴾ بكسر الميم (١) وفتكسرها؛ أراد: أمي، و﴿ذِكْرُهَا أَغْطَفَ لِقَلْبِهِ﴾ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوْنِي وَكَادُوا ﴿قَارِبُوا﴾ يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ ﴿تُفْرَحُ﴾ بِيَ الْأَعْدَاءَ ﴿يَاهَانِكَ إِيَّاي﴾ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿عبادة العجل في المواخذه. [١٥١] ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي﴾ ما صنعت بأخي ﴿وَلِإِخِي﴾ أشركه في الدعاء؛ إرضاء له ودفعا للشتمات به ﴿وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾.

[١٥٢] قال - تعالى -: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ﴾ لها ﴿سَيِّئًا لَّهُمْ غَضَبٌ﴾ عذاب (٢) ﴿وَمِن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ فعذبوا؛ بالأمر يقتل أنفسهم، وضربت عليهم الذلة إلى يوم القيامة ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما جزيناها ﴿نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾ على الله؛ بالإشراك وغيره.

[١٥٣] ﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا﴾ رجعوا عنها ﴿مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا﴾ بالله ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا﴾ أي: التوبة ﴿لَعَنُوا لَعْنًا رَّجِيمًا﴾ بهم.

[١٥٤] ﴿وَلَمَّا سَكَتَ﴾ سكن ﴿عَن مُّوسَىٰ الْعَصْبُ أَخَذَ الْأَلْوَابُ﴾ التي ألقاها ﴿وَفِي سُخْرِيهَا﴾ أي: ما نسخ فيها؛ أي: كتب ﴿هُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ يخافون، وأدخل اللام على المفعول؛ لتقدمه.

[١٥٥] ﴿وَأَخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ﴾ أي: من قومه ﴿سَبْعِينَ رَجُلًا﴾ ممن لم يعبدوا العجل بأمره - تعالى - ﴿لِيمِيقَاتِنَا﴾ أي: للوقت الذي وعدناه بإتيانهم فيه؛ ليعتدروا من عبادة أصحابهم العجل؛ فخرج بهم ﴿فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ الزلزلة الشديدة، قال ابن عباس: لأنهم لم يزالوا قومهم حين عبدوا العجل. قال: وهم غير الذين سألوا الرؤية وأخذتهم الصاعقة (٣)، ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ﴾ أي: قبل خروجي

بهم؛ ليعاين بنو إسرائيل ذلك ولا يتهموني ﴿وَإِنِّي أَنُتَلِّكُهُم بَإِذْنِكَ يَا أَعْلَى السَّمَوَاتِ إِنِّي أَنُتَلِّكُهُم مِّنَ الْإِنسَانِ وَمِمَّا كُنْتُمْ عَلَى السَّفَرِهِمْ إِذْ قَالَ لَهُمُ الْمُؤْمِنُونَ يَا أَيُّهَا السَّافِرُونَ إِنَّا نَجْعَلُكُمْ قَوْمًا مَّبْعُوثِينَ لِمَا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ﴾ أي: الفتنة التي وقع فيها السفهاء ﴿إِلَّا فِتْنَتَكُمْ﴾ ابتلاؤك ﴿تُفَصِّلُهَا مِنْ نَّشَأَةٍ﴾ إضلاله ﴿وَتَهْدِيكَ مِنْ نَّشَأَةٍ﴾ هدايته ﴿أَنْتَ وَلِيْنَا وَمَنْ مَوْلَىٰ أُمُورِنَا﴾ ﴿فَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾.

(٥) فائدة: أخرج أحمد عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس الخير كالعابئة؛ إن الله ﷻ أخبر موسى بما صنع قومه في العجل فلم يلق الألوواح، فلما عاين ما صنعوا ألقى الألوواح فانكسرت». المسند (٢٧١/١)، وصرحه الألباني في صحيح الجامع (٥٣٧٤).

(١) بالكسر قراءة حمزة والكسائي وابن عامر وشعبة.

(٢) تأويل الغضب من الله بالعذاب هذا مذهب المعتزلة، ومذهب السلف إثبات هذه الصفة لله ﷻ على الوجه اللائق به، ومن لازمها استحقاقهم العذاب.

(٣) أخرج عبد بن حميد وابن أبي عمير في مسنده وابن جرير وأبو الشيخ عن ابن عباس قال: إن السبعين الذين اختارهم موسى من قومه إنما أخذتهم الرجفة لأنهم لم يرضوا بالعجل ولم يبهوا عنه. قلت: ولكن أخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن نوف البكالي ما يفيد أنهم هم الذين سألوا الرؤية. انظر: [الدر المنثور (٢٣٨/٣، ٢٣٩)].

الْآخِرَةَ ﴿ حَسَنَةٌ إِنْ آتَىٰ هَدَانًا ﴾ بُنَا ﴿إِيَّاكَ قَالَ﴾ . تعالى :- ﴿عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ﴾ تعذيبه ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ﴾ عَمَّتْ ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾ في الدنيا ﴿فَسَاكَتُهَا﴾ في الآخرة ﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ .

[١٥٧] ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾ محمدا ﷺ ﴿الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ باسمه وصفته ﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ﴾ ما حرم في شرعهم ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ من الميتة ونحوها ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾ نفلهم ﴿وَالْأَغْلَالَ﴾ الشدائد ﴿الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ كفتل النفس من التوبة، وقطع أثر النجاسة ﴿فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ﴾ منهم ﴿وَعَزَّزُوهُ﴾ ووقروه ﴿وَنَصَّرُوهُ﴾ وأتبعوا النور الذي أنزل معه ﴿أَي: القرآن ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ .

[١٥٨] ﴿قُلْ﴾ خطاب للنبي ﷺ: ﴿يَتَّبِعُهَا النَّاسُ لِي رَسُولٍ أَنَا إِلَيْكُم جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ﴾ . القرآن ﴿وَأَتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ ترشدون .

[١٥٩] ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٍ﴾ جماعة ﴿يَهْدُونَ﴾ الناس ﴿يَلْحَقُوا بِهِمْ يَعْذِلُونَهُ﴾ في الحكم .

* وَأَكْتَبَ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَاكَتُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٧﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَّرُوهُ وَأَتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۚ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٨﴾ قُلْ يَتَّبِعُهَا النَّاسُ لِي رَسُولٍ أَنَا إِلَيْكُم جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَأَتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٩﴾ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٍ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾

[١٥٦] ﴿وَأَكْتَبَ﴾ أوجب^(١) ﴿لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي

(١) وفيه إثبات لصفة الكتابة له سبحانه . على الوجه اللامع به، كما سبق التنبية عليه .

[١٦٠] ﴿وَقَطَعْنَهُمْ﴾ فرقنا بني إسرائيل ﴿أَفْتَى عَشْرَةَ﴾ حال ﴿أَسْبَاطًا﴾ بدل منه، أي: قبائل ﴿أَمَّا﴾ بدل مما قبله ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمَهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾ فضربه ﴿فَأَبْجَسَتْ﴾ انفجرت ﴿مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ بعدد الأسباط ﴿فَدَعَا كُلُّ أَناسٍ﴾ سبط منهم ﴿مَسْرِبَهُمْ﴾ وظللتنا عليهم الفمم ﴿في التيه، من حر الشمس﴾ وأزلنا عليهم العرم والسلوى ﴿هما الترجيحين^(١) والطير السماوي - بخفيف الميم والقصر - وقلنا لهم: ﴿كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

[١٦١] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذ قِيلَ لَهُمْ اسْكُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ بيت المقدس ﴿وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا: آمَنَّا﴾ حطة وأدخلوا الباب ﴿أي: باب القرية ﴿سُجِّدَا﴾ سجود انحناء ﴿نَفِيزًا﴾ بالنون والتاء مبيها للمفعول^(٢) ﴿لَكُمْ حَظِيظِكُمْ سَازِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ بالطاعة ثوابا.

[١٦٢] ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ فقالوا: حبة في شعرة. ودخلوا يزحفون على أستاههم^(٣) ﴿فَارْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْرًا﴾ عذابا ﴿وَرَبَّ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾.

[١٦٣] ﴿وَسَأَلَهُمْ﴾ يا محمد توبخا ﴿عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ﴾ مجاورة بحر القلزم؛ وهي: «أيلة»، ما وقع بأهلها ﴿إِذ يَعْدُونَ﴾ يعتدون ﴿فِي السَّبْتِ﴾ بصيد السمك المأمورين بتركه فيه ﴿إِذ﴾ ظرف لـ ﴿يَعْدُونَ﴾ ﴿تَأْتِيهِمْ حِثَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا﴾ ظاهرة على الماء ﴿وَيَوْمَ لَا يَسْبُوتُ﴾ لا يعظمون السبت؛ أي: سائر الأيام ﴿لَا تَأْتِيهِمْ﴾ ابتلاء من الله ﴿كَذَلِكَ نَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ ولما صادوا السمك افرقت القرية أثلاثا؛ ثلث صادوا معهم، وثلث نهوهم، وثلث أمسكوا عن الصيد والنهي.

وَقَطَعْنَهُمْ أَتَى عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أَمَّا وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمَهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَأَبْجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا فَدَعَا كُلُّ أَناسٍ مَسْرِبَهُمْ وَظَلَمْنَا عَلَيْهِمُ الْعَمَمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ كَلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ وَإِذ قِيلَ لَهُمْ اسْكُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَعْفِرْ لَكُمْ حَظِيظَكُمْ سَازِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِم رِجْرًا مِن السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾ وَسَأَلَهُم عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذ تَأْتِيهِمْ حِثَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَكُلُوا حِطَّةً فَدَخَلُوا يَزْحَفُونَ عَلَىٰ أَسْتَاهِهِمْ فَبَدَّلُوا قَوْلًا مِّنْ شَعِيرَةٍ ﴿١٦٣﴾ كَذَلِكَ نَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٤﴾

(٥) فائدة: أخرج مسلم عن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل عن النبي ﷺ أن: «الكفاة من المثل الذي أنزل الله تبارك وتعالى على بني إسرائيل، وماؤها شفاء للعين». مسلم - كتاب الأشربة (٣٦) باب

(٢٨) فضل الكفاة ومداد العين بها.

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن أبي هريرة ؓ عن النبي ﷺ قال: قال لبني إسرائيل: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً﴾ فدخلوا يزحفون على أستاههم، فبدلوا، وقالوا: حطة حبة من شعيرة.

البخاري - كتاب التفسير (٦٥) - سورة الأعراف (٧).

(١) وهو شيء حلوا كان ينزل عليهم مثل الثلج.

(٢) بالناء لابن عامر ونافع، لكن ابن عامر قرأ ﴿حَظِيظِكُمْ﴾ بالإنفراد، وقرأ أبو عمرو بالنون كالباقين لكنه قرأ ﴿حَظِيظِكُمْ﴾ من غير تاء على الجمع المكسر لحظيفة، كالذي في سورة البقرة.

يرجعوا ﴿أَجْمِنَا الَّذِينَ يَهْتَكُونَ عَنَّا شِعْرَةَ وَآخِذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بالاعتداء
﴿بِعَذَابٍ بَئِيسٍ﴾ شديد ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾.

[١٦٦] ﴿فَلَمَّا عَتَوْا﴾ تكبروا ﴿عَنَّا﴾ ترك ﴿مَا نُهُوا عَنْهُ فَلَمَّا هَمُّوا كَرُّوا قِرْدَةً خَاسِئِينَ﴾ صاغرين؛ فكانوها، وهذا تفصيل لما قبله، قال ابن عباس: ما أدري ما فعل بالفرقة الساكنة.

وقال عكرمة: لم تهلك، لأنها كرهت ما فعلوه، وقالت: ﴿لِمَ تَعْطُونَ﴾ الخ. وروى الحاكم عن ابن عباس: أنه رجع إليه وأعجبه^(١).

[١٦٧] ﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ﴾ أعلم^(٢) ﴿رَبُّكَ لِيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ﴾ أي: اليهود ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ بالذلل وأخذ الجزية؛ فبعث عليهم «سليمان»، وبعده «بختنصر» فقتلهم وسبأهم وضرب عليهم الجزية؛ فكانوا يؤدونها إلى المجوس إلى أن بعث نبينا ﷺ؛ فغضبوا عليهم ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعَذَابِ﴾ لمن عصاه ﴿وَالَّذِينَ لَعَنُوا﴾ فغضبنا عليهم ﴿وَرَفَقًا﴾ بهم.

[١٦٨] ﴿وَقَطَعْنَاهُمْ﴾ فرفناهم ﴿فِي الْأَرْضِ أُمَمًا﴾ فرقا ﴿وَيَبْلُغُونَهَا﴾ الصَّالِحُونَ وَيَتَّبِعُهُمْ ﴿نَارٌ﴾ دُونَ ذَلِكَ ﴿الْكُفَّارُ وَالْفَاسِقُونَ﴾ وَيَبْلُغُونَهَا بِالْحَسَنَاتِ ﴿بِالنِّعَمِ﴾ وَالْحَسَنَاتِ ﴿النِّعَمُ﴾ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿عَن فِشْقِهِمْ﴾.

[١٦٩] ﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرثُوا الْكِتَابَ﴾ التوراة عن آبائهم ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى﴾ أي: حطام هذا الشيء الدنيء؛ أي: الدنيا من حلال وحرام ﴿وَيَقُولُونَ سِعْفِرٌ لَنَا﴾ ما فعلناه ﴿وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلَهُمْ يَأْخُذُوهُ﴾

الجملة حال؛ أي: يرجون المغفرة وهم عائدون إلى ما فعلوه مصرون عليه، وليس في التوراة وعُد المغفرة مع الإصرار ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ﴾ استفهام تقرير ﴿عَلَيْهِمْ يَتَّبِعُوا الْكِتَابَ﴾ الإضافة بمعنى: في ﴿أَن لَّا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا﴾ عطف على ﴿يُؤْخَذُ﴾؛ قرأوا ﴿مَا فِيهِ﴾ فلم كذبوا عليه بنسبة المغفرة إليه مع الإصرار؟! ﴿وَالَّذِينَ الْأَخْرَجَهُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الحرام ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ بالياء والتاء^(٣)، أنها خير؛ فيؤثرونها على الدنيا.

[١٧٠] ﴿وَالَّذِينَ يَمَسِّكُونَ﴾ بالشديد والتخفيف^(٤) ﴿بِالْكِتَابِ﴾ منهم ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ كعبد الله بن سلام وأصحابه ﴿إِنَّا لَا نُنْصِيعُ أَجْرَ الْمُصَلِّينَ﴾ الجملة خبر «الذين»، وفيه وضع الظاهر موضع المضمرة؛ أي: أجرهم.

وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ يَعْطُونَ قَوْمًا اللَّهُ مَهْلِكُهُمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَرْفُقُونَ ﴿١٦٦﴾ فَلَمَّا سَأَلْنَا مَا دُكِّرُوا بِهِ وَابْتَغَيْنَا الَّذِينَ يَهْتَكُونَ عَنَّا الشِّعْرَةَ وَآخِذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٧﴾ فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ فَلَمَّا هَمُّوا كَرُّوا قِرْدَةً خَاسِئِينَ ﴿١٦٨﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٩﴾ وَقَطَعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِّمَّا مَنَّهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَّغْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٠﴾ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سِعْفِرٌ لَّنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلَهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِثْقُ الْكِتَابِ أَن لَّا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالَّذِينَ الْأَخْرَجَهُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ وَالَّذِينَ يَمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُنْصِيعُ أَجْرَ الْمُصَلِّينَ ﴿١٧٢﴾

[١٦٤] ﴿وَإِذْ﴾ عطف على ﴿إِذْ﴾ قَبْلَهُ ﴿قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ﴾ لم تصد ولم تنه لمن نهى: ﴿لِمَ يَعْطُونَ قَوْمًا اللَّهُ مَهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا﴾: موغظتنا ﴿مَعذِرَةٌ﴾ نتعذر بها ﴿إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ لئلا ننسب إلى تقصير في ترك النهي ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْفُقُونَ﴾ الصيّد.

[١٦٥] ﴿فَلَمَّا سَأَلْنَا﴾ تركوا ﴿مَا دُكِّرُوا﴾ وعظوا ﴿بِهِ﴾ فلم

(١) الحاكم (٣٥٢/٢)، وقال في التلخيص: صحيح، وأخرج نحوه عبد الرزاق وابن جرير وابن أبي حاتم والبيهقي في سننه عن عكرمة، وأخرج نحوه أيضا عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن عكرمة [الدر المنثور (٢٥٢/٣، ٢٥٣)].

(٢) مفعوله محذوف، والتقدير: أعلم ربك أسلافهم.

(٣) بالياء قراءة حمزة والكسائي وابن كثير وأبي عمرو وشعبة.

(٤) بالتخفيف قراءة شعبة.

[١٧١] ﴿وَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ اذكر ﴿إِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ﴾ رفعناه من أصله ﴿فَوَقَّهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾ ساقط عليهم؛ بوعد الله إياهم بوقوعه إن لم يقبلوا أحكام التوراة، وكانوا أتوها ليقلها؛ فقبلوا، وقلنا لهم: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ بجد واجتهاد ﴿وَأَذْكُرُوا مَا يَدِينُ﴾ بالعمل به ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

[١٧٢] ﴿وَإِذْ﴾ اذكر ﴿إِذْ﴾ حين ﴿أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ﴾ بدل اشتغال مما قبله، بإعادة الجار ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ بأن أخرج بعضهم من صلب بعض من صلب آدم، نسلاً بعد نسل؛ كنجو ما بوالدنون كالذرر ب«لعمنان» يوم عرفة^(١)، ونصب لهم دلائل علي ربوبيته، وَرَكَّبَ فِيهِمْ عَقْلاً ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ﴾ قال: ﴿الَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ أنت ربنا ﴿شَهِدْنَا﴾ بذلك؛ والإشهاد لـ ﴿أَنْ﴾ لا ﴿يَقُولُوا﴾ بالياء والتاء^(٢) في الموضعين؛ أي: الكفار ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا﴾ التوحيد ﴿عَافِينَ﴾ لا نعرفه.

[١٧٣] ﴿أَوْ يَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ﴾ قبلنا ﴿وَكُنَّا ذُرِّيَةً مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ فاقتدينا بهم ﴿أَفَنُهَلِكُنَا﴾ نُهَلِكُنَا ﴿بِمَا فَعَلَ الْمُظْلِمُونَ﴾ من آباؤنا؛ بتأسيس الشرك؛ المعنى: لا يمكنهم الاحتجاج بذلك مع إشهدهم على أنفسهم بالتوحيد، والتذكير به على لسان صاحب المعجزة قائم مقام ذكره في النفوس.

[١٧٤] ﴿وَكَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ الْقِصَّةَ الْأُولَىٰ﴾ وَكَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ الْقِصَّةَ الْأُولَىٰ؛ ليتدبروها ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عن كفرهم.

[١٧٥] ﴿وَأَتَىٰ﴾ يا محمد ﴿عَلَيْهِمْ﴾ أي: اليهود ﴿نَبَأٌ﴾ خبر ﴿الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرَ﴾ خرج بكفره؛ كما تخرج الحية من جلدتها؛ وهو: «يلعم بن باعوراء» من علماء بني إسرائيل^(٣)، سُئِلَ أَنْ يَدْعُو عَلَىٰ مُوسَىٰ وَأَهْدِي إِلَيْهِ شَيْءًا؛ فدعا فانقلب عليه^(٤)؛ واندلع لسانه على صدره^(٥) ﴿فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ﴾ فأدركه فصار قرينه ﴿فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾.

[١٧٦] ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ﴾ إلى منازل العلماء ﴿بِهَا﴾ بأن نوقه للعمل ﴿وَلِكَيْتَهُمْ لَخَلَطَ﴾ سَكَنَ ﴿إِلَى الْأَرْضِ﴾ أي: الدنيا، ومثال إليها ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ في دعائه إليها؛ فوضعناه ﴿فَمَكَّنْهُ﴾ صِفْنَاهُ ﴿كَمَثَلِ الْكَلْبِ﴾ إِنْ تَحَمَّلَ عَلَيْهِ بِالطَّرْدِ وَالزَّجْرِ ﴿يَلْهَثُ﴾ يَذْلَعُ لِسَانَهُ ﴿أَزِيءٌ﴾ إِنْ تَنَزَّعَتْهُ يَلْهَثُ وليس غيره من الحيوان كذلك؛ وجعلنا الشرط حالاً؛ أي: لاهئاً ذليلاً بكل حال، والقصد التشبيه في الوضع والحشة؛ بقرينة الفاء المشعرة بترتيب ما بعدها على ما قبلها من الميل إلى الدنيا واتباع الهوى،

﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوَقَّهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَأَذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَهَلِكُنَا بِمِا فَعَلَ الْمُظْلِمُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ الْقِصَّةَ الْأُولَىٰ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾ وَأَتَىٰ عَلَيْهِمْ نَبَأُ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَخَبَّرَهُ كَلْبُ الْكَلْبِ إِنْ تَحَمَّلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ إِنْ تَنَزَّعَتْهُ أَوْ تَرَكَهُ يَلْهَثُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحَمَّلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَرَكَهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصِصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا بِظُلْمٍ ﴿١٧٧﴾ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَا تِلْكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٧٨﴾

وبقرينة قوله: ﴿ذَلِكَ﴾ المثل ﴿مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ فأقصص القصص على اليهود ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ يتدبرون فيها؛ فيؤمنون. [١٧٧] ﴿سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ﴾ أي: مثل القوم ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا بِظُلْمٍ﴾ بالتكذيب. [١٧٨] ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَا تِلْكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾

(١) أخرج أحمد في المسند (٢٢٢/١) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «أخذ الله الميثاق من ظهر آدم بتمعان - يعني عرفة - فأخرج من صلبه كل ذرية ذراها، ففرهم بين يديه كالذرر، ثم كلمهم قُبُلًا قال: ﴿الَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾. وقال الشيخ أحمد شاكر في تخرجه على المسند (٢٤٥٥): إسناده صحيح، وصحح الألباني إسناده في المشكاة (١٢١)، وفي تعليقه على الطحاوية (٢١٩) وتعمان بالفتح: واد في طريق الطائف يخرج إلى عرفات.

(٢) بالناء قراءة أبي عمرو، والموضع الثاني المشار إليه هو قوله - تعالى: - ﴿أَوْ يَقُولُوا إِنَّمَا﴾ (٣) أخرجه النسائي في تفسيره (٥١٠/١)، والظري في جامع البيان (٨٢/٩)، والظري في الكبير (٢١٩/٩)، والحاكم في المستدرک (٣٢٥/٢)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٥٠/٧): «رواه الظري ورجاله رجال الصحيح». وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢٦٦/٣). وفي الآيات أحوال أخر، فقيل: هو أمية بن أبي الصلت، كما أخرجه النسائي في تفسيره (٥٠٨/١) وابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٦/٥) عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - بسند صحيح كما قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٥٠/٧). وقيل غير ذلك.

ويلعلم هذا قيل: هو عالم من علماء بني إسرائيل، وقيل: كان نبياً في بني إسرائيل.

(٤) ورد ذكر ذلك فيما رواه ابن جرير وأبو الشيخ عن المعتمر (يحدث عن سيار) (الدر المنثور ٢٦٨/٣).

(٥) قوله: (واندلع لسانه على صدره) أخرجه الظري (١٥٤٢٢) عن سالم بن أبي النضر. قال ابن كثير في تفسيره: وقوله تعالى: ﴿فَمَكَّنْهُ﴾ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحَمَّلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَرَكَهُ يَلْهَثُ [الأعراف: ١٧٦]: اختلف المفسرون في معناه، فعلى سياق ابن إسحاق عن سالم عن أبي النضر أن لعماناً اندلع لسانه على صدره، فتشبهه بالكلب في لهيته في كلتا حالتيه إن زجر وإن ترك ظاهر، وقيل معناه: فصار مثله في ضلاله واستمراره فيه وعدم انتفاعه بالدعاء إلى الإيمان وعدم الدعاء كالكلب في لهيته في حالتيه؛ إن حملت عليه وإن تركه هو يلهث في الحالين، فكذلك هذا لا يتنفع بالموعظة والدعوة إلى الإيمان ولا عذمه... (تفسير ابن كثير ٢٥٠٦/٢).

معاندة ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَوَلَّوْنَ﴾.

[١٨٠] ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ التسعة والتسعون الواردة بها الحديث^(١)، و﴿الْحُسْنَىٰ﴾ مؤنث «الأحسن» ﴿فَادْعُوهُ﴾ سئوهُ ﴿يَهَيَّا وَذَرُوا﴾ اتركوا ﴿الَّذِينَ يُلْحِدُونَ﴾ من الخلد والحد^(٢)؛ يميلون عن الحق ﴿فِي أَسْمَائِهِ﴾ حيث اشتقوا منها أسماء آلهم؛ كالات من الله، والعزى من العزيز، ومناة من المنان ﴿سَيَجْزُونَ﴾ في الآخرة جزاء ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ وهذا قبل الأمر بالقتال.

[١٨١] ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ هم أمة محمد ﷺ؛ كما في حديث^(٣).

[١٨٢] ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ القرآن من أهل مكة ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم﴾ نأخذهم قليلاً قليلاً ﴿وَمَنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

[١٨٣] ﴿وَأَمَلِ لَهُمْ﴾ أمهلهم ﴿إِنِّي كِيدِي مَبِينٌ﴾ شديد لا يطاق.

[١٨٤] ﴿أَوْلَمْ يَتَفَكَّرُوا﴾ فيعلموا ﴿مَا يَصْحَابِجِيمٌ﴾ محمد ﷺ ﴿مِنْ جَنَّةٍ﴾ جنون ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ ينذر الإنذار.

[١٨٥] ﴿أَوْلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ﴾ ملك ﴿السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ في ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ بيان له ﴿مَا﴾؛ فيستدلوا به على قدرة صانعه ووحدانيته ﴿وَمَا﴾ في ﴿أَنْ﴾ أي: أنه ﴿عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ﴾ قُرب ﴿أَجَلُهُمْ﴾ فيموتوا كفاراً؛ فيصبروا إلى النار؛ فيبادروا إلى الإيمان ﴿فِي أَيِّ حَلِيثٍ بَعْدَهُمْ﴾ أي: القرآن ﴿يُؤْمِنُونَ﴾.

[١٨٦] ﴿مَنْ يُضَلِلِ اللَّهُ فَكَلَا هَادِيَ لَمْ وَيَدْرِهِمْ﴾ بالياء والنون، مع الرفع^(٤) استئنافاً، والجزم عطفاً على محل ما بعد الفاء ﴿فِي طُعَيْنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ يترددون تحيراً.

[١٨٧] ﴿يَسْتَلُونَكَ﴾ أي: أهل مكة ﴿عَنِ السَّاعَةِ﴾ القيامة ﴿أَيَّانَ﴾ متى ﴿مُرْسَهَا قُلْ﴾ لهم: ﴿إِنَّمَا عَلَيْهَا﴾ متى تكون ﴿عِنْدَ رَبِّي لَا يَحِيبُهَا﴾ بظهورها ﴿لَوْ قُتِلَ﴾ اللام بمعنى: في ﴿إِلَّا هُوَ نُقِلَتْ﴾ عظمت ﴿فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ على أهلها؛ لها ﴿لَا تَأْتِيكَ إِلَّا بِنَهْءٍ﴾ فجاءه ﴿يَسْتَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَيٌّ﴾ مبالغ في السؤال ﴿عَنْهَا﴾ حتى علمتها ﴿قُلْ إِنَّمَا عَلَيْهَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ تأكيد ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن علمها عنده - تعالى ..

وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أذانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٨٠﴾ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيَجْزُونَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨١﴾ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٨٢﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٣﴾ وَأَمَلِ لَهُمْ إِنْ كِيدِي مَبِينٌ ﴿١٨٤﴾ أَوْلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا يَصْحَابِجُهُمْ مِنْ جَنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٥﴾ أَوْلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَإِنْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٦﴾ مَنْ يُضَلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُعَيْنِهِمْ يَعْـمَهُونَ ﴿١٨٧﴾ يَسْتَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَهَا قُلْ إِنَّمَا عَلَيْهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُحِيبُهَا لَوْ قُتِلَ إِلَّا هُوَ نُقِلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكَ إِلَّا الْبَغْتَةُ يَسْتَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عَلَيْهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾

[١٧٩] ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا﴾ خَلَقْنَا ﴿لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ الحَقُّ ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾ دلائل قدرة الله؛ بصر اعتباري ﴿وَلَهُمْ أذانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ الآيات والموعظ سماع تدبير واتعاظ ﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ﴾ في عدم الفقه والبصر والاستماع ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ من الأنعام؛ لأنها تَطْلُبُ مَنَافِعَهَا وَتَهْرَبُ مِنْ مَضَارِّهَا، وهؤلاء يقدمون على النار

(١) بل الأسماء أكثر من ذلك ولا يخصصها إلا الله ﷻ؛ كما في حديث: «اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وَإِنِّي عَبْدُكَ وَإِنِّي عَبْدُكَ...» وفيه: «وَأَسْأَلُكَ بِكُلِّ شَيْءٍ هُوَ لَكَ؛ شَيْئٌ يَهْتَمُّ بِهِ تَشْكُكُ، أَوْ أَتَزَلُّهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ اسْتَأْذَنْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْعَلِيِّ عَبْدِكَ...» الحديث (رواه أحمد برقم ٣٧٠٤ - ٤٣٠٦).

يصح.

(٢) يشير إلى القراءتين فيها، فيفتح الحاء قرأ حمزة، من «الحَدِّ» الثلاثي.

(٣) أخرج ابن جرير وابن المنذر وأبو الشيخ عن ابن جريج في قوله: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ﴾ [الأعراف: ١٨١] قال: ذكر لنا أن النبي ﷺ قال: «هذه أمتي بالحق يحكمون ويقضون ويأخذون ويعطون».

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن قتادة في قوله: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ﴾ [الأعراف: ١٨١] قال: بلغنا أن نبي الله ﷺ كان يقول إذا قرأها: «هذه لكم وقد أعطي القوم بين أيديكم مثلها» ﴿وَمِنْ قَوْرِ مَوْمِنٍ أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَيَبْهَتُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٩]. [الدر المنثور (٢/٢٧٢)].

(٤) بالنون مع الرفع قراءة نافع وابن كثير وابن عامر، وبالياء مع الجزم قراءة حمزة والكسائي.

[١٨٨] ﴿قُلْ لَا أَمَلٌ لِي فِي نَفْسِي نَعْمًا﴾ أجله ﴿وَلَا ضَرًّا أَدْعُهُ﴾ إلا ما سَأَلَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ مَا غَاب عَنِّي ﴿لَسْتَ تَعْرِفُونَ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِي السُّوءُ﴾ من فقر وغيره؛ لاحتزازي عنه باجتناب المضار ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ﴾ بالنار للكافرين ﴿وَبَشِيرٌ﴾ بالجنة ﴿لَقَزِيرٌ يُؤْمِنُونَ﴾.

[١٨٩] ﴿هُوَ﴾ أي: الله ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ﴾ أي: آدم ﴿وَجَعَلَ﴾ خلق ﴿وَبَيْنَا زَوْجَهَا﴾ حواء ﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ وباللها ﴿فَلَمَّا تَغَشَّيْنَاهَا﴾ جامعها ﴿حَمَلَتْ حَمَلًا خَفِيًّا﴾ هو النطفة ﴿فَمَرَّت بِهِ﴾ ذهبت وجاءت؛ لحفته ﴿فَلَمَّا أَتَتْكَ﴾ بكر الولد في بطنها، وأشفقا أن يكون بهيمة^(١) ﴿دَعَا اللَّهُ رَبَّهُمَا لَئِن آتَيْنَاكَ وَلَدًا﴾ ﴿صَلِحًا﴾ سويا ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ لك عليه.

[١٩٠] ﴿فَلَمَّا آتَيْنَاهَا﴾ ولدا ﴿صَلِحًا جَمَلًا لَهَا شُرَكَاءُ﴾ وفي قراءة: بكسر الشين والتنون^(٢)؛ أي: شريكا ﴿فِيمَا آتَيْنَاهَا﴾ بتسميته عبد الحارث، ولا ينبغي أن يكون عبداً إلا لله، وليس يشارك في العبودية؛ لعصمة آدم^(٣).

وروي سمرة عن النبي ﷺ قال: «لما ولدت حواء طاف بها إبليس - وكان لا يعيش لها ولد - فقال: سيء عبد الحارث؛ فإنه يعيش؛ فسميته؛ فعاش؛ فكان ذلك من وحي الشيطان وأمره^(٤)» [رواه الحاكم، وقال: صحيح. والترمذي وقال: حسن غريب]. ﴿فَتَعَلَّى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ أي: أهل مكة به من الأصنام، والجملة سببية عطف على ﴿خَلَقَكُمْ﴾ وما بينهما اعتراض.

[١٩١] ﴿يُشْرِكُونَ﴾ به في العادة ﴿مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلِقُونَ﴾.

[١٩٢] ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ﴾ أي: لعابديهم ﴿نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَصْرِفُونَ﴾ بمنعها ممن أراد بهم سوءاً؛ من كسر أو غيره، والاستفهام للتوبيخ.

[١٩٣] ﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ﴾ أي: الأصنام ﴿إِلَى الْمَدَى لَا يَسْتَجِيبُوا﴾ بالتخفيف والتشديد^(٥) ﴿سِوَاةً عَلَيْهِمْ أُدْعُوا لَهُمْ﴾ إليه ﴿أَمْ أَنْتُمْ صٰحِبُونَ﴾ عن دعائهم، لا يتبعوه؛ لعدم سماعهم.

[١٩٤] ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ﴾ مملوكة ﴿أَمْ أَنْتُمْ قَادِعُوهُمْ فَلَئِنْ نَسَبْتُمْ لَهُمْ كُفْرًا﴾ دعاءكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صٰدِقِينَ﴾ في أنها آلهة.

[١٩٥] ثم بيّن غاية عجزهم وفضل عابديهم عليهم فقال: ﴿الْهَمُّ أَنْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ﴾ بل أ ﴿لَهُمْ أُنْبُؤٌ﴾ جمع يد ﴿يَمْشُونَ بِهَا أَمْ﴾ بل أ ﴿لَهُمْ أَعْيُنٌ يَبْصُرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ مَادَاتٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ استفهام إنكاري؛ أي: ليس لهم شيء من ذلك مما هو لكم، فكيف تعبدونهم وأنتم أتم حالاً منهم؟! ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد: ﴿أَدْعُوا شُرَكَاءَكُمْ﴾ إلى هلاكهم ﴿فَلَمَّا تَنْظُرُونَ﴾ تهلون؛ فإني لا أبالي بكم.

(١) يشير إلى ما ورد في بعض الأحاديث والآثار والتي يفهم منها أن المراد بهذا السياق آدم وحواء، وهي واهية الإسناد معلولة كما بينه الحافظ ابن كثير في تفسيره، ولا يعتمد عليها؛ إذ أصلها مأخوذ من أقاصيص مثيلثة أهل الكتاب، ويُقَالُ ثلثة من السلف لها، وذكر كثير من المفسرين لها لا يجدي في صحتها شيئاً كما أفاده أهل التحقيق.

(٢) لنافع وشعبة.

(٣) هذا الذي اختاره المفسر من أن الكلام في آدم وحواء، وفسروا الشرك بأنه تسمية الولد «عبدالحارث» لا في الصفة والربوبية. وقال آخرون: إن ما في الآيتين لا يعني آدم وزوجته، بل يعم جنس الآدميين، وبين حال المشركين من ذريتهما، وهذا الذي يعمل عليه، فقله - تعالى -: ﴿جَمَلًا لَهَا﴾؛ يعني: الجنسين؛ أي: الذكر والأنثى الكافرين، دل على هذا قوله - تعالى - بعدها: ﴿فَتَعَلَّى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، ولم يقل: «الشركاء». قال القرطبي: هذا حسن. وروى ابن كثير في تفسيره عن قتادة قال: كان الحسن يقول: هم اليهود والنصارى زقهم الله أولاداً فهدودوا ونصروا... قال ابن كثير: وأما نحن فعلى مذهب الحسن البصري - رجحة الله - في هذا، وأنه ليس المراد من هذا السياق آدم وحواء، وإنما المراد من ذلك المشركون من ذريته. ا. هـ.

(٤) الترمذي (٣٠٠٣) وأحمد (١٩٢٥٨) وضعه الألباني في ضعيف الجامع (٤٧٦٩).

(٥) بالتخفيف قراءة نافع.

إِنَّ وَلِيََّ اللَّهُ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ وَهُوَ تَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴿١٩٦﴾ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْمَعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَئِيفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِبَيِّنَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ تَرَكْتُ فِي تَرْكِ الْكَلَامِ الْحَطِيئَةَ (٢٠٥) وَعَبَّرَ عَنْهَا بِالْقُرْآنِ؛ لِاشْتِمَالِهَا عَلَيْهِ، وَقِيلَ: فِي قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ مَطْلَقًا (٢٠٦).

﴿٢٠٥﴾ «وَأَذْكُرُ رَبِّكَ فِي نَفْسِكَ» أَي: سِرًّا «نَضْرَعًا» تَذَلُّا «وَخِيفَةً» خَوْفًا مِنْهُ «وَفَوْقَ السَّرِّ» دُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ «أَي: فَصْدًا» بَيْنَهُمَا «بِالْعُدْوِ وَالْأَصَالِ» أَوَائِلَ النَّهَارِ وَأَوَاخِرَهُ «وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ» عَن ذِكْرِ اللَّهِ.

﴿٢٠٦﴾ «إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ» أَي: الْمَلَائِكَةُ «لَا يَسْتَكْبِرُونَ» يَتَكَبَّرُونَ «عَنْ عِبَادَتِهِ» وَيُسَبِّحُونَهُ وَيُذَكِّرُونَهُ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِهِ «وَلَمْ يَسْجُدُوا» أَي: يَخْضَعُونَ بِالْخُضُوعِ وَالْعِبَادَةِ؛ فَكَوْنُوا مِثْلَهُمْ.

﴿١٩٦﴾ «إِنَّ وَلِيََّ اللَّهُ» متولي أموري «الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ» الْقُرْآنَ «وَهُوَ تَوَلَّى الصَّالِحِينَ» بحفظه.

﴿١٩٧﴾ «وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ» لَا يَسْمَعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ «فَكَيْفَ أَبَالِي بِهِمْ»

﴿١٩٨﴾ «وَإِنْ تَدْعُوهُمْ» أَي: الْأَصْنَامَ «إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ» أَي: الْأَصْنَامَ يَا مُحَمَّدُ «يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ» أَي: يَقَابِلُونَكَ كَالنَّازِرِ «وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ»

(٥) فائقة: أخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قدم عيينة بن حصن بن حذيفة، فنزل على ابن أخيه الحر بن قيس - وكان من نفر الذين يدينهم عمر - وكان الفراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته كهولاً كانوا أو شباناً. فقال عيينة لابن أخيه: يا ابن أخي، لك وجه عند هذا الأمر، فاستأذن لي عليه. قال: سأستأذن لك عليه، قال ابن عباس: فاستأذن الحو لعيينة، فأذن له عمر. فلما دخل عليه قال: هي يا ابن الخطاب، فوالله ما تعطينا الجزل، ولا تحكم بالعدل، فغضب عمر حتى هم به، فقال له الحو: يا أمير المؤمنين، إن الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم: «خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ»، وإن هذا من الجاهلين، والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وثقاً عند كتاب الله. البخاري. كتاب التفسير (٦٥). سورة الأعراف (٧) باب (٥)، «خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ»

(١) وهي قراءة الكسائي وابن كثير وأبي عمرو.

(٢) أخرج نحوه ابن مردويه عن ابن عباس، وأخرج نحوه أيضاً ابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه والبيهقي في سننه عن ابن عباس، ففي هذه الآثار ما يفيد أن الإنصات للقراءة في الصلاة وللخطبة على السواء. [الدر المنثور (٢٨٧/٣)]، وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٤٨٧/٣)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٤٦/٥)، والطبري في جامعه (١١٠/٩)، والبيهقي في الكبرى (١٥٥/٢) وغيرهم من طرق عن مجاهد. وهو صحيح بمجموعها عن مجاهد.

(٣) ويدخل في ذلك دخولاً أولياً متأكداً الاستماع والإنصات للإمام إذا قرأ في الصلاة الجهرية، وهذا القول بالعموم هو الأرجح، واختاره غير واحد من المفسرين.

إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ
 مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ ﴿٦﴾ وَمَا جَعَلَ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى
 وَيُظْمِئِينَ بِهِ فُلُوبَكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ
 عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧﴾ إِذِ يَعْبَسُكُمْ التُّعَاسُ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنزِلُ
 عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ
 رِجْسَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ
 ﴿٨﴾ إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ
 ءَامَنُوا سَأَلَتْنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّعْبَ فَأَصْرَبُوا
 فَوْقَ الْأَعْتَاقِ وَأَصْرَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿٩﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ
 شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ
 شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٠﴾ ذَلِكَ فَذُوقُوا وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ
 عَذَابَ النَّارِ ﴿١١﴾ يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَهُمُ الَّذِينَ
 كَفَرُوا رَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمْ الْأَدْبَارَ ﴿١٢﴾ وَمَنْ يُؤَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ
 دُبْرَهُ إِلَّا الْمُتَحَرِّفَ الْقِتَالِ أَوْ مُتَحَيِّرًا إِلَىٰ فِعْءٍ فَقَدَبَاءَ
 يَغْضِبُ مِنَ اللَّهِ وَمَا وَهُ جَهَنَّمُ وَيَسَّ الْمَصِيرُ ﴿١٣﴾

﴿فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي﴾ أي: بأني ﴿مُمِدُّكُمْ﴾ معيكم ﴿بِالْفِ﴾
 الملائكة ﴿مُرَدِّينَ﴾ متتابعين يردف بعضهم بعضاً، وعدهم بها أولاً، ثم
 صارت ثلاثة آلاف ثم خمسة؛ كما في آل عمران، وقرئ: ﴿بِالْفِ﴾ (١)
 كـ«أفلس» جمع. [١٠] ﴿وَمَا جَعَلَ اللَّهُ﴾ أي: الإمداد ﴿إِلَّا بُشْرَىٰ﴾
 و﴿يُظْمِئِينَ بِهِ فُلُوبَكُمْ﴾ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ.
 [١١] اذكر ﴿إِذِ يَعْبَسُكُمْ التُّعَاسُ أَمَنَةً﴾ أمناً مما حصل لكم من الخوف
 ﴿مِنْهُ﴾. تعالى - ﴿وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ﴾ من الأحداث
 والجنابات ﴿وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْسَ الشَّيْطَانِ﴾ وسوسته اليكم؛ بأنكم لو كنتم على
 الحق ما كنتم ظمأى محدثين، والمشركون على الماء ﴿وَلِيَرْبِطَ﴾ يحبس ﴿عَلَىٰ﴾
 قلوبكم ﴿بِالْفِ﴾ باليقين والصبر ﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ أن تسوخ في الرمل.
 [١٢] ﴿إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ﴾ الذين أمد بهم المسلمين ﴿أَنِّي﴾
 أي: بأني ﴿مَعَكُمْ﴾ بالعون والنصر ﴿فَثَبِّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بالإعانة والتبشير
 ﴿سَأَلَتْنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّعْبَ﴾ الخوف ﴿فَأَصْرَبُوا فَوْقَ﴾
 الأعتاق ﴿أَي: الرُّوسِ وَاصْرَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ أي: أطراف اليدين
 والرجلين؛ فكان الرجل يقصد ضرب رقبته الكافر؛ فتسقط قبل أن يصل إليه
 سيفه (٢)، ورامهم ﴿بِقَبْضَةٍ مِنَ الْحَصَى﴾ فلم يبق مشرك إلا دخل في عينيه
 منها شيء؛ فنهزموا (٣). [١٣] ﴿ذَلِكَ﴾ العذاب الواقع بهم ﴿بِأَنَّهُمْ شَاقُوا﴾
 خالفوا ﴿اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ له.
 [١٤] ﴿ذَلِكَ﴾ العذاب ﴿فَذُوقُوا﴾ أيها الكفار في الدنيا ﴿وَأَنَّ﴾
 للكافرين ﴿فِي الْآخِرَةِ عَذَابَ النَّارِ﴾. [١٥] ﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا﴾
 لَيْسَتْ لَهُمُ الدُّبُرُ كَفَرُوا رَحْفًا﴾ أي: مجتمعين؛ كأنهم لكثرتهم يرحفون ﴿فَلَا﴾
 تُوَلُّوهُمْ الْأَدْبَارَ ﴿منهزمين.﴾
 [١٦] ﴿وَمَنْ يُؤَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ﴾ (٤) أي: يوم لقائهم ﴿إِلَّا مُتَحَرِّفًا﴾
 منعطفًا ﴿لِقِتَالِهِمْ﴾ بأن يريهم الفرقة مكيدة، وهو يريد الكثرة ﴿أَوْ مُتَحَيِّرًا﴾
 منضمًا ﴿إِلَىٰ وَتَقَى﴾ جماعة من المسلمين يستنجد بها ﴿فَقَدَبَاءَ﴾ رجع
 ﴿يَغْضِبُ مِنَ اللَّهِ وَمَا وَهُ جَهَنَّمُ وَيَسَّ الْمَصِيرُ﴾ المرجع هي، وهذا
 مخصوص بما إذا لم يزد الكفار على الضعيف.

أَلْفٌ وَيُطِيلُ ﴿يحقن﴾ الأبطال ﴿الكفر﴾ ولو كره المجرمون ﴿المشركون﴾
 ذلك.
 [٩] اذكر ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ تطلبون منه العون بالنصر عليهم (٥)

= فنيا عنها العدو وهزناهم. وقال الذين أحذقوا برسول الله ﷺ: لستم بأحب بها منا، نحن أحذقنا برسول الله ﷺ وخفنا أن يصيب العدو منه غرة واشتغلنا به. فنزلت: ﴿تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ الأفعال هي الأفعال في قوله ﴿وَأَسْلَبُوا ذَاتَ بِيضِكُمْ﴾. فقسما رسول الله ﷺ على فواق بين المسلمين. قال: وكان رسول الله ﷺ إذا أغار في أرض العدو نقل الربع، وإذا أقبل راجعا وكل الناس نقل الثلث. وكان يكره الأفعال. ويقول: «يرد قوي المؤمن على ضعيفهم». أحمد - المسند (٣٢٤/٥)، وأخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي (١٣٦، ١٣٥/٢)، وصححه ابن حبان (الإحسان: ١٦٩٣).

(٥) ما جاء في نزول الآية (٩): أخرج مسلم عن ابن عباس قال: حدثني عمر بن الخطاب قال: لما كان يوم بدر، نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلاً - فاستقبل نبي الله ﷺ القبلة، ثم مد يديه فجعل يهتف بربه: «اللهم أنجز لي ما وعدتني. اللهم أت ما وعدتني. اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض». فما زال يهتف بربه، ماذا يديه، مستقبل القبلة، حتى سقط رداؤه عن منكبيه. فأتاه أبو بكر، فأخذ رداؤه فلقاه على منكبيه، ثم التزم من ورائه وقال: يا نبي الله، كفكفك مناقشتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك. فانزل الله ﷻ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ﴾ فأمد الله باللائكة.

قال ابن عباس: بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربة بالسوط فوقه. وصوت الفارس يقول: أقدم حيزوم. فنظر إلى المشرك أمامه فخر مستلقيا. فنظر إليه فإذا هو قد خطم أنفه وشق وجهه كضربة السوط، فاخضر ذلك أجمع، فجاء الأنصاري فحدث بذلك رسول الله ﷺ فقال: «صدقت، ذلك مدد السماء الثالثة، فقتلوا يومئذ سبعين وأسروا سبعين. مسلم - الجهاد والسير (٣٢) باب (١٨) الإمداد باللائكة في غزوة بدر وإباحتها الغنائم.

(٥٥) ما جاء في نزول الآية (١٦): أخرج أبو داود عن أبي سعيد قال: نزلت في يوم بدر. . . ﴿وَمَنْ يُؤَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ يُوَسِّوْهُمْ دُؤِبْرًا﴾. أبو داود - كتاب الجهاد (٩) باب (١٠٦) في التولي يوم الزحف. (صحيح) صحيح سنن أبي داود (٢٣٠٦).

(١) وهي قراءة شاذة. (٢) أخرج ذلك أبو الشيخ وابن مردويه عن أبي أمامة بن سهل الأنصاري عن أبيه. [الدر المنثور (٣٣/٤)]، ويشهد له ما رواه مسلم عن ابن عباس ﷺ قال: «بينما رجل من المسلمين يومئذ، يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه، إذ سمع ضربة بالسوط فوقه، وصوت الفارس فوقه يقول: أقدم حيزوم فنظر إليه؛ فإذا هو قد خطم أنفه وشق وجهه... الحديث» وتقدم تخريجه قريبا في أسباب النزول. (٣) روى ذلك الطبراني بإسناد حسن والواقدي وابن جرير الطبري وغيرهم. وعند مسلم أنه ﷺ فعل ذلك وقاله يوم حنين؛ فيحتمل تكرار الأمر منه ﷺ في الغزوتين. (مسلم ١٧٧٧).

[١٧] ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ﴾ بيدر بقوتكم ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ بصره إياكم ﴿وَمَا رَمَيْتُمْ﴾ يا محمد أعين القوم ﴿إِذْ رَمَيْتُمْ﴾ بالحصى؛ لأن كَمَا من الحصى لا يبلأ عيون الجيش الكثير برمية بَشْرٍ ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ بإبصال ذلك إليهم؛ فعل ذلك ليقهر الكافرين ﴿وَلِيُثَبِّتَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءٌ﴾ عطاء ﴿حَسْبَتْكُمْ﴾ هو الغنيمة ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لأقوالهم ﴿عَلِيمٌ﴾ بأحوالهم.

[١٨] ﴿ذَلِكُمْ﴾ الإبلاء حق ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مُهِينٌ﴾ مضعف ﴿كَيْدِ الْكٰفِرِينَ﴾.

[١٩] ﴿إِنْ تَسْتَفِيحُوا﴾ أيها الكفار؛ إن تطلبوا الفتح؛ أي: القضاء؛ حيث قال أبو جهل منكم: «اللهم أينما كان أقطع للرحم، وأتانا بما لا نعرف؛ فأحنه الغداة»^(١)؛ أي: أهلكته ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ﴾ القضاء بهلاك من هو كذلك؛ وهو: أبو جهل ومن قُبل معه دون النبي ﷺ والمؤمنين ﴿وَإِنْ تَنْهَوْا﴾ عن الكفر والحرب ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُدُّوا﴾ لقتال النبي ﷺ ﴿تَعُدُّ﴾ لنصره عليكم ﴿وَأَنْ تَتَّقِي﴾ تدفع ﴿عَنْكُمْ﴾ فتتقون ﴿جماعاتكم﴾ شيئاً ولو كَثُرَتْ وَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بكسر «إن» استئنافاً، وفتحها على تقدير اللام^(٢).

[٢٠] ﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا﴾ تعرضوا ﴿عَنْهُ﴾ بمخالفة أمره ﴿وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ القرآن والمواظع.

[٢١] ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ سماع تدبير واتعاظ؛ وهم: المنافقون أو المشركون.

[٢٢] ﴿إِنَّ سَرَ أَلْوَابٍ عِنْدَ اللَّهِ الضُّمُّ﴾ عن سماع الحق ﴿أَلَيْكُمْ﴾ عن النطق به ﴿الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٣).

[٢٣] ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ صلاحاً بسماع الحق ﴿لَأَسْمَعَهُمْ﴾ سماع تفهم ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ﴾ فرضاً، وقد علم أن لا خير فيهم ﴿تَوَلَّوْا﴾ عنه ﴿وَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ عن قبوله عناداً وجحوداً.

[٢٤] ﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ بالطاعة ﴿إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ من أمر الدين؛ لأنه سبب الحياة الأبدية ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ فلا يستطيع أن يؤمن أو يكفر إلا بإرادته ﴿وَأَنَّهُ

فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَا كِنَّ اللَّهُ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتُمْ إِذْ رَمَيْتُمْ وَلَا كِنَّ اللَّهُ رَمَى وَلِيُثَبِّتَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءٌ حَسْبَتْكُمْ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَلِكَ كُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُهِينٌ كَيْدِ الْكٰفِرِينَ ﴿١٨﴾ إِنْ تَسْتَفِيحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْهَوْا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُدُّوا نَعُدُّ وَلَنْ تُغْنِي عَنْكُمْ فِتْنَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ إِنْ سَرَ أَلْوَابٍ عِنْدَ اللَّهِ الضُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ وَيْلَهُ يُخَشِرُونَ ﴿٢٤﴾ وَأَتَقُوا فِتْنَةَ الَّذِينَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَأَعَامُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾

إِلَيْهِ تُخْشَرُونَ﴾ فيجازيكم بأعمالكم.

[٢٥] ﴿وَأَتَقُوا فِتْنَةَ﴾ إن أصابتكم ﴿لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ بل تعمهم وغيرهم، واتقاؤها يانكار موجبها من المنكر ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لمن خالفه.

(١) ما جاء في نزول الآية (١٩): أخرجه أحمد في المسند عن عبد الله بن ثعلبة بن ضعير - بهجمة مصغراً - أن أبا جهل قال حين التقى القوم: اللهم أظعننا الرحم، وأتانا بما لا نعرف، فأحنه الغداة: فكان المستفتح. (المسند ٤/٣١٥)، وأخرجه الحاكم في مستدركه (٣٢٨/٢)، وضححه وواقفه الذهبي، وأخرجه ابن إسحاق في المغازي (٢٧٠/٢) وفيه عنده زيادة: ... وكان ذلك استفتاحه، فأزل الله تعالى: ﴿إِنْ تَسْتَفِيحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ﴾.

(١) بالكسر قراءة حمزة والكسائي وشعبة وأبي عمرو وابن كثير.

(٢) روى البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - قال: هم نفر من بني عبد الدار. صحيح البخاري (٤٦٤٦).

تَعُوذُوا بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ وَ﴿١﴾ لَا تَحْمِلُوا أَسْمَاءَكُمْ ﴿٢﴾ مَا اتَّخَذْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الدِّينِ
وغيره ﴿وَأَنْتُمْ تَمْلِكُونَ﴾.

[٢٨] ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ مَا أَمْرًا لَكُمْ وَأَوْلَادَكُمْ فَتَنَّهُ﴾ لكم، ضادة عن أمور
الآخرة ﴿وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ فلا تفوتوه؛ بمراعاة الأموال والأولاد
والحيانة لأجلهم.

[٢٩] ﴿وَنَزَلَ فِي تَوْبَتِهِ﴾: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَشَاءُوا بِالْإِنَابَةِ
وغيرها ﴿يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ بينكم وبين ما تخافون؛ فتنجون ﴿وَيُكَفِّرْ
عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ ذنوبكم ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

[٣٠] ﴿وَإِذْ يَبْكُ يَا مُحَمَّدٌ﴾ ﴿وَإِذْ يَبْكُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وقد اجتمعوا
للمشاورة في شأنك بدار الندوة ﴿لِيُنشِئُكَ﴾ يوتقوك ويحبسوك ﴿أَوْ
يَقْتُلُوكَ﴾ كلهم قتلة رجل واحد ﴿أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ من مكة ﴿وَيَمَكُرُونَ﴾
بك ﴿وَيَمَكُرُ اللَّهُ﴾ بهم؛ بتدبير أمرك؛ بأن أوحى إليك ما دبروه وأمرك
بالخروج ﴿﴿ وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمَكْرِينَ﴾ أعلمهم به.

[٣١] ﴿وَإِذَا نُنشِئُ عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا﴾ القرآن ﴿قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ
لَقُلْنَا مَثَلًا هَذَا﴾ قاله النضر بن الحارث؛ لأنه كان يأتي الحيرة، ينجس؛
فيشتري كتب أخبار الأعاجم، ويحدث بها أهل مكة ﴿﴿ إِنْ﴾ ما
﴿هَذَا﴾ القرآن ﴿إِلَّا أَصْطَلِبُ﴾ أكاذيب ﴿الْأُولِينَ﴾.

[٣٢] ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كُنَّا هَذَا﴾ الذي يقرؤه محمد ﴿هُوَ
الْحَقُّ﴾ المنزل ﴿مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا
بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ مؤلم على إنكاره، قاله النضر وغيره استهزاء وإيهامًا أنه على
بصيرة، وحزم بطلانه. قال - تعالى -: [٣٣] ﴿وَمَا كُنَّا لِنُعْذِبَهُمْ﴾
بما سألوه ﴿﴿ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ لأن العذاب إذا نزل عم، ولم تعذب أمة إلا بعد
خروج نبيها والمؤمنين منها ﴿وَمَا كُنَّا لِنُعْذِبَهُمْ﴾ وهم يستغفرون
حيث يقولون في طوافهم: غفرانك غفرانك. وقيل: هم المؤمنون المستضعفون
فيهم. كما قال - تعالى -: ﴿لَوْ تَرَكْنَا لَعَذَابَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا
أَلِيمًا﴾. ﴿٥﴾

وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ نَحَا فُونَ
أَنْ يَتَخَفَتُمْ النَّاسُ فَنَآوَلَكُمْ وَأَيْدِيكُمْ بِبَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ
مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا
لَا تَحْمِلُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَحْمِلُوا أَسْمَاءَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعَامُونَ
﴿٧﴾ وَأَعْلَمُوا أَنَّ مَا أَمْرًا لَكُمْ وَأَوْلَادَكُمْ فَتَنَّهُ وَأَنَّ اللَّهَ
عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٨﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَشَاءُوا
اللَّهُ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ
وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٩﴾ وَإِذْ يَمَكُرُ بِكِ
الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُنشِئُكَ أَوْ يَمَكُرُ بِكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمَكُرُونَ
وَيَمَكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمَكْرِينَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا نُنشِئُ عَلَيْهِمْ
ءَايَاتِنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مَثَلًا هَذَا إِنْ هَذَا
إِلَّا أَصْطَلِبُ الْأُولِينَ ﴿١١﴾ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا
هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ
أَوْ آتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٢﴾ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ
فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٣﴾

[٢٦] ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ أرض مكة
﴿تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَفَتَكُمْ النَّاسُ﴾ يأخذكم الكفار بسرعة ﴿فَنَآوَلَكُمْ﴾ إلى
المدينة ﴿وَأَيْدِيكُمْ﴾ قواكم ﴿بِبَصْرِهِ﴾ يوم بدر باللائكة ﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ
الطَّيِّبَاتِ﴾ الغنائم ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نعمه. ونزل في أبي لبياب مروان
ابن عبد المنذر وقد بعثه ﷺ إلى بني قريظة؛ ليزلوا على حكمه؛ فاستشاروه؛
فأشار إليهم أنه الذبيح؛ لأن عياله وماله فيهم -: [٢٧] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا

(٥) ما جاء في نزول الآيتين (٣٣، ٣٤)؛ أخرجه البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال أبو جهل: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كُنَّا هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ فنزلت: ﴿وَمَا كُنَّا لِنُعْذِبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ ﴿﴿ وَمَا لَهُمْ إِلَّا بِعَذَابِهِمْ﴾ وَاللَّهُ يَسْتَعْتَبُ عَنْ السَّجِدِ الْخَصَائِرِ﴾. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة الأنفال (٨) باب (٣)، (٤) باب (٤).

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٤٦/٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٨٤/٥) والسيوطي في الدر المنثور (٤٨٨/٤)، وإسناده ضعيف.

(٢) لم أجده.

(٣) ومذهب السلف في هذا النوع من الصفات إثباته لله تعالى على الوجه اللائق به - شبحه، وهي فيما سبقت له مدح وكمال، ولكن لا تطلق عليه تعالى مجردة بدون ذكر متعلقها؛ وكذا لا يشق له اسم أو صفة منها؛ فلا يقال: ماكر، ولا مخادع.

(٤) أخرجه نحوه ابن جرير وابن أبي حاتم عن السدي - وليس فيه ذكر التجار بالكتب وإنما فيه سماعه لسجع أهلها وكلامهم - [الدر المنثور (٣٢٧/٣)]. وإسناده ضعيف جدًا كما ذكر صاحب الاستيعاب (٢٣٣/٢).

(٥) الفتح: ٢٥.

[٣٤] ﴿وَمَا لَهُمْ أَهٌ نُّ لَّا يَعْبُدُهُمُ اللَّهُ﴾ بالسيف بعد خروجك، والمستضعفين، وعلى القول الأول: هي ناسخة لما قبلها، وقد عذبهم الله بيدر وغيره ﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ﴾ ينعون النبي ﷺ والمسلمين ﴿عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أن يطوفوا به ﴿وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ﴾ كما زعموا ﴿إِنَّ مَا أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنْ أَكْذَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن لا ولاية لهم عليه. [٣٥] ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً﴾ صفيراً ﴿وَتَضِيدَةً﴾ تصفيقاً؛ أي: جعلوا ذلك موضع صلاتهم التي أمروا بها^(١) ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ بيدر ﴿يَمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾.

[٣٦] ﴿إِنَّ الْبَيْتَ كَفَرُوا يُشْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ﴾ في حرب النبي ﷺ ﴿لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُفْقَرُونَهَا ثُمَّ كَانُوا فِي عَاقِبَةِ الْأَمْرِ وَعَلَيْهِمْ حَسْرَةٌ﴾ ندامة؛ لغواتها وفوات ما فسدوه ﴿ثُمَّ يُغَابُونَ﴾ في الدنيا ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ منهم ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ في الآخرة ﴿يُحْتَرُونَ﴾ يساقون.

[٣٧] ﴿لِيُجِزَّ اللَّهُ﴾ متعلق بـ﴿تَكُونُ﴾ بالتخفيف والتشديد^(٢)؛ أي: يفصل ﴿الْحَيِّثُ﴾ الكافر ﴿وَمِنَ الطَّيِّبِ﴾ المؤمن ﴿وَيَجْعَلُ الْحَيِّثُ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكَبُكُمْ جَمِيعًا﴾ يجمعه متراكماً بعضه على بعض ﴿فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ أَوْلِيَاءَ هُمُ الْخَائِرُونَ﴾.

[٣٨] ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ كأبي سفيان وأصحابه: ﴿إِنْ يَنْتَهُوا﴾ عن الكفر وقاتل النبي ﷺ ﴿يُعْطَرُ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ من أعمالهم ﴿وَإِنْ يَؤُودُوا﴾ إلى قتاله ﴿فَقَدْ مَضَّتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: سنننا فيهم بالإهلاك؛ فكذا فعل بهم.

[٣٩] ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ تَوْجِدَ﴾ وتشد ﴿وَفِتْنَةً﴾ شرك ﴿وَيَكُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّهِ﴾ وحده، ولا يعبد غيره ﴿فَإِنْ أَنْهَرُوا﴾ عن الكفر ﴿فَارْتَبِطْ﴾ الله يما يعمَلون بصير^(٣) فيجازيهم به.

[٤٠] ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ عن الإيمان ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ﴾ ناصركم ومتولي أموركم ﴿يَعْمَ الْمَوْلَىٰ﴾ هو ﴿وَيَعْمَ النَّصِيرُ﴾ أي: الناصر لكم.

وَمَا لَهُمُ إِلَّا يَعْبُدُهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنْ أَكْذَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَضِيدَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ يَمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُفْقَرُونَهَا ثُمَّ كَانُوا فِي عَاقِبَةِ الْأَمْرِ وَعَلَيْهِمْ حَسْرَةٌ ثُمَّ يَغَابُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْسَرُونَ لِيُجِزَّ اللَّهُ الْحَيِّثُ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلُ الْحَيِّثُ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكَبُكُمْ جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ أَوْلِيَاءَ هُمُ الْخَائِرُونَ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُعْطَرُ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَؤُودُوا فَقَدْ مَضَّتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّهِ فَإِنْ أَنْتَهُوا فَارْتَبِطْ اللَّهُ يَمَا يَعْمَلُونَ بِصِيرٍ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نَعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنَعْمَ النَّصِيرُ

(١) قال القرطبي: «... وفي معنى الآية رد على الجهال من المنصوفة الذين يرقصون ويصفقون، وذلك كله منكر يتنزه عن مثله العقلاء، وينشبهه فاعله بالمشركين فيما كانوا يفعلونه عند البيت» اهـ.

(٢) بالتشديد قراءة حمزة والكسائي، فتكون هكذا: ﴿لِيُجِزَّ﴾.

المقطع في سفره من المسلمين؛ أي: يستحقه النبي ﷺ والأصناف الأربعة على ما كان يقسمه، من أن لكل حُمن الحُمن، والأحماس الأربعة الباقية للغنائم **﴿إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ﴾** فاعلموا ذلك **﴿وَمَا﴾** عطف على **﴿بِاللَّهِ﴾** **﴿أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا﴾** محمد ﷺ من الملائكة والآيات **﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾** أي: يوم بدر الفارق بين الحق والباطل **﴿يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾** المسلمون والكفار **﴿وَاللَّهُ عَلَى كَثِيرٍ نَقِيٌّ قَدِيرٌ﴾** ومنه نصركم مع قتلكم وكثرتهم.

[٤٢] **﴿إِذْ﴾** بدل من **﴿يَوْمَ﴾** **﴿أَنْتُمْ﴾** كائون **﴿بِالْعُدُوِّ الدِّيَارِ﴾** القرى من المدينة؛ وهي - بضم العين وكسرها^(١) - : جانب الوادي **﴿وَهُمْ بِالْعُدُوِّ الْفُصُوءِ﴾** البغدى منها **﴿وَأَلْرَكَبِ﴾** العبر كائون بمكان **﴿أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾** مما يلي البحر **﴿وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ أَنْتُمْ وَالنَّفِيرَ لِلْقِتَالِ﴾** لَأَخْلَفْتُمْ في الأيعن **﴿وَلَكِنْ﴾** جمعكم بغير ميعاد **﴿لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَتْ مَفْعُولًا﴾** في علمه؛ وهو: نصر الإسلام ومحق الكفر، فَعَلَّ ذلك **﴿لِيَهْلِكَ﴾** يكفر **﴿مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾** أي: بعد حجة ظاهرة قامت عليه؛ وهي: نصر المؤمنين مع قتلهم على الجيش الكثير **﴿وَيَحْيَى﴾** يؤمن **﴿مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾** وإراك الله لَسَمِعَ عَلَيْهِمُ.

[٤٣] اذكر **﴿إِذْ يُرِيكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاقِعَ﴾** أي: نومك **﴿فَلَيْلًا﴾** فأخبرت به أصحابك؛ فسروا **﴿وَلَوْ أَرَادْتُمْ كَثِيرًا لَفُتِنْتُمْ﴾** جبثتم **﴿وَلَلنَّزَعْتُمْ﴾** اختلفتم **﴿فِي الْأَمْرِ﴾** أمر القتال **﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ سَكَمٌ﴾** كَم من الفشل والتنازع **﴿إِنَّهُمْ عَلَيْهِمْ يَدَاتُ الضُّرُورِ﴾** بما في القلوب.

[٤٤] **﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ﴾** أيها المؤمنون **﴿إِذِ اتَّقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَيْلًا﴾** نحو سبعين، أو مائة، وهم ألف؛ لتقدموا عليهم **﴿وَيَقْلَلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ﴾** ليقدموا ولا يرجعوا عن قتالكم، وهذا قبل التحام الحرب، فلما التحم أراهم إياهم مثلهم؛ كما في آل عمران **﴿لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَتْ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾** تصير **﴿الْأُمُورُ﴾**.

[٤٥] **﴿يَتَأْتِيهَا الْبُرُكُ﴾** أموا إذا لَيْتَمَ فِتْةٌ جماعة كافرة **﴿فَاتَّبَعُوا﴾** لقتالهم ولا تنهزموا **﴿وَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾** ادعوه بالنصر **﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ﴾** تفوزون.

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ حُمْسَهُ﴾ وللرسول ولذي القربى واليتيمى والمساكين **﴿وَأَبْنِ السَّبِيلِ﴾** إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا **﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾** **﴿يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾** والله على كل شيء قدير **﴿إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدُوِّ الدِّيَارِ وَهُمْ بِالْعُدُوِّ الْفُصُوءِ﴾** وأركب أسفل منكم **﴿وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَأَخْلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ﴾** ولكن ليَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَتْ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ **﴿وَإِلَى اللَّهِ لَسَمِعَ عَلَيْهِمُ﴾** **﴿إِذْ يُرِيكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاقِعَ قَلِيلًا﴾** **﴿وَلَوْ أَرَادْتُمْ كَثِيرًا لَفُتِنْتُمْ﴾** ولتنزعنكم في الأمر **﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ﴾** إنهم عليهم يَدَاتُ الضُّرُورِ **﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ﴾** إذ اتَّقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيَقْلَلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ **﴿لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَتْ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾** **﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾** إذا لَقِيَتْ رُفْعَةً فَاتَّبَعُوا **﴿وَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ﴾**

[٤١] **﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ﴾** أخذتم من الكفار فهرا **﴿مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ حُمْسَهُ﴾** يأمر فيه بما يشاء **﴿وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى﴾** قرابة النبي ﷺ من بني هاشم وبني المطلب **﴿وَالْيَتِيمِ﴾** أطفال المسلمين الذين هلك آباؤهم وهم فقراء **﴿وَالسَّبِيلِ﴾** ذوي الحاجة من المسلمين **﴿وَأَبْنِ السَّبِيلِ﴾**

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَتَزَوَّجُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصِيرُوا إِنَّا اللَّهُ مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَتَّكِبُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطْرًا وَرِثَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ أَيُّومَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌّ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَ آيَاتِ الْفِتْنَانِ تَكَصَّ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةَ يَصْرُبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبُرَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلِيمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾ كَذَّابٌ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٥٢﴾﴾

[٥٢] ذُوبٌ هَؤُلَاءِ ﴿كَذَّابٌ﴾ كَعَادَةُ ﴿ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ﴾ بِالْعِقَابِ ﴿بِذُنُوبِهِمْ﴾ جَمَلَةٌ ﴿كَذَّبُوا﴾ وَمَا بَعْدَهَا: مَفْسَرَةٌ لِّمَا قَبْلَهَا ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ﴾ عَلَى مَا يَرِيدُهُ ﴿شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾

[٤٦] ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَتَزَوَّجُوا﴾ تَخْتَلَفُوا فِيمَا بَيْنَكُمْ ﴿فَتَفْشَلُوا﴾ تَجَبَّنَا ﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ قُوَّتُكُمْ وَدَوْلَتُكُمْ ﴿وَأَصِيرُوا﴾ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿بِالنَّصْرِ وَالْعَوْنِ﴾

[٤٧] ﴿وَلَا تَتَّكِبُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ لِيَمْنَعُوا غَيْرَهُمْ وَلَمْ يَرْجِعُوا بَعْدَ نَجَاتِهَا ﴿بَطْرًا وَرِثَاءَ النَّاسِ﴾ حَيْثُ قَالُوا: لَا نَرْجِعُ حَتَّى نَشْرِبَ الْحَمْرَ، وَنَحْرَ الْجَزُورِ، وَتَضْرِبَ عَلَيْنَا الْقِيَانُ^(١) يَبْدُرُ فَيَسْمَعُ بِذَلِكَ لِلنَّاسِ ﴿وَيَصُدُّونَ﴾ النَّاسِ ﴿عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ بِالْبَاءِ وَالنَّاءِ^(٢) ﴿مُحِيطٌ﴾ عَلِمًا فَيَجَارِيهِمْ بِهِ.

[٤٨] ﴿وَ﴾ اذْكَرَ ﴿إِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ﴾ لِيَلْبِسَ ﴿أَعْمَالَهُمْ﴾ بِأَنْ شَجَعَهُمْ عَلَى لِقَاءِ الْمُسْلِمِينَ - لَمَّا خَافُوا الْخُرُوجَ مِنْ أَعْدَانِهِمْ بَنِي بَكْرٍ - ﴿وَقَالَ﴾ لَهُمْ: ﴿لَا غَالِبَ لَكُمْ أَيُّومَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌّ لَكُمْ﴾ مِنْ كِنَانَةٍ، وَكَانَ أَتَاهُمْ فِي صُورَةِ سَرَاقَةٍ مِنْ مَالِكِ سَيِّدِ تِلْكَ النَّاحِيَةِ ﴿فَلَمَّا تَرَ آيَاتِ﴾ التَّفَتُّ ﴿الْفِتْنَانِ﴾ الْمُسْلِمَةَ وَالْكَافِرَةَ، وَرَأَى الْمَلَائِكَةَ وَكَانَتْ يَدُهُ فِي يَدِ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ ﴿تَكَصَّ﴾ رَجَعَ ﴿عَلَى عَقِبَيْهِ﴾ هَارِبًا ﴿وَقَالَ﴾ - لَمَّا قَالُوا لَهُ: أَتُخَذِلُنَا عَلَى هَذِهِ الْحَالِ؟! - ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ﴾ مِنْ جَوَارِكِ ﴿إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ﴾ مِنَ الْمَلَائِكَةِ^(٣) ﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ﴾ أَنْ يَهْلِكَنِي ﴿وَأَلَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

[٤٩] ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾ ضَعْفَ اعْتِقَادٍ: ﴿غَرَّ هَؤُلَاءِ﴾ أَي: الْمُسْلِمِينَ ﴿دِينَهُمْ﴾ إِذْ خَرَجُوا مَعَ قَتْلِهِمْ بِقَاتِلُونَ الْجَمْعَ الْكَثِيرَ تَوْهَمًا أَنَّهُمْ يَنْصُرُونَ بِسَبَبِهِ، قَالَ - تَعَالَى - فِي جَوَابِهِمْ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ يَتَّقْ بِهِ، يَغْلِبْ ﴿فَلَا يَكُفِّرُ اللَّهُ عَنِّي﴾ غَالِبَ عَلَى أَمْرِهِ ﴿حَكِيمٌ﴾ فِي صَنْعِهِ.

[٥٠] ﴿وَلَوْ تَرَى﴾ يَا مُحَمَّدُ ﴿إِذْ يَتَوَفَّى﴾ بِالْبَاءِ وَالنَّاءِ^(٤) ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةَ يَصْرُبُونَ﴾ حَالٌ ﴿وُجُوهَهُمْ وَأَدْبُرَهُمْ﴾ بِمَقَامِعٍ مِنْ حَدِيدٍ ﴿وَيَقُولُونَ لَهُمْ: ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ أَي: النَّارِ، وَجَوَابِ «لَوْ» لِرَأْيِ أَمْرٍ عَظِيمًا.

[٥١] ﴿ذَلِكَ﴾ التَّعْذِيبُ ﴿بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيكُمْ﴾ عَبْرَ بَهَا دُونَ غَيْرِهَا؛ لِأَنَّ أَكْثَرَ الْأَعْمَالِ تَزَاوَلُ بَهَا ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلِيمٍ﴾ أَي: بِذِي ظَلَمٍ ﴿لِّلْعَبِيدِ﴾ فَيُعَذِّبُهُمْ بِغَيْرِ ذَنْبٍ.

(١) جمع فقيهة و«فين». و«القينة»: هي الأمة المملوكة المغنية. وقيل: «لو كانت غير مغنية»، و«العين»: العبد.

(٢) ظاهره أنهما سبعيتان، وليس كذلك، بل الناء النوقية لم يقرأ بها أحد من السبعة ولا العشرة، فذكرها سبق قلم.

(٣) أخرج نحوه الطبري مختصراً في جامع البيان (١/٤١٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٧١٥/٥) دون ذكر سراقه والحارث. وحسن صاحب الاستيعاب إسناده (٢٤١/٢).

(٤) بالياء قراءة ابن عامر.

ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُعَيَّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُعَيَّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ كَذَّابٌ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَعْرَفْنَا ءَالَ فِرْعَوْنَ وَكُلَّ كَاذِبٍ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٦﴾ الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنْهُمْ أَنْ لَا يُعِينُوا الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرْجٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ فَإِنَّمَا تَتَّفِقَتُنَّ فِي الْحَرْبِ بِشَرِّ ذُرِّيَّتِهِمْ مَنِ خَلَفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ وَإِنَّمَا تَخَافُونَ إِيَّاهُ فَاتَّبِعْتُمْ أَهْوَاءَكُمْ حَتَّى تُتَخَفُوا وَإِنَّمَا تَخَافُونَ إِيَّاهُ فَاتَّبِعْتُمْ أَهْوَاءَكُمْ حَتَّى تُتَخَفُوا وَإِنَّمَا تَخَافُونَ إِيَّاهُ فَاتَّبِعْتُمْ أَهْوَاءَكُمْ حَتَّى تُتَخَفُوا وَإِنَّمَا تَخَافُونَ إِيَّاهُ فَاتَّبِعْتُمْ أَهْوَاءَكُمْ حَتَّى تُتَخَفُوا

[٥٤] ﴿كَذَّابٌ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَعْرَفْنَا ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾ قومه معه ﴿وَكُلٌّ﴾ من الأمم الكاذبة ﴿كَانُوا ظَالِمِينَ﴾.
 [٥٥] ﴿وَنَزَّلَ فِي قُرَيْشٍ﴾ (١) ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

[٥٦] ﴿الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنْهُمْ أَنْ لَا يُعِينُوا الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرْجٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾ الله في عذرهم.

[٥٧] ﴿فَإِنَّمَا﴾ فيه إدغام نون ﴿إِن﴾ الشرطية في ﴿مَا﴾ المزيدة ﴿تَتَّفِقْتُمْ﴾ تجتمعهم ﴿فِي الْحَرْبِ فَشَرِّ ذُرِّيَّتِهِمْ﴾ فرق ﴿بِهِمْ مَنِ خَلَفَهُمْ﴾ من الحارين؛ بالنسبة لهم والعقوبة ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ أي: الذين خلفهم ﴿يَذَّكَّرُونَ﴾ يتعظون بهم.

[٥٨] ﴿وَإِنَّمَا تَخَافُونَ إِيَّاهُ فَاتَّبِعْتُمْ أَهْوَاءَكُمْ حَتَّى تُتَخَفُوا﴾ في عهد بأمانة تلوح لك ﴿فَأَتَّبَعْتُمْ﴾ اطرح عهدهم ﴿إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾ حال؛ أي: مستوتا أنت وهم في العلم بنقض العهد؛ بأن تعلمهم به؛ لئلا يتهموك بالعدو ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُتَخَفِينَ﴾.

[٥٩] ﴿وَنَزَّلَ فِيْمَنْ أَقْلَتْ يَوْمَ بَدْرٍ﴾ (٢) ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ﴾ (٣) يا محمد ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا﴾ الله؛ أي: فاتوه ﴿إِنَّهُمْ لَا يَعْبُرُونَ﴾ لا يفوتونه، وفي قراءة: بالتحنانية، فالمفعول الأول محذوف؛ أي: أنفسهم، وفي أخرى: بفتح ﴿إِن﴾ (٤) على تقدير اللام.

[٦٠] ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ﴾ لقتالهم ﴿مَّا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ قال ﷺ: ﴿هِيَ الرُّيُوءُ﴾ [رواه مسلم] (٥) ﴿وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾ مصدر؛ بمعنى: حبسها في سبيل الله ﴿رَهْبُونَ﴾ تخوفون ﴿بِيَدِ عَدُوِّ اللَّهِ وَعَدُوِّكُمْ﴾ أي: كفار مكة ﴿وَالْآخِرِينَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِمْ﴾ أي: غيرهم؛ وهم: المنافقون، أو اليهود ﴿لَا تَعْلَمُونَهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾ جزاؤه ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَظُنُّونَ﴾ تنقصون منه شيئاً.

[٦١] ﴿وَإِنْ جَنَحُوا﴾ مالوا ﴿لِلسَّلَامِ﴾ بكسر السين وفتحها (٦)؛ الصلح ﴿فَأَجْحَحْ لَهُمْ﴾ وعاهدتهم، وقال ابن عباس: هذا منسوخ بأية السيف. وقال مجاهد: مخصوص بأهل الكتاب؛ إذ نزلت في بني قريظة (٧) ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ ثى به ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ للقول ﴿الْعَلِيمُ﴾ بالفعل.

[٥٣] ﴿ذَلِكَ﴾ أي: تعذيب الكفرة ﴿بِأَنَّ﴾ أي: بسبب أن ﴿اللَّهُ لَمْ يَكُ مُعَيَّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ﴾ مبدلاً لها بالنقمة ﴿حَتَّى يُعَيَّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ يبدلوا نعمتهم كفرًا؛ كتبديل كفار مكة إقطاعهم من جوع وأمنهم من خوف وبعث النبي ﷺ إليهم بالكفر والصد عن سبيل الله وقتال المؤمنين ﴿وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

(١) أخرجه ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ﴾ [الأنفال: ٥٦] [البر المنور (٣/٣٤٧)].
 (٢) ذكر نحوه البغوي في تفسيره (٣/٣٦٩).
 (٣) وهي قراءة نافع وابن كثير والكسائي وأبي عمرو وشعبة.
 (٤) لابن عامر.
 (٥) أخرجه نحوه مسلم (٣٥٤١) عن عتبة بن عامر مرفوعاً.
 (٦) بالكسر لشعبة.
 (٧) قال ابن كثير: وهذا فيه نظر؛ لأن السياق كله في وقعة بدر، وذكرها مكنف لهذا كله. ثم قال معلقاً على القول بالنسخ: «وفيه نظر أيضاً؛ لأن آية براءة فيها الأمر بقتالهم إذا أمكن ذلك، فأما إن كان العدو كثيراً فإنه يجوز مهادنتهم كما دلت عليه هذه الآية الكريمة، وكما فعل النبي ﷺ يوم الحديبية، فلا منافاة ولا نسخ ولا تخصيص. والله أعلم». اهـ.

[٦٢] ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ﴾ بالصالح؛ ليستعدوا لك ﴿فَارْتَحِبْ﴾ كافيك ﴿اللَّهُ هُوَ الَّذِي يُدَبِّرُكُمْ﴾ وبالْمُؤْمِنِينَ .
 [٦٣] ﴿وَأَلْفٌ مِنْكُمْ﴾ جمع ﴿بَيْتٌ قُلُوبِهِمْ﴾ بعد الإحن ﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتْ بِكَ قُلُوبُهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْتِهِمْ﴾ بقدرته ﴿إِنَّهُ عَزِيزٌ﴾ غالب على أمره ﴿حَكِيمٌ﴾ لا يخرج شيء عن حكمته.
 [٦٤] ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ﴾ وحسبك ﴿مَنْ أْتَمَعَكَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

[٦٥] ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَرِيصٌ﴾ حثُّ ﴿الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾ للكفار ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَبِيرًا يُغْلِبُوا مِائَتِينَ﴾ منهم ﴿وَإِنْ يَكُنْ بِالْبَاءِ وَالنَّاءِ﴾ (١) ﴿يَنْصَبُكُمْ مِائَةً يُغْلِبُوا أَلْفًا مِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ﴾ أي: بسبب أنهم ﴿قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ وهذا خبر؛ بمعنى الأمر؛ أي: ليقابل العشرون منكم المائتين، والمائة ألف ويثبتوا لهم، ثم نُسِخَ - لا كُتِبُوا - بقوله:
 [٦٦] ﴿الَّذِينَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾ بضم الضاد وفتحها (٢)، عن قتال عشرة أمثالكم (٣) ﴿وَإِنْ يَكُنْ بِالْبَاءِ وَالنَّاءِ﴾ (٤) ﴿يَنْصَبُكُمْ مِائَةً صَابِرَةً يُغْلِبُوا مِائَتِينَ﴾ منهم ﴿وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يُغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بإرادته؛ وهو: خبر بمعنى الأمر؛ أي: لقاتلوا مثلثكم وتثبتوا لهم ﴿وَأَلْفٌ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ بعونه.

[٦٧] ﴿وَنَزَّلَ - لِمَا أَخَذُوا الْفِدَاءَ مِنْ أَسْرَى بَدْرٍ﴾ (٥) : ﴿مَا كَانَتْ لِيُنِّيَ أَنْ تَكُونَ﴾ بالناء والياء (٥) ﴿لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُخْرَجَ فِي الْأَرْضِ﴾ يبلغ في قتل الكفار ﴿تُرِيدُونَ﴾ أيها المؤمنون ﴿عَرَضَ الَّذِينَ﴾ حطامها بأخذ الفداء ﴿وَأَلْفٌ يُرِيدُ﴾ لكم ﴿الْآخِرَةَ﴾ أي: ثوابها بقتلهم (٦) ﴿وَأَلْفٌ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ وهذا منسوخ بقوله: ﴿لِيَأْتِيَ مَا بَعْدَ وَلِمَا فِيهَا﴾ (٦).

[٦٨] ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ﴾ بإحلال الغنائم والأسرى لكم ﴿لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ﴾ من الفداء ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

[٦٩] ﴿تَكَلُّوا مِمَّا عَيْنتُمْ حَلَالًا لَيْسَ وَأَنْقَرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنْ حَسِبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي آتَاكَ بِنَصْرِهِ وَمِوَالِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٣﴾ وَأَلْفٌ مِنْ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتْ بِكَ قُلُوبُهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْتِهِمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٤﴾ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٥﴾ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَرِيصٌ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَبِيرُونَ يُغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يُغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٦٦﴾ الَّذِينَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يُغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يُغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٦٧﴾ مَا كَانَ لِيُنِّيَ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَأَسْرَى حَتَّى يُخْرَجَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٨﴾ لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٩﴾ تَكَلُّوا مِمَّا عَيْنتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَأَنْقَرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٠﴾

(٥) ما جاء في نزول الآيتين (٦٥، ٦٦): أخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه قال: لما نزلت ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَبِيرًا يُغْلِبُوا مِائَتِينَ﴾ شق ذلك على المسلمين حين فرض عليهم ألا يفر واحد من عشرة، فحاء الخفيف، فقال: ﴿الَّذِينَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾ فإن يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يُغْلِبُوا مِائَتِينَ. قال: فلما خفف الله عنهم العدة نقص من الصبر بقدر ما خفف عنهم. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة الأنفال (٨) باب (٧).

(٥٥) ما جاء في نزول الآيات (٦٧ - ٦٩): أخرج مسلم عن ابن عباس قال: فلما أسروا الأسارى قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر: «ما ترون في هؤلاء الأسارى؟» فقال أبو بكر: يا نبي الله، هم بنو العم والعشيرة. أرى أن تأخذ منهم فدية فتكون لنا قوة على الكفار، فغضب رسول الله ﷺ وقال: «يا رسول الله، هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها. فهوى رسول الله ﷺ رأى أبو بكر، ولكني أرى أن نمتنا فنضرب أعناقهم؛ فتمكن علينا من عقيل فيضرب عنقه، وتمكني من فلان - نسبتا لعمر فأضرب عنقه؛ فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها. فهوى رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر، ولم يهو ما قلت. فلما كان من الغد جئت فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر قاعدان يكيان. قلت: يا رسول الله، أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك، فإن وجدت بكاء بكيت، وإن لم أجد بكاءً تبكيت ليكاتبكم. فقال رسول الله ﷺ: «أبكي للذي عرض علي أصحابك من أخذهم الفداء لقد عرض علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة». شجرة قريبة من نبي الله ﷺ وأنزل الله ﷻ: ﴿مَا كَانَتْ لِيُنِّيَ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُخْرَجَ فِي الْأَرْضِ﴾ إلى قوله: ﴿تَكَلُّوا مِمَّا عَيْنتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ فأحل الله الغنمة لهم. مسلم - كتاب الجهاد والسير (٢٣) باب (١٨) الإمداد بالمالكة.

وأخرج الترمذي عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «لم تحمل الغنائم لأحد سود الرؤوس من قبلكم، كانت تنزل نار من السماء فتأكلها» قال سليمان الأعمش: فمن يقول هذا إلا أبو هريرة الآن، فلما كان يوم بدر وقعا في الغنائم قبل أن تحمل لهم؛ فأنزل الله: ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٩) سورة الأنفال. (صحيح) صحيح سنن الترمذي (٢٤٦٣).

(١) بالباء قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو.

(٢) بالضم قراءة السبعة عدا حمزة وعاصم.

(٣) بالباء قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

(٤) أخرجه مسلم (٣٣٠٩) عن عمر بن الخطاب.

(٥) بالباء قراءة أبي عمرو.

(٦) القتال: ٤.

بِمَا أُخِذَ مِنْكُمْ ﴿٧٠﴾ من الفداء؛ بأن يضعفه لكم في الدنيا ويثبتكم في الآخرة
﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ ذنوبكم ﴿وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

[٧١] ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا﴾ أي: الأوسى ﴿حِيَاثَكَ﴾ بما أظهروا من القول
﴿فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ﴾ قبل بدر بالكفر ﴿فَأَمَّا كَيْفَ﴾ بدر؛ قتلاً
وأسراً؛ فليتوقعوا مثل ذلك إن عادوا ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بخلقهم ﴿حَكِيمٌ﴾ في
صنعه.

[٧٢] ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ وَهُمْ الْمُهَاجِرُونَ﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ النبي ﷺ ﴿وَنَصَرُوا﴾ وهم الأنصار
﴿أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ في النصر والإرث ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا﴾
مَا لَكُمْ مِنْ وَلِيَّتِهِمْ﴾ بكسر الواو وفتحها (٧٢) ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ فلا إرث بينكم
وبينهم، ولا نصيب لهم في الغنيمة ﴿حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا﴾ وهذا منسوخ بأخر
السورة ﴿وَإِنْ أَسْتَضَرُّوكُمْ فِي الَّذِينَ قَعَلْتُمْ النَّصْرَ﴾ لهم على الكفار ﴿وَلَا
عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾ عهد؛ فلا تصروهم عليهم وتنقضوا عهدهم
﴿وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

[٧٣] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِبَعْضِ أَوْلِيَاءِ بَعْضٍ﴾ في النصر والإرث؛ فلا
إرث بينكم وبينهم ﴿وَلَا تَفْعَلُوهُ﴾ أي: تولى المسلمين وقمع الكفار ﴿تَكُنْ
فِتْنَةً فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ بقوة الكفر وضعف الإسلام.

[٧٤] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا
وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَمْ يَغْفِرَ وَرِثَ كَرِيمٌ﴾ في الجنة.

[٧٥] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدِ﴾ أي: بعد السابقين إلى الإيمان والهجرة
﴿وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مَعَكُمْ﴾ أيها المهاجرون والأنصار ﴿وَأُولُوا
الْأَرْثِ﴾ ذوو القرابات ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ (٧٥) في الإرث؛ من التوارث في
الإيمان والهجرة المذكورة في الآية السابقة ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ اللوح المحفوظ
﴿وَإِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ومنه حكمة الميراث.

بِمَا أُخِذَ مِنَ اللَّهِ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَىٰ إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ
فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ
وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧١﴾ وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ
مِنْ قَبْلُ فَأَمَّا كَيْفَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ
آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ
آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلِيَّتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا
وَإِنْ أَسْتَضَرُّوكُمْ فِي الَّذِينَ قَعَلْتُمْ النَّصْرَ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ
بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ
كَفَرُوا بِبَعْضِ أَوْلِيَاءِ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةً فِي
الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٤﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا
فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ
حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِثَةٌ كَرِيمَةٌ ﴿٧٥﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدِ
وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مَعَكُمْ مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْثِ
بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٥﴾

[٧٠] ﴿بِمَا أُخِذَ مِنَ اللَّهِ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ يَتَّ﴾ [الأسارى] (١) وفي قراءة:
﴿الأسرى﴾ ﴿إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا﴾ إيمانًا وإحلاصًا ﴿يؤْتِكُمْ خَيْرًا﴾

(٥) فائدة: أخرج أبو داود عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاثِبُهُمْ تَعْيِبُهُمْ﴾ [النساء: ٢٣]: كان الرجل يحالف الرجل ليس بينهما نسب، فبرث أحدهما الآخر، فسح ذلك الأنفال، فقال تعالى: ﴿وَأُولُوا الْأَرْثِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾. أبو داود - كتاب الفرائض (١٣) باب (١٦) نسخ ميراث العقد بميراث الرحم، وقال الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣٥٣٥): حسن صحيح.

(١) وهي قراءة أبي عمرو.

(٢) بالكسر حمزة.

سُورَةُ التَّوْبَةِ

سُورَةُ التَّوْبَةِ

[مدنية، أو إلا الآيتين آخرها. مائة وثلاثون،
أو: [إلا آية، نزلت بعد المائة] (*)

ولم تكتب فيها بالبسملة؛ لأنه ﷺ لم يأمر بذلك؛ كما يؤخذ من حديث رواه الحاكم (١). وأخرج في معناه عن علي: أن البسملة أمان، وهي نزلت لرفع الأمان بالسيف (٢). وعن حذيفة: «إِنَّكُمْ تَسْتَوْنَهَا سُورَةُ التَّوْبَةِ وَهِيَ سُورَةُ الْعَذَابِ» (٣)، وروى البخاري عن البراء: أنها آخر سورة نزلت (٤).

[١] هذه ﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ واصلة ﴿إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ عهدًا مطلقًا أو دون أربعة أشهر أو فوقها، ونص العهد بما يذكر في قوله: [٢] ﴿فَيَسْجُورُ﴾ سبوا آمنين أي المشركون ﴿فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ أولها شوال - بدليل ما سيأتي -، ولا أمان لكم بعدها ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ عَيْرٌ مَعْجِزِي اللَّهِ﴾ أي: فاتني عذابه ﴿وَأَنَّ اللَّهَ تَعَزَّى الْكُفْرِينَ﴾ مُدْلِهِمْ فِي الدُّنْيَا بِالْقَتْلِ وَالْآخِرَةَ بِالنَّارِ. [٣] ﴿وَأَذَانٌ﴾ إعلام ﴿مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ إِلَى الثَّلَاثِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ ﴿يَوْمَ النُّحْرِ﴾ أي: بأن ﴿اللَّهُ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ وعهودهم ﴿وَرَسُولُهُ﴾ بَرِيءٌ أَيْضًا، «وقد بعث النبي ﷺ عليًا من الشَّيْءِ؛ وهي: سنة تسع، فأَذَّنَ يَوْمَ النُّحْرِ بِمَعْنَى بِهَذِهِ الْآيَاتِ، وَأَنَّ لَا يَحْجُجُ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ وَلَا يَطُوفُ فِي الْبَيْتِ عَرَبَانٌ» (٥) [رواه البخاري]. ﴿فَإِنْ تَبَيَّنَ﴾ مِنَ الْكُفْرِ ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ عَنْ الْإِيمَانِ ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ عَيْرٌ مَعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِيرٌ﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَدَابِ إِلَهِكُمْ مُؤَلِّمٌ؛ وَهُوَ الْقَتْلُ وَالْأَسْرُ فِي الدُّنْيَا وَالنَّارُ فِي الْآخِرَةِ. [٤] ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَهُمْ﴾ من شروط العهد ﴿وَلَمْ يَظْهَرُوا﴾ يعاونوا ﴿عَلَيْكُمْ أَحَدًا﴾ مِنَ الْكُفْرِ ﴿فَأَتَمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ﴾ انقضاء ﴿مَدَّتْهُمْ﴾ التي عاهدتم عليها (٦) ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ بإتمام العهود.

[٥] ﴿فَإِذَا أَسْلَخَ﴾ خَرَجَ ﴿الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ﴾ وهي آخر مدة التأجيل (٧) ﴿فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ فِي جِلِّ أَوْ حَرَمٍ ﴿وَشَدُّوهُمْ﴾ بِالْأَسْرِ ﴿وَأَحْضَرُوهُمْ﴾ فِي الْقَلَاعِ وَالْحَصُونِ؛ حَتَّى يَضْطَرُّوا إِلَى الْقَتْلِ أَوْ الْإِسْلَامِ ﴿وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ﴾ طَرِيقَ يَسْلُكُونَهُ، وَنَصَبٌ ﴿كُلِّ﴾ عَلَى

بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾
فَيَسْجُورُ فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ عَيْرٌ مَعْجِزِي
اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكُفْرِينَ ﴿٢﴾ وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ
إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ
وَرَسُولُهُ فَإِنْ تَبَيَّنَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا
أَنَّكُمْ عَيْرٌ مَعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِيرٌ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَدَابِ إِلَهِكُمْ
﴿٣﴾ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَهُمْ
وَلَمْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ أَحْدًا فَأَتَمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مَدَّتِهِمْ
إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ فَإِذَا أَسْلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرْمَ
فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَشَدُّوهُمْ وَأَحْضَرُوهُمْ
وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ إِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا
الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾ وَإِنْ أَحَدٌ
مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلِمَةَ
اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ وَذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾

تَرَعِ الْخَافِضِ ﴿فَإِنْ تَابُوا﴾ مِنَ الْكُفْرِ ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ
فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ وَلَا تَتَعَرَّضُوا لَهُمْ ﴿إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لِمَنْ تَابَ.

[٦] ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ مَرْفُوعٌ بِفِعْلِ يَسْمَعُ ﴿اسْتَجَارَكَ﴾ اسْتَأْمَنَكَ مِنَ الْقَتْلِ ﴿فَأَجِرْهُ﴾ أَمْنُهُ ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلِمَةَ اللَّهِ﴾ الْقُرْآنَ ﴿ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾ وَهُوَ دَارُ قَوْمِهِ إِنْ لَمْ يُؤْمِنْ؛ لِيَنْظُرَ فِي أَمْرِهِ ﴿ذَلِكَ﴾ الْمَذْكُورُ ﴿وَأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ دِينَ اللَّهِ؛ فَلَا بَدَّ لَهُمْ مِنْ سَمَاعِ الْقُرْآنِ؛ لِيَعْلَمُوا.

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن البراء قال: ﷺ قال: آخر سورة نزلت براءة. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة التوبة (٩) باب (١) والمراد معظمها، وإلا ففيها آيات كثيرة نزلت قبل سنة الوفاة النبوية، فأولها مثل نزل عقب فتح مكة في سنة تسع عام حج أبي بكر بالناس - كما سيأتي - وقد نزلت ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ وهي من المائدة في حجة الوداع سنة عشر بينما غالب سورة براءة نزل في غزوة تبوك سنة تسع، وقد أخرج النسائي عن ابن عباس أن سورة النصر آخر سورة نزلت من القرآن، فالجمع بينهما أن آخر سورة النصر نزولها كاملة، بخلاف براءة فالمراد معظمها. (راجع تفصيل ذلك في الفتح ٨/ ١٦٧، ١٦٥، ١٦٦).

(١) المستدرک (٣٣٠/٢).

(٢) المستدرک (٣٣٠/٢).

(٣) المستدرک (٣٣٠/٢).

(٤) البخاري (٤٦٥٤)، ومسلم (١٦١٨).

(٥) البخاري (٣٦٩)، ومسلم (١٣٤٧) عن أبي هريرة.

(٦) قيل: هم: «بنو ضمرة» من قبائل «بنو بكر» من «كثافة» لم ينقضوا عهدهم مع النبي ﷺ فأمر بإتمام عهدهم إلى مدتهم. وقيل: هم من لهم عهد مؤقت ولم ينقضوه.

(٧) قيل: هذا التأجيل خاص بالذين نقضوا العهد، وهم «قريش» الذين أعلنوا حلفاءهم «بنو دئل» من «بنو بكر» على «خزاعة» حلفاء النبي ﷺ. وقيل: هو لمن كان له عهد مطلق ليس بمؤقت؛ فضرب له هذا الأجل يسبح في الأرض؛ أي يذهب فيها ليجنو بنفسه.

رسوليه ﴿ وهم كفرون بهما غادرون ﴾ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ
الْحَرَامِ ﴿ يوم الحديبية؛ وهم: قريش المستنون من قبل (١) ﴿ فَمَا اسْتَقَمُوا
لَكُمْ ﴾ أقاموا على العهد ولم ينقضوه ﴿ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ ﴾ على الوفاء به، و«ما»
شرطية ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ وقد استقام النبي ﷺ على عهدهم حتى
نقضوا بإعانة بني بكر على خزاعة.

[٨] ﴿ كَيْفَ ﴾ يكون لهم عهد ﴿ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ ﴾ يظفروا بكم
﴿ لَا يَرْفُتُوا ﴾ يراعوا ﴿ فِيكُمْ ﴾ إلاً ﴿ قَرَابَةً ﴾ وَلَا ذِمَّةً ﴿ عَهْدًا، بَلْ يُوذُّوكُمْ مَا
اسْتَطَاعُوا، وَجَمَلَةُ الشَّرْطِ حَالٌ ﴾ يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ ﴿ بَكَلَامِهِمُ الْحَسَنِ
﴿ وَأَنْ قُلُوبُهُمْ ﴾ الوفاء به ﴿ وَأَكْرَهُمْ نَيْسِقُونَ ﴾ ناقضون للعهد.

[٩] ﴿ أَشْرَوْا بِعَيْتِ اللَّهِ ﴾ القرآن ﴿ فَبِنَا قَلِيلًا ﴾ من الدنيا؛ أي: تركوا
اتباعها للشهوات والهوى ﴿ فَصَدَّوْا عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ دينه ﴿ إِنَّهُمْ سَاءَ ﴿ بِسِ
﴿ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ به عملهم هذا.

[١٠] ﴿ لَا يَرْفُتُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَعَدُونَ ﴾ .

[١١] ﴿ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَلِئِنَّكُمْ لَفِيهِمْ ﴾ أي: فهم
إخوانكم ﴿ فِي الَّذِينَ وَتَفَضَّلَ ﴾ نبين ﴿ الْأَلْبَتَّ لِقَوْمٍ يَسْمُونَ ﴾ يتدبرون.

[١٢] ﴿ وَإِنْ نَكَتُوا ﴾ نقضوا ﴿ آيْمَانَهُمْ ﴾ مواليقهم ﴿ تَرَى بَعْدَ عَهْدِهِمْ
وَطَمَسُوا فِي دِينِكُمْ ﴾ عابوه ﴿ فَتَنَلُوا آيْمَةَ الْكُفْرِ ﴾ رؤسائه فيه، وضع
الظاهر موضع المضمرة ﴿ إِنَّهُمْ لَا آيْمَانَ ﴾ عهود ﴿ لَهُمْ ﴾ وفي قراءة:
بالكسر (١) ﴿ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهَوْنَ ﴾ عن الكفر.

[١٣] ﴿ أَلَا ﴾ للتخصيص ﴿ تَتَّبِعُونَ قَوْمًا نَكَتُوا ﴾ نقضوا
﴿ آيْمَانَهُمْ ﴾ عهودهم ﴿ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ ﴾ من مكة. لما تشاوروا
فيه بدار الندوة. ﴿ وَهُمْ بَدُّوْكُمْ ﴾ بالقتال ﴿ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ حيث قاتلوا
خزاعة حلفاءكم مع بني بكر، فما يمنعكم أن تقاتلوهم؟! ﴿ أَنْتَحِرُونَهُمْ ﴾
أنخافونهم؟! ﴿ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ ﴾ في ترك قتالهم ﴿ إِنْ كُنْتُمْ
مُؤْمِنِينَ ﴾ .

كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ
إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَمُوا
لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾
كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْفُتُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا
ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْرَهُمْ
فَلَيْسُونَ ﴿٨﴾ أَشْرَوْا بِعَيْتِ اللَّهِ تَمَنَّا قَلِيلًا فَصَدَّوْا عَنْ
سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرْفُتُونَ
فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَعَدُونَ ﴿١٠﴾ فَإِنْ
تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَاجْهَدُوا فِي
الدِّينِ وَتَفَضَّلْ أَلْبَتَّ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ وَإِنْ
نَكَتُوا آيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ
فَقَاتِلُوا آيْمَةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا آيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ
يَنْتَهَوْنَ ﴿١٢﴾ أَلَا تَتَّبِعُونَ قَوْمًا نَكَتُوا آيْمَانَهُمْ
وَهُمْ يُأْخِرُونَ الرَّسُولَ وَهُمْ بَدَّوْكُمْ وَأَوْلَ مَرَّةٍ
أَنْتَحِرُونَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾

[٧] ﴿ كَيْفَ ﴾ أي: لا ﴿ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ

(١) وقيل: هم: «بنو ضمرة الذين دخلوا في عهد قريش.

(٢) أي: «لا إيمان لهم» وهي لابن عامر.

[١٤] ﴿فَتَلَوْتُمْ بِمُذَبِّهِمْ اللَّهُ﴾ يقتلهم ﴿بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْرِجُهُمْ﴾ يذلهم بالأسر والقهر ﴿وَيَضْرِبُكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ بما فعل بهم؛ وهم: بنو خراعة.

[١٥] ﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾ كزبها ﴿وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ بالرجوع إلى الإسلام؛ كأي سفيان ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

[١٦] ﴿أَمْ﴾ بمعنى همزة الإنكار ﴿حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا﴾ لم ﴿يَعْمَرَ اللَّهُ﴾ علم ظهور ﴿الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ﴾ بإخلاص ﴿وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَمَّةٍ﴾ بطانة وأولياء؛ المعنى: ولم يظهر المخلصون؛ وهم: الموصوفون بما ذكر من غيرهم ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

[١٧] ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ﴾ بالإنفراد والجمع^(١)؛ بدخوله والقعود فيه ﴿شُهَدَايْنَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ﴾ بطلت ﴿أَعْمَالُهُمْ﴾ لعدم شرطها ﴿وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ﴾.

[١٨] ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَ أَحَدًا﴾ إلا الله فَمَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾.

[١٩] ﴿أَجْمَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْكَرَامِ﴾ أي: أهل ذلك ﴿كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوِينَ عِنْدَ اللَّهِ فِي الْفَضْلِ﴾ والله لا يهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ الكافرين، نزلت رذًا على من قال ذلك^(٢)؛ وهو: العباس أو غيره^(٣).

[٢٠] ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمَ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ﴾ من غيرهم ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ الظافرون بالخير.

فَتَلَوْتُمْ بِمُذَبِّهِمْ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْرِجُهُمْ وَيَضْرِبُكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْمَرَ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَمَّةٍ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شُهَدَايْنَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهُ فَمَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ أَجْمَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْكَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوِينَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمَ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ

(٥) ما جاء في نزول الآية (١٩): أخرج مسلم عن النعمان بن بشير قال: كنت عند منبر رسول الله ﷺ فقال رجل: ما أبالي أن لا أعمل عملاً بعد الإسلام إلا أن أسقي الحاج، وقال آخر: ما أبالي أن لا أعمل عملاً بعد الإسلام إلا أن أعمر المسجد الحرام. وقال آخر: الجهاد في سبيل الله أفضل مما قلت. فزجرهم عمر وقال: لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله ﷺ. وهو يوم الجمعة. ولكن إذا صليت الجمعة دخلت فاستفتيته فيما اختلفتم فيه. فأنزل الله ﷻ: ﴿أَجْمَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْكَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ...﴾ إلى آخرها. مسلم - كتاب الإمارة (٣٣) باب (٢٩) فضل الشهادة في سبيل الله.

(١) بالإنفراد قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب. ويكون المقصود: المسجد الحرام.

(٢) أخرجه ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس (نزولها في العباس) [الدر المنثور (٣/٣٩٥)]، وأخرجه مسلم (٣٤٩١) عن النعمان بن بشير (نزولها في رجل).

مُقِيمٌ ﴿٢٢١﴾ دائم.

[٢٢٢] ﴿خَالِدِينَ﴾ حال مقدرة ﴿فِيهَا أَبَدًا﴾ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢٣﴾ وَنَزَلَ فِيمَن تَرَكَ الْهَجْرَةَ لِأَجْلِ أَهْلِهِ وَتِجَارَتِهِ: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ وَيُخَوِّنُكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ إِنَّ أَسْتَحْبُوا ﴿اِحْتَارُوا﴾ الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ يَتَكْفُرْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٢٤﴾

[٢٢٤] ﴿قُلْ إِنْ كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَإِبْنَاؤُكُمْ وَيُخَوِّنُكُمْ وَأَوْلَاؤُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ أَقْرَبَاؤُكُمْ، وَفِي قِرَاءَةِ (١):﴾ «عَشِيرَتُكُمْ» ﴿وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا﴾ اِكْتَسَبْتُمُوهَا ﴿وَيُخَوِّنُكُمْ مَن كَانَ كِسَادَهَا﴾ عَدَمُ نَفَاذِهَا ﴿وَمَسْكِنٌ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ﴾ فَعَدْتُمْ لِأَجْلِهِ عَنِ الْهَجْرَةِ وَالْجِهَادِ ﴿فَتَرَضُّوا﴾ اِنْتظَرُوا ﴿حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ﴾ تَهْدِيدُ لَهُمْ ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.

[٢٥] ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ﴾ لِلْحَرْبِ ﴿كَثِيرٍ﴾ كَبِيرٍ وَفَرِيقَةَ وَالنَّضِيرِ ﴿وَإِذْ كَرِهَ اللَّهُ لِيُنزَلَ بَيْنَ مَكَّةَ وَالطَّائِفِ﴾ أَي: يَوْمَ قِتَالِكُمْ فِيهِ هَوَازِنَ، وَذَلِكَ فِي شَوَالِ سَنَةِ ثَمَانٍ ﴿إِذْ﴾ بَدَلٌ مِنْ ﴿يَوْمٍ﴾ ﴿أَعْجَبْتُمْ كَثْرَتَكُمْ﴾ فَقَلْتُمْ: لَنْ نَغْلِبَ الْيَوْمَ مِنْ قَلَّةٍ. وَكَانُوا اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا، وَالْكَفَّارُ أَرْبَعَةَ أَلْفٍ ﴿فَلَمْ تَغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَصَافَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ «مَا» مُصَدَّرَةٌ؛ أَي: مَعَ رَحْبِهَا؛ أَي: سَعْتِهَا؛ فَلَمْ تَجِدُوا مَكَانًا تَطْمَئِنُّونَ إِلَيْهِ؛ لِشِدَّةِ مَا لِحَقِّكُمْ مِنَ الْخَوْفِ ﴿ثُمَّ وَرِثْتُمُ مَدْيَنَ﴾ مِنْهَزِمِينَ، وَثَبَتَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى بَغْلَتِهِ الْبَيْضَاءِ، وَلَيْسَ مَعَهُ غَيْرُ الْعَبَّاسِ، وَأَبُو سَفْيَانَ أَخَذَ بِرِكَابِهِ [٢٦] ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ﴾ طَمَئِنَّتِهِ ﴿عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ فَرَدُّوا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ لَمَّا نَادَاهُمْ الْعَبَّاسُ بِإِذْنِهِ (٢) ﴿وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾ مَلَائِكَةً ﴿وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بِالْقَتْلِ وَالْأَسْرِ ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾.

يُبَيِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَعَلَتْ لَهُمْ فِيهَا نِعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢٢١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢٢﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنَّ أَسْتَحْبُوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ يَتَكْفُرْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٢٣﴾ قُلْ إِنْ كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَإِبْنَاؤُكُمْ وَأَوْلَاؤُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسْكِنٌ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَضُّوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٢٤﴾ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَصَافَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَرِثْتُمُ مَدْيَنَ ثُمَّ وَلَّيْتُمُ مَدْيَنَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾

[٢٦] ﴿يُبَيِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَعَلَتْ لَهُمْ فِيهَا نِعِيمٌ

(١) لشعبة.

(٢) أي ياذن رسول الله ﷺ.

[٢٧] ﴿ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ﴾ منهم بالإسلام
﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

[٢٨] ﴿يَتَابِعُهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نجسٌ﴾ قدر؛ نجس؛ نجس باطنهم ﴿فَلَا يَدْخُرُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ أي: لا يدخلوا الحرم ﴿بَعْدَ عَابِهِمْ هَذَا﴾ عام يتسع من الهجرة ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَتَكُمْ﴾ فقراء؛ بانقطاع تجارتهم عنكم ﴿فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شِئْتُمْ﴾ وقد أغناهم بالفتح والحزبة ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

[٢٩] ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ وإلا آمنوا بالنبي ﷺ ﴿وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ كالخمر ﴿وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ﴾ الثابت الناسخ لغيره من الأديان؛ وهو: دين الإسلام ﴿مِنْ﴾ بيان «للذين» ﴿الَّذِينَ أَوْثَرُوا آلَكَئِذٍ﴾ أي: اليهود والنصارى ﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ﴾ الخراج المضروب عليهم كل عام ﴿وَعَنْ يَدٍ﴾ حال؛ أي: متقادين، أو بأيديهم لا يؤكلون بها ﴿وَهُمْ صَافِرُونَ﴾ أذلاء متقادون لحكم الإسلام.

[٣٠] ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزَّىٰرُ بْنُ اللَّهِ﴾ وَقَالَتِ النَّصْرَى الْمَسِيحُ عيسى ﴿أَبْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ لا مستند لهم عليه بل ﴿يَضَعُهُنَّ﴾ يشابهون به ﴿قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ﴾ من آبائهم تقليدا لهم ﴿فَتَنَلَّهُمْ﴾ لنعمهم ﴿اللَّهُ أَتَىٰ﴾ كيف ﴿يُؤَفِّكُونَ﴾ يصرفون عن الحق مع قيام الدليل.

[٣١] ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ﴾ علماء اليهود ﴿وَرُهْبَانَهُمْ﴾ عُيَاذُ النَّصْرَى ﴿أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ حيث اتبعوهم في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله^(١) ﴿وَالْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَمَا أَسْرَوْا﴾ في التوراة والإنجيل ﴿إِلَّا لِيُعْبَدُوا﴾ أي: بأن يعبدوا ﴿إِنَّهَا وَاحِدَةٌ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ﴾ تنزيها له ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٧﴾ يَتَابِعُهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نجسٌ فَلَا يَدْخُرُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَابِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَتَكُمْ فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شِئْتُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَافِرُونَ ﴿٢٩﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزَّىٰرُ بْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصْرَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَعُهُنَّ بِضَعْوَةٍ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَتَلَهُمُ اللَّهُ إِنْ يَأْتِيكَ الْيُفُوكُونَ ﴿٣٠﴾ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَمَا أَسْرَوْا إِلَّا لِيُعْبَدُوا إِنَّهَا وَاحِدَةٌ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾

(١) أخرج الترمذي عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال بعد أن قرأ هذه الآية: «أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئا استحلوه، وإذا حرموا عليهم شيئا حرموه». كتاب تفسير القرآن (٤٨) - باب (١٠) سورة براءة. وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٤٧١).

[٣٣] ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا ﷺ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ﴾ ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ ذلك.

[٣٤] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ بِأَعْيُنِهِمْ أَموالَ النَّاسِ بِالْبِطْلِ﴾ كالمشركين في الحكم ﴿وَيَصُدُّونَ النَّاسَ﴾ عن سبيل الله ﴿دِينِهِ﴾ ﴿وَالَّذِينَ﴾ مبتدأ ﴿يَكْتُمُونَ﴾ الذهب والفضة ﴿وَلَا يُفْقَهُنَّ﴾ أي: الكنوز ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: لا يؤدون منها حقه من الزكاة والخير ﴿فَيُبَيِّرُهُمْ﴾ أي: يهتدون ﴿بِعَذَابِ اللَّهِ﴾ مؤلم.

[٣٥] ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ﴾ تحرق ﴿بِهَا﴾ جباههم وجنوبهم وظهورهم ﴿وتوسع جلودهم حتى توضع عليها كلها، ويقال لهم: ﴿هَذَا مَا كَفَرْتُمْ﴾ لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكفرون﴾ (٣٥) أي: جزاءه.

[٣٦] ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ﴾ المعتد بها للسنة ﴿عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾ في كتاب الله ﴿اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ﴾ ﴿يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ ﴿يَتَبَّهَا﴾ أي: الشهور ﴿أَرْبَعَةَ حُرُمٍ﴾ محرومة، ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب ﴿ذَلِكَ﴾ أي: تحريمها ﴿الَّذِينَ الْقِيَمُ﴾ المستقيم ﴿فَلَا تَطْلُبُوا فِيهِمْ﴾ أي: الأشهر الحرم ﴿أنفسكم﴾ بالمعاصي؛ فإنها فيها أعظم وزرا، وقيل: في الأشهر كلها ﴿وَقَدِّمُوا الْفَيْمَ﴾ كالتة ﴿جميعا في كل الشهر كما يقبلونكم كافة وأعلموا أن الله مع المتقين﴾ بالعون والنصر (١).

يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتَّعَزَّوَهُ وَهُوَ لَوَكْرَهُ الْكُفْرُونَ ﴿٣٣﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَهُوَ لَوَكْرَهُ الْمُشْرِكُونَ ﴿٣٤﴾ يَتَّبِعُهَا الَّذِينَ آمَنُوا وَإِنْ كَثِيرًا مِّنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبِطْلِ وَيَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا ينفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٥﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَفَرْتُمْ لَا نَفْسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٦﴾ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَطْلُبُوا فِيهِمْ أَنْفُسَكُمْ وَفَتَنُوا الَّذِينَ لَا تَطْلُبُونَهُمْ كَمَا كَفَرْتُمْ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾

[٣٢] ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ﴾ شرعه وتبراهينه ﴿بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ بأفواههم فيه ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتَّعَزَّوَهُ﴾ يظهر ﴿نُورُهُ﴾ ولو كره الكافرون ذلك.

(٥) فائدة: أخرج مسلم عن عائشة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى». فقلت: يا رسول الله، إن كنت لأظن حين أنزل الله: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ﴾ ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ أن ذلك تاما. قال: «إنه سيكون من ذلك ما شاء الله، ثم يبعث الله ريحا، فوفى كل من في قلبه مقال حبة من خردل من إيمان، فيبقى من لا خير فيه، فيرجعون إلى دين آبائهم». مسلم - كتاب الفتن وأشراط الساعة (٥٢) باب (١٧) لا تقوم الساعة حتى تعبد دوس ذا الخليفة.

(٥٥) فائدة: أخرج الترمذي عن ثوبان لما نزلت ﴿وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ﴾ قال: كنا مع النبي ﷺ في بعض أسفاره فقال بعض أصحابه: أنزل في الذهب والفضة ما أنزل لو علمنا أي المال خير فنسخره؟ فقال: «أفضله: لسان ذاكر وقلب شاكر وزوجة مؤمنة تعينه على إيمانه». الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (١٠) سورة براءة. (صحيح) صحيح سنن الترمذي (٢٤٧٠).

(٥٥٥) أخرج البخاري عن خالد بن أسلم قال: خرجنا مع عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، فقال أعرابي: أخبرني عن قول الله: ﴿وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا ينفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾؟ قال ابن عمر رضي الله عنهما: من كثر فلم يؤد زكاتها فويل له، إنما كان هذا قبل أن تنزل الزكاة، فلما أنزلت جعلها الله طهورا للأموال. البخاري - كتاب الزكاة (٢٤) باب (٤) ما أدى زكاته فليس بكفر.

(١) في الآية إثبات معية الله ﷻ الخاصة للمتقين، ومعية الله تعالى مع عبده نوحا؛ معية عامة، ومعية خاصة، وقد اشتمل القرآن على النوعين، وحقيقة المعية الصحية اللطيفة، وقد أخبر سبحانه أنه مع خلقه، مع كونه مستورا على عرشه، وقرن بين الأمرين كما في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِيهِ مِمَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمِمَّا يَحْتَضِرُ وَمِمَّا يَبْتَهِلُ مِنْ الْعِشَاءِ وَمِمَّا يَجْعَلُ يُبِينُ مَا تَكْتُمُ وَاللَّهُ يَمَا تَخْتَلُونَ بَيْتَهُ﴾ [الحديد: ٤] فأخبر أنه استوى على عرشه، وأنه مع خلقه يصر أعمالهم من فوق عرشه؛ فلمع لا يناقض معيته، ومعية لا تبطل له.

إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحْلُونَهُ وَعَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُؤْاطُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيَحْلُوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنَ لَهُمْ سُوءَ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٧﴾

يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْتَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَنْ رَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٢٨﴾

عَذَابُ الْيَمَانِ وَالْأَسْتِدِلُّ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾

فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٠﴾

[٣٧] ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ﴾ أي: التأخير لحرمة شهر إلى آخره؛ كما كانت الجاهلية تفعله من تأخير حزيمة المحرم إذا هلَّ وهم في القتال إلى صفر ﴿زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾ لكفرهم بحكم الله فيه ﴿يُضَلُّ﴾ بضم الياء وفتحها (١) ﴿يُؤْاطُوا﴾ الذين كفروا يحلونهُ. أي: النسية ﴿عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُؤْاطُوا﴾ يوافقوا بتحليل شهر وتحريم آخر بذلك ﴿عِدَّةٌ﴾ عدد ﴿مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾ من الأشهر؛ فلا يزيدوا على تحريم أربعة ولا ينقصوا، ولا ينظروا إلى أعينها ﴿فَيَحْلُوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنَ لَهُمْ سُوءَ أَعْمَالِهِمْ﴾ فظنوه حسناً ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾.

[٣٨] ﴿وَنَزَلَ﴾ لما دعا النبي ﷺ الناس إلى غزوة تبوك، وكانوا في عسرة وشدة حوزة، فشق عليهم: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْتَلْتُمْ﴾ (٢) بإدغام التاء في الأصل في المثناة واجتلاب همزة الوصل؛ أي: تباطأتم وملتزم عن الجهاد ﴿إِلَى الْأَرْضِ﴾ والقعود فيها؛ والاستفهام للتوبيخ ﴿أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ ولذاتها ﴿مِنَ الْآخِرَةِ﴾ أي: بدل نعيمها ﴿فَمَا مَتَّعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي﴾ جنب متاع ﴿الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ حقير.

[٣٩] ﴿وَاللَّهُ﴾ بإدغام (لا) في نون «إن» الشرطية في الموضعين (٣) ﴿تَنْفِرُوا﴾ تخرجوا مع النبي ﷺ للجهاد ﴿يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ مؤلماً ﴿وَيَسْتَبْدِلُ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ أي: يأت بهم بدلكم ﴿وَلَا تَضُرُّوهُ﴾ أي: الله، أو النبي ﷺ ﴿شَيْئًا﴾ بترك نصره؛ فإن الله ناصر دينه ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه نصر دينه وتأييده.

[٤٠] ﴿إِلَّا تَضُرُّوهُ﴾ أي: النبي ﷺ ﴿فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ﴾ حين ﴿أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من مكة؛ أي: أُلجؤوه إلى الخروج لما أرادوا قتله أو حبسه أو نفيه بدار الندوة ﴿ثَانِي اثْنَيْنِ﴾ حال؛ أي: أحد اثنين، والآخر أبو بكر - المعنى: نصره الله في مثل تلك الحالة؛ فلا يخذله في غيرها - ﴿إِذْ﴾ بدل من ﴿إِذْ﴾ قبله ﴿هُمَا فِي الْغَارِ﴾ نقب في جبل ثور ﴿إِذْ﴾ بدل ثانٍ ﴿يَقُولُ لِصَاحِبِهِ﴾ أي بكر - وقد قال له لما رأى أقدام المشركين: (لو نظر أحدكم تحت قدميه لأبصرنا) (٤) -: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ بنصره ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ﴾ طمأنينته ﴿عَلَيْهِ﴾ قيل: على النبي ﷺ. وقيل: على أبي بكر، ﴿وَأَيَّدَهُ﴾ أي: النبي ﷺ ﴿وَجُودٍ لَمْ تَرَوْهَا﴾

ملائكة في الغار، ومواطن قتاله ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: دعوة الشرك ﴿السُّفْلَىٰ﴾ المغلوبة ﴿وَكَلِمَةَ اللَّهِ﴾ أي: كلمة الشهادة ﴿هُوَ الْعُلْيَا﴾ الظاهرة الغالبة ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ في ملكه ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه.

(١) بالفتح قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة.

(٢) أخرج نحوه ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن مجاهد. [الدر المنثور (٢٢٧/٣)]، وهو مرسل صحيح الإسناد كما قال صاحب الاستيعاب (٢٧٧/٢).

(٣) أي: هذا، وقوله: ﴿إِلَّا تَضُرُّوهُ﴾.

(٤) أخرجه البخاري (٣٦٥٣)، ومسلم (٢٣٨١).

﴿وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنه خير لكم؛ فلا تناقوا.

[٤٢] ﴿وَنَزَّلَ فِي الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ تَخَلَفُوا: ﴿لَوْ كَانُوا﴾ ما دعوتهم إليه ﴿عَرَضًا﴾ منافعاً من الدنيا ﴿قَرِيبًا﴾ سهل المأخذ ﴿وَسَفَرًا قَاصِدًا﴾ وسطاً ﴿لَا يَتَّبِعُونَ﴾ طلباً للغميمة ﴿وَلَكِنْ بَدَّتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ﴾ المسافة؛ فتخلفوا ﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ﴾ إذا رجعت إليهم ﴿لَوْ اسْتَطَعْنَا﴾ الخروج ﴿لَوَجَّهْنَا﴾ معكم ﴿يَلْجُونَ أَنفُسَهُمْ﴾ بالحلف الكاذب ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ في قولهم ذلك.

[٤٣] ﴿وَكَانَ﴾ أذن لجماعة في التخلف باجتهاد منه؛ فنزل عناباً له (٣)، وقدم العفو تطميناً لقلبه: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لِهَمْ﴾ في التخلف، وهلا تركهم ﴿حَقٌّ يَبَيِّنُ لَكَ الْآيَاتِ صِدْقًا﴾ في العذر ﴿وَتَعْلَمُ﴾ الكاذبين فيه.

[٤٤] ﴿لَا يَسْتَنْدِثُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ في التخلف عن ﴿أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَالِمُ الْمُتَّقِينَ﴾.

[٤٥] ﴿إِنَّمَا يَسْتَنْدِثُكَ﴾ في التخلف ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَزَّاتَبَتْ﴾ شكك ﴿فُلُوبَهُمْ﴾ في الدين ﴿فَهَمْ فِي رَبِّهِمْ يَرْتَدُّونَ﴾ (٤) يتحIRON.

[٤٦] ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ﴾ معك ﴿لَأَعَدُّوا لَكَ عُدَّةً﴾ أهبة من الآلة والرجال ﴿وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ أَيْمَانَهُمْ﴾ أي: لم يرد (٥) خروجهم ﴿فَتَبَطَّهْمُ﴾ كشلهم ﴿وَقِيلَ لَهُمْ﴾ لهم: ﴿أَقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ المرضى والنساء والصبيان؛ أي: قدر الله تعالى ذلك.

[٤٧] ﴿لَوْ حَرَجُوا فِيكَ مَا زَادوكُمْ إِلَّا خَسَالًا﴾ فسأدا؛ بتخذي المؤمنين ﴿وَلَا وَصَعُوا خِلْدَكُمُ﴾ أي: أسرعوا بينكم بالمشي بالميممة ﴿يَبْغُونَكُمُ﴾ يطلبون لكم ﴿الْفِتْنَةَ﴾ بإلقاء العداوة ﴿وَفِيكُمْ سَمْعُونَ لَهُمْ﴾ ما يقولون، سماع قبول ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾.

أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١﴾ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَا كُنْ بَدَّتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٢﴾ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴿٣﴾ لَا يَسْتَنْدِثُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَنْدِثُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَزَّاتَبَتْ فُلُوبَهُمْ فَهَمْ فِي رَبِّهِمْ يَرْتَدُّونَ ﴿٥﴾ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَكَ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ أَيْمَانَهُمْ فَتَبَطَّهْمُ وَقِيلَ لَهُمْ أَقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٦﴾ لَوْ حَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادوكُمْ إِلَّا خَسَالًا وَلَا وَصَعُوا خِلْدَكُمُ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمْعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٧﴾

[٤١] ﴿أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ نشاطاً وغير نشاط، وقيل: أوفياء وضعاء، أو أغنياء وفقراء، وهي منسوخة بآية (١) ﴿لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ﴾ (١)

(٥) فائدة: أخرج أبو داود عن ابن عباس قال: ﴿لَا يَسْتَنْدِثُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ الآية. نسختها التي في النور: ﴿إِنَّمَا يَسْتَنْدِثُكَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنَّا كُنَّا نَعْتَمِدُ عَلَى أَمْرِ جَابِعِ بْنِ يَثْرِبَةَ حَتَّى يَسْتَنْدِثُوا﴾ إلى قوله: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكُمُ﴾ [النور: ٦٢]. أبو داود - كتاب الجهاد (٩) باب (١٧١) في الإذن في القول بعد النهي، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢٤٠٩).

(١) أي: على القولين الآخرين لا على الأول فهي محكمة.

(٢) التوبة: ٩١.

(٣) لعله يقصد ما أخرجه عبد الرزاق في المصنف وابن جرير عن عمرو بن ميمون الأودي رضي الله عنه قال: اثنتان فعلهما رسول الله ﷺ لم يؤمر فيهما بشيء؛ إذنه للمنافقين وأخذته من الأسارى، فأنزل الله ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ﴾ الآية [التوبة: ٤٣] [الدر المنثور (٤٤١/٣)] وهو مرسل صحيح الإسناد كما ذكر صاحب الاستيعاب (٢٨٠/٢).

(٤) وهذا تأويل لهده الصفة التي أئتمها ربنا - جلَّ وعلا - لنفسه، ومذهب السلف [إثبات هذه الصفات وغيرها لله ﷻ على الوجه اللائق به من غير تأويل، ولا تعطيل، ولا تكيف، ولا تمثيل.

لَقَدْ أَتَعَوْا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى
جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَرِهُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِنْهُمْ
مَنْ يَقُولُ أُنذِرْنَا لِي وَلَا تَنْتَبِهْ لِآلِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِن
جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٤٩﴾ إِن تَصِبْكَ
حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ
أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَسَوَّغُوا لَهُمْ فِرْحُونَ ﴿٥٠﴾ قُلْ
لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى
اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ هَلْ تَرَى صَوْنَ بِنَا إِلَّا
إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَتَحْنُ نَرَى صُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ
بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ يَأْتِي بِنَا فَرِيضُوا إِنَّا مَعَكُمْ
مُرِيضُونَ ﴿٥٢﴾ قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يَقْبَلَهُ
مِنْكُمْ إِلَّا أَنْتُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا
مَعَهُمْ أَنْ يَقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا
بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ
كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَرِهُونَ ﴿٥٤﴾

[٤٨] ﴿لَقَدْ أَتَعَوْا﴾ لك ﴿الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ﴾ أول ما قَدِمَتْ المدينة
﴿وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ﴾ أي: أجالوا الفكر في كيدك وإبطال دينك ﴿حَتَّى
جَاءَ الْحَقُّ﴾ النصر ﴿وظَهَرَ﴾ عَزَّ ﴿أَمْرُ اللَّهِ﴾ دِينُهُ ﴿وَهُمْ كَرِهُونَ﴾
له؛ فدخلوا فيه ظاهرًا.

[٤٩] ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أُنذِرْنَا لِي﴾ في التخلف ﴿وَلَا تَنْتَبِهْ﴾ وهو
الجدُّ بن قيس، قال له النبي ﷺ: «هَلْ لَكَ فِي جَلَادِ بَنِي الْأَصْفَرِ؟»، فقال:
إني مغرم بالنساء، وأخشى إن رأيت نساء بني الأصفر أن لا أصبر عنهن؛
فأفتني^(١). قال - تعالى -: ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ بالتخلف، وقرأ:
«سَقَطَ»^(٢) ﴿وَإِن جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ لا محص لهم عنها.

[٥٠] ﴿إِن تَصِيبَكَ حَسَنَةٌ﴾ كصر وغنيمة ﴿كُسُوهُمْ وَإِن
تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ﴾ شدة ﴿يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا﴾ بالجرم حين تخلفنا
﴿مِنْ قَبْلُ﴾ قبل هذه المصيبة ﴿وَسَوَّغُوا لَهُمْ فِرْحُونَ﴾ بما أصابك.

[٥١] ﴿قُلْ لَهُمْ﴾: لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا؛ إصابته
﴿هُوَ مَوْلَانَا﴾ ناصرنا، ومتولي أمورنا ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

[٥٢] ﴿قُلْ هَلْ تَرَى صَوْنَ﴾ فيه حذف إحدى التاءين من الأصل؛ أي:
تنتظرون أن يقع ﴿بِنَا إِلَّا إِحْدَى﴾ العاقبتين ﴿الْحُسَيْنَيْنِ﴾ تثنية «حسنى»
تأنيث «أحسن»: النصر أو الشهادة ﴿وَتَحْنُ نَرَى صُ بِكُمْ أَنْ
يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ﴾ بقارعة من السماء ﴿أَوْ يَأْتِي بِنَا﴾
بأن يؤذنا لنا في قتالكم ﴿فَرِيضُوا﴾ بنا ذلك ﴿إِنَّا مَعَكُمْ مُرِيضُونَ﴾
عاقبتكم.

[٥٣] ﴿قُلْ أَنْفِقُوا﴾ في طاعة الله ﴿طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يَقْبَلَهُ مِنْكُمْ﴾
ما أنفقتموه ﴿إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ والأمر هنا بمعنى الخير.

[٥٤] ﴿وَمَا مَعَهُمْ أَنْ يَقْبَلَ﴾ بالياء والتاء^(٣) ﴿وَمِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّا
أَنَّهُمْ﴾ فاعل، ورأى يقبل مفعول ﴿كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ
الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى﴾ متناقلون ﴿وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَرِهُونَ﴾
النفقة؛ لأنهم يعدونها مكرهًا.

(١) أخرجه نحوه ابن أبي حاتم وابن مردويه عن جابر بن عبد الله، وكذا ابن المنذر والطبراني وابن مردويه وأبو نعيم في المعرفة عن ابن عباس [الدر المنثور (٣/٤٤٣)]: «واختلف في تحسينه وتضعيفه؛
فحسبه فريق بشواهدهم منهم صاحب الاستيعاب (٢/٢٨١ - ٢٨٣)، ومنهم من وضعه كالهشمي وغيره كما في الجمع (٧/٣٠).

(٢) وهي قراءة شاذة.

(٣) بالياء قراءة حمزة والكسائي وخلف.

﴿أَوْ مَدَّحًا﴾ موضعاً يدلخونه ﴿لَوْلَا إِلَيْهِ وَهَمَّ يَمْحُونَ﴾ يسرعون في دخوله والانصراف عنكم إسراراً لا يرده شيء؛ كالفرس الجموح.

[٥٨] ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ لِيُزَكَّكَ يَجِبُكَ﴾ ﴿وَفِي﴾ قسم ﴿الصَّدَقَاتِ إِنْ أَعْطُوا مِنْهَا رِضْوَانًا لَمْ يَعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْتَخْطُونَ﴾.

[٥٩] ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ من الغنائم ونحوها ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ﴾ من غنيمة أخرى ما يكفيها ﴿إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾ أن نغنيها، وجواب ﴿لَوْ﴾: لكان خيراً لهم.

[٦٠] ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ﴾ الزكوات مصروفة ﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾ الذين لا يجدون ما يقع موقفاً من كفايتهم ﴿وَالسَّكِينِ﴾ الذين لا يجدون ما يكفيهم ﴿وَالْمُعَلِّمِينَ عَلَيْهِ﴾ أي: الصدقات؛ من جاب وقاسم وكاتب وخاشع ﴿وَالْمَوْلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ ليسلموا، أو بنيت إسلامهم، أو يسلم نظراً لهم، أو يذبوا عن المسلمين، أقسام؛ الأول والأخير لا يعطيان اليوم عند الشافعي - رضي الله

تعالى عنه؛ لجز الإسلام، بخلاف الآخرين يعطيان على الأصح ﴿وَفِي﴾ فَكَّ ﴿الرِّقَابِ﴾ أي: المكاتبين ﴿وَالْعُرْيِينِ﴾ أهل الذنن إن استدانوا غير معصية، أو تابوا وليس لهم فداء، أو لإصلاح ذنن النبي ولو أغنياء ﴿وَفِي﴾ سَبِيلِ اللَّهِ ﴿أَي﴾ القائمين بالجهاد من لا فيء لهم ولو أغنياء ﴿وَأَنَّ السَّبِيلَ﴾ المنقطع في سفره ﴿فَرِيضَةً﴾ نصب يفغله المقدر ﴿وَيَنَّ اللَّهُ وَاللَّهُ عَلَيْهِ﴾ بخلقه ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه؛ فلا يجوز صرفها لغير هؤلاء، ولا يمنع صنف منهم^(١) إذا وجد، فيقسمها الإمام عليهم على السواء، وله تفضيل بعض أحاد الصنف على بعض، وأفادت «اللام» وجوب استغراق أفرادها^(٢)، لكن لا يجب على صاحب المال إذا قسم لعسره، بل يكفي إعطاء ثلاثة من كل صنف، ولا يكفي دونها - كما أفادته صيغة الجمع -، وبينت الشئ أن شرط المعطى منها الإسلام، وأن لا يكون هاشمياً ولا مطلبياً.

[٦١] ﴿وَمِنْهُمْ﴾ أي: المنافقين ﴿الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ﴾ بعقبيه وينقل حديثه ﴿وَيَقُولُونَ﴾ - إذا نهوا عن ذلك؛ لئلا يبلغه - : ﴿هُوَ أَذُنٌ﴾ أي: يسمع كل قيل وقيل، فإذا حلفنا له أنا لم نقل صدقنا ﴿قُلْ﴾: هو ﴿أَذُنٌ﴾ مُشْتَمِعٌ ﴿حَبْرٍ لَكُمْ﴾ لا مُشْتَمِعٌ شَرٌّ ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ﴾ يصدق ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ فيما أخبروه به لا لعيرهم، و«اللام» زائدة للفرق بين إيمان التسليم وغيره ﴿وَرَحْمَةً﴾ بالرفع عطفاً على ﴿أَذُنٌ﴾ والجر^(٣) عطفاً على ﴿حَبْرٍ﴾ ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَحْدِثُونَ مَلْجَأًا أَوْ مَعْرَظًا أَوْ مَدْحَلًا لَوْلَا إِلَيْهِ وَهَمَّ يَمْحَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رِضْوَانًا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْتَخْطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴿٥٩﴾ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُعَلِّمِينَ عَلَيْهَا وَالْمَوْلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْعُرْيِينِ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَنَّ السَّبِيلَ فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلَيْهِ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أذُنٌ قُلْ أَذُنٌ خَيْرٌ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾

[٥٥] ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ﴾ أي: لا تستحسن بقرصان عليهم؛ فهي: استدراج ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ﴾ أي: أن يعذبهم ﴿بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بما يلقون في جمعها من المشقة، وفيها من المصائب ﴿وَتَرْهَقَ﴾ تخرج ﴿أَنْفُسُهُمْ رَهْمًا كَافِرُونَ﴾ فيعذبهم في الآخرة أشد العذاب.

[٥٦] ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ﴾ أي: مؤمنون ﴿وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ﴾ يخافون أن تفعلوا بهم كالمشركين؛ فيحلفون بقرصانهم ﴿لَوْ يَحْدِثُونَ مَلْجَأًا﴾ يلجأون إليه ﴿أَوْ مَعْرَظًا﴾ سراديب

(٥) ما جاء في نزول الآية (٥٨): أخرج البخاري عن أبي سعيد قال: بينما النبي ﷺ يقسم، جاء عبد الله بن ذي الحويصرة التميمي فقال: أعدل يا رسول الله. فقال: «وبلك! ومن يعدل إذا لم أعدل؟! قال عمر بن الخطاب: دعني أضرب عنقه. قال: «دعه، فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاته، وصيامه مع صيامه، يقرن من الدين كما يقرن السهم من الرمية، ينظر في قذذه فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى رصافه فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى نضجه فلا يوجد فيه شيء، قد سبق الفرت والدم. أيهم: رجل إحدى يديه. أو قال: تديه - مثل ثدي المرأة. أو قال: مثل البضعة تدر - يخرجون على حين فرقة من المسلمين». قال أبو سعيد: أشهد سمعت من النبي ﷺ، وأشهد أن علياً قتلهم وأنا معه. جيء بالرجل على التنت التي نعت النبي ﷺ قال: فنزلت فيه: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ لِيُزَكَّكَ يَجِبُكَ﴾. البخاري - كتاب استنباط المرتدين (٨٨) باب (٧) من ترك قال الخوارج للأنبياء.

(١) ذكر النووي عن الشافعي: أن الكفار إن جاز تأليفهم فإنما يعطون من سهم المصالح من النبي، ونحوه، ولا يعطون من الزكاة. وقال جمهور الحنفية بنسخ سهم المولفة قلوبهم. وعند الحنابلة والمالكية: أنه باق لم ينسخ، وهو الصحيح؛ لأن القول بالنسخ ليس عليه دليل صريح، والحاجة إلى تأليف القلوب لم تنقطع.

(٢) وهذا مذهب الشافعي، وعند الجمهور لا يلزم تعميم الأصناف؛ فاللام في قوله - تعالى -: ﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾ لبيان المصرف، لا للاستحقاق، وهذا هو الأرجح، لكن قال مالك: الأمر عندنا في قسم الصدقات أن ذلك لا يكون إلا على وجه الاجتهاد من الولي، فأبي الأصناف كانت الحاجة فيه والعدد أوفر ذلك الصنف بقدر ما يرى الولي... وهو أولى ما يؤخذ به في حال وجود الحاكم الشرعي، وإلا فالأقرب ما نقل عن الشعبي وغيره: إذا كان المال كثيراً ففرقه في الأصناف، وإذا كان قليلاً فأعطه صنفًا واحداً... مع مراعاة الأشد حاجة... والله أعلم.

(٣) بالجر قرأه حزمة.

وَأُولَئِكَ فَاسْتَمْتَعُوا ﴿٧٠﴾ تَمَتَّعُوا ﴿يَخْلَفِيهِمْ﴾ نَصَبِهِمْ مِنَ الدُّنْيَا ﴿فَاسْتَمْتَعْتُمْ﴾
أَيُّهَا الْمُنَافِقُونَ ﴿يَخْلَفِيكُمْ﴾ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ يَخْلَفِيهِمْ
وَحُضَّتُمْ ﴿فِي الْبَاطِلِ وَالطَّعْنِ فِي النَّبِيِّ ﷺ﴾ ﴿كَالَّذِي حَاضُوا﴾ أَي:
كَخَوَاضِهِمْ ﴿أُولَئِكَ حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ
الْكَافِرُونَ﴾.

[٧٠] ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ﴾ خَبْرٌ ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَصَادٍ
قَوْمِ هُودٍ وَكُفُودٍ﴾ قَوْمِ صَالِحٍ ﴿وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ الْمَدْيَنَ﴾ قَوْمِ
شُعَيْبٍ ﴿وَالْمُؤْتَفِكِينَ﴾ فَرَى قَوْمِ لُوطٍ؛ أَي: أَهْلَهَا ﴿أَنَّهُمْ رُسُلُهُمْ
يَأْتِيَنَّهُمْ﴾ بِالْمُعْجَزَاتِ؛ فَكَذَّبُوهُمْ؛ فَأَهْلَكُوا ﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ﴾
بِأَن يَعْذِبَهُمْ بِغَيْرِ ذَنْبٍ ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بِارْتِكَابِ الذَّنْبِ.

[٧١] ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ
وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ﴿٧١﴾ لَا يَعْزِزُ شَيْءَ عَنِ إِجْزَارِ
وَعَدِهِ وَوَعِيدِهِ ﴿حَكِيمٌ﴾ لَا يَضَعُ شَيْئًا إِلَّا فِي مَحَلِهِ.

[٧٢] ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ﴿٧٢﴾ اِقَامَةً ﴿وَرِضْوَانٍ مِنَ اللَّهِ
أَكْبَرُ﴾ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَكَثُرَ أَمْوَالُهُمْ
وَأَوْلَادُهُمْ فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْفَتِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ
كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْفَتِهِمْ وَحُضَّتُمْ
كَالَّذِي حَاضُوا أُولَئِكَ حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٧١﴾ الْمَرِيَاتِهِمْ
نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَكُفُودٍ وَقَوْمِ
إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ
يَأْتِيَنَّهُمْ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا
أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧١﴾ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ
أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ
وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ
وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ
﴿٧١﴾ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ
وَرِضْوَانٍ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾

[٦٩] ﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَكَثُرَ أَمْوَالُهُمْ

(٥) فائدة: في قوله: ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ مقابل قوله في المنافقين: ﴿بَعْضُهُمْ رِيءٌ بِبَعْضٍ﴾.

قال الطاهر بن عاشور: وعبر في جانب المؤمنين والمؤمنات بأنهم أولياء بعض الإشارة إلى أن اللحمة الجامعة بينهم هي ولاية الإسلام؛ فهم فيها على السواء؛ ليس واحد منهم مقلداً للآخر ولا تابعاً له على غير بصيرة؛ لما في معنى الولاية من الإشعار بالإخلاص والتناصر بخلاف المنافقين، فكان بعضهم ناشئ من بعض في مذاهبهم... التحرير والتنوير (٢٦٢/١١).

[٧٣] ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ جِهْدَ الْكُفَّارِ﴾ بالسيف ﴿وَالْمُنَافِقِينَ﴾ باللسان والحجة ﴿وَأَغْلَظَ عَلَيْهِمْ﴾ بالانتهاز وَالْمَقْتِ ﴿وَمَا لَهُمْ جَهَنَّمَ﴾ وَيَسَّ الْمَصِيرُ المرجع هي.

[٧٤] ﴿يَحْلِفُونَ﴾ أي: المنافقون ﴿يَاللَّهِ مَا قَالُوا﴾ ما بلغك عنهم من الشبَّ ﴿وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾ أظهروا الكفر بعد إظهار الإسلام ﴿وَهُمْ أَوْ يَمَاتُ يَأْتُوا﴾ مِنَ الْفِتْكَ بِالنَّبِيِّ لَيْلَةَ الْعَقِيْبَةِ عِنْدَ عُوْدِهِ مِنْ تَبُوكَ - وَهُمْ بَضْعَةٌ عَشْرَ رَجُلًا ؛ فَضْرَبَ عِمَارَ بْنَ يَاسِرٍ وَجُوْدَةَ الرَّوَاحِلَ مَا عَشُرُوهُ فَرُوْدًا^(١) ﴿وَمَا تَقْمُوا﴾ أَنْكُرُوا ﴿إِلَّا أَنْ أَعْنَاهُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ بِالْغَنَائِمِ بَعْدَ شِدَّةِ حَاجَتِهِمْ؛ الْمَعْنَى: لَمْ يَنْلَهُمْ مِنْهُ إِلَّا هَذَا، وَلَيْسَ مَا يَنْقُمُ^(٢) ﴿فَإِنْ يَتُوبُوا﴾ عَنِ النِّفَاقِ وَيُؤْمِنُوا بِكَ ﴿بِكَ خَيْرًا لَمَّْا وَإِنْ يَتُوبُوا﴾ عَنِ الْإِيمَانِ ﴿بِعَذَابِهِمْ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا﴾ بِالْقَتْلِ ﴿وَالْآخِرَةِ﴾ بِالنَّارِ ﴿وَمَا لَمَّْا فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ﴾ يَحْفَظُهُمْ مِنْهُ ﴿وَلَا نَصِيرٌ﴾ مِنْعِهِمْ.

[٧٥] ﴿وَمَنْ مَنَّهُمْ مَنَّ عَهْدُ اللَّهِ لَيْتَ﴾ مَا نَكُنَّا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَدَّقَ ﴿فِيهِ إِدْغَامُ النَّاءِ فِي الْأَصْلِ فِي الصَّادِ﴾ وَنَكُونُ مِنَ الصَّالِحِينَ وهو ثعلبة بن حاطب؛ سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ أَنْ يَدْعُوَ لَهُ أَنْ يَرْزُقَهُ اللَّهُ مَالًا، وَيُوْدِي مِنْهُ إِلَى كُلِّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، فَدَعَا لَهُ؛ فَوَسِعَ عَلَيْهِ؛ فَانْقَطَعَ عَنِ الْجُمُعَةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَمِنَعَ الزَّكَاةَ^(٣)؛ كَمَا قَالَ - تَعَالَى -: [٧٦] ﴿فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ جُلُودًا يَدْعُونَ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾.

[٧٧] ﴿فَأَعْقَبَهُمْ﴾ أَي: فَصِيرَ عَاقِبَتِهِمْ ﴿بِفَأَقَا﴾ ثَابِتًا ﴿فِي قُلُوبِهِمْ﴾ لِكَيْ يُوْبِرَ بِلِقَوْنِهِ أَي: اللَّهُ؛ وَهُوَ: يَوْمُ الْقِيَامَةِ ﴿بِمَا أَتْلَفُوا اللَّهُ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ فِيهِ، فَجَاءَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِرَكَاتِهِ، فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ مُتَعَبِّئٌ أَنْ أَتْلِفَ مِنْكَ»؛ فَجَعَلَ يَحْنُو التُّرَابَ عَلَى رَأْسِهِ، ثُمَّ جَاءَ بِهَا إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَلَمْ يَقْبَلْهَا، ثُمَّ إِلَى عُمَرَ فَلَمْ يَقْبَلْهَا، ثُمَّ إِلَى عُثْمَانَ فَلَمْ يَقْبَلْهَا، وَمَاتَ فِي زَمَانِهِ^(٤).

[٧٨] ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا﴾ أَي: الْمُنَافِقُونَ ﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ﴾ مَا أَشْرَوْا فِي أَنْفُسِهِمْ ﴿وَوَجَّهْتُمْ﴾ مَا تَاجَرُوا بِهِ بَيْنَهُمْ ﴿وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّمَهُ الْغُيُوبَ﴾ مَا غَابَ عَنِ الْعِيَانِ. وَمَا نَزَلَتْ آيَةُ الصَّدَقَةِ جَاءَ رَجُلٌ فَتَصَدَّقَ بِشَيْءٍ كَثِيرٍ، فَقَالَ الْمُنَافِقُونَ: مُرَاءٍ. وَجَاءَ رَجُلٌ فَتَصَدَّقَ بِصَاعٍ، فَقَالُوا: إِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ صَدَقَةِ هَذَا. فَزَل: [٧٩] ﴿الَّذِينَ﴾ مَبْتَدَأُ ﴿يَلْمِزُونَ﴾

يَأْتِيهَا النَّبِيُّ جِهْدَ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلَظَ عَلَيْهِمْ وَمَا لَهُمْ جَهَنَّمَ وَيَسَّ الْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ أَوْ يَمَاتُ يَأْتُوا بِنَا وَأَوَّامِنَا تَقْمُوا إِلَّا أَنْ أَعْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكْ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتُوبُوا يَعَذِّبُهُمْ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾ وَمَنْ مَنَّهُمْ مَنَّ عَهْدُ اللَّهِ لَيْتَ آتَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَدَّقَ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ لِقَاؤِهِ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّمَهُ الْغُيُوبَ ﴿٧٨﴾ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾

يعيبون^(٥) ﴿الْمُطَّوِّعِينَ﴾ الْمُسْتَفِينِ ﴿وَمِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ طَاقَتَهُمْ؛ فَيَأْتُونَ بِهِ ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ﴾ وَالْخَبْرُ ﴿سَخَّرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾ جَازَاهُمْ عَلَى سَخَرِيَّتِهِمْ^(٦) ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

(٥) ما جاء في نزول الآية (٧٩): أخرجه البخاري عن أبي سعيد قال: لما نزلت آية الصدقة كنا نحامل، فجاء رجل فصدق بشيء كثير، فقالوا: مرأي، وجاء رجل فصدق بصاع، فقالوا: إن الله لغني عن صاع هذا. فنزلت: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ...﴾ الآية. البخاري - كتاب الزكاة (٢٤) باب (١٠) اتقوا النار ولو بشق تمرة.

(١) القصة أخرجه البيهقي في الدلائل عن عروة وعن حذيفة بن اليمان، وأخرجها ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن الضحاك وليس في أي منها أن عمار بن ياسر ضرب وجوه الرواحل وانظر: الدر المنثور (٤٦٤/٣ - ٤٦٦) [وجسسه صاحب الاستيعاب بقوله: وهذا إسناد حسن؛ رجاله ثقات، إلا ابن إسحاق وهو صدوق حجة في «الغازي» الاستيعاب (٢٩١/٢).

(٢) أي يكره؛ فالاستثناء منقطع.

(٣) هذه القصة التي أشار إليها السيوطي وهي قصة متداولة على الألسن نقلها بعض المفسرين دون إنكار نسبتها إلى ثعلبة، وتعقبها آخرون بالنقد واستبعدوا نزولها في حق صحابي شهيد معركة بدر، قال القرطبي: وثعلبة بدري، أنصاري، ومن شهد الله له وروسه بالإيمان، فما روي عنه غير صحيح، والراجح أنها نزلت في رجال من المنافقين كما قال الضحاك، والله أعلم.

(٤) أخرجه الحسن بن سفيان وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ والمسكوي في الأمثال والطبراني وابن منده والبارودي وأبو نعيم في معرفة الصحابة وابن مردويه والبيهقي في الدلائل وابن عساکر عن أبي أمانة الباهلي كما في الدر المنثور (٤٦٧/٣). قال البيهقي في الشعب (٧٩/٤، ٨٠): «وفي إسناد هذا الحديث نظر، وهو مشهور فيما بين أهل التفسير، والله أعلم». وقال الهيثمي في المجمع (٢٣٧/٧): «رواه الطبراني، وفيه علي بن يزيد الألهاني، وهو متروك. ولزبد من البيان والتفصيل راجع كتاب «الشهاب الثاقب في الذب عن الصحابي ثعلب بن حاطب» للعلامة سليمان الهلالي.

(٥) وهذا تأويل لهذه الصفة التي أثبتها الله ﷻ لنفسه، وهي فيما سبقت له مدح وكمال، ولكنها لا تطلق عليه - شبحائه - مجردة بدون ذكر متعلقها، كما لا يشق له اسم أو صفة منها؛ فلا يقال: ساخر... ومذهب السلف الإيمان بها على الوجه اللائق به - شبحائه - من غير تأويل، ولا تعطيل، ولا تمثيل، ولا تكيف.

بالسبعين المبالغة في كثرة الاستغفار. وفي البخاري حديث: «لَوْ أَعْلَمُ أَنِّي لَوْ زِدْتُ عَلَى السَّبْعِينَ مِائَةً لَزِدْتُ عَلَيْهَا»^(١)، وقيل: المراد العدد المخصوص. لحديثه أيضا: «وَسَأَزِيدُ عَلَى السَّبْعِينَ»^(٢)؛ فَيَنْبَغُ لَهُمْ حَسْمُ الْمَغْفِرَةِ يَا بَنِي سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ»^(٣) «ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِإِلَهِهِمْ وَرَسُولِهِ، وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ»^(٤).

[٨١] ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ﴾ عن تبوك ﴿بِمَقْعَدِهِمْ﴾ أي: بقعودهم ﴿خَلْفَ﴾ أي: بعد ﴿رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا﴾ أي: قال بعضهم لبعض: ﴿لَا نَجِدُوا﴾ تخرجوا إلى الجهاد ﴿فِي الْحَرِّ قُلُوبًا نَارًا جَهَنَّمَ أَشَدَّ حَرًّا﴾ من تبوك؛ فالأولى أن يُقَوِّمَهَا بِتَرْكِ التَّخَلُّفِ ﴿لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ يعلمون ذلك ما تخلفوا.

[٨٢] ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا﴾ في الدنيا ﴿وَلْيَبْكُوا﴾ في الآخرة ﴿كَبِيرًا جَزَاءً﴾ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿خَبِرَ عَنْ حَالِهِمْ بِصِغَةِ الْأَمْرِ﴾.

[٨٣] ﴿فَإِنْ رَجَعْتَ﴾ رَدَّكَ ﴿اللَّهُ﴾ من تبوك ﴿إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ﴾ من تخلف بالمدينة من المنافقين ﴿فَأَسْتَدْذُوكَ لِلْخُرُوجِ﴾ معك إلى غزوة أخرى ﴿فَقُلْ لَهُمْ﴾: ﴿لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ﴾ وَلَا تَصِلْ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ ﴿إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالصِّبَانِ وَغَيْرِهِمْ﴾.

[٨٤] ﴿وَمَا صَلَّى النَّبِيُّ ﷺ عَلَى ابْنِ أُتَيْ نَزَلَ﴾: ﴿وَلَا تَصِلْ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾^(٥) لدفن أو زيارة^(٦) ﴿إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَسِقُونَ﴾ كافرين.

[٨٥] ﴿وَلَا تَجِدَكَ أَمْوَالَهُمْ وَأَوْلَادَهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَزَهَقَ﴾ تخرج ﴿أَنْفُسَهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾.

[٨٦] ﴿وَلِذَا أَنْزَلْتَ سُورَةَ﴾ أي: طائفة من القرآن ﴿أَنْ﴾ أي: بأن ﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطُّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَلْعِدِينَ﴾^(٧).

أَسْتَغْفِرَ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٨١﴾ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلُوبًا نَارًا جَهَنَّمَ أَشَدَّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨٢﴾ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَبِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٨٣﴾ فَإِنْ رَجَعْتَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَدْذُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ ﴿٨٤﴾ وَلَا تَصِلْ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَجِدَكَ أَمْوَالَهُمْ وَأَوْلَادَهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَزَهَقَ أَنْفُسَهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٨٦﴾ وَإِذَا أَنْزَلْتَ سُورَةَ أَنْ ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطُّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَلْعِدِينَ ﴿٨٧﴾

[٨٠] «أَسْتَغْفِرَ» يا محمد «لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ» تخيير له في الاستغفار وتزكوه، قال ﷺ: «إِنِّي خَيْرُ مَا خَشَعْتُ»؛ يعني: الاستغفار. [رواه البخاري]^(١) «إِنْ تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ» قيل: المراد

(٥) ما جاء في نزول الآية (٨٤): أخرج البخاري عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: لما توفي عبدالله بن أبي جاه ابنه عبدالله إلى رسول الله ﷺ فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه، فأعطاه، ثم سأله أن يصلي عليه فقام رسول الله ﷺ ليصلي عليه، فقام عمر فأخذ ثوب رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أتصلي عليه وقد نهاك ربك أن تصلي عليه؟ فقال رسول الله ﷺ: «إِنَّمَا خَيْرِي اللَّهُ فَقَالَ: «أَسْتَغْفِرُ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً» وسأزيد على السبعين» قال: إنه منافق. قال: فضلى عليه رسول الله ﷺ فانزل الله: «وَلَا تَصِلْ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ». البخاري - كتاب التفسير (٦٥) - سورة براءة (٩) باب (١٢).

(١) البخاري (١٣٦٦) عن عمر بن الخطاب مرفوعاً.

(٢) البخاري (١٣٦٦) ..

(٣) البخاري (٤٦٧٠)، ومسلم (٢٤٠٠) عن ابن عمر مرفوعاً.

(٤) المنافقون: ٦.

(٥) البخاري (٤٦٧٠)، ومسلم (٢٤٠٠) عن عبد الله بن عمر مرفوعاً.

[٨٧] ﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾ جمع «خالفة»؛ أي: النساء اللاتي تخلفن في البيوت ﴿وَطَمِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ الحيز.

[٨٨] ﴿لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأَوْلِيَاءِكُمْ لَهُمُ الْخَبَرَاتُ﴾ في الدنيا والآخرة ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ أي: الفائزون.

[٨٩] ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

[٩٠] ﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ﴾ بإدغام التاء في الأصل في النال؛ أي: المعتذرون؛ بمعنى: المعتذرين، وقرئ به^(١) ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ﴾ إلى النبي ﷺ ﴿لِيُؤْذَنَ لَهُمْ﴾ في القعود لعذرهم؛ فأذن لهم ﴿وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ في ادعاء الإيمان من منافقي الأعراب عن الجيء للاعتذار ﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

[٩١] ﴿لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ﴾ كالشيوخ ﴿وَلَا عَلَى الْمَرْضَى﴾ كالعنفي والزمني ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ﴾ في الجهاد ﴿حَرْجٌ﴾ إنهم في التخلف عنه ﴿إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ في حال قعودهم؛ بعدم الإزجاج والتثبيط والطاعة ﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ بذلك ﴿وَمِنْ سَبِيلٍ﴾ طريق بالمواخاة ﴿وَاللَّهُ عَفُورٌ﴾ لهم ﴿رَجِيمٌ﴾ بهم في التوسعة في ذلك.

[٩٢] ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا آتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ﴾ معك إلى الغزو؛ وهم: سبعة من الأنصار، وقيل: بنو مقرن ﴿قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أُحْمِلِكُمْ عَلَيْهِ﴾^(٢) حال ﴿تَوَلَّوْا﴾ جواب ﴿إِذَا﴾ أي: انصرفوا ﴿وَأَعْيَبُهُمْ فَوَيْضٌ﴾ تسيل ﴿وَمِنَ اللَّيَالِي﴾ للبيان ﴿الذَّمِجَ حَزَنًا﴾ لأجل ﴿أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾ في الجهاد.

[٩٣] ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ﴾ في التخلف ﴿وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَمِعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ تقدم مثله.

رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَمِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأَوْلِيَاءِكُمْ لَهُمُ الْخَبَرَاتُ ﴿٨٨﴾ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨٩﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩٠﴾ وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَسَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩١﴾ لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرْجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩٢﴾ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا آتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أُحْمِلِكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيَبُهُمْ فَوَيْضٌ مِنَ اللَّيَالِي السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَمِعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن أبي موسى رضي الله عنه قال: أرسلني أصحابي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أسأله الخيلان لهم إذ هم معه في جيش المعصرة - وهي غزوة تبوك. فقلت: يا نبي الله، إن أصحابي أرسلوني إليك لتحملهم، فقال: «والله لا أحملكم على شيء». ووافقتة وهو غضبان ولا أشعر، ورجعت حزينا من منع النبي صلى الله عليه وسلم ومن مخافة أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم وجد في نفسه علي. فرجعت إلى أصحابي فأخبرتهم الذي قال النبي صلى الله عليه وسلم فلم أثبت إلا سوية إذ سمعت بلالا ينادي: أي عبدالله بن قيس، فأجبتة. فقال: أجب رسول الله بدعوك. فلما أتته قال: وحذ هذين القرنين - لست أبرة اتباعهن حينئذ من سعد - فاطلق بهن إلى أصحابك... ٥. البخاري - كتاب المغازي (٦٤) باب (٧٨) غزوة تبوك.

يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ تُؤْمِنَ لَكُمْ قَدِنَا اللَّهُ مِنْ أَجَابِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَمُنْزِلُ تَرْدُونِ إِلَى عَلِيمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٥﴾ سَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا أَنْفَلْتُمْ إِلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكٰفِرِينَ ﴿٩٦﴾ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٩٧﴾ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٩٨﴾ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٩٩﴾ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿١٠٠﴾ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿١٠١﴾ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿١٠٢﴾ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿١٠٣﴾ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿١٠٤﴾ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿١٠٥﴾ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿١٠٦﴾ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿١٠٧﴾ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿١٠٨﴾ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿١٠٩﴾ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿١١٠﴾

[٩٤] ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ﴾ في التخلف ﴿إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾ من الغزو

﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ تُؤْمِنَ لَكُمْ﴾ نصدركم ﴿قَدْ نَبَأْنَا اللَّهُ مِنْ أَنْبِيَاءِكُمْ﴾ أي: أخبرنا بأحوالكم ﴿وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تَرْدُون﴾ بالبعث ﴿إِلَى عَلِيمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ أي: الله ﴿فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٩٥) فيجازيكم عليه.

[٩٥] ﴿سَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا أَنْفَلْتُمْ﴾ رجعتهم ﴿إِلَيْهِمْ﴾ من تبوك، أنهم ممدورون في التخلف ﴿إِنْتِعِزُّوا عَنْهُمْ﴾ يتوك المعاتبين ﴿فَاعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾ أي: اتركوا ﴿فَقَدْ رَجَعْتُمْ﴾ أي: رجعتكم ﴿وَمَا أَوْلَاهُمْ جَهَنَّمَ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

[٩٦] ﴿يَخْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفٰسِقِينَ﴾ أي: عنهم، ولا يرفع رضاكم مع سخط الله.

[٩٧] ﴿الْأَعْرَابُ﴾ أهل البدو ﴿أَشَدُّ كُفْرًا وَفِئَاةً﴾ من أهل المدن؛ لجهالتهم وغلظ طباعهم وتغديهم عن سماع القرآن ﴿وَأَجْدَرُ﴾ أولى ﴿أَهْنُ﴾ أي: بأن ﴿لَا يَلْمَأُوْا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ﴾ من الأحكام والشرائع ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بخلقهم ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه بهم.

[٩٨] ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ﴾ في سبيل الله ﴿مَغْرَمًا﴾ غرامة وخشياناً؛ لأنه لا يرجو ثوابه، بل ينفقه خوفاً؛ وهم: بنو أسد وغطفان ﴿وَيَنْتَظِرُ﴾ يتنظر ﴿يَكْرَهُ الدَّوَابِرَ﴾ دوائر الزمان أن تنقلب عليكم؛ فينخلص، ﴿عَلَيْهِمْ دَابِرَةُ الشَّوْءِ﴾ بالضم والفتح (٩٨)؛ أي: يدور العذاب والهلاك عليهم لا عليكم ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لأقوال عباده ﴿عَلِيمٌ﴾ بأفعالهم.

[٩٩] ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ كجهينة ومدينة ﴿وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ﴾ في سبيل الله ﴿فَرِيضَةً﴾ تفرقة ﴿عِنْدَ اللَّهِ وَرِسِيلَةً﴾ إلى ﴿صَلَوَاتِ﴾ دعوات ﴿الرُّسُولِ﴾ له ﴿أَلَا إِنَّمَا فِي نُفُوسِكُمْ قُوَّةٌ﴾ بضم الراء وسكونها (٩٩) ﴿لَهُمْ﴾ عنده ﴿سَيِّئَاتُهُمْ﴾ أي: سيئاتهم ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ ﴿وَأَن لَّهُمْ جَنَّتِي﴾ (٩٩) ﴿إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ﴾ لأهل طاعته ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم.

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن كعب بن مالك: ... وكنا أيها الثلاثة الذين خلفوا عن الأمر الذي قيل من هؤلاء الذين اعتذروا وحين أنزل الله لنا التوبة، فلما ذكر الذين كذبوا رسول الله ﷺ من المخلفين فاعتذروا بالباطل ذكروا بشئ ما ذكر به أحد؛ قال الله سبحانه: ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ تُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَأْنَا اللَّهُ مِنْ أَنْبِيَاءِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ...﴾ الآية. البخاري. كتاب التفسير (١٥) - سورة براءة (٩) باب (١٨) ﴿وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَأُولَٰئِكَ سَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا...﴾.

(١) بالضم قراءة ابن كثير وأبي عمرو.

(٢) بالضم قراءة ورش.

(٣) وهذا تفسير باللازم، فإزاً من المنفسر من إثبات الصفة كما هو منهج الأشعرية، وسبق التبييه على أن منهج أهل السنة إثبات الصفات على الوجه اللائق به - سبحانه - من غير تكييف ولا تمثيل ولا تأويل ولا تعطيل.

[١٠٠] ﴿وَالسَّيْفُونَ الْأَوْلُونَ مِنَ الْمُهْجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾ وهم من شهد بدرًا، أو جميع الصحابة ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ﴾ إلى يوم القيامة ﴿يُحْسِنُ﴾ في العمل ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ بطاعته^(١) ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ بوابه ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ وفي قراءة: بزيادة «من»^(٢) ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

[١٠١] ﴿وَمَنْ حَزَلَكُمْ﴾ يا أهل المدينة ﴿يَنْزِلِ الْأَعْرَابُ مِنْكُمْ﴾ كَأَسْلَمَ وَأَشْجَعُ وَغَفَارٌ ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ﴾ منافقون أيضًا ﴿مَرَدُّوا عَلَى أَيْتَاقٍ﴾ لجأ فيه واستمروا ﴿لَا تَلْمِزُهُمْ﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿تَحْنُ تَلْمِزُهُمْ سَعْدٌ لَهُمْ مَرَدُّنٌ﴾ بالفضيحة، أو القتل في الدنيا، وعذاب القبر ﴿ثُمَّ يَرُدُّونَ﴾ في الآخرة ﴿إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ هو النار.

[١٠٢] ﴿وَمَنْ قَوْمٌ﴾ ﴿مَأْخُزُونَ﴾ مبتدأ ﴿أَعْرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ﴾ من التخلف، نعته، والحبر: ﴿خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا﴾ وهو جهادهم قبل ذلك، أو اعترافهم بذنوبهم أو غير ذلك ﴿وَعَاوَزَ سَيِّئًا﴾ وهو: تخلفهم ﴿عَنِ اللَّهِ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿نزلت في أبي لبابة وجماعة أوثقوا أنفسهم في سوري المسجد - لما بلغهم ما نزل في المتخلفين - وحلفوا لا يحلهم إلا النبي ﷺ؛ فَحَلَّهُمْ﴾ لما نزلت^(٣).

[١٠٣] ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ من ذنوبهم؛ فَأَخَذَ تِلْكَ أَمْوَالِهِمْ وَتَصَدَّقَ بِهَا ﴿وَصَلَّ عَلَيْهِمْ﴾ أي: ادع لهم ﴿إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ رَحْمَةٌ﴾ ﴿قِيلَ﴾: «طمأنينة بقبول توبتهم» ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

[١٠٤] ﴿الَّذِينَ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ بِالصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ﴾ على عبادِهِ بقبول توبتهم ﴿الرَّحِيمُ﴾ بهم!؟، والاستفهام للتقرير، والغصد به هو تهيجهم إلى التوبة والصدقة.

[١٠٥] ﴿وَقِيلَ لَهُمْ﴾ أو للناس: ﴿أَعْمَلُوا﴾ ما شئتم ﴿فَسِرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَرَدُونَ﴾ بالبعث ﴿إِلَى عِلِّيِّينَ وَالشَّاهِدِينَ﴾ أي: الله ﴿فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٤) فيجازيكم به.

[١٠٦] ﴿وَالْآخِرُونَ﴾ من المتخلفين ﴿[مُرْجُونَ]﴾ بالهمز وتركه^(٥): مؤخرون عن التوبة ﴿لِأَنَّ اللَّهَ﴾ فيهم بما يشاء ﴿إِمَّا يَعِدُّبُهُمْ﴾ بأن يمتتهم بلا

وَالسَّيْفُونَ الْأَوْلُونَ مِنَ الْمُهْجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠١﴾ وَمَنْ حَزَلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنْفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُّوا عَلَى الْأَيْتَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ تَحْنُ تَعْلَمُهُمْ سَعْدٌ لَهُمْ مَرَدُّونٌ ثُمَّ يَرُدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٢﴾ وَعَاوَزُونَ عَمَلًا صَالِحًا وَعَاوَزَ سَيِّئًا عَنِ اللَّهِ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٠٣﴾ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلَّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ رَحْمَةٌ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ بِالصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٥﴾ وَقِيلَ لَهُمْ ﴿مُرْجُونَ﴾ بِالْهَمْزِ وَتُرِكَ^(٥): مُؤَخَّرُونَ عَنِ التَّوْبَةِ ﴿لِأَنَّ اللَّهَ﴾ فِيهِمْ بِمَا يَشَاءُ ﴿إِمَّا يَعِدُّبُهُمْ﴾ بِأَنْ يَمْتَتَهُمْ بِلَا

توبة ﴿وَأَمَّا يُؤْتِبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بخلفهم ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه بهم؛ وهم الثلاثة الآتون بعد: مُرَارَةُ بْنُ الرَّبِيعِ، وَكَعْبُ بْنُ مَالِكٍ، وَهَلَالُ بْنُ أُمَيَّةَ، تخلفوا كسلاً وميلاً إلى الدعة لا نفاقاً، ولم يعتدروا إلى النبي ﷺ كغيرهم، فوقف أمرهم خمسين ليلة وهجرتهم الناس حتى نزلت توبتهم بعد.

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: إذا أعجبك حسن عمل امرئ فقل: ﴿أَعْمَلُوا﴾ ما شئتم ﴿فَسِرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ ولا يستخفك أحد. البخاري - كتاب التوحيد (٩٧) باب (٤٦)...

قال الخافظ في الفتح (٥١٤/١٣): «قال ابن التين عن الداودي: معناه: لا تفر بمدح أحد وحاسب نفسك. والصواب ما قاله غيره: أن المعنى: لا يفرئك أحد بعمله فظن به الحير إلا إن رأيته واقعاً عند حدود الشريعة».

(١) جرى المصنف على طريقته في تأويل الصفات ببعض لوازمها، ومذهب السلف إثبات الصفات لله ﷻ التي أنبتها لنفسه على الوجه اللائق به - سبحانه -، ومنها صفة الرضا، ومن لازمها التوفيق للطاعات وقبولها والإثابة عليها.

(٢) لابن كثير.

(٣) وأخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس [الدر المنثور (٤٨٧/٣)] وكذا ابن المنذر والبيهقي في الدلائل وليس فيها التصريح بأن ذلك بسبب ما نزل في المتخلفين. وحسنه صاحب الاستيعاب بشواهده. (الاستيعاب ٣٥٠/٢).

(٤) بالهمز قراءة ابن كثير وشعبة وأبي عمرو وابن عامر.

والْحَوْءُ، والتوسعة على المسلمين ﴿وَاللَّهُ يَسْهَرُ لَهُمْ لَكَيْدَاتٍ﴾ في ذلك، وكانوا سألوا النبي ﷺ أن يصلي فيه؛ فنزل: [١٠٨] ﴿لَا تَقْرَأُ فِيهِ﴾ تصلى ﴿فِيهِ﴾ أَيَّدًا، فأرسل جماعة هدموه وحرقوه وجعلوا مكانه كناسة ثلثي فيها الخِيفُ ﴿لَتَسْجِدَ أُنْسٌ﴾ بُنِيَتْ قِوَاعُهُ ﴿عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ وضع يوم خَلَّتْ بِذَارِ الْهَجْرَةِ، وهو: مسجد قباء؛ كما في البخاري (١) ﴿أَحَقُّ﴾ منه ﴿أَنْ﴾ أَي: بِأَنَّ ﴿تَقُومُ﴾ تصلي ﴿فِيهِ﴾ فِيهِ رِجَالٌ، هم الأنصار ﴿يُحِبُّونَ أَنْ يَنْظُرُوا﴾ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ، أَي يَشِيهُم، فيه إدغام التاء في الأصل في الطاء، روى ابن خزيمة في «صحيحه» عن عويمر ابن ساعدة: أنه ﷺ أتاهم في مسجد قباء، فقال: «إِنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - قَدْ أَحْسَنَ عَلَيْكُمْ الشَّاءَ فِي الطُّهُورِ فِي قِصَّةِ مَسْجِدِكُمْ، فَمَا هَذَا الطُّهُورُ الَّذِي تَطْهَرُونَ بِهِ؟»، قالوا: والله يا رسول الله، ما نعلم شيئاً إلا أنه كان لنا جيران من اليهود، وكانوا يغسلون أديبارهم من الغائط؛ فغسلنا كما غسلوا (٢). وفي حديث رواه البزار: فقالوا: تتبع الحجارة بالماء (٣). فقال: «هُوَ ذَلِكَ؛ فَعَلَيْكُمْوه» (٤).

[١٠٩] ﴿أَفَمَنْ أَسَسَ بُيُوتَهُ عَلَى تَقْوَى﴾ مَخَافَةَ ﴿رَبِّكَ وَاللَّهِ﴾ وَرَجَاءِ ﴿رُضْوَانٍ﴾ مِنْهُ ﴿حَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَسَ بُيُوتَهُ عَلَى شَقَاةٍ﴾ طَرَفِ ﴿جُرْبِي﴾ بِضَمِّ الرَّاءِ وَسُكُونِهَا (٥)؛ جَانِبِ ﴿هَارٍ﴾ مُشْرِفٍ عَلَى السُّقُوطِ ﴿فَأَهَارَ بِهِ﴾ سَقَطَ مَعَ تَابِيهِ ﴿فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾ حَيْرٌ (٦)؛ تَمَثِيلٌ لِلْبِنَاءِ عَلَى ضِدِّ التَّقْوَى بِمَا يُؤُولُ إِلَيْهِ، وَالاسْتِفْهَامُ لِلتَّقْرِيرِ؛ أَي: الْأَوَّلُ خَيْرٌ، وَهُوَ مِثَالُ: مَسْجِدِ قِبَاءَ، وَالثَّانِي مِثَالُ: مَسْجِدِ الضَّرَارِ ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاطِلِينَ﴾.

[١١٠] ﴿لَا يَزَالُ بُنِنُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَهُ﴾ شَقَاةً ﴿فِي قُلُوبِهِمْ﴾ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ تَنْفِصِلَ ﴿قُلُوبِهِمْ﴾، بَأَنَّ يَمُوتُوا ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بِخَلْفِهِ ﴿حَكِيمٌ﴾ فِي صِنْعِهِ بِهِم.

[١١١] ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ يُبَدِّلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ بِأَنْ يَبَدِّلُوا فِي طَاعَتِهِ؛ كَالْجِهَادِ ﴿وَأَنَّ لَهُمُ الْحِجَّةَ﴾ يَقْتُلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴿فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ جُمْلَةُ اسْتِنْفَافِ بَيَانٍ لِلشَّرَاءِ، وَفِي قِرَاءَةٍ: بِتَقْدِيمِ الْمَبْنِيِّ لِلْمَفْعُولِ (٧)؛ أَي: فَيُقْتَلُ بَعْضُهُمْ وَيُقَاتَلُ الْبَاقِي ﴿وَعَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ حَقًّا﴾ مَصْدَرَانِ مَنْصُوبَانِ بِفَعْلِهِمَا الْمَحْذُوفِ ﴿فِي التَّوْبَةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْفُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ﴾ مِنَ اللَّهِ أَي: لَا أَحَدٌ أَوْفَى مِنْهُ ﴿فَأَسْتَبَشِرُوا﴾ فِيهِ التَّفَاتُ عَنْ الْغِيبةِ ﴿يَبْعَثُكُمْ فِيهِمُ آلِ اللَّهِ الَّذِينَ بَايَعْتُمْ بِهِ﴾ وَذَلِكَ ﴿هُوَ الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ﴾ النَّبِيلُ غَايَةُ الْمَطْلُوبِ.

وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْوَ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٩﴾ لَا تَقْرَأُ فِيهِ أَبَدًا الْمَسْجِدُ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَنْظُرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴿١١٠﴾ أَفَمَنْ أَسَسَ بُيُوتَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَسَ بُيُوتَهُ عَلَى شَقَاةٍ جُرْفٍ هَارٍ فَأَهَارَ بِهِ فِيهِ نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاطِلِينَ ﴿١١١﴾ لَا يَزَالُ بُنِنُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَهُ فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٢﴾ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْحِجَّةُ يَقْتُلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ حَقًّا فِي التَّوْبَةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْفُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبَشِرُوا بِنِعْمَةِ اللَّهِ الَّتِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ ﴿١١٣﴾

[١٠٧] ﴿وَمِنْهُمْ﴾ مِنْهُمْ ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا﴾ وَهُمْ اثْنَا عَشَرَ مِنَ الْمُنَافِقِينَ ﴿ضِرَارًا﴾ مُضَارَةً لِأَهْلِ مَسْجِدِ قِبَاءَ ﴿وَكَفْرًا﴾ لِأَنَّهُمْ بَوَّؤهُ بِأَمْرِ أَبِي عَامِرِ الرَّاهِبِ؛ لِيَكُونَ مَعْقَلًا لَهُ يَقْدَمُ فِيهِ مَنْ يَأْتِي مِنْ عِنْدِهِ، وَكَانَ ذَهَبَ لِأَيَّتِي بَجُودٍ مِنْ قِصْرِ لِقَاتِ النَّبِيِّ ﷺ ﴿وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الَّذِينَ يَصِلُونَ بِقِبَاءَ؛ بِضَلَاةٍ بَعْضُهُمْ فِي مَسْجِدِهِمْ ﴿وَإِرْصَادًا﴾ تَرْقُبًا ﴿لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ﴾ أَي: قَبْلُ بِنَائِهِ؛ وَهُوَ: أَبُو عَامِرِ الْمَذْكَورِ ﴿وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ﴾ مَا ﴿أَرَدْنَا﴾ بَيْنَانَهُ ﴿إِلَّا﴾ الْفَعْلَةُ ﴿الْحُسْوَ﴾ مِنَ الرِّفْقِ بِالْمَسْكِينِ فِي الْمَطْرِ

(٥) ما جاء في نزول الآية (١٠٨): أخرجه أبو داود عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: نزلت هذه الآية في أهل قباء ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَنْظُرُوا﴾ قال: كانوا يستنجون بالماء، فنزلت فيهم هذه الآية. أبو داود - كتاب الطهارة (١) باب (٢٣) في الاستنجاء بالماء. (صحيح) صحيح سنن أبي داود (٣٤).
وأخرج ابن ماجه عن أبي أيوب الأنصاري، وجابر بن عبد الله، وأنس بن مالك: أن هذه الآية نزلت ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَنْظُرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾ قال رسول الله ﷺ: «يا معشر الأنصار، إن الله قد أتى عليكم في الطهور، فما طهروكم؟» قالوا: نوضاً للصلاة، ونغسل من الحنابة، ونستنجي بالماء.
قال: «هو ذلك فعليكموه». ابن ماجه - كتاب الطهارة (١) باب (٢٨) الاستنجاء بالماء. (صحيح) صحيح سنن ابن ماجه (٢٨٥).

(١) البخاري (٣٩٦) من حديث عائشة.

(٢) وهذا تأويل لصفة الحجة بأحد لوازمها وهو الإثابة، ومذهب السلف إثبات ما أثبتته الله ﷻ لنفسه ورسوله ﷺ على الوجه اللائق به من غير تأويل ولا تعطيل ولا تمثيل ولا تكيف ﴿لَيْسَ كَيْتَابُهُ﴾ شَيْءٌ ﴿وَهُوَ النَّصِيحُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

(٣) أخرجه أحمد (١٤٩٣٨) وابن خزيمة والطبراني والحاكم وابن مردويه عن عويمر بن ساعدة [الدر المنثور (٤٩٧/٣)]، وحسنه الألباني في الثمر المستطاب (٥٣٩/٢).

(٤) مختصر زوائد مسند البزار (١٥٠). والجمع بين الحجارة والماء كما قال النووي: باطل. ولا يصح الحديث بهذا اللفظ. وانظر: الضعيفة حديث رقم (١٠٣١).

(٥) بسكونها حمزة وشعبة وابن عامر.

(٦) قدره: إشارة إلى أن خبر ﴿مَنْ﴾ الثانية محذوف.

(٧) حمزة والكسائي.

التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّاعِدُونَ
 الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
 وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ
 وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا
 أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ
 مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾
 وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا
 إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ
 وَإِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ
 هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ
 عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي
 وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾
 لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ
 اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ
 فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١١٧﴾

[١١٢] ﴿التَّائِبُونَ﴾ رفع على المدح بقدير مبتدأ^(١)؛ من الشرك والنفاق^(٢) ﴿الْعَابِدُونَ﴾ المخلصون العبادة لله ﴿الْحَامِدُونَ﴾ له على كل حال ﴿السَّاعِدُونَ﴾ الصائمون ﴿الْمُشْرِكُونَ﴾ أي: المصلون ﴿الْآمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ والتَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ لأحكامه بالعمل بها ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بالجنة.

[١١٣] وَنَزَلَ فِي اسْتِغْفَارِهِ ﷺ لَعْنَهُ أَبِي طَالِبٍ، وَاسْتِغْفَارِ بَعْضِ الصَّحَابَةِ لِأَبُوهِ الْمُشْرِكِينَ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ﴾ ذَوِي قَرَابَةٍ ﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ النَّارِ، بَانَ مَا تَابُوا عَلَى الْكُفْرِ.

[١١٤] ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ﴾ يَقُولُهُ: ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي﴾^(٣) رَجَاءً أَنْ يَسْلَمَ ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ﴾ بِمَوْتِهِ عَلَى الْكُفْرِ ﴿تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ وَتَرَكَ اسْتِغْفَارَ لَهُ ﴿وَإِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ﴾ كَثِيرَ التَّضَرُّعِ وَالِدَعَاءِ ﴿حَلِيمٌ﴾ صَبُورٌ عَلَى الْأَذَى.

[١١٥] ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ﴾ لِلإِسْلَامِ ﴿حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ﴾ مِنَ الْعَمَلِ؛ فَلَا يَتَّقُوهُ؛ فَيَسْتَحِقُّوا الْإِضْلَالَ ﴿وَإِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ وَمَنْهُ مَسْتَحَقُّ الْإِضْلَالِ وَالْهُدَايَةِ.

[١١٦] ﴿إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أَي: غَيْرِهِ ﴿مِنْ وَلِيٍّ﴾ يَحْفَظُكُمْ مِنْهُ ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ يَنْعَمُكُمْ مِنْ ضَرَرِهِ.

[١١٧] ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾ أَي: وَقْفَاهَا؛ وَهِيَ: حَالُهُمْ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، كَانَ الرَّجُلَانِ يَقْتَسِمَانِ تَمْرَةً، وَالْعُسْرَةُ يَتَقَبَّوْنَ الْبَعِيزَ الْوَاحِدَ، وَاشْتَدَّ الْحَرْجُ حَتَّى شَرِبُوا الْفَرَسَ ﴿مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ﴾ بِالنَّاءِ وَالْيَاءِ^(٤): تَمِيلُ ﴿قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ﴾ عَنِ اتِّبَاعِهِ إِلَى التَّخَلُّفِ؛ لَمَا هُمْ فِيهِ مِنَ الشَّدَةِ ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ بِالنَّاءِ ﴿إِنَّهُمْ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

(٥) مَا جَاءَ فِي نَزُولِ آيَةِ (١١٣، ١١٤): أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيْبِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةَ، دَخَلَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ وَعِنْدَهُ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُمَيَّةَ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: هَؤُلَاءِ عَمِّي، قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، أَحَاجُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُمَيَّةَ: يَا أَبَا طَالِبٍ، أَرْتَدُّ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمَطْلُبِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أَنْهَ عَنْكَ». فَنَزَلَتْ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ الْبُخَارِيُّ - التَّفْسِيرُ (٦٥) سُورَةُ بَرَاءَةَ (٩) بَابُ (١٦). وَأَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ عَنْ عَلِيِّ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَجُلًا يَسْتَغْفِرُ لِأَبُوهِ، وَهِيَ مَشْرُكَانٌ، فَقُلْتُ لَهُ: تَسْتَغْفِرُ لِأَبُوَيْكَ وَهِيَ مَشْرُكَانٌ؟ قَالَ: أَوْلَيْسَ اسْتَغْفَرَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَهُوَ مُشْرِكٌ؟ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَنَزَلَتْ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾.

التِّرْمِذِيُّ - تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ (٤٨) بَابُ (١٠) سُورَةُ بَرَاءَةَ. (حَسَنٌ) صَحِيحٌ سَنَنَ التِّرْمِذِيُّ (٢٤٧٧).

وَرَوَاهُ النَّسَائِيُّ - كِتَابُ الْجَنَائِزِ (٢١) بَابُ (١٠٢) النَّبِيِّ عَنِ اسْتِغْفَارِ الْمُشْرِكِينَ - وَفِيهِ: فَنَزَلَتْ: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ﴾ الْآيَةِ. وَرَوَاهُ أَحْمَدُ - الْمُسْنَدُ (٩٩/١)، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾. فَالظَّاهِرُ أَنَّ الْآيَيْنِ نَزَلتا جَمِيعًا، وَأَنَّ الْإِخْتِصَارَ مِنْ تَصْرِفِ الْوَرَاةِ.

(١) أَي: هُمُ النَّاتِبُونَ.

(٢) مُتَعَلِقٌ بِ﴿التَّائِبِينَ﴾.

(٣) مَرِيحٌ: ٤٧.

(٤) بِالنَّاءِ قِرَاءَةُ السَّبْعَةِ عَدَا حِمْرَةَ وَحَفْصًا.

وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ فَتُوبُوا عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَن حَوْلَهُم مِّنَ الْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْعَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْغُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم لِيَجْزِيَ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾

﴿حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ أي: مع رخصتها؛ أي: سعتها؛ فلا يجدون مكاناً يطمنون إليه ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ﴾ قلوبهم للغم والوحشة؛ بتأخير توبتهم؛ فلا يسعها سرور ولا أنس ﴿وَوَطَّئُوا﴾ أيقنوا ﴿أَن﴾ محففة ﴿لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ﴾ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ﴿وَفَقِهَ لِلتَّوْبَةِ﴾ ﴿لِيَتُوبُوا﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ.

[١١٩] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ برك معاصيه ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ في الإيمان والعهد، بأن تلمزوا الصدق.

[١٢٠] ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَن حَوْلَهُم مِّنَ الْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ﴾ إذا غزا ﴿وَلَا يَرْعَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ﴾ بأن يصونوها عمّا رضىته لنفسه من الشدائد، وهو نهي بلفظ الخبر ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: النبي عن التخلف ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ بسبب أنهم ﴿لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ﴾ عطش ﴿وَلَا نَصَبٌ﴾ تعب ﴿وَلَا مَخْمَصَةٌ﴾ جوع ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْغُونَ مَوْطِئًا﴾ مصدر؛ بمعنى: وطأ ﴿يَغِيظُ﴾ يغيظ ﴿الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ﴾ لله ﴿نَيْلًا﴾ فتلا أو أسرا أو نهبا ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ﴾ ليجازوا عليه ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ أي: أجرهم بل يشيهم.

[١٢١] ﴿وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾ ولا يقطعون وادياً ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ﴾ ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون. أي: جزاءهم.

[١٢٢] ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً﴾ إلى الغزو ﴿كَأَنَّهُمْ قُلُوبًا﴾ فقللاً ﴿نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ﴾ قبيلة ﴿مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ﴾ جماعة، ومكث الباقيون ﴿لِيَتَفَقَّهُوا﴾ أي: الماكتون ﴿فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ﴾ من الغزو؛ بتعليمهم ما تعلموه من الأحكام ﴿لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ عقاب الله؛ بامثال أمره ونهيه، قال ابن عباس: فهذه مخصوصة بالسرايا^(١) والتي قبلها بالنهي عن تخلف واحد فيما إذا خرج النبي ﷺ.

[١١٨] ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا﴾ عن التوبة عليهم بقرينة

(١) ما جاء في نزول الآيات (١١٧-١١٩): أخرج البخاري عن عبد الله بن كعب بن مالك: وكان قائد كعب بن نبيو حين عتي. قال: سمعت كعب بن مالك يحدث، حين تخلف عن غزوة تبوك... (وذكر قصة تخلفه حتى تاب الله عليه وقال في خبر نزول توبته): فلما ضاقت صلاة الفجر، طبع خمسين ليلة؛ وأنا على ظهر نبت من يوتينا نبتاً، أنا جالس على الحمال التي ذكر الله قد ضاقت علي نفسي، وضاقت علي الأرض بما رحبت، سمعت صوت صائح أوفى على جبل صلح بأعلى ضويرة، يا كعب بن مالك: أتبئو قال فخرت ساجدها، وعرفت أن قد جاء فرج، وأنزل رسول الله ﷺ بؤدة الله علينا، حين صلى صلاة الفجر، فذهب الناس يشربوننا، وذهب قبيل ضاحجة يمشون، وركض إلي وجعل فرسا وسعى شاع من أشلم فأوفى على الجبل، وكان الصوت أشد من الغرس، فلما جاعني الذي سمعت صوتة يشربني، نزعته له نومي فكتسوته إثمنا، بشرها والله ما أفعلت غيرها يؤميد واشتغرت توبتين فلبستهما، وانطلقت إلى رسول الله ﷺ فلتقاني الناس، فوجأ فوجأ، يهتوي بالثوبية، يقولون ليهتدي بؤدة الله علينا. قال كعب: حتى دخلت المسجد، فإذا رسول الله ﷺ جاليس حوله الناس، فقام إلي طلحة بن عبيدالله يهزول، حتى صافحني وهتاني، والله ما قام إلي رجل من المهاجرين غيره، ولا أنشأها لطلحة، قال كعب فلما سلمت على رسول الله ﷺ قال: رسول الله ﷺ وهو يبرق وجهه من الشور: «أتبئو بخير يوم مؤم عليك منذ ولدتك أمك»، قال قلت أمين عنديك يا رسول الله، أم من عبد الله، قال: «لا بل من عبد الله» وكان رسول الله ﷺ إذا سوا اشتار وجهه، حتى كأنه قطعة قمر، وكذا تعرف ذلك منه، فلما جلست بين يديه قلت: يا رسول الله إن من توبيي أن أتخلع من مالي، صدقة إلى الله وإلى رسول الله، قال رسول الله ﷺ: «أمنيتك عليك بغض مالك»، فإني أمنيتك سحبي الذي بخير، قلت: يا رسول الله إن الله إنما جأني بالصدق، وإن من توبيي أن لا أحدث إلا صدقاً ما بيئت، فوالله ما أعلم أحداً من المسلمين أبلاء الله في صدقي الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ أحسن مما أبلاني، ما تعفدت منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ إلي يوزي هذا كذبا، وإني لأرجو أن يخفني الله فيما بيئت، وأزل الله على رسوله ﷺ: «لمد تائب الله على النبي ﷺ والأصهار» إلى قوله ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ فوالله ما أتمم الله علي من نعمة قط بعد أن هداني للإسلام أعظم في نفسي من صدقي لرسول الله ﷺ أن لا أكون كذبه، فأفعل كما هلك الدين كذبوا، فإن قال الذين كذبوا حين أنزل الوحي شراً ما قال لأحد فقال تبارك وتعالى: ﴿سَيُؤْتُونَكَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا أَنْتُمْ شَرُّ﴾ إلى قوله: ﴿فَلَا تَكُنْ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ قال كعب وكذا تخلفتنا أيها الثلاثة، عن أم أروك التي قبل منهم رسول الله ﷺ حين خلفوا له، فباتهم واشتغروهم، وأرجأ رسول الله ﷺ أمرنا، حتى قضى الله فيه بذلك قال الله ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا﴾ وليس الذي ذكر الله، بما خلفنا من الغزو، إنما هو تخليفتنا إيانا وإيا جأه أمرنا، عفن خلفت له، واعتقدت إليه قبيل مئة. البخاري. كتاب المغازي (٦٤) باب (٧٩) حديث كعب بن مالك.

(١) لم أجده بهذا اللفظ، لكن أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في المدخل عن ابن عباس في قوله: ﴿وَمَا كَانَتِ الْكُفْرَانُ لِيَنفِرُوا كَافَّةً﴾ يعني ما كان المؤمنون لينفروا جميعاً ويركروا النبي ﷺ وحده ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ﴾ يعني عصبة؛ يعني السرايا، فلا يسرون إلا يافته، فإذا رجعت السرايا وقد نزل فرس تعلمه القاعدون من النبي ﷺ قالوا: إن الله قد أنزل على نبيكم قرآناً وقد تعلمناه فصمتك السرايا يتعلمون ما أنزل الله على نبيهم ﷺ بعدهم ويعت السرايا آخر، فذلك قوله: ﴿لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾ يقول: يتعلمون ما أنزل الله على نبي يعلمونه السرايا إذا رجعت إليهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾. [الدر المنثور (٥٢١/٣)].

[١٢٣] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَبِلُوا الَّذِينَ يُؤْتِكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ أَي: الأُتْرُبِ فَالأُتْرُبِ مِنْهُمْ ﴿وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غُلَظَةً﴾ شدة؛ أَي: أغلظوا عليهم ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ بالعون والنصر.

[١٢٤] ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً﴾ من القرآن ﴿فَجِئْتُمْ﴾ أَي: المنافقين ﴿مَنْ يَقُولُ﴾ لأصحابه استهزاء: ﴿أَنْتُمْ زَادْتُمْ هَذِهِ إِيمَانًا﴾ تصديقًا، قال - تعالى -: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَرَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ لتصدقهم بها ﴿وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ يفرحون بها.

[١٢٥] ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ ضَعُفُ اعْتِقَادٍ ﴿فَرَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ﴾ كَفَرًا إِلَى كُفْرِهِمْ؛ لكَفَرِهِمْ بِهَا ﴿وَمَا نَالُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾.

[١٢٦] ﴿أَوَّلًا يَرُونَ﴾ بالباء؛ أَي: المنافقون، والتاء؛ أيها المؤمنون (١) ﴿أَنْهُمْ يَفْتَنُونَ﴾ يبتلون ﴿فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ﴾ بالفحط والأمراض ﴿فَمَا لَا يَتُوبُونَ﴾ من نفاقهم ﴿وَلَا هُمْ يَذْكُرُونَ﴾ يَتَّعِظُونَ.

[١٢٧] ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً﴾ فِيهَا ذَكَرَهُمْ وَقَرَأَهَا النَّبِيُّ ﷺ ﴿نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ يَرِدُونَ الْهَرَبَ، يَقُولُونَ: ﴿هَلْ يَرِيكُمْ مِنْ أَحَدٍ﴾ إِذَا قَمْتُمْ؛ فَإِنْ لَمْ يَرِهِمْ أَحَدٌ قَامُوا، وَإِلَّا تَبَتُوا ﴿ثُمَّ أَنْصَرَفُوا﴾ عَلَى كُفْرِهِمْ ﴿صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ عَنِ الْهُدَى ﴿يَأْتِيهِمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ الْحَقُّ؛ لَعَدَمِ تَدْبِيرِهِمْ.

[١٢٨] ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ أَي: مِنْكُمْ؛ مُحَمَّدٌ ﷺ ﴿عَزِيزٌ﴾ شَدِيدٌ ﴿عَلَيْهِ مَا عَسَيْتُمْ﴾ أَي: عَسَيْتُمْ؛ أَي: مَشَقَّتْكُمْ وَلِقَاؤُكُمْ الْمَكْرُوهَ ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾ أَنْ تَهْتَدُوا ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رِءُوفٌ﴾ شَدِيدُ الرَّحْمَةِ ﴿رَجِيمٌ﴾ يَرِيدُ لَهُمُ الْخَيْرَ.

[١٢٩] ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ عَنِ الْإِيمَانِ بِكَ ﴿فَقُلْ حَسْبِيَ﴾ كَافِيَ ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ بِهِ وَتَقَنَّتْ لَآ بَغِيرَهُ ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرْسِيِّ﴾ (٢) ﴿الْعَظِيمِ﴾ تَخَصُّهُ بِالذِّكْرِ؛ لِأَنَّهُ أَعْظَمُ الْخُلُوقَاتِ، وَرَوَى الْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ، عَنِ أَبِي بِنِ كَعْبٍ قَالَ: آخِرُ آيَةِ نَزَلَتْ ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ﴾ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ (٣).

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَبِلُوا الَّذِينَ يُؤْتِكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ
وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غُلَظَةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ
﴿١٢٣﴾ وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ إِنَّكُمْ زَادْتُمْ
هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَرَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ
يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَرَادَتْهُمْ
رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَا نَالُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿١٢٥﴾ أَوَّلًا
يَرُونَ أَنْهُمْ يَفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ
ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذْكُرُونَ ﴿١٢٦﴾ وَإِذَا مَا
أَنْزَلْنَا سُورَةً نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرِيكُمْ
مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ أَنْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ
لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ
عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ
رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ
إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾

سُورَةُ التَّوْبَةِ

(١) بالتاء قراءة حمزة.

(٢) وهذا رأي الحسن البصري والصابغ بن العرش غير الكرسى، فالكرسي موضع القدمين له - شيخانته - أما العرش فهو سرير الملك، وهو الذي عليه استوى الرحمن - جل في علاه.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرک (٢/٣٣٨)، وأخرجه أحمد في المسند (٥/١١٧)، وقد ورد أن آخر آية نزلت هي: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلْ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلْبَةِ﴾، وورد أيضا أنها: ﴿وَأَتَقُوا يَوْمَ تُرْتَمُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾، وقد جمع الحافظ ابن حجر بين هذه الآثار، ورجح - وغيره من العلماء - آخرة آية البقرة لما فيها من الإشارة إلى معنى الوفاة المستترمة لحاتمة النزول [الفتح (٥٣/٨)].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ۝ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا
 أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ
 ءَامَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ
 إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ۝ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأَمْرَ
 مَا مِنْ شَيْعٍ إِلَّا مِنْ عِندِهِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ
 أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا لِئَنَّهُ
 يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَلِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
 الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ
 وَعَذَابٌ أَلِيمٌ يَمَّا كَانُوا يَكْفُرُونَ ۝ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ
 ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ اللَّيَلِينَ
 وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ
 لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝ إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ
 اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ۝

سورة يونس

[مكية إلا: فإن كنت في شك في الآيتين، أو: الثلاث، أو: وميئتهم من يومين يدي الآية. مائة وتسع، أو: وعشر آيات، نزلت بعد الإسراء]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الر﴾ الله أعلم بمراده بذلك. ﴿تِلْكَ﴾ أي: هذه الآيات ﴿ءَايَاتُ﴾

الْكِتَابِ ﴿القرآن، والإضافة بمعنى «من»﴾ الْكَبِيرِ ﴿الحكيم﴾.

[٢] ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ﴾ أي: أهل مكة، استفهام إنكار، والجار والمجرور حال من قوله: ﴿عَجَبًا﴾ بالنصب خبر «كان»، وبالرفع اسمها (١)، والخبر وهو اسمها على الأولى: ﴿أَنْ أَوْحَيْنَا﴾؛ أي: إوحنا ﴿إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ﴾ محمد ﷺ ﴿أَنَّ﴾ مفسرة ﴿أَنْذِرَ﴾ خَوْفٍ ﴿النَّاسِ﴾ الكافرين بالعذاب ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّ﴾ أي: بأن ﴿لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ﴾ سلف ﴿صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ أي: أجرا حسنا بما قدموه من الأعمال ﴿قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا﴾ القرآن المشتمل على ذلك ﴿لَسِحْرٌ﴾ (٢) ﴿مُبِينٌ﴾ بَيِّنٌ، وفي قراءة: ﴿لَسِحْرٌ﴾، والمشار إليه النبي ﷺ.

[٣] ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ من أيام الدنيا؛ أي: في قدرها؛ لأنه لم يكن ثم شمس ولا قمر، ولو شاء لخلقهم في لحة، والعدل عنه لتعليم خلقه الثابت ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ استواءً يليق به ﴿يُدِيرُ الْأَمْرَ﴾ بين الخلائق ﴿مَا مِنْ شَيْعٍ﴾ يشفع لأحد ﴿إِلَّا مِنْ عِنْدِهِ﴾ رداً لقولهم: إن الأصنام تشفع لهم ﴿ذَلِكُمْ﴾ الخالق المدبر ﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾ وخدوه ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ يادغام التاء في الأصل في الدال (٣).

[٤] ﴿إِلَيْهِ﴾ تعالى ﴿مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا﴾ مصدران منصوبان بفعليهما المقدر ﴿إِنَّهُ﴾ بالكسر استئنافاً، والفتح (٤) على تقدير اللام ﴿يَبْدَأُ الْخَلْقَ﴾ أي: بدأه بالإنياء ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ بالبعث ﴿لِيَجْزِيَ﴾ يثيب ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾ ماء بالغ نهاية الحرارة ﴿وَعَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم ﴿يَمَّا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ أي: بسبب كفرهم.

[٥] ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً﴾ ذات ضياء؛ أي: نور ﴿وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ﴾ من حيث سيره ﴿مَنَازِلَ﴾ ثمانية وعشرين منزلاً في ثمان وعشرين ليلة من كل شهر، ويستمر ليثين إن كان الشهر ثلاثين يوماً، أو ليلة إن كان تسعة وعشرين يوماً ﴿لِتَعْلَمُوا﴾ بذلك ﴿عَدَدَ اللَّيَلِينَ وَالْحِسَابَ﴾ ما خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ ﴿المدكور﴾ ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ لا عبثاً، تعالى عن ذلك ﴿يُفَصِّلُ﴾ بالياء والنون (٥) ﴿بَيْنَ﴾ الآياتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿يتدبرون﴾.

[٦] ﴿إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ بالذهاب والهجى، والزيادة والنقصان ﴿وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ﴾ من ملائكة، وشمس، وقمر، ونجوم، وغير ذلك ﴿وَفِي﴾ في ﴿الْأَرْضِ﴾ من حيوان، وجمال، وبحار، وأنهار، وأشجار، وغيرها ﴿لآيَاتٍ﴾ دلالات على قدرته تعالى ﴿لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾ فيؤمنون، خصهم بالذكر؛ لأنهم المنتفعون بها.

(١) وهي قراءة شاذة، ولم يجر المفسر على عادته في الإشارة إلى القراءة الشاذة بقوله: (وقرئ).

(٢) وهي قراءة نافع وأبي عمرو وابن عامر.

(٣) وهي قراءة نافع وأبي عمرو وابن عامر وقالون وأبي جعفر ويعقوب، وقرأ بتخفيف الدال (تذَكَّرُونَ): حفص وحزمة والكسائي وحلف.

(٤) ظاهره أنها بالفتح قراءة سبعة وليس كذلك، بل هي عشيرة أبي جعفر.

(٥) بالنون قراءة نافع وابن عامر وحزمة والكسائي وشعبة.

[٧] ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ بالبعث ﴿وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بدل الآخرة؛ لإنكارهم لها ﴿وَالْمَأْتُونَ بِهَا﴾ سكنوا إليها ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا دَالِلُونَ﴾ دلائل وحدانيتنا ﴿وَعَفَاؤُنَّ﴾ تاركون النظر فيها.

[٨] ﴿أُولَئِكَ مَاؤُهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ من الشرك والمعاصي.

[٩] ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ﴾ يرشدهم ﴿رَبُّهُمْ بِالْإِيمَانِ﴾ به بأن جعل لهم نوراً يهتدون به يوم القيامة ﴿تَجْرُونَ مِنْ خَلْقِهِمُ الَّذِينَ هُمْ فِي جَنَّتِ النَّعِيمِ﴾.

[١٠] ﴿دَعْوَتُهُمْ فِيهَا﴾ طلبهم لما يشتهونه في الجنة أن يقولوا: ﴿سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ﴾ أي: يا الله، فإذا ما طلبوه وجدوه بين أيديهم^(١) ﴿وَقَرَّبْتَهُمْ﴾ فيما بينهم ﴿فِيهَا سَلَّمَ﴾ وأخبر دَعْوَتُهُمْ أَنْ مفسرة ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

[١١] ونزل لما استعجل المشركون العذاب: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ﴾ أي: كاستعجالهم ﴿بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ﴾ بالبناء للمفعول وللفاعل^(٢) ﴿إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾ بالرفع والنصب^(٣) بأن يهلكهم، ولكن بهم لهم ﴿فَتَذَرُهُمْ﴾ تترك ﴿الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ يترددون متحيرين^(٤).

[١٢] ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ﴾ الكافر ﴿الضَّرُّ﴾ المرض والفقر ﴿وَدَعَا نَجْدِيَهُ﴾ أي: مضطجعاً ﴿أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا﴾ أي: في كل حال ﴿فَلَقْنَا كَشْفًا عَنْهُ ضَرْمًا مَرًّا﴾ على كفره ﴿كَأَنَّ﴾ مخففة، واسمها محذوف؛ أي: كأنه ﴿لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضَرْمٍ مَسَّهُ كَذَلِكَ﴾ كما زين له الدعاء عند الضرر والإعراض عند الرخاء ﴿رَبِّينَ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ المشركين ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

[١٣] ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ﴾ الأمم ﴿مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿لَمَّا ظَلَمُوا﴾ بالشرك ﴿وَوَدَّ﴾ قد ﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ الدالات على صدقهم ﴿وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾ عطف على ﴿ظَلَمُوا﴾ ﴿كَذَلِكَ﴾ كما أهلكنا أولئك ﴿بِحَزْيِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ الكافرين.

إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أُولَئِكَ مَاؤُهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِالْإِيمَانِ تَجْرُونَ مِنْ خَلْقِهِمُ الَّذِينَ هُمْ فِي جَنَّتِ النَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوَتُهُمْ فِيهَا سَلَّمَ ﴿١٠﴾ وَوَدَّ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ﴿١١﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الَّذِينَ كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ بِحَزْيِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

[١٤] ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ﴾ يا أهل مكة ﴿خَلِيفَةً﴾ جمع خليفة ﴿فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ فيها، وهل تعتبرون بهم فنصدقوا رسلنا؟

(١) هذا أحد الأقوال، والقول الآخر أن المعنى أن دعاءهم الذي يدعون به في الجنة هو تسيب الله وتفديسه، وخاتمة دعائهم الذي هو التسيب أن يقولوا: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وهذا هو الأرجح.

(٢) بالبناء للفاعل قراءة ابن عامر.

(٣) بالنصب قراءة ابن عامر.

(٤) أخرج ابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ﴾ قال: هو قول الإنسان لولده وماله إذا غضب عليه: اللهم لا تبارك فيه والعنه. ﴿لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾ قال: لأهلك من دعا عليه ولأماته. [الدر المنثور (٢٤٦/٥)]. وأخرجه البخاري في كتاب التفسير (٦٥) - سورة يونس (١٠)

باب (١) الترجمة.

[٢١] وَإِذَا أَدَقْنَا النَّاسَ أَي: كفار مكة ﴿رَحْمَةً﴾ مطراً وخصباً ﴿مِنْ﴾ بَعْدَ صَرَخٍ ﴿بُؤْسٍ﴾ وجذب ﴿مَسْتَهْمٌ﴾ إِذَا لَهْمٌ مَكْرٌ فِي مَآبِئِنَا ﴿بِالاسْتِهْرَاءِ﴾ والتكذيب ﴿قَوْلٌ﴾ لهم: ﴿اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا﴾ مجازاة^(١) ﴿إِنْ رُسُلْنَا﴾ الحفظة ﴿يَكْتُوبُونَ مَا تَكْذُرُونَ﴾ بالناء والياء^(٢).

[٢٢] ﴿هُوَ الَّذِي يُسَبِّحُكَ﴾ وفي قراءة: ﴿يُنشِئُكُمْ﴾^(٣) ﴿فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ ﴿السَّفِينِ﴾ وَجَرَيْنَ بِهَا ﴿فِيهِ﴾ التفتات عن الخطاب ﴿بِرِيحٍ طَبَيبَةٍ﴾ لينة ﴿وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ شديدة الهبوب تكسر كل شيء ﴿وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ﴾ أَي: أهلكوا ﴿دَعَا اللَّهُ مُؤَلِّصِينَ لَهُ الَّذِينَ﴾ الدعاء ﴿لِيُنزِلَ﴾ لام قسم ﴿أَجْمَعِينَ﴾ مِنْ هَذِهِ. الأهل ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ الموحدين.

[٢٣] ﴿فَلَمَّا أَتَاهُمْ إِذَا هُمُ بِتَيْبُونٍ﴾ فِي الْأَرْضِ بَعِيرٌ الْعَقِيُّ ﴿بِالشَّرْكِ﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَعَيْتُمْكُمْ ﴿ظَلَمْتُمْ﴾ وَعَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ ﴿لأن إثمه عليها هو﴾ ﴿مَنْتَعٌ﴾^(٤) الْحَيَوةُ الدُّنْيَا ﴿تَمْتَعُونَ فِيهَا قَلِيلًا﴾ ثُمَّ إِنَّمَا سَرَّحْتُمْ ﴿بعد الموت﴾ فَنَنْتَعِمُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَمْتَلُونَ ﴿فنجازيكم عليه، وفي قراءة بنصب﴾ ﴿مَنْتَعٌ﴾^(٥)؛ أَي: تمتعون.

[٢٤] ﴿إِنَّمَا مِثْلُ﴾ صفة ﴿الْحَيَوةِ الدُّنْيَا كَمَا﴾ مطر ﴿أَنْزَلْنَاهُ مِنْ السَّمَاءِ فَاتَّخِذْ بِهِ﴾ بسببه ﴿تِبْيَاتُ الْأَرْضِ﴾ واشتباك بعضه ببعض ﴿وَمَا يَأْكُلُ النَّاسُ مِنَ الْبُرِّ وَالشَّعِيرِ وَغَيْرِهِمَا﴾ وَالْأَفْعَرُ ﴿من الكَلْبِ﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَمَدَّتِ الْأَرْضُ رُجُومَهَا ﴿بهجتها من النبات﴾ وَأَزْيَنْتِ ﴿بالزهر، وأصله: تزيتت أبديت التاء زائاً وأدغست في الزاي﴾ وَظَلَمْنَا أَهْلَهَا أَنَّهُمْ قَدِرُونَ ﴿عَلَيْهَا﴾ متمكون من تحصيل ثمارها ﴿أَتَيْنَاهَا أَمْزَانًا﴾ قضاؤاً أو عذاباً ﴿لِيَلَا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا﴾ أَي: زرعها ﴿حَصِيدًا﴾ كالخضود بالمنجل ﴿كَانَ﴾ مخففة؛ أَي: كأنها ﴿لَمْ تَنْ﴾ تكن ﴿بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نَفْصِلُ﴾ نُبَيِّنُ ﴿الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾.

[٢٥] ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ﴾؛ أَي: السلامة وهي الجنة بالدعاء إلى الإيمان ﴿وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ هدايته ﴿إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٦) دين الإسلام.

وَإِذَا أَدَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ صَرَخَاءِ مَسْتَهْمٍ إِذَا لَهْمٌ مَكْرٌ فِي مَآبِئِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُوبُونَ مَا تَكْذُرُونَ هُوَ الَّذِي يُسَبِّحُكَ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَبِيبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَا اللَّهُ مُؤَلِّصِينَ لَهُ الَّذِينَ لِيُنزِلَ لِيَنْجِيئَنَا مِنْ هَذِهِ لَتَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ فَلَمَّا أَتَاهُمْ إِذَا هُمُ بِتَيْبُونٍ فِي الْأَرْضِ بَعِيرٌ الْعَقِيُّ الْحَقُّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَعَيْتُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِنَّمَا سَرَّحْتُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَمْتَلُونَ إِنَّمَا مِثْلُ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاتَّخِذْ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ وَمَا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَفْعَرُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ رُجُومَهَا وَأَزْيَنْتِ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُونَ عَلَيْهَا أَنهَامُ أَمْزَانًا لِيَلَا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَانَتْ تَرْضَعْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ

(٥) فائدة: أخرج الترمذي عن النواس بن سمعان الكلبي قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ ضَرَبَ مَثَلًا صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا، عَلَى كَفْيٍ - أَي جَانِبِي - الصِّرَاطِ زُورَان - أَي: جِدَارَان - لِهَمَا أَبْوَابٌ مُفْتَحَةٌ عَلَى الْأَبْوَابِ شُورٌ وَدَاعٌ يَدْعُو عَلَى رَأْسِ الصِّرَاطِ، وَدَاعٌ يَدْعُو فَوْقَهُ» وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ. والأبواب التي على كفْيِ الصِّرَاطِ حُدُودُ اللَّهِ، فَلَا يَفُوعُ أَحَدٌ فِي حُدُودِ اللَّهِ حَتَّى يَكْشِفَ السُّتْرَ، وَالَّذِي يَدْعُو مِنْ فَوْقِهِ وَاعْظُرْ رُكْبَهُ. الترمذي - كتاب الأمثال (٤٥) باب (١) مَا جَاءَ فِي مِثْلِ اللَّهِ لِعِبَادِهِ، وَصَحَّحَهُ الْأَبْهَانِيُّ فِي صَحِيحِ سَنَنِ التَّرْمِذِيِّ (٢٢٩٥).

(١) وحقيقة المكر هو التدبير الحكيم في إزال العاقبة بالجرم من حيث لا يشعر، فهو أخص من مطلق المجازاة؛ فاللكر من الله سبحانه تدبير لرد كيد الكائد في نحره وإزالة العقوبة به من حيث لا يشعر، ومجازاته بنجس عمله وسعيه ونيتيه، وسبق بيان مذهب السلف في هذا النوع من الصفات، وأنها فيما سيقف له مدح وكمال، ونسبها لله ﷻ على ما يليق به - شيخانته - من غير تأويل ولا تعطيل ولا تمثيل ولا تكيف.

(٢) ظاهره أنها بالياء قراءة سبعة وليس كذلك، بل هي عشرية لروح.

(٣) لابن عامر.

(٤) قراءة الرفع للسبعة عدا حفص.

(٥) وهي قراءة حفص.

[٢٧] ﴿وَالَّذِينَ عَظِفَ عَلَىٰ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾؛ أي: وللذين كسبوا السيئات وعملوا الشرك جزاء سيئة بما عملوا وترهقهم ذلة ما لهم من الله من زائدة عاصم. مانع ﴿كأنما أغشيت﴾ البست ﴿وجوههم قطما﴾ بفتح الطاء جمع قطعة، وإسكانها أي: جزءاً (١) ﴿ومن آتينا مظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾.

[٢٨] ﴿وَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمٍ يَحْشُرُهُمْ﴾ أي: الخلق جميعاً ثم نقول للذين أشركوا مكانكم ﴿نصب به الزموا﴾ مقدراً ﴿أنتم﴾ تأكيد للضمير المستتر في الفعل المقدر؛ ليعطف عليه ﴿وشركاءؤركم﴾ أي: الأصنام ﴿وفرناتنا﴾ مفرقاً ﴿بينهم﴾ وبين المؤمنين كما في آية ﴿والمترزون يومئذ أهبأ النجرمون﴾ (٢) ﴿وقال لهم شركاءؤهم ما كنتم إيانا تعبدون﴾ (ما) نافية، وقدم المفعول، للفاصلة (٤).

[٢٩] ﴿فكفرت بالله شهيداً بيننا وبينكم إن﴾ مخففة؛ أي: إنا ﴿كنا عن عبادتكم لتغفيلت﴾.

[٣٠] ﴿مما لك﴾ أي: ذلك اليوم ﴿تتلوا﴾ من البلوى، وفي قراءة بتأين (٥) من التلاوة ﴿كل نفس ما أسلفت﴾ قدمت من العمل ﴿وردوا إلى الله مولئهم الحق وصل عنهم ما كانوا يفترون﴾ (٦) ﴿قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون﴾ (٧) ﴿فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى نصر قولك﴾ (٨) ﴿كذلك حقت كلمت ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون﴾ (٩)

[٣١] ﴿قل لهم﴾: ﴿من يرزقكم من السماء والمطر والأرض﴾ بالنبات ﴿أمن يملك السمع﴾ بمعنى الأسماع؛ أي: خلقها ﴿والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر﴾ بين الخلائق ﴿سيقولون﴾: هو ﴿الله فقل لهم﴾: ﴿أفلا تتقون﴾ فيؤمنون.

[٣٢] ﴿فذلكم﴾ الفاعل لهذه الأشياء ﴿الله ربكم الحق﴾ الثابت ﴿فماذا بعد الحق إلا الضلال﴾ استفهام تقرير؛ أي: ليس بعده غيره، فمن أخطأ الحق وهو عبادة الله وقع في الضلال ﴿فأنى﴾ كيف ﴿نصر قولك﴾ عن الإيمان مع قيام البرهان!؟

[٣٣] ﴿كذلك﴾ كما صرف هؤلاء عن الإيمان ﴿حقت كلمت ربك على الذين فسقوا﴾ كفروا، وهي ﴿لا تملأ جهنم﴾ الآية (١٠)، أو هي ﴿أنهم لا يؤمنون﴾.

﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحَسَنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (١١) ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرَهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِنَ آتِلٍ مُّظْلِمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (١٢) ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثَمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاءُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاءُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِنَّا نَاتَعْبُدُكُمْ﴾ (١٣) ﴿فكفى بالله شهيداً بيننا وبينكم إن كنا عن عبادتكم لغفيلين﴾ (١٤) ﴿هنا لك تتلوا كل نفس ما أسلفت ورددوا إلى الله مولئهم الحق وصل عنهم ما كانوا يفترون﴾ (١٥) ﴿قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون﴾ (١٦) ﴿فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى نصر قولك﴾ (١٧) ﴿كذلك حقت كلمت ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون﴾ (١٨)

[٢٦] ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ بالإيمان ﴿الحسنى﴾ الجنة ﴿وزيادة﴾ هي النظر إليه - تعالى - كما في حديث مسلم (١) ﴿ولا يرهق﴾ يغشى ﴿وجوههم قتر﴾ سواد ﴿ولا ذلة﴾ كآبة ﴿أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون﴾.

(١) مسلم (١٨١) عن صهيب بن سنان عن النبي ﷺ قال: إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال: يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم نبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم ﷻ ثم تلا هذه الآية: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحَسَنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾.

(٢) بالإسكان قراءة الكسائي وابن كثير.

(٣) يس: ٥٩.

(٤) أي لمرعاة رعوس الآيات.

(٥) لجمرة والكسائي.

(٦) السجدة: ١٣.

[٣٤] ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَدْعُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُمْ قُلِ اللَّهُ يَسْبُدُّ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُمْ فَأَنْتُمْ تُؤْفَكُونَ﴾ تصرفون عن عبادته مع قيام الدليل.

[٣٥] ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾ بنصب الحجج وخلق الاهتداء ﴿قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾ وهو الله ﴿أَحَقُّ أَنْ يُنْعَمَ أَمْ لَا يَهْدِي﴾ يهتدي ﴿إِلَّا أَنْ يَهْدِي﴾ أحق أن ينعم؟ استفهام تقرير وتوبيخ؛ أي: الأول أحق ﴿فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ هذا الحكم الفاسد من اتباع ما لا يحق اتباعه؟

[٣٦] ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ﴾ في عبادة الأصنام ﴿إِلَّا ظَنًّا﴾ حيث قلدوا فيه آباءهم ﴿وَإِنْ الظَّنُّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ فيما المطلوب منه العلم ﴿وَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ فيجازيهم عليه.

[٣٧] ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى﴾ أي: افتراء ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿وَلَكِنْ﴾ أنزل ﴿تَصْدِيقٌ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من الكتب ﴿وَتَفْصِيلٌ﴾ التفصيل ﴿تَبَيَّنَ مَا كَتَبَ اللَّهُ مِنَ الْأَحْكَامِ وَغَيْرِهَا﴾ لا ريب ﴿شك﴾ فيه من رِبِّ الْعَالَمِينَ ﴿متعلق بـ تَصْدِيقٍ﴾ أو «بأنزل» المحذوف، وقرئ^(١) برفع ﴿تَصْدِيقٍ﴾ و«تفصيل» بتقدير هو.

[٣٨] ﴿أَمْ﴾ بل أم يقولون أفتربه؟ اختلافه محمد ﴿قُلْ فَأَنزِلُوا سُورَةَ يُنَالِ﴾ في الفصاحة والبلاغة على وجه الافتراء؛ فإنكم عربيون فصحاء مثلي ﴿وَأَدْعُوا﴾ للإعانة عليه ﴿مَنْ اسْتَظَمَّهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾؛ أي: غيره ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في أنه افتراء فلم يقدروا^(٢) على ذلك.

[٣٩] قال - تعالى -: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِطُوا بِعِلْمِهِ﴾ أي: القرآن ولم يتدبروه ﴿وَلَمَّا﴾ لم ﴿بِأَيِّهِمْ تَأْوِيلُهُمْ﴾ عاقبة ما فيه من الوعيد ﴿كَذَلِكَ﴾ التكذيب ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ رسلهم ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ بتكذيب الرسل أي آخر أمرهم من الهلاك فكذلك نهلك هؤلاء.

[٤٠] ﴿وَيَوْمَ﴾ أي: أهل مكة ﴿مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ﴾ لعلم الله ذلك منهم ﴿وَيَوْمَ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ﴾ أبدا ﴿وَرَبِّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ تهديد لهم.

[٤١] ﴿وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ﴾ لهم: ﴿لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلِكُمْ﴾ أي: لكل جزء عمله ﴿أَنْتُمْ تَرَبِّتُونَ وَمَا عَمَلُ وَاأَنْتُمْ تَرَبِّتُونَ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ وهذا منسوخ بآية السيف.

قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَدْعُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُمْ قُلِ اللَّهُ يَسْبُدُّ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُمْ وَأَنْتُمْ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُنْعَمَ أَمْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِي فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقٌ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلٌ الْكِتَابِ لَأَرْبَابٍ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ افتربه قُلْ فَأَنزِلُوا سُورَةَ يُنَالِ وَمَا كَتَبَ اللَّهُ مِنَ الْأَحْكَامِ وَغَيْرِهَا وَلَا رِبَّ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٨﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَا نَهْتُمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٣٩﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾ وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلِكُمْ أَنْتُمْ تَرَبِّتُونَ وَمَا عَمَلُ وَاأَنْتُمْ تَرَبِّتُونَ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْمَعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَسْمَعُ الصَّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾

[٤٢] ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْمَعُونَ إِلَيْكَ﴾ إذا قرأت القرآن ﴿أَفَأَنْتَ تَسْمَعُ الصَّمَّ﴾ شبههم بهم في عدم الانتفاع بما يتلى عليهم ﴿وَلَوْ كَانُوا﴾ مع الصمم ﴿لَا يَعْقِلُونَ﴾ يتدبرون.

(١) أي: شذوذًا.

(٢) وفي نسخة: «تقدروا» بالباء، والمثبت أظهر.

القبور ﴿إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ﴾ لهول ما رأوا، وجملة التشبيه حال من الضمير ﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ يعرف بعضهم بعضاً إذا بعثوا، ثم ينقطع التعارف؛ لشدة الأحوال، والجملة حال مقدره^(١)، أو متعلق الظرف^(٢) ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ﴾ بالبعث ﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾.

[٤٦] ﴿وَمَا﴾ فيه إدغام نون ﴿إِن﴾ الشرطية في ﴿مَا﴾ المزيدة ﴿وَرَبِّكَ بَعَضَ الَّذِي تَعْلَمُ﴾ به من العذاب في حياتك، وجواب الشرط محذوف؛ أي: فذاك ﴿أَوْ تَرْفَعُكَ﴾ قبل تعذيبهم ﴿فَإِنَّا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ﴾ مُطَّلِعٌ ﴿عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾ من تكذيبهم وكفرهم فيعذبهم أشد العذاب.

[٤٧] ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ من الأمم ﴿رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ﴾ إليهم فكذبوه ﴿فَضَىٰ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل، فيعذبون وينجي الرسول ومن صدقه ﴿وَهُمْ لَا يَظُنُّونَ﴾ بتعذيبهم بغير جرم فكذلك تفعل بهؤلاء.

[٤٨] ﴿وَيَقُولُونَ مَن هَذَا الوَعْدُ﴾ بالعذاب ﴿إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فيه.

[٤٩] ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي مَرًا﴾ أذفعه ﴿وَلَا نَفْعًا﴾ أجله ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ أن يقدرني عليه، فكيف أملك لكم حلول العذاب ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ مدة معلومة لهلاكهم ﴿إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَجِرُّونَ﴾ يتأخرون عنه ﴿سَاعَةً وَلَا يَسْتُنْفِثُونَ﴾ يتقدمون عليه.

[٥٠] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ أخبروني ﴿إِن أَنزَلْنَا عَذَابًا﴾؛ أي: الله ﴿بَيْنَنَا﴾ ليلاً ﴿أَوْ نَهَارًا مَّاذَا﴾ أي شيء ﴿يَسْتَعْجِلُ بِنَدَائِهِ﴾ أي: العذاب ﴿الْمُتَجَرِّمُونَ﴾ المشركون، فيه وضع الظاهر موضع المضمرة، وجملة الاستفهام جواب الشرط؛ كقولك: إذا أتيتك ماذا تعطيني؟ المراد به التهويل؛ أي: ما أعظم ما استعجلوه.

[٥١] ﴿أَنزَلْنَا إِذَا مَا وَقَعَ﴾ حلَّ بكم ﴿ءَامَنْتُمْ بِهِ﴾؛ أي: الله، أو العذاب عند نزوله، والهزمة لإنكار التأخير، فلا يقبل منكم، ويقال لكم: ﴿ءَالْتَنَ تَوْمَنُونَ﴾ وقد كنتم به ﴿تَسْتَعْجِلُونَ﴾ استهزاء.

[٥٢] ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ﴾ أي: الذي تخلدوا فيه ﴿هَلْ﴾ ما ﴿تَجْرُونَ إِلَّا﴾ جزاء ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾.

[٥٣] ﴿وَسَيُنزَّلُ عَلَيْكَ﴾ يستخبرونك ﴿أَحْسَنُ هُرًى﴾؛ أي: ما وعدتنا به من العذاب والبعث ﴿قُلْ إِيَّايَ﴾ نعم ﴿وَرَبِّيَ إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنشد بِمُعْجِزِينَ﴾ بفتاين العذاب.

وَمِنْهُمْ مَن يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعَمَىٰ وَلَوْ كَانُوا لَا يَبْصُرُونَ ﴿٤٦﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ الْنَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَيَوْمَ نَخْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْسُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا نَرِيكَ بَعَضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ تَتَوَقَّاتِكَ فَإِنَّا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٩﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قَضَىٰ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يَظْلِمُونَ ﴿٥٠﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدِ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٥١﴾ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَجِرُّونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٥٢﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن أَنزَلْنَا عَذَابًا لَّيْلَةً أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٣﴾ أَنزَلْنَا إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنْتُمْ بِهِ ءَالْتَنَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥٤﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْرُونَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَسْتَعِجِلُونَكَ أَحْسَنُ هُرًى قُلْ إِيَّايَ وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنشد بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٦﴾

[٤٣] ﴿وَمِنْهُمْ مَن يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعَمَىٰ وَلَوْ كَانُوا لَا يَبْصُرُونَ﴾ شبههم بهم في عدم الاهتداء، بل أعظم ﴿فَهَاتَا لَا تَعْمَىٰ الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾^(١).

[٤٤] ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ الْنَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

[٤٥] ﴿وَيَوْمَ نَخْشُرُهُمْ﴾^(٢) كان؛ أي: كأنهم ﴿أَلَمْ يَلْسُوا﴾ في الدنيا أو

(١) الحج: ٤٦.

(٢) هي قراءة السبعة ما عدا حفص، وقرأ حفص بالياء: ﴿يخشروهم﴾.

(٣) أي: يوم نخشروهم متعارفين بينهم.

(٤) أي: (يوم)، وتقدير الكلام: يتعارفون بينهم يوم نخشروهم.

[٥٤] ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ ﴿﴾ كَفرت ﴿مَا فِي الْأَرْضِ ﴿﴾ جميعاً من الأموال ﴿لَا فَتَدَّتْ يَدَهُ﴾ من العذاب يوم القيامة ﴿وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ﴾ على ترك الإيمان ﴿لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ﴾ أخفاها رؤساؤهم عن الضعفاء الذين أضلّوهم مخالفة التعبير ﴿وَقُصِيَ بَيْنَهُمْ﴾ بين الخلاق ﴿بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿وَهُمْ لَا يظلمُونَ﴾ شيئاً.

[٥٥] ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ ﴿﴾ بالعت والجزاء ﴿حَقٌّ ﴿﴾ ثابت ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ ﴿﴾ أي: الناس ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك.

[٥٦] ﴿هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرجعون﴾ في الآخرة فيجازيكم بأعمالكم.

[٥٧] ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ أي: أهل مكة ﴿فَدَجَّتْكُمْ مَرِغَةً تَبَرَّيْتُمْ﴾ كتاب فيه ما لكم وما عليكم وهو القرآن ﴿وَشِفَاءً﴾ دواء ﴿لِمَا فِي الصُّدُورِ﴾ من العقائد الفاسدة والشكوك ﴿وَهُدًى﴾ من الضلال ﴿وَرَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ به.

[٥٨] ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ ﴿﴾ الإسلام ﴿وَبِرَحْمَتِهِ ﴿﴾ القرآن ﴿فِي ذَلِكَ﴾ الفضل والرحمة ﴿فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يجمعُونَ﴾ من الدنيا بالياء والباء^(١).

[٥٩] ﴿قُلْ أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿﴾ ما أنزل الله ﴿خلق﴾ ﴿لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْنَاهُ نَبْءَ حَرَامًا وَحَلَلًا﴾ كالبحيرة والسائبة^(٢) والمبتة ﴿قُلْ اللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾ في ذلك بالتحليل والتحرير ﴿أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتُونَ﴾ تكذبون بنسبة ذلك إليه.

[٦٠] ﴿وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَيْدَ ﴿﴾ أي: أي شيء ظنهم به ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أبحسون أنه لا يعاقبهم؟! لا ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ بإمهالهم والإنعام عليهم ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾.

[٦١] ﴿وَمَا تَكُونُ﴾ يا محمد ﴿فِي سَأْنٍ﴾ أمر ﴿وَمَا نُنزلُ مِنْهُ﴾ أي: من الشأن أو الله ﴿مِنْ قُرْآنٍ﴾ أنزله عليك ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ﴾ خاطبه وأمته ﴿مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾ رقباء ﴿إِذْ تُفِيضُونَ﴾ تأخذون ﴿فِيهِ﴾ أي: العمل ﴿وَمَا يَعْزُبُ﴾ يغيب ﴿عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾ وزن ﴿ذَرَّةٌ﴾ أصغر نملة

﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَا فَتَدَّتْ بِهِ وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ وَفُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرجعون﴾ ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ فَدَجَّتْكُمْ مَرِغَةً تَبَرَّيْتُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَشَفَاءً لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهَدًى وَرَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يجمعُونَ﴾ ﴿قُلْ أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْنَاهُ حَرَامًا وَحَلَلًا قُلْ اللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتُونَ﴾ ﴿وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَيْدَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ ﴿وَمَا تَكُونُ فِي سَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾

﴿فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ بَيِّن هو اللوح المحفوظ.

(١) بالباء لابن عامر.

(٢) الأقرب - كما سبق ذكره - أن يحمل الإنزال على معناه الظاهر، ويكون في الآية إثبات علوه - تعالى - بذاته فوق خلقه، كما هو مذهب السلف قاطبة، وهو ما يتحاشى المفسر ذكره موافقة المذهب الأشاعرة.

(٣) سبق بيان معنى البحيرة والسائبة عند تفسير الآية (١٠٣) من سورة المائدة.

[٦٤] ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ فُشِّرَتْ فِي حَدِيثٍ صَحِيحِهِ الْحَاكِمُ بِالرُّؤْيَا الصَّالِحَةِ بِرَاهَا الرَّجُلُ أَوْ تُرَى لَهُ (١) ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾ الْجَنَّةُ وَالنَّوَابِ ﴿لَا يَبْدِيلُ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ لَا تُحْلَفُ لِمَوَاعِيدِهِ ﴿ذَلِكَ﴾ الْمَذْكُورُ ﴿هُوَ النَّوْرُ الْعَظِيمُ﴾.

[٦٥] ﴿وَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ﴾ لَكَ: لَسْتَ مَرْسَلًا وَغَيْرِهِ ﴿إِنَّ﴾ اسْتِنَافَ ﴿الْعِزَّةَ﴾ الْقُوَّةَ ﴿بِاللَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ﴾ لِلْقَوْلِ ﴿الْعَلِيمُ﴾ بِالْفِعْلِ فَيَجَازِيهِمْ وَيَنْصُرُكَ.

[٦٦] ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ عِبِيدًا وَمَلَكًَا وَخَلْقًا﴾ ﴿وَمَا يَسْجُدُ لِلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ يَعْبُدُونَ ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أَي: غَيْرِهِ أَصْنَافًا ﴿شُرَكَاءَ﴾ لَهُ عَلَى الْحَقِيقَةِ، تَعَالَى عَنِ ذَلِكَ ﴿إِنَّ﴾ مَا يَدْعُونَ ﴿فِي ذَلِكَ﴾ ﴿إِلَّا الظَّنُّ﴾ أَي: ظَنُّهُمْ أَنَّهَا آلِهَةٌ تَشْفَعُ لَهُمْ ﴿وَإِنَّ﴾ مَا هُمْ ﴿إِلَّا يَحْضُونَ﴾ يَكْذِبُونَ فِي ذَلِكَ.

[٦٧] ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ آيَاتٍ لَتَسْكُنُوا فِيهَا وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ إِنْ سَادَ الْإِبْصَارُ إِلَيْهِ مَجَازًا؛ لِأَنَّهُ يُبْصِرُ فِيهِ ﴿إِنَّ﴾ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ دَلَالَاتٍ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ تَعَالَى ﴿لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ سَمَاعَ تَدْبِيرٍ وَاتِعَاضٍ.

[٦٨] ﴿قَالُوا﴾ أَي: الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ بَنَاتُ اللَّهِ: ﴿أَتَعْبُدُ اللَّهَ وَلَدًا﴾ قَالَ تَعَالَى لَهُمْ: ﴿سُبْحَانَكَ﴾ تَنْزِيهَا لَهُ عَنِ الْوَلَدِ ﴿هُوَ الْعَلِيُّ﴾ عَنِ كُلِّ أَحَدٍ، وَإِنَّمَا يُطَلَّبُ الْوَلَدُ مَنْ يَحْتَاجُ إِلَيْهِ ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ مَلَكًَا وَخَلْقًا وَعِبِيدًا ﴿إِنَّ﴾ مَا عِنْدَكُمْ مِنْ شَاطِنٍ ﴿حِجَّةٌ﴾ بِهَذَا الَّذِي يَقُولُونَهُ ﴿أَنْتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ اسْتِفْهَامَ تَوْبِيخٍ.

[٦٩] ﴿قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ بِنِسْبَةِ الْوَلَدِ إِلَيْهِ ﴿لَا يُفْلِحُونَ﴾ لَا يَسْعُدُونَ.

[٧٠] لَهُمْ ﴿مَنْعٌ﴾ قَلِيلٌ ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ يَتَمَتَّعُونَ بِهِ مَدَّةَ حَيَاتِهِمْ ﴿ثُمَّ﴾ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ﴿بِالْمَوْتِ﴾ ثُمَّ نَذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ ﴿بَعْدَ الْمَوْتِ﴾ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ.

أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٤﴾
الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ لَهُمُ الْبُشْرَى
فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا يَبْدِيلُ لِكَلِمَاتِ
اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْقَوْلُ الْعَظِيمُ ﴿٦٦﴾ وَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ أَنَّ
الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٧﴾ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ
مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ
يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ
وَإِنَّ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٨﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ
آيَاتٍ لَتَسْكُنُوا فِيهَا وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنْ فِي ذَلِكَ
لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَتَعْجَبُونَ
سُبْحَانَ اللَّهِ وَهُوَ الْعَلِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ
مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ قُلْ إِنْ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ
لَا يُفْلِحُونَ ﴿٧١﴾ مَنْعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ
ثُمَّ نَذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾

[٦٢] ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ فِي الْآخِرَةِ.

[٦٣] هُمْ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ اللَّهُ بِامْتِنَالِ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ.

(١) المشترك (٣٤٠/٢)، ورواه الترمذي (٢١٩٩) وأحمد (٢٦٢٥٠) عن أبي الدرداء مرفوعًا، ورواه الترمذي (٢٢٠١) وابن ماجه (٢٨٨٨) وأحمد (٢١٦٣٠) عن عبادة بن الصامت مرفوعًا، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (١٨٥٤).

﴿وَأَنذِرْ عَلَيْهِمْ رَبَّنَا نُوحَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذِكْرِي بَيَّاتٍ اللَّهُ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرِكُمْ عَلَيْهِ كَمَنْ عُمَّهُ ثَرْفُ أَقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِن أَجْرِي إِلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَن أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَجَبْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ السَّفِينَةِ ﴿٧٣﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ مِنْ مَعَهُ ﴿٧٤﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَفًا وَاعْرِفْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَنْظِرْ كَيْفَ كَانَ عَقِبَةُ الْمُذْرِبِينَ ﴿٧٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ وَهُمْ بِالْبَيْتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ ﴿٧٦﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَائِكِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَيْسَ سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٨﴾ قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ إِنَّهُ لَسِحْرٌ هَذَا وَقَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَى بِهِ وَأَبْطَلَ سِحْرَ السَّحَرَةِ؟ ﴿٧٩﴾ وَلَا يُلْقِحُ السَّحَرُونَ ﴿٨٠﴾ وَالْأَسْتَفْهَامُ فِي الْمَوْضِعِ لِلْإِنْكَارِ. ﴿٨١﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفَنَّاكَ لِنُرْدَنَّا عَنْ مَجْدِنَا عَلَيْهِ مَا بَدَأْنَا وَكَانُوا لَكُمْ

الْكِبْرِيَاءِ ﴿٨٢﴾ الْمَلِكُ ﴿٨٣﴾ فِي الْأَرْضِ ﴿٨٤﴾ وَأَمْ نَحْنُ لَكُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ مَصْدُقِينَ.

[٧١] ﴿وَأَنذِرْ﴾ يا محمد ﴿عَلَيْهِمْ﴾ أي: كفار مكة ﴿تَبَّأ﴾ خبر ﴿نُوح﴾ ويبدل منه ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَقُولُونَ إِن كَانَ كَبُرَ﴾ شق ﴿عَلَيْكَ مَقَامِي﴾ لبي فيكم ﴿وَتَذِكْرِي﴾ وعظي إياكم ﴿بَيَّاتٍ﴾ فعل الله ﴿تَوَكَّلْتُ﴾ فأجمعوا أمركم ﴿عزموا على أمر تفعلونه بي﴾ ﴿وَشُرَكَاءَكُمْ﴾ الواو بمعنى مع ﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرِكُمْ عَلَيْهِ كَمَنْ عُمَّهُ﴾ مستورا بل أظهره وجاهروني به ﴿ثُمَّ أَقْضُوا إِلَيَّ﴾ امضوا فيما أردتموه ﴿وَلَا تُنظِرُونِ﴾ تمهلون، فإني لست مباليا بكم.

[٧٢] ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ عن تذكيري ﴿فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ﴾ ثواب عليه ففعلوا ﴿إِن﴾ ما ﴿أَجْرِي﴾ ثوابي ﴿إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَن أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾.

[٧٣] ﴿فَكَذَّبُوهُ فَجَبْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ السَّفِينَةِ﴾ وجعلناه من معه ﴿عَلَيْهِمْ﴾ في الأرض ﴿وَاعْرِفْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ بالطوفان ﴿فَأَنْظِرْ كَيْفَ كَانَ عَقِبَةُ الْمُذْرِبِينَ﴾ من إهلاكهم فكذلك نفعل بمن كذب.

[٧٤] ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي: نوح ﴿رَسُولًا إِلَى قَوْمِهِمْ﴾ كإبراهيم وهود وصالح ﴿فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ المعجزات ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: قبل بعث الرسل إليهم ﴿كَذَلِكَ نَطْعُ﴾ نختم ﴿عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾ فلا تقبل الإيمان كما طبعنا على قلوب أولئك.

[٧٥] ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ قَوْمَهُ﴾ ﴿بَيَّاتٍ﴾ التسع (١) ﴿فَاسْتَكْبَرُوا﴾ عن الإيمان بها ﴿وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾.

[٧٦] ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَيْسَ سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ بين ظاهر.

[٧٧] ﴿قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ﴾ إنه لسحر ﴿أَيْسِحْرٌ هَذَا﴾ وقد أفلح من أَى به وأبطل سحر السحرة؟ ﴿وَلَا يُلْقِحُ السَّحَرُونَ﴾ والاستفهام في الموضعين للإِنْكَارِ.

[٧٨] ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفَنَّاكَ لِنُرْدَنَّا عَنْ مَجْدِنَا عَلَيْهِ مَا بَدَأْنَا وَكَانُوا لَكُمْ

(١) وهي: العصا، واليد، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والشونق، ونقص الثمرات. وهذه الآيات كانت لفرعون وقومه ليؤمنوا، وهي بخلاف الآيات التي أوتيتها موسى ﷺ لبي إسرائيل ليؤمنوا، وهي: فلق البحر، وإزلال الماء والسم، وتقليل الغمام، وتفسير الماء من الحجر، وفتح الجبل، أي رفعه فوق رؤسهم، ومسح الذين عتوا منهم، وأتيان الختان يوم سبتهم، والرجفة، والصاعقة، وإحياء الميت القليل بضربه ببعض البقرة التي أمروا بذبحها.

وَلَيْمَّا أَنْ تَكُونَ تَحْتَ الْمَلَكَيْنِ ﴿٨١﴾: ﴿الْقَوْمَا مَا أَشْرَ مُنْقَرَاتٌ﴾.

[٨١] ﴿فَلَمَّا أَتَوْا جِبَالَهُمْ وَعُصْبَهُمْ﴾: قَالَ مُوسَى مَا ﴿استفهامية مبتدأ خبره﴾ جَشَشُوا بِرُءُوسِهِمْ ﴿٨٢﴾، وفي قراءة بهمزة واحدة ﴿٨٣﴾ إخبار ﴿٨٤﴾، فإمّا ﴿٨٥﴾ اسم موصول مبتدأ ﴿٨٦﴾: إِنَّ اللَّهَ سَبِيطٌ ﴿٨٧﴾: أي: سيمحقه ﴿٨٨﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨٩﴾.

[٨٢] ﴿وَيُخَيِّبُ﴾: يثبت ويظهر ﴿اللَّهُ الْحَقُّ يَكْمُلُ كَيْدَهُ﴾: بمواعيده ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾.

[٨٣] ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ﴾: طائفة ﴿مِنْ﴾ أولاد ﴿قَوْمِهِ﴾: أي: فرعون ﴿عَلَى خَوْفٍ مِّنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ﴾: بصرفهم عن دينه بتعذيبه ﴿وَلَمَّا فِرْعَوْنُ لَمَّالٌ﴾: متكبر ﴿فِي الْأَرْضِ﴾: أرض مصر ﴿وَلَمَّا كَانَتْ الْأُمْمُورُ﴾: المتجاوزين الحد بادعاء الربوبية.

[٨٤] ﴿وَقَالَ مُوسَى يَقَوْمِ إِن كُنتُمْ مَأْمُونُونَ بِاللَّهِ فَكَلِمَةَ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ تُسْلِمُونَ﴾.

[٨٥] ﴿فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾: أي: لا تظهرهم علينا فيظنوا أنهم على الحق فيفتنوا بنا.

[٨٦] ﴿وَجَعَلْنَا بَرِحْمِيكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.

[٨٧] ﴿وَأَرْسَلْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِثْرًا يُمِيقَا﴾: اتخذنا ﴿لِقَوْمِكُمَا بِمِثْرًا﴾: وكان فرعون منعهم من الصلاة ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾: أمروها ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾: بالنصر والجنة.

[٨٨] ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ مَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأْتَ زِينَةَ وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا﴾: أنتهم ذلك ﴿لِيُحْسِلُوا﴾: في عاقبته ﴿عَنْ سَبِيلِكَ﴾: دينك ﴿رَبَّنَا أَطْمِئِنَّ قُلُوبُنَا عَلَى أَمْوَالِهِمْ﴾: امسحها ﴿وَأَشَدُّ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾: اطبع عليها واستوثق ﴿فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾: المؤلم، دعا عليه وأمرن هارون على دعائه.

وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتُونِي بِكُلِّ سِحْرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَى الْقَوْمَا أَنتُمْ مُنْقَرَاتٌ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّا أَتَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرَانِ اللَّهُ سَبِيطٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يَصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُخَيِّبُ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾ فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَى يَلْقَوْمِ إِن كُنتُمْ تَأْمِنُونَ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا وَإِن كُنتُمْ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَجَعَلْنَا بَرِحْمِيكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا الْقَوْمَ كَمَا بِمِصْرَ بِيُوتًا وَأَجْعَلُوا بِيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَئَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَأَشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾

[٧٩] ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتُونِي بِكُلِّ سِحْرٍ عَلِيمٍ﴾: فائق في علم السحر.

[٨٠] ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَى﴾: بعد ما قالوا له: ﴿إِنَّمَا أَن تُلْفِي﴾

(١) الأعراف: ١١٥.

(٢) قرأ أبو عمرو بالمد والهمز، وقوله: خبره؛ أي: ﴿جَشَشُوا بِهِ﴾، وبدل؛ أي: ﴿السَّحَرَةُ﴾.

(٣) أي همزة الوصل في «السحر».

(٤) أي فهو إخبار.

(٥) على هذه القراءة.

(٦) وخبره: جملة: «إِنَّ اللَّهَ سَبِيطٌ».

قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمْ مَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَان سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ * وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَيْنَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ وَغِيًّا وَعَدَّوْا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرْقُ قَالَ ءَأَمِنْتُ أَنَّهُ ءَأَمِنْتُ أَنَّهُ أَي: بَأَنَّهُ، وَفِي قِرَاءَةِ الْكَسْرِ (٩٠) اسْتِنَافًا ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَأَمِنْتُ بِهِ. بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ كَرَّرَهُ لِيُقْبَلَ مِنْهُ فَلَمْ يَقْبَلْ، وَدَسَّ جَبْرِيْلُ فِيهِ مِنْ حِمَاةِ (٩١) الْبَحْرِ مَخَافَةَ أَنْ تَنَالَهُ الرَّحْمَةُ (٩٢).
 [٩١] وَقَالَ لَهُ: ﴿ءَأَلْتَنَ﴾ تَوْمَنُ ﴿وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلَ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ بِضَالِكَ وَإِضْلَالِكَ عَنِ الْإِيمَانِ.
 [٩٢] ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ﴾ نَخْرُجُكَ مِنَ الْبَحْرِ ﴿بِيَدِنَا﴾ جَسَدِكَ الَّذِي لَا رُوحَ فِيهِ ﴿لِنَكُونَنَّ لِمَنْ خَلَقْنَاكَ﴾ بِعَدِكَ ﴿ءَأَيَّةٌ﴾ عِبْرَةٌ فَيَعْرِفُوا عِبُودِيَّتَكَ وَلَا يَقْدَمُوا عَلَى مِثْلِ فِعْلِكَ، وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ بَعْضَ بَنِي إِسْرَائِيلَ شَكُّوا فِي مَوْتِهِ فَأَخْرَجَ لَهُمْ لِيُرَوْهُ (٩٣) ﴿وَإِنَّ كِبْرًا مِنَ النَّاسِ﴾ أَي: أَهْلَ مَكَّةَ ﴿عَنْ ءَأَيْنِنَا لَنَعْرِفُوهُ﴾ لَا يَعْتَبِرُونَ بِهَا.
 [٩٣] ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا﴾ أَنْزَلْنَا ﴿بَنِي إِسْرَائِيلَ مَبُورًا صِدْقًا﴾ مَنزَلَ كِرَامَةٍ، وَهُوَ الشَّمَامُ وَمَصْرٌ ﴿وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ مَا اخْتَلَفُوا﴾ بِأَنَّ أَمْرًا بَعْضٌ وَكَفَرَ بَعْضٌ ﴿حَتَّى جَاءَهُمُ الْيَأْسُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ مِنْ أَمْرِ الدِّينِ لِإِنجَاءِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَعْدِيبِ الْكَافِرِينَ.
 [٩٤] ﴿فَإِنَّ كُنْتَ﴾ يَا مُحَمَّدُ ﴿فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ مِنَ الْقَصَصِ فَرْضًا (٩٥) ﴿فَسْئَلِ الَّذِينَ يَفْرَهُونَ الْكِتَابَ﴾ التَّوْرَةَ ﴿مِنْ قَبْلِكَ﴾ فَإِنَّهُ ثَابِتٌ عِنْدَهُمْ يَخْبِرُونَكَ بِصِدْقِهِ، قَالَ ﷺ: «لَا أَشْكُ وَلَا أَسْأَلُ» (٩٦) ﴿لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ الشَّاكِّينَ فِيهِ.
 [٩٥] ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونُوا مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.
 [٩٦] ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَاتُ رَبِّكَ﴾ بِالْعَذَابِ

﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

[٩٧] ﴿وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ فَلَا يَنْفَعُهُمْ حَيْثُ.

(٥) مَا جَاءَ فِي نَزْلِ آيَةِ (٩٤): أَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ عَنْ أَبِي زَيْدٍ قَالَ: سَأَلْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ فَقُلْتُ: مَا شَيْءٌ أَجِدُهُ فِي صَدْرِي؟ قَالَ: مَا هُوَ؟ قُلْتُ: وَاللَّهِ مَا أَتَكَلَّمُ بِهِ. قَالَ: فَقَالَ لِي: أَشْيَاءٌ مِنْ شَكِّ؟ قَالَ: وَضَحِكُ، قَالَ: مَا بِنَجْمٍ مِنْ ذَلِكَ أَحَدٌ، قَالَ: حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿فَإِنَّ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ يَفْرَهُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ قَالَ: فَقَالَ لِي: إِذَا وَجَدْتَ فِي نَفْسِكَ شَيْئًا فَقُلْ: «هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ يَكْفِي عَنْهُ عِلْمِي» أَبُو دَاوُدَ - كِتَابُ الْأَدَبِ (٣٥) بَابُ (١١٨) فِي رَدِّ الْوَسْوَسَةِ. (حَسَنُ الْإِسْنَادِ) صَحِيحُ سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ (٤٢٦٢).

(١) أَخْرَجَهُ الْحَكِيمُ التِّرْمِذِيُّ عَنْ مُجَاهِدٍ وَهُوَ قَوْلٌ ضَعِيفٌ، كَمَا ذَكَرَ الْقَاضِي كَعْنَانُ فِي قِرَةِ الْعَيْنِ.

(٢) لِحْمَزَةِ وَالْكَسَائِيِّ.

(٣) أَي طِينِهِ.

(٤) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (٣٠٣٢) وَأَحْمَدُ (٢٦٨١) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ مَرْفُوعًا، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ الْجَامِعِ (٥٢٠٦).

(٥) ذَكَرَ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ نَحْوَهُ وَكَذَلِكَ فِي الْبَدَايَةِ وَالنَّهَائِيَةِ، وَأَخْرَجَ نَحْوَهُ الطَّبْرِيُّ (١٧٨٧٤).

(٦) أَخْرَجَهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ وَابْنُ جُرَيْرٍ عَنْ قَتَادَةَ [الدَّر المنثور (٥٧١/٣)] وَهُوَ ضَعِيفٌ لِإِسْرَائِيلَ.

فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةً ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمٌ يُونُسَ
لَمَاءَ أَمْنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٠٠﴾ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ
كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ
﴿١٠١﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُوْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرَّحْمَنُ
عَلَىٰ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٢﴾ قُلْ أَنْظِرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْنِي الْأَيْكُتُ وَاللُّدُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ
﴿١٠٣﴾ فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ آيَاتِ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِهِمْ
قُلْ فَانظُرُوا إِلَىٰ مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿١٠٤﴾ ثُمَّ نُنَجِّي
رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نَسِجَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٥﴾
قُلْ يٰٓأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ
تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي تَتَوَفَّكُمُ وَأُمِرْتُ
أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٦﴾ وَأَنْ أَقْرُبَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا
وَلَا تَكُونَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٧﴾ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا
يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٨﴾

[٩٨] ﴿فَلَوْلَا﴾ فهلاً ﴿كَانَتْ قَرْيَةً﴾ أريد أهلها ﴿ءَامَنَتْ﴾ قبل نزول

العذاب بها ﴿فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا﴾ لكن ﴿قَوْمٌ يُونُسَ لَمَاءَ أَمْنُوا﴾ عند رؤية
أمارة العذاب ولم يؤخروا إلى حلوله ﴿كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ انقضاء أجالهم.

[٩٩] ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ
النَّاسَ﴾ بما لم يشأه الله منهم ﴿حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ لا.

[١٠٠] ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُوْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بإرادته ﴿وَيَجْعَلُ
الرَّحْمَنُ عَلَىٰ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ يتدبرون آيات الله.

[١٠١] ﴿قُلْ﴾ لكفار مكة: ﴿أَنْظِرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ﴾ في السموات
وَالْأَرْضِ﴾ من الآيات الدالة على وحدانية الله - تعالى - ﴿وَمَا تُعْنِي الْأَيْكُتُ
وَاللُّدُرُ﴾ جمع نذير؛ أي: الرسل ﴿عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ في علم الله؛ أي:
ما تفهمهم.

[١٠٢] ﴿فَهَلْ﴾ فما ﴿يَنْتَظِرُونَ﴾ بتكذيبك ﴿إِلَّا مِثْلَ آيَاتِ الَّذِينَ
خَلَوْا مِن قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم؛ أي: مثل وقائعهم من العذاب ﴿قُلْ فَانظُرُوا﴾
ذلك ﴿إِلَىٰ مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾.

[١٠٣] ﴿ثُمَّ نُنَجِّي﴾ المضارع لحكاية الحال الماضي ﴿رُسُلَنَا وَالَّذِينَ
ءَامَنُوا﴾ من العذاب ﴿كَذَلِكَ﴾ الإنجاء ﴿حَقًّا عَلَيْنَا نَسِجَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ النبي
ﷺ وأصحابه حين تعذيب المشركين.

[١٠٤] ﴿قُلْ يٰٓأَيُّهَا النَّاسُ﴾؛ أي: أهل مكة ﴿إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن
دِينِي﴾ أنه حق ﴿فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره وهو
الأصنام لشككم فيه ﴿وَلَكِن أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي تَتَوَفَّكُمُ﴾ يقبض أرواحكم
﴿وَأُمِرْتُ أَنْ﴾ أي: بأن ﴿أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

[١٠٥] ﴿وَأَنْ أَقْرُبَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾ مائلاً إليه ﴿وَلَا
تَكُونَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

[١٠٦] ﴿وَلَا تَدْعُ﴾ تعبد ﴿مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ﴾ إن عبدته ﴿وَلَا
يَضُرُّكَ﴾ إن لم تعبده ﴿فَإِن فَعَلْتَ﴾ ذلك فرضاً ﴿فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

وَإِن يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ
بِخَيْرٍ فَلَا رَادَ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ
وَهُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ
مِن رَّبِّكُمْ فَمَن آهَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ
فَأِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ
إِلَيْكَ وَأَصِرْ حَتَّىٰ يَمُوتَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿١٠٩﴾

سورة هود

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّكِبِ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ وَتَمَّ فَصَلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾
الَّذِينَ تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ وَإِن أَسْتَعْفِرُوا
رَبَّكُمْ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ يُعْتَقِبْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَتُؤْتِ
كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ
كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾ إِلَّا إِلَهُكُمْ
يَتَنُونَ صُدُّوهُمْ لَيْسَتْ خَفَؤُا مِنْهُ إِلَّا حِينَ يَسْتَعْفِفُونَ شَاءَ بَهُمْ
يَعْلَمُ مَا يَسْرُونَ وَمَا يَعْلَمُونَ إِلَهُهُ وَعَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٥﴾

ونزل كما رواه البخاري^(١) عن ابن عباس فيمن كان يستحي أن يتخلى^(٢) أو
يجامع فيفضي^(٣) إلى السماء.

[٥] وقيل: في المنافقين: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَتَّبِعُونَ صُدُورَهُمْ لَيْسَتْ خَفَؤُا مِنْهُ﴾؛ أي:
الله ﴿أَلَا حِينَ يَسْتَعْفِفُونَ يَأْتِيهِمْ﴾ يتغنون بها ﴿يَتَلَمَّ﴾ تعالى ﴿مَا
يُسْرُونَ وَمَا يَعْلَمُونَ﴾ فلا يعني استخفاؤهم^(٤) ﴿إِنَّهُمْ عَلِيمٌ بِذَاتِ
الصُّدُورِ﴾ أي: بما في القلوب.

[١٠٧] ﴿وَإِن يَمَسُّكَ﴾ يصبك ﴿اللَّهُ بِضُرٍّ﴾ كففر ومرض ﴿فَلَا
كَاشِفَ﴾ رافع ﴿لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَ﴾ دافع
﴿لِفَضْلِهِ﴾ الذي أرادك به ﴿يُصِيبُ بِهِ﴾ أي: بالخير ﴿مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ
وَهُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ﴾.

[١٠٨] ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ أي: أهل مكة ﴿قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ
رَبِّكُمْ فَمَن آهَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾؛ لأن ثواب اهتدائه له ﴿وَمَن ضَلَّ
فَأِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ لأن وبال ضلاله عليها ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾
فأجبركم على الهدى.

[١٠٩] ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ﴾ من ربك ﴿وَأَصِرْ﴾ على الدعوة وأذاهم
﴿حَتَّىٰ يَمُوتَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ فيهم بأمره ﴿رَهُوَ خَيْرٌ الْحَاكِمِينَ﴾ أعذلهم، وقد صبر
حتى حكم على المشركين بالقتال، وأهل الكتاب بالجزية.

سورة هود

[مكية إلا: ﴿وَأَنْزِلْنَا الصَّلَاةَ﴾ الآية، أو: إلا: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ﴾
الآية، و﴿أَوَّلَتْكَ يَوْمَئِذٍ بِه﴾ الآية. مائتان واثنان، أو: وثلاث
وعشرون آية، نزلت بعد يونس^(*)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الرَّكِبِ﴾ الله أعلم بمراده بذلك، هذا ﴿كَيْتَبُ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ﴾ معجيب
النظم وبديع المعاني ﴿مُتَّمَّ فَصَلَتْ﴾ بيئت بالأحكام والقصص والمواعظ ﴿وَمِن
لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ أي: الله.

[٢] ﴿أَلَا إِنَّهُمْ﴾ أي: بأن ﴿لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ﴾ بالعذاب إن
كفرتم ﴿وَبَشِيرٌ﴾ بالثواب إن آمنتم.

[٣] ﴿وَإِن أَسْتَعْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ من الشرك ﴿ثُمَّ تَوْبُوا﴾ ارجعوا ﴿إِلَيْهِ﴾
بالطاعة ﴿يَتَّبِعْكُمْ﴾ في الدنيا ﴿مَتَاعًا حَسَنًا﴾ بطيب عيش وسعة رزق ﴿إِلَىٰ
أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ هو الموت ﴿وَتُؤْتِ﴾ في الآخرة ﴿كُلَّ ذِي فَضْلٍ﴾ في
العمل ﴿فَضْلَهُ﴾ جزاءه ﴿وَإِن تَوَلَّوْا﴾ فيه بحذف إحدى التاءين؛ أي:
تعرضوا ﴿فَأِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ هو يوم القيامة.

[٤] ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه الثواب والعذاب.

(٥) فائدة: أخرج الترمذي عن ابن عباس قال: قال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله، قد شئت؟! قال: «شيئتي هود والواقعة والمرسلات وعم يساءلون، وإذا الشمس كورت». الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٥٧) سورة الواقعة، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٩٥٥).

(٥٥) ما جاء في نزول الآية (٥): عن محمد بن عباد بن جعفر أنه سمع ابن عباس يقرأ: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَتَّبِعُونَ صُدُورَهُمْ﴾ قال: سألته عنها؟ فقال: أناس كانوا يستحيون أن يتخلوا فيفضوا إلى السماء، وأن يجامعوا نساءهم فيفضوا إلى السماء، فنزل ذلك فيهم. أخرجه البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة هود (١١) باب (١).

(١) البخاري (٤٦٨٢).

(٢) أي: يقضي حاجته من البول والغائط.

(٣) فالآية على هذا القول في تعليم التوحيد والمراقبة، وأن الله مطلع عليهم في جميع أحوالهم، ولا ينافي ذلك نذب التنظية عند التحلي والجماع.

الصلب ﴿وَمُسْتَوْدَعًا﴾ بعد الموت أو في الرحم ﴿كُلُّ﴾ مما ذكر ﴿في﴾
 كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿بَيِّنٍ﴾ هو اللوح المحفوظ.

[٧] ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أولها الأحد
 وآخرها الجمعة ﴿رَكَاتٍ عَرَشُهُ﴾ قبل خلقهما ﴿عَلَى الْمَاءِ﴾ وهو على
 متن الريح ^(١) ﴿يَسْبُلُونَهُ﴾ متعلق بـ ﴿خَلَقَ﴾؛ أي: خلقهما وما فيهما من
 منافع لكم ومصالح؛ ليختبركم ﴿إِن كُنتُمْ عَمَلًا﴾ أي: أطوع لله
 ﴿وَلَيْنَ قُلْتُمْ﴾ يا محمد لهم: ﴿إِن كُنتُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ
 الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ﴾ ما ﴿هَذَا﴾ القرآن الناطق بالبعث أو الذي تقوله ﴿إِلَّا
 سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ بَيِّنٍ، وفي قراءة ^(٢): ﴿سَاحِرٌ﴾ والمشار إليه النبي ﷺ.

[٨] ﴿وَلَيْنَ أَخْرَجْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَيْكَ﴾ مجيء ﴿أَتَوْهُ﴾ أوقات ﴿مَعْدُودَةٍ
 لَيَقُولَنَّ﴾ استهزاء: ﴿مَا يَحْسِبُهُ﴾ ما يظنعه من النزول، قال تعالى: ﴿إِلَّا
 يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا﴾ مدفوعاً ﴿عَنْهُمْ وَحَاقَتْ﴾ نزل ﴿بِهِمْ مَا كَانُوا
 يَؤْتُونَ﴾ من العذاب.

[٩] ﴿وَلَيْنَ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ الْكَافِرِ ﴿وَمَا رَحْمَةً﴾ غنى وصحة ﴿ثُمَّ
 نَزَعْنَا مِنْهُ إِنَّمَا لِيُؤْتِسُّ﴾ فنوط من رحمة الله ﴿كَفُورًا﴾ شديد الكفر
 به.

[١٠] ﴿وَلَيْنَ أَذَقْنَاهُ نِعْمَةً بَعْدَ ضَرَارَةٍ﴾ فقر وشدة ﴿مَسَّتَهُ لَيَقُولَنَّ
 ذَهَبَ السَّيِّئَاتِ الْمَصَابِتِ﴾ عني ﴿وَلَمْ يَتَوَقَّعْ زوالها ولا شكر عليها﴾ إِنَّهُ
 لَفَرِحٌ ﴿بَطْرٍ﴾ فخرٌ ﴿على الناس بما أوتي.

[١١] ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ على الضراء ﴿وَعَسَوْا
 الصَّلِيلَةَ﴾ في النعمة ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ هو الجنة.

[١٢] ﴿فَلَعَلَّكَ﴾ يا محمد ﴿تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ﴾ إيتاك ﴿فلا تبلغهم
 إياه لتهاونهم به﴾ وَصَائِقُ يَدِ صَدْرِكَ ﴿بتلاوته عليهم لأجل﴾ أَنْ يَقُولُوا
 لَوْلَا ﴿هَلَّا﴾ أَنْزَلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ ﴿يصدقه كما اقترحنا
 ﴾ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ ﴿فما عليك إلا البلاغ لا الإتيان بما اقترحوه﴾ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ
 شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿حفيظ فيجازيهم.

﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ
 مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ وَهُوَ
 الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ
 عَرَشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ
 قُلْتُمْ إِنَّا كُنتُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
 إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْحَرُ مُبِينٌ ﴿٧﴾ وَلَئِنْ أَخْرَجْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰ
 أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولَنَّ مَا يَحْسِبُهُ ﴿٨﴾ وَالْيَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ
 مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٩﴾
 وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِثْرَ حِمَّةٍ ثُمَّ نَزَعْنَا مِنْهُ إِنَّمَا
 لِيُؤْتِسُّ كَفُورًا ﴿١٠﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نِعْمَةً بَعْدَ ضَرَارَةٍ
 مَسَّتَهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتِ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١١﴾
 إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ
 مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ
 وَصَائِقُ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ
 مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٣﴾

[٦] ﴿وَمَا مِنْ﴾ زائدة ﴿دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ﴾ هي ما دب عليها ﴿إِلَّا عَلَىٰ
 اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ تكفل به فضلاً منه تعالى ﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا﴾ مسكنها في الدنيا أو

(١) هذا القول مروى عن ابن عباس، ومعناه أن الريح مخلوقة قبل الماء، والصحيح أن أول مخلوق هو الماء لحديث البخاري عن عمران بن حصين، أنه ﷺ سئل عن أحوال هذا العالم؛ فقال: كان الله، ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء. رواه البخاري في بدء الخلق (٣١٩٢).

(٢) حمزة والكسائي.

[١٣] ﴿أَمْ﴾ بل أَمْ يَقُولُونَ اقْتَرَبَهُ أَي: القرآن ﴿قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ يَنْتَلِهِي﴾ في الفصاحة والبلاغة^(١) ﴿مُفْتَرِيَاتٍ﴾ فإنكم عربيون فصحاء مثلي، تحداهم بها أولاً ثم بسورة^(٢) ﴿وَادْعُوا﴾ للمعاونة على ذلك ﴿مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في أنه افتراء.

[١٤] ﴿فَاتَّخَذُوا﴾ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ أَي: مَنْ دَعَوْتَهُمْ للمعاونة ﴿فَاتَّخَذُوا﴾ خطاب للمشركين ﴿أَنَّمَا أُنزِلَ﴾ ملتبساً ﴿بِإِلْمِ اللَّهِ﴾ وليس افتراء عليه ﴿وَأَنْ﴾ مخففة؛ أَي: أَنَّهُ ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ بعد هذه الحججة القاطعة؛ أَي: أسلموا.

[١٥] ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ بأن أصر على الشرك، وقيل: هي في المراتين ﴿تُؤْتِي إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ﴾ أَي: جزاء ما عملوه من خير كصدقة وصلة رحم ﴿فِيهَا﴾ بأن نوسع عليهم رزقهم ﴿وَهُمْ فِيهَا﴾ أَي: الدنيا ﴿لَا يَخْشَوْنَ﴾ ينقصون شيئاً.

[١٦] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحِطَّ بِمَا صَنَعُوا﴾ أَي: الأخرة، فلا ثواب له ﴿وَيَطَّلُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

[١٧] ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى يَتِيمَةٍ﴾ يتيماً ﴿مِنْ رَبِّهِ﴾ وهو النبي ﷺ أو المؤمنون، وهي القرآن ﴿وَتَلَّوْهُ﴾ يتبعه ﴿شَاهِدٌ﴾ له بصدقة ﴿وَمِنْهُ﴾ أَي: من الله، وهو جبريل ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ﴾ القرآن ﴿كَتَبَ مُوسَى﴾ التوراة شاهد له أيضاً ﴿إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ حال، كمن ليس كذلك؛ لا ﴿أُولَئِكَ﴾ أَي: مَنْ كَانَ عَلَى يَتِيمَةٍ ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ أَي: بالقرآن، فلهم الجنة ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ﴾ مِنَ الْآخِرَابِ ﴿جَمِيعَ الْكُفَّارِ﴾ فَالْتَارُ مَوْعِدٌ فَلَا تَكُ فِي رَبِّهِ شَكٌّ ﴿وَمِنْهُ﴾ مِنَ الْقُرْآنِ ﴿إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ أَي: أهل مكة ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

[١٨] ﴿وَمَنْ﴾ أَي: لا أحد ﴿أَطْلَمَ مَعَنَ اقْتَرَبَ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بنسبة الشريك والولد إليه ﴿أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ﴾ يوم القيامة في جملة الخلق ﴿وَيَقُولُ الْأَشْهَدُ﴾ جمع شاهد، وهم الملائكة يشهدون للرسول بالبلاغ وعلى الكفار بالتكذيب: ﴿هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا

لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾^(٣) المشركين.

[١٩] ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دين الإسلام ﴿وَيُهِنُونَ﴾ يطلبون السبيل ﴿عِوَجًا﴾ معوجة ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ﴾ تأكيد ﴿كٰفِرُونَ﴾.

(١) فائدة: أخرج البخاري عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله بدني المؤمن فيضع عليه كفه ويستره، فيقول: أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم أي رب. حتى إذا قرره بذنوبه، ورأى من نفسه أنه هلك؛ قال: سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم، فيعطى كتاب حسنته. وأما الكافر والمنافق فيقول الأشهاد: «هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ». البخاري. كتاب التفسير (٦٥) سورة هود (١١) باب (٤) ﴿وَيَقُولُ الْأَشْهَدُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾.

(١) وغير ذلك من وجوه تحشيو وإعجازها الكثيرة.

(٢) في قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَأَنْ كُنْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ في سورة البقرة: [البقرة: ٢٢٣].

أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءٍ يُضَعِفُ لَهُمْ الْعَذَابَ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٢﴾ لَاجِرًا تَهُمُ فِي الْأَخِرَةِ هُمْ الْآخِسُونَ ﴿٢٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٤﴾ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ الْكُفَّارِ وَالْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٥﴾ وَالْأَصْوَءِ هَذَا مَثَلُ الْكَافِرِ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَذَا مَثَلُ الْمُؤْمِنِ هَذَا يَسْتَوِيانِ مَثَلًا؟ لا ﴿٢٦﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فِيهِ إِدْغَامُ النَّاءِ فِي الْأَصْلِ فِي النَّالِ؛ تَعْتَظُونَ.

﴿٢٥﴾ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾ [أي:] أي: باني، وفي قراءة بالكسر^(٢) على حذف القول^(٣) ﴿لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [بين الإنذار.

﴿٢٦﴾ ﴿أَنْ﴾ أي: بأن ﴿لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ [إني أخاف عليكم] إن عبدتم غيره ﴿عَذَابَ يَوْمِ الِيسْرِ﴾ مؤلم في الدنيا والآخرة.

﴿٢٧﴾ ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾ وهم الأشراف: ﴿مَا رَبُّكَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾ ولا فضل لك علينا ﴿وَمَا رَبُّكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا أَنْ كَفُرُوا﴾ أسافنا؛ كالحاجة والأساكفة ﴿[بَادِيَ] الرَّأْيِ﴾ بالهمز وتركه^(٤)؛ أي: ابتداء من غير تفكير فيك، ونصبه على الظرف؛ أي: وقت حدوث أول رأيهم ﴿وَمَا رَبِّي لَكُمْ عَلِيمًا مِنْ فَضْلٍ﴾ فتستحققون به الاتباع منا ﴿بَلْ نَطَّنَكُمْ كَذِيبَاتٍ﴾ في دعوى الرسالة، أدرجوا قومه معه في الخطاب.

﴿٢٨﴾ ﴿قَالَ يَتَوَارَىٰ مِنْكُمْ﴾ أخبروني ﴿إِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾ بيان ﴿بَيِّنَةٍ﴾ و﴿الْبَيِّنَةِ﴾ نبوة ﴿وَمِنْ عِنْدِهِ﴾ [فَعَمِيَّتْ] خفيت ﴿عَلَيْكُمْ﴾ وفي قراءة: بتشديد الميم والبناء للمفعول^(٥) ﴿أَنْذَرْتُمْ كُفُوهَا﴾ أنجبركم على قبولها ﴿وَأَنْتُمْ لَهَا كَرِهُونَ﴾ لا نقدر على ذلك.

﴿٢٠﴾ ﴿أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ﴾ الله ﴿فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿وَمِنْ أَوْلِيَاءٍ﴾ أنصار يمنعونهم من عذابه ﴿يُضَعِفُ لَهُمْ

(١) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة.

(٢) قراءة [أي] بالفتح للكسائي وابن كثير وأبي عمرو.

(٣) تقديمه: «قال إني».

(٤) بالهمز قراءة أبي عمرو.

(٥) وبدون التشديد قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وهي المفسرة أولاً.

[٢٩] ﴿وَيَقُولُ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ عَلَى تَبْلِغِ الرِّسَالَةِ ﴿مَالًا﴾ تَعَطُّونِيهِ ﴿إِنْ﴾ مَا أَجْرِي ﴿ثَوَابِي﴾ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ كما أمرتوني ﴿إِنَّهُمْ مُلْتَقُوا رَبِّهِمْ﴾ بالبعث فيجازيهم ويأخذ لهم من ظلمهم وطردهم ﴿وَلِكَيْتَ قَوْمًا يَجْهَلُونَ﴾ عاقبة أمركم.

[٣٠] ﴿وَيَقُولُ مَنْ يَضْرِبُنِي يَمْنَعَنِي ﴿مِنْ اللَّهِ﴾ أَي: عذابه ﴿إِنْ كَرِهْتُمْ﴾ أَي: لا ناصر لي ﴿أَفَلَا﴾ فَهَلَا ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ يادغام التاء الثانية في الأصل في الذال^(١)؛ تتعظون.

[٣١] ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا إِنِّي ﴿أَعْلَمُ﴾ الْعَنَبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ﴾ بل أنا بشر مملوك ﴿وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي﴾ تحقر ﴿أَعْيُنِكُمْ﴾ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ قلوبهم ﴿إِنِّي إِذًا﴾ إن قلت ذلك ﴿لَوَيْنَ الظَّالِمِينَ﴾.

[٣٢] ﴿قَالُوا يَنْبُوحُ قَدْ جَدَدْتَنَا﴾ خاصتنا ﴿فَأَكْفَرْتَّ جِدَانَا فَأَمَّا إِنَّمَا يَأْتِيَنَا﴾ به من العذاب ﴿إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ فيه.

[٣٣] ﴿قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيَكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ﴾ أَي: إغواءكم، وجواب الشرط دل عليه: ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي﴾، هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

[٣٥] قال تعالى: ﴿أَمْ﴾ بل أم يقولون ﴿أَي: كَفَارِ مَكَّةَ﴾ أَفْتَرَيْتُمْ﴾ اختلق محمد القرآن ﴿قُلْ إِنْ أَفْتَرَيْتُمْ فَعَلَىٰ إِجْرَامِي﴾ إثمي؛ أَي: عقوبته ﴿وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا يُجْرِمُونَ﴾ من إجرامكم في نسبة الافتراء إلي.

[٣٦] ﴿وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ فَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي﴾ تحزن ﴿يَمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ من الشرك. فدعا عليهم بقوله: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ﴾^(٢) إلخ، فأجاب الله دعاءه فقال: [٣٧] ﴿وَأَصْحَىٰ الْفُلْكَ﴾ السفينة ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ برأى منا وحفظنا^(٣) ﴿وَوَحَّيْنَا﴾ أمرنا ﴿وَلَا تَحْطَبُنِي فِي

وَيَقُولُ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّهُمْ مُلْتَقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَىٰ فِي قَوْمِي يَجْهَلُونَ ﴿٣٠﴾ وَيَقُولُ مَنْ يَضْرِبُنِي مِنْ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣١﴾ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْعَنَبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ وَإِنِّي لَأَدَّبُنَا بِالْقُرْآنِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٣٢﴾ قَالُوا يَنْبُوحُ قَدْ جَدَدْتَنَا فَأَمَّا إِنَّمَا يَأْتِيَنَا بِمَاءٍ تَعِدُنَا إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيَكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٤﴾ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَيْتُمْ قُلْ إِنْ أَفْتَرَيْتُهُ فَعَلَىٰ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا يُجْرِمُونَ ﴿٣٦﴾ وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَآكِنِهَا أَنْوَافُ يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ وَأَصْحَىٰ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحَّيْنَا وَلَا تَحْطَبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٣٧﴾

الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ كفروا بترك إهلاكهم ﴿إِنَّهُمْ مُعْرِضُونَ﴾.

(١) قرأ بتخفيف الذال حفص وحزمة والكسائي وشدها بقية السبعة.

(٢) نوح: ٢٦.

(٣) في هذه الآية وغيرها يبت - سبحانه - لنفسه عينا يرى بها جميع المراتب، وهي صفة حقيقة لله سبحانه على ما يليق به - سبحانه -، تؤمن بها وبتبنيها لرينا كما قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ أَلْبَسُنَا الْأَبْصِيرَ﴾ [الشورى: ١١]، وأما تأويل العين بأنها عبارة عن الإدراك والإحاطة فهو مذهب الأشاعرة وغيرهم من أهل التأويل.

[٤٠] ﴿حَقَّ﴾ غاية الصنع ﴿إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ بإهلاكهم ﴿وَقَارَ الْكُفْرُ﴾ للخياض بالماء^(١)، وكان ذلك علامة لنوح ﴿فَلَمَّا أَتَمَّ فِيهَا﴾ في السفينة ﴿مِن كُلِّ زَوْجَيْنِ ذَكَرًا وَأُنْثَى﴾ من كل أنواعهما ﴿أَنْتَيْنِ﴾ ذكرا وأنثى، وهو مفعول^(٢)، وفي القصة أن الله حشر نوح السباع والطيور وغيرها فجعل يضرب بيديه في كل نوع فتقع يده اليمنى على الذكر واليسرى على الأنثى فيحملها في السفينة ﴿وَأَهْلَكَ﴾ أي: زوجته وأولاده ﴿إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾ أي: منهم بالإهلاك وهو زوجته وولده كنعان بخلاف سام وحام ويافث فحملهم وزوجاتهم الثلاثة ﴿وَمَنْ ءَامَنَ وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ قبل: كانوا ستة رجال ونساءهم، وقيل: جميع من كان في السفينة ثمانون نصفهم رجال ونصفهم نساء.

[٤١] ﴿وَقَالَ﴾ نوح: ﴿أَرْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ يُحْرِبُهَا وَنَمْسُهَا﴾ بفتح اليمين وضمهما^(٣) مصدران: أي: جريها ورسوها؛ أي: منتهى سيرها ﴿إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ حيث لم يهلكنا.

[٤٢] ﴿وَمَنْ تَجْرَى بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾ في الارتفاع والعظم ﴿وَنَادَى نُوحٌ أُمَّتَهُ﴾ كنعان^(٤) ﴿وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ﴾ عن السفينة: ﴿يَبْتَغِي أَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾.

[٤٣] ﴿قَالَ سَوَّيْتُ إِلَيْكَ الْجِبَالَ يُعْصِمُكَ﴾ بمعنى ﴿مِنَ الْمَاءِ﴾ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُعْرَفِينَ ﴿وَقِيلَ يَا رَأْسُ ابْنِي مَاءَ كِ وَيَسْمَاءُ أَقْلَبِي وَغِيصَ الْمَاءُ وَفُضِيَ الْأَمْرُ أَسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ وَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴿٥﴾

[٤٤] ﴿وَقِيلَ يَا رَأْسُ ابْنِي مَاءَ كِ﴾ الذي نبع منك فشرته دون ما نزل من السماء فصار أنهارا وبحارا ﴿وَيَسْمَاءُ أَقْلَبِي﴾ أمسكي عن المطر فأمسكت ﴿وَرُغِيصَ﴾ نقص ﴿الْمَاءِ وَفُضِيَ الْأَمْرُ﴾ تم أمر هلاك قوم نوح ﴿وَأَسْتَوَتْ﴾ وقفت السفينة ﴿عَلَى الْجُودِيِّ﴾ جبل بالجزيرة بقرب الموصل ﴿وَقِيلَ بُعْدًا﴾ هلاكًا ﴿لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين.

[٤٥] ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي﴾ كنعان ﴿مِنَ أَهْلِي﴾ وقد وعدتني بنجاتهم ﴿وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ﴾ الذي لا تخلف فيه ﴿وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ أعلمهم وأعد لهم.

وَيَصْنَعُ الْفُلَّكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ نَعْمُونَ مِنْ بَأْسِهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَقَارَ النَّوْرُ فَلَمَّا أَحْمَلُ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ وَقَالَ أَرْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِبُهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِيَ تَجْرَى بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ أَبْنَاهُ وَقَالَ فِي مَعْزِلٍ يَبْتَغِي أَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَوَّيْتُ إِلَيْكَ الْجِبَالَ يُعْصِمُكَ مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُعْرَفِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَا رَأْسُ ابْنِي مَاءَ كِ وَيَسْمَاءُ أَقْلَبِي وَغِيصَ الْمَاءُ وَفُضِيَ الْأَمْرُ أَسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ وَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴿٤٥﴾

[٣٨] ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلَّكَ﴾ حكاية حال ماضية ﴿وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ﴾ جماعة ﴿مِن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ﴾ استهزءوا به ﴿قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ إذا نخونا وغرقتم.

[٣٩] ﴿فَسَوْفَ نَعْمُونَ مِنْ﴾ موصولة، مفعول العلم ﴿بَأْسِهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾ ينزل ﴿عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾.

(١) قول جمهور السلف وعلماء الخلف أن المعنى: حتى فار الماء من الشائير التي هي مكان النار، صارت تقور ماء، وقيل: المراد الكناية عن اشتداد الأمر، كما يقال: حمي الوطيس، والوطيس: التنور وهو من فصيح الكلام وبلغه، وقيل غير ذلك.

(٢) والقراءة المفسرة بإضافة «كُلُّ» هي قراءة السبعة عدا حفص الذي نَوَّن؛ حيث عدَّى الفعل وهو «أَحْمَلُ» إلى «زَوْجَيْنِ» فيكون مفعولاً، و «أَنْتَيْنِ» نعتاً لـ «زَوْجَيْنِ» وفيه معنى التأكيد، كقوله: «لَا تَنْتَبِذُوا إِلَهَيْنِ أُثْنَيْنِ»، والتقدير: أحمل فيها زوجين اثنين من كل شيء، ثم حذف ما أضيف إليه «كل» فَبُذِّقَ «كَلَاهُ». أما الجمهور فعُدَّى الفعل إلى «أَنْتَيْنِ»، والتقدير: أحمل فيها اثنين.

(٣) أي في قوله: ﴿يُحْرِبُهَا وَنَمْسُهَا﴾، وقوله: «بفتح اليمين» سبق قلم؛ فإن فتحهما قراءة شاذة؛ والصواب أن يقول: بضم اليمين، أو فتح الأولى مع ضم الثانية، والأولى قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة.

(٤) على افتراض صحة تسمية ابن نوح هذا الهالك بـ «كنعان»؛ فإنه غير «كنعان» جد الكنعانيين، فإن جددهم هو: كنعان بن سام بن نوح.

قَالَ يَنْبُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ رَعِمَلٌ عَيْرٌ صَالِحٌ فَلَا تَسْتَلِنِ
 مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ
 ٤٦ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا
 تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَسِرِينَ ٤٧ قِيلَ يَنْبُوحُ
 أَهَيْطُ بِسَأَلِمْ مَتَا وَبَرَكَاتِ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ
 وَأَمْرٌ سَنَمُتُهُمْ ثُمَّ يَمْسُرُهُم مَتَا عَذَابِ آيَةٍ ٤٨ نِلَّكَ
 مِنْ أَنْبَاءِ الْعَالَمِينَ نُوْحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ
 وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَقِيبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ٤٩
 وَإِلَى عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَقَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ
 إِلَهٍ غَيْرُهُ وَإِنِ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ٥٠ يَقَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ
 أَجْرًا إِنِ اجْتَبَيْتُمُوهُ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ ٥١
 وَيَقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ
 عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا
 مُجْرِمِينَ ٥٢ قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ
 بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ٥٣

[٤٦] ﴿قَالَ﴾ تعالي: ﴿يَنْبُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ الناجين أو من أهل
 دينك ﴿إِنَّهُ﴾ أي: سؤالك إياي بجماله ﴿رَعِمَلٌ عَيْرٌ صَالِحٌ﴾ فإنه كافر ولا نجاه
 للكافرين، وفي قراءة^(١) بكسر ميم ﴿عَمِلٌ﴾ فعل، ونصب ﴿عَيْرٌ﴾ فالضمير
 لابنه ﴿فَلَا [تَسْأَلُنِي]﴾ بالشديد والتخفيف^(٢) ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ من
 إجماع ابنك ﴿إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ بسؤالك ما لم تعلم^(٣).

[٤٧] ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ﴾ من ﴿أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ
 وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي﴾ ما فرط مني ﴿وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾.

[٤٨] ﴿قِيلَ يَنْبُوحُ أَهَيْطُ﴾ انزل من السفينة ﴿بِسَأَلِمْ﴾ سلامة أو بجهة
 ﴿مَتَا وَبَرَكَاتِ﴾ خيرات ﴿عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ﴾ في السفينة أي
 من أولادهم وذريتهم وهم المؤمنون ﴿وَأَمْرٌ﴾ بالرفع من معك^(٤) ﴿سَنَمُتُهُمْ﴾
 في الدنيا ﴿ثُمَّ يَمْسُرُهُم مَتَا عَذَابِ آيَةٍ﴾ في الآخرة، وهم
 الكفار.

[٤٩] ﴿نِلَّكَ﴾ أي: هذه الآيات المنضمة قصة نوح ﴿مِنْ أَنْبَاءِ
 الْعَالَمِينَ﴾ أخبار ما غاب عنك ﴿نُوْحِيهَا إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا
 أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾ القرآن ﴿فَاصْبِرْ﴾ على التبليغ وأذى قومك
 كما صبر نوح ﴿إِنَّ الْعَقِيبَةَ﴾ المحمودة ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾.

[٥٠] ﴿وَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾ إلى عاد أمثالهم ﴿مِنَ الْقَبِيلَةِ﴾ هُودًا قَالَ يَقَوْمِ أَعْبُدُوا
 اللَّهَ وَحُدُوهُ ﴿مَا لَكُمْ مِنْ زَائِدَةٍ﴾ إِلَهُ غَيْرُهُ ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَنْتُمْ﴾ في
 عبادتكم الأوثان ﴿إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾ كاذبون على الله.

[٥١] ﴿يَقَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ على التوحيد ﴿أَجْرًا﴾ إِنْ مَا
 ﴿اجْتَبَيْتُمُوهُ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي﴾ خلقتني ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

[٥٢] ﴿وَيَقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ من الشرك ﴿ثُمَّ تُوبُوا﴾ ارجعوا
 ﴿إِلَيْهِ﴾ بالطاعة ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ﴾ المطر وكانوا قد منبغوه ﴿عَلَيْكُمْ﴾
 مِدْرَارًا ﴿كثير الدور﴾ وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ ﴿مَعَ قُوَّتِكُمْ﴾ بالمال والولد
 ﴿وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ مشركين.

[٥٣] ﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾ برهان على قولك ﴿وَمَا نَحْنُ
 بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ﴾ أي: لنقولك ﴿وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾.

(١) للكسائي.

(٢) بالنون المشددة مع فتح اللام وصلًا ووفقًا لقراءة ابن كثير، وقرأ قالون، وابن عامر ﴿فَلَا تَسْأَلُنِي﴾ وصلًا ووقفًا، وقرأ ورش وأبو جعفر ﴿فَلَا تَسْأَلُنِي﴾ بإثبات الياء وصلًا، وحذفها ووقفًا.

(٣) أي: أنها.

(٤) أي من ذريتهم.

[٥٥] ﴿مِن دُونِهِ فَكَيْدُونِ﴾ احتالوا في هلاكهم ﴿جَمِيعًا﴾ أنتم وأوتانكم ﴿لَنْ تَنْظُرُون﴾ تمهلون.

[٥٦] ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنَّ زَائِدَةٍ ﴿دَابَّةً﴾ نسمة تدب على الأرض ﴿إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ أي: مالكها وقاهرها، فلا نفع ولا ضرر إلا بإذنه، وخص الناصية بالذكر؛ لأن من أخذ بناصره يكون في غاية الذل ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ أي: طريق الحق والعدل.

[٥٧] ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ فيه حذف إحدى التاءين؛ أي: نعرضوا ﴿فَقَدْ أَبْلَغْنَاكُمْ تَأْتِيْلَتٌ بِهِ﴾ أي: الكفر ﴿وَسَنَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُمْ شَيْئًا﴾ بإشراككم ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ رقيب.

[٥٨] ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ عذابنا ﴿بَنِيْنَآ هُودًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا﴾ أي: بنيناهم من عذاب غليظ شديد.

[٥٩] ﴿وَتِلْكَ ءَادٌ﴾ إشارة إلى آثامهم؛ أي: فسبحوا في الأرض وانظروا إليها، ثم وصف أحوالهم فقال: ﴿جَعَلُوا بَنَاتِيْنَ رَبِّهِنَّ وَعَصَوُوا رُسُلَهُ﴾ جمع؛ لأن من عصى رسولاً عصى جميع الرسل؛ لاشتراكهم في أصل ما جاؤوا به وهو التوحيد ﴿وَأَتَّبَعُوا﴾ أي: السفلة ﴿أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ معاند للحق من رؤسائهم.

[٦٠] ﴿وَأَتَّبَعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةَ﴾ من الناس ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ لعنة على رؤوس الخلائق ﴿إِلَّا إِنْ ءَادًا كَفَرُوا﴾ جعلوا ﴿رَبِّهِنَّ ءَالَ بَدَأْنَا﴾ من رحمة الله ﴿لِعَادٍ قَوْمٍ هُودٍ﴾.

[٦١] ﴿وَأَرْسَلْنَا﴾ إنا ﴿ثَمُودَ أَخَاهُمْ﴾ من القبيلة ﴿صَالِحًا قَالٍ يَقْوَىٰ رَبَّهُمْ﴾ أي: عبدوا الله وحده ﴿مَا لَكُمْ مِنَّ إِلَهِ غَيْرِهِ هُوَ أَنشَأَكُمْ﴾ ابتداء خلقكم ﴿مِنَ الْأَرْضِ﴾ بخلق أديكم آدم منها ﴿وَأَسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ جعلكم عمارة تسكنون بها ﴿فَأَسْتَفْرَرُوا﴾ من الشرك ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا﴾ ارجعوا ﴿إِلَيْهِ﴾ بالطاعة ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ﴾ من خلقه بعلمه ﴿يَجِيبُ﴾ لمن سأله.

[٦٢] ﴿قَالُوا لِيَصْلِحْ فَذَكَّرْنَا رَبَّنَا رَبَّنَا رَبَّنَا﴾ نرجو أن تكون سيدنا ﴿قَالَ هَذَا الَّذِي صَدَرَ مِنْكَ﴾ أي: أنتهست أن نعبد ما عبده آبائنا ﴿مِنَ الْأَوْثَانِ﴾ الأصنام ﴿وَأَنَّا لَنَبِيٍّ مِّنَّا نَدْعُونَ إِلَيْهِ﴾ من التوحيد ﴿مُرِيبٍ﴾ موقع في الريب.

إِنْ تَقُولُ إِلَّا اعْتَرَبْنَا بِسُوءِ قَالَ إِنْ أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَشْرِكُونَ ﴿٥٦﴾ مِنْ دُونِهِ فَكَيْدُونِ جَمِيعًا لَنْ تَنْظُرُونِ ﴿٥٧﴾ إِنْ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنْ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْنَاكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُمْ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٩﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا بَنَيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَبَنَيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٦٠﴾ وَتِلْكَ ءَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوُوا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٦١﴾ وَأَتَّبَعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةَ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا إِنْ ءَادًا كَفَرُوا رَبِّهِنَّ ءَالَ بَدَأْنَا لِعَادٍ قَوْمٍ هُودٍ ﴿٦٢﴾ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَقْوَىٰ رَبَّهُمْ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنَ إِلَهِ غَيْرِهِ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَأَسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَفِرُّوهُ ثُمَّ تَوَلَّوْا إِلَيْهِ إِنْ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴿٦٣﴾ قَالُوا لِيَصْلِحْ فَذَكَّرْنَا رَبَّنَا رَبَّنَا رَبَّنَا أَن نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَنَبِيٍّ مِّنَّا نَدْعُونَ إِلَيْهِ مُرِيبٌ ﴿٦٤﴾

[٥٤] ﴿إِنْ﴾ ما ﴿تَقُولُ﴾ في شأنك ﴿إِلَّا اعْتَرَبْنَا بِسُوءِ﴾ أصابك ﴿بَعْضُ الْهَيْئَةِ بِسُوءِ﴾ فخلبك؛ لسببك إياها، فأنت تهدي ﴿قَالَ إِنْ أَشْهَدُ اللَّهَ عَلَيَّ﴾ وأشهدوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَشْرِكُونَ ﴿٥٦﴾ به.

(١) تأويل هذه الرحمة بالهداية أو غيرها، هي طريقة المولة خوف إرادة التشبيه في صفات الله ﷻ، وهذا فهم خاطئ، ومذهب السلف إثبات هذه الصفات التي أنبتنا ربنا ﷻ لنفسه دون أن يفتضي ذلك تشبيهاً وهو - شيخناة - ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَعَاسَنِي
 مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَبْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونِي
 غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٤﴾ وَيَقَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ
 فَذُرُّوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ
 عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٥﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ
 ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدُ غَيْرِ مَكْذُوبٍ ﴿٦٦﴾ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا
 نَجِيصًا صَلْبًا وَأَلْدِينًا وَصَلِحًا وَالذِّبْقَ أَمَانًا
 مَعَهُ ﴿٦٧﴾ وَهُمْ أَرْبَعَةُ آلَافٍ رَّحِمَةً مِّنَّا وَمِن خِزْيِ
 يُومِيذٍ ﴿٦٨﴾ وَخِزْيُ يُومِيذٍ إِنْ رُبِّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿٦٩﴾
 وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جِثْمِينَ ﴿٧٠﴾
 كَانُوا لَمْ يَعْتَرِفُوا فِيهَا إِلَّا إِنْ ثَمُودًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا
 بُعْدَ الثَّمُودِ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرَىٰ قَالُوا
 سَلِّمْنَا قَالَ سَلِّمٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٧٢﴾ فَلَمَّا رَأَىٰ
 أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً
 قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أَزْسَلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٣﴾ وَأَمْرَانَهُ وَقَائِمَةً
 فَضَحِكْتُمْ قَبَسْتُمْ لَهَا بِسِحْقٍ وَرَأَىٰ اسْحَاقَ يَعْتُوبَ ﴿٧٤﴾

[٦٣] ﴿قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾ بيان ﴿مِن رَّبِّي وَعَاسَنِي مِنْهُ رَحْمَةً﴾ نبوة (١) ﴿فَمَنْ يَبْصُرُنِي﴾ بمعنى ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ أي: عذابه ﴿إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونِي﴾ بأمركم لي بذلك ﴿غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾ تضليل.

[٦٤] ﴿وَيَقَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ﴾ حال، عامله الإشارة (٢) ﴿فَذُرُّوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ﴾ غفر ﴿فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾ إن عقرتوها.

[٦٥] ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ عقرها فذار بأمرهم ﴿فَقَالَ﴾ صالح: ﴿تَمَتَّعُوا﴾ عيشوا ﴿فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ ثم تهلكون ﴿ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ فيه.

[٦٦] ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ يهلكهم ﴿بِنَجِيصًا صَلْبًا وَالذِّبْقَ وَالْمَانَا مَعَهُ﴾ وهم أربعة آلاف ﴿رَّحِمَةً مِّنَّا﴾ رحمناهم ﴿وَمِن خِزْيِ يُومِيذٍ﴾ بكسر الميم إعرابًا وفتحها بناءً؛ لإضافته إلى مبني (٣) وهو الأكبر (٤) ﴿إِنَّ رَبِّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ الغالب.

[٦٧] ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جِثْمِينَ﴾ باركين على الركب ميتين.

[٦٨] ﴿كَانُوا لَمْ يَعْتَرِفُوا فِيهَا﴾ مخففة، واسمها محذوف؛ أي: كأنهم ﴿لَمْ يَعْتَرِفُوا﴾ يقيموا ﴿فِيهَا﴾ في دارهم ﴿إِلَّا إِنْ ثَمُودًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدَ لَثَمُودٍ﴾ بالصرف وتركه (٥) على معنى الحي (٦) والقبيلة (٧).

[٦٩] ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جِثْمِينَ﴾ بإسحاق ويعقوب بعده ﴿قَالُوا سَلِّمْنَا﴾ مصدر ﴿قَالَ سَلِّمٌ﴾ عليكم ﴿فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ مشوي.

[٧٠] ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جِثْمِينَ﴾ بمعنى: أنكروهم ﴿وَأَوْجَسَ﴾ أضمر في نفسه ﴿مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ خوفًا ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أَزْسَلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ﴾ لنهلكهم.

[٧١] ﴿وَأَمْرَانَهُ﴾ أي: امرأة إبراهيم سارة ﴿وَقَائِمَةً﴾ تخدمهم ﴿فَضَحِكْتُمْ﴾ استبشازًا بهلاكهم ﴿فَبَسَّطْنَا بِسِحْقٍ﴾ وسحقٍ ﴿وَرَأَىٰ﴾ بعد ﴿إِسْحَاقَ يَعْتُوبَ﴾ ولده تعيش إلى أن تراه.

(١) النبوة أثر من آثار رحمة الله ﷻ، التي هي من صفاته - شيعاته -، ونشيتها له ﷻ كما هو مذهب السلف على الوجه اللائق به.

(٢) أي اسم الإشارة؛ وهو «هذه» لما فيه من معنى الفعل، وتقديره: «خذوها».

(٣) بالفتح قراءة نافع والكسائي.

(٤) أي في اللغة؛ أما قراءة فهما سواء.

(٥) بالصرف قراءة الكسائي.

(٦) قوله: «الحي» راجع للصراف؛ فإن اسم «ثمود» يصرّف إذا أطلق مرادًا به الأب الأكبر أو الحي؛ أي ديارهم.

(٧) قوله: «القبيلة» راجع لتركه؛ فإن اسم «ثمود» يتج من الصرف للعلمية والتأنيث إذا أُريد به القبيلة.

[٧٤] ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ﴾ الخوف ﴿وَجَاءَتْهُ الْبُرْسِيُّ﴾ بالولد أخذ ﴿يُحَدِّثُنَا﴾ يجادل رسلنا ﴿فِي﴾ شأن ﴿قَوْرٍ لُّوطٍ﴾.
 [٧٥] ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ﴾ كثير الأناة ﴿أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾ رجاع، فقال لهم: أتهلكون قرية فيها ثلاثمائة مؤمن؟ قالوا: لا، قال: أفهلكون قرية فيها مائتا مؤمن؟ قالوا: لا، قال: أفهلكون قرية فيها أربعة عشر مؤمنا؟ قالوا: لا، قال: أفأنتم إن كان فيها مؤمن واحد؟ قالوا: لا، قال: إن فيها لوطا، قالوا: نحن أعلم بمن فيها... إلخ^(١).

[٧٦] فلما أطال مجادلتهم قالوا: ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ الحداد ﴿إِنَّكَ قَدْ جَاءَ أَمْرٌ رَبِّكَ﴾ بهلاكهم ﴿وَوَيْلٌ لِّمَنْ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾
 [٧٧] ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيقًا﴾ حزن بسببهم ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ صدرًا^(٢)؛ لأنهم حسان الوجوه في صورة أضياف فخاف عليهم قومه ﴿وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ شديد.

[٧٨] ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ﴾ لما علموا بهم ﴿يَهْرَعُونَ﴾ يسرعون ﴿إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ﴾ قبل محبتهم ﴿كَأَنَّهُمْ يَمْعَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ وهي إتيان الرجال في الأدبار ﴿قَالَ لُوطُ﴾: ﴿يَقْوَرُ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي﴾ فتزوجهن ﴿هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَحْزَنُوا﴾ تفضحون ﴿فِي صَبِيحٍ﴾ أضياف ﴿أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾ يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.

[٧٩] ﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَمَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾ حاجة ﴿وَأِنَّكَ لَلْعَاذُ مَا نُذِرُ﴾ من إتيان الرجال.

[٨٠] ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ﴾ طاقة ﴿أَوْ آوَى إِلَيَّ رُكْنِي شَدِيدٍ﴾^(٣) عشيرة تنصرتني لبطشت بكم.

[٨١] فلما رأته الملايكة ذلك ﴿قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رَمَلْنَاكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ﴾ بسوء ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنْ آيَلٍ وَلَا يَنْفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ﴾ لئلا يرى عظيم ما ينزل بهم ﴿إِلَّا [إِثْرَانِكَ]﴾ بالرفع^(٤) بدل من ﴿أَحَدٌ﴾، وفي قراءة: بالنصب استثناء من الأهل؛ أي: فلا تشر بها ﴿إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ﴾ فقيل: لم يخرج بها، وقيل: خرجت والنفتت فقالت: وا قومها، فجاءها حجر فقتلها، وسألهم عن وقت هلاكهم فقالوا: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ﴾ فقال: أريد أعجل من ذلك. قالوا: ﴿أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾.

قَالَتْ يَوَيْلَىٰٓءَ الْآلِدِ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٤﴾ قَالُوا أَلَمْ نَجْعِبْ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ رَحِيمٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٥﴾ فَمَا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُرْسِيُّ يُحَدِّثُنَا فِي قَوْرٍ لُّوطٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ﴿٧٧﴾ يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرٌ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ مَرْدُودٍ ﴿٧٨﴾ وَمَا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيقًا بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٩﴾ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَقْوَرُ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَحْزَنُوا فِي صَبِيحٍ أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ﴿٨٠﴾ قَالُوا لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوَى إِلَيَّ رُكْنٌ شَدِيدٌ ﴿٨١﴾ قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رَمَلْنَاكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ الْآيَلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا آثْرَانِكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨٢﴾

[٧٢] ﴿قَالَتْ يَوَيْلَىٰٓءَ الْآلِدِ وَأَنَا عَجُوزٌ﴾ لي تسع وتسعون سنة ﴿وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾ له مائة، أو: وعشرون سنة، ونصبه على الحال، والعامل فيه ما في «ذا» من الإشارة ﴿إِنَّ هَذَا لَكُنَّ عَجِيبٌ﴾ أن يولد ولد لهريم.

[٧٣] ﴿قَالُوا أَلَمْ نَجْعِبْ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ قدرته^(١) ﴿رَحِمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ﴾ يا ﴿أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ بيت إبراهيم ﴿إِنَّهُ حَمِيدٌ﴾ محمود ﴿مَجِيدٌ﴾ كريم.

(٥) فائدة: أخرج أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: «قال لوط: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوَى إِلَيَّ رُكْنٌ شَدِيدٌ﴾ قال: «قد كان يأوي إلى ركن شديد، ولكنه عنى عشيرته؛ فما بعث الله صلى الله عليه وسلم بعده نبيا إلا بعثه في ذروة من قومه، المسند (٥٣٣/٢، ٣٨٤). وحسن الأثرناووظ إسناده في تحريجه على المسند (١٠٩٠٣) (٥٢٥/١٦). قال ابن الأثير: ذروة كل شيء أعلاه. (النهاية ١٥٩/٢).

وأخرجه الترمذي أيضا - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (١٣) سورة يوسف، وضعفه الألباني بلفظ «ذروة» وحسنه بلفظ «ذروة»، وانظر: الصحيحة (١٦١٧)، قال ابن الأثير: الذروة: العدد الكثير - (النهاية ٢١٠/١).

والحديث في الصحيحين مختصرا بلفظ: «يرحم الله لوطا لقد كان يأوي إلى ركن شديد». البخاري (٣٣٨٧)، ومسلم (١٥١).

(١) الأمر غير القدرة، والاستفهام في الآية للإنكار؛ أي كيف تعجبين من قضاء الله وقدره، وتما قدرته وهو لا يستحيل عليه شيء، وإنما أنكروا عليها مع كون ما تعجب من من خوارق العادة لأنها من بيت النبوة، ولا يخفى على مثلها أن هذا من مقدوراته سبحانه؛ فـ ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾.

(٢) روي بعض هذا الحوار عن قتادة السدوسي، وبعضه عن سعيد بن جبير رحمهما الله، ولم يثبت شيء منه مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فالأولى: الاقتصار على الصمم الثابت والإعراض عما لم يثبت وليس في ذكره كثير فائدة.

(٣) أي: ضاق صدره لعدم الخلاص من ذلك المكروه، والأصل فيه أن البعير إذا حمل عليه ضعف ومد عنقه وضاق ذرعه؛ أي: صدره.

(٤) بالرفع قراءة ابن كثير وأبي عمرو.

فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَاءَ أَمْرُنَا بِإِهْلَاكِهِمْ جَمَعْنَا عَلَيْهِمَا أَي: قراهم ﴿٨٢﴾ ﴿سَافِلَهَا﴾ أَي: بأن رفعها جبريل إلى السماء وأسقطها مقلوبة إلى الأرض ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ طِين طين طبع بالنار ﴿مَنْشُورٍ﴾ متتابع. ﴿٨٣﴾ ﴿مُسَوَّمَةٌ﴾ معلمة عليها اسم من يرمى بها ﴿عِنْدَ رَبِّكَ﴾ ظرف لها ﴿وَمَا هِيَ﴾ الحجارة أو بلادهم ﴿مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ أَي: أهل مكة ﴿بِيعِيدٍ﴾. ﴿٨٤﴾ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا﴾ إلى مَدِينَةٍ أَنَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَقُولُ أَتَعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ ﴿مَا لَكُمْ مِّنَ اللَّهِ عِبْرَةٌ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ﴾ إِنِّي أَرْسَلْتُكُمْ بِغَيْرِكُمْ نعمة تنعيمكم عن التطفيف ﴿وَإِنِّي أَنَا أَنَا عَلَيْكُمْ﴾ إن لم تؤمنوا ﴿عَذَابَ يَوْمٍ يُحْطِطُ﴾ بكم، يهلككم، ووصف اليوم به مجاز؛ لوقوعه فيه. ﴿٨٥﴾ ﴿وَيَنْقُورُ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ﴾ أتموهما ﴿بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿وَلَا يَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ لا تنقصوهم من حقهم شيئا ﴿وَلَا تَعْتُوا﴾ في الأرض مفسدين بالقتل وغيره؛ من (عقبي) بكسر اللام: أفسد، ومفسدين حال مؤكدة لمعنى عاملها ﴿تَعْتُوا﴾. ﴿٨٦﴾ ﴿بَقِيَّتُ اللَّهِ﴾ رزقه الباقي لكم بعد إيفاء الكيل والوزن ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من البخس ﴿إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِمِخْفِطٍ رقيب أجازيكم بأعمالكم، إنما بعثت نذيرا. ﴿٨٧﴾ ﴿قَالُوا﴾ له استهزاء: ﴿يَنْشَعِبُ أَصْلُوكَ تَأْمُرُكَ﴾ بتكليف ﴿أَنْ تَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ من الأصنام ﴿أَوْ﴾ نترك ﴿أَنْ تَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ﴾؟ المعنى: هذا أمر باطل لا يدعو إليه داع بخير ﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ قالوا ذلك استهزاء. ﴿٨٨﴾ ﴿قَالَ يَقُولُ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيْنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ حلالا، فأشوبه بالحرام من البخس والتطفيف؟! ﴿وَمَا أَرِيدُ أَنْ أَخَالِفَكُمْ﴾ وأذهب ﴿إِلَى مَا أَنْتُمْ عَنْهُ﴾^(٥) فارتكبه ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ﴾ لكم بالعدل ﴿مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي﴾ قدرتي على ذلك وغيره من الطاعات ﴿إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ أرجع.

(٥) فائدة: أخرج أحمد عن مسروق أن امرأة جاءت إلى ابن مسعود فقالت: أنبت أنك تنهى عن الواصلة؟ قال: نعم ... الحديث، وفيه: قالت المرأة: فعله في بعض سائلك؟! قال: ادخلي. فدخلت ثم خرجت، فقالت: ما رأيت بأشأ. قال: ما حفظك إذن وصية العبد الصالح: ﴿وَمَا أَرِيدُ أَنْ أَخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْتُمْ عَنْهُ﴾. المسند (٤١٤/١ - ٤١٥)، وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح (٣٩٤٥). وقوى الأرنؤوط إسناده في تخريجه على المسند (٣٩٤٥) (٥٨/٧). وأصله في الصحيحين؛ البخاري (٤٨٨٦)، ومسلم (٢١٢٥).

﴿يَجْرِمُ﴾، والضمير مفعول أول، والثاني (١): ﴿أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ﴾ من العذاب ﴿وَمَا قَوْمٌ لُوطٍ﴾ أي: منازلهم أو زمن هلاكهم ﴿يُنصِبُكُمْ﴾ بـ﴿يَجْرِمُ﴾ فاعتبروا.

[٩٠] ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ نُوحُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ﴾ بالمؤمنين ﴿وَدُودٌ﴾ محب لهم.

[٩١] ﴿قَالُوا﴾ إبداناً بقلة المبالاة: ﴿يَشْعَبُ مَا تَقَعُهُ﴾ نفهم ﴿كثيراً﴾ ومما نقول وإنا لرتبك فينا صعباً ذليلاً ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ﴾ عشيرتك ﴿لَرَجَمْنَاكَ﴾ بالحجارة ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعِزِّيرٍ﴾ كريم عن الرجم، وإنما رهطك هم الأعره.

[٩٢] ﴿قَالَ يَقَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ فتركوا قلتي لأجلهم ولا تحفظوني لله ﴿وَأَخَذْتُمُوهُ﴾ أي: الله ﴿وَرَأَيْتُمْ ظَهْرِي﴾ منبؤداً خلف ظهوركم لا تراقبونه ﴿إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ علماً فيجازيكم.

[٩٣] ﴿وَيَقَوْمِ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ حالكم ﴿إِنِّي عَمِلٌ﴾ على حالتي ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ مِنْ﴾ موصولة مفعول العلم ﴿بِأَيِّهِ عَذَابٌ يُجْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَذِبٌ وَأَرْسَلْنَا قُرْيُونَكَ﴾ انتظروا عاقبة أمركم ﴿إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾ منظر.

[٩٤] ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ بإهلاكهم ﴿بَجَيْنًا شَعْبِيًّا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ﴾ صاح بهم جبريل ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دِيَرِهِمْ جُثثٍ﴾ باركين على الركب ميتين.

[٩٥] ﴿كَانَ﴾ مخففة؛ أي: كأنهم ﴿لَمْ يَتَوَّأ﴾ يقيموا ﴿فِيهَا إِلَّا بَعْدًا لَعْنَيْنِ كَمَا بَعَدَتْ نَمُودٌ﴾.

[٩٦] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَنٍ مُّبِينٍ﴾ برهان بين ظاهر.

[٩٧] ﴿إِلَّا فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾ فأتبعوا أمر فرعون ﴿وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ برشيد سديد.

وَيَقَوْمٍ لَا يُجْرِمُكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمٌ لُوطٍ مِنْكُمْ بِعَمِيدٍ ﴿٩٠﴾ وَأَسْتَغْفِرُ وَأَرْبُكُمْ ثُمَّ نُوحُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩١﴾ قَالُوا أَوَيْسُ عِيبٍ مَا نَفَعَهُ كَثِيرًا مِمَّا نَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعِزِّينِ ﴿٩٢﴾ قَالَ يَقَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَأَخَذْتُمُوهُ وَرَأَيْتُمْ ظَهْرِي إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٣﴾ وَيَقَوْمِ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَمِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مِنْ بَيَاتِهِ عَذَابٌ يُجْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَذِبٌ وَأَرْسَلْنَا إِيَّاهُ مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٤﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شَعْبِيًّا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَرِهِمْ جُثثٍ مِثْلِ طَرَبُوحٍ ﴿٩٥﴾ كَانُوا فِيهَا إِلَّا بَعْدًا لَعْنَيْنِ ﴿٩٦﴾ وَأَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَنٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٨﴾

[٨٩] ﴿وَيَقَوْمٍ لَا يُجْرِمُكُمْ﴾ بـ﴿يُكْسِبُكُمْ﴾ (١) ﴿شِقَاقِي﴾ خلافي فاعل

(١) هذا هو قول الزجاج. وقال الحسن البصري وقادة: «يحملكم».

(٢) أي المفعول الثاني هو: المصدر المؤنن من جملة.

[٩٨] ﴿يَقْدُمُ﴾ يتقدم ﴿قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ فيبعونه كما اتبعوه في الدنيا ﴿فَأُورِدَهُمْ﴾ أدخلهم ﴿النَّارَ وَيَسَّرَ الْوُرُودَ﴾ هي.

[٩٩] ﴿وَأُتِمُّوا فِي هَذِهِ﴾ أي: الدنيا ﴿لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ لعنة ﴿يَسَّرَ﴾ أَلْفَرُودُ العون ﴿الْمُرُودُ﴾ رفدهم.

[١٠٠] ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور مبتدأ خبره: ﴿مِنَ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقِصَةُ عَلِيكَ﴾ يا محمد ﴿مِنْهَا﴾ أي: القرى ﴿فَقَاتِمٌ﴾ هلك أهله دونه ﴿وَرَبٌّ﴾ منها ﴿حَصِيدٌ﴾ هلك بأهله فلا أثر له كالزرع المحصود بالمناجل.

[١٠١] ﴿وَمَا ظَلَمْتَهُمْ﴾ بإهلاكهم بغير ذنب ﴿وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بالشرك ﴿فَمَا أَغْنَتْ﴾ دفعت ﴿عَنْهُمْ﴾ إِلَيْهِمْ أَنِّي يَدْعُونَ ﴿يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿مِنْ رَبِّكَ﴾ زائدة ﴿شَيْءٌ لَّمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ عذابه ﴿وَمَا زَادُوهُمْ﴾ بعبادتهم لها ﴿غَيْرَ تَنْبِيءٍ﴾ تخسير.

[١٠٢] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ مثل ذلك الأخذ ﴿أَخَذَ رَبُّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى﴾ أريد أهلها ﴿وَهِيَ ظَلِيمَةٌ﴾ بالذنوب أي فلا يغني عنهم من أخذه شيء ﴿إِنَّ أَخَذَهُ﴾ أَلَيْسَ شَدِيدٌ روى الشيخان عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لِيَمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يَفْلِتْهُ﴾ ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿وَكَذَلِكَ أَخَذَ رَبُّكَ﴾ الآية (١).

[١٠٣] ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور من القصص ﴿لَايَةً لِّعِبْرَةٍ لِّمَن كَانَ عَدَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ﴾ أي: يوم القيامة ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ لَهُ﴾ فِيهِ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمَ مَسْهُودٍ يشهده جميع الخلائق.

[١٠٤] ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مُّعَدَّدٍ﴾ لوقت معلوم عند الله.

[١٠٥] ﴿يَوْمَ يَأْتُ﴾ ذلك اليوم ﴿لَا تَسْكُمُ﴾ فيه حذف إحدى التاءين ﴿نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ تعالى ﴿فَيُنْفِثُ﴾ أي: الخلق ﴿شَقِيًّا وَكَمِنْهُمْ﴾ كتب كل في الأزل.

[١٠٦] ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا﴾ في علمه تعالى ﴿فَقِي النَّارَ لَمْ يَبْزُقُوا﴾ صوت شديد ﴿وَسَهَقُوا﴾ صوت ضعيف (٢).

[١٠٧] ﴿خَلِيدِينَ﴾ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ ﴿أَي: مَدَّة دَوَامِهِمَا فِي الدُّنْيَا﴾ إِلَّا ﴿غَيْرَ مَا سَاءَ رَبُّكَ﴾ من الزيادة على مدهمتها مما لا ينتهي له (٣)، والمعنى: خالدين فيها أبداً ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَالَ لِمَا يُرِيدُ﴾

يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأُورِدَهُمُ النَّارَ وَيَسَّرَ الْوُرُودَ الْمُرُودَ (٩٨) وَأُتِمُّوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِسَّرَ الرَّفْدَ الْمُرُودَ (٩٩) ذَلِكَ مِنَ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقِصُهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَاتِمٌ وَحَصِيدٌ (١٠٠) وَمَا ظَلَمْتَهُمْ وَلَا كِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آيَاتُنَا الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَّمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَنْبِيءٍ (١٠١) وَكَذَلِكَ أَخَذَ رَبُّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخَذَهُ أَلَيْسَ شَدِيدٌ (١٠٢) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَن كَانَ عَدَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمَ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمَ مَسْهُودٍ (١٠٣) وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مُّعَدَّدٍ (١٠٤) يَوْمَ يَأْتُ النَّاسَ الشَّقِيُّ وَالسَّقِيُّ (١٠٥) وَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَالَ لِمَا يُرِيدُ (١٠٦) وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُودٍ (١٠٧)

[١٠٨] ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا﴾ بفتح السين (٤) وضمها ﴿فَقِي الْجَنَّةِ﴾ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا ﴿غَيْرَ مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ كما تقدم، ودل عليه فيهم قوله: ﴿عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُودٍ﴾ مقطوع، وما تقدم من التأويل هو الذي ظهر وهو خال من التكلف، والله أعلم بمراده.

(٥) فائدة: أخرج الترمذي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿فَيُنْفِثُ شَقِيًّا وَسَقِيًّا﴾ سألت رسول الله ﷺ قلت: يا نبي الله، فلام نعمل؟ على شيء، قد فرغ منه، أو على شيء لم يفرغ منه؟ قال: بلى على شيء قد فرغ منه، وجرى به الأقاليم يا عمر، ولكن كل ميسر لما خلق له. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (١٢) سورة هود. وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٤٨٦).

(١) البخاري (٥٢٦) واللفظ له، ومسلم (٢٧٦٣).

(٢) روي هذا التفسير عن ابن عباس، وقيل غير ذلك. وأصل «الزفير» هو: أول صوت الحمار، و«الشهيق»: آخره، وكلاهما يصدران عن الحمار بقوة وشدة. وهما يصدران عن الإنسان أيضًا خاصة حال تعب وإرهاقه.

(٣) وأكثر علماء السلف والخلف أن الاستثناء عائد على العصاة من أهل التوحيد ممن يخرجهم الله من النار بشفاعة الشافعين ثم برحمته. شيفخانه، وأما قوله: ﴿مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ [هود: ١٠٧] فجزئياً على عادة العرب في إعادة الدوام بذلك، أو المراد جنس السماوات والأرض؛ لأنه لا بد في عالم الآخرة أيضًا من سماوات وأرض.

(٤) بالفتح قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة.

بالتصديق والتكذيب كالقرآن ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾
بتأخير الحساب والجزاء للخلائق إلى يوم القيامة ﴿لَقُنِيَ بِبَنِيهِمْ﴾ في الدنيا
فيما اختلفوا فيه ﴿وَأَنبَأَهُمْ﴾ أي: المكذبين به ﴿لَقِي شَكَّ مِنْهُ مَرْسِبٍ﴾ موقع
في الرية.

[١١١] ﴿وَأَن﴾ بالتخفيف والتشديد^(١) ﴿كَلَامًا﴾ كل الخلائق
﴿لَمَّا﴾ «ما» زائدة، واللام موطئة لقسم مقدر، أو فارقة^(٢)، وفي قراءة:
بتشديد «لما» بمعنى «إلا» ف«إن»^(٣) نافية ﴿لَقُنِيَ بِبَنِيهِمْ رَبُّكَ أَعْمَلَهُمْ﴾ أي:
جزاءها ﴿إِنَّهُ يَمَّا يَعْمَلُونَ خَيْرًا﴾ عالم بواطنه كظواهره.

[١١٢] ﴿فَأَسْتَقِمَّ كَمَا أَمَرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا﴾
ليستقم ﴿مَنْ تَابَ﴾ آمن ﴿مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا﴾ تجاوزوا حدود الله ﴿إِنَّهُ يَمَّا
تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيجازيك به.

[١١٣] ﴿وَلَا تَرْكَبُوا﴾ قبلوا ﴿إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بمودة أو مهادنة أو رضا
بأعمالهم ﴿فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ
غیره ﴿مَنْ زَادَهُ أَوْلِيَاءَ﴾ يحفظونكم منه ﴿ثُمَّ لَا تَنْصُرُونَ﴾ تمنعون
من عذابه.

[١١٤] ﴿وَأَقْرِبَ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ﴾ الغداة والعشي؛ أي: الصباح
والظهر والعصر ﴿وَرُفُقًا﴾ جمع زلفه؛ أي: طائفة ﴿بَيْنَ أَيْلٍ﴾ المغرب
والعشاء ﴿إِنَّ أَلْسِنَتِكُمْ﴾ كالصلوات الخمس ﴿يُدْهِنُ السَّيِّئَاتِ﴾ الذنوب
الصغائر، نزلت^(٤) فيمن قُتِلَ أُجْنِبِيَّةً فأخبره النبي ﷺ فقال: ألي هذا؟ فقال:
«لجميع أمي كلهم» رواه الشيخان^(٥) ﴿ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّكْرِيِّ﴾ عظة
للمتعظين.

[١١٥] ﴿وَأَصْرِي﴾ يا محمد على أذى قومك، أو على الصلاة ﴿فَإِنَّ اللَّهَ
لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ بالصبر على الطاعة.

[١١٦] ﴿فَلَوْلَا﴾ فهلا ﴿كَانَ مِنَ الْقُرُونِ﴾ الأمم الماضية ﴿مَنْ قَبْلِكُمْ
أُولُوا بَقِيَّةٍ﴾ أصحاب دين وفضل ﴿يَتَّبِعُونَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ﴾ المراد به
النفي؛ أي: ما كان فيهم ذلك ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿فَلَيْلًا وَمَنْ أُنْجِنَا مِنْهُمْ﴾
نهبوا فنجوا، و«من» الليبان ﴿وَأَتَمَّكَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بالفساد وترك النهي
﴿مَا أَتْرَفُوا﴾ نعموا ﴿فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾.

[١١٧] ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾
مُصْلِحُونَ﴾ مؤمنون.

فَلَا تَأْكُفِي مَرِيَّةٍ مِمَّا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ
ءَابَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَمَوْفُونَ بِمَا نَعْبُدُهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ
﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَأَخْلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ
سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُنِيَ بَنِيهِمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَرِيْبٍ
﴿وَأَن كَلَّمَ لَمَّا لَوْفِيَّتْهُمْ رَبُّكَ أَعْمَلَهُمْ إِنَّهُ يَمَّا يَعْمَلُونَ
خَيْرًا﴾ ﴿فَأَسْتَقِمَّ كَمَا أَمَرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا
إِنَّهُ يَمَّا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ﴿وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا
فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ
لَا تَنْصُرُونَ﴾ ﴿وَأَقْرِبَ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَرُفُقًا مَنِ
أَيْلٍ إِنَّ أَلْسِنَتِكُمْ يُدْهِنُ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرِي
لِلذَّكْرِيِّ﴾ ﴿وَأَصْرِي فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ
﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَتَّبِعُونَ
عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ
الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أَتْرَفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ ﴿وَمَا
كَانَ رَبُّكَ لِیُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾

[١٠٩] ﴿فَلَا تَأْكُ﴾ يا محمد ﴿فِي مَرِيَّةٍ﴾ شك ﴿مِمَّا يَعْبُدُ هَتُولًا﴾
من الأصنام، إننا نعذبهم كما عذبنا من قبلهم، وهذا تسلية للنبي ﷺ ﴿مَا
يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَاؤُهُمْ﴾ أي: كعبادتهم ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ وقد عذبناهم
﴿وَإِنَّا لَمَوْفُونَ بِمَا نَعْبُدُهُمْ﴾ مثلهم ﴿تَصْبِيهِمْ﴾ حظهم من العذاب ﴿غَيْرَ مَنْقُوصٍ﴾
أي: نائلاً.

[١١٠] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿فَأَخْلَفَ فِيهِ﴾

(٥) ما جاء في نزول الآية (١١٤): أخرج البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه، أن رجلاً أصاب من امرأة قيلة، فأتى رسول الله ﷺ فذكر ذلك له، فأثرت عليه: ﴿وَأَقْرِبَ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَرُفُقًا مَنِ أَيْلٍ إِنَّ أَلْسِنَتِكُمْ يُدْهِنُ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّكْرِيِّ﴾. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) - سورة هود (١١) باب (٥).

(١) بالتخفيف قراءة نافع وابن كثير وشعبة.

(٢) أي بين «إن» المهمله والنافية.

(٣) على قراءة التخفيف، وقرأها بالتخفيف نافع وابن كثير وأبو عمرو والكسائي.

(٤) البخاري (٥٢٦)، ومسلم (٢٧٦٣) عن ابن مسعود.

أُمِّ الْقَمَرِ أَبُوكَ ﴿٦﴾ إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٧﴾ ظاهر العداوة.

[٦] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما رأيت ﴿يَجْتَبِيكَ﴾ يختارك ﴿رَبِّكَ﴾ ربك ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ تبيير الرؤيا ﴿وَرَبُّهُ يَضْمَعُ عَلَيْكَ﴾ بالنبوة ﴿وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ﴾ أولاده ﴿كَمَا أَنْتَمَهَا﴾ بالنبوة ﴿عَلَى أَبِيكَ مِنْ قَبْلِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ﴾ بخلقه ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه بهم.

[٧] ﴿لَقَدْ كَانَ فِي﴾ خبر ﴿يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ﴾ وهم أحد عشر ﴿آيَاتٍ﴾ عبر ﴿لِلنَّاسِ لِيُنذِرَ﴾ عن خيرهم.

[٨] اذكر ﴿إِذْ قَالُوا﴾ أي: بعض إخوة يوسف لبعضهم: ﴿لِيُوسُفَ﴾ مبتدأ ﴿وَأَخُوهُ﴾ شقيقه بنيامين ﴿أَحْسَبُ﴾ خبر ﴿إِلَّا آيَاتِنَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ جماعة ﴿إِنَّ آبَاءَنَا لَنِي ضَالِّينَ﴾ خطأ ﴿فِيهِمْ﴾ بين إيناهما علينا.

[٩] ﴿أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾ أي: بأرض بعيدة ﴿يَجْعَلْ لَكُمْ وِجْهَ أَيْكُمُ﴾ بأن يقبل عليكم ولا يلتفت لغيركم ﴿وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي: بعد قتل يوسف أو طرحه ﴿قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ بأن تتوبوا.

[١٠] ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ﴾ هو يهوذا: ﴿لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ﴾ اطرحوه ﴿فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ﴾ مظلم البر، وفي قراءة بالجمع (١) ﴿يَلْقُظَهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ﴾ المسافرين ﴿إِنْ كُنْتُمْ فَعَلِينَ﴾ ما أردتم من التفريق فاكتفوا بذلك.

[١١] ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْتِنَا عَلَيَّ يُوسُفَ وَإِنَّا لَمُنْصِحُونَ﴾ لقائمون بمصلحه.

[١٢] ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا﴾ إلى الصحراء ﴿فَنُرْتِعَ﴾ نرتع ﴿وَنَلْعَبَ﴾ بالنون والياء (٢) فيهما ننشط ونسبح ﴿وَإِنَّا لَمُنْصِفُونَ﴾.

[١٣] ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنَّ تَذْهَبُوا﴾ أي: ذهابكم ﴿بِيَدِهِ﴾ لفراقه ﴿وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ﴾ المراد به الجنس، وكانت أرضهم كثيرة الذئاب ﴿وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾ مشغولون.

[١٤] ﴿قَالُوا لَيْنَ﴾ لام قسم ﴿أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ جماعة ﴿إِنَّا إِذَا لَخَبِيرُونُ﴾ عاجزون.

قَالَ يَبْنَى لَا تَقْصُرْ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا ۗ إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُنمِّعُ بِعَمَّتِهِ وَعَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَنْتَمَهَا عَلَىٰ أَبِيكَ مِنْ قَبْلِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِلنَّاسِ لِيُنذِرَ ۗ إِذْ قَالُوا لِيُوسُفَ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ آبَاءَنَا لَنِي ضَالِّينَ ﴿٧﴾ أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَجْعَلْ لَكُمْ وِجْهَ أَيْكُمُ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴿٨﴾ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْقُظَهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَعَلِينَ ﴿٩﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْتِنَا عَلَيَّ يُوسُفَ وَإِنَّا لَمُنْصِحُونَ ﴿١٠﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتِعَ وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لَنَخْفِظُونَ ﴿١١﴾ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنَّ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴿١٢﴾ قَالُوا لَيْنَ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذَا لَخَبِيرُونَ ﴿١٤﴾

[٥] ﴿قَالَ يَبْنَى لَا تَقْصُرْ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾ يحتالون في هلاكك؛ حسداً لعلمهم بتأويلها من أنهم الكواكب والشمس

(١) لنافع.

(٢) بالياء مع كسر العين قراءة نافع، وبالنون مع كسرها قراءة ابن كثير، وبالنون مع إسكانها قراءة أبي عمرو وابن عامر، والياء ساكنة في جميع القراءات.

[١٥] فأرسله معهم ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا﴾ عزموا ﴿أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيْبَتِ آلِيهِ﴾ وجواب «لَمَّا» محذوف؛ أي: فعلوا ذلك بأن نزعوا قميصه بعد ضربه وإهانتته وإرادته قتله، وأدلوه، فلما وصل إلى نصف البئر ألقوه لموت فسقط في الماء، ثم أوى إلى صخرة فنادوه فأجابهم يظن رحمتهم فأرادوا رضخه بصخرة فمنعهم بهذا ﴿وَأَرْجَا إِلَيْهِ﴾ في الحب وخشي حقيقة، وله سبع عشرة سنة أو دونها؛ تطمينا لقلبه ﴿لَتَبْتَئْتَهُمْ﴾ بعد اليوم ﴿بِأَمْرِهِمْ﴾ بصنعهم ﴿هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بك حال الإنباء.

[١٦] ﴿وَجَاءَهُ أَبَاهُمْ عِشَاءً﴾ وقت المساء ﴿يَبْكُونَ﴾.

[١٧] ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ﴾ نرسي ﴿وَتَرَكْنَا يُوْسُفَ عِنْدَ مَتْنَعِنَا﴾ ثيابنا ﴿فَأَكَلَهُ الذِّبْذِبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ﴾ بمصدق ﴿لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ عندك لانهمتنا في هذه القصة؛ لمحبة يوسف، فكيف وأنت تسيء الظن بنا^(١).

[١٨] ﴿وَجَاءَهُ عَن قَيْصِرِهِ﴾ محله، نصب على الظرفية؛ أي: فوفاه ﴿يَدْرِكُ كَذِبٌ﴾؛ أي: ذي كذب بأن ذبحوا سخله ولطخوه بدمها وذهلوا عن شقه وقالوا: إنه دمه ﴿قَالَ﴾ يعقوب لما رآه صحيحا وعلم كذبهم: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لِي لَيْتٌ لَكُمْ أَنْ تَشْكُمُ أُمَّرًا﴾ ففعلتموه به ﴿فَصَبَّرْ جَمِيلٌ﴾ لا جرع فيه، وهو خير مبتدا محذوف؛ أي: أمرى ﴿وَأَلَّهَ الْمُسْتَعَانَ﴾ المطلوب منه العون ﴿عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ تذكرون من أمر يوسف.

[١٩] ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ﴾ مسافرون من مدين إلى مصر فنزلوا قريبا من جب يوسف ﴿فَأَرْسَلُوا وَأَرْدَهُمُ﴾ الذي يرد الماء ليستقي منه ﴿فَأَذَلَّ﴾ أرسل ﴿ذُلُّهُ﴾ في البئر فعلق بها يوسف فأخرجه فلما رآه ﴿قَالَ يَا بُشْرَايَ﴾^(٢)، وفي قراءة: ﴿بُشْرَى﴾، ونداؤها مجاز؛ أي: احضري فهذا وقتك ﴿هَذَا عَلَّمَ﴾ فعلم به إخوته فأتوه ﴿وَأَسْرَوْهُ﴾ أي: أحفوا أمره جاعليه ﴿بِضْعَةٍ﴾ بأن قالوا: هذا عبدنا أبق، وسكت يوسف؛ خوفاً من أن يقتلوه^(٣) ﴿وَأَلَّهَ عِيْدُهُ يَمَا يَمْلُوكُ﴾.

[٢٠] ﴿وَشَرَّوهُ﴾ باعوه منهم ﴿بِشَرْبِ بَحْتِينَ﴾ ناقص ﴿ذَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾ عشرين أو اثنين وعشرين ﴿وَكَانُوا﴾ أي: إخوته^(٤) ﴿فِيهِ مِنْ آلِ زَاهِرِينَ﴾ فجاءت به السيارة إلى مصر فباعه الذي اشتراه بعشرين دينارا وزوجي نعل وثوبين.

[٢١] ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ﴾ وهو قطفير العزيز ﴿لَأَمْرَأَةٍ زَلِيخَا﴾ أي: أميرة من مصر ﴿مَقَامَهُ عِنْدَنَا﴾ عسى أن ينفعنا أو ننجدكم ولداً ﴿وَكَانَ حَصُورًا﴾^(٥) ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما نجيناها من القتل والحب وعطفنا عليه قلب

فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيْبَتِ الْجَبِّ وَأَرْجَا إِلَيْهِ لَتَبْتَئْتَهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَاءَهُ أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتْنَعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّبْذِبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَاءَهُ وَعَلَى قَمِيصِهِ يَدِيرُ كَذِبٌ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبَّرْ جَمِيلٌ ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ وَقَالَ الْيَهُودِيُّ هَذَا عَلْمٌ وَاسْرُوهْ بِضْعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَشَرَّوهُ بِشَمَنْ بَحْتِينَ ذَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِرِينَ ﴿٢١﴾ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لَأَمْرَأَةٍ زَلِيخَا مِنْ مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَوَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَانًا لِْيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَآتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجَّيْنَا الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣﴾

العزيز ﴿مَكَانًا لِْيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾ أرض مصر حتى بلغ ما بلغ ﴿وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ تعبير الرؤيا، عطف على مقدر متعلق بـ ﴿مَكَانًا﴾ أي: لملكه أو الواو زائدة ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ عَلَى أَمْرِهِ﴾ تعالى، لا يعجزه شيء ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ وهم الكفار ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك.

[٢٢] ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ وهو ثلاثون سنة أو: وثلاث ﴿وَأَتَيْنَاهُ حُكْمًا﴾ حكمة ﴿وَعِلْمًا﴾ فقها في الدين قبل أن يبعث نبيا ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما جزيناه ﴿نَجَّيْنَا الْمُحْسِنِينَ﴾ لأنفسهم.

(١) هذا الكلام قدَّرَه المؤلف إشارة إلى أن ﴿ذُلُّهُ﴾ شرطية وجوابها محذوف، والأقرب جعل الواو حالية و﴿ذُلُّهُ﴾ زائدة.

(٢) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

(٣) والقول الآخر: أي أسره الواردون من بقية السيارة، وقالوا: اشتريناه من أصحاب الماء وهو الظاهر؛ أي أن الذين أسروه بضاعة وشروه بثمن بخس هم السيارة؛ أي المسافرين من القافلة، واشتراه منهم رجل من أهل مصر؛ فلم يقع بيعه وشراؤه إلا مرة واحدة.

(٤) وهذا على القول الأول، وعلى القول الآخر: يكون الضمير عائداً إلى السيارة، ويكون زهدهم فيه؛ لخوفهم من إيائهم كما زعم إخوته.

(٥) أي: لا يأتي النساء أو عقيما، والضمير يعود إلى العزيز.

الشأن ﴿لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ الزناة.

[٢٤] ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ يَوْسُفَ﴾ قصدت منه الجماع ﴿وَهُمَّ بِهَا﴾ قصد ذلك^(١) ﴿لَوْلَا أَن رَّآهُ بُرْهَنَ رَبِّهِ﴾ قال ابن عباس: مثل له يعقوب فضرب صدره فخرجت شهوته من أنامله^(٢)، وجواب «لولا»: لجامعها ﴿كَذَلِكَ﴾ أريناه البرهان ﴿لِيُصْرِفَ عَنْهُ الشَّرَّ﴾ الخيانة ﴿وَالْفَحْشَاءَ﴾ الزنا ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلِصِينَ﴾^(٣) في الطاعة، وفي قراءة بفتح اللام، أي: المختارين.

[٢٥] ﴿وَأَسْتَبَقَا الْآبَابَ﴾ بادر إليه يوسف للفرار، وهي للتشبث به فأمسكت ثوبه وجذبت به إليها ﴿وَقَدَّتْ﴾ شقت ﴿فَقَيْصُمُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيْقَا﴾ وجدا ﴿سَيْدَهَا﴾ زوجها ﴿لِذَا الْآبَابِ﴾ فنزعت نفسها ثم ﴿قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا﴾ زنا ﴿إِلَّا أَنْ يُسَجَّنَ﴾ يحبس في سجن ﴿أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم بأن يضرب.

[٢٦] ﴿قَالَ﴾ يوسف متبرئاً: ﴿هِيَ رَوَدَّتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا﴾ ابن عمها، روي أنه كان في المهد^(٤) فقال: ﴿إِنْ كَانَتْ قَيْصُمُ قَدْ مِنْ قُبُلٍ﴾ قدام ﴿فَصَدَّقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾.

[٢٧] ﴿وَإِنْ كَانَتْ قَيْصُمُ قَدْ مِنْ دُبُرٍ﴾ خلف ﴿فَكَذَّبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾.

[٢٨] ﴿فَلَمَّا رَأَتْ﴾ زوجها ﴿قَيْصُمُ قَدْ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ﴾ أي: فولد: ﴿مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ﴾ إلخ ﴿مِنْ كَيْدِكُنَّ﴾ أيها النساء ﴿إِنْ كَيْدِكُنَّ عَظِيمٌ﴾.

[٢٩] ثم قال: يا ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ الأمر ولا تذكره لئلا يشيع ﴿وَأَسْتَغْفِرِي﴾ يا زليخا ﴿لِذَلِكَ إِنَّكَ كُنْتَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ الآثمين. واشتهر الخبر وشاع.

[٣٠] ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ﴾ مدينة مصر: ﴿أَمْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا﴾ عبداً ﴿عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ تميز؛ أي: دخل حبه شغاف قلبها؛ أي: غلافه ﴿إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ أي: في خطأ ﴿بُيُوتٍ﴾ بين بحبها إياه.

رَوَدَّتْهُ أَلَّتِي هَوَى فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَعَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٤﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنَّ رَأَى بُرْهَنَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِيُصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلِصِينَ ﴿٢٥﴾ وَأَسْتَبَقَا الْآبَابَ وَقَدَّتْ قَيْصُمُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيْقَا سَيْدَهَا لِذَا الْآبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسَجَّنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٦﴾ قَالَ هِيَ رَوَدَّتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَتْ قَيْصُمُ وَقَدْ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَّقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾ وَإِنْ كَانَتْ قَيْصُمُ وَقَدْ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَّبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٨﴾ فَلَمَّا رَأَتْ أَقْمِيصَهُ وَقَدْ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنْ كَيْدِكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٩﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَأَسْتَغْفِرِي لِذَلِكَ إِنَّكَ كُنْتَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٠﴾ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ أَمْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٣١﴾

[٢٣] ﴿رَوَدَّتْهُ أَلَّتِي هَوَى فِي بَيْتِهَا﴾ هي زليخا ﴿عَنْ نَفْسِهِ﴾ أي: طلبت منه أن يواقعها ﴿وَعَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ﴾ للبيت ﴿وَقَالَتْ﴾ له: ﴿هَيْتَ لَكَ﴾ أي: هلم، واللام للتبيين، وفي قراءة بكسر الهاء^(١)، وأخرى بضم التاء^(٢) ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ﴾ أعوذ بالله من ذلك ﴿إِنَّهُ﴾ الذي اشتراكي ﴿رَبِّي﴾ سيدي^(٣) ﴿أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾ مقامي فلا أخونه في أهله ﴿إِنَّهُ﴾ أي:

(١) لنافع وابن عامر.

(٢) أي مع فتح الهاء، وهي لابن كثير، وذكر المصنف ثلاث قراءات وكلها سبعة، وبقي قراءتان لهشام هما: ﴿هَيْتُ﴾ بكسر الهاء والهمزة الساكنة وفتح التاء أو ضمها.

(٣) والقول الآخر أنه الرب على ظاهره وهو الله ﷻ.

(٤) معاذ الله أن ينسب مثل هذا الهم لربي كريم مع أن الله ﷻ أثبت براته في أكثر من خمسة مواضع من القصة ذاتها، وجمهور القراء على الوقف عند قوله - تعالى -: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ يَوْسُفَ﴾، ومعناه: إرادة الفاحشة، وأما همُّ بها فمفني؛ لوجود برهان ربه، وهذا سائق في اللغة؛ إذ يجوز تقديم جواب «لولا» أن رأى برهان ربه لهم بها، ونظيره قوله - تعالى -: ﴿إِنْ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطُورٍ يَبُوءَ لَوْلَا أَنْ نُرِيَهُمْ عَلَيَّ جُتَاةً﴾. ورجح طائفة من المفسرين أن المراد بهمة التفتُّة مجرد خاطر طراً عليه بمقتضى الجيلة البشرية، ثم دفعه وصرفه الله عنه بمقتضى العصمة النبوية... وهذا القول أحسن ما قيل في تفسير الآية.

(٥) وهذه الرواية من الإسرائيليات المردودة التي لا تليق بنبي كريم.

(٦) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بكسر اللام، والباقون بفتحها.

(٧) أخرج ذلك أحمد والبيهقي وغيرهما عن ابن عباس.

[٣١] ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ غَشِيتهن لها ﴿أرسلت إليهن وأعدت لهن مكركن﴾ وأعدت ﴿لهن مكركن﴾ طعاما يقطع بالسكين؛ للاتكاء عنده^(١) وهو الأورج ﴿وأنست﴾ أعطت ﴿كل وجدة فيهن بيكنا وكالت﴾ ليوسف: ﴿أخرج عليهن فلما رأتهن أكبرته﴾ أعظمته ﴿وقطنن أيههن﴾ بالسكاكين، ولم يشعرن بالألم؛ لشغل قلبهن بيوسف ﴿وقطنن حش لله﴾ تنزيها له ﴿ما هذا﴾ أي: يوسف ﴿بشرا إن﴾ ما ﴿هذا إلا ملك كريم﴾ لما حواه من الحسن الذي لا يكون عادة في النسمة البشرية، وفي الحديث: «أنه أعطي شطر الحسن»^(٢).

[٣٢] ﴿قالت﴾ امرأة العزيز لما رأت ما حل بهن: ﴿فذلكن﴾ فهذا هو الذي لمنتني فيه في حبه، بيان لعذرها ﴿ولقد رددتني عن نفسيه فاستصم﴾ امتنع ﴿ولكن لم يفعل ما أمرت به﴾ به ﴿ليسجنن وليكونن من السجينين﴾ الذليلين؛ فقلن له: أطع مولاتك.

[٣٣] ﴿قال رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه وإلا تصرف عني كيدهن أصب﴾ أبل ﴿إيهن وأكن﴾ أصبر ﴿من الجهيلين﴾ المذنبين، والقصد بذلك الدعاء؛ فلذا قال تعالى: [٣٤] ﴿فاستجاب لهم ربهم﴾ دعاه ﴿فصرف عنه كيدهن إنه هو السميع﴾ للقول ﴿العليم﴾ بالفعل.

[٣٥] ﴿ثم بدا﴾ ظهر ﴿لهم من بعد ما رأوا الآيات﴾ الدالات على براءة يوسف أن يسجنوه، دل على هذا: ﴿ليسجننه حتى﴾ إلى ﴿حين﴾ ينقطع فيه كلام الناس.

[٣٦] ﴿فسجنن﴾ ودخل معه السجن فتيانان ﴿غلامان للملك؛ أحدهما سابقه، والآخر صاحب طعامه، فرأياه يعبر الرؤيا، قالوا: لنختبرنه﴾ وقال أحدهما ﴿وهو الساقى﴾: ﴿إني أرئني أصبر حمرا﴾ أي: عنتا ﴿وقال الآخر﴾ وهو صاحب الطعام: ﴿إني أرئني أحمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه يتنا﴾ خبرنا ﴿بتأويله﴾ بتعبيره ﴿إننا نرئك من المحسنين﴾.

[٣٧] ﴿قال﴾ لهما مخبرا أنه عالم بتعبير الرؤيا: ﴿لا يأتيكما طعام﴾ ترزقايه ﴿في منامكما﴾ في اليقظة ﴿فبئ أن يأتيكما تأويله﴾ ذلك كما وما علمني ربي في حث على إيمانهما، ثم قواه

فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْدَدَتْ لِهِنَّ مَكْرًا وَآتَتْ كُلَّ وَجْدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتْ أُخْرِجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَتْهُنَّ أَكْبَرْتَهُ وَقَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رُودْتُهُ بِعَنْ نَّفْسِيهِ فَاستَصَمَّتْ وَلَئِنْ لَّمْ يَقْعَلْ مَا أَمَرْتُهُ لَئِسْتُ مِنَ الصَّغِيرَاتِ ﴿٣٢﴾ قَالَتْ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِن بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيْسَ جُنْدًا مِنَّا وَلَئِنْ لَّمْ يَدْعُوا لِحُجَّتِهِمْ أَصْبَحُوا مَنكُوبِينَ ﴿٣٥﴾ قَالُوا يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَإِنَّ رَأْيَكُمْ قَابَ قَوْسَيْنِ ﴿٣٦﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكِ وَلَا يُبَدِّلْ حَقِّكَ مِن مَّا آتَاكَ مِن رَبِّكَ إِنَّكَ أَتَقْوَىٰ ﴿٣٧﴾

بقوله: ﴿إني تركت ملة﴾ دين ﴿قومي لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم﴾ تأكيد ﴿كفرون﴾.

(١) سمي الطعام بذلك؛ لأنه يترك أوجعا عنده على عادة المتكبرين من أكل الفواكه حال الاتكاء.
(٢) رواه مسلم (١٦٢) عن أنس بن مالك مرفوعا.

فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ وهم الكفار ﴿لا يشكرون﴾ الله فيشركون.

[٣٩] ثم صرح بدعائهما إلى الإيمان فقال: ﴿يَصْحَبِي﴾ ساكني ﴿السِّجْنِ﴾ أربابٌ مُتَّفِقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَّاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٨﴾ خير؟ استفهام تقرير.

[٤٠] ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ﴾ أي: غيره ﴿إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا﴾ سميتم بها أصناما ﴿أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا﴾ بعبادتها ﴿مِنْ سُلْطَانٍ﴾ حجة وبرهان ﴿إِنْ﴾ ما ﴿الْحُكْمُ﴾ القضاء ﴿إِلَّا لِلَّهِ﴾ وحده ﴿أَمَرَ الْأَلَمَدُونَ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ ذَلِكَ ﴿التَّوْحِيدُ﴾ الَّذِينَ الْقَسَمُ ﴿المستقيم﴾ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ ﴿وهم الكفار﴾ لا يَعْلَمُونَ ﴿ما يصيرون إليه من العذاب فيشركون﴾.

[٤١] ﴿يَصْحَبِي السِّجْنِ﴾ أَنَا أَحَدُكُمْ أَي: الساقى فيخرج بعد ثلاث ﴿فَيَسْقِي رَبِّي﴾ سيده ﴿خَمْرًا﴾ على عادته ﴿وَأَمَّا الْآخِرُ﴾ فيخرج بعد ثلاث ﴿فَيَصْلُبُ فَتَأْكُلُ الظِّلْمُ مِنْ رَأْسِهِ﴾ هذا تأويل رؤيا كما، فقلا: ما رأينا شيئاً^(١)، فقال: ﴿فُضِي﴾ تم ﴿الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ سألتما عنه صدقتما أم كذبتما.

[٤٢] ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا﴾ وهو الساقى: ﴿أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ سيدك قل له: إن في السجن غلاما محبوبا ظلما، فخرج ﴿فَأَنْسَنَهُ﴾ أي: الساقى ﴿السَّيِّطَلْنَ ذَكَرَ﴾ يوسف عند ﴿رَبِّهِ فَلْيَبِئْ﴾ مكث يوسف ﴿فِي السِّجْنِ يَضَعُ سِنِينَ﴾ قيل: سبعا، وقيل: اثنتي عشرة.

[٤٣] ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ﴾ ملك مصر الريان بن الوليد: ﴿إِنِّي أَرَى﴾ أي: رأيت ﴿سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ﴾ يتلعهن ﴿سَبْعَ﴾ من البقر ﴿عِجَافٍ﴾ جمع عجفاء ﴿وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ﴾ أي: سبع سنبلات ﴿يَأْبِسْنَ﴾ قد التوت على الخضرة وعلت عليها ﴿يَأْتِيهَا الْمَلَأُ أَفْتُونًا فِي رُبْعِيِّ﴾ ينوالي تعبيرها ﴿إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ فاعبروها.

وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي ابْرَهِيمَ وَاسْحَقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نَشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَصْحَبِي السِّجْنِ أَرْبَابٌ مُتَّفِقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَّاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الَّذِينَ الْقَسِمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَصْحَبِي السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمْ مَا فَيَسْقِي رَبِّي وَخَمْرًا وَأَمَّا الْآخِرُ فَيَصْلُبُ فَتَأْكُلُ الظِّلْمُ مِنْ رَأْسِهِ فُضِي الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا أذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَنَهُ السَّيِّطَلْنَ ذَكَرَ رَبِّيهِ فَلْيَبِئْ فِي السِّجْنِ يَضَعُ سِنِينَ ﴿٤٢﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعَ عِجَافٍ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَأْبِسْنَ يَأْتِيهَا الْمَلَأُ أَفْتُونًا فِي رُبْعِيِّ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾

[٣٨] ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي ابْرَهِيمَ وَاسْحَقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ﴾ ينبغي ﴿لَنَا أَنْ نَشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ زائدة ﴿فُضِي﴾ لعصمتنا ﴿ذَلِكَ﴾ التوحيد ﴿مِنْ

(١) هذا أحد القولين، والقول الآخر: أنهما رأيا ذلك حقيقة، وهو الصحيح لظاهر القرآن.

[٤٤] ﴿قَالُوا﴾: هذه ﴿أَضَعْتُمْ أَهْلَكُمْ﴾ أخلاق ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَهْلَمِ بِعِلْمَيْنِ﴾.

[٤٥] ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنْتِكُمْ بِتَأْوِيلِهِ﴾ وهو الساقى ﴿وَأَذْكُرُ﴾ فيه إبدال التاء في الأصل دالاً وإدغامها في الدال؛ أي: تذكر ﴿بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ حين، حال يوسف: ﴿أَنَا أُنْتِكُمْ بِتَأْوِيلِهِ﴾ قَارِيسُونُ.

[٤٦] فآرسلوه فأنى يوسف فقال: يا ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾ الكثير الصدق ﴿أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ يِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عِجَافٍ وَسَبْعِ سُنُودَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ﴾ أي: الملك وأصحابه ﴿لَعَلَّهُمْ يَلْعَنُونَ﴾ تعبيرها.

[٤٧] ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ﴾ أي: ازرعوا ﴿سَبْعَ سِنِينَ دَابًا﴾ متتابعة، وهي تأويل السبع السمان ﴿فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ﴾ أي: اتركوه ﴿فِي سُنْبُلِهِ﴾ لئلا يفسد ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ﴾ فادرسوه.

[٤٨] ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ أي: السبع الخصبات ﴿سَبْعُ شِدَادٍ﴾ مجربات صعب، وهي تأويل السبع العجاف ﴿يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ﴾ من الحب المزروع في السنين الخصبات؛ أي: تاكلونه فيهن ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصُونَ﴾ تدخرون.

[٤٩] ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ أي: السبع المجربات ﴿عَامٌ فِيهِ يَأْكُلُ النَّاسُ بِالْمِطْرِ﴾ وفيه يعصرون ﴿الْأَعْنَابُ وَغَيْرَهَا لِحَبِيبِهِ﴾.

[٥٠] ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ﴾ لما جاءه الرسول وأخبره بتأويلها: ﴿أَنْتَوْنِي يَوْمَ﴾ أي: بالذي عبرها ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ﴾ أي: يوسف ﴿الرَّسُولُ﴾ وطلبه للخروج ﴿قَالَ﴾ قاصداً لإظهار براءته: ﴿أَنْجِعْ إِلَى رَبِّكَ نَفْسَهُ﴾ أن يسأل ﴿مَا بَالُ﴾ حال ﴿الْأَسْوَةِ الَّتِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ سيدي ﴿يَكِيدُنَّ عَلِيمٌ﴾^(٥).

[٥١] فرجع فأخبر الملك فجمعهم ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمْ﴾ شأنكم ﴿إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ﴾ هل وجدتن منه ميلاً ليكن؟ ﴿قُلْتُمْ حَسْبُ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ﴾ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الَّتِي حَصَّصَ رَاوَدْتُنَّ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّ لِمَنِ الصِّدِّيقِينَ ﴿فِي قَوْلِهِ﴾ ﴿هِيَ رَاوَدْتُنِي عَنْ نَفْسِي﴾^(٦).

قَالُوا أَضَعْتُمْ أَهْلَكُمْ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَهْلَمِ بِعِلْمَيْنِ ﴿٤٤﴾
 وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنْتِكُمْ بِتَأْوِيلِهِ
 فَأَرْسَلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ
 يِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عِجَافٍ وَسَبْعِ سُنُودَاتٍ خُضْرٍ
 وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ
 تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَابًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا
 قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعُ شِدَادٍ كُنَّ
 مَأَقَدًا مُمْرُطًا لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ
 عَامٌ فِيهِ يَأْكُلُ النَّاسُ فِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ أَنْتَوْنِي
 يَوْمَ فَمَا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ أَرْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَسَأَلَهُ مَا بَالُ
 الْأَسْوَةِ الَّتِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾
 قَالَ مَا خَطْبُكُمْ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ فَلَنْ حَسْبُ
 لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الَّتِي حَصَّصَ
 الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّ لِمَنِ الصِّدِّيقِينَ ﴿٥١﴾ ذَلِكَ
 لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْفَالِسِينَ ﴿٥٢﴾

[٥٢] فَأخبر يوسف بذلك فقال: ﴿ذَلِكَ﴾ أي: طلب البراءة ﴿لِيَعْلَمَ﴾ العزيز ﴿أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ﴾ في أهله^(٦) ﴿بِالْغَيْبِ﴾ حال ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْفَالِسِينَ﴾.

(٥) فائدة: أخرج الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لو لبثت في السجن طول ما لبث يوسف ثم جاءني الرسول أجبته» ثم قرأ: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ أَرْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَسَأَلَهُ مَا بَالُ الْأَسْوَةِ الَّتِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾. الترمذي. كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (١٣) سورة يوسف. وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٦٠٤). وأصله في الصحيحين بمعناه البخاري (٦٩٩٢)، ومسلم (١٥١).

قال النووي: ... وقال النبي ﷺ عن نفسه ما قاله نواضحاً وإيضاحاً للبلاغ في بيان كمال فضيلة يوسف. شرح النووي على مسلم (٣٣٩/٢ - ٣٤٠).

(١) قيل: المراد بالرب: الله - تعالى -، ويكون في كلامه الطَّيِّبَةُ الفويض لله ﷻ.

(٢) يوسف: ٢٦.

(٣) اختيار المصنف أن يوسف هو قائل ذلك، وهو قول الطبري وبعض التابعين كعجاده وسعيد بن جبير والحسن البصري وغيرهم، وظاهر السياق والذي عليه أكثر المحققين من المفسرين. كابن كثير وابن تيمية وابن القيم وغيرهم. أن هذا من كلام امرأة العزيز والمعنى: ليعلم زوجي أنني لم أرتكب الفاحشة، وإنما هي مراودة، وما أبرئ نفسي؛ فإن النفس البشرية يغلغ عليها الشهوة فتأمر بالسوء.

[٥٥] ﴿قَالَ﴾ يوسف: ﴿أَجْعَلِنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾ أرض مصر ﴿إِنِّي حَافِظٌ عَلَيْهَا﴾ ذو حفظ وعلم بأمرها، وقيل: كاتب حاسب.

[٥٦] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كإيماننا عليه بالخلاص من السجن ﴿مَكَّنَّا يُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾ أرض مصر ﴿يَتَوَكَّلْ﴾ ينزل ﴿وَمِنَّا حَيْثُ يَشَاءُ﴾ بعد الضيق والحسب، وفي القصة أن الملك توجه وختمه^(١) وولاه مكان العزيز، وعزله ومات بعد، فزوجه امرأته فوجدها عذراء وولدت له ولدين^(٢)، وأقام العدل بمصر ودانت له الرقاب ﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

[٥٧] ﴿وَلَا نُجِزُ الْأَخْرَةَ خَيْرٌ﴾ من أجر الدنيا ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾.

[٥٨] ودخلت سيرة القحط، وأصاب أرض كنعان والشام ﴿وَجَاءَ إِخْوَةَ يُوسُفَ﴾ إلا بنيامين، ليمتاروا لما بلغهم أن عزيز مصر يعطي الطعام بمنته ﴿فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهمُ﴾ أنهم إخوته ﴿وَهُمْ لَهُ مُكْرِمُونَ﴾ لا يعرفونه؛ لبعدهم عهدهم به وظنهم هلاكه، فكلموه بالعبرانية، فقال كالنكر عليهم: ما أقدمكم بلادي؟ فقالوا: للميرة، فقال: لعلكم عيون، قالوا: معاذ الله، قال: فمن أين أنتم؟ قالوا: من بلاد كنعان وأبونا يعقوب نبي الله، قال: وله أولاد غيركم؟ قالوا: نعم، كنا اثني عشر فذهب أصغرنا هلك في البرية وكان أحبنا إليه، وبقي شقيقه فاحتبسه؛ ليتسلى به عنه، فأمر بإئزاهم وإكرامهم.

[٥٩] ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَّازِهِمْ﴾ وفي لهم كيلهم ﴿قَالَ اتَّبُونِي بِأَجْرِ كَيْلٍ مِّنْ أَيْكُمُ﴾ أي: بنيامين؛ لأعلم صدقكم فيما قلتم ﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُرِي الْكَيْلَ﴾ أتمه من غير بخس ﴿وَلَنَا خَيْرٌ مِنَ الْمُنْزِلِينَ﴾.

[٦٠] ﴿فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُون﴾ قالوا سترؤد عنه آباءه ﴿وَأَنَا لَفَاعِلُونَ﴾ وقال لفتينيه أجعلوا بضعتهم في رحالهم لعلهم يعرفونها إذا انقلبوا إلى آبلهم لعلهم يرجعون ﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا إِنَّا نَا مِّنْ مِّنَّا الْكَيْلَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا آخَانَ نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.

[٦١] ﴿قَالُوا سَتَرُوا عَنَّا آيَاتَهُ﴾ سنجهد في طلبه منه ﴿وَأِنَّا لَمُتْلُونَ﴾ ذلك.

[٦٢] ﴿وَقَالَ لِفَتِيهِ﴾ وفي قراءة: ﴿لِفَتِيهِ﴾ غلامانه ﴿أَجْعَلُوا بَضْعَتَهُمْ﴾ التي أتوا بها ثمن الميرة، وكانت دراهم ﴿فِي رِحَالِهِمْ﴾ أوعيتهم لعلهم يعرفونها إذا انقلبوا إلى آبلهم ﴿وَفَرغُوا أوعيتهم﴾ لعلهم يرجعون ﴿إِنَّا لَأَنهَم لَإِستحلون إمسكها﴾.

[٦٣] ﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا إِنَّا نَا مِّنْ مِّنَّا الْكَيْلَ﴾ إن لم ترسل آخانا إليه ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا آخَانَ نَكْتَلْ﴾ بالنون والياء^(٣) ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.

﴿وَمَا أُبْرِي نَفْسِي﴾ إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي ﴿إِن رَّبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ وقال الملك أتوني به استخلصه لنفسي فلما كلمه وقال إنك أئور لدينا مكيين أمينين ﴿قَالَ أَجْعَلِنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾ إنني حفيظ عليهم ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا يُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾ يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نصيب أجر المحسنين ﴿وَلَا نُجِزُ الْأَخْرَةَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ وجاء إخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَّازِهِمْ قَالَ أَتُنُونِي بِأَجْرِ كَيْلٍ مِّنْ أَيْكُمُ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُرِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرٌ مِنَ الْمُنْزِلِينَ﴾ فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون ﴿قَالُوا سَتَرُوا عَنَّا آيَاتَهُ وَوَأَنَا لَفَاعِلُونَ﴾ وقال لفتينيه أجعلوا بضعتهم في رحالهم لعلهم يعرفونها إذا انقلبوا إلى آبلهم لعلهم يرجعون ﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا إِنَّا نَا مِّنْ مِّنَّا الْكَيْلَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا آخَانَ نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.

[٥٣] ثم تواضع لله^(١) فقال: ﴿وَمَا أُبْرِي نَفْسِي﴾ من الزلل ﴿إِنَّ النَّفْسَ﴾ الجنس ﴿لَأَمَّارَةٌ﴾ كثيرة الأمر ﴿بِالسُّوءِ﴾ إلا ما ﴿بمعنى «من»﴾ ﴿رَجِدَ رَبِّي﴾ فعصمه ﴿إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

[٥٤] ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُنُونِي بِهِ﴾ استخلصه لنفسي أجعله خالصا لي دون شريك، فجاءه الرسول وقال: أحب الملك، فقام وودع أهل السجن ودعا لهم، ثم اغتسل وليس ثيابا حسنا ودخل عليه ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ﴾ له: ﴿إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ ذو مكانة وأمانة على أمرنا، فماذا ترى أن نفعل؟ قال: اجمع الطعام وازرع زرعا كثيرا في هذه السنين الخصبية وادخر الطعام في سنبله فتأتي إليك الحلق ليمتاروا منك، فقال: ومن لي بهذا؟.

(١) هذا على اختيار المصنف أن الكلام المتقدم وهذا من كلام يوسف، وأكثر المحققين على خلافه وأنه من كلام امرأة العزيز.

(٢) أي حلاه بخاتمته.

(٣) هذا الكلام ليس عليه دليل، وهو يتنافى مع مقام النبوة؛ إذ كيف يتزوج نبي كريم من امرأة علم منها إرادة الفحشاء؟!.

(٤) أي: لا كيل ولا قوب.

(٥) والقراءة الأولى لتافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة.

(٦) بالياء قراءة حمزة والكسائي.

[٦٤] ﴿قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا ءَامَنُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ﴾ يوسف ﴿مِن قَبْلُ﴾ وقد فعلتم به ما فعلتم ﴿فَاللَّهُ خَبِيرٌ﴾ [حفظاً] وفي قراءة: ﴿حَافِظٌ﴾^(١)، تمييز كقولهم: لله دره فارسا ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ فأرجو أن ين بحفظه.

[٦٥] ﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَنَعَهُمْ وَجَدُوا بِضَعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا بَنَاتَنَا مَا نَبِيٌّ﴾ «ما» استفهامية؛ أي: أي شيء نطلب من إكرام الملك أعظم من هذا؟ وقرئ بالفوقانية^(٢)؛ خطاباً ليعقوب وكانوا ذكروا له إكرامه لهم ﴿هَٰذِهِ بَضْعُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلِنَا﴾ تأتي بالميرة لهم وهي الطعام ﴿وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ﴾ لأخينا ﴿ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَبِيرُ﴾ سهل على الملك لسخائه.

[٦٦] ﴿قَالَ لَنْ أَرْسِلَ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُوا مَوْثِقًا﴾ عهداً ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ بأن تحلفوا ﴿لَأَتَيْنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ﴾ بأن تموتوا أو تغلبوا فلا تطبقوا الإتيان به، فأجابوه على ذلك ﴿فَلَمَّا ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ﴾ بذلك ﴿قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ﴾ نحن وأنتم ﴿وَكَيْلٌ﴾ شهيد، وأرسله معهم.

[٦٧] ﴿وَقَالَ يَبْنَىٰ لَا تَدْخُلُوا﴾ مصر ﴿مِن بَابٍ وَجِبٍ وَادْخُلُوا مِن أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ﴾ لتلا تصبيكم العين ﴿وَمَا أَغْنَىٰ﴾ أذفع ﴿عَنكُمْ﴾ بقولي ذلك ﴿مِنَ اللَّهِ مِن﴾ زائدة ﴿شَيْءٍ﴾ قدره عليكم، وإنما ذلك شفقة ﴿إِنَّ﴾ ما ﴿الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ وحده ﴿وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ به وثقت ﴿وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾.

[٦٨] قال تعالى: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِن حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم﴾ أي: متفرقين ﴿مَا كَانَتْ بُغْنَىٰ عَنْهُم مِّنَ اللَّهِ﴾ أي: قضائه ﴿مِن﴾ زائدة ﴿شَيْءٍ إِلَّا﴾ لكن ﴿حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا﴾ وهي إرادة دفع العين شفقة ﴿وَإِنَّهُ لَدُوٌّ عَلَيْهِ لَمَّا عَلَّمَنَهُ﴾ لتعلمنا إياه ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ وهم الكفار ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ إلهام الله لأصفيائه.

[٦٩] ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰ﴾ ضم ﴿إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ﴾ تحزن ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من الحسد لنا، وأمره أن لا يخبرهم، وتواطأ معه على أنه سيحتال على أن يبقيه عنده.

قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا ءَامَنُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ ۗ قَالَ اللَّهُ خَبِيرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٦٥﴾ وَلَمَّا فَتَحُوا مَنَعَهُمْ وَجَدُوا بِضَعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا بَنَاتَنَا مَا نَبِيٌّ هَٰذِهِ بَضْعُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلِنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَبِيرُ ﴿٦٦﴾ لَنْ أَرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُوا مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنِي بِهِ إِلَّا لَأَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكَيْلٌ ﴿٦٧﴾ وَقَالَ يَبْنَىٰ لَا تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَجِبٍ وَادْخُلُوا مِن أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ۗ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٨﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا مِن حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَدُوٌّ عَلَيْهِ لَمَّا عَلَّمَنَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧٠﴾

(١) وهي قراءة حفص وحزمة والكسائي، والقراءة الأولى لنافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة.

(٢) أي: تبغي، وهي قراءة شاذة.

[٧٢] ﴿قَالُوا نَفَقْدُ صُوعًا﴾ صاع ﴿الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ﴾ من الطعام ﴿وَأَنَا بِهِ﴾ بالحمل ﴿رَظِيمٌ﴾ كفيلاً.

[٧٣] ﴿قَالُوا تَاللَّهِ﴾ قسم فيه معنى التعجب ﴿لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَادِرِينَ﴾ ما سرقنا قط.

[٧٤] ﴿قَالُوا﴾ أي: المؤذن وأصحابه: ﴿فَمَا جَزَاؤُهُ﴾ أي: السارق ﴿إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ﴾ في قولكم: ما كنا سارقين، ووجد فيكم؟

[٧٥] ﴿قَالُوا جَزَاؤُهُ﴾ مبتدأ، خبره: ﴿مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ﴾ يُسْتَرْقَى، ثم أكد بقوله: ﴿فَهُوَ﴾ أي: السارق ﴿جَزَاؤُهُ﴾ أي: المسروق لا غير، وكانت سنة آل يعقوب ﴿كَذَلِكَ﴾ الجزاء ﴿تَجْرَى الظَّالِمِينَ﴾ بالسرقه، فصرحوا ليوسف بنفيس أوعيتهم.

[٧٦] ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ﴾ ففتشها ﴿قَبْلَ وَعَاءِ آخِيهِ﴾ لئلا يتهم ﴿ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا﴾ أي: السقاية ﴿مِنْ وَعَاءِ آخِيهِ﴾ قال - تعالى -: ﴿كَذَلِكَ﴾

الكيد ﴿كَذَلِكَ يُوسُفُ﴾ علمناه الاحتيال في أخذ أخيه ﴿مَا كَانَ﴾ يوسف ﴿لِيَأْتِيَهُمْ﴾ رقيقاً عن السرقة ﴿فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾ حكم ملك مصر؛ لأن

جزاءه عنده الضرب وتعريم مثلي المسروق لا الاسترقاق ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ أخذه بحكم أبيه؛ أي: لم يتمكن من أخذه إلا بمشيئة الله يالهامة سؤال

إخوته وجوابهم بسنتهم ﴿زَرَفَعُ [ذَرَجَاتٍ] مِّنْ نَّشَاءٍ﴾ بالإضافة والتنوين^(١)؛ في العلم كيوسف ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ﴾ من المخلوقين ﴿عَلِيمٌ﴾ أعلم منه حتى ينتهي إلى الله - تعالى.

[٧٧] ﴿قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلٍ﴾ أي: يوسف وكان سرق لأبي أمه صنفاً من ذهب فكسره؛ لئلا يعبه^(٢).

﴿فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ﴾ ولم يبدها ﴿يُظْهِرُهَا﴾ يظهرها ﴿لَهُمْ﴾ والضمير للكلمة التي في قوله ﴿قَالَ﴾ في نفسه: ﴿أَنْتُمْ سَرَرْتُمْ مَكَانًا﴾ من يوسف وأخيه لسرقتكم أحاكم من أبيكم وظلمكم له ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ﴾ بما

تصفون ﴿تَذَكُرُونَ مِنْ أَمْرِهِ﴾.

[٧٨] ﴿قَالُوا يَا كَذِبًا عَلَيْنَا إِنَّ لَكَ لَأَبَا شَيْخًا كَبِيرًا﴾ يحبه أكثر منا ويتسلى به عن ولده الهالك ويحزنه فراقه ﴿فَوَحَّدَ أَحَدًا﴾ استعبده ﴿مَكَانَهُ﴾ بدلاً منه ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ في أفعالك.

فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴿٧٢﴾ قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا نَفَقْدُ صُوعًا الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴿٧٤﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَادِرِينَ ﴿٧٥﴾ قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ وَإِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ ﴿٧٦﴾ قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ مِنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ تَجْرَى الظَّالِمِينَ ﴿٧٦﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وَعَاءِ آخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وَعَاءِ آخِيهِ كَذَلِكَ كَذَلِكَ لِيُؤَسِّفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَاءٍ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلٍ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبَا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدًا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾

[٧٠] ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ﴾ هي صاع من الذهب مرصع بالجواهر ﴿فِي رَحْلِ أَخِيهِ﴾ بنيامين ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾ نادى مناد بعد انفصالهم عن مجلس يوسف ﴿أَيَّتُهَا الْعِيرُ﴾ القافلة ﴿إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾.

[٧١] ﴿قَالُوا وَ﴾ قد ﴿أَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا﴾ ما الذي ﴿تَفْقِدُونَ﴾.

(١) بالإضافة لنافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

(٢) روى ذلك ابن مردويه مرفوعاً عن ابن عباس مرفوعاً، وقيل غير ذلك، ولم يصح من ذلك شيء مرفوعاً ولا موقوفاً، والصحيح أن قولهم هذا محض كذب وإفراء على يوسف وأخيه، كما نقل القرطبي عن الحسن البصري.

قَالَ مَعَادُ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَعِنَا عِنْدَهُ وَإِنَّا إِذَا الظَّالِمُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّا أَسْتَيْتَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨١﴾ أَرْجِعُوا إِلَى آبَائِكُمْ فَقُولُوا إِنَّا نَايِبَاتُ ابْنِكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمَنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ﴿٨٢﴾ وَسَلِّ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٨٣﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا سَفِي عَلَى يُوسُفَ وَأَبِصْرَتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٥﴾ قَالُوا تَاللَّهِ تَقْتَوُونَ تَدْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴿٨٦﴾ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٧﴾

[٨٦] ﴿قَالَ﴾ لهم: ﴿إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي﴾ هو عظيم الحزن الذي لا يصبر عليه حتى ييئس إلى الناس ﴿وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ لا إلى غيره فهو الذي تنفع الشكوى إليه ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من أن رؤيا يوسف صدق وهو حي.

[٧٩] ﴿قَالَ مَعَادُ اللَّهِ﴾ نصب على المصدر حذف فعله وأضيف إلى المفعول؛ أي: نعوذ بالله من ﴿أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَعِنَا عِنْدَهُ﴾ لم يقل من سرق تحزرا من الكذب ﴿وَإِنَّا إِذَا﴾ إن أخذنا غيره ﴿الظَّالِمُونَ﴾.

[٨٠] ﴿فَلَمَّا أَسْتَيْتَسُوا﴾ بيسوا ﴿وَمِنْهُ خَلَصُوا﴾ اعزلوا ﴿نَجِيًّا﴾ مصدر يصلح للواحد وغيره؛ أي: ينجي بعضهم بعضا ﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ﴾ شيخا ﴿رويل﴾، أو رأيا ﴿يهودا﴾: ﴿أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا﴾ عهدا ﴿بِزَنِ اللَّهِ﴾ في أضيكم ﴿وَمِنْ قَبْلُ مَا﴾ زائدة ﴿فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ﴾ وقيل: ﴿ما﴾ مصدرية مبتدأ خبره: ﴿من قبل﴾ ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ﴾ أفارق ﴿الْأَرْضَ﴾ أرض مصر ﴿حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي﴾ بالعود إليه ﴿أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي﴾ بخلص أخي ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ أعذلهم.

[٨١] ﴿أَرْجِعُوا إِلَى آبَائِكُمْ فَقُولُوا إِنَّا نَايِبَاتُ ابْنِكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا﴾ عليه ﴿إِلَّا بِمَا عَلَّمَنَا﴾ يقينا من مشاهدة الصباح في رحله ﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ﴾ لما غاب عنا حين إعطاء الموثق ﴿حَافِظِينَ﴾ ولو علمنا أنه يسرق لم نأخذه.

[٨٢] ﴿وَسَلِّ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾ هي مصر؛ أي: أرسل إلى أهلها فاسألهم ﴿وَالْعَيْرَ﴾ أصحاب العير ﴿الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾ وهم قوم من كنعان ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ في قولنا، فرجعوا إليه وقالوا له ذلك.

[٨٣] ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ فعلتموه، اتهمهم لما سبق منهم من أمر يوسف ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ صبري ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ﴾ بيوسف وأخويه ﴿جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ﴾ بحالي ﴿الْحَكِيمُ﴾ في صنعه.

[٨٤] ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ﴾ تاركنا خطابهم ﴿وَقَالَ يَا سَفِي﴾ الألف بدل من باء الإضافة؛ أي: يا حزني ﴿عَلَى يُوسُفَ وَأَبِصْرَتْ عَيْنَاهُ﴾ أتمحق سوادهما وبدل بياضا من بكائه ﴿وَمِنَ الْحُزْنِ﴾ عليه ﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ مغموم مكروب لا يظهر كربه.

[٨٥] ﴿قَالُوا تَاللَّهِ﴾ لا ﴿تَدْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا﴾ مشرفا على الهلاك لطلول مرضك، وهو مصدر يستوي فيه الواحد وغيره ﴿أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾ الموتى.

﴿وَجَنَّتَا بِيَضَعَةَ مُرْجَلَيْهِ﴾ مدفوعة^(١) يدفعها كل من رآها لردائها، وكانت دراهم زيوفا^(٢) أو غيرها ﴿فَأَوْفَى﴾ أتم ﴿لَنَا الْكَيْلَ وَصَدَّقَ عَلَيْنَا﴾ بالمسامحة عن رداءة بضاعتنا ﴿إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ يثيبهم، فرق لهم وأدر كته الرحمة، ورفع الحجاب بينه وبينهم.

[٨٩] ثم ﴿قَالَ﴾ لهم توبيخاً: ﴿هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ﴾ من الضرب والبيع وغير ذلك ﴿وَأَيُّدِي﴾ من همضمكم له بعد فراق أخيه ﴿إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾ ما يقول إليه أمر يوسف.

[٩٠] ﴿قَالُوا﴾ بعد أن عرفوه لما ظهر من شمائله متشبتين: ﴿أَوَلَيْكَ﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين^(٣) ﴿لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ﴾ أنعم ﴿اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ بالاجتماع ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ﴾ يخف الله ﴿وَيَصْبِرْ﴾ على ما يناله ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَضِيعُ أَمْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ فيه وضع الظاهر موضع المضمحل.

[٩١] ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آتَيْنَاكَ﴾ فضلك ﴿اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ بالملك وغيره ﴿وَأَنْتَ﴾ مخففة، أي: إنا ﴿كُنَّا لَخٰطِئِينَ﴾ آثمين في أمرك فأذللناك. ﴿قَالَ لَا تَثْرِبَ﴾ عب ﴿عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ﴾ خصه بالذكر؛ لأنه مظنة التثريب غيره أولى ﴿يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾.

[٩٢] وسألهم عن أبيه فقالوا: ذهب عيناه، فقال: ﴿أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا﴾ وهو قميص إبراهيم الذي لبسه حين ألقى في النار، كان في عنقه في الحب وهو من الجنة أمره جبريل بإرساله وقال: إن فيه ريحاً ولا يلقى على مبتلى إلا عوفي^(٤) ﴿فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ﴾ بصر ﴿بَصِيرًا وَأَتُوفَى بِأَعْيُنِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

[٩٣] ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ﴾ خرجت من عريش مصر ﴿قَالَ أَبُوهُمْ﴾ لمن حضر من بنه وأولادهم: ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾ أوصلته إليه الضئياً^(٥) بإذنه تعالى من مسير ثلاثة أيام أو ثمانية أو أكثر ﴿أُولَئِكَ نَفَقِدُونَ﴾ تسفهون لصدقتهموني.

[٩٤] ﴿قَالُوا﴾ له: ﴿تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ﴾ خطلك ﴿الْقَدِيرِ﴾ من إفراطك في محبته ورجاء لقائه على بعد العهد.

يَكْبِيْ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِيَنَّسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسْنَا وَأَهْلْنَا الضَّرَّ وَجِئْنَا بِبِضْعَةٍ مُرْجَلَةٍ فَأَوْفَى لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقَ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوا أَيْ ذَاكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آتَيْنَاكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخٰطِئِينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٩٢﴾ أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأَتُوفَى بِأَعْيُنِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ نَفَقِدُونَ ﴿٩٤﴾ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيرِ ﴿٩٥﴾

[٨٧] ثم قال: ﴿يَكْبِيْ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ اطلبوا خبرهما ﴿وَلَا تَأْسُوا﴾ تفتظوا ﴿مِنْ رَوْحِ اللَّهِ﴾ رحمته ﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِيَنَّسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ فانظلقوا نحو مصر ليوسف.

[٨٨] ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسْنَا وَأَهْلْنَا الضَّرَّ﴾ الجوع

(١) أي مردودة.

(٢) جمع «زيف»، وهو الذي خلط به نحاس أو غيره مع الفضة، فيكون مرغوباً عنه.

(٣) أي التحقيق والتسهيل؛ فالقراءات أربع سبعة. وقرأ ابن كثير هنا بالخير ﴿إِنَّكَ﴾ وهي قراءة خامسة سبعة أيضاً.

(٤) ليس على ذلك دليل، وإنما هو من الإسرائيليات التي لا يعتمد مثلها في تفسير كلام الله، كما أن ظاهر نسبة القميص لنفسه التخييل خلاف ما ذكر، والله أعلم.

(٥) «الضئبا»: ريح مهيب من مطلع الشمس؛ إذا استوى الليل والنهار، ومقابلتها: «الدبورة»، وأخرج الشيخان من حديث ابن عباس مرفوعاً: «فصرت الضئبا، وأهلك عاد بالدبورة».

[١٠٦] ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ﴾ حيث يقولون بأنه الخالق الرازق ﴿وَإِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ به عبادة الأصنام، ولذا كانوا يقولون في تلبيتهم: «لبك لا شريك لك، إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك»، يعنونها.

[١٠٧] ﴿أَفَأَمِنُوا أَن تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ مِّنْ غَنِيَّةٍ﴾ نعمة تغشاهم ﴿بَيْنَ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بوقت إتيانها قبله.

[١٠٨] ﴿فَلَنَلْهُم: هَذِهِ سَبِيلِي﴾ وفسرها بقوله: ﴿أَدْعُوا إِلَى دِينِ اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ حجة واضحة ﴿أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ آمن بي، عطف على ﴿أنا﴾ المبتدأ المخبر عنه بما قبله ﴿وَسُبِّحَانَ اللَّهِ﴾ تنزيهاً له عن الشركاء ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ من جملة سبيله أيضاً.

[١٠٩] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي﴾ وفي قراءة بالنون وكسر الحاء^(١) ﴿إِلَيْهِمْ﴾ لا ملائكة ﴿مِنَ أَهْلِ الْقُرَى﴾ الأمصار؛ لأنهم أعلم وأحلم بخلاف أهل البوادي لجهلهم ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا﴾ أهل مكة ﴿فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا﴾ كيف كانت عاقبة الذين من قبلهم ﴿أَي: آخر أمرهم من إهلاكهم بتكذيبهم رسلم ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ﴾ أي: الجنة ﴿غَيْرَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الله ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ بالياء والتاء^(٢)، يا أهل مكة هذا فتوون.

[١١٠] ﴿حَتَّىٰ﴾ غاية لما دل عليه ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا﴾ أي: فترأى نصرهم حتى ﴿إِذَا اسْتَيْسَسَ﴾ يس ﴿الرُّسُلَ وَظَلَمُوا﴾ أيقن الرسل^(٣) ﴿أَنَّهُمْ قَدْ كَذَّبُوا﴾ بالتشديد تكذيباً لا إيمان بعده، والتخفيف^(٤)؛ أي: ظن الأمم أن الرسل أخلفوا ما وعدوا به من النصر ﴿جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّي﴾ بنونين مشدداً ومخففاً، وبنون مشدداً ماض^(٥) ﴿مِنَ نَّشَأٍ وَلَا يَرُدُّ بِأَسْنَا﴾ عذابنا ﴿عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ المشركين.

[١١١] ﴿لَقَدْ كَاتَ فِي فَصْهِمِ﴾ أي: الرسل ﴿عِبْرَةً لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ أصحاب العقول ﴿مَا كَانَ﴾ هذا القرآن ﴿حَدِيثًا يُفْتَرَعُ﴾ يختلق ﴿وَلَكِن﴾ كان ﴿تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ قبله من الكتب ﴿وَتَفْصِيلَ﴾ تبين ﴿كُلِّ شَيْءٍ﴾ يحتاج إليه في الدين ﴿وَهُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ خصوصاً بالذكر لا انتفاعهم به دون غيرهم.

وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٧﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٨﴾ أَفَأَمِنُوا أَن تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٩﴾ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعِيَ وَسُبِّحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١١٠﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١١١﴾ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلَ وَظَنُوا أَنَّهُمْ قَدْ كَذَّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّي مِّنْ نَّشَأٍ وَلَا يَرُدُّ بِأَسْنَاعِنَ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١١٢﴾ لَقَدْ كَانَ فِي فَصْهِمِ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١٣﴾

[١٠٤] ﴿وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ﴾ أي: القرآن ﴿مِنَ أَجْرٍ﴾ تأخذه ﴿إِنْ هُوَ﴾ أي: القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾ عظة ﴿لِّلْعَالَمِينَ﴾.

[١٠٥] ﴿وَكَأَيِّن﴾ وكم ﴿مِنَ آيَةٍ﴾ دالة على وحدانية الله ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا﴾ يشاهدونها ﴿وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ لا يفكرون بها.

(١) بالياء قراءة السبعة عدا حفص، وقرأ حفص بالنون وكسر الحاء.

(٢) بالياء لحمة الكسائي وابن كثير وأبي عمرو.

(٣) وهذا راجع لقراءة التشديد في ﴿كَذَّبُوا﴾.

(٤) بالتشديد قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

(٥) حاصل ما ذكره ثلاث قراءات، وظاهر كلامه أنها كلها سبعة، وليس كذلك؛ فقراءة التشديد مع النونين قراءة شاذة، أما قراءة التخفيف مع النونين فيه للسبعة عدا عاصم وابن عامر.

سُورَةُ الرَّعْدِ

سُورَةُ الرَّعْدِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْمَرَّةَ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُذَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ۝ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رِجًّا وَأَنْهَارًا وَكُلٌّ مِنَ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا رِجًّا اثْنَيْنِ وَعِشْرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ النَّهَارُ أَوْ لَيْلًا فِي ذَلِكَ آيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝ وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مِّنْ مَّجَارَاتٍ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَرِزْقٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَعِزٌّ صِنْوَانٌ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفُضٌ بَعْضُهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأَكْثَلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝ وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءَاكُلُ نَارًا إِنَّا نَأْتِيهِ خَلْقٌ حَدِيدٌ ۝ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝

مكية إلا: «وَلَا بَرَأَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا» الآية، «وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا» الآية. أو: - مدينة إلا: «وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا» الآيتين، ثلاث، أو: أربع، أو: خمس، أو: ست وأربعون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[1] «الرَّعْدُ» الله أعلم بمراده بذلك «تِلْكَ» هذه الآيات «آيَاتُ الْكِتَابِ» القرآن، والإضافة بمعنى «من» «وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ» أي: القرآن، مبتدأ خبره: «الْحَقُّ» لا شك فيه «وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ»: أي: أهل مكة «لَا يُؤْمِنُونَ» بأنه من عنده تعالى.

[2] «اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا» أي: العمد جمع عماد وهو الأسطوانة، وهو صادق بأن لا عمد أصلاً «ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ» استواءه يليق به^(١) «وَسَخَّرَ» ذَلَّلَ «الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ» منهما «يَجْرِي» في فلكه «لِأَجَلٍ مُّسَمًّى» يوم القيامة «يُذَبِّرُ الْأَمْرَ» يقضي أمر ملكه «يُفَصِّلُ» بين «الآيَاتِ» دلالات قدرته «لَعَلَّكُمْ» يا أهل مكة «بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ» بالبعث «تُوقِنُونَ».

[3] «وَهُوَ الَّذِي مَدَّ» بسط «الْأَرْضَ وَجَعَلَ» خلق «فِيهَا رِجًّا» جبالاً نواب «وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا رِجًّا اثْنَيْنِ» من كل نوع «يَعْشَى» يغطي «الْأَيْلَ» بظلمته «النَّهَارَ» إِنَّ فِي ذَلِكَ المذكور «لَآيَاتٍ» دلالات على وحدانيته تعالى «لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ» في صنع الله.

[4] «وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ» بقاع مختلفة «مِّنْ مَّجَارَاتٍ» متلاصقات، فمنها طيب وسبخ، وقليل الربيع وكثيره، وهو من دلائل قدرته تعالى «وَجَنَّاتٍ» بساتين «مِّنْ أَعْنَابٍ وَرِزْقٌ» بالرفع عطفًا على «وَجَنَّاتٍ»، والجر^(٢) على «أَعْنَابٍ»، وكذا قوله^(٣): «وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ» جمع صنو، وهي الثخيلات^(٤) يجمعها أصل واحد وتنشعب فروعها «وَعِزٌّ صِنْوَانٌ» منفردة «تُسْقَىٰ» بالناء؛ أي: الجنات وما فيها، والياء^(٥)؛ أي: المذكور «بِمَاءٍ وَسِجَرٍ وَنُفُضٍ» بالنون والياء^(٦) «بَعْضًا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأَكْثَلِ» بضم الكاف وسكونها^(٧)؛ فمن حلو وحامض، وهو من دلائل قدرته تعالى «إِنَّ فِي ذَلِكَ» المذكور «لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ» يتدبرون.

[5] «وَإِنْ تَعْجَبْ» يا محمد من تكذيب الكفار لك «فَعَجَبٌ»

حقيق بالعجب «قَوْلُهُمْ» منكرين البعث: «أَوَدَا كَمَا دُرْنَا أَمَا لَنَا خَلْقٌ جَدِيدٌ» لأن القادر على إنشاء الخلق وما تقدم على غير مثال قادر على إعادتهم، وفي الهمزتين في الموضعين التحقيق، وتحقيق الأولى وتسهيل الثانية، وإدخال ألف بينهما على الوجهين وتركها^(٨)، وفي قراءة بالاستفهام في الأول والخبر في الثاني^(٩)، وأخرى عكسه^(١٠) «أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ».

(١) سبق التعليق على هذا الإطلاق وأنه إذا كان تقويضًا في الكيفية فنع، وأما إن كان المراد نفي معناه من العلو والاستقرار فهذه طريقة أهل التأويل.
 (٢) بالجر قراءة حمزة والكسائي ونافع وابن عامر وشعبة.
 (٣) بالياء قراءة السبعة عدا عاصم وابن عامر.
 (٤) وفي نسخة مطبوعة: «الثخيلات».
 (٥) بالياء قراءة حمزة والكسائي.
 (٦) فهذه أربع قراءات.
 (٧) حاصل ما ذكره المؤلف من القراءات ما يلي:
 قرأ نافع والكسائي «أَوَدَا» بهمزتين؛ الأولى مفتوحة والثانية مكسورة على الاستفهام.
 وقرأوا «أَوَدَا» بهمزة واحدة مكسورة على الخبر كل على أصله، فقالون يسهل الثانية في «أَوَدَا» ويدخل ألفًا بينها وبين الأولى، وورش يسهلها من غير إدخال، والكسائي يحققها من غير إدخال، وقرأ ابن عامر بالإخيار في الأول والاستفهام في الثاني وكل على أصله كذلك، فهشام يحققها مع الإدخال أولاً واحداً، وابن ذكوان يحققها بلا إدخال.
 وقرأ بقية السبعة بالاستفهام فيما وكل على قاعدته، فابن كثير بالتسهيل بلا إدخال، وأبو عمرو بالتسهيل مع الإدخال، وعاصم وحمزة بالتحقيق من غير إدخال.

(٨) سبق التعليق على هذا الإطلاق وأنه إذا كان تقويضًا في الكيفية فنع، وأما إن كان المراد نفي معناه من العلو والاستقرار فهذه طريقة أهل التأويل.
 (٩) بالجر قراءة حمزة والكسائي ونافع وابن عامر وشعبة.
 (١٠) بالياء قراءة السبعة عدا عاصم وابن عامر.
 (١١) بالياء قراءة حمزة والكسائي.
 (١٢) فهذه أربع قراءات.
 (١٣) حاصل ما ذكره المؤلف من القراءات ما يلي:
 قرأ نافع والكسائي «أَوَدَا» بهمزتين؛ الأولى مفتوحة والثانية مكسورة على الاستفهام.
 وقرأوا «أَوَدَا» بهمزة واحدة مكسورة على الخبر كل على أصله، فقالون يسهل الثانية في «أَوَدَا» ويدخل ألفًا بينها وبين الأولى، وورش يسهلها من غير إدخال، والكسائي يحققها من غير إدخال، وقرأ ابن عامر بالإخيار في الأول والاستفهام في الثاني وكل على أصله كذلك، فهشام يحققها مع الإدخال أولاً واحداً، وابن ذكوان يحققها بلا إدخال.
 وقرأ بقية السبعة بالاستفهام فيما وكل على قاعدته، فابن كثير بالتسهيل بلا إدخال، وأبو عمرو بالتسهيل مع الإدخال، وعاصم وحمزة بالتحقيق من غير إدخال.

وَيَسْتَعِجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَدُوٌّ مَعْفُورٌ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٨﴾ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِضُّ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزِدَّادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ﴿٩﴾ عَلَيْهِ الْعَيْبُ وَالشَّهَادَةُ الْكَبِيرُ الْمَتَعَالِ ﴿١٠﴾ سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴿١١﴾ لَهُ مَعْقِبَتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ يَحْفَظُونَهُ وَمِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُعَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ﴿١٢﴾ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ﴿١٣﴾ وَيَسْجِعُ الرِّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَكِ الْكَبِيرِ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْحِمَالِ ﴿١٤﴾

[٧] ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا﴾ هَلَّا ﴿أَنْزَلَ عَلَيْهِ﴾ على محمد ﴿آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ كالعصا واليد والناقة؟ قال - تعالى -: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ﴾ مخوف الكافرين وليس عليك إتيان الآيات ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ نبي يدعوهم إلى ربهم بما يعطيه من الآيات لا بما يفترون.

[٨] ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى﴾ من ذكر وأنثى وواحد ومتعدد وغير ذلك ﴿وَمَا تَغِضُّ الْأَرْحَامُ﴾ تنقص ﴿من مدة الحمل﴾ ﴿وَمَا تَزِدَّادُ﴾ منه ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ بقدر وحد لا يتجاوز.

[٩] ﴿عَلَيْهِ الْعَيْبُ وَالشَّهَادَةُ﴾ ما غاب وما شوهد ﴿الْكَبِيرُ الْعَظِيمُ﴾ المتعالي ﴿على خلقه بالقهر﴾^(١)، بياء ودونها^(٢).

[١٠] ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ﴾ في علمه تعالى ﴿مَنْ أَسْرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ﴾ مستتر ﴿بِاللَّيْلِ﴾ بظلامه ﴿وَسَارِبٌ﴾ ظاهر بذهابه في سرية^(٣) أي طريقه ﴿بِالنَّهَارِ﴾.

[١١] ﴿لَهُ﴾ للإنسان ﴿مَعْقِبَتٌ﴾ ملائكة تتعقبه ﴿مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ قدومه ﴿وَمِنْ خَلْفِهِ﴾ ورائه ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ أي: بأمره من الجن وغيرهم ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ﴾ لا يسلبهم نعمته ﴿حَتَّى يُعَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ من الحالة الجميلة بالمصيبة ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا﴾ عذابا ﴿فَلَا مَرَدَ لَهُ﴾ من المعقبات ولا غيرها ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾ أي: غير الله ﴿مِنْ زَائِدَةٍ﴾ زائدة ﴿وَالٍ﴾ بمنع عنهم.

[١٢] ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا﴾ للمسافرين من الصواعق^(٤) ﴿وَطَمَعًا﴾ للمقيم في المطر^(٥) ﴿وَيُنشِئُ﴾ يخلق ﴿السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾ بالمطر.

[١٣] ﴿رِيْسِجُ الرِّعْدُ﴾ هو ملك^(٦) موكل بالسحاب يسوقه متلبسا ﴿بِحَمْدِهِ﴾ أي: يقول: سبحان الله وبحمده ﴿وَيَسْجِعُ﴾ يسبح ﴿السَّحَابَ مِنْ خِيفَتِهِ﴾ أي: الله ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ﴾ وهي نار تخرج من السحاب ﴿فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ﴾ فتحرقه، ونزل في رجل بعث إليه النبي ﷺ من يدعو فقال: من رسول الله؟ وما الله؟ أمن ذهب هو أم من فضة أم نحاس؟ فنزلت به صاعقة فذهبت بيقحف^(٧) رأسه^(٨) ﴿وَهُمْ﴾ أي: الكفار ﴿يُجَادِلُونَ﴾ يخاصمون النبي ﷺ ﴿فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْحِمَالِ﴾ القوة أو الأخذ.

[٦] ونزل في استعجالهم العذاب استهزاء: ﴿وَيَسْتَعِجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ الْعَذَابِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾ الرحمة ﴿وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَتُ﴾ جمع ﴿المثلة﴾ بورن ﴿الشُّمْرَةُ﴾؛ أي: عقوبات أمثالهم من المكذبين، أفلا يعتبرون بها؟ ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَدُوٌّ مَعْفُورٌ لِلنَّاسِ عَلَيَّ﴾ مع ﴿ظُلْمِهِمْ﴾ ولا لم يترك على ظهرها دابة ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لمن عصاه.

(١) وهذا أحد معاني العلو الثابتة لله ﷻ، وله العلو التام؛ علو الشأن وعلو القهر وعلو الذات، ولا يجوز قصر العلو على نوع واحد فقط.
(٢) في الوصل والوقف، فبإيالة قرأ ابن كثير، على الأصل؛ لأن الألف واللام أذهباً التنوين الذي تحذف الياء من أجله، فرجعت الياء، وبالحدف قرأ الباقون اتباعاً للخط، واكتفاءً بدلالة الكسرة على الياء.

(٣) قال في القاموس المحيط: السارب: الناهب على وجهه في الأرض.

(٤) وهذا القصر لا وجه له؛ إذ إنه يصلح أن يكون خروفاً وطمعا للمسافرين والمقيمين معاً، فهو تارة يكون خروفاً، وأخرى شواً للجمع.

(٥) وهذا القصر لا وجه له؛ إذ إنه يصلح أن يكون خروفاً وطمعا للمسافرين والمقيمين معاً، فهو تارة يكون خروفاً، وأخرى شواً للجمع.

(٦) أخرج الترمذي في كتاب التفسير عن ابن عباس قال: أقبلت يهود إلى النبي ﷺ فقالوا: يا أبا القاسم، أخبرنا عن الرعد ما هو؟ قال: «ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب حيث شاء الله... الحديث، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٤٩٢)، والمخاريق: جمع مخراق، والمراد به هنا آلة تخرج بها الملائكة السحاب. وقيل: المراد بتسييح المخلوقات من الجمادات وغير العقلاء: تسييح الدلالة؛ فكل محدث يدل على أن الله خالق قادر. وقيل: هذا التسييح حقيقة، ولا مانع من أن ينطق الله أي شيء بذلك، ويشهد له قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾، وقوله: ﴿إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحُنَّ وَالْعِجَى وَالْإِبْرَاقَ﴾، وقوله: ﴿الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾، ولا تعارض بين القولين؛ فالرعد ملك موكل بالسحاب، وهو يسبح بحمد ربه، كما أن المخلوقات كلها تسبح حقيقة بحمد الله، والله أعلم.

(٧) بكسر القاف؛ عظم الرأس الذي فوق الدماغ.

(٨) أخرج نحوه النسائي والبرز وأبو يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ والطبراني في الأوسط وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن أنس بن مالك (٩٩/٤) في الدر المنثور. وأخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٣٠٤/١) رقم (٦٩٢)، وصححه الألباني في ظلال الجنة في تخريج السنة.

[١٤] ﴿لَهُمْ تَعَالَى دَعْوَةُ الْمُنَى﴾ أي: كلمته، وهي لا إله إلا الله ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ بالياء والتاء^(١) يعبدون ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ أي: غيره وهم الأصنام ﴿لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ﴾ مما يطلبونه ﴿إِلَّا﴾ استجابة ﴿كَبْسِطٍ﴾ أي: كاستجابة باسط ﴿كَتَبَهُ إِلَى الْمَاءِ﴾ على شفير البئر يدعوهم ﴿وَيَبْلُغُ فَاهُ﴾ ارتفاعه من البئر إليه ﴿وَمَا هُوَ بِبَلِيغٍ﴾ أي: فاه أبداً فكذا ما هم بمستجيبين لهم ﴿وَمَا تَنَالُوا الْكُفْرِينَ﴾ عبادتهم الأصنام، أو حقيقة الدعاء ﴿إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ ضياع.

[١٥] ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا﴾ كالمؤمنين ﴿وَكَرْهًا﴾ كالمنافقين ومن أكرهه بالسيف^(٢) ﴿وَمَنْ يَسْجُدْ﴾ ظللهم بِالْعُدْوَةِ الْبُكْرِ^(٣) ﴿وَالْأَصَالِ﴾ العشايا.

[١٦] ﴿قُلْ﴾ يا محمد لقومك: ﴿مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ﴾ إن لم يقولوه فلا جواب غيره ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ﴾ أي: غيره ﴿أَوْلِيَاءَ﴾ أصناماً تعبدونها ﴿لَا يَلْبِغُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ وتركتم مالكمها؟ استفهام توبيخ ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾ الكافر والمؤمن ﴿أَمْ هَلْ نَسَوِيَ الظُّلُمَاتُ الكُفْرَ وَالنُّورَ﴾ الإيمان؟ لا ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَلْفَيْهِ فَتَشَبَّهَ الْفُلُقُ﴾ أي: خلق الشركاء بخلق الله ﴿عَلَيْهِمْ﴾ فاعتقدوا استحقاق عبادتهم بخلقهم؟ استفهام إنكار؛ أي: ليس الأمر كذلك ولا يستحق العبادة إلا الخالق ﴿قُلْ اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ لا شريك له فيه فلا شريك له في العبادة ﴿وَهُوَ الْوَّاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ لعباده. ثم ضرب مثلاً للحق والباطل فقال: [١٧] ﴿أَنْزَلَ تَعَالَى﴾ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴿مَطَرًا﴾ فَسَاءَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا بِمِقْدَارِ مَلْعَتِهَا ﴿فَأَخْتَمَلُ السَّيْلُ زَيْدًا رَابِيًا﴾ عاليًا عليه، هو ما على وجهه من قدر ونحوه ﴿وَوَمَّا تَوَقَّدُونَ﴾ بالباء والياء^(٤) ﴿عَلَيْهِ فِي النَّارِ﴾ من جواهر الأرض كالذهب والفضة والنحاس ﴿أَبْتَسَاءً﴾ طلب ﴿حَلِيَّةً﴾ زينة ﴿أَوْ مَتَّعَ﴾ يتنفع به كالأواني إذا أذيت ﴿زَيْدٌ مِثْلُهُ﴾ أي: مثل زيد السيل وهو خبثه الذي يفتيه الكبر ﴿كَذَلِكَ﴾ المذكور ﴿يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ﴾ أي: مثلهما ﴿فَأَمَّا الزُّبَيْدُ﴾ من السيل وما أودع عليه من الجواهر ﴿فَيَذْهَبُ جُفَاءً﴾ باطلاً مرميًا به ﴿وَأَمَّا مَا يَبْعَثُ النَّاسُ﴾ من الماء والجواهر ﴿فَيَمْكُنُّ﴾ يبقى ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ زمانًا، كذلك الباطل يضمحل وينمحى وإن علا على الحق في بعض الأوقات، والحق ثابت باق، ﴿كَذَلِكَ﴾ المذكور ﴿يَضْرِبُ﴾ بَيْنَ اللَّهِ الْأَمْثَالَ.

لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبْسِطٍ كَفْتِهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَلِيغٍ وَمَا دَعَا الْكُفْرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿١٥﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْعُدْوَةِ وَالْأَصَالِ ﴿١٦﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ نَسَوِيَ الظُّلُمَاتُ وَالنُّورَ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَلْفَيْهِ فَتَشَبَّهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلْ اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَّاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١٧﴾ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَاءَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حَلِيَّةٍ أَوْ مَتَّعَ زَيْدٌ مِثْلَهُ وَكَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزُّبَيْدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُنُّ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴿١٨﴾ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلرَّبِّ وَأَجابوه بالطاعة ﴿الْحَسَنَى﴾ الجنة ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ﴾ وهم الكفار ﴿لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ﴾ من العذاب ﴿أُولَئِكَ لَمْ يَسْئَلِ اللَّهُ الْمُؤاخِذَةَ بِكُلِّ مَا عَمِلُوا لَا يَغْفِرُ مِنْهُ شَيْءٌ﴾ ﴿وَمَا أَوْهَبَهُمْ جَهَنَّمَ وَيُسَّ اللَّهَادُ﴾ الفراه هي.

[١٨] ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلرَّبِّ﴾ أجبوه بالطاعة ﴿الْحَسَنَى﴾ الجنة ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ﴾ وهم الكفار ﴿لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ﴾ من العذاب ﴿أُولَئِكَ لَمْ يَسْئَلِ اللَّهُ الْمُؤاخِذَةَ بِكُلِّ مَا عَمِلُوا لَا يَغْفِرُ مِنْهُ شَيْءٌ﴾ ﴿وَمَا أَوْهَبَهُمْ جَهَنَّمَ وَيُسَّ اللَّهَادُ﴾ الفراه هي.

(١) ظاهره أنهما قراءتان سبعيتان، وليس كذلك، فالياء هي قراءة السبعة، أما التاء فشاذة.

(٢) هذا المعنى غير واضح، ولا يستقيم مع قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾، والأقرب أن يقال: إن المراد بالسجود كرهاً: هو انقياد غير المؤمنين من الكفار والمنافقين لإرادته شيخانته وتديره وتصرفه، لا يفكرون أن يمتنعوا عليه، وكذا تفادى له تعالى ظلالمهم، كما لا يبعد أن يخلق الله تعالى في الظلال أفعالنا وعقولاً بها تسجد لله، كما خلقها للرجال وغيرها حتى اشتغلت بالنسيب، ويجوز أن يراد بسجودها ما يشاهد فيها من هيئة السجود تبعاً لأصحابها، وهذه الآية كقولها تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَنْ فِيهِنَّ خَلْقٌ وَاحِدٌ لَأَسْفَدْتُمْ كُنُوزَهُمْ﴾ [آل عمران: ٨٣]، وقوله: ﴿أَوْلَئِكَ يَرَىٰ إِنْ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَكَّرُ ظُلْمًا عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾ [النحل: ٤٨].

(٣) جمع بكرة وهي من أول النهار.

(٤) بالباء قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة.

عهد ﴿وَلَا يَنْفُضُونَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى﴾ إِمَّا يَتَذَكَّرُ ﴿٢١﴾ ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ من الإيمان والرحم وغير ذلك ﴿وَيَحْتَسِبُونَ رَبَّهُمْ﴾ أي: وعيده ﴿وَيَحْفَظُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ تقدم مثله. ﴿٢٢﴾ ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا﴾ على الطاعة والبلاء وعن المعصية ﴿أَتَيْتَاءً﴾ طلب ﴿وَرَجَاءَ رَبِّهِمْ﴾ لا غيره من أعراض الدنيا ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا﴾ في الطاعة ﴿مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُوكَ﴾ يدفعون ﴿بِالْحَسَنَةِ الْسَيِّئَةَ﴾ كالجهل بالحلم والأذى بالصبر ﴿أُولَئِكَ لَمْ يَغْفَى اللَّهُ لَهُمْ﴾ أي: العاقبة المحمودة في الدار الآخرة.

﴿٢٣﴾ هي ﴿جَنَّتْ عَدْنٌ﴾ إقامة ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ هم ﴿وَمَنْ صَلَحَ﴾ آمن ﴿مِنْ آبَائِهِمْ وَوَالِدَاتِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَقَبٌ﴾ وإن لم يعملوا بعملهم، يكونون في درجاتهم تكرمة لهم ﴿وَاللَّاتِيكَةَ يَدْخُلُونَ عَلَيْهَا مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ من أبواب الجنة، أو القصور أول دخولهم للجنة^(١).

﴿٢٤﴾ يقولون: ﴿سَلِّمْ عَلَيْكُمْ﴾ هذا الثواب ﴿بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ بصبركم في الدنيا ﴿فَتِمَّ عَقِبُ الدَّارِ﴾ عقبكم.

﴿٢٥﴾ ﴿وَالَّذِينَ يَنْفُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ بالكفر والمعاصي ﴿أُولَئِكَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ لُحُوفٌ﴾ البعد من رحمة الله ﴿وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ العاقبة السيئة في الدار الآخرة، وهي جهنم. ﴿٢٦﴾ ﴿اللَّهُ يَنْسُطُ الرِّزْقَ﴾ يوسعها ﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾ لِمَنْ يَشَاءُ ﴿وَيَقْدِرُ﴾ يضيقه لمن يشاء ﴿وَرَفَحُوا﴾ أي: أهل مكة فرح بظن ﴿بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي: بما نالوه فيها ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي﴾ جنب حياة ﴿الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَّعٌ﴾ شيء قليل يتمتع به ويذهب.

﴿٢٧﴾ ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكة: ﴿لَوْلَا﴾ هلاً ﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ﴾ على محمد ﴿آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ كالعصا والبد والناقعة ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ﴾ إضلاله؛ فلا تغني عنه الآيات شيئاً ﴿وَيَهْدِي﴾ يرشد ﴿إِلَيْهِ﴾ إلى دينه ﴿مَنْ أُنَابَ﴾ رجع إليه. ويدل من ﴿مَنْ﴾: ﴿٢٨﴾ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ﴾ تسكن ﴿قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ﴾ أي: وعده ﴿أَلَا يَذَكِّرُ اللَّهُ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ أي: قلوب المؤمنين.

﴿٢٩﴾ ﴿أَمَّنْ يَعْلَمُ أَنَّهَا أَنْزِلُ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى﴾ إِمَّا يَتَذَكَّرُ ﴿٣٠﴾ ﴿أُولَئِكَ الْأَلْبَابُ﴾ الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْفُضُونَ إِلَيْكَ ﴿٣١﴾ ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَحْتَسِبُونَ رَبَّهُمْ وَيَحْفَظُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ وَالَّذِينَ صَبَرُوا بِإِتِّعَاءِ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُوكُونَ بِالْحَسَنَةِ الْسَيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَقَبٌ الدَّارِ ﴿٣٢﴾ جَنَّتْ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٣٣﴾ سَلِّمْ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٣٤﴾ وَالَّذِينَ يَنْفُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٣٥﴾ اللَّهُ يَنْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَرَفَحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَّعٌ ﴿٣٦﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أَنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ ﴿٣٧﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا يَذَكِّرُ اللَّهُ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٣٨﴾

[١٩] ونزل في حمزة وأبي جهل^(١): ﴿أَمَّنْ يَعْلَمُ أَنَّهَا أَنْزِلُ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ﴾ فأمَّن به ﴿كَمَنْ هُوَ أَعْمَى﴾ لا يعلمه ولا يؤمن به؟ لا ﴿إِمَّا يَتَذَكَّرُ﴾ يتعظ ﴿أُولَئِكَ الْأَلْبَابُ﴾ أصحاب العقول.

[٢٠] ﴿الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ﴾ المأخوذ عليهم وهم في عالم الذر، أو كل

(١) لم أقف في كتب أسباب النزول أو غيرها من كتب التفسير على ما يشهد لهذا القول، والمشهور أن الآية عامة في التفريق بين المؤمنين والكافرين كما ذكر ذلك قتادة وغيره. كما في الدر المنثور وتفسير الطبري وغيرهما. والله أعلم.

(٢) ول دليل على هذا الحصر، وظاهر إطلاق الآية - عليه المفسرون - أنه غير مخصوص بهذا الوقت، بل يدخلون عليهم في غيره.

[٢٩] ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ مبتدأ خبره: ﴿طوبى﴾ مصدر من الطيب (١)، أو شجرة في الجنة يسير الراكب في ظلها مائة عام ما يقطعها (٢). ﴿لَهُمْ وَحَسُنَ مَا أَتَوْا﴾ مرجع.

[٣٠] ﴿كَذَلِكَ﴾ كما أرسلنا الأنبياء قبلك ﴿أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لَبِئُوا﴾ تقرأ ﴿عَلَيْهِمُ الَّذِينَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ أي: القرآن ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾ حيث قالوا لما أمروا بالسجود له: وما الرحمن؟ ﴿فَلِإِنَّ لَهُمْ يَا مُحَمَّد: ﴿هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٌ﴾.

[٣١] ونزل لما قالوا له: إن كنت نبياً فسئِر عنا جبال مكة، واجعل لنا فيها أنهاراً وعيوناً؛ فغرس ونزرع، وابتعث لنا آباءنا الموتى يكلمونا أنك نبي (٣): ﴿وَلَوْ أَنَّ قَوْمًا سَيَّرَتْ بِهِ أَلْجِبَالَ﴾ نقلت عن أماكنها ﴿أَوْ قَطَّعَتْ﴾ شققت ﴿بِهِ الْأَرْضَ أَوْ كُفِّمَ بِهِ الْمَوْتَى﴾ بأن يحيوا لما آمنوا ﴿بَلْ يَلَوُ الْأُمَمُ جَمِيعًا﴾ لا لغيره فلا يؤمن إلا من شاء إيمانه دون غيره إن أوتوا ما اقترحوا، ونزل لما أراد الصحابة إظهار ما اقترحوا طمعاً في إيمانهم: ﴿أَفَلَمْ يَأْتِيَنَّ بِعِلْمٍ﴾ (٤) ﴿الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ﴾ مخفية؛ أي: أنه ﴿لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا﴾ إلى الإيمان من غير آية ﴿وَلَا يَرَأَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكة ﴿تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا﴾ يصنعهم؛ أي: كفرهم ﴿فَارْعَهُ﴾ داهية تفرعهم بصنوف البلاء من القتل والأسر والحرب والجدب ﴿أَوْ تَحُلَّ﴾ يا محمد بجيشك (٥) ﴿قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ﴾ مكة ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعَدَّ اللَّهُ﴾ بالنصر عليهم ﴿إِنَّكَ اللَّهُ لَا يُخَلِّفُ الْوَعْدَ﴾ وقد حل بالحدودية حتى أتى فتح مكة.

[٣٢] ﴿وَلَقَدْ أَسْتَهْزَيْتُمْ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ كما استهزئ بك، وهذا تسلية للنبي ﷺ ﴿فَأَمَلَيْتُمْ﴾ أمهلت ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا تُمْ لِحَدِيثِهِمْ﴾ بالعقوبة ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ أي: هو واقع موقعه، فكذلك أفعَل من استهزأ بك.

[٣٣] ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ﴾ رقيب ﴿عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ عملت من خير وشر، وهو الله، كمن ليس كذلك من الأصنام؟ لا، دل على هذا ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلُوبًا سَمَوْهُمْ﴾ له من هم؟ ﴿أَمْ﴾ بل ﴿تَتَّبِعُونَ﴾ تخبرون الله ﴿بِمَا﴾ أي: بشريك ﴿لَا يَعْلَمُ بِهِ﴾ في الأرض؟ استفهام إنكار؛ أي: لا شريك له إذ لو كان لعلمه، تعالى عن ذلك ﴿أَمْ﴾ بل تسمونهم شركاء ﴿يُظَاهِرُونَ الْقَوْلَ﴾ بظن باطل لا حقيقة له في الباطن ﴿بَلْ رَيْنٌ لِلَّذِينَ

الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحَسُنَ مَا أَتَوْا ﴿٢٩﴾
كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لَبِئُوا
عَلَيْهِمُ الَّذِينَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٌ ﴿٣٠﴾ وَلَوْ أَنَّ قَوْمًا
سَيَّرَتْ بِهِ أَلْجِبَالَ أَوْ قَطَّعَتْ بِهِ الْأَرْضَ أَوْ كُفِّمَ بِهِ الْمَوْتَى
بَلْ لَئِنَّ اللَّهَ لَأَمْرٌ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَأْتِيَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ
اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَرَأَى الَّذِينَ كَفَرُوا تَصِيبُهُمْ
بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةً أَوْ تُحُلَّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعَدَّ
اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَأَيُّخَلِفُ الْأَمْعَادَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ أَسْتَهْزَيْتُمْ بِرُسُلٍ مِنْ
قَبْلِكَ فَأَمَلَيْتُمْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا تُمْ لِحَدِيثِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ
عِقَابِ ﴿٣٢﴾ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا
لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلُوبًا سَمَوْهُمْ أَمْ تَتَّبِعُونَهُ وَبِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ
يُظَاهِرُونَ الْقَوْلَ بَلْ رَيْنٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ وَصُدُّوا عَنِ
السَّبِيلِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَعَذَابٌ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴿٣٤﴾

كَفَرُوا مَكْرَهُمْ﴾ كفرهم ﴿وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ﴾ طريق الهدى ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾.

[٣٤] ﴿لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بالقتل والأسر ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ﴾ أشد منه ﴿وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾ مانع.

(١) قال الزمخشري: ﴿طُوبَىٰ﴾: مصدر من «طاب» كبشري وزلفي، ومعنى «طوبى لك»: أصبت خيراً وطيباً.

(٢) أخرج ابن أبي حاتم عن وهب بن منبه عن محمد بن علي بن الحسين بن فاطمة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن في الجنة شجرة يقال لها طوبى لو يسير الراكب الجواب في ظلها لسار فيه مائة عام قبل أن يقطعها...» الحديث [البرق للثور (١١٣/٤)].

وجاء نحو هذا المعنى في حديث رواه أحمد (١١٢٤٥) عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً، ووضحه الألباني في السلسلة الصحيحة (٦٣٩/٤) رقم (١٩٨٥) وحسنه في صحيح الجامع (٣٩١٨).

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (٨٥/١٢) رقم (١٢٦١٧) عن ابن عباس، والضياء المقدسي في الأحاديث المختارة (٥٥٦/٩)، رقم (٥٥٧)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤٣/٧): «رواه الطبراني، وفيه قابوس بن أبي طيبان، وقد وثق».

(٤) وهي لغة هوازن؛ حيث يطلقون «بئس» على معنى «علم».

(٥) والقول الآخر، وهو الظاهر من السياق؛ أن الضمير يعود إلى الفارعة؛ أي: تصيب من حولهم؛ ليعتظوا ويعتبروا.

[٣٦] ﴿وَالَّذِينَ آمَنَتْهُمْ أَكْثَبُ﴾ كعب الله بن سلام وغيره من مؤمني اليهود ﴿يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ لموافقته ما عندهم ﴿وَمِنَ الْأَحْزَابِ﴾ الذين تحزبوا عليك بالمعاداة من المشركين اليهود ﴿مَنْ يُكْفِرْ بَعْضُهُمْ﴾ كذكر الرحمن وما عدا القصص ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنزِلَتْ﴾ فيما أنزل إلي ﴿أَنْ﴾ أي: بأن ﴿أَعْبُدُ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكُ بِهِ﴾ إِلَيْهِ ادْعُوا وَإِلَيْهِ مَتَابٌ ﴿مرجعي﴾.

[٣٧] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ الإنزال ﴿أُنزِلَتْ﴾ أي: القرآن ﴿حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ بلغة العرب تحكم به بين الناس ﴿وَلَمَّا اتَّبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ أي: الكفار فيما يدعونك إليه من ملتهم فرضاً ﴿بِمَدِّ مَا جَاءَكَ مِنَ الْوَالِدِ﴾ بالتوحيد ﴿مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ زَائِلَةٍ﴾ ناصر ﴿وَلَا وَاقٍ﴾ مانع من عذابه.

[٣٨] ونزل لما عبروه بكثرة النساء^(١): ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِيَّةً﴾ أولاداً وأنت مثلهم ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ﴾ منهم ﴿أَنْ يَأْتِيَ بِبَيِّنَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ لأنهم عبيد مريبون ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ﴾ مدة ﴿كِتَابٍ﴾ مكتوب فيه تحديده.

[٣٩] ﴿يَمْحُوا اللَّهَ﴾ منه ﴿مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ﴾ بالتخفيف والتشديد^(٢)، فيه ما يشاء من الأحكام وغيرها ﴿وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ أصله الذي لا يتغير منه شيء، وهو ما كتبه في الأزل.

[٤٠] ﴿وَأَمَّا﴾ فيه ادغام نون «إن» الشرطية في «ما» المزيدة ﴿رُسُوكَ بَعْضَ الَّذِي نَوَيْتُمْ﴾ به من العذاب في حياتك، وجواب الشرط محذوف؛ أي: فذاك ﴿أَنْ تَنْوُونَكَ﴾ قبل تعذيبهم ﴿فَوَيْلٌ لَكَ مِنَ الْبَلَاءِ﴾ ما عليك إلا التبليغ ﴿وَعَلَيْتَنَا الْحِسَابُ﴾ إذا صاروا إلينا فنجازيهم.

[٤١] ﴿أُولَئِكَ يَرَوْنَ﴾ أي: أهل مكة ﴿أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ﴾ نقصد أرضهم ﴿تَنْفُصًا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ بالفتح على النبي ﷺ ﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ﴾ في خلقه بما يشاء ﴿لَا مَعْزِبَ﴾ لا راد ﴿لِحُكْمِهِ﴾ وهو سريع الحساب.

[٤٢] ﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم بأبيائهم كما مكروا بك ﴿فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا﴾ وليس مكروهم كمكروه؛ لأنه - تعالى - ﴿يَعْلَمُ مَا تَكْتُمُ كُلُّ نَفْسٍ﴾ فيعد لها جزاءه، وهذا هو المكر كله؛ لأنه يأتيهم به من حيث لا يشعرون ﴿وَسَيَعْلَمُ الْكَافِرِينَ﴾ المراد به الجنس، وفي قراءة: ﴿الْكُفَّارِ﴾^(٣) ﴿لَمَنْ عَقِبَ الدَّارِ﴾؛ أي: العاقبة المحمودة في الدار الآخرة ألهم أم النبي ﷺ وأصحابه.

﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾
﴿أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظُلُمَاتُهَا تَنْعَمُ﴾ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعَقِبَى
الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعَتْهُمْ أَكْثَبُ الْكِتَابِ يَفْرَحُونَ
بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُشْرِكُ بَعْضُهُمْ قَوْلَ إِنَّمَا
أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكُ بِهِ إِلَيْهِ ادْعُوا وَإِلَيْهِ مَتَابٌ
﴿وَكَذَلِكَ أُنزِلَتْ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَمَّا اتَّبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ
مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ
أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِيَّةً وَمَا كَانَ
لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِبَيِّنَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾
يَمْحُوا اللَّهَ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٣٩﴾ وَإِنْ مَا
رُيْتِكَ بَعْضَ الَّذِي نَعَدُهُمْ أَوْ تَوَفَّيْتَهُ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاءُ
وَعَلَيْتَنَا الْحِسَابُ ﴿٤٠﴾ أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا
مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مَعْزِبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ
الْحِسَابِ ﴿٤١﴾ وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا
يَعْلَمُ مَا تَكْتُمُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لَمَنْ عَقِبَ الدَّارِ ﴿٤٢﴾

[٣٥] ﴿نَسُتُ﴾ صفة ﴿الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾ مبتدأ خبره محذوف؛ أي: فيما تُفَضُّ عليكم ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ ما يؤكل فيها ﴿دَائِمٌ﴾ لا يفنى ﴿وِظُلُمَاتُهَا﴾ دائم لا تنسخه شمس لعدمها فيها ﴿تَنْعَمُ﴾ أي: الجنة ﴿عَقِبَى﴾ عاقبة ﴿الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الشرك ﴿وَعَقِبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾.

(١) كان تعبيرهم له ﷺ بذلك بقصد الطعن في نبوته ﷺ.

(٢) وهما قراءةتان سبعيتان، وبالتشديد قراءة حمزة والكسائي ونافع وابن عامر.

(٣) والقراءة المفسرة لنافع وابن كثير وأبي عمرو.

وَقَوْلِ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا
بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴿٤٣﴾

سورة ابراهيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ
إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١﴾
اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَقِيلُ
لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ
الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ
اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٣﴾ وَمَا
أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ
فِيضْلَ اللَّهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ
قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكَرْتَهُمْ بِآيَاتِنَا
اللَّهِ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾

[٤٣] ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ لك: ﴿لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ﴾ لهم: ﴿كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ على صدقي ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ من مؤمني اليهود والنصارى.

سورة ابراهيم

[مكية إلا: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا﴾ الآيتين فمدنيتان . وآياتها:

إحدى، أو: اثنتان، أو: أربع، أو: خمس وخمسون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الرَّ﴾ الله أعلم بمراده بذلك، هذا القرآن ﴿كَتَبْتُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾ الكفر ﴿إِلَى النُّورِ﴾ الإيمان ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ بأمر ﴿رَبِّهِمْ﴾ وبإذن من ﴿إِلَى النُّورِ﴾: ﴿إِلَى صِرَاطٍ طَرِيقِ الْعَزِيزِ﴾ الغالب ﴿الْحَمِيدِ﴾ المحمود.
[٢] ﴿اللَّهُ﴾ بالجر بدل أو عطف بيان وما بعده صفة، والرفع (١) مبتدأ خبره: ﴿الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ملكاً وخلقاً وعبيداً ﴿وَوَقِيلُ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾.
[٣] ﴿الَّذِينَ﴾ نعت ﴿يَسْتَحِبُّونَ﴾ يختارون ﴿الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ﴾ الناس ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دين الإسلام ﴿وَيَبْغُونَهَا﴾ أي: السبيل ﴿عِوَجًا﴾ معوجة ﴿أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ عن الحق.
[٤] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ﴾ بلغة ﴿قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ ليفهمهم ما أتى به ﴿فِيضْلَ اللَّهِ﴾ من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز العزيز ﴿فِي مَلِكِهِ﴾ الحكيم ﴿فِي صَنْعِهِ﴾.
[٥] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا﴾ التسع، وقلنا له: ﴿أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ﴾ بني إسرائيل ﴿مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾ الكفر ﴿إِلَى النُّورِ﴾ الإيمان ﴿وَذَكَرْتَهُمْ بِآيَاتِنَا﴾ بنعمه ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ﴾ التذكير ﴿لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ﴾ على الطاعة ﴿شَكُورٍ﴾ للنعمة.

(٥) فائدة: أخرج أحمد عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «لم يعث الله نبيًا إلا بلغة قومه». (المسند ١٨٥/٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥١٩٧).

(١) بالرفع قراءة نافع وابن عامر.

[٦] ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيَدْعُونَ آبَاءَكُمْ﴾
المولودين ﴿وَيَسْتَحْيُونَ﴾ يستتفون ﴿بِنِسَاءِكُمْ﴾ لقول بعض الكهنة: إن مولودا
يولد في بني إسرائيل يكون سبب ذهاب ملك فرعون ﴿وَفِي ذَلِكَ﴾ الإنجاء
أو العذاب ﴿بَلَاءٌ﴾ إنباع أو ابتلاء ﴿مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾.

[٧] ﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ﴾ أعلت ﴿رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ﴾ نعمتي بالتوحيد
والطاعة ﴿لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ ولكن كقرتم ﴿وَلَكِنْ كَفَرْتُمْ﴾ جحدم النعمة بالكفر والمعصية
لأعذبكم، دل عليه: ﴿إِنَّا عَدَائِي لِشَدِيدٌ﴾.

[٨] ﴿وَقَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾ لقومه: ﴿إِن تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾
فَأِنَّ اللَّهَ لَنُؤَذِّبَنَّكُمْ﴾ عن خلفه ﴿جِيدٌ﴾ محمود في صنعه بهم.

[٩] ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ﴾ استفهام تقرير ﴿بِنُوحٍ﴾ خبر ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾
قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ﴾ قوم هود ﴿وَتَمُودَ﴾ قوم صالح ﴿وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾
لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ﴾ لكنرتهم ﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالحجج الواضحة
على صدقهم ﴿فَرَدُّوا﴾ أي: الأمم ﴿أَيِّدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾ أي: إليها؛
ليعضوا عليها من شدة الغيظ^(١) ﴿وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ﴾ في
زعمكم ﴿وَرِنَّا لَنَلِيَنَّ شَيْئًا مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ﴾ موقع في الرية.

[١٠] ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِ اللَّهِ شَكٌّ﴾ استفهام إنكار؛ أي: لا شك
في توحيده للدلائل الظاهرة عليه ﴿فَاطِرِ﴾ خالق ﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾
يَدْعُوكُمْ﴾ إلى طاعته ﴿لِيُغْفَرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ «من» زائدة فإن الإسلام
يعفر به ما قبله، أو تبعضية لإخراج حقوق العباد ﴿وَيُؤَخِّرَكُمْ﴾ بلا عذاب
﴿إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ أجل الموت ﴿قَالُوا إِنَّا﴾ ما ﴿أَنْشُرُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾
نُرِيدُونَ أَن تَضَدُّونَا عَمَّا كَانَتْ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ من الأصنام ﴿فَأَنزَلْنَا﴾
بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ حجة ظاهرة على صدقكم.

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيَدْعُونَ آبَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ آبَاءَكُمْ وَيَدْعُونَ آبَاءَكُمْ فِي ذَلِكَ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ وَقَالَ مُوسَى إِنَّ تَكْفُرًا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَفِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نُبُوءَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَتَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ ﴿٩﴾ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِ اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيُغْفَرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا إِنَّا أَنْشُرُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا نُرِيدُونَ أَنْ تَضَدُّونَا عَمَّا كَانَتْ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ ﴿١٠﴾

(١) هذا قول ابن مسعود، وقيل: معناه أنهم أشاروا إلى أفواه الرسل يأمرونهم بالسكوت. وقيل: بل وضعوا أيديهم على أفواههم تكديبا لهم. وقيل: بل هو عبارة عن سكوتهم عن جواب الرسل وعدم الإيمان بهم. وقيل غير ذلك.

قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ
يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ
بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾
وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلْيَصْرَبَنَّ
عَلَىٰ مَاءِ آذِيْتُمْوْنَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾
وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُصْرَبَنَّ عَنْ أَرْضِنَا أَوْ
لَنَعُودَنَّ لَكُمْ يَوْمَ نَأْتِيكُمْ بِطُرُوقٍ نَحْنُ نَكْبِهُكُمْ
الظَّالِمِينَ ﴿١٣﴾ وَاللَّيْلُ نَسُومٌ مَلَأُوا بِيَاضَ الْأَرْضِ
وَالنَّجْمُ سُبُورٌ لَّهُمْ سِيًّا وَأَكْفَانٌ عَلَيْهِمْ يَوْمَ هَمْ
كَلْبُوعًا ﴿١٤﴾ وَاللَّهُ يَخْتَارُ عَلَىٰ مَا هُمْ لَا يَخْتَارُونَ ﴿١٥﴾
وَاللَّهُ يَخْتَارُ عَلَىٰ مَا هُمْ لَا يَخْتَارُونَ ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ يَخْتَارُ
عَلَىٰ مَا هُمْ لَا يَخْتَارُونَ ﴿١٧﴾ وَاللَّهُ يَخْتَارُ عَلَىٰ مَا هُمْ
لَا يَخْتَارُونَ ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ يَخْتَارُ عَلَىٰ مَا هُمْ لَا يَخْتَارُونَ
﴿١٩﴾ وَاللَّهُ يَخْتَارُ عَلَىٰ مَا هُمْ لَا يَخْتَارُونَ ﴿٢٠﴾

﴿١١﴾ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ ﴿ ما نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ ﴾ كما
قلتم ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾ بالنسبة ﴿ وَمَا كَانَ ﴾ ما
ينبغي ﴿ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ بأمره؛ لأننا عبيد مربيون
﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ يتقوا به.
﴿١٢﴾ ﴿ وَمَا لَنَا أَلَّا نَكُونَ ﴾ لا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ ﴿ أي: لا مانع لنا من ذلك ﴾
﴿ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلْيَصْرَبَنَّ ﴾ وَصْرَبْنَا سُبُلَنَا ﴿ على آذيتكم ﴾ ﴿ وَعَلَى اللَّهِ
فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾.
﴿١٣﴾ ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُصْرَبَنَّ عَنْ أَرْضِنَا أَوْ
لَنَعُودَنَّ ﴾ نصيرن ﴿ لَكُمْ يَوْمَ نَأْتِيكُمْ بِطُرُوقٍ نَحْنُ نَكْبِهُكُمْ ﴾
الظَّالِمِينَ ﴿ الكافرين.﴾
﴿١٤﴾ ﴿ وَاللَّيْلُ نَسُومٌ مَلَأُوا بِيَاضَ الْأَرْضِ ﴾ أرضهم ﴿ مِنْ بَعْدِهِمْ ﴾ بعد هلاكهم
﴿ ذَلِكَ ﴾ النصر وإيراث الأرض ﴿ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي ﴾ أي: مقامه بين يدي
﴿ وَسَخَّافَ وَعَبِيدَ ﴾ بالعذاب.
﴿١٥﴾ ﴿ وَاللَّهُ يَخْتَارُ ﴾ استنصر الرسل بالله على قومهم ﴿ وَخَابَ ﴾ خسر
﴿ كُلُّ جَبَّارٍ ﴾ متكبر عن طاعة الله ﴿ عَنِيبٍ ﴾ معاند للحق.
﴿١٦﴾ ﴿ مِنْ وَرَائِهِ ﴾ أي: أمامه ﴿ جَهَنَّمُ ﴾ يدخلها ﴿ وَنَسْفَلُ ﴾ فيها ﴿ مِنْ
مَاءٍ صَدِيدٍ ﴾ هو ما يسيل من جوف أهل النار مختلطاً بالقبح والدم.
﴿١٧﴾ ﴿ يَنْجَرِعُهُ ﴾ يتلعه مرة بعد مرة لمرارته ﴿ وَلَا يَكَادُ ﴾
يُسْبِغُهُ ﴿ يَزِدُّهُ لِقَبْحه وكرامته ﴿ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ ﴾ أي: أسبابه المقتضية له
من أنواع العذاب ﴿ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ﴾ مِنْ وَرَائِهِ ﴿ بعد
ذلك العذاب ﴿ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾ قوي متصل.
﴿١٨﴾ ﴿ مِثْلُ ﴾ صفة ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا يَرْبَهُمْ ﴾ مبتدأ، ويبدل منه:
﴿ أَعْمَلُهُمْ ﴾ الصالحة؛ كصلة وصدقة في عدم الانتفاع بها ﴿ كَرَمَادٍ ﴾
أَسْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ﴿ شديد هبوب الريح فجعلته هباءً منثوراً لا
يقدر عليه، والجرور خبر المبتدأ ﴿ لَا يَقْدِرُونَ ﴾ أي: الكفار ﴿ وَمَا كَسَبُوا ﴾
عملوا في الدنيا ﴿ وَعَلَىٰ شَيْءٍ ﴾ أي: لا يجدون له ثواباً^(١)؛ لعدم شرطه^(٢)
﴿ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ ﴾ الهلاك ﴿ الْبَعِيدُ ﴾.

(١) أي في الآخرة. بل يبايون عليه في الدنيا كما قال رسول الله ﷺ: «إن الله لا يظلم مؤمناً حسنة؛ يُعطي بها في الدنيا، ويُجزى بها في الآخرة. أما الكافر؛ فيقطع بحسنات ما عمل لله في الدنيا، حتى إذا أنفى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يجزي بها». رواه مسلم (٢٨٠٨).

(٢) وهو الإيمان.

[١٩] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تنظر يا مخاطب، استفهام تقرير ﴿أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ متعلق بـ«خلق» ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ بدلکم.

[٢٠] ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَعْزِيزٌ﴾ شديد.

[٢١] ﴿وَرَبُّوْا﴾ أي: الخلاق، والتعبير فيه وفيما بعده بالماضي؛ لتحقق وقوعه ﴿وَلِيَّوْا جَمِيْعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِيْنَ اسْتَكْبَرُوا﴾ للذين استكبروا المتبوعين: ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَعْمًا﴾ جمع تابع ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَوُونَ﴾ دافعون ﴿عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ تَتَابُعٍ﴾ «من» الأولى للتبيين، والثانية للتبعيض ﴿قَالُوا أَأَلْهَى اللَّهُ الْبَشَرِ الْغِيْبَاتِ﴾ لعدوناكم إلى الهدى ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ سَبَّحْنَا مَا لَنَا مِنَ نَّازِلَةٍ مُّزِيْدَةٍ﴾ «تجيبين» ملجأ.

[٢٢] ﴿وَقَالَ السُّلَيْطُنُ﴾ إبليس ﴿لَمَّا فَصَى الْآمُرُ﴾ وأدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار واجتمعوا عليه: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ﴾ بالبعث والجزاء فصدقكم ﴿وَوَعَدَكُمْ﴾ أنه غير كائن ﴿فَأَخْلَفَكُمْ﴾ وما كان لي عليكم من زائدة ﴿سُلْطَنٍ﴾ قوة وقدرة أقهركم على متابعتي ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿أَنْ دَعَوْتُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تُلْمُونِي وَلَوْ مَوَّأْتُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي﴾ بفتح الياء وكسرها^(٥) ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ﴾ بإشراككم إياي مع الله ﴿وَمِنْ قَبْلُ﴾ في الدنيا، قال تعالى: ﴿إِنَّ الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم.

[٢٣] ﴿وَأَدْخَلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ يُحَيِّتُهُمْ﴾ من الملائكة وفيما بينهم ﴿سَلَامٌ﴾.

[٢٤] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تنظر ﴿كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾ ويبدل منه: ﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ أي: لا إله إلا الله ﴿كَنْجُرَةً طَيِّبَةً﴾ هي النخلة ﴿أَصْلُهَا تَائِبٌ﴾ في الأرض ﴿وَفَرْعُهَا﴾ غصنها ﴿فِي السَّمَاءِ﴾^(٦).

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَعْزِيزٌ ﴿٢٠﴾ وَرَبُّوْا لِلَّهِ جَمِيْعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِيْنَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَعْمًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَوُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاهُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ صَبَّحْنَا مَا لَنَا مِنَ مَحِيصٍ ﴿٢١﴾ وَقَالَ السُّلَيْطُنُ لَمَّا فَصَى الْآمُرِ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ وَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَنٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُمْكُمْ فَأَسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تُلْمُونِي وَلَوْ مَوَّأْتُمْ أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ وَأَدْخَلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ يُحَيِّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴿٢٣﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: وأخبروني بشجرة مثلها مثل المسلم، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، ولا تحتمل. أي تسقط. ورقها؟. فوقع في نفسي أنها النخلة، فكرهت أن أتكلم وتم أبو بكر وعمر، فلما لم يتكلموا قال النبي ﷺ: وهي النخلة. البخاري. كتاب التفسير (٦٥) سورة إبراهيم (١٤) باب (١) ﴿كَنْجُرَةً طَيِّبَةً أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾، وأخرجه مسلم. كتاب صفات المنافقين (٥٠) باب (١٥) المؤمن مثل النخلة.

تُؤْتِي أَكْهَامًا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴿٢٥﴾
 لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ
 كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ
 قَرَارٍ ﴿٢٧﴾ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ
 الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ
 مَا يَشَاءُ ﴿٢٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا
 وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴿٢٩﴾ جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا وَنَسَّ
 الْقَرَارَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ
 تَمَتَّعُوا فَإِن مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴿٣١﴾ قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ
 ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً
 مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلَالَ ﴿٣٢﴾ اللَّهُ الَّذِي
 خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ
 بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ
 فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٣٣﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ
 الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٤﴾

﴿٢٥﴾ ﴿تُؤْتِي﴾ تعطي ﴿أَكْهَامًا﴾ ثمرها ﴿كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾
 بإرادته، كذلك كلمة الإيمان ثابتة في قلب المؤمن، وعمله يصعد إلى السماء
 ويناله بركته وثوابه كل وقت ﴿وَيَضْرِبُ﴾ بين ﴿اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ
 لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ يعظون فيؤمنون.

﴿٢٦﴾ ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ هي كلمة الكفر ﴿كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ هي
 الخنظل ﴿اجْتُثَّتْ﴾ استوصلت ﴿مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ مستقر
 وثبات، كذلك كلمة الكفر لا ثبات لها ولا فرع ولا بركة.

﴿٢٧﴾ ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ هي كلمة التوحيد
 ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ أي: في القبر لما يسألهم الملكان عن
 ربهم ودينهم ونبئهم فيجيئون بالصواب - كما في حديث الشيخين (١)
 ﴿وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ﴾ الكفار فلا يهتدون للجواب بالصواب بل يقولون:
 لا ندري كما في الحديث ﴿وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾.

﴿٢٨﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تنظر ﴿إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ﴾ أي: شكرها
 ﴿كُفْرًا﴾ هم كفار قريش ﴿وَأَسْلَوْا﴾ أنزلوا ﴿قَوْمَهُمْ﴾ بإضلالهم إياهم
 ﴿دَارَ الْبَوَارِ﴾ الهلاك.

﴿٢٩﴾ ﴿جَهَنَّمَ﴾ عطف بيان ﴿يَصَلُّونَهَا﴾ يدخلونها ﴿وَنَسَّ
 الْقَرَارَ﴾ المرحي.

﴿٣٠﴾ ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ شركاء ﴿لِيُضِلُّوا﴾ بفتح الباء وضمها (٢)
 ﴿عَنْ سَبِيلِهِ﴾ دين الإسلام ﴿قُلْ لَهُمْ﴾: ﴿تَمَتَّعُوا﴾ بدنياكم قليلاً ﴿فَإِن
 مَصِيرَكُمْ﴾ مرجعكم ﴿إِلَى النَّارِ﴾.

﴿٣١﴾ ﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا
 وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلَالَ﴾ مُخَالَفَةٌ؛ أي:
 صداقة تنفع، هو يوم القيامة.

﴿٣٢﴾ ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً
 فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفَلَكَ﴾ السفن ﴿لِتَجْرِيَ
 فِي الْبَحْرِ﴾ بالركوب والحمل ﴿بِأَمْرِهِ﴾ بإذنه ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ﴾.

﴿٣٣﴾ ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ﴾ جارين في فلكهما لا
 يفتران ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ﴾ لتسكنوا فيه ﴿وَالنَّهَارَ﴾ لتبتغوا فيه من فضله.

(١) أخرج نحوه البخاري (٤٦٩٩)، ومسلم (٢٨٧١) عن البراء بن عازب مرفوعاً.

(٢) بالفتح قراءة ابن كثير وأبي عمرو.

[٣٥] ﴿وَذَكَرْ﴾ ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ مَكَّةَ﴾ ﴿أَيْمَانًا﴾ ﴿ذَا أَمْنٍ﴾ ﴿وَقَدْ أَجَابَ اللَّهُ دَعَاءَهُ فَجَعَلَهُ حَرَمًا لَا يَسْفِكُ فِيهِ دَمَ إِنْسَانٍ وَلَا يَظْلَمُ فِيهِ أَحَدٌ وَلَا يَصَادُ صَيْدُهُ وَلَا يُخْتَلَى خِلَاةٌ﴾ ﴿وَأَجِئْتَنِي﴾ ﴿بِعِدَّتِي﴾ ﴿عَنْ رَبِّكَ﴾ ﴿أَنْ تَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾.

[٣٦] ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لِذِكْرِكَ الْقُرْبَانَ﴾ ﴿أَيْ: الْأَصْنَامَ﴾ ﴿أَسْلَمْتُ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾ ﴿عِبَادَتِهِمْ﴾ ﴿لَهَا﴾ ﴿فَمَنْ يَتَّبِعْنِي﴾ ﴿عَلَى التَّوْحِيدِ﴾ ﴿فَأِنَّهُ مِنِّي﴾ ﴿مِنَ أَهْلِ دِينِي﴾ ﴿وَمَنْ عَصَانِي﴾ ﴿فَأِنَّكَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ﴿هَذَا قَبْلَ عِلْمِهِ﴾ ^(١) ﴿أَنَّهُ تَعَالَى - لَا يَغْفِرُ الشَّرْكَ﴾.

[٣٧] ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِن ذُرِّيَّتِي بَيْتًا﴾ ﴿أَيْ: بَعْضَهَا وَهُوَ إِسْمَاعِيلُ مَعَ أُمِّهِ هَاجِرٍ﴾ ﴿بِوَادٍ عَيْرٍ ذِي زُرْعٍ﴾ ﴿هُوَ مَكَّةُ﴾ ﴿عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾ ﴿الَّذِي كَانَ قَبْلَ الطُّوفَانِ﴾ ﴿رَبَّنَا لِئَلْيَقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْعَدَةً﴾ ﴿قُلُوبَنَا﴾ ﴿وَمِنَ النَّاسِ تَهْوِي﴾ ﴿تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾ ﴿وَأَرْزُقُهُمْ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ ﴿وَالرُّومِ وَالنَّاسِ كُلِّهِمْ﴾ ^(٢) ﴿وَأَرْزُقُهُمْ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ ﴿وَقَدْ فَعَلَ بِنَقْلِ الطَّائِفِ إِلَيْهِ﴾ ^(٣).

[٣٨] ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي﴾ ﴿نَسِرُ﴾ ﴿وَمَا نُخْلِي وَمَا نَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾ ﴿وَمَا نَخْفَى فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ ﴿يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مِنْ كَلَامِهِ - تَعَالَى - أَوْ كَلَامِ إِبْرَاهِيمَ﴾.

[٣٩] ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي﴾ ﴿أَعْطَانِي﴾ ﴿عَلَى﴾ ﴿مَعَ الْكَبِيرِ﴾ ﴿إِسْمَاعِيلَ﴾ ﴿وَلَدَ لَهُ تِسْعَ وَتِسْعُونَ سَنَةً﴾ ﴿وَإِسْحَاقَ﴾ ﴿وَلَدَ لَهُ مِئَةٌ وَاثْنَا عَشْرَةَ سَنَةً﴾ ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعٌ﴾.

[٤٠] ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَاجْعَلْ مِن ذُرِّيَّتِي﴾ ﴿مَنْ يَقِيمُهَا﴾ ﴿وَأَنِّي بِلَاغٍ مِنَ الْإِعْلَامِ اللَّهُ - تَعَالَى - لَهُ أَنْ مِنْهُمْ كَفَارًا﴾ ﴿رَبَّنَا وَقَبَّلْ دُعَاءَ﴾ ﴿الْمَذْكُورِ﴾.

[٤١] ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ﴾ ﴿هَذَا قَبْلَ أَنْ يَبَيِّنَ لَهُ عِدَاوَتَهُمَا لِلَّهِ وَرَبِّكَ﴾ ﴿وَقِيلَ: أَسْلَمْتَ أُمِّهِ﴾ ﴿وَقَرَى وَالْيَدِيَّ﴾ ﴿مُفْرَدًا﴾ ﴿وَوَالِدَيَّ﴾ ^(٤) ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ﴾ ﴿بِئْتِ﴾ ﴿الْحِسَابِ﴾.

[٤٢] قال - تعالى -: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفْلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾ ﴿الْكَافِرُونَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ﴾ ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ﴾ ﴿بِلا عَذَابِ﴾ ﴿لِيَوْمِ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ ﴿لَهُولَ مَا تَرَى﴾ ﴿يَقَالُ: شَخْصٌ بَصْرٌ فَلَانُ﴾ ﴿أَيْ: فَتَحَهُ فَلَمْ يَغْمِضْهُ﴾.

﴿وَأَنْتُمْ مِّنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا عِمَّتَ اللَّهِ لَا تُحْصَوْنَ﴾ ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ ^(٥) ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ^(٦) ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زُرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْعَدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَأَرْزُقُهُمْ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا نَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ ^(٧) ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكَبِيرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعٌ الدُّعَاءِ﴾ ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءَ﴾ ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَالْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفْلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمِ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ ^(٨)

[٣٤] ﴿وَأَنْتُمْ مِّنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ ﴿عَلَى حَسَبِ مَصَالِحِكُمْ﴾ ﴿وَإِن تَعُدُّوا عِمَّتَ اللَّهِ﴾ ﴿بِمَعْنَى إِعْجَامِهِ﴾ ﴿لَا تُحْصَوْنَ﴾ ﴿لَا تَطِيقُوا عَدَاةَ﴾ ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ﴾ ﴿الْكَافِرِ﴾ ﴿لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ ﴿كَثِيرَ الظُّلْمِ لِنَفْسِهِ بِالْمَعْصِيَةِ وَالْكَفْرِ لِنِعْمَةِ رَبِّهِ﴾.

(١) أي لا يقطع حشيشة النبات بنفسه.

(٢) أو أنه يقصد العبيان غير الشرك. ويكون هذا من شفقة الخليل عليه الصلاة والسلام؛ حيث دعا للعاصين بالمغفرة والرحمة من الله بذكره هذين الاسمين الشريفين في هذا الموضوع.

(٣) ذكره بهذا اللفظ ابن كثير في تفسيره (٥٢١/٢). وأخرج ابن جرير وابن المنذر والبيهقي في الشعب عن ابن عباس قال: لو كان إبراهيم ^(عليه السلام) قال: فاجعل أفعدة الناس تهوي إليهم لحجه اليهود والنصارى والناس كلهم، ولكنه قال: أفعدة من الناس، فخص به المؤمنين [الدر المنثور (١٦٢/٤)].

(٤) أي إلى الحرم، وهذا قول لا دليل عليه، والصحيح أن الله قد استجاب له بأن جعل الثمرات تجي إليه من كل مكان مصادق قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ نَسْجُدْ لَهَا حَرَمًا مَّيْمَانًا يَجُئُ إِلَيْهِ تَمَرَّتْ كُلُّ شَيْءٍ وَرِزْقًا مِّن لَّدُنَّا...﴾ [القصص: ٥٧]

(٥) وهما قرابتان شاذتان.

سُورَةُ الْحَجَرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّيَّةَ إِنَّكَ الْكَتَبَ وَقَرَأَ مِنْ مِيزَانٍ ① زَيْمًا يَوَدُّ
الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ② ذَرَّهُمْ يَأْكُلُوا
وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمْلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ③ وَمَا أَهْلَكْنَا
مِنْ قَرِيْبَةٍ إِلَّا وَهِيَ كِتَابٌ مَعْلُومٌ ④ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ
أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَخِرُونَ ⑤ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ
الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ⑥ لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَكَةِ إِن كُنْتَ
مِنَ الصَّادِقِينَ ⑦ مَا نُنزِّلُ الْمَلَكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا
إِذَا مُنظَرِينَ ⑧ إِنَّا نَحْنُ نُنزِّلُ الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ⑨
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شَيْعِ الْأَوَّلِينَ ⑩ وَمَا يَأْتِيهِمْ
مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ⑪ كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ
فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ⑫ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ
⑬ وَوَفَّحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ⑭
لَقَالُوا إِنَّمَا سَكَّرَتْ أُنصُرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ ⑮

سُورَةُ الْحَجَرِ

[مكية، تسع وتسعون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الرَّيَّةَ﴾ الله أعلم بمراده بذلك ﴿وَالَّذِينَ﴾ هذه الآيات ﴿يَأْتِيهِمْ﴾ بالباطل، عطف بزيادة صفة.

[٢] ﴿زَيْمًا﴾ بالشديد والتخفيف (١) ﴿يَوَدُّ﴾ ينمى ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يوم القيامة إذا عابوا حالهم وحال المسلمين ﴿لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ و﴿رُبَّ﴾ للتكثير فإنه يكثر منهم تمنى ذلك، وقيل: للتقليل فإن الأحوال تدهشهم فلا يفيقون حتى يتمنوا ذلك إلا في أحيان قليلة.

[٣] ﴿ذَرَّهُمْ﴾ اترك الكفار يا محمد ﴿يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا﴾ بدنياهم ﴿وَيُلْهِمُ﴾ يشغلهم ﴿الْأَمْلُ﴾ بطول العمر وغيره عن الإيمان ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ عاقبة أمرهم، وهذا قبل الأمر بالقتال.

[٤] ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيْبَةٍ﴾ زائدة ﴿قَرِيْبَةٍ﴾ أريد أهلها ﴿إِلَّا وَهِيَ كِتَابٌ﴾ أجل ﴿مَعْلُومٌ﴾ محدود لإهلاكها.

[٥] ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَخِرُونَ﴾ يتأخرون عنه.

[٦] ﴿وَقَالُوا﴾ أي: كفار مكة للنبي ﷺ: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ﴾ القرآن في زعمه ﴿إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾.

[٧] ﴿لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَكَةِ إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ في قولك: إنك نبي وإن هذا القرآن من عند الله.

[٨] قال - تعالى -: ﴿مَا تَنْزَّلُ﴾ (١) فيه حذف إحدى التاءين ﴿الْمَلَكَةَ﴾ إلى ﴿بِالْحَقِّ﴾ بالعذاب ﴿وَمَا كَانُوا إِذَا﴾ حين نزول الملائكة بالعذاب ﴿مُنظَرِينَ﴾ مؤخرين.

[٩] ﴿وَإِنَّا نَحْنُ﴾ تأكيد لاسم «إن» أو فصل (٢) ﴿نُنزِّلُ الذِّكْرَ﴾ القرآن ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ من التبديل والتعريف والزيادة والنقص.

[١٠] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ﴾ رسلاً ﴿فِي شَيْعِ﴾ فرق ﴿الْأَوَّلِينَ﴾.

[١١] ﴿وَمَا﴾ كان ﴿بِأَنْبِيَاءٍ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ كاستهزاء قومك بك، وهذا تسلية له ﷺ.

[١٢] ﴿كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ﴾ أي: مثل إدخالنا التكذيب في قلوب أولئك ندخله ﴿فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ أي: كفار مكة.

[١٣] ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ بالنبي ﷺ ﴿وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: سنة الله فيهم من تعذيبهم بتكذيبهم أنبياءهم، وهؤلاء مثلهم.

[١٤] ﴿وَوَفَّحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ﴾ في الباب ﴿يَعْرُجُونَ﴾ يصعدون.

[١٥] ﴿لَقَالُوا إِنَّمَا سَكَّرَتْ أُنصُرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ﴾ يعجل إلينا ذلك.

(١) بالشديد قراءة السبعة عدا نافع وعاصم.

(٢) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وعندهم «الملائكة» بالرفع، وقراء شعبة كذلك لكن بضم التاء، وقراء حفص وحزرة والكسائي: «ما نزل الملائكة» بالنون ونصب «الملائكة».

(٣) ضمير فصل، واعتراض بأن ضمير الفصل لا يكون إلا ضمير غيبة ولا يقع إلا بين اسمين، وهنا ليس كذلك، فالأولى الاختصار على الأول.

[١٦] ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾ اثني عشر: الحمل، والثور، والجزءاء، والسرطان، والأسد، والسنبلة، والميزان، والعقرب، والقوس، والجدي، والدلو، والحوت، وهي منازل الكواكب السبعة السيارة: «الريخ» وله الحمل والعقرب، و«الزهره» ولها الثور والميزان، و«عطاره» وله الجزءاء والسنبلة، و«القمر» وله السرطان، و«الشمس» ولها الأسد، و«المشتري» وله القوس والحوت، و«زحل» وله الجدي والدلو ﴿وَرَزَقْنَا﴾ بالكواكب ﴿الْبَنَاتِينَ﴾.

[١٧] ﴿وَحَفِظْنَاهَا﴾ بالشهب ﴿مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ مرجوم.

[١٨] ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿مِمَّنْ أَسْرَقَ السَّمْعَ﴾ حطفه ﴿فَأَتَيْنَاهُ شِهَابًا مُّبِينًا﴾ كوكب يضيء ويحرقه أو يقبه أو يخبه.

[١٩] ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا﴾ بسطناها ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ جبالاً ثوابت؛ لئلا تتحرك بأهلها ﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْرُوثٍ﴾ معلوم مقدر.

[٢٠] ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَنَاسِكَ﴾ بالياء^(١) من الثمار والحبوب ﴿وَوَجَعَلْنَا لَكُمْ مِّنْ لَّدُنَّا مَنَاسِكَ﴾ من العبيد والدواب والأنعام فيما يزرعهم الله.

[٢١] ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً نَّبَاتًا لُّبَّةً لَّهُنَّ﴾ ما ﴿مِنْ زَاوَادٍ﴾ زائدة ﴿إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِرُهُ﴾ مفاتيح خزائنه ﴿وَمَا نُنزِّلُهُ﴾ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿عَلَىٰ حِسَابِ الْمَصَالِحِ﴾.

[٢٢] ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاحٍ مَّنمَّمٍ﴾ تلقح السحاب فيمطر ماء^(٢) ﴿فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ مطراً ﴿فَأَنْبَتْنَا كُوفًا وَنَخِيلًا وَنَخِيلًا لَّهُنَّ﴾ أي: ليست خزائنه بأيديكم.

[٢٣] ﴿وَأَنزَلْنَا لَكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً نَّبَاتًا لُّبَّةً لَّهُنَّ﴾ أي: ليست خزائنه بأيديكم.

[٢٤] ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقِيمِينَ مِنكُمْ﴾ أي: من تقدم من الخلق من لدن آدم^(٣) ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقِيمِينَ﴾ المتأخرين إلى يوم القيامة.

[٢٥] ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً نَّبَاتًا لُّبَّةً لَّهُنَّ﴾ أي: ليست خزائنه بأيديكم.

[٢٦] ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْإِنْسَانَ﴾ آدم ﴿مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ طين يابس يسمع له صلصلة إذا نقر ﴿مِنْ حَمَلٍ﴾ طين أسود ﴿مَسْنُونٍ﴾ متغير.

[٢٧] ﴿وَالْجِبَانَ﴾ أبا الجن، وهو إبليس ﴿خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ﴾ أي: قبل خلق آدم ﴿مِنَ نَّارِ السَّمُومِ﴾ هي نار لا دخان لها تنفذ من المسام.

[٢٨] ﴿وَوَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَنَاسِكَ﴾ أي: ليست خزائنه بأيديكم.

وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَرَزَقْنَا بِهَا النَّظِيرِينَ ﴿١٦﴾
وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مِمَّنْ أَسْرَقَ السَّمْعَ
فَأَتَيْنَاهُ شِهَابًا مُّبِينًا ﴿١٨﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا
رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْرُوثٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ
فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَّدُنَّا لَهُ بَرَزَاتٍ ﴿٢٠﴾ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا
عِنْدَنَا خَزَائِرُهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا
الرِّيحَ لَوَاحٍ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ
لَهُ بِمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِيهِ وَنُمِيتُهُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴿٢٣﴾
وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقِيمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقِيمِينَ
﴿٢٤﴾ وَإِن رَّبَّكَ هُوَ يُحْشِرُهُمْ أَنَّهُ وَحَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا
الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَالْجِبَانَ خَلَقْنَاهُ
قَبْلَ مِنْ نَّارِ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا
مِّنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتَهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ
مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ
أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣١﴾

[٢٩] ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ﴾ أتممته ﴿وَنَفَخْتُ﴾^(٤) أخرجت ﴿فِيهِ مِنْ رُّوحِي﴾
فصار حيًا، وإضافة الروح إليه تشریف لآدم ﴿فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ سجدوا تحية
بالإنحاء.

[٣٠] ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ فيه تأكيدان.

[٣١] ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ هو أبو الجن كان بين الملائكة ﴿أَبَى﴾ امتنع من ﴿أَنْ
يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾.

(٥) ما جاء في نزول الآية (٢٤): أخرج السائي عن ابن عباس قال: كانت امرأة تصلي خلف رسول الله ﷺ حسناء من أحسن الناس. قال: فكان بعض القوم يتقدم في الصف الأول لئلا يراها، ويستأخر بعضهم حتى يكون في الصف الأخير فإذا ركع نظر من تحت إبطه؛ فأنزل الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقِيمِينَ مِنكُمْ﴾. ولقد عَلِمْنَا الْمُسْتَقِيمِينَ. السائي - كتاب الإمامة (١٠) باب (٦٢) المنفرد خلف الصف. (صحيح) صحيح سنن السائي (٨٣٨).

(١) أي: باتفاق السبعة؛ لأنها في المفرد أصلية.

(٢) وأيضًا فالرياح بتصرف الله لها تلقح الزرع والشجر، ولولا ذلك لم تنتج الحب والتمر، وعملية التلقيح هذه للزرع والشجر تشبه تأثير النخل الذي يقوم به الإنسان. والله أعلم.

(٣) الذي اختاره المصنف في تفسير الآية هو ما رجحه ابن جرير بكلفه، قال: دلالة ما قبله من الكلام وهو قوله: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِيهِ وَنُمِيتُهُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾، وما بعده، وهو قوله: ﴿وَإِن رَّبَّكَ هُوَ يُحْشِرُهُمْ﴾ على أن ذلك كذلك. اهـ. ولا تعارض بين حمل الآية على هذا المعنى أخذًا بالعموم، مع صحة ما ذكر كسب للنزول، والله أعلم.

(٤) وفيها إثبات صفة النسخ لله - جل في علاه - على الوجه اللائق به سبحانه.

[٣٤] ﴿قَالَ فَاحْرَجْ مِنْهَا﴾ أي: من الجنة، وقيل: من السموات ﴿فَأَنَّكَ بَرِيءٌ﴾ مطرود.

[٣٥] ﴿وَأَنَّ عَلَيْنَا اللَّعْنَةَ لِيَوْمِ الَّذِينَ﴾ الجزاء.

[٣٦] ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ أي: الناس.

[٣٧] ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾.

[٣٨] ﴿إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ وقت النفخة الأولى.

[٣٩] ﴿قَالَ رَبِّ يَا آغْرِبْتَنِي﴾ أي: يا غوائلك لي، والباء للقسمة وجوابه:

﴿لَأَرْبِتَنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ المعاصي ﴿وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

[٤٠] ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾ أي: المؤمنين.

[٤١] ﴿قَالَ﴾ تعالى: ﴿هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾.

[٤٢] ﴿وهو﴾ وإنَّ عِبَادِي﴾ أي: المؤمنين ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَنٌ﴾ قوة ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ الكافرين.

[٤٣] ﴿وَأَنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْجِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أي: من اتبعك معك.

[٤٤] ﴿لَمَّا سَبَعَهُ أَوْبَابُ﴾ أطباق ﴿لِكُلِّ بَابٍ﴾ منها ﴿بَيْنَهُمْ جُزْءٌ﴾ نصيب ﴿مَقْسُومٌ﴾.

[٤٥] ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ﴾ بساتين ﴿وَعِيُونٍ﴾ تجري فيها.

[٤٦] ويقال لهم: ﴿أَدْخَلُوهُمْ سَلَامًا﴾ أي: سالين من كل مخوف، أو مع سلام؛ أي سلّموا، وادخلوا ﴿عَامِينَ﴾ من كل فرع.

[٤٧] ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَيْلٍ﴾ حقد ﴿وَإِخْوَانًا﴾ حال منهم

﴿عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾^(٥) حال أيضًا؛ أي: لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض لدوران الأسرة بهم.

[٤٨] ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا نَجْوَى﴾ تعب ﴿وَمَا هُمْ بِمُخْرَجِينَ﴾ أبدًا.

[٤٩] ﴿نَجْوَى﴾ نَجْوَى يا محمد ﴿عِبَادِي﴾ أَنَا الْعَقُورُ للمؤمنين ﴿الرَّجِيمِ﴾ بهم.

[٥٠] ﴿وَأَنَّ عَذَابِي﴾ للعصاة ﴿هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ المؤلم.

[٥١] ﴿وَيُنْفِثُهُمْ عَنْ صَيْفِ إِزْرِهِمْ﴾ وهم الملائكة اثنا عشر أو عشرة أو ثلاثة منهم جبريل^(٦).

قَالَ يَا بَلِيسَ مَا لَكَ الْآتُكَونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُنْ
لِأَسْجُدْ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ وَمِنْ صَالِحٍ مَنْ حَمَلَتْهُنَّ ﴿٣٣﴾
قَالَ فَاحْرَجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ
الَّذِينَ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ
مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ يَا
آغْرِبْتَنِي لِأَرْبِتَنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ
﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ
مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَنٌ إِلَّا مَنْ
اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْجِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾
لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ ﴿٤٤﴾ إِنَّ
الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعِيُونٍ ﴿٤٥﴾ أَدْخَلُوهُمْ سَلَامًا مِنْ أَمِينٍ ﴿٤٦﴾
وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَيْلٍ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ
﴿٤٧﴾ لَا يَمْسُهُمْ فِيهَا نَجْوَى وَمَا هُمْ بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾
* نَجَّى عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْعَقُورُ الرَّجِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي
هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ وَيُنْفِثُهُمْ عَنْ صَيْفِ إِزْرِهِمْ ﴿٥١﴾

[٣٢] ﴿قَالَ﴾ تعالى: ﴿يَا بَلِيسَ مَا لَكَ الْآتُكَونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ لا ينبغي لي أن أسجد ﴿لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ وَمِنْ صَالِحٍ مَنْ حَمَلَتْهُنَّ﴾ زائدة

[٣٣] ﴿قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدْ﴾ لا ينبغي لي أن أسجد ﴿لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ وَمِنْ صَالِحٍ مَنْ حَمَلَتْهُنَّ﴾

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن يزيد بن زريع: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَيْلٍ﴾ ... أن أبا سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يخلص المؤمن من النار، فيحبسون على قطرة بين الجنة والنار، فيفقد بعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هُذِّبوا وتُقروا أذن لهم في دخول الجنة، فرأى نفس محمد يده لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله كان في الدنيا». البخاري - كتاب الرقاق (٨١) باب (٤٨) القصاص يوم القيامة.

(١) ذكر عددهم ليس عليه دليل صحيح، وليس منه كبير فائدة.

[٥٢] ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَمًا﴾ أي: هذا اللفظ ﴿قَالَ﴾ إبراهيم لما عرض عليهم الأكل فلم يأكلوا: ﴿إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ﴾ خائفون.
 [٥٣] ﴿قَالُوا لَا تَوْجَلْ﴾ لا تخف ﴿إِنَّا﴾ رسل ربك ﴿نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلَيْكَ﴾ ذي علم كثير، هو إسحاق، كما ذكر في سورة هود.
 [٥٤] ﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي﴾ بالولد ﴿عَنْ أَنْ مَسَّنِي الْكَبِيرُ﴾ حال؛ أي: مع مسه بإيها ﴿فِيمَ﴾ بأي شيء ﴿بُنَشِّرُونَ﴾ استفهام تعجب.
 [٥٥] ﴿قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ بالصدق ﴿فَلَا تَكُنْ مِنَ الْفٰنِطِينَ﴾ الآيسين.

[٥٦] ﴿قَالَ وَمَنْ﴾ أي: لا ﴿بِقَطِطٍ﴾ بكسر النون وفتحها^(١) ﴿وَمَنْ رَحِمَهُ رَبِّي إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ الكافرون.
 [٥٧] ﴿قَالَ فَمَا حَطْبُكُمْ﴾ شأنكم ﴿أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾.
 [٥٨] ﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ﴾ كافرين؛ أي: قوم لوط لإهلاكهم.
 [٥٩] ﴿إِلَّا آءَالَ لوطٍ إِنَّا لَمُنشِرُوهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ لإيمانهم.
 [٦٠] ﴿إِلَّا أَمْرَاتَهُ فَدَرْنَا إِنَّا لَمِنَ الْفٰنِطِينَ﴾ الباقين في العذاب لكفرها.

[٦١] ﴿فَلَمَّا جَاءَ آءَالَ لوطٍ﴾ أي: لوطا ﴿الْمُرْسَلُونَ﴾.
 [٦٢] ﴿قَالَ﴾ لهم: ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ شٰكِرُونَ﴾ لا أعرفكم.
 [٦٣] ﴿قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا﴾ أي: قومك ﴿فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ يشكون، وهو العذاب.

[٦٤] ﴿وَأَتَيْنَكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصٰدِقُونَ﴾ في قولنا.
 [٦٥] ﴿فَأَنشُرْ بِأَهْلِكَ يَقْطَعُ مِنَ النَّيْلِ وَأَتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ﴾ امش خلفهم ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ﴾ فلا يرى عظيم ما ينزل بهم ﴿وَأَمْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ وهو الشام.

[٦٦] ﴿وَقَضَيْنَا﴾ أوحينا ﴿إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ﴾ وهو ﴿أَنْتَ دَابِرَ هٰذِهِ مَقْطُوعٌ مُّصْحِحِينَ﴾ حال؛ أي: يتم استئصالهم في الصباح.
 [٦٧] ﴿وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ﴾ مدينة سدوم، وهم قوم لوط لما أخبروا أن في بيت لوط فردًا حسنانًا وهم الملائكة ﴿بَسْتَبِيرُونَ﴾ حال، طمعًا في فعل

إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَمًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلَيْكَ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكَبِيرُ فِيمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْفٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَنْ رَحِمَهُ رَبِّي إِلَّا الضَّالُّونَ ﴿٥٦﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٧﴾ قَالُوا إِنَّا لَمُنشِرُوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا إِنَّا لَمِنَ الْفٰنِطِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَتَيْنَكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصٰدِقُونَ ﴿٦١﴾ فَأَنشُرْ بِأَهْلِكَ يَقْطَعُ مِنَ النَّيْلِ وَأَتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٢﴾ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هٰذِهِ مَقْطُوعٌ مُّصْحِحِينَ ﴿٦٣﴾ وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَبِيرُونَ ﴿٦٤﴾ قَالُوا إِنَّا هٰؤُلَاءِ ضٰعِفُونَ فَلَا تَنْصَحُونَا ﴿٦٥﴾ وَأَتَقُوا اللَّهَ وَلَا تَخْرُونَ ﴿٦٦﴾ قَالُوا أَوَلَمْ نُنهَكْ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٦٧﴾

الفاحشة بهم.

[٦٨] ﴿قَالَ﴾ لوط: ﴿إِنَّ هٰؤُلَاءِ ضٰعِفُونَ فَلَا تَنْصَحُونَا﴾.

[٦٩] ﴿وَأَتَقُوا اللَّهَ وَلَا تَخْرُونَ﴾ بقصدكم إياهم بفعل الفاحشة بهم.

[٧٠] ﴿قَالُوا أَوَلَمْ نُنهَكْ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ عن إضافتهم.

الَّذِينَ جَعَلُوا الْفُرْعَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَّيَاكَ لِنِسْتَأْنَهُمْ
 أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَأَصْدَعَ بِمَا تَوَمَّرُوا وَعَرَضَ
 عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْتَنكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿٩٥﴾ الَّذِينَ
 يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ
 أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ
 مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾

سورة النحل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ أَمْرَ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾
 يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ
 عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴿٢﴾ خَلَقَ
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ
 الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ وَالْأَنْعَامَ
 خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾
 وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْمَىٰ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾

[٤] خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ مَتْنِي إِلَىٰ أَنْ صِيَرَهُ قُوًيًا شَدِيدًا ﴿١﴾ فَإِذَا
 هُوَ خَصِيمٌ شَدِيدُ الْخُصُومَةِ ﴿٢﴾ مَتْنِي ﴿٤﴾ فِي نَفْيِ الْبَعثِ قَائِلًا: ﴿٥﴾ مَنْ
 يُبْخِي الْعَظِيمَ وَهِيَ رَمِيمَةٌ ﴿٦﴾.

[٥] وَالْأَنْعَامَ ﴿١﴾ الْإِبِلَ وَالْبَقَرَ وَالغَنَمَ، وَنَصَبَهُ بِفِعْلِ مَقْدَرٍ يَفْسُرُهُ:
 خَلَقَهَا لَكُمْ ﴿٢﴾ مِنْ جَمَلَةِ النَّاسِ ﴿٣﴾ فِيهَا دِفْءٌ ﴿٤﴾ مَا تَسْتَدْفُونَ بِهِ مِنْ
 الْأَكْسِيَةِ وَالْأَرْدِيَةِ مِنْ أَسْعَارِهَا وَأَصْوَابِهَا ﴿٥﴾ وَمَنْفَعَةٌ ﴿٦﴾ مِنَ النَّسْلِ وَالذَّرِّ
 وَالرَّكُوبِ ﴿٧﴾ وَبَيْنَهَا تَأْكُلُونَ ﴿٨﴾ قَدَمُ الظَّرْفِ لِلْفَاصِلَةِ ﴿٩﴾.

[٦] وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ ﴿١﴾ زِينَةٌ ﴿٢﴾ حِينَ تُرْمَىٰ ﴿٣﴾ تَرْدُونَهَا إِلَىٰ مَرَاحِمِهَا
 بِالْعَشِيِّ ﴿٤﴾ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٥﴾ تَخْرِجُونَهَا إِلَىٰ الْمَرْعَىٰ بِالغَدَاةِ.

[٩١] الَّذِينَ جَعَلُوا الْفُرْعَانَ ﴿١﴾ أَي: كَتَبَهُم الْمَنْزِلَةَ عَلَيْهِمْ ﴿عِضِينَ﴾
 أَجْزَاءً، حَيْثُ آمَنُوا بَعْضٌ وَكَفَرُوا بَعْضٌ ^(١)، وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِهِمُ الَّذِينَ اقْتَسَمُوا
 طَرُقَ مَكَّةَ يَصُدُّونَ النَّاسَ عَنِ الْإِسْلَامِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ فِي الْقُرْآنِ: سَحَرُ،
 وَبَعْضُهُمْ: كِهَانَةٌ، وَبَعْضُهُمْ شَعْرٌ.

[٩٢] فَوَرَّيَاكَ لِنِسْتَأْنَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١﴾ سَوَالُ تَوْبِيخٍ.

[٩٣] عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١﴾.

[٩٤] فَأَصْدَعَ ﴿١﴾ يَا مُحَمَّدُ ﴿بِمَا تَوَمَّرُ﴾ بِهِ؛ أَي: أَجْهَرَ بِهِ وَأَمْضَاهُ
 ﴿وَأَعْرَضَ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ هَذَا قَبْلَ الْأَمْرِ بِالْجِهَادِ.

[٩٥] إِنَّا كَفَيْتَنكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿١﴾ بِكَ يَا هَلَاكُنَا كَلَامُهُمْ بَاقَةٌ، وَهِيَ الْوَالِدُ
 ابْنُ الْمُغْبِرَةِ، وَالْعَاصِي بْنُ وَاثِلٍ، وَعَدِي بْنُ قَيْسٍ، وَالْأَسْوَدُ بْنُ الْمَطْلَبِ، وَالْأَسْوَدُ
 ابْنُ عَبْدِ يَغُوثٍ ^(٢).

[٩٦] الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ﴿١﴾ صَفَةٌ، وَقِيلَ: مُبْتَدَأٌ، وَلْتَضْمَنَهُ
 مَعْنَى الشَّرْطِ دَخَلَتْ الْفَاءُ فِي خَبَرِهِ وَهِيَ: ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ عَاقِبَةُ أَمْرِهِمْ.

[٩٧] وَلَقَدْ نَعْلَمُ ﴿١﴾ لِلتَّحْقِيقِ ﴿نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ مِنْ
 الْاسْتِهْزَاءِ وَالتَّكْذِيبِ.

[٩٨] فَسَبِّحْ ﴿١﴾ مُلْتَبِسًا ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أَي: قُلْ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَيَحْمَدُهُ
 ﴿وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ الْمُصَلِّينَ.

[٩٩] وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿١﴾ الْمَوْتَ.

سورة النحل

[مكية إلا: ﴿وَرَيْنَ عَافِيَتَهُ﴾ إِلَىٰ آخِرِهَا.

مائة وثمان وعشرون آية، نزلت بعد الكهف]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] لما استبطأ المشركون العذاب نزل: ﴿إِنَّ أَمْرَ اللَّهِ﴾ أَي: السَّاعَةِ،
 وَأَتَىٰ بِصِبْغَةِ الْمَاضِي لِتَحْقِيقِ وَقُوعِهِ؛ أَي: قَرِيبٍ ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ تَطْلُبُوهُ قَبْلَ
 حِينِهِ فَإِنَّهُ وَقَعَ لَا مَحَالَةَ ﴿سُبْحَانَكَ﴾ تَنْزِيهِهَا لَهُ ﴿وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾
 بِهِ غَيْرُهُ.

[٢] يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ ﴿١﴾ أَي: جِبْرِيلَ ﴿بِالرُّوحِ﴾ بِالْوَحْيِ ﴿مِنْ
 أَمْرِهِ﴾ بِإِرَادَتِهِ ^(٢) ﴿عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ وَهِيَ الْأَنْبِيَاءُ ﴿أَنْ﴾
 مَفْسُورَةٌ ﴿أَنْذِرُوا﴾ خَوْفُوا الْكَافِرِينَ بِالْعَذَابِ وَأَعْلَمُوهُمْ ﴿أَنََّّهُ لَا إِلَهَ
 إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ خَافُونَ.

[٣] خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ﴿١﴾ أَي: مُحَقَّقًا ﴿تَعَالَىٰ عَمَّا
 يُشْرِكُونَ﴾ بِهِ مِنْ الْأَصْنَامِ.

(١) هنا قول ابن عباس رضي الله عنهما كما أخرجه البخاري وغيره.

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط (١٧٣/٥ - ١٧٤ - رقم ٤٩٨٦)، والبيهقي في دلائل النبوة (٣١٦/٢ - ٣١٧)، والضياء المقدسي في الأحاديث المختارة عن ابن عباس به. وقال الهيثمي في الجمع (٧/ ٤٧): «فيه محمد بن عبد الحكيم النيسابوري، ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات رجال الصحيح». وحسنه السيوطي في الدر المنثور (١٠/٥)، وصححه الضياء المقدسي.

(٣) والأمر غير الإرادة، والصواب أن يقال: إن المراد من الأمر كلام الله وحكمه، والأشعرية يتحاشون من إثبات حقيقة الكلام لله سبحانه.

(٤) أي: بين الخصومة.

(٥) يس: ٧٨.

(٦) يشير إلى أن الخطاب في ﴿لَكُمْ﴾ لقریش، والصواب حملها على العموم.

(٧) أي: مراعاة لرغوس الآي.

لَرَوْفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦﴾ بكم؛ حيث خلقها لكم.

[٨] ﴿وَمَا خَلَقَ الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ وَالْحَمِيرَ لَتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾ مفعول له، والتعليل بهما بتعريف النعم لا ينافي خلقها لغير ذلك كالأكل في الخيل الثابت بحديث الصحيحين^(١) ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من الأشياء العجيبة الغريبة.

[٩] ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ أي: بيان الطريق المستقيم ﴿وَمِنْهَا﴾ أي: السبيل ﴿جِبَابٌ﴾ حائد عن الاستقامة ﴿وَلَوْ شَاءَ لَهَدَايَكُمْ﴾ هدايتكم ﴿لَهَدَدْنَاكُمْ﴾ إلى قصد السبيل ﴿أَجْمَعِينَ﴾ فنهتدون إليه باختيار منكم.

[١٠] ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ﴾ تشرّبونه ﴿وَمِنْهُ شَجَرٌ﴾ نبت بسببه ﴿فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ ترعون دوابكم.

[١١] ﴿يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الشَّجَرِ﴾ إن في ذلك ﴿لَايَةً لِقَوْمٍ لِقَوْمٍ﴾ المذكور ﴿لَايَةً﴾ دالة على وحدانيته تعالى ﴿لِقَوْمٍ يَفْكُرُونَ﴾ في صنعه فيؤمنون.

[١٢] ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ﴾ بالنصب عطفًا على ما قبله، والرفع: مبتدأ ﴿وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ﴾ بالوجهين^(٢) ﴿مُسَخَّرَاتٍ﴾ بالنصب حال، والرفع خبر ﴿بِأَمْرِهِ﴾ بإرادته^(٣) ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يتدبرون.

[١٣] ﴿رَبِّ سَخَّرَ لَكُمْ﴾ ما ذرأ ﴿مِنْ ذُرَاً﴾ خلق ﴿لَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ من الحيوان والنبات وغير ذلك ﴿مُخْتَلِفًا أَلْوَانَهُ﴾ كأحمر وأصفر وأخضر وغيرها ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ يتعظون.

[١٤] ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ﴾ ذلك لركوبه والغوص فيه ﴿لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ هو السمك ﴿وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ هي اللؤلؤ والمرجان ﴿وَرَوَى﴾ تبصر ﴿الْفُلُوكَ﴾ السفن ﴿مَوَازِرَ فِيهِ﴾ تمخر الماء؛ أي: تشقه بجريها فيه مقبلة ومدبرة بريح واحدة ﴿وَلِتَسْتَخْرِجُوا﴾ عطف على ﴿لِتَأْكُلُوا﴾؛ تطلبوا ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ تعالى بالتجارة ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ الله على ذلك.

وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِنْ بَدَلْتُمْ لَكُمْ لَوْ تَكُونُوا لِبَلِيغِهِ إِلَّا يَشِيقُ الْأَنْفُسُ إِنْ رَزَقْتُمْ لَرَوْفٌ رَحِيمٌ ﴿٧﴾ وَالْخَيْلَ وَالْإِبِلَ وَالْحَمِيرَ لَتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جِبَابٌ وَنُوشَاءٌ لَهْدَانِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الشَّجَرِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلُوكَ مَوَازِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾

[٧] ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ﴾ أحمالكم ﴿إِنْ بَدَلْتُمْ لَكُمْ لَوْ تَكُونُوا لِبَلِيغِهِ﴾ واصلين إليه على غير الإبل ﴿إِلَّا يَشِيقُ الْأَنْفُسُ﴾ بجهدا ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ

(١) وهو حديث أسماء: نحنا على عهد رسول الله ﷺ فرشا ونحن بالمدينة فأكلناه. البخاري (٥٥١١)، ومسلم (١٩٤٢).

(٢) أي بالنصب والرفع، وقرأ ابن عامر بالرفع في الأربعة كلمات، ووافقه حفص في ﴿وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ﴾، وقرأ السبعة عدا حفص وابن عامر بالنصب في الأربعة.

(٣) الأمر غير الإعادة. وراجع التعليق على الآية رقم (٢).

[١٥] ﴿وَالَّذِينَ فِي الْأَرْضِ رَوَّسًا﴾ جبالاً ثوابت لهم أن لا ﴿يَتَّيَدُوا﴾ تحرك ﴿بِيَدَيْكُمْ﴾ وجعل فيها ﴿أَنْهَدْرًا﴾ كالنبيل ﴿وَسَيْلًا﴾ طرقاً ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ إلى مقاصدكم.

[١٦] ﴿وَعَلَّمَكُمُ اللَّعْلَجَ﴾ تستدلون بها على الطرق كالجبال بالنهار ﴿وَالنَّجْمَ﴾ بمعنى: النجوم ﴿هُم يَهْتَدُونَ﴾ إلى الطرق والقبلة بالليل.

[١٧] ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ﴾ وهو الله ﴿كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾ وهو الأصنام حيث تشركونها معه في العبادة لا ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ هذا فتؤمنون.

[١٨] ﴿وَإِنْ تَسْأَلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ تضبطوها فضلاً أن تطبقوا شكرها ﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ حيث ينعم عليكم مع تقصيركم وعصيانكم.

[١٩] ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْسِرُونَ وَمَا تَعْلَمُونَ﴾.

[٢٠] ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ [بالتاء والياء (١)؛ تعبدون ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ وهم الأصنام ﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ يصورون من الحجارة وغيرها.

[٢١] ﴿أَمْ تَأْتُونَ﴾ لا روح فيهم، خبر ثان ﴿عِبْرَ آخِيَاءٍ﴾ تأكيد ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ أي: الأصنام ﴿آيَاتٍ﴾ وقت ﴿يُبَيِّنُونَ﴾ أي: الخلق فكيف يُعبدون؟! إذ لا يكون إلهاً إلا الخالق الحي العالم بالغبيب.

[٢٢] ﴿إِلَهُكُمْ﴾ المستحق للعبادة منكم ﴿إِلَهُ وَرَبُّكُمْ﴾ لا نظير له في ذاته ولا صفاته وهو الله تعالى ﴿فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فُلُوبُهُمْ مُتَّكِرَةٌ﴾ جاحدة للوحدانية ﴿وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ متكبرون عن الإيمان بها.

[٢٣] ﴿لَا جِرْمَ﴾ حقاً ﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تُبْسِرُونَ وَمَا تَعْلَمُونَ﴾ فيجازيهم بذلك ﴿إِنَّهُمْ لَا يُحِبُّونَ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ بمعنى أنه يعاقبهم (٢).

[٢٤] ونزل في النصر بن الحارث: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَا لَهُمْ﴾ استفهامية ﴿ذَٰلِكَ﴾ موصولة ﴿أَنْزَلَ رَبُّكُمْ﴾ على محمد ﴿قَالُوا﴾: هو ﴿أَسْطِيرٌ﴾ أكاذيب ﴿الْأُولَٰئِكَ﴾ إضلالاً للناس.

[٢٥] ﴿لِيُحْمَلُوا﴾ في عاقبة الأمر ﴿أَوْزَارَهُمْ﴾ ذنوبهم ﴿كَمَا مَلَأَهُمْ﴾ لم يكفر منها شيء ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَعْضُ﴾ بعض (٤) ﴿أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ لأنهم دعوهم إلى الضلال فاتبوهم فاشتركوا في الإثم ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ يحكمونه لحملهم هذا.

[٢٦] ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ وهو عمروذ (٥) بنى صرخاً

وَالَّذِينَ فِي الْأَرْضِ رَوَّسًا أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَرَ وَسْبًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَّمَكُمُ اللَّعْلَجَ وَآيَاتِ الْكُتُبِ وَإِنْ تَسْأَلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٦﴾ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ أَمْ تَأْتُونَ عِبْرَ آخِيَاءٍ يُشْعُرُونَ وَمَا يَشْعُرُونَ آيَاتٍ يُبَيِّنُونَ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْسِرُونَ وَمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٧﴾ وَإِنْ تَسْأَلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ أَمْ تَأْتُونَ عِبْرَ آخِيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ آيَاتٍ يُبَيِّنُونَ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْسِرُونَ وَمَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ أَمْ تَأْتُونَ عِبْرَ آخِيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ آيَاتٍ يُبَيِّنُونَ ﴿٢١﴾ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ أَمْ تَأْتُونَ عِبْرَ آخِيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ آيَاتٍ يُبَيِّنُونَ ﴿٢٢﴾ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ أَمْ تَأْتُونَ عِبْرَ آخِيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ آيَاتٍ يُبَيِّنُونَ ﴿٢٣﴾ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ أَمْ تَأْتُونَ عِبْرَ آخِيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ آيَاتٍ يُبَيِّنُونَ ﴿٢٤﴾ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ أَمْ تَأْتُونَ عِبْرَ آخِيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ آيَاتٍ يُبَيِّنُونَ ﴿٢٥﴾ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ أَمْ تَأْتُونَ عِبْرَ آخِيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ آيَاتٍ يُبَيِّنُونَ ﴿٢٦﴾

طويلاً؛ ليصعد منه إلى السماء ليقاتل أهلها ﴿فَأَفَى اللَّهِ﴾ قصد ﴿بَيْنَهُمْ مِنْ آيَاتِ الْقَوَاعِدِ﴾ الأساس فأرسل عليه الريح والزلزلة فهدمته ﴿فَنَحَرَ عَلَيْهِمْ السَّقْفَ مِنْ قَوْعِهِمْ﴾ أي: وهم تحته ﴿وَأَنْهَرَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ من جهة لا تخطر ببالهم، وقيل: هذا تمثيل لإفساد ما أبرموه من المكر بالرسول.

(١) بالتاء قراءة السبعة عدا عاصم.

(٢) وهذا تأويل لصفة الحجة التي أثبتها ربنا ﷻ لنفسه وتؤمن بها على الوجه اللائق به - شبيحاً - ومن أثر انتفاها أن يعاقب من لا يجيبهم.

(٣) لم أجد.

(٤) هذا اختيار المصنف، وهو خلاف ظاهر الآية والذي يشهد له الحديث أن ﴿وبين﴾ بمعنى: مثل؛ أي: إن على الرؤساء مثل أوزار الأفعال، كما قال - عليه الصلاة والسلام - : ...ومن دعا إلى ضلالةٍ كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا يتفص ذلك من آثامهم شيئا رواه مسلم (٤٨٣١) من حديث أبي هريرة.

(٥) هذا هو الصحيح في ضبط عمروذ أنه بالذال المعجمة، وفي بعض النسخ بالذال المهملة.

تخالفون المؤمنين ﴿فِيهِمْ﴾ في شأنهم ﴿قَالَ﴾ أي: يقول ﴿الَّذِينَ أوتُوا آيَاتَهُ﴾ من الأنبياء والمؤمنين: ﴿إِنَّ الْآخِرَىٰ أَيْمٌ وَالسَّوَاءُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ يقولونه شماتة بهم.

[٢٨] ﴿الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ﴾ بالباء والياء (١) ﴿الْمَلَكَةَ طَالِعَةَ أَنفُسِهِمْ﴾ بالكفر ﴿فَالْعَوَىٰ السَّيْرُ﴾ انقادوا واستسلموا عند الموت قائلين: ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ﴾ شرك، فتقول الملائكة: ﴿بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فيجازيكم به.

[٢٩] ويقال لهم: ﴿فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فليست متوى ماوى المتكبرين﴾.

[٣٠] ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الشرك: ﴿مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَبِيرٌ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ بالإيمان ﴿فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ حياة طيبة ﴿وَلِلَّذِينَ الْآخِرَةَ﴾ أي: الجنة ﴿خَيْرٌ﴾ من الدنيا وما فيها، قال - تعالى - فيها: ﴿وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ هي.

[٣١] ﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ﴾ إقامة، مبتدأ، خبره: ﴿يَدْخُلُونَهَا قَمَرَىٰ مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَمْ يَمَسَّ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ﴾ الجزء ﴿يَجْزَىٰ اللَّهُ الْمُتَّقِينَ﴾.

[٣٢] ﴿الَّذِينَ﴾ نعت ﴿تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَكَةَ طَالِبِينَ﴾ طاهرين من الكفر ﴿يَقُولُونَ﴾ لهم عند الموت: ﴿سَلِّتُمْ عَلَيْنَا﴾ ويقال لهم في الآخرة: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

[٣٣] ﴿هَلْ﴾ ما ﴿يَنْظُرُونَ﴾ ينتظر الكفار ﴿إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ﴾ بالباء والياء (٢) ﴿الْمَلَكَةُ﴾ لقبض أرواحهم ﴿أَوْ يَأْتِي أَمْرٌ رَبِّيكَ﴾ العذاب أو القيامة المشتعلة عليه ﴿كَذَلِكَ﴾ كما فعل هؤلاء ﴿فَعَلَّ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمُ﴾ من الأمم كذبوا رسلهم فأهلكوا ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ﴾ ياهلاكهم بغير ذنب ﴿وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بالكفر.

[٣٤] ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا﴾ أي: جزاؤها ﴿وَحَاقَ﴾ نزل ﴿بِهِمْ﴾ ما كانوا يوءم يستبهرون ﴿أي: العذاب.

تُرْتَوَى الْقِيَمَةُ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشْكِنُونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْآخِرَىٰ أَيْمٌ وَالسَّوَاءُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٢٨﴾ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَكَةَ طَالِعَةَ أَنفُسِهِمْ فَالْقَوَى السَّيْرَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فليست متوى المتكبرين ﴿٣٠﴾ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَبِيرٌ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلِلَّذِينَ الْآخِرَةَ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرَىٰ مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَمْ يَمَسَّ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزَى اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٢﴾ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَكَةَ طَالِبِينَ يَقُولُونَ سَلِّتُمْ عَلَيْنَا ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَكَةُ أَوْ يَأْتِي أَمْرٌ رَبِّيكَ كَذَلِكَ فَعَلَّ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٤﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٥﴾

[٢٧] ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يُخْزِيهِمْ﴾ بذلهم ﴿وَيَقُولُ﴾ الله لهم على لسان الملائكة توبخاً (١): ﴿أَيْنَ شُرَكَائِيَ﴾ بزعمكم ﴿الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشْكِنُونَ﴾

(١) وهذا تأويل لظاهر الآية بغير دليل، وَقَفَّ ذلك مذهبه في نفي صفة القول والكلام عن الله ﷻ، وهو ما بينه السلف الصالح على الوجه اللائق به - سبحانه.

(٢) بالياء قراءة حمزة.

(٣) بالياء قراءة حمزة والكسائي.

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهَى: كذبوا رسلكم فيما جاءوا به ﴿ فَهَلْ عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ ﴿ ٣٥ ﴾ ﴿ وَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَجْتَنِبُوا الظُّلُمَاتِ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَمِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴾ ﴿ ٣٦ ﴾ ﴿ وَإِنْ تَحْرُصْ يَا مُحَمَّدٌ ﴿ عَلَى هُدْيَتِهِمْ ﴾ وقد أضلهم الله، لا تقدر على ذلك ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْهَادِينَ ﴾ ﴿ ٣٧ ﴾ ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ﴿ أَي: غاية اجتهادهم فيها ﴿ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ ﴾ قال - تعالى -: ﴿ سَكَنَ ﴾ يعينهم ﴿ وَعَدَا عَلَيْهِمْ حَقًّا ﴾ مصدران مؤكدان منصوبان بفعلهما المقدر؛ أي: وعد ذلك وحققه حقًّا ﴿ وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ ﴾ أي: أهل مكة ﴿ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ذلك. ﴿ ٣٨ ﴾ ﴿ يُسَبِّحِينَ ﴾ متعلق بـ«يعينهم» المقدر ﴿ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلَفُونَ ﴾ مع المؤمنين ﴿ فِيهِ ﴾ من أمر الدين بتعديهم وإثابة المؤمنين ﴿ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ ﴾ في إنكار البعث. ﴿ ٤٠ ﴾ ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ ﴾ خبره: ﴿ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ أي: فهو يكون، وفي قراءة بالنصب ﴿ عَطْفًا عَلَى «نَقُولُ»، والآية لتقرير القدرة على البعث. ﴿ ٤١ ﴾ ﴿ وَالَّذِينَ هَارَبُوا اللَّهَ ﴿ لإقامة دينه ﴿ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا ﴾ بالأذى من أهل مكة، وهم: النبي ﷺ وأصحابه ﴿ لَنُرِيدَنَّ لَهُمْ ﴿ نزلهم ﴿ فِي الدُّنْيَا ﴾ دارًا ﴿ حَسَنَةً ﴾ هي المدينة ﴿ وَالْأَجْرُ الْأَخْرَى ﴾ أي: الجنة ﴿ أَكْبَرُ ﴾ أعظم ﴿ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ أي: الكفار، أو المتخلفون عن الهجرة ما

للمهاجرين من الكرامة لوافقهم.

[٤٢] هم ﴿ الَّذِينَ صَبَرُوا ﴾ على أذى المشركين والهجرة لإظهار الدين ﴿ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ فيرزقهم من حيث لا يحتسبون.

(١) البحار والسواحب هي: جمع «بحيرة» و«ساقية»، وتقدم تفسير معناه في سورة المائدة آية (١٠٣).

(٢) بالبناء للمفعول قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، على معنى من أضله الله لم يهده هاد، وأما على قراءة البناء للفاعل؛ فالمعنى: لا يرشد من أضله، أي إن الله لا يهدي من سبق في علمه سبحانه أنه من أهل الضلالة.

(٣) الضواب في هذا ونحوه مما يرد في كلام بعض المفسرين من تخصيص اللفظ للناس أو الإنسان: القول بالعموم وإطلاق ما أطلقه الله.

(٤) للكسائي وابن عامر.

لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَجْعَلُونَ
لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَسُنُوعَنَ عَمَّا كُنْتُمْ
تَقْتَرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتَ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ
﴿٥٧﴾ وَإِذَا بَشَّرْنَا أَحَدَهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهَهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾
يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَبِهِ إِيمَسِيكُهُ عَلَىٰ هُونٍ
أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ
﴿٦٠﴾ وَلَوْ يَوَازِئُكَ اللَّهُ النَّاسُ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ
وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَحْزِرُونَ
سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ
أَلْسِنَتُهُمُ الْكُذْبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لَاجِرًا رَأَىٰ لَهُمُ النَّارَ
وَأَنَّهُمْ مُّقَرَّبُونَ ﴿٦٢﴾ تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ
فَزَيَّنَّ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَانَهُمْ فَهُمْ وَوَلِيُّهُمْ أَلْوَمٌ وَوَلَّهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِلَّذِينَ لَهُمْ
الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾

أَعْمَانَهُمْ ﴿٦٣﴾ السبيعة فأروها حسنة، فكذبوا الرسل ﴿فَهُوَ وَلِيَّتُهُمْ﴾ متولي
أموهم ﴿الْيَوْمَ﴾ أي: في الدنيا ﴿وَلَهُنَّ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم في الآخرة،
وقيل: المراد باليوم يوم القيامة على حكاية الحال الآتية؛ أي: لا ولي لهم
غيره وهو عاجز عن نصر نفسه فكيف ينصرهم؟! ﴿٦٤﴾

﴿٦٤﴾ ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿إِلَّا لِشَيْبِنَ لَهُمْ
الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ من أمر الدين ﴿وَهُدًى﴾ عطف على ﴿لِشَيْبِنَ﴾
﴿وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ به.

﴿٥٥﴾ ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ﴾ من النعمة ﴿فَتَمَتَّعُوا﴾ باجماعكم على
عبادة الأصنام، أمر تهديد ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ عاقبة ذلك.

﴿٥٦﴾ ﴿وَيَجْعَلُونَ﴾ أي: المشركون ﴿لِمَا لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنها تضر ولا تنفع
وهي الأصنام ﴿نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ من الحرث والأنعام بقولهم: هذا لله
وهذا لشركائنا ﴿تَاللَّهِ لَسُنُوعَنَ﴾ سؤال توبيخ، وفيه التفات عن الغيبة ﴿عَمَّا
كُنْتُمْ تَقْتَرُونَ﴾ على الله من أنه أمركم بذلك.

﴿٥٧﴾ ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتَ﴾ بقولهم: الملائكة بنات الله ﴿سُبْحَانَهُ﴾
تنزيها له عما زعموا ﴿وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾؛ أي: البنون، والجملة في محل
رفع أو نصب به «يجعل»، المعنى: يجعلون له البنات التي يكرهونها وهو منزه
عن الولد، ويجعلون لهم الأبناء الذين يختارونهم، فيخصون بالأسنى (١)
كقوله: ﴿فَأَسْتَفْتِهِمْ أَرَأَيْكَ الْبَنَاتُ وَلَهُنَّ الْبَنُونَ﴾ (٢).

﴿٥٨﴾ ﴿وَإِذَا بَشَّرَ أَحَدَهُم بِالْأُنثَىٰ﴾ تولد له ﴿ظَلَّ﴾ صار ﴿وَجْهَهُ
مُسْوَدًّا﴾ متغيرا تغير مغمتم ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ ممتلئ غمًا، فكيف تنسب البنات إليه
تعالى؟! ﴿٥٩﴾ ﴿يَتَوَارَىٰ﴾ يخفي ﴿مِنَ الْقَوْمِ﴾ أي: قومه ﴿مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ
بِهِ﴾ خوفا من التعبير مرددا فيما يفعل به ﴿أَيْمَسِيكُهُ﴾ يتركه بلا قتل ﴿عَلَىٰ
هُونٍ﴾ هوان وذل ﴿أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ﴾ بأن يده ﴿أَلَا سَاءَ﴾ بس ﴿وَمَا
يَحْكُمُونَ﴾ حكمهم هذا، حيث نسوا خالقهم البنات اللاتي هن عندهم بهذا
الحل.

﴿٦٠﴾ ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ أي: الكفار ﴿مَثَلُ السَّوْءِ﴾ أي:
الصفة الشؤمى بمعنى القبيحة، وهي وأدهم البنات مع احتياجهم إليهن للزكاح
﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ﴾ الصفة العليا، وهو أنه لا إله إلا هو ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾
في ملكه ﴿الْحَكِيمُ﴾ في خلقه.

﴿٦١﴾ ﴿وَلَوْ يَوَازِئُكَ اللَّهُ النَّاسُ بِظُلْمِهِم﴾ بالمعاصي ﴿مَا تَرَكَ عَلَيْهَا﴾ أي:
الأرض ﴿مِن دَابَّةٍ﴾ نسمة تدب عليها ﴿وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ فَإِذَا
جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَحْزِرُونَ ﴿عنه﴾ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿عليه﴾.

﴿٦٢﴾ ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾ لأنفسهم من البنات والشريك في
الرياسة، وإهانة الرسل ﴿وَتَصِفُ﴾ تقول ﴿أَلْسِنَتُهُمُ﴾ مع ذلك ﴿الْكُذْبَ﴾
وهو ﴿أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ﴾ عند الله؛ أي: الجنة؛ لقوله: ﴿وَلَكِنْ رُجِعْتُ إِلَىٰ
رَبِّيَ إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَىٰ﴾ (٣) قال - تعالى -: ﴿لَا جَرَمَ﴾ حَقًّا ﴿أَنَّ لَهُمُ
النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُّقَرَّبُونَ﴾ متروكون فيها أو مقدمون إليها، وفي قراءة بكسر
الراء (٤)؛ أي: متجاوزون الحد.

﴿٦٣﴾ ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ رسلا ﴿فَزَيَّنَّ لَهُمُ الشَّيْطَانُ

(١) أي: الأرفع والأشرف.

(٢) الصفات: ١٤٩.

(٣) فصلت: ٥٠.

(٤) لانع.

أولون، وهو بينهما ﴿سَابِعًا لِلشَّارِبِينَ﴾ سهل المرور في حلقهم لا يغص به.
 [٦٧] ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ﴾ ثمر ﴿نَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا﴾
 خمراً يسكر، سميت بالمصدر، وهذا قبل تحريمها ﴿وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ كالتمر
 والزبيب والحل والدبس (١) ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿لآيَةً﴾ دالة على
 قدرته - تعالى - ﴿لَقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يتدبرون.

[٦٨] ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ وحي الإلهام ﴿أَنْ﴾ مفسرة أو مصدرية
 ﴿اتَّخِذِي مِنَ اللَّيْلِ بَيْوتًا وَيَوْمَ الثَّجَرِ﴾ بيوثاً ﴿وَمِمَّا يَعْشُونَ﴾
 أي: الناس.

[٦٩] ﴿ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي﴾ ادخلي ﴿سُبُلَ رَبِّكِ﴾ طرقه في
 طلب المرعى ﴿ذُلًّا﴾ جمع ذلول، حال من السبل؛ أي: مسخرة لك فلا
 تفتخر عليك وإن تورعت ولا تضلي على العودة منها وإن بعدت، وقيل: من
 الضمير في «اسلكي»؛ أي: منقاداً لما يراد منك ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَطُونِهَا﴾
 هو العسل ﴿مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ من الأوجاع؛ قيل: لبعضها كما
 دل عليه تنكير «شفاء»، أو لكلها بضميمته إلى غيره. أقول: وبدونها بيته (٢)،
 وقد أمر به ﷺ من استطلق عليه بطنه [رواه الشيخان] (٣) ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾
 ﴿لآيَةً﴾ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في صنعه تعالى.

[٧٠] ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ﴾ ولم تكونوا شيئاً ﴿قُرًّا يَتَوَفَّنَكُمُ﴾ عند انقضاء
 آجالكم ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ بَرَأَ إِلَى رَبِّهِ﴾ أي: أخصه من الهرم والحرف
 ﴿لَكِنْ لَا يَعْلَمُ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ قال عكرمة: من قرأ القرآن لم يصر بهذه الحالة
 ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بتدبير خلقه ﴿وَدِيرٌ﴾ على ما يريد (٤).

[٧١] ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى الْآخَرِ﴾ في الرزق ﴿فَمَنْ كَفَرَ﴾ فمَنكم غني وفقير،
 ومالك ومملوك ﴿فَمَّا آتَاكُمُ﴾ أي: بجاعلي ما رزقناهم شركة بينهم وبين ممالكهم
 ﴿مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ أي: بجاعلي ما رزقناهم شركة بينهم وبين ممالكهم
 ﴿فَهَمُّكُمْ﴾؛ أي: الممالك والموالي ﴿فِيهِ سَوَاءٌ﴾ شركاء، المعنى: ليس لهم
 شركاء من ممالكهم في أموالهم، فكيف يجعلون بعض ممالك الله شركاء
 له؟ ﴿أَفَتَبِعْتُمُ اللَّهَ يَكْفُرُونَ﴾ يكفرون؛ حيث يجعلون له شركاء.

[٧٢] ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ فخلق حواء من ضلع آدم،
 وسائر الناس من نطف الرجال والنساء ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَيْنًا﴾
 وحفدة ﴿أولاد الأولاد﴾ ورزقكم من الطيبات من أنواع الثمار والحبوب
 والحيوان ﴿أَفَبِالْبَاطِلِ﴾ الصنم ﴿يُؤْمِنُونَ وَيُنَبِّئُتُ اللَّهُ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ بإشراكهم.

وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً لَتُسْقِيَكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِمْ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا حَالِصًا سَابِعًا لِلشَّارِبِينَ ﴿٦٨﴾ وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٩﴾ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ اللَّيْلِ بَيْوتًا وَمِمَّا يَعْشُونَ مِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَغْرِشُونَ ﴿٧٠﴾ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلًّا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٧١﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلٍ الْعُمُرِ لَكُمْ لِأَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٢﴾ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَأْدِي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَتَبِعْتُمُ اللَّهَ يَكْفُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَيْنًا وَحَفْدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٤﴾

[٦٥] ﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ﴾ بالنبات ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾
 يسها ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿لآيَةً﴾ دالة على البعث ﴿لِقَوْمٍ﴾
 يَسْمَعُونَ﴾ سماع تدبر.

[٦٦] ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً﴾ اعتبار ﴿شُفِيكُمُ﴾ بيان للعبارة ﴿بَيْنًا﴾ في
 بُطُونِهِمْ﴾ أي: الأنعام ﴿وَمِنْ﴾ للابتداء متعلقة بـ ﴿شُفِيكُمُ﴾ ﴿بَيْنِ فَرْثٍ﴾ نفل
 الكرش ﴿وَدَمٍ لَبَنًا حَالِصًا﴾ لا يشوبه شيء من الفرت والدم من طعم أو ريح

(١) هو عسل الرطب، ويطلق على عسل العنب.

(٢) أي: يبيح الشفاء الحازمة أن الله يخلق الشفاء عند استعماله؛ لإخباره - تعالى - بذلك.

(٣) البخاري (٥٢٧٧)، ومسلم (٤١٠٧) عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً.

(٤) الأولى الإطلاق، فهو سبحانه قدير على كل شيء يريد أو لا يريد.

[٧٣] ﴿وَيَسْتَدْرِكُ مِنْ دُونَ اللَّهِ أَي: غَيْرِهِ ﴿مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِمَّنْ السَّمَوَاتِ﴾ بِالْمَطَرِ ﴿وَالْأَرْضِ﴾ بِالنَّبَاتِ ﴿شَيْئًا﴾ بَدَلَ مِنْ ﴿رِزْقًا﴾ ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ الْأَصْنَامُ.

[٧٤] ﴿فَلَا تَقْرَبُوا إِلَهًا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا لَا تَحْمِلُوا اللَّهُ أَثْمَانَهَا تَشْرِكُونَهُمْ بِهِ﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ ﴿أَنْ لَا مِثْلَ لَهُ﴾ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿ذَلِكَ﴾.

[٧٥] ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾ وَيَبْدَلُ مِنْهُ، عَبْدًا مَمْلُوكًا ﴿صَفَةَ تَجْمِيرِهِ مِنَ الْحُرِّ﴾ فَإِنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ ﴿لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾ لِعَدَمِ مِلْكِهِ ﴿وَمَنْ نَكَرَهُ موصوفةً أَي: حُرًّا﴾ رَزَقْتَهُ مِثْرًا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا أَي: يَتَصَرَّفُ فِيهِ كَيْفَ يَشَاءُ، وَالْأَوَّلُ مِثْلُ الْأَصْنَامِ، وَالثَّانِي مِثْلُهُ تَعَالَى (١) ﴿هَلْ يَسْتَوُونَ﴾ أَي: الْعَبِيدُ الْعَجْزَةُ وَالْحُرُّ الْمُنْتَصِفُ؟ لَا ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ وَحَدَهُ ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ﴾ أَي: أَهْلُ مَكَّةَ ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ مَا يَصِيرُونَ إِلَيْهِ مِنَ الْعَذَابِ فَيَشْرِكُونَ.

[٧٦] ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾ وَيَبْدَلُ مِنْهُ: ﴿رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبَى كُفْرًا﴾ وَوَلَدٍ أُخْرَسَ ﴿لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾ لِأَنَّهُ لَا يَفْهَمُ وَلَا يُفْهَمُ ﴿وَهُوَ كَلٌّ﴾ ثَقِيلٌ ﴿عَلَى مَوْلَانَهُ﴾ وَلِي أَمْرِهِ ﴿أَيْنَمَا يُوجِّهُهُ﴾ بِصَرْفِهِ ﴿لَا يَأْتِ مِنْهُ﴾ ﴿يَخْتَرُ﴾ بِنُجْحٍ (٢)، وَهَذَا مِثْلُ الْكَافِرِ ﴿هَلْ يَسْتَوِي هُوَ﴾ أَي: الْأَبْكَمُ الْمَذْكُورُ ﴿وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ أَي: وَمَنْ هُوَ نَاطِقٌ نَافِعٌ لِلنَّاسِ حَيْثُ يَأْمُرُ بِهِ وَيَحْتِ عَلَيْهِ ﴿وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ﴾ طَرِيقٌ ﴿مُسْتَقِيمٍ﴾ وَهُوَ الثَّانِي الْمُؤْمِنُ؟ لَا، وَقِيلَ: هَذَا مِثْلُ اللَّهِ، وَالْأَبْكَمُ لِلْأَصْنَامِ (٣)، وَالَّذِي قَبْلَهُ مِثْلُ الْكَافِرِ وَالْمُؤْمِنِ.

[٧٧] ﴿وَلِلَّهِ عِيبٌ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أَي: عِلْمُ مَا غَابَ فِيهِمَا ﴿وَمَا أَسْرَأَ النَّسَاعَةَ إِلَّا كَلْمَجَ الْبَصِيرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ لِأَنَّهُ بِلَفْظِهِ كُنْ فَيَكُونُ ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[٧٨] ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ الْجُمْلَةُ حَالٌ ﴿وَيَجْعَلُ لَكُمْ السَّمْعَ﴾ بِمَعْنَى الْأَسْمَاعِ ﴿وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾ الْقُلُوبَ ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ هُوَ عَلَى ذَلِكَ فَيُؤْمِنُونَ.

[٧٩] ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ مِنْهُ لَلطَّيْرَانِ﴾ فِي جَوْءِ السَّمَاءِ أَي: الْهَوَاءِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴿مَا يَمْسِكُهُنَّ﴾ عِنْدَ قَبْضِ

وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَقْرَبُوا إِلَهًا إِلَّا
إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ * ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا
مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِثْرًا رِزْقًا حَسَنًا
فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ
بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ
أَحَدُهُمَا أَبَى كُفْرًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَانَهُ
أَيْنَمَا يُوجِّهُهُ لآيَاتٍ يَخِيَرُ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ
بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ وَلِلَّهِ عِيبٌ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَسْرَأَ النَّسَاعَةَ إِلَّا كَلْمَجِ
الْبَصِيرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾
وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا
وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ
مَا يَمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾

أَجْنَحَتَهُنَّ أَوْ بَسَطَهَا أَنْ يَقَعْنَ ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ بِقُدْرَتِهِ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ هِيَ خَلْقُهَا بِحَيْثُ يُمْكِنُهَا الطَّيْرَانِ، وَخَلَقَ الْجَوْ بِحَيْثُ يُمْكِنُ الطَّيْرَانِ فِيهِ، وَإِمْسَاكُهَا.

(١) أخرج الطبري في جامع البيان (١٠١/١٤) والواحدي في أسباب النزول عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما؛ قال: نزلت في رجل من قريش وعبدته، في هشام بن عمر، وهو الذي ينفق ماله سرًّا وجهراً، وفي عبده أبي الجوزاء الذي كان ينهاه، وذكره السيوطي في الدر المنثور (١٥١/٥). وحسن إسناده في الاستيعاب (٤١٥/٢).

(٢) بنجح: بضم النون؛ أي: لا يأت بشيء نافع.

(٣) وأخرج البخاري في التاريخ الكبير (٣٠٧ - ٣٠٦/١)، والطبري في جامع البيان (١٠١/١٤)، والواحدي في أسباب النزول عن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - قال: هو عثمان بن عفان، قال: والأبكم الذي أيضا يوجهه لا يأت بخير؛ ذلك مولى عثمان بن عفان. كان عثمان ينفق عليه ويكفله ويكفيه المؤونة، وكان الآخر يكره الإسلام ويأباه، وينهاه عن الصدقة والمعروف؛ فنزلت فيهما. وحسن إسناده في الاستيعاب (٤١٦/٢).

للحمل (١) ﴿يَوْمَ طَعْنَكُمْ﴾ سفركم ﴿وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾ ومن أصوافها ﴿أي: الغنم وأوسيارها﴾ أي: الإبل ﴿وَأَشْعَارِهَا﴾ أي: المعر ﴿أَنْتُمْ﴾ متاعا لبيوتكم كبسط وأكسية ﴿وَمَتَاعًا﴾ تمتعون به ﴿إِلَى حِينٍ﴾ يلي فيه.

[٨١] ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ﴾ من البيوت والشجر والغمام ﴿ظِلًّا﴾ جمع كَيْ، وهو ما يستكن فيه كالغار والشرب (٢) ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا﴾ جمع كَنْ، وهو ما يستكن فيه كالغار والشرب (٣) ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ﴾ قمصا ﴿تَقِيكُمْ الْحَرَّ﴾ أي: والبرد ﴿وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ﴾ حربكم؛ أي: الطعن والضرب فيها كالدروع والجواشن (٤) ﴿كَذَلِكَ﴾ كما خلق هذه الأشياء ﴿يُنِيرُ نِعْمَتَهُ﴾ في الدنيا ﴿عَلَيْكُمْ﴾ بخلق ما تحتاجون إليه ﴿لِمَا كُنْتُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿تَسْلُمُونَ﴾ توحدهن.

[٨٢] ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ أعرضوا عن الإسلام ﴿فَوَيْلٌ لَّكُمْ يَوْمَ الْبَلَاءِ﴾ يا محمد ﴿الْبَلَاءُ الْيَوْمِ﴾ الإبلاغ بين، وهذا قبل الأمر بالقتال.

[٨٣] ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ﴾؛ أي: يقرون بأنها من عنده ﴿ثُمَّ يُكْفِرُونَ بِهَا﴾ بإشراكهم ﴿وَأَكْفَرَهُمُ الْكٰفِرُونَ﴾.

[٨٤] ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ هو نبيها يشهد لها وعليها، وهو يوم القيامة ﴿ثُمَّ لَا يُوَدِّعُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في الاعتذار ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ لا يطلب منهم العتبي؛ أي: الرجوع إلى ما يرضي الله.

[٨٥] ﴿وَإِن رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ كفروا ﴿الْعَذَابَ﴾ النار ﴿فَلَا يُخَفِّفْ عَنْهُمْ﴾ العذاب ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ يهلون عنه إذا رآه.

[٨٦] ﴿وَإِن رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ أشركوا شركاءهم من الشياطين وغيرها ﴿قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا﴾ نعبدهم ﴿مِنْ دُونِكَ﴾ فآلقوا إليهم الآقول؛ أي: قالوا لهم: ﴿إِنَّكُمْ لَكٰذِبُونَ﴾ في قولكم: إنكم عبدتمونا، كما في آية أخرى: ﴿مَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَتَذَكَّرُونَ﴾ (٥) سيكفرون بعبادتهم.

[٨٧] ﴿وَالْقَوْلُ إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّعْدُ﴾ أي: استسلموا لحكمه ﴿وَوَصَلَ﴾ غاب ﴿عَنَّهُمْ﴾ ما كانوا يفترون؛ من أن آلهتهم تشفع لهم.

وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَنْتُمْ وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ ﴿٨١﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلًّا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُنِيرُ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨٢﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿٨٣﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يَنْكُرُونَهَا وَأَكْفَرَهُمُ الْكٰفِرُونَ ﴿٨٤﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَارَةُ الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٦﴾ وَإِذَارَةُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ فَأَلْقُوا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكٰذِبُونَ ﴿٨٧﴾ وَالْقَوْلُ إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّعْدُ ﴿٨٧﴾

[٨٠] ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾ موضعا تسكنون فيه ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا﴾ كالخيام والقباب ﴿تَسْتَخِفُّونَهَا﴾

(١) أي: يخفف عليكم حملها.

(٢) الشرب: البيت في الأرض.

(٣) هي أيضا نوع من الدروع.

(٤) القصص: ٦٣.

[٨٨] ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا﴾ الناس ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دِينَهُ ﴿يَذُنُّهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ﴾ الذي استحقوه بكفرهم، قال ابن مسعود: عقاب أنبيائها كالنخل الطوال^(١) ﴿يَمَّا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾ بصددهم الناس عن الإيمان.

[٨٩] ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ وهو نبيهم ﴿وَجِئْنَا بِكَ﴾ يا محمد ﴿شَهِيدًا عَلَى هَذِهِ أُمَّةٍ﴾ أي: قومك ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿فَيُبَيِّنُهَا لَكُلِّ شَيْءٍ﴾ يحتاج إليه الناس من أمر الشريعة ﴿وَهُدَىٰ﴾ من الضلالة ﴿وَرَحْمَةً وَنُذُرًا﴾ بالجنة ﴿لِلْمُسْلِمِينَ﴾ الموحدين.

[٩٠] ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِنصَافِ﴾ والاحسان ﴿أداء الفرائض أو أن تعبد الله كأنك تراه، كما في الحديث^(٢) ﴿وَأَيُّهَا﴾ إعطاء ﴿ذِي الْقُرْبَىٰ﴾ القرابة خصه بالذكر اهتمامًا به ﴿وَيَتِيمَ﴾ الفحشاء ﴿وَالزَّانِيَ﴾ الرزا ﴿وَالْمُكَذِّبِ﴾ شرعًا من الكفر والمعاصي ﴿وَالْبَغِيِّ﴾ الظلم للناس خصه بالذكر اهتمامًا، كما بدأ بالفحشاء كذلك ﴿يُظَاهِرُ﴾ بالأمر والنهي ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَذَكَّرُونَ﴾^(٣) تعظون، وفيه إدغام التاء في الأصل في الذال، وفي «المستدرک» عن ابن مسعود: وهذه أجمع آية في القرآن للخير والشر^(٤).

[٩١] ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ﴾ من البيع والأيمان وغيرها ﴿إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ توثيقها ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ كَيْدًا﴾ بالفؤاء حيث حلفتم به، والجملة حال ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَعْمَلُونَ﴾ تهديد لهم.

[٩٢] ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ﴾ أفسدت ﴿عَزْلَهَا﴾ ما عزلته ﴿مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ﴾ إحكام له ويرم ﴿أَنْتُمْ كُنْتُمْ﴾ حال، جمع نكث وهو ما ينكث؛ أي: يحل إحكامه، وهي امرأة حقاء من مكة كانت تغزل طول يومها ثم تنقضه^(٥) ﴿تَتَّبِعُونَ﴾ حال من ضمير «تكونوا»؛ أي: لا تكونوا مثلها في اتخاذكم ﴿أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا﴾ هو ما يدخل في الشيء وليس منه؛ أي: فسادًا أو خديعة ﴿يَنْتَكُمُ﴾ بأن تنقضوها ﴿أَنْ﴾ أي: لأن ﴿تَكُونُوا أُمَّةً﴾ جماعة ﴿هِيَ أَرْبَىٰ﴾ أكثر ﴿وَمِنْ أُمَّةٍ﴾ وكانوا يحالفون الحلفاء فإذا وجد أكثر منهم وأعر، فنقضوا حلف أولئك وحالفوهم ﴿إِنَّمَا يَبْلُوكُمْ﴾ يختبركم ﴿اللَّهُ بِبِرِّهِمْ﴾ أي: بما أمر به من الوفاء بالعهد لينظر الطمع منكم والمعاصي، أو يكون

الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَذِهِ أُمَّةٍ وَإِنَّا لَكُلِّ شَيْءٍ نَبْعَثُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبَيَّنَّا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ كَيْدًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَقُولُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ عَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكُنَّا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَآيَاتِنَ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهَا تَحْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يَبْضُلُ مِنَ الْبِضْلِ مَنْ يَبْشَأُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَسْتَ لَنْ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾

أمة أربى لينظر أنفون أم لا ﴿وَلِيُبَيِّنَ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهَا تَحْتَلِفُونَ﴾ في الدنيا من أمر العهد وغيره بأن يعذب الناكث ويثيب الوافي.

[٩٣] ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ أهل دين واحد ﴿وَلَكِنْ يَبْضُلُ مِنَ الْبِضْلِ مَنْ يَبْشَأُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ يمشي ﴿وَلَسْتَ لَنْ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ لتجاوزوا عليه.

(١) أخرج نحوه عبد الرزاق والفرابي وسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وهناد بن السري وأبو يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم وصححه، والبيهقي في البعث والنشور كما في الدر المنثور (٢٣٩/٤)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٦٧٨، ج ٣).

(٢) البخاري (٥٠)، ومسلم (٩) من حديث أبي هريرة مرفوعًا.

(٣) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة.

(٤) للمستدرک (٣٥٩/٢)، وأخرجه البخاري في «الأدب المفرد»، وحسن الألباني إسناده، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «ما في القرآن آية أجمع لحلال وحرام وأمر ونهي من هذه الآية» وذكرها. [صحيح الأدب المفرد (٣٧٦)].

(٥) ذكر خبرها أبو نعيم في معرفة الصحابة (٣٣٧٥/٦، ٣٣٧٦، رقم ٧٧١٧)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (١٦٢/٥).

وقال صاحب الاستيعاب: هذا سند ضعيف جدًا. الاستيعاب (٤٢١/٢).

﴿وَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ أي: العذاب ﴿بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: بصدكم عن الوفاء بالعهد، أو بصدكم غيركم عنه؛ لأنه يستن بكم ﴿وَلَكِنَّ عَذَابَ عَظِيمٍ﴾ في الآخرة.

[٩٥] ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا بِعَهْدِ اللَّهِ تَمَنَّا قَلِيلًا﴾ من الدنيا بأن تنقضوه لأجله ﴿إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ من الثواب ﴿هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ مما في الدنيا ﴿إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ذلك فلا تنقضوا.

[٩٦] ﴿مَا عِنْدَكُمْ﴾ من الدنيا ﴿يَفْتَدُ﴾ يفتي ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بِأَقْبَى﴾ دائم ﴿وَلِيَجْزِيَنَّهُ﴾ بالياء والنون^(١) ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ من الوفاء بالعهود ﴿أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أحسن بمعنى حسن.

[٩٧] ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيٰوةً طَيِّبَةً﴾ قيل: هي حياة الجنة^(٢)، وقيل: في الدنيا بالقناعة^(٣) أو الرزق الحلال^(٤) ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

[٩٨] ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ﴾ أي: أردت قراءته ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطٰنِ الرَّجِيمِ﴾ أي: قل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

[٩٩] ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطٰنٌ﴾ تسلط ﴿عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾.

[١٠٠] ﴿إِنَّمَا سُلْطٰنُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ﴾ بطاعته ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ أي: الله ﴿مُشْرِكُونَ﴾.

[١٠١] ﴿وَإِذَا بَدَلْنَا ءَايَةً مَّكَاتٍ ءَايَةً﴾ بنسخها وإزوال غيرها لمصلحة العباد ﴿وَاللَّهُ أَشَدُّ بِمَا يَبْزُلُ قَالُوا﴾ أي: الكفار للنبي ﷺ: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ﴾ كذاب تقولوه من عندك ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ حقيقة القرآن وفائدة النسخ.

[١٠٢] ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ﴾ جبريل ﴿مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ متعلق بـ﴿نزل﴾ ﴿لِيُنذِرَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بإيمانهم به ﴿وَهُدَىٰ وَيُذَرِّفَ لِلْمُشْرِكِينَ﴾.

وَلَا تَتَّخِذُوا ءٰمَنَتَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَرِلَ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكِنَّ عَذَابَ عَظِيمٍ ﴿٩٥﴾ وَلَا تَتَّخِذُوا بِعَهْدِ اللَّهِ تَمَنَّا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ مَا عِنْدَكُمْ يَفْتَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بِأَقْبَىٰ وَلَنَجْزِيَنَّهُ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ مَن ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطٰنِ الرَّجِيمِ ﴿٩٩﴾ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطٰنٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّمَا سُلْطٰنُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴿١٠١﴾ وَإِذَا بَدَلْنَا ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُبْزِلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُنذِرَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٣﴾

[٩٤] ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا ءٰمَنَتَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ﴾ كره تأكيداً ﴿فَتَرِلَ قَدَمٌ﴾ أي: أقدامكم من محجة الإسلام ﴿بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾ استقامتها عليها

(١) بالياء قراءة حمزة والكسائي ونافع وأبي عمرو، وابن عامر بخلاف عنه.

(٢) هذا قول الحسن البصري كما في الدر المنثور (١٦٥/٥).

(٣) هذا قول محمد بن كعب القرظي كما في الدر المنثور (١٦٤/٥).

(٤) هذا قول ابن عباس كما في الدر المنثور (١٦٤/٥).

[١٠٣] ﴿وَلَقَدْ﴾ للتحقيق (١) ﴿نَعَلَمَ أَنَّهُمْ يُقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ﴾ القرآن ﴿بَشَرًا﴾ وهو قيس (٢) نصراني كان النبي ﷺ يدخل عليه، قال تعالى: ﴿لِسَانٌ﴾ لغة ﴿الَّذِي يُلْحَدُونَ﴾ يميلون ﴿إِلَيْهِ﴾ أنه يعلمه ﴿أَعْجَبِي وَهَذَا﴾ القرآن ﴿لِسَانٌ عَكْرَتٌ مُبِينٌ﴾ ذو بيان وفضاحة، فكيف يعلمه أعجمي؟ (٣)

[١٠٤] ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ يُبَايِعْتُمُ اللَّهَ وَهُمْ عَدَاؤُكُمْ﴾ مؤلم.

[١٠٥] ﴿إِنَّمَا يَقْرَأُ الذِّكْرَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ يبايعت الله ﷻ القرآن، بقولهم: هذا من قول البشر ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ والتأكيد بالتركرر وإن «وغيرهم» لقولهم: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْفَرٌ﴾.

[١٠٦] ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ﴾ على التلفظ بالكفر فنلفظ به ﴿وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ «ومن» مبتدأ، أو شرطية، والخبر أو الجواب: لهم وعيد شديد، دل على هذا: ﴿وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا﴾ له؛ أي: فتحه ووسعه بمعنى طاب به نفسه ﴿فَعَلَيْهِمْ عَذَابٌ مِنْ اللَّهِ وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

[١٠٧] ﴿ذَلِكَ﴾ الوعيد لهم ﴿يَأْتِيهِمْ أَسْحَابٌ مِنَ الذُّنُوبِ﴾ اختاروها ﴿عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنْتَ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾.

[١٠٨] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾ عما يراد بهم.

[١٠٩] ﴿لَا جِرْمَ﴾ حقًا ﴿أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم.

[١١٠] ﴿ثُمَّ إِنَّكَ رَبُّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ إلى المدينة ﴿مِنْ بَعْدِ مَا قُتِلُوا﴾ عذبا وتلفظوا بالكفر، وفي قراءة بالبناء للفاعل (٤)؛ أي: كفروا أو فتنوا الناس عن الإيمان ﴿ثُمَّ جَهَدُوا وَصَبَرُوا﴾ على الطاعة ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا﴾ أي: الفتنة ﴿لَعَفُورٌ﴾ لهم ﴿رَجِيمٌ﴾ بهم، وخبر «إن» الأولى دل عليه خبر الثانية.

وَلَقَدْ نَعَلَّمَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرًا لِسَانُ الَّذِي يُلْحَدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَبِي وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ يُبَايِعْتُمُ اللَّهَ وَهُمْ عَدَاؤُكُمْ أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبَايِعْتُمُ اللَّهَ وَهُمْ عَدَاؤُكُمْ أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿١٠٤﴾ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ عَذَابٌ مِنْ اللَّهِ وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ذَلِكَ يَأْتِيهِمْ أَسْحَابٌ مِنَ الذُّنُوبِ عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنْتَ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿١٠٦﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ ﴿١٠٧﴾ لَا جِرْمَ ﴿١٠٨﴾ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٠٩﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا قُتِلُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَعَفُورٌ رَجِيمٌ ﴿١١٠﴾

(١) القاعدة أن «قد» تكون للتحقيق إذا جاء بعدها فعل ماضٍ، وتكون للتقليل إذا جاء بعدها فعل مضارع. ذكره ابن هشام في «معني اللبيب». وأخذ الجلالان بقول بعض اللغويين: إنها للتحقيق لا للتقليل في هذه المواضع.

وعلى القاعدة أنها للتقليل؛ يكون المراد تقليل متعلق الفعل والمعنى هنا: قولهم إنما يعلمه... هو أقل معلوماته سبحانه.

(٢) أي: حداد، كان روميًا، وفي نسخة: قر؛ أي: عبد.

(٣) أخرجه الطبري في «جامع البيان» (١١٩/١٤)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (١٦٧/٥)، وضعف إسناده في باب المنقول ص (١٣٤)، وأخرج الطبري بسند صحيح في جامع البيان (١٤/١٢٠) عن عبيد بن مسلم الحضرمي؛ قال: كان لنا غلامان نصرانيان من أهل عين التمر؛ يسمي أحدهما: يسار، والآخر: جبر، وكانا يقرآن كتابًا لهما، فرميا مر رسول الله ﷺ فقام عليهما، فقال المشركون: إنما يتعلم محمد منهما؛ فأرسل الله ﷻ هذه الآية. وذكره الواحدي في أسباب النزول ص (١٩٠)، وصححه الحافظ أيضًا في الإصابة (٤٤٧/٢).

(٤) لابن عامر، ويحتمل على هذه القراءة أن يكون الفعل لازمًا، فيكون معنى ﴿فَيَسْتَرْوُا﴾ أي: افتنوا، وإليه أشار المفسر بقوله: «أي كفروا»، ويحتمل أن يكون متعديًا، وأشار إليه بقوله: «أو فتنوا الناس...».

[١١١] اذكر ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ شيئاً.

[١١٢] ﴿وَصَرَفَ اللَّهُ مَثَلًا﴾ ويبدل منه: ﴿قَرِيبَةً﴾ هي مكة (١)، والمراد أهلها ﴿كَانَتْ ءَامِنَةً﴾ من الغارات لا تهاج ﴿مُطْمَئِنَّةً﴾ لا يحتاج إلى الانتقال عنها لضيق أو خوف ﴿يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا﴾ واسعاً ﴿مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾ فكفرت بأنعم الله ﴿بتكذيب النبي ﷺ﴾ ﴿فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِيَاسَ الْجُوعِ﴾ فحطوا سبع سنين (٢) ﴿وَالْخَوْفِ﴾ بسرايا النبي ﷺ ﴿بِمَا كَانُوا يَسْتَكْبِرُونَ﴾.

[١١٣] ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ﴾ محمد ﷺ ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ﴾ الجوع والخوف ﴿وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾.

[١١٤] ﴿كُلُّوا﴾ أيها المؤمنون ﴿مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ وأشكروا نعمت الله إن كنتم إياه تَسْتَدِينُونَ.

[١١٥] ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَيْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ فمن أضطرَّ غَيْرَ بَيْعٍ وَلَا عَادِ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ.

[١١٦] ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا نَصَبْنَا لَكُمْ﴾ أي: لوصف ألسنتكم ﴿الْكُذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ﴾ لما لم يحله الله ولم يحرمه ﴿لِيَقْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ﴾ بنسبة ذلك إليه ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَقْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

[١١٧] لهم ﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ﴾ في الدنيا ﴿وَالْآخِرَةُ﴾ عَذَابٌ أَلِيمٌ مؤلم.

[١١٨] ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا﴾ أي: اليهود ﴿حَرْمًا مَّا فَصَّصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ﴾ في آية: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرْمًا كُلاً ذِي ظُلْفَرٍ﴾ (٣) إلى آخرها ﴿وَمَا ظَلَمْتَهُمْ﴾ بتحريم ذلك ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بارتكاب المعاصي الموجبة لذلك.

﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ ﴿وَصَرَفَ اللَّهُ مَثَلًا قَرِيبَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِيَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ ﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَأَشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنَّ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَيْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَيْعٍ وَلَا عَادِ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا نَصَبْنَا لَكُمْ الْكُذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِيَقْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَقْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ ﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرْمًا مَّا فَصَّصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَمَا ظَلَمْتَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾

(١) وهذا هو المشهور بين المفسرين، وعليه فالآية مدنية، وعلى القول بأنها مكة يكون إخبارًا بالغيب تنزيلاً له منزلة الواقع لتحقيق حصوله.

(٢) كما سيأتي بيانه في سورة «الدخان».

(٣) الأمام: ١٤٦.

[١١٩] ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا﴾ عليهم ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا﴾ أي: الجهالة أو التوبة ﴿لَعَفُورٌ﴾ لهم ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم.

[١٢٠] ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ إماماً قنوة جامعاً لحصال الخير ﴿فَأَنبَأَهُ﴾ مطعياً ﴿لِلَّهِ حَنِيفًا﴾ مائلاً إلى الدين القيم ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

[١٢١] ﴿شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ﴾ اصطفاه ﴿وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

[١٢٢] ﴿وَمَا آتَيْنَاهُ﴾ فيه التفات عن الغيبة ﴿فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ هي النناء الحسن في كل أهل الأديان ﴿وَوَدَّ فِي الآخِرَةِ لَيَمُنَ الصَّالِحِينَ﴾ الذين لهم الدرجات العلى.

[١٢٣] ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿أَنْ آتِيَكَ مَلَكٌ﴾ دين ﴿إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ وما كان من المشركين ﴿وَرَدَّ عَلَى زَعَمِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى أَنَّهُمْ عَلَى دِينِهِ﴾.

[١٢٤] ﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ﴾ فرض تعظيمه ﴿عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ على نبيهم، وهم اليهود أمروا أن يفرغوا للعبادة يوم الجمعة، فقالوا: لا نزيد، واختاروا السبت فشدد عليهم فيه ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ من أمره؛ بأن يثيب الطائع ويعذب العاصي بانتهاك حرمة.

[١٢٥] ﴿أَدْعُ﴾ الناس يا محمد ﴿إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ دينه ﴿بِالْحِكْمَةِ﴾ بالقرآن ﴿وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ مواعظه أو القول الرقيق ﴿وَيَحذِرُ لَهُمْ بِأَلْسِنَتِكَ﴾ أي: المجادلة التي ﴿هِيَ أَحْسَنُ﴾ كالدعاء إلى الله بآياته والدعاء إلى حججه ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ﴾ أي: عالم ﴿بِمَنْ صَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ وهو أعلم بالمُهتدين ﴿فِيحَاجِبِهِمْ﴾ وهذا قبل الأمر بالقتال.

[١٢٦] ونزل لما قُتل حمزة ومُثِّلَ به فقال ﷺ وقد رآه: «لأمثلن بسبعين منهم مكانك»: ﴿وَإِنَّ عَاقِبَتَهُمْ لَأَجْمَلٌ﴾ بما عوقبتم به ﴿وَلَيَنْ صَبْرُكُمْ﴾ عن الانقمام ﴿لَهُمْ﴾ أي: الصبر ﴿خَيْرٌ لِيُصْبِرُوا﴾ فكف ﷺ وكفر عن يمينه، رواه البرزالي^(١).

[١٢٧] ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ بتوفيقه ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ أي: الكفار وإن لم يؤمنوا لحركك على إيمانهم ﴿وَلَا تَأْكُ فِي صَبْرِكَ﴾

ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَعَفُورٌ رَحِيمٌ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ثُمَّ أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ أَنْ آتِيَكَ مَلَكٌ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَحَذِرُ لَهُمْ بِأَلْسِنَتِكَ إِنْ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ صَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ وَإِنَّ عَاقِبَتَهُمْ لَأَجْمَلٌ فَمَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَيَنْ صَبْرُكُمْ لَهْوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ

بمَكْرُونٍ: أي: لا تهتم بمكرهم فأنا ناصرك عليهم.

[١٢٨] ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الكفر والمعاصي ﴿وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ بالطاعة والصبر بالعون والنصر^(٢).

(١) ما جاء في نزول الآية (١٢٦): في المسند عن أبي بن كعب أنه أصيب يوم أحد من الأنصار أربعة وستون، وأصيب من المهاجرين ستة وحمزة، فماتوا بقتلهم، فقالت الأنصار: لمن أصابنا منهم يوماً من الدهر لئرين عليهم، فلما كان يوم فتح مكة نادى رجل من القوم لا يعرف: لا قریش بعد اليوم، فأقول الله تعالى على نبيه ﷺ: ﴿وَإِنَّ عَاقِبَتَهُمْ لَأَجْمَلٌ﴾ بما عوقبتم به ﴿وَلَيَنْ صَبْرُكُمْ﴾ فقال نبي الله ﷺ: «كفوا عن القوم». المسند (١٣٥/٥)، وقد أخرج الترمذي نحوه، كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (١٧) سورة النحل. (حسن صحيح الإسناد) صحيح سنن الترمذي (٢٥٠١).

(٢) أخرجه ابن سعد والبرزالي وابن المنذر وابن مردويه والحاكم، والبيهقي في الدلائل من حديث أبي هريرة كما في الدر المنثور (٢٥٥/٤)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١١٩/٦): «رواه البرزالي والطبراني؛ وفيه صالح بن بشر المري وهو ضعيف». وضمه الألباني في السلسلة الضعيفة (٢٨/٢) رقم (٥٥٠).

(٣) هذا من لوازم معيته. سبحانه. الخاصة بعبادة المؤمنين، ومعيته. سبحانه. مع خلقه نوعان؛ عامة وخاصة، وقد اشتمل القرآن على النوعين، وحقيقتها الصحة اللاتفة، وقد أخرج. سبحانه. أنه مع خلقه، مع كونه مستوثاً على عرشه، وقرن بين الأمرين في آية الحديد، وكلاهما حق.

ثم عرج بي إلى السماء الدنيا، فاستفتح جبريل؛ قيل: من أنت؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: أوقد أرسل إليه؟ قال: قد أرسل إليه. ففتح لنا فإذا أنا بأدم فرحب بي ودعا لي بالخير، ثم عرج بي إلى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل: من أنت؟ فقال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: أوقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه. ففتح لنا، فإذا بنا إلى الحالة يحيى وعيسى فرحبا بي ودعا لي بالخير، ثم عرج بنا إلى السماء الثالثة فاستفتح جبريل فقيل: من أنت؟ قال: جبريل. فقيل: ومن معك؟ قال: محمد. فقيل: أوقد أرسل إليه؟ قال: قد أرسل إليه. ففتح لنا، فإذا أنا بيوسف، وإذا هو قد أعطي شطر الحسن، فرحب بي ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة فاستفتح جبريل فقيل: من أنت؟ قال: جبريل. فقيل: ومن معك؟ قال: محمد. فقيل: أوقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه. ففتح لنا، فإذا أنا بإدريس، فرحب بي ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة فاستفتح جبريل فقيل: من أنت؟ قال: جبريل. فقيل: ومن معك؟ قال: محمد. فقيل: أوقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه. ففتح لنا، فإذا أنا بهارون، فرحب بي ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء السادسة فاستفتح جبريل فقيل: من أنت؟ قال: جبريل. فقيل: ومن معك؟ قال: محمد. فقيل: أوقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه. ففتح لنا، فإذا أنا بآدم، فرحب بي ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل فقيل: من أنت؟ قال: جبريل. فقيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: أوقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه. ففتح لنا، فإذا أنا بموسى، فرحب بي ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء الثامنة فاستفتح جبريل فقيل: من أنت؟ قال: جبريل. فقيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: أوقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه. ففتح لنا فإذا أنا بإبراهيم فإذا هو مستند إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه، ثم ذهب إلى سدرة المنتهى فإذا أوراقها كأذان الفيلة وإذا ثمرها كالقلال، فلما غشيها من أمر الله ما غشيها تغيرت فما أحد من خلق الله . تعالى . يستطيع أن يصفها من حسنها، قال: فأوحى الله إلي ما أوحى وفرض علي في كل يوم وليلة خمسين صلاة، فنزلت حتى انتهيت إلى موسى فقال: ما فرض ربك على أمتك؟ قلت: خمسين صلاة في كل يوم وليلة. قال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف؛ فإن أمتك لا تطيق ذلك، ولاني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم. قال: فرجعت إلى ربي فقلت: أي رب خفف عن أمتي. فحط عني خمسا، فرجعت إلى موسى قال: ما فعلت؟ فقلت: قد حط عني خمسا. قال: إن أمتك لا تطيق ذلك، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك. قال: فلم أزل أرجع بين ربي وبين موسى ويحط عني خمسا خمسا حتى قال: يا محمد، هي خمس صلوات في كل يوم وليلة بكل صلاة عشر فذلك خمسون صلاة، ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له عشرا، ومن هم بسئية ولم يعملها لم تكتب، فإن عملها كتبت له سئية واحدة، فنزلت حتى انتهيت إلى موسى، فأخبرته فقال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك؛ فإن أمتك لا تطيق ذلك. فقلت: قد رجعت إلى ربي حتى استحييت [رواه الشيخان، والملفظ لمسلم].^(٣) وروى الحاكم في «المستدرک» عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت ربي ﷻ»^(٤).

[٢] قال - تعالى -: ﴿وَمَا آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾

سورة الإسراء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُبْحٰنَ الَّذِي أَسْرٰى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾ وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ اللَّاتِيخِدُوا مِن دُونِي وَكَيْلًا ﴿٢﴾ ذُرِّيَّةً مِّن حَمَلِنَا مَع نُوْحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾ وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرْةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَر نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْتَوْأُوا وُجُوهَكُمْ وَيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿٧﴾

سورة الإسراء

[مكية إلا : ﴿وَرَن كَادُوا يَقْتُلُونَكَ﴾ الآيات الثمان . مائة وعشر، أو : إحدى عشرة آية، نزلت بعد القصص]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿سُبْحٰنَ﴾ أي: تنزيه ﴿الَّذِي أَسْرٰى بِعَبْدِهِ﴾ محمد ﷺ ﴿لَيْلًا﴾ نصب على الظرف، والإسراء سير الليل، وفائدة ذكره الإشارة بتكبيره إلى تقليل مدته ﴿مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ بيت المقدس لبعده منه ﴿الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ﴾ بالثمار والأثمار ﴿لِنُرِيَهُ مِنَ آيَاتِنَا﴾ عجائب قدرتنا ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ أي: العالم^(١) بأقوال النبي ﷺ وأفعاله^(٢) فإنعم عليه بالإسراء المشتمل على اجتماعه بالأنبياء، وعروجه إلى السماء، ورؤية عجائب الملكوت، ومناجاته له - تعالى - فإنه ﷻ قال: «أتيت بالبراق، وهو دابة أبيض، فوق الحمار ودون البغل، يضع حافره عند منتهى طرفه، فركبته فسار بي حتى أتيت بيت المقدس، فربطت الدابة بالحلقة التي تربط فيها الأنبياء، ثم دخلت فصليت فيه ركعتين ثم خرجت، فجاءني جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن، قال جبريل: أصببت الفطرة. قال:

(١) العلم من لوازم السمع والبصر، ولكلها غيره، وفي الآية إثبات هاتين الصفتين له . سبحانه .، ومذهب السلف الإيمان بهما على الوجه اللائق به من غير تمثيل، ولا تكيف، ولا تأويل ولا تعطيل؛ كما قال - سبحانه -: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. (٢) هذا التخصيص لا يظهر وجهه، فالصواب الإطلاق، فهو - سبحانه - السميع بكل مسموع، والبصير بكل مبصر. (٣) البخاري (٧٥١٧)، ومسلم (١٦٢٢) عن أنس بن مالك. (٤) رواه أحمد عن ابن عباس مرفوعًا كما في جامع السويطي، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٤٦٦).

إِسْرَائِيلَ ﴿لَهُ أَهْلٌ﴾ وَأَنْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَصِيلاً ﴿يَفُضُّونَ إِلَيْهِ أَمْرَهُمْ،
وفي قراءة: ﴿يَتَّخِذُوا﴾^(١) بالفوقانية الفناكاً، فوأن» زائدة، والقول مضمر.

[٣] يا ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ في السفينة ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا
شَكُورًا﴾ كثير الشكر لنا حامداً في جميع أحواله.

[٤] ﴿وَفَضَّلْنَا﴾ أوحينا ﴿إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ في الكتب ﴿التوراة
﴿لِنُفِّسِدَ فِي الْأَرْضِ﴾ أرض الشام بالمعاصي ﴿مَرْتِينَ وَلِنَعْلُنَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾
تبعون بغيا عظيما.

[٥] ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعَدُ أُولَئِنهَآ﴾ أولى مرتي الفساد ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا
أُولَى بَآسٍ شَدِيدِينَ﴾ أصحاب قوة في الحرب والبطش ﴿فَجَاسُوا﴾ ترددوا
لطلبكم ﴿خِذْلَ الَّذِينَ﴾ وسط دياركم ليقتلوكم ويتبؤكم ﴿وَكَاثَ وَعَدَا
مَعْرُولا﴾ وقد أفسدوا الأولى بقتل زكريا فبعث عليهم جالوت^(٢) وجنوده
فقتلوهم وسبوا أولادهم وخربوا بيت المقدس.

[٦] ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ﴾ الدولة والغلبة ﴿عَلَيْهِمْ﴾ بعد مائة سنة
بقتل جالوت ﴿وَأَنذَرْنَاكُمْ بِأَمْرٍ وَبَيْنَكُمُ وَاللَّيْلَةَ﴾ عشيرة.

[٧] وقلنا: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ﴾ بالطاعة ﴿أَحْسَنُ لَأُنْفِكَنَّ﴾ لأن ثوابه^(٣)
لها ﴿وَأِنْ أَسَأْتُمْ﴾ بالفساد ﴿فَلَهَا﴾ إساءتكم ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعَدُ﴾ المرة
﴿الْآخِرَةَ﴾ بعناهم ﴿لِيُنْفِكُوا وَجُوهَكُمْ﴾ يحزنوكم بالقتل والسبي حزنا
يظهر في وجوهكم ﴿وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ﴾ بيت المقدس فيخربوه ﴿كَأَنَّ
دَخَلُوهُ﴾ وخربوه ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ وَبِئْسَ مَا يَكُونُ﴾ يهلكوا ﴿مِمَّا عَلَوْا﴾ غلبوا عليه
﴿بِئْسَ مَا يَكُونُ﴾ هلاكاً، وقد أفسدوا ثانياً بقتل يحيى فبعث عليهم بختنصر فقتل
منهم أولفا وسبى ذريتهم وخرب بيت المقدس^(٤).

[٨] وقلنا في الكتاب: ﴿عَسَىٰ رَبُّكَ أَنْ يَرْحَمَكُمُ﴾ بعد المرة الثانية إن تبتم
﴿وَأِنْ عُدْتُمْ﴾ إلى الفساد ﴿عُدْنَا﴾ إلى العقوبة، وقد عادوا بتكذيب
محمد ﷺ فسلط عليهم بقتل قريظة ونفي النضير وضرب الجزية عليهم
﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ محسناً وسجناً.

[٩] ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّذِي﴾ أي: للطريقة التي ﴿هِيَ أَقْوَمُ﴾
أعدل وأصوب ﴿وَيُنَبِّئُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا
كَبِيرًا﴾.

[١٠] ﴿وَوَيْلٌ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا﴾ أعدنا ﴿لَهُمْ
عَذَابًا أَلِيمًا﴾ مؤثماً هو النار.

[١١] ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالشَّرِّ﴾ على نفسه وأهله إذا ضجر ﴿دُعَاةً﴾ أي:
كدعائه له ﴿بِالشَّرِّ وَكَانَ الْإِنْسَانُ﴾ الجنس ﴿عَجُولًا﴾ بالدعاء على نفسه وعدم
النظر في عاقبته.

[١٢] ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَابِتِينَ﴾ الدالين على قدرتنا ﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ
الْأَيِّ﴾ طمسنا نورها بالظلام لتسكنوا فيه، والإضافة لليبان ﴿وَجَعَلْنَا آيَةَ
النَّهَارِ مَبْصُورَةً﴾ أي: مبصرة فيها بالضوء ﴿لِنَبْتَلِيَنَّ﴾ فيه ﴿فَضْلاً مِنْ رَبِّكَ﴾
بالكسب ﴿وَلِنَعْلَمُوا﴾ بهما ﴿عَدَدَ النَّسِيئِينَ وَالْجَسَابِ﴾ للأوقات ﴿وَكُلَّ
شَيْءٍ﴾ يحتاج إليه ﴿فَضَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً﴾ بينه تبييناً.

[١٣] ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْمَنَّا طَعْنَهُ﴾ عمله يحمله ﴿فِي عُنُقِهِ﴾ خص

عَسَىٰ رَبُّكَ أَنْ يَرْحَمَكُمُ وَإِنْ عُدْتُمْ عَلَيْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ
حَصِيرًا ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّذِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُنَبِّئُ
الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿١٠
وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١١
وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ﴿١٢
وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ
النَّهَارِ مَبْصُورَةً لِنَبْتَلِيَنَّ أَفْضَالًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِنَعْلَمُوا عَدَدَ
النَّسِيئِينَ وَالْجَسَابِ وَكُلَّ شَيْءٍ فَضَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً ﴿١٣
وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْمَنَّا طَعْنَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا
يَلْقَاهُ مَنْشُورًا ﴿١٤﴾ أَفَرَأَىٰ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا
﴿١٥﴾ مَنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ
عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ تَبْعَثَ
رَسُولًا ﴿١٦﴾ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَوْمًا مِمَّا قَدْ بَدَأْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ
فَلِأَنَّكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمَقْتُولِينَ ﴿١٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ
مَنْ بَعْدَ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿١٨﴾

بالذكر؛ لأن الزوم فيه أشد، وقال مجاهد: ما من مولود يولد إلا وفي عنقه
ورقة مكتوب فيها شقي أو سعيد^(٥).

[١٤] ﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا﴾ مكتوباً فيه عمله ﴿يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾
صفحة لاه كتاباً. ويقال له: ﴿أَفَرَأَىٰ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾
محاسباً.

[١٥] ﴿مَنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾ لأن ثواب اهتدائه له ﴿وَمَنْ ضَلَّ
فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ لأن إثمه عليها ﴿وَلَا تَزِرُ﴾ نفس ﴿وَازِرَةٌ﴾ أئمة؛ أي: لا
تحمل ﴿وَزِدَّ﴾ نفس ﴿أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ﴾ أحداً ﴿حَتَّىٰ تَبْعَثَ رَسُولًا﴾
يبين له ما يجب عليه.

[١٦] ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَوْمًا مِمَّا قَدْ بَدَأْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ﴾
بالطاعة على لسان رسلنا ﴿فَلِنَقْسُوا فِيهَا﴾ فخرجوا عن أمرنا ﴿فَحَقَّ عَلَيْهَا
الْقَوْلُ﴾ بالعداب ﴿فَدَمَّرْنَا تَدْمِيرًا﴾ أهلكتناها بإهلاك أهلها وتخريبها.

[١٧] ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ﴾ الأمم ﴿مَنْ بَعْدَ نُوحٍ﴾
وَكَمْ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ عالماً بواطنها وظواهرها، و«به» يتعلق
﴿بِذُنُوبِ﴾.

(١) بإيالة قراءة أبي عمرو. (٢) اختلف المفسرون من السلف والخلف في هؤلاء المسلمين عليهم؛ من هم، وعن ابن عباس أنه جالوت وجنوده. (٣) أي ثواب الإحسان.

(٤) وفي هذا نظر؛ حيث إن بختنصر كان بينه وبين يحيى الكلا عدة قرون. وقيل أيضاً: إن الذي حارب بيت المقدس الحراب الثاني هو: «طيطوس» الروماني. ولا دليل صحيح على شيء من ذلك،
فالأولى التوقف، والله أعلم.

(٥) ذكره ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عنه [الدر المنثور (٢٥٠/٥)].

مطرودا عن الرحمة.

[١٩] ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا ۖ عَمَلُ اللَّائِقِ بِهَا ۖ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ۗ﴾ حال ﴿فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ عند الله؛ أي: مقبولاً منابها عليه.

[٢٠] ﴿كُلًّا﴾ من الفريقين ﴿فِيمُدُّ﴾ نعطي ﴿هَتُوْلَاءَ وَهَتُوْلَاءَ﴾ بدل ﴿مِنْ﴾ متعلق بـ﴿عَطَاءَ رَبِّكَ﴾ في الدنيا ﴿وَمَا كَانَ عَطَاءَ رَبِّكَ﴾ فيها ﴿مَحْظُورًا﴾ ممنوعاً عن أحد.

[٢١] ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ في الرزق والجاه ﴿وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ﴾ أعظم ﴿دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْصِيلًا﴾ من الدنيا، فينبغي الاعتناء بها دونها.

[٢٢] ﴿لَا يَجْعَلُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقَعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُومًا﴾ لا ناصر لك.

[٢٣] ﴿وَقَضَىٰ﴾ أمر ﴿رَبِّكَ أُنْهَىٰ﴾ أي: بأن ﴿لَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَ﴾ أن تحسنوا ﴿بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ بأن تروهما ﴿إِنَّمَا يَبْلُغُنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا﴾ فاعل ﴿أَوْ كِلَاهُمَا﴾ وفي قراءة ﴿يَبْلُغَانَّ﴾ (١) ذ (أحدهما) بدل من ألفه ﴿فَلَا تَقُلْ لهُمَا [أَف]﴾ بفتح الفاء، وكسرهما منوناً وغير منون (٢) مصدر بمعنى تبا وبقبا ﴿وَلَا تَنْهَرُهُمَا﴾ ترجمهما ﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ جميلاً لينا.

[٢٤] ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ﴾ ألن لهما جانبك الدليل ﴿مِنْ الرَّحْمَةِ﴾ أي: لرفقتك عليهما ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا ارْحَمْتَنِي صَغِيرًا﴾

[٢٥] ﴿رَبِّكَ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ﴾ من إضمار البر والعقوق ﴿إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ﴾ طاعين لله ﴿فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأُولِيَاءِ﴾ الرجاعين إلى طاعته ﴿عَفْوَكَ﴾ لما صدر منهم في حق الوالدين من بادرة وهم لا يضمنون عقوقاً.

[٢٦] ﴿وَوَاتٍ﴾ أعط ﴿ذَا الْقُرْنَيْنِ﴾ القرابة ﴿حَقَّهُ﴾ من البر والصلة ﴿وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَلَا يُبْدِرُ بَدِيرًا﴾ بالإنفاق في غير طاعة الله.

[٢٧] ﴿إِنَّ الْمُبْدِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ﴾ أي: على طريقتهم ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ شديد الكفر لنعمة، فكذلك أخوه المبدر.

مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصَلُّهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴿١٩﴾ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴿٢٠﴾ كَلَّا نُمَدِّدْهُنَّ هَلْوَءًا وَهَلْوَءًا مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢١﴾ أَنْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۗ وَاللَّآخِرَةُ أَكْبَرُ تَفْصِيلًا ﴿٢٢﴾ لَا يَجْعَلُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقَعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُومًا ﴿٢٣﴾ * وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِنَّمَا يَبْلُغُنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٤﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْتَانِي صَغِيرًا ﴿٢٥﴾ رَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأُولِيَاءِ عَفْوَكَ ﴿٢٦﴾ وَوَاتٍ ۖ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَلَا يُبْدِرُ بَدِيرًا ﴿٢٧﴾ إِنَّ الْمُبْدِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ ۖ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٢٨﴾

[١٨] ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ﴾ بعمله ﴿الْعَاجِلَةَ﴾ أي: الدنيا ﴿عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ﴾ التعجيل له، بدل من ﴿له﴾ بإعادة الجار ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ﴾ في الآخرة ﴿جَهَنَّمَ يَصَلُّهَا﴾ يدخلها ﴿مَذْمُومًا﴾ ملوماً ﴿مَدْحُورًا﴾

(١) مع كسر النون مشددة حمزة والكسائي.

(٢) بالفتح وبدون تنوين قراءة ابن كثير وابن عامر، وبالكسر كذلك قراءة حمزة والكسائي وأبي عمرو وشعبة.

﴿وَأَمَّا تَعْرِضْنَ عَنْهُمْ﴾ أي: المذكورين من ذي القربى وما بعدهم فلم تعطهم ﴿أَتَعْلَمُ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهُمْ﴾ أي: لطلب رزق تنتظره تأتيك فتعطيه منهُ ﴿فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا﴾ ليُنَا سَهْلًا بَأَن تَعُدَّهُم بِالْإِعْطَاءِ عِنْدَ مَجِيءِ الرِّزْقِ.

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ أي: لا تمسكها عن الإنفاق كل المسك ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا﴾ في الإنفاق ﴿كُلَّ الْبَسِطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا﴾ راجع للأول (١) ﴿تَحْسُورًا﴾ منقطعًا لا شيء عندك راجع للثاني (٢).

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾ يوسعهُ ﴿لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ يضيِّقه لمن يشاء ﴿إِنَّهُ كَانَ يَبْدُوهُ خَيْرًا بَصِيرًا﴾ عالمًا (٣) بيواطهم وظواهرهم فبرزهم على حسب مصالحهم.

﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ﴾ بالوَادِ ﴿خَشِيَّةً﴾ مخافة ﴿وَأَمْلَقِي﴾ فقر ﴿مَنْ تَرْفُؤُهُمْ وَإِنَّا كُنَّا إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا﴾ إنما ﴿كَبِيرًا﴾ عظيمًا.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا الرِّزْقَ﴾ أبلغ من لا تأتوه ﴿إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً﴾ قبيحًا ﴿وَسَاءَ﴾ بس ﴿سَبِيلًا﴾ طريقًا هو.

﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِرَبِّهِ لُورَثَهُ﴾ لوارثه ﴿سُلْطَنًا﴾ تسلطًا على القاتل ﴿فَلَا يُسْرِفْ﴾ يتجاوز الحد ﴿فِي الْقَتْلِ﴾ بَأَن يَقْتُلَ غَيْرَ قَاتِلِهِ، أَوْ بِغَيْرِ مَا قُتِلَ بِهِ ﴿إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا﴾.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ﴾ إنَّ الْعَهْدَ كَانَتْ مَسْئُولًا عَنْهُ.

﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ﴾ أَمْوَهُ ﴿إِذَا كَلَّمْتُمْ وَرثُوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ الميزان السوي ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ مَالًا.

﴿وَلَا تَقْفُ﴾ تتبع ﴿مَّا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ ﴿الْقَلْبَ﴾ كُلُّ أَوْلِيَّتِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿صَاحِبُهُ مَاذَا فَعَلَ بِهِ﴾.

﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ أي: ذا مرح بالكبر والخيلاء ﴿إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ﴾ تنقبها حتى تبلغ آخرها بكبرك ﴿وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾

﴿وَأَمَّا تَعْرِضْنَ عَنْهُمْ﴾ أي: المذكورين من ذي القربى وما بعدهم فلم تعطهم ﴿أَتَعْلَمُ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهُمْ﴾ أي: لطلب رزق تنتظره تأتيك فتعطيه منهُ ﴿فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا﴾ ليُنَا سَهْلًا بَأَن تَعُدَّهُم بِالْإِعْطَاءِ عِنْدَ مَجِيءِ الرِّزْقِ.

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ أي: لا تمسكها عن الإنفاق كل المسك ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا﴾ في الإنفاق ﴿كُلَّ الْبَسِطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا﴾ راجع للأول (١) ﴿تَحْسُورًا﴾ منقطعًا لا شيء عندك راجع للثاني (٢).

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾ يوسعهُ ﴿لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ يضيِّقه لمن يشاء ﴿إِنَّهُ كَانَ يَبْدُوهُ خَيْرًا بَصِيرًا﴾ عالمًا (٣) بيواطهم وظواهرهم فبرزهم على حسب مصالحهم.

﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ﴾ بالوَادِ ﴿خَشِيَّةً﴾ مخافة ﴿وَأَمْلَقِي﴾ فقر ﴿مَنْ تَرْفُؤُهُمْ وَإِنَّا كُنَّا إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا﴾ إنما ﴿كَبِيرًا﴾ عظيمًا.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا الرِّزْقَ﴾ أبلغ من لا تأتوه ﴿إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً﴾ قبيحًا ﴿وَسَاءَ﴾ بس ﴿سَبِيلًا﴾ طريقًا هو.

﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِرَبِّهِ لُورَثَهُ﴾ لوارثه ﴿سُلْطَنًا﴾ تسلطًا على القاتل ﴿فَلَا يُسْرِفْ﴾ يتجاوز الحد ﴿فِي الْقَتْلِ﴾ بَأَن يَقْتُلَ غَيْرَ قَاتِلِهِ، أَوْ بِغَيْرِ مَا قُتِلَ بِهِ ﴿إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا﴾.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ﴾ إنَّ الْعَهْدَ كَانَتْ مَسْئُولًا عَنْهُ.

﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ﴾ أَمْوَهُ ﴿إِذَا كَلَّمْتُمْ وَرثُوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ الميزان السوي ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ مَالًا.

﴿وَلَا تَقْفُ﴾ تتبع ﴿مَّا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ ﴿الْقَلْبَ﴾ كُلُّ أَوْلِيَّتِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿صَاحِبُهُ مَاذَا فَعَلَ بِهِ﴾.

﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ أي: ذا مرح بالكبر والخيلاء ﴿إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ﴾ تنقبها حتى تبلغ آخرها بكبرك ﴿وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾

المعنى أنك لا تبلغ هذا المبلغ، فكيف تختال؟! [٣٨] ﴿كُلُّ ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿كَانَ سَيِّئًا﴾ (٤) عند ربك مكروهًا.

(١) أي: الإسك.

(٢) أي: الإسراف في الإنفاق.

(٣) وفي الآية إثبات صفة البصر له سبحانه؛ على الوجه اللائق به من غير تمثيل، ولا تكليف، ولا تأويل، ولا تعطيل، ومن لوازم ذلك أن يكون عالمًا بيواطن عياده وظواهرهم.

(٤) وفي قراءة سبعة لنافع وابن كثير وأبي عمرو «سيفة» بالناء؛ أي عملاً سيقًا، وقرأ الباقون «سبه» بالهاء؛ أي السبع مما تقدم.

ذَلِكَ وَمَا أَرْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا
 آخَرَ فَتَلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا ﴿٣٩﴾ أَفَأَصْفَكَ رَبُّكَ
 بِالْبَيْنِ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنْتَابًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾
 وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾
 قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَابَتَعُوا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا
 ﴿٤٢﴾ سُبْحَانَهُ وَوَعَلَىٰ أَعْيُنًا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتُ
 السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا أَيْسِبِحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن
 لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قَرَأْتَ
 الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا
 مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ
 وَقْرًا وَإِذَا ذُكِّرْتُمْ بَلَغُوا الْقُرْآنَ وَحَدَّهُمْ لَوْلَا عَلَيْنَا لَذُنُوبُهُمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾
 نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ حَوَّيْ
 إِذ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾ أَنْظِرْ
 كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾
 وَقَالُوا إِذْ كُنَّا عِظَمًا وَرَفْنَا أَلَمْ نَأْمُرُوكُمْ حَلْفًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾

الْمَلَائِكَةَ إِنْتَابًا ﴿٣٩﴾ بنات لنفسه بزعمكم ﴿٤٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ ﴿٤١﴾ بذلك ﴿٤٢﴾ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٣﴾

[٤١] ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾ يَبْنِي ﴿فِي هَذَا الْقُرْآنِ﴾ من الأمثال والوعد والوعيد ﴿لِيَذَكَّرُوا﴾ يتعظوا ﴿وَمَا يَزِيدُهُمْ﴾ ذلك ﴿إِلَّا نُفُورًا﴾ عن الحق.

[٤٢] ﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ﴾ لهم: ﴿أَلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ﴾ أي: الله ﴿عَالِمًا كَمَا يَقُولُونَ﴾ إِذَا لَا يَفْقَهُونَ ﴿إِلَى ذِي الْعَرْشِ﴾ أي: الله ﴿سَبِيلًا﴾ ليقابلوه (١).

[٤٣] ﴿سُبْحَانَهُ﴾ تنزيها له ﴿وَوَعَلَىٰ أَعْيُنًا يَقُولُونَ﴾ من الشركاء ﴿عُلُوًّا كَبِيرًا﴾.

[٤٤] ﴿تَسْبِيحٌ لَهُ﴾ تنزهه ﴿السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن﴾ ما ﴿يَسْبِحُونَ﴾ من المخلوقات ﴿إِلَّا أَيْسِبِحُ﴾ متلبسا ﴿بِحَمْدِهِ﴾ أي يقول:

سبحان الله وبحمده ﴿وَلَكِن لَا تَفْقَهُونَ﴾ تفهمون ﴿تَسْبِيحَهُمْ﴾ لأنه ليس بملعنكم ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا حَلِيمًا غَفُورًا﴾ حيث لم يعاجلكم بالعقوبة.

[٤٥] ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿أَي﴾ ساترا لك عنهم فلا يرونك، نزل فيمن أراد الفتك به ﴿مَسْتُورًا﴾ (٢).

[٤٦] ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ أغطية ﴿أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾ من أن يفهموا القرآن؛ أي: فلا يفهمونه ﴿وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ ثقلا فلا يسمعونه ﴿وَإِذَا ذُكِّرْتُمْ﴾ رَبُّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحَدَّهُمْ ﴿لَوْلَا عَلَيْنَا لَذُنُوبُهُمْ نُفُورًا﴾ عنه.

[٤٧] ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ﴾ بسببه من الهراء ﴿إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ قراءتك ﴿وَإِذْ هُمْ حَوَّيْ﴾ يتناجون بينهم؛ أي: يتحدثون ﴿إِذْ﴾ بدل من ﴿إِذ﴾ قبله ﴿يَقُولُ الظَّالِمُونَ﴾ في تناجيهم: ﴿إِن﴾ ما ﴿تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ مخدوعا مغلوبا على عقله.

[٤٨] قال - تعالى -: ﴿أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ﴾ بالمسحور والكاهن والشاعر ﴿فَضَلُّوا﴾ بذلك عن الهدى ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾

طريقا إليه.

[٤٩] ﴿وَقَالُوا﴾ منكرين للبعث: ﴿إِذْ كُنَّا عِظَمًا وَرَفْنَا أَلَمْ نَأْمُرُوكُمْ حَلْفًا جَدِيدًا﴾.

[٣٩] ﴿ذَلِكَ وَمَا أَرْحَى إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ﴾ المعرطة ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا﴾ مطرودا عن رحمة الله.

[٤٠] ﴿أَفَأَصْفَكَ رَبُّكَ﴾ أخلصكم يا أهل مكة ﴿بِالْبَيْنِ وَاتَّخَذَ مِنْ

(١) والقول الآخر في تفسير الآية أن المعنى: لطلبوا التوصل والتقرب إليه، إفرادا له - سبحانه - بالعبودية والتوجه، وهذا القول هو الصحيح المنقول عن السلف، كما بينه شارح الطحاوية، واختاره ابن كثير وغيره.

(٢) يشير إلى ما أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (١٩٥/٢، ١٩٦) عن أسماء بنت أبي بكر قال: لما نزلت ﴿تَبَيَّنَ بَدَأُ أَبِي لَهَبٍ﴾ (سورة المسد) أقبلت العوراء أم جميل بنت حرب ولها ولولة وفي يدها فهر (حجر) وهي تقول: مديما أينا، ودنيه قلبا، وأمره عصينا. والنبي ﷺ في المسجد ومعه أبو بكر، فلما رآها أبو بكر، قال: يا رسول الله، قد أقبلت، وأنا أخاف أن تراك. قال النبي ﷺ: إنها لن تراني. وقرأ قرآنا فاعتصم به كما قال. وقرأ: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾، فوفقت على أبي بكر ولم تر رسول الله ﷺ... الحديث. وأخرجه أيضا أبو يعلى في مسنده (٣٣/١ رقم ٢٥) عن ابن عباس بنحوه، وفي إسناده عند أبي يعلى عطاء بن السائب، وقد احتلط، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٤٤/٧)، ونسبه إلى أبي يعلى واليزار وضعفه بعباءة. هذا أحد الأقوال، والقول الآخر في تفسير الآية أن المراد بالحجاب المستور؛ أي: من الجهل وعمى القلب، فهم لإعراضهم وتغافلهم عن دعوته ﷺ كتمن بينه وبينهم حجاب يمنعهم من السماع ويحول بينهم وبين الهدى، وهذا القول هو الأقرب، وعليه جمهور المفسرين.

[٥٠] ﴿قُلْ لَهُمْ: ﴿كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حديدًا﴾.

[٥١] ﴿أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾ يعظم عن قبول الحياة فضلاً عن العظام والرفات فلا بد من إيجاد الروح فيكم ﴿فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا﴾ إلى الحياة ﴿قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ﴾ خلقكم ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ ولم تكونوا شيئاً؛ لأن القادر على البدء قادر على الإعادة، بل هي أهون ﴿فَسَيَقُولُونَ﴾ يحركون ﴿إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾ تعجبنا ﴿وَيَقُولُونَ﴾ استهزاء: ﴿مَنْ هُوَ﴾ أي: البعث ﴿قُلْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَرِينًا﴾.

[٥٢] ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ﴾ يناديكم من القبور على لسان إسرئيل ﴿فَسَيَسْتَجِيبُونَ﴾ فستجيبون دعوته من القبور ﴿يَحْمَدُونَ﴾ بأمره، وقيل: وله الحمد ﴿وَنُظِّتُونَ﴾ ما ﴿لَيْسَتْ﴾ في الدنيا ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ لهول ما ترون.

[٥٣] ﴿وَقُلْ لِيَسْبُدَنَّ﴾ المؤمنين: ﴿يَقُولُوا﴾ للكفار (١) الكلمة ﴿الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ ﴿بَيْنَهُمْ﴾ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَتْ لِلإِنْسَانِ عِدُوًّا نُفِيئًا ﴿بَيْنَ الْعَدَاوَةِ﴾.

[٥٤] والكلمة التي هي أحسن هي: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾ إِنَّ نِسَاءً يَرْحَمَنَّكُمْ ﴿بِالنُّبُوَّةِ وَالإِيمَانِ﴾ ﴿أَوْ إِنْ نِسَاءً﴾ تعذيبكم ﴿يُعَذِّبَنَّكُمْ﴾ بالموت على الكفر ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ فتجبرهم على الإيمان، وهذا قبل الأمر بالقتال.

[٥٥] ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فيخصهم بما شاء على قدر أحوالهم ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ بتخصيص كل منهم بفضيلة كموسى بالكلام، وإبراهيم بالخلعة، ومحمد بالإسراء ﴿وَمَا أَتَيْنَا دَاوُدَ رُبُورًا﴾.

[٥٦] ﴿قُلْ لَهُمْ: ﴿أَدْعُوا الَّذِينَ رَعَضْتُمْ﴾ أنهم آلهة ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ كالملائكة وعيسى وعزير ﴿فَلَا يَمْلِكُونَ﴾ كَنَفَ النَّفْرِ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿لَهُ إِلَىٰ غَيْرِكُمْ﴾.

[٥٧] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ هم آلهة ﴿يَتَّبِعُونَ﴾ يطلبون ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ أَلْوَسِيَّةً ﴿الْقَرِيبَةَ الطَّاعَةَ﴾ آيَهُمْ ﴿بَدَلٍ مِنْ وَائِيَتِيغُونَ﴾؛ أي: يتغيها الذي هو ﴿أَقْرَبُ﴾ إليه فكيف بغيره ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ كغيرهم، فكيف تدعونهم آلهة ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ (٢).

﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حديدًا﴾ أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُقْضَىٰ عَلَيْكَ رُءُوسُهُمْ وَيَقُولُونَ مَنْ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَرِينًا ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتُظُنُّونَ إِنْ لَيْسَتْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ وَقُلْ لِيَسْبُدَنَّ الَّذِينَ يُقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عِدُوًّا مُّبِينًا ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾ إِنَّ نِسَاءً يَرْحَمَنَّكُمْ أَوْ إِنْ نِسَاءً يُعَذِّبَنَّكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ رُبُورًا ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ رَعَضْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضَّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿وَإِنْ مِنْ قَرِينَةٍ إِلَّا أَخْنُ مَهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مَعَذِبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَتْ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾

[٥٨] ﴿وَإِنْ﴾ ما ﴿مِنْ قَرِينَةٍ﴾ أريد أهلها ﴿إِلَّا أَخْنُ مَهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ بالموت ﴿أَوْ مَعَذِبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا﴾ بالقتل وغيره ﴿كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ﴾ اللوح المحفوظ ﴿مَسْطُورًا﴾ مكتوبًا.

(٥) ما جاء في نزول الآية (٥٧): أخرج مسلم عن عبد الله بن مسعود قال: كان نفر من الإنس يعبدون نفرًا من الجن؛ فأسلم نفر من الجن، واستمسك الإنس بعبادتهم، فنزلت: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾. مسلم - كتاب التفسير (٥٤) باب (٤) (٣٠٣)، وهو في البخاري (٤٧١٤، ٤٧١٥) دون التصريح بسبب النزول.

(١) هذا أحد الأقوال في تفسير هذه الآية، ولعله يشير إلى ما ذكره الواحدي في أسباب النزول ص (١٩٥)، عن الكلبي قال: كان المشركون يؤذون أصحاب رسول الله ﷺ بالقول والفعل، فشكروا ذلك إلى رسول الله ﷺ فأقر الله تعالى هذه الآية. والحديث ضعيف كما في الاستيعاب (٤٤٠/٢). والقول الثاني: هو أن الآية تحث المؤمنين على أن يتخاطبوا فيما بينهم بالتي هي أحسن. وهذا هو الأظهر والأنسب، والله أعلم.

فيؤمنوا^(٥٩).

[٦٠] ﴿وَمَا نَعْمَنَا أَنْ تَرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ ﴿٥٩﴾ وَآيَاتِنَا مُؤَدَّاتٌ مُبْصِرَةٌ فَمُظَلَّمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي آرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُحُوفُهُمْ قَمَائِرٌ يَبْذُوهُمْ وَالْطَّغْيَانَا كَبِيرًا ﴿٦١﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ مَا أَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنِ أَخَّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأُحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٣﴾ قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ يَبْعَاكَ مِنْهُمْ فَإِنَّا جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا ﴿٦٤﴾ وَأَسْتَفْزِرُ مَنِ اسْتَضَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكِ وَالْجَلْبُ عَلَيْهِمْ بَخِيلَتِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٥﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٦﴾ رَبُّكُمُ الَّذِي يُرْسِلُ السَّمَاءَ الْفَالِكَ فِي الْبَحْرِ لِيَتَّبِعُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهٗ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٧﴾

﴿٥٩﴾ وَمَا نَعْمَنَا أَنْ تَرْسِلَ بِالْآيَاتِ ﴿٥٩﴾ التي اقترحها أهل مكة ﴿إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ﴾ ما أرسلناها فأهلكناهم، ولو أرسلناها إلى هؤلاء لكدبوا بها واستحقوا الإهلاك، وقد حكمانا بإمها لهم؛ لإتمام أمر محمد ﷺ ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ أي: ﴿مُبْصِرَةٌ﴾ بيّنة واضحة ﴿فَمُظَلَّمُوا﴾ كفروا ﴿بِهَا﴾ فأهلكوا ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ﴾ المعجزات ﴿إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ للعباد

[٦٠] ﴿وَمَا نَعْمَنَا أَنْ تَرْسِلَ بِالْآيَاتِ﴾ التي اقترحها أهل مكة ﴿إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ﴾ ما أرسلناها فأهلكناهم، ولو أرسلناها إلى هؤلاء لكدبوا بها واستحقوا الإهلاك، وقد حكمانا بإمها لهم؛ لإتمام أمر محمد ﷺ ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ أي: ﴿مُبْصِرَةٌ﴾ بيّنة واضحة ﴿فَمُظَلَّمُوا﴾ كفروا ﴿بِهَا﴾ فأهلكوا ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ﴾ المعجزات ﴿إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ للعباد

[٦١] ﴿وَمَا نَعْمَنَا أَنْ تَرْسِلَ بِالْآيَاتِ﴾ التي اقترحها أهل مكة ﴿إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ﴾ ما أرسلناها فأهلكناهم، ولو أرسلناها إلى هؤلاء لكدبوا بها واستحقوا الإهلاك، وقد حكمانا بإمها لهم؛ لإتمام أمر محمد ﷺ ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ أي: ﴿مُبْصِرَةٌ﴾ بيّنة واضحة ﴿فَمُظَلَّمُوا﴾ كفروا ﴿بِهَا﴾ فأهلكوا ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ﴾ المعجزات ﴿إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ للعباد

[٦٢] ﴿وَمَا نَعْمَنَا أَنْ تَرْسِلَ بِالْآيَاتِ﴾ التي اقترحها أهل مكة ﴿إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ﴾ ما أرسلناها فأهلكناهم، ولو أرسلناها إلى هؤلاء لكدبوا بها واستحقوا الإهلاك، وقد حكمانا بإمها لهم؛ لإتمام أمر محمد ﷺ ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ أي: ﴿مُبْصِرَةٌ﴾ بيّنة واضحة ﴿فَمُظَلَّمُوا﴾ كفروا ﴿بِهَا﴾ فأهلكوا ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ﴾ المعجزات ﴿إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ للعباد

[٦٣] ﴿وَمَا نَعْمَنَا أَنْ تَرْسِلَ بِالْآيَاتِ﴾ التي اقترحها أهل مكة ﴿إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ﴾ ما أرسلناها فأهلكناهم، ولو أرسلناها إلى هؤلاء لكدبوا بها واستحقوا الإهلاك، وقد حكمانا بإمها لهم؛ لإتمام أمر محمد ﷺ ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ أي: ﴿مُبْصِرَةٌ﴾ بيّنة واضحة ﴿فَمُظَلَّمُوا﴾ كفروا ﴿بِهَا﴾ فأهلكوا ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ﴾ المعجزات ﴿إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ للعباد

[٦٤] ﴿وَمَا نَعْمَنَا أَنْ تَرْسِلَ بِالْآيَاتِ﴾ التي اقترحها أهل مكة ﴿إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ﴾ ما أرسلناها فأهلكناهم، ولو أرسلناها إلى هؤلاء لكدبوا بها واستحقوا الإهلاك، وقد حكمانا بإمها لهم؛ لإتمام أمر محمد ﷺ ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ أي: ﴿مُبْصِرَةٌ﴾ بيّنة واضحة ﴿فَمُظَلَّمُوا﴾ كفروا ﴿بِهَا﴾ فأهلكوا ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ﴾ المعجزات ﴿إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ للعباد

[٦٥] ﴿وَمَا نَعْمَنَا أَنْ تَرْسِلَ بِالْآيَاتِ﴾ التي اقترحها أهل مكة ﴿إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ﴾ ما أرسلناها فأهلكناهم، ولو أرسلناها إلى هؤلاء لكدبوا بها واستحقوا الإهلاك، وقد حكمانا بإمها لهم؛ لإتمام أمر محمد ﷺ ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ أي: ﴿مُبْصِرَةٌ﴾ بيّنة واضحة ﴿فَمُظَلَّمُوا﴾ كفروا ﴿بِهَا﴾ فأهلكوا ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ﴾ المعجزات ﴿إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ للعباد

[٦٦] ﴿وَمَا نَعْمَنَا أَنْ تَرْسِلَ بِالْآيَاتِ﴾ التي اقترحها أهل مكة ﴿إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ﴾ ما أرسلناها فأهلكناهم، ولو أرسلناها إلى هؤلاء لكدبوا بها واستحقوا الإهلاك، وقد حكمانا بإمها لهم؛ لإتمام أمر محمد ﷺ ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ أي: ﴿مُبْصِرَةٌ﴾ بيّنة واضحة ﴿فَمُظَلَّمُوا﴾ كفروا ﴿بِهَا﴾ فأهلكوا ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ﴾ المعجزات ﴿إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ للعباد

[٦٧] ﴿وَمَا نَعْمَنَا أَنْ تَرْسِلَ بِالْآيَاتِ﴾ التي اقترحها أهل مكة ﴿إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ﴾ ما أرسلناها فأهلكناهم، ولو أرسلناها إلى هؤلاء لكدبوا بها واستحقوا الإهلاك، وقد حكمانا بإمها لهم؛ لإتمام أمر محمد ﷺ ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ أي: ﴿مُبْصِرَةٌ﴾ بيّنة واضحة ﴿فَمُظَلَّمُوا﴾ كفروا ﴿بِهَا﴾ فأهلكوا ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ﴾ المعجزات ﴿إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ للعباد

(٥) ما جاء في نزول الآية (٥٩): أخرج أحمد عن ابن عباس قال: سألت أهل مكة النبي ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهبا، وأن ينحي الجبال عنهم فيردعوا [الفعال من الزرع]، فقيل له: إن شئت أن نستأني بهم، وإن شئت أن تؤيبهم الذي سألو، فإن كفروا أهلكوا كما أهلكت من قبلهم. قال: «لا، بل أستأني بهم، فأقول الله ﷻ هذه الآية: ﴿وَمَا نَعْمَنَا أَنْ تَرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ﴾ وَآيَاتِنَا مُؤَدَّاتٌ مُبْصِرَةٌ». أحمد - المسند (٢٥٨/١). قال أحمد شاكر: إسناده صحيح (٢٣٣٣).

(١) أخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي آرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ قال: هي رؤيا عين أربعا ليلة أسري به. ﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾ قال: شجرة الزقوم. البخاري (٣٨٨٨).

(٢) الأعراف: ١٢.

وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهًا فَلَمَّا
 نَجَّكُمُ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ﴿٧٤﴾ أَفَأَمِنْتُمْ
 أَنْ يُخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ
 لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكَيلًا ﴿٧٥﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً
 أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيَغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ
 ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ﴿٧٦﴾ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي
 آدَمَ وَخَلَقْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ
 وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٧﴾ يَوْمَ نَدْعُوا
 كُلَّ أَنَسٍ بِأَمْرِئِهِمْ فَمَنْ أُوِّيَ كِتَابُهُ وَيَمِينُهُ فَأُولَٰئِكَ
 يَقْرَأُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٨﴾ وَمَنْ كَانَ
 فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٩﴾ وَإِنْ
 كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ
 عَلَيْنَا غَيْرَةً وَإِذَا لَا تُحَدِّثُكَ خَلِيلًا ﴿٨٠﴾ وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ
 لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنْ إِلَيْهِمْ شبَعًا قَلِيلًا ﴿٨١﴾ إِذَا لَادَقْنَاكَ ضَعْفَ
 الْحَيَاةِ وَضَعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٨٢﴾

[٧٤] ﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ﴾ عن الحق بالعصمة ﴿لَقَدْ كِدْتَ﴾ قاربت
 ﴿تَرْكُنْ﴾ تميل ﴿إِلَيْهِمْ شبَعًا﴾ ركونًا ﴿قَلِيلًا﴾ لشدة احتياله
 ولالحاحهم، وهو صريح في أنه ﷺ لم يركن ولا قارب.
 [٧٥] ﴿وَإِذَا﴾ لو ركنت ﴿لَادَقْنَاكَ ضَعْفَ﴾ عذاب ﴿الْحَيَاةِ
 وَضَعْفَ﴾ عذاب ﴿الْمَمَاتِ﴾ أي: مثلي ما يعذب غيرك في الدنيا والآخرة
 ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ مانعًا منه.

[٦٧] ﴿وَإِذَا مَسَّكُمْ الضُّرُّ﴾ الشدة ﴿فِي الْبَحْرِ﴾ خوف الغرق ﴿ضَلَّ﴾ غاب
 عنكم ﴿مَنْ تَدْعُونَ﴾ تعبدون من الآلهة فلا تدعون ﴿إِلَّا إِلَٰهًا﴾ تعالى
 ء فإنكم تدعون وحده؛ لأنكم لا يكشفها إلا هو ﴿فَلَمَّا نَجَّكُمْ﴾ من
 الغرق وأوصلكم ﴿إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ﴾ عن التوحيد ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾
 جحودًا للنعم.

[٦٨] ﴿أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يُخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ﴾ أي: الأرض كفارون ﴿أَوْ
 يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ أي: يرميكم بالحصباء كقوم لوط ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا
 لَكُمْ وَكَيلًا﴾ حافظًا منه.

[٦٩] ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ﴾ أي: البحر ﴿تَارَةً﴾ مرة ﴿أُخْرَىٰ
 فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ﴾ أي: ريحا شديدة لا تمر بشيء إلا قضفته
 فتفسد فلحكم ﴿فَيَغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ﴾ بكفركم ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ
 تَبِيعًا﴾ ناصرا وتابعا يطالبنا بما فعلنا بكم.

[٧٠] ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا﴾ فضلنا ﴿بَنِي آدَمَ﴾ بالعلم والنطق واعتدال
 الخلق وغير ذلك، ومنه طهارتهم بعد الموت ﴿وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْأَرْحِ﴾ على الدواب
 ﴿وَالْبَحْرِ﴾ على السفن ﴿وَوَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ
 مِمَّنْ خَلَقْنَا﴾ كالبهائم والوحوش ﴿تَفْضِيلًا﴾ فـ«من» بمعنى «ما» أو على
 بابها، وتشمل الملائكة، والمراد تفضيل الجنس، ولا يلزم تفضيل أفرادها؛ إذ هم
 أفضل من البشر غير الأنبياء^(١).

[٧١] اذكر ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أَنَسٍ بِأَمْرِئِهِمْ﴾ نبيهم، فيقال: يا أمة
 فلان، أو بكتاب أعمالهم فيقال: يا صاحب الشر، وهو يوم القيامة ﴿فَمَنْ
 أُوِّيَ﴾ منهم ﴿كِتَابُهُ وَيَمِينُهُ﴾ وهم السعداء أولو البصائر في الدنيا
 ﴿فَأُولَٰئِكَ يَقْرَأُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ﴾ ينقصون من أعمالهم
 ﴿قَلِيلًا﴾ قدر قشرة النواة^(٢).

[٧٢] ﴿وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ﴾ أي: الدنيا ﴿أَعْمَىٰ﴾ عن الحق ﴿فَهُوَ فِي
 الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾ عن طريق النجاة وقراءة القرآن ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ أبعد طريقًا
 عنه.

[٧٣] ونزل في تقييف وقد سأله ﷺ أن يحرم واديههم وألحوا عليه^(٣)؛
 ﴿وَإِنْ﴾ مخففة ﴿كَادُوا﴾ قاربوا ﴿لَيَفْتِنُونَكَ﴾ ليستنزلوك ﴿عَنِ الَّذِي
 أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَةً وَإِذَا﴾ لو فعلت ذلك ﴿لَاتَقْدُرُكَ
 خَلِيلًا﴾.

(١) والذي ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية عن السلف واختاره: القول بتفضيل الأنبياء وصالح المؤمنين على الملائكة. واختار طائفة التوقف؛ وأن الأولى عدم الخوض في هذه المسألة؛ لأنه لا يترتب على ذلك عمل. وهو قول حسن.

(٢) هذا سهو من السيوطي رحمه الله؛ فما ذكره هو معنى «القطمير»، أما «الفتيل» فهو: الخيط الذي في بطن النواة.

(٣) أي يحرمه كما حرم مكة. ذكره الواحدي في أسباب النزول عن عطاء عن ابن عباس (ص ١٢١) وقبل غير ذلك، وكلها ضعيفة كما في الاستيعاب (٤٤٨/٢ - ٤٥١)، والصحيح أن الآية عامة في تأييد الله ﷻ لرسوله ﷺ وتبنيته وعصمته وسلامته من شر الأشرار وكيد الفجار، والله أعلم.

[٧٨] ﴿أَفِرْ أَصَلَاةَ لِذُلُوكِ أَلْتَمِينَ﴾ أي: من وقت زوالها ﴿إِنِّي عَسَىٰ أَلِيْلٌ﴾ إقبال ظلمته، أي: الظهر والعصر والمغرب والعشاء ﴿وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ﴾ صلاة الصبح ﴿إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَتْ مَشْهُودًا﴾ تشهد ملائكة الليل وملائكة النهار^(١).

[٧٩] ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ﴾ فصل ﴿بِهِ﴾ بالقرآن ﴿نَافِلَةً لَّكَ﴾ فريضة زائدة لك دون أمتك أو فضيلة على الصلوات المفروضة ﴿عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ﴾ يقبمك ﴿رَبُّكَ﴾ في الآخرة ﴿مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ يحمدك فيه الأولون والآخرون، وهو مقام الشفاعة في فصل القضاء.

[٨٠] ونزل لما أمر بالهجرة^(٢): ﴿وَقُلْ رَبِّي أَدْخِلْنِي الْمَدِينَةَ﴾ مُدْخَلٌ صِدْقٌ إِخْرَاجًا لَا تَنْفَت بَقَلْبِي إِلَيْهَا ﴿وَأَجْعَلْ لِي مِن لَّدُنْكَ سُلْطٰنًا نَّصِيرًا﴾ قوة تنصرني بها على أعدائك.

[٨١] ﴿وَقُلْ﴾ عند دخولك مكة: ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَالْإِسْلَامُ﴾ وَرَهَقَ الْبَاطِلُ ﴿بَطْلُ الْكُفْرِ﴾ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زُهُوقًا ﴿مُضْمَحًّا زَائِلًا﴾ وَقَدْ دَخَلَهَا ﴿وَحَوْلَ الْبَيْتِ ثَلَاثُمِائَةٍ وَسِتُونَ صِنْمًا﴾ فَجَعَلَ يَطْعُنَهَا بِعُودٍ فِي يَدِهِ وَيَقُولُ ذَلِكَ حَتَّى سَقَطَتْ، رَوَاهُ الشَّيْخَانُ^(٣).

[٨٢] ﴿وَنَزَّلْنَا مِن لَّدُنَّ الْفَرَّانَ مَا هُوَ شِفَاءٌ﴾ مِنَ الضَّلَالَةِ ﴿وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ بِهِ ﴿وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ﴾ إِلَّا حَسَارًا ﴿لِكُفْرِهِمْ بِهِ﴾.

[٨٣] ﴿وَإِذَا نَفَسْنَا عَلَى الْإِنسَانِ﴾ الْكَافِرِ ﴿أَعْرَضَ﴾ عَنِ الشُّكْرِ ﴿وَنَنَا بِحَبَابِهِ﴾ ثَمِي عَطْفُهُ مَبْتَحِرًا ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ﴾ الْفَقْرُ وَالشَّدَّةُ ﴿كَانَ يَتُوسَّأُ﴾ قَنُوطًا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ.

[٨٤] ﴿قُلْ كُلٌّ﴾ مِنَّا وَمِنْكُمْ ﴿يَعْمَلُ عَلَى شَاكِرَةٍ﴾ طَرِيقَتُهُ ﴿فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا﴾ طَرِيقًا فِيهِهِ.

[٨٥] ﴿وَيَسْأَلُونَكَ﴾ أَي: الْيَهُودَ ﴿عَنِ الرُّوحِ﴾ الَّذِي يَحْيَا بِهِ الْبَدَنُ ﴿قُلْ﴾ لَهُمْ: ﴿الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ أَي: عِلْمُهُ لَا تَعْلَمُونَهُ ﴿وَمَا أَوْثَقُ مِنَ الْعَيْبَرِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ بِالنَّسْبَةِ إِلَى عِلْمِهِ تَعَالَى^(٤).

[٨٦] ﴿وَلَيْنَ﴾ لَام قَسَمٌ ﴿شِئْنَا لَنُدْهَبَنَّ بِأَيْدِي أَوْحِيَّا إِلَيْكَ﴾ أَي: الْقُرْآنَ بَأَن نَمُوحَهُ مِنَ الصُّدُورِ وَالْمَصَاحِفِ ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُ لَكَ بِهِ عِلْيَا﴾ وَكَيْلًا.

وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفْرِزُوا مِنْكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خَلْفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةٌ مِنْ قَدَّ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا يَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾ أَقْبَرُ الصَّلَاةِ لِلذُّلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى عَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ وَقُلْ رَبِّي أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَأَجْعَلْ لِي مِنْ لَّدُنْكَ سُلْطٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَرَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زُهُوقًا ﴿٨١﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا نَفَسْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَنَا بِحَبَابِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَتُوسَّأُ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِرَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٣﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٤﴾ وَلَيْنَ شِئْنَا لَنُدْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا يَجِدُ لَكَ بِهِ عِلْيَا وَكَيْلًا ﴿٨٥﴾

[٧٦] ونزل لما قال له اليهود: إن كنت نبيا فالحق بالشام فإنها أرض الأنبياء^(١): ﴿وَإِنْ﴾ مَخْفِقَةٌ ﴿كَادُوا لَيَسْتَفْرِزُوا مِنْ الْأَرْضِ﴾ أَرْضَ الْمَدِينَةِ ﴿لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا﴾ لَوْ أَخْرَجُوكَ ﴿إِلَّا يَلْبَثُونَ خَلْفَكَ﴾ فِيهَا ﴿وَلَا يَلْبَثُونَ﴾ ثُمَّ يَهْلِكُونَ.

[٧٧] ﴿سُنَّةٌ مِنْ قَدَّ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا﴾ أَي: كَسَنَتْنَا فِيهِمْ مِنْ إِهْلَاكِكَ مِنْ أَخْرَجِهِمْ ﴿وَلَا يَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾ تَبْدِيلًا.

(١) ما جاء في نزول الآية (٨٥): أخرج البخاري عن عبد الله قال: بينا أنا مع النبي ﷺ في حرث وهو متكى على عسيب إذ مر اليهود، فقال بعضهم لبعض: سلوه عن الروح، فقال: ما رابكم إليه، وقال بعضهم: لا يستقبلكم بشيء ترونه، فقالوا: سلوه! فسألوه عن الروح، فأمسك النبي ﷺ فلم يرد عليهم شيئا، فعلمت أنه يوحى إليه، فقامت مقامي، فلما نزل الوحي قال: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أَوْثَقُ مِنَ الْعَيْبَرِ إِلَّا قَلِيلًا﴾. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) - سورة الإسراء (١٧) باب (١٣).

وأخرج الترمذي عن ابن عباس قال: قالت قريش لليهود: أعطونا شيئا نسال عنه هذا الرجل. فقال: سلوه عن الروح، قال: فسألوه عن الروح، فأئذ الله: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (١٨) سورة بني إسرائيل. (صحيح الإسناد) صحيح سنن الترمذي (٢٥١٠).

وهذا الحديث يدل على أن هذه الآية مكية، فيتمشى ذلك مع كون السورة كلها مكية، وحديث ابن مسعود السابق قال ابن كثير: فيقضي فيما يظهر بادي الرأي أن هذه الآية مدنية. . . وقد يجاب عن هذا بأنه قد تكون نزلت عليه بالمدنية مرة ثانية كما نزلت عليه بحكمة قبل ذلك، أو أنه نزل عليه الوحي بأنه يجيبهم عما سأله بالآية المتقدم إنزالها عليه، وهي هذه الآية.

(١) أخرج نحوه ابن أبي حاتم والبيهقي في الدلائل وابن عسكار عن عبد الرحمن بن غنم (الدر المنثور (٣٥٣/٤))، وضعفه السيوطي في لياح القول (ص ١٣٩) وقال: «هذا مرسل ضعيف الإسناد». وعن قتادة في قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أَوْثَقُ مِنَ الْعَيْبَرِ إِلَّا قَلِيلًا﴾. قال: هم أهل مكة بإخراج النبي ﷺ من مكة، وقد فعلوا بعد ذلك؛ فأهلهم الله يوم بدر، ولم يلبثوا بعده إلا قليلا... ذكره الطبري في جامع البيان (٩٠/١٥)، والسيوطي في الدر المنثور (٣٢٠/٥)، وهو مرسل كما في الاستيعاب (٤٥٢/٢).

(٢) أخرجه الترمذي من حديث أبي هريرة مرفوعا به، وأحمد في المسند (٤٧٤/٢)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٥٠٧).

(٣) أخرجه الترمذي (٣٠٦٤)، وأحمد (١٨٤٧) عن ابن عباس، وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي (٦١٠)، وقال الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على المسند (٢٩١/٣): «إسناده صحيح».

(٤) البخاري (٢٤٧٨)، ومسلم (١٧١٨) من حديث عبد الله بن مسعود.

[٨٧] ﴿إِلَّا﴾ لكن أبقينا ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا﴾ عظيماً؛ حيث أنزله عليك وأعطاك المقام المحمود وغير ذلك من الفضائل.

[٨٨] ﴿قُلْ لَّيْنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَيَّ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ﴾ في الفصاحة والبلاغة^(١) ﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ معيَّناً.

[٨٩] نزل ردّاً لقولهم: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾^(٢): ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾ بينا ﴿لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ صفة لخدوف؛ أي: مثلاً من جنس كل مثل؛ ليعظوا ﴿فَأَيُّ أَكْثَرِ النَّاسِ﴾ أي: أهل مكة ﴿إِلَّا كُفُورًا﴾ جحوداً للحق.

[٩٠] ﴿وَقَالُوا﴾ عطف على «أبي»: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا﴾ عينا ينبع منها الماء.

[٩١] ﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ﴾ بستان ﴿مِن مَّحْيِلٍ﴾ ومن يحيل وعنب ﴿فَتَفْجِرَ الْأَنْهَارَ خِلَافَهَا﴾ وسطها ﴿تَفْجِيرًا﴾.

[٩٢] ﴿أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا رَزَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا﴾ قطعاً ﴿أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا﴾ مقابلة وعياناً ففراهم.

[٩٣] ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن رُّحْرٍ﴾ ذهب ﴿أَوْ تَرْقَى﴾ تصعد ﴿فِي السَّمَاءِ﴾ بسلم ﴿وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُفْيِكَ﴾ لو رقيت فيها ﴿حَتَّى تَنْزِلَ عَلَيْنَا﴾ منها ﴿كِتَابًا﴾ فيه تصديقك ﴿تَقْرَأُهُ﴾ قل لهم: ﴿سُبْحَانَ رَبِّي﴾ تعجب ﴿هَلْ﴾ ما ﴿كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ ولم يبعث ملكاً.

[٩٤] ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَن قَالُوا﴾ أي قولهم منكرين: ﴿أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾ ولم يبعث ملكاً.

[٩٥] ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿لَوْ كَانَتْ فِي الْأَرْضِ﴾ بدل البشر ﴿مَلَائِكَةٌ يَّمْسُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا﴾ إذ لا يُرْسَلُ إلى قوم رسول إلا من جنسهم؛ ليتمكنهم مخاطبته والفهم عنه.

[٩٦] ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ على صدقي ﴿إِنَّهُ

إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا﴾ قل
لَيَنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَيَّ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ
لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا
وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَيُّ أَكْثَرِ
النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا وقالوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ
لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن مَّحْيِلٍ
وَعَنْبٍ فَتَفْجِرَ الْأَنْهَارَ خِلَافَهَا تَفْجِيرًا أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ
كَمَا رَزَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ
قَبِيلًا أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن رُّحْرٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ
وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُفْيِكَ حَتَّى تَنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا تَقْرَأُهُ قُل
سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا وَمَا مَنَعَ النَّاسَ
أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَن قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا
رَسُولًا قُل لَوْ كَانَتْ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَّمْسُونَ مُطْمَئِنِّينَ
لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا قُل كَفَىٰ بِاللَّهِ
شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا

كان يعبادوه خبيراً بصيراً^(٣) عالماً^(٤) بواطنهم وظواهرهم.

(١) ذكر العلماء أن أوجه الإعجاز في القرآن عديدة؛ ومنها: الإخبار بالغيبات، والعذوبة في الألفاظ، والبراعة في الأسلوب، والإيجاز في العبارة مع إفادة المعاني الكثيرة، وكونه لا يتخلق مع كثرة التلاوة ولا يتجمل بياضه، وكونه يجمع علومًا ومعارف لم يجمعها كاتب غيره، وغير ذلك.

(٢) الأنفال: ٣٦.

(٣) والعلم غير البصر، وإن كان من لوازمه، فنتجت هذه الصفة لله ﷻ على الوجه اللائق به سبحانه.

يهدونهم ﴿٩٧﴾ من دونهم ويحشرهم يوم القيمة ﴿٩٨﴾ ماشين ﴿٩٩﴾ على وجوههم عمياً ونكماً وضماً مأوئهم جهنم كلما خبت كلما خبت سكن لهما ﴿١٠٠﴾ زدنهم سعيراً ﴿١٠١﴾ تلها واشتعالاً.

[٩٨] ﴿ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا﴾ ﴿٩٩﴾ ﴿أَإِنَّا كُنَّا عِظَمًا وَرَفَاتًا أَوْ إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾.

[٩٩] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ يعلموا ﴿أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ مع عظيمهما ﴿قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾؛ أي: الأناسي في الصغر ﴿وَجَعَلَ لَهُمْ أَمْثَلًا﴾ للموت والبعث ﴿لَا رَبَّ فِيهِ فَا بَىٰ الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفْرًا﴾ جحوداً له.

[١٠٠] ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي﴾ من الرزق والمطر ﴿إِذَا لَمْ تَسْأَلْنَاهُمْ لِيُخَلِّتُمْ بِهِمَا﴾ خوف نفاذها بالإنفاق ﴿فَتَفَرَّقُوا﴾ وكان الإنسان فتوراً ﴿بخيلاً﴾.

[١٠١] ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ وهي اليد، والعصا، والطوفان، والحجرات، والقمل، والضفادع، والدم، والطمس، ونقص الثمرات ﴿فَسئَل﴾ يا محمد ﴿نبي إسرائيل﴾ عنه سؤال تقرير للمشركين على صدقك، أو قلنا له: أسأل، وفي قراءة بلفظ الماضي ﴿إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُمْ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾ مخدوعاً مغلوباً على عقلك.

[١٠٢] ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَمَا أَنزَلْتُمَا هَٰؤُلَاءِ﴾ الآيات ﴿إِلَّا رِبِّي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَآئِرٍ﴾ عبراً، ولكنك تعاند، وفي قراءة بضم التاء ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يُفْرَعُونَ مَسْجُورًا﴾ هالكا أو مصروفاً عن الخير.

[١٠٣] ﴿فَارَادَ﴾ فرعون ﴿أَنْ يُسْتَفْرَهُمْ﴾ يخرج موسى وقومه ﴿مِنَ الْأَرْضِ﴾ أرض مصر ﴿فَأَعْرَفْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا﴾.

[١٠٤] ﴿وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ﴾ يعني إسرائيل ﴿أَسْكِنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ﴾ أي: الساعة ﴿جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ جميعاً أنتم وهم.

وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَيَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيَآ وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَءِذَا كُنَّا عِظَمًا وَرَفَاتًا ءَأَنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَا بَىٰ الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفْرًا ﴿٩٩﴾ قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذَا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَسئَل نبي إسرائيل إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَمَا أَنزَلْتُمَا هَٰؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَآئِرٍ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يُفْرَعُونَ مَسْجُورًا ﴿١٠٢﴾ فَارَادَ أَنْ يُسْتَفْرَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَعْرَفْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِيَبَيِّنْ لِي إِسْرَائِيلَ أَسْكِنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾

[٩٧] ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾

(١) وهذه هي الآيات التي أوتها موسى عليه السلام لفرعون وقومه، وهي غير الآيات التي أوتها حمل قومه بني إسرائيل على الاستقامة، كما تقدم في تفسير سورة يونس آية (٧٥).

(٢) أي «فأسأل»، والمناسب أن يقول: «وقرى» جرياً على طريقته؛ لأنها قراءة شاذة.

(٣) أي: من «غليظ»، وهي للكسائي.

[١٠٥] ﴿وَيَلْقَىٰ أُنزُلَهُ﴾ أي: القرآن ﴿وَيَلْقَىٰ﴾ المشتغل عليه ﴿زُرُّهُ﴾ كما أنزل لم يعثره بتبديل ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ﴾ يا محمد ﴿إِلَّا مُبَشِّرًا﴾ من أمن بالجنة ﴿وَنَذِيرًا﴾ من كفر بالدار. [١٠٦] ﴿وَوُكِّلَ﴾ منصوب بفعل يفسره ﴿وَقَوَّمَهُ﴾ نزلناه مفرقًا في عشرين سنة أو ثلاث ﴿يَلْقَاهُمْ عَلَىٰ أَثَابِيرٍ عَلَىٰ مَكْبَىٰ﴾ مهل وتودة ليفهموه ﴿وَزَيَّلَهُ﴾ تزييلًا شيئًا بعد شيء على حسب المصالح. [١٠٧] ﴿قُلْ﴾ لكفار مكة: ﴿ءَابِئَاؤُا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا﴾ تهديد لهم ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْآيَاتِم مِّن قَبْلِهِ﴾ قبل نزوله، وهم مؤمنو أهل الكتاب ﴿إِنَّا يَسْأَلُونَكَ عَنِ الَّذِينَ يُلَاقُونَ لِيَأْذَنَ لَهُمْ فَيُخْرِجَهُم مِّنَ الدِّينِ لِيُقَاتَلُوا﴾ تنزيها لها عن خلف الوعد ﴿إِنَّ﴾ مخفية ﴿كَأَنَّهُمْ وَعَدُّ رَبِّنَا﴾ بنزوله وبعث النبي ﷺ ﴿لَمَقْمَرًا﴾. [١٠٩] ﴿وَيَخْرُجُونَ لِيَأْذَنَ لَهُمْ فَيُخْرِجَهُم مِّنَ الدِّينِ لِيُقَاتَلُوا﴾ عطف بزيادة صفة ﴿وَيُرِيدُهُم﴾ القرآن ﴿خُشُوعًا﴾ تواضعا لله. [١١٠] وكان ﷺ يقول: ﴿يا الله يا رحمن﴾ فقالوا: بينا هنا أن نعبد إلهين وهو يدعو إلها آخر معه، فنزل: ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿أَدْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾ أي: سموه بأيهما أو نادوه بأن تقولوا: يا الله يا رحمن^(١) ﴿أَيُّكُمْ﴾ شرطية ﴿مَعًا﴾ زائدة؛ أي: أي هذين ﴿تَدْعُونَهُمْ﴾ فهو حسن، دل على هذا: ﴿قُلْ﴾ أي: لسماعهما ﴿الْإِسْتِزَارَ﴾ نُتَشَبَهَ بِهِ، وهذا منها، فإنها كما في الحديث: والله الذي لا إله إلا هو الرحمن، الرحيم، الملك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، الخالق، البارئ، المصور، الغفار، القهار، الوهاب، الرزاق، الفتاح، العليم، القابض، الباسط، الخافض، الرافع، المعز، المذل، السميع، البصير، الحكيم، العدل، اللطيف، الخبير، الحليم، العظيم، الغفور، الشكور، العلي، الكبير، الحفيظ، المقيت، الحسيب، الجليل، الكريم، الرقيب، المحيب، الواسع، الحكيم، الودود، المجيد، الباعث، الشهيد، الحق، الوكيل، القوي، المتين، الولي، الحميد، المحصي، المبدئ، المعيد، المحيي، المميت، الحي، القيوم، الواجد، الماجد، الواحد، الأحد، الصمد، القادر، المقدر، المقدم، المؤخر، الأول، الآخر، الظاهر، الباطن، الوالي، المتعالي، البر، التواب، المنتقم، العفو، الرؤوف، مالك الملك، ذو الجلال والإكرام، المقسط، الجامع، الغني، المغني، المانع، الضار، النافع، النور، الهادي، البديع، الباقي، الوارث، الرشيد، الصبور﴾ [رواه الترمذي]^(٢)، قال - تعالى -: ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَوْتِكَ﴾ بقرائتها بها فيسمعك المشركون فيسبوك ويسبوا القرآن ومن أنزله ﴿وَلَا تَخَافُ﴾ تسر ﴿بِهَا﴾ ليتسمع أصحابك ﴿وَيَلْبَسُ﴾ أقصد ﴿بَيْنَ ذَلِكَ﴾ الجهر والخافتة ﴿سَيِّبًا﴾ طريقًا وسطًا^(٣). [١١١] ﴿وَقُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَخْلُقْ وَلَدًا وَكَانَ لَمْ يَكُنْ لَمْ يَكُنْ فِي الْمَلِكِ﴾ في الألوهية ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَمْ يَكُنْ لَمْ يَكُنْ﴾ يصوره ﴿مِنْ أَجْلِ﴾ الذَّلِّ ﴿أَي:﴾ لم يذل فيحتاج إلى ناصر ﴿وَكِبْرَةَ تَكْبِيرًا﴾ عظمه عظمة تامة عن اتخاذ الولد الشريك والذل وكل ما لا يليق به، وترتيب الحمد على ذلك للدلالة على أنه المستحق لجميع الحمد لكمال ذاته وتفرده في صفاته، وروى الإمام أحمد في «مسنده» عن معاذ الجهني عن رسول الله ﷺ أنه كان يقول: ﴿آية العز:﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَخْلُقْ وَلَدًا وَكَانَ لَمْ يَكُنْ لَمْ يَكُنْ فِي الْمَلِكِ﴾ إلى

﴿وَالْحَقُّ أَنزَلْنَاهُ بِالْحَقِّ نَزْلًا وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ ﴿١٠٥﴾
 ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْتَبٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا﴾ ﴿١٠٦﴾
 ﴿قُلْ ءَامِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا أُتُوا بِالْحَقِّ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْآذَانِ سُجَّدًا﴾ ﴿١٠٧﴾ ﴿وَيَقُولُونَ سُبْحٰنَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾ ﴿١٠٨﴾ ﴿وَيَخْرُجُونَ لِلْآذَانِ لِيُقَاتَلُوا وَيُرِيدَهُمُ خُشُوعًا﴾ ﴿١٠٩﴾ ﴿قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَهُوَ السَّمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرُ بِصَوْتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ ﴿١١٠﴾ ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَخْلُقْ وَلَدًا وَكَانَ لَمْ يَكُنْ لَمْ يَكُنْ فِي الْمَلِكِ﴾ ﴿١١١﴾ ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَمْ يَكُنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ أَجْلِ﴾ ﴿١١٢﴾ ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَمْ يَكُنْ لَمْ يَكُنْ فِي الْمَلِكِ﴾ ﴿١١٣﴾ ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَمْ يَكُنْ لَمْ يَكُنْ فِي الْمَلِكِ﴾ ﴿١١٤﴾

سُورَةُ الْاِسْتِزَارِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِجَابًا ﴿١﴾
 قَمِيمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾
 الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٣﴾
 مَلَكَیْنِ فِيهِ أَبَدًا ﴿٤﴾ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴿٥﴾

آخر السورة^(١). والله - تعالى - أعلم^(٢).

سُورَةُ الْاِسْتِزَارِ

[مكية إلا وَأَصْرٌ نَفْسِكَ﴾ الآية.

مائة وعشر آيات أو خمس عشرة آية، نزلت بعد سورة الغاشية^(٤)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

[١] ﴿الْحَمْدُ﴾ وهو الوصف بالجميل، ثابت ﴿لِلَّهِ﴾ تعالى، وهل المراد

(٥) ما جاء في نزول الآية (١١٠): أخرج النسائي عن ابن عباس قال: كان النبي ﷺ يرفع صوته بالقرآن، وكان المشركون إذا سمعوا صوته سبوا القرآن ومن جاء به، فكان النبي ﷺ يخفض صوته بالقرآن ما كان يسمعه أصحابه، فأقول الله ﷻ: ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَوْتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾. النسائي - كتاب الافتتاح (١١) باب (٨٠)، وأخرجه أيضًا بنحو البخاري في كتاب التفسير (٦٥) باب (١٤)، ومسلم في كتاب الصلاة (٤) باب (٣١).
 (٥) قَالَ مُؤَلَّفُهُ: هذا آخر ما كملت به تفسير القرآن الكريم الذي أَلَّفَهُ الشيخ الإمام العالم المحقق جلال الدين المحلي الشافعي ﷻ، وقد أفرغت فيه جهدي، وبذلت فكري فيه في نقائس أراها إن شاء الله تعالى تحمدي، وألفته في مدة قدر ميعاد الكلم^(٢)، وجعلته وسيلة للفوز بجنتنا النعم، وهو - في الحقيقة - مستفاد من الكتاب المكمل، وعليه في الآي المشابهة الاعتماد والمعلول، فرحم الله امرأً نظَّرَ بعين الإنصاف إليه، ووقف فيه على خطأ، فأطعني عليه. وَقَدْ قُلْتُ:

(١) أخرج نحوه ابن مردويه وابن جرير عن ابن عباس [الدر المنثور (٣٧٣/٤)]، وضعف صاحب الاستيعاب إسناده (٤٦٤/٢). (٢) الترمذي (٣٤٢٩) من حديث أبي هريرة مرفوعًا وضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي (٦٩٦). وأسماء الله ﷻ ليست محصورة بهذه الأسماء، بل لا حصر لها، أو لا سبيل للبشر إلى ذلك، كما قال ﷻ: «سَأَلْتُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمِعْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أُنزِلَتْ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلِمْتَهُ أَحَدًا مِّنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَثْبَتَتْهُ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ...». أخرجه أحمد في المسند (٣٧٠٤)، وصححه الألباني في صحيح الكلم الطيب (١٠٢). (٣) أحمد (١٥٠٨١) عن معاذ بن أنس مرفوعًا، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (١٩) والسلسلة الضعيفة (٥٣/٤) رقم (١٥٤٧). (٤) من أول سورة الكهف يبدأ القسم الذي فسرهُ الجلال المحلي ﷻ.

(٥) وهو أربعون يومًا؛ حيث فرغ من جمعه وتسويده، أما تحريره ونقله من المسودة فإلى سادس صفر، وهي مدة أربعة أشهر إلا أربعة أيام كما سيأتي.

أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ مُحَمَّدٌ ﴿الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿وَلَوْ جَعَلَ لَكُمُ﴾ أي: فيه عوياً ﴿اِخْتِلافًا أَوْ تَنَافُضًا، والجملة حال من «الكتاب».

[٢] ﴿فِيَسْمَا﴾ مستقيماً، حال ثانية مؤكدة ﴿يُنزِلُ﴾ يخوف بالكتاب الكافرين ﴿بِأَسْمَاءٍ﴾ عذاباً ﴿شَدِيدًا مِّنْ لَّدُنْهُ﴾ من قبل الله ﴿وَيُنزِلُ السُّورَاتِ﴾ الَّذِينَ يَمَكُونُ الصَّالِحِينَ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا. [٣] ﴿تَكْتُمُونَ فِيهِ﴾ آيَاتُهَا ﴿هُوَ الْجَنَّةُ﴾ [٤] ﴿وَيُنزِلُ﴾ من جملة الكافرين ﴿الَّذِينَ قَالُوا أَتُخَذُ اللَّهُ لَدُنَّا﴾. [٥] ﴿مَا لَكُم بِيَوْمِ﴾ بهذا القول ﴿مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآيَاتِهِ﴾ من قبلهم القائلين له ﴿كَرَّرْتَ﴾ عظمت ﴿كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ «كلمة» تمييز مفسر للضمير المهم، والخصوص بالذم محذوف؛ أي: مقاتلهم المذكورة ﴿إِنَّ﴾ ما ﴿يَقُولُونَ﴾ في ذلك ﴿إِلَّا﴾ مقولاً ﴿كِدَابًا﴾.

[٦] ﴿فَلَمَّا كَذَبْتُمْ﴾ مهلك ﴿فَنَسَخْنَا﴾ مَنَعْنَا ﴿عَلَيْهِمْ﴾ بعدهم؛ أي: بعد توليهم عنك ﴿إِنَّ لَكُمْ يَوْمًا يَهْدَى﴾ الْفَرَقَانَ ﴿أَسْفًا﴾ غيظاً وحزنًا منك؛ لحرصك على إيمانهم، ونصبه على المفعول له. [٧] ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ﴾ من الحيوان والنبات والشجر والأنهار وغير ذلك ﴿زِينَةً﴾ لِّمَنْ يَسْبُغُهُمْ ﴿لِنَخْبِرَ النَّاسَ﴾ الناظرين إلى ذلك ﴿أَلَيْسَ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ فيه؛ أي: أرهه لا ﴿وَأِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا﴾ فَنَاءً ﴿جَزْأً﴾ يابسا لا يثبت. [٩] ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾ أي: ظننت ﴿أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ﴾ الغار في الجبل ﴿وَالرَّقِيمِ﴾ اللوح المكتوب فيه أسماءهم وأنسابهم، وقد سئل ﷺ عن قصتهم ﴿كَأَنَّهُمْ﴾ في قصتهم ﴿مِنْ﴾ جملة ﴿ءَايَاتِنَا عَجَبًا﴾ خبر كان، وما قبله حال؛ أي: كانوا عجباً دون باقي الآيات، أو أعجبها، ليس الأمر كذلك.

[١٠] اذكر ﴿إِذْ أَوْىءَ الْيَتِيمَ﴾ إِلَى الْكَهْفِ ﴿جَمْعَ فَعَى﴾ وهو الشاب الكامل، خائفين على إيمانهم من فهمهم الكفار ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا مِن لَّدُنْكَ﴾ من قبلك ﴿رَحْمَةً وَهَيِّئْ﴾ أصْلِحْ ﴿لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ هداية.

[١١] ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ﴾ أي: أَمْنَاهُمْ ﴿فِي الْكَهْفِ﴾ سِنِينَ عَدَدًا ﴿مَعْدُودَةً﴾ [١٢] ﴿دُتْرُ بَعَثْنَاهُمْ﴾ أَيْظَنَاهُمْ ﴿لِنَعْلَمَ﴾ علم مشاهدة

مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآيَاتِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ فَلَعَلَّكَ بِنِعْمِ نَفْسِكَ عَلَىٰ آثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ هَذَا الْحَدِيثَ أَسَفًا ﴿٦﴾ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّهَا لِنَسْبُغُهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ ءَايَاتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوْىءَ الْيَتِيمَ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا مِن لَّدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْجَزِيِّنَ أَحْسَنٌ لِّمَالِهِمْ أَمْ دَأْبُ الْمُضِلِّينَ ﴿١٢﴾ تَحْنُ نَفْصُ عَيْنِكَ بِأَهْرَ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوهُ مِنْ دُونِهِ ءَلَيْهَا لَقَدْ قُلْنَا إِذْ شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَلِهَةً لَّو لِيَأْتُونَهُ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ بَيْنَ يَدَيْهِمْ أَظْلَمُ مِمَّنْ آفَرَّتْ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾

الإعلام بذلك للإيمان به أو البناء به أو هما؛ احتمالات، أيدها الثالث ﴿الَّذِي

عَدَدْتُ اللَّهُ زَمِي إِذْ هَدَانِي

فَمَنْ لِي بِمَقْلَبِ قَارِدٍ عَنِّي

لِي أَنْبِئْتُ نِعَ عَجْرِي وَضَعِي

وَمَنْ لِي بِالْقَبُولِ وَأَوْ بِحَرْفِ

هذا، ولم يكن قط في تحلدي أن أتعرض لذلك؛ لعلمي بالعجز عن الخوض في هذه المسائل، وعسى الله أن ينفع به نفعا جفيا، فيفتح به قلوبنا عُلْمًا، وأعيننا عُشْمًا، وأذناننا صُفْمًا، وكأني بن اعتاد المطولات، وقد أُضْرِبَتْ عن هذه التكملة وأصلها حسنا، وعدل إلى صريح العناد، ولم يوجه إلى دقائقها فهما ﴿وَمَنْ كَلَّمَ فِي هَذِهِ أُمَّةً قَهْرًا فِي الْآخِرَةِ آمَنَ﴾. رقا الله به هداية إلى سبيل الحق وتوفيقاً وإطلاعا على دقائق كلماته وتحققاً، وجعلنا به ﴿مَعَ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّهُمْ عَلَىٰ مِنَ الْيَتِيمِينَ وَالصَّالِحِينَ وَالْمُهَلَّكَةَ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾. وفرغ من تأليفه يوم الأحد عشر شوال سنة سبعين وثمانمائة، وكان ابتداءه في يوم الأربعاء ستهل رمضان من السنة المذكورة، وفرغ من تبينه يوم الأربعاء سادس صفر سنة إحدى وستين وثمانمائة، والله أعلم. قال الشيخ شمس الدين محمد بن أبي بكر الخطيب الطوسي: أخبرني صديقي العلامة المحقق جلال الدين السيوطي مصنف هذه التكملة، وقد أخذ الشيخ هذه التكملة في يده وتصفحها ويقول لمصنفها المذكور: أيتها جلال الدين المذكور في النوم وبين يديه صديقنا العلامة المحقق جلال الدين السيوطي مصنف هذه التكملة، في يده وتصفحها ويقول لمصنفها المذكور: أيتها أحسن وضعي أو وضعك؟ فقال: وضعي. فقال: انظر، وعرض عليه مواضع فيها، وكأنه يشير إلى اعتراض فيها بلطف، ومصنف هذه التكملة كلما أورد عليه شيئاً بوجهه والشيخ يتسم ويضحك. قال شيخنا الإمام العلامة جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي مصنف هذه التكملة: الذي اعتقده وأجزم به أن الوضع الذي وضعه الشيخ جلال الدين المحلي - رحمه الله تعالى - في قطعه أحسن من وضعي أنا بطبقات كثيرة؛ كيف وغالب ما وضعه هنا مقبس من وضعه ومستفاد منه لا مرية عندي في ذلك، وأما الذي زعم في المنام المكتوب أعلاه؛ فعمل الشيخ أشار به إلى المواضع القليلة التي خالفك وضعه فيها؛ لكنه، وهي بسيرة جداً، ما أظنّها تبلغ عشرة مواضع: وثمنا: أن الشيخ قال في «سورة ص»: والروح جسم لطيف يحيى به الإنسان بنفذه فيه. وكنت تبعه أولاً؛ فذكرت هذا الحد في «سورة الحجر»؛ ثم ضربت عليه؛ لقوله تعالى: ﴿وَيَكْتُوبُكَ عَنِ الرَّوحِ قُلِ الرَّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ الآية، فهي صريحة أو كالصريحة في أن الروح من علم الله تعالى. لا تعلمه؛ فالإمسك عن تعريفها أولى؛ ولذا قال الشيخ تاج الدين بن السبكي في «جمع الجوامع»: والروح لم يتكلم عليها محمد ﷺ؛ فنسخت عنها. وثمنا: أن الشيخ قال في «سورة الحج»: الصابون فرقة من اليهود. فذكرت ذلك في «سورة البقرة»، وزدت: أو النصارى؛ بياناً لقول ثابن؛ فإنه المعروف؛ خصوصاً عند أصحابنا الفقهاء؛ وفي «المهاج»: وإن خالفت السامرة اليهود والصابغ النصارى في أصل دينهم، وفي «شروحه»: أن الشافعي ﷺ نَصَّ على أن الصابغين فرقة من النصارى، ولا تستحضر الآن موضعا ثالثاً؛ فكان الشيخ - رحمه الله تعالى - يشير إلى مثل هذا، والله أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب.

(١٥) قال في حاشية الصاوي: «المعنى: تميز بين حسن العمل وسيئه بتلك الرينة؛ فمن زهدها كان من أهل الحسن، ومن رغب فيها كان بضد ذلك» (٤/٣). وقال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي: «أي أخلصه وأصوبه». تفسير الكرم الرحمن، ص (٥٠٤).

﴿أَيُّ الْحَرْبَيْنِ﴾ الفريقين المختلفين في مدة لبثهم ﴿أَحْصَى﴾ أفلع بمعنى أضبط ﴿لِمَا لَبِثُوا﴾ للبث، متعلق بما بعده ﴿أَمَدًا﴾ غاية. [١٣] ﴿تَنْقُصُ﴾ تقرأ ﴿عَلَيْكَ تَبَاهُمُ بِالْحَيِّ﴾ بالصدق ﴿إِنَّمِمْ فَيْئَةً آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَرَدُّنَاهُمْ هُدًى﴾ [١٤] ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ فوبناهم على قول الحق ﴿إِذْ قَامُوا﴾ بين يدي ملكهم وقد أمرهم بالسجود للأصنام ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِينَ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ﴾ أي: غيره ﴿إِنَّهَا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا﴾ أي: قولاً ذا شطط؛ أي: إفراط في الكفر إن دعونا إليها غير الله، فرضاً [١٥] ﴿هَذُلَاءِ﴾ مبتدأ ﴿فَوَسَّاتَا﴾ عطف بيان ﴿أَتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا﴾ هلاً ﴿يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ﴾ على عبادتهم ﴿يُسَلِّطِينَ بَيْنَ﴾ بحجة ظاهرة ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾ أي: لا أحد أظلم ﴿مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بنسبة الشريك إليه - تعالى ..

[١٦] قال بعض الفتيحة لبعض: ﴿وَإِذْ أَعْرَضْنَا عَنْهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوَّا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرُ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئُ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ لِرَفَقَةٍ﴾ بكسر الميم وفتح الفاء، وبالعكس^(١)؛ ما ترفقون به من غداء وعشاء.

[١٧] ﴿وَوَرَى السَّمْسِ إِذَا طَلَعَتْ [مُزَوَّرًا]﴾ بالتشديد والتخفيف^(٢) تميل ﴿عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ﴾ ناحيته ﴿وَإِذَا غَرَبَتِ تَقَرَّبَتْ ذَاتَ الشِّمَالِ﴾ تتركهم وتتجاوز عنهم فلا تصيبهم ألبتة ﴿وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ﴾ متمسك من الكهف بناهم برد الريح ونسيمها ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿وَمِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ دلالات قدرته ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ وَبَيِّنَاتٍ مُرْشِدَاتٍ﴾.

[١٨] ﴿وَتَحَسَّبَهُمْ﴾ لو رأيتمهم ﴿أَيْقَظَا﴾ أي: متنبهين؛ لأن أعينهم مفتوحة، جمع (يقظ) بكسر القاف ﴿وَهُمْ رُفُودٌ﴾ نيام، جمع راقد ﴿وَيُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾ لئلا تأكل الأرض لحومهم ﴿وَكُلُّهُمْ بَسِطٌ ذِرَاعَيْهِ﴾ بديه ﴿بِالْوَصِيدِ﴾ ببناء الكهف، وكانوا إذا انقلبوا انقلب هو مثلهم في النوم واليقظة ﴿لَوْ أَطَّلَعَتْ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتُمْ مِنْهُمْ فِرَارًا﴾ [وَلَمَلَّيْتُمْ] بالتشديد والتخفيف^(٣) ﴿مَتَّهِمْ رُضَا﴾ بسكون العين وضمها^(٤)، متعمم الله بالربع من دخول أحد عليهم.

[١٩] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما فعلنا بهم ما ذكرنا ﴿بَعَثْنَاهُمْ﴾ أيقظناهم ﴿لِيَسْأَلُوا بَيْنَهُمْ﴾ عن حالهم ومدة لبثهم ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْنَا قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ لأنهم دخلوا الكهف عند طلوع الشمس وبعثوا عند غروبها فظنوا أنه غروب يوم الدخول، ثم ﴿قَالُوا﴾ متوقفين في

﴿وَإِذْ أَعْرَضْنَا عَنْهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوَّا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرُ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئُ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ لِرَفَقَةٍ﴾
 ﴿وَوَرَى السَّمْسِ إِذَا طَلَعَتْ تَزْوَرَعْنَ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتِ تَقَرَّبَتْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ وَبَيِّنَاتٍ مُرْشِدَاتٍ وَهُمْ رُفُودٌ وَيُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكُلُّهُمْ بَسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعَتْ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتُمْ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمَلَّيْتُمْ مِنْهُمْ رُغْبًا﴾
 ﴿لِيَسْأَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْنَا قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾
 ﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا﴾

ذلك: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ﴾ [بِوَرِقِكُمْ] بسكون الراء وكسرها^(٥)؛ بفضتكم ﴿هَذِهِ﴾ إلى المدينة. يقال: إنها المسماة الآن (طرسوس) بفتح الراء^(٦) ﴿فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا﴾ أي: أي أطعمه المدينة أحل ﴿فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ [٢٠] ﴿إِنَّمِمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ﴾ يقتلوكم بالرجم ﴿أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا﴾ أي: إن عدمتم في ملتهم ﴿أَبَدًا﴾.

(١) يفتح الميم وكسر الفاء قراءة نافع وابن عامر.

(٢) بالتشديد قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو، وقرأ ابن عامر بإسكان الزاي وتشديد الراء من غير ألف.

(٣) بالتشديد قراءة نافع وابن كثير.

(٤) بالضم قراءة الكسائي وابن عامر.

(٥) بالسكون قراءة حمزة وشعبة وأبي عمرو.

(٦) وفي معجم ما استمعتم للكبرى: «طرسوس» بضم أوله، وإسكان ثانيه: معروفة، من الثغور الجزرية. قال أبو حاتم: هكذا يقول الأصمعي. وغيره يقول: «طرسوس»... (٨٩٠/٣).

[٢٢] ﴿سَيَقُولُونَ﴾ أي: المتنازعون في عدد الفتية في زمن النبي ﷺ: يقول بعضهم: هم ﴿ثَلَاثَةٌ رَأَيْتُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ﴾ أي بعضهم: ﴿خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ والقولان لنصاري نجران ﴿رَجْمًا بِالغَيْبِ﴾ أي: ظنًا في الغيبة عنهم، وهو راجع إلى القولين معًا، ونصبه على المفعول له؛ أي: لظنهم ذلك ﴿وَيَقُولُونَ﴾ أي المؤمنون: ﴿سَبْعَةٌ وَقَامُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ الجملة من المبتدأ وخبره صفة «سبعة» بزيادة الواو، وقيل: تأكيد أو دلالة على لصوق الصفة بالموصوف، ووصف الأولين بالرجم دون الثالث دليل على أنه مرضي وصحيح ﴿قُلْ رَبِّيَ أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ قال ابن عباس: أنا من القليل. وذكرهم سبعة^(١) ﴿فَلَا تَحْزَنْ﴾ تجادل ﴿فِيهِمْ إِلَّا مِرَّةً ظَهَرَ﴾ بما أنزل عليك ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ﴾ تطلب الفتيا ﴿وَنُتْمَهُمْ﴾ من أهل الكتاب اليهود ﴿أَسَدًا﴾.

[٢٣] وسأله أهل مكة عن خير أهل الكهف فقال: «أخبركم به غدا» ولم يقل: إن شاء الله فنزل ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ﴾ أي: لأجل شيء ﴿إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ عَدَا﴾ أي: فيما يستقبل من الزمان [٢٤] ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ أي: إلا لما يشاء الله - تعالى - بأن تقول: إن شاء الله ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ﴾ أي: لا ملبتيا بمشبهة الله - تعالى - بأن تقول: إن شاء الله ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ﴾ أي: مشيئة معلقا بها ﴿إِذَا نَسِيتَ﴾ ويكون ذكرها بعد النسيان كذكرها مع القول، قال الحسن وغيره: ما دام في المجلس^(٢) ﴿وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَا رَبِّي لِقَرْبَىٰ مِنْ هَذَا﴾ من خير أهل الكهف في الدلالة على نبوتي ﴿رُشْدًا﴾ هداية، وقد فعل الله ذلك.

[٢٥] ﴿وَلْيَسِّرُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ﴾ بالتثنية^(٣) ﴿سِتْرِينَ﴾ عطف بيان لـ «ثلاثمائة» وهذه السنون الثلاثمائة عند أهل الكهف شمسية وتزيد القمرية عليها عند العرب تسع سنين، وقد ذكرت في قوله: ﴿وَأَزْدَادُوا سِتْعًا﴾ أي: تسع سنين، فالثلاثمائة الشمسية ثلاثمائة وتسع قمرية.

[٢٦] ﴿قُلْ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَيْسُوا﴾ من اختلفوا فيه، وهو ما تقدم ذكره ﴿لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: علمه ﴿أَبْصُرَ بِهِ﴾ أي: بالله هي صيغة تعجب ﴿وَأَسْمِعُ﴾ به كذلك بمعنى ما أبصره وما أسمع، وهما على جهة المجاز^(٤)، والمراد أنه - تعالى - لا يغيب عن بصره وسمعه شيء ﴿مَا لَكُمْ﴾ لأهل السماوات والأرض ﴿مَنْ دُونِهِ﴾ من ولِّي ﴿ناصر﴾ ﴿وَلَا يَشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ لأنه غني عن الشريك.

[٢٧] ﴿وَأَنْتَ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ ملجأ.

وَكَذَلِكَ أَعْرَضْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّلُ عَنَّا بِرَبِّهِمْ أَمْرُهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُيُوتًا رَأَيْتُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢٥﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَأَيْتُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَقَامُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تَحْزَنْ فِيهِمْ إِلَّا مِرَّةً ظَهَرَ وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ عَدَا ﴿٢٧﴾ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَنْ يَهْدِيَنَا رَبِّي لِقَرْبَىٰ مِنْ هَذَا رُشْدًا ﴿٢٨﴾ وَلْيَسِّرُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِتْرِينَ وَأَزْدَادُوا سِتْعًا ﴿٢٩﴾ قُلْ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَيْسُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصُرْ بِهِ وَمَا نَسْمَعُ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴿٣٠﴾ وَأَنْتَ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٣١﴾

[٢١] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما بعثناهم ﴿أَعْرَضْنَا﴾ أطلعنا ﴿عَلَيْهِمْ﴾ قومهم والمؤمنين ﴿لِيَعْلَمُوا﴾ أي: قومهم ﴿أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ بالبعث ﴿حَقٌّ﴾ بطريق أن القادر على إقامتهم المدة الطويلة وإبقائهم على حالهم بلا غداء، قادر على إحياء الموتى ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ﴾ شك ﴿فِيهَا إِذْ﴾ معمول لـ «أعزنا» ﴿يَتَنَزَّلُ عَنَّا بِرَبِّهِمْ﴾ أي: المؤمنون والكفار ﴿بَيْنَهُمْ أَمْرُهُمْ﴾ أمر الفتية في البناء حولهم ﴿فَقَالُوا﴾ أي الكفار: ﴿ابْنُوا عَلَيْهِمْ﴾ أي: حولهم ﴿بُيُوتًا﴾ يستترهم ﴿رَأَيْتُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ﴾ قال الذين غلبوا على أمرهم: أمر الفتية وهم المؤمنون^(١): ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ﴾ حولهم ﴿مَسْجِدًا﴾ يصلى فيه، وفعل ذلك على باب الكهف.

(١) الظاهر أن الذين قالوا ذلك هم أصحاب الكلمة والنفوذ، وقيل: هم أهل الشرك منهم وليسوا المسلمين. وعلى أي حال فقد جاء شرعنا بنحرهم ذلك، قال ﷺ: «لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى؛ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ». يحدرو ما فعلوا. رواه البخاري (٤٣٦)، ومسلم (٥٣١)، وقال ﷺ: «... ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك». رواه مسلم (٥٢٢).

(٢) أخرجه ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وغيرهم عنه [الدر المنثور (٣٩٤/٤)].

(٣) أخرجه نحوه ابن المنذر عن مجاهد [الدر المنثور (٣٩٤/٤)] وذكره محمد بن إسحاق عن ابن عباس كما في تفسير ابن كثير (٧٠٣/٧٧)، وضعف إسناده في الاستيعاب (٤٧١/٢).

(٤) ذكره البغوي في تفسيره (١٦٢/٥)، وأخرج ابن أبي حاتم عن طريق عمرو بن دينار عن عطاء أنه قال: من حلف على بين فله النيا حلب ناقة. قال: وكان طاووس يقول: ما دام في مجلسه [الدر المنثور (٣٩٤/٤)].

(٥) وقرأ حمزة والكسائي بغير تنوين.

(٦) بل هما على جهة الحقيقة، نيتها لله ﷻ على الوجه اللائق به من غير تكيف ولا تمثيل ولا تأويل ولا تعطيل.

[٢٨] ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ﴾ احبسها ﴿مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْقُدْرَةِ وَالنِّيَّةِ يُرِيدُونَ﴾ عبادتهم ﴿وَجَهَةً﴾ تعالى، لا شيئاً من أعراض الدنيا، وهم الفقراء ﴿وَلَا تَقْدُ﴾ تنصرف ﴿عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ عبر بهما عن صاحبهما ﴿رَبُّدُ رَبِّنَا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَلَا نَطْمَعُ مِّنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا﴾ أي: القرآن، هو عينية ابن حصن وأصحابه ﴿وَأَتَّبَعْهُ هَوَاهُ﴾ في الشرك ﴿وَكَانَ أَمْرُهُ قُرْطًا﴾ إسرائافاً^(٥).

[٢٩] ﴿وَقُلْ﴾ له ولأصحابه: هذا القرآن ﴿الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَن شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ تهديد لهم ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ﴾ أي: الكافرين ﴿نَارًا أَحَاطَ بِهَا نَارُ سُرَادِقُهَا﴾ ما أحاط بها ﴿وَلَمَّا يَسْتَوْشِقُونَ﴾ يغاثوا بماء كالمهل ﴿يَكْفُرُ بِهِمُ الْمَسْمُومَةُ﴾ من حره إذا قرب إليها ﴿يَسُكُّ الشَّرَابِ﴾ هو ﴿وَسَاءَتْ﴾ أي: النار ﴿مُرْتَفَقًا﴾ تمييز منقول عن الفاعل، أي: فتح مرتفقا، وهو مقابل لقوله الآتي في الجنة: ﴿وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ والا فأي ارتفاق في النار.

[٣٠] ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَن أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ الجملة خبر «إن الذين»، وفيها إقامة الظاهر مقام المضمر، والمعنى: أجركم؛ أي: نبيهم بما تضمنه.

[٣١] ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ إقامة ﴿يَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ مجازاً ﴿يَنبَغُونَ فِيهَا مِن آسَاوِرَ﴾ قيل: «من» زائدة، وقيل: للتبويض، وهي جمع أسورة كأحمره، جمع سوار ﴿وَمِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُنْدُسٍ﴾ ما رق من الديباج^(٦) ﴿وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ ما غلظ منه، وفي آية الرحمن ﴿يَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُنْدُسٍ﴾ ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ جمع أريكة، وهي السرير في الحجلة، وهي بيت يزين بالثياب والستور للعرس ﴿وَيَعْمُ الْتَوَابِ﴾ الجزء الجنة ﴿وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾.

[٣٢] ﴿وَاصْبِرْ﴾ اجعل ﴿لَهُمْ﴾ للكفار مع المؤمنين ﴿مَثَلًا لِّظُلَمٍ﴾ بدل، وهو وما بعده تفسير للمثل ﴿جَعَلْنَا لِلكَّافِرِ جَنَّاتٍ﴾ بستانين ﴿مِن مِّنْ عَنَابٍ وَحَفَافٍ﴾ ينخل وجعلنا بينهما زرعاً يقتات به.

[٣٣] ﴿كَلِمَاتٍ لِّالْجِنِّ﴾ «كلنا» مفرد يدل على التثنية، مبتدأ ﴿ءَأَنْتَ﴾ خبره ﴿أَكَلَهَا﴾ ثمرها ﴿وَلَمْ تَطَّلِعْ﴾ تنقص ﴿بِتَنُوءٍ سَيِّئًا وَقَجْرًا﴾ أي: شققنا ﴿جَلَلْنَا هُمَا نَهْرًا﴾ يجري بينهما.

[٣٤] ﴿وَكَانَ لَهُمْ﴾ مع الجنين ﴿ثَمَرٌ﴾ بفتح التاء والميم، وبضمهما، وبضم الأول وسكون الثاني^(٧)، وهو جمع ثمرة كشجرة وشجر، وخشبة

وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْقُدْرَةِ وَالنِّيَّةِ يُرِيدُونَ وَجَهَةً وَلَا تَقْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطْمَعُ مِّنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ قُرْطًا ﴿٢٨﴾ وَقُلْ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَن شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهَا نَارُ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَن أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُجَلِّونَ فِيهَا مِن آسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ التَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ وَاصْبِرْ لِهُم مَثَلًا لِّظُلَمٍ جَعَلْنَا لِلكَّافِرِ جَنَّاتٍ مِّن مِّنْ عَنَابٍ وَحَفَافٍ يُنْخَلُ فِيهَا وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا ﴿٣٢﴾ كَلِمَاتٍ لِّالْجِنِّ ءَأَنْتَ أَكَلَهَا وَ لَمْ تَطَّلِعْ بِتَنُوءٍ سَيِّئًا وَقَجْرًا ﴿٣٣﴾ وَاصْبِرْ لِهُم مَثَلًا لِّظُلَمٍ جَعَلْنَا لِلكَّافِرِ جَنَّاتٍ مِّن مِّنْ عَنَابٍ وَحَفَافٍ يُنْخَلُ فِيهَا وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا ﴿٣٤﴾ كَلِمَاتٍ لِّالْجِنِّ ءَأَنْتَ أَكَلَهَا وَ لَمْ تَطَّلِعْ بِتَنُوءٍ سَيِّئًا وَقَجْرًا ﴿٣٥﴾

وخشْب، وبدنة وبدن ﴿فَقَالَ لِصَاحِبِهِ﴾ المؤمن ﴿وَهُوَ مُجَاوِرُهُ﴾ يفاخره: ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ عشيرة.

(٥) ما جاء في نزول الآية (٢٨): أخرج ابن ماجه عن حباب في قوله: ﴿وَلَا تَطْمَعُ مِّنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا﴾ إلى قوله: ﴿فَتَكُونُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ قال: جاء الأمر بن حابس وعيينة بن حصن الغزاري فوجدوا رسول الله ﷺ مع صهيب وبلال وعمار وخباب قاعدًا في ناس من الضعفاء من المؤمنين، فلما رأوهم حول النبي ﷺ حفرهم، فأثوه، فخلوا به، وقالوا: نريد أن نجعل لنا منك مجلسنا تعرف لنا به العرب فضلنا، فإن وفود العرب تأتيك فستحي أن ترانا العرب مع هذه الأعداء. فإذا نحن جنك فأقمهم عنك، فإذا نحن فرغنا فأقدمهم إن شئت. قال: نعم. قالوا فاكب لنا عليك كتابًا، قال: فدعا بصحيفة ودعا عليًا ليكتب، ونحن قوم في ناحية فنزل جبريل عليه السلام فقال: ﴿وَلَا تَطْمَعُ مِّنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا﴾ وقال: هلاكنا. قال: أمر عيينة والأقرع ثم ضرب لهم مثل الرجلين، ومثل الحياة الدنيا. قال حباب: فكنا نقدم مع النبي ﷺ فإذا بلغنا الساعة التي يقوم فيها قمنا وتركتها حتى يقوم. ابن ماجه - كتاب الزهد (٣٧) باب (٧) مجالسة الفقراء (صحيح) صحيح سنن ابن ماجه (٣٢٢٩).

(١) أي الحرير.

(٢) الرحمن: ٥٤.

(٣) بضمهما قراءة السبعة عدا عاصم وأبي عمرو، وبضم التاء وسكون الميم قراءة أبي عمرو، وبفتح التاء والميم قراءة عاصم.

[٤٦] ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ يتجمل بهما فيها ﴿وَالْبَاقِيَتُ أَخْلَبِيحَتُ﴾ هي: (سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، وسبحان الله أكبر)، زاد بعضهم: (ولا حول ولا قوة إلا بالله) (١) ﴿خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلًا﴾ أي: ما يأمله الإنسان ويرجوه عند الله - تعالى - .

[٤٧] ﴿وَوَقَّارُ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ تُنْفَخُ الْجِبَالُ﴾ (٢) يذهب بها عن وجه الأرض فتصير هباءً منبثاً، وفي قراءة بالنون وكسر الباء ونصب «الجبال» ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ ظاهرة ليس عليها شيء من جبل ولا غيره ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ﴾ المؤمنين والكافرين ﴿فَلَمْ تَقَادِرْ﴾ تترك ﴿مِنْهُمْ أَمْلًا﴾ .

[٤٨] ﴿وَعَرْضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا﴾ حال؛ أي: مصطفين كل أمة صف، ويقال لهم: ﴿لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ أي: فرادى حفاة عراة غرلاً، ويقال لمنكري البعث: ﴿بَلْ زَعَمْتُمْ أَنَّهُنَّ مَخْفِفَةٌ مِّنَ الثَّقِيلَةِ﴾ أي: أنه ﴿أَنْ تَجْعَلَ لِكُلِّ مَوْجِدٍ﴾ للبعث.

[٤٩] ﴿وَوَضِعَ الْكِتَابَ﴾ كتاب كل امرئ في يمينه من المؤمنين، وفي شماله من الكافرين ﴿فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ﴾ الكافرين ﴿مُشْفِقِينَ﴾ خائفين ﴿وَمَا فِيهِمْ وَيُقُولُونَ﴾ عند معابعتهم ما فيه من السيفات: ﴿يَا﴾ للتبعية ﴿وَيُلْقِنَا﴾ هلكتنا، وهو مصدر لا فعل له من لفظه ﴿مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يَقَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾ من ذنوبنا ﴿وَالَّذِينَ أَحْصَانُهَا﴾ عداها وأنتها، تعجبوا منه في ذلك ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاسِرًا﴾ ميثاقاً في كتابهم ﴿وَلَا يَظُنُّ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ لا يعاقبه بغير جرم ولا ينقص من ثواب مؤمن.

[٥٠] ﴿وَإِذْ﴾ منصوب بـ«اذكر» ﴿قُلْنَا لِلْمَلَكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ سجدوا انحناء لا وضع جبهة (٣) تحية له ﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾ قيل: هو نوع من الملائكة، فالاستثناء متصل، وقيل: هو منقطع (٤)، وإبليس هو أبو الجن، فله ذرية ذكرت معه بعد، والملائكة لا ذرية لهم ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ أي: خرج عن طاعته بترك السجود ﴿فَأَنزَلْنَاهُ وِزْرَتَهُ﴾ الخطاب لآدم وذريته، والهاء في الموضعين لإبليس ﴿أُولَئِكَ مِنْ دُونِي﴾ تطيعونهم ﴿وَهُمْ لَكُمْ وَعْدٌ﴾ أي: أعداء حال ﴿يَنسُ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ إبليس وذريته في إطاعتهم بدل إطاعة الله.

[٥١] ﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ﴾ أي: إبليس وذريته ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنفُسَهُمْ﴾ أي: لم أحضر بعضهم خلق بعض ﴿وَمَا كُنْتُمْ مَتَّخِذِ الْمُضِلِّينَ﴾ الشياطين ﴿عَضُدًا﴾ أعواناً في الخلق، فكيف تطيعونهم؟! [٥٢] ﴿وَيَوْمَ﴾ منصوب بـ«اذكر» ﴿يَقُولُ﴾ بالياء والنون (٥): ﴿نَادُوا شُرَكَّاءِ﴾ الأوثان ﴿الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ ليشفعوا لكم بزعمكم ﴿فَلَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾ لم يجيبوهم ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ بين الأوثان وعابديها ﴿مُوتِقًا﴾ وادناً من أودية جهنم يهلكون فيه جميعاً، وهو من (وتق) بالفتح: هلك.

الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَتُ أَخْلَبِيحَتُ
 خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلًا ﴿٤٦﴾ وَيَوْمَ تُنْفَخُ الْجِبَالُ وَتَرَى
 الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نَقَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعَرْضُوا
 عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ
 أَن نَّجْعَلَ لِكُلِّ مَوْجِدٍ ﴿٤٨﴾ وَوَضِعَ الْكِتَابَ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ
 مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيُقُولُونَ بَلْ كُنَّا نَمُرُّ بِكَ هَذَا الْكِتَابِ
 لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَانُهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا
 حَاسِرًا وَلَا يَظُنُّ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَكَةِ اسْجُدُوا
 لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ
 أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ
 بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنفُسَهُمْ وَمَا كُنْتُمْ مَتَّخِذِ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا
 ﴿٥١﴾ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَّاءِ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ
 فَادْعُوا آلَهُمْ لِيَزْجُوا إِلَيْكُمْ وَالَّذِينَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ هُمْ فِي
 عِندِ رَبِّكَ أَوْلِيَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْخَيْرُ أُولَئِكَ أُخْتَصَرُوا فِي الْكِتَابِ
 لِيُذَكَّرُوا ﴿٥٢﴾

بَسْتَجِيبُوا لَهُمْ لَمْ يَجِيبُوهُمْ ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ بين الأوثان وعابديها
 ﴿مُوتِقًا﴾ وادناً من أودية جهنم يهلكون فيه جميعاً، وهو من (وتق) بالفتح:
 هلك. [٥٣] ﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا﴾ أي: أيقنوا ﴿أَنَّهُمْ مُّوَفَّقُوهَا﴾ أي:
 واقفون فيها ﴿وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرَفًا﴾ معدلاً.

(١) أخرجه أحمد في المسند (٧١/١) موقوفاً على عثمان بن عفان رضي الله عنه ما سئل: فما الباقيات يا عثمان؟ قال: «هن: لا إله إلا الله، وسبحان الله، والحمد لله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله». قال الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على المسند (٥١٣): إنساده صحيح.
 وأخرجه أحمد في المسند (٧٥/٣) من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعاً به، والحاكم في مستدركه (٥١٢/١) وصححه وأقره الذهبي. وصححه ابن حبان (الإحسان ١٠٢/٢)، وقال المناوي: «قال الهيثمي: إنساده أحمد حسن، فيض القدير (٤٩٩/١). وضعفه الألباني في صحيح الجامع (٩٢٨).»
 (٢) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ الباقون بالنون، وكسر الباء ونصب «الجبال».
 (٣) قال القرطبي: اختلف الناس في كيفية سجود الملائكة لآدم بعد اتفانهم على أنه لم يكن السجود عبادة؛ فقال الجمهور: كان هذا أمراً للملائكة بوضع الجباه على الأرض؛ كالسجود المعتاد في الصلاة؛ لأنه الظاهر من السجود في العرف والشرع.
 (٤) وهذا القول هو الصحيح الذي تشهد له النصوص؛ فإبليس ليس من الملائكة، ولا نوعاً منها كما ذكر البعض؛ لأنه خلق من نار، والملائكة خلقت من نور كما في حديث مسلم عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «خلقت الملائكة من نور، وخلق الجن من نار، وخلق آدم مما وصف لكم». رواه مسلم (٢٩٩٦). وهل هو أصل الجن أم واحد منهم؟ قولان لأهل العلم؛ ذهب الجلالان إلى أنه أصل الجن، وهو قول شيخ الإسلام ابن تيمية كما في الفتاوى (٣٤٦، ٣٣٥/٤).
 (٥) بالنون قراءة حرة.

فاعل؛ أي: سنتنا فيهم، وهي الإهلاك المقدر عليهم ﴿أَوْ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ﴾ [قبيلًا] (١) مقابلة وعيانًا، وهو القتل يوم بدر، وفي قراءة بضمين جمع (قبيل؛ أي: أنواعًا).

[٥٦] ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ﴾ للمؤمنين ﴿وَمُنذِرِينَ﴾ مخوفين للكافرين ﴿وَيَجِدُ الَّذِينَ كَفَرُوا يُالِطُونَ﴾ يقولهم: ﴿بِعَثِّ اللَّهِ بِئْسَ تَوَكُّلاً﴾ (٢) ونحوه ﴿يُدْحِضُوا بِهِ﴾ ليطولوا بجدهالهم ﴿الْعُلُقُ﴾ القرآن ﴿وَأَتَّخَذُوا آيَاتِي﴾ أي: القرآن ﴿وَمَا أَنْذَرُوا﴾ به من النار ﴿هَزْوا﴾ سخريه.

[٥٧] ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ دُكِرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاؤُهُ﴾ ما عمل من الكفر والمعاصي ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ أعطية ﴿أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾ أي: من أن يفهموا القرآن؛ أي: فلا يفهمونه ﴿وَفِي آدَانِهِمْ وَقْرًا﴾ نقلاً فلا يسمعون ﴿وَلَنْ نَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا﴾ أي: بالجميل المذكور ﴿أبَدًا﴾.

[٥٨] ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ﴾ في الدنيا ﴿بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلْ لَعَلَّهُمُ الْعَذَابُ﴾ فيها ﴿بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ﴾ وهو يوم القيامة ﴿لَنْ يُجَادُوا مِنْ دُونِهِ﴾ مويلاً ﴿مَلَجًا﴾.

[٥٩] ﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ﴾ أي: أهلها؛ كعاد وثمود وغيرهما ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾ كفروا ﴿وَجَعَلْنَا لِمُعْصِيهِمْ﴾ (٣) لإهلاكهم، وفي قراءة بفتح الميم؛ أي: لهلاكهم ﴿مَوْعِدًا﴾.

[٦٠] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ﴾ هو ابن عمران ﴿لِقَتْلِهِ﴾ يوشع بن نون، كان يتبعه ويخدمه يأخذ عنه العلم: ﴿لَا أَبْرَحُ﴾ لا أزال أسير ﴿حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ﴾ ملتقى بحر الروم وبحر فارس مما يلي المشرق؛ أي: المكان الجامع لذلك ﴿أَوْ أَمْضَىٰ حُفْبًا﴾ دهرًا طويلاً في بلوغه إن بعد.

[٦١] ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا﴾ بين البحرين ﴿بَيْنَمَا هُوَمَا﴾ نسي يوشع حمله عند الرحيل، ونسي موسى تذكيره (٤) ﴿فَاتَّخَذَ الْحوتُ سَبِيلَهُ﴾ في البحر؛ أي: جعله يجعل الله ﴿سَرًّا﴾ أي: مثل السر، وهو الشق الطويل لا نفاذ له، وذلك أن الله - تعالى - أمسك عن الحوت جري الماء، فانجاب عنه فيقي كالكرة لم يلتمس وجمد ما تحته منه.

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شِقْوَةً جَدَلًا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَعَ النَّاسِ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ أَلَّوَلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ فُبُلًا ﴿٥٥﴾ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أَنْذَرُوا هُزْوًَا ﴿٥٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ دُكِرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاؤُهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آدَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلْ لَهُمُ الْعَذَابُ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجْدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيلًا ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَتْلِهِ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضَىٰ حُفْبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حَوْتَهُمَا فَاتَّخَذَا سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾

[٥٤] ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾ بيِّنًا ﴿فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ صفة لخدوف؛ أي: مثلاً من جنس كل مثل ليعظوا ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ﴾؛ أي: الكافر ﴿أَكْثَرَ شِقْوَةً جَدَلًا﴾ خصوصية في الباطل، وهو تمييز منقول من اسم كان، المعنى: وكان جدل الإنسان أكثر شيء فيه.

[٥٥] ﴿وَمَا مَعَ النَّاسِ﴾ أي: كفار مكة ﴿أَنْ يُؤْمِنُوا﴾ مفعول ثانٍ ﴿إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ﴾ القرآن ﴿وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ أَلَّوَلِينَ﴾

(١) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر. وقرأ الباقون ﴿جَدَلًا﴾ بضمين.

(٢) الإسراء: ٩٤.

(٣) وهي قراءة السبعة عدا عاصم، وقرأ شعبة بفتح الميم واللام الثانية، وقرأ حفص بفتح الميم وكسر اللام الثانية.

(٤) أكثر المفسرين على أنهما حملتا الحوت معهما، وهو الصحيح لموافقة حديث البخاري الآتي، كما أن ظاهر سياق الآيات يشهد له، وقيل: إنما نسب النسيان إليهما مع أنه من الفتى وحده؛ للصححة، كقوله - تعالى -: ﴿يَجْعَلُ بَيْنَهُمَا أَلْوَابًا وَيُخَيِّطُ الْبَحْرَيْنِ﴾، وفي رواية لحديث البخاري: «فلما استيقظ نسي صاحبه أن يخبره بالحوت»، وفيها أن الفتى هو الذي نسي تذكير موسى، خلاف ما ذكره المفسر البخاري (٤٧٦).

[٦٢] ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ إِنِّي جَاءَ نَارًا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾ قَالَ مُوسَى: ﴿لَقِينَهُ إِنِّي جَاءَ نَارًا﴾ هو ما يؤكل أول النهار ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾ تعباناً، وحصوله بعد المجاوزة. [٦٣] ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ أَتَى نَسَبِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ﴾ يدل من الهاء ﴿أَنْ أَذْكَرُ﴾ بدل اشتغال؛ أي: أنساني ذكره ﴿وَأَتَّخَذَ الْحَوْتَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾ مفعول ثانٍ؛ أي: يتعجب منه موسى وفاته لما تقدم في بيانه. [٦٤] ﴿قَالَ مُوسَى: ﴿ذَلِكَ؛ أَي: فقدنا الحوت (مَا)؛ أَي: الذي ﴿كُنَّا نَبْعُ نَطْلَهُ فَإِنَّهُ عَلِمَ لَنَا عَلَى وَجُودِ مِنْ نَطْلِهِ ﴿فَارْتَدَّا﴾ رجعا ﴿عَلَى آثَارِهِمَا﴾ بقصانها ﴿قَصَصْنَا﴾ فأتيا الصخرة. [٦٥] ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا﴾ هو الحضر^(١) ﴿وَالَّذِي رَحِمَهُ رَبُّنَا مِنْ عِبْدِنَا﴾ نبوة في قول، وولاية في آخر، وعليه أكر العلماء^(٢) ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا﴾ من قبيلنا ﴿عِلْمًا﴾ مفعول ثانٍ؛ أي: معلوماً من الغيبات، روى البخاري حديث: «إن موسى قام خطيباً في بني إسرائيل فسئل: أي الناس أعلم؟ فقال: أنا، فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه، فأوحى الله إليه: إن لي عبداً بمجمع البحرين هو أعلم منك. قال موسى: يا رب فكيف لي به؟ قال: تأخذ معلق حوتاً فتجعلها في مكنل، فيحيها فقدت الحوت فهو ثمٌّ، فأخذ حوتاً فجعله في مكنل، ثم انطلق وانطلق معه فتاه يوشع بن نون حتى أتيا الصخرة ووضعاً رأسيهما فاما، واضطرب الحوت في المكنل فخرج منه، فسقط في البحر ﴿فَأَتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا﴾ وأمسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق، فلما استيقظ نسي صاحبه أن يخبره بالحوت، فانطلقا بقية يومهما ولبتتهما حتى إذا كانا من الغداة قال موسى لفتاه: ﴿إِنِّي جَاءَ نَارًا﴾ إلى قوله: ﴿وَأَتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾ قال: وكان للحوت سريراً ولموسى وفتاه عجباً.. إلخ^(٣). [٦٦] ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَى أَنْ تَعْلَمَ مِنْ مَتَى عَلِمْتَ [رَشْدًا]﴾^(٤) أي: صواباً أُرشدُ به، وفي قراءة بضم الراء وسكون الشين، وسأله ذلك؛ لأن الزيادة في العلم مطلوبة. [٦٧] ﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾. [٦٨] ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾، في الحديث السابق عقب هذه الآية: «يا موسى إني على علم من الله علمني لا تعلمه، وأنت على علم من الله علمك الله لا أعلمه» وقوله: ﴿خُبْرًا﴾ مصدر بمعنى: لم تحط؛ أي: لم تخبر حقيقته. [٦٩] ﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ وغير عاصٍ ﴿لَكَ أَمْرًا﴾ تأمرني به، وقيد بالمشية؛ لأنه لم يكن على ثقة من نفسه فيما التزم، وهذه عادة الأنبياء والأولياء أن لا يتقوا إلى أنفسهم طرفة عين. [٧٠] ﴿قَالَ فَإِنْ أَتَيْتَنِي فَلَا تَسْتَأْنِي﴾ وفي قراءة بفتح اللام وتشديد النون^(٥) ﴿عَنْ سَبْوٍ﴾ تنكره مني في علمك واصبر ﴿حَتَّىٰ أَحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ أي: أذكرك لك بعلمه، فقبل موسى شرطه؛ رعاية

فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ إِنِّي جَاءَ نَارًا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ أَتَى نَسَبِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ ﴿٦٣﴾ قَالَ مُوسَى: ﴿ذَلِكَ؛ أَي: فقدنا الحوت (مَا)؛ أَي: الذي ﴿كُنَّا نَبْعُ نَطْلَهُ فَإِنَّهُ عَلِمَ لَنَا عَلَى وَجُودِ مِنْ نَطْلِهِ ﴿فَارْتَدَّا﴾ رجعا ﴿عَلَى آثَارِهِمَا﴾ بقصانها ﴿قَصَصْنَا﴾ فأتيا الصخرة. [٦٥] ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا﴾ هو الحضر^(١) ﴿وَالَّذِي رَحِمَهُ رَبُّنَا مِنْ عِبْدِنَا﴾ نبوة في قول، وولاية في آخر، وعليه أكر العلماء^(٢) ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا﴾ من قبيلنا ﴿عِلْمًا﴾ مفعول ثانٍ؛ أي: معلوماً من الغيبات، روى البخاري حديث: «إن موسى قام خطيباً في بني إسرائيل فسئل: أي الناس أعلم؟ فقال: أنا، فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه، فأوحى الله إليه: إن لي عبداً بمجمع البحرين هو أعلم منك. قال موسى: يا رب فكيف لي به؟ قال: تأخذ معلق حوتاً فتجعلها في مكنل، فيحيها فقدت الحوت فهو ثمٌّ، فأخذ حوتاً فجعله في مكنل، ثم انطلق وانطلق معه فتاه يوشع بن نون حتى أتيا الصخرة ووضعاً رأسيهما فاما، واضطرب الحوت في المكنل فخرج منه، فسقط في البحر ﴿فَأَتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا﴾ وأمسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق، فلما استيقظ نسي صاحبه أن يخبره بالحوت، فانطلقا بقية يومهما ولبتتهما حتى إذا كانا من الغداة قال موسى لفتاه: ﴿إِنِّي جَاءَ نَارًا﴾ إلى قوله: ﴿وَأَتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾ قال: وكان للحوت سريراً ولموسى وفتاه عجباً.. إلخ^(٣). [٦٦] ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَى أَنْ تَعْلَمَ مِنْ مَتَى عَلِمْتَ [رَشْدًا]﴾^(٤) أي: صواباً أُرشدُ به، وفي قراءة بضم الراء وسكون الشين، وسأله ذلك؛ لأن الزيادة في العلم مطلوبة. [٦٧] ﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾. [٦٨] ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾، في الحديث السابق عقب هذه الآية: «يا موسى إني على علم من الله علمني لا تعلمه، وأنت على علم من الله علمك الله لا أعلمه» وقوله: ﴿خُبْرًا﴾ مصدر بمعنى: لم تحط؛ أي: لم تخبر حقيقته. [٦٩] ﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ وغير عاصٍ ﴿لَكَ أَمْرًا﴾ تأمرني به، وقيد بالمشية؛ لأنه لم يكن على ثقة من نفسه فيما التزم، وهذه عادة الأنبياء والأولياء أن لا يتقوا إلى أنفسهم طرفة عين. [٧٠] ﴿قَالَ فَإِنْ أَتَيْتَنِي فَلَا تَسْتَأْنِي﴾ وفي قراءة بفتح اللام وتشديد النون^(٥) ﴿عَنْ سَبْوٍ﴾ تنكره مني في علمك واصبر ﴿حَتَّىٰ أَحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ أي: أذكرك لك بعلمه، فقبل موسى شرطه؛ رعاية

لأدب المعلم من العالم. [٧١] ﴿فَأَنْطَلَقَا﴾ يمشيان على ساحل البحر ﴿حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ﴾ التي مرت بهما ﴿خَرَقَهَا﴾ الحضر بأن اقتلع لوحاً أو لوحين منها من جهة البحر بفأس لما بلغت اللجج ﴿قَالَ﴾ له موسى: ﴿أَخْرَقَهَا لِنَارِ اللَّهِ يُخْرِقُ أَهْلَهَا﴾ وفي قراءة بفتح التحتانية والراء ورفع «أهلها»^(٦) ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ أي: عظيماً منكراً، روي أن الماء لم يدخلها. [٧٢] ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾.

[٧٣] ﴿قَالَ لَا تُؤَلِّمُنِي بِمَا نَسِيتُ﴾ أي: غفلت عن التسليم لك وترك الإنكار عليك ﴿وَلَا تُرْهِقْنِي﴾ تكلفني ﴿مِنْ أَمْرِي عَسْرًا﴾ مشقة في صحبتي إياك؛ أي: عاملني فيها بالعفو والبسر.

[٧٤] ﴿فَأَنْطَلَقَا﴾ بعد خروجهما من السفينة يمشيان ﴿حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن أبي بن كعب أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «قَالَ لَا تُؤَلِّمُنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عَسْرًا» قال: كانت الأولى من موسى نسياناً. البخاري. كتاب الأيمان والنذور (٨٣) باب (١٥) إذا حدث ناسياً في الأيمان.

(١) وهو قول الجمهور. وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «وَأَمَّا سمي الحضر أنه جلس على فؤوة يضاء فإذا هي تهتر من خلفه خضراء». البخاري (٣٤٠٢).
(٢) وذكر غيره أن الجمهور على أنه نبي، واختاره القرطبي وغيره، وهو الأقرب، قال القرطبي: «والحضر نبي عند الجمهور، وقيل: هو عبد صالح غير نبي، والآية تشهد بنبوته؛ لأن بوطن أفعاله لا تكون إلا بوحي... والأول الصحيح»، ومن اختار أنه ولي احتج بأن الله لم يذكر رسالته ولا نبوته، ولو كان نبياً أو رسولاً لذكر ذلك كما ذكر غيره، وعلى أي من القولين؛ فموسى ﷺ أفضل من الحضر؛ لأنه من أولي العزم من الرسل، ولا مانع من وجود علم عند الحضر ليس موجوداً عند موسى... عليهما السلام.... وكما قال بعض أهل العلم: لو فرضنا أن الله أطلع بعض أوليائه كما أطلع الحضر عليه من أمور باطنة لا يجوز له التصرف في الظاهر بما يخالف أحكام الشرع المنزل... فليكن معلوماً...

(٣) البخاري (٤٧٢٦)، ومسلم (٢٣٨٠) عن أبي بن كعب مرفوعاً. (٤) وهي قراءة أبي عمرو، وقرأ بقية السبعة بضم الراء وسكون الشين.

(٥) نافع وابن عامر. (٦) حمزة والكسائي.

ما قبله؛ لعدم العذر هنا. [٧٦] ولهذا **﴿قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا﴾** أي: بعد هذه المرة **﴿فَلَا تُصْنِئَنِي﴾** لا تتركني أتبعك **﴿فَقَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي﴾** بالتشديد والتخفيف^(١) من قبلي **﴿بَعْدَهَا﴾** في مفارقتك لي.

[٧٧] **﴿فَانظُرْنَا حَتَّىٰ إِذَا آتَىٰ أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾** هي أنطاكية^(٢) **﴿أَسْتَظْعَمَ أَهْلَهَا﴾** طلبا منهم الطعام بضيافة **﴿فَأَبَوْا أَنْ يُضَيَّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا﴾** ارتفاعه مائة ذراع^(٣) **﴿يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ﴾** أي: يقرب أن يسقط ليلانه **﴿فَأَقَامَهُ﴾** الحضر بيده **﴿قَالَ﴾** له موسى: **﴿لَوْ شِئْتَ لَتَنَحَدَّتْ﴾**^(٤) وفي قراءة: **﴿لَتَنَحَدَّتْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾** مجفلاً، حيث لم يضيفونا مع حاجتنا إلى الطعام. [٧٨] **﴿قَالَ﴾** له الحضر: **﴿هَذَا فِرَاقُ﴾** أي: وقت فراق **﴿بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾** فيه إضافة (بين) إلى غير متعدد، سوَّغها تكريره بالعطف بالواو **﴿سَأَيْتُكَ﴾** قبل فراقي لك **﴿بِنَأْوِيلٍ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾**.

[٧٩] **﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ﴾** عشرة **﴿يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ﴾** بها مؤاجرة لها؛ طلباً للكسب **﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أَمِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ﴾** إذا رجعوا، أو أمامهم الآن **﴿تِلْكَ﴾** كافر **﴿يَأْتِدُ كُلُّ سَفِينَةٍ﴾** صالحة **﴿عَضْبًا﴾** نصبه على المصدر المبين لنوع الأخذ. [٨٠] **﴿وَأَمَّا الْفُلُّ فَكَانَ آبَاءَ الْمُؤْمِنِينَ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِفَهُمَا طُغْيَانًا﴾** فإنه كما في حديث مسلم^(٥) طبع كافرًا، ولو عاش لأرهمهما ذلك لمحتبهما له، تبعانه في ذلك. [٨١] **﴿فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا﴾** بالتشديد والتخفيف^(٦) **﴿رُحْمًا حَيْرَانًا﴾** أي: صلاحًا وثقى **﴿وَأَقْرَبَ﴾** منه **﴿رُحْمًا﴾** بسكون الحاء وضمها^(٧)؛ رحمة؛ وهي: البر بوالديه، فأبدلها - تعالى - جارية تزوجت نبيًا فولدت نبيًا، فهدى الله - تعالى - به أمة^(٨). [٨٢] **﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ﴾** وكانت تحتهم كثيرٌ مال مدفون من ذهب وفضة **﴿لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾** فحفظا بصلاحه في أنفسهما ومالهما **﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا﴾** أي: إنباس رشدهما **﴿وَيَسْتَخِرَا كَرَاهِمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾** مفقوع له عامله، أراد **﴿وَمَا قَعَلْتُمْ﴾** أي: ما ذكر من خرق السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار **﴿عَنْ أَمْرِي﴾** أي: اختياري بل بأمر إلهام^(٩) من الله **﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾** يقال: استطاع واستطاع بمعنى أطاق، ففي هذا وما قبله جمع بين اللغتين، وتوَّعت العبارة في **﴿فَأَرَدْتُ﴾**، **﴿فَأَرَدْنَا﴾**، **﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾**^(١٠). [٨٣] **﴿وَيَسْتَلُوكَ﴾** أي: اليهود **﴿عَنْ ذِي الْقَرْيَيْنِ﴾** اسمه الإسكندر^(١١)، ولم يكن نبيًا **﴿قُلْ سَأَتْلُوا﴾** سأقص **﴿عَلَيْكُمْ مِنْهُ﴾** من حاله **﴿ذِكْرًا﴾** خبرًا.

﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ **﴿قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصْنِئَنِي﴾** **﴿قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُدًّا﴾** **﴿فَانظُرْنَا حَتَّىٰ إِذَا آتَىٰ أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾** **﴿أَسْتَظْعَمَ أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيَّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ﴾** **﴿قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَنَحَدَّتْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾** **﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأَيْتُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾** **﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾** **﴿وَأَمَّا الْفُلُّ فَكَانَ آبَاءَ الْمُؤْمِنِينَ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِفَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾** **﴿فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا جِدَارًا مِنْهُ رُكُوعًا وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾** **﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخِرَا كَرَاهِمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾** **﴿وَمَا قَعَلْتُمْ وَعَنْ أَمْرِي﴾** **﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾** **﴿وَيَسْتَلُوكَ عَنْ ذِي الْقَرْيَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا﴾**

عَلَّمَكَ^(١) لم يبلغ الجحش^(٢) يلعب مع الصبيان أحسنهم وجهًا **﴿فَقَتَلَهُ﴾** الحضر بأن ذبحه بالسكين مضطجعًا، أو اقتلع رأسه بيده، أو ضرب رأسه بالجدار، أقوال^(٣)، وأتى هنا بالفاء العاطفة؛ لأن القتل عقب اللقاء، وجواب «إذا»: **﴿قَالَ﴾** له موسى: **﴿أَقْتَلْتُ نَفْسًا رِزَاكِيَّةً﴾**^(٤)؛ أي: طاهرة لم تبلغ حد التكليف، وفي قراءة **﴿رِزَاكِيَّةً﴾** بتشديد الياء بلا ألف **﴿يَعْتَرِ تَقِيصٌ﴾** أي: لم تقتل نفسًا **﴿فَلَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا كُفْرًا﴾** بسكون الكاف وضمها^(٥)؛ أي: منكرا. [٧٥] **﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾** زاد «لك» على

(١) أي لم يبلغ حد التكليف.

(٢) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو، وقرأ بقية السبعة «رِزَاكِيَّةً» بتشديد الياء وبلا ألف.

(٣) بالضم قراءة نافع وشعبة وابن ذكوان.

(٤) في صحيح مسلم وصف أهل القرية بكونهم «الغائبين» أي بخلاء. وقيل: إن هذه القرية هي «أنطاكية» كما ذكر المصنف، وعلى هذا القول يكون «مجمع البحرين» في القصة هو: المضيقي الجامع بين البحرين؛ «المنوسط» و«الأسودة». وقال الشهبلي: هي: «بؤزة» في المغرب. وعلى هذا القول يكون «مجمع البحرين» في القصة هو المضيقي المعروف بمضيقي جبل طارق، الجامع بين البحر «المنوسط» والمحيط الأطلسي. أما ما ذكره المصنف من كون «مجمع البحرين» ملتقى بحر الروم وفارس ما يلي المشرق فقد تعقبه الشيخ صفي الرحمن المباركفوري بقوله: «بحر الروم لا يلتقي ببحر فارس في أي مكان، بل بينهما حاجز شاسع من الأرض لا يبغيان، والظاهر أنه ملتقى خليج السويس بخليج العقبة قرب شرم الشيخ. والله أعلم» ١. هـ. ص (٣١١). وانظر كلام القاضي كنعان في قرة العينين ص (٣٨٩، ٣٩١). (٧) وهذا لا دليل صحيح عليه، ولا فائدة من تحديده. (٨) فتخفيف التاء وكسر الحاء من غير ألف وصل، وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو. (٩) مسلم (٢٣٨٠) من حديث أبي بن كعب مرفوعًا، ولفظ البخاري: «فكان كافوا» (٣١٤٩).

(١٠) هذا الذي ذكره المفسر - رحمه الله - يحتاج إلى دليل عليه، ولا دليل. وقال القرطبي: «قال علساؤنا: وهذا بعيد».

(١١) اختار المصنف أن الحضر كان وثليًا ولم يكن نبيًا، وعلى القول الآخر يكون هذا وسجًا لا إلهامًا. والله أعلم.

(١٢) وذلك على سبيل التأديب مع الله، بنسبة ما ظهره لإنساد محض إلى نفسه، وما هو نفع محض إلى الله تعالى.

(١٣) ليس هناك دليل صحيح على ما ذهب إليه المصنف، ثم الظاهر أنه يعني الإسكندر المقدوني، وقد كان من المشركين وليس من المسلمين، فضلًا عن أن يكون من أولياء الله الصالحين.

[٨٤] ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ سَبِيلَ السَّيْرِ فِيهَا﴾ بتسهيل السير فيها ﴿وَعَيْنَيْتَهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ يحتاج إليه ﴿سَبِيلًا﴾ طريقًا يوصله إلى مراده.

[٨٥] ﴿فَأَتَى سَبِيلًا﴾ سلك طريقًا نحو الغرب.

[٨٦] ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَقْرَبَ الْأَشْمِيسِ﴾ موضع غروبها ﴿وَبَدَّهَا تَقَرُّبٌ فِي عَرَبٍ حَمِيمَةٍ﴾ ذات حمأة وهي الطين الأسود، وغروبها في العين في رأي العين، وإلا فهي أعظم من الدنيا^(١) ﴿وَوَجَدَهَا عِنْدَهَا﴾ أي: العين ﴿قَوْمًا﴾ كافرين ﴿فَلَمَّا يَدَّا الْفَرْتَيْنِ﴾ بإلهام ﴿إِنَّمَا أَنْ تُعَذِّبَ الْقَوْمَ بِالْقَتْلِ﴾ وإيًّا أَنْ تَنْجِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ بالأسر.

[٨٧] ﴿قَالَ أَمَا مَنْ ظَلَمَ﴾ بالشرك ﴿فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ﴾ نقلته ﴿ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نَكِرًا﴾ بسكون الكاف وضمها^(٢) شديدًا في النار.

[٨٨] ﴿وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءٌ﴾^(٣) الْمُحْسِنِ﴾ أي: الجنة، والإضافة لليبان، وفي قراءة: نصب ﴿جَزَاءً﴾ وتوניה، قال الفراء: ونصبه على التفسير؛ أي: لجهة النسبة^(٤) ﴿وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرٍ إِنِيرًا﴾ أي: تأمره بما يسهل عليه.

[٨٩] ﴿ثُمَّ أَتَى سَبِيلًا﴾ نحو المشرق.

[٩٠] ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ﴾ موضع طلوعها ﴿وَجَدَهَا تَطَّلِعُ عَلَىٰ قَوْمٍ﴾ هم الزُّبُجِ ﴿لَمْ يَجْعَلْ لَهُمْ مِّنْ دُونِهَا﴾ أي: الشمس ﴿سَبِيلًا﴾ من لباس ولا سقف؛ لأن أرضهم لا تحمل بناء^(٥)، ولهم سرور^(٦) يغيبون فيها عند طلوع الشمس ويظهرون عند ارتفاعها.

[٩١] ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: الأمر كما قلنا ﴿وَقَدْ أَحْطَيْنَا بِمَا لَدَيْهِ﴾ أي: عند ذي القرنين من الآلات والجدد وغيرهما ﴿خَيْرًا﴾ علمًا.

[٩٢] ﴿ثُمَّ أَتَى سَبِيلًا﴾.

[٩٣] ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّيْنِ﴾ بفتح السين وضمها^(٧)، هنا وبعدهما^(٨)؛ جيلان بمنقطع بلاد الترك^(٩)، سد الإسكندر ما بينهما كما سيأتي.

﴿وَجَدَ مِنْ دُونِهَا﴾ أي: أمامهما ﴿قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ أي: لا يفهمونه إلا بعد بطة، وفي قراءة بضم الباء وكسر القاف^(١٠).

[٩٤] ﴿قَالُوا يَدَّبَّا الْقَرْيَتَيْنِ إِنَّ يَا جُوجَ وَمَاجُوجَ﴾ بالهمز وتركه^(١١) هما اسمان أعجميان لقبيلتين فلم ينصرفا ﴿مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ بالنهب والبغي عند خروجهم إلينا ﴿فَهَلْ يَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾ مُجْعَلًا من المال، وفي قراءة: ﴿خَرْجَانِ﴾^(١٢) ﴿عَلَىٰ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ حاجزًا فلا يصلون إلينا.

[٩٥] ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي﴾ وفي قراءة: بنونين من غير إدغام^(١٣) ﴿فِيهِ رَبِّي﴾ من المال وغيره ﴿خَيْرٌ﴾ من خرجكم الذي يجعلونه لي، فلا حاجة بي إليه، وأجعل لكم السد تبرعًا ﴿فَأَعْيُونِي يَقُولُ﴾ لما أطلبه منكم ﴿أَجْعَلُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾

رَدْمًا. حاجزًا حصينًا.

[٩٦] ﴿أَتُونِي زُبَيْرَ الْحَدِيدِ﴾ قطعه، على قدر الحجارة التي يبني بها، فبني بها، وجعل بينها الخطب والفحم ﴿حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ﴾ بضم الحرفين وفتحهما وضم الأول وسكون الثاني^(١٤)؛ أي: جانبي الجبلين بالبناء، ووضع المنافع والنار حول ذلك ﴿قَالَ أَنفُخُوا﴾ فنفخوا ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُمُ﴾ أي: الحديد ﴿نَارًا﴾ أي: كالنار ﴿قَالَ أَتُونِي أَفْرِغْ عَلَيْهِ قَطْرًا﴾ هو النحاس المذاب، تنازع فيه الفعلان، وحذف من الأول^(١٥)؛ لإعمال الثاني، فأفرغ النحاس المذاب على الحديد السحقي فدخل بين زبره فصارا شيئًا واحدًا.

[٩٧] ﴿فَمَا اسْتَطَعُوا﴾ أي: يأجوج ومأجوج ﴿أَنْ يَظْهَرُوهُ﴾ يعلوا ظهره؛ لارتفاعه وملاسته ﴿وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُمْ نَقَابٌ﴾ لصلابته وسكبه.

(١) لعله يقصد أعظم من الأرض، أو أرض الدنيا.

(٢) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ الباقون بنصب «جزاء» والتووين.

(٣) أي نسبة الخير المقدم إلى المبدأ المؤخر، وتقديره: «فله الحسنی تجرى بها جزاءه».

(٤) قال القاضي كنعان: «... لا وجه له؛ لأنه لا يوجد مكان في الأرض لا يحمل بناء...» قرأ العينين ص (٣٩٣) هامش (١).

(٥) قال القاضي كنعان: «قوله: «لهم سرور» يناقض نفي الستر في الآية... فيكون المعنى الصحيح: قوم لا يتخذون شيئًا يستترهم من الشمس» السابق ص (٣٩٣) هامش (١).

(٦) بالضم قراءة السبعة عدا ابن كثير وأبي عمرو وحفص. (٨) أي: في هذه الآية، وفي قوله الآتي: ﴿عَلَىٰ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ [الكهف: ٩٤]، قرأه بالضم نافع وابن عامر وشعبة.

(٩) هذا الذي قطع به المصنف من أن السد في بلاد الترك لا دليل عليه.

(١٠) حمزة والكسائي.

(١١) بالضم قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وبضم فسكون قراءة شعبة.

(١٢) أي هو ضميره، والأصل: أتوني قطرًا أفرغ عليه قطرًا.

(١٣) بترك الهمزة قراءة السبعة عدا عاصم. (١٤) حمزة والكسائي. (١٥) لابن كثير.

[١٠١] ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ﴾ بدل من «الكافرين» ﴿فِي غَطَاةٍ عَن ذِكْرِي﴾ أي: القرآن، فهم عمي لا يهتدون به ﴿وَكَاوُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ أي: لا يقدر أن يسمعون من النبي ما يتلو عليهم بغضا له فلا يؤمنون به.
 [١٠٢] ﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي﴾ أي: ملائكتي وعيسى وعزرا ﴿مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ﴾ أربابا مفعول ثانٍ لـ«يتخذوا»، والمفعول الثاني لـ«حسب» محذوف، المعنى: أظنوا أن الاتخاذ المذكور لا يغضبي ولا أعاقبهم عليه؟ كلا ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لَهُمْ لِلْكَافِرِينَ﴾ هؤلاء وغيرهم ﴿نُزُلًا﴾ أي: هي معدة لهم كالنزل المعد للضيف.

[١٠٣] ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكَ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ تمييز طابق المميز^(١)، ويتبهم بقوله: [١٠٤] ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَبِيلَهُم فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بطل عملهم ﴿وَهُمْ يَحْسِرُونَ﴾ يظنون ﴿أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ عملا يجازون عليه.
 [١٠٥] ﴿أُوَلِّيكَ الَّذِينَ كَفَرُوا يُبَايِعْت رَبَّهُمْ﴾ بدلائل توحيده من القرآن وغيره ﴿وَلِقَائِهِ﴾ أي: وبالبعث والحساب والنواب والعقاب ﴿يَخِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ بطلت ﴿فَلَا يُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَرَنًا﴾ أي: لا يجعل لهم قدرا.
 [١٠٦] ﴿ذَلِكَ﴾ أي: الأمر الذي ذكرت عن حيوط أعمالهم وغيره، مبتدأ، خبره: ﴿حَرَّافُهُمْ جَهَنَّمَ يَمَّا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي هُزُوًا﴾ أي: مهزوا بها.

[١٠٧] ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ﴾ في علم الله ﴿جَنَّتُ الْفُرُوسِ﴾ هو وسط الجنة وأعلامها، والإضافة إليه للبيان ﴿نُزُلًا﴾ منزلا.
 [١٠٨] ﴿خَلِيلِينَ فِيهَا لَا يَبْعَثُونَ﴾ يطلبون ﴿عَنَّا جُولًا﴾ تحولا إلى غيرها.
 [١٠٩] ﴿قُلْ لَوْ كَانُ الْآبَتُّرُ﴾ أي: ماؤه ﴿وَمَدَادًا﴾ هو ما يكتب به ﴿لِكَلِمَتِ رَبِّي﴾ الدالة على حكمه وعجائبه^(٢) بأن تكتب به ﴿لَنُقَدِّدَ الْبَحْرَ﴾ في كتابتها ﴿قَدِيرٌ أَن نَّقْدِدَ﴾ بالناء والياء^(٣): نفرغ ﴿لِكَلِمَتِ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِحَيْثِلِهِ﴾ أي: البحر ﴿مَدَدًا﴾ زيادة فيه لنفد ولم نفرغ هي، ونصبه على التمييز^(٤).

[١١٠] ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ﴾ آدمي ﴿مِثْلَكُم يُوْحَىٰ إِلَىٰ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحِيدٌ﴾ أن: المكشوفة بـ«ما» باقية على مصدريتها، والمعنى: يوحى إليّ وحدانية الإله ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا﴾ بأمل ﴿لِقَاءَ رَبِّهِ﴾ بالبعث والجزاء ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ﴾ أي: فيها بأن يراني ﴿أَمَلًا﴾.

قَالَ هَذَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿١٠١﴾ وَتَرَكَآ بَعْضُهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ لِحَمْعِهِمْ مَعًا ﴿١٠٢﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غَطَاةٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠٤﴾ فَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِّلْكَافِرِينَ نَزُلًا ﴿١٠٥﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكَ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٦﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَبِيلَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٧﴾ أُوَلِّيكَ الَّذِينَ كَفَرُوا يُبَايِعْت رَبَّهُمْ وَلِقَائِهِمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَرَنًا ﴿١٠٨﴾ ذَلِكَ جَزَاءُ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١١٠﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْعَثُونَ عَنْهَا جُولًا ﴿١١١﴾ قُلْ لَوْ كَانُ الْبَحْرُ مَدَادًا لَّكَانَتْ رَبِّي لَفِئِدَ الْبَحْرِ قَبْلَ أَن تَفْعَلَ كَلِمَتٌ مِّن رَّبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿١١٢﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىٰ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحِيدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٣﴾

[٩٨] ﴿قَالَ﴾ ذو القرنين: ﴿هَذَا﴾ أي: السد؛ أي: الإقدار عليه ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّي﴾ نعمة^(١)؛ لأنه مانع من خروجهم ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي﴾ بخروجهم القريب من البعث ﴿جَعَلَهُ دَكَّاءَ﴾ مذكوكا مبسوطا ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي﴾ بخروجهم وغيره ﴿حَقًّا﴾ كائنا.
 [٩٩] قال - تعالى -: ﴿وَتَرَكَآ بَعْضُهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ يختلط به لكثرتهم ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ أي: القرن للبعث ﴿حَمْعُهُمْ﴾ أي: الخلائق في مكان واحد يوم القيامة ﴿جَمَاعًا﴾.
 [١٠٠] ﴿وَعَرَضْنَا﴾ قرنا ﴿جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا﴾.

(٥) ما جاء في نزول الآية (١٠٩): أخرج الترمذي عن ابن عباس قال: قالت قريش لليهود: أعطونا شيئا نسأل عن هذا الرجل. فقال: سلوه عن الروح. فسألوه عن الروح، فأقول الله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ الآية. قالوا: أوتينا علما كثيرا، أوتينا التوراة، ومن أوتي التوراة فقد أوتي خيرا كثيرا، فأقول: ﴿قُلْ لَوْ كَانُ الْآبَتُّرُ مَدَادًا لَّكَانَتْ رَبِّي لَفِئِدَ الْبَحْرِ﴾ إلى آخر الآية. الترمذي. كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (١٨) سورة الإسراء. (صحيح) صحيح سنن الترمذي (٢٥١٠).

(١) النعمة أثر من آثار رحمة الله ﷻ، وتفسيرها بها من قصر العام على بعض أفرادها، فضلا عن كونه من أبواب التأويل ونفي صفة الرحمة عن الله ﷻ كما هي طريقة المصنف - غفر الله لنا وله.
 (٢) أي في الجمع، ذ «أعمالا» تمييز جاء جمعا مطابقا للتمييز وهو «الأخسرين».
 (٣) وهذا من قصر العام على بعض أفرادها، وكلمات الله ﷻ تشمل كلامه - سبحانه. وحكمه وآياته الدالة عليه، وهذا لأن المصنف - غفر الله لنا وله - يقول بالكلام النفسي، ولا يثبت الكلام لله ﷻ على الوجه اللائق به كما هي طريقة السلف.
 (٤) بالياء قراءة حمزة والكسائي.

سورة مريم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كَمِيعَصَ ﴿١﴾ ذَكَرَ رَحْمَتَ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ﴿٢﴾ إِذْ نَادَى رَبَّهُ وَبَدَّاهُ خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَأَسْتَعْلُ الرَّأْسَ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَايِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ عَالِي يَعْقُوبَ وَأَجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ يَزَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي يَكُونُ لِي عُلْمٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّبٌ ﴿٩﴾ وَقَدْ خَلَقْنَاكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴿١٠﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَاتُكَ إِلَّا تُكَلِّمُ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١١﴾ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١٢﴾

خَلَقْنَاكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴿١٠﴾ قبل خلقك؛ ولإظهار الله هذه القدرة العظيمة ألهمه السؤال؛ ليجاب بما يدل عليها.

[١٠] ولما تأقت نفسه إلى سرعة البشّر به ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾ أي: علامة على حمل امرأتي ﴿قَالَ آيَاتُكَ عَلَيْهِ﴾ أي: ألا تُكَلِّمُ النَّاسَ ﴿١١﴾ أي: تمتع من كلامهم؛ بخلاف ذكر الله ﴿فَلَنَكُ لَيْلًا﴾ أي: بأيامها؛ كما في آل عمران ثلاثة أيام ﴿سَوِيًّا﴾ حال من فاعل ﴿تُكَلِّمُ﴾ أي: بلا علة.

[١١] ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ﴾ أي: المسجد، وكانوا ينتظرون فتحه؛ ليصلوا فيه بأمره على العادة ﴿فَأَوْحَىٰ﴾ أشار ﴿إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا﴾ صلوا ﴿بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ أوائل النهار وأواخره على العادة؛ فعَلِمَ بِمَنْعِهِ مِنْ كَلَامِهِمْ خَفَلَهَا بِحَيْثُ.

[مكية، أو: إلا سجدتها فمدنية، أو إلا: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَدْيِهِمْ خَلْفًا﴾ الآيتين فمدنيتان، وهي ثمان أو تسع وتسمون آية، نزلت بعد فاطر]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿كَمِيعَصَ﴾ الله أعلم بمراده بذلك.

[٢] هذا ﴿ذَكَرَ رَحْمَتَ رَبِّكَ عَبْدَهُ﴾ مفعول ﴿رَحِمَتْ﴾ ﴿زَكَرِيَّا﴾ بيان له.

[٣] ﴿إِذْ﴾ متعلق بـ ﴿رَحِمَتْ﴾ ﴿نَادَى رَبَّهُ يَدَّاهُ﴾ مشتملاً على دعاء ﴿خَفِيًّا﴾ سراً جوف الليل؛ لأنه أسرع للإجابة.

[٤] ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ﴾ ضعف ﴿الْعَظْمُ﴾ جفيفه ﴿مِنِّي وَأَسْتَعْلُ الرَّأْسَ﴾ مني ﴿شَيْبًا﴾ تمييز محول عن الفاعل ^(١) أي: انتشر الشيب في شعره؛ كما ينتشر شعاع النار في الحطب، وإني أريد أن أدعوك ﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَايِكَ﴾ أي: بدعائي إياك ﴿رَبِّ شَقِيًّا﴾ أي: خائباً فيما مضى؛ فلا تخيبي فيما يأتي.

[٥] ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ﴾ أي: الذين يلوني في النسب؛ كني الغم ﴿مِنْ وَرَائِي﴾ أي: بعد موتي على الدين أن يُضَيِّعُوهُ، كما شاهدته في بني إسرائيل من تبديل الدين ﴿وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا﴾ لا تلد ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ﴾ من عندك ﴿وَلِيًّا﴾ ابناً.

[٦] ﴿يَرِثُنِي﴾ ^(٢) بالجرم: جواب الأمر، وبالرفع: صفة ﴿وَلِيًّا﴾ ﴿وَيَرِثُ﴾ بالوجهين ^(٣) ﴿مِنْ عَالِي يَعْقُوبَ﴾ جدِّي، العلم والنسب ﴿وَأَجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ أي: مرضياً عندك.

[٧] قال - تعالى - في إجابة طلبه الابن الحاصل به رحمته: ﴿يَزَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ﴾ يرث كما سألت ﴿اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾ أي: مسمى يحيى.

[٨] ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي﴾ كيف ﴿يَكُونُ لِي عُلْمٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ﴾ ^(٤) ﴿عِتِيًّا﴾ من «عتا»: يس؛ أي: نهاية السن مائة وعشرين سنة، وبلغت امرأته ثمانين وتسعين سنة، وأصل «عتي»: «عُثُو»، وكسرت التاء تخفيفاً، وقلت الواو الأولى ياءً لمناسبة الكسرة، والثانية ياءً لتدغم فيها الياء.

[٩] ﴿قَالَ﴾: الأمر ﴿كَذَلِكَ﴾ من خلق غلام منكما ﴿قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّبٌ﴾ أي: بأن أزد عليك قوة الجماع، وأفتق رحم امرأتك للعلوق ﴿وَقَدْ

(١) تقديره: اشتعل شيب رأسي.

(٢) للكسائي وأبي عمرو وقرأ الباقون بالرفع.

(٣) أي بالجرم والرفع، والجرم للكسائي، وأبي عمرو، وقرأ الباقون بالرفع.

(٤) بضم العين، وهي قراءة سبعة لأبي عمرو وشعبة ونافع وابن كثير، وقرأ الباقون ﴿عِتِيًّا﴾ بكسر العين.

[١٥] ﴿وَسَلَّمَ﴾ منا ﴿عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ أي: في هذه الأيام المخوفة التي يرى ما لم يرهُ قَبلَها؛ فهو آمن فيها.

[١٦] ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ الْقُرْآنَ مَرْيَمَ﴾ أي: خيرها ﴿إِذْ﴾ حين ﴿انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرِيفًا﴾ أي: اعترلت في مكان نحو الشرق من الدار.

[١٧] ﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا﴾ أرسلت سترا تستر به؛ لئلا يُنظروا رَأْسَها أو ثيابها أو تغتسل من حيضها ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ جبريل ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا﴾ بعد لبسها ثيابها ﴿بَشْرًا سَوِيًّا﴾ تام الخلق.

[١٨] ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ قَيِّبًا﴾ فنتهبي عني بتعذوي.

[١٩] ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِیَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ بالنبوة.

[٢٠] ﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ﴾ بتزوج ﴿وَلَمْ أَكُ بِعَبْدًا﴾ زانية.

[٢١] ﴿قَالَ﴾: الأمر ﴿كَذَلِكَ﴾ من خلق غلام منك من غير أب ﴿قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىٰ هَيْئٍ﴾ أي: بأن ينفخ بأمرى جبريل فيك فتحملي به، ولكن ما ذكر في معنى العلة؛ عطف عليه: ﴿وَلَيَجْعَلَنَّ آيَةً لِلنَّاسِ﴾ على قدرتنا ﴿وَرَحْمَةً مِّنَّا﴾ لمن آمن به ﴿وَكَانَ﴾ خلقه ﴿أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ به في علمي؛ فنفخ جبريل في جيب درعها؛ فأحست بالحمل في بطنها مُصَوَّرًا.

[٢٢] ﴿فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ﴾ تَحْتُ ﴿بِهِ﴾ مكانًا قَاصِيًّا بعيدًا من أهلها.

[٢٣] ﴿فَأَلَّامَهَا﴾ جاء بها ﴿الْمَخَاضَ﴾ وجع الولادة ﴿إِلَىٰ جُدْعِ النَّخْلَةِ﴾ لتحمده عليه؛ فولدت، والحمل والتصوير والولادة في ساعة^(٤) ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنِّي أُنذِرُكَ﴾ الأمر ﴿وَكُنْتُ نَسِيًّا مَّسِيًّا﴾ شيئًا متروكًا لا يعرف ولا يذكر.

[٢٤] ﴿فَادَّأبَهَا مِنْ تَحْتِهَا﴾ أي: جبريل، وكان أشفل منها^(٥) ﴿أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ نهر ماء كان قد انقطع.

[٢٥] ﴿وَهَزَيْتِ إِلَيْكَ يَجْعَلَ النَّخْلَةَ﴾ كانت يابسة، والباء: زائدة ﴿تَشَاقُطًا﴾^(٦) أصله بتاءين؛ قلبت الثانية سينًا، وأدغمت في السين، وفي قراءة تركها^(٧) ﴿عَلَيْكَ رَطْبًا﴾ تمييز ﴿حَبِيًّا﴾ صفته.

يَجِيئُ حُذِّ الْكِتَابِ بِقُوَّةٍ وَأَنبَأَهُ الْحَكِيمَ صِدْقًا ﴿١٥﴾
وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَرَكُودًا ﴿١٦﴾ وَكَانَ قَيِّبًا ﴿١٧﴾ وَسَلَّمَ عَلَیْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ
وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٨﴾ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذْ انْتَبَذَتْ
مِن أَهْلِهَا مَكَانًا شَرِيفًا ﴿١٩﴾ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا
فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَتْ إِنِّي
أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ قَيِّبًا ﴿٢١﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ
رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿٢٢﴾ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي
غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بِعَبْدًا ﴿٢٣﴾ قَالَ كَذَلِكَ
قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىٰ هَيْئٍ ﴿٢٤﴾ وَلَيَجْعَلَنَّ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً
مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢٥﴾ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ
مَكَانًا قَاصِيًّا ﴿٢٦﴾ فَاجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جُدْعِ النَّخْلَةِ
قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَّسِيًّا ﴿٢٧﴾
فَادَّأبَهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٨﴾
وَهَزَيْتِ إِلَيْكَ يَجْعَلَ النَّخْلَةَ تُسْقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا حَبِيًّا ﴿٢٩﴾

[١٢] وبعد ولادته بستين قال الله - تعالى - له: ﴿يَجِيئُ حُذِّ الْكِتَابِ﴾ أي: التوراة ﴿بِقُوَّةٍ﴾ بجهد ﴿وَأَنبَأَهُ الْحَكِيمَ﴾ النبوة^(١) ﴿صِدْقًا﴾ ابن ثلاث سنين^(٢).

[١٣] ﴿وَحَنَانًا﴾ رحمة للناس ﴿مِّن لَّدُنَّا﴾ من عندنا ﴿وَرَكُودًا﴾ صدقة عليهم ﴿وَكَانَ قَيِّبًا﴾ روي أنه لم يعمل خطيئة ولم يهجم بها.

[١٤] ﴿وَسَلَّمَ بِوَالِدَيْهِ﴾ أي: محسنًا إليهما ﴿وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا﴾ متكبرًا ﴿عَصِيًّا﴾ عاصيًا لربه.

(١) وقيل: الحكمة والفقه في الدين. ذكره ابن كثير في تفسيره ولم يذكر غيره (١١١/٣). وأخرج ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد قال: التفهم. [الدر المنثور (٤٨٤/٥)].

(٢) هذا قول قتادة، كما في الدر المنثور (٤٨٤/٥).

(٣) وهي قراءة قالون بخلف عنه، وورش، وأبي عمرو، وقرأ الباقون «لأهب» وهو الوجه الثاني لقالون.

(٤) هذا قول ابن عباس. ذكره عنه ابن كثير في تفسيره (١١٤/٣) واستغربه، وقال: «فالشهور الظاهر، والله على كل شيء قدير، أنها حملت به كما تحمل النساء بأولادهن... اهـ».

(٥) وهذا قول ابن عباس، وقيل: للنادي عيسى، وكان ذلك معجزة وآية وتسكينًا لقلبها. قال القرطبي: والأول أظهر - يعني: أنه جبريل عليه السلام.

(٦) قرأ السبعة عدا حفص بفتح الناء والقاف، ومع تشديد السين إلا حمزة.

(٧) أي ترك الناء المقلوقة سينًا.

[٢٦٦] ﴿فَكُلِي﴾ من الرطْبِ ﴿وَأَشْرِي﴾ من السَّرِيِّ ﴿وَوَدَّرِي عَيْنًا﴾ بالولد؛ تمييز محول من الفاعل؛ أي: لتقر عينك به؛ أي: تسكني؛ فلا تطمح إلى غيره ﴿فَإِنَّمَا﴾ فيه إدغام نون «إن» الشرطية في «ما» الزائدة ﴿تَرِينَ﴾ حذفته منه لام الفعل وعينه، وأقيمت حركتها على الراء، وكسرت باء الضمير لالتقاء الساكنين ﴿مِنَ اللَّبَسِ أَحَدًا﴾ فيسأل عن ولدك ﴿فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾ أي: إمساكاً عن الكلام في شأنه، وغيره من الأناسي؛ بدليل: ﴿فَلَنْ أَكَلِمَ الْيَوْمَ إِلَيْكَ﴾ أي: بعد ذلك. [٢٧٧] ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ﴾ حال؛ فأراه ﴿فَقَالُوا يَمْرُؤُا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا فَرِيحًا﴾ عظيمًا؛ حيث أتيت بولد من غير أب.

[٢٧٨] ﴿يَتَأَخَذُ هَرُونَ﴾^(١) هو رجل صالح؛ أي: يا شبيته في العفة ﴿وَمَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوِيًّا﴾ أي: زانياً ﴿وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا﴾ أي: زانية؛ فمن أين لك هذا الولد؟! [٢٧٩] ﴿فَأَشَارَتْ﴾ لهم ﴿إِلَيْهِ﴾ أن كلموه ﴿فَقَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ﴾ أي: وجد ﴿فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾.

[٣٠] ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ﴾ أي: الإنجيل ﴿وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾. [٣١] ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾ أي: نقاشاً للناس، لإخبار بما كتب له ﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ﴾ أمرني بهما ﴿مَا دُمْتُ حَيًّا﴾. [٣٢] ﴿وَوَبَّرًا يَوَدُّنِي﴾ منصوب بـ«جعلني» مقدرًا^(٢) ﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا﴾ متعاطفاً ﴿سَقِيًّا﴾ عاصياً لربه. [٣٣] ﴿وَأَلَسَدُمُ﴾ من الله ﴿عَلَى يَوْمٍ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ يقال فيه ما تقدم في السيد يحيى.

[٣٤] قال - تعالى :: ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [فَقُولِ الْحَقِّ] بالرفع: خير مبتدأ مقدر؛ أي: قول ابن مريم، وبالنصب: بتقدير «قلت»^(٣)؛ والمعنى: القول الحق ﴿الَّذِي فِيهِ يَمَتُّونَ﴾ من المربة؛ أي: يشكرون؛ وهم: النصارى، قالوا: إن عيسى ابن الله، كذبوا: [٣٥] ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ﴾ تنزيهاً له عن ذلك ﴿إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا﴾ أي: أراد أن يحدثه ﴿قَالَ مَا يَفْعُلُ لَمْ يَكُنْ فَيَكُونُ﴾ بالرفع: بتقدير «هو»، وبالنصب: بتقدير «أن»^(٤)؛ ومن ذلك خلق عيسى من غير أب.

[٣٦] ﴿وَأَنَّ﴾ الله رَبِّي وَرَبُّكَ ﴿فَاعْبُدُوهُ﴾ بفتح ﴿أَنَّ﴾ بتقدير «اذكر»، وبكسرهما^(٥) بتقدير «قل»؛ بدليل: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾^(٦) ﴿هَذَا﴾ المذكور ﴿صِرَاطٌ﴾ طريق ﴿مُسْتَقِيمٌ﴾ مُؤَدِّي إلى الجنة.

فَكُلِي وَأَشْرِي وَقَرِي عَيْنًا فَإِنَّمَا تَرِينَ مِنَ اللَّبَسِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أَكَلِمَ الْيَوْمَ إِلَيْكَ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ وَقَالُوا يَمْرُؤُا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا فَرِيحًا يَتَأَخَذُ هَرُونَ وَمَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوِيًّا وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا وَوَبَّرًا يَوَدُّنِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا سَقِيًّا وَأَلَسَدُمُ عَلَى يَوْمٍ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمَتُّونَ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّخَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا فِي الْآخِرَةِ لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ

[٣٧] ﴿فَاتَّخَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ﴾ أي: النصارى في عيسى، أهو ابن الله، أو إله معه، أو ثالث ثلاثة؟! ﴿فَوَيْلٌ﴾ فشدة عذاب ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بما دُكِرَ وغيره ﴿مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ أي: حضور يوم القيامة وأهواله. [٣٨] ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾ بهم، صيغتا تعجب؛ بمعنى: ما أسمعهم وما أبصرهم ﴿يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾ في الآخرة ﴿لَكِنِ الظَّالِمُونَ﴾ من إقامة الظاهر مقام المضمرة ﴿الْيَوْمَ﴾ أي: في الدنيا ﴿فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ أي: يتشبه به صموا عن سماع الحق وعموا عن إبصاره؛ أي: اعجب منهم يا مخاطب في سماعهم وإبصارهم في الآخرة بعد أن كانوا في الدنيا صمًا عميًا.

(٥) فائدة: أخرج مسلم عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، قال: لما قدمت نجران سألتني، فقالوا: إنكم تقرأون: ﴿يَتَأَخَذُ هَرُونَ﴾، وموسى قبل عيسى بكذا وكذا؟! فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم سألته عن ذلك؛ فقال: «إنهم كانوا يسمون بأبنيائهم والصالحين قبلهم». مسلم - كتاب الآداب (٣٨) باب (١) النهي عن التكفي بأبي القاسم ويان ما يستحب من الأسماء.

(١) أي: التقدير: جعلني براء.
(٢) بالرفع قراءة السبعة عدا عاصم وابن عامر.
(٣) بالنصب قراءة ابن عامر.
(٤) بالفتح قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو.
(٥) المائة: ١١٧.

[٤١] ﴿وَأَذْكُرُ﴾ لهم ﴿فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ﴾ أي: خبره ﴿إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا﴾ مبالغا في الصدق ﴿يَتَّبِعُ﴾ ويبدل من خبره: [٤٢] ﴿إِذْ قَالَ لِأبيه﴾ أزر: ﴿يَتَّأْتِ﴾ التاء عوض عن ياء الإضافة، ولا يجمع بينهما، وكان يعبد الأصنام ﴿لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَبْصُرُ وَلَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ﴾ لا يكفك ﴿شَيْئًا﴾ من نفع أو ضرر.

[٤٣] ﴿يَتَّأْتِ إِيَّيَ قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعَالَمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبَعْنِي أَهْلَكَ صِرطًا﴾ طريقًا ﴿سَوِيًّا﴾ مستقيما.

[٤٤] ﴿يَتَّأْتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ﴾ بطاعتك إياه في عبادة الأصنام ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا﴾ كثير العصيان.

[٤٥] ﴿يَتَّأْتِ إِيَّيَ أَخَافُ أَنْ يَمْسَكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ﴾ إن لم تتب ﴿فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ لِيًّا﴾ ناصرا وقرينا في النار.

[٤٦] ﴿قَالَ أَرَأَيْتُ إِنْ عَلِمَ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبَعْنِي أَهْلَكَ صِرطًا سَوِيًّا﴾ يتأبى لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصيا ﴿يَتَّأْتِ إِيَّيَ أَخَافُ أَنْ يَمْسَكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ قال أراغب أنت عن الهة يتأبهيم ﴿لَئِنْ لَّمْ تَنْتَهِ﴾ عن التعرض لها ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ بالحجارة، أو بالكلام الفحيح؛ فاحذرني ﴿وَأَهْجُرْني مِثْلًا﴾ دهما طويلا.

[٤٧] ﴿قَالَ سَلِّمْ عَلَيْكَ﴾ مني؛ أي: لا أصيبك بمكروه ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رِجِّي﴾ إنك كات في حينا ﴿من حفي؛ أي: بازا؛ فيجيب دعائي، وقد أوفى بوعده المذكور في الشعراء: ﴿وَأَغْفِرْ لِي﴾^(١) وهذا قبل أن يتبين له أنه عدو الله؛ كما ذكره في براءة^(٢).

[٤٨] ﴿وَأَعْتَزِّلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا﴾ أعبد ﴿رَبِّي عَسَىٰ أَن يَكُونَ يَدْعَاؤِي﴾ ن ﴿لَا أَكُونَ يَدْعَاؤِي﴾ بعبادته ﴿شَقِيًّا﴾ كما شقيتم بعبادة الأصنام.

[٤٩] ﴿فَلَمَّا أَعْتَزَلْتُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ بأن ذهب إلى الأرض المقدسة ﴿وَهَبْنَا لَهُمُ﴾ ابنين يأمن بهما ﴿إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا﴾ منهما ﴿جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾.

[٥٠] ﴿وَوَهَبْنَا لَهُمُ﴾ للثلاثة ﴿مِن رَّحْمَتِنَا﴾ المال والولد ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمُ﴾ لسان صديقا عليا ﴿رفيعا؛ هو: الثناء الحسن في جميع أهل الأديان.

[٥١] ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلِصًا﴾ بكسر اللام وفتحها^(٣)؛ من أخلص في عبادته، وخلصه الله من الدنس ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾.

وَأَذْكُرُهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ رَبُّ الْأَرْضِ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأبيه يَتَّأْتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَتَّأْتِ إِيَّيَ قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعَالَمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبَعْنِي أَهْلَكَ صِرطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَتَّأْتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَتَّأْتِ إِيَّيَ أَخَافُ أَنْ يَمْسَكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَأَيْتُ إِنْ عَلِمَ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبَعْنِي أَهْلَكَ صِرطًا سَوِيًّا سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رِجِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٦﴾ وَأَعْتَزِّلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَن أَكُونَ يَدْعَاؤِي رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا أَعْتَزَلْتُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٨﴾ وَوَهَبْنَا لَهُمُ مِن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدِّيقٍ عَلِيًّا ﴿٤٩﴾ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلِصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾

[٣٩] ﴿وَأَذْكُرُهُمْ﴾ خوف يا محمد كفار مكة ﴿يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾ هو يوم القيامة؛ يتحسر فيه المسيء على ترك الإحسان في الدنيا ﴿إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ لهم فيه بالعذاب ﴿وَهُمْ﴾ في الدنيا ﴿فِي غَفْلَةٍ﴾ عنه ﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ به.

[٤٠] ﴿إِنَّا نَحْنُ﴾ تأكيد ﴿رَبُّ الْأَرْضِ وَمَنْ عَلَيْهَا﴾ من العقلاء وغيرهم؛ ياهلاكهم ﴿وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ فيه للجزاء.

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «يُؤْتَى بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبِشٍ أَمْلَحٍ، فَيُنَادِي مَنَادٌ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيُشْرَبُونَ. أَي يَدُونَ أَعْتَابَهُمْ - وَيَنْظُرُونَ. فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدَرَاهُ. ثُمَّ يَنْدَى: يَا أَهْلَ النَّارِ، فَيُشْرَبُونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدَرَاهُ. فَيُدْجِحُ. ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، خَلِدُوا فَلَاحِ مَوْتٍ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ، خَلِدُوا فَلَاحِ مَوْتٍ. ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَأَذْكُرُهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) - سورة مريم (١٩) باب (١) ﴿وَأَذْكُرُهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾، وأخرجه مسلم - كتاب الجنة وصفة نعيمها (٥١) باب (١٣) النار يدخلها الجبارون.

(١) الشعراء: ٨٦.

(٢) وهو قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا كَبُرَتْ لَهُمْ أَلْمُهُمْ عَذَّبْنَا لَهُمْ رَبًّا نَبِيًّا إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَزْوَاجٌ حَسْبًا﴾ [التوبة: ١١٤].

(٣) بالكسر قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وقرا بفتح اللام بقية السبعة.

[٥٢] ﴿وَنَدْبَيْتُهُ﴾ بقول: ﴿يَتَمَوَّجُ إِتَّ أَنَا اللَّهُ﴾ (١) ﴿مِنْ جَانِبِ الطُّورِ﴾ اسم جبل ﴿الْأَيْمَنِ﴾ أي: الذي يلي يمين موسى حين أقبل من مدين ﴿وَقَرَّتْهُ نَجْمًا﴾ مناجيًا؛ بأن أسمعه الله - تعالى - كلامه.

[٥٣] ﴿وَوَهَبْنَا لَكُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا﴾ نعمتنا (٢) ﴿أَخَاهُ هَرُونَ﴾ بدل أو عطف بيان ﴿يَتِيمًا﴾ حال؛ هي المقصودة بالهبة إجابة لسؤاله أن يرسل أخاه معه، وكان أشرف منه.

[٥٤] ﴿وَأَذَكَّرَ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ﴾ لم يعد شيئاً إلا وفي به، وانتظر من وعده ثلاثة أيام، أو حولاً حتى رجع إليه في مكانه ﴿وَكَانَ رَسُولًا﴾ إلى جرهم ﴿يَتِيمًا﴾.

[٥٥] ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ﴾ أي: قومه ﴿بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ أصله «مرضو»؛ قلبت الواو الواو ياءين، والضممة كسرة.

[٥٦] ﴿وَأَذَكَّرَ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ﴾ هو جدُّ أبي نوح ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾.

[٥٧] ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ هو حي في السماء الرابعة أو السادسة أو السابعة، أو في الجنة أدخلها بعد أن أذيق الموت، وأحيى ولم يخرج منها (٣).

[٥٨] ﴿أُولَئِكَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ صفة له ﴿مِنَ النَّبِيِّينَ﴾ بيان له، وهو في معنى الصفة، وما بعده إلى جملة الشرط صفة «الليبيين»؛ فقولته: ﴿مِنَ دُرِّيَّةٍ مَادَّةٍ﴾ أي: إدريس ﴿وَمَمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ في السفينة؛ أي: إبراهيم ابن ابنه سام ﴿وَمِنَ دُرِّيَّةٍ إِبْرَاهِيمَ﴾ أي: إسماعيل وإسحاق ويعقوب ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْرَائِيلَ﴾ هو يعقوب؛ أي: موسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى ﴿وَمَمَّنْ هَدَيْنَا وَابْتَدَيْنَا﴾ أي: من جعلتهم، وخبر ﴿أُولَئِكَ﴾: ﴿إِنَّا نُنزِّلُ عَلَيْكُمْ مَائِدَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ سَازِجَاتٍ﴾ جمع «ساجدة» «وباك»؛ أي: فكونوا مثلهم، وأصل «ويكي»؛ بكوئي؛ قلبت الواو ياء والضممة كسرة.

[٥٩] ﴿خَلَّفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفَ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ﴾ بتركها؛ كاليهود والنصارى (٤) ﴿وَاتَّبَعُوا الشُّهُورَ﴾ من المعاصي ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ عَذَابًا﴾ هو وإد في جهنم؛ أي: يقعون فيه.

[٦٠] ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿مَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يظْلَمُونَ﴾ ينقصون ﴿شَيْئًا﴾ من ثوابهم.

[٦١] ﴿جَنَّتٍ عَدْنٍ﴾ إقامة، بدل من ﴿الْجَنَّةِ﴾ ﴿الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْقُرْآنِ﴾ حال؛ أي: غائبين عنها ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا وَعْدُوهُ﴾ أي: موعوده ﴿مَائِدَاتٍ﴾ بمعنى: آتياً، وأصله «ماتوي»؛ أو موعوده هنا الجنة آتية أهله.

[٦٢] ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لِقَاءًا﴾ من الكلام ﴿إِلَّا﴾ لكن يسمعون ﴿سَلَامًا﴾ من الملائكة عليهم، أو من بعضهم على بعض ﴿وَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا﴾

وَنَدْبَيْتُهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّتْهُ نَجْمًا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾ وَأَذَكَّرْنَا فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ وَأَذَكَّرْنَا فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ وَأُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَابْتَدَيْنَا إِذِ اتَّبَعْنَا آدَاتُنَا عَلَيْهِمْ ؕ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرَوْا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٨﴾ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشُّهُورَ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ عَذَابًا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يظْلَمُونَ شَيْئًا ﴿٦٠﴾ جَنَّتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْقُرْآنِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَائِدَاتٍ ﴿٦١﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لِقَاءًا سَلَامًا وَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾ وَمَا نُنزِّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُدًى وَمَأْتِينَ آيَاتِنَا وَمَا خَلَقْنَا وَمَا كُنَّا لِنَسِيَّاتِكُمْ ؕ

بُكْرَةً وَعَشِيًّا؛ أي: على قدرهما في الدنيا، وليس في الجنة نهار ولا ليل، بل ضوء ونور أبدياً.

[٦٣] ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ﴾ نعطي وننزل ﴿مِنَ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾ بطاعته.

[٦٤] ﴿وَنَزَّلَ مَا تَأخَّرَ الْوَحْيِ آيَاتًا﴾ وقال النبي ﷺ لجبريل: «مَا يَمْتَعَلُ أَنْ تَزُورُنَا أَكْثَرَ بِمَّا تَزُورُنَا»: ﴿وَمَا نُنزِّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا﴾ (٥) أي: أممانا من أمور الآخرة ﴿وَمَا خَلَقْنَا﴾ من أمور الدنيا ﴿وَمَا يَبْكُ ذَلِكَ﴾ أي: ما يكون في هذا الوقت إلى قيام الساعة؛ أي: له علم ذلك ججميعه ﴿وَمَا كَانُ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ بمعنى ناسياً؛ أي: تاركاً لك بتأخير الوحي عنك (٦).

(٥) ما جاء في نزول الآية (٦٤): أخرجه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لجبريل: «ما يمتعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا؟» فنزلت: ﴿وَمَا نُنزِّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا...﴾ البخاري - كتاب التفسير (٦٥) - سورة مريم (١٩) باب (٢).

(١) القصص: ٣٠.
 (٢) وهذا تأويل لصفة الرحمة بعض لوازمها، ومذهب السلف إثبات هذه الصفة وغيرها مما أتته الله لنفسه أو أتته له رسوله ﷺ على الوجه اللائق به من غير تأويل ولا تعطيل ولا تكيف ولا تمثيل.
 (٣) لا يوجد دليل قطعي على صحة هذا التفسير، والأغرب أن المراد بهذه الرفعة ما أعطاه الله إياه من شرف النبوة والثناء الحسن، فكان عالي الذكر، عالي المنزلة، وأخرج مسلم عن أنس بن مالك في حديث المراج بطوله، وفيه: «ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة، فاستفتح جبريل ﷺ. قيل: من هذا؟ قال: جبريل. ومن معك؟ قال: محمد. قال: وقد بعث إليه؟ قال: بعث إليه. ففتح لنا، فإذا أنا بإدريس، فرحب بي ودعا لي بخير. قال الله ﷻ: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾. مسلم (١٦٢).
 (٤) وقيل: المراد بإضاعتها فعلها بعد خروج أوقاتها. وقيل: المراد لم يأثروا بها على الوجه المشروع. والظاهر أن كل ذلك يدخل في إضاعة الصلاة، ولا تعارض بين هذه الأقوال، كما لا وجه ظاهر لخسر المراد بالآية في اليهود والنصارى، بل هي عامة؛ فتشمل كل من لم يقم بحقوق الصلاة، وهذا نص في أن إضاعة الصلاة من الكفار.
 (٥) أخرجه نحوه البخاري (٢٢١٨) عن ابن عباس.

الذال وضم الكاف ﴿أَنَا خَلَقْتُهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾ فيستدل بالابتداء على الإعادة.

[٦٨] ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ﴾ أي: المنكرين للبعث ﴿وَالشَّيْطِينَ﴾ أي: نجع كلاً منهم وشیطانه في سلسلة ﴿ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ﴾ من خارجها ﴿يَجِيئًا﴾ على الركب، جمع «جاء»، وأصله «جئوا» أو «جئوي» من «جنا جئوا» أو «يجئي» لغتان.

[٦٩] ﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَهْبًا شَدِيدًا﴾ أي: فرقهم ﴿فَرَقَهُمْ﴾ فرقته منهم ﴿أَهْبًا شَدِيدًا﴾ أي: فرقته منهم عينا جراءة.

[٧٠] ﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا﴾ أحق بجهنم، الأشد (٧) وغيره منهم ﴿صَلِيلًا﴾ دخولا واحترافا؛ فبدأ بهم، وأصله «صلوي» من «صلي» بكسر اللام وفتحها.

[٧١] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صُلِيلًا﴾ وإن منكم إلا وادها كان على ربك ﴿حَتَّىٰ مَقْضِيَّاتِهِمْ﴾ ثم نسجى الذين اتفقوا ونذر الظالمين فيها جثيا (٧٢) ﴿وَإِذَا نَسَخْنَا إِلَهُاتِهِمْ﴾ قال الذين كفروا ﴿لَئِن لَّمْ يَأْتُوا مِنَّا بِآيَاتٍ حَسَنٍ نَّذِيحًا﴾ ﴿وَكُفْرًا أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّن قَبْلٍ هُمْ أَحْسَنُ أَنتَا وَرِيبًا﴾ ﴿قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلَيْسَ مدَّاحِي إِذَا رَأَوْا مَآبِئَهُمْ إِتَّاعُواهَا وَمَا يَصْدُرُ مِنْهَا إِلَّا أَصْوَاتٌ يَسْفَهُونَ﴾ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صُلِيلًا﴾ ﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَهْبًا شَدِيدًا﴾ ﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صُلِيلًا﴾ ﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صُلِيلًا﴾ ﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صُلِيلًا﴾

[٧٢] ﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَهْبًا شَدِيدًا﴾ أي: فرقهم ﴿فَرَقَهُمْ﴾ فرقته منهم ﴿أَهْبًا شَدِيدًا﴾ أي: فرقته منهم عينا جراءة.

[٧٣] ﴿وَإِذَا نَسَخْنَا إِلَهُاتِهِمْ﴾ أي: المومنين والكافرين ﴿إِنتَا﴾ أي: أنتما ﴿وَالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صُلِيلًا﴾ أي: الذين كفروا ﴿لَئِن لَّمْ يَأْتُوا مِنَّا بِآيَاتٍ حَسَنٍ نَّذِيحًا﴾ ﴿وَكُفْرًا أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّن قَبْلٍ هُمْ أَحْسَنُ أَنتَا وَرِيبًا﴾ ﴿قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلَيْسَ مدَّاحِي إِذَا رَأَوْا مَآبِئَهُمْ إِتَّاعُواهَا وَمَا يَصْدُرُ مِنْهَا إِلَّا أَصْوَاتٌ يَسْفَهُونَ﴾ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صُلِيلًا﴾ ﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَهْبًا شَدِيدًا﴾ ﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صُلِيلًا﴾ ﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صُلِيلًا﴾

[٧٤] قال - تعالى -: ﴿وَرَبِّكَ﴾ أي: كثيرا ﴿أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّن قَبْلٍ﴾ أي: أمة من الأمم الماضية ﴿هُمْ أَحْسَنُ أَنتَا﴾ مالا ومتاعا ﴿وَرِيبًا﴾ منظرا من الرؤية؛ فكما أهلكتهم لكفرهم نهلك هؤلاء.

[٧٥] ﴿قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ﴾ شرط، جوابه: ﴿فَلَيْسَ مدَّاحِي﴾ بمعنى الخبر؛ أي: بمد لله الرحمن مدأ في الدنيا يستدرجه ﴿حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَآبِئَهُمْ إِتَّاعُواهَا وَمَا يَصْدُرُ مِنْهَا إِلَّا أَصْوَاتٌ يَسْفَهُونَ﴾ كالقتل والأسر ﴿وَإِنَّا لَنَسَاعَةٌ﴾ المشتعلة على جهنم فيدخلونها ﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَن هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا﴾ أعوانا، أهم أم المومنون، وجندهم الشياطين وجند المومنين عليهم (٨) الملائكة؟

[٧٦] ﴿وَنَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ هُمْ أَحْسَنُ أَنتَا﴾ بالإيمان ﴿هُدًى﴾ بما ينزل عليهم من الآيات ﴿وَالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صُلِيلًا﴾ هي الطاعة (٩) تبقى لصاحبها ﴿حَتَّىٰ عِنْدَ رَبِّكَ تُؤْتَىٰ بِهَا وَتَحْمِلُهَا﴾ أي: ما يرد إليه ويرجع، بخلاف أعمال الكفار، والخيرية هنا في مقابلة قولهم: ﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا﴾

[٧٧] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صُلِيلًا﴾ أي: الذين كفروا ﴿لَئِن لَّمْ يَأْتُوا مِنَّا بِآيَاتٍ حَسَنٍ نَّذِيحًا﴾ ﴿وَكُفْرًا أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّن قَبْلٍ هُمْ أَحْسَنُ أَنتَا وَرِيبًا﴾ ﴿قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلَيْسَ مدَّاحِي إِذَا رَأَوْا مَآبِئَهُمْ إِتَّاعُواهَا وَمَا يَصْدُرُ مِنْهَا إِلَّا أَصْوَاتٌ يَسْفَهُونَ﴾ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صُلِيلًا﴾ ﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَهْبًا شَدِيدًا﴾ ﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صُلِيلًا﴾ ﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صُلِيلًا﴾

[٧٨] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صُلِيلًا﴾ أي: الذين كفروا ﴿لَئِن لَّمْ يَأْتُوا مِنَّا بِآيَاتٍ حَسَنٍ نَّذِيحًا﴾ ﴿وَكُفْرًا أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّن قَبْلٍ هُمْ أَحْسَنُ أَنتَا وَرِيبًا﴾ ﴿قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلَيْسَ مدَّاحِي إِذَا رَأَوْا مَآبِئَهُمْ إِتَّاعُواهَا وَمَا يَصْدُرُ مِنْهَا إِلَّا أَصْوَاتٌ يَسْفَهُونَ﴾ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صُلِيلًا﴾ ﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَهْبًا شَدِيدًا﴾ ﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صُلِيلًا﴾ ﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صُلِيلًا﴾

[٧٩] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صُلِيلًا﴾ أي: الذين كفروا ﴿لَئِن لَّمْ يَأْتُوا مِنَّا بِآيَاتٍ حَسَنٍ نَّذِيحًا﴾ ﴿وَكُفْرًا أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّن قَبْلٍ هُمْ أَحْسَنُ أَنتَا وَرِيبًا﴾ ﴿قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلَيْسَ مدَّاحِي إِذَا رَأَوْا مَآبِئَهُمْ إِتَّاعُواهَا وَمَا يَصْدُرُ مِنْهَا إِلَّا أَصْوَاتٌ يَسْفَهُونَ﴾ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صُلِيلًا﴾ ﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَهْبًا شَدِيدًا﴾ ﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صُلِيلًا﴾ ﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صُلِيلًا﴾

[٨٠] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صُلِيلًا﴾ أي: الذين كفروا ﴿لَئِن لَّمْ يَأْتُوا مِنَّا بِآيَاتٍ حَسَنٍ نَّذِيحًا﴾ ﴿وَكُفْرًا أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّن قَبْلٍ هُمْ أَحْسَنُ أَنتَا وَرِيبًا﴾ ﴿قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلَيْسَ مدَّاحِي إِذَا رَأَوْا مَآبِئَهُمْ إِتَّاعُواهَا وَمَا يَصْدُرُ مِنْهَا إِلَّا أَصْوَاتٌ يَسْفَهُونَ﴾ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صُلِيلًا﴾ ﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَهْبًا شَدِيدًا﴾ ﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صُلِيلًا﴾ ﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صُلِيلًا﴾

[٨١] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صُلِيلًا﴾ أي: الذين كفروا ﴿لَئِن لَّمْ يَأْتُوا مِنَّا بِآيَاتٍ حَسَنٍ نَّذِيحًا﴾ ﴿وَكُفْرًا أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّن قَبْلٍ هُمْ أَحْسَنُ أَنتَا وَرِيبًا﴾ ﴿قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلَيْسَ مدَّاحِي إِذَا رَأَوْا مَآبِئَهُمْ إِتَّاعُواهَا وَمَا يَصْدُرُ مِنْهَا إِلَّا أَصْوَاتٌ يَسْفَهُونَ﴾ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صُلِيلًا﴾ ﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَهْبًا شَدِيدًا﴾ ﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صُلِيلًا﴾ ﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صُلِيلًا﴾

[٨٢] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صُلِيلًا﴾ أي: الذين كفروا ﴿لَئِن لَّمْ يَأْتُوا مِنَّا بِآيَاتٍ حَسَنٍ نَّذِيحًا﴾ ﴿وَكُفْرًا أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّن قَبْلٍ هُمْ أَحْسَنُ أَنتَا وَرِيبًا﴾ ﴿قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلَيْسَ مدَّاحِي إِذَا رَأَوْا مَآبِئَهُمْ إِتَّاعُواهَا وَمَا يَصْدُرُ مِنْهَا إِلَّا أَصْوَاتٌ يَسْفَهُونَ﴾ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صُلِيلًا﴾ ﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَهْبًا شَدِيدًا﴾ ﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صُلِيلًا﴾ ﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صُلِيلًا﴾

[٨٣] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صُلِيلًا﴾ أي: الذين كفروا ﴿لَئِن لَّمْ يَأْتُوا مِنَّا بِآيَاتٍ حَسَنٍ نَّذِيحًا﴾ ﴿وَكُفْرًا أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّن قَبْلٍ هُمْ أَحْسَنُ أَنتَا وَرِيبًا﴾ ﴿قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلَيْسَ مدَّاحِي إِذَا رَأَوْا مَآبِئَهُمْ إِتَّاعُواهَا وَمَا يَصْدُرُ مِنْهَا إِلَّا أَصْوَاتٌ يَسْفَهُونَ﴾ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صُلِيلًا﴾ ﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَهْبًا شَدِيدًا﴾ ﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صُلِيلًا﴾ ﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صُلِيلًا﴾

[٨٤] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صُلِيلًا﴾ أي: الذين كفروا ﴿لَئِن لَّمْ يَأْتُوا مِنَّا بِآيَاتٍ حَسَنٍ نَّذِيحًا﴾ ﴿وَكُفْرًا أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّن قَبْلٍ هُمْ أَحْسَنُ أَنتَا وَرِيبًا﴾ ﴿قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلَيْسَ مدَّاحِي إِذَا رَأَوْا مَآبِئَهُمْ إِتَّاعُواهَا وَمَا يَصْدُرُ مِنْهَا إِلَّا أَصْوَاتٌ يَسْفَهُونَ﴾ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صُلِيلًا﴾ ﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَهْبًا شَدِيدًا﴾ ﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صُلِيلًا﴾ ﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صُلِيلًا﴾

[٨٥] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صُلِيلًا﴾ أي: الذين كفروا ﴿لَئِن لَّمْ يَأْتُوا مِنَّا بِآيَاتٍ حَسَنٍ نَّذِيحًا﴾ ﴿وَكُفْرًا أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّن قَبْلٍ هُمْ أَحْسَنُ أَنتَا وَرِيبًا﴾ ﴿قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلَيْسَ مدَّاحِي إِذَا رَأَوْا مَآبِئَهُمْ إِتَّاعُواهَا وَمَا يَصْدُرُ مِنْهَا إِلَّا أَصْوَاتٌ يَسْفَهُونَ﴾ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صُلِيلًا﴾ ﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَهْبًا شَدِيدًا﴾ ﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صُلِيلًا﴾ ﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صُلِيلًا﴾

[٨٦] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صُلِيلًا﴾ أي: الذين كفروا ﴿لَئِن لَّمْ يَأْتُوا مِنَّا بِآيَاتٍ حَسَنٍ نَّذِيحًا﴾ ﴿وَكُفْرًا أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّن قَبْلٍ هُمْ أَحْسَنُ أَنتَا وَرِيبًا﴾ ﴿قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلَيْسَ مدَّاحِي إِذَا رَأَوْا مَآبِئَهُمْ إِتَّاعُواهَا وَمَا يَصْدُرُ مِنْهَا إِلَّا أَصْوَاتٌ يَسْفَهُونَ﴾ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صُلِيلًا﴾ ﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَهْبًا شَدِيدًا﴾ ﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صُلِيلًا﴾ ﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صُلِيلًا﴾

[٨٧] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صُلِيلًا﴾ أي: الذين كفروا ﴿لَئِن لَّمْ يَأْتُوا مِنَّا بِآيَاتٍ حَسَنٍ نَّذِيحًا﴾ ﴿وَكُفْرًا أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّن قَبْلٍ هُمْ أَحْسَنُ أَنتَا وَرِيبًا﴾ ﴿قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلَيْسَ مدَّاحِي إِذَا رَأَوْا مَآبِئَهُمْ إِتَّاعُواهَا وَمَا يَصْدُرُ مِنْهَا إِلَّا أَصْوَاتٌ يَسْفَهُونَ﴾ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صُلِيلًا﴾ ﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَهْبًا شَدِيدًا﴾ ﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صُلِيلًا﴾ ﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صُلِيلًا﴾

رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٨﴾ وَيَقُولُ الْإِنسَانُ إِذَا مَاتَ لَسَوْفَ أَخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٩﴾ أَوْلَىٰ يَدْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَا خَلَقْتُهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴿٧٠﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيْطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عَيْنًا ﴿٧٢﴾ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صُلِيلًا ﴿٧٣﴾ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صُلِيلًا ﴿٧٤﴾ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صُلِيلًا ﴿٧٥﴾ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صُلِيلًا ﴿٧٦﴾ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صُلِيلًا ﴿٧٧﴾ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صُلِيلًا ﴿٧٨﴾ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صُلِيلًا ﴿٧٩﴾ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صُلِيلًا ﴿٨٠﴾ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صُلِيلًا ﴿٨١﴾ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صُلِيلًا ﴿٨٢﴾ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صُلِيلًا ﴿٨٣﴾ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صُلِيلًا ﴿٨٤﴾ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صُلِيلًا ﴿٨٥﴾ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صُلِيلًا ﴿٨٦﴾ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صُلِيلًا ﴿٨٧﴾ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صُلِيلًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صُلِيلًا ﴿٨٩﴾ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صُلِيلًا ﴿٩٠﴾ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صُلِيلًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صُلِيلًا ﴿٩٢﴾ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صُلِيلًا ﴿٩٣﴾ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صُلِيلًا ﴿٩٤﴾ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صُلِيلًا ﴿٩٥﴾ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صُلِيلًا ﴿٩٦﴾ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صُلِيلًا ﴿٩٧﴾ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صُلِيلًا ﴿٩٨﴾ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صُلِيلًا ﴿٩٩﴾ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صُلِيلًا ﴿١٠٠﴾

[٦٥] هو ﴿رَبِّ﴾ مالك ﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ﴾ أي: اصبر عليها ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ مسمى بذلك؟ لا.

[٦٦] ﴿وَيَقُولُ الْإِنسَانُ﴾ المنكر للبعث، أي: نئ خلف، أو الوليد بن المغيرة النازل فيه الآية: ﴿وَإِذَا﴾ بتحقيق الهمة الثانية وتسهيلها، وإدخال ألف بينها بوجهيها وبين الأخرى (١) ﴿مَا مِثْلُ لَسَوْفَ أَخْرَجُ حَيًّا﴾ من القبر؛ كما يقول محمد؟! فلاستفهام بمعنى: النفي؛ أي: لا أحيأ بعد الموت، و«ما» زائدة للتأكيد، وكذا «اللام».

[٦٧] ورد عليه بقوله - تعالى -: ﴿أَوْلَىٰ [يَدْكُرُ] الْإِنسَانُ﴾ أصله «يتذكر»؛ أبدلت التاء ذالاً وأدغمت في الذال، وفي قراءة: تركها، وسكون

(٥) فائدة: أخرج مسلم عن أم مبشر أنها سمعت النبي ﷺ يقول عند حفصة: «لا يدخل النار - إن شاء الله - من أصحاب الشجرة أحد من الذين باعوا نجاتها». قالت: بلى يا رسول الله. فأنشدها. فقالت حفصة: ﴿وَلَمَّا يَدْعُونَ﴾ فقال النبي ﷺ: «قد قال الله ﷻ: ﴿ثُمَّ نَسِجُ الَّذِينَ اتَّفَقُوا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ﴾». مسلم - كتاب فضائل الصحابة (٤٤) باب (٣٧) من فضائل أصحاب الشجرة.

(١) وقرأ ابن ذكوان عن طريق الصوري وغيره بالخير «إذاه»، وراجع التعليق على الآية (٨١) من سورة الأعراف.

(٢) وهي قراءة حمزة والكسائي وابن كثير وأبي عمرو، وقرأ الباقون ﴿يَدْكُرُ﴾.

(٣) أي: (الأشد على الرحمن عتياً).

(٤) محققاً قراءة الكسائي، ولازمه إسكان اللون.

(٥) بالضم قراءة ابن كثير.

(٦) متعلق ب«جند»؛ لتضمين معنى معاونين، كما وقع لهم في بدر من انخدال إبليس وجنده عنهم، وقتال الملائكة مع المومنين.

(٧) رجاء في الحديث أنها: «الكبير، والتهلل، والتسبيح، والتحميد، ولا حول ولا قوة إلا بالله» كما تقدم في تفسير سورة الكهف آية (٤٦).

[٧٧] ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا﴾ العاصي بن مائل ﴿وَقَالَ﴾ لحباب ابن الأرت القائل له: بُعِثَ بعد الموت، والمطالب له مجال: ﴿لَأُؤْتِيَنَّكَ﴾ على تقدير البعث ﴿مَالًا وَوَلَدًا﴾ فأفضيك^(١).

[٧٨] قال - تعالى -: ﴿أَطَّلَعَ الْغَيْبَ﴾ أي: أعلمه، وأنه يؤتى ما قاله، واستغنى بهمة الاستفهام عن همة الوصل؛ فحذفت ﴿أَمْ أَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ بأن يؤتى ما قاله؟!.

[٧٩] ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: لا يؤتى ذلك ﴿سَتَكُتُبُ﴾ نأمر بكتب ﴿مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾ زنيده بذلك عنابا فوق عذاب كفره. [٨٠] ﴿وَتَرْتُهُمَا يَقُولُ﴾ من المال والولد ﴿وَيَأْتِينَا﴾ يوم القيامة ﴿كَرَدًا﴾ لا مال له ولا ولد^(٢).

[٨١] ﴿وَأَنذَرْنَا﴾ أي: كفاؤ مكة ﴿وَمِن دُوبِ اللَّهِ﴾ الأوثان ﴿بِالْهَيْبَةِ﴾ وبعدهم ﴿لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾ شععاء عند الله؛ بأن لا يعذبوا.

[٨٢] ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: لا مانع من عذابهم ﴿سَيَكْفُرُونَ﴾ أي: الآلهة ﴿بِعِبَادَتِهِمْ﴾ أي: ينفروها؛ كما في آية أخرى: ﴿مَا كَانُوا إِذَا نَادَيْنَا بِهَا سُبُكُوتًا﴾^(٣) ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ صِدْقًا﴾ أعوانا وأعداء.

[٨٣] ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ﴾ سلطناهم ﴿عَلَى الْكٰفِرِينَ تَوْرَهُمْ﴾ تهيجهم إلى المعاصي ﴿إِنَّا﴾.

[٨٤] ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ﴾ بطلب العذاب ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمُ الْأَيَّامَ وَاللَّيَالِي أَوْ الْأَنْفَاسَ عَدًّا﴾ إلى وقت عذابهم.

[٨٥] اذكر ﴿يَوْمَ نَخْسِرُ الْمُتَّقِينَ﴾ بإيمانهم ﴿إِلَى الرَّحْمَنِ وَقَدًّا﴾ جمع وافد؛ بمعنى: راکب.

[٨٦] ﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ﴾ بكفرهم ﴿إِلَى جَهَنَّمَ وَرَدًّا﴾ جمع وارد؛ بمعنى: ماش عطشان.

[٨٧] ﴿لَا يَسْأَلُونَكَ﴾ أي: الناس ﴿الشَّفْعَةَ إِلَّا مَن أَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ أي: شهادة أن لا إله إلا الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله^(٤).

[٨٨] ﴿وَقَالُوا﴾ أي: اليهود والنصارى ومن زعم أن الملائكة بنات الله: ﴿أَخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾.

[٨٩] قال - تعالى - لهم: ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا﴾ أي: منكرا عظيما.

[٩٠] ﴿تَكَادُ﴾ بالباء والياء^(٥) ﴿السَّمَكُوتُ﴾ [ينظرون] ﴿بِالنُّونِ﴾^(٦) وفي قراءة بالباء وتشديد الطاء^(٧)؛ بالانشقاق، ﴿مِنْهُ وَنَسَقَ الْأَرْضَ وَنَحَرُ الْجِبَالِ هَدًّا﴾ أي: تنطبق عليهم؛ من أجل: [٩١] ﴿أَن دَعَا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾.

[٩٢] قال - تعالى -: ﴿وَمَا يَبْغِي لِلرَّحْمَنِ أَن يَسْخِذَ وَلَدًا﴾ أي: ما يليق به

أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُؤْتِيَنَّكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمْ أَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ سَتَكُتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَتَرْتُهُمَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا كَرَدًا ﴿٨٠﴾ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرَدًّا ﴿٨١﴾ لَّا يَسْأَلُونَكَ الشَّفْعَةَ إِلَّا مَن أَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿٨٢﴾ وَقَالُوا أَخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ﴿٨٣﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٤﴾ تَكَادُ السَّمَكُوتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْسُقُ الْأَرْضَ وَنَحَرُ الْجِبَالِ هَدًّا ﴿٨٥﴾ أَن دَعَا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴿٨٦﴾ وَمَا يَبْغِي لِلرَّحْمَنِ أَن يَسْخِذَ وَلَدًا ﴿٨٧﴾ إِن كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٨٨﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴿٨٩﴾

ذلك [٩٣] ﴿إِن﴾ أي: ما ﴿كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَدًّا﴾ ذليلاً خاضعاً يوم القيامة؛ منهم: عزيز وعيسى. [٩٤] ﴿لَقَدْ أَحْصَيْنَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾ فلا يخفى عليه مبلغ جميعهم ولا واحد منهم. [٩٥] ﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ بلا مال ولا نصير يمنعه.

(٥) ما جاء في نزول الآيات (٧٧ - ٨٠): أخرج البخاري عن حباب قال: كنت رجلاً قتيلاً، وكان لي على العاص بن مائل دين، فأتته أفضيكا حتى تكفر بمحمد. قال: قلت: لن أكفر به حتى تموت ثم تبعث. قال: واني لمبعوث من بعد الموت؟ فسوف أفضيك إذا رجعت إلى مال وولد. فنزلت: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُؤْتِيَنَّكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾ [٧٧] أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمْ أَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا سَتَكُتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَتَرْتُهُمَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا كَرَدًا ﴿٨٠﴾. كتاب التفسير (٦٥) سورة مريم (١٩) باب (٦).

(١) أخرجه البخاري (٢٠٩١)، وانظر ما جاء في نزول الآيات.
 (٢) القصص: ٦٣.
 (٣) هذا قول ابن عباس، نقله عنه ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الأسماء والصفات. [الدر المنثور (٥٤١/٥)].
 (٤) بالياء قراءة نافع والكسائي.
 (٥) لأبي عمر وابن عامر وحزمة وشعبة.
 (٦) مع قراءة «تَكَادُ»؛ ثُراً؛ «ينظرون» و«ينظرون» بالنون والياء. ومع قراءة «يَكَادُ» بالياء؛ ثُراً؛ «ينظرون» بالياء فقط.

سورة طه

[مكية مائة وخمس وثلاثون آية، أو: أربعون، أو: اثنتان،

نزلت بعد مريم]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿ طه ﴾ طه ﴿ الله أعلم بمراده بذلك.﴾

[٢] ﴿ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ ﴾ يا محمد ﴿ لِتَشْفَى ﴾ لتتعب بما فعلت بعد نزوله من طول قيامك بصلاة الليل؛ أي: خفف عن نفسك.

[٣] ﴿ إِلَّا ﴾ لكن أنزلناه ﴿ تَذَكُّرًا ﴾ به ﴿ لِمَنْ يَخْشَى ﴾ يخاف الله.

[٤] ﴿ تَزِيلًا ﴾ بدل من اللفظ بفعله الناصب له ﴿ وَمَنْ خَلَقَ الْأَرْضَ ﴾ وَأَسْرَبَتِ الْعُلَى ﴿ جمع «عليا»؛ كـ «كبرى» و«كبير».

[٥] هو ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ ﴾ وهو في اللغة: سرير الملك ﴿ أَسْتَوَى ﴾ استواء يليق به^(١).

[٦] ﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾ من المخلوقات ﴿ وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ﴾ هو التراب الندي؛ والمراد: الأرضون السبع؛ لأنها تحته.

[٧] ﴿ وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ ﴾ في ذكر أو دعاء، فالله غني عن الجهر به ﴿ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ منه؛ أي: ما حدثت به النفس وما خطر، ولم تحدث به؛ فلا تجهد نفسك بالجهر.

[٨] ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ التسعة والتسعون الوارد بها الحديث^(٢)؛ والحسنى مؤنث الأحسن.

[٩] ﴿ وَهَلْ ﴾ قد^(٣) ﴿ أَنْتَكَ حَدِيثٌ مُوسَى ﴾.

[١٠] ﴿ إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ﴾ لامرأته: ﴿ أَمْكُرُوا ﴾ هنا؛ وذلك في مسيره من مدين طالبا مصر ﴿ إِنِّي ءَأَسْتَشْئِرُكُمْ ﴾ أبصرت ﴿ نَارًا لَعَلَّيْ أَهْبَأُكُمْ مِنْهَا ﴾ يشعلها في رأس قبيلة أو عود ﴿ أَوْ أُجِدُّ عَلَى النَّارِ هَدًى ﴾ أي: هادئا يدلني على الطريق، وكان أخطأها لظلمة الليل، وقال: «لعل»؛ لعدم الجزم بوفاء الوعد.

[١١] ﴿ فَلَمَّا أَنْهَاهَا ﴾ وهي شجرة عوسج^(٤) ﴿ نُودَى بِمُوسَى ﴾.

[١٢] ﴿ إِنِّي ﴾ بكسر الهمزة؛ بتأويل ﴿ نُودَى ﴾ بـ«قيل»، وفتحها؛ بتقدير الباء^(٥) ﴿ أَنَا ﴾ تأكيد لياء المتكلم ﴿ رَبُّكَ فَاسْأَلْ عَمَّا تَعْلَمُ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ ﴾ المطهر أو المبارك ﴿ طُوًى ﴾ بدل، أو عطفت بيان؛ بالتثوين وتركه^(٦)، مصروف باعتبار المكان، وغير مصروف للتأنيث؛ باعتبار البقعة مع العلمية.

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسْتَرْزُقُهُ يَلْسَانُكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا ﴿٩٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّن قَرْنٍ هَلْ يُحِشُّ مِنْهُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْرًا ﴿٩٨﴾

سورة طه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طه ﴿ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْفَى ﴿١﴾ إِلَّا تَذَكُّرًا لِّمَنْ يَخْشَى ﴿٢﴾ تَنْزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى ﴿٣﴾ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى ﴿٤﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ﴿٥﴾ وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٦﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴿٧﴾ وَهَلْ أَنْتَكَ حَدِيثٌ مُّوسَى ﴿٨﴾ إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ أَمْكُرُوا إِنِّي ءَأَسْتَشْئِرُكُمْ مِنْهَا إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ نَارَ هَدًى ﴿٩﴾ فَلَمَّا أَنْهَاهَا نُودَى بِمُوسَى ﴿١٠﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاسْأَلْ عَمَّا تَعْلَمُ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١١﴾

[٩٦] ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴾^(١) فيما بينهم يتوادون ويتحابون ويحبهم الله - تعالى ..

[٩٧] ﴿ فَإِنَّمَا يَسْتَرْزُقُهُ يَلْسَانُكَ ﴾ العربي ﴿ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ ﴾ الفائزين بالإيمان ﴿ وَتُنذِرَ ﴾ تحوِّف ﴿ بِهِ قَوْمًا لُدًّا ﴾ جمع ألد؛ أي: جديل بالباطل؛ وهم: كفار مكة.

[٩٨] ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّن قَرْنٍ ﴾ أي: أمة من الأمم الماضية؛ بتكذيبهم الرسل ﴿ هَلْ يُحِشُّ ﴾ تجد ﴿ مِنْهُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْرًا ﴾ صوتًا خفيًّا؟ لا، فكما أهلكنا أولئك نهلك هؤلاء.

(١) فائدة: أخرج الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا أحب الله عبدًا نادى جبريل: إني قد أحببت فلانًا فلانًا فاجتبه». قال: فينادي في السماء، ثم تنزل له النجى في أهل الأرض؛ فلذلك قول الله: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴾... الحديث. الترمذي. كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٢٠) سورة مريم، وضححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٥٢٨).

(٢) سبق التعليق على هذا التفسير، وأنه إذا كان المراد بالتفويض تفويض الكيفية فهو حق، وأما إن كان يريد أن معنى الاستواء مجهول فهو فرار من إثبات صفة العلو والصعود والارتفاع والاستقرار على العرش التي هي من معاني الاستواء عند السلف.

(٣) سبق التعليق على هذا الحصر، وذكرنا أن الأسماء الحسنى لا يحصي عددها إلا الله ﷻ في تفسير الآية (١١٠) من سورة الإسراء.

(٤) وهو قول بعض أهل اللغة، واختاره بعض المفسرين، واختار غيرهم أنها على بابها من الاستفهام، وقد يراد به التقرير.

(٥) وهذا أحد الأقوال فيها، وقيل غير ذلك، ولا دليل على الجميع، وذكر ابن كثير أن الضمير يعود إلى النار.

(٦) بالفتح قراءة ابن كثير وأبي عمرو. (٦) بترك التثوين قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو.

[١٣] ﴿وَأَنَا أَخَذْتُكَ﴾ من قومك ﴿فَأَسْتَعِ لِمَا يُوحَى﴾ إليك مني.

[١٤] ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾

فيها.

[١٥] ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ عن الناس، ويظهر لهم قريبا بعلاماتها ﴿لِيُجْزَى﴾ فيها ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾ به من خير أو شر.

[١٦] ﴿فَلَا يَصُدُّكَ﴾ بصرفك ﴿عَنْهَا﴾ أي: عن الإيمان بها ﴿مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوْنَهُ﴾ في إنكارها ﴿فَقَرَدَيْ﴾ أي: فهلك إن صدت عنها.

[١٧] ﴿وَمَا تَلَكَ﴾ كائنة ﴿بِيمِينِكَ يَمُوسَى﴾؟ الاستفهام للتقرير؛ ليرتب عليه المعجزة فيها [١٨] ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ﴾ أتمد ﴿عَلَيْهَا﴾ عند الوتوب والمشي ﴿وَأَهْلُهَا﴾ أحبط ورق الشجر ﴿بِهَا﴾ ليستقط ﴿عَنْكَ عَنِّي﴾ فناكله ﴿وَوَلِيَّ فِيهَا مَرَاتِبٌ﴾ جمع ماربة؛ مثلث الراء؛ أي: حوائج ﴿أُخْرَى﴾ كحمل الزراد والسقاء وطرد الهوام؛ زاد في الجواب بيان حاجاته بها.

[١٩] ﴿قَالَ أَلَيْهَا يَمُوسَى﴾.

[٢٠] ﴿فَأَلْفَنَهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ﴾ ثعبان عظيم ﴿تَسْعَى﴾ تمشي على بطنها سريعا؛ كسرعة الثعبان الصغير المسمى بالجان؛ المعرب به فيها في آية أخرى^(١).

[٢١] ﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَحْفَ﴾ منها ﴿سُعِيدَهَا سِيرَتَهَا﴾ منصوب بنزع الخافض؛ أي: إلى حالتها ﴿الْأَوْلَى﴾ فأدخل يده في منها؛ فعادت عصا؛ فتبين أن موضع الإدخال موضع مسكها بين شعبتها، وأرى ذلك السيد موسى؛ فلما يجزع إذا انقلب حية لدى فرعون.

[٢٢] ﴿وَأَضْمَمَ يَدَكَ﴾ اليمنى؛ بمعنى: الكف ﴿إِلَى جَنَاحِكَ﴾ أي: جنبك الأيسر تحت العضد إلى الإبط وأخرجها ﴿تَخْرُجُ﴾ خلاف ما كانت عليه من الأدمة ﴿بِضَاءٍ مِنْ غَيْرِ سَوْءٍ﴾ أي: برص، تضيء كشمع الشمس تغشى البصر ﴿آيَةٌ أُخْرَى﴾ وهي بياض، حالان من ضمير ﴿تَخْرُجُ﴾.

[٢٣] ﴿لِيُرِيَنَّكَ﴾ بها إذا فعلت ذلك؛ لإظهارها ﴿مِنْ آيَاتِنَا﴾ الآية ﴿الْكُبْرَى﴾ أي: العظمى على رسالتك، وإذا أراد عودها إلى حالتها الأولى ضمها إلى جناحه؛ كما تقدم وأخرجها.

[٢٤] ﴿أَذْهَبَ﴾ رسولا ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ﴾ ومن معه ﴿إِنَّهُمْ طَغَوْا﴾ جاوز الحد في كفره إلى ادعاء الإلهية.

[٢٥] ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ وَسَعَةً لِتَحْمِلَ الرِّسَالَةَ.

[٢٦] ﴿وَيَتَّبِعْ﴾ سهل ﴿لِي أَمْرِي﴾ لأبلغها.

[٢٧] ﴿وَأَحْلَلْ عَقْدَةَ بَيْنَ لِسَانِي﴾ حَذَثْتِ مِنْ احْتِرَاقِهَا بِجَمْرَةٍ وَضَعَهَا فِيهِ وَهُوَ صَغِيرٌ^(٢).

[٢٨] ﴿يَقْفُوهَا﴾ يفهموا ﴿قَوْلِي﴾ عند تبليغ الرسالة.

(١) وهو قوله - تعالى -: ﴿فَلَمَّا رَوَّاهَا بِجَنَّتَيْهَا جَاءَتْهَا جَاءَةٌ﴾ [النمل: ١٠].

(٢) هذا قول كثير من المفسرين في بيان العقدة وسببها، وليس فيه شيء مرفوع إلى النبي ﷺ، وإنما هو من كلام سعيد بن جبيرة نقلها عنه عبد ابن حميد وابن المنذر، وابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (٥٦٦/٥، ٥٦٧)، قال: غمجة بجمرة نار أدخلها في فيه عن أمر امرأة فرعون تدرأ به عنه عقوبة فرعون حين هم بقتله، بعد أن أخذ بلحيته وهو لا يعقل، قائلة: إنه لا يعقل، فقدموا له طبقاً فيه جمر وتر، فأخذ الجمرة بوضعها في فيه فاحترق لسانه. وقيل: كان ذلك التعقد في لسانه خلقه. وعلى كلا القولين فهي عقدة كانت في لسانه حلها الله تعالى كما أخبر، وهذا بخفي.

(٣) بصيغتي المضارع المجزوم؛ أي: ﴿أَشْدُدْ﴾ بهمة قطع مفتوحة، و﴿أَشْرِكْ﴾ بهمة مضمومة، وهي قراءة ابن عامر.

(٤) العلم غير البصر، وإن كان من لوازمه؛ فثبت صفة البصر لله عز وجل على الوجه اللائق به سبحانه.

وَأَنَا أَخَذْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ﴿١٣﴾ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾ إِنَّ السَّاعَةَ آيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِيُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوْنَهُ فَتَرَدَّى ﴿١٦﴾ وَمَا تَلَكَ كَائِنَةٌ بِبِيمِينِكَ يَمُوسَى ﴿١٧﴾ وَمَا تَلَكَ فِيهَا ﴿١٨﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهْسُ بِهَا عَلَى عَنَقِي وَلِي فِيهَا مَرَاتِبٌ أُخْرَى ﴿١٩﴾ قَالَ أَلَيْهَا يَمُوسَى ﴿٢٠﴾ فَأَلْفَنَهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴿٢١﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَحْفَ سَعِيدَهَا سِيرَتَهَا الْأَوْلَى ﴿٢٢﴾ وَأَضْمَمَ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجُ بِيضَاءٍ مِنْ غَيْرِ سَوْءٍ آيَةٌ أُخْرَى ﴿٢٣﴾ لِيُرِيَنَّكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى ﴿٢٤﴾ أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٦﴾ وَيَتَّبِعْ لِي أَمْرِي ﴿٢٧﴾ وَأَحْلَلْ عَقْدَةَ بَيْنَ لِسَانِي ﴿٢٨﴾ يَقْفُوهَا أَقْوَلِي ﴿٢٩﴾ وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٣٠﴾ هَارُونَ أَخِي ﴿٣١﴾ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ﴿٣٢﴾ وَأَشْرِكْ فِي أَمْرِي ﴿٣٣﴾ كَيْ سَسِيحَكَ كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ وَتَذَكَّرَكَ كَبِيرًا ﴿٣٥﴾ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٦﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَمُوسَى ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىكَ مَرَّةً أُخْرَى ﴿٣٨﴾

[٢٩] ﴿وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا﴾ معناها عليها ﴿مِنْ أَهْلِي﴾.

[٣٠] ﴿هَارُونَ﴾ مفعول ثاني ﴿أَخِي﴾ عطف بيان.

[٣١] ﴿أَشْدُدْ بِهِ أَزْرِي﴾ ظهري.

[٣٢] ﴿وَأَشْرِكْ فِي أَمْرِي﴾ أي: الرسالة، والفعالان بصيغتي الأمر، والمضارع المجزوم^(٣)، وهو جواب الطلب.

[٣٣] ﴿كَيْ سَسِيحَكَ﴾ تسييحاً ﴿كَبِيرًا﴾.

[٣٤] ﴿وَتَذَكَّرَكَ﴾ ذكراً ﴿كَبِيرًا﴾.

[٣٥] ﴿إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا﴾ عالماً^(٤)؛ فأنعمت بالرسالة.

[٣٦] ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَمُوسَى﴾ مثلاً عليك.

[٣٧] ﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىكَ مَرَّةً أُخْرَى﴾.

إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ۖ أَنْ أَقْرِضِيهِ فِي التَّائِبَاتِ فَأَقْرِضِيهِ
 فِي الْيَمِينِ فَلْيَقْرِضِيهِ أَلَيْمٌ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذُهُ عَدُوٌّ وَعَدُوْلُهُ وَالْقَيْتُ
 عَلَيْكَ مَحَبَّةٌ مِّمِّي وَلِضَمِّعَ عَلَىٰ عَيْنِي ۖ إِذْ مَشَىٰ أَخْتُكَ فَتَقُولُ
 هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ ۖ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّعَيْنَهَا
 وَلَا تَحْزَنَ ۗ وَفَلَّاتٌ نَّفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَّكَ فُتُونًا
 فَلَيْتَ سِينِينَ ۗ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَرُجِّمْتِ عَلَىٰ قَدْرِ يَمُوسَىٰ ۖ
 وَأَصْطَنَعْتَكِ لِنَفْسِي ۗ أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَحْوَكُ بِيَايَتِي وَلَا
 تَبَيَّنَ فِي ذِكْرِي ۗ أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ۖ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا
 لَّيْسَ لَكَ لَهُ رَبٌّ ذِكْرًا وَوَيْحُشِي ۗ قَالَ لَا رَبَّآ إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ
 عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطَّعَىٰ ۗ قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ
 ۗ فَأَنبَأَهُمَا فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ
 وَلَا تَعَدِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيْنَا مَنِ اتَّبَعَ
 الْهُدَىٰ ۗ إِنَّا قَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ
 وَتَوَلَّىٰ ۗ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَمُوسَىٰ ۗ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ
 كُلَّ شَيْءٍ حَافِلَهُ ۗ فَرُهِدَىٰ ۗ قَالَ فَتَابَا لِلْفُرُونِ الْأُولَىٰ ۗ

[٣٨] ﴿إِذْ﴾ للتعليل ﴿أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أُمِّكَ﴾ منامًا أو الهامًا لما ولدتك
 وخافت أن يقتلك فرعون في جملة من يولد ﴿مَا يُوحَىٰ﴾ في أمرك، ويبدل
 منه: [٣٩] ﴿أَنْ أَقْرِضِيهِ﴾ ألقيه ﴿فِي التَّائِبَاتِ فَأَقْرِضِيهِ﴾ بالتائبات ﴿فِي الْيَمِينِ﴾
 بحر النيل ﴿فَلْيَقْرِضِيهِ أَلَيْمٌ بِالسَّاحِلِ﴾ أي: شاطئه، والأمر بمعنى الخير ﴿يَأْخُذُهُ
 عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ﴾ وهو فرعون ﴿وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةٌ مِّمِّي﴾
 ترضي على رعايتي وحفظي لك^(١).
 [٤٠] ﴿إِذْ﴾ للتعليل ﴿نَسَّيْتِ أَخْتُكَ﴾ مريم؛ لتعرف من خيرك، وقد

أحضرها مراضع وأنت لا تقبل ثدي واحدة منهم ﴿فَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن
 يَكْفُلُهُ﴾ فأجبت؛ فجاءت بأمة فقيل ثديها ﴿فَرَجَعْنَاكَ إِلَيْكَ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ
 عَيْنًا﴾ بلقائك ﴿وَلَا تَحْزَنَ﴾ حينئذ ﴿وَفَلَّاتٌ نَّفْسًا﴾ هو القبطي بمصر^(٢)؛
 فاعتمت لقتله من جهة فرعون ﴿فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَّكَ فُتُونًا﴾ اخترناك
 بالإيقاع في غير ذلك وخلصناك منه ﴿فَلَيْتَ سِينِينَ﴾ عشرا ﴿فِي أَهْلِ
 مَدْيَنَ﴾ بعد مجيئك إليها من مصر عند شعيب^(٣) النبي وتزوجك بانتهه ﴿ثُمَّ
 جِئْتِ عَلَىٰ قَدْرٍ﴾ في علمي بالرسالة؛ وهو: أربعون سنة من عمرك
 ﴿يَمُوسَىٰ﴾.

[٤١] ﴿وَأَصْطَنَعْتَكِ لِنَفْسِي﴾ اخترتك ﴿لِنَفْسِي﴾ بالرسالة.

[٤٢] ﴿أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَحْوَكُ﴾ إلى الناس ﴿بِيَايَتِي﴾ التسع^(٤) ﴿وَلَا تَبَيَّنَ﴾
 تفترا ﴿فِي ذِكْرِي﴾ بتسييح وغيره.

[٤٣] ﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ بأدعائه الرئوبية.

[٤٤] ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيْسَ لَكَ لَهُ رَبٌّ ذِكْرًا﴾ في رجوعه عن ذلك ﴿لَعَلَّهُ يَذَّكَّرُ﴾ يتعظ
 ﴿أَوْ يَخْتَشَىٰ﴾ الله؛ فيرجع، والترجي بالنسبة إليهما لعلمه - تعالى - بأنه لا
 يرجع.

[٤٥] ﴿قَالَ رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا﴾ أي: يعجل بالعقوبة ﴿أَوْ أَنْ
 يَطَّعَىٰ﴾ علينا؛ أي: يتكر.

[٤٦] ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا﴾ يعوني^(٥) ﴿أَسْمَعُ﴾ ما يقول
 ﴿وَأَرَىٰ﴾ ما يفعل.

[٤٧] ﴿فَأَنبَأَهُمَا فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ إلى الشام
 ﴿وَلَا تَعَدِّبْهُمْ﴾ أي: خل عنهم من استعمالك إياهم في أشغالك الشاقة؛
 كالحفر والبناء وحمل الثقل ﴿قَدْ جِئْنَاكَ بَيِّنَاتٍ﴾ بحجة ﴿مِّن رَّبِّكَ﴾ على
 صدقنا بالرسالة ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيْنَا مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ﴾ أي: السلامة له من العذاب.

[٤٨] ﴿إِنَّا قَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ﴾ ما جفتا به
 ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾ أعرض عنه؛ فأنبأه وقال جميع ما ذكر.

[٤٩] ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَمُوسَىٰ﴾ اقتصر عليه؛ لأنه الأصل، ولإدلايه عليه
 بالترية [٥٠] ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ﴾ من الخلق ﴿حَافِلَهُ﴾ الذي هو
 عليه متميز به عن غيره ﴿ثُمَّ هَدَىٰ﴾ الحيوان منه إلى مطعمه ومشربه ومتكحه
 وغير ذلك.

[٥١] ﴿قَالَ﴾ فرعون: ﴿فَمَا بَالُ﴾ حال ﴿الْفُرُونِ﴾ الأمم ﴿الْأُولَىٰ﴾
 كقوم نوح وهود ولوط وصالح في عبادتهم الأوثان.

(١) وفيها إثبات صفة العين لله - سبحانه - على الحقيقة، كما هو مذهب السلف الصالح.

(٢) قال ابن عباس - رضي الله عنهما - : قل قطعًا كذا. تفسير البغوي (٢٧٣/٥). وأخرج مسلم عن عمر بن الخطاب عن النبي ﷺ قال: «إنما قتل موسى الذي قتل من آل فرعون خطأ». مسلم (٢٩٠٥).

(٣) المشهور عند كثير من العلماء أن صاحب مدين المذكور في سورة القصص هو شعيب الطي، وقيل غير ذلك، وإنما هو رجل مؤمن من أهل «مدين»؛ لأن شعيب الطي كان قبل موسى بزمن، والصواب أن هذا لا يدرك إلا بخر، ولا خير نجب به الحجة في ذلك. (انظر كلام ابن كثير والسعدي في تفسير سورة القصص، آية رقم ٢٥، ٢٨).

(٤) هذا قول ابن عباس، وسبق بيان هذه الآيات في تفسير الآية (٧٥) من سورة يونس. وقيل: المقصود هنا: آيات التوراة.

(٥) هذا من لوازم معيته - سبحانه - الخاصة بعباده المؤمنين، ومعيته - سبحانه - مع خلقه نوعان - كما تقدم في آخر النحل - معية عامة؛ ومعناها: إحاطته بكل الخلق علمًا وقدرًا، ومعية خاصة لأوليائه بالإعانة والرعاية والكفاية والنصر والتأييد والهداية والتوفيق، وقد اشتمل القرآن عليهما.

[٥٢] ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿عَلِمَهَا﴾ أي: علم حالهم محفوظ ﴿عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ﴾ هو اللوح المحفوظ، يجازيهم عليها يوم القيامة ﴿لَا يَصِلُ﴾ يغيب ﴿رَبِّي﴾ عن شيء ﴿وَلَا يَنْسَى﴾ ربي شيئاً.

[٥٣] هو ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ﴾ في جملة الخلق ﴿الْأَرْضَ مَهْدًا﴾ فرأينا ﴿وَسَبَّحُكُمْ﴾ سهل ﴿لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ طرقاً ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ مطراً، قال - تعالى - تسميماً لما وصفه به موسى، وخطاباً لأهل مكة: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِذَوِي أَرْوَجًا﴾ أصنافاً ﴿مِنْ بَنَاتِ شَقْتٍ﴾ صفة ﴿أَرْوَجًا﴾ أي: مختلفة الألوان والطعوم وغيرهما، و﴿شَقْتٍ﴾ جمع «شثيت»؛ ك«مريض» و«مرضى»؛ من شث الأمز: تفرق.

[٥٤] ﴿كُلُوا﴾ منها ﴿وَأَرْعَوْا أَعْمَامَكُمْ﴾ فيها، جمع نعم؛ وهي: الإبل والبقر والغنم، يقال: رعت الأنعام ورعيتها. والأمر للإباحة، وتذكير الثعمية، والجملة حال من ضمير «أخرجنا»؛ أي: مبيحين لكم الأكل ورعي الأنعام ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور هنا ﴿لَايْتٍ﴾ لعبراً ﴿لَأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ لأصحاب العقول، جمع «أهنية»؛ ك«عُرْفَة» و«عُرْف»؛ سُمِّيَ به العقل؛ لأنه ينهى صاحبه عن ارتكاب القبائح.

[٥٥] ﴿وَمِنْهَا﴾ أي: من الأرض ﴿خَلَقْنَاكُمْ﴾ بخلق أبيكم آدم منها ﴿وَمِنْهَا نُبَيِّدُكُمْ﴾ مقبورين بعد الموت ﴿وَمِنْهَا نَخْرِقُكُمْ﴾ عند البعث ﴿تَارَةً﴾ مرة ﴿أُخْرَى﴾ كما أخرجناكم عند ابتداء خلقكم.

[٥٦] ﴿وَلَقَدْ آرَيْنَا﴾ أي: أبصرنا فرعون ﴿أَيِّنَّا كُلَّهَا﴾ التسع ﴿فَكَذَّبَ﴾ بها وزعم أنها سحر ﴿وَأَنَّى﴾ أن يوحد الله - تعالى - .

[٥٧] ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا﴾ مصر، ويكون لك الملك فيها ﴿بِسِحْرِكَ يَمْؤِسُونَ﴾.

[٥٨] ﴿فَلَنَأْيِتَنَّكَ بِسِحْرِ مَثَلِهِ﴾ يعارضه ﴿فَأَجْعَل بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا﴾ لذلك ﴿لَا تُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا﴾ منصوب بنزع الخافض في ﴿[سِيؤى]﴾ بكسر أوله وضمه^(١)؛ أي: وسطاً تستوي إليه مسافة الجائي من الطرفين.

[٥٩] ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ﴾ يوم عيد لهم يتزينون فيه ويجتمعون ﴿وَأَن يُخَيَّرَ النَّاسُ﴾ يجمع أهل مصر ﴿ضَحَى﴾ وقته للنظر فيما يقع.

[٦٠] ﴿فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ﴾ أدبر ﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُ﴾ أي: ذوي كيده من السحرة ﴿ثُمَّ أَقْبَلَ﴾ بهم الموعد.

[٦١] ﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَى﴾ وهم اثنان وسبعون^(٢) مع كل واحد جبل وعصا: ﴿وَيْتَلَّكُمْ﴾ أي: أترمكم الله الويل ﴿لَا تَقْرَأُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ يشارك أحد معه ﴿فَيَسْجُدْكُمْ﴾ بضم الياء وكسر الحاء ويفتخهما^(٣)؛ أي: يهلككم ﴿بِعَذَابٍ﴾ من عنده ﴿وَقَدْ خَابَ﴾ خسر ﴿مَنْ أَفْتَرَى﴾ كذب

قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَصِلُ رَبِّي وَلَا يَنْسَى الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَبَّحُكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ بَنَاتِ شَقْتٍ كُؤُلًا وَأَرْعَوْا أَعْمَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لَأُولِي الْأَلْبَابِ وَمِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَمِنْهَا نُبَيِّدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى وَلَقَدْ آرَيْنَا فِرْعَوْنَ أَجِئْتَنَا لِنُخْرِجَنَّكَ مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَمْؤِسُونَ فَكَذَّبَ وَأَنَّى قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَمْؤِسُونَ فَلَنَأْيِتَنَّكَ بِسِحْرِ مَثَلِهِ فَاجْعَل بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا تُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوَّى قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَن يُخَيَّرَ النَّاسُ ضَحَى فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَقْبَلَ قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيَتَلَّكُمْ لَآتَفَتْنَا وَعَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيَسْجُدْكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ أَفْتَرَى فَتَسْتَرْعَوْا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا التَّجْوَى قَالُوا إِن هَذَا لَسِحْرَانِ بَرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرَفَيْكُمْ الْمَثَلِ فَاجْمَعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ أَتُوا صَفًا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ أَسْتَعْلَى

على الله.

[٦٢] ﴿فَتَسْتَرْعَوْا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾ في موسى وأخيه ﴿وَأَسْرُوا التَّجْوَى﴾ أي: الكلام بينهم فيما [٦٣] ﴿قَالُوا﴾ لأنفسهم: ﴿إِن هَذَا لَسِحْرَانِ﴾ لأبي عمرو، ولغيره: «هذان»^(٤)، وهو موافق للغة من يأتي في المثني بالألف في أحواله الثلاث، ﴿لَسِحْرَانِ بَرِيدَانِ﴾ أن يُخْرِجَاكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرَفَيْكُمْ التَّلَّ: مؤنث «أمثل»؛ بمعنى: أشرف؛ أي: بأشرفكم، بميلهم إليهما لغابتهما.

[٦٤] ﴿فَاجْمَعُوا﴾^(٥) كَيْدَكُمْ من السحرة؛ بهمة وصل وفتح الميم من جمع؛ أي: لَمْ، وبهزمة قطع وكسر الميم من أجمع: أحكم ﴿ثُمَّ أَتُوا صَفًا﴾ حال؛ أي: مصطفين ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ﴾ فاز ﴿الْيَوْمَ مَنْ أَسْتَعْلَى﴾ غلب.

(١) بالكسر قراءة نافع والكسائي وابن كثير وأبي عمرو.

(٢) سبق أن الأولى في مثل هذه المواطن التي لم يصرح فيها دليل الاقتصار على موضع العبرة والفائدة، فلو كان في العلم بعدهم فائدة لبيَّه الله الكريم.

(٣) يفتخهما قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة.

(٤) فيها ثلاث قراءات سبعة. غير قراءة أبي عمرو وهي سبعة أيضاً. الأولى: «إِن هَذَا» بتخفيف «إِن» وتشديد نون «هَذَا»، وهي قراءة ابن كثير، مع اللد المشع. والثانية: تخفيف «إِن» ونون «هَذَا»، وهي قراءة حفص، والثالثة: تشديد نون «إِن» وتخفيف نون «هَذَا»، وهي قراءة الباقين.

(٥) وهي قراءة أبي عمرو، وقرأ الباقون بهزمة قطع وكسر الميم «أجمعوا».

حيات ﴿تَتَّقِي﴾ على بطونها.

[٦٧] ﴿فَأَوْجَسَ﴾ أحس ﴿فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾ أي: خاف من جهة

أن سحرهم من جنس معجزته أن يلتبس أمره على الناس؛ فلا يؤمنوا به.

[٦٨] ﴿فَلَمَّا﴾ له: ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾ عليهم بالغبلة.

[٦٩] ﴿وَأَلْقَى مَا فِي بَيْتِكَ﴾ وهي عصاه ﴿لَتَقْفَ﴾ تنلع ﴿مَا صَعَوْا إِنَّمَا صَعَوْا كَيْدَ سِحْرٍ﴾ أي: جنسه ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَقَى﴾ بسحره؛ فألقى موسى عصاه؛ فتلقت كل ما صنعوه.

[٧٠] ﴿فَأَلْقَى السَّحْرَةَ سِحْرًا﴾ خروا ساجدين لله - تعالى - ﴿فَالرَّاءِ أَمَّا رَبِّي هَرُونَ وَمُوسَى﴾.

[٧١] ﴿قَالَ﴾ فرعون: ﴿[أَمْثَلُمْ]﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية

ألفاً^(١) ﴿لَمْ يَلَمْ أَنَّنْ عَدَانَا﴾ أنا ﴿لَكُمْ إِنَّهُ لَكَيْدٌ كَرِيمٌ﴾ معلمكم ﴿الَّذِي عَلَّمَكُمُ

السِّحْرَ فَلَا تَقِفُونَ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ﴾ حال؛ بمعنى: مختلفة؛ أي:

الأيدي اليمنى والأرجل اليسرى ﴿وَلَا صَلَبْتُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَتَعَامَنَ

﴿وَلَعَلَّكُمْ إِنَّمَا﴾ يعني نفسه ورث موسى ﴿أَشَدَّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾ أدام على

مخالفته.

[٧٢] ﴿فَالرَّاءِ لَنْ نُؤْزِرَكَ﴾ نخنارك ﴿عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْآيَاتِ﴾ الدالة

على صدق موسى ﴿وَالَّذِي فَطَرَنَا﴾ خلقنا، قسم، أو: عطف على ﴿مَا﴾

﴿فَأَقِمْ مَا أَنْتَ قَائِمٌ﴾ أي: اصنع ما قلته ﴿إِنَّمَا نَقُضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾

الصب^(٢) على الاتساع^(٣)؛ أي: فيها، وتجرى عليه في الآخرة.

[٧٣] ﴿إِنَّمَا نَأْمُرُ بِرَبِّنَا لِنَعْفِرَ لَنَا خَطِيئَاتِنَا﴾ من الإشراك وغيره ﴿وَمَا

أَكْرَهْنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ﴾ تعلمنا وعملاً؛ لمعارضة موسى ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ﴾ منك

نوابها إذا أطيع ﴿وَأَبْقَى﴾ منك عذاباً إذا غصبي.

[٧٤] قال - تعالى -: ﴿إِنَّهُمْ مِنْ بَابِ رَبِّهِمْ كُفْرًا﴾ كافراً؛ كفرعون ﴿فَإِنَّ لَهُمْ

جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُونَ فِيهَا﴾ فيستريح ﴿وَلَا يَحْيَوْنَ﴾ حياة تنفعه.

[٧٥] ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مَوْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ﴾ الفرائض والنوافل ﴿فَأُولَئِكَ

لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى﴾ جمع «علية» مؤنث «أعلى».

[٧٦] ﴿حَبَّتْ عَيْنٌ﴾ أي: إقامة، بيان له^(٤) ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ

فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى﴾ تظهر من الذنوب.

قَالُوا يَمْوَسِيَّ إِنَّمَا أَنْ تُلْقِيَ وَإِنَّمَا أَنْ نَكُونَ أَوْلَىٰ مِنْ أَلْفٍ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْفُوا فَإِذَا جَاءَهُمْ وَعَصِيَّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى ﴿٦٧﴾ فَلَمَّا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ﴿٦٨﴾ وَأَلْقَى مَا فِي بَيْتِكَ تَلَقَّفَ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدَ سِحْرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَقَى ﴿٦٩﴾ فَأَلْقَى السَّحْرَةَ سِحْرًا قَالُوا أَمَّا رَبِّي هَرُونَ وَمُوسَى ﴿٧٠﴾ قَالَ أَمَّا رَبِّي أَنَّنْ عَدَانَا لَكُمُ إِنَّهُ لَكَيْدٌ كَرِيمٌ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَا تَقِفُونَ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَا صَلَبْتُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَتَعَامَنَ أَيُّهَا أَشَدَّ عَذَابًا وَأَبْقَى ﴿٧١﴾ قَالُوا لَنْ نُؤْزِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْآيَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَأَقِمْ مَا أَنْتَ قَائِمٌ إِنَّمَا نَقُضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٧٢﴾ إِنَّمَا نَأْمُرُ بِرَبِّنَا لِنَعْفِرَ لَنَا خَطِيئَاتِنَا وَمَا أَكْرَهْنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَبِيرٌ وَأَبْقَى ﴿٧٣﴾ إِنَّهُ مِنْ بَابِ رَبِّهِمْ كُفْرًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ﴿٧٤﴾ وَمَنْ يَأْتِهِ مَوْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ﴿٧٥﴾ حَبَّتْ عَيْنٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى ﴿٧٦﴾

[٦٥] ﴿قَالُوا يَمْوَسِيَّ﴾ اختر ﴿إِنَّمَا أَنْ تُلْقِيَ﴾ عصاك أولاً ﴿وَأِنَّمَا أَنْ

تَكُونَ أَوْلَىٰ مِنْ أَلْفٍ﴾ عصاه.

[٦٦] ﴿قَالَ بَلْ أَلْفُوا﴾ فآلفوا ﴿فَإِذَا جَاءَهُمْ وَعَصِيَّهُمْ﴾ أصله: «غضووه»؛

قلبت الواو إناءين، وكسرت العين والصاد ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا﴾

(١) راجع التعليق على الآية (١٢٣) من سورة الأعراف.

(٢) أي نصب «هذه» المبدل منها: «الحياة الدنيا».

(٣) أي في اللغة؛ أي: نُصبت بنوع الحافظ؛ بتقدير: «إنما نقضي في هذه الحياة الدنيا»؛ وهذا خلافاً لما كثر وأطرد؛ حيث يكثر ويطرده حذف الجار مع «أن» و«أن»، ويأتي الحذف في غيرهما قليلاً

على سبيل الاتساع والتشعُّب، كما ذكر ابن هشام في «معنى اللبيب».

(٤) أي لقوله: «الدرجات العلية».

[٧٧] ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي﴾ بهمة قطع من «أسرى»، وبهمة وصل وكسر النون^(١) من «سرى» لغتان؛ أي: سر بهم ليلاً من أرض مصر ﴿فَأَضْرَبَ لَهم﴾ اجعل لهم بالضرب بعصاك ﴿طَرِيقًا فِي الْيَمِّ يَبَسًا﴾ أي: يابسا؛ فامتثل ما أمر به، وأيسر الله الأرض؛ فمروا فيها ﴿لَا تَخَفْ دُرُوكَ﴾ أي: أن يدركك فرعون ﴿وَلَا تَخَفْ غَرَقًا﴾

[٧٨] ﴿فَأَنبَهُمُ فرعونُ بِجُنُودِهِ﴾ وهو معهم ﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ اللَّيْلِ﴾ أي: البحر ﴿مَما غَشِيَهُم﴾ فأغرقتهم.

[٧٩] ﴿وَأَصْلُ فرعونُ قَوْمَهُ﴾ بدعائهم إلى عبادته ﴿وَمَا هَدَىٰ﴾ بل أوقعهم في الهلاك خلاف قوله: ﴿وَمَا أَهْدَيْكَ إِلَّا سَبِيلَ الشَّاكِرِينَ﴾^(٢).

[٨٠] ﴿يَبِيئِ إِسْرَائِيلَ﴾ أي: يئس من عدوك فرعون ياغراه ﴿وَوَاعَدْتِكَ سَيِّبَ الْآلُورِ الْأَيْمَنِ﴾ فتوتى موسى التوراة للعمل بها ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْمَنَ وَالسَّلْوَى﴾ هما «الثورجيين» و«الشماني»؛ بتخفيف الميم والقصر، والمنادى من وجد من اليهود زمن النبي ﷺ، وخوطبوا بما أنعم الله به على أجدادهم زمن النبي موسى توطئة لقلوه - تعالى - لهم: [٨١] ﴿كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ أي: ألتئم به عليكم ﴿وَلَا تَطغَوْا فِيهِ﴾ بأن تكفروا النعمة به ﴿فَيَجْلَ عَلَيْكَ عَضْبِي﴾ بكسر الحاء؛ أي: يجب، وبضمها^(٣)؛ أي: ينزل ﴿وَمَن يَجْلَلِ عَلَيْهِ عَضْبِي﴾ بكسر اللام وضمها^(٤) ﴿فَقَدْ هَوَىٰ﴾ سقط في النار.

[٨٢] ﴿وَأِنِّي لَعَفَّارٌ لِّمَن تَابَ﴾ من الشرك ﴿وَمَمن﴾ وحَّد الله ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ يصدق بالفرض والنقل ﴿ثُمَّ أَهْتَدَى﴾ باستمراره على ما ذكر إلى موته.

[٨٣] ﴿وَمَا أَصْحَابُكَ عَن قَوْمِكَ﴾ لحيء ميعاد أخذ التوراة^(٥) ﴿يَلْمُوسَى﴾

[٨٤] ﴿قَالَ هُم أَوْلَاءُ﴾ أي: بالقرب مني يأتون ﴿عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ عني؛ أي: زيادة في رضاك، وقيل الجواب، أتى بالاعتذار^(٦) بحسب ظنه، وتخلف المظنون لما: [٨٥] ﴿قَالَ﴾ - تعالى -: ﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِن بَعْدِكَ﴾ أي: بعد فراقك لهم ﴿وَأَسْلَمُ السَّامِرِيُّ﴾ فعبدوا العجل.

[٨٦] ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ﴾ من جهتهم ﴿أَسْفًا﴾ شديد الحزن.

﴿قَالَ يَقُولُ آلَهُم يَعِدُكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسًّا﴾ أي: صدقا أنه يعطيكم التوراة ﴿أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ﴾ مدة مفارقتي إياكم ﴿أَمْ أَرَدْتُمْ أَن يَجِلَّ﴾ يجب ﴿عَلَيْكُمُ عَضْبٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ بعبادتكم العجل ﴿فَأَخْلَقْتُم مَّوْعِدِي﴾ وتركتم الحجيء بعدي.

(١) بهمة وصل وكسر النون قراءة نافع وابن كثير.

(٢) غافر: ٢٩.

(٣) بالضم قراءة الكسائي وقرأ الباقون بالكسر.

(٤) بالضم قراءة الكسائي وقرأ الباقون بالكسر.

(٥) أي شيء جعلك متعجلا عن قومك سابقا لهم؟

(٦) عن سبقه لقومه.

(٧) بالكسر قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وبالضم قراءة حمزة والكسائي.

(٨) بالفتح قراءة حمزة والكسائي وأبي عمرو وشعبة.

(٩) وقيل: إن الحلي كان ليني (إسرائيل)، وراجع ما تقدم في تفسير آية الأعراف رقم (١٤٨).

وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرَبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَفْ دُرُوكَ وَلَا تَخَشَى ۗ فَأَتَّبَهُمُ فرعونُ

بِحُنُودِهِ فَغَشِيَهُم مِّنَ اللَّيْلِ مَا عَشَيْتُمْ ۗ وَأَصْلُ فرعونُ قَوْمَهُ ۗ وَمَا هَدَى ۗ يَبِيئِ إِسْرَائِيلَ يَل قَدْ آمَنَّا بِكَ مِّنْ عَدُوِّكَ وَعَدْنَاكَ

جَانِبَ الظُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْمَنَ وَالسَّلْوَى ۗ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكَ عَضْبِي ۗ

وَمَن يَجْلَلِ عَلَيْهِ عَضْبِي فَقَدْ هَوَى ۗ وَإِنِّي لَعَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامِنٌ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ أَهْتَدَى ۗ وَمَا أَصْحَابُكَ عَن قَوْمِكَ

يَلْمُوسَى ۗ قَالَ هُم أَوْلَاءُ عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى ۗ قَالَ إِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِن بَعْدِكَ وَأَضْلَهُمُ

السَّامِرِيُّ ۗ فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسْفًا قَالَ يَقُولُ آلَهُم يَعِدُكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسًّا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ

أَمْ أَرَدْتُمْ أَن يَجِلَّ عَلَيْكُمْ عَضْبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَقْتُم مَّوْعِدِي ۗ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حُمُلْنَا

أُوزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَدْ فَتَنَّا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ۗ

[٨٧] ﴿قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا﴾ مثلت الميم^(٧)؛ أي: بقدرتنا أو

أمرنا ﴿وَلَكِنَّا﴾ حتملنا ﴿بفتح الحاء مخففاً، وبضمها وكسر الميم مشدداً^(٨)﴾

﴿أُوزَارًا﴾ أثقالاً ﴿مِن زِينَةِ الْقَوْمِ﴾ أي: خلقي قوم فرعون، استعارها منهم

بنو إسرائيل بعلية حموس^(٩)؛ فقيت عندهم ﴿فَقَدْ فَتَنَّا﴾ طرحناها في النار بأمر

السامري ﴿فَكَذَلِكَ﴾ كما ألقينا ﴿أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾ ما معه من حليهم، ومن

التراب الذي أخذه من أثر حافر فرس جبريل على الوجه الآتي:

[٩٠] ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَدْرُونَ مِنْ قَبْلُ أَي: قبل أن يرجع موسى: ﴿يَقُولُونَ إِنَّمَا قُتِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَالْيَعُونِي﴾ في عبادته ﴿وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾ فيها.

[٩١] ﴿قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ﴾ نزال ﴿عَلَيْهِ عَذَابَيْنِ﴾ على عبادته مقيمين ﴿حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾.

[٩٢] ﴿قَالَ﴾ موسى بعد رجوعه: ﴿يَهْرُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا﴾ بعبادته [٩٣] ﴿أَهْنُ﴾ لا تتبعن ﴿لَا تَتَّبِعْنَ﴾ لا زائدة ﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾ بإقامتك بين من يعبد غير الله - تعالى ١٩.

[٩٤] ﴿قَالَ﴾ هارون: ﴿يَتَّبِعُونَ﴾ بكسر الميم وفتحها (١)؛ أراد أمي، وذرّتها أعطفت لقلبه ﴿لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي﴾ وكان أخذها بشماله ﴿وَلَا بِرَأْسِي﴾ وكان أخذ شعره يمينه غضباً ﴿إِنِّي خَشِيتُ﴾ لو اتبعتك، ولا بد أن يتبعني جمع ممن لم يعبدوا العجل ﴿أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ وتغضب عليّ ﴿وَلَمْ تَرْفَعْ﴾ تنتظر ﴿قَوْلِي﴾ فيما رأيته في ذلك.

[٩٥] ﴿قَالَ قَمَا خَطْبُكَ﴾ شأنك الداعي إلى ما صنعت ﴿بِئْسَ مِثْرِي﴾؟

[٩٦] ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾ بالياء والناء (٢)؛ أي: علمت ما لم يعلموه ﴿فَقَبِضْتُ قَبْضَةً مِّنْ﴾ تراب ﴿أَثَرِي﴾ حافر فرس ﴿الرَّسُولِ﴾ جبريل ﴿فَقَبِضْتُهَا﴾ ألفتها في صورة العجل المصاغ (٣) ﴿وَكَذَلِكَ سَوَّلْتُ لِي نَفْسِي﴾ وألقيت فيها أن أخذ قبضة من تراب ما ذكر، وألقىها على ما لا روح له يصير له روح، ورأيت قومك طلبوا منك أن تجعل لهم إلهاً؛ فحدثني نفسي أن يكون ذلك العجل إلههم (٤).

[٩٧] ﴿قَالَ﴾ له موسى: ﴿فَأَذْهَبْ﴾ من بيننا ﴿فَأَنَّكَ لَكِ فِي الْحَيَاةِ﴾ أي: مدة حياتك ﴿أَنْ تَقُولَ﴾ لمن رأيته: ﴿لَا يَسَاسُ﴾ أي: لا تقربني؛ فكان يهيم في البرية، وإذا مس أحداً أو مسه أحدٌ حقاً جميعاً (٥) ﴿وَأَنَّ لَكَ مَوْعِدًا﴾ لعذابك ﴿لَنْ تُخْلِفَهُ﴾ بكسر اللام، أي: لن تغيب عنه، وفتحها (٦)؛ أي: بل تعث إليه ﴿وَأَنْظُرْ إِلَىٰ إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ﴾ أصله ﴿ظَلَلْتَ﴾؛ بالهم، أولهما مكسورة حذف تخفيفاً؛ أي: دمت ﴿عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾ أي: مقيماً تبعده ﴿لَتَحْرَقَنَّهُ﴾ بالنار ﴿ثُمَّ لَنَسْفَعُنَّهُ فِي آيَاتِنَا﴾ سَفَعًا ﴿ثُمَّ لَنُرِيتهُ فِي هَوَاءِ الْبَحْرِ﴾ وفعل موسى بعد ذبحه (٨) ما ذكره.

[٩٨] ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ تمييز محوّل عن الفاعل؛ أي: وسع علمه كل شيء.

فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا آلِهَةً وَّحُورًا فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنسَى ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَدْرُونَ مِنْ قَبْلُ يَقُولُونَ إِنَّمَا قُتِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَالْيَعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿٩٠﴾ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَذَابَيْنِ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَهْرُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعِينَ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُهُ لَّا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْفَعْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ بِئْسَ مِثْرِي ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلْتُ لِي نَفْسِي ﴿٩٦﴾ قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّنُخْلِفَهُ وَنُنظِرُ إِلَىٰ إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾

[٨٨] ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا﴾ صاغه من الحلي ﴿جَسَدًا﴾ لحمًا ودماً ﴿وَلَهُ حُورٌ﴾ أي: صوت يُسمع؛ أي: انقلب كذلك بسبب التراب الذي أثاره الحياة فيما يوضع فيه، ووضعه بعد صوغه في فيه ﴿فَقَالُوا﴾ أي: السامري وأتباعه: ﴿هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسَى﴾ موسى ربه هنا، وذهب بطلبه. [٨٩] قال - تعالى: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ﴾، ن، مخففة من الثقيلة، واسمها محذوف؛ أي: أنه ﴿لَّا يَرْجِعُ﴾ العجل ﴿إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾ أي: لا يرد لهم جواباً ﴿وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا﴾ أي: دفعه ﴿وَلَا نَفْعًا﴾ أي: جلبه؛ أي: فكيف يُخَذُّ إِلَهُي؟!.

(١) هذا قول الحسن البصري وقادة، واختاره الجلال الحلبي هنا. وقال مجاهد: بل كانت الريح إذا دخلت من دُبره، خرجت من فمه فيخور كما تخور البقرة؛ أي لم يصر حيًا. ويشهد له ظاهر قوله: «جسدًا الذي يدل على أنه لا حياة فيه. وقيل غير ذلك. والله أعلم.

(٢) بالكسر قراءة حمزة والكسائي وابن عامر وشعبة. وقرأ الباقون بالفتح.

(٣) بالناء قراءة حمزة والكسائي وقرأ الباقون بالياء.

(٤) الصواب: «المصوغ»؛ لأنه من «صاغ» الثلاثي.

(٥) ما ذكره المفسر هنا يذكره عامة المفسرين، واختلفوا متى رأى السامري جبريل عليه السلام، وكيف اختص برؤيته ومعرفة من بين الناس، بينما ذهب بعض أهل العلم إلى: أن كل هذا ليس عليه آثاره من علم ولا يدل عليه التنزيل الكريم؛ ولذا فشره بعضهم بوجه آخر، وهو أن يكون المراد بالرسول: موسى عليه السلام، ويذكره: سنته ورسمه الذي أمر به، فكان السامري قال: عرفنا أنتم عليه ليس بحق، وقد كنت قبضت قبضة من أثرك أيها الرسول؛ أي: شيئاً من سنتك ودينك، فخذته؛ أي: طرحته، فصار ما صار. وإنما أورد بلفظ الإخبار عن غائب، كما يقول الرجل لرئيسه وهو مواجه له: ما يقول الأمير في كذا؟ وماذا بأمر الأمير؟ وأما دعواه موسى عليه السلام رسولاً مع جحده وكفره، فعلى مثل مذهب من حكى الله - تعالى - عنهم قولهم: ﴿يَكْفُرُ الَّذِي يُزِيلُ عَلَيْهِ الْأَكْذَرُ إِنَّكَ لَمَجْحُونٌ﴾، وإن لم يؤمنوا بالإنزال، فإله أعلم.

(٦) هذا أيضاً ما لا دليل صحيح يعتمد عليه، وشره البعض: بأن المراد المنع من أن يخالط أحداً أو يخالطه أحدٌ، عقوبة له، وشره آخرون: بأنه كتابة عن انقطاع نسله، فلا يكون له ولد يؤنسه؛ لأن المس يكنى به عن النكاح، فإله أعلم.

(٧) بالكسر قراءة ابن كثير وأبي عمرو، وقرأ الباقون بالفتح.

(٨) اختار الجلال الحلبي أنه عجل حي من لحم ودم. وسبق ذكر الخلاف في ذلك.

[٩٩] ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: كما قصصنا عليك يا محمد هذه القصة ﴿نَفْسٌ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ﴾ أخبار ﴿مَا قَدْ سَبَقَ﴾ من الأمم ﴿وَقَدْ آتَيْنَاكَ﴾ أعطيناك ﴿مِنْ لَدُنَّا﴾ من عندنا ﴿ذِكْرًا﴾ قرآنًا.
 [١٠٠] ﴿مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ﴾ فلم يؤمن به ﴿فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا﴾ حملاً ثقيلاً من الإثم.

[١٠١] ﴿خَلْدَيْنِ فِيهِ﴾ أي: في عذاب الوزر ﴿وَسَاءَ لِمَنْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جَنَاحٌ﴾ تمييزٌ مفسرٌ للضمير في «ساء»، والخصوص بالذم محذوف تقديره: «وزرهم»، واللام للبيان، ويبدل من ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: [١٠٢] ﴿يَوْمَ يُفْعَخُ فِي الْأَصْوَارِ﴾ القرن النفخة الثانية ﴿وَيُحْشَرُ الْمُجْرِمِينَ﴾ الكافرين ﴿يَوْمَ يُعَذِّبُ عَاثِمَهُمْ﴾ مع سواد وجوههم [١٠٣] ﴿يَسْخَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ يتساورون ﴿إِنْ مَا لَيْسَتْ﴾ في الدنيا ﴿إِلَّا عَشْرًا﴾ من الليالي بأيامها.

[١٠٤] ﴿تَنْعُنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ في ذلك؛ أي: ليس كما قالوا ﴿إِذْ يَقُولُ آمَنَّا لَهُمْ﴾ أعدلهم ﴿طَرِيقَةً﴾ فيه: ﴿إِنْ لَيْسَتْ إِلَّا يَوْمًا﴾ يستقلون لبثهم في الدنيا جدًا لما يعابونه في الآخرة من أهوالها.

[١٠٥] ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ﴾ كيف تكون يوم القيامة ﴿فَقُلْ لَهُمْ﴾ ﴿يَسْفَهُا رَبِّي نَسْفًا﴾ بأن يفتتها كالرمل السائل، ثم يطيرها بالرياح.

[١٠٦] ﴿فَيَذَرُهَا قَاعًا﴾ منبسطة ﴿صَفْصَفًا﴾ مستوية.

[١٠٧] ﴿لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا﴾ انخفاضًا ﴿وَلَا أَمْتًا﴾ ارتفاعًا.

[١٠٨] ﴿يَوْمَ يُعَذِّبُ﴾ أي: يوم إذ نسفت الجبال ﴿يَتَّبِعُونَ﴾ أي: الناس بعد القيام من القبور ﴿الدَّاعِيَ﴾ إلى الخشر بصوته؛ وهو: إسرافيل، يقول: هلموا إلى عرض الرحمن ﴿لَا عِوَجَ لَهُمْ﴾ أي: لا تبعهم؛ أي: لا يقدر أن لا يتبعوا ﴿وَحَشَعَتِ﴾ سكنت ﴿الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ﴾ فلا تسمع إلا همسًا ﴿صَوْتِ وَطءِ الْأَقْدَامِ﴾ في نقلها إلى الخشر؛ كصوت أخفاف الإبل في مشيها^(١).

[١٠٩] ﴿يَوْمَ يُعَذِّبُ لَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ أَحَدًا﴾ إلا من أذن له الرحمن ﴿أَنْ يَشْفَعَ لَهُ﴾ ويرضى له ﴿قَوْلًا﴾ بأن يقول: لا إله إلا الله.

[١١٠] ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ من أمور الآخرة ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ من أمور الدنيا ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ﴾ علمًا لا يعلمون ذلك.

[١١١] ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾ أي: الله ﴿وَقَدْ خَابَ﴾ خسر ﴿مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ أي: شirkًا.

كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَلْدَيْنِ فِيهِ وَسَاءَ لِمَنْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جَنَاحٌ ﴿١٠١﴾ فِي الْأَصْوَارِ وَيُحْشَرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَ يُعَذِّبُ رُفْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَيْسَتْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ تَنْعُنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْ أَلْهَمْهُمُ طَرِيقَةً إِنْ لَيْسَتْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَ يُعَذِّبُ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَعِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَ يُعَذِّبُ لَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ إِلَّا مَنْ أِذْنُ لَهُ الرَّحْمَنِ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِرٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾ وَكَذَلِكَ عَلَى كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَفْنَا عَنْهُمْ غَوًى لَعَلَّهُمْ يَنْفَرُونَ ﴿١١٣﴾ أَوْ يُحَدِّثُ الْقُرْآنَ لَهُمْ ذِكْرًا يَهْلِكُ مِنْ تَقْدِيمِهِمْ مِنَ الْأُمَمِ فَيَعْتَبِرُونَ.

[١١٢] ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ﴾ الطاعات ﴿وَهُوَ مُؤْمِرٌ﴾ فلا يخاف ظلمًا ﴿بزيادة في سيئاته﴾ ولا هضمًا ﴿نقص من حسناته﴾.

[١١٣] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ معطوف على ﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ أي: مثل إنزال ما ذكر ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾ أي: القرآن ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَفْنَا﴾ كررنا ﴿فِيهِ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ لغتهم بغير الشك ﴿أَوْ يُحَدِّثُ﴾ القرآن ﴿لَهُمْ ذِكْرًا﴾ يهلك من تقدمهم من الأمم؛ فيعتبرون.

(١) وقيل: هو همس الشفاه. وعلى كلا القولين: «فالهمس» هو الصوت الخفي.

[١٢٦] ﴿قَالَ: الْأَمْرُ ﴿كَذَلِكَ أَنْتَ﴾ أَيْنَمَا قَسَيْتَهَا ﴿تُرْكُهَا وَلَمْ تُوْمِنْ﴾ بِهَا ﴿وَكَذَلِكَ﴾ مثل نسيانك آياتنا ﴿أَيُّومٌ نُنسِي﴾ تُرْكُ فِي النَّارِ.

[١٢٧] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ ومثل جزائنا من أعرض عن القرآن ﴿يَجْزِي مَنْ أَشْرَفَ﴾ أشرك ﴿وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ﴾ وَلَعْدَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ مِنْ عَذَابِ الدُّنْيَا وَعَذَابُ الْقَبْرِ ﴿وَأَيُّومٌ﴾ أَدُومٌ.

[١٢٨] ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ﴾ بينن ﴿لَهُمْ﴾ لكفار مكة ﴿كَمْ﴾ خبرية مفعول ﴿أَهْلَكْنَا﴾ أي: كثيرا إهلاكنا ﴿فَبَلَّغَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ﴾ أي: الأمم الماضية؛ بتكذيب الرسل ﴿يَمْسُونَ﴾ حال من ضمير ﴿لَهُمْ﴾ ﴿فِي مَسْكِنِهِمْ﴾ في سفرهم إلى الشام وغيرها؛ فيعتبروا، وما ذكر^(١) من أخذ^(٢): «إهلاك» من فعله الخالي عن حرف مصدرى؛ لرعاية المعنى لا مانع منه^(٣) ﴿وَإِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾ لعبارة ﴿لَأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ لذوي العقول.

[١٢٩] ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ بتأخير العذاب عنهم إلى الآخرة ﴿لَكَانَ﴾ الإهلاك ﴿لِرِأْسَاءِ﴾ لازما لهم في الدنيا ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ مضروب لهم، معطوف على الضمير المستتر في «كان»، وقام الفصل بخبرها مكان التأكيدي.

[١٣٠] ﴿فَأَصْبِرْ عَلَيَّ مَا يَقُولُونَ﴾ منسوخ بآية القتال ﴿وَسَبِّحْ﴾ ضَلَّ ﴿يَحْمَدُ رَبَّكَ﴾ حال؛ أي: متلبسا به ﴿فَقَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾ صلاة الصبح ﴿وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ صلاة العصر ﴿وَمِنْ أَنَاءِ اللَّيْلِ﴾ ساعاته ﴿فَسَبِّحْ﴾ ضَلَّ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ ﴿وَأَطْرَافِ النَّهَارِ﴾ عطف على محل ﴿وَمِنْ أَنَاءِ النَّهَارِ﴾ المنصوب؛ أي: ضل الظهر؛ لأن وقتها يدخل بزوال الشمس؛ فهو طرف النصف الأول، وطرف النصف الثاني ﴿لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾ بما تُعْطَى مِنَ الثَّوَابِ.

[١٣١] ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا﴾ أصنافا ﴿مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْجَنَّةِ الدُّنْيَا﴾ زينتها وبهجتها ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ بأن يطغوا ﴿وَوَرِّقُ رَبِّكَ﴾ في الجنة ﴿خَيْرٌ﴾ مما أوتوه في الدنيا ﴿وَأَيُّوبَ﴾ أَدُومٌ.

[١٣٢] ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ﴾ اصبر ﴿عَلَيْهَا﴾ لَا تَسْتَكْثِرْ نِكْلَفَكَ ﴿رِزْقًا﴾ لنفسك ولا لغريك ﴿نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ﴾ الجنة ﴿لِلنَّفُورِ﴾ لأهلها.

[١٣٣] ﴿وَقَالُوا﴾ المشركون ﴿لَوْلَا﴾ هَلَّا ﴿يَأْتِينَا﴾ محمد ﴿بِآيَاتٍ مِنْ رَبِّهِ﴾، مما يقترحونه ﴿أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ﴾ بالباء والياء^(٤) ﴿بَيِّنَاتٌ﴾ بيان ﴿مِمَّا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ المشتمل عليه القرآن؛ من آباء الأمم الماضية، وإهلاكهم بتكذيب الرسل.

[١٣٤] ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ﴾ قبل محمد الرسول

﴿قَالَ كَذَلِكَ أَنْتَ﴾ أَيْنَمَا قَسَيْتَهَا ﴿وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى﴾

﴿وَكَذَلِكَ يَجْزِي مَنْ أَشْرَفَ﴾ وَأَمْزُومٌ مِنْ بَيِّنَاتِ رَبِّهِ ﴿وَلَعْدَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَقْبَى﴾ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ

يَمْسُونَ فِي مَسْكِنِهِمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لَأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿وَأَيُّومٌ﴾ وَأَوْلَىٰ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِرِأْسَاءِ وَأَجَلٌ مُسَمًّى ﴿وَأَصْبِرْ عَلَيَّ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ أَنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافِ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْجَنَّةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَقْبَى ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْتَكْثِرْ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلنَّفُورِ﴾ وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَاتٍ مِنْ رَبِّهِ أَوْلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَاتٌ مِمَّا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَعَلَّ أُولَئِكَ لَوْ لَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نُنزِّلَ وَنُخْرِجِي﴾ قُلْ كُلُّ مُرْصِدٍ فَرْتَصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى ﴿وَمَنْ أَهْتَدَى﴾

﴿لَقَالُوا﴾ يوم القيامة: ﴿رَبَّنَا لَوْلَا﴾ هَلَّا ﴿أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ﴾ المرسل بها ﴿وَمِنْ قَبْلِ أَنْ نُنزِّلَ﴾ في القيامة ﴿وَنُخْرِجِي﴾ فِي جَهَنَّمَ.

[١٣٥] ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿كُلُّ﴾ منا ومنكم ﴿مُرْتَضٍ﴾ منظر ما يقول إليه الأمر ﴿فَرْتَصُوا فَسَتَعْلَمُونَ﴾ في القيامة ﴿مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ﴾ الطريق ﴿السَّوِيِّ﴾ المستقيم ﴿وَمَنْ أَهْتَدَى﴾ من الضلالة أنحن أم أنتم؟

(١) في تفسير: «كم أهلكنا».

(٢) أي: أخذ المصدر.

(٣) أي: لا مانع منه لغة.

(٤) أي: على الصلاة؛ بإقامتها بحدودها وأركانها وخشوعها؛ فإن ذلك شاق على النفس، ولكن ينبغي جهادها على ذلك والصبر معها. فالضمير في قوله: «عليها» يرجع إلى الصلاة، وليس إلى «أهلك».

(٥) بالياء قراءة حمزة والكسائي وابن كثير وابن عامر وشعبة.

سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾
 مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُخَدَّثٍ إِلَّا أَسْتَمَعُوهُ وَهُمْ
 يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسْرَأَ النَّجْوَى الَّذِينَ
 ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ
 تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ
 وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٤﴾ بَلْ قَالُوا أَضْغَثٌ أَحْلَمَ بَلِ
 أَفْتَرْتَهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوْلُونَ
 ﴿٥﴾ مَا آمَنَّا قَبْلَهُمْ مِنْ قَوْمٍ أَهْلَكْنَا أَفَهُمْ يَوْمِنُونَ
 ﴿٦﴾ وَمَا أُرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَسَلُوا أَهْلَ
 الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا
 لِيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقْنَاهُمْ
 الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾
 لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾

سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ

[مكية، وهي: مائة وإحدى عشرة، أو: واثنان عشرة آية،
 نزلت بعد سورة إبراهيم]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿أَقْرَبَ﴾ قرب ﴿لِلنَّاسِ﴾ أهل مكة منكري البعث
 ﴿حِسَابُهُمْ﴾ يوم القيامة ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ عنه ﴿مُعْرِضُونَ﴾ عن التأهب له
 بالإيمان.
 [٢] ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُخَدَّثٍ﴾ شيئا فشيئا؛ أي: لفظ
 قرآن^(١) ﴿إِلَّا أَسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ يستهزئون.
 [٣] ﴿لَاهِيَةً﴾ غافلة ﴿قُلُوبُهُمْ﴾ عن معناه ﴿وَأَسْرَأَ النَّجْوَى﴾ الكلام
 ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بدل من وار ﴿وَأَسْرَأَ النَّجْوَى﴾ ﴿هَذَا هَذَا﴾ أي:
 محمد ﴿إِلَّا بَشْرٌ مِثْلُكُمْ﴾ فما يأتي به سيغز ﴿أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ﴾

تبعونه ﴿وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ تعلمون أنه سحر.
 [٤] ﴿قَالَ﴾ لهم: ﴿رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ﴾ كائنا ﴿فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ
 السَّمِيعُ﴾ لما أسروه ﴿الْعَلِيمُ﴾ به.
 [٥] ﴿بَلْ﴾ للانتقال من غرض إلى آخر في المواضع الثلاثة ﴿قَالُوا﴾ فيما
 أتى به من القرآن: هو ﴿أَضْغَثٌ أَحْلَمٌ﴾ أخلط رآها في النوم ﴿بَلِ
 أَفْتَرْتَهُ﴾ اختلقه ﴿بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾ فما أتى به سيغز ﴿فَلْيَأْتِنَا بآيَةٍ كَمَا
 أُرْسِلَ الْأَوْلُونَ﴾ كالناقة والعصا واليد.
 [٦] قال تعالى: ﴿مَا آمَنَّا قَبْلَهُمْ مِنْ قَوْمٍ أَهْلَكْنَا﴾ أهلها ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ﴾
 بتكذيبها ما أتاه من الآيات ﴿أَفَهُمْ يَوْمِنُونَ﴾؟ لا.
 [٧] ﴿وَمَا أُرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي﴾ وفي قراءة: بالياء وفتح
 الحاء^(٢) ﴿لِيُوْحِي﴾ لا ملائكة ﴿فَسَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ العلماء بالنبوة والإنجيل
 ﴿إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ذلك؛ فإنهم يعلمونه، وأنتم إلى تصديقهم أقرب
 من تصديق المؤمنين بمحمد^(٣).
 [٨] ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ﴾ أي: الرسل ﴿جَسَدًا﴾ بمعنى: أجسادا ﴿لَا
 يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾ بل يأكلونه ﴿وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ﴾ في الدنيا.
 [٩] ﴿ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ﴾ بإنجائهم ﴿فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ﴾ المصدقين
 لهم ﴿وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ﴾ المكذبين لهم.
 [١٠] ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ لأنه
 بلغنكم ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ فتؤمنون به.

(١) وهذا على مذهب الأشاعرة الباطل أن القرآن معنى قائم بذات الرب، أما الألفاظ فمخلوقة، وأن كلام الله قديم، وأنه وصف قائم بالذات، وهذا خلاف مذهب السلف في كلام الله سبحانه وأنه
 تعالى لم يزل متكلمًا بمشيئة وإرادته بما شاء وكيف شاء، وكلامه بمشيئة من لوازم ذاته المقدسة.

(٢) لنافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ حمزة والكسائي كذلك لكن مع الإمالة، وقرأ حفص بالنون وكسر الحاء.

(٣) صلى الله عليه وسلم.

﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا
 آخَرِينَ﴾ [١١] ﴿فَلَمَّا أَحْسَبُوا أَنَّ بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾
 لَا تَرْكُضُوا وَأَرْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسْكِكُمْ لَعَلَّكُمْ
 تَسْأَلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا إِنَّا لَنَبَأُونَكُمَا بِمَا كُنَّا نَعْمَلُ لَكُمَا وَلَئِن لَّمْ
 نَدْعُوهُم حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَلِيفَتَيْنِ ﴿١٤﴾ وَمَا خَلَقْنَا
 السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعِيبِينَ ﴿١٥﴾ لَوِ آرَدْنَا أَنْ نَخْذَ
 لَهُمَا الْآخِذَ لَذُنُوبُهُمْ لَنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٦﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ
 عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴿١٧﴾ وَكَمْ أَوْلِي لَهُ مِمَّا يَصِفُونَ
 ﴿١٨﴾ وَلَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ
 عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ
 لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ أَوْ اتَّخَذُوا إِلَهًا مِنْ دُونِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٢١﴾
 لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَ اللَّهِ لَعَسَدًا فَمَسْحَنَ اللَّهُ رَبَّ الْعَرْشِ
 عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴿٢٣﴾ أَوْ اتَّخَذُوا
 مِنْ دُونِهِ آلَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَ هَذَا الَّذِي تَدْعُونَ مِنِّي وَذَكَرْ
 مِنْ قَبْلِي بَلْ كَثُرُوا لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾

[١١] ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا﴾ أهلنا ﴿مِنْ قَرْيَةٍ﴾ أي: أهلها ﴿كَانَتْ ظَالِمَةً﴾ كافرًا ﴿وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾.
 [١٢] ﴿فَلَمَّا أَحْسَبُوا أَنَّ بَأْسَنَا﴾ شعر أهل القرية بالإهلاك ﴿إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ﴾ يهربون مسرعين.
 [١٣] فقالت لهم الملائكة استهزاء: ﴿لَا تَرْكُضُوا وَأَرْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ﴾
 تُعْشَمُ ﴿فِيهِ وَمَسْكِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَسْأَلُونَ﴾ شيقًا من دنياكم على العادة.
 [١٤] ﴿قَالُوا يَا﴾ للتسبيح ﴿وَوَلَّيْنَا﴾ هلاكنا ﴿إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ بالكفر.
 [١٥] ﴿فَمَا زَلَّتْ يَلَاكُ﴾ الكلمات ﴿دَعَوْنَهُمْ﴾ يدعون بها ويرددونها
 ﴿حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا﴾ كالزرع المحصود بالمنجل؛ بأن قتلوا بالسيف
 ﴿خَلِيفَتَيْنِ﴾ ميتين؛ كخمود النار إذا طففت.
 [١٦] ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعِيبِينَ﴾ عابئين، بل الدين
 على قدرتنا ونافعين عبادنا.
 [١٧] ﴿لَوِ آرَدْنَا أَنْ نَخْذَ لَهُمَا﴾ ما يلقي به من زوجة أو ولد ﴿لَا تَخْذَنَّهُ﴾
 من لَدُنَّا؛ من عندنا؛ من المحور العين والملائكة ﴿إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ ذلك،
 لكننا لم نفعله، فلم نُرْده.
 [١٨] ﴿بَلْ نَقْذِفُ﴾ نرمي ﴿بِالْحَقِّ﴾ الإيمان ﴿عَلَى الْبَاطِلِ﴾ الكفر
 ﴿فَيَدْمَغُهُ﴾ يذهب ﴿فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ ذاهب، و﴿دَمَغُهُ﴾ في الأصل: أصاب
 دماغه بالضرب، وهو مَقْتُلٌ ﴿وَلَكُمُ﴾ يا كفار مكة ﴿الْوَيْلُ﴾ العذاب
 الشديد ﴿مِمَّا يَصِفُونَ﴾ الله به من الزوجة أو الولد.
 [١٩] ﴿وَلَهُ﴾ - تعالى - ﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ مُلْكًا ﴿وَمَنْ
 عِنْدَهُ﴾ أي: الملائكة، مبتدأ خبره: ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ﴾ وَلَا
 يَسْتَحْسِرُونَ﴾ لا يعيرون.
 [٢٠] ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ فهو كالتنفس ميثًا لا
 يشغلنا عنه شاغلًا.

[٢١] ﴿أَوْ﴾ بمعنى بل؛ للانتقال، والهمزة للإنكار ﴿اتَّخَذُوا إِلَهًا﴾
 كائنة ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ كحجر وذهب وفضة ﴿هُمْ﴾ أي: الآلهة ﴿يُنشِرُونَ﴾
 أي: يحيون الموتى؟! لا، ولا يكون إليها إلا من يحيي الموتى.
 [٢٢] ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا﴾ أي: السماوات والأرض ﴿إِلَٰهٌ إِلَّا اللَّهُ﴾ أي:
 غيره ﴿لَعَسَدًا﴾ أي: خرجنا عن نظامهما المشاهد؛ لوجود التمانع بينهم على
 وفق العادة عند تعدد الحاكم من التمانع في الشيء وعدم الاتفاق عليه^(١)
 ﴿فَسَبَّحْنَاهُ﴾ تنزيه ﴿اللَّهُ رَبُّ﴾ خالق ﴿الْعَرْشِ﴾ الكرسي^(٢) ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾
 الكفار الله به من الشريك له وغيره.

[٢٣] ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ عن أفعالهم.

[٢٤] ﴿أَوْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ﴾ - تعالى؛ أي: سواه ﴿إِلَٰهَةً﴾؟! فيه
 استفهام توبيخ ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ على ذلك ولا سبيل إليه ﴿هَذَا ذِكْرُ
 مَنْ مِنِّي﴾ أممي؛ وهو: القرآن ﴿وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي﴾ من الأمم؛ وهو: التوراة
 والإنجيل وغيرهما من كتب الله، ليس في واحد منها أن مع الله إليها مما قالوا -
 تعالى عن ذلك - ﴿بَلْ أَكْذِبُ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ﴾ توحيد الله ﴿فَهُمْ
 مُعْرِضُونَ﴾ عن النظر الموصل إليه.

(١) يشير بذلك إلى ما يذكره المتكلمون من دليل التمانع، وهو استدلال في غير محله، كما بين ذلك شارح الطحاوية، وذلك أنهم يستدلون بالآية على توحيد الربوبية وتفرد الخالق، بينما الآية في إثبات وحدانيته - سبحانه - في ألوهيته.

(٢) جرى الجلالان - السيوطي والخطي - على القول: بأن «العرش والكرسي» شيء واحد، والصحيح أن العرش غير الكرسي وأكبر منه. كما هو ظاهر الأحاديث، وراجع التعليقات على آية الكرسي رقم (٢٥٥) من سورة البقرة.

يَأْمُرُهُ يَعْملُونَ ﴿٢٥﴾ أي: بعده.

[٢٨] ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ ما عملوا وما هم عاملون ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ - تعالى - أن يشفع له ﴿وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ﴾ - تعالى - ﴿مُشْفِقُونَ﴾ خائفون.

[٢٩] ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ﴾ أي: الله؛ أي: غيره؛ وهو: إبليس دعا إلى عبادة نفسه وأمر بطاعتها ﴿فَذَلِكَ نَجْرِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ﴾ كما نجزيه ﴿نَجْرِي الظَّالِمِينَ﴾ المشركين.

[٣٠] ﴿أُولَئِكَ﴾ بواو وتركيها^(١) ﴿يَرَى﴾ يعلم ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا﴾ سدا؛ بمعنى: مسدودة ﴿فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ جعلنا السماء سبعا والأرض سبعا، أو فتق السماء أن كانت لا تمطر فأمطرت، وفتق الأرض أن كانت لا تنبت فأنبتت ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ النَّازِلَ مِنَ السَّمَاءِ وَالنَّابِغَ مِنَ الْأَرْضِ﴾ كل شئ حي ﴿من نبات وغيره؛ أي: فإلما سبب لحياته﴾ ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ﴾ بتوحيدي؟! ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيًا﴾ جبالاً ثوابت لـ ﴿أَنْ﴾ لا ﴿تَمِيدَ﴾ تتحرك ﴿بِهِمْ﴾ وجعلنا فيها ﴿الرَّوَاسِيَ﴾ فيجأجا مسالك ﴿سُبُلًا﴾ بدل، طرفاً نافذة واسعة ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ إلى مقاصدهم في الأسفار.

[٣٢] ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَفًّا﴾ للأرض؛ كالسقف للبيت ﴿مَحْفُوظًا﴾ عن الوقوع ﴿وَهُمْ عَنْ آيَاتِنَا﴾ من الشمس والقمر والنجوم ﴿مُعْرِضُونَ﴾ لا يفكرون فيها؛ فيعلمون أن خالقها لا شريك له.

[٣٣] ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ تنويه عوض عن المضاف إليه من: (الشمس والقمر) وتابعه؛ وهو: (النجوم) ﴿فِي فَلَكَ﴾ مستدير؛ كالطاحونة في السماء ﴿يَسْبَحُونَ﴾ يسيرون بسرعة؛ كالسباح في الماء، وللتشبيه به أتى بضمير جمع من يعقل.

[٣٤] ﴿وَنَزَّلَ﴾ لما قال الكفار: إن محمداً سيموت: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ﴾ البقاء في الدنيا ﴿أَفَأَيْنَ مَتَّ فِهِمُ الْخُلْدُونَ﴾ فيها؟! لا، فالجملة الأخيرة محل الاستفهام الإنكاري.

[٣٥] ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ في الدنيا ﴿وَنَبِّئُكُمْ﴾ نختبركم ﴿بِالنَّارِ وَالْخَيْرِ﴾ كقفر وغنى، وسقم وصحة ﴿وَفِتْنَةً﴾ مفعول له؛ أي: لننظر أتصبرون وتشكرون أم لا؟ ﴿وَالَّذِينَ تَرَجَعُونَ﴾ فنجازيكم.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ﴾ ﴿بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾ ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِ رَبِّهِمْ يَعْمَلُونَ﴾ ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْرِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْرِي الظَّالِمِينَ﴾ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَأَنْ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيًا أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَفًّا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِنَا مُعْرِضُونَ﴾ ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكَ يَسْبَحُونَ﴾ ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَأَيْنَ مَتَّ فِهِمُ الْخُلْدُونَ﴾ ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبِّئُكُمْ بِالْخَيْرِ فَغَنَّةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾

[٢٥] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ﴾ وفي قراءة: بالنون وكسر الحاء^(١) ﴿إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ أي: ومحمدوني.

[٢٦] ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ من الملائكة ﴿سُبْحَانَهُ﴾ هم ﴿عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾ عنده، والعبودية تنافي الولادة.

[٢٧] ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ﴾ لا يأتون بقولهم إلا بعد قوله ﴿وَهُمْ

(١) قرأ حفص وحزمة والكسائي بالنون وكسر الحاء، وقرأ بقية السبعة بالياء وفتح الحاء.

(٢) بركتها قراءة ابن كثير.

(٣) قال صاحب قرعة العينين ص (٤٢٣): «... هذا التفسير... غير مطابق لنص الآية؛ إذ لو كان المعنى كما ذكره الخليلي؛ لكان لفظ الآية: «وجعلنا من الماء، أو بالماء، كل شيء حياء، وليس كذلك؛ فقد جاء لفظ «حي» بالجر صفة ل «شيء»، وقوله تعالى: «وجعلنا» بمعنى: «خلقنا»؛ أي خلقنا كل شيء حي من الماء...» يؤيد قوله تعالى: «وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ» [النور: ٤٥]... انتهى كلامه بتصرف يسير.

[٣٦] ﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّمَا يَأْتِيهِمْ مَوْتٌ مُّهِينٌ﴾ أي: مهزوماً به، يقولون: «أهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ» أي: يعيها «وَهُمْ يَذْكُرُ الرَّحْمَنَ» لهم «هُمْ» تأكيد «كُفْرُونَ» به؛ إذ قالوا: ما نعرفه.

[٣٧] ﴿وَنَزَّلَ فِي اسْتِعْجَالِهِمُ الْعَذَابَ﴾ «خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَجَلٍ» أي: أنه لكثرة عجله في أحواله كأنه خلق منه «سَأُورِيكُمْ آيَاتِي» مواعيدي بالعذاب «فَلَا تَسْتَعْجِلُونَ» فيه؛ فأراهم القتل بيد.

[٣٨] ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ بالقيامة «إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» فيه.

[٣٩] قال - تعالى -: ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُرُونَ﴾ يدفعون «عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُبْصِرُونَ» يمتنعون منها في القيامة، وجواب «لَوْ»: ما قالوا ذلك.

[٤٠] ﴿بَلْ تَأْتِيهِمُ الْقِيَامَةُ﴾ بَعَثَةً فَسَيَهْتَمُ» تحيرهم «فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ» يمهلون لتوبة أو معذرة.

[٤١] ﴿وَلَقَدْ آسَفْنَاهُ بِرُسُلِهِمْ﴾ فِيهِ تَسْلِيَةٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ «فَحَقَّ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ» وهو العذاب، فكذا يحيق بمن استهزأ به.

[٤٢] ﴿فَلَنْ يَكْفُرُوا لَكُمْ﴾ يحفظكم «بِالْبَلِّ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ» من عذابه إن نزل بكم؛ أي: لا أحد يفعل ذلك، والمخاطبون لا يخافون عذاب الله؛ لإنكارهم له (٢) «بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ» أي: القرآن «مُفْرِضُونَ» لا يفكرون فيه.

[٤٣] ﴿أَمْ﴾ فيها معنى الهزيمة للإنكار؛ أي: أ «هَلُمَّ آلِهَةَ تَمَعْتُمْ» مما يسوؤهم «مِنْ دُونِنَا» أي: ألهم من يمتنع منهم غيرنا؟ لا «لَا يَسْتَطِيعُونَ» أي: الآلهة «نَصَرَ أَنفُسِهِمْ» فلا ينصرونهم «وَلَا هُمْ» أي: الكفار «يَتَّقُونَ» من عذابنا «يُضْحِكُونَ» يجارون، يقال: ضحك الله؛ أي: حفظك وأجارك.

[٤٤] ﴿بَلْ مَنَعْنَا هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ﴾ بما أُنعمنا عليهم «حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ» فاغترتوا بذلك «أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ» نقصد أرضهم

﴿نَقُصُّهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ بالفتح على النبي «أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ»؟ لا، بل النبي (٣) وأصحابه.

[٤٤] ﴿بَلْ مَنَعْنَا هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ﴾ بما أُنعمنا عليهم «حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ» فاغترتوا بذلك «أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ» نقصد أرضهم

(١) بضم الزاي وبالهيم، وهي قراءة السبعة عدا حمزة وحفص، وقرأ حمزة (هَزَأَ) بالهيم مع سكنون الزاي، وقرأ حفص (هَزَّأَ) بضم الزاي وإبدال الهيمزة واواً.
 (٢) ويحتمل أن يكون المعنى: أي من يحرسكم ويحفظكم (بالليل) حال نومكم (والنهار) وقت انتشاركم وغفلتكم (من الرحمن) أي بدل الرحمن؛ أي هل يحفظكم أحد غيره؟ لا حافظ إلا هو.
 تيسير الكرمي الرحمن ص (٥٦٥) بتصرف يسير.
 (٣) صلى الله عليه وسلم.

الباء^(١) ﴿مَا يُبْذَرُونَ﴾ هم؛ لتركهم العمل بما سمعوه من الإنذار؛ كالصم [٤٦] ﴿وَلَكِنْ مَسْتَهْزِئَةٌ فَخَفِيفَةٌ﴾ وقمة خفيفة ﴿مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا لَلنَّبِيِّ﴾ وثقلنا ﴿هَلَاكُنَا﴾ إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿بالإشراك وتكذيب محمد.

[٤٧] ﴿وَوَضَعَ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ﴾^(٢) ذوات العدل ﴿لِيُوزِنَ الْقَيْمَةَ﴾ أي: فيه ﴿فَلَا تَطْلُمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾ من نقص حسنة أو زيادة سيئة ﴿وَلَنْ كَاتِبُ الْعَمَلِ﴾ ومثقال ﴿زِنَةَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَيْسَاءُ بِهَا﴾ بموزونها ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَسِيبِينَ﴾ محصين كل شيء.

[٤٨] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ﴾ أي: التوراة الفارقة بين الحق والباطل، والحلال والحرام ﴿وَضِيَاءَهُ﴾ بها ﴿وَوَدَّعَا عِظَةَ بِهَا﴾ ﴿لِلْمُنْفِقِينَ﴾.

[٤٩] ﴿الَّذِينَ يَخْتَفُونَ مِنْهُمْ بِالْعَتِيبِ﴾ عن الناس؛ أي: في الخلاء عنهم ﴿وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ﴾ أي: أحوالها ﴿مُتَشَفِقُونَ﴾ خائفون. [٥٠] ﴿وَهَذَا﴾ أي: القرآن ﴿ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ؟﴾ الاستفهام فيه للتوبيخ.

[٥١] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: هداه قبل بلوغه ﴿وَكُنَّا بِبَنِي عَالِيِينَ﴾ بأنه أهل لذلك.

[٥٢] ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ﴾ الأصنام ﴿الَّتِي أَنْشَأَ لَهَا عِبَادُونَ﴾ أي: على عبادتها مقيمون.

[٥٣] ﴿قَالُوا وَجِدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عِبَادِينَ﴾ فاقنديناهم.

[٥٤] ﴿قَالَ﴾ لهم: ﴿لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ﴾ بعبادتها ﴿فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ تبين.

[٥٥] ﴿قَالُوا أَجِئْنَا بِالْحَقِّ﴾ في قولك هذا ﴿أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ﴾ فيه؟ [٥٦] ﴿قَالَ بَلْ زَيْكُكُمْ﴾ المستحق للعبادة ﴿رَبِّكُمْ﴾ مالك ﴿الْتَّبَتُّونَ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُمْ﴾ خلقهن على غير مثال سبق ﴿وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ﴾ الذي قلته ﴿مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ به.

[٥٧] ﴿وَوَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدْرِينًا﴾.

قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يَنْذَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَكِنْ مَسْتَهْزِئَةٌ فَخَفِيفَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا لَلنَّبِيِّ وَيَوَالِدِنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَوَضَعَ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيُوزِنَ الْقَيْمَةَ فَلَا تَطْلُمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَسِيبِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءَهُ وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُتَشَفِقُونَ ﴿٥٠﴾ وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٥١﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿٥٢﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْشَأَ لَهَا عِبَادُونَ ﴿٥٣﴾ قَالُوا وَجِدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عِبَادِينَ ﴿٥٤﴾ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٥٥﴾ قَالُوا أَجِئْنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ ﴿٥٦﴾ قَالَ بَلْ زَيْكُكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُمْ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٧﴾ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدْرِينًا ﴿٥٨﴾

[٤٥] ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ﴾ من الله لا من قبل نفسي ﴿وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بينها وبين

(٥) فائدة: أخرج الترمذي عن عائشة رضي الله عنها أن رجلاً قعد بين يدي النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، إن لي مملوكين يكذبونني ويخونونني ويعصونني، وأشتنهم وأضرهم، فكيف أنا منهم؟ قال: «بحسب ما خانوك وعصوك وكذبوك، وعقابك إياهم؛ فإن كان عقابك إياهم بقدر ذنوبهم كان كفاً لا لك ولا عليك، وإن كان عقابك إياهم دون ذنوبهم كان فضلاً لك، وإن كان عقابك إياهم فوق ذنوبهم اقتص لهم منك الفضل». قال: فتحنى الرجل فجعل يبكي وبهتف. أي: بصيح. فقال رسول الله ﷺ: «أما تقرأ كتاب الله؟» ﴿وَوَضَعَ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيُوزِنَ الْقَيْمَةَ فَلَا تَطْلُمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنَ الْخَرْدَلِ﴾ الآية. فقال الرجل: يا رسول الله، ما أجد لي ولهؤلاء شيئاً خيراً من مفارقتهم؛ أشهدكم أنهم أحرار كلهم. الترمذي. كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٢٢) سورة الأنبياء. وصحح الألباني إسناده في صحيح سنن الترمذي (٢٥٣١).

(١) تحقيق الهمزتين هو قراءة حمزة والكسائي وعاصم وابن عمر، وأما تسهيل الثانية فهو قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو.

فَجَعَلَهُمْ جُذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾
 قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِإِلهِنَا إِنَّهُ وَلِمَنِ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾
 قَالُوا سَمِعْنَا فَتَى يَدْعُهُمْ يُقَالُ لَهُ وَإِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَأَتُوا
 بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا أَنْتَ
 فَعَلْتَ هَذَا بِإِلهِنَا يَا بَرهَيْمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ وَكَيْدُهُمْ
 هَذَا فَاتَّبَعُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوا إِلَى
 أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نَكَسُوا
 عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ
 أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا
 يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أَفَلَا تَحْقُقُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا احْرَقُوهُ وَأَنْصُرُوا آلهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ
 قَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾ فَلَمَّا بَدَأْنَا كُوْنِي بَرْدًا وَسَلَّمًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾
 وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَجَبَّتْهُ
 وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَدَرْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا
 لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٢﴾

[٥٨] ﴿فَجَعَلَهُمْ﴾ بعد ذهابهم إلى مجتمعهم في يوم عبد لهم ﴿جُذًا﴾ بضم الجيم وكسرها^(١)؛ فثابتا بيقاس ﴿إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ﴾ علق الفأس في عنقه ﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ﴾ أي: إلى الكبير ﴿يَرْجِعُونَ﴾ فيرون ما فعل بغيره.

[٥٩] ﴿قَالُوا﴾ بعد رجوعهم ورؤيتهم ما فعل: ﴿مَنْ فَعَلَ هَذَا بِإِلهِنَا﴾ إِنَّهُ لِمَنِ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ فيه.

[٦٠] ﴿قَالُوا﴾ أي: بعضهم لبعض: ﴿سَمِعْنَا فَتَى يَدْعُهُمْ﴾ أي: يعيهم ﴿يُقَالُ لَهُ﴾ إِبْرَاهِيمُ.

[٦١] ﴿قَالُوا فَأَتُوا بِهِ﴾ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ ﴿٦١﴾ أي: ظاهرا ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ عليه أنه الفاعل.

[٦٢] ﴿قَالُوا﴾ له بعد إتيانه: ﴿أَنْتَ﴾ بتحقيق الهمزتين، وإبدال الثانية ألفا وتسهيلها، وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركة^(٢) ﴿فَعَلْتَ هَذَا بِإِلهِنَا يَا بَرهَيْمُ﴾.

[٦٣] ﴿قَالَ﴾ ساكتا عن فعله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَيْدُهُمْ هَذَا فَاتَّبَعُوهُمْ﴾ عن فاعله ﴿إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾^(٣) فيه تقديم جواب الشرط، وفيما قبله^(٤) تعريض لهم بأن الصنم المعلوم عجزه عن الفعل لا يكون إليها.

[٦٤] ﴿فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ بالتفكير ﴿فَقَالُوا﴾ لأنفسهم: ﴿إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ﴾ بعبادتهم من لا ينطق [٦٥] ﴿ثُمَّ نَكَسُوا﴾ من الله ﴿عَلَى رُءُوسِهِمْ﴾ أي: ردوا إلى كفرهم، وقالوا: والله ﴿لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴾ أي: فكيف تأمرنا بسؤالهم!؟

[٦٦] ﴿كَالَ أَفْعَبُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: بدله ﴿مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا﴾ من رزق وغيره ﴿وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾ شيئا إذا لم تعدوه.

[٦٧] ﴿أَفَلَا تَحْقُقُونَ﴾ بكسر الفاء وفتحها^(٥)؛ بمعنى مصدر؛ أي: نتنا وقبحا ﴿لَكُمْ﴾ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴿٦٧﴾ أي: غيره ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أن هذه الأصنام لا تستحق العبادة ولا تصلح لها، وإنما يستحقها الله - تعالى ٩.

[٦٨] ﴿قَالُوا احْرَقُوهُ﴾ أي: إبراهيم ﴿وَأَنْصُرُوا آلهَتَكُمْ﴾ أي: بتحريقه ﴿إِنْ كُنْتُمْ قَاعِلِينَ﴾ نصرتها؛ فجمعوا له الخطب الكثير وأضرمو النار في جميعه، وأوتقوا إبراهيم وجعلوه في منجنيق ورموه في النار.

[٦٩] قال - تعالى -: ﴿فَلَمَّا بَدَأْنَا كُوْنِي بَرْدًا وَسَلَّمًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ فلم تحرق منه غير وثاقه، وذهبت حرارتها وبقيت إضاءتها، وبقوله: ﴿وَسَلَّمًا﴾ سلم من الموت بيردها.

[٧٠] ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا﴾ وهو التحريق ﴿فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ في مرادهم.

[٧١] ﴿وَجَبَّتْهُ وَلُوطًا﴾ ابن أخيه «هاران» من العراق ﴿إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَدَرْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ بكثرة الأنهار والأشجار؛ وهي: الشام^(٦)، نَزَلَ إِبْرَاهِيمَ بفسلطين، ولوط بالموثقة^(٧)، وبينهما يوم.

[٧٢] ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ﴾ أي: لإبراهيم - وكان سأل ولذا كما ذكر في الصفات - ﴿إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾ أي: زيادة عن المسئول، أو هو ولد الولد ﴿وَكُلًّا﴾ أي: هو وولده ﴿جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾ أنبياء.

(٥) فائدة: أخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لم يكذب إبراهيم النبي عليه السلام قط إلا ثلاث كذبات؛ شتين في ذات الله، قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾، وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَيْدُهُمْ هَذَا﴾، وواحدة في شأن سارة؛ فإنه قدم أرض جبار ومعه سارة، وكانت أحسن الناس، فقال لها: إن هذا الجبار إن يعلم أنك امرأتي يغلبني عليك؛ فإن سألتني فأخبره أنك أختي؛ فإنك أختي في الإسلام... الحديث. مسلم - كتاب الفضائل (٤٣) باب (٤١) من فضائل إبراهيم الخليل.

(١) بالكسر قراءة الكسائي.

(٢) حاصل ما ذكر المفسر خمس قراءات وكلها سبعة.

(٣) أي في قوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَيْدُهُمْ هَذَا﴾.

(٤) بالفتح قراءة ابن كثير وابن عامر، وبالكسر بدون تنوين قراءة حمزة والكسائي وشعبة وأبي عمرو، فالقراءات ثلاث، وكلها سبعة.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة عن أبي مالك، وأخرجه ابن أبي حاتم عن أبي بن كعب، وأخرجه ابن المنذر عن مجاهد، وأخرجه عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن عساکر عن قتادة [الدر المنثور (٥٨١/٤، ٥٨٢)].

(٦) هي قرى قوم لوط؛ سميت بذلك لأن الله تعالى جعل عاليها سافلها.

[٧٥] ﴿وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا﴾ بأن أخرجناه من قومه ﴿إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

[٧٦] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿نُوحًا﴾ وما بعده بدل منه ﴿إِذْ نَادَى﴾ دعا على قومه بقوله: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي﴾ الخ ﴿مِن قَبْلِ﴾ أي: قبل إبراهيم ولوط ﴿فَأَسَجَبْنَا لَهُ فَتَجَبَّنَا وَأَهْلَهُ﴾ الذين في سفينة ﴿مِن الصَّكْرِبِ الْعَظِيمِ﴾ أي: الغرق، وتكذيب قومه له.

[٧٧] ﴿وَ﴾ معناه ﴿مِن الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا﴾ الدالة على رسالته، أن لا يصلوا إليه بسوء ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

[٧٨] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ﴾ أي: قصتهما، ويبدل منهما: ﴿إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ﴾ هو زرع أو كرم ﴿إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَمَمُ الْقَوْمِ﴾ أي: زعته ليلاً بلا راع؛ بأن اغفلت ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ فيه استعمال ضمير الجمع لاتنين، قال داود: لصاحب الحرث رقاب الغنم. وقال سليمان: ينتفع بهؤلاء ونسلها وصوفها إلى أن يعود الحرث كما كان؛ بإصلاح صاحبها فيردها إليه.

[٧٩] ﴿فَفَهَّمْنَاهَا﴾ أي: الحكمة ﴿سُلَيْمَانَ﴾ وحكمهما باجتهد، ورجع داود إلى سليمان، وقيل: بوحى، والثاني ناسخ للأول ﴿وَكَلَّمَا﴾ منهما ﴿عَاتِنَا﴾ هـ ﴿حُكْمًا﴾ نبوة ﴿وَعِلْمًا﴾ بأمر الدين ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ﴾ كذلك سخراً للتسبيح معه لأمره به إذا وجد قفرة^(٤) لينشط له ﴿وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ تشخيّر تسبيحهما معه، وإن كان عجباً عندكم؛ أي: مجاوبته^(٥) للسيد داود.

[٨٠] ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صِنْعَةَ لُبِّسٍ﴾ وهي الدرع؛ لأنها تلبس، وهو أول من صنعها، وكان قبلها صفائح ﴿لَبِّسٍ﴾ في جملة الناس ﴿لِنُحْصِنَكُمْ﴾ بالنون^(٦): لله، وبالفتحانية^(٧): لداود، وبالوقافية: للبوس^(٨) ﴿مِن بَأْسِكُمْ﴾ حربكم مع أعدائكم ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿شَاكِرُونَ﴾ نعمتي بتصدق الرسول؟ أي: اشكروني بذلك.

[٨١] ﴿وَ﴾ سخرنا ﴿بِلِسْلِيمَانَ الرَّيْحِ عَاصِفَةً﴾ وفي آية أخرى: ﴿رِيحًا﴾^(٩) أي: شديدة الهبوب وخفيفته حسب إرادته ﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكَتْنَا فِيهَا﴾ وهي الشام ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ﴾ من ذلك: علمه تعالى بأن ما يعطيه سليمان يدعوه إلى الخضوع لربه؛ ففعله - تعالى - على مقتضى علميه.

وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عِبِيدِينَ ﴿٧٣﴾ وَلَوْ طَاءَ آتَيْنَهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبِيثَاتِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسْقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾ وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلِ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَفَجَّجْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الصَّكْرِبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصْرَنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَمَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكَلَّمَا عِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَاهُ صِنْعَةَ لُبِّسٍ لَّكُم لِنُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسْلِيمَانَ الرَّيْحِ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكَتْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ ﴿٨١﴾

[٧٣] ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ياء^(١)، يُفَعِّلِي بهم في الخير ﴿يَهْدُونَ﴾ الناس ﴿بِأَمْرِنَا﴾ إلى ديننا ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ﴾ أي: أن تفعل وتقام وتؤتى منهم ومن أتباعهم، وحذف هاء «إقامة» تخفيفاً ﴿وَكَانُوا لَنَا عِبِيدِينَ﴾.

[٧٤] ﴿وَلَوْ طَاءَ آتَيْنَهُ حُكْمًا﴾ فصلاً بين الخصوم ﴿وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ﴾ أي: أهلها الأعمال ﴿الْخَبِيثَاتِ﴾ من اللواط، والرمي بالبنديق، واللعب بالطيور وغير ذلك^(٢) ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ﴾ مصدر «سَاءَهُ»، نقيض «مَرَّه» ﴿فَاسْقِينَ﴾.

(١) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بالتسهيل بين بين، وذهب بعض أهل الأداء إلى إبدال الهمزة الثانية ياء^(١)، يُفَعِّلِي بهم في الخير
(٢) أخرج ابن عساکر عن الحسن رضي الله عنه مرسلاً: «عشر خصال عملتها قوم لوط بها أهلکوا وتریدها أمي بخلة؛ إتيان الرجال بعضهم بعضاً، وريمهم بالجلحاء، والحذف ولعيبهم بالحامم وضرب الدوف وشرب الخمر وقص اللحية وطول الشارب والصر والصفى والتصفيق ولباس الحرير، وتریدها أمي بخلة؛ إتيان النساء بعضهم بعضاً». وقال الأبياني في ضعيف الجامع (٣٧١): موضوع.

(٣) نوح: ٢٦.

(٤) أي فورا

(٥) في بعض النسخ المطبوعة: (مجاوبة).

(٦) وهي قراءة شعبة.

(٧) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو والكسائي، وقرأ حفص وابن عامر بالتاء.

(٨) وذلك رداً على المعنى، لأن اللبس: الدرع، والدرع مؤنثة، وقيل: رداً على الصيغة.

(٩) سورة ص: ٣٦.

وَمِنَ الشَّيْطَانِ مَن يَغُوصُوتُ لَهُمْ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَفِظِينَ ﴿٨٢﴾ وَأَوْتَبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ وَأَنَّى مَسْنَى الضُّرِّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ ﴿٨٣﴾ فَأَسْتَجَبْنَا لَهُ وَفَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرِّهِ وَأَنبَأَهُ أَهْلَهُ وَمَثَلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذَكَرَى لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٦﴾ وَذَا النُّوْبِ إِذْ هَبَّ مَعْصِفًا فَظْنَ أَن لَّنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَسْتَجَبْنَا لَهُ وَجَعَلْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُفَصِّحُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَذَكَرْنَا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَأَسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ وَيْحَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ وَرَجَعَهُ إِلَىٰ رَبِّهِمْ كَانُوا يُسْعِرُونَ فِي الْحَيَاتِ وَيَدْعُونَ رِجَابًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ﴿٩٠﴾

[٩٠] ﴿فَأَسْتَجَبْنَا لَهُمْ﴾ نداءه ﴿وَوَهَبْنَا لَهُمُ﴾ ولدا ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُمْ رَجَعَهُمْ﴾ فأنت بالولد بعد غمفيتها ﴿إِنَّهُمْ﴾ أي: من ذكر من الأنبياء ﴿كَانُوا يُسْعِرُونَ﴾ يبادرون ﴿فِي الْحَيَاتِ﴾ الطاعات ﴿وَيَدْعُونَ رِجَابًا وَرَهَبًا﴾ في رحمتنا ﴿وَرَهَبًا﴾ من عذابنا ﴿وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ متواضعين في عبادتهم.

[٨٢] ﴿وَمِنَ الشَّيْطَانِ مَن يَغُوصُوتُ لَهُمْ﴾ يدخلون في البحر فيخرجون منه الجواهر لسليمان ﴿وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ﴾ أي: سوى الغوص؛ من البناء وغيره ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَفِظِينَ﴾ من أن يُفْسِدُوا ما عملوا؛ لأنهم كانوا إذا فرغوا من عمل قبل الليل أفسدوه إن لم يشتغلوا بغيره^(١).

[٨٣] ﴿وَأَوْتَبَ﴾ اذكر ﴿أَوْتَبَ﴾ ويبدل منه: ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ﴾ لما ابتلي بفقد جميع ماله وولده، وتزريق جسده، وهجر جميع الناس له إلا زوجته سنين ثلاثاً أو سبعا أو ثمانين عشرة وضيق عيشه^(٢) ﴿أَنْتَ﴾ بفتح الهمزة؛ بتقدير الباء ﴿مَسْنَى الضُّرِّ﴾ أي: الشدة ﴿وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ﴾.

[٨٤] ﴿فَأَسْتَجَبْنَا لَهُمْ﴾ نداءه ﴿فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرِّهِ وَأَنبَأَهُ أَهْلَهُ﴾ أولاده الذكور والإناث؛ بأن أحيوا له^(٣) وكل من الصنفين ثلاثاً أو سبع^(٤) ﴿وَمَثَلَهُمْ مَعَهُمْ﴾ من زوجته وزيد في شياها^(٥)، وكان له أنذر للقمح وأنذر للشعير؛ فبعث الله سبحانه فرغوا فغرت إحداهما على أنذر القمح اللذيق، وأغرقت الأخرى على أنذر الشعير الزرق حتى فاض^(٦) ﴿رَحْمَةً﴾ مفعول به ﴿مِنْ عِنْدِنَا﴾ صفة ﴿وَذَكَرَى لِلْعَالَمِينَ﴾ ليصبروا؛ فيتابوا.

[٨٥] ﴿وَأِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ على طاعة الله وعن معاصيه.

[٨٦] ﴿وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا﴾ من النبوة^(٧) ﴿إِنَّهُمْ مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ لها، وشمي ذاك الكيفل؛ لأنه تكفل بصيام جميع نهاره وقيام جميع ليله، وأن يقضي بين الناس ولا يفض؛ فوفى بذلك، وقيل: لم يكن نبياً^(٨).

[٨٧] ﴿وَذَا النُّوْبِ﴾ صاحب الحوت؛ وهو: يونس بن متى، ويبدل منه: ﴿إِذْ هَبَّ مَعْصِفًا﴾ لقومه؛ أي: غضبان عليهم بما قاسى منهم، ولم يؤذن له في ذلك ﴿فَقَالَ أَن لَّنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ أي: نقضي عليه بما قضينا من حبسه في بطن الحوت، أو نضيق عليه بذلك ﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ﴾ ظلمة الليل، وظلمة البحر، وظلمة بطن الحوت ﴿أَنْ﴾ أي: بأن ﴿لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ في ذهاني من بين قومي بلا إذن ﴿فَأَسْتَجَبْنَا لَهُ وَجَعَلْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ﴾ بتلك الكلمات ﴿وَكَذَكَرْنَا﴾ كما نبيناها ﴿نُفَصِّحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ من كربهم إذا استغاثوا بنا داعين^(٩).

[٨٩] ﴿وَذَكَرْنَا رَبَّكَ﴾ ويبدل منه: ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ﴾ بقوله: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا﴾ أي: بلا ولد يرثني ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ الباقي بعد فناء خلقك.

(١) وذلك باعتبار أن الضمير في ﴿لَهُمْ﴾ يعود على الشياطين، وهو قول الجمهور، باعتبارهم أقرب مذكور، وقيل: المعنى حافظين لهم من أن يهروا أو يمتنعوا أو يخرجوا عن أمره. واختار بعض المفسرين عود الضمير على داود وسليمان - عليهما السلام -؛ والمعنى: كنا لهم مؤيدين ومعينين، قال ابن كثير: ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَفِظِينَ﴾ أي: بحرسه الله أن يناله أحد من الشياطين بسوء، بل كل في قبضته وتحته قهره. اهـ. وأما ما ذكره المفسر هنا من إفسادهم للعمل، فلا دليل عليه.

(٢) صحح الألباني حديث أنس مرفوعاً في قصة أيوب الكليل: وفيه أن البلاء لبث به ثمان عشرة سنة، وأنه رفضه القريب والبعيد إلا رجلين من إخوانه، وكذلك زوجته. وعزاه لأبي يعلى وأبي نعيم. «الصحيفة»: ٤١٧. (٣) أخرج نحوه ابن جرير عن ابن جريج وعن الحسن وقادة. تفسير الطبري (١٧/٧٢، ٧٣).

(٤) ذكر البغوي في تفسيره عن وهب: كان له سبع بنات وثلاثة بنين، وذكر عن ابن يسار: كان له سبع بنين وسبع بنات. [تفسير البغوي (٥/٣٤٧)].

(٥) أخرج نحوه ابن مردويه وابن عساکر من طريق جوير عن الضحاک عن ابن عباس مرفوعاً كما في الدر المنثور (٥/٦٦٠).

(٦) أخرجه ابن أبي الدنيا وأبو يعلى وابن جرير وابن أبي حاتم وابن حبان والحاكم وابن مردويه عن أنس مرفوعاً [للر المنثور (٤/٥٩٢)], وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١/٥٣١)، رقم (١٧). والأندلس: البيهقي، وهو الموضع الذي يندس فيه الطعام. وهالوق، الفضة.

(٧) النبوة من آثار رحمة الله ﷻ وليست هي الرحمة، وصنع المفسر هذا جرأ على طريقته في تأويل صفة الرحمة وغيرها من الصفات التي أتتها ربنا ﷻ لنفسه وتشبها له على الوجه اللائق به من غير تأويل ولا تعطيل ولا تمثيل ولا تكيف.

(٨) قال ابن كثير: فالظاهر من ذكره في القرآن العظيم بالثناء عليه مقروناً مع هؤلاء السادة الأنبياء أنه نبي، وهذا هو المشهور. وأما سبب تسميته التي ذكرها المفسر فلا دليل عليها. وقد رجح بعض المحققين أنه حزبل الكليل، فإله أعلم.

(٩) كما عند الترمذي (٣٥٠٥) من حديث سعد بن أبي وقاص مرفوعاً: «دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ فإنه لم يدع بها =

فَأَعْبُدُونَهُ وَحُدُونَهُ.

[٩٣] ﴿وَتَقَطَّعُوا﴾ أي: بعض المخاطبين ﴿أَمَرَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾ أي: تفرقوا أمر دينهم متخالفين فيه؛ وهم: طوائف اليهود والنصارى، قال - تعالى - : ﴿كُلُّ إِلَهِنَا رَجُومٌ﴾ أي: فنجازيه بعمله.

[٩٤] ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ﴾ أي: لا جحود ﴿لِيسَعِيهِ وَإِنَّا لَهُ كَنُيُوتٌ﴾ بأن نأمر الحفظة بكتيبه؛ فنجازيه عليه. [٩٥] ﴿وَحَرَمٌ عَلَى قَرْبَى أَهْلَكْنَاهَا﴾ أريد أهلها ﴿أَنَّهُمْ لَا﴾ زائدة ﴿يَرْجِعُونَ﴾ أي: مُفْتَنٌ رجوعهم إلى الدنيا.

[٩٦] ﴿حَتَّى﴾ غاية لامتناع رجوعهم ﴿إِذَا فُجِئَتْ﴾ بالتخفيف والتشديد^(١) ﴿يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ بالهمز وتركة^(٢)؛ اسمان أعجميان لقبيلتين، ويُفْتَدَّرُ قبله مضاف؛ أي: سُدَّهُمَا، وذلك قرب القيامة ﴿وَهُمْ مِّنْ كُلِّ حَدَبٍ﴾ مرتفع من الأرض ﴿يَنسَلُونَ﴾ يسرعون.

[٩٧] ﴿وَأَقْرَبَ الْوَعْدِ الْحَقِّ﴾ أي: يوم القيامة ﴿فَإِذَا هِيَ﴾ أي: القصة^(٣) ﴿شَخْصَةٌ أَبْصُرُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في ذلك اليوم لشدته، يقولون: ﴿يَا﴾ للتنبية ﴿وَيْلَنَا﴾ هلاكنا ﴿قَدْ كُنَّا﴾ في الدنيا ﴿فِي عَقْلٍ مِّنْ هَذَا﴾ اليوم ﴿بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ أنفسنا بتكدينا للرسول.

[٩٨] ﴿إِنَّكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره من الأوثان ﴿حَصْبٌ جَهَنَّمَ﴾ وقودها ﴿أَنْتُمْ لَهَا وَرِدُونَ﴾ داخلون فيها.

[٩٩] ﴿لَوْ كَانَتْ هَؤُلَاءِ﴾ الأوثان ﴿ءَالِهَةً﴾ كما زعمتم ﴿مَّا وَرَدُوهَا﴾ دخلوها ﴿وَكُلٌّ﴾ من العابدين والمعبودين ﴿فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

[١٠٠] ﴿لَهُمْ﴾ للعابدين ﴿فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾ شيئاً؛ لشدة غلبانها.

[١٠١] ﴿وَنَزَّلَ -﴾ لما قال ابن الزبير: غيِّب عزير والمسيح والملائكة؛ فهم في النار^(٤) على مقتضى ما تقدم .. ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْمُنْتَهَى﴾ أي: من قبلهم ﴿وَمَنْ دَخَلَ مِنْهَا لَمْ يَدْخُلْهَا وَمَنْ خَلَّى مِنْهَا لَمْ يَخْلُهَا﴾ أي: من قبلهم ﴿وَمَنْ دَخَلَ مِنْهَا لَمْ يَدْخُلْهَا وَمَنْ خَلَّى مِنْهَا لَمْ يَخْلُهَا﴾ أي: من قبلهم.

وَأَلَّتْ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَأَبْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٣﴾ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿٩٤﴾ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلُّ إِلَهِنَا رَجُومٌ ﴿٩٥﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعِيهِ وَإِنَّا لَهُ كَنُيُوتٌ ﴿٩٦﴾ وَحَرَمٌ عَلَى قَرْبَى أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٧﴾ حَتَّى إِذَا فُجِئَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنسَلُونَ ﴿٩٨﴾ وَأَقْرَبَ الْوَعْدِ الْحَقِّ فَإِذَا هِيَ شَخْصَةٌ أَبْصُرُ الَّذِينَ كَفَرُوا يُؤْيُوا يَوْمَئِذٍ أَفْئِدَةً مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٩٩﴾ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرِدُونَ ﴿١٠٠﴾ لَوْ كَانَتْ هَؤُلَاءِ ءَالِهَةً مَا وَرَدُّوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠١﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠٣﴾

[٩١] ﴿و﴾ اذكر مريم ﴿أَلَّتْ أَحْصَنَتْ رُجْحَهَا﴾ حفظته من أن ينال ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا﴾ أي: جبريل؛ حيث نفخ في جيب درعها؛ فحملت بعيسى ﴿وَجَعَلْنَاهَا وَأَبْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ الإنس والجن والملائكة؛ حيث ولدته من غير فحل.

[٩٢] ﴿إِنَّ هَذِهِ﴾ أي: ملة الإسلام ﴿أُمَّتُكُمْ﴾ دينكم أيها المخاطبون؛ أي: يجب أن تكون عليها ﴿أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ حال لازمة ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ﴾

(ه) فائدة: أخرج البخاري عن زينب بنت جحش أن النبي ﷺ دخل عليها فرغاً يقول: «لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه - وحلق ياصبعه الإبهام والتي تليها - ... الحديث. البخاري - كتاب أحاديث الأنبياء (٦٠) باب (٧) قصة يأجوج ومأجوج، وأخرجه مسلم - كتاب الفتن (٥٢) باب (١) اقتراب ظهور الفتن.

= رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٣٨٢).

(١) بالتشديد قراءة ابن عامر.

(٢) بتركة قراءة السبعة عند عاصم.

(٣) وهي تسميته عند بعض النحويين، ويسمى عند جمهور البصريين: ضمير الشأن، وهو: ضمير يكون في صدر جملة بعده، تفسر دلالاته وتوضح المراد منه، ومعناها معناه. وسموه بذلك؛ لأنه يرمز للشأن؛ أي: الحال التي يراد الكلام عنها.

(٤) أخرجه الطحاوي في مشكل الآثار (١٥٥/٣)، رقم ١٦ (٩٨٦)، وأحمد في المسند (٣١٧/٣)، والطيبراني في الكبير (١١٨/١٢)، وحسنه الحافظ ابن حجر في «مواقفة الحبر الحبر» (١٧٣/٢، ١٧٤)، وأخرج الحاكم نحوه في المستدرک (٢/٣٨٤، ٣٨٥) وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي. وصححه مجموع طرقه في الاستيعاب (٤٩٤/٢).

[١٠٢] ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾ صوتها ﴿وَهُمْ فِي مَا أَشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ﴾ من النعم ﴿خَالِدُونَ﴾.

[١٠٣] ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَرَقُ الْأَكْبَرُ﴾ وهو أن يؤمر بالعباد إلى النار ﴿وَنَلْقَاهُمْ﴾ تستقبلهم ﴿الْمَلَكُ﴾ عند خروجهم من القبور، يقولون لهم: ﴿هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ في الدنيا.

[١٠٤] ﴿يَوْمَ﴾ منصوب بـ«الذكر» مقدراً قبله ﴿نَطْوَى السَّمَاءَ كَطَيِّ السَّيِّجِلِ﴾ اسم ملك^(١) ﴿الْمَلَكُ﴾ صحيفة ابن آدم عند موته، واللام زائدة، أو: «السجل»: الصحيفة، والكتاب بمعنى: المكتوب، واللام بمعنى: على^(٢)، وفي قراءة^(٣): ﴿لِلْكَتُبِ﴾ جمعاً ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ﴾ من عدم ﴿بُعِيدُهُ﴾ بعد إعدامه، فالكاف متعلقة بـ«بعيده»، وضميره عائد إلى ﴿أَوَّلَ﴾ و«ما» مصدرية ﴿وَعَدَّا عَيْنَانَا﴾ منصوب بـ«وعدنا» مقدراً قبله، وهو مؤكّد لمضمون ما قبله ﴿إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ ما وعدناه.

[١٠٥] ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ﴾ بمعنى: الكتاب؛ أي: كتب الله المنزلة ﴿وَبِالنَّبِيِّ الْأَكْبَرِ﴾ بمعنى: أم الكتاب الذي عند الله ﴿أَنَّ الْأَرْضَ﴾ أرض الجنة^(٤) ﴿يَرْثُهَا عِبَادِيَ الْمُتَّقُونَ﴾ عامٌّ في كل صالح.

[١٠٦] ﴿إِنَّ فِي هَذَا الْقُرْآنِ لَلْبَلَاغَةَ كفايةً في دخول الجنة﴾ ﴿لِقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾ عاملين به.

[١٠٧] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ﴾ يا محمد ﴿إِلَّا رَحْمَةً﴾ أي: للرحمة ﴿بِالْعَالَمِينَ﴾ الإنس والجن بك.

[١٠٨] ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدَهُ﴾ أي: ما يوحى إليّ في أمر الإله إلا وحدانيته ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ مفادون لما يوحى إليّ من وحدانية الإله؟ والاستفهام بمعنى الأمر.

[١٠٩] ﴿فَإِنْ قَوْلَاكُمْ﴾ عن ذلك ﴿فَقُلْ أَذُنُكُمْ﴾ أعلمتكم بالحرب ﴿عَلَىٰ سَوَاءٍ﴾ حالٌ من الفاعل والمفعول؛ أي: مستويين في علمه لا أستبد به دونكم؛ لنتأهبوا ﴿وَإِنْ﴾ ما أذرت أقرب أم بعيداً ما تُوعَدُونَ ﴿من العذاب، أو القيامة المشتملة عليه؛ ولما يعلمه الله﴾.

[١١٠] ﴿إِنَّكُمْ﴾ تعالى - ﴿بِعِلْمِ الْجَهَنَّمَ﴾ الفعل منكم ومن غيركم ﴿وَبِعِلْمِ مَا تَكْسِبُونَ﴾ أنتم وغيركم من الشر.

[١١١] ﴿وَإِنْ﴾ ما أذرت لعلمكم؛ أي: ما أغلقتكم به، ولم يعلم وقتها ﴿فِتْنَةً﴾ اختصاراً ﴿لَكُمْ﴾ ليرى كيف صنعكم ﴿وَمَتَّعَ﴾ تمتع ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ أي: انقضاء أجالكم، وهذا مقابل للأول المترجي بـ«لعل»، وليس الثاني محلاً للترجي^(٥).

لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا أَشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَرَقُ الْأَكْبَرُ وَتَلْقَاهُمْ الْمَلَكُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ يَوْمَ نَطْوَى السَّمَاءَ كَطَيِّ السَّيِّجِلِ لِلْكَتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ بُعِيدُهُ وَوَعَدَّا عَيْنَانَا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرْثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِي هَذَا الْقُرْآنِ لَلْبَلَاغَةَ لِقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدَهُ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِنْ قَوْلَاكُمْ فَقُلْ أَذُنُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ وَإِنْ أذرت أقرب أم بعيداً ما تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُ وَعَلَّمَ الْجَهَنَّمَ لَعَلَّ وَفِتْنَةً لِّكُمْ وَمَتَّعَ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١٠﴾ قُلْ رَبِّ أَحْكَمْ بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١١﴾

سورة الأنبياء

[١١٢] ﴿قُلْ﴾ وفي قراءة^(٦): ﴿قُلْ﴾: ﴿رَبِّ أَحْكَمْ﴾ بيني وبين مكذبي ﴿بِالْحَقِّ﴾ بالعذاب لهم، أو النصر عليهم؛ فعذبوا بيدى، وأخذ، وحنين، والأحزاب، والخذق، ونصّر عليهم ﴿وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ من كذبكم على الله في قولكم: «اتخذ ولدًا»، وعلّي في قولكم: «ساحر» وعلى القرآن في قولكم: «شعر».

(١) والصحيح أن السجل هي الصحيفة، كما ذكره ابن كثير عن ابن عباس ونقله عن غير واحد، واختاره ابن جرير؛ لأنه المعروف في اللغة.

(٢) المعنى: أي كطي السجل على الكتاب.

(٣) قرأ «الكتب» حفص وحزمة والكسائي، وبقية السبعة (الكتاب).

(٤) هذا قول أكثر المفسرين في تفسير «الأرض» في هذه الآية، وفي آية الزمر ﴿وَأَوْزَيْنَا الْأَرْضَ نَبْتًا﴾ ﴿الزمر: ٧٤﴾ وهو قول ابن عباس ومجاهد وأبي العالية وسعيد بن جبير والشبي وقادة وغيرهم. وتعقب ذلك القاضي كنعان في قرة العين واختار أن تكون «الأرض» في هذين الموضعين هي هذه الأرض المهوذة. بقوله: «... تفسير «الأرض» بالجنة بعيد، ولا دليل عليه، ولم يأت ذكر «الأرض» بمعنى «الجنة» لا في القرآن ولا في السنة. قرة العينين ص (٦١٦، ٦١٧) بتصرف يسير.

(٥) أي: المترجي بـ«لعل» هو: كون تأخير العذاب فتنة. أما قوله: «ومتاع إلى حين» فليس كذلك؛ لأنه واقع بالفعل.

(٦) قرأ السبعة عدا حفص: ﴿قُلْ﴾.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفًا رِيكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾
يَوْمَ تَرَوْنها تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَنَضَعُ
كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَاهٍ
بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِن عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن
يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾
كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَإِنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ
إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٤﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ
مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْتُمْ مِّن نُّرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ
ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَعَرِيقٍ مُّلْتَبِنٍ
لَّكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ آجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ
نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّن يَتُوفَّىٰ
وَمِنْكُمْ مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن
بَعْدِ عِلْمٍ سَبِيحًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَائِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا
الْمَاءَ أَهْرَتَتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ رَوْحٍ بِهِجٍ ﴿٥﴾

سورة الحج

[مكية إلا ﴿٥﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعِدُّ اللَّهُ لَهُ الْأَبْتَيْنِ، أَوْ إِلَّا هَذَانِ حَصَمَانِ] الست آيات فمدينيات، وهي: أربع، أُو: خمس، أُو: ست، أُو: سبع، أُو: ثمان وسبعون آية، نزلت بعد النور]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ أي: أهل مكة وغيرهم ﴿آتِفًا رِيكُمُ﴾ أي: عقابه بأن تطعموه ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ أي: الحركة الشديدة للأرض التي يكون بعدها طلوع الشمس من مغربها الذي هو قرب الساعة ﴿شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ أي: في إزعاج الناس الذي هو نوع من العقاب.
[٢] ﴿يَوْمَ تَرَوْنها تَذْهَلُ﴾ بسببها ﴿كُلُّ مُرْضِعَةٍ﴾ بالفعل

﴿عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾ أي: تشناه ﴿وَنَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ﴾ أي: محيلها ﴿حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ﴾ من شدة الخوف ﴿وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ﴾ من الشراب ﴿وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ فهم يخافونه.

[٣] ﴿يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ ونزل في القصر بن الحارث^(١) وجماعته: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ قالوا: الملائكة بنات الله، والقرآن أساطير الأولين. وأنكروا البعث وإحياء من صار ترابًا ﴿وَيَتَّبِعُ﴾ في جداله ﴿كُلُّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ﴾ أي: متعمر.

[٤] ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ﴾ قضِيَ على الشيطان ﴿أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ﴾ أي: اتبعه ﴿فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ﴾ يدعو ﴿إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ أي: النار.

[٥] ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ أي: أهل مكة ﴿إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ﴾ شك ﴿مِنَ الْبَعْثِ﴾ فَإِنَّا خَلَقْتُمْ آدَمَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ ﴿مِنَ نُطْفَةٍ﴾ مِن نُّطْفَةٍ ﴿مِنِّي﴾ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ وهي الدم الجامد ﴿ثُمَّ مِنْ مُّضْغَةٍ﴾ وهي لحمة قدر ما يمضغ ﴿مُخَلَّقَةٍ﴾ مصورة تامة الخلق ﴿وَعَرِيقٍ مُّلْتَبِنٍ﴾ أي: غير تامة الخلق ﴿إِنِّي بَلِّغُكُمْ﴾ كَمَا لَقَدْنَا؛ لتستدلوا بها في ابتداء الخلق على إعادته ﴿وَنُقِرُّ﴾ مستأنف^(٢) ﴿فِي الْأَرْحَامِ﴾ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ آجَلٍ مُّسَمًّى ﴿وَقَتِ خُرُوجِهِ﴾ ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ ﴿مِن بَطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ ﴿طِفْلًا﴾ بمعنى: طفلًا ﴿ثُمَّ﴾ نَعْمُرُكُمْ ﴿لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ﴾ أي: الكمال والقوة؛ وهو: ما بين الثلاثين إلى الأربعين سنة ﴿وَمِنْكُمْ مَّن يَتُوفَّىٰ﴾ يموت قبل بلوغ الأشد ﴿وَمِنْكُمْ مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾ أخسه من الهرم والخرف ﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ سَبِيحًا﴾ قال عكرمة: «من قرأ القرآن لم يصر بهذه الحالة» ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَائِدَةً﴾ يابسة ﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ أَهْرَتَتْ﴾ تحركت ﴿وَرَبَّتْ﴾ ارتفعت وزادت ﴿وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ رَوْحٍ﴾ صنف ﴿بِهِجٍ﴾ حسن.

(١) هذا قول علقمة والشعبي وجماعة من المفسرين. واختار ابن جرير أن الآية تشير إلى هول وفزع وزلزال كائن يوم القيامة. واحتجوا بحديث عمران بن حصين عند أحمد والترمذي وأبي داود وغيرهم، أن النبي ﷺ لما نزلت: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفًا رِيكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾، إلى قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾، فقال: «أتدرون أي يوم هذا؟» فقالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «ذلك يوم القيامة، يوم يقول الله لأدم: ابعث بعث النار... الحديث. أخرجه الترمذي في تفسير القرآن (٤٨)، وضعف الألباني إسناده في ضعيف سنن الترمذي (٦١٨). وأخرجه أحمد مختصرًا في المسند (٤٣٢/٤). كما استدلل أصحاب هذا القول بأحاديث نلا النبي ﷺ فيها هذه الآيات، منها ما جاء في الصحيحين وغيرهما. انظر: البخاري كتاب التفسير (٦٥) سورة الحج (٢٢)، ومسلم كتاب الإيمان (١) باب (٩٦).

(٢) هذا قول مجاهد، وأبي مالك، ذكره السيوطي في الدر المنثور (١٢/٦) ولباب النقول ص (١٤٨)، ونسبها لابن أبي حاتم. وهما مرسلان. وذكره البغوي في تفسيره (٣٦٥/٥).

(٣) يعني أن الوار في قوله: ﴿وَنُقِرُّ﴾ واستنافية وليست عطفًا على ﴿لنبي﴾.

[٦] ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور من بدء خلق الإنسان إلى آخر إحياء الأرض ﴿يَأْتِي﴾ بسبب أن ﴿اللَّهُ هُوَ الْمُخْتَرُ﴾ الثابت الدائم ﴿وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[٧] ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾.

[٨] ونزل في أبي جهل^(١): ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِعَتَرٍ عُلْوٍ وَلَا هُدًى مَعَهُ وَلَا كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ له نور معه.

[٩] ﴿ثَانِي عَطْفِهِ﴾ حال؛ أي: لا وبي عنقه تكبراً عن الإيمان؛ والعطف: الجانب عن يمين أو شمال [ليُضِلَّ] بفتح الياء^(٢) وضمها ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: دينه ﴿لَهُ فِي الدُّنْيَا حِزْبٌ﴾ عذاب؛ ففعل يوم بدر^(٣) ﴿وَيُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ أي: الإحراق بالنار.

[١٠] ويقال له: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَكَ﴾ أي: قدمته، عتير عنه بهما دون غيرهما؛ لأن أكثر الأفعال تراول بهما ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلْمٍ﴾ أي: بذي ظلم ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ فيعذبهم بغير ذنب.

[١١] ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾ أي: شك في عبادته، شبه بالحال على حرف جبل في عدم ثباته ﴿فَإِنِ أَصَابَهُ حَيْرٌ﴾ صحّة وسلامة في نفسه وماله ﴿أَطْمَأَنَّ بِهِ﴾ وَإِنْ أَصَابَهُ فِتْنَةٌ محنة وسقم في نفسه وماله ﴿أَنقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ﴾ أي: رجع إلى الكفر ﴿حَيْرَ الدُّنْيَا﴾ بفوات ما أملة منها ﴿وَالْآخِرَةَ﴾ بالكفر ﴿ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ البين^(٤).

[١٢] ﴿يَدْعُوا﴾ يعبد ﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾ من الصنم ﴿مَا لَا يَضُرُّهُ﴾ إن لم يعبد ﴿وَمَا لَا يَنْفَعُهُ﴾ إن عبده ﴿ذَلِكَ﴾ الدعاء ﴿هُوَ الضَّلَالُ الْعَبِيدُ﴾ عن الحق.

[١٣] ﴿يَدْعُوا لِمَن﴾ اللام زائدة ﴿ضُرُّهُ﴾ عبادته ﴿أَقْرَبُ مَن نَّفَعِيهِ﴾ إن نفع بتخليه ﴿لَيْسَ الْمَوْلَى﴾ هو؛ أي: الناصر ﴿وَلَيْسَ الْعَشِيرُ﴾ صاحب هو.

[١٤] وَعَقَّبَ ذِكْرَ الشَّاكِّ بِالْخُسْرَانِ بِذِكْرِ الْمُؤْمِنِينَ بِالثَّوَابِ فِي: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ من الفروض والنوافل ﴿جَنَّتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ إِنَّ اللَّهَ يَقَعْلُ مَا يُرِيدُ من إكرام من يطعمه، وإهانة من يعصيه.

ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْمُخْتَرُ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِعَتَرٍ عُلْوٍ وَلَا هُدًى مَعَهُ وَلَا كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ثَانِي عَطْفِهِ هُوَ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا حِزْبٌ وَيُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلْمٍ لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنِ أَصَابَهُ وَحَيْرٌ أطمأنَّ بِهِ وَإِنِ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ أَنقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ حَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدْعُوا مَن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنْفَعُهُ وَذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْعَبِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُوا لِمَن ضُرُّهُ وَأَقْرَبُ مَن نَّفَعِيهِ لَيْسَ الْمَوْلَى وَلَيْسَ الْعَشِيرُ ﴿١٣﴾ إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَقَعْلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُدْهِبَنَّ كَيْدَهُ وَمَا يَعِظُ ﴿١٥﴾

[١٥] ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ﴾ أي: محمداً نبيه ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ﴾ بحبل ﴿إِلَى السَّمَاءِ﴾ أي: سقف بيته يشده فيه وفي عنقه ﴿ثُمَّ لِيَقْطَعْ﴾ أي: ليختنق به؛ بأن يقطع نفسه من الأرض؛ كما في «الضحاح»^(١) ﴿فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُدْهِبَنَّ كَيْدَهُ﴾ في عدم نصره النبي ﴿مَا يَعِظُ﴾ منها؛ المعنى: فليختنق غيظاً منها؛ فلا بد منها.

(٥) ما جاء في نزول الآية (١١): أخرج البخاري عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾ قال: كان الرجل يقدم المدينة؛ فإن ولدت امرأته غلاماً وتوحيث خيله، قال: هذا دين صالح، وإن لم تلد امرأته ولم تنتج خيله، قال: هذا دين سوء. البخاري كتاب التفسير (٦٥) سورة الحج (٢٢) باب ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾.

(٦) روي ذلك عن ابن عباس، كما ذكره النيسابوري والألوسي وغيرهما، وقيل: نزل في النضر بن الحارث أيضاً وهو قول ابن عباس أيضاً، والتكرير للمبالغة في الذم. قاله القرطبي. وقيل: هي عامة لكل من يتصدى لإضلال الناس واغوائهم. وقيل: الآية الأولى واردة في الأتباع المقلدين. وهذه الآية واردة في المتبوعين المقلدين.

(٢) بالفتح لابن كثير وأبي عمرو، والباقون بالضم.

(٣) أي أبو جهل؛ لاختيار المصنف أنها نزلت فيه.

(٤) كتاب «مختار الضحاح» في اللغة للجوهري.

معطوف على هاء ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾.

[١٧] ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ هم اليهود ﴿وَالضَّالِّينَ﴾ طائفة منهم ﴿وَالضَّالِّينَ وَالْمَجْرُسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ إنَّ الله يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿يَادْخُلُ الْمُؤْمِنِينَ الْجَنَّةَ، وَيَدْخُلُ الْغَايِبِينَ النَّارَ﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ من عملهم ﴿سَيُجَدُّ﴾ غالم به علم مشاهدية.

[١٨] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تعلم ﴿أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لِمَنْ شَاءَ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ﴾ أي: يخضع له بما يُرَادُ منه ﴿وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ﴾ وهم المؤمنون؛ بزيادة على الخضوع في سجود الصلاة ﴿وَكَبِيرٌ حَقٌّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ وهم الكافرون؛ لأنهم أتوا السجود المتوقف على الإيمان ﴿وَمَنْ يُؤْمِنِ بِاللَّهِ﴾ يُشْفِقْهُ ﴿فَمَا لَمْ يَنْفَكُوا مِنْ مَكْرَمٍ﴾ مُشْعَبٌ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَقَعْلُ مَا يَشَاءُ﴾ من الإهانة والإكرام.

[١٩] ﴿هَذَانِ حَصْمَانِ﴾ أي: المؤمنون خصم، والكفار الخمسة (١) خصم، وهو يطلق على الواحد والجماعة ﴿أَخْضَمُوا فِي رَيْبٍ﴾ أي: في دينة ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لُهُمْ نَارٌ﴾ يلبسونها؛ يعني: أحيطت بهم النار ﴿يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾ الماء البالغ نهاية الحرارة.

[٢٠] ﴿يُصْهَرُ﴾ يذاب ﴿بِهِ، مَا فِي بُطُونِهِمْ﴾ من سُحُومٍ وغيرها ﴿و﴾ تشوى به ﴿الْجُلُودُ﴾ (٢).

[٢١] ﴿وَهُمْ مَقْتَعٌ مِنْ حَبِيدٍ﴾ لضرب رءوسهم.

[٢٢] ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا﴾ أي: النار ﴿وَمِنْ غَيْرٍ﴾ يلحقهم بها ﴿أُعِيدُوا فِيهَا﴾ رُدُّوا إليها بالمقامع ﴿و﴾ قبل لهم: ﴿ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ أي: البالغ نهاية الإحراق.

[٢٣] وقال في المؤمنين: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُكَلِّمُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ ﴿وَلَوْلُؤُا﴾ بالجر؛ أي: منهنما؛ بأن يرصع اللؤلؤ بالذهب، وبالنصب (٣): عطفًا على محل ﴿وَمِنْ أَسَاوِرَ﴾ ﴿وَلِيَأْسَئَهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ هو الخمر ليشه على الرجال في الدنيا.

وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ يَتَذَكَّرُ فِيهَا مَنْ يَشَاءُ مِنَ اللَّهِ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّالِحِينَ وَالصَّالِحِينَ وَالصَّالِحِينَ وَالصَّالِحِينَ﴾ ﴿وَالْمَجْرُسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ ﴿الَّذِينَ تَرَاتُوا اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ، وَمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقٌّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ وَمَنْ يُؤْمِنِ بِاللَّهِ فَمَا لَهُ مِنْ مَكْرَمٍ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَقَعْلُ مَا يَشَاءُ﴾ ﴿هَذَانِ حَصْمَانِ﴾ أَخْضَمُوا فِي رَيْبٍ ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لُهُمْ نَارٌ﴾ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ﴾ وَلَهُمْ مَقْتَعٌ مِنْ حَبِيدٍ ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَيْرِ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلَوْلُؤُا وَلِيَأْسَئَهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾

[١٦] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ أي: مثل إنزالنا الآية السابقة ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾ أي: القرآن الباقي ﴿آيَاتٍ يَتَذَكَّرُ﴾ ظاهرات، حال ﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ﴾ هداة،

(١) ما جاء في نزول الآيتين (١٩، ٢٠): أخرج البخاري عن قيس بن عباد عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: أنا أول من يلحق بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة. قال قيس: وفيهم نزلت: ﴿هَذَانِ حَصْمَانِ أَخْضَمُوا فِي رَيْبٍ﴾ قال: هم الذين بارزوا يوم بدر: علي وحمره وعبيدة، وشيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة الحج (٢٢) باب (٣).

(١) يشير المصنف إلى أهل الملل الكافرين الخمسة المذكورين في الآية المقدمة، وانظر ما جاء في سبب نزول الآية.
(٢) بالجر قراءة السبعة عدا عاصم ونافع.

[٢٤] ﴿وَهُدُوا﴾ في الدنيا ﴿إِلَى الصَّيْبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ وهو: لا إله إلا الله^(١) ﴿وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾ أي: طريق الله الحمودة ودينه.

[٢٥] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ طاعته ﴿وَعَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ مِنسَكًا وَمَعْبَدًا﴾ للناس سواء العنكبُ المقيم فيه والبادِ الطائر ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِالْحَسَاءِ﴾ الباء زائدة ﴿يُظَلَمْ﴾ أي: بسببه؛ بأن ارتكب منهياً، ولو شتم الخادم ﴿نُدْفَهُ مِن عَذَابِ آيِرٍ﴾ مؤلم؛ أي: بعضه، ومن هذا يؤخذ خبر ﴿إِنَّ﴾؛ أي: نذيقهم من عذاب آيِر.

[٢٦] ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا﴾ بيئنا ﴿لِإِبْرَاهِيمَ مَكَاتَ الْبَيْتِ﴾ لبنيته، وكان قد رُفِعَ زمن الطوفان، وأمرناه ﴿أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهَّرَ بَيْتِي﴾ من الأوثان ﴿لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ﴾ المقيمين به ﴿وَأَرْكَعَ السُّجُودَ﴾ جمع راعع وساجد؛ المصلين.

[٢٧] ﴿وَأَذِّنْ﴾ ناد ﴿فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾ فنادى على جبل^(٢) أبي قبيس: يأيها الناس إن ربكم بئى بيئنا وأوجب عليكم الحج إليه؛ فأجيبوا ربكم. والنفت بوجهه بيئنا وشمالاً وشرقاً وغرباً؛ فأجابه كل من كتبت له أن يشخ من أصلاب الرجال وأرحام الأمهات: لبيك اللهم لبيك، وحواب الأمر: ﴿يَأْتُونَكَ رِجَالًا﴾ مشاة، جمع راجل؛ كقائم وقيام ﴿وَرِجَالًا﴾ علق كل صَامِرٍ أي: بعير مهزول، وهو يطلق على الذكر والأُنثى ﴿يَأْتِينَ﴾ أي: الضوامر حملاً على المعنى ﴿وَمِن كُلِّ فِجٍّ عَمِيقٍ﴾ طريق بعيد.

[٢٨] ﴿لِيَشْهَدُوا﴾ أي: يحضروا ﴿مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ في الدنيا والتجارة، أو في الآخرة^(٣)، أو فيهما، أقوالٌ ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي آثَارِهِ مَعْلُومَاتٍ﴾ أي: عشر ذي الحجة، أو يوم عرفة، أو يوم النحر إلى آخر أيام التشريق، أقوال العبد وما بعده من الهدايا والضحايا^(٤) ﴿فَصَلُّوا﴾ إذا كانت مستحبة ﴿وَأَطِيعُوا أَلْسَانَ الْفُقَرَاءِ﴾ أي: الشديد الفقر.

[٢٩] ﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا تَطَهُرَهُمْ﴾ أي: يزيلوا أوساخهم وشعثهم؛ كطول الظفر ﴿وَلِيَكْفُرُوا﴾ بالتخفيف والتشديد^(٥) ﴿نُدُورَهُمْ﴾ من الهدايا والضحايا ﴿وَلِيَطُوفُوا﴾ طواف الإفاضة ﴿بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ أي: القدم؛ لأنه أول بيت وضع للناس.

[٣٠] ﴿ذَلِكَ﴾ خبر مبتدأ مقدر؛ أي: الأمر، أو الشأن ذلك المذكور ﴿وَمَن يُعْظَمْ حُرْمَتِ اللَّهِ﴾ هي ما لا يحل انتهاكه ﴿فَهُوَ﴾ أي: تعظيمها ﴿خَيْرٌ لَّهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ في الآخرة ﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ﴾ أكلها

وَهُدُوا إِلَى الصَّيْبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهَدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ
 ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ
 الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَكْفِ فِيهِ وَالْبَادِ
 وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِالْحَسَاءِ يُظَلَمْ بِطَوْلِهِ نُدْفَهُ مِن عَذَابِ آيِرٍ
 وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَاتَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ
 بِي شَيْئًا وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ
 السُّجُودِ ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى
 كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿لِيَشْهَدُوا
 مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي آثَارِهِ مَعْلُومَاتٍ
 عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا
 وَأَطِيعُوا أَلْسَانَ الْفُقَرَاءِ ﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا تَطَهُرَهُمْ
 وَلِيَكْفُرُوا عَن دُورِهِمْ وَلِيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿ذَلِكَ
 رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا بَلَغَتْ عَلَيْكُمْ
 قَابِضَتُنَا مِنَ الرِّجْسِ مِنَ الْآوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿

بعد الذبح ﴿إِلَّا مَا يَبُلُغْ عَلَيْكُمْ﴾ تحريمه في ﴿حُرْمَتِ عَلَيْكُمْ أَلْبَيْتِ﴾^(١) الآية، فالاستثناء منقطع، ويجوز أن يكون متصلاً، والتحرّم لما عرّض من الموت ونحوه ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾ من لبيان؛ أي: الذي هو الأوثان ﴿وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ أي: الشرك بالله في تلبيتكم، أو شهادة الزور.

(ه) فائدة: أخرج أحمد عن ابن مسعود قال في قوله: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِالْحَسَاءِ يُظَلَمْ﴾ قال: لو أن رجلاً همّ فيه بالحاد وهو يعدن آيِر لآذاه الله فكأن عذاباً أليماً. المسند (٤٢٨/١)، (٤٥١) وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح (٤٠٧١). ﴿وَعَدَن آيِرٌ﴾ مدينة معروفة باليمن؛ أضيفت إلى آيِر، وهو رجل من جنس عدن بها؛ أي أقام. (النهاية لابن الأثير ١٩٢٣).

(١) هذا على أحد الأقوال، أن المراد: هُدُوا في الدنيا إلى كلمة التوحيد، وقيل: قراءة القرآن، والقول الآخر أن المراد: هُدُوا في الآخرة إلى الطيب من القول؛ وهو: الحمد والتسبيح والسلام، ويشهد له قوله - تعالى -: ﴿وَدَعَوْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ سَمْعَكَ أَلْفَهُمْ وَجَنَّتْ بَيْنَا سَلْمٌ وَكَلِمَةٌ دَعَوْنَهُمْ أَن لَقْنَهُمْ لِيَوْمَ رَبِّ السَّاعِيَةِ﴾ [يونس: ١٠] وغيرها من الآيات. وعلى القول الأول: فيحتمل أن في الكلام تقدماً وتأخيراً، فيكون المعنى: إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات وهدوا إلى الطيب من القول وهدوا إلى صراط الحميد جنات... والله أعلم.

(٢) أخرج نحوه ابن أبي حاتم عن ابن عباس [الدر المنثور (٤/٦٣٧)]، وقال ابن كثير: هذا مضمون ما ورد عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة، وغير واحد من السلف.

(٣) لعله يريد بذلك ما قيل: إن المراد بالمنافع: المناسك؛ كمرفات والمشرع الحرام، وما يترتب على ذلك من الأجر والمغفرة.

(٤) فالمراد بذكر اسم الله حبيط التسمية عند الذبح والنحر. وهو قول الأكثرين، وكان الكفار يذبحون على أسماء أصنامهم، فين لله أن الواجب الذبح على اسم الله. وقيل: إن ﴿عَلَى﴾ تعلقية؛ والمعنى: لأجل ما رزقهم من تلك الأنعام؛ فلو شاء لحظرها عليهم وجعلها أوباد متوحشة.

(٥) بالتشديد قراءة شعبة.

[٣٩] ﴿أَوْنَ لَذَيْنَ يَنْتَلُونَ﴾ أي: المؤمن أن يقاتلوا، وهذه أول آية نزلت في الجهاد ﴿يَأْتَهُمْ﴾ أي: بسبب أنهم ﴿ظَلِمُوا﴾ لظلم الكافرين إياهم ﴿وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾.

[٤٠] هم ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ في الإخراج، وما أُخْرِجُوا ﴿إِلَّا أَن يَقُولُوا﴾ أي: بقولهم: ﴿رَبَّنَا اللَّهُ﴾ وحده، وهذا القول حق؛ فالإخراج به إخراج بغير حق ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ﴾ بدل؛ بعض من الناس ﴿بِبَعْضٍ لَّهَمَّتْ﴾ بالتشديد؛ للتكثير، وبالتخفيف (١) ﴿صَوْبِغٌ﴾ للرهبان ﴿وَبِيعٌ﴾ كئاس للنصارى ﴿وَصَلَوَاتٌ﴾ كئاس لليهود بالعبرانية ﴿وَمَسْجِدٌ﴾ للمسلمين ﴿يُذَكَّرُ فِيهَا﴾ أي: المواضع المذكورة (٢) ﴿أَسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ وتقطع العبادات بخرابها ﴿وَلْيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾ أي: ينصر دينه ﴿إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ﴾ على خلقه ﴿غَيْرُ يُرَى﴾ منبع في سلطانه وقدرته (٣).

[٤١] ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ بنصرهم على عدوهم ﴿أَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ وَأَتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ جواب الشرط، وهو وجوبه صلة الموصول، ويقدر قبله: «هم» مبتدأ ﴿وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ أي: مرجعها إليه في الآخرة.

[٤٢] ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ﴾ إلى آخره فيه تسلية للنبي ﷺ ﴿فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ تأنيب ﴿قَوْمٌ﴾ باعتبار المعنى ﴿وَعَادٌ﴾ قوم هود ﴿وَتَمُودٌ﴾ قوم صالح.

[٤٣] ﴿وَقَوْمٌ إِيَّاهُمْ وَقَوْمٌ لَوْطٍ﴾.

[٤٤] ﴿وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ﴾ قوم شعيب ﴿وَكَذَّبَ مُوسَىٰ﴾ كَذَّبَهُ الْقَبِيظُ لَا قومه بنو إسرائيل؛ أي: كذب هؤلاء رسلهم؛ فلنك أسوة بهم ﴿فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ﴾ أمهلهم بتأخير العقاب لهم ﴿ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ﴾ بالعذاب ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾؟ أي: إنكاري عليهم بتكذيبهم بإهلاكهم، والاستفهام للتقرير؛ أي: هو واقع موقعه.

[٤٥] ﴿فَكَانَ﴾ أي: كم ﴿مِنَ قَرْيَةٍ﴾ [أَهْلَكْنَاهَا] (٤) وفي قراءة: ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾ ﴿وَهِيَ ظَلَمَةٌ﴾ أي: أهلها؛ بكفرهم ﴿فَبُهِتَ سَاقِطَةٌ﴾ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ﴿سُقُوفِهَا﴾ ﴿وَمِنْ﴾ كم من ﴿بِئْسَ مَعْطَلَةٌ﴾ متروكة بموت أهلها ﴿وَقَصْرٍ مَشِيدٍ﴾ رفيع، خال بموت أهله.

[٤٦] ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا﴾ أي: كفار مكة ﴿فِي الْأَرْضِ فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ﴾

أَذِنَ لِلَّذِينَ يُنْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبَّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّهَمَّتْ صَوْبِعٌ وَبِيعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسْجِدٌ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلْيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَعَاتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَتَمُودٌ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمٌ إِيَّاهُمْ وَقَوْمٌ لَوْطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكَذَّبَ مُوسَىٰ فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَانَ مِنَ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْسَ مَعْطَلَةٌ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارَ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾

يَقُولُونَ بِهَا﴾ ما نزل بالمتكذبين قبلهم ﴿أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ أخبارهم بالإهلاك وحراب الديار؛ فيعتبروا ﴿فَإِنَّهَا﴾ أي: القصة ﴿لَا تَعْمَى الْأَبْصَارَ﴾ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ تأكيداً.

(٥) ما جاء في نزول الآيتين (٣٩، ٤٠): أخرج النسائي عن ابن عباس قال: لما أخرج النبي ﷺ من مكة قال أبو بكر: أخرجوا نبينهم! إنا لله وإنا إليه راجعون. ليهلكن؛ فنزلت: ﴿أَوْنَ لَذَيْنَ يَنْتَلُونَ﴾ يَأْتَهُمْ ظَلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾. فعرفت أنه سيكون قتال. قال ابن عباس: فهي أول آية نزلت في القتال.

النسائي - كتاب الجهاد (٢٥) باب (١) وجوب الجهاد، والترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٢٣). (صحيح الإسناد) صحيح سنن الترمذي (٢٥٣٥). وأخرج الترمذي عن سعيد بن جبير قال: لما أخرج النبي ﷺ من مكة قال رجل: أخرجوا نبينهم! فنزلت: ﴿أَوْنَ لَذَيْنَ يَنْتَلُونَ﴾ يَأْتَهُمْ ظَلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ الترمذي - الموضوع السابق.

(١) بالتخفيف قراءة نافع وابن كثير.

(٢) هذا القول بأن الضمير في قوله تعالى: ﴿فِيهَا﴾ يعود على المواضع المذكورة كلها، وبناء عليه يجب أن يحمل المعنى على ما قبل تعريف الأمم السابقة دينهم... وصوب هذا التأويل ابن عطية. واختار ابن جرير أن الضمير في قوله تعالى: ﴿فِيهَا﴾ يعود إلى «المساجد» فقط؛ لأنها أقرب المذكورات، كما في لغة العرب. وعلى كلا القولين فلا تشمل الآية «الكنائس» و«الكُتُب» التي يتخذها اليهود والنصارى بعد بعثة محمد ﷺ؛ لأنها لا يذكر فيها اسم الله تعالى بالتوحيد والتزويه، كما يجب أن يذكر. قرأ العيني ص ٤٣٩ بتصرف.

(٣) هي قراءة أبي عمرو، وقرأ بقية السبعة: ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾.

يَسِّرُ الْإِنْدَارَ، وَأَنَا بَشِيرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ.

[٥٠] ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ من الذنوب ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ هو الجنة.

[٥١] ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا﴾ القرآن؛ بإبطالها ﴿[مُعْجِزِينَ]﴾^(١) من اتبع النبي؛ أي: يسبونهم إلى العجز ويضطرونهم عن الإيمان، أو مقدرين عجزنا عنهم، وفي قراءة: ﴿مُعْجِزِينَ﴾ مسابقين لنا؛ أي: يظنون أن يفوتونا بإنكارهم البعث والعقاب ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْحَجِيرِ﴾ النار.

[٥٢] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ﴾ هُوَ نَبِيٌّ أُمِرَ بِالْبَلِيغِ ﴿وَلَا نَبِيٍّ﴾ أي: لم يؤمر بالبليغ^(٢) ﴿إِلَّا إِذَا تَمَتَّى﴾ قرأ ﴿أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ قراءته ما ليس من القرآن مما يرضاه المرسل إليهم، وقد قرأ النبي ﷺ في سورة النجم بمجلس من قريش بعد ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ وَالْعُرْيَانَ﴾^(٣) وَنَوْنَةَ آثَارَةَ الْأَخْرَى﴾ وإلقاء الشيطان على لسانه من غير علمه ﷺ به: ﴿تلك الغرائق الغلا، وإن شفاعتهن لترجى﴾؛ ففرحوا بذلك، ثم أخبره جبريل بما ألقاه الشيطان على لسانه من ذلك؛ فحزن؛ فسلمني بهذه الآية ليطمئن^(٤) ﴿فَيَسْخُ اللَّهُ﴾ يطل ﴿مَا يَلْقَى الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحَكِّمُ اللَّهُ آيَاتِهِ﴾ يشتها ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بإلقاء الشيطان ما ذكر ﴿حَكِيمٌ﴾ في تمكينه منه بفعل ما يشاء.

[٥٣] ﴿لِيَجْعَلَ مَا يَلْقَى الشَّيْطَانُ فِتْنَةً﴾ محنة ﴿لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ شقاق ونفاق ﴿وَالْقَائِسَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ أي: المشركين؛ عن قبول الحق ﴿وَالَّذِينَ الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين ﴿لَقِيَ شِقَاقَ بَعِيدٍ﴾ خلاف طويل مع النبي ﷺ والمؤمنين؛ حيث جرى على لسانه ذكر ألهتهم بما يرضيهم، ثم أبطل ذلك.

[٥٤] ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أوتُوا الْعِلْمَ﴾ التوحيد والقرآن ﴿أَنَّهُ﴾ أي: القرآن ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ فَيُؤْمِنُوا بِهِ. فَتَحَبَّتْ تَطْمِئَن ﴿لَهُ قُلُوبُهُمْ﴾ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُدَى الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ طَرِيقٌ ﴿مُسْتَقِيمٍ﴾ أي: دين الإسلام.

[٥٥] ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي زُرِّيْقٍ﴾ شك ﴿مِنْهُ﴾ أي: القرآن؛ بما ألقاه الشيطان على لسان النبي، ثم أبطل^(٥) ﴿حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً﴾ أي: ساعة موتهم أو القيامة فجأة ﴿أَوْ تَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ هو يوم بدر لا خير فيه للكفار؛ كالريح العقيم التي لا تأتي بخير، أو هو يوم القيامة لا ليل بعده.

وَيَسْتَعِجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ وَكَأَيُّنَ مِنْ قَرْيَةٍ أَمَلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَى الْمَصِيرِ ﴿٤٨﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْحَجِيرِ ﴿٥١﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَتَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحَكِّمُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فَتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَائِسَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُحَبِّتْ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُدَى الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مَرِيَّةٍ فِتْنَةٍ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾

[٤٧] ﴿وَيَسْتَعِجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ بإنزال العذاب؛ فأنزله يوم بدر ﴿وَأَيُّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ﴾ من أيام الآخرة بسبب العذاب ﴿كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ بالثاء والياء^(١)؛ في الدنيا.

[٤٨] ﴿وَكَأَيُّنَ مِنْ قَرْيَةٍ أَمَلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا﴾ المراد أهلها ﴿وَإِلَى الْمَصِيرِ﴾ المرجع.

[٤٩] ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ أي: أهل مكة ﴿إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾

(١) بالياء قراءة حمزة والكسائي وابن كثير.

(٢) هي قراءة ابن كثير وأبي عمرو، وقرأ بقية السبعة ﴿مُعْجِزِينَ﴾.

(٣) هذا القول هو المشهور الشائع، والصحيح المختار هو أن الرسول من أوحى إليه بشرع جديد، والتي هو المبعوث لتقرير شرع من قبله. وانظر: الرسل والرسالات للأشقر، ص (١٤، ١٥)، والنبوات لابن تيمية ص (٢٥٥).

(٤) وهذا كلام باطل، وقد اتفق جمهور العلماء على أن قصة الغرائق هذه باطلة متنا ولا أصل لها متنا. قال ابن إسحاق: هي من وضع الزنادقة. وقال البيهقي: غير ثابتة نقلًا ورواها مطعونون، وردها ابن كثير، وأبو بكر بن العربي، والقاضي عياض، وغيرهم.

ومن أفضل ما قيل في تفسيرها ما ذكره الشيخ الشنقيطي في أضواء البيان: هو أن ما يلقيه الشيطان في قراءة النبي ﷺ الشكوك والوساوس المانعة من تصديقها وقبولها؛ كإلقائه عليهم أنها سحر أو شعر، أو أساطير الأولين، وأنها مفتراة على الله ليست منزلة من عنده... فمعنى نسخ ما يلقي الشيطان: إزالته وإبطاله وعدم تأثيره في المؤمنين الذين أوتوا العلم. ومعنى «يحكم آياته»: يتقنها بالإحكام؛ فيظهر أنها وحى منزل منه بحق، ولا يؤثر في ذلك محاولة الشيطان صد الناس عنها بإلقائه المذكور.

(٥) تقدم بطلان هذا التأويل، انظر الهامش السابق.

[٥٦] ﴿الْمَلَكُ يُؤْتِيهِمْ﴾ أي: يوم القيامة ﴿لِلَّهِ﴾ وحده، وما تضمنه من الاستقرار^(١)، ناصب للظرف ﴿بَيْنَهُمْ﴾ بين المؤمنين والكافرين بما يتبين بعده ﴿كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّبِيِّ﴾ فضلاً من الله.

[٥٧] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ شديدٌ بسبب كفرهم.

[٥٨] ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: طاعته من مكة إلى المدينة ﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَوْ مَا تَدِينُ اللَّهُ لِيَزُودَهُمْ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ هو رزق الجنة ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّزُقِينَ﴾ أفضل المعطين.

[٥٩] ﴿لِيَدْخُلْنَهُمْ مُّدْخَلًا بِضَمِّ الْمِيمِ وَفَتْحِهَا^(٢)﴾ أي: إدخالاً أو موضعاً ﴿يَرْضَوْنَ﴾ وهو الجنة ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ﴾ بياتهم ﴿حَلِيمٌ﴾ عن عقابهم.

[٦٠] الأمر ﴿ذَلِكَ﴾ قصصناه عليك ﴿وَمَنْ عَاقَبَ﴾ جازى من المؤمن ﴿بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ﴾ ظلماً من المشركين؛ أي: قاتلهم كما قاتلوه في الشهر الحرام ﴿ثُمَّ يُعْطَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ منهم؛ أي: ظلم بإخراجه من منزله ﴿لِيَصْرَفَهُ اللَّهُ إِلَىٰ اللَّهِ لَعَفُورٌ﴾ عن المؤمنين ﴿عَفُورٌ﴾ لهم، عن قتالهم في الشهر الحرام.

[٦١] ﴿ذَلِكَ﴾ النصر ﴿يَأْتِ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ أي: يدخل كلياً منهما في الآخر؛ بأن يزيد به، وذلك من أثر قدرته - تعالى - التي بها النصر ﴿وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ دعاء المؤمنين ﴿بصيرٌ﴾ بهم؛ حيث جعل فيهم الإيمان؛ فأجاب دعاءهم.

[٦٢] ﴿ذَلِكَ﴾ النصر أيضاً ﴿يَأْتِ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾ الثابت ﴿وَإِنَّ مَا يَسْتَعْتُونَ﴾ بالياء والتاء^(٣)، يعبدون ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ وهو الأصنام ﴿هُوَ الْبَاطِلُ﴾ الزائل ﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ﴾ أي: العالِي على كل شيء بقدرته^(٤) ﴿الْكَبِيرُ﴾ الذي يصغر كل شيء سواه.

[٦٣] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تعلم ﴿أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ مطراً ﴿فَنُصِصَ بِهِ الْأَرْضُ مُخْتَضِرَةً﴾ بالنبات، وهذا من أثر قدرته^(٥) ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ﴾ بعباده في إخراج النبات بالماء ﴿حَيِّرٌ﴾ بما في قلوبهم عند تأخير

الْمَلَكُ يُؤْتِيهِمُ اللَّهُ بِحِكْمٍ كُرْهَاتٍ لِّمَنْ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّبِيِّ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَوْ مَا تَدِينُ اللَّهُ لِيَزُودَهُمْ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّزُقِينَ ﴿٥٨﴾ لِيَدْخُلْنَهُمْ مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ يُعْطَىٰ عَلَيْهِ لِيَصْرَفَهُ اللَّهُ إِلَىٰ اللَّهِ لَعَفُورٌ ﴿٦٠﴾ ذَلِكَ يَأْتِ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾ ذَلِكَ يَأْتِ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَنُصِصَ بِهِ الْأَرْضُ مُخْتَضِرَةً وَإِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ حَيِّرٌ ﴿٦٣﴾ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَفِيفُ الْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾

المطر.

[٦٤] ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ على جهة الملك ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَفِيفُ﴾ عن عباده ﴿الْحَمِيدُ﴾ لأوليائه.

(١) أي معنى الاستقرار المقدر.

(٢) بالفتح قراءة نافع.

(٣) بالناء قراءة نافع وابن كثير وابن عامر وشعبة.

(٤) وهذا قصر لمعنى «العلي» على أحد مدلولاته وإغفال الباقي؛ فالله - سبحانه - له العلو المطلق؛ علو الذات، وعلو الشأن، وعلو القهر.

(٥) وروحته أيضاً.

﴿وَمِمَّا كَفَرْنَا﴾ من ﴿أَنْ﴾ أو لئلا ﴿نَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾
فنهلكوا ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالتَّائِبِينَ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ في التسخير والإمساك.

[٦٦] ﴿وَمَوْءَاظِكُمْ بِإِشْيَانِكُمْ﴾ بالإشياء ﴿ثُمَّ يُخَيِّبُكُمْ﴾ عند انتهاء
أجالكم ﴿ثُمَّ يُخَيِّبُكُمْ﴾ عند البعث ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ كَذِبٌ﴾ أي: المشرك
﴿لَكَفُورٌ﴾ لنعم الله؛ بتركه توحيد.

[٦٧] ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا﴾ بفتح السين وكسرهما^(١)؛ شريعة
﴿هُمْ نَاسِكُونَ﴾ عاملون به ﴿فَلَا يَنْزِعُ عَنْكَ﴾ يراد به: لا تنازعهم ﴿فِي
الْأَمْرِ﴾ أي: أمر الذبيحة؛ إذ قالوا: «ما قتل الله أحق أن تأكلوه مما قتلتم»^(٢)
﴿وَأَنْذِرْ إِلَىٰ رَيْبِكَ﴾ إلى دينه ﴿إِنَّكَ لَمَلَكٌ مُّذَكِّرٌ﴾ دين ﴿مُتَسْتَفِيرٌ﴾.

[٦٨] ﴿وَلَنْ جَدُّوكَ﴾ في أمر الدين ﴿فَقُلْ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾
فيجازيكم عليه، وهذا قبل الأمر بالقتال.

[٦٩] ﴿اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ أيها المؤمنون والكافرون ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾
فَمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ بأن يقول كل من الفريقين بخلاف قول الآخر.

[٧٠] ﴿الَّذِينَ قَاتَلْتُمْ﴾ الاستفهام فيه للتقرير ﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ﴾ أي: ما ذكر ﴿فِي كِتَابٍ﴾ هو اللوح المحفوظ ﴿إِنَّ
ذَلِكَ﴾ أي: علم ما ذكر ﴿عَلَىٰ اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ سهل؟.

[٧١] ﴿وَيَعْبُدُونَ﴾ أي: المشركون ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ﴾ هو
الأصنام ﴿سُلْطَنًا﴾ حجة ﴿وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ أنها آلهة^(٣) ﴿وَمَا
لِلظَّالِمِينَ﴾ بالإشراك ﴿مِنْ نَصِيرٍ﴾ يمنع عنهم عذاب الله.

[٧٢] ﴿وَإِذَا نُتِلَّ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا﴾ من القرآن ﴿يَتَّبِعُونَ﴾ ظاهرات،
حَالٌ ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ﴾ أي: الإنكار لها؛ أي:
أثره من الكراهة والعبوس ﴿يَكَادُونَ بِسَطْوَتِ الْبَلَدِ﴾ يتلوت عليهم
آيَاتُنَا؛ أي: يقعون فيهم بالبطش ﴿فَلْ أَهَانِيكُمْ بِشَرِّ مِمَّنْ ذَلِكُمْ﴾ بأثرة
إلحاح من القرآن المثلث عليكم؛ هو: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بأن
مصيرهم إليها ﴿وَيَبْسُ الْمَصِيرُ﴾ هي.

الَّذِينَ كَفَرُوا اللَّهُ سَخَّرَ لَكُمْ مَافِي الْأَرْضِ وَالْفَلَكَ تَجْرِي
فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمِيسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا
بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالتَّائِبِينَ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ الَّذِي
أَخْيَاكُمْ ثُمَّ يُخَيِّبُكُمْ ثُمَّ يُخَيِّبُكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾
لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُونَ فَلَا يَنْزِعُ عَنْكَ
فِي الْأَمْرِ وَأَنْذِرْ إِلَىٰ رَيْبِكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٧﴾
وَإِنْ جَدُّوكَ فَقُلْ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ اللَّهُ يَحْكُمُ
بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾
الَّذِينَ قَاتَلْتُمْ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ
ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَيَعْبُدُونَ
مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَنًا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ
عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذَا نُتِلَّ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا
يَتَّبِعْتُمْ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ
يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قُلْ أَفَأَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ
ذَلِكُمْ النَّارُ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِشَرِّ الْمَصِيرِ ﴿٧٢﴾

[٦٥] ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ تعلم ﴿أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ﴾ من البهائم
﴿وَالْفَلَكَ﴾ السفن ﴿تَجْرِي فِي الْبَحْرِ﴾ للركوب والحمل ﴿بِأَمْرِهِ﴾ ياذنه

(١) بالكسر قراءة حمزة والكسائي.

(٢) راجع ما تقدم في سبب نزول الآيات (١١٩ - ١٢١) من سورة الأمام.

(٣) أي: عبدوها تقليداً لأبائهم، من غير دليل ولا حجة.

[٧٣] ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ مِنْكُمْ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾ وهو: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره؛ وهم: الأصنام ﴿لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا﴾ اسم جنس، واجده ذبابة، يقع على الذكر والمؤنث ﴿وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾ خلقه ﴿وَرِنْ يَسْلُبُهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا﴾ مما عليهم؛ من الطيب والزعفران الملتصخين^(١) به ﴿لَا يَسْتَفِيدُونَ﴾ لا يسترده ﴿وَمَنْهُ﴾ لعجزهم، فكيف يعبدون شركاء الله - تعالى!؟ هذا أمر مستغرب، عجز عنه يضرب مثل ﴿صَعَفَ الظَّالِبُ﴾ العابد ﴿وَالْمَطْلُوبُ﴾ المعبود.

[٧٤] ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ عَظْمَهُ﴾ عظمه ﴿حَقَّ قَدْرَهُ﴾ به ﴿عَظَمَتُهُ﴾ إذ أشركوا به ما لم يمتنع من الذباب ولا يتنصف منه ﴿إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ غالب.

[٧٥] ﴿اللَّهُ يَصْطَلِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَيَرْسِلُ مِنْ سُلَيْمَانَ﴾ نزل لما قال المشركون: ﴿أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرَ مِنْ بَيْنِنَا﴾^(٢) ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لِقائهم ﴿بَصِيرٌ﴾ من يتخذة رسولاً؛ كجبريل وميكائيل وإبراهيم ومحمد وغيرهم - صلى الله عليهم وسلم -.

[٧٦] ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ أي: ما قدموا وما خلفوا، وما عملوا وما هم عاملون بعد ﴿وَاللَّهُ رُجُوعُ الْأُمُورِ﴾.

[٧٧] ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾ أي: صلوا ﴿وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ وحدوه ﴿وَأَقْسُوا إِلَٰهَ الْآخَرِ﴾ كصلة الرحم ومكارم الأخلاق ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ تفوزون بالبقاء في الجنة.

[٧٨] ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ﴾ لإقامة دينه ﴿حَقَّ جِهَادِهِ﴾ باستفراغ الطاقة فيه، ونصب ﴿حَقَّ﴾ على المصدر ﴿هُوَ اجْتِنَابُكُمْ﴾ اختاركم لدينه ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ أي: ضيق؛ بأن سهله عند الضرورات؛ كالفقر واليتم وأكل الميتة والقطر للمرض والسفر ﴿وَيَا أَيُّكُمْ﴾ منصوب بنزع الخافض «الكاف»^(٣) ﴿إِزْهَجَ﴾ عطف بيان ﴿هُوَ﴾ أي: الله ﴿سَمَّكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: قبل هذا الكتاب ﴿وَفِي هَذَا﴾ أي: القرآن ﴿لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾ يوم القيامة أنه بلغكم ﴿وَتَكُونُوا﴾ أنتم ﴿شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ أن رسلكم بلغوهم ﴿فَاقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ داوموا عليها ﴿وَأَتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ﴾ ثقوا به ﴿هُوَ مَوْلَاكُمْ﴾ ناصركم ومتولي أموركم ﴿فَتَعِمَّ الْمَوْلَىٰ﴾ هو ﴿وَقَعَمَ النَّصِيرُ﴾ الناصر لكم.

يَتَأْتِيهَا النَّاسُ صُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبُهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِيدُونَ مِنْهُ صَعَفَ الظَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿٧٦﴾ مَا قَدَرُوا اللَّهَ عَظْمَهُ حَقَّ قَدْرَهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٧﴾ اللَّهُ يَصْطَلِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٧٨﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٧٩﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَاقْعُوا إِلَٰهَ الْآخَرِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٨٠﴾ وَاعْبُدُوا اللَّهَ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَمَا تَدْرُؤْنَ وَأَلْحِقُوا الْفِتْيَانَ بِالْبَنَاتِ هُنَّ حِسَابُ رِجَالِكُمْ كَمَا عَلَّمَكُم بَأْسَ الَّذِي كُنْتُمْ تُكْفِرُونَ ﴿٨١﴾ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَارْتَبِعُوا صَلَاتِهِ فَتَنْجُوهُمْ مِنَ الْعَذَابِ أَلْفًا مَوْجِدًا وَمَنْ يَتَّبِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُجْعَلْ لَهُ جُزْءًا مِمَّا رَزَقْنَا الرِّجَالَ الْكَاثِرِينَ ﴿٨٢﴾ وَمَنْ يَتَّبِعْ النَّاسَ فَمَا يَدْعُونَ إِلَى الْفِتْنِ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَارْتَبِعُوا صَلَاتِهِ فَتَنْجُوهُمْ مِنَ الْعَذَابِ أَلْفًا مَوْجِدًا وَمَنْ يَتَّبِعْ النَّاسَ فَمَا يَدْعُونَ إِلَى الْفِتْنِ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَارْتَبِعُوا صَلَاتِهِ فَتَنْجُوهُمْ مِنَ الْعَذَابِ أَلْفًا مَوْجِدًا ﴿٨٣﴾

سورة المؤمنون

(١) في نسخة الصاوي وبعض النسخ المطبوعة: «الملتصخين». وقال الصاوي مستشكلًا ذلك: المناسب أن يقول: «الملتصخين»؛ لأنه نعت سببي للطيب والزعفران. اهـ. والمثبت من نسخة القاضي كنعان؛ قال: هو هكذا في المخطوطة الثانية، وهو الصواب.

(٢) سورة ص: ٨.

(٣) أي: كجيلة أيكم.

- [٣] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلَتِهِمْ مِنْهُم مِّنَ الْكَلَامِ غَيْرَ مَعْرُضُونَ﴾ .
 [٤] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلرَّكْوَةِ قَاعِلُونَ﴾ مؤذون .
 [٥] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَرْؤُسِهِمْ حَافِظُونَ﴾ عن الحرام .
 [٦] ﴿إِلَّا عَلَىٰ أَرْؤُسِهِمْ﴾ أي: من زوجاتهم ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ أي: السراي ﴿فَلِأَنَّهُمْ غَيْرَ مَلُومِينَ﴾ في إتيانهم .
 [٧] ﴿فَمَنْ أَتَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ﴾ من الزوجات والسراي؛ كالاتمناء باليد في إتيانهم ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ المتجاوزون إلى ما لا يحل لهم .
 [٨] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ﴾ جمعاً ومفرداً^(١) ﴿وَعَهْدِهِمْ﴾ فيما بينهم، أو فيما بينهم وبين الله من صلاة وغيرها ﴿رَاعُونَ﴾ حافظون .
 [٩] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ﴾ جمعاً ومفرداً^(٢) ﴿يَحْفَظُونَ﴾ يقيمونها في أوقاتها .
 [١٠] ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الزَّوْرُونَ﴾^(٣) لا غيرهم .
 [١١] ﴿الَّذِينَ يَرْتُونَ الْفِرْدَوْسَ﴾ هو جنة أعلى الجنان ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ في ذلك إشارة إلى المعاد، ويناسبه ذكر المبدأ بعده .
 [١٢] ﴿وَاللَّهُ﴾ ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ آدم ﴿مِّن سُلْطَانٍ﴾ هي من سللت الشيء من الشيء؛ أي: استخرجه منه، وهو خلاصته ﴿مِّن طِينٍ﴾ متعلق بـ ﴿سُلْطَانٍ﴾ .
 [١٣] ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ﴾ أي: الإنسان نسل آدم ﴿نُطْفَةً﴾ مَيْتًا ﴿فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ هو الرحم .
 [١٤] ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾ دماً جامداً ﴿فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾ لحمية قذراً ما مضغ ﴿فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْلَمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْلَمَ لَحْمًا﴾ وفي قراءة: ﴿عِظْلَمًا﴾ في الموضعين^(٤)، و«خَلَقْنَا» في المواضع الثلاث؛ بمعنى: صبرنا ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ بنفخ الروح فيه ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ أي: المقدرين، ومميز ﴿أَحْسَنُ﴾ محذوف للعلم به؛ أي: خالقاً .
 [١٥] ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيْتُونَ﴾ .
 [١٦] ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَبْعَتُونَ﴾ للحساب والجزاء .
 [١٧] ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا قَوْكُمُ سَبْعَ طَرَائِقَ﴾ أي: سماوات، جمع طريقة^(٥)؛ لأنها طرق الملائكة ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ﴾ التي تحتها ﴿غَفْلِينَ﴾ أن تسقط عليهم؛ فهلكتهم، بل نسكها؛ كآية ﴿وَتَسْمِعُ الْكَلِمَةَ أَلَّن تَقَعَّ عَلَى الْأَرْضِ﴾^(٦) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلرَّكْوَةِ قَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَرْؤُسِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَرْؤُسِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنْ أَتَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الزَّوْرُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرْتُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلْطَانٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْلَمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْلَمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيْتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَبْعَتُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا قَوْكُمُ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَفْلِينَ ﴿١٧﴾

سُورَةُ الْمُؤْمِنُونَ

[مكية، مائة وثمانين، أو: تسع عشرة آية، نزلت بعد الأنبياء]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- [١] ﴿قَدْ﴾ للتحقيق ﴿أَفْلَحَ﴾ فاز ﴿الْمُؤْمِنُونَ﴾ .
 [٢] ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ متواضعون^(١) .

(٥) فائدة: أخرج ابن ماجه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « ما منكم من أحد إلا له منزلان: منزل في الجنة، ومنزل في النار؛ فإذا مات فدخل الثار، ورث أهل الجنة منزله؛ فذلك قوله: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الزَّوْرُونَ﴾ . ابن ماجه - كتاب الزهد (٣٧) باب (٣٩) صفة الجنة. وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٣٥٠٣).

(١) الخشوع في الصلاة غير التواضع؛ ومعناه: الخشوع والحروف والسكون؛ أي: باطنا وظاهرا.

(٢) بالإفراد قراءة ابن كثير.

(٣) بالإفراد قراءة حمزة والكسائي.

(٤) أي: «عظما»، و«العظم»، وهي قراءة ابن عامر وشعبة.

(٥) أي لأن بعضها فوق بعض، وقيل: لأنها طرق الملائكة. فهذان تفسيران لسبب التسمية، وضع المؤلف يوهم أنه تفسير واحد.

(٦) الحج: ٦٥.

وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَتْهُ فِي الْأَرْضِ وَأَنَا عَلَى
 ذَهَابٍ بِهِ لَقَدِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّتٍ مِّنْ نَّجِيلٍ
 وَأَعْتَبْنَا لَكُمْ فِيهَا فَوْكَةً كَثِيرَةً وَمِنهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً
 تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَبَّغٌ لِّالْأَكْبَاتِ ﴿٢٠﴾
 وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَلْعَمِ لَعِبْرَةً لِّتُسْقِيَهُمْ مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا
 مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ
 ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ أَطِيعُوا اللَّهَ
 مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ
 كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَفْضَلَ عَلَيْكُمْ
 وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا
 الْأُولِينَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ يُبَدِّعُ فَرَّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ
 ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبْتَنِي ۗ وَأَوْحِنَا إِلَىٰهِ أَنْ اصْنَعْ
 الْفُلْكَ يَا عَيْنِنَا وَوَحِينَا إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ فَاسْلُكْ
 فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ
 الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تَحْطَبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٦﴾

[١٨] ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ﴾ من كفايتهم ﴿فَأَسْكَنَتْهُ فِي الْأَرْضِ﴾
 وَنَا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَدِرُونَ ﴿فيموتون مع دوابهم عطشا.

[١٩] ﴿فَأَنشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّتٍ مِّنْ نَّجِيلٍ وَأَعْتَبْنَا﴾ هما أكثر فواكه العرب
 ﴿لَكُمْ فِيهَا فَوْكَةٌ كَثِيرَةٌ وَمِنهَا تَأْكُلُونَ﴾ صيفا وشتاء.

[٢٠] ﴿و﴾ أنشأنا ﴿شَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ [سَيْنَاءَ]﴾ جبل؛ بكسر
 السين وفتحها^(١)، ومع الصرف للعلمية، والثاني للبقعة ﴿تَنْبُتُ﴾ من
 الرباعي والثلاثي^(٢) ﴿بِالذَّهْنِ﴾ الباء زائدة على الأول ومعديّة على الثاني؛
 وهي: شجرة الزيتون ﴿وَصَبَّغٌ لِّالْأَكْبَاتِ﴾ عطف على «الدهن»؛ أي: إذا ما
 يصبغ اللقمة بغمسها فيه؛ وهو: الزيت.

[٢١] ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَلْعَمِ﴾ الإبل والبقر والغنم ﴿لَعِبْرَةً﴾ عظة تعتبرون
 بها ﴿لِتُسْقِيَهُمْ﴾ بفتح النون وضمها^(٣) ﴿مِّمَّا فِي بُطُونِهَا﴾ اللبن ﴿وَلَكُمْ فِيهَا
 مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ﴾ من الأصواف والأوبار والأشعار وغير ذلك ﴿وَمِنهَا
 تَأْكُلُونَ﴾.

[٢٢] ﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ﴾ السفن ﴿تُحْمَلُونَ﴾.

[٢٣] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ أَطِيعُوا اللَّهَ﴾
 ووحده ﴿مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ﴾ وهو اسم ﴿مَا﴾ وما قبله الخبر،
 و﴿مِّنْ﴾ زائدة ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ تخافون عقوبته بعبادتكم غيره؟

[٢٤] ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾ لأبناهم: ﴿مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ
 مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَفْضَلَ﴾ يتشرف ﴿عَلَيْكُمْ﴾ بأن يكون مثبوعا وأنتم أتباعه
 ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ لَا يَبْعُدَ غَيْرُهُ﴾ لأزل مَلَائِكَةً ﴿بذلك، لا بشرا﴾ مَا
 سَمِعْنَا بِهَذَا الذي دعا إليه نوح من التوحيد ﴿فِي آبَائِنَا الْأُولِينَ﴾ الأمم
 الماضية.

[٢٥] ﴿إِنَّ هُوَ﴾ ما نوح ﴿إِلَّا رَجُلٌ يُبَدِّعُ﴾ حالة جنون ﴿فَرَّصُوا﴾
 به ﴿انْتَظَرُوهُ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ إلى زمن موته.

[٢٦] ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي﴾ عليهم ﴿بِمَا كَذَّبْتَنِي﴾ بسبب
 تكذيبهم إياي؛ بأن تهلكهم.

[٢٧] قال - تعالى - مجيبا دعاءه: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلْكَ﴾
 السفينة ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ بِعَرَأَىٰ مِنَّا وَحَفِظْنَا^(٤) ﴿وَوَحِينَا﴾ أمرنا ﴿فَإِذَا جَاءَ
 أَمْرُنَا﴾ بإهلاكهم ﴿وَفَارَ التَّنُورُ﴾ للحباز بالماء^(٥)، وكان ذلك علامة لنوح
 ﴿فَأَسْلُفٌ فِيهَا﴾ أي: أذخبل في السفينة ﴿مِّنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ﴾ ذكر
 وأنثى؛ أي: من كل أنواعهما ﴿اثْنَيْنِ﴾ ذكرا وأنثى، وهو مفعول، و﴿مِّنْ﴾
 متعلقة بـ«اسلُفٌ»، وفي القصة: أن الله - تعالى - حشر نوح السباع والطيور
 وغيرها؛ فجعل يضرب بيديه في كل نوع؛ فقع يده اليمنى على الذكر

واليسرى على الأنثى؛ فيحملها في السفينة، وفي قراءة: ﴿كُلِّ﴾
 بالتثنية، ف﴿زَوْجَيْنِ﴾ مفعول، و﴿اثْنَيْنِ﴾ تأكيد له ﴿وَأَهْلَكَ﴾ زوجته
 وأولاده ﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ﴾ بالإهلاك؛ وهو: زوجته وولده
 كنعان^(٦)، بخلاف سام وحام ويافث؛ فحملهم وزوجاتهم ثلاثة، وفي سورة
 هود: ﴿وَمِن مَّأْمُونٍ وَمَا مَأْمُونٌ مَّعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾^(٧) قيل: «كانوا ستة رجال
 ونساؤهم»، وقيل: «جميع من كان في السفينة ثمانية وسبعون؛ نصفهم رجال
 ونصفهم نساء» ﴿وَلَا تَحْطَبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ كفروا، بترك إهلاكهم
 ﴿إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ﴾.

(١) بالكسر قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو.

(٢) من أنبت ونبت، يشير بذلك إلى القراءتين، وبضم الثاء وكسر الباء قراءة ابن كثير وأبي عمرو.

(٣) بالفتح قراءة نافع وابن عامر وشعبة.

(٤) وفيها إثبات صفة العين لله سبحانه على الحقيقة، كما هو مذهب السلف الصالح، وأما الجمع فلتعظيم لا للكثير؛ كقوله تعالى: ﴿فَتَمَّتْ تَدْيُونَكَ﴾، ﴿وَمِمَّا كَثُرَ﴾، ﴿وَأَنَا تَوَكُّبُونَ﴾.

(٥) راجع التعليل في سورة هود آية ٤٠.

(٦) هي قراءة السبعة عدا حفص، وقرأ حفص بالتثنية.

(٧) راجع التعليل في سورة هود آية ٤٠.

(٨) هود: ٤٠.

[٣٠] ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور من أمر نوح والسفينة وإهلاك الكفار ﴿لآيَاتٍ﴾ دلالات على قدرة الله - تعالى - ﴿وإن﴾ مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن ﴿كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾ مختبرين قوم نوح بإرساله إليهم ووعظه.

[٣١] ﴿فَرَأَيْنَا مِن بَعْدِهِمُ قَرْيَةً﴾ قوما ﴿ءآخِرِينَ﴾ هم عاد^(١).

[٣٢] ﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمُ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ هودا^(٢) ﴿أَن﴾ بأن ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ﴾ أفلا تتقون ﴿عقابه فتؤمنون﴾.

[٣٣] ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا الْآخِرَةَ﴾ بالمصير إليها ﴿وَأَتَيْنَهُمْ﴾ نعمناهم ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِّثْلُكُمْ بِأَكْلِ مَا هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِّثْلُكُمْ بِأَكْلِ مَا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُونَ﴾.

[٣٤] ﴿وَاللَّهُ﴾ لئن أطعتم بشرًا مثلكم ﴿فيه قسم وشرط، والجواب لأولهما - وهو مغن عن جواب الثاني :- ﴿إِذْ كُنَّا إِذَا﴾ إذا أطعتموه ﴿لَنُخْسِرَنَّ﴾ أي: مغبونون.

[٣٥] ﴿أَبَعِدْكُمْ أَنْتُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظْمًا أَنْتُمْ مُخْرَجُونَ﴾ هو خبر ﴿أَنْتُمْ﴾ الأولى، و﴿أَنْتُمْ﴾ الثانية تأكيد لها لما طال الفصل.

[٣٦] ﴿هَيَّاتَ هَيَّاتَ﴾ اسم فعل ماض بمعنى مصدر؛ أي: بُعد بُعد ﴿لِمَا تُوْعَدُونَ﴾ من الإخراج من القبور، واللام زائدة للبيان.

[٣٧] ﴿إِن هِيَ﴾ أي: ما الحياة ﴿إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ بحياة أبنائنا ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾.

[٣٨] ﴿إِن هُوَ﴾ ما الرسول ﴿إِلَّا رِجُلٌ أَنفَقْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ﴾ مصدقين بالبعث بعد الموت.

[٣٩] ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَدَدْتُ﴾.

[٤٠] ﴿قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ﴾ من الزمان، و﴿مَا﴾ زائدة ﴿بَلِّصِيحُنَّ﴾ ليصيرن ﴿نَدِيرِينَ﴾ على كفرهم وتكذيبهم.

[٤١] ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ﴾ صيحة العذاب والهلاك كائنة ﴿بِالْحَقِّ﴾ فماتوا ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ عَشَاءً﴾ وهو نبت ييس؛ أي: صيرناهم مثله في اليبس.

﴿فَعُودًا﴾ من الرحمة ﴿لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ المكذبين.

[٤٢] ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قُرُونًا﴾ أقواما ﴿ءآخِرِينَ﴾.

فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٣٨﴾ وَقُلْ رَبِّ انزُلْنِي مُزَلًّا وَمَنْتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءآخِرِينَ ﴿٤١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمُ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ ءَأَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٤٢﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا الْآخِرَةَ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِّثْلُكُمْ بِأَكْلِ مَا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُونَ ﴿٤٣﴾ وَإِنِ اطَّعْتُمْ بَشْرًا مِّثْلَكُم إِذْ كُنْتُمْ إِذَا الْخَسِرُونَ ﴿٤٤﴾ أَيْعِدْكُمْ أَنْتُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظْمًا أَنْتُمْ مُخْرَجُونَ ﴿٤٥﴾ هَيَّاتَ هَيَّاتَ لِمَا تُوْعَدُونَ ﴿٤٦﴾ إِنَّ هِيَ إِلَّا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٤٧﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٤٨﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَدَدْتُ ﴿٤٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لِيُصِيحُنَّ نَدِيرِينَ ﴿٥٠﴾ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ عَشَاءً فَعُودًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءآخِرِينَ ﴿٥٢﴾

[٢٨] ﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ﴾ اعتدلت ﴿أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين وإهلاكهم.

[٢٩] ﴿وَقُلْ﴾ عند نزولك في الفلك: ﴿رَبِّ انزُلْنِي مُزَلًّا﴾ بضم الميم وفتح الزاي: مصدر، أو: اسم مكان، وفتح الميم وكسر الزاي^(١): مكان النزول ﴿مُبَارَكًا﴾ ذلك الإنزال أو المكان ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ﴾ ما ذكر.

(١) يفتح الميم وكسر الزاي لشعبة، وقرأ الباقون بضم الميم وفتح الزاي.

(٢) وقيل: هم ثمود قوم صالح؛ لأنهم هم الذين أهلكوا بالصيحة. واعتمده البضاوي في تفسيره. واختاره السعدي في تيسر الكريم الرحمن ص (٥٩٧) وقال: الظاهر أنهم «ثمود» قوم صالح عليه السلام؛ لأن القصة هذه تشبه قصتهم. اهـ.

(٣) وعلى القول الآخر: يكون الرسول صالحاً.

[٤٣] ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا﴾ بأن تموت قبله ﴿وَمَا يَسْتَحْزِرُونَ﴾ عنه، ذكّر الضمير بعد تانيه رعاية للمعنى.

[٤٤] ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا﴾ [تقرأ] بالتونين وعدمه^(١)؛ متتابعين بين كل اثنين زمان طويل^(٢) ﴿كُلٌّ مَّا جَاءَ أُمَّةٌ﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بينها وبين الواو^(٣) ﴿رُسُلًا كَذِبُوا فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا﴾ في الهلاك ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبَعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

[٤٥] ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَنٍ مُّبِينٍ﴾ حجة بيّنة؛ وهي: اليد والعصا وغيرهما من الآيات^(٤).

[٤٦] ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾ فَاسْتَكْبَرُوا ﴿عَنِ الْإِيمَانِ بِهَا﴾ وباللّه ﴿وَكَاذِبُوا قَوْمًا عَالِينَ﴾ قاهرين بني إسرائيل بالظلم.

[٤٧] ﴿فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ بِإِسْرَائِيلَ وَيُنَالِنَا قَوْمُهُمَا لَنَا عِبَادُونَ﴾ مطبوعون خاضعون.

[٤٨] ﴿كَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ﴾.

[٤٩] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ قومه بني إسرائيل ﴿يَهْتَدُونَ﴾ به من الضلالة، وأوتيتها بعد هلاك فرعون وقومه جملة واحدة.

[٥٠] ﴿وَجَعَلْنَا آيَاتِنَا مِنْ مِيزَانٍ﴾ عيسى ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ رِيبَؤُكَ﴾ لم يقل آيتين؛ لأن الآية فيهما واحدة؛ ولادته من غير فعل ﴿وَمَا وَفَّقْنَاهُمْ إِلَّا رِيبَؤُكَ﴾ مكان مرتفع؛ وهو: بيت المقدس، أو دمشق، أو فلسطين، أو فال ﴿ذَاتِ قُرْبَى﴾ أي: مستوية يستقر عليها ساكنوها ﴿وَمَعِينٍ﴾ وماء جار ظاهر تزاؤه العيون.

[٥١] ﴿يَتَّبِعُهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ الحلالات ﴿وَأَعْمَلُوا صَالِحًا﴾ من فرض ونفل ﴿إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ فأجازيكم عليه.

[٥٢] ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿إِنَّ هَذِهِ﴾ أي: ملة الإسلام ﴿أُمَّتُكُمْ﴾ دينكم أيها المخاطبون؛ أي: يجب أن تكونوا عليها ﴿أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ حال لازمة، وفي قراءة: بتخفيف النون^(٥)، وفي أخرى: بكسرها مشددة^(٦)؛ استئنافاً ﴿وَأَنَّا رِيبِكُمْ فَالْقُرُونِ﴾ فأحذرون.

[٥٣] ﴿فَتَقَطَّعُوا﴾ أي: الأبناع ﴿أَنفُسَهُمْ﴾ دينهم ﴿بَيْنَهُمْ رُبُؤًا﴾ حال من فاعل ﴿تقطعوا﴾؛ أي: أحراباً متخالفين؛ كاليهود والنصارى وغيرهم ﴿كُلٌّ حَزْبٌ يَمَّا لَدَيْهِمْ﴾ أي: عندهم من الدين ﴿كِرْبُوحٌ﴾ مسروون.

[٥٤] ﴿فَذَرَهُمْ﴾ اترك كفار مكة ﴿فِي عَمْرَتِهِمْ﴾ ضلالتهم ﴿حَتَّىٰ جِئَ﴾ إلى حين موتهم.

[٥٥] ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُثَدِّرُهُمْ يَدُهُمْ﴾ نعطيهم ﴿مِن مَّالٍ رَبِّينَ﴾ في الدنيا.

مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَحْزِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا كُلٌّ مَّا جَاءَ أُمَّةٌ رَّسُولُهَا كَذِبُوا فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبَعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ بِإِسْرَائِيلَ وَيُنَالِنَا قَوْمُهُمَا لَنَا عِبَادُونَ ﴿٤٧﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٨﴾ وَجَعَلْنَا آيَاتِنَا مِنْ مِيزَانٍ ﴿٤٩﴾ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ رِيبَؤُكَ وَمَا وَفَّقْنَاهُمْ إِلَّا رِيبَؤُكَ ﴿٥٠﴾ وَجَعَلْنَا آيَاتِنَا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا ﴿٥١﴾ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥٢﴾ وَلَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرَهُمْ حَتَّىٰ جِئَ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُثَدِّرُهُمْ يَدُهُمْ ﴿٥٥﴾ وَمِن مَّالٍ رَبِّينَ ﴿٥٦﴾ إِنَّا نَسَخْنَا مَا أُوتِيَ الْمُؤْمِنُونَ مِنْ قَدْحِ الْعَلِيِّ ﴿٥٦﴾ وَمَنْ يَعْصِ رَبَّهُ يُجْزِلْهُ رَبُّهُ حَيْثُ يَشَاءُ ﴿٥٧﴾ وَإِنَّا لَنُؤْتِي السُّبْحَانَ مَنْ يَشَاءُ مِنْ بَنِي آدَمَ وَمَنْ نَشَاءُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَمَنْ نَشَاءُ مِنْ نَبِيِّنَا وَمَنْ نَشَاءُ مِنْ آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٥٨﴾ وَمَنْ يُؤْمَرْ بِالْعَنَاءِ فَلْيُؤْمَرْ عَنَاءً وَمَنْ يُؤْمَرْ بِالْمِائَةِ فَلْيُؤْمَرْ مِائَةً وَمَنْ يُؤْمَرْ بِالْأَلْفِ فَلْيُؤْمَرْ أَلْفًا وَهُمْ يَخْلَعُونَ ﴿٥٩﴾

[٥٦] ﴿نَسَخْنَا﴾ نجعل ﴿لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ لا ﴿بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾ أن ذلك استدرأج لهم.

[٥٧] ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ﴾ خوفهم منه ﴿مُسْفِقُونَ﴾ خائفون من عذابه.

[٥٨] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ القرآن ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ يصدقون.

[٥٩] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾ معه غيره.

(١) بالتونين قراءة ابن كثير وأبي عمرو، وأصل «تقرأ»: «وثرى» من «الوثر»، وهو: الفرد.

(٢) وقيل: متتابعين بلا مهلة.

(٣) تحقيق الهمزتين هو قراءة حمزة والكسائي وعاصم وابن عامر، وتسهيل الثانية هو قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو.

(٤) تقدم بيانها في تفسير آية الأعراف ١٣٣، ويونس ٧٥.

(٥) لابن عامر.

(٦) بكسر الهمزة وتشديد النون لعاصم وحمزة والكسائي، وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بفتح الهمزة وتشديد النون.

[٦٣] ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ﴾ أي: الكفار ﴿فِي غَمْرَةٍ﴾ جهالة ﴿مِنْ هَذَا﴾ القرآن ﴿وَهُمْ أَعْمَلُ مِنْ دُونِ ذَلِكَ﴾ المذكور للمؤمنين ﴿هُمْ لَهَا عَمَلُونَ﴾ فيعذبون عليها.

[٦٤] ﴿حَقٌّ﴾ ابتدائية ﴿إِذَا أُنذِنَا مَرْفِقِهِمْ﴾ أغنياءهم وروساءهم ﴿بِالْعَذَابِ﴾ أي: السيف يوم بدر^(٦٣) ﴿إِذَا هُمْ يَجْتَرُونَ﴾ يضحجون.

[٦٥] يقال لهم: ﴿لَا تَجْتَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ يَتَنَا لَا تُنصِرُونَ﴾ لا تمنعون.

[٦٦] ﴿فَدَكَانَتْ آيَاتِي﴾ من القرآن ﴿تُنْتَلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَغْفَانِكُمْ نَكِيسُونَ﴾ ترجعون القهقري.

[٦٧] ﴿مُسْتَكْبِرِينَ﴾ عن الإيمان ﴿بِهِ﴾ أي: بالبيت أو الحرم؛ بأنهم أهله في أمن بخلاف سائر الناس في مواطنهم ﴿سَمِيرًا﴾ حال؛ أي: جماعة يتحدثون بالليل حول البيت ﴿تَهْجُرُونَ﴾ من الثلاثي؛ تتركون القرآن، ومن الرباعي^(٦٤)؛ أي: تقولون غير الحق في النبي والقرآن.

[٦٨] قال - تعالى -: ﴿أَفَلَمْ يَذَبُّوا﴾ أصله يتدبروا؛ فأدغمت التاء في الدال ﴿الْقَوْلِ﴾ أي: القرآن الدال على صدق النبي ﴿أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمْ الْأَوَّلِينَ؟﴾

[٦٩] ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَمْ يُنْكِرُوا؟﴾

[٧٠] ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ؟﴾ الاستفهام للترديد بالحق؛ من صدق النبي، ومجيبه الرسل للأمم الماضية، ومعرفة رسولهم بالصدق والأمانة وأن لا جنون به ﴿بَلْ﴾ للانتقال ﴿جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ﴾ أي: القرآن المشتمل على التوحيد وشرائع الإسلام ﴿وَأَكْذَرْتُمْ لِلْحَقِّ كَرِهُونَ﴾.

[٧١] ﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ﴾ أي: القرآن ﴿أَهْوَاءَهُمْ﴾ بأن جاء بما يهوىه من الشريك والولد لله - تعالى الله عن ذلك - ﴿فَلَسَدَتِ السَّمَكُوتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ خرجت عن نظامها المشاهد؛ لوجود التمانع في الشيء عادة عند تعدد الحاكم ﴿بَلْ أَلْبَسْنَاهُمْ لِيُذَكِّرَهُمْ﴾ أي: القرآن الذي فيه ذكرهم وشرافهم ﴿فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ﴾.

[٧٢] ﴿أَمْ قَسَمْنَا لَهُمْ كَرْحًا﴾ أجزأ على ما جنتهم به من الإيمان ﴿فَخَرَجَ رَيْكٌ﴾ أجره وثوابه وورقه ﴿حَرًّا﴾ وفي قراءة: ﴿حَرًّا﴾ في الموضوعين^(٦٥)، وفي قراءة أخرى: ﴿خَرَجًا﴾ فيهما^(٦٦) ﴿وَهُوَ خَيْرٌ الرَّزَقِينَ﴾ أفضل من أعطى وأجر.

[٧٣] ﴿وَأَنْكَرْنَا لَعْنَهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ﴾ طريق ﴿مُسْتَقِيمٍ﴾ أي: دين الإسلام.

[٧٤] ﴿وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ بالبعث والثواب والعقاب ﴿عَنِ الصِّرَاطِ﴾ أي: الطريق ﴿لَنُنَكِّبَنَّ﴾ عادلون.

وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءَ آتَاوًا وَقُلُوبُهُمْ رِجْلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٣﴾
أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْحَيَاتِ وَهُمْ لَهَا سَاقُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْكَ كِتَابٌ يَطْبُقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٥﴾
بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَذَا وَهُمْ أَعْمَلُ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَمَلُونَ ﴿٦٦﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْتَرُونَ ﴿٦٧﴾ لَا تَجْتَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ يَتَنَا لَا تُنصِرُونَ ﴿٦٨﴾ فَكَانَتْ آيَاتِي تُنْتَلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَغْفَانِكُمْ تَنَكِّصُونَ ﴿٦٩﴾
مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَمِيرًا تَهْجُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَلَمْ يَذَبُّوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ وَمُنْكَرُونَ ﴿٧٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُم لِلْحَقِّ كَرِهُونَ ﴿٧٣﴾ وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَكُوتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿٧٤﴾ أَمْ لَسْنَا لَهُمْ خَرَجًا فَخَرَجَ رَيْكٌ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرٌ الرَّزَقِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾
وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنُنَكِّبَنَّ ﴿٧٧﴾

[٦٠] ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ﴾ يعطون ﴿مَاءَ آتَاوًا﴾ أعطوا من الصدقة والأعمال الصالحة^(٦١) ﴿وقُلُوبُهُمْ رِجْلَةٌ﴾ خائفة أن لا تقبل منهم ﴿أَنَّهُمْ﴾ يقدر قبله: لام الجر^(٦٢) ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾.

[٦١] ﴿أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْحَيَاتِ وَهُمْ لَهَا سَاقُونَ﴾ في علم الله.

[٦٢] ﴿وَلَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ طاقتها؛ فمن لم يستطع أن يصلي قائمًا فيلصق جالسًا، ومن لم يستطع أن يصوم فليأكل ﴿وَلَدَيْكَ كِتَابٌ يَطْبُقُ بِالْحَقِّ﴾ بما عملته؛ وهو: اللوح المحفوظ تسطر فيه الأعمال ﴿وَهُمْ﴾ أي: النفوس العاملة ﴿لَا يُظْلَمُونَ﴾ شيئًا منها؛ فلا ينقص من ثواب أعمال الخيرات، ولا يزداد في السيئات.

(١) أخرج أحمد في مسنده (١٥٩/٦)، والترمذي في سننه (٣١٧٥)، وابن ماجه (٤١٩٨) عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءَ آتَاوًا وَقُلُوبُهُمْ رِجْلَةٌ﴾ قالت عائشة: هم الذين يشربون الحمر ويسرقون؟ قال: «لا، يا بنت الصديق، ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون، وهم الذين يفتخرون أن لا يتقبل منهم»، وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٣٣٨٤).

(٢) أي: «لأنهم؟» فيكون تعليلاً لقوله: ﴿وَرِجْلَةٌ﴾.

(٣) هذا قول ابن عباس وجماعة. وقيل: المراد بالعذاب: عذاب الآخرة.

(٤) يشير إلى القراءتين، فبضم التاء وكسر الجيم قراءة نافع. جعله من الهجر، وهو الهديان وما لا خير فيه من الكلام.

(٥) أي: «خَرَجًا فَخَرَجَ» وهي قراءة ابن عامر.

(٦) أي: «خَرَجًا فَخَرَجَ» وهي حمزة والكسائي.

[٧٥] ﴿وَلَوْ رَحَّمْنَهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَأَيَّ جُوعٍ أَصَابَهُمْ بَمَكَّةَ سَبْعَ سِنِينَ﴾ ﴿لَلْجَوَّابُ﴾ تَمَادَا ﴿فِي طَعْنِيهِمْ﴾ ضَلَالَتِهِمْ ﴿يَعْمَهُونَ﴾ يترددون.

[٧٦] ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ﴾ الجوع^(١) ﴿فَمَا اسْتَكَاثُوا﴾ تواضعا ﴿لِرَبِّهِمْ وَمَا يَضُرُّعُونَ﴾ يرغبون إلى الله بالدعاء.

[٧٧] ﴿حَتَّى﴾ ابتدائية ﴿إِنَّمَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا﴾ صاحب ﴿عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ هو يوم بدر بالقتل^(٢) ﴿إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ أيسون من كل خير.

[٧٨] ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ﴾ خَلَقَ ﴿لَكُمْ السَّمْعَ﴾ بمعنى: الأسماع ﴿وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾ القلوب ﴿فَلَيْلًا مَّا﴾ تأكيد لليلة ﴿نَشْكُرُونَ﴾.

[٧٩] ﴿وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ﴾ خَلَقَكُمْ ﴿فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ تبعثون.

[٨٠] ﴿وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي﴾ ينفخ الروح في المصغرة ﴿وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتَلَفُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ بالسواد والبياض والزيادة والنقصان ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ضَعْفُهُ - تعالى؛ فتعتبرون؟.

[٨١] ﴿بَلْ قَالُوا وَمِثْلَ مَا قَالَ الْأُولَئِكَ﴾.

[٨٢] ﴿قَالُوا﴾ أي: الأولون: ﴿أَوَدَأَ وَمَتَا وَكُنَّا تَرَابًا وَعِظْمًا أَوْنَا لَنَجُوهُنَّ؟﴾ لا، وفي الهمزتين في الموضوعين التحقيق، وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين^(٣).

[٨٣] ﴿لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَمَا كُنَّا هَذَا﴾ أي: البعث بعد الموت ﴿وَمَنْ قَبْلَ﴾ **إِنَّ** ﴿مَا هَذَا إِلَّا أَسْطِيزٌ﴾ أكاذيب ﴿الْأُولَئِكَ﴾ كالأضاحيك والأعاجيب، جمع أسطورة؛ بالضم.

[٨٤] ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿لِمَنْ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا﴾ من الخلق ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ خالقها ومالكها.

[٨٥] ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ﴾ لهم: ﴿أَفَلَا تَدَّكَّرُونَ﴾ بإدغام التاء الثانية في الذال^(٤)؛ تتعظون فتعلمون أن القادر على الخلق ابتداء قادر على الإحياء بعد الموت؟

[٨٦] ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ الكرسي^(٥).

[٨٧] ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا نُنْقِطُ﴾ تحذرون عبادة غيره؟

[٨٨] ﴿قُلْ مَنْ يَدْعُ مَلَكَكُمْ﴾ ملك ﴿كُلِّ شَيْءٍ﴾ والتاء: للمبالغة ﴿وَهُوَ يُحْيِي وَلَا يُحْيِي عَلَيْهِ﴾ يحيي ولا يحيي عليه ﴿إِنْ كُنْتُمْ

﴿وَلَوْ رَحَّمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلْجَوَّابُ فِي طَعْنِيهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَاثُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَضُرُّعُونَ﴾ ﴿حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ فَلَيْلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ ﴿وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ ﴿وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتَلَفُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ﴿بَلْ قَالُوا وَمِثْلَ مَا قَالَ الْأُولَئِكَ﴾ ﴿قَالُوا أَوَدَأَ وَكُنَّا تَرَابًا وَعِظْمًا أَوْنَا لَنَجُوهُنَّ؟ لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَمَا كُنَّا هَذَا وَمَنْ قَبْلَ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيزٌ الْأُولَئِكَ﴾ ﴿قُلْ لِمَنْ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَدَّكَّرُونَ﴾ ﴿قُلْ مَنْ يَدْعُ مَلَكَكُمْ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُحْيِي وَلَا يُحْيِي عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾

تَعْلَمُونَ؟

[٨٩] ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ وفي قراءة: ﴿لِلَّهِ﴾ بلام الجر في الموضوعين^(٦)؛ نظرًا إلى أن المعنى: من له ما ذكر؟ ﴿قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾ تخدعون وتصرفون عن الحق عبادة الله وحده؛ أي: كيف تخيل لكم أنه باطل؟.

(١) أخرج السائي في تفسيره (٩٨/٢، ٩٩ رقم ٣٧٢)، والطبراني في الكبير (١١/١١ رقم ١٢٠٣٨)، وابن حبان في صحيحه (رقم ١٧٥٣-١٧٥٤)، والحاكم في مستدركه (٣٩٤/٢) وصحح إسناده ووافقه الذهبي. عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: جاء أبو سفيان إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد، أنشدك الله والرحم؛ فقد أكلنا العلهي - يعني: الوبير بالدم - فآثر الله ﷻ. ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَاثُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَضُرُّعُونَ﴾. وحسنه الحافظ في التلح (٥١/٦)، وصححه في الاستيعاب (٥٣٨/٢، ٥٣٩).

(٢) هذا قول ابن عباس، وقال عكرمة: هو باب من أبواب جهنم.

(٣) أي: وترك الإدخال؛ وقرأ عامر بالإخبار في الأول والاستفهام في الثاني، وراجع التعليق على الآية (٨١) من سورة الأعراف.

(٤) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ بقية السبعة ﴿تَدَّكَّرُونَ﴾.

(٥) سبق بيان أن العرش غير الكرسي، وأنه أعظم منه.

(٦) هذه قراءة أبي عمرو، وقرأ بقية السبعة: (لله) بلام الجر.

(٧) أي: الأخيرين، وأما جواب السؤال الأول فهو بلام الجر يوافق السبعة، ولم يقرأ بدونها أحد.

بَلْ آتَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ
وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا أَذْهَبَ كُلَّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ
وَأَعْلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿٩١﴾
عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَعَلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ قُلْ رَبِّ
إِمَّا تَرَىٰٓ فِي مَبُودٍ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ
﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰ أَنْ نُرِيدَكَ مَا نُعِدُّهُمْ لَقَدِيرُونَ ﴿٩٥﴾ أَذْفَعُ بِأَلْتِي
هِيَ أَحْسَنُ السَّبِيحَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُلْ رَبِّ
أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ
يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ
أَرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا
كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾
فَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ
﴿١٠١﴾ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ وَفَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ
خَفَّتْ مَوَازِينُهُ، فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ
خَالِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارَ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴿١٠٤﴾

[٩٠] ﴿بَلْ آتَيْنَهُم بِالْحَقِّ﴾ بالصدق ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ في نفيه، وهو:
[٩١] ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا﴾ أي: لو كان
معه إله ﴿وَأَذْهَبَ كُلَّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ﴾ انفراد به ومنع الآخر من الاستيلاء عليه
﴿وَأَعْلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ مغالاة؛ كفعل ملوك الدنيا ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ﴾
تنزيها له ﴿عَمَّا يُصِفُونَ﴾ به مما ذكر.
[٩٢] ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ ما غاب وما شُهِد؛ بالجر: صفة،

والرفع: خبر «هو» مقدر^(١) ﴿فَعَتَلَىٰ﴾ تَعَطَّمَ ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ به معه.
[٩٣] ﴿قُلْ رَبِّ إِنَّمَا﴾ فيه إدغام نون «إن» الشرطية في «ما» الزائدة ﴿تُرِيدُنِي﴾
مَا يُوعَدُونَ ﴿بِهِ مِنْ الْعَذَابِ﴾ هو صادق بالقتل بيد.
[٩٤] ﴿رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ فأهلك بإهلاكهم.
[٩٥] ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ أَنْ نُرِيدَكَ مَا نُعِدُّهُمْ لَقَدِيرُونَ﴾.
[٩٦] ﴿أَذْفَعُ بِأَلْتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ أي: الخصلة من الصفح والإعراض عنهم
﴿السَّبِيحَةِ﴾ أذاهم إليك، وهذا قبل الأمر بالقتال ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾
يكذبون ويقولون؛ فنجازيهم عليه.
[٩٧] ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ﴾ اعتصم ﴿بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ نزغاتهم
بما يوسوسون به.

[٩٨] ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾ في أموري؛ لأنهم إنما يحضرون
بسوء.
[٩٩] ﴿حَتَّىٰ﴾ ابتدائية ﴿إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾ ورأى مقعده من النار،
ومقعده من الجنة لو آمن ﴿قَالَ رَبِّ أَرْجِعُونِ﴾ الجمع للتعظيم.
[١٠٠] ﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا﴾ بأن أشهد أن لا إله إلا الله، يكون ﴿فِيمَا
تَرَكْتُ﴾ ضيعت من عمري؛ أي: في مقابلته، قال - تعالى -: ﴿كَلَّا﴾ أي: لا
رجوع ﴿وَرِثَاهُمْ﴾ أممهم ﴿تَرِخُ﴾ حاجر يصددهم عن الرجوع ﴿إِلَىٰ يَوْمِ
يُبْعَثُونَ﴾ ولا رجوع بعده.

[١٠١] ﴿فَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ﴾ القرن النفخة الأولى أو الثانية ﴿فَلَا
أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾ يفاخرون بها ﴿وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ عنها، خلاف حالهم
في الدنيا. لما يشغلهم من عظم الأمر عن ذلك في بعض مواطن القيامة، وفي
بعضها يبقون، وفي آية: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾^(٢).
[١٠٢] ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ بالسننات ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

الفائزون.

[١٠٣] ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ بالسينات ﴿فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا
أَنفُسَهُمْ﴾ فهم ﴿فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾.
[١٠٤] ﴿تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارَ﴾ تحرقها ﴿وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾ شمرت
شفاهم العليا والسفلى عن أسنانهم.

(١) بالرفع قراءة حمزة والكسائي وناجع وشعبة.

(٢) الصافات: ٥٠.

[١٠٥] ويقال لهم: ﴿أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي﴾ من القرآن ﴿تُنشَلُ عَلَيْكُمْ﴾ تُخْرَفُونَ بِهَا ﴿فَكُنْتُمْ بِهَا كَذِبُونَ﴾؟

[١٠٦] ﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ وفي قراءة: ﴿شَقَاؤُنَا﴾ (١) بفتح أوله وألف، وهما مصدران بمعنى ﴿وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾ عن الهداية.

[١٠٧] ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِن عُدْنَا﴾ إلى المخالفة ﴿فَأَنَّا ظَالِمُونَ﴾.

[١٠٨] ﴿قَالَ﴾ لهم بلسان مالك (٢) - بعد قَدْر الدُّنْيَا مَزِيدٌ (٣) - : ﴿أَخْسَرُوا فِيهَا﴾ ابعثوا في النار أذلاء ﴿وَلَا تُكَلِّمُون﴾ في رفع العذاب عنكم؛ لينقطع رجاؤهم.

[١٠٩] ﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي﴾ هم: المهاجرون ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَأَمَنَّا فَمَا غَفِرْنَا لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾.

[١١٠] ﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ﴾ [شُخْرِيًّا] بضم السين وكسرها (٤)؛ مصدر بمعنى: الهزء؛ منهم: بلال وصهيب وعمار وسلمان ﴿حَتَّىٰ أَسْأَلْتُمْ ذِكْرِي﴾ فتركموه؛ لاشتغالكم بالاستهزاء بهم، فهم سب الإنساء؛ فنُسِبَ إليهم ﴿وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضَاعِفُونَ﴾.

[١١١] ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ﴾ النعيم المقيم ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ على استهزائكم بهم وأذاكم بإههم ﴿[إِنَّهُمْ]﴾ (٥) بكسر الهمزة ﴿هُرَّ الْفَارِيزُونَ﴾ بطلوبهم؛ استئناف، وبتفتحها: مفعول ثانٍ لـ ﴿جَزَيْتُهُمْ﴾.

[١١٢] ﴿قَالَ﴾ - تعالى - لهم بلسان مالك، وفي قراءة: ﴿قُلْ﴾ (٦) ﴿كَمْ لَيْسَتْ فِي الْأَرْضِ﴾ في الدنيا وفي قبوركم ﴿عَدَدَ سِينِينَ﴾ تمييز؟

[١١٣] ﴿قَالُوا لَيْسَ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ شكوا في ذلك واستقصروه؛ لعظم ما هم فيه من العذاب ﴿فَتَسَلَّى الْعَمَّالِينَ﴾ أي: الملائكة المحصنين أعمال الخلق.

[١١٤] ﴿قَالَ﴾ - تعالى - بلسان مالك (٧) ، وفي قراءة: ﴿قُلْ﴾ (٨) : ﴿إِن أَمَىٰ﴾ ما ﴿لَيْسَتْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنكُم كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ مقدار ليشكم من الطول كان قليلاً بالنسبة إلى ليشكم في النار.

[١١٥] ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ لا لحكمة ﴿وَأَنَّكُمْ إِنْتَنَا لَا تَرْجِعُونَ﴾ بالبناء للفاعل وللمفعول (٩) لا، بل لِيَتَّبِعِدَّكُمْ بالأمر والنهي وترجعوا إلينا وبجاري على ذلك ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (١٠).

[١١٦] ﴿فَعَلَى اللَّهِ﴾ عن العبث وغيره مما لا يليق به ﴿الْمَلِكِ الْحَقِّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ الكرسي (١١)؛ هو: السرير الحسن.

أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُنشَلُ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا كَذِبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِن عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ أَخْسَرُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُون ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَأَمَنَّا فَمَا غَفِرْنَا لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ شُخْرِيًّا ﴿١١٠﴾ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجِعُونَ ﴿١١١﴾ فَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكِ الْحَقِّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٢﴾ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْصِحُ الْكٰفِرُونَ ﴿١١٣﴾ وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١١٤﴾

سورة التوبة

[١١٧] ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾ صفة كاشفة لا مفهوم لها ﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُ﴾ جزاؤه ﴿عِنْدَ رَبِّهِ﴾ إِنَّهُ لَا يُفْصِحُ الْكٰفِرُونَ لا يسعدون.

[١١٨] ﴿وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ﴾ المؤمنين، في الرحمة زيادة عن المغفرة ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ أَفْضَلُ رَاحِمٍ.

(١) حمزة والكسائي.
 (٢) قال ابن كثير: هذا جواب من الله - تعالى - للكفار إذا سألو الخروج من النار والرجعة إلى هذه الدار. ونقل عن ابن عباس: هذا قول الرحمن حين انقطع كلامهم منه. فَنَحَلُ الْقَوْلِ عَلَى أَنَّهُ بِلِسَانِ مَالِكٍ تَأْوِيلٌ خِلَافَ الظَّاهِرِ لَا دَلِيلَ عَلَيْهِ.
 (٣) رواه ابن أبي حاتم (١٤٠٤٧) عن عبد الله بن عمرو، وإلحاقه وصححه، وأخرجه ابن أبي شيبة عنه في مصنفه أيضاً رقم (٣٤١٢٢)، وعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه ممن اشتهر بالنقل عن أهل الكتاب.
 (٤) بالضم قراءة حمزة والكسائي ونافع.
 (٥) بالكسر قراءة حمزة والكسائي، وقرأ بقية السبعة بالفتح.
 (٦) لحمزة والكسائي وابن كثير.
 (٧) وهذا التفسير بخلاف ظاهر القرآن، ولا حامل عليه إلا نفي القول عن الله تعالى.
 (٨) لحمزة والكسائي.
 (٩) بالبناء للفاعل قراءة حمزة والكسائي، وقرأ بقية السبعة بالبناء للمفعول.
 (١٠) الفاريات: ٥٦.
 (١١) سبق بيان أن العرش غير الكرسي.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾
 وَالزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيَشْهَدُ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ وَالزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكَةٌ وَحُرْمٌ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾
 وَالَّذِينَ يَزُمُونَ الْمِحْصَنَاتِ فَحَرِّمُوا لَهُنَّ بَارِعَةً شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ وَالَّذِينَ يَزُمُونَ أَنْزُوجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَدُوا حُدُودَهُمْ أَنْزُوعًا شَهَدَتْ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦﴾ وَالْخِمْسَةَ أَنْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ وَيَذَرُوا عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ شَهِدَ أَنْزُوعًا شَهَدَتْ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٧﴾ وَالْخِمْسَةَ أَنْ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٨﴾
 وَأُولَئِكَ فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ وَرَحْمَتَهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿٩﴾

سُورَةُ النُّورِ

[مدينة، وهي: اثنتان، أو: أربع وستون آية، نزلت بعد الحشر]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] هذه ﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا﴾ مخففة ومشددة (١)؛ لكنرة المفروض فيها ﴿وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ وواضحات الدلالات ﴿لَعَلَّكُمْ

تَذَكَّرُونَ﴾ بإدغام التاء الثانية في الذال؛ تعظون.

[٢] ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي﴾ أي: غير المحصنين؛ لرجعهما بالشئ، «وَأَل» فيما ذكِرَ موصولة، وهو مبتدأ، و«شبهه» بالشرط دخلت الفاء في خبره؛ وهو: ﴿فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ ضربه، يقال: جلدته؛ ضربت جلدته، ويزاد على ذلك بالشئ تعريب عام (٢)، «والرفيق على الصف ما ذكر (٣)» ﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ أي: حكمه بأن تركوا شيئاً من حدهما «إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ أي: يوم البعث، في هذا تحريض على ما قبل الشرط، وهو جوابه أو دال على جوابه ﴿وَلَيَشْهَدُ عَلَيْهِنَّ طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قيل: «ثلاثة»، وقيل: «أربعة»، عدد شهد الزنا.

[٣] ﴿وَالزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكَةٌ﴾ أي: المناسب لكل منهما ما ذكر ﴿وَحُرْمٌ ذَلِكَ﴾ أي: نكاح الزواني ﴿عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ الأخيار، نزل ذلك لما هم قراء المهاجرين أن يتزوجوا بغايا المشركين وهن موسرات لينفقن عليهم (٤)؛ فقيل: التحريم خاص بهم، وقيل: عام ونسخ بقوله تعالى: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَّامَ مِنْكُمْ﴾ (٥).

[٤] ﴿وَالَّذِينَ يَزُمُونَ الْمِحْصَنَاتِ﴾ العفيفات بالزنا ﴿لَمْ يَكُن لَّهُنَّ بَارِعَةٌ شَهَدَاءُ عَلَى زَاهِنٍ بَرُوْتِهِمْ﴾ فأنيلدوا ﴿أَي: كل واحد منهم ثمانين جلدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً﴾ في شيء ﴿أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ لإبائهم كبيرة. [٥] ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا﴾ عملهم ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لهم قذفهم ﴿رَّحِيمٌ﴾ بهم بإلهام التوبة، فيها ينتهي فشققتهم وتقبل شهادتهم، وقيل: «لا تقبل»؛ رجوعاً بالاستثناء إلى الجملة الأخيرة (٦).

[٦] ﴿وَالَّذِينَ يَزُمُونَ أَنْزُوجَهُمْ﴾ بالزنا ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ﴾ عليه ﴿إِلَّا أَنْفُسُهُمْ﴾ وقع ذلك لجماعة من الصحابة ﴿فَشَهَدُوا حُدُودَهُمْ﴾ مبتدأ ﴿أَنْزُوعًا﴾ شهادتهم ﴿نَسَبَ عَلَى الْمصدر (٧)﴾ ﴿بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ فيما رمى به زوجته من الزنا. [٧] ﴿وَالْخِمْسَةَ أَنْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ في ذلك، وخبر المبتدأ: تدفع عنه حد القذف (٨).

[٨] ﴿وَيَذَرُوا عَنْهَا الْعَذَابَ﴾ أي: يدفع ﴿عَنْهَا الْعَذَابَ﴾ حد الزنا الذي ثبت بشهادته ﴿أَنَّ تَشْهَدَ أَنْزُوعًا شَهَدَاتِ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ فيما رماها به من الزنا. [٩] ﴿وَالْخِمْسَةَ أَنْ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ في ذلك (٩). [١٠] ﴿وَأُولَئِكَ فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ وَرَحْمَتَهُ﴾ بالستر في ذلك ﴿وَأَنَّ اللَّهَ

(٥) ما جاء في نزول الآية (٣): أخرج أبو داود عن عبدالله بن عمرو بن العاص أن مزند بن أبي مرثد الغنوي كان يحمل الأسارى بمكة، وكان بمكة يعني يقال لها عناق، وكانت صديقتها، قال: فنجت إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله، أتكح عناق؟ قال: فسكت عني، فنزلت: ﴿وَالزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيَشْهَدُ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٢) تزويج الزانية. (حسن صحيح صحيح سنن أبي داود (١٨٠٦)).
 (٥٥) ما جاء في نزول الآيات (٦-٩): أخرج البخاري عن ابن عباس أن هلال بن أمية قذف امرأته عند النبي ﷺ بشريك بن سحماء، فقال النبي ﷺ: «البينة أو حد في ظهورك» قال: يا رسول الله، إذا رأى أحدنا على امرأته رجلاً انطلق بتمس البينة؟ فجعل النبي ﷺ يقول: «البينة أو حد في ظهورك». فقال هلال: والذي بعثك بالحق إنني لصادق، فليزئ الله ما يرى ظهري من الحد. فنزل =

(١) بتشديد الراء قراءة ابن كثير وأبي عمرو. (٢) روى البخاري (٢٦٦١) واللفظ له، ومسلم (٢٧٧٠) عن زيد بن خالد عن رسول الله ﷺ أنه أمر فيمن زنى ولم يحصن بجلد مائة وتعريب عام. (٣) لقوله تعالى: ﴿فَعَلَّيْنَهُنَّ يَصِفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنْ الْمَكَاتِبِ﴾ [النساء: ٢٥].
 وأخرج مالك عن يحيى بن سعيد أن سليمان بن يسار أخبره أن عبد الله بن عباس بن أبي ربيعة المخزومي قال: أمرني عمر بن الخطاب في فية من قريش فجلدنا ولاند من ولاند الإمارة حسين بن علي بن الزنا الموطأ (١٣٠٣). وفي مسند أحمد عن علي قال: أرسلني رسول الله ﷺ إلى أمه له سوداء زنت لأجلها. قال: فوجدتها في دمه فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته بذلك فقال لي: «إذا تعالت من نفاسها فاجلدها خمسين». (المسند ١٠٨٦)، وصححه مجموع طرفة الأرنؤوط في تخريجه على المسند (٣٥٥/٢). وضعف الشيخ أحمد شاكر إسناده في تخريجه على المسند (١١٤٢).
 (٤) أخرج نحوه من أبي حاتم عن مقاتل. [الر النور (٣٨/٥)].
 (٥) النور: ٣٢. والصحيح أنها عامية، وأنها محكمة، وتفسيرها كما رجحه بعض المفسرين: أن غالب الزناة منهم لا يرغب إلا في الزواج بزانية مثله، وغالب الزواني لا ترغب الواحدة منهم إلا في الزواج بزان مثلهما، وللقصود زجر المؤمن عن نكاح الزواني بعد زجرهم عن الزنا، وعن ابن عباس قال: النكاح في هذه الآية يعني الوطء لا الزواج، وأن الآية في تحريم الزنى. واختاره الطبري.
 (٦) وهو مذهب أبي حنيفة، والقول الأول - وهو أن الاستثناء إذا تعقب جملاً معطوفة عاد إلى جميعها - مذهب الجمهور؛ وهو الراجح.
 (٧) أي: المفعول المطلق، وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ بقية السبعة بالرفع؛ خبر المبتدأ. (٨) أي: محذوف تقديره ما ذكر.

تَوَّابٌ ﴿١٠٦﴾ بقبوله التوبة في ذلك وغيره ﴿حَكِيمٌ﴾ ﴿١٠٧﴾ فيما حكم به في ذلك وغيره لَيَّبَنَ الحق في ذلك وعاجل بالعقوبة من يستحقها.

[١١] ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ﴾ أسوأ الكذب على عائشة - رضي الله عنها - أم المؤمنين بقذفها ﴿عَصَبَةٌ مِّنْكُمْ﴾ جماعة من المؤمنين، قالت^(١): «حسان بن ثابت، وعبد الله بن أبي، ومسطح، وحمنة بنت جحش»^(٢) ﴿لَا تَحْسَبُوهُ﴾ أيها المؤمنون غير العصابة ﴿شَرًّا لَّكُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾ بأجركم الله به، ويظهر براءة عائشة ومن جاء معها منه؛ وهو: صفوان، فإنها قالت: «كنت مع النبي ﷺ في غزوة بعدما أنزل الحجاب، ففرغ منها ورجع، ودنا من المدينة، وأذن بالرحيل ليلة فمشيت وقضيت شأني وأقبلت إلى الرُّحْلِ فإذا عقدي انقطع - هو بكسر المهملة: القلادة - فرجعت أتمسه، وحملوا هودجي - هو ما يركب فيه - على يعبري يحسبوني فيه، وكانت النساء خفافاً إنما يأكلن الخلقفة - هو بضم المهملة وسكون اللام - من الطعام - أي: القليل -، ووجدت عقدي وجئت بعدما ساروا؛ فجلست في المنزل الذي كنت فيه، وظننت أن القوم سيفقدوني فيرجعون إليّ، فغلقتي عياني فمت، وكان صفوان قد عرَّس من وراء الجيش فأدَّج - هما بتشديد الراء والدال؛ أي: نزل من آخر الليل للاستراحة - فسار منه فأصبح في منزله فرأى سواد إنسان نائم - أي: شخصه -؛ فعرفني حين رأني وكان يراني قبل الحجاب؛ فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني - أي قوله: إنا لله وإنا إليه راجعون؛ فخمرت وجهي بجلباني؛ أي غطيتي بالملاء، والله ما كُلتني بكلمة، ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه حين أتاخ راحلته، ووطئ على يدها فركتها، فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش بعدما نزلوا موغرين في نحر الظهيرة - أي من أوغر؛ واقعين^(٣) في مكان وعر من شدة الحر - فهلك من هلك، وكان الذي تولى كَيْتَرَهُ منهم: عبدالله بن أبي ابن سلول» اهد قولها، [رواه الشيخان]^(٤). قال - تعالى -:

﴿لِكُلِّ أُمَّرِي مِنَّهُمْ﴾ أي: عليه ﴿مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ﴾ في ذلك ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ﴾ أي: تحمل مُظْمَته قَبْدًا بالخوض فيه وأشاعه؛ وهو: عبد الله بن أبي ﴿لَمْ عَدَابٌ عَظِيمٌ﴾ هو النار في الآخرة. [١٢] ﴿وَلَوْلَا هَلَأُ﴾ أي: حين ﴿سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ أَنفُسَهُمْ﴾ أي: ظن بعضهم ببعض ﴿حَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ كَذِبٌ بَيِّنٌ، فيه التفات عن الخطاب؛ أي: ظننتم أيها العصابة، وقتلتم: [١٣] ﴿وَلَوْلَا هَلَأُ﴾ هَلَأُ ﴿جَاءَهُ﴾ أي: العصابة ﴿عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شَهَادَةٍ﴾ شاهدهوه ﴿فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي: في حكمه ﴿هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ فيه. [١٤] ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَسَفَرَ فِي مَّا أَفَضْتُمْ﴾ أيها العصابة؛ أي خضتم ﴿فِيهِ عَدَابٌ عَظِيمٌ﴾ في الآخرة. [١٥] ﴿إِذْ نَفَقْتُمْ بِاللَّيْلِ وَاللَّيْلِ﴾ أي: يرويه بعضهم عن بعض، وحذف من الفعل إحدى التائين، و﴿إِذْ﴾ منصوب بـ«مسكم» أو بـ«أفضتكم» ﴿وَتَقُولُونَ يَا أُوْاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّئًا﴾ لا إثم فيه ﴿وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ في الإثم. [١٦] ﴿وَلَوْلَا هَلَأُ﴾ أي:

إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا نَحْسَبُهُمْ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ أُمَّرِي مِّنْهُمْ مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ أَنفُسَهُمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ ﴿١٠٧﴾ ﴿لَوْلَا جَاءَ وَعَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شَهَادَةٍ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ ﴿١٠٨﴾ ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَسَفَرَ فِي مَّا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿١٠٩﴾ ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ يَا أُوْاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّئًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ ﴿١١٠﴾ ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿١١١﴾ ﴿يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١١٢﴾ ﴿وَيَسِّرُ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَلْيَتَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ ﴿١١٣﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجْحِبُونَ أَن تَشْبَعَ الْفَجْحَشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿١١٤﴾ ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ بَعِيرٌ وَأَشْرُ لَا تَعْمَلُونَ﴾ ﴿١١٥﴾ ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ ﴿١١٦﴾

حين ﴿سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ﴾ ما ينبغي ﴿لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ﴾ هو للتعجب هنا ﴿هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ كذب ﴿عَظِيمٌ﴾. [١٧] ﴿يَعِظُكُمُ اللَّهُ﴾ ينهاكم ﴿أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ تتعطلون بذلك. [١٨] ﴿وَيَسِّرُ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَلْيَتَ﴾ في الأمر والنهي ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بما يأمر به وينهى عنه ﴿حَكِيمٌ﴾ فيه. [١٩] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجْحِبُونَ أَن تَشْبَعَ الْفَجْحَشَةُ﴾ باللسان ﴿فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بنسبتها إليهم؛ وهم: العصابة ﴿هُمُ عَدَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الدنيا؛ بحد القذف ﴿وَالْآخِرَةِ﴾ بالنار لحق الله ﴿وَاللَّهُ يَتْلَمُّ﴾ انتفاها عنهم ﴿وَأَنْتُمْ﴾ أيها العصابة بما قلتم من الإفك ﴿لَا تَعْمَلُونَ﴾ وجودها فيهم. [٢٠] ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ أيها العصابة ﴿وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ بكم؛ لعاجلكم بالعقوبة.

= جبريل، وأنزل عليه: ﴿وَالَّذِينَ يُرْوُونَ كُذُوبًا﴾ فقرأ حتى بلغ: ﴿إِنْ كَانَ مِنَ السَّادِقِينَ﴾، فانصرف النبي ﷺ فأرسل إليها، فجاء هلال فشهد، والنبي ﷺ يقول: «إن الله يعلم أن أحدكما كاذب فهل منكما تائب؟» ثم قامت فشهدت، فلما كان عند الخامسة وقفها وقالوا: إنها موجهة. قال ابن عباس: فتكلمت ونكست حتى ظننا أنها ترجع، ثم قالت: لا أضحق قومي سائر اليوم فضمت. فقال النبي ﷺ: «أبصروها» فإن جاءت به أكمل العينين سابق الأبتين، خذج الساقين فهر لشريك بن سماعة، فجاءت به كذلك، فقال النبي ﷺ: «ولولا ما مضى من كتاب الله لكان لي ولها شأن». البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة النور (٢٤) باب (٣).

(١) أي: عائشة رضي الله عنها. (٢) أخرج نحوه البخاري (٢٦٦١)، ومسلم (٢٧٧٠). (٣) وفي نسخة: واقفين. (٤) لم يروه الشيخان بهذا اللفظ، لكن القصة موجودة في البخاري (٢٦٦١)، ومسلم (٢٧٧٠).

من هذا الذنب بالتوبة منه ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّيهِ﴾ يطهر ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ من الذنب، بقبول توبته منه ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ بما قلتم ﴿عَلِيمٌ﴾ بما قصدتم.

[٢٢] ﴿وَلَا يَأْتَلُ﴾ يحلف ﴿أُولُو الْفَضْلِ﴾ أصحاب الغنى ﴿وَيَنْكُرُ وَالسَّعَةِ﴾ أن لا ﴿يُقِيمُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ نزلت في أبي بكر؛ خليف أن لا ينفق على مسطح. وهو ابن خالته، مسكين مهاجر بدرى. لما خاض في الإفك بعد أن كان ينفق عليه، وناس من الصحابة أفسموا أن لا يتصدقوا على من تكلم بشيء من الإفك ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا﴾ عنهم في ذلك ﴿أَلَا تَحْسَبُونَ أَنَّ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ للمؤمنين، قال أبو بكر: بلى، أنا أحب أن يغفر الله لي، ورجع إلى مسطح ما كان ينفقه عليه^(٤).

[٢٣] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُرِيدُونَ﴾ بالزنا ﴿الْمُحْصَنَاتِ﴾ العفاف ﴿الْفَوَاحِشَ﴾ عن الفواحش؛ بأن لا يقع في قلوبهن فعلها ﴿الْمُؤْمِنَاتِ﴾ بالله ورسوله ﴿لِيُنْفِقُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

[٢٤] ﴿يَوْمٌ﴾ ناصبه الاستقرار، الذي تعلق به: (لهم) ﴿تَنَهَّدَ﴾ بالفوقانية والتحنانية^(٥) ﴿عَلَيْهِمْ أَلْبَسَهُمْ﴾ وألبسهم ﴿يَمَّا كَانُوا يَسْمُرُونَ﴾ من قول وفعل؛ وهو: يوم القيامة. [٢٥] ﴿يَوْمَئِذٍ يُؤْمِنُ اللَّهُ بِهَتْمِ الْعَيْنِ﴾ يجازيهم جزاءه الواجب عليهم ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ حيث حقق لهم جزاءه الذي كانوا يشككون فيه؛ ومنهم: عبدالله بن أبي، والمحصنات هنا أزواج النبي ﷺ لم يذكر في قذفهن توبة، ومن ذكر في قذفهن أول السورة التوبة غيرهن.

[٢٦] ﴿الطَّيِّبَاتِ﴾ من النساء، ومن الكلمات ﴿الطَّيِّبَاتِ﴾ من الناس ﴿وَالطَّيِّبَاتِ﴾ من الناس ﴿الطَّيِّبَاتِ﴾ مما ذكر ﴿وَالطَّيِّبَاتِ﴾ مما ذكر؛ أي: اللاتي بالحيث مثله وبالطيب مثله ﴿أُولَئِكَ﴾ الطيبون والطيبات من النساء؛ ومنهم: عائشة، وصفوان ﴿مُزَيَّرَاتٍ﴾ مما يقولون ﴿أَيُّ الْحَبِيبَاتِ وَالْحَبِيبَاتِ﴾ من الرجال والنساء فيهم ﴿لَهُمْ﴾ للطيبين والطيبات ﴿مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ في الجنة، وقد افترخت عائشة بأشياء؛ منها: أنها خلقت طيبة، ووعدت مغفرة ورزقا كريما^(٦).

[٢٧] ﴿تَنَابُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا﴾ أي: تستأذنون ﴿وَسَلِّمُوا عَلَيَّ أَهْلِهَا﴾ فيقول الواحد: «السلام عليكم، أَدْخُلْ؟» كما ورد^(٧) في حديث^(٨) ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من الدخول بغير استئذان

﴿يَتَابُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا حُطُوتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ حُطُوتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَمَارَكِي مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤفوا أولى القربى والمسكين والمهجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفاحوا إلا محبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون ﴿يَوْمَئِذٍ يُؤْمِنُ اللَّهُ بِهَتْمِ الْحَقِّ وَيَعْمَلُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ الْحَبِيبَاتُ لِلْحَبِيبَاتِ وَالْحَبِيبُونَ لِلْحَبِيبَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبَاتِ وَأُولَئِكَ مُبَرَّءٌ وَمِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿يَتَابُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتَسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾

[٢١] ﴿تَنَابُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا حُطُوتِ الشَّيْطَانِ﴾ أي: طرق تزيينه ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ حُطُوتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ﴾ أي: المتبع ﴿يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾ أي: القبيح ﴿وَالْمُنْكَرِ﴾ شرعا بتابعها ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ﴾ أي: العصبية بما قلتم من الإفك ﴿وَمِنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ أي: ما صلح وطهر

وأخرج أيضا عن سهل بن سعد أن عويمرا أتى عاصم بن عدي. وكان سيد بني عجلان. فقال: كيف تقولون في رجل وجد مع امرأته رجلا؟ أيقظه فتقولون؟ أم كيف يصنع؟ سل لي رسول الله ﷺ عن ذلك. فأني عاصم النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، فكره رسول الله ﷺ المسائل، فسأله عويمر فقال: إن رسول الله ﷺ كره المسائل وعابها، قال عويمر: والله لا أتبع حتى أسأل رسول الله ﷺ عن ذلك. فجاء عويمر فقال يا رسول الله، رجل وجد مع امرأته رجلا أيقظه فتقولون أم كيف يصنع؟ فقال رسول الله ﷺ: «قد أقر الله القرآن فيك وفي صاحبك». فأمرهما رسول الله ﷺ بالملاعة بما سمي الله في كتابه، فلا عنانا. البخاري - التفسير (السابق) باب (١).

قال المحافظ ابن حجر: وقد اختلف الأئمة في هذا الموضوع؛ فمنهم من رجح أنها نزلت في شأن عويمر، ومنهم من رجح أنها نزلت في شأن هلال، ومنهم من جمع بينهما بأن أول من وقع له ذلك هلال، وصادف مجيء عويمر أيضا فنزلت في شأنهما معا في وقت واحد، وقد جرح النووي إلى هذا... ولا مانع أن تعدد القصص ويحد النزول... ويحتمل أن النزول سبق بسبب هلال، فلما جاء عويمر - ولم يكن علم بما وقع لهلال. أعلمه النبي ﷺ بالحكم... وجرح القرطبي إلى تجويز نزول الآية مرتين. (الفتح ٨/ ٣٠٤، ٣٠٥).

(٥) ما جاء في نزول الآية (٢٢): أخرج البخاري عن عائشة قالت: ... فلما أنزل الله في براءتي قال أبو بكر الصديق ﷺ وكان ينفق على مسطح بن أثانة لقرابته منه وقهره؛ والله لا أنفق على مسطح شيئا أبداً بعد الذي قال لعائشة ما قال؛ فأقول: ﴿وَلَا يَأْتَلُ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ﴾ لا يؤفوا أولى القربى والمسكين والمهجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفاحوا إلا محبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم. قال أبو بكر: بلى - والله. إني أحب أن يغفر الله لي، فرجع إلى النفقة التي كان ينفق عليه وقال: والله لا أنزعها منه أبداً. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة النور (٢٥) باب (٦).

(٥) ما جاء في نزول الآيات (٢٣ - ٢٦): أخرج أحمد عن عائشة قالت: رमित بما رमित به وأنا غافلة فبلغني بعد ذلك رضخ من ذلك، فبينما رسول الله ﷺ عندي، إذ أوحى إلي، وكان إذا أوحى إلي يأخذني شبه السبات، فبينما هو جالس عندي إذ أنزل علي الوحي، فرجع رأسه وهو مسح جبينه، فقال: أبشري يا عائشة. قلت: بحمد الله لا بحمدك، فقرا: ﴿الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾ حتى بلغ ﴿مُزَيَّرَاتٍ﴾ مما يقولون. أحمد - المسند (١٠٣/٦). وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٨).

(١) بالتحنانية حمزة والكسائي. (٢) أشار بذلك إلى أن السلام مقدم على الاستئذان، وهو قول الأكر. ومنهم من فسل؛ فإن وقع بصره على أحد في البيت قائم السلام وإلا قدم الاستئذان ثم يسلم. (٣) أخرج أبو داود عن رجل من بني عامر أنه استأذن على النبي ﷺ وهو في بيت فقال: أليح؟ فقال النبي ﷺ لخادمه: «أخرج إلى هذا فعلمه الاستئذان قل له: قل: السلام عليكم أدخل، فسمعه الرجل فقال: السلام عليكم أدخل؟ فأذن له النبي ﷺ فدخل. أبو داود (٤٥٠٨)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٨١٩).

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَذَكَّرُونَ﴾ يادغام التاء الثانية في الذال^(١)؛ خبيرته؛ فعملون به.
 [٢٨] ﴿فَإِنْ لَمْ يَجِدُوا فِيهَا أَحْكَامًا﴾ يأذن لكم ﴿فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ بعد الاستئذان ﴿أَرْجِعُوا فَأَرْجِعُوا هُوَ﴾ أي: الرجوع ﴿أَرْكَبُ﴾ أي: خبير ﴿لَكُمْ﴾ من القعود على الباب ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من الدخول يأذن وغير إذن ﴿عَلَيْكُمْ﴾ فيجازيكم عليه.

[٢٩] ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ﴾ أي: منفعة ﴿لَكُمْ﴾ باستئذان وغيره؛ كبيوت الرُّبُط، والحانات المُسْتَبَلَّة^(٢) ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾ تظهرون ﴿وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ تخفون في دخول غير بيوتكم؛ من قصد صلاح أو غيره، وسيأتي أنهم إذا دخلوا بيوتهم يسلمون على أنفسهم.

[٣٠] ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ بَعْضُهُنَّ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾ عما لا يحل لهم نظره و﴿بِئْسَ زَانِدًا﴾ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُنَّ﴾ عما لا يحل لهم فعله بها ﴿ذَلِكَ أَزْكَىٰ﴾ أي: خير ﴿لَهُنَّ مِنَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَا يَصْنَعُونَ﴾ بالأبصار والفروج؛ فيجازيهم عليه.

[٣١] ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ بَعْضُهُنَّ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾ عما لا يحل لهم نظره ﴿وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ عما لا يحل لهم فعله بها ﴿وَلَا يُبْدِينَ﴾ يظهرن ﴿زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ وهو الوجه والكفان^(٣)، فيجوز نظره لأجنبي إن لم يخف فتنة في أحد وجهين، والثاني: يُخْرِمُ؛ لأنه مَطْلُئَةُ الفتنة، ورجح حسناً للباب ﴿وَلِيُضْرِبْنَ مِجْمَرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ أي: يسترن العروس والأعناق والصدور بالمقانع^(٤) ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ الخفية؛ وهي: ما عدا الوجه والكفين^(٥) ﴿إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ جمع بعل، أي: زوج ﴿أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ نِسَائِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ فيجوز لهم نظره، إلا ما بين السرة والركبة؛ فيحرم نظره لغير الأزواج، وخرج به ﴿نِسَائِهِنَّ﴾ الكافرات؛ فلا يجوز للمسلمات الكشف لهن^(٦)، وشمل ﴿مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ العبيد^(٧) ﴿أَوْ النَّبِيِّاتِ﴾ في فضول الطعام ﴿غَيْرَ﴾ بالجر: صفة، والنصب: استثناء^(٨) ﴿أُولَىٰ الْأَرْزَاقِ﴾ أصحاب الحاجة إلى النساء ﴿وَمِنَ الرِّجَالِ﴾ بأن لم ينتشر ذكر كل ﴿أَوْ الْأَطْفَالِ﴾ بمعنى: الأطفال ﴿الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا﴾ يظلموا ﴿عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾ للجماع؛ فيجوز أن يبدن لهم ما عدا ما بين السرة والركبة ﴿وَلَا يُضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا﴾

فَإِنْ لَمْ يَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ
 وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ آرْجِعُوا فَأَرْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ وَلَئِنْ كُنْتُمْ
 تَعْمَلُونَ عَلَيْهِ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا
 غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا
 تَكْتُمُونَ قُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ بَعْضُهُنَّ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظُوا
 فُرُوجَهُنَّ ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُنَّ مِنَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَا يَصْنَعُونَ
 وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ بَعْضُهُنَّ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ
 فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ
 بِحُمْرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ
 أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ
 بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ
 أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرَ أُولَىٰ الْأَرْزَاقِ
 وَالرِّجَالِ أَوْ الْاطْفَالِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ
 وَلَا يُضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا
 إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا إِنَّهُ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ لَعَلَّكُمْ تَقْلِحُونَ

يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ من خلخال يتقعقع ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا إِنَّهُ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ مما وقع لكم من النظر الممنوع منه ومن غيره ﴿لَعَلَّكُمْ تَقْلِحُونَ﴾ تنجون من ذلك لقبول التوبة منه، وفي الآية تغليب الذكور على الإناث.

(٥) ما جاء في نزول الآية (٣١): أخرج البخاري عن عائشة قالت: يرحم الله نساء المهاجرات الأول، لما أنزل الله: ﴿وَلِيُضْرِبْنَ بِحُمْرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ شققن مروطن فاحترمن بها. البخاري - التفسير (٦٥) سورة النور (٢٤) باب (١٢).

(١) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ بقية السبعة: ﴿تَذَكَّرُونَ﴾.
 (٢) الرُّبُط: أماكن ربط الدواب. والحانات المُسْتَبَلَّة: أي الموقوفة لإيواء ابن السبيل المنقطع. ومطلها الآن: الفنادق والمرافق العامة.
 (٣) قال ابن كثير في تفسير الآية: أي ولا يُظْهَرْنَ شيئاً من الزينة للأجانب، إلا ما لا يمكن إخفاؤه. قال ابن مسعود: كالرداء والنياب... اهد. وقال فيما جاء عن ابن عباس في الآية: فوجهها وكفيها والخاتم: قال: وهذا يحمل أن يكون تفسيراً للزينة التي نهين عن إبدائها.
 (٤) راجع التعليق السابق.
 (٥) وهذا أحد القولين أن المراد به ﴿نِسَائِهِنَّ﴾: المؤمنات، أخذاً من الإضافة، وهو مذهب كثيرين، والقول الثاني: أن المراد النساء كلهن، فإنهن سراء في حُلٍّ نظر بعضهم إلى بعض، وهو مذهب الخنابلة، وهو الأقرب، والله أعلم.
 (٦) لكن بشرط العفة وعدم الشهوة من الجانبين، وهذا مذهب الشافعي. وعند مالك التفريق بين الوغد وغيره.
 (٧) بالنصب قراءة شعبة وابن عامر.

وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِيَابِكُمْ أَنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُعْزِمَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾
 وَلَيْسَتَّعْفِيفُ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ ذَكَرًا حَتَّىٰ يُعْزِمَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ
 وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ الْكِنَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَمَكَاتِبُهُمْ إِنْ
 عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا أَوْ هُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تُكْرَهُوا
 فَتَيَّبِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِيَبْتِغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ
 الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرِهِنَّ عُفُوٌّ رَحِيمٌ ﴿٣٣﴾
 وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ مَبِينَاتٍ وَمَثَلًا مِنَ الَّذِينَ خَلَقُوا
 مِنْ قَبْلِكَ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾ * اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
 مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي رُجَاةٍ
 الرُّجَاةُ كَأَنَّهُ كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُّبَرَّكَةٍ زَيْتُونَةٍ
 لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ
 نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ
 لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ فِي يَوْمٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تَرْفَعَ
 وَيُذَكِّرَ فِيهَا أَسْمَهُ وَيُسَبِّحَ لَهُ فِيهَا بِالْعُدْوِ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾

أَذْيَبَهَا فَأُتِ حَقٌّ يَقُولُ: «قِيلَتْ» ﴿وَأَيُّهُمْ﴾ أمر للسادة ﴿مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾ ما يستعينون به في أداء ما التزموه لكم، وفي معنى الإتياء حط شيء مما التزموه ﴿وَلَا تُكْرَهُوا قِيَابَكُمْ﴾ إماءكم ﴿عَلَى الْبِغَاءِ﴾ الزنا ﴿إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ تعففا عنه، وهذه الإرادة محل الإكراه؛ فلا مفهوم للشرط ﴿لِيَبْتِغُوا﴾ بالإكراه ﴿عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ نزلت في عبد الله بن أبي كان يكره جواريه على الكسب بالزنا ﴿وَمَنْ يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرِهِنَّ عُفُوٌّ﴾ لهم ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم^(١).

[٣٤] ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ مَبِينَاتٍ﴾ بفتح الباء وكسرها^(٢) في هذه السورة، بين فيها ما ذكر، أو بينة^(٣) ﴿وَمَثَلًا﴾ خبرا عجبيا؛ وهو: خبر عائشة ﴿مِنْ الَّذِينَ خَلَقُوا مِنْ قَبْلِكَ﴾ أي: من جنس أمثالهم؛ أي: أعيابهم العجيب؛ كخبر يوسف ومرمى ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ في قوله - تعالى -: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾^(٤).

﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ﴾^(٥) الخ ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ﴾^(٦) الخ ﴿يُعْظَمُ اللَّهُ أَنْ تَعُدُّوهُ﴾^(٧) الخ، وتخصيصها بالمتقين؛ لأنهم المتفنون بها.

[٣٥] ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: منورها بالشمس والقمر ﴿مِثْلُ نُورِهِ﴾ أي: صفته في قلب المؤمن ﴿كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي رُجَاةٍ﴾ هي القنديل، والمصباح: السراج؛ أي: الفتيلة الموقودة، والمشكاة: الطاقة غير النافذة؛ أي: الأنيوبة في القنديل ﴿الرُّجَاةُ كَأَنَّهَا﴾ والنور فيها ﴿كَوَكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ أي: مضيء، بكسر الدال وضمها^(٨) من الدرء؛ بمعنى: الدفع؛ لدفعها الظلام، وضمها وتشديد الباء^(٩) منسوب إلى الدرؤ: اللؤلؤ ﴿يُوقَدُ﴾ المصباح، بالماضي^(١٠)، وفي قراءة^(١١) بمضارع أو قد منيئا للمفعول بالتحانية، وفي أخرى^(١٢): ﴿تُوقَدُ﴾ بالفوقانية؛ أي: الرجاجة ﴿مِنْ زَيْتٍ﴾ زيت ﴿شَجَرَةٍ مُّبَرَّكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ بل بينهما؛ فلا يتمكن منها حرٌّ ولا برد مضران ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ لصفائه ﴿نُّورٌ﴾ به^(١٣) ﴿عَلَى نُورٍ﴾ بالنار، ونور الله: أي: هداية للمؤمن نور على نور الإيمان ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ﴾ أي: دين الإسلام ﴿مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ﴾ بين ﴿اللَّهُ الْأَنْثَلُ لِلنَّاسِ﴾ تقريبا لأفهامهم ليعتبروا؛ فيؤمنوا ﴿وَاللَّهُ يَكْتُلُ شَيْءٌ عَلَيْهِمْ﴾ ومنه ضرب الأمثال.

[٣٦] ﴿فِي يَوْمٍ﴾ متعلق بـ ﴿يُسَبِّحُ﴾ الآتي ﴿أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تَرْفَعَ﴾ تعظم ﴿وَيُذَكِّرَ فِيهَا أَسْمَهُ﴾ بتوحيده ﴿يُسَبِّحُ﴾ بفتح الموحدة وكسرهما^(١٤)؛ أي: يصلي ﴿لَهُ فِيهَا بِالْعُدْوِ﴾ مصدر؛ بمعنى: الغدوات؛ أي: البكر ﴿وَالْآصَالِ﴾ العشايا من بعد الزوال.

[٣٢] ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ﴾ جمع «أيم»؛ وهي: من ليس لها زوج يكرها كانت أو ثيبا، ومن ليس له زوج، وهذا في الأحرار والحرائر ﴿وَالصَّالِحِينَ﴾ المؤمنين ﴿مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِيَابِكُمْ﴾ وعباد من جموع «عبد» ﴿إِنْ يَكُونُوا﴾ أي: الأحرار ﴿فُقَرَاءَ يُعْزِمُهُمُ اللَّهُ﴾ بالتزوج ﴿مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ بهم.
 [٣٣] ﴿وَلَيْسَتَّعْفِيفُ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ ذَكَرًا﴾ ما ينكحون به، من مهر ونفقة، عن الزنا ﴿حَتَّىٰ يُعْزِمَهُمُ اللَّهُ﴾ يوسع عليهم ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ فينكحون ﴿وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ الْكِنَابَ﴾ بمعنى: المكاتبه ﴿مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ من العبيد والإماء ﴿فَمَكَاتِبُهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ أي: أمانة وقدرة على الكسب لأداء مال الكتابة، وصيغتها - مثلا -: كاتبك على ألفين في شهرين، كل شهر ألف، فإذا

(١) ما جاء في نزول الآية (٣٣): أخرج مسلم عن جابر أن جارية لعبد الله بن أبي ابن سلول يقال لها: مسيكة، وأخرى يقال لها: أميمة، فكان يكرههما على الزنا، فشكاه ذلك إلى النبي ﷺ فأُتِيَ: ﴿وَلَا تُكْرَهُوا قِيَابَكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ﴾ إلى قوله: ﴿عُفُوٌّ رَحِيمٌ﴾. مسلم - كتاب التفسير (٥٤) باب (٣).

(١) أي: ليس إرادتهن التحصن شرطا للنيهي؛ فأكرههن حرام على كل حال.
 (٢) أي: هي بينة، يعني الآيات، وذلك توضيح من المفسر لمعنى القراءة الثانية.
 (٣) (٤) النور: ٦.
 (٥) النور: ١٢.
 (٦) النور: ١٦.
 (٧) النور: ١٧.
 (٨) (٩) مع الهمزة، والكسر قراءة الكسائي وأبي عمرو، والضم قراءة حمزة وشعبة.
 (١٠) لباقي السبعة.
 (١١) نافع وابن عامر وحفص.
 (١٢) حمزة والكسائي وشعبة.
 (١٣) أي: بالزيت.
 (١٤) بالفتح قراءة شعبة وابن عامر.

[٣٧] ﴿رَجَالٌ﴾ فاعل ﴿يُسَبِّحُ﴾ بكسر الباء، وعلى فتحها نائب الفاعل: له، و﴿رَجَالٌ﴾ فاعل فعلي مقدر جواب سؤال مقدر؛ كأنه قيل: من يسبحه؟ ﴿لَا تُلْهِمُهُمْ بُعْدَ﴾ شراء ﴿وَلَا بَيْعَ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَابِ الصَّلَاةِ﴾ حذف هاء «إقامة» تخفيف ﴿وَأَيَّكَ الزَّكَاةَ يُخَافُونَ يَوْمًا نَتَقَلَّبُ﴾ تضطرب ﴿فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ من الخوف؛ القلوب بين النجاة والهلاك، والأبصار بين ناحيتي اليمين والشمال. هو يوم القيامة.

[٣٨] ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا﴾ أي: نوابه و﴿أَحْسَنَ﴾ بمعنى: حسن ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ﴾ وَاللَّهُ يَزُودُ مَن يَشَاءُ بغير حسابٍ ﴿بِقَالَ﴾ فلان ينفق بغير حساب؛ أي: يوسع؛ كأنه لا يحسب ما ينفقه.

[٣٩] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلَهُمْ كِرْبَابٍ يَقْبَعُونَ﴾ جمع قاع؛ أي: في فلاة، وهو شعاع يرمى فيها نصف النهار، في شدة الحر، يُشْبِهُ الماء الجاري ﴿يَحْسَبُهُ﴾ يظنه ﴿الظَّالِمَانِ﴾ أي: العطشان مَاءً حَرًّا إِذَا جَاءَهُمْ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا؛ مما حسبه؛ كذلك الكافر يحسب أن عمله كصدقة ينفقه، حتى إذا مات وقدم على ربه لم يجد عمله؛ أي: لم ينفقه ﴿وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُمُ﴾ أي: عند عمله ﴿فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ﴾ أي: جزاءه عليه في الدنيا ﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ أي: المجازة.

[٤٠] ﴿أُو۟لَٔئِكَ كَفَرُوا أَعْمَالَهُمْ السَّيِّئَةَ﴾ كظلمت في بحر ليجي عميق ﴿وَيَشْتَدُّ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ﴾ أي: الموج ﴿مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ﴾ أي: الموج الثاني ﴿سَحَابٌ﴾ أي: غيم، هذه ﴿ظَلُمْتُ بَعْضًا فَوْقَ بَعْضٍ﴾ ظلمة البحر، وظلمة الموج الأول، وظلمة الثاني، وظلمة السحاب ﴿إِذَا أَنْجَحَ﴾ الناظر ﴿يَدَهُ﴾ في هذه الظلمات ﴿لَمْ يَكِدْ يَرَىٰهَا﴾ أي: لم يقرب من رؤيتها ﴿وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ أي: من لم يهده الله لم يهتد.

[٤١] ﴿الَّذِينَ تَرَىٰ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُم مِّن فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ﴾ ومن التسييح صلاة ﴿وَالطَّيْرِ﴾ جمع طائر، بين السماء والأرض ﴿صَلِّتٌ﴾ حال؛ باسقاط أجنحتهن ﴿كُلُّ قَدِّعِيمٍ﴾ اللَّهُ ﴿صَلَاتُهُمْ وَتَسْبِيحُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ فيه تغليب العاقل.

[٤٢] ﴿وَاللَّهُ مَلِكٌ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ﴾ خزائن المطر والرزق والنبات ﴿وَاللَّيْلِ وَاللَّيْلِ﴾ المرجع.

[٤٣] ﴿الَّذِينَ تَرَىٰ أَنَّ اللَّهَ يُرْسِي سَحَابًا﴾ يسوقه برفق ﴿ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُمْ﴾ يضم

رَجَالٌ لَا تُلْهِمُهُمْ بُعْدَ وَلَا بَيْعَ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَابِ الصَّلَاةِ
وَأَيَّكَ الزَّكَاةَ يُخَافُونَ يَوْمًا نَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾
لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ
يَزُودُ مَن يَشَاءُ بغير حسابٍ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلَهُمْ كَسَرَابٍ
يَقْبَعُونَ يَحْسَبُهُ الظَّالِمَانِ مَاءً حَرًّا إِذَا جَاءَهُمْ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا
وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾
أَوْ ظَلُمْتُ فِي بَحْرٍ لِيَجِيَّ بَعْشُهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ
سَحَابٌ ظَلُمْتُ بَعْضَهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا جَاءَهُمْ يَدَهُمْ لَمْ يَكِدْ
يَرَىٰهَا وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ تَرَىٰ
اللَّهُ يُسَبِّحُ لَهُ وَمَن فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَّتْ كُلُّ
قَدِّعِيمٍ صَلَاتُهُ وَتَسْبِيحُهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَاللَّهُ مَلِكٌ
السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ الَّذِينَ تَرَىٰ أَنَّ اللَّهَ يُرْسِي
سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِن
خِلَالِهِ وَيُرْسِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَن جِبَالٍ فِيهَا مِن مَّزٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ
وَيَصْرِفُهُ عَن مَن يَشَاءُ يَكَادُ سَنَآبِرُ فَوْقَهُ يَدَّهَبُ بِالْأَبْصَارِ ﴿٤٣﴾

بعضه إلى بعض؛ فيجعل القُطْعَ المتفرقة قطعة واحدة ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا﴾ بعضه فوق بعض ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ﴾ المطر ﴿يَخْرُجُ مِن خِلَالِهِ﴾ مخارجه ﴿وَيُرْسِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَن جِبَالٍ فِيهَا﴾ في السماء، بدل إعادة الجار ﴿مِن مَّزٍ﴾ أي: بعضه ﴿فَيُصِيبُ بِهِ، مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَن يَشَاءُ يَكَادُ﴾ يقرب ﴿سَنَآبِرُ فَوْقَهُ﴾ لمعانه ﴿يَدَّهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾ الناظرة له؛ أي: يخطفها.

البصائر على قدرة الله . تعالى .

[٤٥] ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ ۖ أَي: حيوان ﴿ مِن مَّاءٍ ﴾ نطفة^(١) ﴿ فَيَمِشُ مَن مِّن يَمَشِي عَلَى بَطْنِيهِ ﴾ كالحيات والهوماء ﴿ وَيَمِشُ مَن يَمَشِي عَلَى رِجْلَيْنِ ﴾ كالإنسان والطيور ﴿ وَيَمِشُ مَن يَمَشِي عَلَى أَرْبَعٍ ﴾ كالبهائم والأنعام ﴿ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۚ .

[٤٦] ﴿ لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُّبِينَاتٍ ۖ أَي: بينات، هي القرآن ﴿ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ ۖ طرِيق ﴿ مُسْتَقِيمٍ ﴾ أَي: دين الإسلام .

[٤٧] ﴿ وَيَقُولُونَ ﴿ الْمُنَافِقُونَ ﴾: ﴿ ءَأَمَنَّا ﴾ صدقنا ﴿ بِاللَّهِ ﴾ بتوحيده ﴿ وَيَا رَسُولَ اللَّهِ ﴾ محمد ﴿ وَأَطَعْنَا ﴾ هُما فيما حَكَمَ به ﴿ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ ۖ يَفْرَضُ ﴾ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ ﴿ عَنهُ ﴾ وَمَا أَوْلَيْكَ ﴿ الْمَعْرُضُونَ ﴾ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿ الْمَعْرُضِينَ ﴾ المعهودين الموافق قلوبهم لأستسهم .

[٤٨] ﴿ وَإِنَّا دَعَوْنَا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ المبلغ عنه ﴿ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِقَ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴾ عن الجحيم إليه [٤٩] ﴿ وَإِن يَكُنْ لَّهُم لَأَمْرٌ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُدْعِينَ ﴾ مسرعين طائعين .

[٥٠] ﴿ أَوَلَيْ قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ ﴾ كفر ﴿ أَمْ أَرَأَيْتُمْ أَن شَكَوْا فِي بُيُوتِهِمْ أَن يَخَافُوا أَن يَخَيْفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ ﴾ في الحكم؛ أَي: فيظلموا فيه؟ لا ﴿ بَلْ أَوْلَيْتَهُمْ الظَّالِمِينَ ﴾ بالإعراض عنه .

[٥١] ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ﴿ فَالْقَوْلُ اللَّائِقُ بِهِمْ ﴾ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴿ بِالْإِجَابَةِ ﴾ وَأَوْلَيْتَهُمْ ﴿ حِينَئِذٍ هُمْ الْمُقْتَلُونَ ﴾ الناجون .

[٥٢] ﴿ وَمَن يَطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَخَشِيَ اللَّهَ ﴾ بخافه ﴿ [وَبِتَّقِيهِ] ﴾ بسكون الهاء وكسرهما^(٢)؛ بَأَن يَطِيعَهُ ﴿ فَأَوْلَيْتَهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ بالجنة .

[٥٣] ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ﴾ غايتها ﴿ لَئِن أَمَرْتَهُمْ بِالْجِهَادِ لَيَخْرُجْنَ قُل ۖ لَهُم: ﴿ لَا نَقْسِمُوكُمْ طَاعَةَ مَعْرُوفَةٍ ﴾ للشيء خيرٌ من فسيمكم الذي لا تصدقون فيه ﴿ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ يَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ من طاعتكم بالقول ومخالفتكم بالفعل .

يُقَالُ لِلَّهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٤٥﴾
 وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِيهِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٦﴾ لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُّبِينَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ ءَأَمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مِّن بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أَوْلَيْكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِقَ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٤٩﴾ وَإِن يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُدْعِينَ ﴿٥٠﴾ أَفَى قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ أَمْ أَرَأَيْتُمْ أَن يَخَافُوا أَن يَخَيْفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ بَلْ أَوْلَيْتَهُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥١﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَن يَطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَخَشِيَ اللَّهَ وَيَتَّقِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٥٣﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجْنَ قُل لَّا نَقْسِمُوكُمْ طَاعَةَ مَعْرُوفَةٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ يَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾

[٤٤] ﴿ يُقَالُ لِلَّهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ ۚ أَي: يأتي بكل منهما بدل الآخر ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً ﴾ دلالة ﴿ لِأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾ لأصحاب

(١) هذا قول الجمهور، كما قال الشوكاني في فتح القدير. وعلى هذا القول في الآية تنزيل الغالب منزلة الكل؛ لأن في الحيوانات ما يتولد لا عن نطفة.

وقال جماعة: إن المراد الماء المعروف؛ لأن آدم خلق من الماء والطين.

(٢) بالسكون قراءة شعبة وأبي عمرو وهشام في أحد وجهيه، وخلا من أحد الوجهين، وبالكسر مع اختلاس الحركة قراءة قالون وهشام في أحد أوجهه، وابن ذكوان في أحد وجهيه، والباقيون بالكسر مع الإشباع، وكذا هشام في وجهه الثالث، وخلا في الوجه الثاني.

﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

[٦٠] ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ﴾ قعدن عن الحيض والولد لكرهن ﴿الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا﴾ لذلك ﴿فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ نِيَابَهُنَّ﴾ من الحلباب والرداء والقناع فوق الحمار ﴿وَخَيْرٌ مُنْتَهِيَاتٍ﴾ مظهرات ﴿بِرِزْقَةٍ﴾ خفية؛ كفلادة وسوار وخلخال ﴿وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ﴾ بأن لا يضعنها ﴿خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ لقولكم ﴿عَلَيْكُمْ﴾ بما في قلوبكم.

[٦١] ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ في مؤاكلة مقابلهم ﴿وَلَا﴾ حرج ﴿عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ﴾ بيوت أولادكم ^(١) ﴿أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ حَمَلَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتُمْ أَيْمَانُهُمْ﴾ خزنتموه لغيركم ^(٢) ﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾ وهو من صدقكم في مودته؛ المعنى: يجوز الأكل من بيوت من ذكر وإن لم يحضروا إذا علم رضاهم به ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا﴾ مجتمعين ﴿أَوْ أَشْتَاتًا﴾ ^(٣) متفرقين، جمع «شَتَّ»، نَزَلَ فِيمَنْ تَجْرَحُ أَنْ يَأْكُلَ وَحْدَهُ، وَإِذَا لَمْ يَجِدْ مِنْ يُوَاكِلُهُ يَتْرَكَ الْأَكْلَ ^(٤) ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا﴾ لكم لا أهل بها ^(٥) ﴿فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ قولوا: «السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين»؛ فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَرُدُّ عَلَيْكُمْ، وَإِنْ كَانَ بِهَا أَهْلٌ فَسَلِّمُوا عَلَيْهِمْ ﴿حَيَّةٌ﴾ مصدر «حَيَّ» ﴿وَمِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبْرَكَةٌ طَيِّبَةٌ﴾ يناب عليها ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ﴾ أي: يفصل لكم معالم دينكم ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ لكي تفهموا ذلك.

وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَعِدُّوا كَمَا اسْتَعَدَّ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ نِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِرِزْقَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ حَمَلَاتِكُمْ مَفَاحِجَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ حَيَّةً طَيِّبَةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبْرَكَةٌ طَيِّبَةٌ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾

[٥٩] ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ﴾ أيها الأحرار ﴿الْحُلُمَ فَلْيَسْتَعِدُّوا﴾ في جميع الأوقات ﴿كَمَا اسْتَعَدَّ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي: الأحرار الكبار

(٥٠) فائدة: أخرج أبو داود عن ابن عباس قال: ﴿لَا تَأْكُلُوا مِنْ بَيْتِكُمْ بِالْإِطْلَاقِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ بِحُكْمٍ عَنْ تَرَاضٍ بَيْنِكُمْ﴾ فكان الرجل يخرج أن يأكل عند أحد من الناس بعدما نزلت هذه الآية؛ فنسخ ذلك الآية التي في النور؛ قال: ﴿ليس عليكم جناح أن تأكلوا﴾ إلى قوله: ﴿أَشْتَاتًا﴾. أبو داود - كتاب الأطعمة (٢١) باب (٦) نسخ الضيف يأكل من مال غيره، وحسن الألباني إسناده في صحيح سنن أبي داود (٣١٩٢).

(١) وهو قول غير واحد من المفسرين؛ قالوا: نسب - سبحانه - بيوت الأولاد إلى الآباء؛ لأن الولد كسب والده، وماله كماله، والدليل أنه - تعالى - عدد الأقارب ولم يذكر الأولاد، وإذا كان سبب الرخصة هو القرابة، كان الذي هو أقرب منهم أولى. وقال بعضهم: أي بيوت أزواجكم وعيالكم، وأضافه إليهم؛ لأن بيت المرأة كبيت الزوج. وقال بعضهم: هي على ظاهرها، كأنه يقول: مساكنكم التي فيها أهلهم وأولادكم؛ فقد يكون للأهل والولد شيء من ملكهم، فليس عليه حرج أن يأكل معهم من ذلك القوت. وهو قول حسن ظاهر.

(٢) أي: حفظتموه بأن تكونوا وكلاء عليه؛ فلا بأس أن تأكلوا من ثمرته، ويشرب من لبن ماشيته، ولا يحمل ولا يدخرها. قاله ابن عباس. وقالت عائشة: كان المسلمون يرغبون في النفير مع رسول الله ﷺ فيدفعون مفاتيحهم إلى أمتهام، ويقولون لهم: قد أحللتناكم أن تأكلوا مما احتجتم إليه، فكانوا يقولون: إنه لا يحل لنا أن نأكل؛ إنهم أدنوا لنا من غير طيب أنفسهم، وإنما نحن أمناء؛ فأنزل الله: ﴿وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا﴾ إلى قوله: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتُمْ أَيْمَانُهُمْ﴾. أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٦٤٦/٨) رقم (١٤٨٧٥)، والبرازي في مسنده (٦١/٣)، رقم (٢٢٤١)، وقال الهيثمي في المجمع (٨٤/٧): «رواه البرازي ورجاله رجال الصحيح». وصرحه في الاستيعاب (٥٩٢/٢، ٥٩٣).

(٣) روي نحو هذا عن عكرمة وابن جريج. ذكره الطبري والسيوطي في الدر المنثور. وضعفه في الاستيعاب (٥٩٧/٢).

(٤) الأظهر أن البيوت هنا عامة؛ لأنها نكرة في سياق الشرط، فشمعل بيت الإنسان وبيت غيره، وقال بعض العلماء: وسواء كان في البيت ساكن أم لا. وزاد بعضهم: للمسجد، فجعل له الحكم نفسه، واعتمدوا في ذلك على ما ورد عن ابن عمر وابن عباس في السلام باللفظ الذي ذكره المفسر إذا كان البيت أو المسجد فارغاً... وعلى الأظهر فيكون معنى: ﴿فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ أي: فليسلم بعضهم على بعض؛ لأن المسلمين كأنهم شخص واحد.

[٦٢] ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ﴾ كخطبة الجمعة ﴿لَمْ يَذْهَبُوا﴾ لغرض عُذر لهم ﴿حَتَّى يَسْتَأْذِنُوا﴾ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا أَسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَمْرُهُمْ ﴿فَأَذْنِ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ﴾ وَأَسْتَعِزُّوهُمْ ﴿وَأَسْتَعِزُّوهُمْ﴾ لَا تَجْعَلُوا ذِمَّةَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدَعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ﴿بِأَنَّ تَقُولُوا: «يا محمد»، بل قولوا: «يا نبي الله، يا رسول الله» في لين وتواضع وخفض صوت ﴿فَقَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْتَلُونُ مِنْكُمْ لَوْأَدَاءً﴾ أَي: يخرجون من المسجد في الخطبة من غير استئذان خفية مستترين بشيء، ﴿وَقَدْ﴾ لِلتَّحْقِيقِ (١) ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾ أَي: الله ورسوله ﴿أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ بلاء (٢) ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ فِي الْآخِرَةِ.

[٦٤] ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ مَلَكًا وَخَلْقًا وَعَيْبًا ﴿قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ فِيهَا الْمَكْلُوفُونَ عَلَيْهِ﴾ مِنَ الْإِيمَانِ وَالنَّفَاقِ. ﴿وَمَا يَعْلَمُ﴾ يَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ ﴿فِيهِ النَّفَاقُ﴾ عَنِ الْخُطَابِ؛ أَي: متى يكون ﴿فِيئْتُهُمْ﴾ فِيهِ ﴿يَمَّا عَمِلُوا﴾ مِنَ الْحَيْرِ وَالشَّرِّ ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ مِنَ أَعْمَالِهِمْ وَغَيْرِهَا ﴿عَلِيمٌ﴾.

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوا الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا أَسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذْنِ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَأَسْتَعِزُّوهُمْ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ الَّذِينَ يَسْتَلُونَ مِنْكُمْ لَوْأَدَاءً لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ فِيهَا الْمَكْلُوفُونَ عَلَيْهِ مِمَّا تَتْلُونَ أَيُّهَا الْمَكْلُوفُونَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْإِيمَانِ وَالنَّفَاقِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا

سُورَةُ الْفُرْقَانِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا
الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا

سُورَةُ الْفُرْقَانِ

[مكية إلا وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ] إلى قوله: ﴿رَجِمًا﴾ فمدني، وهي: سبع وسبعون آية، نزلت بعد يس [

[٢] ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ مِنَ شَأْنِهِ أَنْ يَخْلُقَ ﴿فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾ سَوَاءً تَشْوِيَةً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
[١] ﴿تَبَارَكَ تَعَالَى﴾ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ الْقُرْآنَ؛ لِأَنَّهُ فُوقَ بَيْنِ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ وَعَلَى عِبْدِهِ مُحَمَّدٌ ﴿يَكُونُ لِلْعَالَمِينَ﴾ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ دُونَ الْمَلَائِكَةِ ﴿نَذِيرًا﴾ مَخُوفًا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ.

(٥) فائدة: أخرج أبو داود عن ابن عباس قال: ﴿الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ الآية، نسختها التي في النور: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ إلى قوله: ﴿عَفْوَرٌ رَجِيمٌ﴾. أبو داود - كتاب الجهاد (٩) باب (١٧١) في الإذن في القبول بعد النهي. وحسنه الألباني. في صحيح سنن أبي داود (٢٧٧١).

(١) راجع التعليق على آية (١٠٣) من سورة النحل؛ في دخول «قد» على الفعل المضارع. (٢) قال ابن كثير: ﴿فِتْنَةٌ﴾ أَي: في قلوبهم؛ من كفر أو نفاق أو بدعة.

لَا تَنْفُسُهُمْ ضَرًّا أَي: دفعه ﴿وَلَا نَفْسًا﴾ أَي: جره ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً﴾ أَي: إمامة لأحد وإحياء لأحد ﴿وَلَا نُشُورًا﴾ أَي: بعثاً للأموات. [٤] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا الَّذِي كَفَرُوا بِهِ قَوْمٌ آخَرُونَ﴾ وهم من أهل الكتاب، قال - تعالى -: ﴿فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾ كفراً وكذباً؛ أَي: بهما.

[٥] ﴿وَقَالُوا﴾ أيضاً: هو ﴿أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ أكاذيبهم؛ جمع أسطورة، بالضم ﴿أَكْتَبْنَا﴾ انتسخها من ذلك (١) القوم بغيره (٢) ﴿فَهِيَ تُمَلِّكُ﴾ تقرأ ﴿عَلَيْهِ﴾ ليحفظها ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ عدوة وعشياً.

[٦] قال - تعالى - ردّاً عليهم: ﴿قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَفُورًا﴾ للمؤمنين ﴿رَجِيمًا﴾ بهم.

[٧] ﴿وَقَالُوا مَا لِيَ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا﴾ يصدقه.

[٨] ﴿أَوْ يُنْفَخَ إِلَيْهِ كِتَابٌ﴾ من السماء ينفقه، ولا يحتاج إلى المشي في الأسواق لطلب المعاش ﴿أَوْ تَكُونَ لَهُ جِنَّةٌ﴾ بستان ﴿يَأْكُلُ مِنْهَا﴾ أَي: من ثمارها فيكتفي بها، وفي قراءة: ﴿تَأْكُلُ﴾ بالنون (٣)؛ أَي: نحن، فيكون له مزية علينا بها ﴿وَقَالَ الظَّالِمُونَ﴾ أَي: الكافرون للمؤمنين ﴿إِنْ مَا تَنْبِئُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾ مخدوعاً مغلوباً على عقله.

[٩] قال - تعالى -: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ﴾ بالمسحور، والمحتاج إلى ما ينفقه، وإلى ملك يقوم معه بالأمر ﴿فَضَلُّوا﴾ بذلك عن الهدى ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ طريقاً إليه.

[١٠] ﴿تَبَارَكَ﴾ تكاثر خير ﴿الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ﴾ الذي قالوه من الكثر والبستان ﴿جَنَّتِ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ أَي: في الدنيا؛ لأنه شاء أن يعطيه إياها في الآخرة ﴿وَيَجْعَلُ﴾ بالجزم ﴿لَكَ قُصُورًا﴾ أيضاً، وفي قراءة: بالرفع (٤) استئنافاً.

[١١] ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ﴾ القيامة ﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾ ناراً مسعرة؛ أَي: مشتدة.

وَأَتَّخِذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴿١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا آفِكُ افْتَرِينَهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٢﴾ وَقَالُوا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ أَكْتَبْنَا فِيهَا فَمَنْ تَمَلَّى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٣﴾ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا ﴿٤﴾ وَقَالُوا مَا لِيَ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا ﴿٥﴾ أَوْ يُنْفَخَ إِلَيْهِ كِتَابٌ أَوْ تَكُونَ لَهُ جِنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴿٦﴾ أَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٧﴾ تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا ﴿٨﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿٩﴾

[٣] ﴿وَأَتَّخِذُوا﴾ أَي: الكفار ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ أَي: الله؛ أَي: غيره ﴿ءَالِهَةً﴾ هي الأصنام ﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ

(١) كذا في جميع النسخ التي بأيدينا، والمناسب أن يقول: «من أولئك القوم».

(٢) أي أمر غيره بنسخها له؛ فإنه يَكْتُبُ أي لا يقرأ ولا يكتب.

(٣) لحزمة والكسائي.

(٤) لشعبة وابن عامر وابن كثير.

[١٢] ﴿إِذَا رَأَوْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا﴾ غليانًا، كالغضب ان إذا غلَى صَدْرُهُ مِنَ الْغَضَبِ ﴿وَرِيفًا﴾ صوتًا شديدًا، أو سماع التغيظ رؤيته وعلمه^(١).

[١٣] ﴿وَإِذَا أَلْفُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا﴾ بالتشديد والتخفيف^(٢)؛ بأن يضيّق عليهم، و﴿مِنْهَا﴾ حالٌ من ﴿مَكَانًا﴾ لأنه في الأصل صفة له ﴿مُتَّقِرِينَ﴾ مصفدين قد قرنت - أي: جمعت - أيديهم إلى أعناقهم في الأغلال، والتشديد للتكثير ﴿وَدَعَا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ هلاكًا.

[١٤] فيقال لهم: ﴿لَا نَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَجِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ كعذابكم.

[١٥] ﴿قُلْ أَذَلِكَ الْمَذْكُورُ مِنَ الْوَعِيدِ وَصِفَةُ النَّارِ﴾ ﴿خَيْرٌ أَرَجَتْهُ الْخُلْدُ الَّتِي وَعِدَ﴾ هَا ﴿الْمُنْفُوتُ كَانَتْ لَهُمْ﴾ في علمه - تعالى - ﴿جَزَاءً﴾ نوابًا ﴿وَمَصِيرًا﴾ مرجعًا.

[١٦] ﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَلِيلِينَ﴾ حال لازمة ﴿كَانَ﴾ و﴿غَدَهُمْ مَا ذَكَرَ﴾ ﴿عَلَى رَبِّكَ وَعَدَا مَسْئُولًا﴾ يسأله من وعده به: ﴿رَبَّنَا وَءَايَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رَسُولِكَ﴾^(٣) أو تسأله لهم الملائكة: ﴿رَبَّنَا وَأَذْهَبْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ﴾^(٤).

[١٧] ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ﴾ [النون والتحتانية]^(٥) ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره من الملائكة وعيسى وعزير والجن ﴿فَيَقُولُ﴾ - تعالى - بالتحنانية والنون^(٦) - للمعبودين إثباتًا للحجة على العابدين: ﴿ءَأَنْتُمْ﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفًا وتسهيلها وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه^(٧) ﴿أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءَ﴾ أو قمتموهم في الضلال بأمرهم إياهم بعبادتكهم ﴿أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾ طريق الحق بأنفسهم؟.

[١٨] ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ﴾ تنزيها لك عما لا يليق بك ﴿مَا كَانَ يَلْتَمِسُ﴾ يستقيم ﴿لَنَا أَنْ نَنْتَحِدَ مِنْ دُونِكَ﴾ أي: غيرك ﴿مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ مفعول أول، و﴿مِنْ﴾ زائدة لتأكيد النفي، وما قبله الثاني^(٨) فكيف تأمروا بعبادتنا؟ ﴿وَلَكِنْ تَتَّبِعْتَهُمْ وَوَسَّوْا لَهُمْ﴾ من قبلهم؛ بإطالة العمر وسعة الرزق ﴿حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ﴾ تركوا الموعظة والإيمان بالقرآن ﴿وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾ هلكى.

[١٩] قال - تعالى -: ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾ أي: كذب المعبودون العابدين ﴿وَمَا تَقُولُونَ﴾ بالفوقانية^(٩)، أنهم آلهة ﴿فَمَا تَسْتَطِيعُونَ﴾ بالتحنانية والفوقانية^(١٠)، أي: لا هم ولا أنتم ﴿صَرَفًا﴾ دفعًا للعذاب عنكم ﴿وَلَا تَصْرَأُ﴾ منعا لكم منه ﴿وَمَنْ يَطْلِمُ﴾ يشرك ﴿وَنَصَّكُمْ نِدْفُهُ عَذَابًا كَثِيرًا﴾ شديدًا في الآخرة.

إِذَا رَأَوْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا وَرِيفًا ﴿١٢﴾
وَإِذَا أَلْفُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُتَّقِرِينَ دَعَا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾
لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَجِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾
قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَرَجَتْهُ الْخُلْدُ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقِرُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾
لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَلِيلِينَ كَانَتْ عَلَى رَبِّكَ وَعَدَا مَسْئُولًا ﴿١٦﴾
وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءَ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴿١٧﴾
قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَلْتَمِسُ لَنَا أَنْ نَنْتَحِدَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّبِعْتَهُمْ وَوَسَّوْا لَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ﴿١٨﴾
فَقَدْ كَذَّبْتُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرَفًا وَلَا تَصْرَأُ وَمَنْ يَطْلِمُ مِنْكُمْ نِدْفُهُ عَذَابًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾
وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لِيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾

[٢٠] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لِيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾ فأنت مثلهم في ذلك، وقد قيل لهم مثل ما قيل لك ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾ تليئة؛ أئجلي الغني بالفقير، والصحيح بالمرضى والشريف بالوضيع، يقول الثاني في كل: ما لي لا أكون كالأول في كل؟ ﴿أَتَصْبِرُونَ﴾ على ما تسمعون ممن ابتليتم بهم؟ استفهام بمعنى الأمر؛ أي: اصبروا ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ بمن يبصر ومن يجزع.

(١) أشار بذلك إلى جواب آخر وهو أن السماع ليس على حقيقته؛ بل المراد منه: الرؤية والعلم. وعلى القول الأول يكون المراد سماع ما يدل على التغيظ وهو الغليان.

(٢) بالتخفيف قراءة ابن كثير.

(٣) آل عمران: ١٩٤.

(٤) غافر: ٨.

(٥) بالنون قراءة السبعة عدا حفص وابن كثير. وقوله: والتحنانية؛ يعني: الباء، وهي القراءة الأخرى.

(٦) بالنون قراءة ابن عامر.

(٧) قرأ فالون وأبو عمرو بالتسهيل والإدخال، وورش وابن كثير بالتسهيل من غير إدخال، ولورش الإبدال حرف مد مع الإشباع، وهشام بالتسهيل والتحقيق وكل منهما مع الإدخال وبقيّة السبعة بالتحقيق بلا إدخال.

(٨) أي: قوله: ﴿مِنْ دُونِكَ﴾ المفعول الثاني.

(٩) أي: باتفاق العشرة.

(١٠) بالنون قراءة السبعة عدا حفص.

الحيرة؛ كصدقة وصلة رحم، وقرى ضيف، وإغاثة ملهوف في الدنيا ﴿فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ هو ما يُرى في الكوى التي عليها الشمس، كالغبار المفرق؛ أي: مثله في عدم النفع به؛ إذ لا ثواب فيه لعدم شرطه، ويجازون عليه في الدنيا.

[٢٤] ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ﴾ يوم القيامة ﴿خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا﴾ من الكافرين في الدنيا^(١) ﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ منهم؛ أي: موضع قائلة فيها؛ وهي: الاستراحة نصف النهار في الحر، وأخذ من ذلك انقضاء الحساب في نصف نهار؛ كما ورد في حديث^(٢).

[٢٥] ﴿وَيَوْمَ تَشْقَى الْأَسْهُةُ﴾ أي: كل سماء ﴿وَاللَّعْمِ﴾ أي: معه؛ وهو: غيم أبيض ﴿وَيُنزَّلُ الْمَلَكُ﴾ من كل سماء ﴿تَزِيلًا﴾ هو يوم القيامة، ونصبه به [اذكره] مقدرًا، وفي قراءة: بتشديد شين ﴿تَشْقَى﴾^(٣) بإدغام التاء الثانية في الأصل فيها، وفي أخرى: ﴿تُنزِلُ﴾^(٤) بنون الثانية ساكنة وضم اللام، ونصب ﴿الملائكة﴾.

[٢٦] ﴿الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ﴾ لا يشركه فيه أحد ﴿وَكَانَ﴾ اليوم ﴿يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾ بخلاف المؤمنين.

[٢٧] ﴿وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ﴾ المشرك: عقبة بن أبي معيط، كان نطق بالشهادتين ثم رجع إرضاءً لإيمي بن خلف^(٥) ﴿عَلَى يَدَيْهِ﴾ ندماً وتحسراً في يوم القيامة ﴿يَقُولُ يَا﴾ للتبسيه ﴿لَيْتَنِي أَتَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ﴾ محمد ﴿سَبِيلًا﴾ طريقاً إلى الهدى.

[٢٨] ﴿يَتَوَلَّى﴾ ألقه عوض عن ياء الإضافة؛ أي: ويلتي؛ ومعناه: هلكي ﴿لَيْتَنِي لَوْ أَتَخَذْتُ فَلَانًا﴾ أي: أبقاً^(٦) ﴿خَلِيلًا﴾.

[٢٩] ﴿لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ﴾ أي: القرآن ﴿بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي﴾ بأن ردّني عن الإيمان به، قال - تعالى -: ﴿وَكَانَ السَّيِّطُنُ لِلْإِنْسَانِ﴾ الكافر ﴿خَدُولًا﴾ بأن يتركه ويترأ منه عند البلاء.

[٣٠] ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ﴾ محمد: ﴿يَدْرَبُ إِنِّي قَوْمِي﴾ قريباً ﴿أَتَخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ متروكاً.

[٣١] قال - تعالى -: ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما جعلنا لك عدواً من مشركي قومك ﴿جَعَلْنَا لِكُلِّ لَيْتٍ قَلْبًا﴾ قلبك ﴿عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ المشركين؛ فاصبر كما صبروا ﴿وَكَفَى بَرِيكَ هَادِيًا﴾ لك ﴿وَنَصِيرًا﴾ ناصرًا لك على أعدائك.

[٣٢] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا﴾ هلاًلاً ﴿نُزِّلَ عَلَيْنَا الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَجِدَةً﴾ كالنوراة والإنجيل والربور، قال - تعالى -: نزلناه ﴿كَذَلِكَ﴾ متفرقاً ﴿لِيُنذِرَ يَدِيَّ فُؤَادَكَ﴾ نقوي قلبك ﴿وَنُزِّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ أي: أتينا به شيئاً بعد شيء بتمهل وتؤدّة؛ لتيسير فهمه وحفظه.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ﴾ ﴿أَوْ نُرِي رَبَّنَا لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْهُمْ عَتَا كَبِيرًا﴾ ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ﴾ ﴿حَجَرًا مَّحْجُورًا﴾ ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ﴾ ﴿هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا﴾ ﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ ﴿وَيَوْمَ تَشْقَى السَّمَاءُ بِالْغَمِّمِ وَنُزِلُ الْمَلَائِكَةُ تَزِيلًا﴾ ﴿الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾ ﴿وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ﴾ ﴿يَلَيْتَنِي أَتَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ ﴿يَتَوَلَّى لَيْتَنِي لَوْ أَتَخَذْتُ فَلَانًا خَلِيلًا﴾ ﴿لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي﴾ ﴿وَكَانَ السَّيِّطُنُ لِلْإِنْسَانِ خَدُولًا﴾ ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَدْرَبُ إِنِّي قَوْمِي أَتَخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ لَيْتٍ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَجِدَةً كَذَلِكَ لِنُذِّتَّ بِهِمْ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾

[٢١] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ لا يخافون البعث ﴿لَوْلَا﴾ هلاًلاً ﴿أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ﴾ فكانوا رسلاً إلينا ﴿أَوْ نُرِي رَبَّنَا﴾ فنخبر بأن محمدًا رسوله، قال - تعالى -: ﴿لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا﴾ تكبروا ﴿فِي﴾ شأن ﴿أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْهُمْ﴾ طغوا ﴿عَتَا كَبِيرًا﴾ بظلمهم رؤية الله - تعالى - في الدنيا، و﴿عَتَا﴾ بالواو على أصله، بخلاف ﴿عَتَى﴾ بالإبدال في مريم^(١).

[٢٢] ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ﴾ في جملة الخلائق؛ هو: يوم القيامة، ونصبه به [اذكره] مقدرًا ﴿لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ﴾ أي: الكافرين، بخلاف المؤمنين فلهم البشري بالجنة ﴿وَيَقُولُونَ﴾ ﴿حَجَرًا مَّحْجُورًا﴾ على عادتهم في الدنيا إذا نزلت بهم شدة؛ أي: عودًا معادًا؛ يستعيدون من الملائكة^(٢).

[٢٣] قال - تعالى -: ﴿وَقَدِمْنَا﴾ عمداً ﴿إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ﴾ من

(١) يشير إلى قوله - تعالى -: ﴿وَقَدْ بَلَّغْتَ مِنَ الْعَسْكَرِ عَيْنًا﴾، وقوله: ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّعْنِ عَيْنًا﴾.

(٢) هذا قول ابن جرير كما حكاه عنه ابن جرير. قال ابن كثير: وهذا القول - وإن كان له مأخذ ووجه - ولكنه بالنسبة إلى السياق في الآية بعيد، لا سيما قد نص الجمهور على خلافه واختار ابن كثير وابن جرير أن الضمير في قوله: ﴿ويقولون﴾ عائد على الملائكة؛ أي تقول الملائكة للكافرين: حرام محرم عليكم الفلاح اليوم. تفسير ابن كثير (٣/٣٠٤).

(٣) الظاهر أن المراد المفاضلة بينهما في الآخرة، وهو الأبلغ في المعنى والأشرف في الفرق بين حال الفريقين؛ فالأمة مستقرون في الجنة، والكافرون مستقرون في النار. فإله من وعد ويا له من وعيد. وأما قوله: ﴿خَيْرٌ﴾، فهو من باب استعمال أفعال التفضيل فيما ليس في الطرف المقابل شيء منه.

(٤) راجع التعليق على الآية رقم (٢٠٢) من سورة البقرة، والآية رقم (٥١) من سورة إبراهيم.

(٥) لنافع وابن كثير وابن عامر.

(٦) أخرج نحوه ابن أبي حاتم عن عمرو بن ميمون. وقد روى آخرون القصة معكوسة وأن أبي بن خلف رجع إرضاء لعقبة، وروى آخرون أنها نزلت في عقبة بن أبي معيط وأميه بن خلف. [الدر المنثور (٥/١٢٥-١٢٧)]. وضمعتها كلها في الاستيعاب (٩/٣-١٥).

(٨) يعني أبي بن خلف، كما روي في سبب نزول الآية، وسبق بيان ضعف هذا القول وغيره.

(٦) وهي قراءة ابن كثير.

[٣٣] ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾^(٥) والدفع له ﴿وَأَحْسَنَ تَقْسِيرًا﴾ بيانًا.

[٣٤] هم ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾^(٦) أي: يساقون ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَئِكَ سَكَّرَ مَكَانًا﴾ هو جهنم ﴿وَأَصْلُ سَيِّلًا﴾ أخطأ طريقًا من غيرهم؛ وهو: كفرهم.

[٣٥] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿وَجَعَلْنَا مَعَهُ آخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا﴾^(٧) مُعِينًا.

[٣٦] ﴿فَقُلْنَا أَهْبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا﴾ أي: القبط فرعون وقومه، فهذا إليهم بالرسالة؛ فكذبوهما ﴿فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا﴾ أهلكتناهم إهلاكًا.

[٣٧] ﴿وَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قَوْمٌ نُوحٍ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ بتكذيبهم نوحًا لطول لبثه فيهم؛ فكانه رُسلٌ، أو لأن تكذيبه تكذيب لباقي الرُّسل لا شرا لهم في الهجاء بالتوحيد ﴿أَعْرَقْنَاهُمْ﴾ جواب ﴿لَمَّا﴾ ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ بَدَءًا﴾ آيةٌ عبرة ﴿وَأَعْتَدْنَا﴾ في الآخرة ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ عَذَابًا أَلِيمًا مؤلمًا سوى ما يحل بهم في الدنيا.

[٣٨] ﴿وَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قوم هود ﴿وَوَعَدُوا﴾ قوم صالح ﴿وَأَصْحَابِ الرَّسِّ﴾ اسم بحر^(٨)، ونيهم قبل: شعب، وقيل: غيره، كانوا قعودًا حولها؛ فانهارت بهم وبمنازلهم ﴿وَقُرُونًا﴾ أقوامًا ﴿بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا﴾ أي: بين عاد وأصحاب الرِّس.

[٣٩] ﴿وَكَلَّا صَبْرًا لَهُ الْأَمْتَلُ﴾ في إقامة الحجة عليهم؛ فلا نهلكهم إلا بعد الإنذار ﴿وَكَلَّا تَبَرَّنَا تَنْبِيرًا﴾ أهلكتنا إهلاكًا بتكذيبهم أنبياءهم.

[٤٠] ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَا﴾ أي: مَرُّ كُفَّارٍ مكة ﴿عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَنْطَرْتَ مَطَرَ السَّوَاءِ﴾ مصدر ساء؛ أي: بالحجارة؛ وهي: غططى قرى قوم لوط؛ فأهلك الله أهلها لفعالهم الفاحشة ﴿أَنْتُمْ يَكْفُرُونَ﴾ في سفرهم إلى الشام؛ فيعتبرون؟ والاستفهام للتقرير ﴿بَلْ كَانُوا لَا يَتَّخِذُونَ﴾ يخافون ﴿شُرُوكًا﴾ بعبادًا؛ فلا يؤمنون.

[٤١] ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ﴾ ما ﴿يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُؤًا﴾^(٩) مهزؤًا به، يقولون: ﴿أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾ في دعواه، محقرين له عن الرسالة.

[٤٢] ﴿إِنْ﴾ مخففة من الثقيلة واسمها محذوف؛ أي: إنه ﴿كَادَ

وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَقْسِيرًا
 ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَئِكَ سَكَّرَ مَكَانًا وَأَصْلُ سَيِّلًا﴾^(٥) وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ
 وَجَعَلْنَا مَعَهُ آخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا ﴿فَقُلْنَا أَهْبَا
 إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٦﴾
 وَقَوْمَهُ نُوحٍ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ أَعْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ
 آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودًا
 وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ﴿٨﴾ وَكَلَّا
 صَبْرًا لَهُ الْأَمْتَلُ وَكَلَّا تَبَرَّنَا تَنْبِيرًا ﴿٩﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَا
 عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَنْطَرْتَ مَطَرَ السَّوَاءِ أَفَلَا يَكُونُوا يَرَوْنَهَا
 بَلْ كَانُوا لَا يَتَّخِذُونَ شُرُوكًا ﴿١٠﴾ وَإِذَا رَأَوْكَ إِذْ
 أَنْتَ تُبَيِّنُ لَهُمْ آيَاتِنَا أَتَى الْكَافِرِينَ الْكَيْدَ
 لِيُضِلَّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَا أَنَّ صَبْرَنَا عَلَيْنَا وَسَوْفَ
 يَعْمَهُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَصْلُ سَيِّلًا ﴿١١﴾ أَرَأَيْتَ
 مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوْنَهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكَيْلًا ﴿١٢﴾

لِيُضِلَّنَا﴾ يصرنا ﴿عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَا أَنَّ صَبْرَنَا عَلَيْنَا﴾ لصرنا عنها، قال - تعالى: ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ﴾ عيانًا في الآخرة ﴿مَنْ أَصْلُ سَيِّلًا﴾ أخطأ طريقًا، أهم أم المؤمنون؟

[٤٣] ﴿أَرَأَيْتَ﴾ أخبرني ﴿مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوْنَهُ﴾ أي: مهويه، قدم المفعول الثاني؛ لأنه أهم، وجملة ﴿مَنْ اتَّخَذَ﴾ مفعول أول ﴿لَرَأَيْتَ﴾، والثاني: ﴿أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكَيْلًا﴾ حافظًا تحفظه عن اتباع هواه؟ لا.

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن قتادة، قال: حدثنا أنس بن مالك رضي الله عنه، أن رجلاً قال: يا نبي الله، كيف يحشر الكافر على وجهه؟ قال: «أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادرًا على أن يمسيه على وجهه يوم القيامة؟». قال قتادة: بلى وعرة ربنا. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة الفرقان (٢٥) باب (١) ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾. وأخرجه مسلم - كتاب صفات المنافقين (٥٠) باب (١١).

(١) جمهور أهل اللغة على أن «الرس» لغة هو: البئر. أما «أصحاب الرس» فقيل: هم أصحاب الأعدود الذين جاء ذكرهم في سورة البروج. واختار ذلك ابن جرير. وقيل: هم أهل أنطاكية؛ أصحاب القرية المذكورة في سورة «س». وقيل غير ذلك، والله أعلم.

(٢) بالهمز مع ضم الزاي وسكونها، وهي قراءة السبعة ما عدا حفص، وحمة، وقرأ حمزة: ﴿هَزُؤًا﴾، وقرأ حفص: ﴿هَزُؤًا﴾.

أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا
 كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٦﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ
 الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسُ عَلَيْهِ دَلِيلًا
 ﴿٤٧﴾ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٨﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ
 اللَّيْلَ لِيَأْسَوا وَلِالنَّوْمِ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٩﴾ وَهُوَ
 الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ
 السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٥٠﴾ لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ
 مِمَّا خَلَقْنَا الْأَعْمَاءَ وَأَنْزَلْنَا مِنْهُ لِيَذْكُرُوا قَائِلًا أَنْ يَكْفُرُوا
 بِمَا كَفَرُوا قَائِلًا كَثِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ الْكُفْرِينَ وَجَاهِدْهُمْ
 بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا
 عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا
 وَحِجْرًا مَحْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ
 نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ
 مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾

﴿٤٤﴾ ﴿٤٤﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ ﴿٤٤﴾ سماع تفهم ﴿٤٤﴾ أَوْ
 يَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ ما تقول لهم ﴿٤٤﴾ إِنْ ﴿٤٤﴾ مَا ﴿٤٤﴾ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾
 أخطأ طريقًا منها؛ لأنها تنقاد لمن يتبعها، وهم لا يطعمون مولاها المنعم
 عليهم.

﴿٤٥﴾ ﴿٤٥﴾ أَلَمْ تَرَ ﴿٤٥﴾ تنظر ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ ﴿٤٥﴾ فعل ﴿٤٥﴾ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ﴿٤٥﴾ من وقت
 الإسفار إلى وقت طلوع الشمس ﴿٤٥﴾ وَلَوْ شَاءَ ﴿٤٥﴾ ربك ﴿٤٥﴾ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ﴿٤٥﴾ مقيما
 لا يزول بطلوع الشمس ﴿٤٥﴾ ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسُ عَلَيْهِ ﴿٤٥﴾ أي: الظل ﴿٤٥﴾ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾
 فلولا الشمس ما عرف الظل.

﴿٤٦﴾ ﴿٤٦﴾ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ ﴿٤٦﴾ أي: الظل الممدود ﴿٤٦﴾ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ خفيًا
 بطلوع الشمس.

﴿٤٧﴾ ﴿٤٧﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِيَأْسَوا ﴿٤٧﴾ ساترا كاللباس ﴿٤٧﴾ وَالنَّوْمَ
 سُبَاتًا ﴿٤٧﴾ راحة للبدان؛ بقطع الأعمال ﴿٤٧﴾ وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ منشورا فيه
 لا ابتغاء الرزق وغيره.

﴿٤٨﴾ ﴿٤٨﴾ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ ﴿٤٨﴾ وفي قراءة: ﴿الرِّيحَ﴾ ﴿٤٨﴾ ﴿نُشُورًا﴾ ﴿٤٨﴾
 بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ﴿٤٨﴾ متفرقة قدام المطر، وفي قراءة: بسكون الشين تخفيفا ﴿٤٨﴾،
 وفي أخرى: بسكونها ونون مفتوحة مصدر ﴿٤٨﴾، وفي أخرى: بسكونها وضم
 الموحدة بدل النون ﴿٤٨﴾؛ أي: مبشرات، ومفرد الأولى: نشور؛ كرسول،
 والأخيرة: بشير ﴿٤٨﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ مطهرا.

﴿٤٩﴾ ﴿٤٩﴾ لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا ﴿٤٩﴾ بالتخفيف يستوي فيه الذكر والمؤنث،
 ذكره باعتبار المكان ﴿٤٩﴾ وَنُسْقِيَهُ ﴿٤٩﴾ أي: الماء ﴿٤٩﴾ مِمَّا خَلَقْنَا الْأَعْمَاءَ ﴿٤٩﴾ إبلا ويقرا
 وغنما ﴿٤٩﴾ وَأَنْزَلْنَا كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ جمع إنسان، وأصله: أناسين؛ فأبدلت النون ياء،
 وأدغمت فيها الياء، أو جمع إنسي.

﴿٥٠﴾ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ ﴿٥٠﴾ أي: الماء ﴿٥٠﴾ بَيْنَهُمْ لِيَذْكُرُوا ﴿٥٠﴾ أصله: يذكروا؛
 أدغمت التاء في الذال، وفي قراءة: ﴿لِيَذْكُرُوا﴾ ﴿٥٠﴾ بسكون الذال وضم
 الكاف؛ أي: نعمة الله به ﴿٥٠﴾ فَأَقْبَلَ الْكُفْرَانَ إِلَّا كَثُورًا ﴿٥٠﴾ جحودا للنعمة؛
 حيث قالوا: مطرنا يتوؤ كذا.

﴿٥١﴾ ﴿٥١﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ﴿٥١﴾ يخوف أهلها، ولكن
 بعثناك إلى أهل القرى كلها نذيرا؛ ليعظم أجرك.

﴿٥٢﴾ ﴿٥٢﴾ فَلَا تُطِعِ الْكُفْرِينَ ﴿٥٢﴾ في هواهم ﴿٥٢﴾ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ ﴿٥٢﴾ أي: القرآن
 ﴿٥٢﴾ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾.

﴿٥٣﴾ ﴿٥٣﴾ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ ﴿٥٣﴾ أرسلهما متجاورين ﴿٥٣﴾ هَذَا عَذْبٌ
 فُرَاتٌ ﴿٥٣﴾ شديد العذوبة ﴿٥٣﴾ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ﴿٥٣﴾ شديد الملوحة ﴿٥٣﴾ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا
 بَرْزَخًا ﴿٥٣﴾ حاجزا لا يختلط أحدهما بالآخر ﴿٥٣﴾ وَحِجْرًا مَحْجُورًا ﴿٥٣﴾ سترا ممنوعا به
 اختلاطهما.

﴿٥٤﴾ ﴿٥٤﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا ﴿٥٤﴾ من المني إنسانا ﴿٥٤﴾ فَجَعَلَهُ نَسَبًا ﴿٥٤﴾
 ذا نسب ﴿٥٤﴾ وَصِهْرًا ﴿٥٤﴾ ذا صهر؛ بأن يتزوج ذكرا كان أو أنثى طلبا للتناسل
 ﴿٥٤﴾ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ قادرا على ما يشاء ﴿٥٤﴾.

﴿٥٥﴾ ﴿٥٥﴾ وَيَسْتَدِينُ ﴿٥٥﴾ أي: الكفار ﴿٥٥﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ ﴿٥٥﴾ بعبادته
 ﴿٥٥﴾ وَلَا يَضُرُّهُمْ ﴿٥٥﴾ بتركها؛ وهو الأصنام ﴿٥٥﴾ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾ معينا
 للشيطان بطاعته.

(١) لابن كثير.

(٢) لنافع وابن كثير وأبي عمرو.

(٣) أي: ﴿نُشُورًا﴾، وهي: لابن عامر.

(٤) أي: ﴿نُشُورًا﴾، وهي لحمزة والكسائي.

(٥) أي: ﴿نُشُورًا﴾، وهي قراءة عاصم.

(٦) لحمزة والكسائي.

(٧) الأولى أن يقول: قادر على كل شيء، كما هو ظاهر آيات القرآن في إثبات القدرة، كما أنه الأكمل في حقه - سبحانه -، ولله الأسماء الحسنى والصفات العلى.

[٥٦] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا﴾ بالجنة ﴿وَنَذِيرًا﴾ مخوفًا من النار.

[٥٧] ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ أي: على تبليغ ما أرسلت به ﴿وَمِنْ آخِرِ إِلَّا﴾ لكن ﴿مَنْ شَاءَ أَنْ يَخَذَ إِلَيْ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ طريقًا يوافق ماله في مرضاته - تعالى: فلا آمنه من ذلك.

[٥٨] ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَمِّحٌ﴾ متلبسًا ﴿بِحَمِيدِهِ﴾ أي: قل: ﴿سبحان الله والحمد لله﴾ ﴿وَكَفَى بِهِ يَذُنُوبَ عِبَادِهِ خَيْرًا﴾ عالمًا، تعلق ﴿به﴾ ﴿بِذُنُوبٍ﴾.

[٥٩] هو ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ من أيام الدنيا؛ أي: في قدرها؛ لأنه لم يكن ثم شمس ولو شاء لخلقهن في لحظة، والعدول عنه لتعليم خلقه الثابت ﴿ثُمَّ أَسْرَوْنَا عَلَى الْغُرَيْنِ﴾ هو في اللغة: سرى الملك ﴿الْزَّحْمَنَ﴾ بدل من ضمير ﴿أَسْرَوْنَا﴾ أي: استواء يليق به (١) ﴿فَسَخَّلْنَا﴾ أيها الإنسان ﴿به﴾ بالرحمن ﴿خَيْرًا﴾ يخيرك بصفاته.

[٦٠] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ لكفار مكة: ﴿اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾ بالفوقانية والحنانية (٢)، والأمر محمد ولا نعرفه؛ لا ﴿وَرَادَهُمْ﴾ هذا القول لهم ﴿فَقُولُوا﴾ عن الإيمان.

[٦١] قال - تعالى: - ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾ اثني عشر: الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدى والدلو والحوت؛ وهي منازل الكواكب السبعة السيارة: المريح وله الحمل والعقرب، والزهرة ولها الثور والميزان، وعطارد وله الجوزاء والسنبلة، والقمر وله السرطان، والشمس ولها الأسد، والمشتري وله القوس والحوت، وزحل وله الجدي والدلو ﴿وَجَعَلَ فِيهَا﴾ أيضًا ﴿بُيُوتًا﴾ هو الشمس ﴿وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾، وفي قراءة: ﴿شُرْجًا﴾ (٣) بالجمع؛ أي: نيرات، ونحس القمر منها بالذكر نوع فضيلة.

[٦٢] ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً﴾ أي: يخلف كل منها الآخر ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذُكَّرَ﴾ بالشدديد والتخفيف (٤) - كما تقدم: - ما فاته في أحدهما من خير فيفعله في الآخر ﴿أَوْ أَرَادَ شُكْرًا﴾ أي: شكرًا لنعمة ربه عليه فيها.

[٦٣] ﴿وَيَعْبُدُ الرَّحْمَنَ﴾ مبتدأ، وما بعده صفات له إلى: ﴿أُولَئِكَ يَجُزُّونَ﴾ (٥) غير المعترض فيه (٦) ﴿الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هُونَ﴾ أي: بسكينة وتواضع ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ﴾ بما يكرهونه ﴿قَالُوا سَلَامًا﴾ أي: قولًا يسلمون فيه من الإثم.

[٦٤] ﴿وَالَّذِينَ يَبْتَئُونَ رَبِّيهِمْ سُجَّدًا﴾ جمع ساجد ﴿وَقِيَمًا﴾

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَىٰ الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَمِّحٌ بِحَمِيدِهِ﴾ ﴿وَكَفَىٰ بِهِ يَذُنُوبَ عِبَادِهِ خَيْرًا﴾ ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ أَسْرَوْنَا عَلَىٰ الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسَخَّلْنَا بِهِ خَيْرًا﴾ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾ ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾ ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذُكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكْرًا﴾ ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَىٰ الْأَرْضِ هُونَ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ ﴿وَالَّذِينَ يَبْتَئُونَ رَبِّيهِمْ سُجَّدًا وَقِيَمًا﴾ ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ ﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾

بمعنى: قائمين يصلون بالليل.

[٦٥] ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ أي: لازمًا.

[٦٦] ﴿إِنَّهَا سَاءَتْ﴾ بسبت ﴿مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ هي؛ أي: موضع استقرار وإقامة.

[٦٧] ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا﴾ على عيالهم ﴿لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾ بفتح أوله وضمه (٧)؛ أي: يضيقوا ﴿وَكَانَ﴾ إنفاقهم ﴿بَيْنَ ذَلِكَ﴾ الإسراف والإقتار ﴿قَوَامًا﴾ وسطًا.

(١) سبق التعليق على هذا التفويض، وأنه إذا كان يراد به تفويض الكيفية فهو حق، وأما إن كان يراد به تفويض معنى الاستواء الذي هو الاستقرار والعلو فهو خلاف فهم السلف وقد ذهبهم.

(٢) بالياء قراءة حمزة والكسائي.

(٣) حمزة والكسائي.

(٤) بالتخفيف قراءة حمزة.

(٥) وهو - أعني قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ يَجُزُّونَ﴾ - خير المبتدأ، على اختيار المفسر، ويحتمل أن يكون الخبر قوله: ﴿الَّذِينَ يَمْشُونَ﴾ ويكون قوله: ﴿أُولَئِكَ يَجُزُّونَ﴾ جملة مستأنفة مبتدأ وخبر.

(٦) أي باستثناء الجملة الاعتراضية؛ وهو قوله - تعالى: - ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ الآية [الفرقان: ٦٨]، إلى قوله: ﴿مَسَاءً﴾.

(٧) بضم أوله مع كسر التاء قراءة نافع وابن عامر، وأما القراءة بفتح الباء فمع كسر التاء لابن كثير وأبي عمرو، ومع ضمها لباقي السبعة.

[٧٠] ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا﴾ منهم ﴿فَأُولَئِكَ يَبْدُلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ المذكورة ﴿حَسَنَاتٍ﴾ في الآخرة ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا رَحِيمًا﴾ أي: لم يزل منصفًا بذلك^(١).

[٧١] ﴿وَمَنْ تَابَ﴾ من ذنوبه غير من ذكر ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾ أي: يرجع إليه رجوعًا؛ فيجازيه خيرا.

[٧٢] ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ أي: الكذب والباطل ﴿وَأَذًا مَرُوءًا بِاللَّغْوِ﴾ من الكلام القبيح وغيره ﴿مَرُوءًا كَرَامًا﴾ معرضين عنه.

[٧٣] ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ عَلِيمًا﴾ بل خروا سامعين ناظرين منتفعين.

[٧٤] ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا﴾ بالجمع والإفراد^(٢) ﴿فَرَّةً أَعْيِبَ﴾ لنا؛ بأن نراهم مطيعين لك ﴿وَأَجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ في الخير.

[٧٥] ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ﴾ الدرجة العليا في الجنة ﴿بِمَا كَسَبُوا﴾ على طاعة الله ﴿وَيُلْقَوْنَ﴾ بالتشديد والتخفيف مع فتح الباء^(٣) ﴿فِيهَا﴾ في الغرفة ﴿حَيْثُ وَسَلَّمًا﴾ من الملائكة.

[٧٦] ﴿وَالَّذِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ موضع إقامة لهم، و﴿أُولَئِكَ﴾ وما بعده خير: «عباد الرحمن» المبتدأ.

[٧٧] ﴿قُلْ﴾ يا محمد لأهل مكة: ﴿مَّا﴾ نافية ﴿يَعْتَبُونَ﴾ يكرهون ﴿بِكُرِّ رَبِّي تَوَلَّى دَعَاؤَكُمْ﴾ إياه في الشدائد فيكشفها ﴿فَقَدْ﴾ أي: فكيف يعاب بكم وقد ﴿كُذِّبْتُمْ﴾ الرسول والقرآن ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ﴾ العذاب ﴿لِرِزَامًا﴾^(٤) ملازمًا لكم في الآخرة بعد ما يحل بكم في الدنيا؛ فقتل منهم يوم بدر سبعون، وجواب ﴿تَوَلَّى﴾ دل عليه ما قبلها.

وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۖ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ۖ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبْدِلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا رَحِيمًا ۖ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ۖ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ۖ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ۖ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا فَرَّةً أَعْيِبَ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ۖ أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلْقَوْنَ فِيهَا حَيْثُ وَسَلَّمًا ۖ خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ۖ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ۗ

سُورَةُ الْفُرْقَانِ

[٦٨] ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ﴾ قلها ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ أي: واحداً من الثلاثة ﴿يَلْقَى أَثَامًا﴾ أي: عقوبة.

[٦٩] ﴿يُضَاعَفْ﴾ وفي قراءة: ﴿يُضَاعَفُ﴾ بالتشديد^(١) ﴿لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ﴾ بجزم الفعلين: بدلاً، ويرفعهما^(٢): استثنافاً ﴿مُهَانًا﴾ حال.

(٥) ما جاء في نزول الآيات (٦٨ - ٧٠): أخرجه البخاري عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن ناشا من أهل الشرك كانوا قد قتلوا وأكثروا، وزنوا وأكثروا، فأثاموا محمداً ﷺ فقالوا: إن الذي تقول وتدعوا إليه حسن لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة؛ فنزل: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾ ونزل: ﴿قُلْ يَكْفِيكَ الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة الزمر (٣٩) باب (١).

وأخرج أيضاً عن عبد الله بن مسعود قال: قال رجل: يا رسول الله، أي الذنب أكبر عند الله؟ قال: «أن تدعو لله نداً وهو خلقك». قال: ثم أي؟ قال: «ثم أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك». قال: ثم أي؟ قال: «أن تزاني حليلة جارك». فأئز الله تصديقها: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَى أَثَامًا ۖ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ﴾. البخاري - كتاب التوحيد (٩٧) باب (٤٦).

(٥٥) فائدة: أخرجه البخاري عن عبد الله بن مسعود قال: خمس قد مضين: الدخان، والقمر، والروم، والبطشة، واللام؛ ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾... وقال البخاري: ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾: هلكت. البخاري - كتاب تفسير القرآن (٦٥) سورة الفرقان (٢٥) باب (٥) ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾.

(١) لابن كثير وابن عامر.

(٢) بالرغ فيهما لشعبة وابن عامر، مع تشديد العين وحذف الألف لابن عامر - كما سبق بيانه.

(٣) بالإفراد في قوله: ﴿وَذُرِّيَّاتِنَا﴾ قراءة حمزة والكسائي وأبي عمرو وشعبة.

(٤) بالتخفيف قراءة حمزة والكسائي.

سُورَةُ الشُّعَرَاءِ

[مكية إلا: ﴿وَالشُّعَرَاءُ﴾ إلى آخرها فمدني، وهي مائتان وسبع وعشرون آية. نزلت بعد الواقعة^(*)]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿طَسَمَ﴾ طَسَمَ اللهُ أعلم بمراده بذلك.

[٢] ﴿تِلْكَ﴾ أي: هذه الآيات ﴿بِأَيْتِ الْكِتَابِ﴾ القرآن، والإضافة بمعنى: من ﴿الْقُرْآنِ﴾ يا محمد ﴿نَجْعُ نَفْسِكَ﴾ قاتلها غمًا من أجل ﴿الْأَلَا يَكُونُوا﴾ أي: أهل مكة ﴿مُؤْمِنِينَ﴾ و«لعل» هنا للإشفاق؛ أي: أشفق عليها بتخفيف هذا الغم.

[٣] ﴿لَمَّا كَانُوا﴾ أي: أهل مكة ﴿مُؤْمِنِينَ﴾ و«لعل» هنا للإشفاق؛ أي: أشفق عليها بتخفيف هذا الغم.

[٤] ﴿إِنْ لَشَأْ نُزِّلَ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءٌ فَظَلَّتْ﴾ بمعنى المضارع؛ أي: تظل؛ أي: تدموم ﴿أَعْيُنُهُمْ لَمَّا خَصَّيْنَهُمْ﴾ فيؤمنون، ولما وصفت الأعناق بالخضوع الذي هو لأربابها؛ جمعت الصفة منه جمع العقلاء.

[٥] ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ﴾ قرآن ﴿مِنَ الرَّحْمَنِ مُخَبَّرٌ﴾ صفة كاشفة^(١) ﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾.

[٦] ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا﴾ به ﴿فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْتَارٌ﴾ عواقب ﴿مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾.

[٧] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ ينظروا ﴿إِلَى الْأَرْضِ كَرَأَيْنَاهَا﴾ أي: كثيرًا ﴿مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ نوع حسن.

[٨] ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ﴾ دلالة على كمال قدرته - تعالى - ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ في علم الله، و﴿كَانَ﴾ قال سيبويه: زائدة.

[٩] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ ذو العزة ينتقم من الكافرين ﴿الرَّجِيمِ﴾ يرحم المؤمنين.

[١٠] ﴿رَبِّكَ﴾ اذكر يا محمد لقومك ﴿إِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى﴾ ليلة رأى النار والشجرة ﴿أَنْ﴾ أي: بأن ﴿أَنْتَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ رسولًا.

[١١] ﴿قَوْمٌ فَرَعَوْنَ﴾ معه ظلموا أنفسهم بالكفر بالله، وبني إسرائيل باستعبادهم ﴿الْأَلَا﴾ الهمة للاستفهام الإنكاري ﴿يَقُونُ﴾ الله بطاعته فيوجدونه؟

[١٢] ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾.

[١٣] ﴿وَصَبِّحُ صَدْرِي﴾ من تكذيبهم لي ﴿وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي﴾ بأداء الرسالة للعقدة التي فيه ﴿فَأَرْسِلْ إِلَيَّ﴾ أحيي ﴿هَكَرُونَ﴾ معي.

[١٤] ﴿وَقَتْمٌ عَلَى ذَنْبٍ﴾ يقتل القبطي منهم ﴿فَأَمَّا أَنْ يَقْتُلُونَ﴾ به. [١٥] ﴿قَالَ﴾ - تعالى -: ﴿كَلَّا﴾ لا يقتلونك ﴿فَأَذْهَبَا﴾ أي: أنت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طَسَمَ ﴿تِلْكَ﴾ آيَاتِ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿لَمَّا كَانُوا﴾ أَلَا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿إِنْ لَشَأْ نُزِّلَ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءٌ فَظَلَّتْ أَعْيُنُهُمْ لَمَّا خَصَّيْنَهُمْ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنَ الرَّحْمَنِ مُخَبَّرٌ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْتَارٌ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَرَأَيْنَاهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنْ أَنْتَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿قَوْمَ فَرَعُونَ الْآيَتُونَ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿وَصَبِّحُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَيَّ هَدًى ﴿وَلَهُمْ عَلَى ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِبِئْرِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَعْمِدُونَ ﴿فَأْتِيَا فَرَعُونَ فَقَوْلًا إِتَارَ رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿وَفَعَلْتَ فَعَلْتَك الْبِئْرَ فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿

وأحرك، ففيه تغليب الحاضر على الغائب ﴿بِئْرِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَعْمِدُونَ﴾ ما تقولون وما يقال لكم، أجريا مجرى الجماعة.

[١٦] ﴿فَأْتِيَا فَرَعُونَ قَوْلًا إِنَّا﴾ كَلَّا منا ﴿رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ إليك.

[١٧] ﴿أَنْ﴾ أي: بأن ﴿أَرْسِلْ مَعَنَا﴾ إلى الشام ﴿بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ فأتياها فقالا له ما ذكر.

[١٨] ﴿قَالَ﴾ فرعون لموسى: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا﴾ في منازلنا ﴿وَلِيدًا﴾ صغيرًا قريبًا من الولادة بعد فطامه ﴿وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ ثلاثين سنة يلبس من ملابس فرعون، ويركب من مراكمه، وكان يسمى ابنه.

[١٩] ﴿وَفَعَلْتَ فَعَلْتَك الْبِئْرَ﴾ هي قتل القبطي ﴿وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ الجاحدين لنعمتي عليك بالترية وعدم الاستعداد.

(٥) فائدة: أخرج أحمد عن معديكراب قال: أتينا عبد الله، فسألناه أن يقرأ علينا: ﴿طَسَمَ﴾ المائتين. فقال: ما هي معي، ولكن عليكم من رسول الله ﷺ: خباب بن الأرت. قال: أتينا خباب بن الأرت فقرأها علينا. المسند (٤١٩/١)، وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح (٣٩٨٠).

وقد أورد الحافظ ابن كثير هذا الحديث في أول سورة القصص؛ ولكن قوله في الحديث: ﴿طَسَمَ﴾ المائتين؛ بين أن المراد الشعراء لا القصص؛ لأن سورة القصص آياتها ثمان وثمانون آية فحسب. راجع تفسير ابن كثير (٣٦٦/٣).

(١) وهذا جريا على مذهب المفسر أن القرآن معنى قائم بذات الرب، وأن كلام الله ﷻ قديم، وسبق الرد عليه وبيان مذهب السلف في كلام الله - تعالى -، وأنه - سبحانه - لم يزل متكلمًا بمشيئته وإرادته بما شاء وكيف شاء، وكلامه بمشيئته من لوازم ذاته المقدسة.

[٢٣] ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ﴿٢٣﴾ لِمُوسَى: ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ الذي قلت إنك رسوله، أي: أي شيء هو؟

[٢٤] ﴿وَمَا لَهُ﴾ وما له يكن سبيل الخلق إلى معرفة حقيقته - تعالى - وإنما يعرفونه بصفاته، أجابه موسى - عليه الصلاة والسلام - ببعضها: ﴿قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ أي: خالق ذلك ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ بأنه - تعالى - خالقه؛ فأمنوا به وخذته.

[٢٥] ﴿قَالَ﴾ فرعون ﴿لِمَنْ حَوْلَهُ﴾ من أشراف قومه: ﴿أَلَا تَسْمَعُونَ﴾ جوابه الذي لم يطابق السؤال.

[٢٦] ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿رَبُّكُمْ رَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ وهذا - وإن كان داخلًا فيما قبله - يفظ فرعون؛ ولذلك: [٢٧] ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾.

[٢٨] ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ إن كنتم تقولون؛ أنه كذلك فأمنوا به وخذته.

[٢٩] ﴿قَالَ﴾ فرعون لموسى: ﴿لَيْنَ أَخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَكَ مِنَ السَّجُودِينَ﴾ كان سجته شديدًا يحبس الشخص في مكان تحت الأرض وخذه لا يبصر ولا يسمع فيه أحدًا.

[٣٠] ﴿قَالَ﴾ له موسى: ﴿أَوَلَوْ﴾ أي: أفعل ذلك ولو ﴿جِئْتِكَ بِثَبْتٍ﴾ يؤهنا ين على رسالتي؟

[٣١] ﴿قَالَ﴾ فرعون له: ﴿فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ فيه.

[٣٢] ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾ حية عظيمة.

[٣٣] ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ﴾ أخرجها من جيبه ﴿فَإِذَا هِيَ بِيضَاءٌ﴾ ذات شعاع ﴿لِلنَّظِيرِينَ﴾ خلاف ما كانت عليه من الأدمة^(١).

[٣٤] ﴿قَالَ﴾ فرعون: ﴿لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ﴾ إن هذا لسيرٌ عليمٌ؛ فائق في علم السحر.

[٣٥] ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ؟﴾

[٣٦] ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ أخو أمرهما ﴿وَلْيَبْتَ فِي الدَّالِّينَ خٰشِعِينَ﴾ جامعين.

[٣٧] ﴿يَأْتُونَكَ بِكُلِّ سِحْرٍ عَلِيمٍ﴾ يفضل موسى في علم السحر.

[٣٨] ﴿فَجَمَعَ السَّحَرَةَ لِيُقْبَلَنَّهُ يَوْمَ مَعْلُومٍ﴾ وهو وقت الضحى من يوم الزينة.

[٣٩] ﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَبِعُونَ﴾.

قَالَ فَعَلَهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٢٣﴾ فَفَرَزْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٤﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٣٠﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣١﴾ قَالَ لَيْنَ أَخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَكَ مِنَ الْمَسْجُودِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ أَوْلَوْجِئْتِكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴿٣٥﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بِيضَاءٌ لِلنَّظِيرِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٧﴾ فَجَمَعَ السَّحَرَةَ لِيُقْبَلَنَّهُ يَوْمَ مَعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَبِعُونَ ﴿٣٩﴾

[٢٠] ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿فَعَلْنَاهَا إِذَا﴾ أي: حينئذ ﴿وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾ عما أتاني الله بعدها من العلم والرسالة.

[٢١] ﴿فَفَرَزْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا﴾ علمًا ﴿وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.

[٢٢] ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ﴾ أصله: تمن بها علي ﴿أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ بيان لـ«تلك»؛ أي: اتخذتهم عبيدًا ولم تستعبدني؛ لا نعمة لك بذلك؛ لظلمك باستعبادهم، وقدّر بعضهم أول الكلام همزة استفهام للإنكار^(١).

(١) أي: «أوتلك».

(٢) أي: الشعرة.

[٤٠] ﴿لَمَّا نَبَّحَ النَّجْمُ كَانُوا هُمْ الْقَائِلِينَ﴾ الاستفهام للبحث على الاجتماع، والترجي على تقدير غلبتهم ليستمروا على دينهم؛ فلا يتبعوا موسى.

[٤١] ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّا لَمُنْقَلِبِينَ﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين^(١) ﴿لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْقَائِلِينَ﴾.

[٤٢] ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا أَهَى حِينُذِ الْمُنْقَلِبِينَ﴾. [٤٣] ﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَى - بَعْدَ مَا قَالُوا لَهُ: إِمَّا أَنْ تُخْلِفَ وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ نَحْنُ الْمُنْقَلِبِينَ﴾^(٢): ﴿الْقَوْمَا مَا أَنْتُمْ مُقْتُلُونَ﴾ فالأمر فيه للإذن بتقديم القائلهم توسلا إلى إظهار الحق.

[٤٤] ﴿فَالْقَوْمَا جَاهِلْتُمْ وَعَصَيْتَهُمْ وَقَالُوا بَعْرَةَ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْعَائِلُونَ﴾. [٤٥] ﴿فَالْقَوْمَا مُوسَى عَصَاهُ إِذَا هِيَ تَلْقَفُ﴾ بحذف إحدى التاءين من الأصل؛ يتلعق ﴿مَا يَأْتِيكُونَ﴾ يقبلونه بتحويلهم فيخلون بحالهم وعصيتهم أنها حيات تسعى.

[٤٦] ﴿فَالْقَوْمَا السَّحَرَةُ سَجِدِينَ﴾. [٤٧] ﴿فَالْقَوْمَا أَمَّا رَبِّ الْعَائِلِينَ﴾. [٤٨] ﴿رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ لعلمهم بأن ما شاهدوه من العصا لا يتأني بالسحر.

[٤٩] ﴿قَالَ فِرْعَوْنَ: أَلَمْ تَسْمَعُ﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفا^(٣) ﴿لَهُ﴾ لموسى ﴿قَبْلَ أَنْ آذَنَ﴾ أنا ﴿لَكُمْ إِنَّكُمْ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾ فعلمكم شيئا منه وعَلَيْكُمْ بآخِر ﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ما ينالكم مني ﴿لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْسُلَكُمْ مِنْ خِلْفٍ﴾ أي: يد كل واحد اليمنى ورجله اليسرى ﴿وَأَلْصِقُنَاكُمْ أَجْمُوعًا﴾.

[٥٠] ﴿قَالُوا لَا صَبْرَ لَنَا بِأَنْتَ يَا رَبَّنَا﴾ لا صبرَ علينا في ذلك ﴿إِنَّا إِلَى رَبِّنَا بَعْدَ مَوْتِنَا بِأَيِّ وَجْهِ كَانُ مُقْتَلُونَ﴾ راجعون في الآخرة.

[٥١] ﴿وَإِنَّا نَطْمَعُ﴾ نرجو ﴿أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبَّنَا خَطِيئَاتِنَا أَنْ﴾ أي: بأن ﴿كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ في زماننا.

[٥٢] ﴿وَأَرْحَمَنَا إِلَى مُوسَى﴾ بعد سنين أقامها بينهم يدعوهم بآيات الله إلى الحق فلم يزيدوا إلا عُتْوًا ﴿أَنْ أَسْرَ بَعْبَادِي﴾ بني إسرائيل، وفي قراءة^(٤): بكسر النون ووصل همزة ﴿أَسْرَ﴾ من سرى لغة في أسرى؛ أي: سر بهم ليلا إلى البحر ﴿إِنَّكُمْ مُنْجَبُونَ﴾ يتبعكم فرعون وجنوده فيلجون وراءكم البحر؛ فأنجيكم وأغرقهم.

[٥٣] ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنَ﴾ حين أخبر بسيرهم ﴿فِي الْمَدَائِنِ﴾ قبل: «كان له ألف مدينة واثنا عشر ألف قرية» ﴿خَبِيرِينَ﴾ جامعين الجيش قائلا:

[٥٤] ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ﴾ طائفة ﴿قَلِيلُونَ﴾ قبل: «كانوا ستمائة ألف وسبعين ألفا، ومقدمة جيشه سبعمائة ألف»، فقللهم بالنظر إلى كثرة جيشه.

لَمَّا نَبَّحَ النَّجْمُ كَانُوا هُمْ الْقَائِلِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّا لَمُنْقَلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا أَهَى حِينُذِ الْمُنْقَلِبِينَ ﴿٤٢﴾ ﴿لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْقَائِلِينَ﴾ ﴿٤٣﴾ ﴿الْقَوْمَا مَا أَنْتُمْ مُقْتُلُونَ﴾ ﴿٤٤﴾ ﴿فَالْقَوْمَا جَاهِلْتُمْ وَعَصَيْتَهُمْ وَقَالُوا بَعْرَةَ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْعَائِلُونَ﴾ ﴿٤٥﴾ ﴿فَالْقَوْمَا مُوسَى عَصَاهُ إِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ ﴿٤٦﴾ ﴿فَالْقَوْمَا أَمَّا رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٤٧﴾ ﴿رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ ﴿٤٨﴾ ﴿رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ ﴿٤٩﴾ ﴿فَالْقَوْمَا أَمَّا رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٥٠﴾ ﴿وَأَرْحَمَنَا إِلَى مُوسَى﴾ ﴿٥١﴾ ﴿أَنْ أَسْرَ بَعْبَادِي إِنَّكُمْ مُنْجَبُونَ﴾ ﴿٥٢﴾ ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنَ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ ﴿٥٣﴾ ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾ ﴿٥٤﴾ ﴿وَأَنْتُمْ لَنَا لَعَائِلُونَ﴾ ﴿٥٥﴾ ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَادِرُونَ﴾ ﴿٥٦﴾ ﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ ﴿٥٧﴾ ﴿وَكُنُوزٍ وَمَقَارٍ كَرِيمٍ﴾ ﴿٥٨﴾ ﴿كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ ﴿٥٩﴾ ﴿فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ﴾ ﴿٦٠﴾

[٥٥] ﴿وَأَنْتُمْ لَنَا لَعَائِلُونَ﴾ فاعلون ما يغيظنا [٥٦] ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَادِرُونَ﴾ مستعدون، وفي قراءة: ﴿حَادِرُونَ﴾ متيقظون.

[٥٧] قال - تعالى -: ﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ﴾ بساكنين كانت على جانبي النيل ﴿وَوَيْلٌ لَهُمْ﴾ أنهم جاروا في الدور من النيل.

[٥٨] ﴿وَكُنُوزٍ﴾ أموال ظاهرة من الذهب والفضة، وسميت كنوزا؛ لأنه لم يُعْطَ حَقُّ اللّهِ - تعالى - منها ﴿وَمَقَارٍ كَرِيمٍ﴾ مجلس حسن للأمرء والوزراء يحفه أتباعهم.

[٥٩] ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: إخراجنا كما وصفنا ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ بعد إغراق فرعون وقومه.

[٦٠] ﴿فَاتَّبَعُوهُمْ﴾ لحقوهم ﴿مُشْرِقِينَ﴾ وقت شروق الشمس.

(١) راجع التعليق على الآية (١١٣) من سورة الأعراف.

(٢) الأعراف: ١١٥.

(٣) راجع التعليق على الآية (١٢٣) من سورة الأعراف.

(٤) لنافع وابن كثير.

(٥) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وهشام.

ولا لبده.

[٦٤] ﴿وَأَرْسَلْنَا﴾ قربنا ﴿نَمَّ﴾ هناك ﴿الْآخِرِينَ﴾ فرعون وقومه حتى سلخوا مسالكهم.

[٦٥] ﴿وَأَقْبَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَتْمِيئِينَ﴾ بإخراجهم من البحر على هيئته المذكورة.

[٦٦] ﴿ثُمَّ أَعْرَفْنَا الْآخِرِينَ﴾ فرعون وقومه؛ بإطباق البحر عليهم لما تم دخولهم في البحر وخروج بني إسرائيل منه.

[٦٧] ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ إغراق فرعون وقومه ﴿لآيَةً﴾ عبرة لمن بعدهم ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ بالله، لم يؤمن منهم غير «أسية» امرأة فرعون، و«حزقيل» مؤمن آل فرعون، و«مريم بنت ناموصى» التي دلت على عظام يوسف عليه السلام (١).

[٦٨] ﴿وَأَنَّ رَبَّكَ لَهْدَى الْعَزِيزِ﴾ فانتقم من الكافرين بإغراقهم ﴿الرَّجِيمِ﴾ بالمؤمنين؛ فأنجأهم من الغرق.

[٦٩] ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكَ﴾ أي: كفار مكة ﴿نَبَأًا﴾ خبر ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ ويبدل منه: [٧٠] ﴿إِذْ قَالَ﴾ إبراهيم: ﴿لَأبيي وقومي، ما تعبدون﴾.

[٧١] ﴿قَالُوا تَعْبُدُ آسَاءًا مَا﴾ صرحوا بالفعل ليعطفوا عليه ﴿فَنظَّلْنَا هَذَا عَذَابًا﴾ نقيم نهازا على عبادتها، زاده في الجواب افتخارا به.

[٧٢] ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكَ إِذْ﴾ حين ﴿تَدْعُونَ؟﴾

[٧٣] ﴿أَوْ يَنْفَعُونَكَ﴾ إن عبدتموهم ﴿أَوْ يَضُرُّونَ﴾ كم إن لم تعبدوهم؟

[٧٤] ﴿قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آسَاءًا مَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ أي: مثل فعلنا.

[٧٥] ﴿قَالَ أَفَرَأَيْتَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ﴾.

[٧٦] ﴿أَنْتُمْ وَإِبَادُكُمْ الْأَقْدَمُونَ﴾.

[٧٧] ﴿فَأَنزَلْنَا عَذَابًا لِّئَلَّا﴾ لا أعبدهم ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ فإني أعبد.

[٧٨] ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ إلى الدين.

[٧٩] ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ﴾.

[٨٠] ﴿وَالَّذِي مَرَضْتُ فَهُوَ يَشفِينِي﴾.

[٨١] ﴿وَالَّذِي يُسَيِّئُ لِي ثُمَّ يُغْفِرُ لِي﴾.

[٨٢] ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ﴾ أرجو ﴿أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الزَّيْنِ﴾ الجزاء.

[٨٣] ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا﴾ علما ﴿وَالْحَقِّنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ النبيين.

فَلَمَّا تَرَاهُ الْجَمْعَانَ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمَدْرُوكُونَ ﴿٦٦﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٧﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٨﴾ وَأَرْسَلْنَا ثَمَّ الْآخِرِينَ ﴿٦٩﴾ وَأَجْبَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ وَأَجْمَعِينَ ﴿٧٠﴾ ثُمَّ أَعْرَفْنَا الْآخِرِينَ ﴿٧١﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٧٣﴾ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴿٧٤﴾ إِذْ قَالَ لِأبيه وقوميه ما تعبدون ﴿٧٥﴾ قَالُوا تَعْبُدُوا آسَاءًا مَا فَظَّلْنَا هَذَا عَذَابًا ﴿٧٦﴾ أَوْ يَنْفَعُونَكَ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آسَاءًا مَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٨﴾ قَالَ أَفَرَأَيْتَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٩﴾ أَنْتُمْ وَإِبَادُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴿٨٠﴾ فَنَزَّلْنَا هَذَا عَذَابًا لِّئَلَّا يُعْبُدُ الَّذِينَ كَانُوا عَلَى آسَاءِ الدِّينِ ﴿٨١﴾ وَتَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَالَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٨٢﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٨٣﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٤﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨٥﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الزَّيْنِ ﴿٨٦﴾ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقِّنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٧﴾

[٦١] ﴿فَلَمَّا تَرَاهُ الْجَمْعَانَ﴾ رأى كل منهما الآخر ﴿قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمَدْرُوكُونَ﴾ يدر كنا نجفغ فرعون، ولا طاقة لنا به.

[٦٢] ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿كَلَّا﴾ أي: لن يدركونا ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي﴾ بنصره (١) ﴿سَيَهْدِينِ﴾ طريق النجاة.

[٦٣] قال - تعالى -: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ﴾ فضربه ﴿فَانفَلَقَ﴾ فانشق اثني عشر فرقا ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ الجبل الضخم بينهما مسالك سلكوها لم يتبل منها سرج الراكب

(١) هذا من لوازم معيته. شجاعته. الخاصة بعباده المؤمنين، ومعيته. شجاعته. مع خلقه نوعان: عامة وخاصة، وقد اشتمل القرآن على النوعين وحقيقتها الصعبة اللاقة، وقد أخبر سبحانه أنه مع خلقه، مع كونه مستويا على عرشه، وكلاهما حق.

(٢) يشير إلى ما أخرجه ابن حبان في صحيحه، والحاكم في مستدركه وصبحه، وغيرهما عن أبي موسى الأشعري مرفوعا، وفيه أن موسى عليه السلام في قصة خروجه من مصر وسؤاله عن قبر يوسف لينقله معه فلدته عجوز بشرط أن تكون معه في الجنة... وأخرجه أيضا أبو يعلى، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧١/١٠): «رجال أبي يعلى رجال الصحيح».

قَالَ وَمَا عَلِمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنَّ حِسَابَهُمْ لِإِلَهِ عَلَىٰ رَبِّي
لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ
﴿١١٥﴾ قَالُوا لَيْنَ لَمْ تَنْتَهَ بِسُوحٍ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ
رَبِّ إِنْ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَأَفْتَحَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتَحًا وَبَحْثِي وَمَنْ
مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأُنجِيَتْهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفَلَكَ الْمَسْحُورِ
﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ
أَكْثَرَهُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنْ رَبُّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾ كَذَّبَتْ
عَادُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمُ أُخُوهُمْ هُودٌ آلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ
رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٢٦﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ
مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ
ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلَدُونَ ﴿١٢٩﴾
وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٣١﴾
وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامِ وَبَنِينَ
﴿١٣٣﴾ وَحَتَّىٰ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ
﴿١٣٥﴾ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٣٦﴾

[١١٢] ﴿قَالَ وَمَا عَلِمِي﴾ أي علم لي ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

[١١٣] ﴿إِنْ﴾ ما ﴿حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي﴾ فيجازيهم ﴿لَوْ تَشْعُرُونَ﴾

تعلمون ذلك ما عيذتموهم.

[١١٤] ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

[١١٥] ﴿إِنِّي﴾ ما ﴿إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ بين الإنذار.

[١١٦] ﴿قَالُوا لَيْنَ لَمْ تَنْتَهَ بِسُوحٍ﴾ عما تقول لنا ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ

الْمَرْجُومِينَ﴾ بالحجارة أو بالشمع.

[١١٧] ﴿قَالَ﴾ نوح: ﴿رَبِّ إِنْ قَوْمِي كَذَّبُونِ﴾.

[١١٨] ﴿فَأَفْتَحَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتَحًا﴾ أي: احكم ﴿وَبَحْثِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

[١١٩] قال - تعالى -: ﴿فَأُنجِيَتْهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفَلَائِكِ الْمَسْحُورِينَ﴾ المملوء من الناس والحيوان والطير.

[١٢٠] ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ﴾ بعد إغنائهم ﴿الْبَاقِينَ﴾ من قومه.

[١٢١] ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرَهُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾.

[١٢٢] ﴿وَإِنْ رَبُّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

[١٢٣] ﴿كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ﴾.

[١٢٤] ﴿إِذْ قَالَ لَهُمُ أُخُوهُمْ هُودٌ آلَا تَتَّقُونَ؟﴾

[١٢٥] ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾.

[١٢٦] ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾.

[١٢٧] ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ﴾ ما ﴿أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

[١٢٨] ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ﴾ مكان مرتفع ﴿ءَايَةً﴾ بناء علما للمارة ﴿تَعْبَثُونَ﴾ بمن يمر بكم وتسخرون منهم، والجملة حال من ضمير «تبنون».

[١٢٩] ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ﴾ للماء تحت الأرض ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ كأنكم ﴿تَخْلَدُونَ﴾ فيها لا تموتون.

[١٣٠] ﴿وَإِذَا بَطَشْتُمْ﴾ بضرب أو قتل ﴿بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ من غير رافة.

[١٣١] ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في ذلك ﴿وَأَطِيعُوا﴾ فيما أمرتكم به.

[١٣٢] ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ﴾ أنعم عليكم ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

[١٣٣] ﴿أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ﴾.

[١٣٤] ﴿وَحَتَّىٰ وَعُيُونٍ﴾ بساتين ﴿وَبُيُوتٍ﴾ أنهار.

[١٣٥] ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ في الدنيا والآخرة إن عصيتموني.

[١٣٦] ﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا﴾ مشئو عندنا ﴿أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ﴾ أصلاً؛ أي: لا نرعو لوعظك.

[١٣٧] ﴿إِنَّ﴾ ما ﴿هَذَا﴾ الذي خَوَّفْنَا بِهِ ﴿إِلَّا خَلْقٌ﴾ (١) ﴿الَّذِينَ﴾
 أَي: اختلافهم وكذبهم، وفي قراءة: بضم الحاء واللام، أي: ما هذا الذي نحن
 عليه من إنكار البعث إلا خلق الأولين؛ أي: طبيعتهم وعادتهم.
 [١٣٨] ﴿وَمَا تَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ﴾.
 [١٣٩] ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ بالعناد ﴿فَأَهْلَكْنَاهُمْ﴾ في الدنيا بالريح ﴿إِنَّ فِي﴾
 ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.
 [١٤٠] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.
 [١٤١] ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ﴾.
 [١٤٢] ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ صَاحِبُهُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِحْتُ وَإِنَّ أَعْرَابِي لَأَلْعَلِّي رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أَنْتَرَكُونَ فِي مَا هُمْ بِأَمِينِينَ ﴿١٤٢﴾
 فِي جَنَّتِ وَعُيُونُ ﴿١٤٣﴾ وَرُزُوعٍ وَنَحَلٍ طَلَعَهَا هَاضِمٌ ﴿١٤٤﴾
 وَتَنَجَّحُونَ مِنَ الْجِبَالِ بِيُوتَا فَرِهَيْنِ ﴿١٤٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا
 ﴿١٤٦﴾ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٤٧﴾ الَّذِينَ يَفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ
 وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٤٨﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَخَّرِينَ ﴿١٤٩﴾ مَا أَنْتَ
 إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بَيِّنَاتٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ
 هَذِهِ مَنَاقِفُ لَهَا شَرِبٌ وَلَكُمْ شَرِبٌ يَوْمَ مَعْلُومٍ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَمْسُوهَا
 بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ يُؤْمِرُ عَظِيمٌ ﴿١٥٢﴾ فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا
 نَدِيمِينَ ﴿١٥٣﴾ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ
 أَكْثَرَهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٥٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٥٥﴾

[١٥٧] ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ عَقَرَهَا بَعْضُهُمْ بِرِضَاهُمْ ﴿فَاصْبَحُوا نَدِيمِينَ﴾ على
 عَقَرِهَا.
 [١٥٨] ﴿فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ﴾ الموعود به فهلكوا ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ﴾
 أَكْثَرَهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.
 [١٥٩] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

[١٤٦] ﴿أَنْتَرَكُونَ فِي مَا هُمْ بِأَمِينِينَ﴾ من الخيرات ﴿ءَامِينِينَ﴾.
 [١٤٧] ﴿فِي جَنَّتِ وَشُيُونٍ﴾.
 [١٤٨] ﴿وَرُزُوعٍ وَنَحَلٍ طَلَعَهَا هَاضِمٌ﴾ لطيف لين.
 [١٤٩] ﴿وَتَنَجَّحُونَ مِنَ الْجِبَالِ بِيُوتَا فَرِهَيْنِ﴾ (٢) ﴿بَطْرِينَ﴾، وفي قراءة:
 ﴿فَرِهَيْنِ﴾ حادقين.
 [١٥٠] ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ فيما أمرتكم به.
 [١٥١] ﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ﴾.
 [١٥٢] ﴿الَّذِينَ يَفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ بالمعاصي ﴿وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ بطاعة
 الله.

[١٥٣] ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمَسْخَرِينَ﴾ الذين سحروا كثيرا حتى غلب
 على عقولهم.
 [١٥٤] ﴿مَا أَنْتَ﴾ أيضا ﴿إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بَيِّنَاتٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ﴾
 الصَّادِقِينَ﴾ في رسالتك.
 [١٥٥] ﴿قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شَرِبٌ﴾ نصيب من الماء ﴿وَلَكُمْ شَرِبٌ يَوْمَ﴾
 مَعْلُومٍ﴾.
 [١٥٦] ﴿وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ يُؤْمِرُ عَظِيمٌ﴾ عظم العذاب.

(١) قراءة الكسائي وأبي عمرو وابن كثير، وقرأ بقية السبعة: ﴿خَلْقٌ﴾ بضم الحاء واللام.

(٢) نافع وابن كثير وأبي عمرو، وقرأ بقية السبعة: ﴿فَرِهَيْنِ﴾.

وَأَنْفُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِلَّةَ ﴿١٨٤﴾ وَالْحَلِيقَةَ ﴿الْأُولَى﴾. [١٨٤]
 ﴿فَالرَّا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسْحَرِينَ﴾. [١٨٥]
 ﴿وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ مَخْفَفَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ وَاسْمَهَا مَحذُوفٌ؛ أَي: إِنَّهُ ﴿تَطُنُّكَ لَمِنَ الْكَذِبِينَ﴾. [١٨٦]
 ﴿فَأَنْقِطْ عَلَيْنَا﴾ [كشفا] ﴿بِسُكُونِ السَّيْنِ وَفِصْحَانِ﴾؛ فطعنا ﴿مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿فِي رَسُولِكَ﴾. [١٨٧]
 ﴿قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ فيجازيكم به. [١٨٨]
 ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ الظُّلَّةِ﴾ هي سحابة أظلمتهم بعد حُرِّ شَدِيدٍ أَصَابَهُمْ؛ فَامْطَرَتْ عَلَيْهِمْ نَارًا؛ فَاحْتَرَقُوا ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا عَذَابَ يَوْمِ عَظِيمٍ﴾. [١٨٩]
 ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾. [١٩٠]
 ﴿وَرَبِّكَ رَبُّ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾. [١٩١]
 ﴿وَرَأَيْتَهُ﴾ أَي: الْقُرْآنَ ﴿لِنَزِيلِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. [١٩٢]
 ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ جبريل. [١٩٣]
 ﴿عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾. [١٩٤]
 ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ بَيِّنٍ، وَفِي قِرَاءَةِ (٢): بِتَشْدِيدِ ﴿نَزَلَ﴾ وَتَنْصِبِ ﴿الرُّوحِ﴾ وَالْفَاعِلُ: اللَّهُ. [١٩٥]
 ﴿وَأَيُّهُ﴾ ذَكَرَ الْقُرْآنَ الْمَنْزُولَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﴿لِنُبَيِّنَ لِقَوْمٍ كَتَبَ﴾ [١٩٦]
 ﴿الْأُولَى﴾ كَالنُّورِ وَالْإِنجِيلِ. [١٩٧]
 ﴿أَوْ لَرَبِّكَ يَكْفُرُ مَكَّةَ﴾ أَي: ذَلِكَ ﴿أَنَّ تَعْلَمَهُ عُلَمَاؤُا بَيْتِ إِسْرَائِيلَ﴾ كَعَبْدَ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ، وَأَصْحَابِهِ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا، فَإِنَّهُمْ يَخْبِرُونَ بِذَلِكَ ﴿وَيَكْفُرُ بِالْمَكَّةِ وَتَنْصِبُ مَكَّةَ﴾ وَبِالْفَوْقَانِيَةِ وَرَفَعَ ﴿آيَةَ﴾ (٣). [١٩٨]
 ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ﴾ جَمَعَ أَعْجَمٌ. [١٩٩]
 ﴿فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ﴾ كَفَارَ مَكَّةَ ﴿مَّا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ أَنْفَقَ مِنْ اتِّبَاعِهِ. [٢٠٠]
 ﴿كَذَلِكَ﴾ أَي: مِثْلَ إِدْخَالِنَا التَّكْذِيبَ بِهِ بِقِرَاءَةِ الْأَعْجَمِيِّ سَلَكْنَاهُ إِدْخَالِنَا التَّكْذِيبَ بِهِ ﴿فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ كَفَارَ مَكَّةَ بِقِرَاءَةِ النَّبِيِّ. [٢٠١]
 ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ. [٢٠٢]
 ﴿فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾. [٢٠٣]

[٢٠٣] ﴿فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ﴾ لنؤمن؟ فيقال لهم: «لا»، فقالوا: متى هذا العذاب؟

[٢٠٤] قال: تعالى: ﴿أَفِعْدَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾.

[٢٠٥] ﴿أَفَرَأَيْتَ﴾ أَخْبِرْنِي ﴿إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ﴾.

[٢٠٦] ﴿فَرُجَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ من العذاب.

(١) بالسكون قراءة السبعة عدا حفص.

(٢) لحمزة والكسائي وشعبة وابن عامر.

(٣) بالناء مع رفع «آية» لابن عامر.

الذي دعوك إليه. [٢١٤] ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ وهم: بنو هاشم وبنو المطلب، وقد أنذرهم جهازاً. [رواه البخاري ومسلم] (١).
 [٢١٥] ﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ﴾ أَلْنِ جَانِبَكَ ﴿لِمَنْ أَتْبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾
 [٢١٦] ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ﴾ عَشِيرَتَكَ ﴿فَقُلْ﴾ لهم: ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ من عبادة غير الله.
 [٢١٧] ﴿وَتَوَكَّلْ﴾ بالواو والفاء (٢) ﴿عَلَى الْعَرْشِ الرَّحِيمِ﴾ الله؛ أي: فوض إليه جميع أمورك.

[٢١٨] ﴿الَّذِي يَرَبُّكَ﴾ حِينَ تَقُومُ ﴿إِلَى الصَّلَاةِ﴾.
 [٢١٩] ﴿وَتَقَلِّبُكَ﴾ في أركان الصلاة قائماً وقاعداً وراكعاً وساجداً ﴿فِي السُّجُودِ﴾ المصلين.

[٢٢٠] ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.
 [٢٢١] ﴿هَلْ أَنْتُمْ كُرْهُوا﴾ يا كفار مكة ﴿عَلَىٰ مَنْ نَزَّلَ الشَّيْطَانُ﴾ - بحذف إحدى التامين من الأصل؟
 [٢٢٢] ﴿نَزَّلَ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ كذاب ﴿أَثِيمٍ﴾ فاجر، مثل «مُتْسِلِمَةٌ» وغيره من الكهنة.

[٢٢٣] ﴿يَلْفُوفٌ﴾ الشياطين ﴿السَّمْعُ﴾ ما سمعوه من الملائكة إلى الكهنة ﴿وَأَكْثَرُهُمْ كَذِبُونَ﴾ يضمنون إلى المسموع كذبا كثيراً، وكان هذا قبل أن حجب الشياطين عن السماء.

[٢٢٤] ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ في شعرهم، فيقولون به ويروونه عنهم؛ فهم مذمومون.
 [٢٢٥] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تعلم ﴿أَنَّهُمْ فِي كَذِبٍ وَارِدٍ﴾ من أودية الكلام وفونه ﴿يَهيمُونَ﴾ يمضون؛ فيجاززون الحد مدحا وهجاء.

[٢٢٦] ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ﴾ فعلنا ﴿مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ أي: يكذبون.
 [٢٢٧] ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ من الشعراء ﴿وَذَكَرُوا اللَّهَ كُبْرًا﴾ لم يشغلهم الشعر عن الذكر ﴿وَأَنْصَرُوا﴾ بهججوهم الكفار ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ - تَعَالَىٰ :: لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوَىٰ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ (٣) وقال - تَعَالَىٰ :: ﴿فَمَنْ آتَمَدْتَنِي عَلَيْهِمْ فَاتَمَدُّوا عَلَيْهِ بِعِثْلِ مَا آتَمَدْتَنِي عَلَيْهِمْ﴾ (٤) ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ من الشعراء وغيرهم ﴿أَيُّ مُنْقَلَبٍ﴾ مرجع ﴿يَقْبَلُونَ﴾ يرجعون بعد الموت.

مَا أَعْتَىٰ عَنْهُمْ مَا كَأَوْا يَمْتَعُونَ ﴿٣٥﴾ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيْبَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ ﴿٣٦﴾ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَمَا نَنْزَلُ بِهِ الشَّيْطَانُ ﴿٣٨﴾ وَمَا يَنْسُجِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْرُؤُونَ ﴿٤٠﴾ فَلَا تَنْعُ مَعَ اللَّهِ الْهَاءُ آخِرَةٌ فَتَكُونُ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ ﴿٤١﴾ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٤٢﴾ وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤٤﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحِيمِ ﴿٤٥﴾ الَّذِي يَرَبُّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٦﴾ وَتَقَلِّبُكَ فِي السُّجُودِ ﴿٤٧﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٤٨﴾ هَلْ أَنْتُمْ كُرْهُوا عَلَىٰ مَنْ نَزَّلَ الشَّيْطَانُ ﴿٤٩﴾ تَنْزَّلَ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٥٠﴾ يَلْفُوفٌ أَسْمَعُ وَأَكْثَرُهُمْ كَذِبُونَ ﴿٥١﴾ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٥٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٥٣﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٥٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كُبْرًا وَتَنْصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴿٥٥﴾

سورة التين

[٢٠٧] ﴿مَا﴾ استفهامية بمعنى أي: شيء ﴿أَفَعَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَمْتَعُونَ﴾ في دفع العذاب أو تخفيفه؟ أي: لم يغن.
 [٢٠٨] ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيْبَةٍ إِلَّا مَا مِيزَرُونَهُ﴾ رسل تنذر أهلها.
 [٢٠٩] ﴿ذِكْرَىٰ﴾ عظة لهم ﴿وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ في إهلاكهم بعد إنذارهم.

[٢١٠] ﴿وَنَزَّلْنَا ذُوقُوا عَذَابَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿وَمَا نَزَّلْنَا بِهِ﴾ بالقرآن ﴿الشَّيْطَانُ﴾.
 [٢١١] ﴿وَمَا يَنْسُجِي﴾ يصلح ﴿لَهُمْ﴾ أن ينزلوا به ﴿وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ ذلك.

[٢١٢] ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ﴾ لكلام الملائكة ﴿لَمَعْرُؤُونَ﴾ بالشُّبُه.
 [٢١٣] ﴿فَلَا تَنْعُ مَعَ اللَّهِ الْهَاءُ آخِرَةٌ فَتَكُونُ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ﴾ إن فعلت ذلك

(٥) فائدة: أخرج أبو داود عن ابن عباس قال: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ فنسخ من ذلك واستثنى فقال: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كُبْرًا﴾. أبو داود - كتاب الأدب (٣٥) باب (٩٥) ما جاء في الشعر. وحسن الألباني إسناده في صحيح سنن أبي داود (٤١٩٥).

(١) أخرج البخاري عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: لما نزلت: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ سعد النبي ﷺ على الصفا فجعل ينادي: «يا بني فهر، يا بني عدي، لبطون من قريش - حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر، ما هو؟ فجاء أبو لهب وقريش، فقال: «أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم، أكنتم مصدقي؟» قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقاً، قال: «إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد». فقال أبو لهب: «ثا لك سائر اليوم، ألهذا جمعتم؟» فنزلت: ﴿تَنْبِئْكَ آيَاتُ الْكُوفِيِّينَ﴾. البخاري (٤٧٧٠)، ومسلم (٢٠٤) عن ابن عباس.

(٢) بالفاء قراءة نافع وابن عمر.

(٣) النساء: ١٤٨.

(٤) البقرة: ١٩٤.

سُورَةُ التَّغْوِي

[مكية وهي: ثلاث، أو: أربع، أو: خمس وتسعون آية، نزلت بعد سورة الشعراء]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿طَسَّ﴾ الله أعلم بمراده بذلك ﴿تِلْكَ﴾ هذه الآيات ﴿آيَاتُ الْفُرْقَانِ﴾ آيات منه ﴿وَكِتَابٍ تُبَيِّنُ﴾ مظهر للحق من الباطل، عطف بزيادة صفة.

[٢] هو ﴿هُدًى﴾ هاد من الضلالة ﴿وَيُسِّرُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ المصدقين به بالجنة.

[٣] ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ يأتون بها على وجهها ﴿وَيُؤْتُونَ﴾ يعطون ﴿الزَّكَاةَ﴾ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُرْتَبُونَ﴾ يعلمونها بالاستدلال، وأعيد: ﴿هُمْ﴾ لما فصل بينه وبين الخبر.

[٤] ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ رَبَّاتَا لَهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾ القبيحة بتركيب الشهوة حتى رأوها حسنة ﴿فَهُمْ يَمَمُّونَ﴾ يتحيرون فيها لقبها عندنا.

[٥] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ﴾ أشده في الدنيا القتل والأسر ﴿وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْآخَسِرُونَ﴾ لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم.

[٦] ﴿وَإِنَّكَ﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿لَلتَّلَقَى الْفُرْقَانَ﴾ يلتقى عليك بشدة ﴿مِنْ لَدُنِّ﴾ من عند ﴿حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ في ذلك.

[٧] أذْكَرُ: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِيهِ﴾ زوجته عند مسيره من مدين إلى مصر: ﴿إِنِّي ءَانَسْتُ﴾ أبصرت من بعيد ﴿نَارًا سَتِيكًا مِّنْهَا يَخْرُجُ﴾ عن حال الطريق، وكان قد ضلها ﴿أَوْ ءَاتِيكًا﴾ [بشهاب] قَبَسٍ﴾ بالإضافة للبيان، وتركها^(١)؛ أي: شعلة نار في رأس فتيلة أو عود ﴿لَمَّا كَرَّ تَصَطَّلَتْ﴾ والطاء بدل من تاء الاتفعال، من صلي بالنار بكسر اللام وفتحها؛ تستدفون من البرد.

[٨] ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنَّ﴾ أي: بأن ﴿بُورِكَ﴾ أي: بارك الله ﴿مَنْ فِي النَّارِ﴾ أي: موسى ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ أي: الملائكة أو العكس، و«بارك» يتعدى بنفسه وبالخرف، ويقدر بعد: في مكان^(٢) ﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ من جملة ما نودي^(٣)؛ ومعناه: تنزيه الله من السوء.

[٩] ﴿يَمُوسَىٰ إِنَّهُ﴾ أي: الشأن ﴿أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

[١٠] ﴿وَإِنِّي عَصَاكَ﴾ فآلقاها ﴿فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ﴾ تتحرك ﴿كَأَنَّهُ جَانٌّ﴾ حية خفيفة ﴿وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَرُوَيْفَ﴾ يرجع؛ قال - تعالى -: ﴿يَمُوسَىٰ لَا تَخَفْ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طَسَّ تِلْكَ ءَايَاتُ الْفُرْقَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ رَبَّاتَا لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ فَهُمْ يَمَمُّونَ ﴿٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْآخَسِرُونَ ﴿٥﴾ وَإِنَّكَ لَلتَّلَقَى الْفُرْقَانَ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِيهِ إِنِّي ءَانَسْتُ نَارًا سَتِيكًا مِّنْهَا يَخْرُجُ أَوْ ءَاتِيكًا بِشَهَابٍ قَبَسٍ لَمَّا كَرَّ تَصَطَّلَتْ ﴿٧﴾ فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مِنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨﴾ يَمُوسَىٰ إِنَّهُ وَأَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَإِنِّي عَصَاكَ فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهُ جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَرُوَيْفَ يُعَقِّبُ يَمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمَرْسُولِ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَلْ حَسَنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْجُجْ بَيْضَاءَ مِنْ عَيْرٍ سُوءٍ فِي ثَمَعِ آيَاتِ الْفُرْقَانِ وَفَوَيْهٍ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ ءَايَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾

منها ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدُنِّي﴾ عندي ﴿الْمَرْسُولُونَ﴾ من حبة وغيرها.

[١١] ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿مَنْ ظَلَمَ﴾ نفسه ﴿فَرُبَّ بَدَلٍ حَسَنًا﴾ أنه ﴿بَعْدَ سُوءٍ﴾ أي: تاب ﴿فَأِنِّي عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أقبل التوبة وأغفر له.

[١٢] ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾ طوق قميصك ﴿تَخْجُجْ﴾ تخلاف لونها من الأدمة^(٤) ﴿بَيْضَاءَ مِنْ عَيْرٍ سُوءٍ﴾ برص، لها شعاع يُعْشَى^(٥) البصر، آية ﴿فِي ثَمَعِ آيَاتِ﴾^(٦) مرسلًا بها ﴿إِلَىٰ فُرْقَانٍ وَفَوَيْهٍ﴾ إنهم كانوا قَوْمًا فَاسِقِينَ.

[١٣] ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ ءَايَاتُنَا مُبْصِرَةً﴾ مضئية واضحة ﴿قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ يُبَيِّنُ ظَاهِرًا.

(١) بالإضافة قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ الباقون: «بشهاب».

(٢) على تفسيره الأول أن من في النار هو موسى، ويكون التقدير: أن بورك من في مكان النار.

(٣) قال ابن كثير: أي الذي يفعل ما يشاء ولا يشبه شيئًا في مخلوقاته، ولا يحيط به شيء من صنعاته، وهو العلي العظيم المبين لجميع المخلوقات، ولا تكتنفه الأرض والسموات؛ بل هو الأحد الصمد المنزه عن مماثلة المحدثات.

(٤) أي الشمرة، وفي هذا رد على أهل الكتاب وما جاء في كتبهم أنها خرجت برصاء مثل الثلج.

(٥) أي: إن شعاعها يجعل البصر «عشى»، وفي بعض النسخ: «عُشِي» بالعين المعجمة، وهو تصحيف.

(٦) تقدم بيانها في تفسير آية رقم (٧٥) من سورة يونس.

بالبوة وتسخير الجن والإنس والشياطين ﴿عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ .
 [١٦] ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾ النبوة والعلم دون باقي أولاده ﴿وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلِمْنَا مَنَظِقَ الطَّيْرِ﴾ أي: فهم أصواته ﴿وَأَوْيَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ تؤناه الأنبياء والملوك ﴿إِنَّ هَذَا﴾ الموتى ﴿هُوَ الْفَضْلُ الَّذِي﴾ البئس الظاهر.
 [١٧] ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ وَالطَّيْرِ﴾ في مسير له ﴿فَهُمْ يُورِثُونَ﴾ يجمعون ثم يساقون.

[١٨] ﴿حَتَّىٰ إِذَا تَوَارَىٰ عَلَىٰ وَادِ النَّعْلِ﴾ هو بالطائف أو بالشام، غله صغار أو كبار ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ﴾ ملكة النمل وقد رأت جند سليمان: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّعْلُ أَذْخُلُوا مَسَكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ﴾ يكسركم ﴿سُلَيْمَانُ جُنُودُهُ وَهُوَ لَا يَشْعُرُونَ﴾ نزل النمل منزلة العقلاء في الخطاب بخطابهم.

[١٩] ﴿فَتَبَسَّرَ﴾ سليمان ابتداء ﴿صَاحِكًا﴾ انتهاء ﴿مِن قَوْلِهَا﴾ وقد سمعه من ثلاثة أميال، حملته إليه الريح؛ فحس جنده حين أشرف على واديهم حتى دخلوا بيوتهم، وكان جنده ركبانا ومشاة في هذا السير (١) ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي﴾ ألهمني ﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ بِهَا﴾ بها ﴿عَلَىٰ وَعَلَىٰ ذَلِكِ﴾ وأن أعمل صليحا ترضه وأذلي برحمتك في عبادك الصالحين ﴿الأنبياء والأولياء﴾.

[٢٠] ﴿وَتَقَدَّ الطَّيْرُ﴾ ليرى الهدهد الذي يرى الماء تحت الأرض، ويدل عليه بقره فيها؛ فستخرجه الشياطين لاحتياج سليمان إليه للصلاة، فلم يره ﴿فَقَالَ مَا لَكَ لَا أَرَىٰ الْهُدْهُدَ﴾ أي: أعرض لي ما معني من رؤيته ﴿أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ فلم أره لغيبته؟ فلما تحققها.

[٢١] قال: ﴿لَأُعَذِّبَنَّ عَذَابًا﴾ تعذيبا ﴿سَكِيدًا﴾ بنتف ريشه وذئبه ورميه في الشمس؛ فلا يتنع من الهوام (٢) ﴿أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ﴾ بقطع حلقومه ﴿أَوْ لَيَأْتِيَنِي﴾ بنون مشددة مكسورة، أو مفتوحة يليها نون مكسورة (٣) ﴿يَسْأَلُنِي تُبِينُ﴾ يبرهان بين ظاهر على عذره.

[٢٢] ﴿فَتَمَكَّنْتُ﴾ بضم الكاف وفتحها (٤) ﴿فَبَرَّ بَيْدًا﴾ يسيرا من الزمن، وحضر لسليمان متواضعا برفع رأسه وإرخاء ذئبه وجناحيه؛ فعفا عنه وسأله عما لقي في غيبته ﴿فَقَالَ أَحْطَتْ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾ أي: اطلعت على ما لم تطلع عليه ﴿وَحِشَّتْكَ مِنْ سَيِّئٍ﴾ بالصرف وتركه (٥): قبيلة باليمن، سميت باسم جد لهم باعتبارها صرف ﴿بِنَارٍ﴾ خير ﴿يَقِينٍ﴾.

وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَ الْخَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلْنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلِمْنَا مَنَظِقَ الطَّيْرِ وَأَوْيَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَإِنَّ هَذَا هُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴿١٨﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُورِثُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا تَوَارَىٰ عَلَىٰ وَادِ النَّعْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّعْلُ ادْخُلُوا مَسَكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠﴾ فَتَبَسَّرَ صَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدِي وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَذِلَّةً لِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿٢١﴾ وَتَقَدَّ الطَّيْرُ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٢٢﴾ لَأُعَذِّبَنَّكَ وَعَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ فَمَكَتْ عَنِّي رَاعِدٌ فَقَالَ أَحْطَتْ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَحِشَّتْكَ مِنْ سَيِّئٍ بِنَارٍ يَقِينٍ ﴿٢٤﴾

[١٤] ﴿وَجَحَدُوا بِهَا﴾ لم يقروا ﴿وَو﴾ قد ﴿أَسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ﴾ أي: يتقنوا أنها من عند الله ﴿ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ تكبرا عن الإيمان بما جاء به موسى، راجع إلى الجحد ﴿فَانظُرْ﴾ يا محمد ﴿كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ التي علمتها من إهلاكهم.

[١٥] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ﴾ ابنه ﴿عِلْمًا﴾ بالقضاء بين الناس ومنطق الطير وغير ذلك ﴿وَقَالَ﴾ شكرا لله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا﴾

(١) مثل هذه التفاصيل لا دليل عليها ولا فائدة في ذكرها، وغالبا ما تكون من الإسرائيليات. وقوله: «حملته إليه الريح» يعارض نص الآية؛ فقوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا تَوَارَىٰ عَلَىٰ وَادِ النَّعْلِ﴾ يعني: وصولهم إليه.

(٢) لا دليل على أن العذاب الذي توعد به سليمان العذبة هو هذا الذي ذكره المصنف الجلال المحلي، والآية أطلقت العذاب ووصفته بالشدّة.

(٣) وهذه الأخيرة قراءة ابن كثير.

(٤) بالضم قراءة السبعة عدا عاصم.

(٥) قرأ أبو عمرو والبرقي بفتح الهمة من غير تنوين، وقرأ قبيل ياسكانها.

إِنِّي وَجَدْتُ أَمْرًا تَمَلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلُهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٣٥﴾ أَلَا يَسْجُدُونَ لِلَّهِ الَّذِي يَخْرِجُ الْحَبَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٣٧﴾ قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٣٨﴾ أَذْهَبَ بِكَ نَبِيٌّ هَذَا فَاَلْقَاهُ لِنَهْمِهِ لَوْلَئِذَا نَظَرْنَا مَا دَرَجُونَ ﴿٣٩﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٤١﴾ أَلَا تَعْلَمُونَ عَالِيٌّ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوا نَحْنُ أَوْلُو الْقُوَّةِ وَأَوْلُوا بِأَسِنَّةِ شَيْدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٤٤﴾ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَافَ أَهْلِهَا آذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٤٥﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَظِرَةٌ بِمَ رَجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٤٦﴾

﴿٣٤﴾ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَافَ أَهْلِهَا آذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ: أي: مرسلو الكتاب^(٨).
 ﴿٣٥﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَظِرَةٌ: يَم رَجِعُ الْمُرْسَلُونَ: من قبول الهدية أو ردّها؛ إن كان ملكاً قبلها، أو نبيّاً لم يقبلها؛ فأرسلت خدماً ذكوراً وإناثاً ألفاً بالسوية وخمسائة لينة من الذهب، وناجياً مَكَلَّلاً بالجواهر ومسكاً وغيرنا وغير ذلك مع رسول بكتاب؛ فأسرع الهدهد إلى سليمان يخبره الخبر؛ فأمر أن تضرب لبنات الذهب والفضة وأن تبسط من موضعه إلى تسعة فراسخ مبدأنا، وأن يبنوا حوله حائطاً مشرفاً من الذهب والفضة، وأن يؤتى بأحسن دواب البر والبحر مع أولاد الجن من يمين الميدان وشماله^(٩).

﴿٢٣﴾ ﴿إِنِّي وَجَدْتُ أَمْرًا تَمَلِكُهُمْ﴾: أي: هي ملكة لهم اسمها «بَلْقِيس» وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ: يحتاج إليه الملك من الآلة والعدة ﴿وَمَا عَرْشٌ﴾ سرير ﴿عَظِيمٌ﴾ طوله ثمانون ذراعاً وعرضه أربعون ذراعاً وارتفاعه ثلاثون ذراعاً، مضروب من الذهب والفضة، مَكَلَّلٌ بِالذَّوِّ وَالْباقوت الأحمر والزبرجد الأخضر والزمرد، وقوامه من الباقوت الأحمر والزبرجد الأخضر والزمرد، عليه سبعة أبواب على كل بيت باب مغلقة^(١).

﴿٢٤﴾ ﴿وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلُهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾ طريق الحق ﴿فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾.

﴿٢٥﴾ ﴿أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ﴾: أي: أن يسجدوا له، فزيدت «لا» وأدغم فيها نون «ألا»؛ كما في قوله - تعالى -: ﴿لَيْلًا يَعْلَمُ أَهْلَ الْكِتَابِ﴾^(٢) والجملة في محل مفعول ﴿يَهْتَدُونَ﴾، بإسقاط «إلى» ﴿الَّذِي يَخْرِجُ الْحَبَّ﴾ مصدر بمعنى: الخبوء من المطر والنبات ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا يُخْفُونَ﴾^(٣) في قلوبهم ﴿وَمَا يَعْلَمُونَ﴾^(٤) بالستهم.

﴿٢٦﴾ ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾: استئناف، جملة شاء مشتمل على عرش الرحمن في مقابلة عرش بلقيس وبينهما بون عظيم.

﴿٢٧﴾ ﴿قَالَ﴾ سليمان للهدهد: ﴿سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ﴾ فيما أخبرتنا به ﴿أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾: أي: من هذا النوع، فهو أُلْعَمٌ من: أم كذبت فيه، ثم ذلّهم على الماء فاستخرج ارتووا وتوضفوا وصلوا، ثم كسب سليمان كتاباً صورته: «من عبد الله سليمان بن داود إلى بلقيس ملكة سبأ: بسم الله الرحمن الرحيم، السلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فلا تلعوا عليّ وأتوني مسلمين»، ثم طبعه بالمسك وخطمه بخاتمه^(٥) ثم قال للهدهد:

﴿٢٨﴾ ﴿أَذْهَبَ بِكَ نَبِيٌّ هَذَا فَاَلْقَاهُ لِنَهْمِهِ﴾: أي: بلقيس وقومها ﴿ثُمَّ تَوَلَّى﴾ انصرف ﴿عَنَّهُمْ﴾ وقفت قريباً منهم ﴿فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ يردون من الجواب؛ فأخذها وأتاها وحولها جندها وألقاها في حجرها، فلما رآته ارتعدت وخضعت خوفاً، ثم وقفت على ما فيه.

﴿٢٩﴾ ﴿قَالَتْ﴾ لأشرف قومها: ﴿يَأَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بقلبيها واواً مكسورة^(٦) ﴿الَّتِي إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾ مختم.

﴿٣٠﴾ ﴿إِنَّهُمْ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُمْ﴾: أي: مضمونه: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿أَلَا تَعْلَمُونَ عَالِيٌّ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ﴾.

﴿٣١﴾ ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَتُونِي﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بقلبيها واواً^(٧)؛ أي: أشيروا عليّ ﴿فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا﴾ قاضيته ﴿حَتَّى تَشْهَدُونَ﴾ تحضرون.

﴿٣٢﴾ ﴿قَالُوا نَحْنُ أَوْلُو الْقُوَّةِ وَأَوْلُوا بِأَسِنَّةِ شَيْدٍ﴾: أي: أصحاب شدة في الحرب ﴿وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾: منا نُطْعَمُكُ.

(١) لا دليل على مثل هذه التفاصيل ولا فائدة في ذكرها، وسبق التعليق على مثل هذه الإسرائيليات، وأن الأولى في تفسير كلام الله ﷻ أن لا يعتمد إلا ما هو قطعي وأن يترك المفسر تفصيل ما أجمله الله ﷻ.

(٢) الحديد: ٢٩.

(٣) قرأ حفص والكسائي: «تخفون» بالياء، والباقون بالياء: «بخفون».

(٤) قرأ حفص والكسائي: «تعلنون» بالياء، والباقون بالياء: «يعلمون».

(٥) هذه التفاصيل والدقائق لا دليل عليها ولا فائدة في ذكرها.

(٦) التسهيل لنافع وابن كثير وأبي عمرو.

(٧) اختار المصنف أن قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ هو من تمام كلام المرأة. وقد ذهب غيره إلى أنه من كلام الله تعالى تصديقاً لقولها، وأن الوقف على ﴿وَجَعَلُوا أَعْرَافَ أَهْلِهَا آذِلَّةً﴾ وقف تام.

(٨) لا دليل صحيح على ذلك أيضاً، والأولى ترك حشو التفسير بذكره.

[٣٩] ﴿قَالَ عَفَرْتُ مِنَ الْجِنِّ﴾ هو القوى الشديد: ﴿أَنَا إِلَيْكَ بِهٖ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ﴾ الذي تجلس فيه للقضاء؛ وهو: من الغداة إلى نصف النهار ﴿وَأِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ﴾ أي: على حمله ﴿أَمِينٌ﴾ على ما فيه من الجواهر وغيرها، قال سليمان: أريد أسرع من ذلك.

[٤٠] ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ﴾ المنزل؛ وهو: «أصف بن برخيا»، كان صديقاً يعلم اسم الله الأعظم الذي إذا دعا به أحجب ﴿أَنَا إِلَيْكَ بِهٖ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ إذا نظرت به إلى شيء، فقال له: «انظر إلى السماء؛ فنظر إليها، ثم ردَّ بظرفه فوجده موضوعاً بين يديه، ففي نظره إلى السماء دعا «أصف» بالاسم الأعظم أن يأتي الله به؛ فحصل بأن جرى تحت الأرض حتى نبع تحت كرسي سليمان^(٥) ﴿فَلَمَّا رَأَاهُ مُسْتَقِرًّا﴾ ساكناً ﴿عِنْدَهُ قَالَ هَذَا﴾ أي: الإتيان لي به ﴿مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي﴾ ليعتبرني ﴿عَاشِرُكُمْ﴾ بتحقيق المهزبين، وإبدال الثانية ألفاً وتسهيلها، وإدخال ألف بين المهمله الأخرى وتركه^(٦) ﴿أَمْ أَكْفَرُ﴾ النعمة ﴿وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ أي: لأجلها؛ لأن ثواب شكره له ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ النعمة ﴿فَأَن رَّبِّي عَنِّي﴾ عن شكره ﴿كَرِيمٌ﴾ بالأفضال على من يكفرها.

[٤١] ﴿قَالَ نَكُرُوا لَهَا عَرِشَهَا﴾ أي: غيرهه إلى حال تنكره إذا رأته ﴿تَنْظُرُ أَهْتَدِي﴾ إلى معرفته ﴿أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾ إلى معرفة ما يغير عليهم، قصد بذلك اختيار عقلها لما قيل: إن فيه شيئاً. فغيروه بزيادة أو نقص وغير ذلك.

[٤٢] ﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ﴾ لها: ﴿أَكْمَلْنَا عَرِشًا﴾ أي: أمثل هذا عرشك؟ ﴿قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ﴾ عرفته وشبهت عليهم كما شبهوا عليها؛ إذ لم يقل: أهدا عرشك. ولو قيل: هذا. قالت: نعم. قال سليمان لما رأى لها معرفة وعلماً: ﴿وَأَوَيْنَا الْوَالِدَ مِنْ قَبْلِهَا وَنَا سُلَيْمِينَ﴾.

[٤٣] ﴿رَضَدَهَا﴾ عن عبادة الله ﴿مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿إِنَّمَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾.

[٤٤] ﴿قِيلَ لَهَا﴾ أيضاً: ﴿أَدْخُلِي الصَّرْحَ﴾ هو سطح من زجاج أيضاً شفاف تحته ماء عذب جار فيه سمك، اصططنه سليمان لما قيل له: «إن ساقياها وقدميها ققدمي الحمار»^(٧) ﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ حَبِئَتْ لِحْجَةً﴾ من الماء ﴿وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِيهَا﴾ لتخوضه، وكان سليمان على سريه في صدر الصرح فرأى ساقياها وقدميها حسناً ﴿قَالَ﴾ لها: ﴿إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ﴾ مملس ﴿وَمِنْ قَوَارِيرٍ﴾ من زجاج، ودعاهها إلى الإسلام ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ عبادة غيرك ﴿وَأَسْلَمْتُ﴾ كائنة ﴿مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وأراد تزوجها ففكرة شغز ساقياها؛ فعملت له الشياطين الثورة فأزالته بها؛ فزوجها وأحبها وأقرها على ملكها، وكان يزورها في كل شهر مرة، ويقم عندها ثلاثة أيام، وانقضى ملكها بانقضاء ملك سليمان^(٨) - روي أنه ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة، ومات وهو ابن ثلاث وخمسين سنة - فسبحان من لا انقضاء لدوام ملكه.

فَأَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أُمِدُّونِي بِمَالٍ فَمَاءَ آتِنَا لِلَّهِ خَيْرٌ مِمَّا ءَاتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدْيِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَهُمْ بِجُودٍ لَا قِيلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَ يَأْتِيهَا الْمَلَأُوْا إِلَيْكُمْ يَا تَبِي بَعْرِشَهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُوْنِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عَفَرْتُ مِنَ الْجِنِّ أَنَا إِلَيْكَ بِهٖ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَأِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا إِلَيْكَ بِهٖ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَأَاهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُكُمْ أَمْ أَكْفَرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّيَ عَنِّي كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكُرُوا وَالْهَآءَ عَرِشَهَا تَنْظُرُ أَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَمَآ جَآءَتْ قِيلَ أَلَمْ أَكْمَلْنَا عَرِشُكَ قَالَتَ كَأَنَّهُ هُوَ وَأَوَيْنَا الْعَالَمِينَ فِيهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّمَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِيهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرٍ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾

[٣٦] ﴿فَلَمَّا جَاءَ﴾ الرسول بالهدية معه أتباعه ﴿سُلَيْمَانَ قَالَ أُمِدُّونِي بِمَالٍ فَمَاءَ آتِنَا﴾ من النبوة والملك ﴿خَيْرٌ مِمَّا ءَاتَاكُمْ﴾ من الدنيا ﴿بَلْ أَنْتُمْ يَهْتَدُونَ تَفْرَحُونَ﴾ لفخركم بزخارف الدنيا.

[٣٧] ﴿أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ﴾ بما أتيت من الهدية ﴿فَلَنَأْتِيَهُمْ بِجُودٍ لَا قِيلَ﴾ لا طاقة ﴿لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا﴾ من بلد سبأ، سميت باسم أبي قبيتهم ﴿أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ إن لم يأتوني مسلمين؛ فلما رجع إليها الرسول بالهدية جعلت سريها داخل سبعة أبواب داخل قصرها، وقصرها داخل سبعة قصور، وغلقت الأبواب وجعلت عليها حرساً، وتجهزت للمسير إلى سليمان لتنظر ما يأمرها به، فارتحلت في اثني عشر ألف قتل، مع كل قتل ألوف كثيرة إلى أن قربت منه على فرسخ شعر بها^(١).

[٣٨] ﴿قَالَ يَأْتِيهَا الْمَلَأُوْا إِلَيْكُمْ﴾ في المهزبين ما تقدم^(٢) ﴿وَأِنِّي بِرَبِّهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُوْنِي مُسْلِمِينَ﴾ متقادين طائعين^(٣)، ﴿فَلْيُأْخِذْهُ قَبْلَ ذَلِكَ لَعَنَهُ﴾^(٤).

(١) سبق التعليق على هذه الأخبار ونحوها من الإسرائيليات.

(٢) جمهور المفسرين أن هذه المقالة من سليمان محيي هديتها ورده إياها. (٤) قاله قتادة وعطاء وزهير بن محمد وغير واحد، وألغى أنهم حتى أسلموا حرمت أموالهم.

(٥) سبق التعليق على نحو هذه الأخبار، وأنه لا دليل عليها، ولا فائدة في ذكرها.

(٦) راجع التعليق على الآية رقم (٦) من سورة البقرة.

(٧) أحسن ما قيل في بناء الصرح هو أنه أراد أن يربها ملكاً أعظم من ملكها ليكون حاملاً لها على أن تسلم. وما قيل غير ذلك لإسرائيليات لا تثبت ولا تليق بمقام النبوة.

(٨) مثل هذه السياقات والدقائق التي ذكرها المفسر الأقرب فيها أنها منقولة عن أصل الكتاب مما يوجد في صحفهم؛ كروايات كعب ووهب، فيما نقلنا إلى هذه الأمة من أخبار بني إسرائيل من الأوابد والغرائب والعجائب، مما كان وما لم يكن، ومما خوف وتبدل ونسب، وقد أغنانا الله - سبحانه - عن ذلك بما هو أصح منه وأوضح وأبلغ.

الْعَذَابِ ﴿٥٨﴾ الْغَيْرِينَ ﴿٥٩﴾ الْبَاقِينَ فِي الْعَذَابِ.

[٥٨] ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾ هو حجارة السجيل فأهلكهم

﴿فَسَاءَ﴾ بئس ﴿مَطَرُ الْمُنْذِرِينَ﴾ بالعذاب مطرهم.

[٥٩] ﴿قُلْ﴾ يا محمد: ﴿لَتَلْمِذٌ لِّهِ﴾ على هلاك الكفار من الأمم الخالية

﴿وَسَلَّمَ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ أَصْطَفَىٰ﴾ هم ﴿عَالَمَهُ﴾ بتحقيق الهمزتين، وإبدال

الثانية ألفًا وتسهيلها، وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركة^(١) ﴿حَبْرٌ﴾

من يعبده ﴿أَمَّا تُشْرِكُونَ﴾ بالباء والياء^(٢)؛ أي: أهل مكة به؛ أي: الآلهة

خير لعبديها.

[٦٠] ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً

فَأَنْبَتْنَا فِيهِ النَّفَاتِ مِنَ الْغَيْبِ إِلَى التَّكْلِمْ ﴿بِهِ﴾ حَدَائِقِي ﴿جَمْعُ حَدِيقَةٍ﴾؛

وهو: البستان المحوط ﴿ذَاتِ بَهْجَةٍ﴾ حُشْنٍ ﴿مَا كُنَّ لَكَ أَنْ تُشِيرُوا

شَجَرَهَا﴾ لعدم قدرتك عليه ﴿أَوَّلُهُ﴾ بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية

وإدخال ألف بينهما على الوجهين في مواضع السبعة^(٣) ﴿مَعَ اللَّهِ﴾ أعانه

على ذلك؛ أي: ليس معه إله ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ يشركون بالله غيره.

[٦١] ﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا﴾ لا تمد بأهلها ﴿وَجَعَلَ خِلَافَهَا﴾ فيما

بينها ﴿أَنْهَرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِي﴾ جبالاً أُنبت بها الأرض ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ

الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا﴾ بين العذب والملح لا يختلط أحدهما بالآخر ﴿أَوَّلُهُ﴾ مع

اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ توحيده.

[٦٢] ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ﴾ المكروب الذي مسه الضر ﴿إِذَا دَعَا

وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ عنه وعن غيره ﴿وَيَجْمَلُكُمْ خُلُقَاءَ الْأَرْضِ﴾ الإضافة

بمعنى: في؛ أي: يخلف كل قرن القرن الذي قبله ﴿أَوَّلُهُ﴾ مع اللَّهِ قَلِيلًا مَا

تَذَكَّرُونَ ﴿تَعْظُونَ﴾ بالفوقانية والتحتانية^(٤)، وفيه إدغام التاء في الذال،

و﴿مَا﴾ زائدة لتقليل القليل.

[٦٣] ﴿أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ﴾ يرشدكم إلى مقاصدكم ﴿فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ﴾

وَالْبَحْرِ﴾ بالنجوم ليلاً وبعلامات الأرض نهاراً ﴿وَمَنْ يُرْسِلِ الرِّيحَ بُشْرًا﴾

بِتَبَيُّنٍ يَدَىٰ رَحْمَتِهِ﴾ قدام المطر ﴿أَوَّلُهُ﴾ مع اللَّهِ تَعَلَّى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾

به غيره.

* فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ وَقَدَّرْنَا مِنْهَا مِنَ الْعَاقِبِينَ ﴿٥٩﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذِرِينَ ﴿٦٠﴾ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ اللَّهُ خَيْرٌ مَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُسَبِّحُوا شَجَرَهَا إِنَّهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَافَهَا أَنْهَرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِي وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا إِنَّهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَا وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ إِنَّهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٤﴾ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلِ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ إِنَّهُ مَعَ اللَّهِ تَعَلَّى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾

[٥٦] ﴿فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ﴾

أهله ﴿وَمِنْ قَرْيَتِكُمْ﴾ إنهم أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ ﴿من أذبار الرجال.

[٥٧] ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ وَقَدَّرْنَا﴾ جعلناها بتقديرنا ﴿وَمِنْ

(١) هذا سبق قلم من الشارح؛ لأن هذه الوجوه لم يقرأ بها أحد من القراء، وغاية ما أجازوه: وجهان فقط؛ تسهيل الثانية مقصورة، وإبدالها ألفاً ممدودة مثلاً لازماً.

(٢) بالياء قراءة السبعة عدا عاصم وأبي عمرو.

(٣) أي وتركة، وقوله: «في مواضع السبعة أي: مواضع اجتماع الهمزتين المفتوحة ثم المكسورة، وهي لفظ (أله) خمس مرات (وألفاً) و(أئناً). وانظر التعليق على الآية رقم (٨١) من سورة الأعراف.

(٤) بالتحتمانية مع تشديد الذال قراءة أبي عمرو وهشام، وقراءة الباقيين بالياء لكن مع التشديد لنا مع التثنية، ومن غير تشديد لخص وحمة والكسائي.

[٦٤] ﴿أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ﴾ في الأرحام من نطفة ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ بعد الموت، وإن لم تعترفوا بالإعادة لقيام البراهين عليها ﴿وَمَنْ يَرْزُقُكَ مِنَ السَّمَاءِ بِالْمَطَرِ﴾ وَالْأَرْضِ ﴿وَالنَّبَاتِ﴾ أَوَّلُهُ مَعَ اللَّهِ أَي: لا يفعل شيئاً ما ذكر إلا الله، ولا إله معه ﴿قُلْ﴾ يا محمد: ﴿هَسَأَلُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ حجتكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أن معي إلهاً فعل شيئاً ما ذكر، وسألوهُ عن وقت قيام الساعة؛ فنزل: [٦٥] ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ من الملائكة والناس ﴿الْيَوْمَ﴾ أَي: ما غاب عنهم ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿اللَّهُ﴾ يعلمه ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ أَي: كفار مكة كثيرهم ﴿إِنَّا﴾ وقت ﴿يَبْعَثُونَ﴾.

[٦٦] ﴿بَلْ﴾ بمعنى: هل ﴿أَدْرَكَ﴾^(١) وزن أكرم، وفي قراءة أخرى: ﴿أَدْرَكَ﴾ بتشديد الدال، وأصله تدارك؛ أبدلت التاء دالاً وأدغمت في الدال، واجتلبت همزة الوصل؛ أَي: بلغ ولحق، أو تتابع وتلاحق ﴿عَلِمْتُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ أَي: بها حتى سألوها عن وقت مجيئها، ليس الأمر كذلك ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهَا﴾ من عمى القلب، وهو أبلغ مما قبله، والأصل «عميون»؛ استنقلت الضمة على الباء فنقلت إلى الميم بعد حذف كسرتها.

[٦٧] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أيضاً في إنكار البعث: ﴿إِذَا كُنَّا تُرَابًا وَعِظَابًا أَنَا أَنبَاءُ الْمُحَرِّجِينَ﴾ من القبور.

[٦٨] ﴿لَقَدْ وَعَدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ﴾ ما ﴿هَذَا إِلَّا أَسْطِيرٌ الْأَوَّلِينَ﴾ جمع أسطورة بالضم؛ أَي: ما سطر من الكذب.

[٦٩] ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ بإنكارهم^(٢)؛ وهي: هلاكهم بالعذاب.

[٧٠] ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ تسليبة للسبي ﴿قُلْ﴾ أَي: لا تهتم بمكرهم عليك؛ فإننا ناصرهم عليهم.

[٧١] ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ بالعذاب ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فيه؟

[٧٢] ﴿قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدْفٌ﴾ قرب ﴿لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ﴾ فحصل لهم القتل بيدر، وباقي العذاب يأتيهم بعد الموت.

[٧٣] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ ومنه تأخير العذاب عن الكفار ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ فالكفار لا يشكرون تأخير العذاب لإنكارهم وقوعه.

[٧٤] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾ تخفيه ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ بألسنتهم.

أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ تُرْعِدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكَ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ
أَوَّلُهُ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَسَأَلُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قُلْ
لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ
أَيَّانَ يَبْعَثُونَ بَلْ أَدْرَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي
شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهَا وَعَمِيَ قَلْبُهَا قُلْ هُمْ
كَمَا تَرَئُونَ وَإِنَّا لَأَنبَاءُ الْمُحَرِّجِينَ لَقَدْ وَعَدْنَا هَذَا
نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرٌ الْأَوَّلِينَ
قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ
وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ
وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قُلْ عَسَى
أَنْ يَكُونَ رَدْفٌ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ وَإِنَّ رَبَّكَ
لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَشْكُرُونَ وَإِنَّ
رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ
فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ إِنْ هَذَا إِلَّا قُرْآنٌ
يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ

[٧٥] ﴿وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ الهاء للمبالغة؛ أي شيء في غاية الخفاء على الناس ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ يبين؛ هو: اللوح المحفوظ، ومكنون^(٣) علمه - تعالى، ومنه تعذيب الكفار.

[٧٦] ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ الموجودين في زمان نبينا ﴿أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ أَي: بيان ما ذكر على وجهه الرافع للاختلاف بينهم لو أخذوا به وأسلموا.

(١) وهي فراءة ابن كثير وأبي عمرو، وقرأ الباقون: ﴿أدرك﴾.

(٢) في نسخة: «إنكارهم».

(٣) وهذا تفسير ثانٍ، فالواو هنا بمعنى (أن).

بتوحيد الله.

[٨٢] ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ حق العذاب أن ينزل بهم في جملة الكفار ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾ أي: تكلم الموجودين حين خروجها بالعربية، تقول لهم من جملة كلامها عنا: ﴿[إِنَّ] النَّاسَ كُفَرَاءٌ مَّكَرًا﴾، وعلى قراءة: فتح همزة ﴿[إِنَّ]﴾^(٣) تقدر الباء بعد ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾ ﴿كَانُوا يَتْلُونَنَا لَا يَفْقَهُونَ﴾ لا يؤمنون بالقرآن المشتمل على البعث والحساب والعقاب، وبخروجها ينقطع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا يؤمن كافر^(٤)، كما أوحى الله إلى نوح: ﴿أَنْتُمْ لَنْ يُؤْمِنُوا مِن قَوْمِكُمْ إِلَّا مَن قَدَّامَنَّا﴾^(٥).

[٨٣] ﴿ذِكْرٌ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ تَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا﴾ جماعة ﴿وَمِن يَكْذِبُ بَيِّنَاتِنَا﴾ وهم: رؤسائهم المتبعون ﴿فَهُمْ يُؤْرَثُونَ﴾ أي: يجمعون يرد آخرهم إلى أولهم، ثم يساقون.

[٨٤] ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ﴾ مكان الحساب ﴿قَالَ﴾ - تعالى - لهم: ﴿أَكَذَّبْتُمْ﴾ أنبيائي ﴿بَيِّنَاتِي وَلَمْ تُحِطُوا﴾ من جهة تكذيبكم ﴿بِأَيِّ عِلْمًا أَمَّا﴾ فيه إدغام «ما» الاستفهامية^(٦) ﴿ذَكَرًا﴾ موصول؛ أي: ما الذي ﴿كُتِبَ تَمَلُّونَ﴾ مما أمرتم به؟

[٨٥] ﴿وَوَقَعَ الْقَوْلُ﴾ حق العذاب ﴿عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا﴾ أي: أشركوا ﴿فَهُمْ لَا يَبْطِقُونَ﴾ إذ لا حجة لهم.

[٨٦] ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا﴾ خلقنا ﴿الْبَلَّالَ لِيَسْقُوا فِيهِ﴾ كغيرهم ﴿وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ بمعنى: يصير فيه ليصرفوا فيه ﴿وَأَنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾ دلالات على قدرته - تعالى - ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ خصوصًا بالذكر لانقاعهم بها في الإيمان بخلاف الكافرين.

[٨٧] ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ القرن النفخة الأولى من إسرائيل ﴿فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ﴾ خافوا الخوف المفضي إلى الموت كما في آية أخرى: ﴿فَصَعِقَ﴾ والتعبير فيه بالماضي؛ لتحقق وقوعه. ﴿إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ﴾ أي: جبريل وميكائيل وإسرائيل وملك الموت، وعن ابن عباس: هم الشهداء؛ إذ هم أحياء عند ربهم يرزقون. ﴿وَكُلٌّ﴾ تنوينه عوض عن المضاف إليه؛ أي: وكلهم بعد إحيائهم يوم القيامة ﴿أَنْزُتُ﴾ بصيغة الفعل، واسم الفاعل^(٧) ﴿ذَخِيرِينَ﴾ صاغرين، والتعبير في الإتيان بالماضي لتحقق وقوعه.

[٨٨] ﴿وَنَزَىٰ الْجِبَالَ﴾ تبصرها وقت النفخة ﴿تَحْسَبُهَا﴾ تظنها ﴿جَامِدَةً﴾ واقفة مكانها لعظمها ﴿وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ المطر^(٨) إذا ضربته الريح؛ أي: تسير سيره حتى تقع على الأرض فتستوي بها مبنوثة، ثم تصير كالعجين، ثم تصير حياة منثورًا^(٩) ﴿صَوَّعَ اللَّهُ﴾ مصدر مؤكّد لمضمون الجملة قبله، أضيف إلى فاعله بعد حذف عامله؛ أي: صنع الله ذلك صنعًا ﴿الَّذِي أَنْزَلَ﴾ أحكم ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾ صنعه ﴿إِنَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا يَفْعَلُونَ﴾ بالياء والتاء^(١٠)؛ أي:

وَأَنَّهُ لَهْدَىٰ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّكَ عَلَىٰ الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تَسْمَعُ الضُّعْفَ إِذَا وُلُّوا مَدْيَرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَىٰ عَن صَلَاتِنَهُمْ ۚ إِذَا تَسْمَعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْمُوتُونَ ﴿٨١﴾ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ وَيَوْمَ تَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مَّمَّن يَكْذِبُ بَيِّنَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ وَقَالَ أَكْذَبْتُمْ بَيِّنَاتِي وَلَمْ تُحِطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّا مَاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَبْطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَكُؤُافِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ ۚ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوَهُ ذَاخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَىٰ الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ۚ صَوَّعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ كُلَّ شَيْءٍ ۚ إِنَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا يَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾

[٧٧] ﴿وَأَنَّهُ لَهْدَىٰ﴾ من الضلالة ﴿وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ من العذاب.

[٧٨] ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ﴾ كغيرهم يوم القيامة ﴿بِحُكْمِهِ﴾ أي: عدله ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ الغالب ﴿بِمَا يَحْكُمُ بِهِ﴾ فلا يمكن أحدًا مخالفته كما خالف الكفار في الدنيا أنبياءه.

[٧٩] ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ نفي به ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ الدين البين، فالعاقبة لك بالنصر على الكفار، ثم ضرب أمثالًا لهم بالموتى وبالصم وبالعمى، فقال: ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تَسْمَعُ الضُّعْفَ إِذَا﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بينها وبين الباء^(١١) ﴿وُلُّوا مَدْيَرِينَ﴾.

[٨١] ﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَىٰ عَن صَلَاتِنَهُمْ ۚ إِنَّ﴾ ما ﴿تَسْمَعُ﴾ سماع إفهام وقبول ﴿إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾ القرآن ﴿فَهُمْ مُسْمُوتُونَ﴾ مخلصون

(١) التسهيل لنافع وابن كثير وأبي عمرو.

(٢) وغيرهم.

(٤) كما عند مسلم في الإيمان (١٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفس إيمانها، لم تكن آمنت من قبل، أو كسبت في إيمانها خيرًا: طلوع الشمس من مغربها، والدجال، ودابة الأرض» رواه مسلم (١٥٨).

(٥) هود: ٣٦.

(٧) فقرأ بمد الهمزة وضم التاء وسكون الواو؛ أي: «تأثوه»، وهي قراءة السبعة عدا حفص وحمزة.

(٩) هذا الذي ذهب إليه المفسر من أن المراد بتسيير الجبال ما يقع يوم القيامة هو قول أكثر المفسرين، ورجح البعض أن المراد بذلك في الدنيا، ويكون إشارة إلى دوران الأرض، بحسبها أهلها ساكنة وهي متحركة، لأن قوله: ﴿وَنَزَىٰ الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾ لا يناسب مقام التهليل والتخريف، وكذلك قوله: ﴿الَّذِي أَنْزَلَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ لا يناسب مقام الإبادة والإهلاك. ولأن سير الجبال للقاء يوم القيامة يحصل عند إهلاك جميع الخلاق وهذا لا يراه أحد من البشر، كما أنه إذا رآه أحد شعر به، فيحس بحركتها، وهذا يناقض قوله: ﴿تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾ وعليه فنكون هذه الآية وما قبلها من قوله: ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ﴾ اعتراضًا في سياق الآيات الدالة على أحوال الحشر وأحوال يوم القيامة. فالله أعلم بمراده.

(١٠) بالياء قراءة ابن كثير وأبي عمرو، وابن عامر بخلاف عنه.

(٣) بالكسر لنافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

(٤) كما عند مسلم في الإيمان (١٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفس إيمانها، لم تكن آمنت من قبل، أو كسبت في إيمانها خيرًا: طلوع الشمس من مغربها، والدجال، ودابة الأرض» رواه مسلم (١٥٨).

(٥) هود: ٣٦.

(٧) القسطر: أي: ذي المطر.

(٩) هذا الذي ذهب إليه المفسر من أن المراد بتسيير الجبال ما يقع يوم القيامة هو قول أكثر المفسرين، ورجح البعض أن المراد بذلك في الدنيا، ويكون إشارة إلى دوران الأرض، بحسبها أهلها ساكنة وهي متحركة، لأن قوله: ﴿وَنَزَىٰ الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾ لا يناسب مقام التهليل والتخريف، وكذلك قوله: ﴿الَّذِي أَنْزَلَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ لا يناسب مقام الإبادة والإهلاك. ولأن سير الجبال للقاء يوم القيامة يحصل عند إهلاك جميع الخلاق وهذا لا يراه أحد من البشر، كما أنه إذا رآه أحد شعر به، فيحس بحركتها، وهذا يناقض قوله: ﴿تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾ وعليه فنكون هذه الآية وما قبلها من قوله: ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ﴾ اعتراضًا في سياق الآيات الدالة على أحوال الحشر وأحوال يوم القيامة. فالله أعلم بمراده.

(١٠) بالياء قراءة ابن كثير وأبي عمرو، وابن عامر بخلاف عنه.

أعداؤه من المعصية وأولياؤه من الطاعة.

مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ وَحَيْرٌ مِمَّا وَهَرِمْنَ فَرِحَ يَوْمَئِذٍ أَمُونٌ ﴿٨٨﴾
 وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكَيْتٌ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ يُجْرُونَ إِلَّا
 مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٩﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ أَنْ عَبَّدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةَ
 الَّتِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأَمْرُهُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ
 ﴿٩٠﴾ وَأَنْ أَتَلَوْا الْقُرْآنَ فَمَنْ أَهْتَدَىٰ فَتَمَّ يَهْتَدِ لِنَفْسِهِ
 وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿٩١﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ
 سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ وَأَمَّا رَبُّكَ بِعَفْوٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٢﴾

سُورَةُ الْقَصَصِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طَسَمَ ﴿١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ نَسُوا عَلَيْكَ
 مِنْ بَنِي مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ
 فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ
 طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَدْبِغُ آثَاءَهُمْ وَيَسْتَحِيءُ نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ
 مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا
 فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿٥﴾

سُورَةُ الْقَصَصِ

مكية إلا: ﴿١﴾ الذي فرض عليك القرآن ﴿٢﴾ الآية، نزلت بالجحفة،
 وإلا: ﴿٣﴾ الذين آتيتهم الكتاب ﴿٤﴾ إلى: ﴿٥﴾ لا ينبغي الجاهلين، وهي:
 سبع، أو: ثمان وثمانون آية، نزلت بعد النمل.]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- [١] ﴿طَسَمَ﴾ الله أعلم بمراده بذلك.
 [٢] ﴿تِلْكَ﴾ أي: هذه الآيات ﴿الْكِتَابِ﴾ الإضافة بمعنى: من
 ﴿الْمُبِينِ﴾ المظهر الحق من الباطل.
 [٣] ﴿نَسُوا﴾ نقص ﴿عَلَيْكَ مِنْ بَنِي مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ﴾

الصدق ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ لأجلهم؛ لأنهم المنفعون به.

[٤] ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا﴾ تعظم ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ أرض مصر ﴿وَجَعَلَ
 أَهْلَهَا شِيَعًا﴾ فرقاً في خدمته ﴿يَسْتَضِعُّ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ﴾ هم: بنو إسرائيل
 ﴿يَدْبِغُ آثَاءَهُمْ﴾ المولودين ﴿وَيَسْتَحِيءُ نِسَاءَهُمْ﴾ يستبقيهن أحياناً؛ لقول
 بعض الكهنة له: ﴿إِنْ مَوْلُودًا يُولَدُ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ يَكُونُ سَبَبَ زَوَالِ مَلِكِكَ﴾
 ﴿إِنَّهُ كَانَتْ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ بالقتل وغيره.

[٥] ﴿وَرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً﴾
 بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية بياء^(١)؛ يُقْتَدَىٰ بِهِمْ فِي الْحَيْرِ ﴿وَنَجْعَلَهُمُ
 الْوَارِثِينَ﴾ مُلْكُ فِرْعَوْنَ.

(١) هذا قول كثير من المفسرين، وقيل بل هي للفضيل، والمراد ثواب الله ورضوانه خير من عمل العبد وقوله وذكره. ذلك أن بعض المفسرين رجح أن المراد بالحسنة هنا يعم جميع الحسنات قولية أو فعلية أو قلبية، وهو هنا لأقل الفضيل، فقد بين - سبحانه - في سورة الأنعام أن له عشر أمثاله.

(٢) الأنعام: ١٦٠.

(٣) بالإضافة مع كسر الهمزة قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر. ومع فتحها قراءة نافع، وقرأ الباقون منوناً وفتح الهمزة ﴿فَرِحَ يَوْمَئِذٍ﴾.

(٤) أي لا يقطع حشيشها الرطب.

(٥) بآباء قراءة حمزة والكسائي وابن كثير وأبي عمرو وشعبة.

(٦) راجع التعليق على الآية (٧٢) من سورة الأنبياء.

وألقته في بحر النيل ليلاً.

[٨] ﴿وَأَلْقَاهُ فِي الْبَحْرِ بِلَيْلٍ﴾ بالنابوت صبيحة الليل ﴿ءَأَلٌ﴾ أعوان ﴿فِرْعَوْنَ﴾ فوضعه بين يديه، وفتح وأخرج موسى منه وهو يصر من إبهامه لبناً^(١) ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ﴾ في عقبه الأمر ﴿عَدُوًّا﴾ يقتل رجالهم ﴿وَحَزَنًا﴾ يستعبد نساءهم، وفي قراءة^(٢): بضم الحاء وسكون الزاي لغتان في المصدر، وهو هنا بمعنى اسم الفاعل من حزنه كـ«أحزنه» ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهِنَّ﴾ وزيره ﴿وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِبِينَ﴾ من الخطيئة؛ أي: عاصين؛ فعوقبا على يديه.

[٩] ﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ﴾ وقد همّ مع أعوانه بقتله هو: ﴿فَرَّتْ عَيْنَ لِي وَلَكِ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ فأطاعوها ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بعاقبة أمرهم معه.

[١٠] ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ﴾ لما علمت بالنقطة ﴿فَرِيحًا﴾ مما سواه ﴿إِنَّ﴾ مخفية من الثقيلة واسمها محذوف؛ أي: إنها ﴿كَادَتْ لِتَكِيدَ بِهِ﴾ أي: بأنه ابنها ﴿لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾ بالصبر، أي: شكأه ﴿لَتَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ المصدقين بوعد الله، وجواب ﴿لَوْلَا﴾ دل عليه ما قبلها.

[١١] ﴿وَقَالَتِ لِأُخْتَيْهِ﴾ مريم: ﴿فُصَيْيَّةٌ﴾ اتبعي أثره حتى تعلمي خبره ﴿فَبَصَّرْتَهُ بِهِ﴾ أبصرته ﴿عَن جُنُبٍ﴾ من مكان بعيد اختلاسا ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أنها أخته وأنها ترقبه.

[١٢] ﴿وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلٍ﴾ أي: قبل رده إلى أمه؛ أي: منقنأه من قبول ثدي مرضعة غير أمه؛ فلم يقبل ثدي واحدة من المراضع المحضرة له ﴿فَقَالَتْ﴾ أخته: ﴿هَلْ أَتَاكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ﴾ لما رأت حنومهم عليه ﴿يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ﴾ بالإرضاع وغيره ﴿وَهُمْ لَهُ نَصِيحُونَ﴾ وفسرت ضمير: ﴿لَهُ﴾ بالملك، جواباً لهم^(٤)، فأجبت فجاءت بأمه؛ فقبل ثديها، وأجابته عن قوله بأنها طيبة الريح طيبة اللبن؛ فأذن لها في إرضاعه في بيتها؛ فرجعت به؛ كما قال - تعالى -: ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ﴾ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا بِرُجُوعِهِ ﴿وَلَا تَحْزَنُ﴾ حينئذٍ ﴿وَلَتَسْلَمَنَّ﴾ وَعَدَّ اللَّهُ بِرُجُوعِهِ إِلَيْهَا ﴿حَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾ أي: الناس ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ بهذا الوعد، ولا بأن هذه أخته وهذه أمه، فمكث عندها إلى أن قطعت، وأجرى عليها أجرتها لكل يوم دينار، وأخذتها لأنها مال حربي، فأنت به فرعون فترى عنده كما قال - تعالى - حكاية عنه في سورة الشعراء: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾^(٥).

وَمِمَّنْ لَّهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمَا مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿١٠﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِيفَ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَحْزَنِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١١﴾ فَأَلْقَاهُ فِي الْبَحْرِ بِلَيْلٍ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢﴾ وَوَحْيًا إِلَىٰ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنَ لِي وَلَكِ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَرِيحًا إِنَّ كَادَتْ لِتَكِيدَ بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَقَالَتِ لِأُخْتَيْهِ فَصَيْيَّةٌ فَبَصَّرْتَهُ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٦﴾ وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلٍ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَصِيحُونَ ﴿١٧﴾ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلَتَعْلَمَنَّ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾

[٦] ﴿وَمِمَّنْ لَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ أرض مصر والشام ﴿وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَجُنُودَهُمَا﴾ وفي قراءة^(١): ﴿وَنُرِي﴾ بفتح التحتانية والراء ورفع الأسماء الثلاثة ﴿يَنْهَمُ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ يخافون من المولود الذي يذهب ملكهم على يديه.

[٧] ﴿وَأَوْحَيْنَا﴾ وحي إلهام، أو: منام ﴿إِنَّ أُمِّ مُوسَىٰ﴾ وهو المولود المذكور، ولم يشعر بولاده غير أخته ﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِيفَ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ البحر؛ أي: النيل ﴿وَلَا تَحْزَنِي﴾ غرقه ﴿وَلَا تَحْزَنِي﴾ لغرافه ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ فأرضعته ثلاثة أشهر، لا يبكي، وخافت عليه؛ فوضعت في تابوت مطلي بالقار من داخل مهد له فيه، وأغلقت،

(١) حمزة والكسائي.

(٢) هذه التفصيلات لا فائدة من ذكرها، ولا دليل عليها؛ فالأولى أن يسان التفسير عنها.

(٣) حمزة والكسائي.

(٤) لا يمنع أن يكون قولها: ﴿وَهُمْ لَهُ نَصِيحُونَ﴾ أي للطفل؛ فلا يقصرون في خدمته وتربيته. وصنيع المصنف يشير إلى ما جاء عن ابن عباس: أنها لما قالت ذلك أخذوها وشكروا في أمرها، وقالوا لها: وما يدريك نصيحتهم له وشفتهم عليه؟ فقالت: إنما أردت: وهم للملك ناصحون؛ فخلصت بذلك من الشر.

(٥) الشعراء: ١٨.

[١٤] ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ وهو: ثلاثون سنة، أو: ثلاث ﴿وَأَسْتَوَى﴾ أي: بلغ أربعين سنة^(١) ﴿وَأَيَّدْتَهُ حُكْمًا﴾ حكمة ﴿وَعَلَّمَهَا﴾ فقها في الدين قبل أن يعث نبياً^(٢) ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما جزيناه ﴿بِحُجْرَةِ الْمُحْسِنِينَ﴾ لأنفسهم.

[١٥] ﴿وَدَخَلَ﴾ موسى ﴿الْمَدِينَةَ﴾ مدينة فرعون؛ وهي: «منف» بعد أن غاب عنها مدة ﴿وَعَلَى بَيْنِ عَقْلَيْنِ مِنْ أَهْلِهَا﴾ وقت القبلولة ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَةِ﴾ أي: إسرائيلي ﴿وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ﴾ أي: قبطي يُسَخِّرُ الإسرائيلي ليحمل حطباً إلى مطبخ فرعون ﴿فَأَسْتَفْتَاهُ الَّذِي مِنْ شِيعِيهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾ فقال له موسى: حُلْ سَبِيلَهُ. فقبل: إنه قال لموسى: «لقد هممت أن أحمله^(٣) عليك» ﴿فَوَكَرَهُ مُوسَى﴾ أي: ضربه بجمع كفه، وكان شديداً القوة والبطش ﴿فَقَضَى عَلَيْهِ﴾ قتله، ولم يكن قصد قتله^(٤)، ودفنه في الرمل ﴿قَالَ هَذَا الَّذِي قَتَلْتَهُ مِنَ الْعَبْدِ الشَّيْطَانِ الْمُهَيَّجِ غَضَبِي﴾ إنَّهُ عَدُوٌّ لابن آدم ﴿مُتَّبِعٌ﴾ له ﴿مُتَّبِعٌ﴾ بَيْنَ الْإِضْطِلَالِ.

[١٦] ﴿قَالَ﴾ نادماً: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ بقتله ﴿فَاعْفِرْ لِي فَعَفَّرَ لَهُ﴾ أَيْسَرُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ. أي: المتصف بهما أولاً وأبداً.

[١٧] ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّمَا أَنْتَمَّتْ﴾ بحق إنعامك^(٥) ﴿عَلَيَّ﴾ بالمغفرة، اعصمني ﴿فَلَنْ أَكُونُ ظَاهِرًا﴾ عوناً ﴿لِلْمُجْرِمِينَ﴾ الكافرين بعد هذه، إن عصمتي.

[١٨] ﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ ينتظر ما يناله من جهة القتل ﴿فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِعُهُ﴾ يستغيث به على قبلي آخر ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَعَوِيُّ مُبِينٌ﴾ بَيْنَ الْغَوَايَةِ لِمَا فَعَلْتَهُ الْأَمْسَ وَالْيَوْمَ.

[١٩] ﴿كَلَّمَآ أَنْ﴾ زائدة ﴿أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا﴾ موسى والمستغيث به ﴿قَالَ﴾ المستغيث ظاناً أنه يبطش به لما قال له: ﴿يَتَمُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ نقتُلَكَ كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ﴾ إن ما ﴿تُرِيدُ﴾ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴿فسمع القبلي ذلك؛ فعلم أن القاتل موسى؛ فانطلق إلى فرعون فأخبره بذلك؛ فأمر فرعون الذباحين بقتل موسى؛ فأخذوا في الطريق إليه.

[٢٠] ﴿رَجَاءَ رُجُلٍ﴾ هو: مؤمن آل فرعون ﴿مَنْ أَقْصَا الْمَدِينَةَ﴾ آخرها ﴿يَسْعَى﴾ يسرع في مشيه من طريق أقرب من طريقهم ﴿قَالَ يَتَمُوسَى إِنَّكَ

وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ، وَأَسْتَوَى، أَيَّدْتَهُ حُكْمًا وَعَلَّمَهَا وَكَذَلِكَ بَحْرِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٥﴾ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى بَيْنِ عَقْلَيْنِ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَفْتَاهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٧﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّمَا أَنْتَمَّتْ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَاهِرًا لِلْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِعُهُ وَقَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَعَوِيُّ مُبِينٌ ﴿١٩﴾ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَتَمُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴿٢٠﴾ وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَتَمُوسَى إِنَّ الْمَلَآئِكَةَ يَأْتَمُرُونَ بِكَ لِتَقْتُلُوكَ فَأَخْرَجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ﴿٢١﴾ لَحُوقَ طَالِبٍ، أَوْ غَوَتْ إِلَهُ إِيَّاهُ ﴿قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ قوم فرعون.

الْمَلَآئِكَةَ ﴿٢١﴾ من قوم فرعون ﴿يَأْتَمُرُونَ بِكَ﴾ يتشاورون فيك ﴿لِيَقْتُلُوكَ﴾ فأخرجك من المدينة ﴿إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ في الأمر بالخروج.

[٢١] ﴿خَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ لَحُوقَ طَالِبٍ، أَوْ غَوَتْ إِلَهُ إِيَّاهُ ﴿قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ قوم فرعون.

(١) الأظهر أن بلوغ الأشد مع الاستواء إشارة إلى عمر واحد، لا عمرين كما ذهب إليه المفسر، وأما تحديده بعمر معين فالغالب أن يكون ذلك في نحو الأربعين، حيث كمال القوة واعتدال المراج، وهما بلوغ الأشد والاستواء.

(٢) وقيل: المراد بالعلم أو بالحكم والعلم النبوة، وهو الأظهر، وهو الذي يتناسب مع قوله: ﴿رَبِّ إِنَّمَا أَنْتَمَّتْ عَلَيَّ﴾ فقد فسرها - أي النعمة - هنا بالمغفرة، ولا علم لموسى الظلمة بذلك إلا بالوحي. وأما القتل فوقع منه على سبيل الخطأ، وأما استغفاره فوجهه والله أعلم أن سبب خطئه الظلمة هو شدة الغضب والتعجل في الانتقام، ولا يليق هذا بمكانته كسبي، وقيل: وجه استغفاره أنه لم يكن لسي أن يقتل حتى يؤمر.

(٣) أي الحطب.

(٤) أخرج مسلم في صحيحه (٢٩٠٥) من حديث ابن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: فإن الفتنة نجي، من هائنا - وأوماً بيده نحو المشرق - من حيث يطلع قرنا الشيطان، وأنتم يضرب بعضكم رقاب بعض، وإنما قتل موسى الذي قتل من آل فرعون خطأ، فقال الله ﷻ له: ﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾ [طه: ٤٠].

(٥) قالها عنده للقسمة، واختار غيره أن المراد بسبب ما أنعمت به علي؛ فإياه حينئذ سببية.

وفي قراءة^(١): ﴿يُضْذِرُ﴾ من الرباعي؛ أي: يصرفوا مواشيهم عن الماء ﴿وَأَبْرَأَ شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ لا يقدر أن يسقي.

[٢٤] ﴿فَسَقَى لَهُمَا﴾ من بئر أخرى بقربهما، رَفَعَ حجراً عنها لا يعرفه إلا عشرة أنفس ﴿ثُمَّ تَوَلَّى﴾ انصرف ﴿إِلَى الظِّلِّ﴾ لِسُفْرَةٍ^(٢) من شدة حر الشمس، وهو جائع ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ﴾ طعام ﴿فَوَيْرٌ﴾ محتاج؛ فرجعنا إلى أبيهما في زمن أقل مما كانت ترجعان فيه، فسألها عن ذلك فأخبرتهما عن سقى لهما، فقال لإحداهما: «ادعيه لي»، قال - تعالى -: [٢٥] ﴿لِنَجَاتِهِ إِذْ يَحْدُبُهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾ أي: وضعة كُمٌ دزيعها على وجهها حياءً منه ﴿فَالْتِ إِكَّ أَي يَدْعُوكَ لِجَزِيكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ فأجابها منكراً في نفسه أخذ الأجرة - كأنها قصدت المكافأة إن كان ممن يريداه، فمشت بين يديه، فجعلت الريح تضرب ثوبها فتكشف ساقها؛ فقال لها: امشي خلفي وديني على الطريق. ففعلت إلى أن جاء أباهما؛ وهو: شعيب - عليه السلام^(٣) - وعنده عشاء، فقال: اجلس فتعش. قال: أخاف أن يكون عوضاً مما سقيت لهما، وإنا أهل بيت لا نطلب على عمل خير عوضاً. قال: لا، عادتني وعادة آبائي نُفْرِي الضيف وتُطْعِمُ الطعام. فأكل وأخبره بحاله^(٤)، قال - تعالى -: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ﴾ مصدر بمعنى: المقتصوص؛ من قُتِلَ القبطي، وقصدته قتلته، وخوفه من فرعون ﴿وَقَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ إذ لا سلطان لفرعون على مدين.

[٢٦] ﴿فَالْتِ إِحْدَهُمَا﴾ وهي المرسله الكبرى أو الصغرى: ﴿بِتَأْتِي أَسْتَجِرَّةً﴾ اتخذها أجيروا برعى غنمنا بدلنا ﴿إِنَّكَ خَيْرٌ مِّنْ أَسْتَجِرَّتِ الْقَوِيُّ الَّذِينَ﴾ أي: استأجره لقوته وأمانته، فسألها عنه، فأخبرته بما تقدم من رفعه حجر البئر، ومن قوله لها: «امشي خلفي»^(٥) وزيادة أنها لما جاءته وعلم بها صوب رأسه فلم يرفعها؛ فرغب في إنكاحه.

[٢٧] ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ بِكَ﴾ تكون أجيروا لي في رعي غنمي ﴿وَتَمْشِي الصغرى﴾ ﴿عَلَّ أَنْ تَأْجُرِي﴾ تكون أجيروا لي في رعي غنمي ﴿وَتَمْشِي جِجَّ﴾ أي: سنين ﴿فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا﴾ أي: رعي عشر سنين ﴿فَبَيْنَ عِنْدِكَ﴾ التمام ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ﴾ باشرط العشر ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ للترك^(٦) ﴿وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ الوافين بالعهد.

[٢٨] ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿ذَلِكَ﴾ الذي قلته ﴿بَيْنِي وَبَيْنَكَ﴾ أَيْمًا الْآجَلِينَ الثمان أو العشر، و«ما» زائدة؛ أي: رعيه ﴿فَصَبَّيْتُ﴾ به؛ أي: فرغت منه ﴿فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ﴾ بطلب الزيادة عليه ﴿وَاللَّهُ عَلَيَّ مَا نَقُولُ﴾ أنا وأنت ﴿وَكَيْلٌ﴾ حفيظ أو شهيد؛ فتم العقد بذلك، وأمر شعيب ابنته أن تعطي موسى عصاً يدفع بها السباع عن غنمه، وكانت عصي الأنبياء عنده، فوقع في يدها عصا آدم من آس الجنة، فأخذها موسى يعلم شعيب^(٧).

وَلَمَّا تَوَجَّهَ يَلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿٢٤﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٥﴾ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٦﴾ فَبَاءَهُ إِحْدَهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَوَصَّصَ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَاتَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَتْ إِحْدَهُمَا بِنَاتِي أَسْتَجِرَّةً إِنَّ خَيْرٌ مِّنْ أَسْتَجِرَّتِ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴿٢٨﴾ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ بِكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرِنِي تَمْشِي جِجَّ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَبَيْنَ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْآجَلِينَ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَيَّ مَا نَقُولُ وَكَيْلٌ ﴿٣٠﴾

[٢٢] ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ﴾ قصد بوجهه ﴿يَلْقَاءَ مَدْيَنَ﴾ جهتها؛ وهي قرية شعيب، مسيرة ثمانية أيام من مصر، سميت بـ«مدين» بن إبراهيم، ولم يكن يعرف طريقها ﴿فَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ أي: قصد الطريق؛ أي: الطريق الوسط إليها؛ فأرسل الله ملكاً بيده عِزَّةً فانطلق به إليها^(١).

[٢٣] ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ﴾ بئر فيها أي: وصل إليها ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً﴾ جماعة ﴿وَمِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ﴾ مواشيهم ﴿وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ﴾ سواهم ﴿امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾ تمنعان أغنامهما عن الماء ﴿قَالَ﴾ موسى لهما: ﴿مَا خَطْبُكُمَا﴾ ما شأنكما لا تسقيان؟ ﴿قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءَ﴾ جمع راع؛ أي: يرجعون من سقيهم خوف الزحام فنسقي،

(١) وهذه التفاصيل لا دليل عليها ولا حاجة إليها، والغالب أنها من الإسرائيليات المنقولة عن أهل الكتاب، وخبر إرسال الملك إلى موسى عليه السلام ليده على الطريق، رواه ابن جرير عن السدي الصغير وهو كذاب. (٢) والقراءة المذكورة أولاً لأبي عمرو وابن عامر، وقرأ بقية السبعة: ﴿يُضْذِرُ﴾. (٣) وهي شجرة مرتفعة ليستظل بها.

(٤) في الجزم بأنه شعيب - عليه السلام - نظر؛ وقد اختلف أهل التفسير في ذلك على أقوال، والأرجح ومال إليه ابن كثير كونه غيره، لأن شعيب النبي كان قبل موسى بمدة طويلة تزيد على أربعمئة سنة. ثم يبعد أن يترك قومه المؤمنين به بناته يعملن وسقيهن ولا يقوما عنهن بذلك، والله أعلم.

(٥) هذه التفاصيل ونحوها مما ذكره المفسر من كيفية سقى موسى - عليه السلام - لهما لا دليل عليها، وإنما يتساهل رحمه الله في الاعتماد على الإسرائيليات، وقد سبق التعليق على ذلك. (٦) زوي هذا عن ابن عباس كما في مجمع الزوائد (٢٠٤/٨) وقال: «رواه الطبراني في الصغير والأوسط والبراز، وفي إسناد الطبراني عديد من أبي عمران الجوني؛ ضغفه ابن معين وغيره، ووقفه ابن حبان، وبقية رجال الطبراني ثقات». وأخرج نحوه الحاكم في مستدركه (٤٤١/٢) عن عمر بن الخطاب وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

(٧) قال المصنف ذلك بناء على اختياره أن الرجل الصالح هو شعيب النبي عليه السلام؛ فيكون صلاحه محققاً. وسبق بيان الراجح في ذلك وأنه غيره.

(٨) لا دليل على هذه التفاصيل، فالأدنى الاقتصار على ما أخبرنا الله - سبحانه - به. وسبق بيان أن أبا المرأتين ليس شعيب النبي على الراجح.

[٢٩] ﴿فَلَمَّا فَصَّي مُوسَىٰ الْأَجَلَ﴾ أي: رعيه؛ وهو: ثمان أو عشر سنين، وهو المظنون ﴿وَسَارَ بِأَهْلِيهِ﴾ زوجته ياذن أبيها نحو مصر ﴿وَأَنزَلَ﴾ أبصر من بعيد ﴿وَمِن جَانِبِ الطُّورِ﴾ اسم جبل ﴿كَأَرَأَىٰ قَالَ لِأَهْلِيهِ امْكُثُوا﴾ هنا ﴿إِنِّي آتَيْتُ نَارًا لَّعَلِّي مَّا يَكُفُّ عَنْكُمْ مِنْهَا﴾ عن الطريق، وكان قد أخطأها ﴿أَوْ جَذْوَةٍ﴾ بتلث الجيم^(١)؛ قطعة وشعلة ﴿مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ تستدفون، والطاء بدل من تاء الافتعال، من صلي بالنار؛ بكسر اللام وفتحها.

[٣٠] ﴿فَلَمَّا أَنزَلَهَا نُورٌ مِّن سُلَيْمٍ﴾ جانب ﴿الْوَادِ الْأَيْمَنِ﴾ لموسى ﴿فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ﴾ موسى لسماعه كلام الله فيها ﴿مِنَ الشَّجَرَةِ﴾ بدل من: ﴿سُلَيْمٍ﴾ بإعادة الجار لباتها فيه؛ وهي: شجرة عثاب أو علق أو عوسج^(٢) ﴿أَنْ﴾ مفسرة، لا مخففة ﴿يُمُوسَىٰ﴾ يَمْوَسَىٰ ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

[٣١] ﴿وَأَن آتَىٰ عَصَاكَ﴾ فألقاها ﴿فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ﴾ تتحرك ﴿كَأَنَّمَا جَاءَتْ﴾ وهي الحية الصغيرة من سرعة حركتها ﴿وَلَمَّا مَدَّهَا﴾ هارتا منها ﴿وَلَمَّا يُعْقِبُ﴾ أي: يرجع؛ فنودي: ﴿يُمُوسَىٰ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْأَمِينِ﴾.

[٣٢] ﴿أَسَلُّكَ﴾ أدخل ﴿يَدُكَ﴾ اليمنى؛ بمعنى: الكف ﴿فِي جَيْبِكَ﴾ هو طوق القميص، وأخرجها ﴿تَخْرُجُ﴾ خلاف ما كانت عليه من الأدمة^(٣) ﴿بِيضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ أي: برص، فأدخلها وأخرجها تضيء كشعاع الشمس ثغثي^(٤) البصر ﴿وَأَضْمُمُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ﴾ بفتح الحرفين، وسكون الثاني مع فتح الأول وضمه^(٥)؛ أي: الخوف الحاصل من إضاءة اليد؛ بأن تدخلها في جيبك؛ فتعود إلى حالتها الأولى، وتغتر عنها بالجنح؛ لأنها للإنسان كالجنح للطائر ﴿فَدَانَتْ﴾ بالتشديد والتخفيف^(٦)؛ أي: العصا واليد، وهما مؤنثان، وإنما ذكر المثنى به إليهما «المثناة» لتذكير خبره ﴿بُرْهَانَانِ﴾ مرسلان ﴿مِن رَّبِّكَ﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ﴾.

[٣٣] ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا﴾ هو: القبطي السابق ﴿فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾ به.

[٣٤] ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا﴾ أَيْسُنُ ﴿فَارْسَلَهُ مَعِي رِدْءًا﴾ معينا، وفي قراءة^(٧): بفتح الدال بلا همزة ﴿يُضِدَّقِي﴾ بالجرم:

﴿فَلَمَّا فَصَّي مُوسَىٰ الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِيهِ﴾ النَّسَّ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِيهِ امْكُثُوا إِنِّي آتَيْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتَيْتُكُمْ مِنْهَا يَخْتَارُ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ ﴿فَلَمَّا أَنزَلَهَا نُورٌ مِّن سُلَيْمٍ﴾ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يُمُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَن آتَىٰ عَصَاكَ فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّمَا جَاءَتْ وَلَمَّا مَدَّهَا وَأَضْمُمُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٢﴾ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلَهُ مَعِي رِدْءًا يُضِدَّقِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٣﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمْ وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغٰلِبُونَ ﴿٣٤﴾

جواب الدعاء، وفي قراءة^(٨): بالرفع، وجملة صفة: ﴿رِدْءًا﴾ ﴿إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾.

[٣٥] ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ﴾ تقويك ﴿بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطٰنًا﴾ غلبة ﴿فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا﴾ بسوء، اذهبها ﴿بِآيَاتِنَا أَنْتُمْ وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغٰلِبُونَ﴾ لهم.

(١) أي: بفتحها وضمها وكسرها، فقرأ بالضم حمزة، وقرأ عاصم بالفتح، وقرأ الباقون بالكسر.

(٢) وهذا لا دليل عليه، ولا فائدة في تعيينه.

(٣) الشمرة.

(٤) أي تجعل بصر ناظرها ضعيفا لشدة ضوئها. وفي بعض النسخ: «ثغثي» بالمعجمة وهو تصحيف.

(٥) قرأ بفتح الراء والهاء نافع وابن كثير وأبو عمرو، وقرأ حفص بفتح الراء وإسكان الهاء، وقرأ الباقون بضم الراء وإسكان الهاء.

(٦) بتشديد النون مع المد المشيع قراءة ابن كثير وأبي عمرو.

(٧) أي: «رداء» نافع.

(٨) والقراءة المذكورة أولا بسكون القاف للسبعة عدا عاصم وحمزة.

﴿عَابَتَا الْأُولَىٰ﴾

[٣٧] ﴿وَقَالَ ﴿براو وبدونها﴾ (١) ﴿مُوسَىٰ رَبِّيَ أَعْلَمُ﴾ عالم ﴿بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِنْدِهِ﴾ الضمير للرب ﴿وَمَنْ عَطَفَ عَلَىٰ (من) قبلها ﴿تَكُونُ﴾ بالفوقانية والتحتانية (٢) ﴿لَمْ عَقِبَهُ الدَّارُ﴾ أي: العاقبة المحمودة في الدار الآخرة؛ أي: هو أنا في الشقين؛ فأنا محق فيما جئت به ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ الكافرون.

[٣٨] ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهْتَدُونَ عَلَى الطَّيِّبِينَ﴾ فاطبع لي الأجر ﴿فَأَجْمَلْ لِي صَرَخًا﴾ قصرًا عاليًا ﴿أَعْلَىٰ أَطْلُعُ إِلَهَ إِلَهِي مُوسَىٰ﴾ أنظر إليه وأقف عليه ﴿وَرَبِّي لِأَطْلُعُهُ مِنْ الْكَاذِبِينَ﴾ في ادعائه إليها آخر وأنه رسوله.

[٣٩] ﴿وَأَسْتَكَزِّرُ هُوَ وَجُودُهُ فِي الْأَرْضِ﴾ أرض مصر ﴿بِعَبْرٍ الْحَقِّي وَظَنُوا أَنَّهُمْ إِلَهًا لَا يُرْجَعُونَ﴾ بالبناء للفاعل وللمفعول (٣).

[٤٠] ﴿فَأَخَذَتْهُ وَجُودُهُ فَسَدَّتْهُمْ﴾ طرحاهم ﴿فِي الْبَيْتِ﴾ البحر المالح؛ فغرقوا ﴿فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ حين صاروا إلى الهلاك.

[٤١] ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ﴾ في الدنيا ﴿أَيِّمَةً﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ياء (٤)؛ رؤساء في الشرك ﴿يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ بدعائهم إلى الشرك ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَنْصُرُونَ﴾ يدفع العذاب عنهم.

[٤٢] ﴿وَأَتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ جزيًا ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾ المبعدين.

[٤٣] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ﴾ قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم ﴿بِصَّابِرٍ لِلنَّاسِ﴾ حال من ﴿الْكِتَابِ﴾ جمع بصيرة؛ وهي: نور القلب؛ أي: أنواعًا للقلوب ﴿وَهَدَىٰ﴾ من الضلالة لمن عمل به ﴿وَرَحْمَةً﴾ لمن آمن به ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ يتعظون بما فيه من المواعظ.

فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرَىٰ وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأُولَىٰ ﴿٣٧﴾

وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّيَ أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٣٨﴾

وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهْتَدُونَ عَلَى الطَّيِّبِينَ فَاجْعَلْ لِي صَرَخًا لَعَلِّي أَطْلُعُ إِلَهَ إِلَهِي مُوسَىٰ وَإِنِّي لِأَطْلُعُهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٣٩﴾

وَأَسْتَكَزِّرُ بِهِ هُوَ وَجُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِعَبْرٍ الْحَقِّي وَظَنُوا أَنَّهُمْ إِلَهًا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ فَاجْزَاهُمْ وَجُودُهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْبَيْتِ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾

وَجَعَلْنَاهُمْ أَيِّمَةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَنْصُرُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٣﴾

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ بِصَابِرٍ لِلنَّاسِ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾

فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ وَاضْحَات، حَال ﴿قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرَىٰ﴾ مخلوق ﴿وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا﴾ كائنًا ﴿فِي﴾ أيام

(١) بدونها قراءة ابن كثير.

(٢) بالياء قراءة حمزة والكسائي.

(٣) بالياء للفاعل قراءة نافع وحمزة والكسائي، وقرأ بقية السبعة: ﴿يُرْجَعُونَ﴾ بالبناء للمفعول.

(٤) راجع التعليق على الآية (٧٣) من سورة الأنبياء.

[٤٤] ﴿وَمَا كُنْتَ﴾ يا محمد ﴿بِجَانِبِ الْجَبَلِ، أَوِ الْوَادِي، أَوِ الْمَكَانِ الْغَرِيبِ﴾ من موسى حين المناجاة ﴿إِذْ قَضَيْتَنَا﴾ أوحينا ﴿إِلَى مُوسَى الْأَمْرِ﴾ بالرسالة إلى فرعون وقومه ﴿وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ لذلك فتعلمه فتخبر به.

[٤٥] ﴿وَلَكِنَّا أَنشَأْنَا قُرُونًا﴾ أما من بعد موسى ﴿فَنَطَّأَرْلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾ طالت أعمارهم؛ فنسوا اليهود، واندردت العلوم، وانقطع الوحي؛ فجعنا بك رسولاً، وأوحينا إليك خير موسى وغيره ﴿وَمَا كُنْتَ تَأْوِيًا﴾ مقيماً ﴿فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتَلَّوْا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا﴾ خبر ثان، فتعرف قصتهم فتخبر بها.

﴿وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ لك وإليك^(١) بأخبار المتقدمين.

[٤٦] ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ﴾ الجبل ﴿إِذْ﴾ حين ﴿نَادَيْنَا﴾ موسى أن خذ الكتاب بقوة ﴿وَلَكِن﴾ أرسلناك ﴿رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِشِذْرَ قَوْمًا مَا أَنَّهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ وهم أهل مكة ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ يعظون. [٤٧] ﴿وَلَوْلَا أَنْ نُصِيبَهُمْ مُصِيبَةً عَقُوبَةً﴾ بما قَدَّمَتْ أَيْدِيَهُمْ ﴿من الكفر وغيره﴾ ﴿فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا﴾ هَلَّا ﴿أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنُتَبِّحَ ءَايَاتِكَ﴾ المرسل بها ﴿وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وجواب ﴿لَوْلَا﴾ محذوف وما بعده مبتدأ؛ والمعنى: لولا الإصابة المسبب عنها قولهم، أو لولا قولهم المسبب عنها، لعاجلناهم بالعقوبة، ولما أرسلناك إليهم رسولاً.

[٤٨] ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ﴾ محمد ﴿مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا﴾ هَلَّا ﴿أَوْفَى﴾ مثل مَا أَوْفَى مُوسَى ﴿من الآيات؛ كاليد البيضاء والعصا وغيرهما، أَوِ الْكِتَابِ جُمْلَةً وَاحِدَةً، قَالَ - تَعَالَى -: «أَوْلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أَوْفَى مُوسَى مِنْ قَبْلِ﴾ حيث ﴿قَالُوا﴾ فيه وفي محمد: ﴿سَاجِرَانِ﴾^(٢)، وفي قراءة: ﴿سِحْرَانِ﴾ أي: القرآن والتوراة ﴿تَظَاهَرَا﴾ تعاونا ﴿وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالْكِتَابِينَ كَافِرُونَ﴾.

[٤٩] ﴿قُلْ لَهُمْ﴾: ﴿فَمَا تَأْوُوا يَكْتَسِبُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا﴾ من الكتابين ﴿أَتَّبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في قولكم.

[٥٠] ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ﴾ دعائك بالإتيان بكتاب ﴿فَاعْلَمْ أَنَّمَا

وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرَبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَا كُنَّا أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَّأَرْلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ تَأْوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتَلَّوْا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِشِذْرَ قَوْمًا مَا أَنَّهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْلَا أَنْ نُصِيبَهُمْ مُصِيبَةً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيَهُمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنُتَبِّحَ ءَايَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أَوْفَى مِثْلَ مَا أَوْفَى مُوسَى أَوْلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أَوْفَى مُوسَى مِنْ قَبْلِ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَفْرٍ مِنْ قَبْلِ قَالُوا يَكْتَسِبُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بَعْدَ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾

يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ﴿٤٩﴾ في كفرهم ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بَعْدَ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾ أي: لا أضل منه ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين.

(١) أي: أرسلناك رسولاً، وأرسلنا إليك بأخبارهم.

(٢) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ بقية السبعة: ﴿سِحْرَانِ﴾.

أيضاً، نزلت في جماعة أسلموا من اليهود؛ كعبد الله بن سلام وغيره^(١)، ومن النصارى قدموا من الحبشة^(٢) ومن الشام.

[٥٣] ﴿وَإِذَا بَلَغَ لَيْلَىٰ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ قَالُوا ءَأَمَّا بِهِ إِنتَهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾ موحدين.

[٥٤] ﴿أُوَلِّيكَ يَوْمَئِذٍ أَرْحَمَ مُرْسِلِينَ﴾ بإيمانهم بالكائنين^(٣) ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ بصبرهم على العمل بهما ﴿وَيَذَرُونَ﴾ يدفعون ﴿بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ﴾ منهم ﴿وَمَا رَزَقْنَاهُمْ يُفْقِرُونَ﴾ يتصدقون.

[٥٥] ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾ الشتم والأذى من الكفار ﴿أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾ وقالوا لئلا نعذبنا ولكم اعذبنا سلم عليكم ﴿سلام مباركة﴾ أي: سلمتم منا من الشتم وغيره ﴿لَا يَتَّبِعِي الْجَاهِلِينَ﴾ لا نصحبهم.

[٥٦] ﴿وَنَزَلَ فِي حِرْصِهِ﴾ على إيمان عمه أبي طالب: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ هدايته ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ أحببت ﴿بِالْمُهْتَدِينَ﴾^(٤).

[٥٧] ﴿وَقالُوا﴾ قومه: ﴿إِن نَّبِيعَ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُنْخَطِفُ مِنَ الْأَرْضِ﴾ ننتزع منها بسرعة، قال - تعالى -: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا﴾ يأمنون فيه من الإغارة والقتل الواقعين من بعض العرب على بعض ﴿تَجَبَّى﴾ بالفوقانية والنحنانية^(٥) ﴿إِلَيْهِ نَمُرَتْ كُلُّ سَمِيٍّ﴾ من كل أوب ﴿رِزْقًا﴾ لهم ﴿مِن لَّدُنَّا﴾ عندنا ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَسْمُونَ﴾ أن ما نقوله حق.

[٥٨] ﴿وَكَم أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَوَاسِيئَهَا﴾ عيشتها، وأريد بالقرية: أهلها ﴿فَبِئَاتِكُمْ مَسَكِينُهُمْ﴾ تشكروا من بعدهم ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ للمارة يوماً أو بعضه ﴿وَكَأَنَّا نَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾ منهم.

[٥٩] ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ﴾ بظلم منها ﴿حَتَّىٰ يَبْتَسِ فِي رُءُوسِهَا﴾ أي: أعظمها ﴿رُسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا﴾ وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون ﴿وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ بتكذيب الرسل.

﴿وَقَدْ وَصَلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿وَإِذْ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا ءَأَمَّا بِهِ إِنتَهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾ أُوَلِّيكَ يَوْمَئِذٍ أَرْحَمَ مُرْسِلِينَ بِمَا صَبَرُوا وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ وَمَا رَزَقْنَاهُمْ يُفْقِرُونَ ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُنَّا أَعْمَلُكُمْ سَلَكُوا عَلَيْكُمْ رَبَّنَا إِنَّا أَتَيْنَاكَ بِخَيْرٍ مِّن مَّا حَبَّبْتَ وَالْكَفَّارَةُ لَآتَيْنَاكَ بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ وَلَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَافِقُونَ﴾ ﴿وَإِذْ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَرَأَوْهُمُ يُخْرَجُونَ﴾ ﴿وَقَدْ وَصَلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ﴾ أي: القرآن ﴿هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ﴾

[٥١] ﴿وَقَدْ وَصَلْنَا﴾ بَيْنَا ﴿لَهُمُ الْقَوْلَ﴾ الْقُرْآنَ ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾

يعتظون فيؤمنون.

[٥٢] ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ﴾ أي: القرآن ﴿هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ﴾

(٥) ما جاء في نزول الآية (٥٦): أخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لعمري: «قل لا إله إلا الله، أشهد لك بها يوم القيامة» قال: لولا أن تعبرني قريش، يقولون: إنما حمل على ذلك الجرح، لأقرت بها عبيك، فأقول الله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ مسلم - كتاب الإيمان (١) باب (٩). وأخرج البخاري نحوه عن المسيب بن حزن. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) - سورة القصص (٢٨) باب (١).

(١) أخرج ذلك الطبري في جامعه (٥٦/٢٠، ٥٧) عن قتادة، وهو مرسل ضعيف. وأخرج الطبري أيضاً في جامعه (٥٦/٢٠)، والطبراني في الكبير (٥٣/٥) رقم (٤٥٦٤، ٤٥٦٥)، وغيرهما عن رفاعة القرظي رضي الله عنه قال: نزلت هذه الآية في عشرة، أنا أحدهم... قال الهيثمي في الجمع (٨٨/٧): «رواه الطبراني بإسنادين؛ أحدهما متصل، ورجاله ثقات... وعزاه السيوطي أيضاً في الدر المنثور (٤٢٢/٦) لابن أبي شيبة وابن المنذر وغيرهما وقال: «يسند جيد». وصححه في الاستيعاب (٢٨/٣).

(٢) أخرج نحوه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٩٩٢/٩) عن سعيد بن جبيرة، وهو ضعيف مرسل، كما في الاستيعاب (٣٥/٣).

(٣) أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين: رجل من أهل الكتاب؛ آمن بنبيه، وأدرك النبي فآمن به، واتبعه، وصدق؛ فله أجران... الحديث. البخاري (٣٠١١)، ومسلم (١٥٤) واللفظ له.

(٤) بالبناء قرامة نافع.

[٦٠] ﴿وَمَا أُوْتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَمَنَّعُ الْحَيَوةَ الدُّنْيَا وَرَبَّيْنَهَا﴾ تمتعون وتزبون به أيام حياتكم، ثم يفتى ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي: نوابه ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ بالتاء والياء^(١)؛ أن الباقي خير من الفاني؟

[٦١] ﴿أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعَدَا حَسَنًا فَهُوَ لَنَقِيبِهِ﴾ وهو مُصِيبُهُ؛ وهو: الجنة ﴿كَنْ مَنَعْنَاهُ مَنَعَ الْحَيَوةَ الدُّنْيَا﴾ فيزول عن قريب ﴿ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ النار؟ الأول: المؤمن، والثاني: الكافر؛ أي: لا تساوي بينهما.

[٦٢] ﴿وَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا يَوْمَ يَدْعُوهُمْ﴾ الله ﴿فَقُولُوا أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ لهم شركائي؟

[٦٣] ﴿قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ بدخول النار؛ وهم رؤساء الضلالة: ﴿رَبَّنَا هَذَا الَّذِي كُنَّا نَعْتَدُ﴾ هم، مبتدأ، وصفه^(٢)، ﴿أَعْوَدْنَا بِأَن نَّكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ فغفوا ﴿كَمَا عَوَدْنَا﴾ لم نكرهم على العتيق ﴿تَبَرَأْنَا إِلَيْكَ﴾ منهم ﴿مَا كَانُوا إِلَّا نَجْسًا مُّذَبَّحِينَ﴾ نافية، وقدم المفعول للفاصلة.

[٦٤] ﴿وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ﴾ أي: الأصنام الذين تزعمون أنهم شركاء الله ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾ دعاءهم ﴿وَرَأَوْا﴾ هم ﴿السَّعَابِقَ﴾ أبصروه ﴿لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ﴾ في الدنيا لما رأوه في الآخرة.

[٦٥] ﴿وَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا يَوْمَ يَدْعُوهُمْ﴾ أي: الأصنام الذين تزعمون أنهم شركاء الله ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾ دعاءهم ﴿وَرَأَوْا﴾ هم ﴿السَّعَابِقَ﴾ أبصروه ﴿لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ﴾ في الدنيا لما رأوه في الآخرة.

[٦٦] ﴿فَقِيلَتْ عَلَيْهِمُ الْآيَاتُ﴾ الأخبار المنجية في الجواب ﴿يَوْمَ يَدْعُوهُمْ﴾ أي: الأصنام الذين تزعمون أنهم شركاء الله ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾ دعاءهم ﴿وَرَأَوْا﴾ هم ﴿السَّعَابِقَ﴾ أبصروه ﴿لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ﴾ في الدنيا لما رأوه في الآخرة.

[٦٧] ﴿فَأَمَّا مَنْ تَابَ﴾ من الشرك ﴿وَمَنَّ﴾ صدق بتوحيد الله ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ أدى الفرائض ﴿فَمَعَّنَ﴾ أي: يَكُونُ مِنَ الْمُفْلِحِينَ الناجين بوعده الله.

[٦٨] ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ ما يشاء ﴿مَا كَانَ لَهُمُ﴾ للمشركين ﴿الْحِيزَةُ﴾ الاختيار في شيء ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ عن إشارتهم.

[٦٩] ﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾ تسر قلوبهم من الكفر وغيره ﴿وَمَا يُخْلِقُونَ﴾ بالسننهم من ذلك.

[٧٠] ﴿وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْإِسْمَاءُ الْأُولَى﴾ الدنيا

وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَمَنَّعُ الْحَيَوةَ الدُّنْيَا وَرَبَّيْنَهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعَدَا حَسَنًا فَهُوَ لَنَقِيبِهِ كَنْ مَنَعْنَاهُ مَنَعَ الْحَيَوةَ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾ وَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا يَوْمَ يَدْعُوهُمْ فَيَقُولُوا أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَذَا الَّذِي كُنَّا نَعْتَدُ كَمَا عَوَدْنَا تَبَرَأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِلَّا نَجْسًا مُّذَبَّحِينَ وَرَأَوْا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ﴿٦٣﴾ وَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا يَوْمَ يَدْعُوهُمْ فَيَقُولُوا مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦٤﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْآيَاتُ يَوْمَ يَدْعُوهُمْ فَهَهُمْ لَا يَسْتَجِيبُونَ ﴿٦٥﴾ فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴿٦٦﴾ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُخْلِقُونَ ﴿٦٨﴾ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْإِسْمَاءُ الْأُولَى وَالْآخِرَةُ وَهُوَ الْحَكِيمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾

﴿وَالْآخِرَةُ﴾ الجنة ﴿وَلَهُ الْحُكْمُ﴾ القضاء النافذ في كل شيء ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ بالنشور.

(١) بالياء قراءة أبي عمرو.

(٢) أي: ﴿مَنْعًا﴾ مبتدأ، و﴿الَّذِينَ يَدْعُوهُمْ﴾: صفة. وجملة ﴿أَعْوَدْنَا بِهِمْ﴾: خبره.

سماع تفهم فرجعون عن الإشراك!

[٧٢] ﴿قُلْ لَهُمْ: ﴿أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَوْ لَيْلٍ تَسْمَعُونَ﴾ تستريحون ﴿فِيهِ﴾ من التعب ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ ما أنتم عليه من الخطأ في الإشراك فرجعون عنه!

[٧٣] ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ﴾ - تعالى - ﴿جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾ في الليل ﴿وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ في النهار للكسب ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ النعمة فيها.

[٧٤] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ يُبَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ ذكر ثانياً لئلا يظن عليه:

[٧٥] ﴿وَوَرَعْنَا﴾ أخرجنا ﴿مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ وهو نبيهم يشهد عليهم بما قالوا ﴿فَقُلْنَا﴾ لهم: ﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ على ما قلتم من الإشراك ﴿فَقُلُوا أِنْ الْحَقُّ فِي الْإِلَهِيَّةِ لِلَّهِ﴾ لا يشاركه فيه أحد ﴿وَصَلِّ﴾ غاب ﴿عَنَّهُمْ مَا كَانُوا يَفْعَرُونَ﴾ في الدنيا من أن معه شريكاً، تعالى عن ذلك.

[٧٦] ﴿إِنَّ قُرُونًا كَانَتْ مِنْ قَوْمِ مُوسَى﴾ ابن عمه، وابن خالته (١) وأمن به ﴿فَبَدَّلْنَا﴾ بالكثير والعلو وكثرة المال ﴿وَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمٍ مَتَّعْنَاهُمْ لَسَوْفَ﴾ تنقل ﴿بِالْعُصْبَةِ﴾ الجماعة ﴿أُولَى﴾ أصحاب ﴿الْقُوَّةِ﴾ أي: تنقلهم، فالباء للتعدية، وعدتهم قيل: سبعون. وقيل: أربعون. وقيل: عشرة. وقيل: غير ذلك.

اذكر ﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ﴾ المؤمنون من بني إسرائيل: ﴿لَا تَفْرَحْ بِكثرة المال فَرِحَ بِظُرِّ﴾ إن الله لا يحب الفرحين بذلك.

[٧٧] ﴿وَأَنْتَ﴾ اطلب ﴿فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ﴾ من المال ﴿الذَّارَ الْآخِرَةَ﴾ بأن تنفقه في طاعة الله ﴿وَلَا تَنْسَ﴾ تترك ﴿تَصِيْبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ أي: أن تعمل فيها للآخرة ﴿وَأَحْسِنَ﴾ للناس بالصدقة ﴿كَمَّا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ﴾ تطلب ﴿الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ﴾ بعمل المعاصي ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ بمعنى: أنه يعاقبهم (٢).

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَوْ لَيْلٍ تَسْمَعُونَ ﴿٧٢﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَوْ لَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَوْ لَيْلٍ تَسْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٤﴾ وَيَوْمَ يُبَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٥﴾ وَرَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْعَرُونَ ﴿٧٦﴾ إِنَّ قُرُونًا كَانَتْ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَدَّلْنَا عَلَيْهِمُ وَا تَبَدَّلْنَا مِنْ الْكُفْرِ مَا إِنْ مَفَاحِيهُ وَلَتَنُؤُوا بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٧﴾ وَأَنْتَ جَعَلْنَا فِيكَ مَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٨﴾

[٧١] ﴿قُلْ﴾ لأهل مكة: ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾ أي: أخبروني ﴿إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ اللَّيْلَ سَرْمَدًا﴾ دائماً ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِ اللَّهِ﴾ بزعمكم ﴿يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ﴾ نهار تطلبون فيه المعيشة ﴿أَوْ لَيْلٍ تَسْمَعُونَ﴾ ذلك

(١) حكى ابن جرير الإجماع على أنه كان من بني إسرائيل، واختلف في جهة قرابته من موسى عليه السلام فقال ابن عباس وجماعة: كان ابن عمه، وقال ابن جرير: وأكبر أهل العلم على أنه كان ابن عمه، والله أعلم. وروى عن ابن عباس أيضاً أنه ابن خالته، والمشهور عنه الأول.

(٢) وهذا تأويل لصفة الحجة وانتقالها لبعض لوازمها، ومذهب السلف إثبات هذه الصفة وغيرها مما أثبتته الله لنفسه أو أثبتته له رسوله ﷺ من غير تأويل ولا تعطيل ولا تكيف ولا تمثيل.

[٧٨] ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُمْ أَيْ: المال ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ أَيْ: في مقابلته، وكان أعلم بني إسرائيل بالتوراة بعد موسى وهارون، قال - تعالى -: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ فَدَّ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ الْقُرُونِ الْأُمِّمِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْبَرُ جَمْعًا﴾ للمال؛ أَيْ: هو عالم بذلك، ويهلكهم الله ﴿وَلَا يُسْتَلْعَنَ عَنْ دُنُوبِهِمْ الْمُجْرِمُونَ﴾ ليعلموه - تعالى - بها؛ فيدخلون النار بلا حساب.

[٧٩] ﴿فَخَرَجَ﴾ قارون ﴿عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ﴾ بأثباعه الكثيرين ركباناً مُتَخَلِّينَ بملابس الذهب والحريز على خيول وبغال متحلية ﴿قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَلنَّبِيِّ﴾ لنتيبه ﴿لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ﴾ في الدنيا ﴿إِنَّمَا لَدُوْهُ حِطٌّ﴾ نصيب ﴿عَظِيمٍ﴾ وافٍ فيها.

[٨٠] ﴿وَقَالَ لَهُمْ﴾ الَّذِينَ أُوتُوا أَلِيمَةً ﴿بِمَا وَعَدَ اللَّهُ فِي الآخِرَةِ: ﴿وَيَذَلُّكُمْ﴾ كلمة زجر ﴿تَوَابُ اللَّهِ﴾ في الآخرة بالجنة ﴿خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ مما أوتي قارون في الدنيا ﴿وَلَا يُقَلِّبُهَا﴾ أَيْ: الجنة المئاب بها ﴿إِلَّا الصَّالِحِينَ﴾ على الطاعة وعن المعصية.

[٨١] ﴿فَنَسَفْنَا بِهِ﴾ بقارون ﴿وَيَدَارِيهِ الْأَرْضُ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِتْنَةٍ يَنْصُرُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أَيْ: غيره بأن يمنعوا عنه الهلاك ﴿وَمَا كَانَتْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ منه.

[٨٢] ﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْآمِنِينَ﴾ أَيْ: من قريب ﴿يَقُولُونَ وَيَكْفُرُونَ﴾ بوسع ﴿الرِّزْقِ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ﴾ يضيق على ما يشاء، و«وي» اسم فعل؛ بمعنى: أعجب؛ أَيْ: أنا، و«الكاف» بمعنى اللام (١) ﴿لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا﴾ بالبناء للفاعل والمفعول (٢) ﴿وَيَكْفُرُونَ لَا يُفْلِحُ الْكٰفِرُونَ﴾ لنعمة الله؛ كقارون.

[٨٣] ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ﴾ أَيْ: الجنة ﴿بِمَعْمَلِهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ﴾ بالبغي ﴿وَلَا فَسَادًا﴾ بعمل المعاصي ﴿وَالْعَاقِبَةُ﴾ المحمودة ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ عقاب الله بعمل الطاعات.

[٨٤] ﴿مَنْ جَاءَ بِالسَّبْتِ فَلَهُمْ حَبَرٌ مِنْهَا﴾ ثواب بسببها؛ وهو: عشر أمثالها ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّبْتِ فَلَا يُجْزَىٰ الَّذِينَ عَمِلُوا السَّبَاتِ إِلَّا﴾ جزء ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أَيْ: مثله.

قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ وَعَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَوْ لَوْ يَعْلَمَنَّ اللَّهُ فَدَّ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْبَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْتَلْعَنَ عَنْ دُنُوبِهِمْ الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حِطِّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ تَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُقَلِّبُهَا إِلَّا الصَّالِحِينَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبَدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِتْنَةٍ يَنْصُرُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْآمِنِينَ يَقُولُونَ وَيَكْفُرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ مَنْ جَاءَ بِالسَّبْتِ فَلَهُمْ حَبَرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّبْتِ فَلَا يُجْزَىٰ الَّذِينَ عَمِلُوا السَّبَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾

(١) وهذا أحد مذاهب خمسة في معنى كلمة «وكان» والوقف فيها.

(٢) بالبناء للمفعول قراءة السبعة عند عاصم.

ألقى إليك ﴿رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيراً ﴿مُعِيناً﴾ لِلْكَافِرِينَ ﴿عَلَى﴾ دينهم الذي دعوك إليه.

[٨٧] ﴿وَلَا يَصُدُّكَ﴾ أصله: يصدونك؛ حذف نون الرفع للجازم، والواو الفاعل؛ لالتقاءها مع النون الساكنة ﴿عَنْ مَائِدَةِ﴾ اللَّهُ بَعْدَ إِذْ أَنْزَلْتَ إِلَيْكَ ﴿أَي﴾: لا ترجع إليهم في ذلك ﴿وَأُدْعُ﴾ النَّاسَ ﴿إِلَى رَبِّكَ﴾ بتوجيهه وعبادته ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ بإعانتهم، ولم يؤثروا الجازم في الفعل لبنائه.

[٨٨] ﴿وَلَا تَدْعُ﴾ تَعْبُدُ ﴿مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴿إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ ﴿لَهُ الْخَلْقُ﴾ الْقَضَاءُ النَّافِذُ ﴿وَالْيَوْمَ تُرْجَعُونَ﴾ بالنشور من قبوركم.

سُورَةُ الْجِنِّ كِتَابًا

[مكية وهي: تسع وستون آية، نزلت بعد الروم]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الرَّ﴾ الله أعلم بمراد بذلك.
[٢] ﴿أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يَبْرُكُوا﴾ أَنْ يَقُولُوا ﴿أَي﴾ بقولهم: ﴿ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْقَهُونَ﴾ يخبرون بما يبين به حقيقة إيمانهم؟ نزل في جماعة آمنوا فأذاهم المشركون^(٤).

[٣] ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا ﴿فِي﴾ إيمانهم علم مشاهدة ﴿وَلْيَعْلَمَنَّ الْكٰذِبِينَ﴾ فيه.

[٤] ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ الشِّرْكَ وَالْمَعَاصِيَ ﴿أَنْ يَسْتَفِيئُوا﴾ يفتوتوا فلا تنتقم منهم؟ ﴿سَاءَ﴾ عَسَ ﴿مَا﴾ الَّذِي يَحْكُمُونَ ﴿هُ﴾ حكمهم هذا.

[٥] ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا﴾ يخاف ﴿لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ﴾ بِهِ ﴿لَآتٍ﴾ فَلْيَسْتَعِذْ لَهُ ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لأقوال العباد ﴿الْعَلِيمُ﴾ بأفعالهم.

[٦] ﴿وَمَنْ جَاهَدَ﴾ جهاد حرب أو نفس ﴿فَإِنَّمَا يَجَاهِدُ لِنَفْسِهِ﴾ فإن منفعة جهاده لا لله ﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ الإنس والجن والملائكة، وعن عبادتهم.

إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيراً لِلْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ وَأُدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾

سُورَةُ الْجِنِّ كِتَابًا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الرَّ ﴿٨٥﴾ أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يَبْرُكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْقَهُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْكٰذِبِينَ ﴿٨٧﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْفِيحُوا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٨٨﴾ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٨٩﴾ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٩٠﴾

[٨٥] ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ﴾ أنزله ﴿لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ إلى مكة^(١)، وكان قد اشتاقها^(٢) ﴿قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ نزل جواباً لقول كفار مكة له: إنك في ضلال. أي: فهو الجائي بالهدى، وهم في ضلال، و﴿أَعْلَمُ﴾ بمعنى: عالم.

[٨٦] ﴿وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ﴾ القرآن ﴿إِلَّا﴾ لكن

(١) وهو قول كثير من المفسرين، واختار ابن كثير وغيره أن المراد بالمعاد يوم القيامة، قال: فسأله عما استرعا من أعباء النبوة، كما قال - تعالى -: ﴿فَلْيَسْتَعِذَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَكِنَّهُمْ لَكَاذِبِينَ﴾ [الأعراف: ٦٦]، وقال: ﴿يَوْمَ يَجْعَلُ اللَّهُ أَرْسُلَ قَبُولٍ مَادًّا أُحْسِنُهَا﴾ [المائدة: ١٠٩]. وهذا أقرب، والله أعلم.
(٢) يشير إلى ما ذكره السيوطي في الدر المنثور (٤٤٥/٦) عن الضحاك، وعزاه لابن أبي حاتم. وضعفه جداً في الاستيعاب (٤٠/٣).
(٣) وهذا تأويل لصفة الوجه التي أثنىها ربنا ﷻ لنفسه، وهي من الصفات الحقيقية التي نثبها له. شجاعة - على الوجه اللاتق به، ولا شك أن الوجه يستنزم الذات، ولكن لا يجوز إرادة اللزوم ونفي اللزوم؛ بل يجب إثباتهما معاً.
(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان (٨٣/٢٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره عن الشعبي، وهو مرسل ضعيف كما ذكر صاحب الاستيعاب (٤٢٠/٣).

[٧] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ﴿٧﴾ بعمل الصالحات ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ بمعنى: حسن، ونصبه بنزع الحافظ: الباء ﴿الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ وهو الصالحات.

[٨] ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾ أي: إيصاء ذا حسن؛ بأن يروهما، وإن جهداك يشترك في ما ليس لك به. بإشراكه ﴿عَلَّمٌ﴾ موافقة للواقع، فلا مفهوم له ﴿فَلَا تُطْعَمُهُمَا﴾ في الإشراف^(١) ﴿إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فأجازيكم به.

[٩] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾ الأنبياء والأولياء؛ بأن نحشرهم معهم.

[١٠] ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ أي: أذاهم له ﴿كَذَّابٌ لِلَّهِ﴾ في الخوف منه؛ فيطيعهم فيناق ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بِبَيِّنَاتٍ﴾ للمؤمنين ﴿مِن رَّبِّكَ﴾ فغنموا ﴿يَقُولُونَ﴾ حذف منه نون الرفع لتوالي النونات، والواو ضمير الجمع لالتقاء الساكنين: ﴿إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ﴾ في الإيمان؛ فأشركونا في الغنمة، قال - تعالى -: ﴿أَوْ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ﴾ أي: بعالم ﴿بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾ بقلوبهم من الإيمان والنفاق؟ بلى.

[١١] ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بقلوبهم ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾ فيجازي الفريقين، واللام في الفعلين لام قسم.

[١٢] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيَلْبِسْنا كَلِمَاتِ الَّذِينَ آمَنُوا سَوِيًّا﴾ ديننا ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَنْتَا لَمَعَ﴾ في اتباعنا إن كانت، والأمر بمعنى الخبر^(١)، قال - تعالى -: ﴿وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطِيئَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ في ذلك.

[١٣] ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ﴾ أوزارهم ﴿وَأَنْتَا لَمَعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ بقولهم للمؤمنين: ﴿أَتَبِعُوا سَبِيلَنَا﴾ وإضلالهم مقلديهم ﴿وَلَيَسْئَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ يكذبون على الله، سؤال توبيخ، واللام في الفعلين^(١) لام قسم، وحذف فاعلها: الواو ونون الرفع.

[١٤] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾ وعمره أربعون سنة أو أكثر ﴿فَلْيَتَّخِذْ

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ﴿٧﴾
وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرًا حَسَنًا الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ
بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ
فَلَا تُطْعَمُهُمَا إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩﴾
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾
وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ
فِتْنَةً لِلنَّاسِ كَذَّابٌ لِلَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ
إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ﴿١١﴾
وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ﴿١٢﴾
وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا
وَلَنَحْمِلَ خَطِيئَتَكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطِيئَتِهِمْ مِنْ
شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَنْتَا لَمَعَ
أَثْقَالَهُمْ وَلَيَسْئَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٤﴾
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ
إِلَّا الْخَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٥﴾

فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ يدعوهم إلى توحيد الله؛ فكذبوه ﴿فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ﴾ أي: الماء الكثير، طاف بهم وعلاهم؛ فغرقوا ﴿وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ مشركون.

(٥) ما جاء في نزول الآية (٨): أخرجه الترمذي عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، قال: نزلت في أربع آيات... فذكر قصة - وقالت أم سعد: أليس قد أمر الله بالبر؟ والله لا أطعم طعاماً، ولا أشرب شراباً حتى أموت أو تكفر. فكانوا إذا أرادوا أن يطعموها شجروا [أي فنحوا] فها، فنزلت هذه الآية: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطْعَمُهُمَا﴾. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٣٠).

والحديث أخرجه مسلم في صحيحه (١٧٤٨) لكن لفظ الآية عنده أقرب إلى آية لقمان (١٥٠١٤)، وهو الأقرب في قصة أم سعد؛ حيث إن نزول سورة لقمان كان قبل نزول سورة العنكبوت بكثير، ولو كانت آية العنكبوت قد نزلت ساعة وقعة سعد مع أمه لقرأ عليها آية لقمان، ولم يكن له كبير مزية في نزول آية العنكبوت فيه؛ إلا أن يقال: إن كلتا الآيتين نزلت في قصته مع أمه، وهو بعيد، والله أعلم.

(١) أي: منكم الاتباع، وعلينا حمل خطاياكم.

(٢) أي: في ﴿وليحملنَّ﴾، و﴿يسألنَّ﴾.

[١٦] ﴿وَإِذْ كَرِهَ اللَّهُ لِقَوْمِهِ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ﴾ خافوا عقابه ﴿ذَلِكَ حَبْرٌ لَكُمْ﴾ مما أنتم عليه من عبادة الأصنام ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَمْلِكُونَ﴾ الخير من غيره.

[١٧] ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَيْ: غيره ﴿أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ يقولون كذبا: إن الأوثان شركاء لله^(١) ﴿إِنَّا الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا﴾ لا يقدرون أن يرزقوكم ﴿فَأَبْتِغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ﴾ اطلبوه منه ﴿وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ﴾ إليه ترجعون.

[١٨] ﴿وَإِنْ تَكْذِبُوا﴾ أي: تكذبوني يا أهل مكة^(٢) ﴿فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ من قبلي ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ﴾ إلا البلاغ البين، في هاتين الفصتين تسليمة للنبي ﷺ.

[١٩] وقال - تعالى - في قومه: ﴿أُولَئِكَ يَرْوَأُ﴾ بالياء والتاء^(٣)، ينظروا ﴿كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ﴾ هو بضم أوله، وقرئ بفتح^(٤)؛ من بدأ وأبدأ؛ بمعنى: أي يخلقهم ابتداءً ﴿ثُمَّ﴾ هو ﴿يُبِيدُهُ﴾ أي: الخلق كما بدأهم ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ المذكور من الخلق الأول والثاني ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ فكيف ينكرون الثاني؟!

[٢٠] ﴿فَلْيَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ لمن كان قبلكم وأماهم ﴿ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ﴾ مداً، وقصراً مع سكن الشين^(٥) ﴿إِنَّا اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه البدء والإعادة.

[٢١] ﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ تعذيبه ﴿وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ﴾ رحمته ﴿وَالِلَّهِ تُقَابُ﴾ تردون.

[٢٢] ﴿وَمَا أَنشَأَ يُمْغِرِينَ﴾ ربكم عن إدراككم ﴿فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ لو كنتم فيها؛ أي: لا تفوتونه ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿مِنْ وَلِيٍّ﴾ يمنعكم منه ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ ينصركم من عذابه.

[٢٣] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ﴾ أي: القرآن والبعث ﴿أُولَئِكَ يَسُؤُونَ مِنْ رَحْمَتِي﴾ أي: جنتي^(٦) ﴿وَأُولَئِكَ هُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ﴾ مؤلم.

فَأَجْنِبْنَهُ وَأَصْحَبَ السَّفِينَةَ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿١٥﴾ وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكَُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِنْ تَكْذِبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ ﴿١٨﴾ أُولَئِكَ يَرْوَأُ كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَإِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ فَلْيَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقَابُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَسُؤُونَ مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾

[١٥] ﴿فَأَجْنِبْنَهُ﴾ أي: نوحاً ﴿وَأَصْحَبَ السَّفِينَةَ﴾ الذين كانوا معه فيها ﴿وَجَعَلْنَاهَا آيَةً﴾ عبرة ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ لمن بعدهم من الناس إن عصوا رسلكم، وعاش نوح بعد الطوفان ستين سنة أو أكثر^(١) حتى كثر الناس.

(١) إثبات هذا يحتاج إلى دليل صحيح.

(٢) وقال عكرمة وقتادة والحسن: تحونها أصناماً. واختاره ابن جرير.

(٣) وقيل: هذا من قول إبراهيم عليه السلام.

(٤) بالناء قراءة حمزة والكاظمي.

(٥) أي: شذوذاً.

(٦) بالناء قراءة ابن كثير وأبي عمرو.

(٧) وهذا تأويل لصفة الرحمة بأحد لوازمها. ومذهب السلف إثباتها له - شيخنا - على الوجه اللائق به كما سبق مراراً.

فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ
فَأَجَبَهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾
وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ
فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم
بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰ كُفْرٍ النَّارُ
وَمَا لَكُم مِّن تَصْرِيحٍ ﴿٢﴾ فَتَأْمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ
إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾
وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ
النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَعَاقَبْتَهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ
فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ
إِنَّكُم لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ
مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٥﴾ أَتَيْتُكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ
السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ
قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتَّيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ
الصَّادِقِينَ ﴿٦﴾ قَالَ رَبِّ انصُرني عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧﴾

الصَّادِقِينَ ﴿٦﴾ في استقباح ذلك، وأن العذاب نازل بفاعليه.

[٣٠] ﴿قَالَ رَبِّ انصُرني﴾ بتحقيق قولي في إنزال العذاب ﴿عَلَى الْقَوْمِ
الْمُفْسِدِينَ﴾ العاصين بإتيان الرجال؛ فاستجاب الله دعاءه.

[٢٤] قال - تعالى - في قصة إبراهيم الخليل: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ
إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَجَبَهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ﴾ التي قذفوه فيها؛ بأن
جعلها عليه بزدا وسلاما ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ مِّنَ اللَّهِ لِقَوْمٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾ هي
عدم تأثيرها فيه مع عظمتها، وإخمادها وإنشاء روض مكانها في زمن يسير
﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ يصدقون بتوحيد الله وقدرته؛ لأنهم المنتفعون بها.

[٢٥] ﴿وَقَالَ﴾ إبراهيم: ﴿إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا﴾ تعبدونها،
و«ما» مصدرية ﴿مَّوَدَّةً﴾ بَيْنِكُمْ ﴿خبر «إن»، وعلى قراءة النصب (١):
مفعول له، و«ما» كافة؛ المعنى: توادتم على عبادتها ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ﴾ يبرأ القادة من الأتباع ﴿وَيَلْعَنُ
بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ يلعن الأتباع القادة ﴿وَمَا أُولَٰئِكَ﴾ مصيركم جميعا
﴿النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن تَصْرِيحٍ﴾ مانعين منها.

[٢٦] ﴿فَتَأْمَنَ لَهُ﴾ صدق إبراهيم ﴿لُوطٌ﴾ وهو: ابن أخيه هاران
﴿وَقَالَ﴾ إبراهيم: ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ﴾ من قومي ﴿إِلَىٰ رَبِّي﴾ إلى حيث أمرني
ربي، وهجر قومه وهاجر من سواد العراق إلى الشام ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ﴾ في
ملكه ﴿الْحَكِيمُ﴾ في صفة.

[٢٧] ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ﴾ بعد إسماعيل ﴿إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ بعد إسحاق
﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ﴾ فكل الأنبياء بعد إبراهيم من ذريته
﴿وَالْكِتَابَ﴾ بمعنى: الكتب؛ أي: التوراة والإنجيل والزيور والفرقان ﴿وَوَعَّيْتَهُ
أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا﴾ وهو الثناء الحسن في كل أهل الأديان ﴿وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ
لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ الذين لهم الدرجات العلى.

[٢٨] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿لُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ﴾ [أَيْتَكُمْ] (٢) ﴿بتحقيق الهزتين
وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين في الموضعين (٣)﴾ لَتَأْتُونَ
الْفَاحِشَةَ ﴿أي: أديار الرجال﴾ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿
الإنس والجن.

[٢٩] ﴿أَتَيْتُكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ﴾ طريق المارة بفعلكم
الفاحشة بمن ير بكم؛ فترك الناس المرء بكم (٤) ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ﴾
أي: مُتَّخِذِكُمُ الْمُنكَرَ ﴿فعل الفاحشة بَعْضُكُم بِبَعْضٍ﴾ فَمَا كَانَ
جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتَّيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ

(١) والقراءة المذكورة أولا بالرفع بالإضافة للكسائي وابن كثير وأبي عمرو، وقرأ حفص وحزمة: ﴿مودة بينكم﴾.

(٢) وهي قراءة حمزة والكسائي وأبي عمرو. وأجمع القراء على الاستفهام في الموضع الثاني، وهو ﴿أَتَيْتُكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ﴾.

(٣) أي: وتركه، وراجع التعليل على الآية (٨١) من سورة الأعراف.

(٤) الأظهر أن قطعهم السبيل أعم من ذلك، فيشمل مع ما ذكر إخافة المارة ورهابهم بأخذ أموالهم وسفك دماهم ونحو ذلك.

وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا
 أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٣١﴾
 قَالَ إِنِّي فِيهَا لَوْطًا قَالُوا لَنْجِيَنَّكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أُمَّرَاتَهُ
 وَأَهْلَهُ إِلَّا أُمَّرَاتَهُ وَكَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّا
 أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَاءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا
 وَقَالُوا لَا تَحْفَ وَلَا تُحْرَبْ إِنَّا مَنجُوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا
 أُمَّرَاتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مَنزِلُونَ عَلَى أَهْلِ
 هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْرَاءً مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ
 ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ
 ﴿٣٥﴾ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَتَقَوَّمُوا عِبَادُ اللَّهِ
 وَأَرْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ أَخْشَوْهُ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا تَعْتُوا فِي
 الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ حَالٌ مُؤَكَّدَةٌ لِعَامِلِهَا مِنْ «عَتِي» بِكسر المثلثة؛ أفسد.
 ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَآخَذْتَهُمُ الزَّلْزَلَةُ الشَّدِيدَةُ فَاصْبَحُوا فِي
 دَارِهِمْ جَثْمِينَ ﴿٣٧﴾ وَعَادَ آوْتَمُودًا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ
 مِنْ مَسَلِكِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ
 فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾

[٣١] ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى﴾ بإسحاق ويعقوب بعده

﴿قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ﴾ أي: قرية لوط ﴿إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ كافرين.

[٣٢] ﴿قَالَ﴾ إبراهيم: ﴿إِنِّي فِيهَا لَوْطًا قَالُوا﴾ أي: الرسل: ﴿لَنْجِيَنَّكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أُمَّرَاتَهُ﴾ بالتحفيف والتشديد^(١) ﴿وَأَهْلَهُ إِلَّا أُمَّرَاتَهُ﴾ كانت من الغابرين ﴿الباقيين في العذاب﴾.

[٣٣] ﴿وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَاءَ بِهِمْ﴾ حزن بسببهم ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ صدرًا؛ لأنهم حسان الوجه في صورة أضياف؛ فخاف عليهم قومه؛ فأعلموه أنهم رسل ربهم ﴿وَقَالُوا لَا تَحْفَ وَلَا تُحْرَبْ إِنَّا مَنجُوكَ﴾ بالتشديد والتخفيف^(٢) ﴿وَأَهْلَكَ إِلَّا أُمَّرَاتَكَ﴾ كانت من الغابرين ﴿وتضبط أهللك﴾ عطف على محل الكاف.

[٣٤] ﴿إِنَّا مَنزِلُونَ﴾ بالتخفيف والتشديد^(٣) ﴿عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْرَاءً﴾ عذابًا ﴿مِنَ السَّمَاءِ بِمَا﴾ بالفعل الذي ﴿كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ به؛ أي: بسبب فسقهم.

[٣٥] ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً﴾ ظاهرة؛ هي: آثار خرابها ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يتدبرون.

[٣٦] ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ﴾ أرسلنا ﴿إِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَتَقَوَّمُوا عِبَادُ اللَّهِ وَأَرْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ أخشوه؛ هو: يوم القيامة ﴿وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ حالٌ مؤكدة لعاملها، من «عَتِي» بكسر المثلثة؛ أفسد.

[٣٧] ﴿فَكَذَّبُوهُ فَآخَذْتَهُمُ الزَّلْزَلَةُ الشَّدِيدَةُ﴾ فالصباح ﴿فَاصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَثْمِينَ﴾ باركين على الركب ميتين.

[٣٨] ﴿وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ﴾ أهلكننا ﴿عَادًا وَثَمُودًا﴾ بالصرف وتركه^(٤)؛ بمعنى: الحي والقبيلة^(٥) ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ من الكفر والمعاصي ﴿فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾ سبيل الحق ﴿وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾ ذوي بصائر.

(١) بالتخفيف قراءة حمزة والكسائي.

(٢) بالتخفيف قراءة حمزة والكسائي وشعبة وابن كثير.

(٣) بالتشديد قراءة ابن عامر.

(٤) بالصرف قراءة السبعة عمدا حمزة وحفص.

(٥) أي: على كل من القراءتين بالترتيب؛ أي ينصرف (ثموده) إذا كان بمعنى: الحي، ويعني من الصرف إذا كان اسما للقبيلة؛ أي للعلمية والتأنيث.

﴿٣٩﴾ وَأَهْلِكْنَا قُرُونًا وَفِرْعَوْنَ وَهَارُونَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَاقِينَ ﴿٣٩﴾
 فَكُنَّا لَا آخِذًا بِدِينِهِمْ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّبِيحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَعْرَقْنَا وَمِنْهُمْ مَنْ آذَنَّا اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْأَعْيُنِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَأَوْهَنُ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَأَمَّا لَلْأَوْلِيَاءِ إِذَا هُمْ يُدْعُونَ أَن لِيُؤْتُوا صَوْلَاتَهُمْ قُلْ إِنَّمَا صَوْلَاتُكُمْ لِلَّهِ فَيُؤْتِي مَا يَظُنُّ خَيْرًا لَكُمْ وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّمَا اللَّهُ يُعَلِّمُ مَا يَشَاءُ لِقَوْمٍ يُحِبُّونَ ﴿٤٤﴾ وَإِنَّمَا اللَّهُ يُعَلِّمُ مَا يَشَاءُ لِقَوْمٍ يُحِبُّونَ ﴿٤٥﴾ وَإِنَّمَا اللَّهُ يُعَلِّمُ مَا يَشَاءُ لِقَوْمٍ يُحِبُّونَ ﴿٤٦﴾

﴿٣٩﴾ وَأَهْلِكْنَا قُرُونًا وَفِرْعَوْنَ وَهَارُونَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَاقِينَ فَاتَيْنِ عَذَابَاتِنَا.

﴿٤٠﴾ ﴿فَكُلًّا﴾ من المذكورين ﴿أَخَذْنَا بِدِينِهِمْ﴾ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا رِيحًا عاصفةً فيها حصاء؛ كقوم لوط ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّبِيحَةُ﴾ كعمود ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ﴾ كفارون ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ أَعْرَقْنَا﴾ كقوم نوح، وفرعون وقومه ﴿وَمَا كَانَتْ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ﴾ فيعذبهم بغير ذنب ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بارتكاب الذنوب.

﴿٤١﴾ ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ﴾ أي: أصنامًا يرجون نفعها ﴿كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾ لنفسها تأوي إليه ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ الْأَعْيُنِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ﴾ لا يدفع عنها حُزًا ولا يزداد؛ كذلك الأصنام لا تنفع عابديها ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك ما عبدوها.

﴿٤٢﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا﴾ بمعنى: الذي ﴿يُدْعُونَ﴾ يعبدون، بالياء والتاء ^(١) ﴿وَمِنْ دُونِهِ﴾ غيره ﴿مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿الْحَكِيمُ﴾ في صنعه.

﴿٤٣﴾ ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَأَمَّا لَلْأَوْلِيَاءِ إِذَا هُمْ يُدْعُونَ﴾ أي: يفهمها ﴿إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ المتدبرون.

﴿٤٤﴾ ﴿وَإِنَّمَا اللَّهُ يُعَلِّمُ مَا يَشَاءُ لِقَوْمٍ يُحِبُّونَ﴾ أي: محققًا ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾ دالة على قدرته - تعالى - ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ خصوصًا بالذكر؛ لأنهم

المنفعون بها في الإيمان بخلاف الكافرين.

﴿٤٥﴾ ﴿وَإِنَّمَا اللَّهُ يُعَلِّمُ مَا يَشَاءُ لِقَوْمٍ يُحِبُّونَ﴾ أي: من شأنها ذلك ما دام المرء فيها ﴿وَلِيُذَكِّرَ اللَّهُ أَكْبَرُ﴾ من غيره من الطاعات ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ فيجازيكم به.

(١) بالياء قراءة السبعة عدا عاصم وأبي عمرو.

يسلموا أو يعطوا الجزية ﴿وَقُولُوا﴾ لمن قبل الإقرار بالجزية إذا أجبوكم بشيء مما في كتبهم: ﴿أَمَّا يَا الَّذِينَ أَنزَلْنَا إِلَيْنَا وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ﴾ (١) ولا تصدقوهم ولا تكذبوهم في ذلك ﴿وَاللَّهُمَّ وَجِدْ وَنَحْنُ لَكَ مُسْلِمُونَ﴾ مطيعون. [٤٧] ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ القرآن؛ كما أنزلنا إليهم التوراة وغيرها ﴿فَالَّذِينَ آمَنَتْهُمْ أَكْثَبَ﴾ التوراة؛ كعبد الله بن سلام وغيره ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ بالقرآن ﴿وَمَنْ هَكَوَلَاءَ﴾ أهل مكة ﴿مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ﴾ وما يجحد يبايننا بعد ظهورها ﴿إِلَّا الْكٰفِرُونَ﴾ أي: اليهود (١)، وظهر لهم أن القرآن حق والجانبي به محق، وجمحدوا ذلك.

[٤٨] ﴿وَمَا كُنْتَ تَسْمَعُ مِنْ قَبْلِهِ﴾ أي: القرآن ﴿مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخْطُرُ بِبَيِّنَاتٍ﴾ إذا: أي: لو كنت قارئاً كاتباً ﴿لَآرْتَابَ﴾ شك ﴿الْمُتَّبِعُونَ﴾ اليهود فيك، وقالوا: الذي في التوراة أنه أمة لا يقرأ ولا يكتب.

[٤٩] ﴿بَلْ هُوَ كِتَابٌ قَدِيمٌ﴾ أي: القرآن الذي جئت به ﴿ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ فِي صُورٍ أَلْبِيَنَ﴾ أوثراً العجزة: أي: المؤمنون يحفظونه ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْفٰلِغُونَ﴾ أي: اليهود، وجمحدوها بعد ظهورها لهم.

[٥٠] ﴿وَقَالُوا﴾ أي: كفار مكة: ﴿لَوْلَا﴾ هلاً ﴿أَنْزَلَ عَلَيْهِ﴾ أي: محمد ﴿آيَاتٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ (١) وفي قراءة: ﴿ءَايَاتٍ﴾ كفاقة صالح، وعصا موسى، ومائدة عيسى ﴿فَلْ﴾ لهم: ﴿إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ ينزلها كيف يشاء ﴿وَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ مظهر إنذارى بالنار أهل المعصية.

[٥١] ﴿أَوْلَمْ يَكْفِهِمْ﴾ فيما طلبوا ﴿أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿يُسَلِّى عَلَيْهِمْ﴾ فهو آية مستمرة لا انقضاء لها، بخلاف ما ذكر من الآيات ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّعٰلِمٍ﴾ الكتاب ﴿لَرَحْمَةً وَذِكْرٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

[٥٢] ﴿فَلْ كَفَرَ بِاللَّهِ بَنِي إِسْرٰءِيلَ﴾ بصدقي ﴿يَسَدَّ مَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَيْتِ الْحَرَامِ﴾ ومنه حالي وحالكم ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَيْتِ الْحَرَامِ﴾ وهو ما يعبد من دون الله ﴿وَكَفَرُوا بِاللَّهِ﴾ منكم ﴿أَوْلَيْتُمْ هُمْ فَجَعَلْتُمُ الْمَسٰكِينَ﴾ في صفتهم؛ حيث اشتروا الكفر بالإيمان.

﴿وَلَا تُجِدُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا يَأْتِيكُمْ﴾ أي: المجادلة التي هي أحسن ﴿كالدعاء إلى الله بآياته، والتسبيح على حججه﴾ ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ بأن حاربوا وأبوا أن يؤمنوا بالجزية؛ فجادلوهم بالسيف حتى

[٤٦] ﴿وَلَا تُجِدُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا يَأْتِيكُمْ﴾ أي: المجادلة التي هي أحسن ﴿كالدعاء إلى الله بآياته، والتسبيح على حججه﴾ ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ بأن حاربوا وأبوا أن يؤمنوا بالجزية؛ فجادلوهم بالسيف حتى

[٤٦] ﴿وَلَا تُجِدُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا يَأْتِيكُمْ﴾ أي: المجادلة التي هي أحسن ﴿كالدعاء إلى الله بآياته، والتسبيح على حججه﴾ ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ بأن حاربوا وأبوا أن يؤمنوا بالجزية؛ فجادلوهم بالسيف حتى

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن أبي هريرة قال: كان أهل الكتاب يقرعون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا أَمَّا يَا الَّذِينَ أَنزَلْنَا إِلَيْنَا﴾ وما أنزل إليكم الآية البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة البقرة (٢) باب (١١) قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا... قال الحافظ: «وصحيح البخاري هذا يقتضي أن تجعل هذه الآية تحت قوله تعالى: ﴿قُولُوا أَمَّا يَا الَّذِينَ أَنزَلْنَا إِلَيْنَا وَمَا أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ﴾ وهي الآية (١٣٦) من سورة البقرة... والذي يظهر لي أن النبي ﷺ يشير في هذا الحديث لقوله تعالى: ﴿قُولُوا أَمَّا يَا الَّذِينَ أَنزَلْنَا إِلَيْنَا وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ﴾ من سورة العنكبوت، وذلك أن صدر الآية: ﴿وَلَا تُجِدُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا يَأْتِيكُمْ أَحْسَنُ...﴾ وهذا يتناسب مع معنى الحديث المقصود منه... الفتح (٢٠/٨) بتصريف يسير.

(١١) المناسب أن يقول: إلا الكافرون؛ كاليهود وغيرهم. فالآية تشتم. هؤلاء جميعاً، ولا فائدة في حصصها من اليهود.

[٥٣] ﴿وَسْتَجْلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّهُ ﴿٥٣﴾ لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ عَاجِلًا ﴿٥٤﴾ وَيَأْتِيهِمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ بوقت إتيانه.

[٥٤] ﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ ﴿٥٤﴾ فِي الدُّنْيَا ﴿٥٤﴾ وَرَأَى جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةً بِالْكَافِرِينَ ﴿٥٥﴾.

[٥٥] ﴿يَوْمَ يَنْسُفُهُمُ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ﴿٥٥﴾ وَنَقُولُ ﴿٥٥﴾ فِيهِ: بِالنُّونِ: أَي: نَأْمُرُ بِالْقَوْلِ، وَبِالْيَاءِ: ﴿٥٥﴾ يَقُولُ: أَي: الْمَوْكَلُ بِالْعَذَابِ: ذُو قُوَّةٍ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾: أَي: جَزَاءَهُ فَلَا تَقْوَتُونَ.

[٥٦] ﴿يُعْبَادِي الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَرِيعَةٌ فَإِنِّي فَاعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ فِي أَي أَرْضٍ تَبَشَّرْتُ فِيهَا الْعِبَادَةَ؛ بَأَنَّ تَهَاجَرُوا إِلَيْهَا مِنْ أَرْضٍ لَمْ تَبَشِّرْ فِيهَا، نَزَلَ فِي ضِعْفَاءِ مُسْلِمِي مَكَّةَ كَانُوا فِي ضَيْقٍ مِنْ إِظْهَارِ الْإِسْلَامِ بِهَا.

[٥٧] ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِنَّا نَرْجِعُهُمْ ﴿٥٧﴾ إِلَى الْبَاءِ: ﴿٥٧﴾ بَعْدَ الْمَعْتِ.

[٥٨] ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ ﴿٥٨﴾ نَزَلَتْهُمْ، وَفِي قِرَاءَةِ: ﴿٥٨﴾ بِالْمَثَلَةِ بَعْدَ النُّونِ؛ مِنَ الْفَوَاءِ، وَتَعَدِيَّتِهِ إِلَى ﴿عُرْفًا﴾ بِحَذْفِ «فِي» ﴿مِنْ الْجَنَّةِ عُرْفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ ﴿٥٨﴾ مُقَدَّرِينَ الْخُلُودَ ﴿٥٨﴾ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَمَلِينَ ﴿٥٨﴾ هَذَا الْأَجْرُ.

[٥٩] ﴿هُمُ ﴿٥٩﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا ﴿٥٩﴾: أَي: عَلَى أَذَى الْمُشْرِكِينَ وَالْهَجْرَةِ لِإِظْهَارِ الدِّينِ ﴿٥٩﴾ وَعَلَى رِزْقِهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ فَبِرِزْقِهِمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُونَ.

[٦٠] ﴿وَكَأَيِّنْ ﴿٦٠﴾ كَمْ ﴿٦٠﴾ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ﴿٦٠﴾ لضعفها ﴿اللهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ﴿٦٠﴾ أَيُّهَا الْمُهَاجِرُونَ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَعَكُمْ زَادٌ وَلَا نَفَقَةٌ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ السَّمِيعُ ﴿٦٠﴾ لِأَقْوَالِكُمْ ﴿٦٠﴾ الْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ بِضَمَائِكُمْ.

[٦١] ﴿رَلِينَ ﴿٦١﴾ لَامٍ قَسَمَ ﴿٦١﴾ سَأَلْتَهُمْ ﴿٦١﴾: أَي: الْكُفَّارَ ﴿٦١﴾ مَنِ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لِيَقُولَنَّ اللهُ فَاِنَّ يَوْكُونَ ﴿٦١﴾ بِصُرْفُونَ عَنْ تَوْحِيدِهِ بَعْدَ إِقْرَارِهِمْ بِذَلِكَ.

[٦٢] ﴿اللهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ ﴿٦٢﴾ يَوْسَعُهُ ﴿٦٢﴾ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴿٦٢﴾ امْتِحَانًا ﴿٦٢﴾ وَيَقْدِرُ ﴿٦٢﴾ يَضِيقُ ﴿٦٢﴾ بَعْدَ التَّبْسِطِ؛ أَي: لِمَنْ يَشَاءُ ابْتِلَاءً ﴿٦٢﴾ إِنَّ اللهَ يَكُلُّ شَيْءًا عَالِمٌ ﴿٦٢﴾ وَمِنْهُ مَحَلُّ الْبَسْطِ وَالتَّضْيِيقِ.

[٦٣] ﴿وَلَيِّنْ ﴿٦٣﴾ لَامٍ قَسَمَ ﴿٦٣﴾ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ
وَيَأْتِيهِمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ
وَإِن جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ
مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُو قُوَّةٍ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ
﴿٥٥﴾ يُعْبَادِي الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَرِيعَةٌ فَإِنِّي فَاعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾
﴿٥٧﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِنَّا نَرْجِعُهُمْ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ
ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ عُرْفًا تَجْرِي
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَمَلِينَ ﴿٥٨﴾ الَّذِينَ
صَبَرُوا وَعَلَى رِزْقِهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ
رِزْقَهَا اللهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَيِّنْ
سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ
لِيَقُولَنَّ اللهُ فَاِنَّ يَوْكُونَ ﴿٦١﴾ اللهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ
عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللهُ يَكُلُّ شَيْءًا عَالِمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَيِّنْ
مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا
لِيَقُولَنَّ اللهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾

الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لِيَقُولَنَّ اللهُ ﴿٦٣﴾ فَكَيْفَ يَشْرِكُونَ بِهِ! ﴿٦٣﴾ قُلِ ﴿٦٣﴾ لَهُمْ: ﴿٦٣﴾
﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ عَلَى ثُبُوتِ الْحُجَّةِ عَلَيْكُمْ ﴿٦٣﴾ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾
تَنَاقُضَهُمْ فِي ذَلِكَ.

(١) قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

(٢) وهي قراءة نافع وحزمة والكسائي وعاصم، وفي الآية إثبات صفة القول والكلام، وأنه يتعلق بمشيئة - شيبخائه - واختياره.

(٣) قرأ شعبة بالياء وبقيّة السبعة بالياء.

(٤) أي: وبالياء بدل الهمزة فتكون ﴿لشؤبهم﴾ وهي قراءة حمزة والكسائي.

[٦٧] ﴿وَأَلَمْ يَرَوْا يَعْلَمُوا أَنَّا جَعَلْنَا بِلدِّهِمْ مَكَّةَ حَرَمًا مَأْمُونًا وَيَخَظَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ قتلًا وسيئا دونهم ﴿أَفَيَأْتِيهِمْ الصَّنَمُ﴾ يؤمنون وينعمة الله يكفرون ﴿ياشركاهم﴾
 [٦٨] ﴿وَمَنْ﴾ أي: لا أحد ﴿أظلم من أقرن على الله كذبًا﴾ بأن أشرك به ﴿أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ﴾ النبي أو الكتاب ﴿لَمَّا جَاءَهُ الْبَيِّنَاتُ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى﴾ ماوى ﴿للكافرين﴾ أي: فيها ذلك، وهو منهم.
 [٦٩] ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا﴾ في حقتنا ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ أي: طريق السير إلينا ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ المؤمنين بالنصر والعون^(١).

سورة الروم

[مكية، وهي: ستون، أو: تسع وخمسون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الْعَرَبُ﴾ الله أعلم بمراه في ذلك.
 [٢] ﴿غَلِبَتِ الرُّومُ﴾ وهم أهل الكتاب، غلبتها فارس وليسوا أهل كتاب بل يعبدون الأوثان؛ ففرح كفار مكة بذلك، وقالوا للمسلمين: نحن نغلبكم كما غلبت فارس الروم.
 [٣] ﴿فِي أَدْنَى الْأَرْضِينَ﴾ أي: أقرب أرض الروم إلى فارس بالجزيرة، التقى فيها الجيشان، والبادي بالفزو الفرس ﴿وَهُمْ﴾ أي: الروم ﴿يَرْبُؤُنَا﴾ يمدد عليهم ﴿أَضْيَفَ الْمَصْدَرُ إِلَى الْمَفْعُولِ﴾ أي: غلبة فارس إياهم ﴿سَيَذُبُون﴾ فارس.
 [٤] ﴿فِي بَيْضِ سِينِينَ﴾^(٢) هو ما بين الثلاث إلى التسع أو العشر، فالتقى الجيشان في السنة السابعة من الالتقاء الأول، وغلبت الروم فارس ﴿وَلِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾ أي: من قبل غلب الروم ومن بعده؛ للمعنى: أن غلبة فارس أولاً وغلبة الروم ثانياً بأمر الله؛ أي: إرادته ﴿وَيَوْمَئِذٍ﴾ أي: يوم تغلب الروم ﴿يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾.
 [٥] ﴿يَنْصُرُ اللَّهُ﴾ إياهم على فارس، وقد فرحوا بذلك وعلموا به يوم وقوعه؛ أي: يوم بدر بنزل جبريل بذلك مع فرحهم بنصرهم على المشركين فيه^(٣) ﴿يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ الغالب.
 ﴿الرَّحِيمُ﴾ بالمؤمنين.

وَمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَاؤُا لِلَّهِ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَسْتَمْتِعُوا فَسَوْفَ يَكْفُرُونَ ﴿٦٩﴾ أُولَئِكَ يَرَوْنَ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيَتَخَفَتُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَيَأْتِيهِمْ بَيِّنَاتٌ مِّنَ اللَّهِ لِيَكْفُرُوا بِمَا كَفَرُوا ﴿٦٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ أَقَرَّبَنِي عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾

سورة الروم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 الْعَرَبُ غَلِبَتِ الرُّومُ ﴿١﴾ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَمِنْ بَعْدُ غَلِبَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ فِي بَيْضِ سِينِينَ ﴿٣﴾ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ يَنْصُرُ اللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾

[٦٤] ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾ وأما القرث فمن أمور الآخرة؛ لظهور ثمرتها فيها ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾ بمعنى: الحياة ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك ما أتوا الدنيا عليها.
 [٦٥] ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَاؤُا لِلَّهِ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ أي: الدعاء؛ أي: لا يدعون معه غيره؛ لأنهم في شدة لا يكشفها إلا هو ﴿فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ به.
 [٦٦] ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ﴾ من النعمة ﴿وَلِيَسْتَمْتِعُوا﴾ باجتماعهم على عبادة الأصنام، وفي قراءة^(١): يسكون اللام؛ أمر تهديد ﴿فَسَوْفَ يَكْفُرُونَ﴾ عاقبة ذلك.

(١) فائدة: أخرج الترمذي عن ابن نيار بن مكرم الأسلمي قال: لما نزلت: ﴿الْعَرَبُ غَلِبَتِ الرُّومُ﴾ ﴿فِي أَدْنَى الْأَرْضِينَ وَهُمْ يَرْبُؤُنَا﴾ ﴿بَعْدُ عَلَيْهِمْ سَيِّئَاتُ مَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ في بَيْضِ سِينِينَ... خرج أبو بكر الصديق رضي الله عنه في نواحي مكة: ﴿الْعَرَبُ غَلِبَتِ الرُّومُ﴾ ﴿فِي أَدْنَى الْأَرْضِينَ وَهُمْ يَرْبُؤُنَا﴾ ﴿بَعْدُ عَلَيْهِمْ سَيِّئَاتُ مَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ قال ناس من قريش لأبي بكر: فذلك بيننا وبينكم؛ زعم صاحبك أن الروم ستغلب فارس في بضع سنين؛ أفلا نراهك على ذلك؟ قال: بلى - وذلك قبل تحريم الرهان - فارتهن أبو بكر والمشركون وتواضعوا للرهان، وقالوا لأبي بكر: كم تجمل؟ البضع: ثلاث سنين إلى تسع سنين؛ فسمي بيننا وبينك وسطاً تنتهي إليه. قال: فمشوا بينهم ست سنين. قال: فمضت الست سنين قبل أن يظهروا فأخذ المشركون رهن أبي بكر. فلما دخلت السنة السابعة ظهرت الروم على فارس، فغاب المسلمون على أبي بكر تسمية ست سنين؛ لأن الله تعالى قال: ﴿فِي بَيْضِ سِينِينَ﴾ وأسلم عند ذلك ناس كثير. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٣١) ومن سورة الروم، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٥٥٢).
 (٥٥) ما جاء في نزول الآيات (١ - ٥). أخرج الترمذي عن أبي سعيد الخدري قال: لما كان يوم بدر ظهرت الروم على فارس فأعجب ذلك المؤمنين، فنزلت: ﴿الْعَرَبُ غَلِبَتِ الرُّومُ﴾ إلى قوله: ﴿يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ يَنْصُرُ اللَّهُ؛ قال: ففرح المسلمون بظهور الروم على الفرس. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٣١) سورة الروم، (صحيح بما بعده) صحيح سنن الترمذي (٢٥٥٠).

(١) لخمزة والكسائي وابن كثير وقالوا: (٢) وهذا من لوازم معيته - شيخنا - الخاصة بعبادة المؤمنين، وحققتها الصحبة اللاحقة كما سبق، ولا تنافي بينها وبين كونه مستوياً على عرشه باناً من خلقه.

وَعَدَّ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعَدَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾
 يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ
 غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أُولَئِكَ تَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا
 مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِي رَبِّهِمْ لَكٰفِرُونَ ﴿٨﴾ أَوْلَمْ يَسِيرُوا فِي
 الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا
 أَشَدَّ مَنَهُمْ قُوَّةً وَأَنَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا
 عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ
 لِيَظْلِمَهُمْ وَلٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَتْ
 عَاقِبَةُ الَّذِينَ اسْتَفْتَوْا السُّوَاعِيَ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا
 بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ
 ﴿١١﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبٰسِ الْمَجْرُمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوْ يَكُن لَّهُمْ مِّن
 شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاؤُا وَكَانُوا يُشْرِكُوهُم بِكُفْرِهِمْ
 ﴿١٣﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُؤْمِدُ يُتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ
 ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحٰتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾

والكافرون.

[١٥] فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحٰتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ ﴿١٥﴾ جنة
 يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ يسرون.

[٦] ﴿وَعَدَّ اللَّهُ﴾ مصدر، بدلٌ من اللفظ بفعله، والأصل: وَعَدَّهُمُ اللَّهُ
 النصر ﴿لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعَدَّهُ﴾ به ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ أي: كفار
 مكة^(١) ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ وعده - تعالى - بنصرهم.

[٧] ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي: معاشها من التجارة والزراعة
 والبناء والغرس وغير ذلك ﴿وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ إعادة ﴿هُمْ﴾
 تأكيد.

[٨] ﴿أَوْلَمْ يَسِيرُوا فِي أَنفُسِهِمْ﴾ ليرجعوا عن غفلتهم ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ لذلك نفى عند انتهائه،
 ويعدو البعث ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾ أي: كفار مكة ﴿بِلِقَائِي رَبِّهِمْ
 لَكٰفِرُونَ﴾ أي: لا يؤمنون بالبعث بعد الموت.

[٩] ﴿أَوْلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾
 من الأمم؛ وهي: إهلاكهم بتكذيبهم رسلكم ﴿كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾
 كعاد وشمود ﴿وَأَنَارُوا الْأَرْضَ﴾ حرقوها وقلبوها للزرع والغرس ﴿وَعَمَرُوهَا
 أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾ أي: كفار مكة ﴿وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾
 بالحجج الظاهرات ﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ بإهلاكهم بغير جرم
 ﴿وَلٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بتكذيبهم رسلكم.

[١٠] ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ اسْتَفْتَوْا السُّوَاعِيَ﴾ تأنيث الأسوا: الأقيح، خير
 ﴿كَانَ﴾ على رفع ﴿عَاقِبَةُ﴾^(٢) واسم ﴿كَانَ﴾ على نصب ﴿عَاقِبَةُ﴾
 والمراد بها جهنم وإساءتهم ﴿أَن﴾ أي: بأن ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ القرآن
 ﴿وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ﴾.

[١١] ﴿اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ﴾ أي: ينشئ خلق الناس ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ أي:
 خلقهم بعد موتهم ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ بالياء والتاء^(٣).

[١٢] ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبٰسِ الْمَجْرُمُونَ﴾ يسكت المشركون؛ لانقطاع
 حججهم.

[١٣] ﴿وَلَوْ يَكُن لَّهُمْ﴾ أي: لا يكون ﴿لَّهُمْ مِّن شُرَكَائِهِمْ﴾ ممن أشركوهم
 بالله؛ وهم: الأصنام ليشفعوا لهم ﴿شُفَعَاؤُا وَكَانُوا﴾ أي: يكونون
 ﴿بِشُرَكَائِهِمْ كٰفِرِينَ﴾ أي: متبرئين منهم.

[١٤] ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُؤْمِدُ﴾ تأكيد ﴿يَتَفَرَّقُونَ﴾ المؤمنون

(١) الأولى تفسيرها بالعموم، ويدخل الكفار فيها دخولاً أولياً.

(٢) بالرفع قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو.

(٣) بالياء قراءة أبي عمرو وشعبة.

تدخلون في الصباح، وفيه صلاة الصبح.

[١٨] ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ اعتراض؛ ومعناه: يحمدُه أهلها ﴿وَعَشِيًّا﴾ عطف على ﴿حِينَ﴾، وفيه صلاة العصر ﴿وَبِحِينَ تَطْهَرُونَ﴾ تدخلون في الظهيرة، وفيه صلاة الظهر.

[١٩] ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ كالإنسان من النطفة، والطائر من البيضة ﴿وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ﴾ النطفة والبيضة ﴿مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ﴾ بالنبات ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ أي: يسها ﴿وَكَذَلِكَ الْإِخْرَاجُ﴾ [تَخْرُجُونَ] من القبور؛ بالبناء للفاعل والمفعول^(١).

[٢٠] ﴿وَمِنَ آيَاتِهِ﴾ - تعالى - الدالة على قدرته ﴿أَن خَلَقَكُمْ مِن تُرَابٍ﴾ أي: أصلكم آدم ﴿ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ﴾ من دم ولحم ﴿تَنْتَشِرُونَ﴾ في الأرض.

[٢١] ﴿وَمِنَ آيَاتِهِ أَن خَلَقَ لَكُمْ مِن أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ فخلقت حواء من ضلع آدم، وسائر الناس من نطفة الرجال والنساء ﴿لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾ وتأنفوها ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمُ﴾ جميعاً ﴿مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ إن في ذلك المذكور ﴿لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في صنع الله - تعالى -

[٢٢] ﴿وَمِنَ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافَ أَلْسِنَتِكُمْ﴾ أي: لغاتكم من عربية وعجمية وغيرها ﴿وَالْوَيْكُرَ﴾ من بياض وسواد وغيرهما، وأنتم أولاد رجل واحد وامرأة واحدة ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ﴾ دلالات على قدرته - تعالى - ﴿لِّلْعَالَمِينَ﴾ بفتح اللام وكسرها^(٢)؛ أي: ذوي العقول وأولي العلم.

[٢٣] ﴿وَمِنَ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ بإرادته راحة لكم ﴿وَأَنبِعَاؤُكُمْ﴾ بالنهار ﴿مِن فَضْلِهِ﴾ أي: تصرفكم في طلب المعيشة بإرادته ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ سماع تدبر واعتبار.

[٢٤] ﴿وَمِنَ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ﴾ أي: إراءتكم ﴿الْبَرْقَ حَوَافًا﴾ للمسافر من الصواعق ﴿وَطَمَعًا﴾ للمقيم في المطر ﴿وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ فيحى - به الأرض بعد موتيها^(٣)؛ أي: يسها بأن تنبت ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَلَّذِكُورِ﴾ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَقُولُونَ يتدبرون.

وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ فَسَبِّحْنَا اللَّهُ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ نُخْرِجُكُمْ ﴿١٩﴾ وَمِنَ آيَاتِهِ أَن خَلَقَكُمْ مِن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنَ آيَاتِهِ أَن خَلَقَ لَكُمْ مِن أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴿٢١﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٢﴾ وَمِنَ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافَ أَلْسِنَتِكُمْ وَالْوَيْكُرِ ﴿٢٣﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ﴿٢٤﴾ وَمِنَ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنبِعَاؤُكُمْ مِن فَضْلِهِ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِنَ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ حَوَافًا وَطَمَعًا وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٧﴾

[١٦] ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ القرآن ﴿وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ﴾ البعث وغيره ﴿فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾.

[١٧] ﴿فَسَبِّحْنَا اللَّهُ﴾ أي: سبحوا الله؛ بمعنى: صلوا ﴿حِينَ تُمْسُونَ﴾ أي: تدخلون في المساء؛ وفيه صلاتان: المغرب والعشاء ﴿وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾

(١) بالبناء للفاعل قراءة حمزة والكسائي وابن ذكوان بخلاف عنه.

(٢) بالفتح قراءة السبعة إلا حفصاً.

[٢٥] ﴿وَمِن مَّآيَاتِهِ أَنْ نَقُومَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ بِأَمْرٍ﴾ بإرادته من غير عمد ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ﴾ بأن ينفخ إسرافيل في الصور للبعث من القبور ﴿إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ منها أحياء، فخرجكم منها بدعوة؛ من آياته - تعالى ..

[٢٦] ﴿وَلَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ملكاً وخلقاً وعبداً ﴿كُلُّ لَهٌ قَدِيرٌ﴾ مطيعون.

[٢٧] ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ﴾ للناس ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ بعد هلاكهم ﴿وَهُوَ أَهْوَتْ عَالِمٌ﴾ من البدء، بالنظر إلى ما عند الخطابين من أن إعادة الشيء أسهل من ابتدائه، وإلا فحما عند الله - تعالى - سواء في السهولة ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: الصفة العليا؛ وهي: أنه لا إله إلا الله ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿الْحَكِيمُ﴾ في خلقه.

[٢٨] ﴿ضَرَبَ﴾ جعل ﴿لَكُمْ﴾ أيها الشركون ﴿مَثَلًا﴾ كأننا ﴿بَيْنَ أَنْفُسِكُمْ﴾ وهو: ﴿هَلْ لَكُمْ مَن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ أي: من ممالِككم ﴿بَيْنَ شُرَكَاءَ﴾ لكم ﴿فِي مَا رَزَقْتَكُمْ﴾ من الأموال وغيرها ﴿فَأَنْتُمْ﴾ وهم ﴿فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ أي: أمثالكم من الأحرار؟ والاستشفاع بمعنى النفي؛ المعنى: ليس ممالِككم شركاء لكم - إلى آخره - عندهم؛ فكيف يجعلون بعض ممالِك الله شركاء له؟ ﴿كَذَلِكَ نَقُصِّلُ الْآيَاتِ﴾ نُبَيِّئُهَا مثل ذلك التفصيل ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يتدبرون.

[٢٩] ﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بالإشراك ﴿أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ قَسَّ يَهْدِي مَن أَضَلَّ اللهُ ﴿أَي: لا هادي له ﴿وَمَا لَهُمْ بِنَصْرِيرٍ﴾ مانعين من عذاب الله.

[٣٠] ﴿فَأَقْرَهُ﴾ يا محمد ﴿وَجَهَكَ لِلَّذِينَ حَنِيفًا﴾ مائلاً إليه؛ أي: أخلص دينك لله أنت ومن تبعك ﴿فَطَرَتْ اللهُ﴾ خلقته ﴿الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ وهي دينه؛ أي: الزموها ﴿لَا يَبْدِيلُ لِحَلْقِ اللهِ﴾ لدينه؛ أي: لا تبدلوه بأن تشركوا ﴿ذَلِكَ الَّذِينَ أَنْهَمُ﴾ المستقيم توحيد الله ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ أي: كفار مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ توحيد الله.

[٣١] ﴿مُنِيبِينَ﴾ راجعين ﴿إِلَيْهِ﴾ - تعالى - فيما أمر به ونهى عنه، حال من فاعل ﴿أَقِيمُوا﴾ وما أريد به؛ أي: أقيموا ﴿وَأَتَّقُوا﴾ خافوا ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

وَمِن مَّآيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرٍ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَهٌ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَتْ عَالِمٌ ﴿٢٧﴾ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٨﴾ صَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مَن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْتَكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نَقُصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٩﴾ بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَن أَضَلَّ اللهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَأَقْرَهُ وَجَهَكَ لِلَّذِينَ حَنِيفًا فَطَرَتْ اللهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا يَبْدِيلُ لِحَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الَّذِينَ أَنْهَمُ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣١﴾ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣٢﴾ مِنَ الَّذِينَ قَرَأُوا دِينَهُمْ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٣﴾

[٣٢] ﴿مِنَ الَّذِينَ﴾ بدل بإعادة الجار ﴿قَرَأُوا دِينَهُمْ﴾ باختلافهم فيما يعبدونه ﴿وَكَانُوا شِعْبًا﴾ فرقا في ذلك ﴿كُلُّ حَزْبٍ﴾ منهم ﴿بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ عندهم ﴿فَرِحُوا﴾ مسرورون، وفي قراءة: ﴿فَارْتَوُوا﴾ أي: تركوا دينهم الذي أيزوا به.

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه، أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة جمعا، هل تحسون فيها من جدعاء؟»، يقول أبو هريرة: «فَطَرَتْ اللهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا يَبْدِيلُ لِحَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الَّذِينَ أَنْهَمُ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ» - كتاب الجنائز (٢٣) باب (٧٩) إذا أسلم الصبي فمات؛ هل يُصلى عليه. وكتاب التفسير (٦٥) سورة الروم (٣٠) باب لا تبدل لحق الله. وأخرجه مسلم - كتاب القدر (٤٦) باب (٦) كل مولود يولد على الفطرة. وعنده زيادة قول أبي هريرة: «أقرءوا إن شئتم...».

وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا آذَاهُمْ
 مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا
 آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ
 سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَا آذَنَّا
 النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ
 إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ
 وَيَقْدِرُ لَنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾ فَتَاتَ ذَا الْقُرْبَىٰ
 حَقَّهُ وَالْيَتَامَىٰ وَالسَّبِيلَ وَالَّذِينَ لِلذِّمَىٰ يُرِيدُونَ
 وَجَهَ اللَّهُ وَأَوْلِيَّكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَاءَ آتَيْنَاهُمْ مِنْ رِيًّا
 لِيَرْبُؤُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُوا عِنْدَ اللَّهِ وَمَاءَ آتَيْنَاهُمْ مِنْ
 زَكَاةٍ يُرِيدُونَ وَجَهَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾
 اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ
 شَرِكٍ لِكُمْ مَن يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَ مَن شَاءَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى
 عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ
 أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾

[٣٣] ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ﴾ أي: كفار مكة ﴿ضُرٌّ﴾ شدة ﴿دَعَوْا رَبَّهُمْ
 مُنِيبِينَ﴾ راجعين ﴿إِلَيْهِ﴾ دون غيره ﴿ثُمَّ إِذَا آذَاهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً﴾ بالمطر (١)
 ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾
 [٣٤] ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا﴾ أي: يفتخروا به ﴿فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾

تَعْلَمُونَ ﴿عاقبة تمتعكم، فيه النفاة عن الغيبة.

[٣٥] ﴿أَمْ﴾ بمعنى همزة الإنكار ﴿أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا﴾ حجة وكتاباً
 ﴿فَهُوَ يَتَكَلَّمُ﴾ تكلم دلالة ﴿بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ﴾ أي: بأمرهم بالإشراك!
 لا.

[٣٦] ﴿وَإِذَا آذَنَّا النَّاسَ﴾ كفار مكة وغيرها ﴿رَحْمَةً﴾ نعمة ﴿فَرِحُوا
 بِهَا﴾ فرح بظفر ﴿وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ شدة ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ إذا هم
 يقنطون ﴿يأسون من الرحمة، ومن شأن المؤمن أن يشكر عند النعمة ويرجو
 ربه عند الشدة.

[٣٧] ﴿أَوْ لَمْ يَرَوْا﴾ يعلموا ﴿أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾ يوسع ﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾
 امتحاناً ﴿وَيَقْدِرُ﴾ يضيقة لمن يشاء ابتلاء ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ
 يُؤْمِنُونَ﴾ بها.

[٣٨] ﴿فَتَاتَ ذَا الْقُرْبَىٰ﴾ القرابة ﴿حَقَّهُ﴾ من البرِّ والصلة ﴿وَالْيَتَامَىٰ﴾
 وأين السبيل، المسافر من الصدقة، وأمة النبي تنفع له في ذلك ﴿وَالَّذِينَ لِلذِّمَىٰ﴾
 للذمير يريدون ﴿وَجَهَ اللَّهُ﴾ أي: ثوابه بما يعملون (١) ﴿وَأَوْلِيَّكَ هُمُ
 الْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون.

[٣٩] ﴿وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ رِيًّا﴾ بأن يعطي شيئاً هبة أو هدية ليطلب أكثر
 منه؛ فسمي (٢) باسم المطلوب من الزيادة في المعاملة ﴿لِيَرْبُؤُوا فِي أَمْوَالِ
 النَّاسِ﴾ المعطين؛ أي: يزيد ﴿فَلَا يَرْبُوا﴾ يركو ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ لا ثواب فيه
 للمعطين ﴿وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ زَكَاةٍ﴾ صدقة ﴿يُرِيدُونَ﴾ بها ﴿وَجَهَ اللَّهُ﴾
 فأولئك هم المضعفون ﴿ثوابهم بما أرادوه، فيه النفاة عن الخطاب.

[٤٠] ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ
 شَرِكٍ لَكُمْ﴾ ممن أشركتم بالله ﴿مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَ مَن شَاءَ﴾ لا
 ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ به.

[٤١] ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ﴾ أي: الففار؛ بقحط المطر وقلة النبات
 ﴿وَالْبَحْرِ﴾ أي: البلاد التي عليها الأنهار بقلة مائها ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي
 النَّاسِ﴾ من المعاصي ﴿لِيُذِيقَهُمْ﴾ بالباء والنون (٤) ﴿بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا﴾
 أي: عقوبته ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ يتوبون.

(١) الصواب أن الرحمة عامة وتشمل هنا الخلاص من كل شدة تنزل بهم، وهو المناسب لتفسيره الضر بالشدة. وفي الآية إثبات صفة الرحمة لله سبحانه وتعالى.

(٢) وفي إثبات لصفة الوجه التي أتيها الله ﷻ لنفسه، وتبينها له على الوجه اللاتني به من غير تأويل ولا تعطيل ولا تمثيل ولا تكيف. وقال ابن كثير في تفسير هذه الآية: أي النظر إليه يوم القيامة وهو الغاية القصوى.

(٣) أي: هذا العطاء، سماه الله ﷻ رباً لذلك. وهذا تفسير ابن عباس ومجاهد وقادة وغيرهم لهذه الآية.

(٤) بالنون قراءة قبل بخلاف عنه.

﴿٤٢﴾ ﴿قُلْ﴾ لكفار مكة: ﴿سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ﴾ من قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ ﴿فَأَهْلَكُوا بِإِسْرَافِهِمْ وَمَسَاكِمِهِمْ وَمَنَازِلِهِمْ خَاوِيَةً﴾.

﴿٤٣﴾ ﴿فَأَقْرَهُ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَدِيمِ﴾ دين الإسلام ﴿مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَ لَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ هو يوم القيامة ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدَعُونَ﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الصاد؛ يتفرون بَعْدَ الْحِسَابِ إِلَى الْجَنَّةِ وَالنَّارِ.

﴿٤٤﴾ ﴿مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾ وبال كفره؛ وهو: النار ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ يوطئون منازلهم في الجنة.

﴿٤٥﴾ ﴿لِيَجْزِيَ﴾ متعلق بـ ﴿يَصْدَعُونَ﴾ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِن فَضْلِهِ﴾ يشبههم ﴿إِنَّهُ لَا يَجِبُ الْكُفْرِينَ﴾ أي: يعاقبهم^(١).

﴿٤٦﴾ ﴿وَمِنَ آيَاتِهِ﴾ - تعالى - ﴿أَن يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ﴾ بمعنى: لتبشركم بالمطر ﴿وَلِيُذِيقَكُمْ﴾ بها ﴿مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ المطر والخصب ﴿وَلِيَجْزِيَ الْفُلُوكَ﴾ السفن بها ﴿بِأَمْرِهِ﴾ بإرادته ﴿وَلِيَسْتَمْتُوا﴾ تطلبوا ﴿مِن فَضْلِهِ﴾ الرزق بالتجارة في البحر ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ هذه النعم يا أهل مكة؛ فتوحده.

﴿٤٧﴾ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَهَاجَهُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ بالحجج الواضحات على صدقهم في رسالتهم إليهم؛ فكذبوهم ﴿فَأَنقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرُمُ﴾ أهلكننا الذين كذبوهم ﴿وَكُنَّا حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ على الكافرين ياهلاكهم وإنجاء المؤمنين.

﴿٤٨﴾ ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ تزعجه ﴿فَيَسْطُرُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ من قلة وكثرة ﴿وَيَجْعَلُ السَّحَابَ كِسْفًا﴾ بفتح السين وسكونها^(٢)؛ قطعاً متفرقة ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ﴾ المطر ﴿يَخْرُجُ مِنْ جَلَدٍ﴾ أي: وسطه ﴿فَإِذَا أَصَابَ بِهِ﴾ بالوَدْقِ ﴿مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَشِيرُونَ﴾ يفرحون بالمطر.

﴿٤٩﴾ ﴿وَإِن﴾ وقد ﴿كَانُوا مِن قَبْلِ أَن يُنزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ﴾ تأكيد ﴿لَمُبْلِسِينَ﴾ آيسين من إنزاله.

﴿٥٠﴾ ﴿فَانظُرْ إِلَىٰ [أَنْزَارٍ]﴾^(٣) وفي قراءة: ﴿ءَانزَارٍ﴾ ﴿رَحْمَتِ اللَّهِ﴾ أي:

قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ
كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ فَأَقْرَهُ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَدِيمِ
مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصْدَعُونَ ﴿٤٣﴾
مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾
لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِن فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يَجِبُ
الْكُفْرِينَ ﴿٤٥﴾ وَمِنَ آيَاتِهِ أَن يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ
مِن رَحْمَتِهِ وَلِيَجْزِيَ الْفُلُوكَ بِأَمْرِهِ وَلِيَسْتَمْتُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَهَاجَهُمْ
بِالْبَاطِلِ فَانقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرُمُ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ
الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَسْطُرُهُ
فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ
جَلَدٍ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مِنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَشِيرُونَ ﴿٤٨﴾
وَإِن كَانُوا مِن قَبْلِ أَن يُنزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾
فَانظُرْ إِلَىٰ [أَنْزَارٍ] ﴿٥٠﴾ إِنَّ ذَلِكَ لَمَعَجَى الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥١﴾

نعمته^(٤) بالمطر ﴿كَيْفَ يَجِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ أي: يسها بأن تنبت ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَمَعَجَى الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

(١) وهذا تأويل لصفة الحجة بلازمها، وسبق بيان مذهب السلف في هذه الصفة وغيرها وإثباتها لله ﷻ على الوجه اللائق به.

(٢) بسكون السين قراءة ابن عامر، بخلاف عن هشام.

(٣) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وشعبة، وقرأ بقية السبعة: ﴿أنار﴾.

(٤) نعمته - شينخائه - بالمطر أثر من آثار رحمته. وفي الآية إثبات صفة الرحمة لله ﷻ.

[٥٣] ﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَىٰ عَنْ صَلَاتِهِمْ ۖ إِنَّهُمْ مُّسْلِمُونَ﴾ ما ﴿شُعِبٌ﴾ سماع إيهام وقبول ﴿إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾ القرآن ﴿فَهُمْ مُّسْلِمُونَ﴾ مخلصون بتوحيد الله.

[٥٤] ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ﴾ ماء مهين ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ﴾ آخر؛ وهو: ضعف الطفولية ﴿قُوَّةً﴾ أي: قوة الشباب ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ ضعف الكبر وشيب الهرم، والضعف في الثلاثة بضم أوله وفتحها^(١) ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ من الضعف والقوة والشباب والشيبة ﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ﴾ بتدبير خلقه ﴿الْقَدِيرُ﴾ على ما يشاء.

[٥٥] ﴿وَيَوْمَ نَقُومُ السَّاعَةَ يُفْسِدُ﴾ يحلف ﴿الْمُجْرِمُونَ﴾ الكافرون ﴿مَا لَيْسُوا﴾ في القبور ﴿عَبْرَ سَاعَةٍ﴾ قال - تعالى -: ﴿كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾ يصرفون عن الحق: «البعث»، كما صرفوا عن الحق: «الصدق في مدة اللبث».

[٥٦] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ﴾ من الملائكة وغيرهم: ﴿لَقَدْ لَيْسَتْ﴾ في كِتَابِ اللَّهِ ﴿فِيمَا كَتَبَ فِي سَابِقِ عِلْمِهِ﴾ إِنْ يَوْمَ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمَ الْبَعْثِ ﴿الَّذِي أَنْكَرْتُمُوهُ﴾ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿وَقُرْعَهُ﴾

[٥٧] ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ﴾ بالباء والتاء^(٢) ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعَذِرَتَهُمْ﴾ في إنكارهم له ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ لا يطلب منهم العتبي؛ أي: الرجوع إلى ما يرضي الله.

[٥٨] ﴿وَلَقَدْ صَرَبْنَا﴾ جعلنا ﴿لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ تنبيهاً لهم ﴿وَلَكِنْ﴾ لام قسم ﴿جَحْتُمْ﴾ يا محمد ﴿بِآيَاتِنَا﴾ مثل العصا واليد لموسى ﴿لَيَقُولَنَّ﴾ حذف منه نون الرفع لتوالي النونات، والواو ضمير الجمع للقاء الساكنين ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ منهم: ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَنْتُمْ﴾ أي: محمد وأصحابه ﴿إِلَّا مَبْطُلُونَ﴾ أصحاب أباطيل.

[٥٩] ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ التوحيد؛ كما طبع على قلوب هؤلاء.

[٦٠] ﴿فَأَصْبِرْ ۖ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ بالبعث؛ أي: لا يحملتك على الخفة والطيش بترك الصبر؛ أي: لا تتركنه.

وَلَكِنْ أَرْسَلْنَا رِجَالًا مَضْمَرًا لَطَلُوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ ﴿فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْكُفْرَ وَلَا تَسْمَعُ الضُّعْفَ إِذَا وُلُوا مُدْبِرِينَ﴾ وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَىٰ عَنْ صَلَاتِهِمْ ۖ إِنَّهُمْ مُّسْلِمُونَ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُّسْلِمُونَ ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴿وَيَوْمَ نَقُومُ السَّاعَةَ يُفْسِدُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَيْسُوا عَبْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِئْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمَ الْبَعْثِ وَالْكَافِرُونَ ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعَذِرَتَهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿وَلَقَدْ صَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَكِنْ جَحْتُمْ بِآيَاتِنَا لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿فَأَصْبِرْ ۖ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ

[٥١] ﴿وَلَكِنْ﴾ لام قسم ﴿أَرْسَلْنَا رِجَالًا﴾ مضرة على نبات ﴿فَرَأَوْهُ مُضْمَرًا لَطَلُوا﴾ صاروا، جواب القسم ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي: بعد اصفراؤه ﴿يَكْفُرُونَ﴾ يجحدون النعمة بالمطر.

[٥٢] ﴿فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْكُفْرَ وَلَا تَسْمَعُ الضُّعْفَ إِذَا وُلُوا بِتَحْقِيقِ الْهَمَزَيْنِ، وتسهيل الثانية بينها وبين الباء^(١) ﴿وَأُولُوا مُدْبِرِينَ﴾

(١) التسهيل قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو.

(٢) بالضم قراءة السبعة عدا حمزة وشعبة، وحفص في أحد الوجهين، والوجه الآخر لحفص بخلف عنه، وحمزة، وشعبة: ﴿ضعف﴾ بالفتح.

(٣) بالناء قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِيَّ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٣﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يُعْطِيهِ وَيَنْبَغِي لَهُ أَنْ تَشْرِكَ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَيَّا عَلَى وَهْنٍ وَفَضَّلَهُ فِي عَمَلَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ ﴿١٥﴾ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفٌ وَأَتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ يَبْنِي إِلَهُهَا إِنَّ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٧﴾ يَبْنِي أَقْرَبَ الصَّلَاةِ وَأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٨﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٩﴾ وَأَقْصِدْ فِي مَسْجِدِكَ وَاعْصُصْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿٢٠﴾

[١٢] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾ منها: العلم والديانة والإصابة في القول، وحكمته كثيرة مأثورة، كان يفتي قبل بعثة داود، وأدرك بعثته وأخذ عنه العلم وترك الفتيا، وقال في ذلك: ألا أكتفي إذا كتفتي^(١)، وقيل له: أي الناس شر؟ قال: «الذي لا يبالي إن رآه الناس مسيئاً» ﴿وَأَنْ﴾ أي: وقلنا له: أن

﴿أَشْكُرْ لِيَّ﴾ على ما أعطاك من الحكمة ﴿وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ لأن ثواب شكره له ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ النعمة ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ﴾ عن خلقه ﴿حَمِيدٌ﴾ محمود في صنعه.

[١٣] ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يُعْطِيهِ﴾ تصغير إشفاق ﴿لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ بالله ﴿أَطْلُقُ عَظِيمٌ﴾ فرج إليه وأسلم.

[١٤] ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ﴾ أمرناه أن يبرهنهما ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ﴾ هونت ﴿وَهَيَّا عَلَى وَهْنٍ﴾ أي: ضعفت للحمل، وضعفت للطلق، وضعفت للولادة ﴿وَفَضَّلَهُ﴾ أي: فطامه ﴿فِي عَمَلَيْنِ﴾ وقلنا له: ﴿أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ﴾ أي: المرجع.

[١٥] ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ موافقة للواقع ﴿فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفٌ﴾ أي: بالمعروف؛ البر والصلة^(٢) ﴿وَأَتَّبِعْ سَبِيلَ﴾ طريق ﴿مَنْ أَنَابَ﴾ رجع ﴿إِلَيَّ﴾ بالطاعة ﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ بما كنتم تعملون ﴿فَأُجَازِيكُمْ﴾ عليه، وجملة الوصية وما بعدها اعتراض.

[١٦] ﴿يَبْنِي إِلَهُهَا﴾ أي: الخصلة السيئة ﴿وَإِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: في أخفى مكان من ذلك ﴿يَأْتِ بِهَا اللَّهُ﴾ فيحاسب عليها ﴿إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ﴾ باستخراجها ﴿خَبِيرٌ﴾ بمكانها.

[١٧] ﴿يَبْنِي أَقْرَبَ الصَّلَاةِ وَأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ﴾ بسبب الأمر والنهي ﴿وَإِنَّ ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿يُؤْتِي حَزْرًا﴾ أي: معزوماتها التي يعزم عليها لوجوبها.

[١٨] ﴿وَلَا تُصَعِّرْ﴾ وفي قراءة^(٣): ﴿تُضَاعِرْ﴾ ﴿خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ لا تمل وجهك عنهم تكبراً ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ أي: خيلاء ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ﴾ متبختر في مشيه ﴿فَخُورٍ﴾ على الناس.

[١٩] ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَسْجِدِكَ﴾ توسط فيه بين الדיب والإسراع، وعلبك السكنية والوقار ﴿وَاعْصُصْ﴾ اخفض ﴿مِنْ صَوْتِكَ﴾ إن أنكر الأصوات ﴿أَقْبَحُهَا﴾ لصوت الحمير ﴿أَوَّلُهُ زَفِيرٌ وَأَجْرُهُ شَهِيحٌ﴾.

(٥) ما جاء في نزول الآيتين (١٤، ١٥): أخرج مسلم عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: نزلت في أربع آيات - فذكر قصة - ... قال: حلفت أم سعد أن لا تكلمه أبداً حتى يكفر بدينه، ولا تأكل ولا تشرب؛ قالت: زعمت أن الله أوصاك بوالديك، وأنا أمك، وأنا أمرك بهذا، قال: فكنت ثلاثاً حتى غشي عليها من الجهد، فقام ابن لها يقال له: عمارة، فسماها، فجعلت تدعو على سعد، فأنزل الله تعالى في القرآن هذه الآية: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَيَّا عَلَى وَهْنٍ وَفَضَّلَهُ فِي عَمَلَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ﴾ ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي...﴾ وفيها: ﴿وَصَاحِبُهَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفٌ﴾ مسلم، كتاب فضائل الصحابة (٤٤) باب (٥) فضل سعد بن أبي وقاص. وتقدم في تفسير آية العنكبوت (٨) ذكر الاختلاف في قصة سعد والآية التي نزلت فيها، وترجح أنها آية لقمان، والله أعلم.

(١) هذه الأخبار عن لقمان عليه السلام وابنه ما لم تثبت بدليل صحيح، فالأولى أن لا تعتمد في تفسير كلام الله تعالى وأن يقتصر على موضع العبرة والفائدة من القصة.

(٢) الحمزة والكسائي ونافع وأبي عمرو.

[٢٠] ﴿أَلَمْ تَرَوْا﴾ تعلموا يا مخاطبين ﴿أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ﴾ من الشمس والقمر والنجوم؛ لتنتفعوا بها ﴿وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ من الثمار والأنهار والدواب ﴿وَأَنْسَجَ﴾ أوسع وأتم ﴿عَلَيْكُمْ نِعْمَةً ظَهْرَةً﴾ وهي: حسن الصورة وتسوية الأعضاء، وغير ذلك ﴿وَبَاطِنَةً﴾ هي: المعرفة وغيرها ﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾ أي: أهل مكة ﴿مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى﴾ من رسول ﴿وَلَا كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ أنزله الله، بل بالتقليد.

[٢١] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْجِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَنْبَغُ مَا جَعَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا﴾ قال - تعالى -: ﴿أَلَمْ يَبْعُوهُ﴾ ولو كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ أي: موجهاته؟ لا.

[٢٢] ﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ﴾ أي: يُقْبِلُ عَلَى طَاعَتِهِ ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ موحد ﴿فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ بالطرف الأوثق الذي لا يخاف انقطاعه ﴿وَالَىٰ اللَّهُ عَقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ مرجعها.

[٢٣] ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ﴾ يا محمد ﴿كُفْرُهُ﴾ لا تهتم بكفره ﴿إِنَّمَا مَرْجِعُهُمْ فِئْتُهُمْ بِمَا عَمِلُوا﴾ إنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ أي: بما فيها كغيره^(١) فمجاز عليه.

[٢٤] ﴿تُنَبِّئُهُمْ﴾ في الدنيا ﴿قَلِيلًا﴾ أيام حياتهم ﴿ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ﴾ في الآخرة ﴿إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ وهو: عذاب النار لا يجدون عنه محيصًا.

[٢٥] ﴿وَلَيْنٌ﴾ لام قسم ﴿سَأَلْتَهُمْ مَن خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لِيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ حذف منه نون الرفع لتوالي الأمثال، و«واو» الضمير لانقضاء الساكنين ﴿قُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على ظهور الحجة عليهم بالتوحيد ﴿بَلْ أَكْتَرْتُمْ لَا يَتْلُمُونَ﴾ وجوب عليهم.

[٢٦] ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ملكًا وخلقًا وعبادًا؛ فلا يستحق العبادة فيهما غيره ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ﴾ عن خلقه ﴿الْحَكِيمُ﴾ المحمود في صنعته.

[٢٧] ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَدٌ﴾ [وَالْبَحْرِ] ﴿عُطْفٌ عَلَىٰ اسْمِ «أَنْ»﴾ يُنَادُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةَ أَبْحُرٍ مَدَادًا ﴿مَا نَفَذَتْ كَيْدَتُ اللَّهِ﴾ المعبر بها عن معلوماته بِكَيْفِهَا بتلك الأقلام، بذلك اللداد، ولا بأكثر من ذلك؛ لأن معلوماته^(٢) - تعالى - غير متناهية ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لا يعجزه شيء

أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَةً ظَهْرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْجِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَنْبَغُ مَا جَعَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أَوْلَوْكَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٢١﴾ وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ؛ إِنَّمَا مَرْجِعُهُمْ فِئْتُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُنَبِّئُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾ وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَن خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لِيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْتَرْتُمْ لَا يَتْلُمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَدٌ وَالْبَحْرِ يَمْدُودُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفَذَتْ كَيْدَتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا يَعْزُبُكُمْ إِلَّا كَفَافٌ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾

﴿حَكِيمٌ﴾ لا يخرج شيء عن علمه وحكمته.

[٢٨] ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا يَعْزُبُكُمْ إِلَّا كَفَافٌ﴾ خلقًا وبعثًا؛ لأنه بكلمة «كن» فيكون ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ يسمع كل مسموع ﴿بَصِيرٌ﴾ يبصر كل مُبْصِر، لا يشغله شيء عن شيء.

(١) أي: كغير ما في الصدور، فلا تخفى عليه - شيخانته - خافية.

(٢) بالنصب، وهي قراءة أبي عمرو، وقرأ بقية السبعة: ﴿وَالْبَحْرِ﴾ بالضم.

(٣) تفسير كلمات الله بمعلوماته عدول عن ظاهر اللفظ، وهو خلاف ما فهمه السلف منها، وكلماته - شيخانته - هي كلامه وقرله الذي لا نفاذ له؛ فهو - شيخانته - لم يزل ولا يزال يتكلم بما شاء إذا شاء، وما ذهب إليه المفسر راجع إلى مذهب الأشاعرة وغيرهم أن كلام الله معنى واحد قائم بالنفس قديم لا يوصف بالتعدد، وهذا خلاف مذهب السلف وطريقتهم.

أَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿٣٠﴾ هو: يوم القيامة ﴿وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.
 ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾ الثابت ﴿وَأَنَّ مَا
 يَنْشُؤُونَ﴾ بالياء والناء^(١)؛ يعبدون ﴿مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ﴾ الزائل ﴿وَأَنَّ
 اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾ على خلقه بالقهر^(٢) ﴿الْكَبِيرُ﴾ العظيم.
 ﴿٣١﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ﴾ السفن ﴿تَجْرِي فِي الْبَحْرِ يَنْعَمَتَ اللَّهُ
 لِيُرِيكَ﴾ يا مخاطبين بذلك ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾ إن في ذلك لآياتٍ ﴿عَبْرًا لِّكُلِّ
 صَبَّارٍ﴾ عن معاصي الله ﴿شَكُورٍ﴾ لنعتمه.

﴿٣٢﴾ ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ﴾ أي: علا الكفار ﴿مَوْجٌ كَأَنَّ الْبُلْدَانَ
 تَهْتَأُ﴾ أي: لا بدعوا الله مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ ﴿أَي: الدعاء بأن ينجيهم؛ أي: لا
 يدعون معه غيره ﴿فَلَمَّا يَخْتَضِعُونَ لِحُكْمِهِ﴾ متوسط بين الكفر
 والإيمان، ومنهم باقى على كفره ﴿وَمَا يَحْمَدُوا بِمَا نَزَّلْنَا﴾ ومنه الإنجاء من الموج
 ﴿إِلَّا كَلَّ خَسَارٍ﴾ غدارٍ ﴿كُفُورٍ﴾ ليقم الله تعالى.

﴿٣٣﴾ ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ أي: أهل مكة^(٣) ﴿أَنْقَرًا رَّيِّبًا﴾ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا
 يَجْرِي فِيهَا سِوَى اللَّهِ عَن وَالِدٍ عَن وَالِدِهِ فِيهِ شَيْءٌ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٍ عَن
 وَالِدِهِ فِيهِ شَيْءٌ إِلَّا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا بِالْبَعْثِ ﴿فَلَا تَعْرَبْكُمْ الْحَيَاةُ
 الدُّنْيَا﴾ عن الإسلام ﴿وَلَا يَغُرُّكُمْ بِاللَّهِ﴾ في جلبيه وإمهاله ﴿الْعُرُورُ﴾
 الشيطان.

﴿٣٤﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ متى تقوم ﴿وَيُنزِلُ﴾ بالتخفيف
 والتشديد^(٤) ﴿الْقَيْطَ﴾ بوقت يعلمه ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾ أذكو أم أنثى،
 ولا يعلم واحدًا من الثلاثة غير الله . تعالى . ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ
 عَدًّا﴾ من خير أو شر، ويعلمه الله . تعالى . ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ
 تَمُوتُ﴾ ويعلمه الله . تعالى . ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بكل شيء ﴿خَبِيرٌ﴾ بباطنه
 كظاهره، روى البخاري عن ابن عمر حديث: ﴿مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ خَمْسَةٌ﴾: ﴿إِنَّ
 اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ إلى آخر السورة^(٥).

الزُّرَّانَ اللَّهُ يُوَلِّعُ الْبَلَّ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّعُ النَّهَارَ فِي الْبَلِّ
 وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلَّهُمَا لِيَجْرِيَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ
 بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ
 مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٣٦﴾ الزُّرَّانَ
 الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ يَنْعَمَتَ اللَّهُ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ
 فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٧﴾ وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ
 كَأَنَّ الْبُلْدَانَ دَعْوَاهُمْ لَعْنَةُ الَّذِينَ قَلَّمَا تَحْمَدُونَهُمْ إِلَى الْبَرِّ
 فَيَنْهَمُّ مُثَقَلِينَ ﴿٣٨﴾ وَمَا يَجْحَدُوا بِآيَاتِنَا إِلَّا كَلُّ خَسَارٍ كَفُورٍ
 ﴿٣٩﴾ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَتْفُورًا تَكُومٌ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْرِي وَالِدٌ
 عَن وَالِدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ
 حَقٌّ فَلَا تَغُرُّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرُّكُمْ بِاللَّهِ
 الْعُرُورُ ﴿٤٠﴾ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ
 وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ عَدًّا
 وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٤١﴾

سُورَةُ الْبَقَرَةِ

﴿٢٩﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تعلم يا مخاطب ﴿أَنَّ اللَّهَ يُوَلِّعُ﴾ يدخل ﴿الْبَلَّ﴾ فِي
 النَّهَارِ وَيُوَلِّعُ النَّهَارَ﴾ يدخله ﴿فِي الْبَلِّ﴾ فيزيد كل منهما بما نقص
 من الآخر ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلَّهُمَا لِيَجْرِيَ﴾ في فلكه ﴿إِلَىٰ

(١) بالبناء قراءة نافع وابن كثير وابن عامر وشعبة.

(٢) وهذا من قصر العام على بعض أفرادها، والله سبحانه له العلو المطلق ذاتًا وشتاتًا وقهرًا.

(٣) الخطاب لأهل مكة ولغيرهم.

(٤) بالتخفيف قراءة حمزة والكسائي وابن كثير وأبي عمرو.

(٥) البخاري (٤٦٢٧) بلفظ «مفتاح» وأخرجه أيضًا في (٤٧٧٨) بنحو هذا اللفظ.

سُورَةُ التَّحْوِةِ

[مكية، ثلاثون آية] (*)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- [١] ﴿الْم﴾ الله أعلم بمراده به.
- [٢] ﴿تَنْزِيلَ الْكِتَابِ﴾ القرآن، مبتدأ ﴿لَا رَيْبَ﴾ شك ﴿فِيهِ﴾ خبر أول ﴿مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ خبر ثان.
- [٣] ﴿أَمْ﴾ بل ﴿يَقُولُونَ أَفَرَبَّهُ﴾ محمدا؟ لا ﴿بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ لتُذِرَكَ به ﴿فَوَمَا مَأْ﴾ نافية ﴿أَنْتَهُمْ مِن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ بإنذارك.
- [٤] ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أولها الأحد وأخرها الجمعة^(١) ﴿ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ هو في اللغة: سرير الملك، استواءً يليق به^(٢) ﴿وَمَا لَكُمْ﴾ يا كفار مكة ﴿مِن دُونِهِ﴾ أي: غيره ﴿مِن وَلِيٍّ﴾ اسم ﴿مَا﴾ بزيادة من؛ أي: ناصر ﴿وَلَا شَيْعٌ﴾ يدفع عذابه عنكم ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ؟﴾ هذا فتؤمنون؟
- [٥] ﴿يُدِيرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾ مدة الدنيا ﴿ثُمَّ يُعْرِجُ﴾ يرجع الأمر والتدبير^(٣) ﴿إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ في الدنيا، وفي سورة «سأل»: ﴿حَسْبِيَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾^(٤) وهو يوم القيامة؛ لشدة أهواله بالنسبة إلى الكفار، وأما المؤمن فيكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصلحها في الدنيا، كما جاء في الحديث^(٥).
- [٦] ﴿ذَلِكَ﴾ الخالق المدبر ﴿عَلِيمٌ الْعَلِيمِ وَالشَّهَادَةُ﴾ أي: ما غاب عن الخلق وما حضر ﴿الَّذِينَ فِي مَلِكِهِ﴾ المراد في ملكه ﴿الرَّحِيمُ﴾ بأهل طاعته.
- [٧] ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾ بفتح اللام: فعلا ما ضاها صفة، ويسكونها^(٦)؛ بدل اشتمال ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ﴾ آدم ﴿مِن طِينٍ﴾.
- [٨] ﴿ثُمَّ جَعَلَ سَلْطَنَةً﴾ ذريته ﴿مِن سُلْطَنَةٍ﴾ علقه ﴿مِن مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾ ضعيف؛ هو: النطفة.
- [٩] ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ﴾ أي: خلق آدم ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِيٍّ﴾ أي: جعله حيا حساسا بعد أن كان جمادا ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ﴾ أي: لذريته ﴿السَّمْعَ﴾ بمعنى: الأسماع ﴿وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾ القلوب ﴿وَكَلَّمَ مِمَّا تَشْكُرُونَ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْم ﴿تَنْزِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾
 ﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفَرَبَّهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَيْعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ ﴿يُدِيرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يُعْرِجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ ﴿ذَلِكَ عَلَيْهِ الْعِلْمُ وَالشَّهَادَةُ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِن طِينٍ﴾ ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلْطَنَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾ ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ ﴿وَقَالُوا آءِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُم بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ﴾ ﴿قُلْ يَتُوبُ لَكُمْ مَلِكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ إِنَّكُمْ لَأِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾

﴿مَا﴾ زائدة مؤكدة للقلّة.

- [١٠] ﴿وَقَالُوا﴾ أي: منكرو البعث: ﴿أَوَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ﴾ غيبتا فيها بأن صرنا ترابا مختلطا بترابها ﴿أَوَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾؟ استفهام إنكار، بتحقيق الهزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين في الموضوعين^(٧)، قال- تعالى: ﴿بَلْ هُم بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ﴾ بالبعث ﴿كَافِرُونَ﴾.
- [١١] ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿يَتُوبُ لَكُمْ مَلِكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾ أي: يقبض أرواحكم ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ أحياء؛ فيجازيكم بأعمالكم.

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: «كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في الجمعة في صلاة الفجر: ﴿الْم﴾ ﴿تَنْزِيلَ﴾ السجدة، و﴿قُلْ عَلَيَّ الْإِنْسَانِ﴾. البخاري - كتاب الجمعة (١١) باب (١٠) ما يقرأ في صلاة الفجر يوم الجمعة.

وأخرج الترمذي عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا ينام حتى يقرأ: ﴿الْم﴾ ﴿تَنْزِيلَ﴾ و﴿تَنْزِيلَ الَّذِي يَبْدُو أَمْلُكُ﴾. الترمذي - كتاب فضائل القرآن (٤٦) باب (٩) ما جاء في فضل سورة الملك، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٨٧٣).

(١) الأولى أن يقول هنا كما قال في تفسير الآية (٥٩) من سورة الفرقان: «أي: في قدرها؛ لأنه لم يكن ثم شمس».

(٢) سبق التعليق مرارا على هذا التفويض، وذكرنا الفارق بين تفويض الكيفية والذي هو حق، وبين تفويض الممي وأنه خلاف فهم السلف الذين كانوا يعلمون أن الاستواء يفيد الاستقرار والعلو.

(٣) قال ابن جرير في تفسير الآية: «وَأولى الأفعال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: معناه يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يرحل إليه في يوم كان مقدار ذلك اليوم في عروج ذلك الأمر إليه ونزوله إلى الأرض ألف سنة مما تعدون من أيامكم، خمسمائة في النزول وخمسمائة في الصعود؛ لأن ذلك أظهر معانيه وأشبهها بظاهر التنزيل». وفي هذه الآية إثبات لعلو الله- تعالى- على خلقه.

(٤) المعارج: ٤.

(٥) رواه أحمد (١١٢٩٢) وأبو يعلى وابن جرير وابن حبان والبيهقي في البعث عن أبي سعيد الخدري مرفوعا [الدر المنثور (٤١٧/٦)]، وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (٢٠٩٢ ج ٢).

(٦) بسكونها قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

(٧) أي: وتركه، وقرأ ابن عامر بالإحراق في الأول والاستفهام في الثاني، وراجع التعليق على الآية (٨١) من سورة الأعراف.

﴿وَسَمِعْنَا﴾ منك تصديق الرسل فيما كذبناهم فيه ﴿فَأَرْجَعْنَا﴾ إلى الدنيا ﴿نَعْمَلْ صَلِيحًا﴾ فيها ﴿إِنَّا مُقْتَدِرُونَ﴾ الآن؛ فما ينفعهم ذلك، ولا يرجعون، وجواب ﴿تَوَكَّلْ﴾: رأيت أمراً فظيماً، قال - تعالى: - [١٣] ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى﴾ فهندي بالإيمان والطاعة باختيار منها ﴿وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي﴾ وهو: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ﴾ الجن ﴿وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾.

[١٤] وتقول لهم الخزنة^(١) إذا دخلوها: ﴿فَذُوقُوا﴾ العذاب ﴿بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ أي: بترككم الإيمان به ﴿إِنَّا نَسِينَكُمُ﴾ تركناكم في العذاب ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْخَالِدِ﴾ الدائم ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ من الكفر والتكذيب.

[١٥] ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾ القرآن ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا﴾ وعطوا ﴿بِهَا خُرُوجًا سَجْدًا وَسَجُّوهُ﴾ متلبسين ﴿بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ أي: قالوا: «سبحان الله وبحمده» ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ عن الإيمان والطاعة.

[١٦] ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ﴾ ترتفع ﴿عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ مواضع الاضطجاع بفرشها لصلواتهم والليل تهجدًا ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا﴾ من عقابه ﴿وَطَمَعًا﴾ في رحمته^(٢) ﴿وَمِمَّا زَقَنَهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ يتصدقون.

[١٧] ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ﴾ خفي ﴿لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾^(٣) ما تقر به أعينهم؛ وفي قراءة^(٤): بسكون الباء؛ مضارع ﴿جَزَاءً﴾ بما كانوا يعملون.

[١٨] ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَتْ فَاسِقًا﴾ أي: المؤمنون والفاسقون.

[١٩] ﴿أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَزَاءُ تَزْلًا﴾ هو ما بعد للضيف ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

[٢٠] ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا﴾ بالكفر والتكذيب ﴿فَمَا وَهُمْ نَارًا كَمَا أَرَادُوا﴾ أن يخرجوا منها أعيدها فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون.

﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُرْمُوتِ نَاكِسَوْرًا وَسَهْمَ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿فَذُوقُوا﴾ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَكُمُ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخَالِدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا خُرُوجًا سَجْدًا وَسَبُّوحًا يُحْمَدُ رَبَّهُمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا زَقَنَهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ﴾ ﴿أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَزَاءُ تَزْلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَا لَهُمْ نَارًا تَارَةً كَمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ﴾

[١٢] ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُتَجَرِّبِينَ﴾ الكافرون ﴿نَاكِسَوْرًا﴾ وهم عند ربهم ﴿مطاطرها حياءً يقولون: ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا﴾ ما أنكرنا من البعث

(٥) ما جاء في نزول الآية (١٦): أخرج الترمذي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن هذه الآية: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا...﴾ نزلت في انتظار الصلاة التي تُدعى العتمة الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٣٣) ومن سورة السجدة، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٥٥٤).

(٥٥) فائدة: أخرج مسلم عن سهل بن سعد قال: شهدت من رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسًا وصف فيه الجنة حتى انتهى، ثم قال صلى الله عليه وسلم: فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ثم اقرأ هذه الآية: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا زَقَنَهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾. مسلم - كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٥١) حديث رقم (٢٨٢٥).

(١) لا ملجئ لحمل اللفظ على خلاف ظاهره وجعل القول للخزنة، وكلام الله - سبحانه - المنفي عنهم في الآخرة هو كلام الرحمة والإكرام لا الزجر والتوبيخ.

(٢) أي: ﴿أخفى﴾، وهي حمزة.

﴿وَلَنذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلَدِّ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ ﴿١١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لِمَا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ بِفَصْلِ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَتَخِفَتُونَ ﴿١٥﴾ مِنْ أَمْرِ الدِّينِ. ﴿١٦﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمَا هَلَكَنَا مِنْ قَبْلِهِمْ ﴿١٧﴾ أَي: يتبين لكفار مكة إهلاكنا كثيرا ﴿١٨﴾ مِنَ الْقُرُونِ ﴿١٩﴾ الْأُمَمِ بِكُفْرِهِمْ ﴿٢٠﴾ يَمْشُونَ ﴿٢١﴾ حَالٌ مِنْ ضَمِيرِ ﴿٢٢﴾ فِي مَسْكِتِهِمْ ﴿٢٣﴾ فِي أَسْفَارِهِمْ إِلَى الشَّامِ وَغَيْرِهَا؛ فَيَعْتَبِرُوا ﴿٢٤﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ ﴿٢٥﴾ دَلَالَاتٍ عَلَى قَدْرَتِنَا ﴿٢٦﴾ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٧﴾ سَمَاعٌ تَدْبِيرٌ وَاتِعَاطٍ؟ ﴿٢٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا سَوَّيْنَا الْأَرْضَ الْجُرُزَ فَفُتِحَتْ فِيهَا نَبَاتٌ ﴿٢٩﴾ فَفُتِحَتْ فِيهَا زَرْعًا نَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَمُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٣٠﴾ هَذَا، فَيَعْلَمُونَ أَنَّا نَقْدِرُ عَلَى إِعَادَتِهِمْ. ﴿٣١﴾ وَيَقُولُونَ ﴿٣٢﴾ لِلْمُؤْمِنِينَ: ﴿٣٣﴾ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ ﴿٣٤﴾ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴿٣٥﴾ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ؟ ﴿٣٦﴾ ﴿٣٧﴾ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ ﴿٣٨﴾ يَنْزَالُ الْعَذَابُ بِهِمْ ﴿٣٩﴾ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِسْنَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾ يَمْهَلُونَ لِنُوبَةٍ أَوْ مَعْدَرَةٍ. ﴿٤١﴾ فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَانظُرْ ﴿٤٢﴾ إِنْزَالَ الْعَذَابِ بِهِمْ ﴿٤٣﴾ إِذْ هُمْ مُنْتَظِرُونَ ﴿٤٤﴾ بَلْ حَادَتْ مَوْتٌ أَوْ قَتِلَ فَيَسْتَرْجِعُونَ مِنْكَ، وَهَذَا قَبْلَ الْأَمْرِ بِقِتَالِهِمْ.

سُورَةُ الْأَنْعَامِ

(١) راجع التعليق على الآية (٧٣) من سورة الأنبياء.

(٢) لحمزة والكسائي.

فرتم ﴿لَا تَنْعُونَ﴾ في الدنيا بعد فراركم ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ بقية آجالكم.
 [١٧] ﴿قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ﴾ بجبركم ﴿مِنْ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا﴾ هلاكاً وهزيمة ﴿أَوْ﴾ يصيكم بسوء إن ﴿أَرَادَ﴾ الله ﴿بِكُمْ رَحْمَةً﴾ خيراً؟ ﴿وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿وَلِيًّا﴾ ينفعهم ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ يدفع الضر عنهم.

[١٨] ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّجِينَ﴾ المشطين ﴿وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ﴾ تعالوا ﴿إِنِّي لَا يَأْتُونَ الْبَاسَ﴾ القتال ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ رياء وسمعة.

[١٩] ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾ بالمعاونة، جمع شحيح، وهو حال من ضمير ﴿يَأْتُونَ﴾ ﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَقْرَبُونَ بِكُلِّ بَدَنٍ﴾ كظفر أو كدوران الذي ﴿يُعْتَصِلُ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ أي: سكراته ﴿فَإِذَا ذَهَبَ لَخْوْفُ﴾ وجيزت الغنائم ﴿سَلَفَوْكُمْ﴾ آذوكم أو ضربوكم ﴿يَأْسِيَتُهُ جِدَارٌ أَيْسَىٰ عَلَى الْخَيْرِ﴾ أي: الغنمة يطلبونها ﴿أُولَئِكَ لَمْ يُبَيِّنُوا﴾ حقيقة ﴿فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ﴾ كَانَ ذَلِكَ ﴿الْإِحْبَاطُ﴾ عَلَى اللَّهِ ﴿بَيِّنًا﴾ يارادته.

[٢٠] ﴿يَعْتَسِبُونَ الْأَخْرَابَ﴾ من الكفار ﴿لَمْ يَذْهَبُوا﴾ إلى مكة؛ لخرقهم منهم ﴿وَإِنْ يَأْتِ الْأَخْرَابَ﴾ كزوة أخرى ﴿يُؤَدُّوهُا﴾ يمتنوا ﴿لَوْ أَنَّهُمْ بَادَرُوتْ فِي الْأَعْرَابِ﴾ أي: كائنون في البادية ﴿يَسْتَلُوتْ عَنْ أُنْبِيَائِكُمْ﴾ أخباركم مع الكفار ﴿لَوْ كَانُوا فِيكُمْ﴾ هذه الكزوة ﴿مَا قَتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾ رياء وخوفاً من التعبير.

[٢١] ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ﴾ [إشارة] ﴿بِكسر الهمزة وضمها﴾ ﴿حَسَنَةٌ﴾ اقتداء به في القتال والنبات في موطنه ﴿لَمَنْ﴾ بدل من ﴿لَكُمْ﴾ ﴿كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ﴾ يخافه ﴿وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ وذكر الله كثيراً ﴿بِخلاف من ليس كذلك﴾.

[٢٢] ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَخْرَابَ﴾ من الكفار ﴿قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ من الابتلاء والنصر ﴿وَصَدَّقَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ﴾ في الوعد ﴿وَمَا زَادَهُمْ﴾ ذلك ﴿إِلَّا إِيمَانًا﴾ تصديقاً بوعده الله ﴿وَتَسْلِيمًا﴾ لأمره.

قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٧﴾ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٨﴾ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّجِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِنِّي لَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٩﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورًا عَيْنُهُمْ كَالَّذِي يُغْتَبَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَفَوْكُمْ يَأْسِيَتُهُ جِدَارٌ أَيْسَىٰ عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٢٠﴾ يَحْسَبُونَ الْأَخْرَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَخْرَابُ يُؤَدُّوهُا لَوْ أَنَّهُمْ بَادَرُوتْ فِي الْأَعْرَابِ يَسْتَلُوتُونَ عَنْ أَنْبِيَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢١﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَخْرَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَّقَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٣﴾

[١٦] ﴿قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا إِنْ

[٢٣] ﴿يَنْ أَلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ من الثبات مع النبي ﷺ ﴿فِيهِمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ﴾ مات أو قتل في سبيل الله ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ﴾ ذلك ﴿وَمَا بَدَلُوا بُدْيَالًا﴾ في العهد، وهم بخلاف حال المنافقين (١).
 [٢٤] ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ﴾ بأن يمتهم على نفاقهم ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ كَانَ غَفُورًا﴾ لمن تاب ﴿رَحِيمًا﴾ به.

[٢٥] ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: الأحزاب ﴿بِعِظْمِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا﴾ مرادهم من الظفر بالمؤمنين ﴿وَكَفَىٰ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ بالريح والملائكة ﴿وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا﴾ على إيجاد ما يريد ﴿عَزِيزًا﴾ غالباً على أمره.

[٢٦] ﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَهَرُوهُ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ أي: قريظة ﴿وَمِنْ صَيَاصِيهِمْ﴾ حصونهم، جمع صيصه؛ وهو: ما يتحصن به ﴿وَوَقَدَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرَّعْبَ﴾ الخوف ﴿فَرِيقًا تَقَاتَلُوا﴾ منهم؛ وهم: المقاتلة ﴿وَتَأْسَرُوا قَرِيبًا﴾ منهم؛ أي: الدراري.

[٢٧] ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوْهُا﴾ بغد؛ وهي: خيبر أخذت بعد قريظة ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾.

[٢٨] ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ قُلٌ لِأَرْزَاقِكُمْ﴾ وهن تسع، وطلبن منه من زينة الدنيا ما ليس عنده؛ ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَرَبَّتْهَا فَمَا لَكُمُ أَمْتَعْتُمْ﴾ أي: متعة الطلاق ﴿وَأَسْرَعْتُمْ سَرْعًا جِيلًا﴾ أطلقن من غير ضرار.

[٢٩] ﴿وَلَنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْآخِرَةَ﴾ أي: الجنة ﴿فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنِينَ مِنَ الْآخِرَةِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ أي: الجنة؛ فآخرون الآخرة على الدنيا (٢).

[٣٠] ﴿يَنْبَسَاءُ النَّبِيُّ مَنْ يَأْتِي مِنْكُمْ بِفَحْشَةٍ﴾ [مُتَّبِعَةً] ﴿بِفَتْحِ الْبَاءِ وَكسرها﴾ أي: يبيث، أو هي بيثة ﴿يُضَعَّفُ﴾ وفي قراءة (٣): ﴿يُضَعَّفُ﴾ بالتشديد، وفي أخرى (٤): ﴿تُضَعَّفُ﴾ بالنون معه وتَضَبُّ ﴿الْعَذَابِ﴾ ﴿لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ ضعفي عذاب غيرهن، أي: مثليه ﴿وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾.

مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فِيهِمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ وَمَا بَدَلُوا بُدْيَالًا لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعِظْمِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَانَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَهَرُوهُ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَدَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرَّعْبَ فَرِيقًا تَقَاتَلُوا وَتَأْسَرُوا قَرِيبًا وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوْهُا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ قُلٌ لِأَرْزَاقِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَرَبَّتْهَا فَمَا لَكُمُ أَمْتَعْتُمْ وَأَسْرَعْتُمْ سَرْعًا جِيلًا وَإِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنِينَ مِنَ الْآخِرَةِ أَجْرًا عَظِيمًا يَنْبَسَاءُ النَّبِيُّ مَنْ يَأْتِي مِنْكُمْ بِفَحْشَةٍ مُبَيِّنَةً يُضَعَّفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا

(٥) ما جاء في نزول الآية (٢٣): أخرج البخاري عن أنس بن مالك ؓ قال: غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر، فقال: يا رسول الله، غبت عن أول قتال قاتلت المشركين، لئن الله أشهدني قتال المشركين ليرين الله ما أصنع، فلما كان يوم أحد وانكشف المسلمون، قال: اللهم إني اعتذرت إليك مما صنع هؤلاء - يعني أصحابه - وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء - يعني المشركين - ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ، فقال: يا سعد بن معاذ، الجنة ورب النضر، إني لأجد ريحها من دون أحد.

قال سعد: فما استطعت يا رسول الله ما صنع. قال أنس: فوجدنا به بضعا وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة بالرمح أو رمية بسهم، ووجدناه قد قتل وقد مقل به المشركون، فما عرفه أحد إلا أخته بينانه، قال أنس: كما نرى - أو نظن - أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه: ﴿يَنْ أَلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ إلى آخر الآية. البخاري - كتاب الجهاد والسير (٥٦) باب (١٢).

(٥٥) ما جاء في نزول الآية (٢٨، ٢٩): أخرج مسلم عن جابر بن عبد الله قال: دخل أبو بكر يستأذن على رسول الله ﷺ فوجد الناس جلوسا يباه له لم يؤذن لأحد منهم. قال: فأذن لأبي بكر فدخل، ثم أقبل عمر فاستأذن فأذن له، فوجد النبي ﷺ جالسا حوله نساؤه واجما ساكتا. قال: فقال: لأقولن شيئا أضحك النبي ﷺ فقال: يا رسول الله لو رأيت بنت خارجة سألتني النفقة فقممت إليها فوجأت عفتها، فضحك رسول الله ﷺ وقال: «هن حولي كما ترى يسألني النفقة، فقام أبو بكر إلى عائشة يجأ عنقها، فقام عمر إلى حفصة يجأ عنقها، كلاهما يقول: تسألن رسول الله ﷺ ما ليس عنده، قلن: والله لا نسأل رسول الله ﷺ شيئا أبداً ليس عنده، ثم اعترلهن شهراً أو تسعاً وعشرين. ثم نزلت عليه هذه الآية: ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ قُلٌ لِأَرْزَاقِكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ قال: فبدأ بعائشة فقال: «يا عائشة، إني أريد أن أعرض عليك أمراً أحب أن لا تعجلي فيه حتى تستشيرني أبويك». قالت: وما هو يا رسول الله؟

فتلا عليها الآية قالت: أفيك يا رسول الله أستشير أبوي؟ بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة، وأسألك أن لا تخبر امرأة من نسائك بالذي قلت. قال: «ولا تسألني امرأة منهم إلا أخبرتها؛ إن الله لم يعطني متناً ولا ممتناً، ولكن بعثني معلماً ورسولاً». مسلم - كتاب الطلاق (١٨) باب (٤) بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقاً إلا بنية.

(١) بالفتح قراءة ابن كثير وشعبة.

(٢) لأبي عمرو.

(٣) لابن كثير وابن عامر.

﴿ وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُمْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴾ ﴿٣١﴾ يَنْسَاءَ النَّبِيُّ لَسُنَّتْ كَأَحْرَمٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ تَقَيَّنَتْ فَلَا تَخْضَعَنَّ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرْضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَأذْكَرْنَ مَا يَسْتَلِي فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّادِرِينَ وَالصَّادِرَاتِ وَالْحَنِيعِينَ وَالْحَنِيعَاتِ وَالْمُتَّصِدِّقِينَ وَالْمُتَّصِدِّقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْحَافِظِينَ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾

﴿٣٢﴾ ﴿يَنْسَاءَ النَّبِيِّ لَسُنَّتْ كَأَحْرَمٍ﴾ كجماعة ﴿مِنَ النِّسَاءِ﴾ إِنْ تَقَيَّنَتْ ﴿اللَّهُ فَإِنَّكَ أَعْظَمُ﴾ ﴿فَلَا تَخْضَعَنَّ بِالْقَوْلِ﴾ لِلرَّجَالِ ﴿فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرْضٌ﴾ نفاق ﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ مِنْ غَيْرِ خُضُوعٍ.

﴿٣٣﴾ ﴿وَقَرْنَ﴾ بِكسر القاف وفتحها ﴿٣١﴾ ﴿فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ مِنَ الْقِرَاءِ وَأَصْلُهُ: «أَقْرَن» بِكسر الراء وفتحها؛ مِنْ قَرَرْتُ، بفتح الراء وكسرهما، نُقِلَتْ حَرَكَةُ الرَّاءِ إِلَى الْقَافِ، وَحَدَّثَتْ مَعَ هَمْزَةِ الْوَصْلِ ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ﴾ بِتَرْكِ إِحْدَى النَّائِبَيْنِ مِنْ أَصْلِهِ ﴿تَبَرَّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ أَي: مَا قَبْلَ الْإِسْلَامِ مِنْ إِظْهَارِ النِّسَاءِ مُحَاسِنَهُنَّ لِلرَّجَالِ، وَالْإِظْهَارُ بَعْدَ الْإِسْلَامِ مَذْكَورٌ فِي آيَةٍ: ﴿وَلَا يُدِيرُكَ زِينَتُهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ ﴿٣١﴾ ﴿وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ الْإِسْمَ بِأَهْلِ الْبَيْتِ أَي: نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

﴿٣٤﴾ ﴿وَأذْكَرْنَ مَا يَسْتَلِي فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ﴾ الْقُرْآنَ وَالْحِكْمَةَ الشَّيْءُ ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا﴾ بِأَوْلِيَاءِهِ ﴿خَبِيرًا﴾ بِجَمِيعِ خَلْقِهِ.

﴿٣٥﴾ ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّادِرِينَ وَالصَّادِرَاتِ وَالْحَنِيعِينَ وَالْحَنِيعَاتِ وَالْمُتَّصِدِّقِينَ وَالْمُتَّصِدِّقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْحَافِظِينَ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ وَالذَّاكِرَاتِ﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً ﴿وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ عَلَى الطَّاعَاتِ (٣٥).

﴿٣١﴾ ﴿وَمَنْ يَقْنُتْ﴾ يَطِيعُ ﴿مِنْكُمْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا﴾ نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ أَي: مِثْلِي ثَوَابٍ غَيْرِهِنَّ مِنَ النِّسَاءِ، وَفِي قِرَاءَةِ (١): بِالْحَتَّائِيَةِ فِي «تَعْمَلْ» ﴿وَنُؤْتِهَا﴾ ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ فِي الْجَنَّةِ زِيَادَةً.

(٥) مَا جَاءَ فِي نَزْوِلِ الْآيَةِ (٣٣): أَخْرَجَ أَحْمَدُ عَنْ أُمِّ سَلْمَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - تَذَكُّرَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ فِي بَيْتِهَا، فَأَتَتْهُ فَاطِمَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - بِبِرْمَةٍ فِي خَزِيرَةٍ، فَدَخَلَتْ بِهَا عَلَيْهِ فَقَالَ لَهَا: «دَاعِي زَوْجِكَ وَابْنِكَ». قَالَتْ: فَجَاءَ عَلِيُّ وَالْحُسَيْنُ وَالْحَسَنُ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ، فَجَلَسُوا يَأْكُلُونَ مِنْ تِلْكَ الْخَزِيرَةِ، وَهُوَ عَلَى نَامَةِ لَهُ عَلَى دُكَّانٍ تَحْتَهُ كِسَاءٌ لَهُ خَيْرِي، قَالَتْ: وَأَنَا أَصْلِي فِي الْحِجْرَةِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

قَالَتْ: فَأَخَذَ فَضْلُ الْكِسَاءِ فغَشَاهُمْ بِهِ، ثُمَّ أَخْرَجَ يَدَهُ فَأَوْلَى بِهَا إِلَى السَّمَاءِ، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي وَخَاصَتِي؛ فَأَذْهِبْ عَنْهُمْ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيرًا، اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي وَخَاصَتِي فَأَذْهِبْ عَنْهُمْ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيرًا». قَالَتْ: فَأَدْخَلَتْ رَأْسِي الْبَيْتَ فَقُلْتُ: وَأَنَا مَعَكُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «إِنَّكَ إِلَى خَيْرٍ، إِنَّكَ إِلَى خَيْرٍ». أَحْمَدُ - الْمُسْنَدُ (٢٩٢/٦)، وَصَحِيحَةُ الْأَرْنَؤُوطِ بِمَجْمُوعِ طَرَفِهِ عَلَى تَخْرِيجِهِ عَلَى الْمُسْنَدِ (١١٧/٤٤، ١١٨)، وَأَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ عَنْ عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلْمَةَ بِنَحْوِهِ مُخْتَصِرًا. (صَحِيحٌ)، صَحِيحُ سَنَنِ التِّرْمِذِيِّ (٢٥٦٢). وَالْخَزِيرَةُ: لَحْمٌ يَفْطَعُ صَخْرًا وَيَصَبُّ عَلَيْهِ مَاءٌ كَثِيرٌ، فَإِذَا نَضَجَ دُرُّ عَلَيْهِ الدَّقِيقُ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ لَحْمٌ فَهِيَ عَصِيدَةٌ. وَقِيلَ غَيْرَ ذَلِكَ. وَالرِّمَّةُ: الْقَدْرُ مَطْلَقًا، وَجَمْعُهَا: بِرَامٌ، وَالنَامَةُ هُنَا: الْقَطِيفَةُ. وَالذُّكَّانُ: الدُّكَّةُ الْبَنِيَّةُ لِلْجُلُوسِ عَلَيْهَا. النِّهَايَةُ (١٢١/١، ١٣١/٥، ١٢٨/٢).

(٥) مَا جَاءَ فِي نَزْوِلِ الْآيَةِ (٣٥): أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ عَنْ أُمِّ عِمْرَانَ الْأَصْبَارِيَّةِ أَنَّهَا أَتَتْ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَتْ: مَا أَرَى كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا لِلرَّجَالِ، وَمَا أَرَى النِّسَاءَ يَذْكَرْنَ بِشَيْءٍ. فَنَزَلَتْ: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّادِرِينَ وَالصَّادِرَاتِ وَالْحَنِيعِينَ وَالْحَنِيعَاتِ وَالْمُتَّصِدِّقِينَ وَالْمُتَّصِدِّقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْحَافِظِينَ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ وَالذَّاكِرَاتِ﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا. (صَحِيحُ الْإِسْنَادِ) صَحِيحُ سَنَنِ التِّرْمِذِيِّ (٢٥٦٥). وَأَخْرَجَ أَيْضًا عَنْ مُجَاهِدٍ عَنْ أُمِّ سَلْمَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: يَبْزُو الرِّجَالُ وَلَا يَبْزُو النِّسَاءَ، وَإِنَّمَا لَنَا نِصْفُ الْبِرِّ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [النِّسَاءُ: ٣٢]. قَالَ مُجَاهِدٌ: فَأَنْزَلَ فِيهَا: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾. سَبَقَ تَخْرِيجُهُ فِي سُورَةِ النِّسَاءِ آيَةَ (٣٢).

(١) حِجْرَةٌ وَالْكَسْبَائِي.

(٢) بِالْكَسْرِ قِرَاءَةُ السَّبْعَةِ عَدَا عَاصِمَ وَنَافِعَ.

(٣) النُّور: ٣١.

[٤٥] ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا﴾ على من أُرْسِلْتَ إليهم ﴿وَمُبَشِّرًا﴾ من صدقك بالجنة ﴿وَنَذِيرًا﴾ منذرًا من كذبك بالنار [٤٦] ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ﴾ إلى طاعته ﴿يَاذِيئِهِ﴾ بأمره ﴿وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ أي: مثله في الاهتداء به.

[٤٧] ﴿وَيُنِيرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يَأْنُ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿هُوَ الْجَنَّةُ﴾ [٤٨] ﴿وَلَا تَطْعُ الْكٰفِرِينَ وَالْمُنٰفِقِينَ﴾ فيما يخالف شريعتك ﴿وَدَخَّ﴾ اترك ﴿أَذْنَهُمْ﴾ لا تجازهم عليه إلى أن تؤمر فيهم بأمر ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ فهو كافيك ﴿وَكُنْ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ مفوضًا إليه.

[٤٩] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ﴾ وفي قراءة (١): ﴿شَمَاشُوهُنَّ﴾ أي: تجماعوهن ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عَدُوٍّ تَعْتَدُوهُنَّ﴾ تحصونها بالإفراء وغيرها ﴿فَمَتَّعُوهُنَّ﴾ أعطوهن ما يستمتعن به؛ أي: إن لم يُسَمَّ لَهُنَّ أَضِدْفَةٌ، وإلا فلهن نصف المسمى فقط، قاله ابن عباس، وعليه الشافعي ﴿وَسَرَّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ خلوا سبيلهن من غير إضرار.

[٥٠] ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أٰخَلَلْنَا لَكَ اٰزْوَاجَكَ الَّتِي ءَانَيْتِ اٰجْرَهُنَّ﴾ مهورهن ﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا ءَافَاَ اللَّهُ عَلَيْكَ﴾ من الكفار بالسي؛ كصفية وجويرية ﴿وَبَنَاتِ عَمَّتِكَ وَبَنَاتِ خَالَكَ وَبَنَاتِ خَلَّتِكَ﴾ التي هاجرن معك ﴿بِخلاف من لم يهاجرن﴾ ﴿وَأَمْرًا مُؤَمَّنَةً﴾ إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها ﴿يطلب نكاحها بغير صدق﴾ ﴿خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ النكاح بلفظ الهبة من غير صدق ﴿فَدَعَلْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ﴾ أي: المؤمنين ﴿فِي اٰزْوَاجِهِمْ﴾ من الأحكام؛ بأن لا يزيدوا على أربع نسوة، ولا يتزوجوا إلا بولي وشهود ومهر ﴿وَفِي مِمَّا مَلَكَتْ اٰيْمَتُهُمْ﴾ من الإماء بشراء وغيره؛ بأن تكون الأمة ممن تحمل المالكة كالكتابية بخلاف المجوسية والوثنية، وأن تستبرى قبل الوطاء ﴿لِيَكْتَلَا﴾ متعلق بما قبل ذلك ﴿يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾ ضيق في النكاح ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ فيما يعسر التحرز عنه ﴿رَحِيمًا﴾ بالتوسعة في ذلك.

يَحْتَمُّهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ وَسَلَّمَ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٥﴾ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٦﴾ دَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِآذَانِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٧﴾ وَيُنِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٨﴾ وَلَا تَطْعُ الْكٰفِرِينَ وَالْمُنٰفِقِينَ وَدَخَّ أَذْنَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكُنْ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٩﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عَدُوٍّ تَعْتَدُوهُنَّ فَمَتَّعُوهُنَّ وَسَرَّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٥٠﴾ إِنَّا أٰخَلَلْنَا لَكَ اٰزْوَاجَكَ الَّتِي ءَانَيْتِ اٰجْرَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا ءَافَاَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمَّتِكَ وَبَنَاتِ خَالَكَ وَبَنَاتِ خَلَّتِكَ الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَأَمْرًا مُؤَمَّنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي اٰزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ اٰيْمَتُهُمْ لِيَكْتَلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥١﴾

[٤٤] ﴿يَحْتَمُّهُمْ﴾ منه - تعالى - ﴿يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ وَسَلَّمَ﴾ بلسان الملائكة (١) ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ هو الجنة.

(١) إذا قلنا: إن التحية منه - شيخانته - بمعنى أنه يسلم عليهم كما قال - شيخانته -: ﴿سَلِّمْ قَوْلًا مِنْ رَبِّي رَحِيمًا﴾، ففسية هذا إلى الملائكة من التأويل السقيم، وهو مذهب المؤولة القائلين بالكلام النفسي أو الذين ينفون عن الله هذه الصفة، وعلى القول الآخر أن المراد أنهم يحيي بعضهم بعضًا بالسلام يوم يلقون الله في الدار الآخرة، وهو اختيار ابن جرير - فلا معنى لهذا التأويل ولا وجه له.

(٢) لحمزة والكسائي، وهي بضم التاء ولاشباع المد بعد السين.

[٥١] ﴿تَرْجِي﴾ [تَرْجِي] بالهمزة والياء بدله^(١)؛ تَوَحَّرَ ﴿مَنْ نَشَأَ مِنْهُنَّ﴾ أي: أزوأك عن نوبتها^(٢) ﴿وَتَوْصِي﴾ تضم ﴿إِلَيْكَ مَنِ نَشَأَ﴾ منهن فتأثها ﴿وَمَنْ أُنْبِغِي﴾ طلبت ﴿وَمَنْ عَزَلْتُ﴾ من القسمة ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾ في طلبها وضماها إليك، شئير في ذلك بعد أن كان القسم واجبا عليه^(٣) ﴿ذَلِكَ﴾ التخيير ﴿أَذْفُ﴾ أقرب إلى ﴿أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَخْرُجَنَّ﴾ و﴿يَرْضَيْنَهُنَّ﴾ ما دُكر الخيير فيه ﴿كَلَهُنَّ﴾ تأكيد للفاعل في ﴿يَرْضَيْنَهُنَّ﴾ ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ من أمر النساء والميل إلى بعضهن، وإنما خيرناك فيهن تيسيرا عليك في كل ما أردت ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَالِمًا﴾ بخلقهن ﴿عَالِمًا﴾ عن عقابهم.

[٥٢] ﴿لَا تَجِدُ﴾ بالناء والياء^(٤) ﴿لَكَ الْبَيْتَ﴾ من بعدك بعد التسع اللاتي اخترتك ﴿وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ﴾ برك إحدى اللاتين في الأصل ﴿بِمَنْ مِنْ أَرْوَاحٍ﴾ بأن تطلقهن أو بعضهن وتتكبح بتدليل من طَلَّقَتْ ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ من الإماء؛ فتحل لك، وقد ملك ﷺ بعدهن مارية وولدت له إبراهيم ومات في حياته ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَاقِبًا﴾ حفيظًا.

[٥٣] ﴿يَتْلُوهُنَّ الْأَبْرَارُ﴾ إلى طعامهم فدخلوا ﴿غَيْرَ نَظْرِينَ﴾ منتظرين ﴿إِنَّهُ﴾ نضحها، مصدر أتى باني ﴿وَلَكِنْ إِذَا دُعِيَتْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَبِرُوا وَلَا تَكْتُمُوا﴾ مُسْتَسْتَجِبِينَ لِحَدِيثٍ ﴿من بعضكم لبعض﴾ إِنْ ذَلِكُمْ الْمَكْتُ ﴿كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَجِبْ﴾ مِنْكُمْ أَنْ يَخْرُجَكُمْ ﴿وَاللَّهُ لَا يَسْتَجِبُ﴾ مِنْ الْحَقِّ أَنْ يَخْرُجَكُمْ، أي: لا يترك بيانه^(٥) وقرئ^(٦): ﴿يَسْتَجِبُ﴾ بياء واحدة ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ﴾ أي: أزواج النبي ﷺ ﴿مَتَمًا فَسْئَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ ستر ﴿ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ من الخواطر المرية ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ﴾ بشيء ﴿وَلَا أَنْ تُنْكِحُوا أَرْوَاحَهُنَّ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا﴾ إِنْ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ ذَنْبًا عَظِيمًا^(٧).

* تَرْجِي مَنْ نَشَأَ مِنْهُنَّ وَتَوْصِي إِلَيْكَ مَنْ نَشَأَ وَمَنْ أُنْبِغِي وَمَنْ عَزَلْتُ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْفَى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَخْرُجَنَّ وَيَرْضَيْنَهُنَّ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلَّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَالِمًا حَالِيمًا لَا يَجْعَلُ لَكِ الْبَيْتَ مِنْ بَعْدِ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَاقِبًا يَتْلُوهُنَّ الْأَبْرَارُ يَتْلُوهُنَّ مَا تَوَكَّلْنَ عَلَيْهِنَّ فِئَافِئَاتٍ لِيُحْسِنَنَّ الصَّلَاةَ لِلَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ فِي الدَّخُولِ بِالْدَعَاءِ إِلَى طَعَامٍ فَدَخَلُوا غَيْرَ نَظْرِينَ مُنْتَظِرِينَ إِنْهُنَّ نَضِحَتْ بِمَصْدَرِ أَتَى بَانِي وَلَكِنْ إِذَا دُعِيَتْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَبِرُوا وَلَا تَكْتُمُوا مَسْتَسْتَجِبِينَ لِحَدِيثٍ مِنْ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ إِنْ ذَلِكُمْ الْمَكْتُ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَجِبْ مِنْكُمْ أَنْ يَخْرُجَكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَجِبُ مِنْ الْحَقِّ أَنْ يَخْرُجَكُمْ أَي: لَا يَتْرِكُ بَيَانَهُ^(٥) وَقُرِئَ^(٦): يَسْتَجِبُ بِيَاءٍ وَاحِدَةً وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ أَي: أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ مَتَمًا فَسْئَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ سِتْرٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ مِنْ الْخَوَاطِرِ الْمَرِيَّةِ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ بِشَيْءٍ وَلَا أَنْ تُنْكِحُوا أَرْوَاحَهُنَّ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنْ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا إِنْ تُبَدُّوا شَيْعًا أَوْ تُخَفُّوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمًا

[٥٤] ﴿إِنْ تُبَدُّوا شَيْعًا أَوْ تُخَفُّوهُ﴾ من نكاحهن بعده ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمًا﴾ فيجازيكم عليه.

(٥) ما جاء في نزول الآية (٥١): أخرج البخاري عن عروة بن الزبير قال: كانت خولة بنت حكيم من اللاتي وهن أنفسهن للنبي ﷺ، فقالت عائشة: أما تستحي المرأة أن تهب نفسها للرجل؟! فلما نزلت: ﴿تَرْجِي مَنْ نَشَأَ مِنْهُنَّ﴾ قلت: يا رسول الله، ما أرى ربك إلا يسارع في هواك. البخاري كتاب النكاح (٦٧) باب (٢٩) هل للمرأة أن تهب نفسها لأحد.

(٦) ما جاء في نزول الآية (٥٣): أخرج البخاري عن أنس بن مالك ﷺ قال: لما تزوج رسول الله ﷺ زينب ابنة جحش دعا القوم فطعموا، ثم جلسوا يتحدثون، وإذا هو يتأهب للقيام، فلم يقوموا فلما رأى ذلك قام، فلما قام قام من قام وقعد ثلاثة نفر، فجاء النبي ﷺ ليدخل فإذا القوم جلوس، ثم إنهم قاموا فانطلقت فجمت فأخبرت النبي ﷺ أنهم قد انطلقوا، فجاء حتى دخل، فذهبت أدخل فأتى الحجاب بيني وبينه، فأنزل الله: ﴿يَتْلُوهُنَّ الْأَبْرَارُ﴾ أَمْثَلُ لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ فِي الدَّخُولِ بِالْدَعَاءِ إِلَى طَعَامٍ فَدَخَلُوا غَيْرَ نَظْرِينَ مُنْتَظِرِينَ. وكان عمر يقول للنبي ﷺ: احجب نسائك، فلم يكن رسول الله ﷺ يفعل، فخرجت سودة بنت زمعة - زوج النبي ﷺ ليلة من الليالي عشاء، وكانت امرأة طويلة فناداها عمر: ألا قد عرفناك يا سودة؛ حرصا على أن ينزل الحجاب، فأنزل الله آية الحجاب. البخاري - كتاب الوضوء (٤) باب (١٣) خروج النساء إلى البراز.

وأخرج أيضًا عن أنس قال: قال عمر ﷺ قلت: يا رسول الله، يدخل عليك البر والفاجر، فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب؛ فأنزل الله الحجاب. البخاري - الففسير (٦٥) سورة الأحزاب (٣٣) باب (٨).

(١) بالهمزة المضمومة قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة.

(٢) أخرج البخاري عن معاذ عن عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله ﷺ كان يستأذن في يوم المرأة منا بعد أن نزلت هذه الآية: ﴿تَرْجِي مَنْ نَشَأَ﴾ فقلت لها: ما كنت تقولين؟ قالت: كنت أقول له: إن كان ذلك إلي فإني لا أريد يا رسول الله أن أوتر عليك أحدًا. البخاري - كتاب الففسير (٦٥) سورة الأحزاب (٣٣) باب (٧). وهذا الحديث يؤيد تخصيص المصنف تخييره ﷺ بين الإرجاء والإبداء بزوجاته ﷺ، أي في القسم بينهما كيف يشاء. وهذا أحد القولين في تفسير الآية. والقول الثاني: أن الآية عامة في الواهبات أنفسهن له ﷺ؛ في قول من شاء منهن ورد من شاء، وكذا في زوجاته اللاتي عنده؛ في القسم بينهما. واختار هذا القول ابن جرير واستحسنه ابن كثير، وفيه جمع بين الأحاديث.

(٣) ولكنه ﷺ كان يقسم بين نسائه فيعدل كما في حديث عائشة عند أبي داود (٢١٣٥) قالت: كان رسول الله ﷺ لا يفضل بعضنا على بعض في القسم... الحديث، وحسنه الألباني في الإرواء (٨٥/٧).

(٤) بالناء قراءة أبي عمرو.

(٥) والصواب إثبات صفة الحياء لله ﷻ على الوجه الذي يليق به، ومن لوازم الإثبات الترك، وتفسير الصفة بلازمها ليس مذهب السلف.

(٦) أي: شدودًا.

اللَّهُ ﴿٥٦﴾ فيما أمرتن به ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ لا يخفى عليه شيء.

[٥٦] ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ محمد ﷺ ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلَواتٌ عَلَيْهِ وَسَلَامٌ وَسَلَامٌ وَسَلَامٌ﴾ أي: قولوا: اللهم صل على محمد وسلم.

[٥٧] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ وهم: الكفار، يصفون الله بما هو منزه عنه من الولد والشريك ويكذبون رسوله ﴿لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالأُخْرَةِ﴾ أبعدهم ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ ذا إهانة؛ وهو: النار.

[٥٨] ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بغيرِ مَا اكْتَسَبُوا﴾ يرمونهم بغير ما عملوا ﴿فَقَدْ أَحْصَوْا بُهْتَانًا﴾ تحملوا كذبًا ﴿وَإِنَّمَا كُتِبَ عَلَيْكُمُ

[٥٩] ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلُوبًا لَّازِيكًا وَبِتَائِكَ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْرِكُنَّ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبَيْبِهِنَّ﴾ (٣) جمع جلباب؛ وهي: الملاعة التي تشتمل بها المرأة؛ أي: يرخين بعضها على الوجوه إذا خرجن لحاجتهن، إلا عينًا واحدة ﴿ذَلِكَ أَذَىٰ﴾ أقرب إلى ﴿أَنْ يُعْرِضْنَ﴾ بأنهن حرائر ﴿فَلَا يُؤْذِنَنَّ﴾ بالعرض لهن بخلاف الإمام فلا يغطين وجوههن، فكان المنافقون يتعرضون لهن ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا﴾ لما سلف منهن من ترك الستر ﴿رَجِيمًا﴾ بهن إذ سترهن.

[٦٠] ﴿لَنْ﴾ لام قسم ﴿لَنْ يَنْفَكَنَّ الْمُتَّقُونَ﴾ عن نفاقهم ﴿وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾ بالزنا (١) ﴿وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ﴾ المؤمنون بقولهم (٢): ﴿قد أتاكم العدو وسراياكم قتلوا أو هزموا﴾ ﴿لَنْغَرِيْبَتِكُمْ بِهِمْ﴾ لنسلطنك عليهم ﴿ثُمَّ لَا يُجَاوِزُونَكَ﴾ يساكونك ﴿وَبِهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾ ثم يخرجون.

[٦١] ﴿مَلْعُونِينَ﴾ مبعدين عن الرحمة ﴿أَيْنَ مَا تُقْفَوُا﴾ وجدوا ﴿أُجْدُوا وَفُتِلُوا تَفْسِيلًا﴾ أي: الحكم فيهم هذا، على جهة الأمر به.

[٦٢] ﴿سُنَّةَ اللَّهِ﴾ أي: سنَّ الله ذلك ﴿فِي الَّذِينَ خَلَدُوا مِنْ قَبْلُ﴾ من الأمم الماضية في مناقبيهم المرجفين المؤمنين ﴿وَلَنْ يَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ منه.

لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي ءَابَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَأَقْبِيَتِ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلَواتٌ عَلَيْهِ وَسَلَامٌ وَسَلَامٌ وَسَلَامٌ ﴿٥٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالأُخْرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بغيرِ مَا اكْتَسَبُوا فَكَيْفَ يُعَذِّبُهُنَّ بِمَا كُنَّ يُعَذِّبُهُنَّ بِمَا كُنَّ يُكْسِبُنَّ يُخَيِّرُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْرِكُنَّ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبَيْبِهِنَّ ذَلِكَ أَذَىٰ أَنْ يُعْرِضَنَّ فَلَا يُؤْذِنَنَّ وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا رَحِيمًا ﴿٦٠﴾ لَنْ يَنْفَكَنَّ الْمُتَّقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنْغَرِيْبَتِكُمْ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِزُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦١﴾ مَلْعُونِينَ إِنَّمَا تُقْفَوُا أُجْدُوا وَفُتِلُوا تَفْسِيلًا ﴿٦٢﴾ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَدُوا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ يَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٣﴾

[٥٥] ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي ءَابَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ﴾ أي: المؤمنات ﴿وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ من الإماء والعبيد أن يزوهن ويكلموهن من غير حجاب ﴿وَأَقْبِيَتِ

(٥٦) فائدة: أخرج أحمد عن كعب بن عجرة قال: لما نزلت: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ قالوا: كيف نصلي عليك يا نبي الله؟ قال: قولوا: اللهم صل على محمد، وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، وبارك على محمد، وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد. المسند (٢٤٤/٤)، وصححه الأرنؤوط (١٨١٣٣). والحديث في الصحيحين والسنن دون ذكر الآية؛ البخاري (٣٣٦٩)، ومسلم (٤٠٧).

(٥٥) فائدة: أخرج أبو داود عن أم سلمة قالت: لما نزلت: ﴿يُدْرِكُنَّ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبَيْبِهِنَّ﴾ خرج نساء الأنصار كأن عليهن رؤوسهن الغراب من الأكسية. أبو داود - كتاب (اللباس) (٢٦) باب (٣٢) في قوله تعالى: ﴿يُدْرِكُنَّ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبَيْبِهِنَّ﴾. وصححه الألباني في حجاب المرأة المسلمة ص ٣٨.

(١) أي: يحب ذلك، وكذا حب الفواحش.

(٢) أي: الذين يرفضون المؤمنين بقولهم.

[٦٣] ﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنْ السَّاعَةِ﴾ أهل مكة ﴿عَنِ السَّاعَةِ﴾ متى تكون ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ﴾ يعلمك بها؛ أي: أنت لا تعلمها ﴿لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ﴾ توجد ﴿قَرِيبًا﴾.

[٦٤] ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكٰفِرِينَ﴾ أبعدهم ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾ نارا شديدة يدخلونها.

[٦٥] ﴿خٰلِدِينَ﴾ مقدرا خلودهم ﴿وَمَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وِلْيَةً﴾ يحفظهم عنها ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ يدفعها عنهم.

[٦٦] ﴿يَوْمَ نُفِثَ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَئِنَّا لَنبِتْنَا أَلْعَنَّا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾

[٦٧] ﴿وَقَالُوا﴾ أي: الأتباع منهم: ﴿رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا﴾ وفي قراءة (١): ﴿سَادَاتِنَا﴾ جمع الجمع ﴿وَكُرِهْنَا فَأَصْلَوْنَا السَّبِيلَ﴾ طريق الهدى.

[٦٨] ﴿رَبَّنَا إِنَّا هُمْ ضَعِيفِينَ مِنَ الْعَذَابِ﴾ أي: مثلي عذابنا ﴿وَالْعَمَلُ﴾ عذبهم ﴿لَفَنَّا كَثِيرًا﴾ (٢) عدده، وفي قراءة: بالوحدة؛ أي: عظيمًا.

[٦٩] ﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا﴾ مع نبيكم ﴿كَالَّذِينَ ءَادُوا مُوسَىٰ﴾ بقولهم - مثلا: - ما يمنعنا أن يغتسل معنا إلا أنه أدر ﴿فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا﴾ بأن وضع ثوبه على حجر ليتغسل؛ فَفَرَّ الْحَجْرُ بِهِ حَتَّى وَقَفَ بَيْنَ مَلِكٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ؛ فَأَدْرَكَهُ مُوسَى فَأَخَذَ ثَوْبَهُ فَاسْتَرَّ بِهِ، فَأَرَاهُ وَلَا أَذْرَهُ بِهِ (٣)؛ وهي نفخة في الخصى ﴿وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِبًا﴾ ذا جاه، ومما أودى به نبينا ﷺ أنه قَسَمَ قَسَمًا، فَقَالَ رَجُلٌ: هَذِهِ قِسْمَةٌ مَا أُرِيدُ بِهَا وَجْهَ اللَّهِ - تَعَالَى .. فغضب النبي ﷺ من ذلك، وقال: ﴿يُوحِىَ اللَّهُ لِي أَنِّي لَأَقُولُ لَكُم مِثْلَ مَا قَالُوا﴾ (٤) فَصَبَّرَ [رواه البخاري].

[٧٠] ﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ صوابًا.

[٧١] ﴿يُصَلِّحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ يقبلها ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ نال غاية مطلوبه.

[٧٢] ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ﴾ بأن خلق فيها ميثما ونطقًا ﴿فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلَهَا وَأَشْفَقْنَ﴾ خفن ﴿وَمَا وَجَّهْنَا إِلَّا لِنَاسٍ﴾ آدم بعد عرضها عليه ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا ظٰلِمِينَ﴾ لنفسه بما حمله ﴿جَهْلًا﴾ به.

[٧٣] ﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ﴾ «اللام» متعلقة بـ ﴿عَرَضْنَا﴾ المترتب عليه حمل

يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خٰلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وِلْيَةً وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ نُفِثَ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَئِنَّا لَنبِتْنَا أَلْعَنَّا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُرِهْنَا فَأَصْلَوْنَا السَّبِيلَ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَا إِنَّا هُمْ ضَعِيفِينَ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَمَلُ لَفَنَّا كَثِيرًا ﴿٦٨﴾ يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادُوا مُوسَىٰ فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِبًا ﴿٦٩﴾ يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصَلِّحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظٰلِمًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُتَفِقِينَ وَالْمُتَفِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٣﴾

آدم (١) ﴿الْمُتَفِقِينَ وَالْمُتَفِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ﴾ المضيعين الأمانة ﴿وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ المؤدنين الأمانة ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ للمؤمنين ﴿رَحِيمًا﴾ بهم.

(١) لابن عامر.

(٢) للبيعة عدا عاصم. وقرأ عاصم: ﴿كثيرًا﴾ بالوحدة.

(٣) كما في حديث أبي هريرة عند البخاري (٢٧٨)، ومسلم (٣٣٩).

(٤) البخاري (٣٤٠٥)، ومسلم (١٠٦٢) من حديث عبد الله بن مسعود.

(٥) قال ابن كثير: أي إنما حُمِّلَ ابن آدم الأمانة وهي التكاليف؛ ليعذب الله المنافقين منهم والمنافقات... إلخ.

سُبْحَانَ رَبِّنَا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْعَفُورُ ﴿١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَلِيمٌ الْعَبِيدُ لَا يَعْرِضُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٢﴾ وَيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي الْبَيْتِ الْعَمِينِ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ ﴿٥﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رَجْزِ أَلِيمٍ ﴿٦﴾ وَرَبِّي الْأَعْلَمُ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ الْبُيُوتِ آيَاتِنَا وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا مِنْ دَمْدَمٍ غَسَّاقٍ يُصْعَقُ بِهِ الْمَكِيدُونَ ﴿٧﴾

سُبْحَانَ رَبِّنَا

[مكية إلا: ﴿وَرَبِّي الْأَعْلَمُ﴾ الآية، فمدنية، وهي: أربع، أو: خمس وخمسون آية، نزلت بعد لقمان]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ حمد - تعالى - نفسه بذلك؛ والمراد به: الثناء بضمونه من ثبوت الحمد؛ وهو: الوصف بالجميل لله - تعالى - ﴿الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ملكاً وخلقاً ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ﴾ كالدنيا يحمده أولياؤه إذا دخلوا الجنة ﴿وَهُوَ الْخَبِيرُ﴾ في فعله ﴿الْخَبِيرُ﴾ في خلقه. [٢] ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ﴾ يدخل ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ كماءٍ وغيره ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ كنبات وغيره ﴿وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ من رزق وغيره ﴿وَمَا يَصْرُجُ﴾ يصعد ﴿فِيهَا﴾ من عمل وغيره ﴿وَهُوَ الرَّحِيمُ﴾ بأولياؤه ﴿الْعَفُورُ﴾ لهم.

(١) وهي قراءة نافع وابن عامر.

(٢) وهي قراءة حمزة والكسائي.

(٣) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وكذلك في الآية الآية رقم (٣٨)، وقرأ بقية السبعة: ﴿مُعْجِزِينَ﴾.

(٤) بالجر قراءة السبعة عدا حفص وابن كثير، وهي بالجر: صفة لـ ﴿رَجْزٍ﴾، وبالرفع: صفة لـ ﴿عَذَابٍ﴾.

(٥) أي ضمير فضل، وهو لا محل له من الإعراب.

[٣] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ﴾ القيامة ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَلِيمٌ الْعَبِيدُ﴾ بالجر: صفة، والرفع^(١): خبر مبتدأ، و﴿عَلِيمٌ﴾^(٢) بالجر ﴿لَا يَعْرِضُ﴾ يغيب ﴿عَنْهُ مِثْقَالُ﴾ وزن ﴿ذَرَّةٌ﴾ أصغر نملة ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا﴾ في كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿يَبِينُ﴾ هو: اللوح المحفوظ.

[٤] ﴿يَجْرِي﴾ فيها ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ حسن في الجنة.

[٥] ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي﴾ إبطال ﴿آيَاتِنَا﴾ القرآن ﴿[مُعْجِزِينَ]﴾^(٦) وفي قراءة هنا، وفيما يأتي: ﴿مُعْجِزِينَ﴾ أي: مقدرين عجزنا، أو مسابقين لنا فيفوتونا؛ لظنهم أن لا بعث ولا عقاب ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رَجْزِ﴾ سئئ العذاب ﴿أَلِيمٍ﴾ مؤلم بالجر والرفع^(٤)، صفة لـ ﴿رَجْزٍ﴾ أو ﴿عَذَابٍ﴾.

[٦] ﴿وَرَبِّي الْأَعْلَمُ﴾ يعلم ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ مؤمنو أهل الكتاب؛ كعبدالله بن سلام وأصحابه ﴿الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ الْبُيُوتِ آيَاتِنَا﴾ أي: القرآن ﴿هُوَ﴾ فصل^(٥) ﴿الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ﴾ طريق ﴿الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ أي: الله أي: ذي العزة المحمود.

[٧] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: قال بعضهم على جهة التعجب لبعض: ﴿هَلْ نَدُوكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ﴾ هو محمد ﴿يُنَبِّئُكُمْ﴾ يخبركم أنكم ﴿إِذَا مَرِقتُمْ﴾ قطعتم ﴿كُلَّ مَرْجٍ﴾ بمعنى: تمرين ﴿إِنَّكُمْ لَبَىٰ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾.

أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ
 فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ ﴿٨﴾ أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ
 وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِن نَّشَاءُ نُخَسِّفْ بِهِمُ الْأَرْضَ
 أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِن فِي ذَلِكَ لَآيَةً
 لِّكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا
 يَجِبَالٌ أَوْبَىٰ مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَالنَّالَةَ الْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَن أَعْمَلْ
 سَبْعَ سَاعَاتٍ وَقَدَّرَ فِي السَّرِّ وَأَعْمَلُوا صَليحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ
 بَصِيرٌ ﴿١١﴾ وَسَلِّمْنَا مِنَ الرَّيحِ عُدُوهَا سَهْرًا وَرَوَّاحَهَا سَهْرًا
 وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ إِذِ
 رَبُّهُ وَمَنْ يَزِغُ مِنْهُمْ عَن أَمْرِنَا نَذِقُهُ مِنَ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٢﴾
 يَعْمَلُونَ لَهُ وَمَا يُشَاءُ مِنْ مَّحْرَبٍ وَنَمَثِيلٍ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ
 وَقُدُورٍ رَّاسِيَتٍ أَعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ
 الشَّكُورُ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ
 إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَاتِهِ فَلَمَّا حَرَ تَبَيَّنَتْ لِمَنِ
 الْأَنْزِلُ وَأَن لَّو كَانُوا يَعْلَمُونَ الْعَيْبَ مَا لِيُشْرُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿١٤﴾

فأثما على عصاه حولًا ميتًا، والجن تعمل تلك الأعمال الشاقة، على عاداتها، لا تشعر بموته حتى أكلت الأرضة عضاه فخر ميتًا ﴿مَا دَلَّكُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ﴾ مصدر أرطت الخشية بالبناء للمفعول؛ أكلتها الأرضة ﴿تَأْكُلُ مِنسَاتِهِ﴾ بالهمز وتركه بألف (٤)؛ عصاه؛ لأنها تُنشأ؛ يُطرد (٥) ويُزجر بها ﴿فَلَمَّا حَرَ﴾ ميتًا ﴿تَبَيَّنَتْ لِمَنِ﴾ انكشفت لهم ﴿أَن﴾ مخففة؛ أي: أنهم ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْعَيْبَ﴾ ومنه ما غاب عنهم من موت سليمان ﴿مَا لِيُشْرُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ العمل الشاق لهم؛ لظنهم حياته، خلاف ظنهم علم الغيب، وعلم كونه سنة بحساب ما أكلته الأرضة من العصا بعد موته، يومًا وليلة مثلاً.

[٨] ﴿أَفْتَرَىٰ﴾ بفتح الهمزة للاستفهام، واستغني بها عن همزة الوصل ﴿عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ في ذلك ﴿أَمْ بِهِ جِنَّةٌ﴾ جنون تخيل به ذلك؟ قال - تعالى -: ﴿بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ المشتملة على البعث والعذاب ﴿فِي الْعَذَابِ﴾ فيها ﴿وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ﴾ عن الحق في الدنيا.

[٩] ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا﴾ ينظروا ﴿إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ ما فوقهم وما تحتمل ﴿مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ إن شَاءَ نُخَسِّفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ [كسفا] بسكون السين وفتحها (١)؛ قطعًا ﴿مِنَ السَّمَاءِ﴾ وفي قراءة في الأفعال الثلاثة: بالياء (٢) ﴿إِن فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ المرئي ﴿لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ راجع إلى ربه، تدل على قدرة الله على البعث وما يشاء.

[١٠] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا﴾ نوره وكتابه، وقلنا: ﴿يَجِبَالٌ أَوْبَىٰ﴾ رجمي ﴿مَعَهُ﴾ بالتسبيح ﴿وَالطَّيْرَ﴾ بالنصب عطفًا على محل الجبال؛ أي: ودعوها تسبح معه ﴿وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ فكان في يده كالعجين. وقلنا: [١١] ﴿أَن أَعْمَلْ﴾ منه ﴿سَبْعَ سَاعَاتٍ﴾ دروعًا كوامل، يجروها لابسها على الأرض ﴿وَقَدَّرَ فِي السَّرِّ﴾ أي: تشج الدروع، قبل لصانها: سُرَاد؛ أي: اجعله بحيث تناسب جلقه ﴿وَأَعْمَلُوا﴾ أي: آل داود معه ﴿صَليحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فأجازكم به.

[١٢] ﴿وَوُ﴾ سخرا ﴿لِلشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ وقراءة الرفع (٣) بتقدير: تسخير ﴿عُدُوهَا﴾ مسيرها من الغدرة؛ بمعنى: الصباح إلى الزوال ﴿مُنْهَرٍ وَرَوَّاحَهَا﴾ سيرها من الزوال إلى الغروب ﴿مُنْهَرٍ﴾ أي: مسيرته ﴿وَأَسَلْنَا﴾ أذنا ﴿لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ﴾ أي: النحاس؛ فأجريت ثلاثة أيام لباليهن كجري الماء، وعمل الناس إلى اليوم مما أعطي سليمان ﴿وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ إِذِ بِنِ بِأَمْرِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغُ مِنْهُمْ عَن أَمْرِنَا﴾ له بطاعته ﴿نَذِقُهُ مِنَ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ النار في الآخرة، وقيل: في الدنيا؛ بأن يضربه ملك بسوط منها ضربة تحرقه.

[١٣] ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَّحْرَبٍ﴾ أبنية مرتفعة يصعد إليها بدرج ﴿وَنَمَثِيلٍ﴾ جمع تمثال؛ وهو: كل شيء مثله بشيء؛ أي: صور من نحاس وزجاج ورخام، ولم يكن اتخاذ الصور حرامًا في شريعته ﴿وَجِفَانٍ﴾ جمع جفنة كالجواب، هي: جمع جابية؛ وهو: حوض كبير، يجتمع على الجفنة ألف رجل يأكلون منها ﴿وَقُدُورٍ رَّاسِيَتٍ﴾ ثابتات لها قوائم لا تتحرك عن أماكنها، تتخذ من الجبال باليمن يصعد إليها بالسلام، وقلنا: ﴿وَأَعْمَلُوا﴾ يا ﴿ءَالَ دَاوُدَ﴾ بطاعة الله ﴿شُكْرًا﴾ له على ما آتاكم ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورِ﴾ العامل بطاعتي شكرًا نعمتي.

[١٤] ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ﴾ على سليمان ﴿الْمَوْتَ﴾ أي: مات ومكث

(١) بالسكون قراءة السبعة عدا حفص.

(٢) أي: ﴿ويشأ﴾، و﴿يسقط﴾، وهي قراءة حمزة والكسائي.

(٣) وهي قراءة شعبة.

(٤) قراءتان سبعتان، قرأ نافع وأبو عمرو بألف من غير همز، وقرأ الباقون بهمزة مفتوحة إلا ابن ذكوان فإنه أسكن الهمزة.

(٥) في نسخة من المطبوع: ﴿لأنها تُنشأ﴾ نظرده، وفي نسخة أخرى: ﴿لأنها تُنشأ ويُطرده﴾.

واديهم الممسوك بما ذكره؛ فأغرق جنتيهم وأمواهم ﴿وَلَدَانَهُمْ يَخْتَفُونَ خَتَنَيْنِ ذَوَاتِ﴾ تثنية ذوات مفرد على الأصل ﴿أَكُلِ حَمَاطٍ﴾^(١) مُرُّ بَشَعٍ، بإضافة ﴿أَكُلِ﴾ بمعنى: مأكول، وتركها ويعطف عليه ﴿وَأَنْتَلِي وَشَيْءٌ مِّنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾.

[١٧] ﴿ذَلِكَ﴾ التبديل ﴿جَزَيْنَهُمْ بِمَا كَفَرُوا﴾ بكفرهم ﴿وهَلْ يُجَازِي﴾ إلا [الكفور] بالبلاء^(٢)، والنون مع كسر الزاي ونصب الكفور: أي: ما يناقش إلا هو.

[١٨] ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ بين سبأ، وهم باليمن ﴿وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَنَيْنَا فِيهَا﴾ بالماء والشجر؛ وهي: قرى الشام التي يسرون إليها للتجارة ﴿قُرَى ظَهْرَةٍ﴾ متواصلة من اليمن إلى الشام ﴿وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ﴾ بحيث يقولون في واحدة ويتبينون في أخرى، إلى انتهاء سفرهم، ولا يحتاجون فيه إلى حمل زاد وماء؛ أي: قلنا: ﴿سَيَرُوا فِيهَا لِيَالِي وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾ لا تخافون في ليل ولا في نهار.

[١٩] ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ﴾^(٣) وفي قراءة: ﴿بَعْدَ﴾ ﴿بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ إلى الشام؛ اجعلها مغاير ليطاؤوا على الفقراء بركوب الرواحل وحمل الزاد والماء؛ فبطروا النعمة ﴿وَطَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾ بالكفر ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾ لمن بعدهم في ذلك ﴿وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مَجْزَأٍ﴾ فرقانهم في البلاد كل التفريق ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿لَآيَاتٍ﴾ عبرًا ﴿لِكُلِّ صَبَّارٍ﴾ عن المعاصي ﴿شَكُورٍ﴾ على النعم.

[٢٠] ﴿وَلَقَدْ صَدَقَ﴾ بالتخفيف والتشديد^(٤) ﴿عَلَيْهِمْ﴾ أي: الكفار؛ منهم سبأ ﴿إِبْلِيسَ ظَنَّهُ﴾ أنهم ياغواثه يتبعونه ﴿فَاتَّبَعُوهُ﴾ فـ ﴿صَدَقَ﴾ بالتخفيف: في ظنه، أو ﴿صَدَّقَ﴾ بالتشديد: ظنه؛ أي: وجده صادقًا ﴿إِلَّا﴾ بمعنى: لكن ﴿فَرَبِّهَا مَنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ للبيان؛ أي: هم المؤمنون لم يتبعوه.

[٢١] ﴿وَمَا كَانَ لَهُمْ عَلَيْهِمْ مِّن سُلْطَانٍ﴾ تسليط ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ علم ظهور ﴿مَن يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنهَا فِي شَكٍّ﴾ فنجازي كلاً منهما ﴿وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ رقيب.

[٢٢] ﴿قُلْ﴾ يا محمد لكفار مكة: ﴿أَدْعُوا الَّذِينَ دَعَمْتُمْ﴾ أي: زعمتموهم آلهة ﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره لينفعوكم بزعمكم، قال - تعالى - فيهم: ﴿لَا يَدْعُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ وزن ﴿ذَرَّرَ﴾ من خير أو شر ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا هُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ﴾ شركة ﴿وَمَا لَهُمْ﴾ - تعالى - ﴿بِهِمْ﴾ من الآلهة ﴿مِن ظَهْرٍ﴾ معين.

لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِهُمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ بَلَدَهُ طَيِّبَةً وَرَبِّ غَفُورٍ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أَكْلِ حَمَاطٍ وَأَنْتَلِي وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ يُجْزَى إِلَّا الْكَفُورُ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَنَيْنَا فِيهَا ظَهْرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ وَسِيرُوا فِيهَا لِيَالِي وَآيَّامًا آمِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا وَطَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مَجْزَأٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَوْمَئِذٍ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾ قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُم مِّن ظَهْرٍ ﴿٢٢﴾

[١٥] ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ﴾ بالصرف وعدمه^(١)؛ قبيلة سميت باسم جد لهم من العرب ﴿فِي مَسْكِهُمْ﴾^(٢) باليمن ﴿آيَةٌ﴾ دالة على قدرة الله - تعالى - ﴿جَنَّتَانِ﴾ بدل ﴿عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ عن يمين واديهم وشماله، وقيل لهم: ﴿كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ﴾ على ما رزقكم من النعمة في أرض سبأ ﴿بَلَدَهُ طَيِّبَةً﴾ ليس فيها سباح^(٣)، ولا بعوضة، ولا ذبابة، ولا برغوث، ولا عقرب، ولا حية، ويمر الغريب فيها وفي ثيابه قمل فيموت لطيب هوائها^(٤) ﴿وَاللَّهُ رَبُّ غَفُورٍ﴾.

[١٦] ﴿فَأَعْرَضُوا﴾ عن شكره وكفروا ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾ جمع عرمة؛ وهو: ما يمسك الماء من بناء وغيره إلى وقت حاجته؛ أي: سيل

(١) قرأ أبو عمرو واليزي بفتح الهمة من غير تنوين، وقرأ قبله بإسكان الهمة.

(٢) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ حفص وحزرة: ﴿مسكهم﴾ بالإفراد وفتح الكاف، وقرأ الكسائي: ﴿مسكهم﴾ بالإفراد وكسر الكاف.

(٣) وفي نسخة مطبوعة «سباح».

(٤) لا حاجة إلى ذكر هذه الأمور التي لا دليل عليها، وإنما يكفي أكثر المفسرين بتفسير البلدة الطيبة بأنها المباركة الكثيرة الثمرات اللطيفة الهواء.

(٥) وهي قراءة أبي عمرو.

(٦) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة.

(٧) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وهشام، وقرأ بقية السبعة: ﴿بإعاد﴾.

(٨) بالتخفيف قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر. وقرأ بقية السبعة: ﴿صَدَّقَ﴾ بالتشديد.

[٢٣] ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ﴾ - تعالى - رداً لقولهم: إن آلهتهم تشفع عنده ﴿إِلَّا لِمَنْ أُوذِيَ﴾ بفتح الهمزة وضمها^(١) ﴿لَكُمْ﴾ فيها ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ﴾ بالبناء للفاعل والمفعول^(٢) ﴿عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾ كشف عنها الفرع بالإذن فيها ﴿قَالُوا﴾ قال بعضهم لبعض استبشاراً: ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾ فيها؟ ﴿قَالُوا﴾: القول ﴿الْحَقُّ﴾ أي: قد أذن فيها^(٣) ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ﴾ فوق خلقه بالقهر^(٤) ﴿الْكَبِيرُ﴾^(٥) العظيم.

[٢٤] ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ﴾ المطر ﴿وَالْأَرْضِ﴾ النبات؟ ﴿قُلْ اللَّهُ﴾ إن لم يقوله، لا جواب غيره ﴿وَلِيًّا أَوْ إِنَّاكُمْ﴾ أي: أحد الفريقين ﴿لَعَلَّ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ أي: في الإيهام تطفب بهم داع إلى الإيمان إذا وفقوا له.

[٢٥] ﴿قُلْ لَا تَسْأَلُونَ عَمَّا أُجْرِمْنَا﴾ أذنبنا ﴿وَلَا تَسْأَلُونَ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ لأنكم ترونون منكم.

[٢٦] ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبَّنَا﴾ يوم القيامة ﴿يَوْمَ يَفْتَحُ﴾ يحكم ﴿بَيْنَنَا بِالْحَقِّ﴾ فيدخل المحقن الجنة والمبطلين النار ﴿وَهُوَ الْفَتَّاحُ﴾ الحاكم ﴿الْعَلِيمُ﴾ بما يحكم به.

[٢٧] ﴿قُلْ أَرُونِي﴾ أعلموني ﴿الَّذِينَ أَحَقُّنَّ بِهِ شُرَكَاءَ﴾ في العبادة ﴿كَلَّا﴾ رذخ لهم عن اعتقاد شريك له ﴿بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ﴾ الغالب على أمره ﴿الْحَكِيمُ﴾ في تدبيره خلقه؛ فلا يكون له شريك في ملكه.

[٢٨] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَفَّةً﴾ حال من «الناس»، قدم للاهتمام ﴿لِلنَّاسِ بَشِيرًا﴾ مبشراً للمؤمنين بالجنة ﴿وَنَذِيرًا﴾ منذراً للكافرين بالعذاب ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ أي: كفار مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك.

[٢٩] ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ﴾ بالعذاب ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فيه؟. [٣٠] ﴿قُلْ لَكُمْ مِعَادٌ يَوْمَ لَا تَسْتَعْرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَفِيدُونَ﴾ عليه؛ وهو: يوم القيامة.

[٣١] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكة: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي: تقدمه؛ كالنوراة والإنجيل، الدالين على البعث لإنكارهم له. قال - تعالى - فيهم: ﴿وَلَوْ رزقناهم﴾ يا محمد ﴿إذ

وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أُوذِيَ﴾ أي: ما داموا كفراً، فلا تنفع شفاعتهم عن قلبهم قالوا: ماذا قلنا؟ ﴿قَالُوا﴾ قالوا: ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾^(١) ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ

وَأَنَا أُوذِيَ﴾ أي: ما داموا كفراً، فلا تنفع شفاعتهم عن قلبهم قالوا: ماذا قلنا؟ ﴿قَالُوا﴾ قالوا: ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾^(١) ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ

وَأَنَا أُوذِيَ﴾ أي: ما داموا كفراً، فلا تنفع شفاعتهم عن قلبهم قالوا: ماذا قلنا؟ ﴿قَالُوا﴾ قالوا: ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾^(١) ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ

وَأَنَا أُوذِيَ﴾ أي: ما داموا كفراً، فلا تنفع شفاعتهم عن قلبهم قالوا: ماذا قلنا؟ ﴿قَالُوا﴾ قالوا: ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾^(١) ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ

وَأَنَا أُوذِيَ﴾ أي: ما داموا كفراً، فلا تنفع شفاعتهم عن قلبهم قالوا: ماذا قلنا؟ ﴿قَالُوا﴾ قالوا: ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾^(١) ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ

وَأَنَا أُوذِيَ﴾ أي: ما داموا كفراً، فلا تنفع شفاعتهم عن قلبهم قالوا: ماذا قلنا؟ ﴿قَالُوا﴾ قالوا: ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾^(١) ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ

الظالمون﴾ الكافرون ﴿مَوْفُوتٍ﴾ عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول يقول الذين استضعفوا﴾ الأنبياء ﴿الذين استكبروا﴾ الرؤساء: ﴿لَوْلَا أَنْتُمْ﴾ صدقتمونا عن الإيمان ﴿لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ بالنبي.

(١) فائدة: أخرج البخاري عن أبي هريرة قال: إن نبي الله ﷺ قال: إذا قضى الله أمرًا في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعمان لقوله، كأنه سلسلة على صفوان، فإذا فرغ عن قلبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا للذي قال: الحق وهو العلي الكبير... الحديث. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة سبأ (٣٤) باب (١) ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ...﴾.

(١) بالضم قراءة حمزة والكسائي وأبي عمرو.

(٢) بالبناء للفاعل قراءة ابن عامر.

(٣) أي في الشفاعة.

(٤) وهذا من قصر العام على بعض أفرادها، وهو - شيعانته - له العلو المطلق؛ علو الذات، وعلو الشأن، وعلو القهر.

قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ
عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بِبَلِّ كُنتُمْ مُجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ
اسْتَضَعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلِّ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ
تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ وَانْدَادًا وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ
لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَعْتَلَّ فِي أَغْثَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا
هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ
مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٣﴾
وَقَالُوا أَنَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٤﴾
قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ
النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٥﴾ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِآلَتِي تُفْرِكُكُمْ
عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءٌ
الضَّعِيفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْعُرْفَاتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٦﴾ وَالَّذِينَ
يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٧﴾
قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ
وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٣٨﴾

بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ؟ لا ﴿٣١﴾ بَلِّ كُنتُمْ مُجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ فِي أَنْفُسِكُمْ.
﴿٣١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلِّ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴿٣١﴾
أَي: مكر فيهما منكم بنا ﴿٣١﴾ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ وَانْدَادًا ﴿٣١﴾
شركاء ﴿٣١﴾ وَأَسْرُوا ﴿٣١﴾ أَي: الفريقان ﴿٣١﴾ النَّدَامَةَ ﴿٣١﴾ عَلَى تَرْكِ الْإِيمَانِ بِهِ ﴿٣١﴾ لَمَّا رَأَوْا
الْعَذَابَ ﴿٣١﴾ أَي: أخفاها كلُّ عن رفيقه مخافة التعبير ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا الْأَعْتَلَّ فِي
أَغْثَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴿٣١﴾ فِي النَّارِ ﴿٣١﴾ هَلْ ﴿٣١﴾ مَا ﴿٣١﴾ يُجْزَوْنَ إِلَّا ﴿٣١﴾ جَزَاءٌ ﴿٣١﴾ مَا
كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣١﴾ فِي الدُّنْيَا.
﴿٣٢﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا ﴿٣٢﴾ رُؤْسَاوَهَا
المتنعون: ﴿٣٢﴾ إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٢﴾.
﴿٣٣﴾ وَقَالُوا أَنَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا ﴿٣٣﴾ مِّنْ آمَنٍ ﴿٣٣﴾ وَمَا نَحْنُ
بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٣﴾.
﴿٣٤﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ ﴿٣٤﴾ يوسعه ﴿٣٤﴾ لِمَنْ يَشَاءُ ﴿٣٤﴾ امْتِحَانًا
﴿٣٤﴾ وَيَقْدِرُ ﴿٣٤﴾ بضميقه لمن يشاء ابتلاء ﴿٣٤﴾ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ ﴿٣٤﴾ أَي: كفار
مكة ﴿٣٤﴾ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ ذَلِكَ.
﴿٣٥﴾ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِآلَتِي تُفْرِكُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ ﴿٣٥﴾ قُوَى؛ أَي:
تقرئنا ﴿٣٥﴾ إِلَّا ﴿٣٥﴾ لَكِن ﴿٣٥﴾ مَّنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءٌ الضَّعِيفِ بِمَا
عَمِلُوا ﴿٣٥﴾ أَي: جزاء العمل: الحسنة - مثلاً - بعشر فأكثر ﴿٣٥﴾ وَهُمْ فِي الْعُرْفَاتِ ﴿٣٥﴾
مِنَ الْجَنَّةِ ﴿٣٥﴾ ءَامِنُونَ ﴿٣٥﴾ مِنَ الْمَوْتِ وَغَيْرِهِ، وَفِي قِرَاءَةِ: ﴿الْعُرْفَاتِ﴾ (١) بِمَعْنَى
الجمع.
﴿٣٦﴾ وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا ﴿٣٦﴾ الْقُرْآنِ بِالْإِبْطَالِ ﴿٣٦﴾ [مُعْجِزِينَ] (٢) لَنَا
مُقَدِّرِينَ عَجْزَنَا، وَأَنَّهُمْ يَفُوتُونَنَا ﴿٣٦﴾ أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٦﴾.
﴿٣٧﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ ﴿٣٧﴾ يوسعه ﴿٣٧﴾ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴿٣٧﴾ امْتِحَانًا
﴿٣٧﴾ وَيَقْدِرُ ﴿٣٧﴾ بضميقه ﴿٣٧﴾ لِمَنْ يَشَاءُ أَوْ لِمَنْ يَشَاءُ ابْتِلَاءً ﴿٣٧﴾ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ
شَيْءٍ ﴿٣٧﴾ فِي الْخَيْرِ ﴿٣٧﴾ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٣٧﴾ يُقَالُ: كُلُّ إِنْسَانٍ
يُرِزَقُ عَائِلَتَهُ؛ أَي: مِنْ رِزْقِ (٣) اللَّهِ.

﴿٣٢﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ

(١) وهي قراءة حمزة.

(٢) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو. وقرأ بقية السبعة: ﴿مُعْجِزِينَ﴾.

(٣) في نسخة مطبوعة: «يرزق الله».

[٤٠] ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمَلَائِكَةِ أَهْوَاءٍ إِنَّمَا كَانَ سَبِغَ الْبُرْجَانِ﴾ أي: المشركين ﴿وَمِمَّنْ نَّقُولُ﴾^(١) ﴿لِّلْمَلَائِكَةِ أَهْوَاءٍ إِنَّمَا كَانَ سَبِغَ الْبُرْجَانِ﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الأولى بباء وإسقاطها^(٢) ﴿كَأَنَّهُمْ يَعْبُدُونَ﴾؟

[٤١] ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ﴾ تنزيها لك عن الشريك ﴿أَنْتَ وَإِنَّا مِن دُونِهِمْ﴾ أي: لا موالاة بيننا وبينهم من جهتنا ﴿بَلْ لَّانْتِفَالٌ لِّكُلِّهَا﴾ ﴿كَأَنَّهُمْ يَعْبُدُونَ الْجِنَّ﴾ الشياطين؛ أي: يطعونهم في عبادتهم إيانا ﴿أَكْثَرُهُمْ يَمُومُونَ﴾ مصلحون فيما يقولون لهم.

[٤٢] قال - تعالى -: ﴿قَالِيَوْمَ لَا يَمَلِكُ بَعْضُكُم لِّبَعْضٍ﴾ أي: بعض المعبودين لبعض العابدين ﴿شَفَاعَةً﴾ ﴿وَلَا ضَرًّا﴾ تعذبا ﴿وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ كفروا: ﴿ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهَا تَكْفُرُونَ﴾.

[٤٣] ﴿وَإِذْ أَنْتَلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا﴾ القرآن ﴿سَيِّئَاتٍ﴾ واضحاب بلسان نبيينا محمد ﷺ ﴿قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانْتُمْ يَعْبُدُونَ﴾ من الأصنام ﴿وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا آفَاكٌ﴾ كذب ﴿مُفْتَرَىٰ﴾ على الله ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَئِن لَّبِثُوا إِلَّا لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ ما ﴿هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ تين.

[٤٤] قال - تعالى -: ﴿وَمَا آتَيْنَهُمْ مِن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِم قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ﴾ فمن أين كذبوك؟!.

[٤٥] ﴿وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا تَلَّوْا﴾ أي: هولاء ﴿مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ﴾ من القوة وطول العمر وكثرة المال ﴿كَذَّبُوا رُسُلًا﴾ إليهم ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ إنكارى عليهم العقوبة والإهلاك؛ أي: هو واقع موقعه.

[٤٦] ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْطُكُمْ بِوَجْهِ اللَّهِ﴾ هي ﴿أَنْ تَقْرُمُوا لِلَّهِ﴾ أي: لأجله ﴿مَتْنً﴾ أي: اثنين اثنين ﴿وَفَرْدَيْنَ﴾ واحدا واحدا ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا﴾ فتعلموا ﴿مَا يَصْحَابِكُمْ﴾ محمد ﴿مِن جَنَّةٍ﴾ جنون ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لِّكُم بَيْنَ يَدَيْ﴾ أي: قبل ﴿عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ في الآخرة إن عصيتموه.

[٤٧] ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿مَا سَأَلْتُكُمْ﴾ على الإنذار والتبليغ ﴿مِنَ الْجَزَاءِ﴾ فهو لكم ﴿أَي: لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ ﴿إِنْ أَجْرِي﴾ ما ثوابي ﴿إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ وهو على كل شيء شهيد ﴿مُطَّلِعٌ يَغْلَمُ صِدْقِي﴾.

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهْوَاءُ إِيَّائِكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَإِنَّا مِن دُونِهِمْ﴾ بَلْ كَانُوا

يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴿قَالِيَوْمَ لَا يَمَلِكُ لَكُمْ بَعْضُكُم لِبَعْضٍ نَّفَعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ

النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهَا تَكْفُرُونَ ﴿وَإِذْ أَنْتَلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانْتُمْ يَعْبُدُونَ﴾

إِنَّمَا جَاءَهُمْ بِهَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿وَمَا آتَيْنَهُمْ مِن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ﴾

وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا تَلَّوْا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلًا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْطُكُمْ بِوَجْهِ اللَّهِ أَنْ

تَقْرُمُوا لِلَّهِ مَتْنً وَفَرْدَيْنَ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا يَصْحَابِكُمْ مِنْ جَنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لِّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿قُلْ

مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿قُلْ إِنْ رَبِّي يَتَذَقَّرُ بِالْحَقِّ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿١٨﴾

[٤٨] ﴿قُلْ إِنْ رَبِّي يَتَذَقَّرُ بِالْحَقِّ﴾ يلقيه إلى أنبيائه ﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ ما غاب عن خلقه في السماوات والأرض.

(١) وهي قراءة السبعة ما عدا حفص، وقرأ حفص: ﴿يَحْشُرُهُمْ﴾.

(٢) وهي قراءة السبعة ما عدا حفص، وقرأ حفص: ﴿يَقُولُ﴾.

(٣) قوله: ﴿إِبْدَالِ الْأُولَى بَاءً﴾، هذا سبق قلم من المفسر - رجحة الله - إذ لم يقرأ بذلك أحد من القراء، وأما إسقاط الأولى مع تحقيق الثانية فقرأه أي عمرو، وأما تحقيق الأولى وتسهيل الثانية فقرأه ورش، وعكسه قالون واليزي، ولورش أيضا إبدال الثانية بباء ساكنة ممدودة مع تحقيق الأولى.

[٥٢] ﴿وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ﴾ بحمد أو القرآن ﴿وَأَنزَلْنَا لَهُمُ التَّنَادُشَ﴾ بواو وبالهمزة بدلها^(١)؛ أي: تناول الإيمان ﴿مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ عن محله؛ إذ هم في الآخرة ومحله الدنيا.

[٥٣] ﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ﴾ في الدنيا ﴿وَيَقْدِفُونَ﴾ يرمون ﴿بِالْعَتَبِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ أي: بما غاب علمه عنهم غيبة بعيدة؛ حيث قالوا في النبي: ساحر، شاعر، كاهن، وفي القرآن: ساحر، شاعر، كهانة.

[٥٤] ﴿وَجِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ من الإيمان؛ أي: قوله ﴿كَمَا قُوِّلَ بِأَشْيَاعِهِمْ﴾ أشباههم في الكفر ﴿مِن قَبْلُ﴾ أي: قبلهم ﴿لِيُنَبِّئَهُمْ كَانُوا فِي شَكِّ مُرِيْبٍ﴾ موقف في الريبة لهم، فيما آمنوا به الآن، ولم يعتدوا بدلائله في الدنيا.

سورة فاطر

[مكية، وهي: خمس، أو: ست وأربعون آية، نزلت بعد الفرقان]^(*)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ حميد - تعالى - نفسه بذلك كما بُيِّنَ في أول سورة سبأ ﴿فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ خالقهما على غير مثال سبق ﴿جَاعِلِ الْمَلَكِيَّةِ رُسُلًا﴾ إلى الأنبياء ﴿أُولَئِكَ أَنْجَحْنَاهُ مَتْنًا وَوَقَّلْنَا بِرَيْدٍ فِي الْخَلْقِ﴾ في الملائكة وغيرها ﴿مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[٢] ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ﴾ كرزق ومطر ﴿فَلَا تُسْمِكُ لَهَا وَمَا يُسْمِكُ﴾ من ذلك ﴿فَلَا تُرْسِلُ لَهُمْ مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي: بعد إمساكه ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ الغالب على أمره ﴿الْحَكِيمُ﴾ في فعله.

[٣] ﴿يُنَادِيهَا النَّاسُ﴾ أي: أهل مكة^(١) ﴿أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بإشكانيتكم الحرم ومنع الغارات عنكم ﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ﴾ ﴿مِنَ﴾ زائدة، ﴿وَخَلْقٍ﴾ مبتدأ ﴿عِزِّ اللَّهِ﴾ بالرفع والجر^(٢): نعت لـ ﴿خَلْقٍ﴾ لفظاً ومحللاً، وخبر المبتدأ: ﴿يُرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ الْمَطْرَ﴾ ﴿وَمِنَ الْأَرْضِ﴾ النبات؟ والاستفهام للتقرير؛ أي: لا خالق رازق غيره ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ من أين تصرفون عن توحيدِه مع إقراركم بأنه الخالق الرازق؟! ﴿تُؤَفِّكُونَ﴾

﴿فَلِجَاءِ الْحَقِّ وَمَا يُبَدِّئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ ﴿قُلْ إِنْ صَلَّيْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فِيمَا يُؤْتِي إِلَىٰ رَبِّيَ إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فِرَعَوُا فَلَاقَتْ وَأَخَذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ ﴿وَقَالُوا لَأَمْتًا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَادُشُ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ ﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْدِفُونَ بِالْعَتَبِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ ﴿وَجِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فَعَلُ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكِّ مُرِيْبٍ﴾

سورة فاطر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِيَّةِ رُسُلًا أُولَئِكَ أَنْجَحْنَاهُ مَتْنًا وَوَقَّلْنَا بِرَيْدٍ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ يَنَادِيهَا النَّاسُ أذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ عِزُّ اللَّهِ يَزُرُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّقُوا اللَّهَ تَوْفِكُونَ ﴿٣﴾

[٤٩] ﴿فَلِجَاءِ الْحَقِّ﴾ الإسلام ﴿وَمَا يُبَدِّئُ الْبَاطِلُ﴾ الكفر ﴿وَمَا يُعِيدُ﴾ أي: لم يبق له أثر.

[٥٠] ﴿قُلْ إِنْ صَلَّيْتُ﴾ عن الحق ﴿فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي﴾ أي: إثم ضلالي عليها ﴿وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فِيمَا يُؤْتِي إِلَىٰ رَبِّي﴾ من القرآن والحكمة ﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ﴾ للدعاء ﴿قَرِيبٌ﴾.

[٥١] ﴿وَلَوْ تَرَىٰ﴾ يا محمد ﴿إِذْ فِرَعَوُا﴾ عند البعث؛ لرأيت أمراً عظيماً ﴿فَلَا قُوَّةَ﴾ لهم مني؛ أي: لا بقوتونا ﴿وَأَخَذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ أي: القبور.

(٥) فائدة: قال البخاري: سورة الملائكة. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة (٣٥). وكذلك سماها الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٣٦).

(١) بالهمزة بدل الواو؛ ﴿التَّنَادُشُ﴾ وهي قراءة حمزة والكسائي وشعبة وأبي عمرو.

(٢) سبق التعليق على نحو هذا مراراً بأن الأولى التعميم وعدم التخصص.

(٣) بالجر قراءة حمزة والكسائي.

[٤] ﴿وَإِنْ يَكْذِبُونَكَ﴾ يا محمد في مجيئك بالتوحيد والبعث والحساب والعقاب ﴿فَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولًا مِّن قَبْلِكَ﴾ في ذلك؛ فاصبر كما صبروا ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ في الآخرة؛ فيجازي المكذبن وينصر المسلمين.

[٥] ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ بالبعث وغيره ﴿حَقٌّ فَلَا تَغْرِبَنَّكُمُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا﴾ عن الإيمان بذلك ﴿وَلَا يَغْرِبَنَّكُم بِاللَّهِ﴾ في حليمه وإمهاله ﴿الْعُرُورُ﴾ الشيطان.

[٦] ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ بطاعة الله، ولا تطيعوه ﴿إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ﴾ أتباعه في الكفر ﴿لِيَكُونُوا مِن أَحْصَابِ السَّعِيرِ﴾ النار الشديدة.

[٧] ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم ﴿عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ حَسْرَتٌ ﴿بِأَعْتَابِكُمْ أَنْ لَا يُؤْمِنُوا﴾ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿فِي جَزَائِهِمْ عَلَيْهِ﴾.

[٨] ونزل في أبي جهل وغيره: ﴿أَقَمَ زَيْنٌ لَمْ سُوءَ عَلَيْهِ﴾ بالتمويه ﴿فَرَأَاهُ حَسَنًا﴾ «من» مبتدأ، خبره: كمن هداه الله؟ لا، دل عليه: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ﴾ على المرثين لهم ﴿حَسْرَتٌ﴾ بإعتابكم أن لا يؤمنوا ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ فيجازيهم عليه^(١).

[٩] ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ﴾ وفي قراءة^(٢): ﴿الرِّيحَ﴾ ﴿فَتُفِيرُ سَحَابًا﴾ المضارع لحكاية الحال الماضية؛ أي: تزجعه ﴿فَتُسْقِنُهُ﴾ فيه النفثات عن الغيبة ﴿إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ بالتشديد والتخفيف^(٣)؛ لا نبات بها ﴿فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ﴾ من البلد ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ يسهاها؛ أي: أنبتنا به الزرع والكلأ ﴿كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾ أي: البعث والإحياء.

[١٠] ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ أي: في الدنيا والآخرة؛ فلا تنال منه إلا بطاعته فليطعه ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكُلُّ اللَّطِيبُ﴾ يعلقه^(٤)؛ وهو: لا إله إلا الله ونحوها ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ يقبله ﴿وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ الْمَكْرَاتِ﴾ السَّكْرَاتِ ﴿بِالنَّبِيِّ فِي دَارِ النَّدْوَةِ﴾ من تقيده، أو قتله، أو إخراجها. - كما ذكر في الأنفال^(٥) - ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرٌ أُولَئِكَ هُوَ يُورِثُ يَهْلِكُ﴾.

[١١] ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِن تُرَابٍ﴾ بخلق أيكم آدم منه ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ أي: مني يخلق ذريتي منها ﴿ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾ ذكورا وإناثا ﴿وَمَا تَحْمِلُ

وَإِنْ يَكْذِبُونَكَ فَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولًا مِّن قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿١﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغْرِبَنَّكُمُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغْرِبَنَّكُم بِاللَّهِ الْعُرُورُ ﴿٢﴾ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِن أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٣﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٤﴾ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّمَا يَضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٌ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٥﴾ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُفِيرُ سَحَابًا فَسُقِنُهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ ﴿٦﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكُلُّ اللَّطِيبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ الْمَكْرَاتِ السَّكْرَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرٌ أُولَئِكَ هُوَ يُورِثُ وَيَهْلِكُ ﴿٧﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِن أُنثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا يَعْلَمُهُ وَمَا يَعْمَرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنْقِصُ مِن عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٨﴾

بِنِ أُنثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا يَعْلَمُهُ: حال؛ أي: معلومة له ﴿وَمَا يَعْمَرُ مِن مُّعَمَّرٍ﴾ أي: ما يزداد في عمر طويل العمر ﴿وَلَا يُنْقِصُ مِن عُمُرِهِ﴾ أي: ذلك المعمر، أو معمر آخر^(١) ﴿وَلَا فِي كِتَابٍ﴾ هو: اللوح المحفوظ ﴿وَإِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ هَيَّئْ.

(١) روي هذا عن ابن عباس، كما ذكر البيهقي في باب النقول ص (١٨١) عن جوير عن الضحاك عن ابن عباس به، وجوير متروك الحديث، والضحاك لم يلق ابن عباس، وهو ضعيف جدًا كما ذكر صاحب الاستيعاب (١٤٨/٣).

(٢) لحزرة والكسائي وابن كثير.

(٣) بالتخفيف قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة.

(٤) وهذا من تأويل الكلم وتحريفه عن مواضعه؛ ومراد المفسر غفر الله لنا وله نفي ما يدل عليه من إثبات علو الذات لله ﷻ جرياً على طريقته في ذلك.

(٥) في قوله تعالى: ﴿وَرِثَةً يَتُورَكُ بِكِ الْآيَاتِ كَثِيرًا لِّتُبَيِّنَ لَهُ مَا يَتْلُو رَبُّكَ وَإِنَّكَ مُبْتَلًى فِي سَبِيلِنَا﴾ الآية [الأنفال: ٣٠].

(٦) أي إن الضمير عائذ على الجنس، لا على العين؛ أي لا على عين المعر بل على غيره؛ لأن الطويل العمر في الكتاب وفي علم الله تعالى لا ينقص من عمره. قال ابن جرير: وهذا كقولهم: «عندي ثوب ونصفه، أي ونصف آخر. ويكون معنى الآية هنا هذا القول: أي ما يعطى بعض النطف. عند نطف الروح وكتب الأجل. من العمر الطويل يعلمه الله تعالى، وهذا اختيار ابن جرير وابن كثير.

﴿تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ هو: السمك ﴿وَتَسْتَحْرِجُونَ﴾ من الملح، وقيل: منهما ﴿حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ هي: اللؤلؤ والمرجان ﴿وَتَرَى﴾ تبصر ﴿الْفَلَكَ﴾ السفن ﴿فِيهِ﴾ في كل منهما ﴿مَوَازِيرَ﴾ تمخر الماء؛ أي: تَشَقُّهُ بِحِزْبَيْهَا فِيهِ مَقْبَلَةٌ وَمُدْبِرَةٌ بِرِيحٍ وَاحِدَةٍ ﴿لِيُنْبِتُوا﴾ تطلبوا ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ - تعالى - بالتجارة ﴿وَلَمَّا كُنتُمْ تَشْكُرُونَ﴾ الله على ذلك.

[١٣] ﴿يُولِجُ﴾ يدخل الله ﴿الْأَيْلَ فِي النَّهَارِ﴾ فيزيد^(١) ﴿وَيُولِجُ النَّهَارَ﴾ يدخله ﴿فِي الْإَيْلِ﴾ فيزيد^(٢) ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلَّ مِنْهُمَا لِيجْرِي﴾ في فلكه ﴿لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يوم القيامة ﴿ذَلِكَ كُمْ اللَّهُ رَزَقَكُمْ لَهُ الْمُلْكَ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ أي: غيره؛ وهم: الأصنام ﴿مَا يَدْعُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ لفاقة النواة.

[١٤] ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعْوَكُمْ وَكَلِمَاتُهُمْ كَالْحِجَابِ﴾ ما استجابوا لكم ﴿مَا أَجَابَكُمْ﴾ يوم القيامة يكفرون ﴿بِشْرِكِكُمْ﴾ بإشراككم إياهم مع الله؛ أي: يتبرعون منكم ومن عبادتكم إياهم ﴿وَلَا يَسْمَعُونَ﴾ بأحوال الدارين ﴿مِثْلَ خَبِيرٍ﴾ غالم؛ هو: الله تعالى.

[١٥] ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ عن خلقه ﴿الْحَمِيدُ﴾ المحمود في صنعه بهم.

[١٦] ﴿إِنْ يَشَأْ يُدْهِنَكُمْ وَإِنْ يَشَأْ يُجْعِلْكُمْ جَرِيدًا كَالْعِجْرِ﴾ إن شاء يذهبكم ويأت بخلق جديد ﴿بِدَلِكُمْ﴾.

[١٧] ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ شديد.

[١٨] ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ أي: لا تحمل ﴿وَزِرَةٌ﴾ نفس ﴿أُخْرَىٰ﴾ وإن تدع ﴿نَفْسٌ مَثْقَلَةٌ﴾ بالوزر ﴿إِنْ حَمَلَتْهَا﴾ منه أحدًا ليحمل بعضه ﴿لَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ﴾ المدعو ﴿ذَا قُرْبَىٰ﴾ قرابته؛ كالأب والابن، وعدم الحمل في الشقين^(٣) حكم من الله ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾ أي: يخافونه وما رأوه؛ لأنهم المنتفعون بالإنذار ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ أداموها ﴿وَمَنْ تَرَكَ﴾ تطهر من الشرك وغيره ﴿فَأَنَّمَا يَتَرَكُ لِنَفْسِهِ﴾ فصلاحه مختص به ﴿وَلِلَّهِ الْمَصِيرُ﴾ المرجع؛ فيجزى بالعمل في الآخرة.

وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذَبٌ فُرَاتٌ سَابِعٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أَجَاجٌ وَمِنْ كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَحْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفَلَكَ فِيهِ مَوَازِيرَ لِيُنْبِتُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَمَّا كُنتُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٣﴾ يُولِجُ الْإَيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي الْإَيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلَّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴿١٤﴾ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعْوَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٥﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٦﴾ إِنْ يَشَأْ يُدْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٧﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٨﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَرَكَ فَإِنَّمَا يَتَرَكُ لِنَفْسِهِ وَلِلَّهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾

[١٢] ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذَبٌ فُرَاتٌ﴾ شديد العذوبة ﴿سَابِعٌ شَرَابُهُ﴾ شربه ﴿وَهَذَا مِلْحٌ أَجَاجٌ﴾ شديد الملوحة ﴿وَمِنْ كُلِّ مِنْهُمَا﴾

(١) أي: الليل ويطول.

(٢) أي: النهار ويطول.

(٣) أي في الحمل الفهري في قوله: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾، أو الاختياري؛ تلبية لدعوة المثقلة غيرها ليحمل بعضه.

[١٩] ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ﴾ الكافر والمؤمن.

[٢٠] ﴿وَلَا الظُّلُمَاتُ﴾ الكفر ﴿وَلَا النُّورُ﴾ الإيمان.

[٢١] ﴿وَلَا الظُّلُّ وَلَا النُّورُ﴾ الجنة والنار.

[٢٢] ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ﴾ ولا الأموات ﴿وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾ المؤمنون ولا الكفار، وزيادة «لا» في الثلاثة تأكيد ﴿إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ﴾ هدايته؛ فيجيبه بالإيمان ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾ أي: الكفار - شبههم بالمتى - فيجيبون.

[٢٣] ﴿إِنَّ﴾ ما ﴿أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ منذر لهم.

[٢٤] ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ بالهدى ﴿بَشِيرًا﴾ من أوجب إليه ﴿وَنَذِيرًا﴾ من لم يجب إليه ﴿وَإِنَّ﴾ ما ﴿مَنْ أُمَّةٌ إِلَّا خَلَا﴾ سلف ﴿فِيهَا نَذِيرٌ﴾ نبي يُنذِرُهَا.

[٢٥] ﴿وَإِنْ يَكْذِبُونَ﴾ أي: أهل مكة ﴿فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ المعجزات ﴿وَالزُّبُرِ﴾ كصحف إبراهيم ﴿وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ هو: التوراة والإنجيل؛ فاصبر كما صبروا.

[٢٦] ﴿فَمَنْ أَخَذْتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بتكديهم ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ إنكارى عليهم بالعقوبة والإهلاك؛ أي: هو واقع موقعه.

[٢٧] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تعلم ﴿أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا﴾ فيه التفات عن الغيبة ﴿بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا﴾ كأخضر وأحمر وأصفر وغيرها ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ﴾ جمع جُدَّة؛ طريق في الجبل وغيره (١) ﴿بَيْضٌ وَحُمْرٌ وَصَفْرٌ﴾ و﴿مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا﴾ بالشدّة والضعف ﴿وَعَرَبِيبٌ سُودٌ﴾ عطف على ﴿جُدَدٌ﴾ أي: صخور شديدة السواد، يقال كثيرا: أسود غريب، وقليلًا: غريب أسود.

[٢٨] ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالذُّوَابِ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ﴾ كذلك ﴿كَاخْتِلَافِ النَّارِ وَالْجِبَالِ﴾ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴿بِخِلَافِ الْجِهَالِ﴾ ككفار مكة ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ في ملكه ﴿عَفُورٌ﴾ لذنوب عباده المؤمنين.

[٢٩] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ﴾ يقرعون ﴿كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ أداموها ﴿وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ زكاة وغيرها ﴿يَرْجُونَ يَوْمًا﴾

وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا الظُّلُّ وَلَا النُّورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ وَإِنْ يَكْذِبُونَ فَاقْبَلْ لَهُمْ مَن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَعَرَبِيبٌ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالذُّوَابِ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ وَكَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تَجْرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُؤْفِقَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾

لَنْ تَكُورَ ﴿٣٠﴾ تهلك.

[٣٠] ﴿لِيُؤْفِقَهُمْ أَجُورَهُمْ﴾ ثواب أعمالهم المذكورة ﴿وَيَزِيدَهُمْ مِّن فَضْلِهِ﴾ إِنَّهُ غَفُورٌ ﴿لذنوبهم﴾ شَكُورٌ ﴿لطاعتهم﴾.

(١) قال القاضي كعنان في فرة العينين ص (٥٧٥): يشير إلى اختلاف ألوان الصخور، ومعنى «الجُدَّة» في أصل اللغة: الخُطَّة في ظهر الحمار تخالف لونه؛ أي إن صخور الجبال تخطط وطرائق مختلفة الألوان....

بالوالبان والظواهر^(١).

[٣٢] ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا﴾ أعطينا ﴿الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ وهم امتك ﴿فِيْمَنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ بالتقصير في العمل به ﴿وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ﴾ يعمل به أغلب الأوقات ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ يضم إلى العلم التعليم والإرشاد إلى العمل ﴿يَاذُنَ اللَّهِ﴾ يرادته ﴿ذَلِكَ﴾ أي: إيراثهم الكتاب ﴿هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾^(٢).

[٣٣] ﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ﴾ أي: إقامة ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ الثلاثة بالبناء للفاعل وللمفعول^(٣)؛ خبر ﴿جَنَّتٍ﴾ المبتدأ ﴿يُحَلُّونَ﴾ خبر ثانٍ ﴿فِيهَا مِنْ﴾ بعض ﴿أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾ مَرُصَعٌ بالذهب ﴿وَلِيَّاسُوهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾^(٤).
[٣٤] ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾ جميعه ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ﴾ للذنوب ﴿شُكُورٌ﴾ للطاعة.

[٣٥] ﴿الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمَقَامَةِ﴾ الإقامة ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ لا يمسنا فيها نصيبٌ ﴿ثُمَّ﴾ ولا يمسنا فيها لغوبٌ ﴿إِغْيَاءً مِنَ التَّعَبِ﴾ لعدم التكليف فيها، وذكر الثاني التابع للأول للتصريح بنفيه.

[٣٦] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ بالموت ﴿فِيْمَوْثُوا﴾ يستريحوا ﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾ طرفه عين ﴿كَذَلِكَ﴾ كما جزيناها ﴿[يُجْزَىٰ]﴾^(٥) ﴿كُلُّ كَافِرٍ﴾ كافرٍ، بالياء والنون المفتوحة مع كسر الزاي ونصب ﴿كُلِّ﴾.

[٣٧] ﴿وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا﴾ يستغيثون بشدة وعويل، يقولون: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا﴾ منها ﴿نَعْمَلْ صَلِيحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ يقال لهم: ﴿أَوْلَدٌ نُحَرِّمُكُمْ مَا﴾ وقتا ﴿يَنْذَكُرُ فِيهِ مِنْ تَذَكُّرِ وَحَاكُمُ النَّذِيرِ﴾ الرسول فيما أجبتم ﴿فَدُؤُفُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾ الكافرين ﴿مِنْ نَصِيرٍ﴾ يدفع العذاب عنهم.

[٣٨] ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ بما في القلوب؛ فعلمه بغيره أولى بالنظر إلى حال الناس^(٦).

وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِنَّ اللَّهَ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٣﴾ جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلُّونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِيَّاسُوهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٤﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شُكُورٌ ﴿٣٥﴾ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمَقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا الْغُوبُ ﴿٣٦﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ ﴿٣٧﴾ وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَلِيحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوْلَدٌ نُحَرِّمُكُمْ مَا تَدَعَرُ فِيهِ مِنْ تَذَكُّرِ وَحَاكُمُ النَّذِيرِ ﴿٣٨﴾ فَذُؤُفُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿٣٩﴾ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤٠﴾

[٣١] ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ القرآن ﴿هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ تقدمة من الكتب ﴿إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ عالم

(٥) فائدة: أخرج الترمذي عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ أنه قال في هذه الآية: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُلَاذِنُ اللَّهَ قَالَ: «هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة، وكلهم في الجنة». الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٣٦) سورة قاطر، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٥٧٧).

(١) إذا كان مراد المفسر بذلك تفسير قوله: ﴿لَخَبِيرٌ﴾ فنعلم؛ وإن كان مراده تفسير ﴿بَصِيرٌ﴾ بذلك أيضًا فإن هذا من تأويل صفة البصر الثابتة لله ﷻ على الوجه اللائق به، وهو مردود.

(٢) بالبناء للمفعول قراءة أبي عمرو.

(٣) وهي قراءة أبي عمرو.

(٤) أي: أما بالنسبة إليه سبحانه؛ فالسر والعلانية سواء.

[٣٩] هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ مَا كَفَرْتُمْ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ إِلَّا خَسَارًا لِلْآخِرَةِ.

[٤٠] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره؛ وهم: الأصنام الذين زعمتم أنهم شركاء الله - تعالى - ﴿أَرُونِي﴾ أخبروني ﴿مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ﴾ شراكة مع الله ﴿فِي﴾ خلق ﴿السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَهُم كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ﴾ حجة ﴿بَيْنَهُ﴾ بأن لهم معي شركة؟ لا شيء من ذلك ﴿بَلْ إِنْ﴾ ما ﴿يَعْبُدُونَ إِلَّا الظَّالِمِينَ﴾ الكافرون ﴿بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِيَّاهُ يَعْبُدُونَ﴾ باطلا، بقولهم: الأصنام تشفع لهم.

[٤١] ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾ أي: ينعهما من الزوال ﴿وَلَكِنْ﴾ لام قسم ﴿زَالَتَا إِنْ﴾ ما ﴿أَسْكَمْتُمَا﴾ يمسكهما ﴿بَيْنَ أَيْدِي مَنْ يُعْبِدُهُ﴾ أي: سواه ﴿إِنَّمَا كَانَ حِجَابًا غُفُورًا﴾ في تأخير عقاب الكفار.

[٤٢] ﴿وَأَقْسَمُوا﴾ أي: كفار مكة ﴿بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ غاية اجتهادهم فيها ﴿لَنْ يَجَاءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ رسول ﴿لَيَكُونَنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ﴾ اليهود والنصارى وغيرهم؛ أي: أي واحدة منها، لما رأوا من تكذيب بعضهم بعضاً؛ إذ قالت اليهود: ﴿لَيْسَتِ النَّصْرَانِيَّاتُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾^(١) وقالت النصارى: ﴿لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾^(٢) ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ محمد ﷺ ﴿مَا زَادَهُمْ﴾ مجيئه ﴿إِلَّا نُفُورًا﴾ تباعداً عن الهدى.

[٤٣] ﴿أَسْتَكْبَارًا فِي الْأَرْضِ﴾ عن الإيمان، مفعول له ﴿وَمَكْرَ الْعَمَلِ﴾ ﴿السَّيِّئِ﴾ من الشرك وغيره ﴿وَلَا يَحِيقُ﴾ يحيط ﴿الْمَكْرُ السَّيِّئِ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ وهو الماكر، ووضف المكر بالسئ أصل^(٣)، وإضافته إليه قبل^(٤)؛ استعمال آخر، فُدِّر فيه مضاف^(٥)؛ حذرا من الإضافة إلى الصفة ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ﴾ ينتظرون ﴿إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ﴾ سنة الله فيهم؛ من تعذيبهم بتكذيبهم رسُلهم ﴿فَلَنْ يَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ ولن يجد لِسُنَّتِ اللَّهِ تحويلاً ﴿أَي: لا يبدل بالعذاب غيره ولا يحول إلى غير مستحقة.

[٤٤] ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ

هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ مَا كَفَرْتُمْ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّنْهُ بَلْ إِن يَبْدُو ظَالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكْتُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَنْ يَجَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونَنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ أَسْتَكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئِ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ يَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ يَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مُنْهَرِينَ وَقَدْ لَعْنَةُ اللَّهِ لِيُعَذِّبَهُم مِّن شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾

وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ﴿٤٤﴾ فأهلهم الله بتكذيبهم رسُلهم ﴿وَمَا كَانَتْ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم مِّن شَيْءٍ﴾ يسبقه ويفوته ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَتْ عَلِيمًا﴾ أي: بالأمور كلها ﴿قَدِيرًا﴾ عليها.

(١)، (٢) البقرة: ١١٣.

(٣) أي: جاء على الأصل؛ من استعمال الصفة تابعة للموصوف.

(٤) كما في قوله تعالى: ﴿وَمَكْرُ السَّيِّئِ﴾ [فاطر: ٤٣]، جاء على خلاف الأصل؛ حيث أضيفت فيه الصفة إلى الموصوف.

(٥) قدره الجلال المحلي هنا: «العمل»؛ أي: مكر العمل السيئ.

[٢] ﴿وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ﴾ المحكم بعجيب التظلم وبديع المعاني.

[٣] ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ يا محمد ﴿لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.

[٤] ﴿عَلَىٰ﴾ متعلق بما قبله ﴿صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ أي: طريق الأنبياء قبلك؛ التوحيد والهدى، والتأكيد بالقسم وغيره رد لقول الكفار له: ﴿كُنْتَ مُرْسَلًا﴾.

[٥] ﴿تَنْزِيلٌ﴾^(١) التزييل في ملكه ﴿الرَّحِيمَ﴾ بخلفه، خير مبتدأ مقدر؛ أي: القرآن.

[٦] ﴿لِنُنذِرَ﴾ به ﴿قَوْمًا﴾ متعلق بـ ﴿تَنْزِيلٌ﴾ ﴿مَا أَنذِرَ آبَاءَهُمْ﴾ أي: لم يندروا في زمن الفترة ﴿فَهُمْ﴾ أي: القوم ﴿عَظِيمُونَ﴾ عن الإيمان والرشد.

[٧] ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ﴾ وجب ﴿عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ﴾ بالعذاب ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: الأكثر.

[٨] ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْتَقِهِمْ أَفْعَالًا﴾ بأن نضم إليها الأيدي؛ لأن الغل يجمع اليد إلى العنق ﴿فَهُمْ﴾ أي: الأيدي مجموعة ﴿إِلَى الْأَذْقَانِ﴾ جمع ذقر؛ وهي: مجتمع اللحيين ﴿فَهُمْ مُقْمَحُونَ﴾ رافعون رؤوسهم لا يستطيعون خفضها، وهذا تمثيل؛ المراد: أنهم لا يدعون للإيمان ولا يخفضون رؤوسهم له.

[٩] ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا﴾ بفتح السين وضمها في الموضعين^(٢) ﴿فَاعْشَيْتَهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ تمثيل أيضا لسد طرق الإيمان عليهم.

[١٠] ﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفا وتسهيلها وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه^(٤) ﴿أَمْ لَمْ نُؤْمِنْمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

[١١] ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ﴾ ينفع إنذارك ﴿مَنْ أُنذِرَ الْكَافِرَ﴾ القرآن ﴿وَحَسْبُ الْزَمَنِ بِالْغَيْبِ﴾ خافه ولم يره ﴿فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ هو الجنة.

[١٢] ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى﴾ للبعث ﴿وَنَكْتُبُ﴾ في اللوح المحفوظ ﴿مَا قَدَّمُوا﴾ في حياتهم من خير وشر؛ ليجازوا عليه ﴿وَأَنذَرْتَهُمْ﴾ ما استن به بعدهم ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ﴾ نضبه بفعل يفسره: ﴿أَحْصَيْنَاهُ﴾ ضبطناه ﴿فِي إِمَارٍ مُّبِينٍ﴾ كتاب بين؛ هو: اللوح المحفوظ^(٥).

وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهَرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ﴿٥﴾

سُورَةُ يَسٍ

يس ﴿١﴾ وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِنُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَنذِرْنَا آبَاءَهُمْ فَهُمْ عَظِيمُونَ ﴿٦﴾ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْتَقِهِمْ أَفْعَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَعْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَحَسْبُ الذِّكْرِ الْرَحْمَنُ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَءَاخِرَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾

[٤٥] ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا﴾ من المعاصي ﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهَرِهَا﴾ أي: الأرض ﴿مِنْ دَابَّةٍ﴾ نسمة تدب عليها ﴿وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي: يوم القيامة ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾ فيجازيهم على أعمالهم؛ بإثابة المؤمنين وعقاب الكافرين.

سُورَةُ يَسٍ

[مكية إلا: قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ انْفِقُوا﴾ الآية، أو: مدنية^(١)، نثان

وثمانون آية، نزلت بعد سورة الجن]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿يس﴾ الله أعلم بمراده به.

(٥) ما جاء في نزول الآية (١٢): أخرج الترمذي عن أبي سعيد الخدري قال: كانت بنو سلمة في ناحية المدينة، فأرادوا النقلة إلى قرب المسجد، فنزلت هذه الآية: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآخِرَهُمْ﴾ فقال رسول الله ﷺ: «إن آثاركم تكتب» فلم ينتقلوا. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٣٧). (صحيح) صحيح سنن الترمذي (٢٥٧٨).

(١) لم يذكر هذا الخلاف أحد غيره من المفسرين، والسورة مكية لإجماع كما قال القرطبي.

(٢) هذه قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وشعبة، وقرأ بقية السبعة بالفتح: ﴿تَنْزِيلٌ﴾؛ إما مفعولاً مطلقاً، أو لفعل محذوف مقدر.

(٣) بالضم قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة.

(٤) بالتسهيل قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وهشام، وقُضِلَ بين الهمزتين بالألف: أبو عمرو وقالوا وهشام، والأكثر عن ورش على إبدال الهمزة الثانية ألفاً خالصة.

وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَهِكُمْ مُرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا رَبَّنَا عَلَّمْنَا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا عَلَّمْنَا إِلَّا الْبَلْغَ الْمُبِينِ ﴿١٦﴾ قَالُوا إِنَّا نَطَّيَّرُ بِكُمْ لَيْلٍ لَمْ تَنْتَهُوا لَتَرْجِمْنَاكُمْ وَلَمْ نَسْأَلْكُمْ مَتَاعِدَابِ الْيَوْمِ ﴿١٧﴾ قَالُوا طَائِفُكُمْ مَعَكُمْ أَيْنَ دُكَّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٨﴾ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٩﴾ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلْكُمْ مَتَاعِدَابِ الْيَوْمِ وَهُمْ يُهْتَدُونَ ﴿٢٠﴾ وَمَالِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِيدَنْ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِي عَنِّي شَفَعَتُهُمْ شَيْعًا وَلَا يُنْقِذُونِ ﴿٢٢﴾ إِنْ إِذَا لَفِيَ ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِنْ يَأْمُرْ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونَ ﴿٢٤﴾ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ بِمَا عَفَّرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٦﴾

[١٣] ﴿وَأَضْرِبْ﴾ اجعل ﴿لَهُمْ مَثَلًا﴾ مفعول أول ﴿أَصْحَابَ﴾ مفعول ثان ﴿الْقَرْيَةِ﴾ أنطاكية ﴿إِذْ جَاءَهَا﴾ إلى آخره؛ بدل اشتمال من ﴿أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ﴾ ﴿الْمُرْسَلُونَ﴾ أي: رسل عيسى^(١).

[١٤] ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا﴾ إلى آخره؛ بدل من ﴿إِذْ﴾ الأولى ﴿فَعَزَّزْنَا﴾ بالتخفيف والتشديد^(٢)؛ قَوْنًا الاثني ﴿بِثَالِثٍ﴾ فَعَزَّزْنَا إِيَّاكُمْ مُرْسَلُونَ.

[١٥] ﴿قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾.

[١٦] ﴿قَالُوا رَبَّنَا عَلَّمْنَا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾ ما فقهنا، لزيادة الإنكار في ﴿إِنَّا إِلَهِكُمْ مُرْسَلُونَ﴾.

[١٧] ﴿وَمَا عَلَّمْنَا إِلَّا الْبَلْغَ الْمُبِينِ﴾ التبليغ البين الظاهر بالأدلة الواضحة؛ وهي: إبراء الأئمة والأبرص والمرضى وإحياء الميت^(٣).

[١٨] ﴿قَالُوا إِنَّا نَطَّيَّرُكُمْ﴾ تشاءمنا ﴿بِكُمْ﴾ لانقطاع المطر عننا بسببكم^(٤) ﴿لَيْلٍ﴾ لام قسم ﴿لَمْ تَنْتَهُوا لَتَرْجِمْنَاكُمْ﴾ بالحجارة ﴿وَلَمْ نَسْأَلْكُمْ مَتَاعِدَابِ الْيَوْمِ﴾ مؤلم.

[١٩] ﴿قَالُوا عَلَيْنَا يَوْمَكَ﴾ شؤمكم ﴿نَعْمَكُمْ﴾ بكفركم ﴿أَيْنَ﴾ همزة استفهام دخلت على ﴿إِنْ﴾ الشرطية، وفي همزتها: التحقيق والتسهيل، وإدخال ألف بينها - بوجهها - وبين الأخرى^(٥) ﴿دُكَّرْتُمْ﴾ وُعِظْتُمْ وَخُوفْتُمْ، وجواب الشرط محذوف؛ أي: تطيرتم وكفرتم؟ وهو محل الاستفهام، والمراد به التوبيخ ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ متجاوزون الحد بشيؤكم.

[٢٠] ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ﴾ هو: حبيب النجار، كان قد آمن بالرسول، ومنزله بأقصى البلد ﴿يَسْعَى﴾ يشتد عذوًا لما سمع بتكذيب القوم الرسل ﴿قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾.

[٢١] ﴿اتَّبِعُوا﴾ تأكيد لأول ﴿مَنْ لَا يَسْأَلْكُمْ مَتَاعِدَابِ الْيَوْمِ﴾ على رسالته ﴿وَهُمْ يُهْتَدُونَ﴾ فقيل له: أنت على دينهم. فقال: ﴿يَوْمًا لِي لَا أَتَّخِذُ الَّذِي فَطَرَنِي﴾ خلقتني؛ أي: لا مانع لي من عبادة الموجود مقتضيتها، وأتم كذلك ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ بعد الموت فيجازيكم بكفركم^(٦).

[٢٢] ﴿أَتَّخِذُ﴾ في الهمزتين منه ما تقدم في ﴿أَأَنْدَرْتَهُمْ﴾^(٧) وهو استفهام بمعنى النفي ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ أي: غيره ﴿الَّذِي فَطَرَنِي﴾ إِنْ يُرِيدَنْ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِي عَنِّي شَفَعَتُهُمْ شَيْعًا وَلَا يُنْقِذُونِ﴾ صفة ﴿الَّذِي فَطَرَنِي﴾.

[٢٤] ﴿إِنْ إِذَا﴾ أي: إِنْ عُبِدَتْ غَيْرَ اللَّهِ ﴿لَيْلٍ ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ بين.
[٢٥] ﴿إِنْ يَأْمُرْ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونَ﴾ أي: اسمعوا قولي؛ فرجموه فمات.
[٢٦] ﴿قِيلَ﴾ له عند موته: ﴿ادْخُلِ الْجَنَّةَ﴾ وقيل: دخلها حيا ﴿قَالَ﴾ يَا كُفْرًا حرف تنبيه ﴿لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾.
[٢٧] ﴿بِمَا عَفَّرَ لِي رَبِّي﴾ بغفرانه ﴿وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾.

(١) اختار ابن كثير أنهم رسل من الله تعالى، وهو ما يؤيده سياق الآيات، وليس ما اختاره المصنف وبعض المفسرين أنهم رسل عيسى.

(٢) بالتخفيف قراءة شعبة، وقرأ الباقون بالتشديد.

(٣) (٤) تفسير الأدلة بهذه الآيات، والتشاور بسبب انقطاع المطر مما لا دليل صحيح على ثبوته، وكذلك ما سيأتي من تسمية الرجل الذي جاء من أقصى المدينة بحبيب النجار، وما سبق من تسمية القرية بأنطاكية؛ فالأولى في تفسير القرآن إجمال ما أجمله وتفصيل ما فصله والاقصاء على موضع الفائدة والعبارة، كما عليه أهل التحقيق من المفسرين فلا يحدون في إيضاح مبهات القرآن إلا ما قام عليه دليل قاطع.

(٥) راجع التعليق على الآية رقم (١١٣) من سورة الأعراف.

(٦) في نسخة القاضي كنعان المطبوعة: «كفركم».

(٧) أي: من القراءات، وتقدم بيانها.

[٤١] ﴿وَأَيُّ لَهْمٌ لَّهُمْ﴾ على قدرتنا ﴿أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ وفي قراءة: ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾^(١) أي: آباءهم الأصول^(٢) ﴿فِي الْفُلْكِ﴾ أي: سفينة نوح ﴿الْمَشْحُونِ﴾ المملوء.

[٤٢] ﴿وَوَلَقْنَا لَهْمٌ مِّن مِّثْلِهِ﴾ أي: مثل فلك نوح؛ وهو: ما عملوه على سُكُلِهِ من السفن الصغار والكبار بتعليم الله - تعالى - ﴿مَا يَرْكَبُونَ﴾ فيه.

[٤٣] ﴿وَوَلَقْنَا نَشَأَ تَعْرِفُهُمْ﴾ مع إيجاد السفن ﴿فَلَا صَرِيحٌ مُّبِينٌ﴾ لَمَّمٌ وَلَا هُمْ يُنْقَدُونَ﴾ ينجون.

[٤٤] ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾ أي: لا ينجيهم إلا رحمتنا لهم وتمتعنا بإياهم بلذاتهم إلى انقضاء آجالهم.

[٤٥] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾ من عذاب الدنيا كثيرهم ﴿وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ من عذاب الآخرة ﴿لَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ﴾ أعرضوا.

[٤٦] ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾.

[٤٧] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ أي: قال فقراء الصحابة^(٣) ﴿لَهُمْ أَنْفِقُوا﴾ عَلَيْنَا وَمَتَا رَزَقَكُمْ اللَّهُ﴾ من الأموال ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ استهزاء بهم: ﴿أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَنْطَعِمُ﴾ في معتقدكم هذا ﴿إِنْ مَا أَنْتُمْ﴾ في قولكم لنا ذلك مع معتقدكم هذا ﴿إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ يبين، وللصريح بكفرهم^(٤) موقع عظيم.

[٤٨] ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ﴾ بالبعث ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فيه.

[٤٩] قال - تعالى -: ﴿مَا يَنْظُرُونَ﴾ أي: ينتظرون ﴿إِلَّا صَيِّحَةً وَجِدَّةً﴾ وهي: نفخة إسرئيل الأولى ﴿تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ بالتشديد، أصله: يخصمون؛ نقلت حركة التاء إلى الخاء وأدغمت في الصاد؛ أي: وهم في غفلة عنها يتخاضم وتبائع وأكل وشرب وغير ذلك، وفي قراءة: ﴿يَخِصِّمُونَ﴾^(٥) كـ«يضربون»؛ أي: يخصم بعضهم بعضاً.

[٥٠] ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾ أي: أن يوصوا ﴿وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ من أسواقهم وأشغالهم، بل يموتون فيها.

[٥١] ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ - هو قرن - النفخة الثانية للبعث، وبين النفختين أربعون سنة^(٦) ﴿فَإِذَا هُمْ﴾ أي: المقبورون ﴿بَيْنَ الْأَكْدَامِ﴾ القبور ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَسْأَلُونَ﴾ يخرجون بسرعة.

[٥٢] ﴿قَالُوا﴾ أي: الكفار منهم: ﴿يَا لِلنَّبِيِّ وَوَلَدَاتِهِ﴾ هلاكنا، وهو مصدّر لا يفعل له من لفظه ﴿مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾ لأنهم كانوا بين النفختين نائمين لم يعذبوا ﴿هَذَا﴾ أي: البعث ﴿مَا﴾ أي: الذي ﴿وَعَدَّ﴾ به

وَأَيَّةٌ لَهُمْ أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَوَلَقْنَا لَهْمٌ مِّن مِّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأُ نَعْرِفُهُمْ فَلَا صَرِيحٌ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَدُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَنْطَعِمُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٧﴾ مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيِّحَةً وَجِدَّةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٨﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٩﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَكْدَامِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَسْأَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالُوا يَا بَنِيَّ إِنَّا كُنَّا مِنْ مَّوَدَّاتِهِمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٥١﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَكْدَامِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَسْأَلُونَ ﴿٥٢﴾

﴿الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ﴾ فيه ﴿الْمُرْسَلُونَ﴾ أفروا حين لا ينفعهم الإفرار، وقيل: يقال لهم ذلك.

[٥٣] ﴿إِنْ مَا﴾ كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم جميع لديننا عندنا ﴿مُحْضَرُونَ﴾.

[٥٤] ﴿قَالِيَوْمَ لَا تُنْفَعُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا﴾ جزاء ﴿مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

(١) لنافع وابن عامر.

(٢) أشار بذلك إلى أن لفظ الذرية كما يطلق على الفروع يطلق على الأصول.

(٣) الأولى في تفسيرها ما ذكره ابن كثير بقوله: أي وإذا أمروا بالإتفاق مما رزقهم الله على الفقراء والمهاجرين من المسلمين... الخ.

(٤) أي في قوله: ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، والموقع العظيم الذي يشير إليه المصنف هو: الشنيع عليهم.

(٥) لحزمة، والقراءة المفردة أولاً، لورش وهشام وابن كثير، وقرأ قالون بإخفاء حركة الخاء مع التشديد كذلك. ومثله أبو عمرو، وقيل عن أبي عمرو إنه اختلس حركة الخاء، وقرأ عاصم والكسائي: ﴿يَخِصِّمُونَ﴾.

(٦) الأولى عدم التعيين؛ فيقال: «أربعون» فقط، كما في حديث أبي هريرة عند البخاري (٤٨١٤)، ومسلم (٢٩٥٥) أن النبي ﷺ قال: «ما بين النفختين أربعون»، قالوا: يا أبا هريرة، أربعون يوماً؟

أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِيئَانَا أَنْعَمًا فَهُمْ لَهَا
مَلَائِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَا لَهُم فِئَمًا رُكُودَهُمْ وَمنهَا يَأْكُلُونَ
﴿٧٢﴾ وَأَهُمْ فِيهَا مَتَّعُ وَمَشَارِبٌ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَاتَّخَذُوا
مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ
نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحَضَّرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَخْرُجُكَ قَوْلُهُمْ
إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُبْسِرُونَ وَمَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٦﴾ أَوْلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا
خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ حَصِيمٌ مُمِينٌ ﴿٧٧﴾ وَصَرَبَ لَنَا
مَثَلًا وَسَبَّيْ خَلْقَهُ وَقَالَ مَنْ بَحِي الْعِظَمِ وَهِيَ رَيْبِي ﴿٧٨﴾
قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ
﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنشَأْتُمْ
مِنْهُ نُوفِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوْلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
يَقْدِرُ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾
إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾
فَسُبْحَانَ الَّذِي يَدِينُهُ مَلَائِكَةُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

سورة الصافات

[٨٢] ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ﴾ شأنه ﴿١﴾ ﴿إِذَا أَرَادَ شَيْئًا﴾ أي: خلق شيء ﴿٢﴾ أَن يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٣﴾ أي: فهو يكون، وفي قراءة ﴿٤﴾: بالنصب عطفًا على ﴿يَقُولُ﴾.

[٨٣] ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي يَدِينُهُ مَلَائِكَةُ﴾ ملك، زيدت الواو والناء للمبالغة؛ أي: القدرة على ﴿كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ تُردون في الآخرة.

[٧١] ﴿أَوْلَمْ يَرَوْا﴾ يعلموا، والاستفهام للتعجب، والواو الداخلة عليها للتعطف ﴿أَنَا خَلَقْنَا لَهُمْ﴾ في جملة الناس ﴿وَمِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِيئَانَا﴾ عملناه بلا شريك ولا معين ﴿أَنْعَمًا﴾ هي: الإبل والبقر والغنم ﴿فَهُمْ لَهَا مَلَائِكُونَ﴾ ضابطون^(١).

[٧٢] ﴿وَذَلَّلْنَا﴾ سخرناها ﴿لَهُمْ فِئَمًا رُكُودَهُمْ﴾ مركوبهم ﴿وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾؟.

[٧٣] ﴿وَأَهُمْ فِيهَا مَتَّعُ﴾ كأصوافها وأوبارها وأشعارها ﴿وَمَشَارِبٌ﴾ من لبنها، جمع مشرب؛ بمعنى: شرب، أو موضعه ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ المتعجب عليهم بها فيؤمنون؟ أي: ما فعلوا ذلك.

[٧٤] ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿آلِهَةً﴾ أصنامًا يعبدونها ﴿لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ﴾ ينعون من عذاب الله - تعالى - بشفاعة الهتهم، برعهم.

[٧٥] ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ أي: الهتهم، نزلوا منزلة العقلاء ﴿نَصْرَهُمْ وَهُمْ﴾ أي: الهتهم من الأصنام ﴿لَهُمْ جُنْدٌ﴾ برعهم نصرهم ﴿مُحَضَّرُونَ﴾ في النار مهمم.

[٧٦] ﴿فَلَا يَخْرُجُكَ قَوْلُهُمْ﴾ لك: ﴿لَسْتَ مُرْسَلًا﴾^(١) وغير ذلك ﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُبْسِرُونَ وَمَا يَعْلَمُونَ﴾ من ذلك وغيره؛ فنجازيهم عليه.

[٧٧] ﴿أَوْلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ﴾ يعلم؛ وهو: العاصي بن وائل ﴿أَنَا خَلَقْتُهُ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ مني، إلى أن ضيقتنا شديدًا قوليًا ﴿وَإِذَا هُوَ حَصِيمٌ﴾ شديد الخصومة لنا ﴿سُبِينٌ﴾ بيها، في نفي البعث.

[٧٨] ﴿وَصَرَبَ لَنَا مَثَلًا﴾ في ذلك ﴿وَسَبَّيْ خَلْقَهُ﴾ من المنج، وهو أغرب من مثله ﴿قَالَ مَنْ بَحِي الْعِظَمِ وَهِيَ رَيْبِي﴾ أي: بالية؟ ولم يقل: ريمية - بالناء؛ لأنه اسم لا صفة، وروي أنه أخذ عظمًا ريميًا فقتلته، وقال للنبي ﷺ: أترى يحيي الله هذا بعد ما تبلى وزم؟ فقال ﷺ: نعم، ويُبدِخلك النار^(٢).

[٧٩] ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ مخلوق ﴿عَلِيمٌ﴾ مجملًا ومفصلًا، قبل خلقه وبعد خلقه.

[٨٠] ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ الْمُدَّ وَالْعُقَارِ﴾^(١)، أو كل شجر إلا الغناب^(٢) ﴿نَارًا فَإِذَا أَنشَأْتُمْ مِنْهُ نُوفِدُونَ﴾ تقدحون، وهذا دال على القدرة على البعث؛ فإنه جمع فيه بين الماء والنار والخشب؛ فلا الماء يطفئ النار، ولا النار تحرق الخشب.

[٨١] ﴿أَوْلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ مع عظمهما ﴿يَقْدِرُ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ أي: الأناسي في الصغر؟ ﴿سَبَّيْ﴾ أي: هو قادر على ذلك، أحباب نفسهم ﴿وَهُوَ الْخَلَّاقُ﴾ الكثير الخلق ﴿الْعَلِيمُ﴾ بكل شيء.

(١) أي قاهرون مذلولون، والأظهر والأولى تفسير الملك في الآية بالملك الشرعي، وإباحة التصرف فيها بسائر الوجوه الشرعية، وليكون قوله تعالى بعدها: ﴿وَذَلَّلْنَا﴾ تأسيًا نعمة أخرى لا تسميًا لما قبله.

(٢) الرعد: ٤٣.

(٣) لم أجد هذا اللفظ، لكن أخرج نحوه ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والإسماعيلي في معجمه والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في البعث والضياء في المختارة عن ابن عباس [الندر المشور (٥٠٧/٥)]، وروي ذلك في أبي بن خلف، أيضًا كما ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥٠٧/٥) عن ابن عباس وغيره.

(٤) نوعان من الشجر سريعًا القتح.

(٥) لم يذكر الجلال الخليلي سبب هذا الاستثناء لـ «الغناب» من جملة شجر النار، وقال في حاشية الجمل على الجلالين: «هذا قول الحكماء، يقولون: في كل شجر نار إلا الغناب». وهذا متعقب وهو محل نظر كما ذكر القاضي كتمان في تعليقه على الجلالين.

(٦) قال ابن كثير: أي إنما يأمر بالشيء أمرًا واحدًا لا يحتاج إلى تكرار.

(٧) لابن عامر والكسائي.

يفعل مقدر؛ أي: حفظناها بالشهب **﴿مِنْ كُلِّ جَانِبٍ﴾** متعلق بالمقدر **﴿شَيْطَانٍ مَّارٍ﴾** غاب خارج عن الطاعة. [٨] **﴿لَا يَسْمَعُونَ﴾** (١) أي: الشياطين، مستأنف (٢)، وسماهم هو في المعنى المحفوظ عنه (٣) **﴿إِلَى الذَّلِيلِ الْأَعْمَى﴾** الملائكة في السماء، وُعِدِّي السماع **﴿بِإِلَى﴾** لتضمنه معنى الإصغاء، وفي قراءة: بتشديد الميم والسين، أصله: يتسمعون؛ أدغمت التاء في السين **﴿وَيُقَدِّفُونَ﴾** أي: الشياطين بالشهب **﴿مِنْ كُلِّ جَانِبٍ﴾** من أفاق السماء.

[٩] **﴿دُحُورًا﴾** مصدر دَحَرَه؛ أي: طَرَدَهُ وَأَفْعَدَهُ، وهو مفعول له **﴿وَلَهُمْ﴾** في الآخرة **﴿عَذَابٌ وَأَصِيبٌ﴾** دائم. [١٠] **﴿إِلَّا مَنْ خِطَفَ لَطْفَةً﴾** مصدر؛ أي: المرة، والاستثناء من ضمير **﴿يَسْمَعُونَ﴾** أي: لا يسمع إلا الشيطان الذي سمع الكلمة من الملائكة فأخذها بسرعة **﴿فَاتَّبَعَهُ شَهَابٌ﴾** كوكب مضي (١) **﴿ثَاقِبٌ﴾** يثقبه، أو يحرقه، أو يُحْبِلُهُ (٢). [١١] **﴿فَأَسْتَفِينُهُمْ﴾** استخبر كفار مكة تقريراً أو توبيخاً: **﴿أَمْ أَنْتُمْ خَلْقٌ أَمْ مَنْ خَلَقْنَا﴾** من الملائكة والسموات والأرضين وما فيهما؛ وفي الإتيان **﴿بِمَنْ﴾** تغليب العتلاء **﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ﴾** أي: أصلهم آدم **﴿مِنْ طِينٍ لَّازِبٍ﴾** لازم، يُلصِقُ باليد؛ المعنى: أن خلقهم ضعيف؛ فلا يتكبروا (٣) **﴿يُنكَرُ النَّبِيَّ وَالْقُرْآنَ﴾** المؤدي إلى هلاكهم اليسير. [١٢] **﴿بِئْسَ﴾** للانتقال من غرض إلى آخر؛ وهو: الإخبار بحاله وحالهم **﴿وَعَجِبْتَ﴾** بفتح التاء (٤)؛ خطاباً للنبي ﷺ؛ أي: من تكذيبهم بإيك **﴿وَوَيْ﴾** هم **﴿يَسْتَسْخِرُونَ﴾** من تعجبك. [١٣] **﴿وَإِنَّا ذُكِّرْنَا﴾** وُعِظُوا بالقرآن **﴿لَا يَذْكُرُونَ﴾** لا يتعظون. [١٤] **﴿وَإِنَّا رَأَوْا آيَةً﴾** كان شقاق القمر **﴿يَسْتَسْخِرُونَ﴾** يستهزئون بها. [١٥] **﴿وَقَالُوا﴾** فيها: **﴿إِن﴾** ما **﴿هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾** تبين. وقالوا منكرين للبعث: [١٦] **﴿لَوْدَا مَنَا وَكُنَّا نُرَابًا وَعِظَلًا إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾** في الهمزتين في الموضعين التحقيق، وتسهيل الثانية، وإدخال ألف بينهما على الوجهين (١). [١٧] **﴿أَوِ ابْنِ أَبِي إِسْحَابٍ﴾** بسكون الواو عطفاً **﴿بِأَوْ﴾** وفتحها (٢)، والهمزة للاستفهام، والعطف بالواو والمعطوف عليه محل «إن» واسمها، أو: الضمير في **﴿لَمَبْعُوثُونَ﴾**، والفواصل: همزة الاستفهام. [١٨] **﴿قُلْ نَعَمْ﴾** تعنون **﴿وَأَنْتُمْ ذُرِّيٌّ﴾** أي: صاغرون.

[١٩] **﴿وَإِنَّا هِيَ﴾** ضمير مبهم يفسره **﴿ذَحْرَةٌ﴾** أي: صبيحة **﴿وَجِدَّةٌ﴾** فإذا **﴿هُرٌ﴾** أي: الخلائق أجمع **﴿يَنْظُرُونَ﴾** ما يفعل بهم. [٢٠] **﴿وَقَالُوا﴾** أي: الكفار: **﴿يَا﴾** للتنبيه **﴿وَتِلْكَ﴾** هلاكنا، وهو مصدر لا فعل له من لفظه، وتقول لهم الملائكة: [٢١] **﴿هَذَا يَوْمَ الَّذِينَ﴾** يوم الحساب والجزاء. **﴿هَذَا يَوْمَ الْفَصْلِ﴾** بين الخلائق **﴿الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَكْتَبُونَ﴾**. ويقال للملائكة: [٢٢] **﴿أَحْسَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾** أنفسهم بالشرك **﴿وَأَزْوَجَهُمْ﴾** قرناءهم من الشياطين **﴿وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾**. [٢٣] **﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾** أي: غيره من الأوثان **﴿فَأَهْدُوهُمْ﴾** دلوهم وسوقوهم **﴿إِلَى صِرَاطٍ مُبِينٍ﴾** طريق النار. [٢٤] **﴿وَقَفُوهُمْ﴾** اجسومهم عند الصراط **﴿إِنَّمْ مَسْئُولُونَ﴾** عن جميع أفعالهم وأفعالهم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالصَّفَاتِ صَفَاً ۝ فَأَلْزَجْتَ زَجْرًا ۝ فَاتَّيَلَيْتَ ذِكْرًا ۝ إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ ۝ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشْرِقِ ۝ إِنَّا رَتَبْنَا السَّمَاءَ الذِّيَابِيْنَ رِنَةً الْكُوكِبِ ۝ وَحَفَظْنَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارٍ ۝ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْمَى وَيُقَدِّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ۝ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَأَصِيبٌ ۝ لِأَمِنْ خِطَفَ الْحَظْفَةَ فَاتَّبَعَهُ شَهَابٌ ثَاقِبٌ ۝ فَاسْتَفِينَهُمْ أَهْرَاشُدُ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا ۝ إِنَّا خَلَقْنَا مِنْ طِينٍ لَّازِبٍ ۝ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ۝ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ۝ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ ۝ وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا أَسِحْرٌ مُّبِينٌ ۝ إِي دَامِنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَلًا ۝ أَمْ نَأْمُرُ الْمَعْعُوثُونَ ۝ أَوْ أَبَاؤُنَا أَلْأَوْلُونَ ۝ قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَجْرُونَ ۝ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ ۝ وَقَالُوا إِنَّا نَوَيْلْنَا هَذَا يَوْمَ الْبَدِينِ ۝ هَذَا يَوْمَ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَكْتَبُونَ ۝ أَحْسَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ۝ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ۝ وَقَفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ۝

سُورَةُ الصَّافَاتِ

[مكية، مائة واثنان وثمانون آية، نزلت بعد الأنعام]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] **﴿وَالصَّفَاتِ صَفَاً﴾** الملائكة، تُصَفِّفُ نفوسها في العبادة، أو أوجحتها في الهواء تنظر ما تومر به. [٢] **﴿فَأَلْزَجْتَ زَجْرًا﴾** الملائكة تزرع السحاب؛ أي: تسوقه. [٣] **﴿فَاتَّيَلَيْتَ﴾** أي: قرأ القرآن يتلونه (١) **﴿ذِكْرًا﴾** مصدر من معنى التاليات. [٤] **﴿إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾** يا أهل مكة **﴿لَوَاحِدٌ﴾**. [٥] **﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشْرِقِ﴾** أي: والمغرب للشمس، ولها كل يوم مشرق ومغرب. [٦] **﴿إِنَّا رَتَبْنَا السَّمَاءَ الذِّيَابِيْنَ﴾** [بزيئة] الكوكب؛ أي: بضوئها أو بها، والإضافة للبيان؛ كقراءة تنوين «زينة» المنيئة بالكواكب (٢). [٧] **﴿وَحَفَظْنَا﴾** منصوب

(١) في نسخة مطبوعة: «تلوه».
(٢) قرأ بالإضافة السبعة عدا عاصم وحمره، وقرأ شعبة بنصب الكواكب مع ترك الإضافة، على أنها مفعول لحذف تقديره: (أعني).
(٣) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ حفص وحمره والكسائي: **﴿يَسْمَعُونَ﴾** بتشديد السين والميم من التسمع، وهو: تَطَلَّبُ السماع.
(٤) أي لبيان حالهم بعد حفظ السماء منهم.
(٥) بشر بهذا إلى أن قوله: **﴿مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ﴾** على حذف مضاف؛ أي: من سماع كل شيطان.
(٦) المقصود بشهب تنفصل منها، كما بين ذلك في تفسير سورة الملك: «بأن ينفصل شهاب عن الكوكب كالقسي».
(٧) أي يفسد عقله أو أعضائه.
(٨) في نسخة الصاوي: «فلا يتكبرون».
(٩) وفي قراءة حمزة والكسائي بضمها، ويكون التصجب هو الله. شيخنا - إيثاباً للصفة على الوجه اللائق به.
(١٠) راجع التعليق على الآية (٨١) من سورة الأعراف، وقرأ ابن عامر بالإخبار في الأول والاستفهام في الثاني، وقرأ نافع والكسائي عكسه.
(١١) قرأه ابن عامر وقالون بواو ساكنة قبلها همزة مفتوحة، وقرأ الباقون بواو مفتوحة قبلها همزة مفتوحة.

[٢٥] ويقال لهم توبيخاً: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنصُرُونَ﴾ لا ينصر بعضكم بعضاً، كحالكم في الدنيا؟ ويقال لهم: [٢٦] ﴿بَلْ هُمْ آيِمٌ مُّسْتَقِيمُونَ﴾ مفادون أذلاء.

[٢٧] ﴿وَأَقْبَلِ بُعْثَهُمْ عَلَىٰ بَعْضِ يَسَاءَلُونَ﴾ يتلاومون ويتخاصمون.

[٢٨] ﴿قَالُوا﴾ أي: الأنباغ منهم للمتبعين: ﴿إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ﴾ عن الجهة التي كنا نأمركم منها: لجليفكم أنكم على الحق؛ فصدقناكم واتبعناكم؛ المعنى: أنكم أضللتونا.

[٢٩] ﴿قَالُوا﴾ أي: المستعجبون لهم: ﴿بَلْ لَأَنْتُمْ تَكُونُونَ مُؤْمِنِينَ﴾ وإنما يصدق الإضلال وإن لو كنتم مؤمنين فرجتم عن الإيمان إيتنا.

[٣٠] ﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكَ مِنْ سُلْطَانٍ﴾ قوة وقدرة تفهركم على متابعتنا ﴿بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ﴾ ضالين مثلنا.

[٣١] ﴿ذَنبٌ﴾ وجب ﴿عَلَيْنَا﴾ جميعاً ﴿قَوْلٌ رَبَّنَا﴾ بالعداب؛ أي: قوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ (١) ﴿إِنَّا﴾ جميعاً ﴿لَدَائِبُونَ﴾ العذاب بذلك القول، ونشأ عنه قولهم: [٣٢] ﴿فَأَقْرَيْتَكُمْ﴾ الملعل بقولهم: ﴿إِنَّا كُنَّا غَيُوبِينَ﴾.

[٣٣] قال - تعالى -: ﴿فَأَنبَتْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ أي: لاشترائكهم في العوابة.

[٣٤] ﴿إِنَّا كَذَلِكَ﴾ كما نعمل بهؤلاء ﴿نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ غير هؤلاء؛ أي: نعذبهم، التابع منهم والمتبوع.

[٣٥] ﴿إِنَّهُمْ﴾ أي: هؤلاء، بقربته ما بعده ﴿كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾.

[٣٦] ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّا﴾ في همزته ما تقدم (١) ﴿لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِتَشَاعِرِ تَجْمُونٍ﴾ أي: لأجل محمد.

[٣٧] قال - تعالى -: ﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ﴾ الجائين به؛ وهو: أن لا إله إلا الله.

[٣٨] ﴿إِنَّكُمْ﴾ فيه التفات ﴿لَدَائِبُرًا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ﴾.

[٣٩] ﴿وَمَا نَجْرُونَ إِلَّا﴾ جزاء ﴿مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

[٤٠] ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ﴾ أي: المؤمنين، استثناء منقطع؛ أي: ذكر جزأهم في قوله: [٤١] ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ فِي الْجَنَّةِ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ﴾ بكرة وعشيتاً.

[٤٢] ﴿فَوَيْلٌ﴾ بدل، أو: بيان للرزق؛ وهو: ما يؤكل تلذذاً لا لحفظ صحة؛ لأن أهل الجنة مستغنون عن حفظها بخلق أجسامهم للأبد ﴿وَهُمْ تَكْرُمُونَ﴾ بثواب الله . شبحائه وتعالى.

[٤٣] ﴿فِي جَنَّاتِ الْعُودِ﴾.

[٤٤] ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ لا يرى بعضهم قفاً بعض.

[٤٥] ﴿يَطَافُ عَلَيْهِمْ﴾ على كل منهم ﴿يَكَّابِينَ﴾ هو: الإناء بشرابه ﴿يَمِينٌ نَّعِينَ﴾ من خمر يجري على وجه الأرض كأنهار الماء.

مَا لَكُمْ لَا تَنصُرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمْ آيِمٌ مُّسْتَقِيمُونَ ﴿٢٦﴾ وَأَقْبَلِ بُعْثَهُمْ عَلَىٰ بَعْضِ يَسَاءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوا ﴿٢٨﴾ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴿٢٩﴾ قَالُوا ﴿٣٠﴾ بَلْ لَأَنْتُمْ تَكُونُونَ مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكَ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٢﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَدَائِبُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَعْرَيْتُمْ كُرْبَانَا كُنَّا غَيُوبِينَ ﴿٣٤﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَ مِيزَةٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ إِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِتَشَاعِرِ تَجْمُونٍ ﴿٣٨﴾ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّكُمْ لَدَائِبُونَ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ﴿٤٠﴾ وَمَا نَجْرُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ إِيَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ ﴿٤٢﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤٣﴾ فَوَيْلٌ لَهُمْ فَوَيْلٌ يَمِينٌ نَّعِينَ ﴿٤٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٥﴾ لَا يَرَىٰ بَعْضُهُمْ قِفًا لِّبَعْضٍ ﴿٤٦﴾ وَهُمْ تُكْرَمُونَ ﴿٤٧﴾ شَبَّحَهُنَّ وَتَعَالَى ﴿٤٨﴾ تَجْمُونٍ ﴿٤٩﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّا لَنَدْعُوهُمْ بِيَوْمِهِمْ ﴿٥١﴾

[٤٦] ﴿بَيْضَةً﴾ أشد بياضاً من اللبن ﴿لَذَّةٌ﴾ لذيدة ﴿لِلشَّرِيِّينَ﴾

بخلاف خمر الدنيا؛ فإنها كريهة عند الشرب.

[٤٧] ﴿لَا فِيهَا عِوَالٌ﴾ ما يغتال عقولهم ﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُزْفُونَ﴾ يفتح الزاي وكسرها (٢)؛ من زُوف الشارب، وأزُوف؛ أي: يسكرون بخلاف خمر الدنيا.

[٤٨] ﴿وَعِنْدَهُمْ قَصِيرَاتُ الطَّرْفِ﴾ حاسبات العين على أزواجهم، لا يُنظرون إلى غيرهم لحسنهم عندهم ﴿عِينٌ﴾ ضخام العين حسانها.

[٤٩] ﴿كَأَنَّهُنَّ﴾ في اللون ﴿بَيْضٌ﴾ للنعام ﴿مَكُونٌ﴾ مستور بريشه لا يصل إليه غبار، ولونه . وهو البياض في صفرة . أحسن ألوان النساء.

[٥٠] ﴿فَأَقْبَلِ بُعْثَهُمْ﴾ بعض أهل الجنة ﴿عَلَىٰ بَعْضِ يَسَاءَلُونَ﴾ عما مر بهم في الدنيا.

[٥١] ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ﴾ صاحب يئتيك البعث.

(١) هود: ١١٩.

(٢) أي: من التحقيق وتسهيل الثانية بألف ودونها.

(٣) بالكسر قرأة حمزة والكسائي.

المُحْضَرِينَ ﴿٥٤﴾ معك في النار.

[٥٨] ويقول أهل الجنة: ﴿أَفَأَمَّا نَحْنُ بِمَبْتَرِينَ﴾ [٥٩] ﴿إِلَّا مَوْتَنَا الْأُولَى﴾ أي: التي في الدنيا ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾؟ هو استفهام تلذذ وتحذير بنعمة الله - تعالى ٤- من تأييد الحياة وعدم التعذيب (٦).

[٦٠] ﴿إِنَّ هَذَا﴾ الذي ذُكِرَ لأهل الجنة ﴿هُوَ الْقَوْمُ الْعَظِيمُ﴾.

[٦١] ﴿لِيُثَلَّ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ قيل: يقال لهم ذلك. وقيل: هم يقولونه.

[٦٢] ﴿أَذَلَّكَ﴾ المذكور لهم ﴿حَيْرٌ نَزُلًا﴾ وهو ما يُعَدُّ للنازل، من ضيف وغيره ﴿أَمْ سَجَرَةُ الزُّرُومِ﴾ المعدة لأهل النار؟ وهي من أحببت الشجر المرِبَهَامَةَ، يُبَيِّئُهَا اللهُ في الجحيم؛ كما سيأتي.

[٦٣] ﴿إِنَّا جَعَلْنَاكَ﴾ بذلك ﴿فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ﴾ أي: الكافرين من أهل مكة؛ إذ قالوا: النار تحرق الشجر فكيف تنبت؟

[٦٤] ﴿إِنَّهَا سَجَرَةٌ تُخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ أي: قعر جهنم، وأغصانها ترتفع إلى ذرَكَاتِهَا.

[٦٥] ﴿طَلَعَهَا﴾ المشبه بطلع النخل ﴿كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ الحيات (٧) القبيحة المنظر.

[٦٦] ﴿فَأَنبَتَهُمْ﴾ أي: الكفار ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ مع قبحها؛ لشدة جوعهم ﴿فَمَا لَوْ أَنَّ الظُّلُمَةَ﴾.

[٦٧] ﴿كُنْتُمْ إِنَّمَا تَهْتَكُونَ لَعْنَتَنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ يَشْرَبُونَ﴾ فيختلط بالأكول منها؛ فيصير شوتاً (٨) له.

[٦٨] ﴿كُنْتُمْ إِنَّمَا تَرْجَمُهُمْ لِإِلَى الْجَحِيمِ﴾ يفيد أنهم يخرجون منها لشرب الحميم، وأنه خارجها (٩).

[٦٩] ﴿إِنَّهُمْ الْفَرَاخُ﴾ وجدوا ﴿عَابَاءَ مُرِّضَاتٍ﴾.

[٧٠] ﴿فَهُمْ عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُرْغَبُونَ﴾ يُرْغَبُونَ إلى اتباعهم فيسرعون إليه.

[٧١] ﴿وَلَقَدْ صَلَّ بَعْلُهُمْ أَكْثَرَ الْأُولِينَ﴾ من الأمم الماضية.

[٧٢] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُّذَرِّبِينَ﴾ من الرسل مخوفين.

[٧٣] ﴿فَأَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُؤَذَّرِينَ﴾ الكافرين؛ أي: عاقبتهم العذاب.

[٧٤] ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ﴾ [المُخْلِصِينَ] (١٠) أي: المؤمنين فإنهم نجوا من العذاب؛ لإخلاصهم في العبادة، أو لأن الله أحلصهم لها، على قراءة فتح اللام.

[٧٥] ﴿وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا﴾ بقوله: «رب أني مفلوئ فأنصبر» (١١) ﴿فَلْيَعْمَلِ الْمُجِيبُونَ﴾ له نحن؛ أي: دعانا على قوم، فأهلكناهم بالعرف.

[٧٦] ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ أي: العرق.

يَقُولُ أَيْ نَكَ لِمَنِ الْمَصْدِقِينَ ﴿٥٤﴾ أَيْ ذَامِنًا وَكُنَّا تَرَابًا وَعِظْمًا إِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٥﴾ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُّطْلَعُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَطَّلَعَ قِرَاءَهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٧﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرِيدِينَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٩﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَبْتَرِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَذَا هُوَ الْقَوْمُ الْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِيُثَلَّ هَذَا فَيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٦١﴾ أَذَلَّكَ حَيْرٌ نَزُلًا أَمْ سَجَرَةُ الزُّرُومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاكَ لِلظَّالِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا سَجَرَةٌ تُخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلَعَهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴿٦٥﴾ فَأَنبَتَهُمْ لِأَكُونَ مِنْهَا فَمَا لَوْ أَنَّ الظُّلُمَةَ ﴿٦٦﴾ كُنْتُمْ لَهَا عَلَيْهِمْ نَورًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّمَا مَرَجَعُهُمْ لِأِلَى الْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ إِنَّهُمْ الْفَرَاخُ عَابَاءَ مُرِّضَاتٍ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُرْغَبُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَقَدْ صَلَّ بَعْلُهُمْ أَكْثَرَ الْأُولِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُّذَرِّبِينَ ﴿٧٢﴾ فَأَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُؤَذَّرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ ﴿٧٤﴾ وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا فَلْيَعْمَلِ الْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾

[٥٢] ﴿يَقُولُ﴾ لي تبيكتا: ﴿أَيْ نَكَ لِمَنِ الْمَصْدِقِينَ﴾ بالبعث.

[٥٣] ﴿لَوْ أَنَّا مِنَّا وَكُنَّا تَرَابًا وَعِظْمًا إِنَّا نَاقَةٌ﴾ في الهمزتين في الثلاثة مواضع ما تقدم (١١) ﴿لَمَدِينُونَ﴾ مجزيون ومحاسبون؟ أنكر ذلك أيضًا.

[٥٤] ﴿قَالَ﴾ ذلك القائل لإخوانه: ﴿هَلْ أَنْتُمْ مُّطْلَعُونَ﴾ معي إلى النار لننظر حاله؟ فيقولون: لا.

[٥٥] ﴿فَأَطَّلَعَ﴾ ذلك القائل من بعض كُوسَى الجنة ﴿قِرَاءَهُ﴾ أي: رأى قرينه ﴿فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ في وسط النار.

[٥٦] ﴿قَالَ﴾ له تشميتًا: ﴿تَاللَّهِ إِنْ﴾ مخففة من الثقيلة ﴿كِدْتَ﴾ قاربت ﴿لَتُرِيدِينَ﴾ لنهلكني يا غواثك.

[٥٧] ﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي﴾ علي في الدنيا بالإيمان ﴿لَكُنْتُ مِنَ

(١) أي: بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بإدخال ألف وتركة، وقرأ ابن عامر بالإخبار في الأول والاستفهام في الثاني. وراجع التعليق على الآية (٨١) من سورة الأعراف.

(٢) أي: فهو من كلام بعض أهل الجنة لبعض، وقيل: من كلام المؤمنين للملائكة حين يذبح الموت، ويحتمل أن يكون هذا خطاب من أهل الجنة لأهل النار، على سبيل التبيكت لهم، والتذكير بقولهم هذا في الدنيا؛ حيث كانوا ينكرون البعث والعذاب.

(٣) قيل: المراد بذلك ضرب من الحيات؛ رعوسها بشعة، واحتار ابن كثير أن الآية على ظاهرها، وأنها رعوس الشياطين حقيقة، وإن لم تكن معروفة عند المخاطبين؛ لأنه استقر في النفوس أن الشياطين قبيحة المنظر.

(٤) أي: فيصير الحميم شوتًا؛ أي خليطًا للزقوم.

(٥) مقصود المصنف أن الكفار يؤخذ بهم من الجحيم إلى الجحيم ثم يرجعون إلى الجحيم، وهما في النار؛ وليس المقصود خروجهم من النار لقوله تعالى فيهم: ﴿وَمَا لَهُمْ بِحُجُوبٍ مِنْ نَّارٍ﴾ [البقرة: ١٦٧].

(٦) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ بقية السبعة: ﴿المُخْلِصِينَ﴾ بفتح اللام.

(٧) القمر: ١٠.

[٧٧] ﴿وَجَعَلْنَا دُرِّيَّتَهُ هُرَّ الْبَاقِينَ﴾ فالناس كلهم من نسله - عليه السلام - ، وكان له ثلاثة أولاد: «سام» وهو أبو العرب والفرس والروم، و«حام» وهو أبو السودان، و«ياث» وهو أبو الترك والمخزر^(١) وياجوج وماجوج، وما هنالك.

[٧٨] ﴿وَتَرَكْنَا قُتَيْبًا عَلَيْهِ نَاءَ حَسَنًا﴾ في الآخرين من الأنبياء والأئم، إلى يوم القيامة.

[٧٩] ﴿سَلَّمَ﴾ مِنَّا ﴿عَلَى نُوْحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾.

[٨٠] ﴿إِنَّا كَذَلِكُ﴾ كما جزيناهاهم ﴿تَجْرَى الْمُحْسِنِينَ﴾.

[٨١] ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾.

[٨٢] ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ﴾ كفار قومه.

[٨٣] ﴿وَإِنَّ مِنْ شَيْعِيَّةٍ﴾ أي: ممن تابعه في أصل الدين ﴿لِبَرْهَيْسَ﴾ وإن طال الزمان بينهما، وهو ألفان وستمائة وأربعون سنة^(٢)، وكان بينهما هود وصالح.

[٨٤] ﴿إِذْ جَاءَ رَبُّكَ﴾ أي: تابعه وقت مجيئه ﴿بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ من الشك وغيره.

[٨٥] ﴿إِذْ قَالَ﴾ في هذه الحالة المستمرة له ﴿لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ﴾ مُؤْبِحًا: ﴿مَاذَا الَّذِي تَعْبُدُونَ؟﴾

[٨٦] ﴿أَيْفَاكَ﴾ في همزتيه ما تقدم^(٣) ﴿إِلَهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ﴾ و«إفكا» مفعول له، و«إلهة» مفعول به لـ ﴿تُرِيدُونَ﴾ والإفك: أسوأ الكذب؛ أي: أتعبدون غير الله؟

[٨٧] ﴿فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ إذ عدتم غيره، أنه يترككم بلا عقاب؟ لا، وكانوا نمامين، فخرجوا إلى عيد لهم، وتركوا طعامهم عند أصنامهم - زعموا التبرك عليه؛ فإذا رجعوا أكلوه، وقالوا للسيد إبراهيم: اخرج معنا.

[٨٨] ﴿فَنظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ﴾ إيهامًا لهم أنه يعتمد عليها؛ ليعتمده.

[٨٩] ﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ غليل؛ أي: سأسقم.

[٩٠] ﴿فَتَوَلَّوْا عَنْهُ إِلَىٰ عِجْمِهِمْ مُدْرِكِينَ﴾.

[٩١] ﴿رِزْقٍ﴾ مال في خفية ﴿إِلَىٰ آلِهِمْ﴾ وهي: الأصنام وعندها الطعام ﴿فَقَالَ﴾ استهزاء: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ؟﴾ فلم ينطقوا.

[٩٢] فقال: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ؟﴾ فلم يجب^(٤).

[٩٣] ﴿فَرَأَىٰ عَلَيْهِمْ صُرْبًا بِالْيَمِينِ﴾ بالقوة^(٥)؛ فكسرها؛ فبلغ قومه من رآه.

[٩٤] ﴿فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَرْفُوفُونَ﴾ أي: يسرعون المشي، فقالوا له: نحن نعبدها وأنت تكسرها؟!.

[٩٥] ﴿قَالَ﴾ لهم مُؤْبِحًا: ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾ من الحجارة وغيرها أصنامًا؟!.

[٩٦] ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ من نحتكم ومنحوتكم؛ فاعبده وخذد، و«ما» مصدرية، وقيل: موصولة، وقيل: موصوفة.

[٩٧] ﴿فَالرُّؤُوسُ﴾ بينهم: ﴿أَبْنَاءُ لَكُمْ بَيْنَنَا﴾ فاملفوه حطبا وأضرموه بالنار، فإذا التهب ﴿فَالرُّؤُوسُ فِي النَّارِ الشَّدِيدَةِ﴾.

وَجَعَلْنَا دُرِّيَّتَهُ هُرَّ الْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا قُتَيْبًا عَلَيْهِ فِي الْآخَرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَّمَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَلِكُ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴿٨٢﴾ وَإِنَّ مِنْ شَيْعِيَّةٍ ﴿٨٣﴾ لِبَرْهَيْسَ ﴿٨٤﴾ إِذْ جَاءَ رَبُّكَ عَلَيْهِمْ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٥﴾ إِنَّا كَذَلِكُ ﴿٨٦﴾ أَفَيْفَاكَ ﴿٨٧﴾ أَفَيْفَاكَ الْهَذَىٰ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٨﴾ فَنظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴿٨٩﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٩٠﴾ فَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْرِكِينَ ﴿٩١﴾ فَرَأَىٰ عَلَيْهِمْ صُرْبًا ﴿٩٢﴾ فَمَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ ﴿٩٣﴾ فَرَأَىٰ عَلَيْهِمْ صُرْبًا بِالْيَمِينِ ﴿٩٤﴾ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَرْفُوفُونَ ﴿٩٥﴾ قَالَ أَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٦﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ فَأَلْوُا أَبْنَاءَ الْهَيْبَةِ بُدَيْبًا فَأَلْفُوهُ فِي الْجَحِيمِ ﴿٩٨﴾ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴿٩٩﴾ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَاهِبِينَ ﴿١٠٠﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠١﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠٢﴾ فَمَا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنَئُ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ﴿١٠٣﴾ قَالَ يَا بَنِيَّ أَعْمَلْ مَا تُؤْمُرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٤﴾

[٩٨] ﴿فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا﴾ بإلقائه في النار لتهلكه ﴿فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ﴾

المقهورين؛ فخرج من النار سالما.

[٩٩] ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾ مهاجرا إليه من دار الكفر ﴿سَاهِبِينَ﴾ إلى حيث أمرني ربي بالمصير إليه؛ وهو: الشام، فلما وصل إلى الأرض المقدسة قال: [١٠٠] ﴿رَبِّ هَبْ لِي﴾ ولذا ﴿مِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

[١٠١] ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ أي: ذي حلم كثير.

[١٠٢] ﴿فَمَا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ﴾ أي: أن يسعى معه ويعينه، قيل: بلغ سبع سنين. وقيل: ثلاث عشرة سنة.

﴿فَقَالَ يَبْنَئُ إِنِّي أَرَىٰ﴾ أي: رأيت ﴿فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾ ورؤيا الأنبياء حق، وأفعالهم بأمر الله - تعالى - ﴿فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ من الرأي؟ شاوره ليأمن بالذبح، وينقاد للأمر به ﴿قَالَ يَا بَنِيَّ﴾ التاء عوض عن باء الإضافة^(٦) ﴿أَعْمَلْ مَا تُؤْمُرُ﴾ به ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ على ذلك.

(١) وهم التار.

(٢) أي: من تحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بألف بينهما وتركها.

(٣) تفسير اليمين بالقوة خلاف ظاهر اللفظ، ولو قال: إنما ضربهم باليمين لأنها أشد وأنكى لكان أظهر. وقيل المراد باليمين قسمه الوارد في آية الأنبياء: ﴿وَاللَّهُ لَاصْبِرُونَ إِلَّا عَلَىٰ صَبْرٍ طَوِيلٍ﴾ وتكون الباء سببية.

(٤) أي في: فأي.

(٥) وقيل: غير ذلك، ولا دليل صحيح معتبر على التحديد، والصواب عدمه، والله أعلم.

(٦) في نسخة من المطبوع: «نَجِب»؛ أي الأصنام.

جواب «لما» بزيادة الواو ﴿إِنَّا كَذَّبْنَا﴾ كما جزيناك ﴿تَجْرَى الْمُحْسِنِينَ﴾ لأنفسهم بامتنال الأمر، بإفراج الشدة عنهم. [١٠٦] ﴿إِنَّا هَذَا﴾ الذبح المأمور به ﴿لَهُوَ الْبَيْتُ الْأَيْمَنُ﴾ أي: الاختيار الظاهر. [١٠٧] ﴿وَقَدِّبْتَهُ﴾ أي: المأمور بذبحة؛ وهو: إسماعيل أو إسحاق، قولان^(١) ﴿يَذْبَح﴾ بكيش ﴿عَظِيمٍ﴾ من الجنة، وهو الذي قُوبِلَهُ هَابِيلُ^(٢)، جاء به جبريل الطيّب، فذبحه السيد إبراهيم مكبّراً. [١٠٨] ﴿وَتَرَكْنَا﴾ أبقينا ﴿عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ نناء حسناً. [١٠٩] ﴿سَلَّمْنَا﴾ مِنَّا ﴿عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾. [١١٠] ﴿كَذَلِكَ﴾ كما جزيناها ﴿تَجْرَى الْمُحْسِنِينَ﴾ لأنفسهم. [١١١] ﴿إِنَّمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾. [١١٢] ﴿وَتَرَكْنَا﴾ بِإِسْحَاقَ استدل بذلك على أن الذبح غيره ﴿يَبْنِي﴾ حال مقدرة، أي: يوجد مقدراً نبوته ﴿مِنَ الصَّالِحِينَ﴾. [١١٣] ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ﴾ بتكثير ذريته ﴿وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ﴾ ولديه؛ بجمعنا أكثر الأنبياء من نسله ﴿وَمِنَ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ﴾ مؤمن ﴿وَقَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾ كافر ﴿مُبِينٌ﴾ بين الكفر.

[١١٤] ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾ بالنبوة. [١١٥] ﴿وَوَجَّعْتُهُمَا وَفَوْمَهُمَا﴾ بني إسرائيل ﴿مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ أي: استبعاد فرعون لإياهم. [١١٦] ﴿وَنَصَّرْنَاهُم﴾ على القبط ﴿فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ﴾. [١١٧] ﴿وَعَائِنَتُهُمَا الْكِتَابَ الْمُنِيرَ﴾ البليغ البيان فيما أتى به من الحدود والأحكام وغيرها؛ وهو: التوراة. [١١٨] ﴿وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ﴾ الطريق ﴿الْمُسْتَقِيمَ﴾. [١١٩] ﴿وَتَرَكْنَا﴾ أبقينا ﴿عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ﴾ نناء حسناً.

[١٢٠] ﴿سَلَّمْنَا﴾ مِنَّا ﴿عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾. [١٢١] ﴿إِنَّا كَذَّبْنَا﴾ كما جزيناها ﴿تَجْرَى الْمُحْسِنِينَ﴾. [١٢٢] ﴿إِنَّمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾.

[١٢٣] ﴿وَرَأَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ بالهمزة أوله وتركه^(٣) ﴿لَكَيْنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ قيل: هو ابن أخي^(٤) هارون أخي موسى. وقيل: غيره. أرسل إلى قوم يعيلك ونواحيها. [١٢٤] ﴿إِذْ﴾ منصوب بـ«اذكر» مقدراً ﴿قَالَ لِقَوْمِهِ﴾ أَلَا تَتَّقُونَ الله؟ [١٢٥] ﴿أَلَتَدْعُونَ بَعْلًا﴾ اسم صنم لهم من ذهب، وبه سمي البلد أيضاً مضافاً إلى «بك»؛ أي: أتعبدونه ﴿وَتَدْرُونَ﴾ تتركون ﴿أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾ فلا تعبدونه؟ [١٢٦] ﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولَىٰ﴾ برفع الثلاثة على إضمار «هو»، وبصحبها^(٥) على البدل من «أحسن».

فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٦﴾ وَتَدْبِئْتَهُ أَنْ يَبْتَرَهُمْ ﴿١٠٧﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّءْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٨﴾ إِنَّا هَذَا هُوَ الْبَيْتُ الْأَيْمَنُ ﴿١٠٩﴾ وَقَدِّبْتَهُ يَذْبَحُ عَظِيمٍ ﴿١١٠﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١١١﴾ سَلَّمْنَا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١١٢﴾ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٣﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ يَبْنِي مِنَّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٥﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَوَمِنَ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴿١١٦﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١١٧﴾ وَجَّعْتُهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿١١٨﴾ وَنَصَّرْنَاهُمْ فَمَا كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٩﴾ وَوَجَّعْتُهُمَا الْكِتَابَ الْمُنِيرَ ﴿١٢٠﴾ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٢١﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ ﴿١٢٢﴾ سَلَّمْنَا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٢٣﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٤﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنَّا لِيَأْسَ لِمَنِ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٦﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَالَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَدْرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴿١٢٧﴾ اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولَىٰ ﴿١٢٨﴾

[١٠٣] ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا﴾ خضعاً وانقاداً لأمر الله - تعالى - ﴿وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ صرعه عليه، ولكل إنسان جبينان بينهما الجبهة، وكان ذلك يمتي، وأمر السكين على خلقه فلم تعمل شيئاً يمنع من القدرة الإلهية.

[١٠٤] ﴿وَتَدْبِئْتَهُ أَنْ يَبْتَرَهُمْ﴾. [١٠٥] ﴿قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا﴾ بما أتيت به مما أمكنك من أمر الذبح أي: يكفيك ذلك، فجملة ﴿وَتَدْبِئْتَهُ﴾

(١) والراجع الأول: أنه إسماعيل، وهو الذي تشهد له النصوص، وكذا سياق الآيات بعدها حيث قال: ﴿وَتَرَكْنَا بِإِسْحَاقَ﴾ [الصافات: ١١٢]، بعد أن ذكر قصة الذبح فدل على أنه غيره.

(٢) ذكر هذا الطبري (٨٦/٢٣) عن ابن عباس، وأخرج عنه أيضاً (٨٧/٢٣) أنه كيش من الجنة وعليه أكثر المفسرين، وعزه السيوطي في الدر المنثور (١١٣/٧) لآين أبي شيبه وابن المنذر وابن أبي حاتم، وقيل: بل هو كيش من الكباش المعروفة. والأولى الاقتصار على وصف القرآن، وأنه ذبح عظيم.

(٣) قرأ ابن ذكوان بترك الهمزة - وموصولاً - فإذا ابتداء فتح الهمزة.

(٤) هكذا في أكثر النسخ المطبوعة، وفي نسخة القاضي كنعان: «ابن هارون»؛ أي من ذريته، قال: وهو الصحيح، والآخر سهو؛ لأن إلباس من ذرية هارون، وتقدم مثل ذلك في تفسير الأنعام: (٨٦).

(٥) بالرفع قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة.

[١٢٧] ﴿فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ في النار. [١٢٨] ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ أي: المؤمنين منهم فإنهم نجوا منها.

[١٢٩] ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ ثناء حسنا.

[١٣٠] ﴿سَلَّمَ﴾ ميثا ﴿عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ قيل: هو إيلياس المتقدم ذكره. وقيل: هو ومن آمن معه؛ فجمعوا معه تغليبا؛ كقولهم للمهلب وقومه: المهلبون، وعلى قراءة: ﴿إِلَّا يَأْسِرِينَ﴾ بالمد^(١)؛ أي: أهله، المراد به إيلياس أيضا.

[١٣١] ﴿إِنَّا كَذَّبْنَاكَ﴾ كما جزيناه ﴿بِحَجْرِي الْمُحْسِنِينَ﴾. [١٣٢] ﴿إِنَّمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾. [١٣٣] ﴿وَلَيْنَ لَوْلَا لَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾. اذكر [١٣٤] ﴿إِنَّا جَبَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ﴾. [١٣٥] ﴿إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَائِبِينَ﴾ أي: الباقين في العذاب. [١٣٦] ﴿فَنِمَّ دَرَجًا﴾ أهلكتنا ﴿الْآخِرِينَ﴾ كفار قومه. [١٣٧] ﴿وَلْيَاذُكْرُ لَنُكْرُونَ عَلَيْهِمْ﴾ على آثارهم ومنازلهم في أسفاركم ﴿مُضْجِحِينَ﴾ أي: وقت الصباح؛ يعني: بالنهار. [١٣٨] ﴿وَيَأْتِيَلُ أَفْلا تَقْلُوبُ﴾ يا أهل مكة ما حل بهم فتعتبرون به؟! [١٣٩] ﴿وَلَيْنَ لَوْلَا لَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾. [١٤٠] ﴿إِذْ أَتَىٰكَ﴾ هرب ﴿إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ السفينة المملوءة حين غاصبت قومه لما لم ينزل بهم العذاب الذي وعدهم به؛ فركب السفينة، فوقفت في لجة البحر، فقال الملاحون: هنا عبد أبق من سيده تظهره القرعة^(٢).

[١٤١] ﴿فَسَأَلَهُمْ﴾ فآزرع أهل السفينة ﴿فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَجِينَ﴾ المدحجون بالقرعة؛ فآلقوه في البحر. [١٤٢] ﴿فَالْقَمَمَةُ لَحُوتٌ﴾ ابتلعه ﴿وَهُوَ مَلِيمٌ﴾ أي: أتى بما يلام عليه من ذهابه إلى البحر وركوبه السفينة بلا إذن من ربه.

[١٤٣] ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسْتَجِيبِينَ﴾ الذاكرين بقوله كثيرا في بطن الحوت: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾. [١٤٤] ﴿لَلَّيْتُ فِي بَطْنِهِ﴾ إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ ﴿لِصَارَ بطن الحوت قفزا له إلى يوم القيامة. [١٤٥] ﴿فَبَدَّدْنَاهُ﴾ أي: ألقيناه من بطن الحوت ﴿وَالْعَرَاءُ﴾ بوجه الأرض؛ أي: بالساحل من يومه، أو بعد ثلاثة، أو سبعة أيام، أو عشرين، أو أربعين يوما^(٣) ﴿وَوَفَوْا سَعِيرًا﴾ غليل كالفرخ المغط^(٤).

[١٤٦] ﴿وَأَلْبَسْنَا عَلَيْهِ سَجْرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ﴾ وهي: القُرْعُ تظله بساق على خلاف العادة في القرع معجزة له، وكانت تأتيه وعلة^(٥) صباحا ومساء يشرب من لبنها حتى قوي. [١٤٧] ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ﴾ بعد ذلك كَقَبِيلِهِ إِلَى قوم يَدِينُوا ﴿مِنْ أَرْضِ الْمُؤَصِّلِ﴾ إِلَى مائة ألف أو ﴿بَلْ يَرِيدُونَ﴾ عشرين أو ثلاثين أو سبعين ألفا. [١٤٨] ﴿فَأَمَّنُوا﴾ عند معاينة العذاب الموعودين به ﴿فَمَنْعَلْنَهُمْ﴾ أبغيناهم متمعين بما لهم ﴿إِلَى حِينٍ﴾ تنقضي آجالهم فيه. [١٤٩] ﴿فَأَسْتَفْتِهِمْ﴾ استخبر كفار مكة توبيخا لهم: ﴿الرَّبُّكَ الْبَاتُ

فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ وَإِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَّمَ ﴿١٣٠﴾ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٣١﴾ إِنَّا كَذَّبْنَاكَ ﴿١٣٢﴾ كَمَا جَزَيْنَاهُ بِحَجْرِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٣﴾ إِنَّمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَإِنَّا جَبَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٥﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَائِبِينَ ﴿١٣٦﴾ فَنِمَّ دَرَجًا ﴿١٣٧﴾ وَلْيَاذُكْرُ لَنُكْرُونَ عَلَيْهِمْ ﴿١٣٨﴾ عَلَىٰ آثَارِهِمْ وَمَنَازِلِهِمْ فِي أَسْفَارِكُمْ مُضْجِحِينَ ﴿١٣٩﴾ وَقْتُ الصَّبَاحِ يَعْنِي: بِالنَّهَارِ. ﴿١٣٨﴾ وَيَأْتِيَلُ أَفْلا تَقْلُوبُ ﴿١٣٩﴾ يَا أَهْلَ مَكَّةَ مَا حَلَّ بِهِمْ فَتَعْتَبِرُونَ بِهِ؟! ﴿١٣٩﴾ وَلَيْنَ لَوْلَا لَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٠﴾ إِذْ أَتَىٰكَ ﴿١٤٠﴾ هَرَبٌ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ السَّفِينَةُ الْمَمْلُوءَةُ حِينَ غَاصَبَتْ قَوْمَهُ لَمَّا لَمْ يَنْزِلْ بِهِمُ الْعَذَابُ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ بِهِ؛ فَرَكِبَ السَّفِينَةَ، فَوَقَفَتْ فِي لَجَّةِ الْبَحْرِ، فَقَالَ الْمَلَّاحُونَ: هُنَا عَبْدٌ أَبْقَىٰ مِنْ سَيِّدِهِ تُظَاهِرُهُ الْقُرْعَةُ^(٢). ﴿١٤١﴾ فَسَأَلَهُمْ ﴿١٤١﴾ فَآزَرَاعَ أَهْلَ السَّفِينَةِ ﴿فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَجِينَ﴾ الْمُدْحَجُونَ بِالْقُرْعَةِ؛ فَآلَقُوهُ فِي الْبَحْرِ. ﴿١٤٢﴾ فَالْقَمَمَةُ لَحُوتٌ ﴿١٤٢﴾ ابْتَلَعَهُ ﴿وَهُوَ مَلِيمٌ﴾ أَي: أَتَىٰ بِمَا يَلَامُ عَلَيْهِ مِنْ ذَهَابِهِ إِلَى الْبَحْرِ وَرُكُوبِهِ السَّفِينَةَ بِلا إِذْنٍ مِنْ رَبِّهِ. ﴿١٤٣﴾ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسْتَجِيبِينَ ﴿١٤٣﴾ الذَّاكِرِينَ بِقَوْلِهِ كَثِيرًا فِي بَطْنِ الْحَوْتِ: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾. ﴿١٤٤﴾ لَلَّيْتُ فِي بَطْنِهِ ﴿١٤٤﴾ إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ لِصَارَ بطنِ الْحَوْتِ قَفْزًا لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. ﴿١٤٥﴾ فَبَدَّدْنَاهُ ﴿١٤٥﴾ أَي: أَلْقَيْنَاهُ مِنْ بَطْنِ الْحَوْتِ ﴿وَالْعَرَاءُ﴾ بِوَجْهِ الْأَرْضِ؛ أَي: بِالسَّاحِلِ مِنْ يَوْمِهِ، أَوْ بَعْدَ ثَلَاثَةِ، أَوْ سَبْعَةِ أَيَّامٍ، أَوْ عَشْرِينَ، أَوْ أَرْبَعِينَ يَوْمًا^(٣) ﴿وَوَفَوْا سَعِيرًا﴾ غَلِيلٌ كَالْفَرخِ الْمَغْطِ^(٤). ﴿١٤٦﴾ وَأَلْبَسْنَا عَلَيْهِ سَجْرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ هِيَ: الْقُرْعُ تَظْلِيهِ بِسَاقٍ عَلَى خِلَافِ الْعَادَةِ فِي الْقُرْعِ مَعْجَزَةٌ لَهُ، وَكَانَتْ تَأْتِيهِ وَعِلَّةٌ^(٥) صَبَاحًا وَمَسَاءً يَشْرَبُ مِنْ لَبْنِهَا حَتَّىٰ قَوِيَ. ﴿١٤٧﴾ وَأَرْسَلْنَاكَ ﴿١٤٧﴾ بَعْدَ ذَلِكَ كَقَبِيلِهِ إِلَى قَوْمٍ يَدِينُونَ ﴿١٤٧﴾ مِنْ أَرْضِ الْمُؤَصِّلِ ﴿١٤٧﴾ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ ﴿بَلْ يَرِيدُونَ﴾ عَشْرِينَ أَوْ ثَلَاثِينَ أَوْ سَبْعِينَ أَلْفًا. ﴿١٤٨﴾ فَأَمَّنُوا ﴿١٤٨﴾ عِنْدَ مَعَايِنَةِ الْعَذَابِ الْمَوْعُودِينَ بِهِ ﴿فَمَنْعَلْنَهُمْ﴾ أَبْغَيْنَاهُمْ مَتَمَعِينَ بِمَا لَهُمْ ﴿إِلَى حِينٍ﴾ تَنْقِضِي أَجَالَهِمْ فِيهِ. ﴿١٤٩﴾ فَأَسْتَفْتَيْتُهُمْ ﴿١٤٩﴾ اسْتَخْبَرْتُ كُفْرًا مَكَّةَ تَوْبِيخًا لَهُمْ: ﴿الرَّبُّكَ الْبَاتُ

برعهم أن الملائكة بناث الله ﴿وَلَهُمُ الْبُتُونَ﴾ فيختصون بالأسنى؟ [١٥٠] ﴿أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ﴾ تخلفنا؛ فيقولون ذلك؟.

[١٥١] ﴿أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ إِفْكِهِمْ﴾ كذبيهم ﴿لَيَقُولُونَ﴾: [١٥٢] ﴿وَلَدَ اللَّهُ﴾ يقولهم: الملائكة بنات الله. ﴿وَأَنَّهُمْ لَكَذِبُونَ﴾ فيه. [١٥٣] ﴿أَصْطَلَى﴾ بفتح الهمزة للاستفهام، واستغني بها عن همزة الوصل حذف؛ أي: أختار ﴿الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ﴾؟

(١) وهي قراءة نافع وابن عامر.

(٢) ذكر ابن كثير وأكثر المفسرين أن السفينة لما أشرفت على الفرق ساهموا على من تقع عليه القرعة ليلقى به في البحر لتخف السفينة، فوقعت القرعة على نبي الله يونس ثلاث مرات، وهم يظنون به أن يلقي من بينهم.

(٣) ولا دليل على شيء من تلك الأقوال.

(٤) المغط: أي: المنفوش الشعر.

(٥) وهي أنثى الوعل؛ ذكر الأروى، وهو الشاة الجبلية.

فإنهم يزهدون الله - تعالى - عما يصفه هؤلاء. [١٦١] ﴿فَأَنذَرْتُ وَمَا تَبُدُونَ﴾ من الأصنام. [١٦٢] ﴿مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ﴾ أي: على معبودكم، و﴿عَلَيْهِ﴾ متعلق بقوله: ﴿يَقْتَنِينَ﴾ أي: أحذروا. [١٦٣] ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِي الْجَنَّةِ﴾ في علم الله - تعالى. قال جبريل للنبي ﷺ: [١٦٤] ﴿وَمَا يَنَّا﴾ معشر الملائكة أحذروا ﴿إِلَّا لَهُمْ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ في السماوات يقبض الله فيه لا يتجاوزها.

[١٦٥] ﴿وَمَا لَنَا لَتَعْنُ الصَّافُونَ﴾ أقدامنا في الصلاة.

[١٦٦] ﴿وَمَا لَنَا لَتَعْنُ الْمُسْبِحُونَ﴾ المنزهون الله عما لا يليق به.

[١٦٧] ﴿وَإِن﴾ مخففة من الثقيلة ﴿كَاثُرًا﴾ أي: كفار مكة ﴿يَقُولُونَ﴾: [١٦٨] ﴿لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا﴾ كتابًا ﴿مِّنَ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: من كتب الأمم الماضية.

[١٦٩] ﴿لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ﴾ العبادة له.

[١٧٠] قال - تعالى -: ﴿فَكَفَرُوا بِوَيْهِ﴾ بالكتاب الذي جاءهم؛ وهو: القرآن الأشرف من تلك الكتب ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ عاقبة كفرهم.

[١٧١] ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَيْفَانًا﴾ بالنصر ﴿لِإِيَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾ وهي: ﴿لَا تَخْلِفَنَّ﴾ أنا ورسلي^(١). أو هي قوله: [١٧٢] ﴿إِنَّمِ لَهُمْ الْمُصَوِّرُونَ﴾.

[١٧٣] ﴿وَلَقَدْ جُذِّدْنَا﴾ أي: المؤمنين ﴿لَهُمْ النَّارُونَ﴾ الكفار، بالحنة والنصرة عليهم في الدنيا، وإن لم ينتصر بعض منهم في الدنيا، ففي الآخرة.

[١٧٤] ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ أي: أعرض عن كفار مكة ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ تومر فيه بقتالهم.

[١٧٥] ﴿وَأَبْصِرْهُمْ﴾ إذا نزل بهم العذاب ﴿فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ عاقبة كفرهم. ﴿فَقَالُوا﴾ استهزاء: متى نزل هذا العذاب؟!.

[١٧٦] قال - تعالى - تهديدًا لهم: ﴿أَفَعِدَّائِنَا يَسْتَمْجِلُونَ؟﴾.

[١٧٧] ﴿فَإِنَّا نَزَّلْنَا سَاحِطَاتٍ﴾ بفنائهم، قال الفراء: «العرب تكنتني بذكر الساحة عن القوم» ﴿فَسَاءَ﴾ بفس صباحا ﴿صَبَاحُ الْمُنذِرِينَ﴾ فيه إقامة الظاهر مقام المضمري.

[١٧٨] ﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾.

[١٧٩] ﴿وَأَبْصِرْ سَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ كرر تأكيدًا لتهديدهم وتسليته له ﷺ.

[١٨٠] ﴿سُبْحٰنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ﴾ الغلبة ﴿عَمَّا يُصِفُونَ﴾ بأن له ولدًا.

[١٨١] ﴿وَسَلِّمْ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ المبلغيين عن الله التوحيد والشرائع.

[١٨٢] ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ على نصرهم وهلاك الكافرين.

مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأَنؤُا بِكَيْفِكُمْ إِن كُنْتُمْ صٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَٰسَبًا وَلَقَدْ عَلِمْتِ الْجِنَّةُ أَنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحٰنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ الْأَعْبَادَ لِلَّهِ الْمُخْلِصِينَ ﴿١٦٠﴾ فَإِن كُفِرُوا فَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِقٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صٰلِي الْجَنَّةِ وَمَا مِمَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٣﴾ وَإِنَّا لَنَعْنُ الصَّافُونَ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَعْنُ الْمُسْبِحُونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِن كَانُوا يَقُولُونَ ﴿١٦٦﴾ لَوَٰنْ عِنْدَنَا ذِكْرٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦٧﴾ لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ ﴿١٦٨﴾ فَكُفِرُوا بِهِ هَسَّوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَهَمَّتِنَا عِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٠﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ﴿١٧١﴾ وَإِن جُذِّدْنَا لَهُمُ الْعٰلِبُونَ ﴿١٧٢﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٣﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٤﴾ أَفَعِدَّائِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٥﴾ فَإِنَّا نَزَّلْنَا سَاحِطَاتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذِرِينَ ﴿١٧٦﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٧﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٨﴾ سُبْحٰنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١٧٩﴾ وَسَلِّمْ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨٠﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعٰلَمِينَ ﴿١٨١﴾

سُبْحٰنَ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

[١٥٤] ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ هذا الحكم الفاسد؟ [١٥٥] ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ يادغام التاء في الذال^(١)، أنه - سبحانه وتعالى - منزه عن الولد؟ [١٥٦] ﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطٰنٌ مُّبِينٌ﴾ حجة واضحة أن لله ولدا؟ [١٥٧] ﴿فَأَنؤُا بِكَيْفِكُمْ﴾ التوراة، فأروني ذلك فيه ﴿إِن كُنْتُمْ صٰدِقِينَ﴾ في قولكم ذلك. [١٥٨] ﴿وَجَعَلُوا﴾ أي: المشركون ﴿بَيْنَهُ﴾ - تعالى - ﴿وَبَيْنَ الْجَنَّةِ﴾ أي: الملائكة؛ لاجتماعهم^(٢) عن الأبصار ﴿نَٰسَبًا﴾ بقولهم: إنها نبات الله. ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ﴾ أي: قاطلي ذلك ﴿لَمُحْضَرُونَ﴾ للنار، يعذبون فيها. [١٥٩] ﴿سُبْحٰنَ اللَّهِ﴾ تنزيها له ﴿عَمَّا يُصِفُونَ﴾ بأن لله ولدا. [١٦٠] ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ﴾ أي: المؤمنين، استثناء منقطع؛ أي:

(١) نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ بقية السبعة: ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ بتخفيف الذال.

(٢) أي: استشارهم.

(٣) أي: بمضلين أحدا.

(٤) المجادلة: ٢١.

سُورَةُ صَّ

[مكية، ست، أو: ثمان وثمانون آية، نزلت بعد القمر]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿صَّ﴾ الله أعلم بمراده به ﴿وَالْقُرْآنَ ذِي الذِّكْرِ﴾ أي: البيان أو الشرف، وجواب هذا القسم محذوف؛ أي: ما الأمر كما قال كفار مكة، من تعدد الآلهة.

[٢] ﴿بِلِ اللّٰئِيْنَ كَفَرُوْا﴾ من أهل مكة ﴿فِي عَزْوٍ﴾ حمية وتكبر عن الإيمان ﴿وَشِقَاقٍ﴾ خلاف وعداوة للنبي ﷺ.

[٣] ﴿كَمْ﴾ أي: كثيرا ﴿وَأَهْلَكُنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِّن قَرْنٍ﴾ أي: أمة من الأمم الماضية ﴿فَتَادُوا﴾ حين نزول العذاب بهم ﴿وَوَلَّاتٍ حِينَ مَنَاصٍ﴾ أي: ليس الحين حين فرار، والتاء زائدة، والجملة حال من فاعل «تادوا»؛ أي: استغاثوا، والحال أن لا مهرب ولا منجى، وما اعتبر بهم كفار مكة.

[٤] ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ﴾ رسول من أنفسهم، ينذرهم ويخوفهم النار بعد البعث وهو النبي ﷺ ﴿وَقَالَ الْكٰفِرُونَ﴾ فيه وضع الظاهر موضع المضمر: ﴿هَذَا سِحْرٌ كَذَّابٌ﴾. [٥] ﴿أَجْعَلُ الْاٰلِهَةَ اِلٰهًا وَّجِدًا﴾ حيث قال لهم: قولوا: لا إله إلا الله؛ أي: كيف يسع الخلق كلهم إله واحد؟! ﴿إِنْ هٰذَا لَكُنٰى مِنْ جِبَابٍ﴾ أي: عجيب. [٦] ﴿وَأَنطَلِقُ الْمَلَأُ مِنْهُمْ﴾ من مجلس اجتماعهم عند أبي طالب وسماعهم فيه من النبي ﷺ: «قولوا: لا إله إلا الله»^(١) ﴿أَنْ أَمْشُوا﴾ يقول بعضهم لبعض: امشوا ﴿وَأَصْبِرُوا عَلٰى اَلْهَيْبَةِ﴾ اثبتوا على عبادتها ﴿إِنْ هٰذَا﴾ المذكور من التوحيد ﴿لَكُنٰى يُرَادُ﴾ منا. [٧] ﴿مَا تَعْبَتَا يَهْدٰى فِي اَلْمَلَةِ الْاٰخِرَةِ﴾ أي: ملة عيسى ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هٰذَا اِلَّا اٰخِلٰتٌ﴾ كذب. [٨] ﴿أَنْزِلُ﴾ بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية، وإدخال ألف بينهما على الوجهين، وتركة^(٢) ﴿عَلَيْهِ﴾ على محمد ﴿الذِّكْرِ﴾ أي: القرآن ﴿مِنْ بَيْنَ يَدَيْنَا﴾ وليس بأكبرنا ولا أشرفنا؛ أي: لم ينزل عليه، قال - تعالى -: ﴿بَلْ فِي سَكِّتٍ مِّن ذِكْرِي﴾ وحي؛ أي: القرآن حيث كذبوا الجاني به ﴿بَلْ لَمَّا﴾ لم ﴿يَدْعُوا عَنَابٍ﴾ ولو ذاقوه لصدفوا النبي ﷺ فيما جاء به ولا ينفعهم التصديق حينئذ. [٩] ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَآئِن رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ﴾ الغالب ﴿الْوَهَّابِ﴾ من النبوة وغيرها، فيعطونها من شاءوا! [١٠] ﴿أَمْ لَهُمْ شُكَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ إن زعموا ذلك ﴿فَلْيَرْهَقُوا فِي الْاَسْبَابِ﴾ الموصلة إلى السماء، فيأتوا بالوحي، فيخصوا به من شاءوا؟! «وأم» في الموضوعين بمعنى همزة الإنكار. [١١] ﴿جُنْدٌ مَّا﴾ أي: هم جند حتمير ﴿هٰنَالِكَ﴾ في تكذيبهم لك ﴿مَهْرُومٌ﴾ صفة «جند» ﴿بَيْنَ الْأَحْزَابِ﴾ صفة «جند» أيضا؛ أي:

كألجناد من جنس الأحزاب المتحزبين على الأنبياء قبلك، وأولئك قد قهروا وأهلكوا، فكذا نهلك هؤلاء. [١٢] ﴿كَذَّبَتْ قَبَائِمٌ قَوْمٌ نُّوحٍ﴾ تأنيث «قوم» باعتبار المعنى ﴿وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُرِّ الْأَقْبَادِ﴾ كان يتدل لكل من بغضب عليه أربعة أوتاد يشد إليها يديه ورجليه ويعذبه. [١٣] ﴿وَتَمُودٌ وَقَوْمٌ لُوطٍ وَأَصْحٰبُ لَيْكَةِ﴾ أي: الغيضة^(٣)، وهم قوم شعيب الطيِّبِ ﴿أُولٰٓئِكَ الْأَحْزَابُ﴾. [١٤] ﴿إِنْ﴾ ما ﴿كُلٌّ﴾ من الأحزاب ﴿إِلَّا كَذَّبَ أَرْسُلًا﴾ لأنهم إذا كذبوا واحدا منهم فقد كذبوا جميعهم؛ لأن دعوتهم واحدة، وهي دعوة التوحيد ﴿فَحَقَّ﴾ وجب ﴿عِقَابُ﴾. [١٥] ﴿وَمَا يَنْظُرُ﴾ ينتظر ﴿هٰؤُلَاءِ﴾ أي: كفار مكة ﴿إِلَّا صِيحَةً وَجِدَةً﴾ هي نفخة القيامة، تُحَلُّ بهم العذاب ﴿مَا لَهَا مِنْ قَوَاقِبٍ﴾ بفتح الفاء وضمة^(٤)؛ رجوع. ﴿وَقَالُوا لِمَا نَزَلُ﴾: ﴿فَأَنَّا مِّنْ أَوْفٍ كُنْتُمْ بِبَيْتِهِ﴾^(٥) الخ: [١٦] ﴿رَبَّنَا نَجِّنْ لَنَا قِطْعَانًا﴾ أي: كتاب أعمالنا ﴿قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾ قالوا ذلك استهزاء.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
صَّ وَالْقُرْآنَ ذِي الذِّكْرِ ﴿١﴾ بِلِ اللّٰئِيْنَ كَفَرُوْا فِي عَزْوٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾
كِرْ اٰهْلَكُنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِّن قَرْنٍ فَنَادَ وَاوَلَاتٍ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾ وَعَجِبُوا
اَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكٰفِرُونَ هٰذَا سِحْرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾
اَجْعَلُ الْاٰلِهَةَ اِلٰهًا وَّجِدًا اِنْ هٰذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ ﴿٥﴾ وَاَنطَلِقُ الْمَلَأُ
مِنْهُمْ اَنْ اَمْشُوا وَاَصْبِرُوا عَلٰى اَلْهَيْبَةِ اِنْ هٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾
مَا سَمِعْنَا بِهٰذَا فِي الْاِمْلَةِ الْاٰخِرَةِ اِنْ هٰذَا اِلَّا اٰخِلٰتٌ ﴿٧﴾ اَلَمْ نَزَلْ
عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَدْعُوا عَذَابَ
اَلْحَرِّ اَمْ عِنْدَهُمْ خَزَآئِن رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ﴿٨﴾ اَمْ لَهُمْ مُلْكُ
السَّمَوَاتِ وَالْاَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا الْاَسْبَابِ ﴿٩﴾ جُنْدٌ
مَا هُنَا لِكَ مَهْرُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ ﴿١٠﴾ وَتَمُودٌ وَقَوْمٌ لُوطٍ وَأَصْحٰبُ
وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُرِّ الْأَوْتَادِ ﴿١١﴾ وَمَا يَنْظُرُ هٰؤُلَاءِ اِلَّا صِيحَةً وَجِدَةً
لِّفَيْكَةِ اُولٰٓئِكَ الْأَحْزَابِ ﴿١٢﴾ اِنْ كُلٌّ اِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ
فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٣﴾ وَمَا يَنْظُرُ هٰؤُلَاءِ اِلَّا صِيحَةً وَجِدَةً مَا لَهَا
مِنْ قَوَاقِبٍ ﴿١٤﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا نَجِّنْ لَنَا قِطْعَانًا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴿١٥﴾

وأهلكوا، فكذا نهلك هؤلاء. [١٢] ﴿كَذَّبَتْ قَبَائِمٌ قَوْمٌ نُّوحٍ﴾ تأنيث «قوم» باعتبار المعنى ﴿وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُرِّ الْأَقْبَادِ﴾ كان يتدل لكل من بغضب عليه أربعة أوتاد يشد إليها يديه ورجليه ويعذبه. [١٣] ﴿وَتَمُودٌ وَقَوْمٌ لُوطٍ وَأَصْحٰبُ لَيْكَةِ﴾ أي: الغيضة^(٣)، وهم قوم شعيب الطيِّبِ ﴿أُولٰٓئِكَ الْأَحْزَابُ﴾. [١٤] ﴿إِنْ﴾ ما ﴿كُلٌّ﴾ من الأحزاب ﴿إِلَّا كَذَّبَ أَرْسُلًا﴾ لأنهم إذا كذبوا واحدا منهم فقد كذبوا جميعهم؛ لأن دعوتهم واحدة، وهي دعوة التوحيد ﴿فَحَقَّ﴾ وجب ﴿عِقَابُ﴾. [١٥] ﴿وَمَا يَنْظُرُ﴾ ينتظر ﴿هٰؤُلَاءِ﴾ أي: كفار مكة ﴿إِلَّا صِيحَةً وَجِدَةً﴾ هي نفخة القيامة، تُحَلُّ بهم العذاب ﴿مَا لَهَا مِنْ قَوَاقِبٍ﴾ بفتح الفاء وضمة^(٤)؛ رجوع. ﴿وَقَالُوا لِمَا نَزَلُ﴾: ﴿فَأَنَّا مِّنْ أَوْفٍ كُنْتُمْ بِبَيْتِهِ﴾^(٥) الخ: [١٦] ﴿رَبَّنَا نَجِّنْ لَنَا قِطْعَانًا﴾ أي: كتاب أعمالنا ﴿قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾ قالوا ذلك استهزاء.

(١) يشير إلى ما أخرجه الترمذي (٢٣٢٢) من حديث ابن عباس وقال: هذا حديث حسن صحيح، أن قريشا شكروا النبي ﷺ إلى أبي طالب؛ فقال: «يا ابن أخي، ما تريد من قومك؟» قال: «إني أريد منهم كلمة واحدة، تدن لهم العرب، وتودي إليهم العجم الجزية». قال: كلمة واحدة؟! قال: «كلمة واحدة». قال: «يا عم، يقولوا: لا إله إلا الله؛ فقالوا: إلهنا واحد؟! ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة، إن هذا لا اختلاق. قال: فنزل فيه القرآن: ﴿صَّ وَالْقُرْآنَ ذِي الذِّكْرِ﴾ إلى قوله: ﴿مَا تَعْبَتَا يَهْدٰى فِي اَلْمَلَةِ الْاٰخِرَةِ اِنْ هٰذَا اِلَّا اٰخِلٰتٌ﴾. والحديث ضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي (٦٣٦). وأخرجه الحاكم في مستدركه (٤٣٢/٢)، وصححه إسناده ووافقه الذهبي.

وأخرج الحاكم القصة مختصرة عن ابن عباس (٤٣٢/٢)، وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي، وحسنه صاحب الاستيعاب (١٦٤/٣).

(٢) قرأ بالتسهيل نافع وابن كثير وأبو عمرو. وفضل بينهما بألف أبو عمرو وقالون وهشام بخلاف عنهم. وكذلك في موضع سورة القمر ﴿اٰتٰىنَا﴾، وفي موضع آل عمران ﴿اٰتٰىنَا﴾.

(٣) وهي الأندجار الملقبة بالمجمعة.

(٤) بالضم قراءة حمزة والكسائي.

(٥) الحاقفة: ١٩.

[٢٠] ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَكُمْ﴾ قوبناه بالحرس والجنود، وكان يحرس محرابه في كل ليلة ثلاثون ألف رجل ﴿وَعَايَنْتُهُ الْحِكْمَةَ﴾ النبوة والإصابة في الأمور ﴿وَقَصَلَّ الْخِطَابَ﴾ البيان الشافي في كل قصد.

[٢١] ﴿وَهَلْ﴾ معنى الاستفهام هنا التعجب والتشويق إلى استماع ما بعده ﴿أَتُنَكُّ﴾ يا محمد ﴿بِنُورِ الْحَخْمِ إِذْ سَوَّرُوا الْبِحَرَابِ﴾ محراب داود؛ أي: مسجده؛ حيث منعوا الدخول عليه من الباب؛ لشغله بالعبادة؛ أي: خبرهم وقصتهم.

[٢٢] ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَرَعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا نَحْفَ﴾ نحن ﴿حَصَمَانَ﴾ قيل: فريقان ليطابق ما قبله من ضمير الجمع، وقيل: اثنان، والضمير بمعناهما، والخصم يطلق على الواحد وأكثر، وهما ملكان جاءا في صورة خصمين وقع لهما ما ذكر هنا على سبيل الفرض؛ لتبنيه داود عليه السلام على ما وقع منه، وكان له تسع وتسعون امرأة وطلب امرأة شخص ليس له غيرها وتزوجها ودخل بها^(١) ﴿بَنَى بَعْضًا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ﴾ تبر ﴿وَأَهْدِنَا﴾ أرسدنا ﴿إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾ وسط الطريق الصواب.

[٢٣] ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي﴾ أي: على ديني ﴿لَهُ نِسْعٌ وَسَعُونَ نِعْمَةً﴾ يعبر بها عن المرأة ﴿وَلِي نِعْمَةٌ وَجِدَةٌ فَاقْلُوبْنَا كَافِلِيهَا﴾ أي: اجعلني كافلها ﴿وَعَزَّنِي﴾ غلبي ﴿فِي الْخِطَابِ﴾ أي: الجدل، وأقره الآخر على ذلك.

[٢٤] ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ لِسُوَالِ نِعْمَتِكَ﴾ ليضمها ﴿إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الظَّالِمِينَ﴾ الشركاء ﴿يَتَّبِعُونَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ «ما» لتأكيد القلة، فقال الملكان صاعدين في صورتيهما إلى السماء: قضى الرجل على نفسه، فتبته داود، قال - تعالى -: ﴿وَتَلَوَّ﴾ أي: أيقن ﴿دَاوُدَ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ﴾ أوقعناه في فتنة؛ أي: بلية مجتمعة تلك المرأة^(٢) ﴿فَاسْتَعْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا﴾ أي: ساجدا ﴿وَأَنَابَ﴾.

[٢٥] ﴿فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى﴾ أي: زيادة خير في الدنيا ﴿وَحُسْنَ مَّوَابٍ﴾ مرجع في الآخرة.

[٢٦] ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾ تدبر أمر الناس ﴿فَلَحَكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ﴾ أي: هوى النفس ﴿فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: عن الدلائل الدالة على توحيدِهِ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: عن الإيمان بالله ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا سَوَّوْا﴾ بنسيانهم ﴿يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ المرتب عليه تركهم الإيمان، ولو أيقنوا يوم الحساب لآمنوا في الدنيا.

أَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعُشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَالطَّيْرَ مَحْسُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَءَايَتُنَا الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ ﴿٢٠﴾ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَضِرِ إِذْ سَوَّرُوا الْبِحَرَابِ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُدَ فَفَرَعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا نَحْفَ حَصَمَانَ بَعَىٰ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نِعْمَةً وَلِي نِعْمَةٌ وَجِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ لِسُوَالِ نِعْمَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الظَّالِمِينَ يَتَّبِعُونَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّوَابٍ ﴿٢٥﴾ يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٢٦﴾

[١٧] قال - تعالى -: ﴿أَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ﴾ أي: القوة في العبادة؛ كان يصوم يوماً ويفطر يوماً، ويقوم نصف الليل وينام تلك ويقوم سدسه^(١) ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ رجاع إلى مرضاة الله.

[١٨] ﴿إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ﴾ بتسبيحه ﴿بِالْعُشِيِّ﴾ وقت صلاة العشاء ﴿وَالْإِشْرَاقِ﴾ وقت صلاة الصبح، وهو أن تشرق الشمس ويتناهى ضوءها. [١٩] ﴿وَالطَّيْرَ مَحْسُورَةً﴾ مجموعة إليه تسبح معه ﴿كُلٌّ مِّنَ الْجِبَالِ وَالطَّيْرِ﴾ لله ﴿أَوَّابٌ﴾ رجاع إلى طاعته بالتسبيح.

(١) البخاري (١١٣١)، ومسلم (١١٥٩).

(٢) حاشا لله أن ينسب لني كرم من أنبياء الله عليهم السلام الذين اصطفاهم مثل هذا الإفك البين، وغفر الله للمفسر إذ نقل هذا، وهو من الإسرائيليات المتفرقة على صفوة خلق الله عليهم السلام. وهذا الخصمان هما من بني آدم حقيقة على القول الصحيح لا من الملائكة، كما أن النعجة ليس المراد بها المرأة على الصحيح، بل المراد هنا أنثى الضأن، والآيات على ظاهرها لوجوه عديدة لا يتسع المقام لبيسطها، والمراد منها تبنيه داود عليه السلام ومث بعده من الملوك على عظيم فتنة الملك والغنى ووسط الدنيا.

[٢٧] ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا﴾ عينا ﴿ذَلِكَ﴾ أي: خلق ما ذكر لا لشيء ﴿ظُنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكة ﴿ذَوَيْلٍ﴾ واد للذين كفروا من النار. [٢٨] ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا وَالصَّالِحِينَ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ جَعَلُوا لِلْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ نزل لما قال كفار مكة للمؤمنين: إنا نعطي في الآخرة مثل ما تعطون، و﴿أَمْ﴾ بمعنى همزة الإنكار.

[٢٩] ﴿كُنْتُ﴾ خبر مبتدأ محذوف؛ أي: هذا ﴿أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبِينًا لِيَذَّبُوا﴾ أصله: يتدبروا؛ إذ غممت التاء في الدال ﴿عَائِيَتِهِ﴾ ينظروا في معانيها، فيؤمنوا ﴿وَلِيَذْكُرُوا﴾ يعظم ﴿أَوْلَادَ الْأَيْتِبِ﴾ أصحاب العقول.

[٣٠] ﴿وَوَهَبْنَا لِذَاوُدَ سُلَيْمَانَ﴾ ابنه ﴿بِعَمِّ الْعَبْدِ﴾ أي: سليمان ﴿إِنَّهُ أَوْابٌ﴾ وجماع في التسيح والذكر، في جميع الأوقات. [٣١] ﴿إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَبْيِ﴾ هو ما بعد الزوال ﴿الْصَّفِيْنَتِ﴾ الخيل، جمع صافنة؛ وهي القائمة على ثلاث وإقامة الأخرى على طرف الحافر، وهو من صَفَرٍ يَصْفِرُ صُفُونًا ﴿لِيَأْتِيَهُ﴾ جمع جواد، وهو السابق؛ المعنى: أنها إذا استوقفت سكتت، وإن ركضت سبقت، وكانت ألف فرس، عرضت عليه بعد أن صلى الظهر؛ لإرادته الجهاد عليها العدو، فعند بلوغ العرض منها تسعمائة غربت الشمس، ولم يكن صلى العصر فاغتم [٣٢] ﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ﴾ أي: أردت ﴿حُبَّ الْخَيْرِ﴾ أي: الخيل ﴿عَنْ ذِكْرِ رَبِّي﴾ أي: صلاة العصر ﴿حَتَّى تَوَارَّتْ﴾ أي: الشمس ﴿بِالْحِجَابِ﴾ أي: استترت بما يحجبها عن الأبصار.

[٣٣] ﴿رُدُّهَا عَلَيَّ﴾ أي: الخيل المعروضة، فردوها ﴿فَنَظَفْنَاهَا﴾ بالسيف ﴿بِالسُّوقِ﴾ جمع ساق ﴿وَالْأَعْتَاكِ﴾ أي: ذبحها وقطع أرجلها تقربا إلى الله - تعالى؛ حيث اشتغل بها عن الصلاة، وتصدق بلحمها، فعوضه الله خيرا منها وأسرع، وهي الريح تجري بأمره كيف شاء.

[٣٤] ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ﴾ ابتليناه بسلب ملكه، وذلك لتزوجه بامرأة هواها^(١)، وكانت تعبد الصنم في داره من غير علمه، وكان ملكه في خاتمه

فزرعه مرة عند إرادة الخلاء ووضعه عند امرأته المسماة بالأمينة على عادته، فجاءه جن في صورة سليمان فأخذها منها ﴿وَأَقْبَنَاهُ عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا﴾ هو ذلك الجنى وهو صخر أو غيره، جلس على كرسي سليمان، وعكفت عليه الطير وغيرها، فخرج سليمان في غير هيئته فرأه على كرسيه، وقال للناس: أنا سليمان فأنكروه ﴿ثُمَّ أَنَابَ﴾ رجع سليمان إلى ملكه بعد أيام بأن وصل إلى الخاتم فلبسه وجلس على كرسيه^(٢). [٣٥] ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي﴾ لا يكون ﴿لِأَخِي مِنْ بَعْدِي﴾^(٣) أي: سواي نحو ﴿فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ﴾^(٤)؛ أي: سوى الله ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾. [٣٦] ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رِجْمًا﴾ لينة ﴿حَيْثُ أَصَابَ﴾ أَرَادَ. [٣٧] ﴿وَالشَّيْطَانَ كُلَّ يَوْمٍ﴾ يعني الأبنية العجيبة ﴿وَعَوَاصِرَ﴾ في البحر يستخرج اللؤلؤ.

وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴿٢٨﴾ أَمْ جَعَلُوا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ جَعَلُوا الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿٢٩﴾ كُنْتُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبِينًا لِيَذَّبُوا عَائِيَتِهِ وَلِيَذْكُرُوا أَوْلَادَ الْأَيْتِبِ ﴿٣٠﴾ وَوَهَبْنَا لِذَاوُدَ سُلَيْمَانَ بِعَمِّ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوْابٌ ﴿٣١﴾ إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَبْيِ الصَّفِيْنَتِ الْجِيَادِ ﴿٣٢﴾ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنِ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَّتْ بِالْحِجَابِ ﴿٣٣﴾ رُدُّهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْتَاكِ ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَقْبَنَاهُ عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَخِي مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٣٦﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رِجْمًا حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٧﴾ وَالشَّيْطَانَ كُلَّ يَوْمٍ يَأْتِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٣٨﴾ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِن لَّهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَتَابٍ ﴿٤٠﴾ وَادْكُرْ عِبْدَنَا الْأَوْبَابَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أُنَىٰ مَسَىٰ الشَّيْطَانُ بِضُبَابٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ أَرَاكُنْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدًا وَوَسْرًا ﴿٤٢﴾

[٣٨] ﴿وَالْآخِرِينَ﴾ منهم ﴿مُقَرَّبِينَ﴾ مشدودين ﴿فِي الْأَصْفَادِ﴾ القيود بجمع أيديهم إلى أعناقهم. وقلنا له: [٣٩] ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ﴾ أعط منه من شئت ﴿أَوْ أَمْسِكْ﴾ عن الإعطاء ﴿بِعَيْرِ حِسَابٍ﴾ أي: لا حساب عليك في ذلك. [٤٠] ﴿وَإِن لَّهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَتَابٍ﴾ تقدم مثله.

[٤١] ﴿وَادْكُرْ عِبْدَنَا الْأَوْبَابَ﴾ أي: باني ﴿مَسَىٰ الشَّيْطَانُ بِضُبَابٍ﴾ ضرب ﴿وَعَذَابٍ﴾ ألم، ونسب ذلك إلى الشيطان وإن كانت الأشياء كلها من الله تادبا معه - تعالى.. وقيل له: [٤٢] ﴿أَرَاكُنْ﴾ اضرب ﴿بِرِجْلِكَ﴾ الأرض، فضرب فنبعت عين ماء، فقيل: ﴿هَذَا مُغْتَسَلٌ﴾ ماء تغتسل به ﴿بَارِدًا وَوَسْرًا﴾ تشرب منه، فاعتسل وشرب فذهب عنه كل داء كان يباطنه وظاهره.

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «إن عفرينا من الجن نفلت علي البارحة ليقطع علي صلاتي، فأمكنني الله منه فأخذته، فأردت أن أربطه على سارية من سواري المسجد حتى تنظروا إليه كلكم؛ فذكرت دعوة أخي سليمان: «رب هب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي...». فهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي...».

(١) هذا كلام باطل لا أساس له من الصحة، وهو من الإسرائيليات التي ثبت كذبها بمخالفتها ما يليق بمقام النبوة، والصحيح الذي عليه المحققون، وتشهد له النصوص الصحيحة أن الفتنة هي ولده الميت، وأنه الجسد الذي ألقى على كرسيه، كما عند البخاري وغيره أن سليمان حلف ليطوفن على نساته لتحمل كل امرأة فارس يجاهد في سبيل الله، ولم يقل: إن شاء الله؛ فلم تحمل منهن إلا واحدة جاءت بشق ولد.

(٢) كل هذا من الإسرائيليات التي ثبت كذبها ومخالفتها للنصوص الصحيحة، وتعارض مع مقام النبوة. وإنما معنى ﴿أناب﴾ في الآية: أي رجع إلى الله تعالى واستغفره، بفسره قوله تعالى بعد ذلك: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي...﴾.

[٤٦] ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ﴾ هي ﴿ذَكَرَى الدَّارِ﴾ الآخرة، أي: ذكرها والعمل لها، وفي قراءة^(١) بالإضافة، وهي «للبيان.

[٤٧] ﴿وَلَيْتُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفِينَ﴾ المختارين ﴿الْأَخْيَارِ﴾ جمع خير بالشديد.

[٤٨] ﴿وَأَذَكَّرَ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ﴾ وهو نبي، واللام زائدة ﴿وَذَا الْكِفْلِ﴾ اختلف في نبوته، قيل: كفل مائة نبي فزوا إليه من القتل^(٢) ﴿وَكُلٌّ﴾ أي: كلهم ﴿مِنَ الْأَخْيَارِ﴾ جمع خير بالتثقل.

[٤٩] ﴿هَذَا ذَكَرْنَا﴾ لهم بالثناء الجميل هنا ﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ﴾ الشاملين لهم ﴿لَحْسَنَ مَقَابٍ﴾ مرجع في الآخرة.

[٥٠] ﴿جَنَّتٍ عَدْنٍ﴾ بدل، أو عطف بيان لـ «حسن مآب» ﴿مُفْتَحَةً لَهُمْ﴾ الأيوب^(٣) منها.

[٥١] ﴿مُتَّكِنِينَ فِيهَا﴾ على الأرائك ﴿يَتَّبِعُونَ فِيهَا بُيُوتَهُمْ كَمَا يُتَّبِعُونَ فِيهَا بُيُوتَهُمْ﴾.

[٥٢] ﴿وَعِنْدَهُمْ قَصْرٌ مَّرْمَرٌ﴾ حاسبات العين على أزواجهن ﴿أَنْزَابٍ﴾ أسنانهن واحدة؛ وهن: بنات ثلاث وثلاثين سنة، جمع تَرَب.

[٥٣] ﴿هَذَا﴾ المذكور ﴿مَا بُرِّئُوا﴾ بالغبية^(٤)، وبالخطاب؛ الثقاتا ﴿لِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ أي: لأجله.

[٥٤] ﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقًا مَّا لَمْ يَنْفَدِ﴾ أي: انقطاع، والجملة حال من رزقها، أو خير ثان لـ «إن»؛ أي: دائماً أو دائماً.

[٥٥] ﴿هَذَا﴾ المذكور للمؤمنين ﴿وَأَنَّ لِلظَّالِمِينَ﴾ مستأنف ﴿لَشَرَّ مَقَابٍ﴾.

[٥٦] ﴿جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا﴾ يدخلونها ﴿وَيَسَّسَ إِلَهُدَّ﴾ الفراش.

[٥٧] ﴿هَذَا﴾ أي: العذاب المفهوم مما بعده ﴿فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ﴾ أي: ماء حار محرق ﴿وَعَسَاقٌ﴾ بالتخفيف^(٥)، والتشديد؛ ما يسيل من صديد أهل النار.

[٥٨] ﴿وَأَنْزَابٍ﴾ بالجمع^(٦) والإفراد ﴿مِنْ شَكْلِهِ﴾ أي: مثل المذكور من الحميم والفساق ﴿أَنْزَابٍ﴾ أصناف؛ أي: عذابهم من أنواع مختلفة.

[٥٩] ويقال لهم عند دخولهم النار بأثباعهم: ﴿هَذَا فَوْجٌ﴾ جمع ﴿مُتَّكِنٌ﴾ داخل ﴿مَعَكُمْ﴾ النار بشدة، فيقول المتيقنون^(٧): ﴿لَا مَرَجًا بَيْنَهُمْ﴾ أي: لا سعة عليهم ﴿إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ﴾.

[٦٠] ﴿قَالُوا﴾ أي: الأثباع: ﴿بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرَجًا بَيْنَكُمْ أَنْتُمْ قَدْ مَتَّوْتُمْ﴾ أي: الكفر ﴿لَنَا قِيَمٌ فَتَكَرَّرُ﴾ لنا ولكم، النار.

[٦١] ﴿قَالُوا﴾ أيضاً: ﴿رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَرَدُّهُ عَذَابًا يُعَذِّبُكَ﴾ أي: مثل عذابه على كفره ﴿فِي النَّارِ﴾.

وَوَهَبْنَا لَهُ وَأَهْلَهُ وَوَسَّأَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذَكَرَى لِأُولَى الْأَلْبَابِ ﴿٤٦﴾
 وَخَذَّ بِذُنُوبِهِمْ فَأَنْزَلْنَاهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذَكَرَى لِأُولَى الْأَلْبَابِ ﴿٤٧﴾
 الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٤٨﴾ وَأَذَكَّرْنَا تَابِرْهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ﴿٤٩﴾ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذَكَرَى الدَّارِ ﴿٥٠﴾
 وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفِينَ الْأَخْيَارِ ﴿٥١﴾ وَأَذَكَّرْنَا إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ ﴿٥٢﴾ هَذَا ذَكَرْنَا وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَقَابٍ ﴿٥٣﴾ جَنَّاتٍ عَدْنٍ مُفْتَحَةً لَهُمْ الْأَيْبُونَ ﴿٥٤﴾ مُتَّكِنِينَ فِيهَا يَتَّبِعُونَ فِيهَا بُيُوتَهُمْ كَمَا يُتَّبِعُونَ فِيهَا بُيُوتَهُمْ قَصْرٌ مَّرْمَرٌ أَلْزَفًا مَّا لَهُمْ مِنْ نَفْسٍ هَذَا مَا تَوْعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٥٥﴾ إِنَّ هَذَا لَرِزْقًا مَّا لَهُمْ مِنْ نَفْسٍ هَذَا وَإِنَّ لِلظَّالِمِينَ لَشَرَّ مَقَابٍ ﴿٥٦﴾ جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا فَيَسَّسُ إِلَهُدَّ هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَعَسَاقٌ ﴿٥٧﴾ وَآخَرُونَ مِنْكُمْ مِنْ شَكْلِهِمْ أَزْوَاجٌ ﴿٥٨﴾ هَذَا فَوْجٌ مُفْتَحٌ مَعَكُمْ لَا مَرَجَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرَجَ بَيْنَكُمْ أَنْتُمْ قَدْ مَتَّوْتُمْ لَنَا قِيَمٌ فَتَكَرَّرُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَرَدُّهُ عَذَابًا يُعَذِّبُكَ فِي النَّارِ ﴿٦١﴾

[٤٣] ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمَنْ تَلَظَّى﴾ أي: أحيا الله له من مات من أولاده، ورزقه مثلهم ﴿رَحْمَةً﴾ نعمة^(١) ﴿مِنَّا وَذَكَرَى﴾ عظة ﴿لِأُولَى الْأَلْبَابِ﴾ لأصحاب العقول.

[٤٤] ﴿وَخَذَّ بِذُنُوبِهِمْ فَأَنْزَلْنَاهُمْ رَحْمَةً مِنَّا﴾ هو جزمة من حشيش، أو قضبان ﴿فَأَضْرَبَ بِرَأْسِهِ﴾ زوجته، وكان قد حلف ليضربها مائة ضربة لباطئها عليه يوماً ﴿وَلَا تَحَنَّنْ﴾ بترك ضربها، فأخذ مائة عود من الإذخر أو غيره، فضربها به ضربة واحدة ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ﴾ أيوب ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ رجوعاً إلى الله - تعالى ..

[٤٥] ﴿وَأَذَكَّرْنَا عِدَّةً مِنْهُمْ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي﴾ أصحاب القوى في العبادة ﴿وَالْأَبْصَارِ﴾ البصائر في الدين، وفي قراءة^(٢): ﴿عِدَّةً﴾، و«إبراهيم» بيان له، وما بعده عطف على ﴿عِدَّةً﴾.

(١) النعمة أثر من آثار رحمة الله ﷻ، وليست هي ذاتها، وهذه الصفة نبتها لله ﷻ على الوجه اللائق به، كما سبق بيان ذلك مرازا.

(٢) لابن كثير.

(٣) نافع وهشام.

(٤) والصحيح أنه نبي، وأما سبب التسمية التي ذكرها المصنف فلا دليل عليها، وقيل غير ذلك. وانظر التعليق على الآية رقم (٨٥) من سورة الأنبياء.

(٥) بالياء قراءة ابن كثير، وأبي عمرو، وقراء بقية السبعة بالياء.

(٦) بالتخفيف قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وشعبة.

(٧) وهـ. قراءة أبي عمرو. وقراء بقية السبعة بالإفراد.

﴿٦٢﴾ وَقَالُوا أَيُّ كَفَّارٍ هَؤُلَاءِ لَا تَرَى بِمَا لَا كُنَّا نَدْعُهُمْ فِي الدُّنْيَا ﴿٦٢﴾ بَيْنَ الْأَشْرَارِ ﴿٦٣﴾ أَتَدْعُهُمْ سِحْرِيًّا؟ أَمْ أَفْقَادُونَ هُمْ؟ أَمْ رَأَيْتُ مَا لَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ إِلَّا اللَّهُ الْوَحِيدُ الْقَهَّارُ ﴿٦٤﴾ إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ وَاجِبٌ وَقُوعُهُ، وَهُوَ: «تَحَاصُّمُ أَهْلِ النَّارِ» كَمَا تَقَدَّمَ. ﴿٦٥﴾ يَا مُحَمَّدُ لِكْفَارِ مَكَّةَ: «إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ» مَخُوفٌ بِالنَّارِ ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَحِيدُ الْقَهَّارُ﴾ لِخَلْقِهِ. ﴿٦٦﴾ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْعَالِمُ عَلَى أَمْرِهِ الْفَعْلُ لِأَوْلِيَائِهِ. ﴿٦٧﴾ قُلْ لَهُمْ: «هُوَ نَبْوًا عَظِيمٌ». ﴿٦٨﴾ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ أَيُّ: الْقُرْآنَ الَّذِي أَنْبَأْتُمْ بِهِ، وَجَنَّتُمْ فِيهِ بِمَا لَا يَعْلَمُ إِلَّا بِوَحْيِي، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿٦٩﴾ «مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِاللَّيْلِ الْأَدْوَلِ» أَيُّ: الْمَلَائِكَةِ «إِذْ يَخْفِضُونَ» فِي شَأْنِ آدَمَ حِينَ قَالَ اللَّهُ - تَعَالَى -: «إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً» (١). الخ. ﴿٧٠﴾ «إِنْ مَا «يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا رَسُولٌ مُبَشِّرٌ بِمَا بَيْنَ الْإِنذَارِ. ﴿٧١﴾ اذْكَرُ «إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ» هُوَ آدَمُ. ﴿٧٢﴾ «فَإِذَا سَوَّيْتُهُ» أَمَّمْتَهُ «وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي» فَصَارَ حَيًّا، وَإِضَافَةُ الرُّوحِ إِلَيْهِ تَشْرِيفٌ لِآدَمَ، وَالرُّوحُ جِسْمٌ لَطِيفٌ يَحْيَا بِهِ الْإِنْسَانُ بِنَفْوَدِهِ فِيهِ «فَفَعُولًا لَمْ سَجِدِينَ» سَجُودٌ تَحِيَّةٌ بِالْإِنْحِاءِ (٢). ﴿٧٣﴾ «فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ» فِيهِ تَأْكِيدَانِ. ﴿٧٤﴾ «إِلَّا إِبْلِيسَ» هُوَ أَبُو الْجَنِّ، كَانَ بَيْنَ الْمَلَائِكَةِ «أَسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ» فِي عِلْمِ اللَّهِ - تَعَالَى - .. ﴿٧٥﴾ «قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي» أَيُّ: تَوَلَّيْتُ خَلْقَهُ (٣)، وَهَذَا تَشْرِيفٌ لِآدَمَ؛ فَإِنَّ كُلَّ مَخْلُوقٍ تَوَلَّى اللَّهُ خَلْقَهُ «أَسْتَكْبَرْتَ» الْآنَ عَنِ السُّجُودِ، اسْتِفْهَامٌ تَوْبِيخٌ «أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ» الْمُتَكَبِّرِينَ فَكَبَّرْتَ عَنِ السُّجُودِ لِكُنُوكَ مِنْهُمْ؟ ﴿٧٦﴾ «قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَنِي مِنْ طِينٍ» ﴿٧٧﴾ «قَالَ فَخَرَّجْنَا مِنْهَا» أَيُّ: مِنَ الْجَنَّةِ، وَقِيلَ: مِنَ السَّمَاوَاتِ «فَأَنزَلْنَاكَ رَجِيمًا» مَطْرُودًا.

﴿٧٨﴾ «وَإِن عَلَيَّ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ» الْجَزَاءُ.

﴿٧٩﴾ «قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ» أَيُّ: النَّاسِ.

﴿٨٠﴾ «قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ».

﴿٨١﴾ «إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ» وَقْتُ النِّفْخَةِ الْأُولَى.

﴿٨٢﴾ «قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأَعُوْبَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ».

﴿٨٣﴾ «إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ» أَيُّ: الْمُؤْمِنِينَ.

(١) بِالضَّمِّ قِرَاءَةُ حِمْرَةَ وَالْكَسَائِي وَنَافِعٌ.

(٢) الْبِقْرَةُ: ٣٠.

(٣) رَاجِعُ التَّعْلِيلِ عَلَى الْآيَةِ رَقْمَ (٣٤) مِنْ سُورَةِ الْبَقْرَةِ.

(٤) وَهَذَا الَّذِي ذَهَبَ إِلَيْهِ الْمَفْسِرُ، هُوَ تَعْطِيلُ لُصْفَةِ الْبَدِينِ الَّتِي أَنْبَأَهَا اللَّهُ ﷻ لِنَفْسِهِ، وَهُوَ عَدُولٌ عَنِ ظَاهِرِ اللَّفْظِ، وَخِلَافٌ لِمَا فَهَمَهُ السَّلَفُ، وَالْمَفْسِرُ يَرِيدُ عَلَى نَفْسِهِ حَيْثُ قَالَ بَعْدَهَا: وَهَذَا تَشْرِيفٌ لِآدَمَ؛ فَإِنَّ كُلَّ مَخْلُوقٍ تَوَلَّى اللَّهُ خَلْقَهُ. فَمَا وَجَّهَ إِخْتِصَاصَهُ بِذَلِكَ إِذْنَ؟!

[٨٨] ﴿وَلَعَلَّنَا﴾ يا كفار مكة ﴿نَبَأَهُ﴾ خبر صدقه ﴿بَعْدَ حِينٍ﴾ أي: يوم القيامة، و«علم» بمعنى عرف، واللام قبلها لام قسم مقدر؛ أي: والله.

سورة الزمر

[مكية إلا: ﴿قُلْ بِعِبَادِي الَّذِينَ اسْتَرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ الآية، فمدنية، وهي: خمس وسبعون آية، نزلت بعد سبأ*]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿تَنْزِيلَ الْكِتَابِ﴾ القرآن، مبدأ ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ خبره ﴿الْعَزِيزِ﴾ في ملكه ﴿الْحَكِيمِ﴾ في صنعه.

[٢] ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ متعلق به «انزل» ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ من الشرك أي: موحدًا له.

[٣] ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ لا يستحقه غيره ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ الْأَصْنَامَ﴾ وهم كفار مكة قالوا: ﴿مَا تَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ قربي، مصدر بمعنى تقريبًا ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ والمسلمين ﴿فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ من أمر الدين، فيدخل المؤمن الخنة والكافرين النار ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَذِبٌ﴾ في نسبة الولد إليه ﴿كَفَّارٌ﴾ بعبادته غير الله.

[٤] ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَسْخِذَ لَدْنَا﴾ كما قالوا: ﴿اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ لَدْنَا﴾ ﴿لَأَصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ واتخذوه لبدأ، غير من قالوا من^(١): الملائكة بنات الله، وعزير ابن الله، والمسيح ابن الله ﴿سُبْحٰنَهُ﴾ تنزيها له عن اتخاذ الولد ﴿هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ لخلق.

[٥] ﴿خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ متعلق به «خلق» ﴿يَكُوِّرُ﴾ يدخل^(٢) ﴿الْبَلَّ عَلَى النَّهَارِ﴾ فيزيد ﴿وَيَكُوِّرُ النَّهَارَ﴾ بدخله ﴿عَلَى الْبَلِّ﴾ فيزيد ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلَّ يَوْمٍ فِي فَلَكِهِ﴾ في فلكه ﴿لِأَجْلِ نُسُئْتِ﴾ ليوم القيامة ﴿أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ﴾ الغالب على أمره المنتقم من أعدائه ﴿الْمَقْتَدِرُ﴾ لأوليائه.

قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ ﴿٨٨﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبَعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٩﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴿٩٢﴾

سورة الزمر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
تَنْزِيلَ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٨٨﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿٨٩﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٩١﴾ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَسْخِذَ لَدْنَا لَأَصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحٰنَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٩٢﴾ خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يَكُوِّرُ عَلَى النَّهَارِ عَلَى الْبَلِّ وَيَكُوِّرُ النَّهَارَ عَلَى الْبَلِّ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلَّ يَوْمٍ فِي فَلَكِهِ لِيَوْمٍ يُجْرَىٰ لِلْأَجْلِ مَسْئَىٰ أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْعَقَدِرُ ﴿٩٣﴾

[٨٤] ﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ﴾ بنصبهما، ورفع الأول ونصب الثاني^(١)؛ فصبه بالفعل بعده، ونصب الأول؛ قيل: بالفعل المذكور، وقيل: على المصدر؛ أي: أحق الحق، وقيل: على نزع حرف القسم، ورفع على أنه مبتدأ محذوف الخبر؛ أي: فالحق مني، وقيل: فالحق قسمي، وجواب القسم: [٨٥] ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ﴾ بذريتك ﴿وَمِمَّن تَبَعَكَ مِنْهُمْ﴾ أي: الناس ﴿أَجْمَعِينَ﴾.

[٨٦] ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ على تبليغ الرسالة ﴿مِنَ أَجْرٍ﴾ يجعل ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ المنقولين القرآن من تلقاء نفسي.

[٨٧] ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾ ما القرآن ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ عظة ﴿لِلْإِنْسِ وَالْجِنِّ وَالْعُقَلَاءِ دُونَ الْمَلَائِكَةِ﴾.

(٥) فائدة: أخرج الرمزي عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ لا ينام على فراشه حتى يقرأ بني إسرائيل والزمزم. الرمزي - كتاب فضائل القرآن (٤٦) باب (٢١) الترجمة، وكتاب الدعوات (٤٩) باب (٢٢) ما جاء فيمن يقرأ القرآن عند المنام، ووصحه الألباني في صحيح سنن الرمزي (٢٧١١).

(١) بالرفع ثم نصب قراءة السبعة عدا عاصم وحجرة.
(٢) الأنبياء: ٢٦.
(٣) في نسخة القاضي كعمان: «إن بدلاً من «من»، وفي نسخة بدون «من».
(٤) ما ذكره المصنف في معنى التكوير هو اختيار ابن جرير، وهو عنده كعمى الإبلاج كما في قوله تعالى: ﴿يُؤْتِيُ الْبَلَّ فِي النَّهَارِ وَيُؤْتِيُ النَّهَارَ فِي الْبَلِّ﴾. وروي عن قتادة: يعنى أحدهما الآخر؛ أي يذهب أحدهما فيقعه الآخر. والتكوير في الأصل: هو اللف واللي؛ من كار العمامة على رأسه وكورها.

[٦] ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَرَجَعَكُمْ إِلَى اللَّهِ﴾ أي: آدم ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا مِنْهَا رِزْقَهَا﴾ حواء ﴿وَأَنْزَلْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَنْجَامِ﴾ الإبل والبقر والغنم والضأن والماعز ﴿تَنْبِيئًا﴾ ﴿رِزْقًا﴾ من كل زوجان^(١): ذكر وأنثى، كما بين في سورة الأنعام ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِمَّا يَشَاءُ بِحَدِّ خَلْقٍ﴾ أي: نطفًا ثم علقًا ثم مضغًا ﴿فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾ هي ظلمة البطن، وظلمة الرحم، وظلمة المشيمة ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَن تَضَرَّوْنَ﴾ عن عبادته إلى عبادة غيره؟! [٧] ﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَنَىٰ عُنُقِكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ وإن أراد من بعضهم^(٢) ﴿وَإِن تَشْكُرُوا﴾ الله، فنؤمنوا ﴿بِرِضَا﴾ بسكون الهاء، وبضمها مع إشباع ودونه^(٣)؛ أي: الشكر ﴿لَكُمْ﴾ ولا تَزُرُّ ﴿نَفْسٌ﴾ ﴿وَالزَّرَّةُ وَذَرَّةٌ﴾ نفس ﴿أُخْرَى﴾ أي: لا تحمله ﴿تُمْ﴾ إلى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنشِرُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ بما في القلوب.

[٨] ﴿وَإِنَّمَا سَأَلَ الْإِنْسَانَ﴾ أي: الكافر ﴿ضُرًّا دَمًا رَبَّهُ﴾ تصرع ﴿مُنِيبًا﴾ راجعًا ﴿إِلَيْهِ تُمْ﴾ إِذَا حَوَّلَهُ رِزْمَةً﴾ أعطاه إنعامًا ﴿فِيئْتُهُ نِسِيٌّ﴾ ترك ﴿مَا كَانَ يَدْعُوهُ﴾ يتضرع ﴿إِلَيْهِ مِنْ قَبْلِ﴾ وهو الله، ف«ما» في موضع «من» ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ شركاء ﴿لِيُضِلَّ﴾ بفتح الباء وضمها^(٤) ﴿عَنْ سَبِيلِهِ﴾ دين الإسلام ﴿فَلْيَمْسَعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا﴾ بقية أجلك ﴿إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾.

[٩] ﴿أَمَّنْ﴾^(٥) بتخفيف الميم ﴿هُوَ قَتِيئٌ﴾ قائم بوظائف الطاعات ﴿عَائَةَ الْآبِلِ﴾ ساعاته ﴿سَاجِدًا وَقَائِمًا﴾ في الصلاة ﴿بِحَدَّرُ الْأَخْرَةَ﴾ أي: يخاف عذابها ﴿وَرِيحًا رَحْمَةً﴾ جنة^(٦) ﴿رِيءٌ﴾ كمن هو عاص بالكفر أو غيره، وفي قراءة: ﴿أَمَّنْ﴾، ف«أم» بمعنى «بل» و«الهمزة» ﴿فَلْيَمْسَعْ حَلَّ يَسْتَوِي﴾ الَّذِينَ يَمْلِكُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: لا يستويان، كما لا يستوي العالم والجاهل ﴿إِنَّمَا يَذْكُرُ﴾ بتعظ ﴿أَوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾ أصحاب العقول.

[١٠] ﴿فَلْيَعْبَادِ الَّذِينَ عَامَرُوا أَنْفُسَ رَبِّكُمْ﴾ أي: عذابه، بأن تطعبوه ﴿لِيَلْبِثَ أَحْسَنًا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا﴾ بالطاعة ﴿حَسَنَةً﴾ هي الجنة ﴿وَأَرْضَىٰ اللَّهُ وَرِضَةً﴾ فهاجروا إليها، من بين الكفار ومشاهدة المنكرات ﴿إِنَّمَا يَوْقَىٰ

(١) في نسخة القاضي: «زوجين»، و«ذكوا» بالنصب.

(٢) أي: كونًا لا شرعًا.

(٣) «برضه» قرأ ابن كثير والكسائي وابن ذكوان بضم الهاء مع الإشباع، وقرأ السوسي بالإسكان، وقرأ الدوري بالإسكان والإشباع، وهشام بالاختلاس والإسكان، وقرأ الباقون بالضم دون صلة وهم نافع وعاصم وحزمة.

(٤) بالفتح قراءة ابن كثير وأبي عمرو، وقرأ بقية السبعة بالضم.

(٥) وهي قراءة نافع وابن كثير وحزمة، وقرأ بقية السبعة: «أَمَّنْ» بتشديد الميم.

(٦) الجنة أثر من آثار رحمة الله ﷻ لعباده المؤمنين، وهي غيرها؛ ففسير الرحمة بها خلاف الظاهر، وهو تأويل لصفة الرحمة التي أثبتها ربنا ﷻ لنفسه، ونشيتها له على الوجه اللائق به.

خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلْنَا مِنْهَا رِزْقَهَا وَأَنْزَلْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَنْجَامِ نَبِيئًا ﴿٦﴾ رِزْقًا ﴿٧﴾ مِنْ كُلِّ زَوْجَانٍ ﴿٨﴾ ذَكَرَ وَأُنْثَىٰ، كَمَا بَيَّنَّ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ ﴿٩﴾ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِمَّا يَشَاءُ بِحَدِّ خَلْقٍ ﴿١٠﴾ أَيُّ نُطْفَأَ ثُمَّ عَلِقًا ثُمَّ مَضْغًا ﴿١١﴾ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ﴿١٢﴾ هِيَ ظُلْمَةُ الْبَطْنِ، وَظُلْمَةُ الرَّحِمِ، وَظُلْمَةُ الْمَشِيمَةِ ﴿١٣﴾ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَن تَضَرَّوْنَ ﴿١٤﴾ عَنِ عِبَادَتِهِ إِلَىٰ عِبَادَةِ غَيْرِهِ؟! ﴿١٥﴾ إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَنَىٰ عُنُقَكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ﴿١٦﴾ وَإِنْ أَرَادَ مِنْ بَعْضِهِمْ ﴿١٧﴾ وَإِنْ تَشْكُرُوا ﴿١٨﴾ اللَّهُ، فَتُؤْمِنُوا ﴿١٩﴾ بِرِضَا ﴿٢٠﴾ بِسُكُونِ الْهَاءِ، وَبِضْمِهَا مَعَ إِشْبَاعِ وَدُونِهِ ﴿٢١﴾؛ أَيُّ الشُّكْرِ ﴿لَكُمْ﴾ وَلَا تَزُرُّ ﴿٢١﴾ نَفْسٌ ﴿٢٢﴾ وَالزَّرَّةُ وَذَرَّةٌ ﴿٢٣﴾ نَفْسٌ ﴿٢٤﴾ أُخْرَىٰ ﴿٢٥﴾ أَيُّ لَا تَحْمِلُهُ ﴿٢٦﴾ تُمْ ﴿٢٧﴾ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنشِرُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٨﴾ بِمَا فِي الْقُلُوبِ.

[٨] ﴿وَإِنَّمَا سَأَلَ الْإِنْسَانَ﴾ أَيُّ الْكَافِرِ ﴿ضُرًّا دَمًا رَبَّهُ﴾ تَصْرَعُ ﴿مُنِيبًا﴾ رَاجِعًا ﴿إِلَيْهِ تُمْ﴾ إِذَا حَوَّلَهُ رِزْمَةً ﴿٢٩﴾ أَعْطَاهُ إِنْعَامًا ﴿٣٠﴾ فَيئْتُهُ نِسِيٌّ ﴿٣١﴾ تَرَكَ ﴿مَا كَانَ يَدْعُوهُ﴾ يَتَضَرَّعُ ﴿إِلَيْهِ مِنْ قَبْلِ﴾ وَهُوَ اللَّهُ، فَ«مَا» فِي مَوْضِعِ «مَنْ» ﴿٣٢﴾ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا ﴿٣٣﴾ شُرَكَاءَ ﴿٣٤﴾ لِيُضِلَّ ﴿٣٥﴾ بِفَتْحِ الْبَاءِ وَضَمِّهَا ﴿٣٦﴾ عَنِ سَبِيلِهِ ﴿٣٧﴾ دِينَ الْإِسْلَامِ ﴿٣٨﴾ فَلْيَمْسَعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ﴿٣٩﴾ بَقِيَّةَ أَجْلِكَ ﴿٤٠﴾ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴿٤١﴾.

الصَّادُونَ﴾ على الطاعة، وما يتلون به ﴿أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ بغير مكيال ولا ميزان.

قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ
 أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ
 ﴿١٣﴾ قُلْ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ﴿١٤﴾ فَأَعْبُدْ وَأَمَّا شِئْنُكُمْ مِنْ دُونِهِ
 قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ الدِّينَ حَيْثُ وَرَأْتُمْ سَفْهًا وَمَنْ يَسْفِهْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
 أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخَسِرَانُ الْمُمِيزُونَ ﴿١٥﴾ لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ
 وَفِي تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ يَتَّبِعُونَ فِئْتُونَ ﴿١٦﴾
 وَالَّذِينَ أَجْتَنَبُوا الظُّلُمَاتِ أَنْ يَعْبُدُوا مَا يُدْعَوْنَ إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى
 فَبَشِّرْ عِبَادَ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ
 أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾
 أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ أَلَّا يَأْتِيَ تَقْطُوعًا مِنَ النَّارِ ﴿١٩﴾
 لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ عُرفٌ مِّنْ فَوْقِهَا عُرفٌ مَّبِينَةٌ تَخْرُجُ
 مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِعَادَ ﴿٢٠﴾ الرَّتَرُ
 أَنْ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعٌ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ
 يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ
 يَجْعَلُهُ حُطَّلًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٢١﴾

[١١] ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ من الشرك.

[١٢] ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾ من هذه الأمة.

[١٣] ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

[١٤] ﴿قُلْ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾ من الشرك.

[١٥] ﴿فَأَعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِي﴾ غيره، فيه تهديد لهم، وإبدان بأنهم لا
 يعبدون الله - تعالى - ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ الدِّينَ حَيْثُ وَرَأْتُمْ سَفْهًا وَمَنْ يَسْفِهْهُ يَوْمَ
 الْقِيَامَةِ﴾ بتخليد الأنفس في النار، وعدم وصولهم إلى الحور المعدة لهم في
 الجنة، لو آمنوا ﴿أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخَسِرَانُ الْمُمِيزُونَ﴾ البين.

[١٦] ﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ﴾ طباق ﴿وَمِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ من
 النار ﴿ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ﴾ أي: المؤمنون، ليتقوه، يدل عليه: ﴿يَتَّبِعُونَ
 فِئْتُونَ﴾.

[١٧] ﴿وَالَّذِينَ أَجْتَنَبُوا الظُّلُمَاتِ﴾ الأوثان ﴿أَنْ يَعْبُدُوا مَا يُدْعَوْنَ إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى﴾
 ﴿إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى﴾ بالجنة ﴿فَبَشِّرْ عِبَادَ﴾.

[١٨] ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ وهو ما فيه صلاحهم
 ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ أصحاب العقول.

[١٩] ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ أي: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ الآية
 ﴿أَفَأَنْتَ تُنقِذُ﴾ تُخرج ﴿مَنْ فِي النَّارِ﴾ جواب الشرط، وأقيم فيه الظاهر مقام
 المضمر، والهمزة للإنكار، والمعنى: لا تقدر على هدايته، فننقله من النار.

[٢٠] ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ﴾ بأن أطاعوه ﴿لَهُمْ عُرفٌ مِّنْ فَوْقِهَا عُرفٌ
 مَّبِينَةٌ تَخْرُجُ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ أي: من تحت الغرف، الفوقانية والتحتانية
 ﴿وَعَدَّ اللَّهُ﴾ منصوب بفعله المقدر ﴿لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِعَادَ﴾ وعده.

[٢١] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تعلم ﴿أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعٌ﴾
 أدخله أمكنة نبع ﴿فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ﴾
 يبس ﴿فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَّلًا﴾ بعد الخضرة مثلا ﴿مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَّلًا﴾ فثابا
 ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِّكَرْبٍ﴾ تذكريا ﴿لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ بتذكرون به؛ لدلالته (١)
 على وحدانية الله - تعالى - وقدرته.

(١) هود: ١١٩.

(٢) في نسخة مطبوعة: «دلالته».

[٢٢] ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِإِسْلَامِهِ﴾ فاهتدى ﴿فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ كمن طبع على قلبه، دل على هذا: ﴿فَوَيْلٌ﴾ كلمة عذاب ﴿لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مَنِ ذَكَرَ اللَّهَ﴾ أي: عن قبول القرآن ﴿أَوَلَيْكَ فِي صَافِي ثِيَابٍ﴾ بين.

[٢٣] ﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا﴾ بدل من «أحسن»؛ أي: قرآنا ﴿مُنْتَهِيًا﴾ أي: يشبه بعضه بعضاً، في النظم وغيره ﴿مَثَانِي﴾ نُتِي في الوعد والوعيد، وغيرهما ﴿تَقْشَعُرُ مِنْهُ﴾ ترتعد عند ذكر وعيده ﴿جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ﴾ يخافون ﴿رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ﴾ تظمن ﴿جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ أي: عند ذكر وعده ﴿ذَلِكَ﴾ أي: الكتاب ﴿هُدًى اللَّهُ يَهْدِي بِهِ مِنَ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾.

[٢٤] ﴿أَفَمَنْ يَتَّبِعِي﴾ يلقي ﴿بِوَجْهِهِ سُوَّةَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أي: أشده، بأن يلقي في النار مغلولة يدها إلى عنقه، كمن أمن منه بدخول الجنة؟ ﴿وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ﴾ أي: كفار مكة: ﴿ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ أي: جزاءه. [٢٥] ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ رسلهم، في إبان العذاب ﴿فَأَلْتَمَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ من جهة لا تخطر ببالهم.

[٢٦] ﴿فَأَذَانَهُمُ اللَّهُ الْخَزْيَ﴾ الذل والهوان، من المسخ والقتل وغيره ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلِعَذَابِ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ أي: المكذبون ﴿يَعْلَمُونَ﴾ عذابها ما كذبوا.

[٢٧] ﴿وَلَقَدْ صَرَّبْنَا﴾ جعلنا ﴿لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ يتعظون.

[٢٨] ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ حال مؤكدة ﴿عَبْرَ ذِي عِوَجٍ﴾ أي: ألبس واختلاف ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ الكفر.

[٢٩] ﴿صَرَّبَ اللَّهُ﴾ للمشرك والموحد ﴿مَثَلًا رُجُلًا﴾ بدل من «مثلاً» ﴿فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّبُونَ﴾ متنازعون، سببة أخلاقهم ﴿وَرَجُلًا سَابِلًا﴾^(١) خالصاً ﴿لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ تمييز؛ أي: لا يستوي العبد لجماعة والعبد لواحد، فإن الأول إذا طلب منه كل من مالكيه خدمته في وقت واحد تحير فيمن يخدمه منهم، وهذا مثل للمشرك، والثاني مثل للموحد ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ وحده ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ﴾ أي: أهل مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ما يصيرون إليه من العذاب فيشركون.

﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِإِسْلَامِهِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ قَوْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أَوْلَيْكَ فِي صَافِي ثِيَابٍ﴾^(٢) ﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُنْتَهِيًا مَثَانِي تَقْشَعُرُ مِنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدًى اللَّهُ يَهْدِي بِهِ مِنَ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾^(٣) ﴿أَفَمَنْ يَتَّبِعِي الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾^(٤) ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَتْهُمْ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾^(٥) ﴿فَأَذَانَهُمُ اللَّهُ الْخَزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْعَذَابِ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾^(٦) ﴿وَلَقَدْ صَرَّبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾^(٧) ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا عَبْرَ ذِي عِوَجٍ﴾^(٨) ﴿صَرَّبَ اللَّهُ مَثَلًا رُجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّبُونَ وَرَجُلًا سَابِلًا﴾^(٩) ﴿لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾^(١٠) ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(١١) ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾^(١٢) ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾^(١٣)

[٣٠] ﴿إِنَّكَ﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ ستموت ويموتون، فلا شمامة بالموت، نزلت لما استبطنوا موته ﷺ.

[٣١] ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ﴾ أيها الناس فيما بينكم من المظالم ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾^(١٤).

(٥) فائدة: أخرج الترمذي عن الزبير بن العوام قال: لما نزلت: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ قال الزبير: يا رسول الله، أكرر علينا الخصومة بعد الذي كان بيننا في الدنيا؟ قال: «نعم»، فقال: إن الأمر إذن لشديده. الترمذي. كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٤٠) ومن سورة الزمر. وحسن الألباني إسناده في صحيح سنن الترمذي (٢٥٨٣). وأخرجه أيضاً أحمد (١٦٧/١) مطولاً بلفظ: «قال الزبير: أي رسول الله، أكرر علينا ما كان بيننا في الدنيا مع خواص الذنوب؟ قال: «نعم»، ليكرر عليكم حتى يؤدي إلى كل ذي حق حقه». فقال الزبير: والله، إن الأمر لشديده». وحسن الأرنؤوط إسناده (١٤٣٤). وكذا قال أحمد شاكر: إسناده حسن. (١٤٣٨).

(١) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو، وقرأ بقية السبعة: ﴿سَابِلًا﴾ بدون ألف.

الشريك والولد إليه ﴿وَكَذَّبَ بِالصَّدِقِ﴾ بالقرآن ﴿إِذْ جَاءَهُ﴾ أَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى ﴿مَاوًى﴾ لِلْكَافِرِينَ ﴿بَلَى﴾.

[٣٣] ﴿وَالَّذِي جَاءَهُ بِالصَّدَقِ﴾ هو النبي ﷺ ﴿وَصَدَّقَ بِهِ﴾ هُمَ الْمُؤْمِنُونَ فِي الَّذِي «الذين» ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ الشريك.

[٣٤] ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ لأنفسهم بإيمانهم [٣٥] ﴿لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ «أسوأ» و«أحسن» بمعنى السيئ والحسن.

[٣٦] ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدًا﴾ أي: النبي (١) ﴿بَلَى﴾ ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ﴾ الخطاب له ﴿بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ أي: الأصنام أن تقتله أو تخبله ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾.

[٣٧] ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ﴾ أَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ﴿غَالِبٍ عَلَى أَمْرِهِ﴾ ذِي أَنْتِقَامٍ ﴿مَنْ أَعْدَاتِهِ؟﴾ بَلَى.

[٣٨] ﴿وَلَيْنَ﴾ لَمْ قَسَمَ ﴿سَأَلْتُهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ﴾ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ ﴿تعبدون﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴿أَي: الأصنام﴾ إِنْ أَرَادَنِي اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّيهِ ﴿لا﴾ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِي ﴿لا﴾، وَفِي قِرَاءَةٍ (١) بِالْإِضَافَةِ فِيهِمَا ﴿قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ ينطق الواو القون.

[٣٩] ﴿قُلْ يَقَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَاتِبِكُمْ﴾ حالكم ﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾ عَلَى حَالَتِي ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾.

[٤٠] ﴿مَنْ﴾ مَوْصُولَةٌ، مَفْعُولُ الْعِلْمِ ﴿بِأَيِّ عَذَابٍ يُعْزِيهِ وَيَجِلُّ﴾ يَنْزِلُ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴿دَائِمٌ هُوَ عَذَابُ النَّارِ، وَقَدْ أَخْرَجَهُمُ اللَّهُ بَدْرًا﴾.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصَّدِقِ﴾
 ﴿إِذْ جَاءَهُ هُوَ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ﴾ ﴿وَالَّذِي جَاءَهُ بِالصَّدِقِ وَصَدَّقَ بِهِ﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ وَعِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾
 ﴿لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدًا﴾
 ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ﴾
 ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي أَنْتِقَامٍ﴾ ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتُهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ﴾ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّيهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِي
 ﴿قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ ﴿قُلْ يَقَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَاتِبِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾
 ﴿مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُعْزِيهِ وَيَجِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾

[٣٢] ﴿فَنَنْ﴾ أَي: لَا أَحَدٌ ﴿أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ﴾ بِنِسْبَةِ

(١) وقيل: المراد به الخالص في العبودية لله ﷻ، ويؤيده قراءة: (عباده) بالجمع، وهي حمزة والكسائي.

(٢) والقراءة المذكورة أولاً لأبي عمرو بالتثنية في الكلمتين: «كاشفات» و«ممسكات»، مع النصب في «ضربه» و«رحمته»، وقرأ بقية السبعة بالإضافة فيهما؛ أي ﴿كَاشِفَاتُ ضُرِّيهِ﴾ و﴿مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِي﴾.

[٤١] ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ﴾ متعلق به «أنزل» ﴿فَمَنْ أَهْتَدَفَ فَلْيَنْفِسْهُ﴾ امتدأؤه ﴿وَمَنْ ضَلَّ قَاتِمًا يَصِلْ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ فتجبرهم على الهدى.

[٤٢] ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ يتوفى ﴿وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ أي: يتوفاهما وقت النوم ﴿فِيْمَسِكُ﴾ التي ﴿قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأَخْرَىٰ﴾ إلى أجل مُّسَمًّى ﴿أَي: وقت موتها، والمرسلة نفس التمييز، تبقى بدونها نفس الحياة، بخلاف العكس^(١)﴾ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿لَآيَاتٍ﴾ دلالات ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيعلمون أن القادر على ذلك قادر على البعث، وقريش لم يتفكروا في ذلك.

[٤٣] ﴿أَمْ بَلْ﴾ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴿أَصْنَامَ آلِهَةٍ﴾ شَفَعَاءَ ﴿عِنْدَ اللَّهِ يَرْعَمُهُمْ﴾ ﴿قُلْ لَهُمْ﴾: ﴿أَلَمْ﴾ يشفعون ﴿وَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا﴾ من الشفاعة وغيرها ﴿وَلَا يَعْقِلُونَ﴾ أنكم تعبدونهم ولا غير ذلك؟ لا.

[٤٤] ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا﴾ أي: هو مختص بها، فلا يشفع أحد إلا بإذنه ﴿لَمْ يَلِكْ﴾ الْمَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿﴾.

[٤٥] ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ﴾ أي: دون ألهمهم ﴿أَشْمَأَزَّتْ﴾ نفرت وانقبضت ﴿قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ أي: الأصنام ﴿إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾.

[٤٦] ﴿قُلِ اللَّهُمَّ﴾ بمعنى يا الله ﴿فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ مُبْدِعُهُمَا ﴿عَلِيمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ ما غاب وما شُهِد ﴿أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ من أمر الدين، اهتدي لما اختلفوا فيه من الحق.

[٤٧] ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَأَ﴾ ظهر ﴿لَهُمْ نَبَأٌ﴾ اللَّهُ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿يظنون﴾.

إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنْ أَهْتَدَىٰ فَلْيَنْفِسْهُ وَمَنْ ضَلَّ قَاتِمًا يَصِلْ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأَخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ بَلْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شَفَعَاءَ قُلْ أُولَٰئِكَ أَلَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِيمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَأَ اللَّهُ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾

(١) أي: فمتى ذهبت نفس الحياة لا تبقى نفس التمييز والإحساس، والتحقق أنها روح واحدة، والتعدد باعتبار أوصافها.

يَسْتَهْرُونَ ﴿٤٨﴾ أي: العذاب.

[٤٩] ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَخَانًا ثُمَّ إِذَا حَوَّلْنَاهُ﴾ أعطيناه ﴿يَعْمَةً﴾ إنعاماً ﴿وَمَا قَالَ إِلَّا أَوْيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ من الله بأنِّي له أهل (١) ﴿بَلْ هِيَ﴾ أي: القولة ﴿وَتَنَنُّهُ﴾ بلية، يتلى بها العبد ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن التحويل استدراج وامتحان.

[٥٠] ﴿قَدْ قَالُوا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم؛ كفارون وقومه الراضين بها ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

[٥١] ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾؛ أي: جزاؤها ﴿وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِن هَؤُلَاءِ﴾؛ أي: قريش ﴿سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ بفاتنين عذابنا، ففحطوا سبع سنين، ثم وُسع عليهم.

[٥٢] ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾ يوسع ﴿لِمَن يَشَاءُ﴾ امتحاناً ﴿وَيَقْدِرُ﴾ يضيقه، لمن يشاء ابتلاء ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ به.

[٥٣] ﴿قُلْ يَبْعَادَى الَّذِينَ اسْتَفْهَمُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا﴾ بكسر النون وفتحها (٢)، وقرئ بضمها (٣)؛ تياسوا ﴿مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ لمن تاب من الشرك ﴿إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (٤).

[٥٤] ﴿وَأَنِيبُوا﴾ ارجعوا ﴿إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا﴾ أخلصوا العمل ﴿لَهُ﴾ من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تُشعروا ﴿بِمَنعِهِ﴾ بمنع الله لمن تتوبوا.

[٥٥] ﴿وَأَنبِئُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِن رَّبِّكُمْ﴾ هو القرآن ﴿وَمِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ قبل إتيانه بوقتته.

[٥٦] ﴿فَادْرُوا قُلْ﴾ أن تقول نفسك بَحْسَرَتِي أصله يا حسرتي؛ أي: ندامتي ﴿عَلَىٰ مَا قَرَّبْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ﴾ أي: طاعته (٥) ﴿وَأَن﴾ مخففة من التقلية؛ أي: واني ﴿كُنْتُ لِمَنِ اسْتَحْرَيْتُ﴾ بدينه وكتابه.

وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْرُونَ ﴿٤٨﴾ فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَخَانًا ثُمَّ إِذَا حَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً وَمَا قَالَ إِلَّا أَوْيْتُهُ وَعَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالُوا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِن هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ قُلْ يَبْعَادَى الَّذِينَ اسْتَفْهَمُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ ﴿٥٤﴾ وَأَنبِئُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِن رَّبِّكُمْ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَنْحَسِرُنِي عَلَىٰ مَا قَرَّبْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنْتُ لِمَنِ اسْتَحْرَيْتُ ﴿٥٦﴾

[٤٨] ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ﴾ نزل ﴿بِهِمْ﴾ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْرُونَ

(٥) ما جاء في نزول الآية (٥٣): أخرج البخاري عن ابن عباس أن ناساً من أهل الشرك كانوا قد فعلوا وأكثروا وزنوا فأكثروا، فأتوا محمداً ﷺ فقالوا: إن الذي تقول وتدعو إليه لحسن، لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة، فنزل: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ إِلَيْهَا مَاتُوا وَلَا يَحْسَبُونَ أَنْفُسَهُمْ إِلَّا بِحَسْبِ اللَّهِ﴾ ونزل: ﴿قُلْ يَبْعَادَى الَّذِينَ اسْتَفْهَمُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) - سورة الزمير (٣٩) باب (١) يا عبادي الذين استهفوا. ورواه أيضاً مسلم - كتاب الإيمان (١)، باب (٥٤) ... وسبق تخريجه في سورة الفرقان عند الآية (٦٨).

(١) أو المعنى: على علم عندي بوجوه المكاسب والتجارة.

(٢) بالكسر قراءة الكسائي وأبي عمرو.

(٣) أي: شذوفاً.

(٤) وقال الفراء: في قرب الله وجواره.

[٥٧] ﴿أَوْ تَقُولُ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي﴾ (٥) بالطاعة فاهتديت ﴿لَكُنْتُ مِنَ الْمُنْقِبِينَ﴾ عذابه.

[٥٨] ﴿أَوْ تَقُولُ لِيِن تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً﴾ رجعة إلى الدنيا ﴿فَأَكُونُ مِنَ الْمُنْحِينِ﴾ المؤمنين. فيقال له من قبل الله: [٥٩] ﴿بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي﴾ القرآن، وهو سبب الهداية ﴿فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ﴾ تكبرت عن الإيمان بها ﴿وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾.

[٦٠] ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ﴾ بنسبة الشريك والولد إليه ﴿وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ عن الإيمان؟ بلى.

[٦١] ﴿وَيَسْجَى اللَّهُ﴾ من جهنم ﴿الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الشرك ﴿بِمَقَادِيرِهِمْ﴾ أي: بمكان فوزهم من الجنة، بأن يجعلوا فيه ﴿لَا يَسْتَهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

[٦٢] ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ متصرف فيه كيف يشاء.

[٦٣] ﴿لَهُم مَّقَالِدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: مفاتيح خزائنها من المطر والنبات وغيرها ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُصَابَتْ أَلْفُوهُمْ﴾ القرآن ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ متصل بقوله: ﴿وَيَسْجَى اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الخ، وما بينهما اعتراض.

[٦٤] ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾ «غير» منصوب به «أعبد» المعمول لـ «تأمروني» بتقدير «أن» بنون واحدة وبنونين «إدغام وفك» (١).

[٦٥] ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ﴾ واللَّهُ ﴿لَئِن أَشْرَكْتَ﴾ يا محمد فرضاً ﴿لَيَحْطَبَنَّ عَمَلَكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

[٦٦] ﴿بَلَى اللَّهُ﴾ وحده ﴿فَاعْبُدْهُ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ إنعامه عليك.

[٦٧] ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ ما عرفوه حق معرفته، أو ما عظموه

حق عظمته، حين أشركوا به غيره ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا﴾ حال أي: السبع ﴿قَبَضْتُمْ﴾ أي: مقبوضة له أي: في ملكه وتصرفه (٢) ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ﴾ مجموعات ﴿بِيسْرَةٍ﴾ (٣) بقدرته (٤) ﴿سُبْحَانَكَ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ معه.

أَوْ تَقُولُ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُنْقِبِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولُ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونُ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وَجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيَسْجَى اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَقَادِيرِهِمْ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَهُم مَّقَالِدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُصَابَتْ أَلْفُوهُمْ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾ أَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَأُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِن أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلَى اللَّهُ فَاعْبُدْهُ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيسْرَةٍ وَسُبْحَانَكَ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾

(٥) فائدة: أخرج أحمد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «كل أهل النار يرى مقعده من الجنة؛ فيقول: لو أن الله هداني، فيكون عليه حسرة. قال: وكل أهل الجنة يرى مقعده من النار؛ فيقول: لو أن الله هداني، فيكون له شكر». المسند (٥١٢/٢) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٤٥١٤).

(٥٥) فائدة: أخرج الترمذي عن عائشة أنها سألت رسول الله ﷺ عن قوله: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيسْرَةٍ﴾ قالت: قلت: فأين الناس يومئذ يا رسول الله؟ قال: «على جسر جهنم». الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٤٠) ومن سورة الزمر. ووضح الألباني إسناده في صحيح سنن الترمذي (٢٥٨٩).

(١) قوله: (إدغام) أي مع فتح الباء وسكونها، وقوله: (وفك) أي مع سكون الباء لا غير؛ فقرأ ابن عامر بنونين، وقرأ نافع بنون مخففة مع فتح الباء، وكذلك فتحها ابن كثير. (٢) وهذا عدول عن ظاهر اللفظ، وهو خلاف ما فهمه السلف من إثبات هذه الصفة وغيرها لله ﷻ، مما أثبتته لنفسه وأثبتته له رسوله ﷺ على الوجه اللائق به، وثبت عند البخاري (٧٤١٣). من حديث ابن عمر مرفوعاً: «إن الله يقبض يوم القيامة الأرض، وتكون السماوات يمينه ثم يقول: أنا الملك». فالواجب الإيمان بهذه الصفات وإثباتها لله ﷻ على الوجه اللائق به من غير تأويل ولا تعطيل ولا تمثيل ولا تكيف.

[٦٩] ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ﴾ أضاءت ﴿بِئُورِ رَبِّهَا﴾ حين يتجلى الله لفصل القضاء ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾ كتاب الأعمال للحساب ﴿وَجَاءَتْ بِالْبَيْتَيْنِ وَالشَّهَادَةِ﴾ أي: بمحمد ﷺ وأمه يشهدون للرسول بالبلاغ ﴿وَفُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ﴾ أي: العدل ﴿وَهُمْ لَا يظنون﴾ شيئاً. [٧٠] ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾ أي: جزاءه ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ﴾ عالم ﴿بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ فلا يحتاج إلى شاهد.

[٧١] ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بعنف ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُرَّارًا﴾ جماعات متفرقة ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهُمَا﴾ جواب «إذا» ﴿وَقَالَ لَهُمْ خِرَنَفًا﴾ ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم؟ القرآن وغيره ﴿وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ﴾ أي: «لأننا لأن جهنم» ﴿عَلَى الْكٰفِرِينَ﴾.

[٧٢] ﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خٰلِدِينَ فِيهَا﴾ مقدرين الخلود ﴿فِيئْسَ مَثْوًى﴾ ماوى ﴿الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ جهنم.

[٧٣] ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ﴾ بلطف ﴿إِلَىٰ الْجَنَّةِ زُرَّارًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ﴾ وفتحت أبوابها ﴿الواو فيه للحال بتقدير: قد﴾ ﴿وَقَالَ لَهُمْ خِرَنَفًا﴾ سلم عليكم طيبته ﴿حَالًا﴾ فأدخلوها خٰلدين ﴿مقدرين الخلود فيها، وجواب «إذا» مقدر أي: دخلوها، وسؤفتهم وفتح الأبواب قبل مجيئهم تكريمة لهم، وسؤق الكفار وفتح أبواب جهنم عند مجيئهم ليقى حرها إليهم إهانة لهم.

[٧٤] ﴿وَقَالُوا﴾ عطف على دخولها المقدر: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَنُودُوا بِالْحِنَةِ﴾ بالجنة ﴿وَأَوْزِنَا الْأَرْضَ﴾ أي: أرض الجنة (٤) ﴿نَسْتَوِي﴾ نزل ﴿بِوَسْطِ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَأُ﴾ لأنها كلها لا يختار فيها مكان على مكان ﴿فَوَعَمَّ أَجْرُ الْعٰمِلِينَ﴾ الجنة.

وَيُفِيحُ فِي الصُّورِ فَصَيَّقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ يُفِيحُ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴿٦٩﴾ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِئُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجَاءَتْ بِالْبَيْتَيْنِ وَالشَّهَادَةِ وَفُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظَاهَمُونَ ﴿٧٠﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُرَّارًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ فَتَحَتْ أَبْوَابُهُمْ وَقَالَ لَهُمْ خِرَنَفًا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكٰفِرِينَ ﴿٧٢﴾ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خٰلِدِينَ فِيهَا فِئْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٣﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَىٰ الْجَنَّةِ زُرَّارًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خِرَنَفًا سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خٰلِدِينَ ﴿٧٤﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَّهُ وَأَوْزِنَا الْأَرْضَ نَسْتَوِي مِنَ الْجِنَّةِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَلَٰكِنْ نَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفْرِ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧٥﴾

[٦٨] ﴿وَيُفِيحُ فِي الصُّورِ﴾ النفخة الأولى ﴿فَصَيَّقَ﴾ مات ﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ من الحور والولدان وغيرهما (١) ﴿ثُمَّ يُفِيحُ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ﴾ أي: جميع الخلائق الموتى ﴿قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ (٢) ينظرون ما يفعل بهم.

(٥) فائدة: أخرج الترمذي عن أبي هريرة قال: قال يهودي يسوق المدينة: لا والذي اصطفى موسى على البشر. قال: فرجع رجل من الأنصار يده فصك بها وجهه. قال: تقول هذا فنيا نبي الله ﷺ. فقال رسول الله ﷺ: ﴿وَيُفِيحُ فِي الصُّورِ فَصَيَّقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ يُفِيحُ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ فأكون أول من رفع رأسه، فإذا موسى أخذ بقائمة من قوائم العرش، فلا أدري أرفع رأسه قبلي أو كان من امتنني الله... الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٤٠) ومن سورة الزمر. وضححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٥٨٧).

(١) قيل: كالشهداء، أو خواص الملائكة، أو إسرائيل نفسه، ثم يموت بعد ذلك. والأولى أن يقال: الله أعلم بنبته، إذ لا يصار إلى بيان المهمات إلا بقاطع. (٢) الصواب عدم تخصيص البين هنا بمحمد ﷺ، بل هو قول غريب بعيد، ولا تخصيص الشهداء بأتمه عليه الصلاة والسلام، لأنه خلاف الظاهر. وجمهور المفسرين على أن المراد جماعة الأنبياء ليشهدوا على أممهم بأنهم بلغوهم، أما الشهداء فقيل بما ذكره المفسر، وقيل: المراد الملائكة الحافظة على أعمال العباد، وقيل: أعضاء الإنسان، وقيل: الأرض، وقيل: الذين استشهدوا في سبيل الله، والآية تحتمل كل ذلك، ولا تعارض.

(٣) هود: ١١٩.

(٤) هذا قول كثير من المفسرين، كما تقدم في سورة الأنبياء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّكَ الْأَرْضَ رِئُوسًا يَكُونُ الْمُتَكَلِّمُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]، وسبق هنالك بيان اعتراض القاضي كتمان على ذلك واختياره أن الأرض في الآيتين هي الأرض المعهودة وليست أرض الجنة، والله أعلم.

وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٥﴾

سُبُوْرَةُ عَافِرٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمَّ ﴿١﴾ تَنْزِيلَ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٢﴾ عَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهٌ لِيَهُ الْمَصِيرُ ﴿٣﴾ مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْزِرُكَ تَقَدُّهُمُ فِي الْبِلَادِ ﴿٤﴾ كَذَبَتْ فَمَلَهُمْ قَوْمٌ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَدَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾ وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٦﴾ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾

﴿١﴾ يُسَبِّحُونَ ﴿٢﴾ خَبِرَهُ ﴿٣﴾ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴿٤﴾ مَلَاسِينِ لِلْحَمْدِ؛ أَي: يَقُولُونَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ ﴿٥﴾ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ. - تَعَالَى - بِصَافِيَتِهِمْ؛ أَي: يَصْدُقُونَ بِوَحْدَانِيَتِهِ ﴿٦﴾ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا ﴿٧﴾ يَقُولُونَ: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾ أَي: وَسِعَتْ رَحْمَتُكَ كُلَّ شَيْءٍ، وَعِلْمُكَ كُلَّ شَيْءٍ ﴿فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا﴾ مِنَ الشَّرِكِ ﴿وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ﴾ دِينَ الْإِسْلَامِ ﴿وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ النَّارِ.

[٧٥] ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ﴾ حال ﴿مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ﴾ من كل جانب منه ﴿يُسَبِّحُونَ﴾ حال من ضمير حافين ﴿بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ ملاسين للحمْد؛ أَي: يَقُولُونَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ بين جميع الخلائق ﴿بِالْحَقِّ﴾ أَي: الْعَدْلِ، فَيُدْخِلُ الْمُؤْمِنُونَ الْجَنَّةَ، وَالْكَافِرُونَ النَّارَ ﴿وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ حُجْمَ اسْتِقْرَارِ الْفَرِيقَيْنِ بِالْحَمْدِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ (١).

سُبُوْرَةُ عَافِرٍ

[مكية، إلا: ﴿الَّذِينَ يَجْتَدِلُونَ﴾ الآيتين، خمس وثمانون آية،

نزلت بعد الزمر]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿حَمَّ﴾ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَرَادِهِ بِهِ.

[٢] ﴿تَنْزِيلَ الْكِتَابِ﴾ الْقُرْآنَ، مُبْتَدَأُ ﴿مِنْ اللَّهِ﴾ خَبِرَهُ ﴿الْعَزِيزِ﴾ فِي مُلْكِهِ ﴿الْعَلِيمِ﴾ بِخَلْقِهِ.

[٣] ﴿عَافِرِ الذَّنْبِ﴾ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾ لَهُمْ مَصْدَرٌ ﴿شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾ لِلْكَافِرِينَ؛ أَي: مُشَدَّدِهِ ﴿ذِي الطَّوْلِ﴾ الْإِنْعَامِ الْوَاسِعِ، وَهُوَ مَوْصُوفٌ عَلَى الدَّوَامِ بِكُلِّ هَذِهِ الصِّفَاتِ، فِإِضَافَةِ الْمَشْتَقِ مِنْهَا لِلتَّعْرِيفِ (٢) كَالْآخِرَةِ ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهٌ لِيَهُ الْمَصِيرُ﴾ الْمَرْجِعِ.

[٤] ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ﴾ الْقُرْآنَ ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ ﴿فَلَا يَغْزِرُكَ تَقَدُّهُمُ فِي الْبِلَادِ﴾ لِلْمَعَاشِ سَالِمِينَ فَإِنْ عَاقَبْتَهُمُ النَّارِ.

[٥] ﴿كَذَبَتْ فَمَلَهُمْ قَوْمٌ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ﴾ كَعَادَ وَثَمُودَ وَغَيْرَهُمَا ﴿مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ﴾ يَقْتُلُوهُ ﴿وَجَدَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾ يَزِيلُوهُ ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ بِالْعِقَابِ ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ لَهُمْ؛ أَي: هُوَ وَاقِعٌ مَوْقِعُهُ.

[٦] ﴿وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾؛ أَي: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ الْآيَةَ (٣) ﴿عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ بِدَلِّ مِنَ «كَلِمَةٍ».

[٧] ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ﴾ (٤) مُبْتَدَأُ ﴿وَمَنْ حَوْلَهُ﴾ عَطْفٌ عَلَيْهِ

(٥) فائدة: أخبر أبو داود عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ قال: «أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش، إن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام». أبو داود - كتاب السنة (٣٤) باب (١٩) في الجهمية، وضححه الألباني في صحيح الجامع (٨٥٤).

(١) وقيل: إن القائل هم المؤمنون، وقال ابن كثير: أي: ونطق الكون أجمعه - ناطقه وبهيمه - لله رب العالمين بالحمد؛ في حكمه وعدله، ولهذا لم يسند القول إلى قائل بل أطلقه، فدل على أن جميع المخلوقات شهدت له بالحمد.

(٢) أي إضافة المشتق من هذه الصفات؛ «عافر» و«قابل» و«شديد» لتعريف المضاف؛ ليصح أن يكون صفة للمعرفة؛ وهو لفظ الجلالة المقدم في قوله: «من الله».

(٣) هود: ١١٩.

[٩] ﴿وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ﴾ أي: عذابها ﴿وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ﴾ يوم القيامة ﴿فَقَدَرْنَا رَحْمَةً﴾ وذلك هو القور العظيم.

[١٠] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُبَادُونَ﴾ من قبل الملائكة، وهم يموتون أنفسهم عند دخولهم النار: ﴿لَمَقْتُ اللَّهُ﴾ إياكم ﴿أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ دُعِيتُمْ﴾ في الدنيا ﴿إِلَى الْإِيمَانِ فَكُفَرْتُمْ﴾.

[١١] ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَنَّاتُنَّ﴾ إمامتين ﴿وَأَحْيَيْتَنَا أَتْنَيْنِ﴾ إحياءتين؛ لأنهم نطقاً^(١) أموات، فأحيوا، ثم أميتوا، ثم أحيوا للبعث ﴿فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا﴾ بكفرنا بالبعث ﴿فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ﴾ من النار، والرجوع إلى الدنيا، لنطيع ربنا ﴿مِنْ سَبِيلٍ﴾ طريق، وجوابهم: لا.

[١٢] ﴿ذَلِكُمْ﴾ أي: العذاب الذي أنتم فيه ﴿يَأْتِيهِمْ﴾ أي: بسبب أنه في الدنيا ﴿إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ﴾ بتوحيده ﴿وَإِنْ يُشْرِكْ بِهِ﴾ يجعل له شريك ﴿تُنْفِئُوا﴾ تصدقوا بالإشراك ﴿فَالْتَكُمُ﴾ في تعذيبكم ﴿بِاللَّهِ الْعَلِيِّ﴾ على خلقه ﴿الْكَبِيرِ﴾ العظيم.

[١٣] ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾ دلائل توحيده ﴿وَيُنزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا﴾ بالمطر ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ﴾ بتعظ ﴿إِلَّا مَنْ يَشَاءُ﴾ يرجع عن الشرك.

[١٤] ﴿فَادْعُوا اللَّهَ﴾ اعبدوه ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ﴾ من الشرك ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ إخلاصكم منه.

[١٥] ﴿رَفِيعَ الدَّرَجَاتِ﴾ أي: الله عظيم الصفات، أو رافع درجات المؤمنين في الجنة ﴿ذُو الْعَرْشِ﴾ خالقه^(٢) ﴿يُلْقِي الرُّوحَ﴾ الوحي ﴿مِنْ أَمْرِهِ﴾ أي: قوله ﴿عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ يُنذِرُ ﴿يَخُوفَ الْمَلْقَى عَلَيْهِ النَّاسِ﴾ يومئذ ﴿يَوْمَ التَّلَاقِ﴾ بحذف الباء وإثباتها^(٣)؛ يوم القيامة؛ لتلاقي أهل السماء والأرض، والعباد والمعبود، والظالم والمظلوم فيه.

[١٦] ﴿يَوْمَ هُمْ بَاكِرُونَ﴾ خارجون من قبورهم ﴿لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ﴾ لَمَنْ الْمَلِكُ الْيَوْمَ ﴿يَقُولُ - تَعَالَى - وَيَجِيبُ نَفْسَهُ﴾ ﴿لِلَّهِ الْوَلَدُ﴾ الفقهار: أي: لخلقه.

رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ، وَذَلِكَ هُوَ الْقَوْرُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُبَادُونَ لَمَقْتُ اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ دُعِيتُمْ إِلَى الْإِيمَانِ فَكُفَرْتُمْ ﴿١٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا أَمَنَّاتُنَّ وَأَحْيَيْتَنَا أَتْنَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَلِكُمْ بَأْتِيهِمْ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ، كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرِكْ بِهِ تُوْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿١٤﴾ رَفِيعَ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُمْ بَاكِرُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لَمَنْ الْمَلِكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَلَدُ الْفَقَّارِ ﴿١٦﴾

[٨] ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ﴾ إقامة ﴿الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ﴾ عطف على «هم» في: «وَأَدْخِلْهُمْ»، أو: في: «وَعَدْتَهُمْ» ﴿وَمِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ في صنعه.

(١) كذا في بعض النسخ بنصب «نطقاً» على الحال، والمناسب أن يقول: لأنهم كانوا، أو خلقوا نطقاً... اهد. من حاشية الصاوي.

(٢) الله عز وجل خالق كل شيء، والإضافة هنا لأمر اختص به العرش دون سائر المخلوقات، وهو استواؤه سبحانه عليه بنفسه المقدسة استواء يليق بجلاله.

(٣) بالياء وصلماً ووفقاً لقراءة ابن كثير، وأثبتها ورش وصلماً فقط، وكذلك قالون بخلاف عنه.

[١٧] ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ يحاسب جميع الخلق في قدر نصف نهار من أيام الدنيا لحديث بذلك (١).

[١٨] ﴿وَأَنْذَرْتَهُمْ يَوْمَ الْأَرْفَقَةِ﴾ يوم القيامة؛ من أرف الرحيل: قوب ﴿إِذِ الْقُلُوبُ تَرْتَفِعُ خَوْفًا﴾ لدى عند ﴿الْحَنَاجِرِ كَظِيمِينَ﴾ ممتلئين غمًا، حال من «القلوب»، عولمت بالجمع بالياء والنون معاملة أصحابها ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَسِيمٍ﴾ محب ﴿وَلَا شَفِيعَ يُطَاعُ﴾ لا مفهوم للوصف، إذ لا شفيع لهم أصلاً، ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَفِيعِينَ﴾ (٢) أوله مفهوم بناء على زعمهم أن لهم شفعاء؛ أي: لو شفعا فرضاً لم يقبلوا.

[١٩] ﴿يَعْلَمُ﴾ أي: الله ﴿عَايَةَ الْأَعْيُنِ﴾ بمسارقتها النظر إلى محرم ﴿وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ القلوب.

[٢٠] ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ يعبدون؛ أي: كفار مكة، بالياء والتاء (٣) ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ وهم الأصنام ﴿لَا يَقْضُونَ يَتَّقَى﴾ فكيف يكونون شركاء لله؟ ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لأقوالهم ﴿الْبَصِيرُ﴾ بأفعالهم.

[٢١] ﴿أَوْلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ﴾ وفي قراءة (٤): «منكم» ﴿فُؤَادًا﴾ وءاناراً في الأرض ﴿من مصانع وقصور﴾ فأخذهم الله ﴿أهلكهم﴾ يذوبهم ﴿وما كان لهم من الله ين وافي﴾ عذابه.

[٢٢] ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالمعجزات الظاهرات ﴿فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

[٢٣] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطٰنٍ مُّبِينٍ﴾ برهان بين ظاهر.

[٢٤] ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهٰمَانَ وَقُرُونِ﴾ فقلوا: ﴿هو سَجِرٌ كَذَّابٌ﴾.

[٢٥] ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ﴾ بالصدق ﴿مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا أَأَقْتُلُوا آتِنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ وَأَسْتَحْيُوا﴾ استبقوا ﴿نِسَاءَهُمْ وَمَا كُنْتُمْ بِالْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلٰلٍ﴾ هلاك.

الْيَوْمَ نَخْتِمُ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١﴾ وَأَنْذَرْتَهُمْ يَوْمَ الْأَرْفَقَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظِيمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَسِيمٍ وَلَا شَفِيعَ يُطَاعُ ﴿٢﴾ يَعْلَمُ عَايَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴿٣﴾ وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٤﴾ أَوْلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَانَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ يُذَوِّبُهُمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ يَنْصُرُونَ ﴿٥﴾ وَأَوْلَمْ يَأْتِهِمْ رَسُولٌ مِّنْ قَبْلِهمْ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ يُذَوِّبُهُمْ وَأَسَدُّ أَرْسَالِهِمْ ﴿٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا شَدِيدًا يُنْفَخُونَ ﴿٧﴾ وَمَا كَانَ لَكُمْ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ سَأَلْتُمُونَهُمْ أَمْزَاجًا مَّزْجًا ﴿٨﴾ أَتَدْعُونَ إِلَيْنَا إِيصَابًا مَّا كُنْتُمْ تَدْعُونَا ﴿٩﴾ أَتَدْعُونَ إِلَيْنَا إِيصَابًا مَّا كُنْتُمْ تَدْعُونَا ﴿١٠﴾ أَتَدْعُونَ إِلَيْنَا إِيصَابًا مَّا كُنْتُمْ تَدْعُونَا ﴿١١﴾ أَتَدْعُونَ إِلَيْنَا إِيصَابًا مَّا كُنْتُمْ تَدْعُونَا ﴿١٢﴾ أَتَدْعُونَ إِلَيْنَا إِيصَابًا مَّا كُنْتُمْ تَدْعُونَا ﴿١٣﴾ أَتَدْعُونَ إِلَيْنَا إِيصَابًا مَّا كُنْتُمْ تَدْعُونَا ﴿١٤﴾ أَتَدْعُونَ إِلَيْنَا إِيصَابًا مَّا كُنْتُمْ تَدْعُونَا ﴿١٥﴾

(١) سبق بيان أن هذا سبق قلم من المصنف رحمه الله، وانظر التعليق على الآية رقم (٥١) من سورة إبراهيم.

(٢) الشعراء: ١٠٠.

(٣) بالياء قراءة نافع وهشام، وقرأ بقية السبعة بالياء.

(٤) لابن عامر.

إياي، فتبعوه ﴿وَأَنْ يُظْهَرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ من قتل وغيره، وفي قراءة: ﴿أَوْ﴾، وفي أخرى: يفتح الياء والهاء وضم الدال^(١).

[٢٧] ﴿وَقَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾ لقومه وقد سمع ذلك: ﴿إِنِّي عَدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾.

[٢٨] ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ قيل: هو ابن عمه ﴿يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالمعجزات الظاهرات ﴿مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ﴾ أي: ضرر كذبه ﴿وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾ به من العذاب عاجلاً ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُشْرِكٌ﴾ مشرك ﴿كَذَابٌ﴾ مفتر.

[٢٩] ﴿يَتَوَمَّرُ لَكُمْ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ﴾ غالين حال ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ أرض مصر ﴿فَمَنْ يَضُرُّنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ﴾ عذابه، إن قتلتم أوليائه ﴿إِنْ جَاءَنَا﴾ أي: لا ناصر لنا ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى﴾ أي: ما أشير عليكم إلا بما أشير به على نفسي، وهو قتل موسى ﴿وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ طريق الصواب.

[٣٠] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا يَتَوَمَّرُ بِإِنِّ لَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ﴾ أي: يوم حزب بعد حزب^(٢).

[٣١] ﴿مِثْلَ دَابِّ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَتَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ «مثل» بدل من «مثل» قبله؛ أي: مثل جزاء عادة من كفر قبلكم من تعذيبهم في الدنيا ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظَلْمًا لِّلْعَالَمِينَ﴾.

[٣٢] ﴿وَيَتَوَمَّرُ بِإِنِّ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ﴾ بحذف الياء وإثباتها^(٣)؛ أي: يوم القيامة يكثر فيه نداء أصحاب الجنة أصحاب النار وبالعكس، والنداء بالسعادة لأهلها وبالشقاوة لأهلها وغير ذلك.

[٣٣] ﴿يَوْمَ تُؤَلَّفُونَ مَدِيرِينَ﴾ عن موقف الحساب إلى النار ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ اللَّهِ﴾ أي: من عذابه ﴿مِنْ عَاصِرٍ﴾ مانع ﴿وَمَنْ يُضَلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾

وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿٢٧﴾
وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عَدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٢٨﴾
وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُشْرِكٌ كَذَابٌ ﴿٢٩﴾
الْمَلِكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَضُرُّنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٣٠﴾
وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا يَتَوَمَّرُ بِإِنِّ لَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴿٣١﴾
مِثْلَ دَابِّ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَتَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظَلْمًا لِّلْعَالَمِينَ ﴿٣٢﴾
وَيَتَوَمَّرُ بِإِنِّ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴿٣٣﴾
يَوْمَ تُؤَلَّفُونَ مَدِيرِينَ مَالِكُمْ مِنَ اللَّهِ مَنْ عَاصِرٌ وَمَنْ يُضَلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٤﴾

[٢٦] ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى﴾ لأنهم كانوا يكفونه عن قتله ﴿وَلْيَدْعُ رَبَّهُ﴾ ليمنعه مني ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾ من عبادتكم

(١) قرأ نافع وأبو عمرو: ﴿وَأَنْ يُظْهَرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾، وقرأ ابن كثير وابن عامر: ﴿وَأَنْ يُظْهَرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾، وقرأ أبو جعفر: ﴿وَأَنْ يُظْهَرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾، وقرأ حفص: ﴿وَأَنْ يُظْهَرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾.

(٢) أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿يَوْمِ الْأَحْزَابِ﴾ مفرد في معنى الجمع؛ أي أيامها؛ حيث إن هلاك الأحزاب المكذبين؛ كقوم نوح وغيرهم ممن كذب الرسل، لم يكن في يوم واحد.

(٣) بالياء قراءة ابن كثير وصلًا ووقفًا، وإثباتها ورش وصلًا فقط وكذلك قالون بخلاف عنه.

[٣٤] ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: قبل موسى، وهو يوسف ابن يعقوب في قول^(١)، عَمَّرَ إِلَى زَمَنِ مُوسَى، أو يوسف بن إبراهيم بن يوسف ابن يعقوب في قول، ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالمعجزات الظاهرات ﴿فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكِّكُمْ مَتَى جَاءَكُمْ بِهِ حَقٌّ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ﴾ من غير برهان: ﴿لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا﴾ أي: فلن تزالوا كافرين بيوسف وغيره ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: مثل إضلالكم ﴿يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾ مشرك ﴿مُزْتَابٌ﴾ شاك فيما شهدت به البيئات.

[٣٥] ﴿الَّذِينَ يَجِدُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ مَعْرَاضًا مُبِغِبًا لَهُمْ مِمَّا رَفَعْنَا لَهُمْ قَدْرَهُمْ﴾ جادلهم، خبر المبتدأ ﴿مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ﴾ مثل إضلالهم ﴿يَطْبَعُ﴾ يختم ﴿اللَّهُ﴾ بالضلال ﴿عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ بتنوين «قلب» ودونه^(٢)، ومتى تكبر القلب، تكبر صاحبه وبالعكس، و«كل» على القراءتين لعموم الضلال جميع القلب، لا لعموم القلب^(٣).

[٣٦] ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمُنُنَ ابْنُ لِي صَرَخًا﴾ بناءً عاليًا ﴿لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾.

[٣٧] ﴿أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ﴾ طرفها الموصلة إليها ﴿فَأَطَّلِعُ﴾ بالرفع^(٤) عطفًا على «أبلغ»، وبالنصب جوابًا له «ابن» ﴿إِلَى إِلَهٍ مُوسَى وَإِنِّي لأُظَنُّهُ﴾ أي: موسى ﴿كَذِبًا﴾ في أن له إلهاً غيري، قال فرعون ذلك تمويهًا ﴿وَكَذَلِكَ زَيْنُ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ﴾ [وَصِدٌّ] عَنِ السَّبِيلِ ﴿طَرِيقَ الْهُدَى، بفتح الصاد وضمها﴾ ﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ خسار.

[٣٨] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا يَقُولُوا﴾ [يُتَعَوَّبُونَ] ﴿بِآيَاتِ الْبَاءِ وَحُذْفِهَا﴾ ﴿أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ تقدم.

[٣٩] ﴿يَقُولُوا﴾ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَّعٌ ﴿تَمَعُ يَرْوَلُ﴾ [وَأَنَّ] الْآخِرَةُ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ.

[٤٠] ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِمَّنْ دَكَرَ أَوْ أَنْتَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾ بضم الباء وفتح الحاء، وبالعكس^(٥) ﴿يَرْزُقُونَ فِيهَا بَعِيرٍ جَسَابٍ﴾ رزقًا واسعًا بلا تبعة.

وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكِّكُمْ مَتَى جَاءَكُمْ بِهِ حَقٌّ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُزْتَابٌ ﴿٣٥﴾ الَّذِينَ يَجِدُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ مَعْرَاضًا مُبِغِبًا لَهُمْ مِمَّا رَفَعْنَا لَهُمْ قَدْرَهُمْ كَذَلِكَ يُطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٦﴾ وَيَهْمُنُنَ ابْنُ لِي صَرَخًا عَالِيًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعُ إِلَى إِلَهٍ مُوسَى وَإِنِّي لأُظَنُّهُ كَذِبًا وَكَذَلِكَ زَيْنُ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ وَصِدٌّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا يَقُولُوا بِآيَاتِ الْبَاءِ وَحُذْفِهَا أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَقُولُوا إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَّعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِمَّنْ دَكَرَ أَوْ أَنْتَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزُقُونَ فِيهَا بَعِيرٍ جَسَابٍ ﴿٤٠﴾

(١) وهو الراجح، لكن قول المفسر إنه عَمَّرَ إِلَى زَمَنِ مُوسَى غريب، وخلاف الظاهر، وردّه غير واحد من أهل العلم، بل المراد: جاء آباءكم.

(٢) بالتنوين قراءة أبي عمرو وابن ذكوان.

(٣) أي: يختم الله بالضلال على جميع القلب.

(٤) قراءة الشُّبَيْعَةَ عدا حفص.

(٥) بالفتح قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ بقية السبعة بالضم.

(٦) بالياء وصلًا ووقفًا قراءة ابن كثير. وأنتها وصلًا فقط أبو عمرو وقالون.

(٧) بضم ثم فتح قراءة ابن كثير وأبي عمرو وشعبة. وبالعكس قراءة بقية السبعة.

[٤٢] ﴿تَدْعُونِي لَأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيمِ﴾ الغالب على أمره ﴿الْفَقْرُ﴾ لمن تاب.

[٤٣] ﴿لَا جْرَمَ﴾ حقاً ﴿أَمَّا تَدْعُونِي إِلَيْهِ لِأَعْبُدَهُ﴾ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ ﴿أَي: استجابة دعوة﴾ (١) ﴿فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدَّنَا﴾ مرجعنا ﴿إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الشَّرِيفِينَ﴾ الكافرين ﴿هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾.

[٤٤] ﴿فَسَتَذْكُرُونَ﴾ إذا عابتم العباد ﴿مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفُوضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ قال ذلك لما توعده بمخالفة دينهم.

[٤٥] ﴿فَوَقَدَهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا﴾ به من القتل ﴿وَحَاقَ﴾ نزل ﴿بِئَالِ فِرْعَوْنَ﴾ قومه معه ﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾ العرق.

[٤٦] ثم ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ يحرقون بها ﴿عُدْوًا وَعَشِيًّا﴾ صباحاً ومساءً (٢) ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾ يقال: ﴿[ادْخُلُوا]﴾ (٣) ﴿يَا أَيُّهَا فِرْعَوْنُ﴾ وفي قراءة بفتح الهمزة وكسر الحاء، أمر للملائكة ﴿أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ عذاب جهنم.

[٤٧] ﴿وَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ إذ يتحاجون ﴿بِتَخَاصُمِ الْكُفَّارِ﴾ في النَّارِ ﴿فَيَقُولُ الضُّعْفَتَاؤُا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ جمع تابع ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ دافعون ﴿عَنَّا نَصِيبًا﴾ جزاء ﴿مِنَ النَّارِ﴾.

[٤٨] ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا﴾ إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴿فَادْخُلِ الْمُؤْمِنِينَ الْجَنَّةَ وَالْكَافِرِينَ النَّارَ﴾.

[٤٩] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخِزْنَةِ جَهَنَّمَ أَدْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا﴾ أي: قدر يوم ﴿مِنَ الْعَذَابِ﴾.

﴿وَيَقُولُ مَا لِيَ أُدْعُوكُمْ إِلَى التَّجْوَةِ وَتَدْعُونِي إِلَى النَّارِ﴾

﴿٤١﴾ تَدْعُونِي لَأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيمِ الْغَفِيرِ ﴿٤٢﴾ لَا جْرَمَ أَمَّا تَدْعُونِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفُوضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَدَهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِئَالِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا عُدْوًا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعْفَتَاؤُا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخِزْنَةِ جَهَنَّمَ أَدْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ ﴿٤٩﴾

[٤١] ﴿وَيَقُولُ مَا لِيَ أُدْعُوكُمْ إِلَى التَّجْوَةِ وَتَدْعُونِي إِلَى النَّارِ﴾.

(١) وقيل: المراد ليس له دعوة ترجب له الألوهة، ولعله أقرب.

(٢) أي في عالم القبر والحياة البرزخية. قال ابن كثير في تفسيره: وهذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور. اهـ.

(٣) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ بقية السبعة: ﴿ادْخُلُوا﴾ بفتح الهمزة.

[٥٠] ﴿قَالُوا﴾ أي: الحزبة تهكما: ﴿أَوْلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالمعجزات الظاهرات ﴿قَالُوا بَلَى﴾ أي: فكفروا بهم ﴿قَالُوا قَدْ آتَوْا﴾ أنتم، فإننا لا نشفع للكافرين، قال - تعالى -: ﴿وَمَا دَعَا الْكٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ انعدام.

[٥١] ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهُدُ﴾ جمع شاهد، وهم الملائكة يشهدون للرسل بالبلاغ، وعلى الكفار بالتكذيب.

[٥٢] ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ ٱلْبِئْسَ ٱلنَّارُ﴾ بالبلاء والناء^(١) ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ مَعٰذِرَتِهِمْ﴾ عذرهم، لو اعتذروا ﴿وَلَهُمْ ٱلْعٰسَةُ﴾ أي: البعد من الرحمة ﴿وَلَهُمْ سُوءُ ٱلْدَّارِ﴾ الآخرة؛ أي: شدة عذابها.

[٥٣] ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَى﴾ التوراة والمعجزات ﴿وَأَوْزَنَّا بَيْنَ ٱسْرَءِيلَ﴾ من بعد موسى ﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾ التوراة.

[٥٤] ﴿هُدًى﴾ هادياً ﴿وَذَكَرَى لِأَوَّلِ ٱلْأَنْبِيَآءِ﴾ تذكراً لأصحاب العقول.

[٥٥] ﴿فَاصْبِرْ﴾ يا محمد ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ بنصر أوليائه ﴿حَقٌّ﴾ وأنتم ومن تبعك منهم ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذٰنِبِكْ﴾ ليستن بك ﴿وَسَبِّحْ﴾ صلّ مطلبساً ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ ٱلْعَلِيِّ﴾ وهو من بعد الزوال ﴿وَٱلْإِنْبِرَاقِ﴾ الصلوات الخمس^(٢).

[٥٦] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي ءَايٰتِ ٱللَّهِ﴾ القرآن ﴿بِعَدْرِ سُلْطٰنٍ﴾ برهان ﴿أَنَّهُمْ ٱلْإِن﴾ ما ﴿فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ﴾ تكبر وطمع أن يعلموا عليك ﴿مَآ هُمْ بِيَلْبِغُونَ فَٱسْتَعِذْ﴾ من شرهم ﴿بِٱللَّهِ إِنَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لأقوالهم ﴿ٱلْبَصِيرُ﴾ بأحوالهم.

[٥٧] ﴿وَنَزَلَ فِي مُكْرِي ٱلْبَحْثِ﴾ لِحَلِّقِ السَّمَوٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴿إِنْدَءِ﴾ ﴿أَكْثَرَ مِنْ حَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ مرة ثانية وهي الإعادة ﴿وَلَنَكْفُرَنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ أي: كفار مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك، فهم كالأعمى، ومن يعلمه كالصير.

[٥٨] ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَى وَٱلْبَصِيرُ﴾ لا ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا

قَالُوا أَوْلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا قَدْ آتَوْا فَاذْعَبُوا وَمَا دَعَا ٱلْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٥٠﴾
 إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي ٱلْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهُدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعٰذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ ٱلْعٰسَةُ وَلَهُمْ سُوءُ ٱلْدَّارِ ﴿٥٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَى وَٱوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾ هُدًى وَذَكَرْنَا لِأَوَّلِ ٱلْأَنْبِيَآءِ ﴿٥٤﴾ فَاصْبِرْ إِنَّا وَعَدْنَا ٱللَّهَ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذٰنِبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ٱلْعَلِيِّ وَٱلْإِنْبِرَاقِ ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي ءَايٰتِ ٱللَّهِ بِعَدْرِ سُلْطٰنٍ أَنَّهُمْ ٱلْإِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّآ هُمْ بِيَلْبِغُونَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ لِحَلْقِ السَّمَوٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْثَرَ مِنْ حَلْقِ ٱلنَّاسِ وَٱلنَّاسِ وَٱلنَّاسِ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَى وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحٰتِ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٨﴾ قَلِيلًا مَّا يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٩﴾

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وهو المحسن ﴿وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ فيه زيادة «لا»^(٣) ﴿قَلِيلًا مَّا يَتَذَكَّرُونَ﴾ يتعظون، بالبلاء والناء^(٤)؛ أي: تذكروهم قليل جداً.

(١) بالبلاء قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ بقية السبعة بالبلاء.

(٢) يعني أن التسيب في هذين الوقتين يراد به الصلوات الخمس، وقيل: المراد صلاة العصر وصلاة الفجر، وقيل: هي صلاة كانت بمكة قبل أن تفرض الصلوات الخمس؛ ركعتان غدوة وركعتان عشية، والأقرب أن المراد بالتسيب أعم من الصلاة، فيشملها ويشمل تزبيده - شُبْحَانَهُ - بالذكر والدعاء والإخلاص في العبادة والتوجه ونحو ذلك.

(٣) للتوكيد، لطول الكلام بالصلة.

(٤) بالبلاء قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ بقية السبعة بالبلاء.

إِنَّ السَّاعَةَ لَأَيَّتُهُ لَارْتَبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ آيَاتٍ لَتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَدُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَلِكَُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا إِلَهًا إِلَّا هُوَ فَاتَى تَوْفِكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَلِكَ يُؤْفِكُ الَّذِينَ كَانُوا يَعْبُدُونَ اللَّهَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ أَمْطًا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْحَمْدِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٣﴾ قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٤﴾

[٥٩] ﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَأَيَّتُهُ لَارْتَبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ﴾

النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ بها. [٦٠] ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (٥) أي: اعبدوني أنيكم، بقرينة ما بعده ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ﴾ بفتح الياء وضم الحاء وبالعكس (١) ﴿جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ صاغرين. [٦١] ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ آيَاتٍ لَتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ إسناد الإبصار إليه مجازي؛ لأنه يُبَصِّرُ فِيهِ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَدُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ الله، فلا يؤمنون. [٦٢] ﴿ذَلِكَُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا إِلَهًا إِلَّا هُوَ فَاتَى تَوْفِكُونَ﴾ فكيف تصرفون عن الإيمان مع قيام البرهان. [٦٣] ﴿كَذَلِكَ يُؤْفِكُ﴾ أي: مثل إفك هؤلاء إفك ﴿الَّذِينَ كَانُوا يَعْبُدُونَ اللَّهَ﴾ معجزاته ﴿بِحَمْدِهِ﴾. [٦٤] ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾ سقفا ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ أَمْطًا﴾ ﴿اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾. [٦٥] ﴿هُوَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ﴾ اعبدوه ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ﴾ من الشرك ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. [٦٦] ﴿قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ﴾ دلائل التوحيد ﴿مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

(٥) فائدة: أخرج الترمذي عن الثعلبي عن النعمان بن بشير عن النبي ﷺ في قوله: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ قال: «الدعاء هو العبادة»، وقراً: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿دَاخِرِينَ﴾. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٤١)، ومن سورة المؤمن. وضححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٦٨٥).

(١) بضم ثم فتح قراءة ابن كثير وشعبة، وقراً بقية السبعة بالعكس.

هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلٍ وَلِنَبْلُغُوا أَجْلاً مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يَكُونَ كَيْفَ يُبَدِّلُونَ عَنْ الْإِيمَانِ ﴿٦٩﴾ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا أَرَادَ إِجَادَ شَيْءٍ فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٧٠﴾ بضم النون وفتحها (٦٩) بتقدير «أن» أي: يوجد عقب الإرادة التي هي معنى القول المذكور (٧٠).

﴿٦٩﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ ﴿٦٩﴾ القرآن ﴿أَنْ﴾ كيف يُبَدِّلُونَ عَنْ الْإِيمَانِ.

﴿٧٠﴾ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ بِالْقُرْآنِ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلًا﴾ من التوحيد والبعث، وهم كفار مكة ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ عقوبة تكذيبهم.

﴿٧١﴾ إِذِ الْأَعْتَلُ فِي أَصْنَافِهِمْ إِذْ مَعْنَى إِذَا وَالسَّلْسِلُ عطف على «الأغلال» فنكون في الأعناق، أو مبتدأ خبره محذوف؛ أي: في أرجلهم، أو خبره: ﴿يُسَبِّحُونَ﴾ أي: يُجِزُّونَ بها.

﴿٧٢﴾ فِي اللَّحْمِيِّ ﴿أَي: جَهَنَّمَ﴾ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسَبِّحُونَ ﴿يرقدون.

﴿٧٣﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ ﴿تَكْتَبُ﴾: أَيَّتَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿.

﴿٧٤﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴿مَعَهُ، وَهِيَ الْأَصْنَامُ؟﴾ قَالُوا ضَلُّوا ﴿غَابُوا عَنَّا﴾ فَلَا نَرَاهُمْ ﴿بَلْ لَوْ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا﴾ أَنْكُرُوا عِبَادَتَهُمْ إِيَّاهَا، ثُمَّ أَحْضَرَتْ (٤)؛ قَالَ - تَعَالَى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ (٥)؛ أَي: وَقودها ﴿كَذَلِكَ﴾؛ أَي: مِثْلُ إِضْلَالِ هَؤُلَاءِ الْمُكذِبِينَ ﴿يُسَبِّحُ اللَّهُ الْكافِرِينَ﴾.

﴿٧٥﴾ وَيَقَالُ لَهُمْ أَيْضًا: ﴿ذَلِكُمْ﴾ الْعَذَابُ ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ﴾ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴿مِنَ الْإِشْرَاقِ وَإِنْكَارِ الْبَعثِ﴾ ﴿وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ تَتَوَسَّعُونَ فِي الْفَرْحِ.

﴿٧٦﴾ أَدْخَلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَلِيدِينَ فِيهَا فَيَنْسُ مَثْوًى مَأْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿.

﴿٧٧﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ ﴿بِعَذَابِهِمْ﴾ حَقٌّ فَكَيْفَ تُرِيدُنَا ﴿فِي﴾ «إِنْ» الشَّرْطِيَّةِ مَدْمَعَةٍ، وَ«مَا» زَائِدَةٌ، تُوَكِّدُ مَعْنَى الشَّرْطِ أَوَّلَ الْفِعْلِ، وَالنُّونُ تُوَكِّدُ آخِرَهُ ﴿بَعْضُ الَّذِي تُوَدُّعُكُمْ﴾ بِهِ مِنَ الْعَذَابِ فِي حَيَاتِكُمْ، وَجَوَابُ الشَّرْطِ مَحذُوفٌ أَي: فَذَلِكَ ﴿أَوْ تَوَفِّيَنَّكَ﴾ أَي: قَبْلَ تَعَذِّبِهِمْ ﴿فَإِنَّمَا يُرْجَعُونَ﴾ فَنَعَذِّبُهُمْ أَشَدَّ الْعَذَابِ، فَالْجَوَابُ الْمَذْكُورُ لِلْمَعْطُوفِ فَقَطْ (٦).

(١) قرأ ورش وحفص وأبو عمرو وهشام وقالون بالضم، وقرأ شعبة وحمرزة وابن كثير وابن ذكوان والكسائي بالكَسْرِ.

(٢) بالفتح قراءة ابن عامر، وقرأ الباقون بضم النون.

(٣) وفي هذا التفسير نظر؛ حيث إن الأمر والقول غير الإِرادَةِ، وهذا الكلام مبناه على مذهب المصنف رحمه الله في تأويل صفة الكلام بالكلام النفسي، وهذا خلاف مذهب السلف الذين يقولون - إن الله عز وجل - يتكلم بما شاء كيف شاء ومتى شاء.

(٤) أجاب به المفسر عما يقال: إن حمل الآية على هذا الوجه بخالف قوله - تَعَالَى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ لَهَا وَرِدْوَةً﴾ [الأنبياء: ٩٨] فأجاب بأنهم أولاً تضل عنهم ألهتهم ويبتعدون، ثم تخضر وتقرن بهم.

(٥) الأنبياء: ٩٨.

(٦) أي: نقوله: ﴿توفينك﴾؛ لأن جواب ﴿ترينك﴾ محذوف كما تقدم.

منهم ﴿أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا يَأْذِنَ اللَّهُ﴾ لأنهم عبيد مريبون ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ بنزل العذاب على الكفار ﴿فُضِيَ﴾ بين الرسل ومكذبيها ﴿يَلْقَىٰ وَخَيْرَ هَٰئِلِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾ أي: ظهر القضاء والخسران للناس، وهم خاسرون في كل وقت قبل ذلك.

[٧٩] ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَنْعَامَ﴾ قيل: الإبل خاصة هنا^(١)، والظاهر: البقر والغنم ﴿لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾.

[٨٠] ﴿وَلِتُكْرِمُوا فِيهَا مَتَاعًا﴾ من الدر والنسل والوبر والصوف ﴿وَلِتَسْبَلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ﴾ هي حمل الأثقال إلى البلاد ﴿وَعَلَيْهَا﴾ في البر ﴿وَعَلَى الْفَالِكِ﴾ السفن في البحر ﴿تَحْمَلُونَ﴾.

[٨١] ﴿وَتُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ﴾ أي: الدالة على وحدانيته ﴿تُنْكِرُونَ﴾ استفهام توبيخ، وتكبير «أي» أشهر من تأنيبه^(٢).

[٨٢] ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ﴾ من مصانع وقصور ﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

[٨٣] ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ المعجزات الظاهرات ﴿فَرِحُوا﴾ أي: الكفار ﴿بِمَا عِنْدَهُمْ﴾ أي: الرسل^(٣) ﴿بَيْنَ الْعَالَمِينَ﴾ فرح استهزاء ومضحك، منكرين له^(٤) ﴿وَحَقَّ﴾ نزل ﴿بِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ أي: العذاب.

[٨٤] ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾ أي: شدة عذابنا ﴿قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا يَدْعُونَ مُشْرِكِينَ﴾.

[٨٥] ﴿فَلَمْ يَكْ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسًا سَتَّ اللَّهُ﴾ نصبه على المصدر بفعل مقدر من لفظه^(٥) ﴿الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ﴾ في الأمم، أن لا ينفعهم الإيمان وقت نزول العذاب ﴿وَخَيْرَ هَٰئِلِكَ الْكٰفِرُونَ﴾ تبين خسرانهم لكل أحد، وهم خاسرون في كل وقت قبل ذلك.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَيْرَ هَٰئِلِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾ ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَتَاعٌ وَتَسْبَلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفَالِكِ تَحْمَلُونَ﴾ ﴿وَتُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ﴾ ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعَالَمِ وَحَقَّ بِهِمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ بِسِتْرِهِمْ وَأَثَارًا بَأْسًا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا يَدْعُونَ مُشْرِكِينَ﴾ ﴿فَلَمْ يَكْ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسًا سَتَّ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَيْرَ هَٰئِلِكَ الْكٰفِرُونَ﴾

[٧٨] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ روي أنه - تعالى - بعث ثمانية آلاف نبي؛ أربعة آلاف نبي من بني إسرائيل، وأربعة آلاف من سائر الناس ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ﴾

(١) أي: لأنها هي التي يوجد فيها المنافع الآتية في الآيات هنا.

(٢) أي: أشهر من «آية».

(٣) الراجع أن المراد فرح الكفار بما عند أنفسهم من العلم؛ لا بما عند الرسل؛ ولذا أتوه على ما جاءت به الرسل.

(٤) وعلى القول الراجع؛ يكون فرح إعجاب وجهل.

(٥) تقديره: سئ الله بهم سئته من قلوبهم.

سُورَةُ فَصَّلَتْ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمَّ ﴿١﴾ تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَابٌ فَصَّلَتْ آيَاتُهُ
 قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ
 فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِيْ أَكِنَّةٍ مِّمَّا نَدْعُونَآ إِلَيْهِ
 وَفِيْءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَأَعْمَلْ إِنَّا عَمِلُونُ
 ﴿٥﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدٌ
 فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَرَبُّ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ الَّذِينَ
 لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ
 ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٨﴾ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ
 لَّكُمُ الْكُفْرُ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ ءَأْدَادًا
 ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رِيسًا مِنْ قَوْمِهَا
 وَيَبْرَأَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَامَهَا فِى أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً
 لِّلسَّائِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ أَسْرَوْنِي إِلَى السَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ
 لَهَا وَإِلَى الْأَرْضِ أَنِّيَأَ إِلَى مَكَامِكَ ۗ وَطَوَّعَا لِي كَرْمًا ۗ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ ۗ
 أَيُّ طَائِعَتَيْنِ أَوْ مَكْرَهَتَيْنِ ۗ فَقَالَتَا أَنِّيَأَ ۗ مِنْ فِينَا ۗ طَائِعِينَ ۗ فِيهِ تَغْلِيْبُ الْمَذْكُورِ
 الْعَاقِلِ ۗ أَوْ: نَزَّلْنَا لِحَطَابِهِمَا مَنْزِلَتَهُ.

﴿لِلسَّائِلِينَ﴾ عن خلق الأرض بما فيها.

[١١] ﴿ثُمَّ أَسْرَوْنِي﴾ قصد ﴿إِلَى السَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ بخار مرتفع ﴿فَقَالَ
 لَهَا وَإِلَى الْأَرْضِ أَنِّيَأَ﴾ إلى مرادي منكما ﴿طَوَّعَا أَوْ كَرْمًا﴾ في موضع الحال؛
 أي: طائعتين أو مكرهتين ﴿فَقَالَتَا أَنِّيَأَ﴾ من فينا ﴿طَائِعِينَ﴾ فيه تغليب المذكور
 العاقل، أو: نزلنا لخطابهما منزلته.

سُورَةُ فَصَّلَتْ

[مكية: ثلاث وخمسون آية، نزلت بعد غافر]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- [١] ﴿حَمَّ﴾ الله أعلم بمراه به.
 [٢] ﴿تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ مبتدأ.
 [٣] ﴿كِتَابٌ﴾ خبره ﴿فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾ يُنْتِثُ بالأحكام والقصص
 والمواعظ ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ حال من «كتاب» بصفته^(١) ﴿لِقَوْمٍ﴾ متعلق
 بـ«فصلت» ﴿يَعْلَمُونَ﴾ يفهمون ذلك، وهم العرب.
 [٤] ﴿بَشِيرًا﴾ صفة «قرآنا» ﴿وَنَذِيرًا﴾ فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾
 سماع قبول.
 [٥] ﴿قُلُوبُنَا فِيْ أَكِنَّةٍ﴾ للنبي: ﴿قُلُوبُنَا فِيْ أَكِنَّةٍ﴾ أعطية ﴿وَمِنَّا نَدْعُونَآ إِلَيْهِ
 وَقَدْ ءَادَانِنَا وَقْرٌ﴾ نقل ﴿وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ خلاف في الدين
 ﴿فَأَعْمَلْ﴾ على دينك ﴿إِنَّا عَمِلُونُ﴾ على ديننا.
 [٦] ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدٌ
 فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ﴾ بالإيمان والطاعة ﴿وَاسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَرَبُّ﴾ كلمة عذاب
 ﴿لِلْمُشْرِكِينَ﴾.
 [٧] ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ تأكيد ﴿كُفِرُونَ﴾.
 [٨] ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ مقطوع.
 [٩] ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ لَّكُمُ الْكُفْرُ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾
 بينها بوجهيها وبين الأولى^(٢) ﴿لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾
 الأحد والاثني^(٣) ﴿وَتَجْعَلُونَ لَهُ ءَأْدَادًا﴾ شركاء ﴿ذَلِكَ رَبُّ﴾ أي: مالك
 ﴿الْعَالَمِينَ﴾ جمع عالم، وهو ما سوى الله، وجمع لاختلاف أنواعه الباء
 والنون؛ تغليبا للعلاء.

[١٠] ﴿وَجَعَلَ﴾ مستأنف، ولا يجوز عطفه على صلة «الذي»؛ للفاصل
 الأجنبي^(٤) ﴿فِيهَا رِيسًا﴾ جبالا ثوابت ﴿مِنْ قَوْمِهَا وَكَرَّمَهَا﴾ بكثرة المياه
 والزرور والضرور ﴿وَقَدَّرَ﴾ قسَّم ﴿فِيهَا أَقْوَامَهَا﴾ للناس والبهائم ﴿فِي﴾
 تمام ﴿أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ أي: الجعل، وما ذكر معه في يوم الثلاثاء والأربعاء^(٥)
 ﴿سَوَاءً﴾ منصوب على المصدر أي: استوت الأربعة استواء لا تزيد ولا تنقص

(١) في بعض النسخ «حَمَّ الشَّجْدَةَ» وعدد آياتها عند أهل المدينة وأهل مكة ثلاث وخمسون، وعند أهل الكوفة أربع وخمسون.

(٢) أي الكتاب؛ والمضى أن المسوغ لجمي الحال منه مع كونه نكرة، هو وصفه بما بعده وهو جملة: ﴿فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾.

(٣) قرأ قالون وأبو عمرو بتسهيل الهزرة الثانية بين بين مع إدخال الألف بينهما، وابن كثير وورش بالتسهيل من غير إدخال، وهشام بالإدخال مع التسهيل وتركه، والتسهيل مقدم له في الأداء، وبغية السبعة بالتحقيق من غير إدخال.

(٤) (٦) تعيين هذه الأيام بأسمائها على النحو الذي ساقه الخليلي هنا، أو في نحوها من الآيات، لا سند له، وهو مخالف لما قاله هو في تفسير سورة الفرقان آية (٥٩)، حيث قال: «من أيام الدنيا؛ أي: قدرها؛ لأنه لم يكن ثم شمس».

(٥) وهو قوله: ﴿وَتَجْعَلُونَ لَهُ ءَأْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾، وقوله: «مستأنف، ولا يجوز عطفه على صلة «الذي»... إلخ»؛ قال في حاشية الصاري: «هذه العبارة في بعض النسخ، وهي معترضة بأنه لا محذور في الفصل بين المتعاطفين بالجملة المعترضة، ولا يقال: إنه وقع بين أجزاء صلة الموصول؛ لأنه يقال: الموصول قد استوفى صلته، ويغتر في التابع ما لا يغتر في التبوع؛ فالأولى إسقاط هذه العبارة، كما هو في بعض النسخ» اهـ.

آيات خلق السماوات والأرض في ستة أيام ﴿وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾ الذي أمر به من فيها، من الطاعة والعبادة ﴿وَرَبَّنَا السَّمَاءَ اللَّهُبِابَ يَمْصُبُ عَلَيْنَا السَّمَاءَ اللَّهُبِابَ﴾ بنجوم ﴿وَحَفَظْنَا﴾ منصوب بفعله المقدر؛ أي: حفظناها من استراق الشياطين السَّمْعَ بالشَّهْبِ ﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْمَقْدَرِ﴾ في ملكه ﴿الْعَلِيِّ﴾ بخلقه. [١٣] ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا﴾ أي: كفار مكة، عن الإيمان بعد هذا البيان ﴿فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ﴾ خوفكم ﴿صَيْفَةً مِثْلَ صَيْفَةِ عَادٍ وَتَمُودَ﴾ أي: عذابها يهلككم مثل الذي أهلهم.

[١٤] ﴿إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَبَيْنَ خَلْفَيْهِمْ﴾ أي: مقبلين عليهم ومدبرين عنهم فكفروا كما سيأتي، والإهلاك في زمنه فقط ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا كَانُوا يَدْعُونَ﴾ أي: بأن ﴿لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلْنَا إِلَهُاتٍ مَعَهُ فَمَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُغْفِرَ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ على زعمكم ﴿كُفْرُونَ﴾.

[١٥] ﴿فَلَمَّا عَادُوا فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ يَغْيِرُ الْخَلْقَ وَقَالُوا لَوْ أَنَّا كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ يَأْتِيَنَا الرِّسَالَاتُ مَا كُنَّا لَنَدَّبُنَّهُمْ وَلَا يُعِيبُهُمْ حُكْمُ الْعَالَمِينَ﴾ أي: لا أحد، كان واحدهم يقلع الصخرة العظيمة من الجبل، يجعلها حيث يشاء ﴿أُولَئِكَ يَرْوُونَ﴾ يعلموا ﴿أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾.

[١٦] ﴿فَلَمَّا سَأَلْنَا عَنْهُمْ رَبِّمَا صَرَصَرُوا﴾ باردة شديدة الصوت، بلا مطر ﴿فِي السَّمَاءِ نَبْهَاتٍ﴾ أي: نباحات ﴿بِكسرة الحاء وسكونها﴾؛ مشغومات عليهم ﴿لِيُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيَانِ﴾ الذل ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْعَذَابُ الْآخِرَةُ أَخْزَى﴾ أشد ﴿وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ بمنع عنهم.

[١٧] ﴿وَأَمَّا تَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾ يتأ لهم طريق الهدى ﴿فَاسْتَجَبُوا أَمْرًا﴾ اختاروا الكفر ﴿عَلَى الْكَلْبِ فَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ لَدُنْهُ لَبِيبًا يُهْبِئُ لِمَا يَأْمُرُ بِالْعِيسَى﴾ كانوا يكسبون.

[١٨] ﴿وَبَيْنَمَا هُمْ يَنْتَظِرُونَ﴾ أي: ينتظرون ﴿وَالرِّسَالَاتُ تَنْزِيلًا﴾ أي: تنزيلًا ﴿وَالرِّسَالَاتُ تَنْزِيلًا﴾ أي: تنزيلًا ﴿وَالرِّسَالَاتُ تَنْزِيلًا﴾ أي: تنزيلًا.

[١٩] ﴿وَقَدْ كَفَرَ يَتْلُو تَحْقِيرَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ﴾ أي: يقرأ ﴿وَقَدْ كَفَرَ يَتْلُو تَحْقِيرَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ﴾ أي: يقرأ ﴿وَقَدْ كَفَرَ يَتْلُو تَحْقِيرَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ﴾ أي: يقرأ.

[٢٠] ﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَسُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي: حتى إذا جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصرهم وسُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ.

فَقَضَيْنَ سَمْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا
وَرَبَّنَا السَّمَاءَ اللَّهُبِابَ يَمْصُبُ عَلَيْنَا السَّمَاءَ اللَّهُبِابَ
الْعَلِيِّ ﴿١٣﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ
عَادٍ وَتَمُودَ ﴿١٤﴾ إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَبَيْنَ
خَلْفَيْهِمْ أَلَّا يَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلْنَا إِلَهُاتٍ مَعَهُ
فَمَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُغْفِرَ لَنَا ذُنُوبَنَا وَيُؤْتِنَا مِن رَّبِّكَ
الْأَرْضَ بِغَيْرِ الْحَرْبِ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ
الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾
فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ
عَذَابَ الْخِزْيَانِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْعَذَابُ الْآخِرَةُ أَخْزَى وَهُمْ
لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا تَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَجَبُوا أَمْرًا عَلَى
الْهُدَى فَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ لَدُنْهُمْ لَبِيبًا يُهْبِئُ لِمَا يَأْمُرُ بِالْعِيسَى
وَالرِّسَالَاتُ تَنْزِيلًا وَكَانُوا يُحْسِرُونَ ﴿١٧﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ
إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٨﴾ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ
سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَسُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾

[١٢] ﴿فَقَضَيْنَهُنَّ﴾ الضمير يرجع إلى السماء؛ لأنها في معنى الجمع الآيلة إليه؛ أي: صيرها ﴿سَمْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ الخميس والجمعة^(١)، فرغ منها في آخر ساعة منه، وفيها خلق آدم^(٢)، ولذلك لم يقل هنا: سواء، ووافق ما هنا

(١) راجع ما تقدم في التعليق على تعيين هذه الأيام على هذا النحو.

(٢) ظاهر كلام المصنف أن آدم خلق في نفس اليوم الذي خلقت فيه السماوات، وهو خلاف المشهور من أن بين خلق آدم وخلقها آفاقاً من السنين. أو يكون مراده: أنه خلق في مثل هذا اليوم، كما تقول: ولد محمد يوم الإثنين، وتوفي يوم الإثنين.

(٣) بسكونها قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو.

(٤) أي: الأخيرة من (أعداء)، وهي قراءة نافع، وقرأ بقية السبعة بالياء، ورفع (أعداء).

﴿٢١﴾ وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ لَيْسَ بِشَيْءٍ ثُمَّ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْظِقْنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ قِيلَ: هو من كلام الجلود، وقيل: هو من كلام الله - تعالى - كالذي بعده، وموقعه قريب مما قبله، بأن القادر على إنشائكم ابتداء وإعادتكم بعد الموت أحياء، قادرٌ على انطاق جلودكم وأعضائكم.

﴿٢٢﴾ ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرْوُونَ﴾ عن ارتكابكم الفواحش من ﴿أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ لأنكم لم توفوا بالبعث ﴿وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ﴾ عند استنكاركم ﴿أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

﴿٢٣﴾ ﴿وَذَلِكُمْ﴾ مبتدأ ﴿ظَنَنْتُمْ﴾ بدل منه ﴿الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ﴾ نعت، والخبر ﴿أَرَدْتُمْ﴾ أي: أهلككم ﴿فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

﴿٢٤﴾ ﴿فَيَنْ يَصْبِرُوا﴾ على العذاب ﴿فَالنَّارُ مَثْوًى﴾ مأوى ﴿لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتَبُوا﴾ يطلبوا العتبي أي: الرضا ﴿فَمَا لَهُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ﴾ المرضيين.

﴿٢٥﴾ ﴿وَقِيضْنَا﴾ سبنا ﴿لَهُمْ قُرْآنًا﴾ من الشياطين ﴿فَرِيضُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ من أمر الدنيا واتباع الشهوات ﴿وَمَا خَلَقَهُمْ﴾ من أمر الآخرة، بقولهم: لا بعث ولا حساب ﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ بالعذاب، وهو: ﴿لَا تَلَذُّنَّ بِهِمْ﴾ الآية^(١) ﴿فِي﴾ جملة ﴿أَمْرٍ قَدْ خَلَتْ﴾ هلكت ﴿مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾.

﴿٢٦﴾ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ عند قراءة النبي ﷺ: ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالنْفَاتُ فَيْدٌ﴾ اتوا باللغو ونحوه، وصبحوا في زمن قراءته ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾ فيسكت عن القراءة.

﴿٢٧﴾ قال الله - تعالى - فيهم: ﴿فَلْيَذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَتَجْزِيَنَّهُمْ أَشْوَابُ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي: أفصح جزاء عملهم.

﴿٢٨﴾ ﴿ذَلِكَ﴾ العذاب الشديد وأسوأ الجزاء ﴿جَزَاءَ عَذَابِ اللَّهِ﴾ بتحقيق الهزيمة الثانية وإبدالها وإزا^(٢) ﴿النَّارِ﴾ عطف بيان للجزء المخبر به عن ذلك ﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ﴾ أي: إقامة لا انتقال منها ﴿جَزَاءَ﴾ منصوب على المصدر بفعله المقدر ﴿بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ ﴿يَجْحَدُونَ﴾.

﴿٢٩﴾ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في النار: ﴿رَبَّنَا أَرْنَا الَّذِينَ ضَلَّانَا مِنْ

الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾ أي: إبليس وقابيل^(٣)؛ ساء الكفر والقتل ﴿تَجْعَلُهُمَا نَجَاتٍ أَقْدَامًا﴾ في النار ﴿يَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾ أي: أشد عذابًا منا.

(١) ما جاء في نزول الآيات (٢٢ - ٢٤): أخرجه أحمد عن عبد الله (ابن مسعود) قال: كنت مستترا بأستار الكعبة فجاء ثلاثة نفر؛ تقفني وختاه قرشيان، كثير شحم بطونهم، قليل فقه بلونهم، قال: فحدثوا بينهم بحديث، قال: فقال أحدهم: أترى الله ﷻ يسمع ما نقول؟ قال الآخر: يسمع ما نرفعنا، وما خفضنا لا يسمع، قال الآخر: إن كان يسمع شيئاً فهو يسمعه كله. قال: فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ قال: فزلت: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرْوُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿فَمَا لَهُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ﴾. أحمد (١/٤٤٤)، وصححه الأرنؤوط في تخريجه على المسند (٧/٢٧٣). وأخرجه في الصحيحين بدون ذكر الآيتين، وأخرجه الترمذي إلى قوله: ﴿فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾. كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٤٢) ومن سورة حم السجدة.

(١) هود: ١١٩.

(٢) تحقيق الهزيمة الثانية هو قراءة حمزة والكسائي وعاصم وابن عامر، وإبدالها وإزا هو قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو.

(٣) هذا القول مروى عن علي بن أبي طالب ؑ، وتُعب بأنه لا يصح عن علي ؑ؛ فإن قابيل مؤمن عاصي. ويكون المقصود من قوله: ﴿الَّذِينَ ضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾: فريقين شياطين النوعين المتقيضين لهم الخاملين لهم على الكفر والمعاصي بالنسويل والترتيب.

تَخَافُوا ﴿٣١﴾ من الموت وما بعده ﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾ على ما خلفتم من أهل وولد؛ فنحن نخلفكم فيه ﴿وَابْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾.

[٣١] ﴿يَحْنُ أَوْلِيَاكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي: نحفظكم فيها ﴿وَفِي الآخِرَةِ﴾ أي: نكون معكم فيها حتى تدخلوا الجنة ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُ أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ﴾ تطلبون.

[٣٢] ﴿تُرَا﴾ رزقا مهيبا، منصوب بـ«جعل» مقدرًا ﴿وَمِنْ عَفْوَِرٍ رَّحِيمٍ﴾ أي: الله.

[٣٣] ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا﴾ أي: لا أحد أحسن قولًا ﴿وَمَنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾ بالتوحيد ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾.

[٣٤] ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ﴾ في جزئياتهما؛ لأن بعضهما فوق بعض ﴿أَدْفَعُ﴾ السببة ﴿بِأَلْيِّ﴾ أي: بالحصلة التي ﴿هِيَ أَحْسَنُ﴾ كالغضب بالصبر، والجهل بالحلم، والإساءة بالعفو ﴿فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ أي: فيصير عدوك كالصديق القريب في محبته إذا فعلت ذلك، فـ«الذي» مبتدأ، و«كانه» الخبر، و«إذاه» ظرف لمعنى التشبيه.

[٣٥] ﴿وَمَا يُلْقِيهَا﴾ أي: يؤتى الحصلة التي هي أحسن ﴿إِلَّا الَّذِي يَنْزَعُ صَبْرًا وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا ذُو حَقْلٍ﴾ ثواب ﴿عَظِيمٍ﴾.

[٣٦] ﴿وَمَا﴾ فيه إدغام نون «إن» الشرطية في «ما» الزائدة ﴿يَنْزَعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ﴾ أي: يصرفك عن الحصلة وغيرها من الخير صارف ﴿فَأَسْتَعِذُ بِاللَّهِ﴾ جواب الشرط، وجواب الأمر محذوف؛ أي: يدفعه عنك ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ للقول ﴿الْعَلِيمُ﴾ بالفعل.

[٣٧] ﴿وَمَنْ ءَايَنَهُ أَيْلٌ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ﴾ أي: الآيات الأربع ﴿إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ تَشْكُرُونَ﴾.

[٣٨] ﴿فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا﴾ عن السجود لله وحده ﴿فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ أي: فاللائكة ﴿يَسْجُدُونَ﴾ يصلون ﴿لَهُ بِأَيْلٍ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْجُدُونَ﴾ لا يملون.

إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخْفُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَابْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣١﴾ يَحْنُ أَوْلِيَاكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُ أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣٢﴾ تُرَا مِنْ عَفْوَِرٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٣﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا يَمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٤﴾ وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ أَدْفَعُ بِأَلْيِّ هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا ذُو حَقْلٍ عَظِيمٍ ﴿٣٦﴾ وَمَا يَنْزَعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَأَسْتَعِذُ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٧﴾ وَمَنْ ءَايَنَهُ أَيْلٌ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٨﴾ فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٣٩﴾

[٣٠] ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾ على التوحيد وغيره مما وجب عليهم ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ عند الموت ﴿أَنَّهُنَّ بَانَ﴾

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن ابن عباس قال: ﴿أَدْفَعُ بِأَلْيِّ هِيَ أَحْسَنُ﴾: الصبر عند الغضب، والعفو عند الإساءة؛ فإذا فعلوه عصمهم الله ووضعت لهم عدوهم ﴿كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة فصلت (٤١).

[٣٩] ﴿وَمِنَ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ
 اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنْ الَّذِي أَحْيَاهَا الْمُجَى الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
 قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْهَا آمَنَ
 يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آيَاتِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ
 إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤١﴾ إِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ الْفَرَّانِ ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ وَإِنَّهُ
 لَكِنَّتُ عَزِيزٌ ﴿مُنِيعٌ﴾.
 [٤٢] ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ أي: ليس قبله كتاب
 يكذبه ولا بعده ﴿نَزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ أي: الله الحمود في أمره.
 [٤٣] ﴿مَا يَقَالُ لَكَ﴾ من التكذيب ﴿إِلَّا﴾ مثل ﴿مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ
 قَبْلِكَ إِنْ رَبِّكَ لَدُوٌّ مَعْرُوفٌ﴾ للمؤمنين ﴿وَدُوٌّ عَقَابٍ آلِيمٌ﴾ للكافرين.
 [٤٤] ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ﴾ أي: الذكر ﴿قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا
 هَلَّا ﴿فُصِّحَتْ﴾ بَيِّنَاتٌ ﴿آيَاتُهُ﴾ حتى نفهمها ﴿أَفِ﴾ قرآن ﴿أَعْجَمِيٍّ﴾ نبي
 ﴿عَرَبِيٍّ﴾ استفهام إنكار منهم، بتحقيق الهمزة الثانية وقلبها ألفاً، بإشباع
 ودونه (٣) ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَشِقَاءٌ﴾ من
 الجهل ﴿وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقُرْ﴾ نقل فلا يسمعونهُ ﴿وَهُوَ
 عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ فلا يفهمونه ﴿أُولَئِكَ بُدِّدُوا مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ أي: هم
 كالمنادى من مكان بعيد، لا يسمع ولا يفهم ما ينادى به.
 [٤٥] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿فَأَشْتَفَىٰ يَدَيْهِ﴾ بالتصديق
 والتكذيب، كالقرآن ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ بتأخير
 الحساب والجزاء للخلائق إلى يوم القيامة ﴿لَفُضِّضَ بَيْنَهُمْ﴾ في الدنيا فيما
 اختلفوا فيه ﴿وَأَيُّهُمْ﴾ أي: المكذبين به ﴿لَعَنَىٰ شَاكٍ مِنْهُ مُرِيبٌ﴾ موقع في
 الريبة.
 [٤٦] ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾ عمل ﴿وَمَنْ أَسَاءَ فَلِنَهْمِهَا﴾ أي:
 فضرر إساءته على نفسه ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْمُتَّقِينَ﴾ أي: بذى ظلم؛ لقوله -
 تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ (٤).

(١) يشير إلى الفرائدين، فيفتح الياء والحاء ﴿يُلْحِدُونَ﴾ قرأ حمزة، من لَحَدَ الثلاثي، وقرأ بقية السبعة ﴿يُلْحِدُونَ﴾ بضم الياء وكسر الحاء.

(٢) ومن الإلحاد في آيات الله تعريفها وتأويلها بغير ما قصد منها.

(٣) هذا سبق قلم من المفسر كَلَّفَهُ، والصواب أن يقال: وتسهيل الثانية بإشباع ودونه؛ فالإشباع: هو إدخال ألف بين المحققة والمسهلة، وعدمه: هو ترك الإشباع. قرأ حمزة والكسائي وشعبة بتحقيق

الهمزة الثانية، وقرأ قنبل وهشام - بخلاف عنهما - بالجر، والباقون بالاستفهام مع التسهيل بين يين، وكل على أصله.

(٤) النساء: ٤.

[٤٨] ﴿وَصَلَّ﴾ غاب ﴿عَنَّهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ﴾ يعبدون ﴿مِن قَبْلِ﴾ في الدنيا من الأصنام ﴿وَوَطَّنُوا﴾ أبقوا ﴿مَا لَهُمْ مِنْ نَجِيصٍ﴾ مهرب من العذاب، والنفي في الموضعين^(١) معلق عن العمل، وحمله النفي^(٢) سُدَّت مسد المفعولين.

[٤٩] ﴿لَا يَسْتَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دَعْوَى الْخَيْرِ﴾ أي: لا يزال يسأل ربه المال والصحة وغيرهما ﴿وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ﴾ الفقر والشدة ﴿فَيَتَوَسَّسُ قَتُوطٌ﴾ من رحمة الله، وهذا وما بعده في الكافرين.

[٥٠] ﴿وَلَيْنٌ﴾ لام قسم ﴿أَذْفَنَهُ﴾ أتياه ﴿رَحْمَةً﴾ غنى وصحة ﴿وَبِنَا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءَ﴾ شدة وبلاء ﴿مَسَّهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي﴾ أي: بعلمي ﴿وَمَا أَظُنُّ الْسَاعَةَ قَائِمَةً وَلَيْنٌ﴾ لام قسم ﴿رُجِعْتُ لِي رَبِّي إِنْ لِي عِنْدَهُ لِلْحَسَنِ﴾ أي: الجنة ﴿فَلَنَتَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ شديد، واللام في الفعلين لام قسم.

[٥١] ﴿وَإِذَا أَعْمَنَّا عَلَى الْإِنْسَانِ﴾ الجنس ﴿أَعْرَضَ﴾ عن الشكر ﴿وَنَاءً﴾^(٤) يجاليد ﴿ثَنَى عَطْفَهُ مَبْتَخَرًا﴾ وفي قراءة بتقديم الهمة ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَدُو دُعَاؤِ عَرِيضٍ﴾ كثير.

[٥٢] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ﴾ أي: القرآن ﴿مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ كما قال النبي ﴿ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مِنْ﴾ أي: لا أحد ﴿أَضَلَّ وَمَنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ﴾ خلاف ﴿بِعِيدٍ﴾ عن الحق، أوقع هذا^(٥)، موقع: «منكم» بيانًا لحالهم.

[٥٣] ﴿سُرِّيهِمْ أَلَيْتَنَا فِي الْأَفَاقِ﴾ أقطار السماوات والأرض، من الثيرات، والنبات، والأشجار ﴿وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾ من لطيف الصنعة وبديع الحكمة ﴿حَتَّى يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ﴾ أي: القرآن ﴿الْحَقُّ﴾ المنزل من الله، بالبعث والحساب والعقاب، فيعاقبون على كفرهم به وبالجانبي به ﴿أُولَئِكَ يَكُفُّ بِرَبِّكَ﴾ فاعل «يكف» ﴿أَنَّهُمْ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ بدل منه؛ أي: أولم يكفهم في صدقك أن ربك لا يغيب عنه شيء ما!.

[٥٤] ﴿أَلَا يَأْتِيهِمْ فِي مَرَاتِبَةٍ﴾ شك ﴿بَيْنَ لِقَاءِ رَبِّهِمْ﴾ لانكارهم البعث ﴿أَلَا إِنَّهُمْ﴾ - تعالى - ﴿بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾ علمًا وقدرة، فيجازيهم بكفرهم.

* إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَاتَّحِمِلٌ مِنْ أَنْتَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا يَعْلَمُهُ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ آتِنِ شُرَكَاءِي قَالُوا آذَنَّاكَ مَا مَتَّانًا مِنْ شَهِيدٍ ﴿٤٩﴾ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَوَطَّنُوا مَا لَهُمْ مِنْ مَجِيصٍ ﴿٥٠﴾ لَا يَسْتَعْرِ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاةِ الْحَبِيرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَتَوَسَّسُ قَتُوطٌ ﴿٥١﴾ وَلَيْنٌ أَذْفَنَهُ رَحْمَةً مِمَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءَ مَسَّهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَيْنٌ رُجِعْتُ لِي رَبِّي إِنْ لِي عِنْدَهُ لِلْحَسَنِ فَلَنَتَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا أَعْمَنَّا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَدُو دُعَاؤِ عَرِيضٍ ﴿٥٣﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مِنْ أَضَلَّ وَمَنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٤﴾ سُرِّيهِمْ أَلَيْتَنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أُولَئِكَ يَكُفُّ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٥﴾ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرَاتِبَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُمْ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ﴿٥٦﴾

[٤٧] ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ متى تكون، لا يعلمها غيره ﴿وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ﴾ وفي قراءة^(١) ﴿ثَمَرَاتٍ﴾ ﴿مِنْ أَكْمَامِهَا﴾ أوعيتها؛ جمع «كم» بكسر الكاف، إلا يعلمه ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أَنْتَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا يَعْلَمُهُ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ آتِنِ شُرَكَاءِي قَالُوا آذَنَّاكَ﴾ أعلمناك الآن ﴿مَا مَتَّانًا مِنْ شَهِيدٍ﴾ أي: شاهد بأن لك شريكًا.

(١) لحمزة والكسائي وابن كثير وأبي عمرو وشعبة، وقرأ بقية السبعة: ﴿ثمرات﴾.

(٢) أي في قوله: ﴿وما منا﴾، وقوله: ﴿وما لهم﴾؛ فالنفي فيها معلق لكل من: «آذن»، و«هطن» عن العمل لفظًا لا محلاً.

(٣) أي: في الموضعين؛ في قوله: ﴿وما لهم من مجيص﴾، وقوله: ﴿وما منا من شهيد﴾؛ فالجملة الأولى سُدَّت مسد مفعولي ﴿وطنوا﴾، والثانية: سُدَّت مسد المفعول الثاني لـ ﴿آذن﴾، وأما المفعول الأول فهو كاف الخطاب في ﴿آذنتك﴾.

(٤) وهي قراءة ابن ذكوان، وقرأ بقية السبعة: ﴿ونأى﴾.

(٥) أي: قوله: ﴿ومن أضلَّ ومن هو في شقاقٍ بعيدٍ﴾.

سُورَةُ الشُّورَى

[مكية، إلا: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ﴾ الآيات الأربع، ثلاث وخمسون آية، نزلت بعد فصلت]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمَّ ﴿١﴾ عَسَقَ ﴿٢﴾ كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ
 اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
 وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٤﴾ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ
 وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي
 الْأَرْضِ ۗ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيمُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا
 مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ۗ اللَّهُ حَفِيفٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ
 ﴿٦﴾ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ
 حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجُمُعِ لِأَرْبَابٍ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي
 السَّعِيرِ ﴿٧﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يَدْخُلُ مِنَ
 يَسَاءِ فِي رَحْمَتِهِ ۗ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾ أَمْ
 اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ۗ فَأَلَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتِ ۗ وَهُوَ
 عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ
 إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾

الْوَلِيُّ ﴿١٠﴾ أي: الناصر للمؤمنين، والفاء مجرد العطف ﴿وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[١٠] ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ﴾ مع الكفار ﴿فِيهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ من الدين وغيره ﴿فَحُكْمُهُ﴾ مردود ﴿إِلَى اللَّهِ﴾ يوم القيامة يفصل بينكم، قل لهم: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ أُرْجِعُ.

[١] ﴿حَمَّ﴾.

[٢] ﴿عَسَقَ﴾ الله أعلم بمراحه به.

[٣] ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: مثل ذلك الإيحاء ﴿يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَ﴾ أوحى ﴿إِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ﴾ فاعل الإيحاء ﴿الْعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿الْحَكِيمُ﴾ في صنعه.

[٤] ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ملكاً وخلقاً وعبداً ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ﴾ على خلقه ﴿الْعَظِيمُ﴾ الكبير.

[٥] ﴿تَكَادُ﴾ بالياء والياء^(١) ﴿السَّمَوَاتُ﴾ [يَتَفَطَّرْنَ] بالنون^(٢)، وفي قراءة بالياء والتشديد ﴿مِنْ فَوْقِهِنَّ﴾؛ أي: تشقق كل واحدة فوق التي تليها، من عظمة الله - تعالى - ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ أي: ملاسین للحمد ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ من المؤمنین ﴿أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيمُ﴾ لأوليائه ﴿الرَّحِيمُ﴾ بهم.

[٦] ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ﴾ أي: الأصنام ﴿أَوْلِيَاءَ اللَّهِ حَفِيفٌ﴾ مُخَصَّصٌ عَلَيْهِمْ ﴿لِيَجْازِيَهُمْ﴾ ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ تحصل المطلوب منهم وما عليك إلا البلاغ.

[٧] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ مثل ذلك الإيحاء ﴿أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنذِرَ﴾ تُخَوِّفُ ﴿أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ أي: أهل مكة وسائر الناس ﴿وَتُنذِرَ﴾ الناس ﴿يَوْمَ الْجُمُعِ﴾ يوم القيامة، تُجْمَعُ فِيهِ الْخَلَائِقُ ﴿لَا رَيْبَ﴾ شك ﴿فِيهِ فَرِيقٌ﴾ منهم ﴿فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ النار.

[٨] ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ أي: على دين واحد، وهو الإسلام ﴿وَلَكِنْ يَدْخُلُ مِنَ يَسَاءِ﴾ فِي رَحْمَتِهِ ﴿وَالظَّالِمُونَ﴾ الكافرون ﴿مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ يدفع عنهم العذاب.

[٩] ﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ﴾ أي: الأصنام ﴿أَوْلِيَاءَ﴾ أم منقطعة بمعنى «بل» التي للانتقال، والهمزة للإنكار^(٣)؛ أي: ليس المتخذون أولياء ﴿فَاللَّهُ هُوَ

(١) بالياء قراءة نافع والكسائي.

(٢) وهي قراءة أبي عمرو وشعبة، وقرأ نافع السبعة: ﴿يَتَفَطَّرْنَ﴾.

(٣) في نسخة القاضي كنعان: «وهمزة الإنكار»؛ أي: إن «أم» بمعنى: همزة الإنكار.

﴿يَذُرُّكُمْ﴾ بالمعجمة؛ يخلقكم ﴿فِيهِ﴾ في الجغل المذكور؛ أي: يكثركم بسببه بالتوالد، والضمير للأناسي والأنعام بالتغليب ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ الكاف زائدة؛ لأنه - تعالى - لا مثل له ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لما يقال ﴿الْبَصِيرُ﴾ لما يفعل.

[١٢] ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: مفاتيح خزائنها؛ من المطر والنبات وغيرها ﴿يَسْطُرُ الرِّزْقَ﴾ يوسع ﴿لِمَن يَشَاءُ﴾ امتحاناً ﴿وَيَقْدِرُ﴾ يضيقه لمن يشاء ابتلاءً ﴿إِنَّهُ يَكْتُبُ الشَّيْءَ عَلِيمٌ﴾.

[١٣] ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا﴾ هو أول أنبياء الشريعة^(١) ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ هذا هو المشروع الموصى به، والموحى إلى محمد ﷺ وهو التوحيد ﴿كَبُرَ﴾ عظم ﴿عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا نَدَعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ من التوحيد ﴿اللَّهُ يَهْتَدِي إِلَيْهِ﴾ إلى التوحيد ﴿مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ يقبل إلى طاعته.

[١٤] ﴿وَمَا تَفَرَّقُوا﴾ أي: أهل الأديان في الدين، بأن وحد بعض، وكفر بعض ﴿إِلَّا مَن بَدَّ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ بالتوحيد ﴿بَعَثْنَا﴾ من الكافرين ﴿بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّفُضِيَٰ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِن بَعْدِهِمْ﴾ بتعذيب الكافرين في الدنيا ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ﴾ من محمد ﷺ ﴿مُرِيبٌ﴾ موقع في الريبة.

[١٥] ﴿فَلِذَلِكَ﴾ التوحيد ﴿فَادْعُ﴾ يا محمد الناس ﴿وَأَسْتَقِيمَ﴾ عليه ﴿كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ في تركه ﴿وَقُلْ ءَأَمِنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ﴾ أي: بأن أعدل ﴿بَيْنَكُمْ﴾ في الحكم ﴿اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلْنَا﴾ فكل يجازى بعمله ﴿لَا حِجَّةَ﴾ خصوصية ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ هذا قبل أن يؤمر بالجهاد ﴿اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا﴾ في المعاد لفصل القضاء ﴿وَاللَّهُ الْمَصِيرُ﴾ المرجع.

فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١٢﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٣﴾ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا نَدَعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٤﴾ وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَعْثْنَا بِهِمْ لَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّفُضِيَٰ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِن بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٌ ﴿١٥﴾ فَلِذَلِكَ قَادَعُ وَأَسْتَقِمَ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَأَمِنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلْنَا لَاحِجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾

[١١] ﴿فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ مُبْدِعُهُمَا ﴿جَعَلَ لَكُمْ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ حيث خلق حواء من ضلع آدم ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا﴾ ذكورا وإناثا

(١) أي أول الرسل الذين جاءوا بشرية شاملة؛ كما في حديث الشفاعة المشهور في الصحيحين وغيرهما، وفيه: «ولكن اثنا نوحًا؛ فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض»، وأما آدم فإنه أول نبي.

[١٦] ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي دِينٍ﴾ الله ﴿نبيه﴾ ﴿وَمَنْ بَعْدَ مَا اسْتَجِيبَ لَهُمْ﴾ بالإنسان، لظهور معجزته (١) ﴿وَهُمُ الْيَهُودُ﴾ ﴿جَنَّتْهُمْ دَاحِضَةٌ﴾ باطلة ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ وَعَلَيْهِمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿.

[١٧] ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿يَالْمَلِكُ﴾ متعلق بـ﴿أَنْزَلَ﴾ ﴿وَالَّذِينَ﴾ العدل ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾ يُعَلِّمُكَ ﴿لَعَلَّ السَّاعَةَ﴾ أي: إتيانها ﴿قَرِيبٌ﴾ «والعل» معلق للفعل (٢) عن العمل، وما بعده سد مسد المفعولين.

[١٨] ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا﴾ يقولون: متى تأتي؟ ظناً منهم أنها غير آتية ﴿وَالَّذِينَ﴾ آمَنُوا مُشْفِقُونَ ﴿خَائِفُونَ﴾ مَتَّهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا آتِيَةٌ ﴿إِنَّا﴾ الَّذِينَ يُمَارُونَ ﴿يَجَادِلُونَ﴾ فِي السَّاعَةِ لِنِي ضَلَلٍ بَعِيدٍ ﴿.

[١٩] ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ﴾ بَرَّهُمْ وَقَاجِرِهِمْ؛ حيث لم يهلكهم جوعاً بمعاصيهم ﴿بِرِزْقٍ مِّنْ يَسَاءَ﴾ من كل منهم ما يشاء ﴿وَهُوَ الْقَوِيُّ﴾ على مراده ﴿الْعَزِيزُ﴾ الغالب على أمره.

[٢٠] ﴿مَنْ كَانَتْ يُرِيدُ﴾ بعمله ﴿حَرَّتِ﴾ الْآخِرَةَ ﴿أَي: كَسِبَهَا، وَهُوَ الثَّوَابُ﴾ ﴿زُرْدٌ لَّهُ فِي حَرَّتِيهِ﴾ بالضعيف فيه؛ الحسنه إلى العشرة وأكثر ﴿وَمَنْ كَانَتْ يُرِيدُ حَرَّتِ الدُّنْيَا تَوَيَّءَ﴾ مَتَّهَا ﴿بِلا تَضْعِيفٍ، مَا قَسِمَ لَهُ﴾ ﴿وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَّصِيبٍ﴾.

[٢١] ﴿أَمْ﴾ بل ﴿لَهُمْ﴾ لكفار مكة ﴿شُرَكَاءُ﴾ هم شياطينهم ﴿شَرَعُوا﴾ أي: الشركاء ﴿لَهُمْ﴾ للكفار ﴿مِنَ الَّذِينَ﴾ الفاسد ﴿مَا لَمْ يَأْذُنْ بِهِ اللَّهُ﴾ كالشرك وإنكار البعث ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَضْلِ﴾ أي: القضاء السابق، بأن الجزاء في يوم القيامة ﴿لَقَضَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ وبين المؤمنين بالتعذيب لهم في الدنيا ﴿وَالَّذِينَ الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم.

[٢٢] ﴿تَرَى الظَّالِمِينَ﴾ يوم القيامة ﴿مُشْفِقِينَ﴾ خائفين ﴿وَمَتَّ كَسَبُوا﴾ في الدنيا من السيئات، أن يجازوا عليها ﴿وَهُوَ﴾ أي: الجزاء عليها ﴿وَأَفْعُ بِهِمْ﴾ يوم القيامة لا محالة ﴿وَالَّذِينَ﴾ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتٍ الْجَنَّاتِ ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾.

(١) في نسخة القاضي: «معجزاته».

(٢) وهو: «يدرلك».

وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتَجِيبَ لَهُمْ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾ وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتَجِيبَ لَهُمْ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٧﴾ وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتَجِيبَ لَهُمْ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٨﴾ وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتَجِيبَ لَهُمْ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٩﴾ وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتَجِيبَ لَهُمْ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتَجِيبَ لَهُمْ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢١﴾ وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتَجِيبَ لَهُمْ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٢﴾

القول وغيره، وقد فعل^(١) ﴿وَمِمَّنْ أَلَّ اللَّهُ الْبَطْلَ﴾ الذي قاله ﴿وَيُحْيِي الْمَيِّتَ﴾
بيئته ﴿يَكْتُمِيهِ﴾ المنزلة على نبيه ﴿إِنَّهُ عَيْبٌ يُدَاتُ الصُّدُورَ﴾ بما في
القلوب.

[٢٥] ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ منهم ﴿وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾
الكتاب عنها ﴿وَيَعْلَمُ مَا يُفْعَلُونَ﴾ [الباء والفاء].^(٢)

[٢٦] ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ يجيبهم إلى ما
يسألون^(٤) ﴿وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ والكافرون لهم عذاب شديد.

[٢٧] ﴿وَلَوْ سَئَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ﴾ جميعهم ﴿لَعَوَّأَ﴾ جميعهم؛
أي: طغوا ﴿فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ﴾ بالتخفيف والتشديد^(٥)؛ من الأرزاق
﴿يَقْدِرُ مَا يَشَاءُ﴾ فيسبها لبعض عباده دون بعض وينشأ عن البسط البغي
﴿وَأَنَّهُ يُعَادِيهِ خَيْرٌ بِصِيرٍ﴾.

[٢٨] ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ﴾ المطر ﴿مِنْ سَمَاءٍ مَا قَنَطُوا﴾ يشوس من
نزوله ﴿وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ﴾ يسط مظهره^(٦) ﴿وَهُوَ الْوَلِيُّ﴾ المحسن للمؤمنين
﴿الْحَسِيدُ﴾ المحمود عندهم.

[٢٩] ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ خلق ﴿مَا بَيْنَ﴾ فوق
ونشر ﴿فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ هي ما يدب على الأرض^(٧) من الناس وغيرهم
﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ﴾ للحرش ﴿إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ في الضمير تغليب العاقل
على غيره.

[٣٠] ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ﴾ خطاب للمؤمنين^(٨) ﴿مِنْ مُصِيبَةٍ﴾ بلية
وشدة ﴿فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ أي: كسبت من الذنوب، وعبر بالأيدي، لأن
أكثر الأفعال تُزاول بها ﴿وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ منها؛ فلا يجازي عليه، وهو
- تعالى - أكرم من أن ينفي الجزاء في الآخرة، وأما غير المذنبين فما يصيبهم في
الدنيا لرفع درجاتهم في الآخرة.

[٣١] ﴿وَمَا أَنْتُمْ﴾ يا مشركون ﴿بِمُعْجِزَاتِ اللَّهِ﴾ هرباً ﴿فِي الْأَرْضِ﴾
فتوته ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ يدفع
عذابه عنكم.

ذَلِكَ الَّذِي يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقَرِّفْ
حَسَنَةً تَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ
أَفَرَأَىٰ عَلَى اللَّهِ كَيْدًا وَإِنَّا لَنَشَاءُ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ وَبِمِمْحَ اللَّهُ
الْبَطْلَ وَيُحْيِي الْمَيِّتَ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٣٣﴾
وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ
وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ
شَدِيدٌ ﴿٣٥﴾ وَلَوْ سَئَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَعُثُوا فِي الْأَرْضِ
وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٣٦﴾ وَهُوَ
الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ
﴿٣٧﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ دَابَّةٍ
وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ﴿٣٨﴾ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَمَا
كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴿٣٩﴾ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ
فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٤٠﴾

[٢٣] ﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَيِّنُ﴾ من البشارة مخففاً ومثقالاً^(١) به ﴿اللَّهُ عِيَادَهُ﴾
الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ عَلَى تَبْلِغِ الرِّسَالَةِ ﴿أَجْرًا إِلَّا
الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ استثناء منقطع؛ أي: لكن أسألكم أن تؤدوا قرابتي، التي هي
قرابتكم أيضاً، فإن له في كل بطن من قریش قرابة ﴿وَمَن يَقَرِّفْ﴾ يكتسب
﴿حَسَنَةً﴾ طاعة ﴿تَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾ بتضعيفها ﴿إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ﴾ للذنوب
﴿شَكُورٌ﴾ للقليل فيضاعفه.

[٢٤] ﴿أَمْ﴾ بل ﴿يَقُولُونَ أَفَرَأَىٰ عَلَى اللَّهِ كَيْدًا﴾ بنسبة القرآن إلى الله -
تعالى - ﴿وَإِنَّا لَنَشَاءُ اللَّهُ يَخْتِمْ﴾ يربط ﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ بالصبر على أذاهم بهذا

(١) ﴿يُبَيِّنُ﴾ مخففاً قراءة حمزة والكسائي وابن كثير وأبي عمرو، وقراء بقية السبعة: ﴿يُبَيِّنُ﴾.
(٢) الراجح وعليه أكثر المفسرين أن هذه الآية كقوله - تعالى -: ﴿وَلَوْ تَرَكْنَا مَعَهُنَّ الْآيَاتِ لَآتَيْنَهُنَّ مِنْ لَدُنَّا مَعَهُنَّ بِاللَّيْلِ﴾ ثُمَّ لَطَمْنَا بِهِنَّ الْوَتِينَ ﴿٣١﴾، والمراد منها الاستشهاد على بطلان ما قالوا ببيان
أنه لا يخلق لو افترى على الله كذباً لنعمه من ذلك قطعاً فنضم على قلبه بحيث لم يخطر بباله معنى من معانيه، ولم ينطق بحرف من حروفه، وهذا الأسلوب مؤداه استبعاد الافتراء من مثله ﷺ.
(٣) بالياء قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقراء بقية السبعة بالباء.
(٤) فهو ﴿الَّذِينَ﴾ في موضع نصب، وقليل: بل في موضع رفع، والمعنى يستجيبون لربهم فيقادون له ويلبسون دعوته، فإذا فعلوا ذلك شكر لهم وزادهم توفيقاً ونشاطاً على العلم ومضاعفة في الأجر.
وهذا القول أقرب، والله أعلم.
(٥) بالتخفيف قراءة ابن كثير وأبي عمرو، وقراء بقية السبعة بالتشديد.
(٦) الصحيح أن الرحمة صفته - سبحانه وتعالى - وهي غير المطر، وهو من آثار رحمته، التي هي أعم ووسعت كل شيء.
(٧) ظاهر الآية يفيد ما يدب على السماء كذلك من ملائكة، وبه قال بعض المفسرين، بل ذهب بعض الباحثين إلى وجود حيوانات كحيوانات الأرض ولو ازم حياتها من نباتات وأشجار وبحار وأنهار
هنالك، واستبعاد غيرهم من أهل العلم.
(٨) الظاهر أن الخطاب عام للمؤمنين وغيرهم.

[٣٢] ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ كالجبال في العظم.

[٣٣] ﴿إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَنَ﴾ يصرن ﴿رَوَاكِدَ﴾ نوابت لا تجري ﴿عَلَى ظَهْرِهِ﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ هو المؤمن يصبر في الشدة، ويشكر في الرخاء.

[٣٤] ﴿أَوْ يُوقِعَهُمْ عِطْفَ عَلَىٰ يَسْكِنُ﴾ أي: يفرقهن بغضف الريح بأهلهن ﴿وَمَا كَسُوا﴾ أي: أهلهن من الذنوب ﴿وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ﴾ منها، فلا يفرق أهلها.

[٣٥] ﴿وَيَعْلَمُ﴾ بالرفع مستأنف، وبالنصب (١) معطوف على تعليل مقدر؛ أي: يفرقهن لينتقم منهم، ويعلم ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ نَجْصٍ﴾ مهرب من العذاب، وجملة النفي سدت مسد مفعولي «يعلم»، والنفي معلق عن العمل.

[٣٦] ﴿فَمَا أُوَيْدْتُمْ﴾ خطاب للمؤمنين وغيرهم ﴿وَمِنْ شَيْءٍ﴾ من أثاث الدنيا ﴿فَمَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ يتمتع به فيها، ثم يرول ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ من الثواب ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَحْمَةٍ رَبِّهِمْ يُرَوِّكُونَ﴾.

[٣٧] ويعطف عليه (٢): ﴿وَالَّذِينَ يُجَادِلُونَ كَثِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ﴾ موجبات الحدود، من عطف البعض على الكل ﴿وَإِذَا مَا عَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ يتجاوزون.

[٣٨] ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾ أجابوه إلى ما دعاهم إليه، من التوحيد والعبادة ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ أداموها ﴿وَأَنزَلْنَاهُمْ﴾ الذي يبدو لهم ﴿شُورَىٰ يَتَّبِعُهُمْ﴾ يتشاورون فيه ولا يجعلون ﴿وَمَا رَزَقْنَاهُمْ﴾ أعطيناهم ﴿يُفَقِّهُونَ﴾ في طاعة الله. ومن ذكر صف.

[٣٩] ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ﴾ الظلم ﴿هُم يَتَضَرَّعُونَ﴾ صنف؛ أي: ينتقمون من ظلمهم بمثل ظلمه، كما قال - تعالى -: [٤٠] ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ سميت الثانية سيرة لمشابعتها للأولى في الصورة، وهذا ظاهر فيما يقتض فيه من الجراحات، قال بعضهم: وإذا قال له: أضرأك الله؛ فيجيبه: أضرأك الله ﴿فَمَنْ عَفَاكَ﴾ عن ظلمه ﴿وَأَسْلَحَ﴾ الود بينه وبين المغفور عنه ﴿فَأَجْرٌ عَلَى اللَّهِ﴾ أي: إن الله يأجره لا محالة ﴿إِنَّهُمْ لَا يَجِدُ الظَّالِمِينَ﴾ أي: البادئين بالظلم، فيترتب (٣) عليهم عقابه (٤).

[٤١] ﴿وَلَمَنْ أَنصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ﴾ أي: ظلم الظالم إياه ﴿فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنَ سَبِيلٍ﴾ مواخذة.

وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٣٢﴾ إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُوقِعَهُمْ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ وَيَعْلَمُ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ نَجْصٍ ﴿٣٥﴾ فَمَا أُوَيْدْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَحْمَةٍ رَبِّهِمْ يُرَوِّكُونَ ﴿٣٦﴾ وَالَّذِينَ يُجَادِلُونَ كَثِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ وَإِذَا مَا عَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُفَقِّهُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَسْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنْ أَنصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَنْ صَبَرَ وَعَفَا إِنَّ ذَلِكَ لِمَنْ عَزِمَ الْأُمُورَ ﴿٤٣﴾ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ اللَّهِ مَرَدٌّ أَمْ لَمْ يَكُنْ لَنَا إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾

[٤٢] ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ﴾ يعملون ﴿في الأرض بغير الحق﴾ بالمعاصي ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم.

[٤٣] ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ﴾ فلم ينتصر ﴿وَعَفَا﴾ تجاوز ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ الصبر والتجاوز ﴿لِمَنْ عَزِمَ الْأُمُورَ﴾ أي: معزوماتها؛ بمعنى المطلوبات شرعاً.

[٤٤] ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي: أحد يلي هدايته، بعد إضلال الله إياه ﴿وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا إِلَى مَرَدٍّ إِلَى الدنیا﴾ ومن سبيل ﴿طريق؟

(١) بالرفع قراءة نافع وابن عامر، وقرأ بقية السبعة بالنصب؛ «ويعلم».

(٢) في بعض النسخ المطبوعة: «عليهم»، والصواب الثبت؛ أي: على قوله: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾.

(٣) في نسخة القاضي: «فترتب».

(٤) هذا من آثار عدم محبة ﴿كُلِّ الظَّالِمِينَ﴾، وليس هذا تفسير مقابل الحجة، وهذه طريقة المفسر غير الله لنا وله، في تأويل هذه الصفة بآثارها ولوازمها.

الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿٤٦﴾ بتخليدكم في النار، وعدم وصولهم إلى الحور المعلاة لهم في الجنة، لو آمنوا، والموصول: خبر «إن» ﴿أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين ﴿فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾ دائم، هو من مقول الله تعالى -

[٤٦] ﴿وَمَا كَانَتْ لَهُمْ مِنَّ أَوْلِيَاءَ يَبْصُرُونَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره، يدفع عذابه عنهم ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن سَبِيلٍ﴾ طريق إلى الحق في الدنيا، وإلى الجنة في الآخرة.

[٤٧] ﴿أَسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ﴾ أجيبوه بالتوحيد والعبادة ﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَنَّ يَوْمَ﴾ هو يوم القيامة ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مِن اللَّهِ﴾ أي: أنه إذا أتى به لا يردده ﴿مَا لَكُمْ مِّن مَّلَاجٍ﴾ تلجؤون إليه ﴿يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِّن نَّكَيرٍ﴾ إنكار للدنوبكم.

[٤٨] ﴿فَإِن أَعْرَضُوا﴾ عن الإجابة ﴿فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ تحفظ أعمالهم، بأن توافق المطلوب منهم ﴿إِن﴾ ما ﴿عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَّغُ﴾ وهذا قبل الأمر بالجهاد ﴿وَلِيَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً﴾ والصحة ﴿فَرِحَ بِهَا وَإِن تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ مِّن سَيِّئَاتِنَا﴾ بلاء ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: قدموه، وعبر بالأيدي؛ لأن أكثر الأفعال تراول بها ﴿فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ﴾ للنعمة.

[٤٩] ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُخَلِّقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ من الأولاد ﴿إِنشَاءً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكَورَ﴾.

[٥٠] ﴿أَوْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ أي: يجعلهم ﴿ذُرِّيَّةً وَإِنشَاءً وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا﴾ فلا يلد ولا يولد له ﴿إِنَّهُمْ عَائِدٌ﴾ بما يخلق ﴿فَيَذَرُ﴾ على ما يشاء^(١).

[٥١] ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكْتُمَ اللَّهُ إِلَهًا﴾ أن يوحى إليه ﴿وَحَيًّا﴾ في المنام أو بإلهام ﴿أَوْ﴾ إلا ﴿مِن وَرَائِي حِجَابٍ﴾ بأن يسمعه كلامه ولا يراه؛ كما وقع لموسى عليه السلام ﴿أَوْ﴾ إلا أن ﴿رُسُلًا﴾ ملكًا كجبريل ﴿فَيُوحِي﴾ الرسول إلى المرسل إليه؛ أي: بكلمه ﴿بِإِذْنِهِ﴾ أي: الله ﴿مَا يَشَاءُ﴾ الله ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ﴾ عن صفات المحدثين^(٢) ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه.

وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَشِيعَتٍ مِّنَ الدُّلِّ يَنْظُرُونَ ﴿٤٧﴾ من طرفي حفيي وقال الذين ءآمنوا إن الذين خسرنا أنفسنا وأهليهم يوم القيامة إلا إن الظالمين في عذاب مقير ﴿٤٨﴾ وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله ومن يضل الله فما له من سبيل ﴿٤٩﴾ استجيبوا لربكم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله ما لكم من ملجأ يومئذ وما لكم من نكير ﴿٥٠﴾ فات أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظًا إن عليك إلا البلق وإننا إذا أذقنا الإنسان منا رحمة فرح بها وإن نصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فات الإنسان كفور ﴿٥١﴾ لله ملك السموات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إنشأ ويهب لمن يشاء الذكور ﴿٥٢﴾ أو ذريتهم ذكرا وإنشأ ويجعل من يشاء عقيما إنه وعليم قدير ﴿٥٣﴾ وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء إنه وعلى حكيم ﴿٥٤﴾

[٤٥] ﴿وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ أي: النار ﴿خَشِيعَةٍ﴾ خائفين متواضعين ﴿مِنَ الدُّلِّ يَنْظُرُونَ﴾ إليها ﴿مِن طَرْفِي حَفِيي﴾ ضعيف النظر، مسارقة، ومن ابتدائية، أو بمعنى الباء ﴿وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ الَّذِينَ خَسِرُوا﴾

(١) النعمة من آثار الرحمة، وهذا يلزم منه إثبات صفة الرحمة صفة لله قائمة بذاته.

(٢) الصواب عدم تقييد القدرة بالمشيئة، فظاهر القرآن إثبات القدرة المطلقة، وهذا هو الأكمل والأحسن في الصفة. وما أثبت المفسر كقوله ﴿إِنَّمَا هُوَ جَرِيٌّ عَلَى طَرِيقِ الْأَشَاعِرَةِ﴾.

(٣) وهذا من قصر العلم على بعض أفرادها؛ فضلا عن كون هذه العبارة موهمة ويستخدمها البعض لنفي الصفات النابتة لله سبحانه، والآية من أدلة إثبات صفة العلو التام لله سبحانه وتعالى وشأنها.

وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ
وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا
وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَاطَ اللَّهِ الَّذِي لَهُ
مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴿٥٣﴾

سُورَةُ الزُّحُرْفِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمَّ ﴿٥١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٥٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا
لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِنَّهُ فِي أُولَى الْأَعْيُنِ
لَعَلِيَّ حَكِيمٌ ﴿٥٤﴾ أَفَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا
أَن كُنْتُمْ قَوْمًا مُّشْرِفِينَ ﴿٥٥﴾ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيِّ
فِي الْأَوَّلِينَ ﴿٥٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ
﴿٥٧﴾ فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ
﴿٥٨﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ
خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٥٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ
مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمُ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٦٠﴾

- [٨] ﴿فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ﴾ من قومك ﴿بَطْشًا﴾ قوة ﴿وَمَضَى﴾ سبق
في آيات ﴿مَثَلُ الْأَوَّلِينَ﴾ صفتهم في الإهلاك، فعاقبة قومك كذلك.
[٩] ﴿وَلَئِن﴾ لام قسم ﴿سَأَلْتَهُمْ مَّن خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ﴾
حذف منه نون الرفع؛ لتوالي النونات، وواو الضمير لالتقاء الساكنين
﴿خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ آخر جوابهم أي: الله ذو العزة والعلم.
[١٠] زاد - تعالى -: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا﴾ فإرشا كالمهد
للصبي ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ فِيهَا سُبُلًا﴾ طرفًا ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ إلى
مقاصدكم في أسفاركم.

[٥٢] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ أي: مثل إباحثنا إلى غيرك من الرسل ﴿أَوْحَيْنَا
إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿رُوحًا﴾ هو القرآن، به تحيا القلوب ﴿وَمِنْ أَمْرِنَا﴾ الذي
نوحيه إليك ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي﴾ تعرف قبل الوحي إليك ﴿مَا الْكِتَابُ﴾ القرآن
﴿وَلَا الْإِيمَانُ﴾ أي: شرائعه ومعالجه، والنفي معلق للفعل عن العمل، وما بعده
سد مسند المفعولين ﴿وَلَكِن جَعَلْنَاهُ﴾ أي: الروح، أو الكتاب ﴿نُورًا نَّهْدِي بِهِ
مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي﴾ تدعو بالوحي إليك ﴿إِلَى صِرَاطٍ﴾
﴿مُسْتَقِيمٍ﴾ دين الإسلام.
[٥٣] ﴿صِرَاطَ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ملكًا وخلقًا
وعبيدًا ﴿أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ ترجع.

سُورَةُ الزُّحُرْفِ

[مكية، وقيل: إلا: ﴿وَسَلَّ مَن أَرْسَلْنَا﴾ الآية،
تسع وثمانون آية، نزلت بعد الشورى]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- [١] ﴿حَمَّ﴾ الله أعلم بمراده به.
[٢] ﴿وَالْكِتَابِ﴾ القرآن ﴿الْمُبِينِ﴾ المظهر طريق الهدى وما يحتاج إليه
من الشريعة.
[٣] ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ﴾ أوجدنا^(١) الكتاب ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ بلغة العرب
﴿لَمَلَكِكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿تَعْقِلُونَ﴾ تفهمون معانيه.
[٤] ﴿وَإِنَّهُ﴾ مثبت ﴿فِي أُولَى الْأَعْيُنِ﴾ أصل الكتب؛ أي: اللوح
المحفوظ ﴿لَدَيْنَا﴾ بدل عندنا ﴿لَعَلِّي﴾ على الكتب قبله ﴿حَكِيمٌ﴾ ذو
حكمة بالغة.
[٥] ﴿أَفَضْرِبُ﴾ نمسك ﴿عَنْكُمُ الذِّكْرَ﴾ القرآن ﴿صَفْحًا﴾
إمساكًا، فلا تؤمرون ولا تنهون لأجل ﴿أَن كُنْتُمْ قَوْمًا مُّشْرِفِينَ﴾
مشركين؟ لا.
[٦] ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيِّ فِي الْأَوَّلِينَ﴾.
[٧] ﴿وَمَا﴾ كان ﴿يَأْتِيهِمْ﴾ أتاهم ﴿مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾
كاستهزاء قومك بك، وهذا تسلية له ﷺ.

(١) تفسير الجعل بالإيجاد مبني على القول بخلق القرآن، والصواب تفسيره بالإنزال أو نحوه، مما ذكر أصحاب السنة من المفسرين؛ كابن جرير والبقري وغيرهما؛ لأنه جعل هنا متعد إلى مفعولين، فلا
يكون بمعنى الخلق والإيجاد، بل بمعنى التصيير ونحوه.

وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يَقْدَرُ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا
كَذَلِكَ نُخْرِجُوت ﴿١١﴾ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ
لَكُمْ مِنَ الْفَالِكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لَنْتَسْتَوْا عَلَى ظُهُورِهِ
ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ
الَّذِي سَخَّرْنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا
لَمُنْقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْأِنْسَانَ
لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمْ لِي أَخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بِنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ
بِالْبَيْتِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بَشَّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا
ظَلَّ وَجْهَهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوْ مَنْ يُنشِئُ فِي
الْحَلِيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَاةِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ
الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنثًا أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَتُكْتَبُ
شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ
مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ أَعْتَبْنَاَهُمْ
كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهَمَّ بِهِ هُمُ مَسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوا إِنَّا
وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾

وهو مجرور في الأول^(١)؛ أي: فيه، منصوب في الثاني^(٢).
[١٣] ﴿لَنْتَسْتَوْا﴾ لتستقروا ﴿عَلَىٰ ظُهُورِهِ﴾ ذكر الضمير، وجمع الظهر؛
نظرا للفظ «ما» ومعناها ﴿ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا
سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرْنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ مطبقين.
[١٤] ﴿وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾^(٣) لمنصرفون.
[١٥] ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا﴾ حيث قالوا: الملائكة بنات الله؛ لأن
الولد جزء من الوالد، والملائكة من عباده. - تعالى - ﴿إِنَّا الْإِنْسَانَ﴾ القائل
ما تقدم ﴿لَكَفُورٌ مُّبِينٌ﴾ يبين ظاهر الكفور.
[١٦] ﴿أَمْ لِي﴾ بمعنى همزة الإنكار، والقول مقدر؛ أي: أتقولون ﴿أَخَذَ
مِمَّا يَخْلُقُ بِنَاتٍ﴾ لنفسه ﴿وَأَصْفَاكُمْ﴾ أحلصكم ﴿بِالْبَيْتِينَ﴾ اللازم من
قولكم السابق، فهو من جملة المنكر.
[١٧] ﴿وَإِذَا بَشَّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا﴾ جعل له شبهة بنسبة
البنات إليه؛ لأن الولد يشبه الوالد؛ المعنى: إذا أخبر أحدهم بالنبوة تولد له
﴿ظَلَّ﴾ صار ﴿وَجْهَهُ مُسْوَدًّا﴾ متغيرا تغير معنم ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ غملي غمًا،
فكيف ينسب البنات إليه، تعالى عن ذلك.
[١٨] ﴿أَوْ﴾ همزة الإنكار، واو العطف، بجملة^(٣)؛ أي: يجعلون لله
﴿مَنْ يُنشِئُ فِي الْحَلِيَةِ﴾ الزينة ﴿وَهُوَ فِي الْخِصَاةِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ مظهر
الحجة^(٤)؛ لضعفه عنها بالأثوة؟!
[١٩] ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنثًا أَشْهَدُوا﴾
حضرُوا ﴿خَلَقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ﴾ بأنهم إناث ﴿وَيُسْأَلُونَ﴾ عنها في
الآخرة، فيرتب عليهم العقاب.
[٢٠] ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ﴾ أي: الملائكة، فعبادتنا إياهم
بمشيئته، فهو راض بها، قال - تعالى -: ﴿مَا لَهُمْ بِذَلِكَ﴾ المقول من الرضا
بعبادتها ﴿وَمَنْ عَلِمَ إِنْ﴾ ما ﴿هُم إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ يكذبون فيه، فيرتب عليهم
العقاب به.
[٢١] ﴿أَمْ أَعْتَبْنَاَهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ﴾ أي: القرآن، عبادة غير الله ﴿فَهَمَّ
بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ﴾ أي: لم يقع ذلك.
[٢٢] ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾ ملة ﴿وَإِنَّا﴾ ماشون
﴿عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ﴾ بهم، وكانوا يعبدون غير الله.

(٥) فائدة: أخرج مسلم عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ كان إذا استوى على بعيره خارجا إلى سفر كبير ثلاثا، ثم قال: «سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرْنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ . وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ» اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى، ومن العمل ما ترضى، اللهم هون علينا سفرنا هذا... الحديث. مسلم - كتاب الحج (١٥) باب (٧٥) ما يقول إذا ركب إلى سفر الحج وغيره.

(١) أي: إذا أعيد إلى الفلك، والمعنى: «وجعل لكم من الفلك ما تركبون».

(٢) أي: إذا أعيد إلى الأنعام، والمعنى: «وجعل لكم من الأنعام ما تركبونها».

(٣) أي: هما كلمتان حرفان، لا كلمة واحدة.

(٤) في نسخة القاضي كتمان: «الحجة».

[٢٣] ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرِيْبٍ مِّنْ نَّذِيْرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا ﴿٢٣﴾
منعموها مثل قول قومك: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ آثَرٍ ﴿٢٣﴾ ملة ﴿وَرِئًا عَلَيَّ
عَآئِرِهِمْ مُفْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ متبعون.

[٢٤] ﴿فَلِإِنِّي ﴿٢٤﴾ لهم: ﴿أَنَّهُمْ تَبِعُونَ ذَلِكَ ﴿٢٤﴾ وَلَوْ جِئْتَكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا
وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ ءَابَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ ﴿٢٤﴾ أَنْتَ وَمَنْ بِكَ ﴿٢٤﴾ كُفْرُونَ ﴿٢٤﴾.

[٢٥] قال - تعالى - تحويفاً لهم: ﴿فَأَنْقَمْنَا مِنْهُمْ ﴿٢٥﴾ أَي: مِنَ الْمَكْذِبِينَ
لِلرَّسْلِ بِكَ ﴿٢٥﴾ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿٢٥﴾.

[٢٦] ﴿وَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا ﴿٢٦﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّي بَرَاءٌ ﴿٢٦﴾ أَي: بَرِيءٌ
﴿٢٦﴾ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾.

[٢٧] ﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي ﴿٢٧﴾ خَلَقَنِي ﴿٢٧﴾ فَإِنَّهُمْ سَبِّدِينَ ﴿٢٧﴾ يَرشُدُنِي لِدِينِهِ.

[٢٨] ﴿وَجَعَلَهَا ﴿٢٨﴾ أَي: كَلِمَةَ التَّوْحِيدِ ﴿٢٨﴾ الْمَفهُومَةَ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ
إِلَىٰ رَبِّي سَبِّدِينَ ﴿٢٨﴾ ﴿٢٨﴾ كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ ﴿٢٨﴾ ذَرِيَّتِهِ، فَلَا يَزَالُ فِيهِمْ مِنْ
يُوحِدُ اللَّهَ ﴿٢٨﴾ لَعَلَّهُمْ ﴿٢٨﴾ أَي: أَهْلُ مَكَّةَ ﴿٢٨﴾ رَجَعُونَ ﴿٢٨﴾ عَمَّا هُمْ عَلَيْهِ إِلَىٰ دِينِ
إِبْرَاهِيمَ أُنْبِيَهُمْ.

[٢٩] ﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَهُؤُلَاءَ ﴿٢٩﴾ الْمُشْرِكِينَ ﴿٢٩﴾ وَءَابَاءَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَمْ أَعْجَلْهُمْ
بِالْعُقُوبَةِ ﴿٢٩﴾ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ ﴿٢٩﴾ الْقُرْآنَ ﴿٢٩﴾ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾ مَظْهَرٌ لَهُمُ الْأَحْكَامِ
الشَّرْعِيَّةِ، وَهُوَ مُحَمَّدٌ ﷺ.

[٣٠] ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ ﴿٣٠﴾ الْقُرْآنَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٠﴾.

[٣١] ﴿وَقَالُوا لَوْلَا ﴿٣١﴾ هَلَّا ﴿٣١﴾ نَزَّلَ هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنْ أَهْلِ
﴿٣١﴾ الْقَرِيْبِينَ ﴿٣١﴾ مِنْ أُمَّةٍ مِنْهُمْ ﴿٣١﴾ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَي: الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ بِنْتِ مَكَّةَ، أَوْ عُرْوَةَ بِنَ
مَسْعُودِ الثَّقَفِيِّ بِالطَّائِفِ.

[٣٢] ﴿أَهْرَ يُقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ﴿٣٢﴾ النَّبُوَّةَ ﴿٣٢﴾ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّيْسَتَهُمْ فِي
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴿٣٢﴾ فَجَعَلْنَا بَعْضَهُمْ غَنِيًّا وَبَعْضَهُمْ فَقِيرًا ﴿٣٢﴾ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ ﴿٣٢﴾ بِالْغَنِيِّ
﴿٣٢﴾ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمُ الْغَنِيِّ ﴿٣٢﴾ بَعْضًا ﴿٣٢﴾ سُخْرِيًّا ﴿٣٢﴾
مُسَخَّرًا فِي الْعَمَلِ لَهُ بِالْأَجْرِ، وَالْيَاغِ لِلنَّسَبِ، وَقُرَى ﴿٣٢﴾ بِكَسْرِ السَّيْنِ ﴿٣٢﴾ وَرَحْمَتِ
رَبِّكَ ﴿٣٢﴾ أَي: الْجَنَّةِ ﴿٣٢﴾ حَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ فِي الدُّنْيَا.

[٣٣] ﴿وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴿٣٣﴾ عَلَى الْكُفْرِ ﴿٣٣﴾ لَجَعَلْنَا لِمَنْ

وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرِيْبٍ مِّنْ نَّذِيْرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا ﴿٢٣﴾
إِنَّا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا عَلَىٰ آثَرٍ مُّمْتَدُونَ ﴿٢٣﴾
﴿٢٣﴾ قُلْ أُولَٰئِكَ سُبْحَانَ إِلَٰهِكُمْ عَنِ ءَابَاءِكُمْ
قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كُفْرُونَ ﴿٢٤﴾
﴿٢٤﴾ كَيْفَ كَانَ عَقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ
إِنِّي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾
﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ بَلْ
مَتَّعْتُ هَهُؤُلَاءَ وَءَابَاءَهُمْ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾
﴿٢٩﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كُفْرُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالُوا
لَوْلَا نَزَّلَ هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرِيْبِينَ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهْرَ
يُقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّيْسَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ
بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ وَلَوْلَا
أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ
لِيُؤْتِيَهُمْ سُقْفًا مِّنْ فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾

يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِيُؤْتِيَهُمْ ﴿٣٣﴾ بَدَلٌ مِنَ الْمَنْ ﴿٣٣﴾ ﴿سُقْفًا﴾ ﴿٣٣﴾ بَفَتْحِ السَّيْنِ وَسُكُونِ
الْقَافِ، وَبِضْمِهَا ﴿٣٣﴾؛ جَمْعًا ﴿٣٣﴾ مِّنْ فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ ﴿٣٣﴾ كَالدَّرَجِ مِّنْ فَضَّةٍ
﴿٣٣﴾ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ يَعْلُونَ إِلَى السُّطْحِ.

(١) وهي قراءة السبعة عدا حفص وابن عامر، وقرأ بقية السبعة: ﴿قال﴾.

(٢) المراد بقوله: ﴿وجعلنا﴾ يحمل أن يكون الله ﷻ، ويحتمل أن يكون إبراهيم - عليه السلام -؛ قولان للمفسرين، ويدل على الثاني قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا يَحْيَىٰ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَيَتَّقُوا﴾ الآية.

(٣) الضافات: ٩٩. وقوله: ﴿المفهومه من قوله: ﴿إني ذاهبٌ إلى ربِّي سببدين﴾ لعله سبق قلم، والصواب أن يقول: المفهومه من قوله: ﴿إني براءٌ مما تعبدون إلا الذي فطرني﴾.

(٤) أي: شذوذاً.

(٥) الجنة من آثار رحمة الله ﷻ وليست هي نفسها.

(٦) بالأفراد؛ بفتح السين وسكون القاف، قراءة ابن كثير وأبي عمرو، وقرأ بقية السبعة بضمها.

[٣٦] ﴿رَمَن يَعْشُ﴾ يعرض ﴿عَن ذِكْرِ الرَّحْمٰنِ﴾ أي: القرآن ﴿نَقِيضٌ﴾ نسب ﴿لَهُمْ شَيْطٰنًا فَهُوَ لَهُمْ قَرِيْنٌ﴾ لا يفارقه.

[٣٧] ﴿وَأَنَّهُمْ﴾ أي: الشياطين ﴿كَصٰدُوْنَهُمْ﴾ أي: العاشين ﴿عَنِ السَّبِيْلِ﴾ أي: طريق الهدى ﴿وَيَحْسَبُوْنَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُوْنَ﴾ في الجمع رعاية معنى «من».

[٣٨] ﴿حَقَّٰٓ إِذَا جَاءَنَا﴾ ﴿٢٦﴾ العاشي بقرينه يوم القيامة ﴿قَالَ لَهُ﴾: ﴿يٰٓأَيُّهَا النَّبِيَّهٖ﴾ لئيبه ﴿لَوِيتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ﴾ أي: مثل بعد ما بين المشرق والمغرب ﴿فَيَتَسَّ الْقَرِيْنَ﴾ أنت لي.

[٣٩] قال - تعالى -: ﴿وَلٰكِن يَفْعَلُكُمْ﴾ أي: العاشين، تَمَكِّيْكُمْ وَتَدْمِكُكُمْ ﴿الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ﴾ أي: تبين لكم ظلمكم بالإشراك في الدنيا ﴿أَنفُسَكُمْ﴾ مع قرنائكم ﴿فِي الْعَذَابِ مُشْرِكُوْنَ﴾ علة بتقدير اللام؛ لعدم النفع، و«إذ» بدل من «اليوم».

[٤٠] ﴿أَفَأَن تَسْمِعُ الصَّدَّ أَوْ تَهْدِي السَّمْعَ وَمَن كَانَتْ فِي ضَلٰلٍ مُّبِيْنٍ﴾ أي: فهم لا يؤمنون.

[٤١] ﴿فِيْمَا﴾ فيه إدغام نون «إن» الشرطية في «ما» الزائدة ﴿تَدَّهَبْنَ بِكَ﴾ بأن تبتك قبل تعديهم ﴿فِيْمَا مَتَّهَمٌ مُنْتَفِمُوْنَ﴾ في الآخرة.

[٤٢] ﴿أَوْ رَتْبِكَ﴾ في حياتك ﴿الَّذِي وَعَدْتَهُمْ﴾ به من العذاب ﴿فِيْمَا عَلَّمْتَهُمْ﴾ على عذابهم ﴿مُقْتَدِرُوْنَ﴾ قادرون.

[٤٣] ﴿فَاسْتَسِيْكَ بِالَّذِي أَوْحَىٰ إِلَيْكَ﴾ أي: القرآن ﴿إِنَّكَ عَلٰٓ صِرَاطٍ طَرِيْقٍ مُّسْتَقِيْمٍ﴾.

[٤٤] ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لِّشَرَفٍ لِّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ لنزوله بلغتهم ﴿وَسَوْفَ تَسْتَلُوْنَ﴾ عن القيام بحقه.

[٤٥] ﴿وَسَلِّ مَن أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجْعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمٰنِ﴾ أي: غيره ﴿ءَالِهَةً يُعْبَدُوْنَ﴾ قيل: هو على ظاهره، بأن جمع له الرسل ليلة الإسراء، وقيل: المراد أمم من أي أهل الكتابين، ولم يسأل على واحد من القولين؛ لأن المراد من الأمر بالسؤال: التقرير لمشركي قريش، أنه لم يأت رسول من الله، ولا كتاب عبادة غير الله.

[٤٦] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيٰتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَٓئِهِۦ﴾ أي: القبط ﴿فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعٰلَمِيْنَ﴾.

[٤٧] ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيٰتِنَا﴾ الدالة على رسالته ﴿إِذَا هُمْ بِهَا يَضْحَكُوْنَ﴾.

وَالْيَوْمِيَّتِهِمْ أَنْبِيَا وَسُررَاعِيَّتَيْهَا يَتَكَوْنُ ﴿٣٦﴾ وَرُحْرُقًا وَأَوَانٌ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَنَعَ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِيْنَ ﴿٣٧﴾ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمٰنِ نَقِيضٌ لَهُ شَيْطٰنًا فَهُوَ لَهُ قَرِيْنٌ ﴿٣٨﴾ وَأَنَّهُمْ لَيَصَدُّوْنَ عَنْ السَّبِيْلِ وَيَحْسَبُوْنَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُوْنَ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَلِيَّتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَيَتَسَّ الْقَرِيْنَ ﴿٤٠﴾ وَلٰكِن يَفْعَلُكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْرِكُوْنَ ﴿٤١﴾ أَفَأَن تَسْمِعُ الصَّدَّ أَوْ تَهْدِي السَّمْعَ وَمَن كَانَتْ فِي ضَلٰلٍ مُّبِيْنٍ ﴿٤٢﴾ فَيَمَّا تَدَّهَبْنَ بِكَ فَيَمَّا مَتَّهَمٌ مُنْتَفِمُوْنَ ﴿٤٣﴾ أَوْ رَتْبِكَ الَّذِي وَعَدْتَهُمْ فَيَمَّا عَلَّمْتَهُمْ مُقْتَدِرُوْنَ ﴿٤٤﴾ فَاسْتَسِيْكَ بِالَّذِي أَوْحَىٰ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلٰٓ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيْمٍ ﴿٤٥﴾ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لِّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تَسْتَلُوْنَ ﴿٤٦﴾ وَسَلِّ مَن أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجْعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُوْنَ ﴿٤٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيٰتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَٓئِهِۦ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعٰلَمِيْنَ ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيٰتِنَا إِذَا هُمْ بِهَا يَضْحَكُوْنَ ﴿٤٩﴾

[٣٤] ﴿وَالْيَوْمِيَّتِهِمْ أَنْبِيَا﴾ من فضة ﴿و﴾ جعلنا لهم ﴿سُررًا﴾ من فضة، جمع سرير ﴿عَلَيْهَا يَتَكَوْنُ﴾.

[٣٥] ﴿وَرُحْرُقًا﴾ ذهبًا، المعنى: لولا خوف الكفر على المؤمن من إعطاء الكافر ما ذكر لأعطيانه ذلك؛ لقلّة خطر الدنيا عندنا، وعدم حظه في الآخرة في النعيم ﴿وَأَن﴾ مخففة من التثنية ﴿كُلُّ ذَلِكَ﴾ لـ﴿لَمَّا﴾ بالتخفيف، فـ﴿ما﴾ زائدة، وبالتشديد (١) بمعنى «إلا فـ﴿إن﴾ نافية ﴿مَنَعَ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا﴾ يتمتع به فيها ثم يزول ﴿وَالْآخِرَةَ﴾ الجنة ﴿عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِيْنَ﴾.

(١) بالتخفيف قراءة السبعة عدا عاصم وحزمة، وهشام بخلاف عنه.

(٢) وهي قراءة نافع وابن كثير وابن عامر وشعبة، وقرأ بقية السبعة: ﴿جاءنا﴾.

﴿٤٨﴾ وَمَا تُرِيدُهُمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالُوا يَا هَذَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يَمَّا عَاهَدَ عِنْدَكَ إِنَّا لَمُهْتَدُونَ ﴿٥٠﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْتَكِبُونَ ﴿٥١﴾ وَنَادَى فِرْعَوْنُ أَفْخَارًا ﴿٥٢﴾ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥٣﴾ فَلَوْلَا أَلْقَى عَلَيْهِ آسُورَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَأِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٤﴾ فَاسْتَحَفَّ قَوْمَهُ وَفَاطَا عُوهُ إِتْمَانًا مِّنْهُمْ فَأَعْرِفْتَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَافًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوا يَا أَلِهُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُوَ قَوْمٌ خَصِيمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ ﴿٦٠﴾

خَصِيمُونَ^(٥٨) شديداً الخصومة.

[٥٩] ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هُوَ﴾ عيسى ﴿إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾ بالنبوة ﴿وَجَعَلْنَاهُ﴾ بوجوده من غير أب ﴿مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أي: كالمثل لغرابته يستدل به على قدرة الله - تعالى - على ما يشاء.

[٦٠] ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ﴾ بذلك ﴿مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ﴾ بأن نهلككم.

[٤٨] ﴿وَمَا تُرِيدُهُمْ مِنْ آيَةٍ﴾ من آيات العذاب؛ كالطوفان وهو ماء دخل بيوتهم، ووصل إلى حلوق الجالسين، سبعة أيام، والجراد ﴿إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾ قرينتها التي قبلها ﴿وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عن الكفر. [٤٩] ﴿وَقَالُوا﴾ لموسى لما رأوا العذاب: ﴿يَا هَذَا السَّاحِرُ﴾ أي: العالم الكامل؛ لأن السحر عندهم علم عظيم ﴿ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يَمَّا عَاهَدَ عِنْدَكَ﴾ من كشف العذاب عنا إن آمنا ﴿إِنَّا لَمُهْتَدُونَ﴾ أي: مؤمنون.

[٥٠] ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا﴾ بدعاء موسى ﴿عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْتَكِبُونَ﴾ ينقضون عهدهم، ويصرون على كفرهم.

[٥١] ﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ﴾ افتخاراً ﴿فِي قَوْمِهِ﴾ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ من النيل ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِي﴾ أي: تحت قصوري ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ عظمتي؟.

[٥٢] ﴿أَمْ﴾ تبصرون، وحينئذ ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا﴾ أي: موسى ﴿الَّذِي هُوَ مِهِينٌ﴾ ضعيف حقير ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ يُظْهِرُ كَلَامَهُ لِلنَّغْتَةِ بِالْحِمْرَةِ الَّتِي تَنَاوَلَهَا فِي صَغَرِهِ^(١).

[٥٣] ﴿فَلَوْلَا﴾ هَلَّا ﴿أَلْقَى عَلَيْهِ﴾ إِنْ كَانَ صَادِقًا ﴿[أَسَاوِرَةٌ] مِّنْ ذَهَبٍ﴾ جمع أسورة^(٢) كـ «أَغْرِبَةٌ» جمع سوار، كعادتهم فيمن يسودونه، أَنْ يَلْبَسُوهُ آسُورَةً ذَهَبَ، وَيَطُوقُوهُ طَوْقَ ذَهَبٍ ﴿أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَأِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾ متتابعين يشهدون بصدقه.

[٥٤] ﴿فَاسْتَحَفَّ﴾ استغفر فرعون ﴿قَوْمَهُ فَاطَا عُوهُ﴾ فيما يريد من تكذيب موسى ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَيْقِينُ﴾.

[٥٥] ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا﴾ أغضبونا ﴿أَنْقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَعْرِفْتَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

[٥٦] ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَافًا﴾ جمع سالف كخادم وخدم؛ أي: سابقين عبرة ﴿وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ﴾ بعدهم، يمثّلون بحالهم، فلا يُقَدِّمُونَ عَلَى مِثْلِ أَعْمَالِهِمْ.

[٥٧] ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ﴾ جُعِلَ ﴿ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا﴾ حين نزل قوله - تعالى -: ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْكُمْ مِّنْ قَوْمٍ يُنْفِكُونَ﴾؛ لأنّه عُيِدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴿إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ﴾ أي: المشركون ﴿يَصِدُّونَ﴾ يضحكون فرحاً بما سمعوا^(٣).

[٥٨] ﴿وَقَالُوا يَا أَلِهُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ﴾ أي: عيسى، فرضي أن تكون ألهتنا معه ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ﴾ أي: المثل ﴿إِلَّا جَدَلًا﴾ خصومة بالباطل، لعلهم أن «ما» لغير العاقل، فلا يتناول عيسى ﷺ ﴿بَلْ هُوَ قَوْمٌ

(٥٨) ما جاء في نزول الآية (٥٧): أخرج أحمد عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال لقرشي: «يا معشر قرشي، إنه ليس أحد بعد من دون الله فيه خير»، وقد علمت قرشي أن النصارى تعبد عيسى ابن مريم، وما تقول في محمد، فقالوا: يا محمد، أنت تزعم أن عيسى كان نبياً وعبداً من عباد الله صالحاً؟ فلئن كنت صادقاً؛ فإن ألهتهم لكما تقولون. قال: فأقول الله ﷻ: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾. أحمد - المسند (١ - ٣١٨)، وحسن الأرنؤوط إسناده في تخريجه على المسند (٨٦/٥، ٨٧).

(٥٩) فائدة: أخرج الترمذي عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل» ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُوَ قَوْمٌ خَصِيمُونَ﴾ الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٤٤) ومن سورة الزخرف. وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٥٩٣).

(١) سبق بيان ذلك في تفسير سورة «طه» آية (٢٧).

(٢) أي: جمع الجمع، وهي قراءة السبعة عدا حفص، وقرأ حفص: ﴿أَسَاوِرَةٌ﴾.

(٣) الأنبياء: ٩٨.

عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٣﴾ يبين العداوة.

[٦٣] ﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالمعجزات والشرائع ﴿قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ﴾ بالنبوة وشرائع الإنجيل ﴿وَلَا يُبَيِّنُ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ من أحكام التوراة، من أمر الدين وغيره، فيبين لهم أمر الدين ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾.

[٦٤] ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ طَرِيقٌ مُسْتَقِيمٌ﴾.

[٦٥] ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ﴾ في عيسى؛ أهو الله، أو ابن الله، أو ثالث ثلاثة؟ ﴿فَوَيْلٌ﴾ كلمة عذاب ﴿لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ كفروا بما قالوه في عيسى ﴿مِنْ عَذَابٍ يَوْمَ أَلِيمٍ﴾ مؤلم.

[٦٦] ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ أي: كفار مكة؛ أي: ما ينتظرون ﴿إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ﴾ بدل من الساعة ﴿بَغْتَةً﴾ فجأة ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بوقت مجيئها قبله.

[٦٧] ﴿الْأَخْلَاقَ﴾ على المعصية في الدنيا ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يوم القيامة، متعلق بقوله: ﴿بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ المتحابين في الله على طاعته، فإنهم أصدقاء.

[٦٨] ويقال لهم: ﴿يَتَّبِعُوا لَا خَوْفَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾.

[٦٩] ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ نعت لعبادي ﴿وَيَايُنُسَا﴾ القرآن ﴿وَكَاوُوا مُسْلِمِينَ﴾.

[٧٠] ﴿أَدْخَلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ﴾ مبتدأ ﴿وَأَزْوَاجِكُمْ﴾ زوجاتكم ﴿تُحْبَبُونَ﴾ تسرون وتكرمون، خير المبتدأ.

[٧١] ﴿يَطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ﴾ بقصاع ﴿مِنْ ذَهَبٍ وَكَوَابٍ﴾ جمع كوب؛ وهو: إناء لا عروة له، ليشرَب الشارب من حيث شاء ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ تَلذُّذًا﴾ وتلذذ الأعراب ﴿نظرا﴾ وأنتشر فيها خلادوت.

[٧٢] ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٥).

[٧٣] ﴿لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا﴾ أي: بعضها ﴿تَأْكُلُونَ﴾ وكل ما يؤكل يخلف بدله.

وَأِنَّهُ وَلِعَلُّ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونْ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ وَلَا يَصُدُّكُمْ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٥﴾ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلَا يُبَيِّنُ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿٦٦﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦٧﴾ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابٍ يَوْمَ أَلِيمٍ ﴿٦٨﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾ الْأَخْلَاقَ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿٧٠﴾ يَلْعَابِدِ لِأَخْوَفَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٧١﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَا بَنَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ أَدْخَلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَبُونَ ﴿٧٣﴾ يَطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَكَوَابٍ فِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا تَخْلُدُونَ ﴿٧٤﴾ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٥﴾ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٦﴾

[٦١] ﴿وَأَيُّهُ﴾ أي: عيسى ﴿لِعَلَّمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ تعلم بنزوله ﴿فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾ أي: تشكرك فيها، حذف منه نون الرفع للجرم، وواو الضمير لالتقاء الساكنين ﴿و﴾ قل لهم: ﴿أَتُؤْمِنُونَ﴾ على التوحيد ﴿هَذَا﴾ الذي أمركم به ﴿صِرَاطٌ﴾ طريق ﴿مُسْتَقِيمٌ﴾.

[٦٢] ﴿وَلَا يَصُدُّكُمْ﴾ يصرفكم عن دين الله ﴿الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ

(٥) فائدة: أخرج الترمذي عن أبي سعيد وأبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «ينادي مناد: إن لكم أن تحبوا فلا تموتوا أبداً، وإن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً، وإن لكم أن تتعموا فلا تبأسوا أبداً، فذلك قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾». الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٤١) سورة الزمر. وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٥٨٨).

[٧٤] ﴿إِنَّ الْمَجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾.

[٧٥] ﴿لَا يُغْتَرَّ بِمَغْرَرٍ يُخَفِّفُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ ساكنون سكوت يأس.

[٧٦] ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾.

[٧٧] ﴿وَنَادُوا بِبَنِيكَ﴾ هو خازن النار ﴿لِيَقْضِيَ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ ليمتنا ﴿قَالَ﴾ بعد ألف سنة^(١): ﴿إِنَّكُمْ تَكْفُرُونَ﴾ مقبوضون في العذاب دائما.

[٧٨] قال - تعالى -: ﴿لَقَدْ جِئْتَكُمْ﴾ أي: أهل مكة ﴿بِالْحَقِّ﴾ على لسان الرسول ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرْتُمْ الْبَحْثَ كَرِهْتُمْ﴾.

[٧٩] ﴿أَمْ أَنْتُمْ مُؤْمِنُونَ﴾ أي: كفار مكة، أحمكو ﴿أَمْ أَمْرًا﴾ في كيد محمد النبي ﴿فَإِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ محكمون كيدنا في إهلاكهم.

[٨٠] ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ رِئَاسَهُمْ وَنَجْمُهُمْ﴾ ما يسرون إلى غيرهم وما يجهرون به بينهم ﴿بَلْ كَلَّمَكُم بِأَلْسِنَةٍ حَقِيصَةٍ﴾ الحفظة ﴿لَدَيْهِمْ﴾ عندهم ﴿يَكْتُمُونَ﴾ ذلك.

[٨١] ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وِلْدٌ﴾ فرضا ﴿فَأَبْنَا أُولَ الْعَالَمِينَ﴾ للولد، لكن ثبت أن لا ولد له - تعالى - فانتفت عبادته.

[٨٢] ﴿سَبَّحَنَ رَبِّيَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّيَ الْعَرْشِ﴾ الكرسي^(٢) ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ يقولون من الكذب بنسبة الولد إليه.

[٨٣] ﴿فَذَرَهُمْ يَبْجُضُوا﴾ في باطلهم ﴿وَيَلْعَبُوا﴾ في دنياهم ﴿حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ فيه العذاب، وهو يوم القيامة.

[٨٤] ﴿وَهُوَ الَّذِي﴾ هو ﴿فِي السَّمَاءِ إِلَهُ﴾ بتحقيق الهمزتين، وإسقاط الأولى وتسهيلها كالباء^(٣)؛ أي: معبود ﴿وَفِي الْأَرْضِ إِلَهُ﴾ وكل من الظرفين متعلق بما بعده ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾ في تدبير خلقه ﴿الْعَلِيمُ﴾ بمصالحهم.[٨٥] ﴿وَتَبَارَكَ﴾ تعظم ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ متى تقوم ﴿وَالَّذِي يُرْجِعُونَ﴾ بالياء والتاء^(٤).

[٨٦] ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ يعبدون؛ أي: الكفار ﴿وَمِن دُونِهِ﴾ أي: من دون الله ﴿الشَّفَعَةَ﴾ لأحد ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ﴾ أي: قال: لا إله إلا الله ﴿وَهُمْ يَعْمَلُونَ﴾ بقلوبهم ما شهدوا به بألسنتهم، وهم عيسى وعزير والملائكة، فإنهم يشفعون للمؤمنين.

[٨٧] ﴿وَالَّذِينَ لَا مَقْصِدَ لَهُمْ إِلَّا سَعْيٌ مَبْرُورٌ﴾ حذف منه نون الرفع وواو الضمير^(٥) ﴿فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ يصرفون عن عبادة الله؟

إِنَّ الْمَجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُغْتَرَّ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾

فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٦﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴿٧٧﴾

وَنَادُوا بِبَنِيكَ لِيَقْضِيَ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَكْفُورُونَ ﴿٧٨﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنْ أَكْثَرْتُمُ الْبَحْثَ كَرِهْتُمْ ﴿٧٩﴾ أَمْ أَنْتُمْ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٠﴾

أَمْ أَحْمَكُمُ أَمْ أَمْرًا ﴿٨١﴾ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وِلْدٌ لَّأَنَّا أَوْلَى الْأَرْضِ بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَكَ مِنَ الْأُمَمِ لَدَيْهِمْ يَكْتُمُونَ ﴿٨٢﴾

سَبَّحَنَ رَبِّيَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّيَ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٣﴾ فَذَرَهُمْ يَبْجُضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٨٤﴾

وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٨٥﴾ وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٦﴾

وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَكَ مِنَ الْأُمَمِ لَدَيْهِمْ يَكْتُمُونَ ﴿٨٧﴾ أَمْ أَنْتُمْ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ أَمْ أَحْمَكُمُ أَمْ أَمْرًا ﴿٨٩﴾ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وِلْدٌ لَّأَنَّا أَوْلَى الْأَرْضِ بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَكَ مِنَ الْأُمَمِ لَدَيْهِمْ يَكْتُمُونَ ﴿٩٠﴾

سَبَّحَنَ رَبِّيَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّيَ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٣﴾ فَذَرَهُمْ يَبْجُضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٨٤﴾

وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٨٥﴾ وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٦﴾

وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَكَ مِنَ الْأُمَمِ لَدَيْهِمْ يَكْتُمُونَ ﴿٨٧﴾ أَمْ أَنْتُمْ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ أَمْ أَحْمَكُمُ أَمْ أَمْرًا ﴿٨٩﴾ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وِلْدٌ لَّأَنَّا أَوْلَى الْأَرْضِ بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَكَ مِنَ الْأُمَمِ لَدَيْهِمْ يَكْتُمُونَ ﴿٩٠﴾

سَبَّحَنَ رَبِّيَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّيَ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٣﴾ فَذَرَهُمْ يَبْجُضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٨٤﴾

وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٨٥﴾ وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٦﴾

وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَكَ مِنَ الْأُمَمِ لَدَيْهِمْ يَكْتُمُونَ ﴿٨٧﴾ أَمْ أَنْتُمْ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ أَمْ أَحْمَكُمُ أَمْ أَمْرًا ﴿٨٩﴾ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وِلْدٌ لَّأَنَّا أَوْلَى الْأَرْضِ بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَكَ مِنَ الْأُمَمِ لَدَيْهِمْ يَكْتُمُونَ ﴿٩٠﴾

سَبَّحَنَ رَبِّيَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّيَ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٣﴾ فَذَرَهُمْ يَبْجُضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٨٤﴾

وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٨٥﴾ وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٦﴾

وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَكَ مِنَ الْأُمَمِ لَدَيْهِمْ يَكْتُمُونَ ﴿٨٧﴾ أَمْ أَنْتُمْ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ أَمْ أَحْمَكُمُ أَمْ أَمْرًا ﴿٨٩﴾ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وِلْدٌ لَّأَنَّا أَوْلَى الْأَرْضِ بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَكَ مِنَ الْأُمَمِ لَدَيْهِمْ يَكْتُمُونَ ﴿٩٠﴾

سَبَّحَنَ رَبِّيَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّيَ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٣﴾ فَذَرَهُمْ يَبْجُضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٨٤﴾

وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٨٥﴾ وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٦﴾

وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَكَ مِنَ الْأُمَمِ لَدَيْهِمْ يَكْتُمُونَ ﴿٨٧﴾ أَمْ أَنْتُمْ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ أَمْ أَحْمَكُمُ أَمْ أَمْرًا ﴿٨٩﴾ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وِلْدٌ لَّأَنَّا أَوْلَى الْأَرْضِ بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَكَ مِنَ الْأُمَمِ لَدَيْهِمْ يَكْتُمُونَ ﴿٩٠﴾

سَبَّحَنَ رَبِّيَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّيَ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٣﴾ فَذَرَهُمْ يَبْجُضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٨٤﴾

وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٨٥﴾ وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٦﴾

وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَكَ مِنَ الْأُمَمِ لَدَيْهِمْ يَكْتُمُونَ ﴿٨٧﴾ أَمْ أَنْتُمْ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ أَمْ أَحْمَكُمُ أَمْ أَمْرًا ﴿٨٩﴾ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وِلْدٌ لَّأَنَّا أَوْلَى الْأَرْضِ بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَكَ مِنَ الْأُمَمِ لَدَيْهِمْ يَكْتُمُونَ ﴿٩٠﴾

سَبَّحَنَ رَبِّيَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّيَ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٣﴾ فَذَرَهُمْ يَبْجُضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٨٤﴾

وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٨٥﴾ وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٦﴾

وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَكَ مِنَ الْأُمَمِ لَدَيْهِمْ يَكْتُمُونَ ﴿٨٧﴾ أَمْ أَنْتُمْ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ أَمْ أَحْمَكُمُ أَمْ أَمْرًا ﴿٨٩﴾ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وِلْدٌ لَّأَنَّا أَوْلَى الْأَرْضِ بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَكَ مِنَ الْأُمَمِ لَدَيْهِمْ يَكْتُمُونَ ﴿٩٠﴾

سَبَّحَنَ رَبِّيَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّيَ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٣﴾ فَذَرَهُمْ يَبْجُضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٨٤﴾

وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٨٥﴾ وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٦﴾

وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَكَ مِنَ الْأُمَمِ لَدَيْهِمْ يَكْتُمُونَ ﴿٨٧﴾ أَمْ أَنْتُمْ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ أَمْ أَحْمَكُمُ أَمْ أَمْرًا ﴿٨٩﴾ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وِلْدٌ لَّأَنَّا أَوْلَى الْأَرْضِ بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَكَ مِنَ الْأُمَمِ لَدَيْهِمْ يَكْتُمُونَ ﴿٩٠﴾

(١) وهذا مروى عن ابن عباس كما عند الحاكم وغيره وصححه، ولا حجة فيه لأنه إن صح عنه فقد خالفه غيره من الصحابة، وهو عبد الله بن عمرو، فروى عنه أنه - تعالى - يجيهم بعد أربعين سنة وكلاهما - رضي الله عنهما - معروف بالتحديث عن بني إسرائيل؛ فالأولى ترك ذلك.

(٢) سبق التنبيه على أن العرش غير الكرسي، وأنه أعظم منه، وبدل على ذلك قوله ﷺ في الحديث الصحيح: «ما الكرسي في العرش إلا كحلقفة ملقاة في فلاة» الصحيحة (١٠٩).

(٣) سهل الأولى مع المد والقصر قالون والبرزي، وأسقطها مع القصر والمد أبو عمر، وسهل الثانية ورش وقنبل، ولورش وقنبل إبدالها ألفا مع القصر لتحرك ما بعدها، وحققها بقية السبعة.

(٤) بالياء قراءة حمزة والكسائي وابن كثير، وقرا بقية السبعة بالتاء.

(٥) حذف نون الرفع لنوالي التونات، وواو الضمير لالتقاء الساكنين.

(٦) أي: وقال: «قيلته»، وهي قراءة السبعة عدا عاصم وحمزة، وقرا عاصم وحمزة: «وقيلته» بالجر عطفًا على «الساعة» في قوله: «وعنده علم الساعة»؛ أي: ويعلم وقت قيامها، ويعلم وقت تضرعه وقيله.

(٧) بالتاء قراءة نافع وابن عامر، وقرا بقية السبعة بالياء.

سورة الدخان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمِّ ۝ وَالْكِتَابِ الْمُمِينِ ۝ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَّكَةٍ ۝
 إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝ أَمَّا
 مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ
 السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۝
 إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ۝ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ
 وَرَبُّ آبَائِكُمْ الْأُولِيَاءِ ۝ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ۝
 فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ۝ يَغشى النَّاسَ
 هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ رَبَّنَا اكشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ۝
 ۝ أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ ۝ نُمِرُّ
 تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ ۝ إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا
 إِنْ كُنْتُمْ عَابِدُونَ ۝ يَوْمَ نَبِّطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ ۝
 ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ۝
 ۝ أَنْ أَدَّوْا إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ إِي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۝ ۝

سورة الدخان

[مكية، إلا: ﴿إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ﴾ الآية،

وهي: ست، أو سبع، أو: تسع وخمسون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿حَمِّ﴾ الله أعلم بمراده به.

[٢] ﴿وَالْكِتَابِ﴾ القرآن ﴿الْمُبِينِ﴾ المظهر الحلال من الحرام.

[٣] ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَّكَةٍ﴾ هي ليلة القدر، أو ليلة النصف من شعبان^(١)، نزل فيها من أم الكتاب من السماء السابعة إلى سماء الدنيا ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ مخوفين به.

[٤] ﴿فِيهَا يُفْرَقُ﴾ أي: في ليلة القدر، أو ليلة النصف من شعبان^(٢) ﴿يُفْرَقُ﴾ يفصل ﴿كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ محكم، من الأزواق والآجال وغيرهما، التي تكون في السنة إلى مثل تلك الليلة.

[٥] ﴿أَمَّا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ الرسل؛ محمداً ومن قبله.

[٦] ﴿رَحْمَةً﴾ رافة بالمرسل إليهم ﴿وَرَبُّكَ رَبُّكَ﴾ هو السميع لأقوالهم ﴿السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ بأعلمهم.

[٧] ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ برقع «رب» خير ثالث، وبجره^(٣) بدل من «ربك» ﴿إِنْ كُنْتُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿تُوقِنِينَ﴾ بأنه - تعالى - رب السماوات والأرض، فأيقنوا بأن محمداً رسوله.

[٨] ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ رَبُّ آبَائِكُمْ الْأُولِيَاءِ﴾

[٩] ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ﴾ من البعث ﴿يَلْعَبُونَ﴾ استهزاء بك يا محمد، فقال: «اللهم أعني عليهم بسبع كسيع يوسف»^(٤).

[١٠] قال - تعالى -: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾ فأجذبت الأرض، واشتد بهم الجوع، إلى أن رأوا من شدته كهيفة الدخان بين السماء والأرض.

[١١] ﴿يَغشى النَّاسَ﴾ فقالوا: ﴿هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

[١٢] ﴿رَبَّنَا اكشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ مصدقون نبيك.

[١٣] قال - تعالى -: ﴿أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى﴾ أي: لا ينفعهم الإيمان^(٥) عند نزول العذاب ﴿وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ﴾ بين الرسالة.

[١٤] ﴿نُمِرُّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ﴾ أي: يعلمه القرآن بشرٌ ﴿مَجْنُونٌ﴾.

[١٥] ﴿إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ﴾ أي: الجوع عنكم زمناً ﴿قَلِيلًا﴾ فكشف عنهم ﴿إِنْ كُنْتُمْ عَابِدُونَ﴾ إلى كفركم، فعادوا إليه.

[١٦] اذكر ﴿يَوْمَ نَبِّطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى﴾ هو يوم بدر ﴿إِنَّا مُنْتَقِمُونَ﴾ منهم والبطش الأخذ بقوة^(٦).

[١٧] ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا﴾ بلونا ﴿قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ معه ﴿وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ هو موسى الطليل ﴿كَرِيمٌ﴾ على الله - تعالى -.

[١٨] ﴿أَنَّى﴾ أي: بأن ﴿أَدَّوْا إِلَيْكُمْ﴾ ما أدعوكم إليه من الإيمان؛ أي: أظهروا لإيمانكم لي^(٧) يا ﴿عِبَادَ اللَّهِ إِي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ على ما أرسلت به.

(٥) ما جاء في نزول الآيات (١٠ - ١٦): أخرج البخاري عن عبد الله (ابن مسعود) قال: إنما كان هذا لأن قريشاً لما استعصوا على النبي ﷺ دعا عليهم بسنين كسني يوسف، فأصابهم فحط وجهد حتى أكلوا العظام، فجعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيفة الدخان من الجهد، فأنزل الله: ﴿بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾ قال: فأتى رسول الله ﷺ. فقل له: يا رسول الله، استسق الله لضر، فإنها قد هلكت. قال: «لمضر؟ إنك تجريء» فاستسقى فسقوا، فنزلت: ﴿إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ﴾ فلما أصابهم الرفاهية عادوا إلى حالهم حين أصابهم الرفاهية، فأنزل الله: ﴿يَوْمَ نَبِّطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ﴾ قال: يعني يوم بدر. البخاري - كتاب التفسير (٦٥). سورة الدخان (٤٤) باب (٢).

(١) وهذا القول باطل مخالف لصريح القرآن كما قال العلامة أبو بكر بن العربي، والصحيح الذي عليه الجمهور أن الليلة المباركة هي ليلة القدر، وفيها ابتداء نزول القرآن.

(٢) وهذا القول ضعيف مردود كما سبق بيانه.

(٣) بالرفع قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ بقية السبعة بالجر.

(٤) البخاري (٤٨٠٩) ومسلم (٢٧٩٨) عن عبد الله بن مسعود مرفوعاً، واللفظ للبخاري.

(٥) الظاهر أن النفي هو استبعاد وقوع الإيمان منهم عند كشف العذاب أو انتفاعهم بما يحيق بهم من عذاب الدنيا، لأن حصول الإيمان منهم لا ينفعهم.

(٦) الأرجح والمشهور عند المفسرين أن المراد أرسلوا معي بني إسرائيل وأطلقوهم من العذاب، كما جاء في سورة الأعراف والشعراء.

[٤٥] ﴿كَالْمُهْلِ﴾ أي: كدردي الزيت الأسود، خبر ثانٍ ﴿تَغْلِي﴾ في الأبطون، بالفوقانية خبر ثالث، وبالفتحانية^(١) حال من «المهل».

[٤٦] ﴿كَغَلِي الْحَمِيمِ﴾ الماء الشديد الحرارة.

[٤٧] ﴿حُدُوهُ﴾ يقال للزبانية: خذوا الأثيم ﴿فَاعْتَلَوْهُ﴾ بكسر التاء وضمها^(٢)؛ جروه بغلظة وشدة ﴿إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ وسط النار.

[٤٨] ﴿ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ﴾ مِن عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿أَي: من الحميم الذي لا يفارقه العذاب، فهو أبلغ مما في آية: ﴿يَصُبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾^(٣).

[٤٩] ويقال له: ﴿ذُقْ﴾؛ أي: العذاب ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ بزعمك، وقولك: ما بين جليلها أعز وأكرم مني^(٤).

[٥٠] ويقال لهم: ﴿إِنَّ هَذَا الَّذِي ترون من العذاب﴾ ﴿مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ﴾ فيه تشكرون.

[٥١] ﴿إِنَّ الْمُنْفِقِينَ فِي مَقَابِرِ﴾ مجلس ﴿أَمِينٍ﴾ يؤمن فيه الخوف.

[٥٢] ﴿فِي جَنَّاتٍ﴾ بساتين ﴿وَوُجُوهِ﴾.

[٥٣] ﴿يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ أي: ما رُقَّ من الدياج، وما غلظ منه ﴿مُنْفِقِينَ﴾ حال؛ أي: لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض، لدوران الأبروة بهم.

[٥٤] ﴿كَذَلِكَ﴾ يقدر قبله الأمر ﴿وَوَجَّعْنَاهُمْ﴾ من الترويج، أو قرناهم ﴿يَجُورِينَ﴾ بنساء يرض واسعات الأعين حسانها.

[٥٥] ﴿يَدْعُونَ﴾ يطلبون الخدم ﴿فِيهَا﴾ أي: الجنة، أن يأتوا ﴿يَكْفُلُ فَنَكَهَهُ﴾ منها ﴿أَمِينَاتٍ﴾ من انقطاعها، ومضرتها، ومن كل مخوف؛ حال.

[٥٦] ﴿لَا يَدْخُلُونَ فِيهَا الْمَوْتَةَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى﴾ أي: التي في الدنيا بعد حياتهم فيها^(٥)، قال بعضهم: «إلا» بمعنى «بعد» ﴿وَوَقَّعْنَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾.

[٥٧] ﴿فَضْلًا﴾ مصدر بمعنى تفضلاً، منصوب بـ«فضل» مقدراً ﴿وَمِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

[٥٨] ﴿فَلَنَمَّا يَسْرِندُ﴾ سهلنا القرآن ﴿يَلْسَانِكَ﴾ بلغتك، لتفهمه العرب منك ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ يتعظون فيؤمنون، لكنهم لا يؤمنون.

[٥٩] ﴿فَارْتَقِبْ﴾ انتظر هلاكهم ﴿إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ﴾ هلاكك، وهذا قبل نزول الأمر بجهادهم.

إِنَّ يَوْمَ الْقَاصِلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُعْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٤٧﴾ إِنَّ شَجَرَتَ الرَّقُومِ ﴿٤٨﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٤٩﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٥٠﴾ كَغَلِي الْحَمِيمِ ﴿٥١﴾ حُدُوهُ فَأَعْتَلَوْهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٢﴾ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿٥٣﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٥٤﴾ إِنَّ هَذَا الَّذِي ترون مِنْ الْعَذَابِ ﴿٥٥﴾ مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ ﴿٥٦﴾ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ فِي مَقَابِرِ أَمِينٍ ﴿٥٧﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٨﴾ يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٥٩﴾ كَذَلِكَ وَرَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿٦٠﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَلَكَهَاءٍ آمِينٍ ﴿٦١﴾ لَا يَدْخُلُونَ فِيهَا الْمَوْتَةَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَّعْنَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٦٢﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾ فَلَنَمَّا يَسْرِندُ يَلْسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٦٤﴾ فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ ﴿٦٥﴾

سورة النحل

[٤٠] ﴿إِنَّ يَوْمَ الْقَاصِلِ﴾ يوم القيامة، يفصل الله فيه بين العباد ﴿مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ للعذاب الدائم.

[٤١] ﴿يَوْمَ لَا يُعْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى﴾ بقرابة أو صداقة؛ أي: لا يدفع عنه ﴿مِنْ الْعَذَابِ﴾ ولا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿بمعنوع منه، و«يوم» بدل من: «يوم الفصل».

[٤٢] ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ﴾ وهم المؤمنون؛ فإنه يشفع بعضهم لبعض ياذن الله ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ الغالب في انتقامه من الكفار ﴿الرَّحِيمُ﴾ بالمؤمنين.

[٤٣] ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الرَّقُومِ﴾ هي من أخشب الشجر المرتبها، ينبتها الله - تعالى - في الجحيم.

[٤٤] ﴿طَعَامُ الْأَثِيمِ﴾ أبي جهل وأصحابه ذوي الإثم الكبير.

(١) بالناء قراءة السبعة عدا حفص وابن كثير.

(٢) بالضم قراءة نافع وابن كثير وابن عامر.

(٣) الحج: ١٩.

(٤) يشير إلى ما أخرجه الطبري في جامع البيان (٨٠/٢٥) عن قتادة أن الآية نزلت في عدو الله أبي جهل، عندما قال ذلك للنبي ﷺ، وهو ضعيف لإرساله، كما في الاستيعاب (٢٠٢/٣).

(٥) أي: فالاستثناء منقطع، والمعنى لكن الموتة الأولى قد ذاقوها في الدنيا.

سُورَةُ الْجَانِيَةِ

[مكية، إلا: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا﴾ الآية،
وهي: ست، أو: سبع وثلاثون]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
حَمْدٌ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّالْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُتُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ
لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ وَأَخْتَلَفُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَمَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ
مِنْ رَزْقٍ فَأَنجَاهِ الْاَرْضَ بِعَدَمِ مَوْتِهَا وَنَضَرِيفَ الرِّيحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ
يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ
اللَّهِ وَآيَاتِهِ يَتُومِنُونَ ﴿٥﴾ وَبَلِّ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٦﴾ يَسْمَعُ آيَاتِ
اللَّهِ تَتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ بَصُرُ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ
﴿٧﴾ وَإِذْ أَعْلَمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ
مُّهِينٌ ﴿٨﴾ مَن ذَرَأَهُمْ جَهَنَّمَ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا
وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾ هَذَا
هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْحِ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾
* اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفَلَاحُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا
مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي
الْأَرْضِ جَمِيعًا قَدْ آتَيْنَا فِي ذَلِكَ آيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٢﴾

- [١] ﴿حَمْدٌ﴾ الله أعلم بمراده به.
[٢] ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾ القرآن، مبتدأ ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ خبره: ﴿الْعَزِيزِ﴾ في ملكه ﴿الْحَكِيمِ﴾ في صنعه.
[٣] ﴿إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: في خلقهما ﴿لَآيَاتٍ﴾ دالة على قدرة الله ووحديته. تعالى: ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.
[٤] ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ﴾ أي: في خلق كل منكم، من نطفة، ثم علقه، ثم مضغه، إلى أن صار إنساناً ﴿وَفِي﴾ خلق ﴿مَّا يَبُتُّ﴾ يفرق في الأرض ﴿مِن دَابَّةٍ﴾ هي ما يدب على الأرض من الناس وغيرهم ^(١) ﴿آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ بالبعث.
[٥] ﴿تِلْكَ﴾ في ﴿أَخْتَلَفُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ﴾ ذهابهما ومجيئهما ﴿وَمَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رَزْقٍ﴾ مطر؛ لأنه سبب الرزق ﴿فَأَنجَاهِ الْاَرْضَ بِعَدَمِ مَوْتِهَا وَنَضَرِيفَ الرِّيحِ﴾ تغليبها، مرة جنوباً، ومرة شمالاً، وباردة وحارة ﴿آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ الدليل فيؤمنون.
[٦] ﴿تِلْكَ﴾ الآيات المذكورة ﴿آيَاتُ اللَّهِ﴾ حججه الدالة على وحدانيته ﴿تَتْلُوهَا﴾ نقصها ﴿عَلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾ متعلق بـ«اتلوا» ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَدَأَ اللَّهُ﴾ أي: حديثه وهو القرآن ﴿وَمَا يُدْرِيهِ﴾ حججه ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ أي: كفار مكة؛ أي: لا يؤمنون، وفي قراءة ^(٢) بالباء.
[٧] ﴿وَبَلِّ﴾ كلمة عذاب ﴿لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ كثير الإثم.
[٨] ﴿يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ﴾ القرآن ﴿تَتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ بَصُرُ مُسْتَكْبِرًا﴾ على كفره ﴿مُسْتَكْبِرًا﴾ متكبراً عن الإيمان ﴿كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ مؤلم.
[٩] ﴿وَإِذْ أَعْلَمَ مِنْ آيَاتِنَا﴾ أي: القرآن ﴿شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا﴾ ^(٣) ﴿أَي﴾ مَهْزُوًا بها ﴿أُوْلَئِكَ﴾ أي: الأفاكون ﴿لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ ذو إهانة.
[١٠] ﴿مَن ذَرَأَهُمْ جَهَنَّمَ﴾ أي: أمامهم؛ لأنهم ^(٤) في الدنيا ﴿جَهَنَّمَ﴾ ولا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا﴾ من المال والفعال ﴿شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: الأصنام ﴿أَوْلِيَاءَ وَكَمَّ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

- [١١] ﴿هَذَا﴾ أي: القرآن ﴿هُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَابَتُونَ رَبَّهُمْ لَهُمْ عَذَابٌ﴾ حظ ﴿مِن رَّجْحِ أَلِيمٍ﴾ أي: عذاب ﴿أَلِيمٍ﴾ مروع.
[١٢] ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفَلَاحُ﴾ السفن ﴿فِيهِ بِأَمْرِهِ﴾ ياذنه ﴿وَلِتَبْتَغُوا﴾ تطلبوا بالتجارة ﴿مِن فَضْلِهِ﴾ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿.
[١٣] ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ﴾ من شمس وقمر ونجوم وماء وغيره ﴿وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ من دابة وشجر ونبات وأنهار وغيرها؛ أي: خلق ذلك لمنافعكم ﴿جَمِيعًا﴾ تأكيد ﴿مِنَهُ﴾ حال؛ أي: سخرها كائنة منه - تعالى - ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيها فيؤمنون.

(١) هذه الآية كقولها: تعالى: ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ فلا يقتصر على كون بث الدواب في الأرض. راجع التعليق على الآية (٢٩) في سورة الشورى.

(٢) لخمرة والكسائي وابن عامر وشعبة.

(٣) بضم الزاي وبالهمز، وهي قراءة السبعة عدا حمزة وحفص، وقراء حمزة: ﴿هُزُوًا﴾ بالهمز مع سكون الزاي، وقراء حفص: ﴿هُزُوًا﴾ بضم الزاي وإبدال الهمزة واوًا. كما تقدم في الأنبياء، آية

(٣٦).

(٤) في نسخة القاضي زيادة: «الآن» في هذا الموضع.

﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَصْلَهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِهٖ وَقَلْبِهِهٖ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِهٖ عَشْرَ غَشِيَةٍ ۖ فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٢٣﴾ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْدِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذْ اتَّسَقْنَا

عَلَيْهِمْ عَائِلَاتِنَا بَيْنَكَ مَا كَانُوا حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتَّبَعْنَا آبَاءَنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُ يُجِيبُكُمْ فَرِيضَاتِكُمْ فَرِحْتُمْ بِهَا وَيَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفِخُ الْمُبْتَطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَرَبِّي كُلِّ أُمَّةٍ جَانِيَةٌ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُحْجَرُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَذَا كِتَابُنَا يُنطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا الذُّرِّيَّةُ عَامِنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيَدْخُلُهُمْ رُحْمَتِي فِي رَحْمَتِي ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ عَائِلَتِي تُسَلِّ عَلَىٰ عِبَادِكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذْ أَقْبَلُ إِلَيْنِ وَعَدَّ اللَّهُ حَقِّي وَالسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَنْ نَحْنُ بِمُسْتَقْبِقِينَ ﴿٣٢﴾

﴿٣٢﴾ ﴿وَإِذْ قِيلَ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَافِرُ: ﴿٣٢﴾ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ بِالْبَيْعِ ﴿٣٢﴾ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ بِالرَّفْعِ وَالنَّصْبِ ﴿٣٢﴾ لَا رَيْبَ فِي شَيْءٍ ﴿٣٢﴾ وَإِنَّا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا ﴿٣٢﴾ قَالَ الْمُرِيدُ: أَصْلُهُ: إِنْ نَحْنُ إِلَّا نَظْنُ ظَنًّا ﴿٣٢﴾ وَمَنْ نَحْنُ بِمُسْتَقْبِقِينَ ﴿٣٢﴾ أَنَّهُ آتِيَةٌ.

﴿٢٣﴾ ﴿أَفَرَأَيْتَ﴾ أَخْبِرْنِي ﴿مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ مَا يَهْوَاهُ مِنْ حَجَرٍ بَعْدَ حَجَرٍ يَرَاهُ أَحْسَنَ ﴿وَأَصْلَهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ مِنْهُ - تَعَالَى ٤: أَيْ: عَلِمًا بِأَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الضَّلَالَةِ قَبْلَ حَلْفِهِ ﴿وَوَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِهٖ وَقَلْبِهِهٖ﴾ فَلَمْ يَسْمَعْ الْهَدَىٰ وَلَمْ يَعْطَلْهُ ﴿وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِهٖ عَشْرَ غَشِيَةٍ﴾ ظُلْمَةً، فَلَمْ يَبْصُرِ الْهَدَىٰ، وَيَقْدَرُ هُنَا الْمَفْعُولُ الثَّانِي لِدِرَأَيْتَ: ﴿أَيُّهْتَدِي؟﴾ ﴿فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ﴾ أَيْ: بَعْدَ إِضْلَالِهِ إِيَّاهُ؛ أَيْ: لَا يَهْتَدِي ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ تَتَعَطَّوْنَ؟ فِيهِ إِدْغَامٌ إِحْدَى النَّائِنِ فِي الذَّالِ (١).

﴿٢٤﴾ ﴿وَقَالُوا﴾ أَيْ: مَنَكُرُوا الْبَيْعَ: ﴿مَا هِيَ﴾ أَيْ: الْحَيَاةُ ﴿إِلَّا حَيَاتُنَا﴾ الَّتِي فِي ﴿الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ أَيْ: يَمُوتُ بَعْضٌ، وَيَحْيَا بَعْضٌ بِأَنْ يُولَدُوا ﴿وَمَا يُهْدِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ أَيْ: مَرُورُ الزَّمَانِ، قَالَ - تَعَالَى -: ﴿وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ﴾ الْقَوْلُ ﴿مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾.

﴿٢٥﴾ ﴿وَإِذْ اتَّسَقْنَا عَلَيْهِمْ﴾ عَائِلَاتُنَا مِنْ الْقُرْآنِ الدَّالَّةُ عَلَىٰ قُدْرَتِنَا عَلَى الْبَيْعِ ﴿بَيْنَكَ﴾ وَاضْحَابِ؛ حَالٌ ﴿مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتَّبَعْنَا آبَاءَنَا﴾ أَحْيَاءٌ ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أَنَا بُعْتُ.

﴿٢٦﴾ ﴿قُلِ اللَّهُ يُجِيبُكُمْ﴾ حِينَ كُنْتُمْ نَاطِقًا ﴿فَرِيضَاتِكُمْ﴾ بِمَعْنَى أَحْيَاءٍ ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ شَكٌّ ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ﴾ وَهْمُ الْقَائِلُونَ مَا ذَكَرَ ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿٢٧﴾ ﴿وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾ يُبَدِّلُ مِنْهُ: ﴿يَوْمَ يُنْفِخُ الْمُبْتَطِلُونَ﴾ الْكَافِرُونَ؛ أَيْ: يَظْهَرُ خَسْرَانُهُمْ، بِأَنْ يَصِيرُوا إِلَى النَّارِ.

﴿٢٨﴾ ﴿وَرَبِّي كُلِّ أُمَّةٍ﴾ أَيْ: أَهْلُ دِينٍ ﴿عَائِلَةٌ﴾ عَلَى الرَّكْبِ، أَوْ: مَجْتَمِعَةٌ ﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا﴾ كِتَابُ أَعْمَالِهَا، وَيُقَالُ لَهُمْ: ﴿الْيَوْمَ تُحْجَرُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أَيْ: جَزَاءَهُ.

﴿٢٩﴾ ﴿هَذَا كِتَابُنَا﴾ دِيْوَانُ الْحِفْظَةِ ﴿يُنطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ﴾ نَتَبَّعُ وَنَحْفِظُ ﴿مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿٣٠﴾ ﴿فَأَمَّا الذُّرِّيَّةُ عَامِنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيَدْخُلُهُمْ رُحْمَتِي فِي رَحْمَتِي﴾ جَنَّتَهُ (٢) ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾ الْبَيِّنُ الظَّاهِرُ.

﴿٣١﴾ ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فَيَقَالُ لَهُمْ: ﴿أَفَلَمْ تَكُنْ عَائِلَتِي﴾ الْقُرْآنُ ﴿تُسَلِّ عَلَىٰ عِبَادِكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ﴾ تَكْبَرْتُمْ ﴿وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾ كَافِرِينَ.

(١) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ بقية السبعة ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ بتخفيف الذال.

(٢) الجنة من آثار رحمة الله ﷻ، ورحمة الله ﷻ صفة له قائمة بذاته، ونبيها له - شبيحانة - على الوجه اللائق به.

(٣) بالنصب قراءة حمزة.

[٣٦] ﴿فَلِلَّهِ الْمُنْتَدَىٰ﴾ الوصف بالجميل، على وفاء وعده في المكذبين^(١) ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ خالق ما ذكر، والعالم: ما سوى الله، وجمع لاختلاف أنواعه، و«رب» بدل.
[٣٧] ﴿وَالَهُ الْكِبْرِيَاءُ﴾ العظمة ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ حال؛ أي: كائنه فيها ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ تقدم^(٢).

سورة الأحقاف

مكية، إلا: ﴿فَلْ أَرَبُّشَرِّ إِن كَانِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ الآية، وإلا: ﴿فَأَصْبِرْ﴾ كما صرَّ أولوا العزير من الرسل ﴿الآية﴾، وإلا: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ﴾ الثلاث آيات، وهي: أربع، أو خمس وثلاثون آية^(٣).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿حَمَّ﴾ الله أعلم بمراده به.
[٢] ﴿تَنْزِيلَ الْكِتَابِ﴾ القرآن، مبتدأ ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ خبره: ﴿الْعَزِيزِ﴾ في ملكه ﴿الْحَكِيمِ﴾ في صنعه.
[٣] ﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا﴾ خلقاً ﴿بِالْحَقِّ﴾ ليدل على قدرتنا ووحدانيتنا ﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ إلى فئتهما يوم القيامة ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ عمَّا أُذِّبُوا ﴿خَوْفًا مِنْهُ مِنَ الْعَذَابِ﴾ مُعْرِضُونَ.
[٤] ﴿فَلْ أَرَبُّشَرِّ﴾ أخبروني ﴿مِمَّا تَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي: الأصنام، مفعول أول ﴿أُرْوِي﴾ أخبروني، تأكيد ﴿مَاذَا خَلَقُوا﴾ مفعول ثانٍ ﴿مِنَ الْأَرْضِ﴾ بيان ﴿مَا﴾ ﴿أَرَبُّشَرِّكُمْ﴾ مشاركة^(٤) ﴿فِي﴾ خلق ﴿السَّمَوَاتِ﴾ مع الله، و«أم» بمعنى همزة الإنكار ﴿أَتَتُونِي يَكْتُمُونَ﴾ منزل ﴿مِن قَبْلِ هَذَا﴾ القرآن ﴿أَوْ أَتَنَزَّرُ﴾ بقية ﴿بَرِّتْ عَلَيْهِ﴾ يؤثر عن الأولين، بصحة دعواكم في عبادة الأصنام، أنها تقربكم إلى الله ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في دعواكم.
[٥] ﴿وَمَنْ﴾ استفهام بمعنى النفي؛ أي: لا أحد ﴿أَصْلٌ مِّن دَعْوَاهُمْ﴾ يعبد ﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ وهم الأصنام، لا يجيبون عابديهم إلى شيء يسألونه أبداً ﴿وَهُمْ عَن دَعَائِهِمْ﴾ عبادتهم ﴿غَافِلُونَ﴾ لأنهم جماد لا يعقلون.

وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتٍ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٦﴾ وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسِفُكُمْ كَمَا نَسِفْنَا لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمْ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِّن نَّصِيرِينَ ﴿٣٧﴾ ذَلِكَ بِأَنكُمْ أَخَذْتُم بِآيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَعَرَّيْتُمْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا قَالِمُومٌ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٨﴾ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٩﴾ وَالَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤٠﴾

سورة الأحقاف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
حَمَّ ﴿٣٦﴾ تَنْزِيلَ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٣٧﴾ مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُذِّبُوا مُعْرِضُونَ ﴿٣٨﴾ فَلَ أَرَبُّشَرِّ مِمَّا تَدْعُونَ مِّن دُونِ اللَّهِ أُرْوِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَتَتُونِي يَكْتُمُونَ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَتَنَزَّرُ مِّن عِلْمٍ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٩﴾ وَمَنْ أَصْلٌ مِّن دَعْوَاهُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ مَن لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دَعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴿٤٠﴾

[٣٣] ﴿وَبَدَأَ﴾ ظهر ﴿لَهُمْ﴾ في الآخرة ﴿سَيِّئَاتٍ مَا عَمِلُوا﴾ في الدنيا؛ أي: جزاؤها ﴿وَحَاقَ﴾ نزل ﴿بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ أي: العذاب.
[٣٤] ﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسِفُكُمْ﴾ نترككم في النار ﴿كَمَا نَسِفْنَا لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ أي: تركزتم العمل لِقائِهِ ﴿وَمَا وَكُنْتُمْ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِّن نَّصِيرِينَ﴾ مانعين منه.
[٣٥] ﴿ذَلِكَ بِأَنكُمْ أَخَذْتُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ القرآن ﴿(هُزُوًا)﴾ وَعَرَّيْتُمْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ حتى قلتم: لا بعث ولا حساب ﴿فَالْيَوْمَ لَا يَخْرُجُونَ﴾ بالبناء للفاعل وللمفعول^(١) ﴿فِيهَا﴾ من النار ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ لا يطلب منهم أن يُرضوا ربهم بالثوبة والطاعة؛ لأنها لا تنفع يومئذ.

(١) قراءة السبعة عدا حمزة وحفص، كما تقدم في الآية (١١) من هذه السورة.
(٢) بالبناء للفاعل قراءة حمزة والكسائي، وقراء بقية السبعة بالبناء للمفعول: ﴿يُخْرَجُونَ﴾.
(٣) أي إنه سبحانه يحسد على «العدل» وهو إدخاله الكافرين النار، كما يحسد على «الفضل» وهو إدخاله المؤمنين الجنة. واقتصر المصنف على الأول هنا دفعا لتوهم اقتصار الحمد على الفضل فقط.
(٤) أي: «العزيز» في ملكه، «الحكيم» في صنعه. كما تقدم في أكثر من موضع.
(٥) في بعض النسخ المطبوعة: «مشارك»، وقال في حاشية الجمل تعليقا على ذلك: لو فسر الشرك بالشركة لكان أوضح، وفي السمين الحلي: والشرك: المشاركة.

[٦] ﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْنَاءَ وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ بَعَادَةً عَابِدِيهِمْ﴾ كافرين جاحدين.

[٧] ﴿وَإِذَا نُنَادَى عَلَيْهِمْ﴾ أي: أهل مكة ﴿ءَايْتُنَا﴾ القرآن ﴿يَسْتَبِقُ﴾ ظاهرات، حال ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ منهم ﴿لِلْحَقِّ﴾ أي: القرآن ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ يبين ظاهر.

[٨] ﴿أَمْ﴾ بمعنى بل، وهزمة الإنكار ﴿يَقُولُونَ أَفَرَبَّنَا﴾ أي: القرآن ﴿قُلْ إِنْ أَفَرَرْتُمْ فُرُوسًا﴾ ﴿فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ﴾ أي: من عذابه ﴿شَيْئًا﴾ أي: لا تقدرين على دفعه عني، إذا عذبنى الله ﴿هُوَ أَهْلًا بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ تقولون في القرآن ﴿كَفَىٰ بِهِ﴾ تعالى ﴿شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ﴾ لمن تاب ﴿الرَّحِيمُ﴾ به، فلم يعاجلكم بالعقوبة.

[٩] ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَاٍ﴾ بدعواً ﴿مِنَ الرَّسُولِ﴾ أي: أول مرسل، قد سبق قبلي كثيرون منهم، فكيف تكذبوني؟ ﴿وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾ في الدنيا^(١)؛ أأخرج من بلدي، أم أقتل كما فعل بالأنبياء قبلي؛ أو تؤمرون بالحجارة، أم يخسف بكم كالمكذبين قبلكم؟ ﴿إِنْ﴾ ما ﴿اتَّبَعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ﴾ أي: القرآن ولا أبتدع من عندي شيئاً، ﴿وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ يبين الإنذار.

[١٠] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ أخبروني، ماذا حالكم ﴿إِنْ كَانُ﴾ أي: القرآن ﴿عِنْدَ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ﴾ جملة حالية ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ هو عبدالله بن سلام ﴿عَلَىٰ مِثْلِهِ﴾ أي: عليه أنه من عند الله ﴿فَتَأْمَنُ﴾ الشاهد ﴿وَأَسْتَكْبِرْتُمْ﴾ تكبرتم عن الإيمان، وجواب الشرط بما^(٢) عطف عليه: أستم ظالمين^(٣)؛ دل عليه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(٤).

[١١] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي: في حقهم: ﴿لَوْ كَانُ﴾ الإيمان ﴿خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا﴾ أي: القائلون ﴿بِهِ﴾ أي: القرآن ﴿فَسَبِقُولُونَ هَذَا﴾ أي: القرآن ﴿إفك﴾ كذب ﴿قَوَّيْبُهُ﴾

[١٢] ﴿وَمَنْ قَبْلِهِ﴾ أي: القرآن ﴿كُتِبَ مُوسَىٰ﴾ أي: التوراة ﴿إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ للمؤمنين به، حالان ﴿وَهَذَا﴾ أي: القرآن ﴿كُتِبَ مُصَدِّقٌ﴾ للكتب قبله ﴿لِإِسْرَائِيلَ عَرِيًّا﴾ حال من الضمير في ﴿مصدق﴾ ﴿يُنذِرُ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ من مشركي مكة ﴿و﴾ هو ﴿يُنشِرُ لِلْمُحْسِنِينَ﴾ المؤمنين.

وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءَ وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٦﴾ وَإِذَا نُنَادَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَتُنَا بِسَنَتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ أَفَرَبَّنَا قُلْ إِنْ أَفَرَرْتُمْ فُرُوسًا فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٨﴾ قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَاٍ مِنَ الرَّسُولِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبَعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِدَعْوَانِي مِثْلِهِ فَأَمَنْ وَأَسْتَكْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْ كَانُ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَبِقُولُونَ هَذَا إفكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ وَمَنْ قَبْلِهِ كُتِبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كُتِبَ مُصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَيُنشِرُ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَالَّذِينَ كَفَرُوا بِهِمْ وَلَا هُمْ يَخْرُتُونَ ﴿١٣﴾ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

[١٣] ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾ على الطاعة ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

[١٤] ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ حال ﴿جَزَاءً﴾ منصوب على المصدر بفعله المقدر؛ أي: يُجزون ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

(٥) ما جاء في نزول الآية (١٠): أخرج البخاري عن عبد الله بن يوسف قال: سمعت مالكاً يحدث عن أبي النضر... عن سعد بن أبي وقاص قال: ما سمعت النبي ﷺ يقول لأحد يمشي على الأرض إنه من أهل الجنة إلا لعبد الله بن سلام. قال: وفيه نزلت هذه الآية: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ﴾ الآية. البخاري. كتاب مناقب الأنصار (٦٢) باب (١٩) مناقب عبدالله ابن سلام.

(١) قوله: ﴿في الدنيا﴾؛ هذا قول الحسن البصري وجماعة، وهذا القول - كما قال ابن كثير -: هو الذي عُوِّل عليه ابن جرير، وأنه لا يجوز غيره، ولا شك أن هذا هو اللائق به ﷺ فإنه بالنسبة إلى الآخرة جازم أنه يصير إلى الجنة هو ومن اتبعه. وعلى القول الآخر تكون هذه الآية منسوخة بقوله تعالى في سورة الفتح: ﴿يَغْفِرُ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرُ﴾ [الفتح: ٢].

(٢) أي: مع ما.

(٣) أي: محذوف تقديره: «أستم ظالمين».

وهو أكثر الأشدُّ ﴿قَالَ رَبِّ﴾ الخ، نزل في أبي بكر الصديق (١) لما بلغ أربعين سنة بعد سنتين من بعث النبي ﷺ آمن به، ثم آمن أبواه، ثم ابنه عبد الرحمن وابن عبد الرحمن أبو عتيق ﴿أَوْزَعِي﴾ ألهمني ﴿أَنْ أَشْكُرَ بِمَنِّكَ الْبَرِّ﴾ أَعَمَّتْ بها ﴿عَلَى وَعَلَى وَالِدَيْكَ﴾ وهي التوحيد ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾ فأعنت تسعة من المؤمنين (٢)، يُعَذِّبُونَ في الله ﴿وَأَصْلِحَ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾ فكلهم مؤمنون ﴿إِنِّي نَبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾.

[١٦] ﴿أَوْلَيْتِكَ﴾ أي: قائلو هذا القول، أبو بكر وغيره ﴿الَّذِينَ نَقَبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ﴾ بمعنى حسن ﴿مِمَّا عَمِلُوا وَتَجَاوَزَ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ﴾ حال؛ أي: كاثنتين في جملتهم ﴿وَعَدَّ الصِّدِّيقَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ﴾ (٤).

[١٧] ﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ﴾ وفي قراءة بالإدغام (٥)؛ أريد به الجنس ﴿أَبِي﴾ بكسر الفاء وفتحها (٦)؛ بمعنى مصدره؛ أي: ننتا وبقبحا ﴿لَكُمْ﴾ أنضجر منكما ﴿أَعْدَانِي﴾ وفي قراءة (٧) بالإدغام ﴿أَنْ أُخْرَجَ﴾ من القبر ﴿وَقَدْ خَلَّتِ الْقُرُونُ الْأُمُّ﴾ ومن قبلي ﴿ولم تخرج من القبور﴾ ﴿وَهُمَا يَسْتَفِيئَانِ اللَّهُ﴾ يسألانه العوث برجوعه، ويقولان: إن لم ترجع ﴿وَبِيكَ﴾ أي: هلاكك، بمعنى هلكت ﴿عَيْنِ﴾ بالبعث ﴿إِنَّ وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (٨) ﴿أَوْلَيْتِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمِّهِمْ فَذَخَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾ (٩) ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا وَيُؤْتِيهِمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ﴾ (١٠) ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَّذِي ظَنَّنَا فِي حَيَاتِكُمْ الدُّنْيَا وَأَسْتَمَعْتُمْ بِهَا قَوْلَ الْمُجْرِمِينَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَقْسِفُونَ﴾ (١١)

[١٨] ﴿أَوْلَيْتِكَ الَّذِينَ حَقَّ﴾ وجب ﴿عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ بالعباد ﴿فِي أُمِّهِمْ فَذَخَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾.

[١٩] ﴿وَلِكُلِّ﴾ من جنس المؤمن والكافر ﴿دَرَجَةٍ﴾ فدرجات المؤمنين في الجنة عالية، ودرجات الكافرين في النار سافلة ﴿مِمَّا عَمِلُوا﴾ أي: المؤمنون من الطاعات، والكافرون من المعاصي ﴿وَيُؤْتِيهِمْ﴾ أي: الله، وفي قراءة (٨) بالنون ﴿أَعْمَالَهُمْ﴾ أي: جزاها ﴿وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ﴾ شيقًا، يُنْقَصُ للمؤمنين، ويزاد للكفار.

[٢٠] ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ﴾ بأن تكشف لهم، يقال لهم: ﴿أَذْهَبْتُمْ﴾ بهمزة، وبهمزتين، وبهمزة ومدة (٩)، وبهما وتسهيل الثانية (١٠) ﴿يَطِينِكُمْ﴾ باشتغالكم بلذاتكم ﴿فِي حَيَاتِكُمْ الدُّنْيَا وَأَسْتَمَعْتُمْ﴾ تمتعتم ﴿بِهَا قَوْلَ الْمُجْرِمِينَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ أي: الهوان ﴿بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ تكبرون ﴿فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَقْسِفُونَ﴾ به، وتعذبون بها.

وَوَصِيئًا لِلْإِنْسَانِ لِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَوَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ بِنِعْمَتِكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي نَبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦﴾ وَأَوْلَيْتِكَ الَّذِينَ تَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مِمَّا عَمِلُوا وَتَجَاوَزَ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَّ الصِّدِّيقَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿١٧﴾ وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أَفِي لَكُمْ أَعْدَانِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَّتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَفِيئَانِ اللَّهَ وَإِنَّكَ آتِيٌّ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ فَسَقِّ لِي مِنْهُ قَلِيلًا يُرِيتُهُ فَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْهُ الْقُرْآنَ حَقًّا مُبِينًا ﴿١٨﴾ وَأَوْلَيْتِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمِّهِمْ فَذَخَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿١٩﴾ وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا وَيُؤْتِيهِمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ ﴿٢٠﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَّذِي ظَنَّنَا فِي حَيَاتِكُمْ الدُّنْيَا وَأَسْتَمَعْتُمْ بِهَا قَوْلَ الْمُجْرِمِينَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَقْسِفُونَ ﴿٢١﴾

[١٥] ﴿وَوَصِيئًا لِلْإِنْسَانِ لِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا﴾ (١) وفي قراءة: ﴿إِحْسَانًا﴾ أي: أمرناه أن يحسن إليهما، فنصبت ﴿إِحْسَانًا﴾ على المصدر بفعله المقدر، ومثله ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ أي: على مشقة ﴿وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ﴾ من الرضاع ﴿ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ ستة أشهر أقل مدة الحمل، والباقي أكثر مدة الرضاع، وقيل: إن حملت به ستة أو تسعة أرضعته الباقي ﴿حَتَّى﴾ غاية لجملة مقدرة؛ أي: عاش حتى ﴿إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ هو كمال قوته وعقله ورأيه، أقله ثلاث وثلاثون سنة أو ثلاثون ﴿وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ أي: تمامها،

(١) نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ بقية السبعة: ﴿إِحْسَانًا﴾.

(٢) يشير إلى ما ذكره الواحدي في أسباب النزول (ص ٣٢٢) والسيوطي في الدر المنثور (٤٤٣/٧) عن عطاء بن ابن عباس، وعزاه السيوطي لابن مردويه. وذكر البغوي مثل ذلك عن علي بن أبي طالب. وقيل: نزلت في سعد بن أبي وقاص. وهو مذهب الضحاك. وقيل: إن الآية عامة، وهو قول الحسن. ولعل هذا هو الأقرب؛ فإن أبا تحافة والد أبي بكر رضي الله عنهما لم يُسَلَّمْ إلا بعد فتح مكة، وكان عمر أبي بكر وقتها تسعًا وخمسين سنة. والله أعلم.

(٣) هذا على اختيار المصنف أنها نزلت في أبي بكر، وسبق بيان أن الأقرب أنها عامة.

(٤) التوبة: ٧٢.

(٥) أي: إدغام لام «قال» مع إسكانها، مع لام «لوالديه»، وهو مذهب أبي عمرو في أحد الوجهين من روايتي الدروري والسيوطي جميعًا.

(٦) بالفتح من غير تنوين قراءة ابن كثير وابن عامر، وبالكسر من غير تنوين قراءة الباقرين عدا نافع وحفص، وقرأ نافع وحفص: ﴿أَف﴾.

(٧) مع المد للشيء: ﴿أَعْدَانِي﴾، وهي قراءة سبعة لعشام.

(٨) لحمزة والكسائي ونافع وابن عامر.

(٩) المناسب أن يقول: ﴿وبهمزتين محققين ومدة﴾.

(١٠) قرأ بهمزتين على الاستفهام ابن كثير وابن عامر، كل على أصله في التسهيل وعدمه، والإدخال وعدمه، وقرأ بقية السبعة: ﴿أذهبتهم﴾.

[٢١] ﴿وَأَذْكُرُ مَا عَادَكُمْ﴾ هو هود الطغية ﴿إِذْ﴾ الخ، بدل اشتغال ﴿أَنْذَرَ قَوْمَهُمْ﴾ خوفهم ﴿بِالْأَحْقَافِ﴾ واد باليمن به منازلهم ﴿وَقَدْ خَلَّتْ الْأَنْدُرُ﴾ مضت الرسل ﴿مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ﴾ أي: من قبل هود ومن بعده، إلى أقوامهم ﴿وَأَنْهَى﴾ أي: بأن قال: ﴿لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ وجملة: «وقد خلت» معترضة ﴿إِنَّهُ أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ إن عبدتم غير الله ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

[٢٢] ﴿قَالُوا أَجِئْنَا بِتَأْفِكِنَا عَنِ الْعِبَادَةِ﴾ لتصرفنا عن عبادتها ﴿فَأَيْنَا بِمَا نَعْبُدُكَ﴾ من العباد على عبادتها ﴿إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ في أنه يأتيها.

[٢٣] ﴿قَالَ هُودٌ﴾: إِنَّمَا أَلِمْ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ الَّذِي يَعْلَمُ مَتَى يَأْتِيكُمْ الْعَذَابُ ﴿وَأْتَلِفَكُمْ مَا أُرْسَيْتُمْ بِهِ﴾ إليكم ﴿وَلَيْكُنَّ أَنْزَكُوا قَوْمًا يَجْتَهُلُونَ﴾ باستعجالكم العذاب.

[٢٤] ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾ أي: ما هو العذاب ﴿عَارِضًا﴾ سحابًا عارض في أفق السماء ﴿مُتَسْقِطٍ أَوْ يُرِيهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّطَّرْنَا﴾ أي: ممطر إيانا^(١)، قال - تعالى -: ﴿بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ﴾ من العذاب ﴿رِيحٌ﴾ بدل من «ما» ﴿فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٢) مؤلم.

[٢٥] ﴿تُدْرِي﴾ تهلك ﴿كُلُّ شَيْءٍ﴾ مرت عليه ﴿بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ بإرادته^(٣)؛ أي: كل شيء أراد إهلاكه بها، فأهلك رجالهم ونساءهم وصغارهم وأموالهم، بأن طارت بذلك بين السماء والأرض ومزقته، وبقي هود ومن آمن معه ﴿فَأَتَّبِعُوا آلَ يَرِيئَ إِلَّا مَسْكَنَهُمْ﴾ كذلك ﴿كما جزياهم﴾ تجزي القوم المجرمين ﴿غيرهم﴾.

[٢٦] ﴿وَلَقَدْ مَكَنَّهُمْ﴾ في الذي ﴿إِنْ﴾ نافية أو زائدة ﴿مَكَنَّكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿فِيهِ﴾ من القوة والمال ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا﴾ بمعنى أسماعًا ﴿وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً﴾ قلوبًا ﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي: شيئًا من الإغناء، «ومن» زائدة ﴿إِذْ﴾ معمولة ل«أغنى» وأشربت معنى التعليل ﴿كَانُوا يَجْحَدُونَ بِتَابِتٍ إِلَهٍ﴾ بحججه البينة ﴿وَصَافٍ﴾ نزل ﴿بِهِمْ﴾ مَا كَانُوا بِهِ يُشْتَرِكُونَ ﴿أي: العذاب﴾.

[٢٧] ﴿وَلَقَدْ أَهَلَّكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَى﴾ أي: من أهلها؛ كتمود وعاد وقوم لوط ﴿وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ﴾ كررنا الحجج البينات ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

[٢٨] ﴿فَلَوْلَا﴾ هلا ﴿نَصْرُهُمْ﴾ بدفع العذاب عنهم ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا

﴿وَأَذْكُرُ مَا عَادَكُمْ﴾ وَإِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُمُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ الْأَنْدُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ ۖ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ قَالُوا أَجِئْنَا بِتَأْفِكِنَا عَنِ الْعِبَادَةِ فَأَيْنَا بِمَا نَعْبُدُكَ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ هُودٌ إِنَّمَا أَلِمْ عِنْدَ اللَّهِ وَأْتَلِفَكُمْ مَا أُرْسَيْتُمْ بِهِ وَلَيْكُنَّ أَنْزَكُوا قَوْمًا يَجْتَهُلُونَ ﴿٢٣﴾ فَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُتَسْقِطٍ أَوْ يُرِيهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّطَّرْنَا ۗ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تَدْمُرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا أَسْمَاكُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ مَكَنَّهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَنَّكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ ۖ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِتَابِتٍ إِلَهٍ ۗ حَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ أَهَلَّكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾ فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الَّذِي اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٢٨﴾

من دُوبِ اللَّهِ؛ أي: غيره ﴿قُرْبَانًا﴾ متقربًا بهم إلى الله ﴿الْإِلَهَةِ﴾ معه، وهم الأصنام، ومفعول «اتخذ» الأول ضمير محذوف يعود على الموصول؛ أي: هم، و«قربانًا» الثاني، و«الهيئة» بدل منه ﴿بَلْ ضَلُّوا﴾ غابوا ﴿عَنْهُمْ﴾ عند نزول العذاب ﴿وَذَلِكَ﴾ أي: اتخاذهم الأصنام آلهة قربانًا ﴿إِفْكُهُمْ﴾ كذبهم ﴿وَمَا كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ يكذبون، و«ما» مصدرية، أو موصولة والعائد محذوف؛ أي: فيه.

(١) فائدة: أخرج البخاري عن عائشة قالت: كان النبي ﷺ إذا رأى متجيلة في السماء أقبل وأدبر، ودخل وخرج، وتغير وجهه، فإذا أمطرت السماء شوي عنه، عرفوه عائشة ذلك، فقال النبي ﷺ: «وما أدري لعلد كما قال قوم: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُتَسْقِطٍ أَوْ يُرِيهِمْ﴾ الآية. البخاري. كتاب بدء الخلق (٥٩) باب (٥)، وكتاب التفسير (٦٥). سورة الأحقاف (٤٦) باب (٢) ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُتَسْقِطٍ أَوْ يُرِيهِمْ﴾.

(١) في نسخة القاضي: «مطر آتانا».

(٢) الأمر غير الإرادة، وغير القدرة، وقد جرت عادة المصنف رحمه الله أن يفسر الأمر بذلك، وهذا مبناه على مذهبه في كلام الله، أنه معنى نفسي لا يقبل التعدد، وهو خلاف مذهب السلف في أن الله عز وجل يتكلم بما شاء وكيف شاء ومتى شاء، ومن ذلك أنه يأمر بما شاء وكيف شاء ومتى شاء.

الإسلام ﴿وَالِىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ أى: طريقه.

[٣١] ﴿يَقَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ﴾ محمداً ﷺ إلى الإيمان ﴿وَوَإِيتُوا بِهِ يَغْفِرَ﴾ الله ﴿لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ أى: بعضها؛ لأن منها المظالم، ولا تُغفر إلا برضا أصحابها ﴿وَيُجْزِكُمْ مِنْ عَذَابِ آلِيعْرِ﴾ مؤلم.

[٣٢] ﴿وَمَنْ لَا يُجِيبِ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ﴾ أى: لا يعجز الله بالهرب منه، فيفوته ﴿وَلَيْسَ لَكُمْ﴾ لمن لا يجيب ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ أى: الله ﴿أُولِيَاءَ﴾ أنصار يدفعون عنه العذاب ﴿أُولِيَاءِكَ﴾ الذين لم يجيبوا ﴿فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ بين ظاهر.

[٣٣] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ يعلموا؛ أى: منكرو البعث ﴿أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَتَّخِذْ مِنْهُ سُلْفِيًّا﴾ لم يَعْجِزْ عنه ﴿وَيَقْدِرُ﴾ خبر «أن»، ويزيدُ الباء فيه؛ لأن الكلام في قوة^(٧): ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِقَادِرٍ﴾ ﴿عَلَىٰ أَنْ يُخَيِّقَ الْمَوْتُ بَلَىٰ﴾ هو قادر على إحياء الموتى ﴿إِنَّهُمْ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[٣٤] ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ﴾ بأن يعذبوا بها، يقال لهم: ﴿أَلَيْسَ هَذَا﴾ التعذيب ﴿بِالْحَقِّ﴾ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾.

[٣٥] ﴿فَأَصْبِرْ﴾ على أذى قومك ﴿كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَرْشِ﴾ ذرو الثبات والصبر على الشدائد ﴿وَمِنَ الرَّسُلِ﴾ قبلك فتكون ذا عزم، و«من» للبيان، فكلهم ذوو عزم، وقيل: للتبعية^(٨) فليس منهم آدم؛ لقوله - تعالى -: ﴿وَلَمْ يَجِدْ لَهُمْ عَزْمًا﴾^(٩) ولا يونس؛ لقوله - تعالى -: ﴿وَلَا تَكُنْ كَصَلِيبِ الْمَوْتِ﴾^(١٠) ﴿وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾ لقومك نزول العذاب بهم، قيل: كأنه ضجر منهم، فأحب نزول العذاب بهم، فأمر بالصبر وترك الاستعجال للعذاب؛ فإنه نازل لا محالة ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ﴾ من العذاب في الآخرة، لظوله ﴿وَلَمْ يَلْتَوُا﴾ في الدنيا في ظنهم ﴿إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ﴾، هذا القرآن ﴿يَلْبَغُ﴾ تليغ من الله إليكم ﴿فَهَلْ﴾ أى: لا ﴿يُنْهَكُ﴾ عند رؤية العذاب ﴿إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ﴾ أى: الكافرون.

وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصَبُوا لَنَا مِمَّا قُضِيَ وَلَوِ إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُّذَرِّينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٢﴾ يَقَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجْزِكُمْ مِنْ عَذَابِ آلِيعْرِ ﴿٣٣﴾ وَمَنْ لَا يُجِيبِ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَولِيَاءٌ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٤﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَتَّخِذْ مِنْهُ سُلْفِيًّا يَقْدِرُ عَلَىٰ أَنْ يُخَيِّقَ الْمَوْتُ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٥﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٦﴾ فَأَصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَرْشِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَسُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَّغْ فَمَلَّ يَهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ ﴿٣٧﴾

نبذة مختصرة

[٢٩] ﴿و﴾ اذكر ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا﴾ أمألتنا ﴿إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ﴾ جن «نصيبين»^(١) باليمن، أو جن «ينوي»^(٢)، وكانوا سبعة^(٣) أو تسعة^(٤)، وكان ﷺ يظن نخلة^(٥) يصلي بأصحابه الفجر. [رواه الشيخان]^(٦) ﴿يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا﴾ أى: قال بعضهم لبعض: ﴿أَنصَبُوا﴾ أصغوا لاستماعه ﴿فَلَمَّا قُضِيَ﴾ فرغ من قراءته ﴿وَلَوِ إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُّذَرِّينَ﴾ مخوفين قومهم العذاب إن لم يؤمنوا، وكانوا يهودًا وقد أسلموا. [٣٠] ﴿قَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا﴾ هو القرآن ﴿أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أى: تقدمه؛ كالطهارة ﴿يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾

(١) «نصيبين» ليست باليمن، وإنما هي مدينة عامرة من بلاد الجزيرة، شمال العراق، على جادة القوافل من الموصل إلى الشام.

(٢) مدينة قديمة، منها نبي الله يونس بن متى، وهي اليوم أطلال وأثار على الضفة اليسرى لنهر دجلة، مقابل مدينة الموصل من جهة الشرق، والنهر بينهما.

(٣) أخرجه الطبري عن ابن عباس (١٣٥/٢٢).

(٤) أخرجه الطبري عن زر بن حبیش (١٣٥/٢٢).

(٥) في أكثر النسخ التي بأيدينا من المطبوع؛ «نخل»، والمثبت من نسخة القاضي، وهو الصحيح كما في صحيح البخاري، و«نخلة» هي نخلة اليمانية، وهو موضع في الطريق إلى الطائف. أما «نخل» فهو موضع في نجد على بعد ليثين من المدينة؛ حيث صلى صلاة الخوف.

(٦) البخاري (٧٧٣) ومسلم (٤٤٩) عن ابن عباس، وليس فيها أنها سبب لنزول هذه الآية.

(٧) قوله: «في قوة: «أليس الله بقادر؟»: جواب عما يقال: إن الباء لا تُراد إلا في خبر «ليس» و«ما»، كما قال ابن مالك: وبعد «ما» و«ليس» جر الباء الخبر.

(٨) قال ابن كثير: وقد اختلفوا في تعدد أولي العزم على أقوال؛ وأشهرها أنهم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، وخاتم الأنبياء كلهم؛ محمد ﷺ. اهـ. وقيل: إن الخلاف لفظي من حيث أصل العزم وكماله؛ فكلمهم أصحاب عزم، ولكنهم متفاوتون في ذلك.

(٩) طه: ١١٥.

(١٠) القلم: ٤٨.

(١)

سورة القتال

[مدنية، إلا: ﴿وَكَانَ مِنْ قَرَيْبٍ﴾ الآية، أو: مكة،

وهي ثمان، أو: تسع وثلاثون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكة ﴿وَصَدُّوا﴾ غيرهم ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: الإيمان ﴿أَصْحَابُ﴾ أصحاب ﴿أَعْمَالِهِمْ﴾ كإطعام الطعام وصلة الأرحام، فلا يسيرون لها في الآخرة ثواباً، ويجزؤون بها في الدنيا، من فضله - تعالى (٢) - .

[٢] ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي: الأنصار وغيرهم ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَيْكَ مُحَمَّدٌ﴾ أي: القرآن ﴿وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ كَقَرَّ عَنَّتُمْ ﴿غُفِرَ لَهُمْ﴾ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿حَالِهِمْ﴾ حالهم، فلا يعصونه.

[٣] ﴿ذَلِكَ﴾ أي: إضلال الأعمال، وتكفير السيئات ﴿بِأَنَّ﴾ بسبب أن ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَطِلَ﴾ الشيطان ﴿وَأَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ﴾ القرآن ﴿مِنْ رَبِّهِمْ﴾ كذلك، أي: مثل ذلك البيان ﴿بِضَرْبِ اللَّهِ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ﴾ بين أحوالهم؛ أي: فالكافر يحبط عمله، والمؤمن يغير له.

[٤] ﴿فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبِ الرِّقَابِ﴾ مصدر، بدل من اللفظ بفعله؛ أي: فاضربوا رقابهم؛ أي: اقتلوهم، وعبر بضرب الرقاب؛ لأن الغالب في القتل أن يكون بضرب الرقبة ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَخْتَنُمُوهُمْ﴾ أكثرتم فيهم القتل ﴿فَتَشُدُّوهُمُ﴾ فأسسكو عنهم وأسرهم، وشدوا ﴿الْوَتَانَ﴾ ما يوثق به الأسرى ﴿فَإِذَا مِتَّامَةً بَعُدُّ﴾ مصدر بدل من اللفظ بفعله؛ أي: تمثون عليهم، ياطلقتهم من غير شيء ﴿وَأَمَّا إِذْ يَتَلَفَّذُ﴾ تفادونهم بمال، أو: أسرى مسلمين ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أُمَّهُمُ﴾ أي: أهلها ﴿أُزُورَكُمْ﴾ أنقلها، من السلاح وغيره؛ بأن يسلم الكفار، أو يدخلوا في العهد، وهذه غاية للقتل والأسر ﴿ذَلِكَ﴾ خبر مبتدأ مقدر؛ أي: الأمر فيهم ما ذكر ﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَنُنصِرَهُمْ﴾ بغير قتال ﴿وَلَكِنَّ﴾ أمركم به ﴿يَتَّبِعُوا بَعْضَكُمْ بَعْضِينَ﴾ منهم في القتال، فيصير من قتل منكم إلى الجنة، ومنهم إلى النار ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا﴾ وفي قراءة (٣) ﴿قَاتَلُوا﴾، الآية، نزلت يوم أحد (٤)، وقد فشا في المسلمين القتل والجراحات ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ فَنَزَلَ اللَّهُ فَتَنَزَّلُ ﴿يُحِيطُ﴾ بِأَعْمَالِهِمْ .

[٥] ﴿سَيِّئَاتِهِمْ﴾ في الدنيا والآخرة، إلى ما ينفعهم ﴿وَيُضِلُّهُمُ بِالْهَمِّ﴾ حالهم فيهما، وما في الدنيا لمن لم يقتل، وأدرجوا في «قتلوا» تعليقاً.

[٦] ﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَافًا﴾ يَتَّبِعُهُمُ ﴿لَهُمْ﴾ فينتدون إلى مساكنهم منها، وأزواجهم وخدمهم، من غير امتدال.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَصْلًا أَعْمَلَهُمْ ۗ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَيْكَ مُحَمَّدٌ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَٰلِكَ بِضَرْبِ اللَّهِ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ ۗ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبِ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَتَخْتَنُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَانَ فَإِذَا مِتَّامَةً بَعُدُّ وَإِذَا مِتَّامَةً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أُمَّهُمُ أَوْ زَارَهُمْ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَآتَوَّصَرْتُمْ بِهِمْ وَلَكِنَّ لِيُبَيِّنُوا بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ ۗ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ۗ سَيَهْدِيَهُمْ اللَّهُ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۗ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَافًا ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا ءَامَنُوا إِن تَضَرُّوا أَلَّهَ يَتَضَرَّبُ وَيُؤْتِيَتْ أقدَامَهُمْ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَعَسَا لَهُمُ الْآصْلُ أَعْمَالَهُمْ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهُمْ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ۗ

[٧] ﴿يَتَّبِعُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ إن نُضِرُوا اللَّهُ ﴿أَي:﴾ دينه ورسوله ﴿بِضَرْبِكُمْ﴾ على عدوكم ﴿وَيُؤْتِيَتْ أقدَامَهُمْ﴾ يبتكم في المعترك.

[٨] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكة، مبتدأ خبره: «تبعوا» (٥)، يدل عليه: ﴿فَعَسَا لَهُمُ﴾ أي: هلاكاً وخيبة من الله ﴿وَأَصْلُ أَعْمَالِهِمْ﴾ عطف على «تبعوا».

[٩] ﴿ذَلِكَ﴾ أي العس والإضلال ﴿بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ من القرآن المشتمل على التكاليف ﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ .

[١٠] ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ أهلك أنفسهم وأولادهم وأموالهم ﴿وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهُمْ﴾ أي: أمثال عاقبة ما قبلهم.

[١١] ﴿ذَلِكَ﴾ أي: نصر المؤمنين، وقهر الكافرين ﴿بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى﴾ ولي وناصر ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾ .

(١) وتسمى أيضاً: سورة «محمد» ﷺ.

(٢) كما في حديث أنس عند مسلم وغيره مرفوعاً: «إن الله لا يظلم مؤمناً حسنة، يعطى بها في الدنيا، ويجزى بها في الآخرة، وأما الكافر فيقطع بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا، حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يجزى بها». مسلم (٢٨٠٨).

(٣) للسيمة عدا حفص وأبي عمرو.

(٤) هذا قول ابن جريج؛ كما في الدر المنثور (٤٦١/٧)، ونسبه لابن المنذر، ونسبه الغوري لقتادة، وسنده ضعيف لإعضاله كما في الاستيعاب (٣/٢١٨).

(٥) أي: تقديراً: «تبعوا».

في عبادة الأوثان؛ أي: لا مائلة بينهما.

[١٥] ﴿مَثَلٌ﴾ أي: صفة ﴿الْحَيَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ﴾ المشتركة بين داخلها، مبتدأ خبره: ﴿فِيهَا أَنْهَرُ مِنْ مَاءِ عَيْرٍ عَاسِنٍ﴾ بالمد والقصر^(١)؛ كضارب وخدر؛ أي: غير متغير، بخلاف ماء الدنيا، فيغير بعارض^(٢) ﴿وَأَنْهَرُ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ﴾ بخلاف لبن الدنيا، لخروجه من الضروع ﴿وَأَنْهَرُ مِنْ حَمْرٍ لَذِقَ﴾ لذية ﴿لِلشَّارِبِينَ﴾ بخلاف خمر الدنيا؛ فإنها كريهة عند الشرب ﴿وَأَنْهَرُ مِنْ عَسَلٍ مَصْفَى﴾ بخلاف عسل الدنيا؛ فإنه يخرج من بطون النحل يخالطه الشمع وغيره ﴿وَلَمْ يَهَيَّأْ فِيهَا﴾ أصناف ﴿وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ فهو راض عنهم، مع إحسانه إليهم بما ذكر، بخلاف سيد العبيد في الدنيا، فإنه قد يكون مع إحسانه إليهم ساعطاً عليهم ﴿كَمَنْ هُوَ خَلِدٌ فِي النَّارِ﴾ خبر مبتدأ مقدر؛ أي: آمن هو في هذا النعيم ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا﴾ أي: شديد الحرارة ﴿فَقَطَّ أَعْمَاءَهُمْ﴾ أي: مزاربهم فخرجت من أديبارهم، وهو جمع مقي بالقصر، وألفه عن ياء؛ لقولهم: ميعان^(٣).

[١٦] ﴿وَمَنْهُمْ﴾ أي: الكفار ﴿مَنْ يَسْمَعُ إِلَيْكَ﴾ في خطبة الجمعة، وهم المنافقون ﴿حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْوَيْلُ﴾ لعلماء الصحابة، منهم: ابن مسعود، وابن عباس^(٤)، استهزاء وسخرية: ﴿مَاذَا قَالَ مَايْقًا﴾ بالمد والقصر^(٥)؛ أي: الساعة؛ أي: لا نرجع إليه ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ بالكفر ﴿وَأَنْجَمُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ في النفاق.

[١٧] ﴿وَالَّذِينَ أَهْتَدُوا﴾ وهم المؤمنون ﴿زَادَهُمُ﴾ الله ﴿هُدًى وَآيَاتِهِمْ تَقْوَاهُمْ﴾ ألهمهم ما يتقون به النار.

[١٨] ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ﴾ ما ينظرون؛ أي: كفار مكة ﴿إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ﴾ بدل اشتمال من «الساعة» أي: ليس الأمر إلا أن تأتيهم ﴿بِعَثَّةٍ﴾ فجأة ﴿فَقَدَّ جَاءَ أَسْرَاطُهَا﴾ علاماتها، منها بعثة النبي ﷺ، وانشقاق القمر، والدخان.

﴿فَأَنْ لِمَ إِذَا جَاءَهُمْ﴾ الساعة ﴿ذَكَرْتَهُمْ﴾ تذكرهم؛ أي: لا ينفعهم. [١٩] ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ أي: ذم يا محمد على علمك بذلك، النافع في القيامة ﴿وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ﴾ لأجله، قيل له ذلك مع عصمته؛ لتستن به أمته، وقد فعله، قال ﷺ: «إني لأستغفر الله في كل يوم مائة مرة»^(٦) ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ فيه إكرام لهم بأمر نبيهم بالاستغفار لهم ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ﴾ منصرفكم لأشغالكم في النهار ﴿وَمُتَوَلِّكُمْ﴾ مأواكم إلى مضاجعكم بالليل؛ أي: هو عالم بجميع أحوالكم، لا يخفى عليه شيء منها، فاحذروه، والخطاب للمؤمنين وغيرهم.

إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَنَبَّهُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَشْوَى لَهُمْ ﴿١٢﴾ وَكَانَ مِنْ قَرِيْبِهِ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرِيْبِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٣﴾ أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ يَدِينِ مِنَ رَبِّهِ كَمَنْ زَيْنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٤﴾ مَثَلُ الْحَيَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَرُ مِنْ مَاءِ عَيْرٍ عَاسِنٍ وَأَنْهَرُ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَرُ مِنْ حَمْرٍ لَذِقَ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَرُ مِنْ عَسَلٍ مَصْفَى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَلِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَعْمَاءَهُمْ ﴿١٥﴾ وَمَنْهُمْ مَنْ يَسْمَعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ إِيضًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٦﴾ وَالَّذِينَ أَهْتَدُوا زَادَهُمْ هُدًى وَآيَاتِهِمْ تَقْوَاهُمْ ﴿١٧﴾ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَسْرَاطُهَا فَأَنْبَأَهُمْ وَإِذَا جَاءَهُمْ ذَكَرْتَهُمْ ﴿١٨﴾ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمُتَوَلِّكُمْ ﴿١٩﴾

[١٢] ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ يَتَنَبَّهُونَ﴾ في الدنيا ﴿وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ﴾ أي: ليس لهم همٌ إلا بطونهم وفروجهم، ولا يلتفتون إلى الآخرة ﴿وَالنَّارُ مَشْوَى لَهُمْ﴾ منزل ومقام ومصير.

[١٣] ﴿وَكَانَ مِنْ قَرِيْبِهِ﴾ وكم ﴿مِنْ قَرِيْبِهِ﴾ أريد بها أهلها ﴿هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرِيْبِكَ﴾ مكة؛ أي: أهلها ﴿الَّتِي أَخْرَجَتْكَ﴾ روعي لفظ «قرية» ﴿أَهْلَكَاهُمْ﴾ روعي معنى «قرية» الأولى ﴿فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾ من إهلاكنا.

[١٤] ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ يَدِينِ﴾ حجة وبرهان ﴿مِنْ رَبِّهِ﴾ وهم المؤمنون ﴿كَمَنْ زَيْنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ﴾ فراه حسناً، وهم كفار مكة ﴿وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾

(١) بالقصر أي «عَاسِنٍ»، قراءة ابن كثير.

(٢) في نسخة القاضي: «لعارض».

(٣) أي في تنبيهه.

(٤) ذكر ذلك القرطبي في تفسيره؛ قال ابن عباس: كنت ممن يسأل. وروي عن ابن عباس: يريد عبد الله بن مسعود. وقيل غير ذلك، وقال ابن زيد: إنهم الصحابة.

(٥) بالقصر أي «مَايْقًا» قراءة البرقي بخلاف عنه.

(٦) أخرج نحوه مسلم (٢٧٠٢) عن الأغر بن يسار مرفوعاً.

[٢٠] ﴿وَيَقُولَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ طلبنا للجهاد: ﴿لَوْلَا﴾ هلاً ﴿نَزَلَتْ سُورَةٌ﴾ فيها ذكر الجهاد ﴿فَإِذَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ مُعْجَمَةٌ﴾ أي: لم ينسخ منها شيء ﴿وَذَكَرَ فِيهَا الْقِسَالَ﴾ أي: طلبه ﴿نَزَلَتْ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ أي: شك، وهم المنافقون ﴿يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ خوفاً منه وكرهه له؛ أي: فهم يخافون من القتال ويكرهونه ﴿فَأُولَئِكَ لَهُمْ﴾ مبتدأ، خبره: [٢١] ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾ أي: حسن لك ﴿فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ﴾ أي: فرض القتال ﴿فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ﴾ في الإيمان والطاعة ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ وجملة «لو» جواب «إذا».

[٢٢] ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ﴾ بكسر السين وفتحها^(١)، وفيه التثنية عن الغيبة إلى الخطاب؛ أي: لعلكم ﴿إِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ أعرضتم عن الإيمان ﴿أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ أي: تعودوا إلى أمر الجاهلية، من البغي والقتال^(٢).

[٢٣] ﴿أُولَئِكَ﴾ أي: المفسدون ﴿الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ﴾ عن استماع الحق ﴿وَأَعَمَّ أَبْصَارَهُمْ﴾^(٣) عن طريق الهدى.

[٢٤] ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفَرَاتِ﴾ فيعرفون الحق ﴿أَمْ﴾ بل ﴿عَلَى قُلُوبٍ﴾ لهم ﴿أَفْقَالُهَا﴾ فلا يفهمونه.

[٢٥] ﴿إِنَّ الَّذِينَ آذَنُوا﴾ باللفاق ﴿عَلَى آذَنِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْهُدَىَ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ﴾ أي: زين ﴿لَهُمْ﴾ [وَأَمْلَى] لَهُمْ بضم أوله ويفتحه واللام^(٤)، والممالي الشيطان يارادته - تعالى -، فهو المضل لهم.

[٢٦] ﴿ذَلِكَ﴾ أي: إضلالهم ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ﴾ أي: للمشركين: ﴿سَطِطُوعٌ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ﴾ أي: المعاونة على عداوة النبي ﷺ، وتبسيط الناس عن الجهاد معه، قالوا ذلك سبواً، فأظهره الله - تعالى - ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَسْرَارَهُمْ﴾ بفتح الهمزة جمع «سيرة»، وبكسرهما^(٥): مصدر.

[٢٧] ﴿فَكَيْفَ﴾ حالهم ﴿إِذَا تَوَفَّيْتُمْ الْمَلَائِكَةَ بِصُرُوتٍ﴾ حال من «الملائكة» ﴿وُجُوهَهُمْ وَأَذْبَنَهُمْ﴾ ظهورهم بمقام من حديد؟.

[٢٨] ﴿ذَلِكَ﴾ أي: التوفي على الحالة المذكورة ﴿بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا

وَيَقُولَ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نَزَلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ مُعْجَمَةٌ وَذَكَرَ فِيهَا الْقِسَالَ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَئِكَ لَهُمْ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ﴿١١﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿١٢﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ ﴿١٣﴾ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفَرَاتِ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَفْقَالُهَا ﴿١٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ آذَنُوا آذَنُوا وَعَلَى آذَنِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْهُدَىَ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ ﴿١٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَطِطُوعٌ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿١٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّيْتُمْ الْمَلَائِكَةَ بِصُرُوتٍ وَجُوهَهُمْ وَأَذْبَنَهُمْ ﴿١٧﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْحَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ وَفَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿١٨﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَصْحَابَهُمْ ﴿١٩﴾

أَسْحَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ: أي: العمل بما يرضيه ﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [٢٩] ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَصْحَابَهُمْ﴾ يظهر أحقادهم على النبي ﷺ والمؤمنين؟.

(١) فائدة: أخرج مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله خلق الخلق، حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطعية. قال: نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى. قال: فذاك لك». ثم قال رسول الله ﷺ: «اقرأوا إن شئتم»: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ [١٢] أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ ﴿١٣﴾ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفَرَاتِ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَفْقَالُهَا؟. مسلم - كتاب البر والصلة (٤٥) باب (٦) صلة الرحم وتحريم قطعيتها.

(١) بالكسر قراءة نافع، وقرأ بقية السبعة بفتح السين.

(٢) في نسخة القاضي: «القتل».

(٣) بضم الهمزة وكسر اللام وفتح الياء قراءة أبي عمرو، وقرأ بقية السبعة: ﴿وَأَمْلَى﴾ بفتح أوله واللام.

(٤) بالفتح قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ بقية السبعة: ﴿إِسْرَارَهُمْ﴾ بكسر الهمزة.

من طاعتكم وعصيانكم في الجهاد وغيره، بالياء والنون^(١) في الأفعال الثلاثة^(٢).

[٣٢] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ طريق الحق ﴿وَسَأَقُوا الرَّسُولَ﴾ خالفوه ﴿وَمِن بَعْدِ مَا نَبَّيْنَهُمْ أَلْحَدُوا﴾ هو معنى سبيل الله ﴿لَنْ يَصْرُوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحِطُّ أَعْمَلُهُمْ﴾ يطلها من صدقة ونحوها، فلا يرون لها في الآخرة ثوابًا، نزلت في المطعمين من أصحاب بدر^(٣) أو: في قريظة والنضير^(٤).

[٣٣] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تَبْطُلُوا أَعْمَلَكُمْ﴾ بالمعاصي^(٥) مثلاً.

[٣٤] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ طريقه، وهو الهدى ﴿لَنْ يَصْرُوا اللَّهَ شَيْئًا﴾ كَفَرُوا مَلَأَ فَمَنْ يَغْفِرُ اللَّهُ لَهُمْ﴾ نزلت في أصحاب القليب^(٦).

[٣٥] ﴿فَلَا تَهْتُوا﴾ تضعفوا ﴿وَدَعُوا إِلَى السَّلَامِ﴾ بفتح السين وكسرها^(٧)؛ أي: الصلح مع الكفار إذا لقيتموهم ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ﴾ حذف منه واو لام الفعل: الأعلون القاهرون ﴿وَاللَّهُ مَعَكُمْ﴾ بالعون والنصر^(٨) ﴿وَلَنْ يَرْكَبَكُمْ﴾ ينقصكم ﴿أَعْمَلَكُمْ﴾ أي: ثوابها.

[٣٦] ﴿إِنَّمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا﴾ أي: الاشتغال فيها ﴿لَيْسَ وَكُفُوهٌ وَإِنْ تَوَيْتُمْ﴾ وتفقوا ﴿اللَّهُ ذَلِكَ مِنْ أُمُورِ الْآخِرَةِ﴾ ﴿يُؤْتِكُمْ أَجُورَكُمْ وَلَا يَسْتَلِكُمْ أَمْوَالَكُمْ﴾ جميعها، بل الزكاة المفروضة فيها.

[٣٧] ﴿إِنْ يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ﴾ يبالغ في طلبها ﴿تَبْخُلُوا﴾ وتخرج البخل ﴿أَصْنَعْنَا لَكُمْ﴾ لدين الإسلام.

[٣٨] ﴿هَؤُلَاءِ نُدْعُوهُنَّ﴾ يا هؤولاء ندعوهم ﴿لِيُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ما فرض عليكم ﴿فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلُ فَإِنَّمَا يَبْخُلُ عَن نَفْسِهِ﴾ يقال: يبخل عليه وعنه ﴿وَاللَّهُ الْعَلِيُّ﴾ عن نفقتكم ﴿وَأَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ﴾ إليه ﴿وَإِنْ تَنَزَّلُوا﴾ عن طاعته ﴿يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ أي: يجعلهم بدلکم ﴿ثُمَّ لَا يَكُونُوا أُمَّتًا لَكُمْ﴾ في التولي عن طاعته، بل مطيعين له ^(٩).

وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْ هُمْ فَاعْرِفْتُمْ بِسِمَتِهِمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَلَكُمْ ﴿٣٠﴾ وَلَتَبْلُؤَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالضَّالِّينَ وَتَبْلُؤُوا أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَسَأَقُوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا نَبَّيْنَهُمْ لَهُمْ أَلْحَدُوا لَنْ يَصْرُوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحِطُّ أَعْمَلُهُمْ ﴿٣٢﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تَبْطُلُوا أَعْمَلَكُمْ ﴿٣٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ نَصْرُوا مَا نَوَّاهُمْ كَفَرًا فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾ فَلَا تَهْتُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكُكُمْ أَهْلًا إِنَّهَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا لَعِبٌّ وَأَهْوَى وَإِنْ تَوَيْتُمْ يَؤُوتِكُمْ أَجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ ﴿٣٥﴾ إِنْ يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخُلُوا وَيُخْرِجْ أَصْعَابَكُمْ ﴿٣٦﴾ هَؤُلَاءِ هَؤُلَاءِ نُدْعُوهُنَّ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلُ فَإِنَّمَا يَبْخُلُ عَن نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْعَلِيُّ وَأَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَسَوَّلُوا يُسْتَبَدَّلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أُمَّتًا لَكُمْ ﴿٣٨﴾

[٣٠] ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْ هُمْ فَاعْرِفْتُمْ﴾ وكررت اللام في: ﴿لَتَعْرِفَنَّهُمْ بِسِمَتِهِمْ﴾ علامتهم ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ﴾ الواو لقسم محذوف، وما بعدها جوابه ﴿فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ أي: معناه إذا تكلموا عندك، بأن يعرضوا بما فيه تهجين أمر المسلمين ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَلَكُمْ﴾.

[٣١] ﴿وَلَتَبْلُؤَنَّكُمْ﴾ نخبركم بالجهاد وغيره ﴿حَتَّى نَعْلَمَ﴾ علم ظهور ﴿الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالضَّالِّينَ﴾ في الجهاد وغيره ﴿وَتَبْلُؤُوا﴾ نُظِّهُمُ ﴿أَخْبَارَكُمْ﴾

(٥) فائدة: أخرج الترمذي عن أبي هريرة قال: تلا رسول الله ﷺ يوماً هذه الآية: ﴿وَإِنْ تَسَوَّلُوا يُسْتَبَدَّلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أُمَّتًا لَكُمْ﴾ قالوا: ومن يستبدل لنا؟ قال: فضرب رسول الله ﷺ على منكب سلمان ثم قال: وهذا قومه، وهذا قومه. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٤٧) ومن سورة محمد، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٥٩٨).

(١) بالياء قراءة شعبة في الأفعال الثلاثة: أي: «ليلونكم»، و«يعلم»، و«يلو»، وقرأ بقية السبعة في الأفعال الثلاثة، بالنون.

(٢) في نسخة: «في ثلاثتها»، والأفعال الثلاثة هي: «ليلونكم»، و«تعلم»، و«يلو»، من هذه الآية.

(٣) هذا قول ابن عباس، كما في تفسير البغوي، أي الذين أطعموا قراء أهل مكة، الذين خرجوا لقتال المسلمين فيها.

(٤) ذكره الواحدي كما في زاد المسير.

(٥) ليست كل معصية مظنة للأعمال الصالحة، بل منها ما يبطلها جميعاً؛ كالردة، ومنها ما يبطل بعضها؛ كإرباب في أصل العمل، ومنها ما لا يبطل شيئاً.

(٦) «القليب»: هو بدر في «بدر»، ألقى فيه قتلى الكفار في معركة بدر. وظاهر الآية العموم وإن كان السبب خاصاً، كما قال الشوكاني في فتح القدير.

(٧) بالكسر قراءة شعبة وحزمة.

(٨) وهذا من لوازم معيته. شجائته. الخاصة بعباده المؤمنين، وحقيقتها الصحة اللائقة، ولا تنافي بينها وبين كونه مستوراً على عرشه بائناً من خلقه؛ فكلاهما حق.

سُورَةُ الْفَتْحِ

[مدنية، تسع وعشرون آية،

نزلت في الطريق عند الانصراف من الحديبية*]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ﴾ قضينا بفتح مكة^(١) وغيرها، في المستقبل غنوة بجهادك ﴿فَتَمَا يُبَيِّنَا﴾ يتناظرا. [٢] ﴿لِيَعْرِفَ لَكَ اللَّهُ﴾ بجهادك ﴿مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ منه؛ لترغب أمثلك في الجهاد، وهو مؤول؛ لعصمة الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - بالدليل العقلي القاطع من الذنوب، واللام للعلة الغائية، فمدحها لا مسبب لا سبب^(٢) ﴿وَيُنَبِّئُكَ﴾ بالفتح المذكور ﴿بِمَقْتَدَرِهِ﴾ إنعامه ﴿عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ﴾ به ﴿صِرَاطًا﴾ طريقًا ﴿مُسْتَقِيمًا﴾ يبتك عليه، وهو دين الإسلام. [٣] ﴿وَيُضِرُّكَ اللَّهُ﴾ به ﴿نَصْرًا عَزِيمًا﴾ ذا عز لا ذل له. [٤] ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ﴾ الطمأنينة ﴿فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ لِيَزِيدُوا إيمَانًا مَعَ إيمانهم ﴿بِشَرَاةِ الدِّينِ﴾ كلما نزل واحدة منها آمنوا بها، ومنها الجهاد ﴿وَاللَّهُ جُودٌ غَنُودٌ﴾ فلو أراد نصر دينه بغيركم لفعل ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾ بخلفه ﴿حَكِيمًا﴾ في صنعه؛ أي: لم يزل متصفاً بذلك. [٥] ﴿لِيُخَيِّلَ﴾ متملق محجوف؛ أي: أمر بالجهاد ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا^(٣). [٦] ﴿وَيُعَذِّبُ الْمُتَّقِينَ وَالْمُتَّقِينَ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمَاتِ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمَاتِ وَاللَّاتِيئَاتِ﴾ بفتح السين وضمها في المواضع الثلاثة^(٤)؛ ظنوا أنه لا ينصر محمداً ﷺ والمؤمنين ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾ بالذلل والعذاب ﴿وَعَصَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَعَتَمَهُمْ﴾ أبعدهم ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ مرجعاً. [٧] ﴿وَاللَّهُ جُودٌ غَنُودٌ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيمًا﴾ في ملكه ﴿حَكِيمًا﴾ في صنعه؛ أي: لم يزل متصفاً بذلك.

(٥) ما جاء في نزول السورة: أخرج البخاري عن زيد بن أسلم عن أبيه أن رسول الله ﷺ كان في بعض أسفاره، وعمر بن الخطاب يسير معه ليلاً، فسأله عمر بن الخطاب عن شيء فلم يجبه رسول الله ﷺ، ثم سأله فلم يجبه، ثم سأله فلم يجبه، فقال عمر بن الخطاب: نكلت أم عمر عمر، تزوت رسول الله ﷺ ثلاث مرات كل ذلك لا يجيبك، قال عمر: فحركت بعيري ثم تقدمت أمام الناس، وخشيت أن يزل في القرآن، فما نشيت أن سمعت صارتاً يصرخ بي. فقلت: لقد خشيت أن يكون نزل في قرآن، فجيئت رسول الله ﷺ نسلمت عليه فقال: «لقد أنزل عليّ الليلة سورة هي أحب إليّ مما طلعت عليه الشمس، ثم قرأ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة الفتح (٤٨) باب (١).

وأخرج أيضاً عن سهل بن حنيف قال: أنها الناس اتهموا أنفسهم، فإنا كنا مع النبي ﷺ يوم الحديبية ولو نرى قتالاً لقاتلنا، فجاء عمر ابن الخطاب فقال: يا رسول الله، ألسنا على الحق وهم على الباطل؟ فقال: «بلى». فقال: أليس قتلانا في الجنة وقاتلهم في النار؟ قال: «بلى». قال: فعلام تعطي الدنيا في ديننا؟ أترجع ولا يحكم الله بيننا وبينهم؟ فقال: «يا ابن الخطاب، إني رسول الله ولن يضيغي الله أبداً، فانطلق عمر إلى أبي بكر فقال له مثل ما قال للنبي ﷺ، فقال: إنه رسول الله، ولن يضيغيه الله أبداً. فنزلت سورة الفتح، فقرأها رسول الله ﷺ على عمر، فقال عمر: يا رسول الله، أو فتح هو؟ قال: نعم». البخاري - كتاب الجزية والموادعة (٥٨) باب (١٨).

وأخرج أحمد عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم قال: خرج رسول الله ﷺ عام الحديبية يريد زيارة البيت لا يريد قتالاً... حتى إذا كان بعسفان لقيه بشر بن سفيان الكعبي وقال: يا رسول الله، هذه قريش قد سمعت بمسيرك فخرجت معها العوز المطافل، قد ليسوا جلود النور يهادنون الله أن لا تدخلها عليهم عنوة أبداً... فأتاه سهل بن عمرو، فلما رآه النبي ﷺ قال: «قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل»... حتى إذا كان بين يدي مكة والمدينة في وسط الطريق، فنزلت سورة الفتح. أحمد في مسنده (٣٢٦/٤). وأخرج أيضاً عن عبد الله بن مسعود قال: لما انصرفنا من غزوة الحديبية، قال رسول الله ﷺ: «من يحرسنا الليلة؟» قال عبد الله: أنا... ونزلت على رسول الله ﷺ سورة الفتح. أحمد - المسند (٣٩١/١)، (٤٦٤)، وقال أحمد شاكر: (إسناده صحيح (٣٧١٠).

(٥٥) ما جاء في نزول الآية (٥): أخرج الترمذي عن أنس بن مالك قال: نزلت على النبي ﷺ: ﴿لِيَعْرِفَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ مرجعه من الحديبية، فقال النبي ﷺ: «لقد نزلت عليّ آية أحب إليّ مما على الأرض» ثم قرأها النبي ﷺ عليهم. فقالوا: هنيئاً مريئاً يا نبي الله، قد بين الله لك ما يفعل بك، فماذا يفعل بنا؟ فنزلت عليه: ﴿لِيُخَيِّلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ حتى بلغ ﴿فَوْزًا عَظِيمًا﴾. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٤٩) ومن سورة الفتح، وضمحه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٦٠١).

(١) الراجح أن المراد بالفتح هنا هو صلح الحديبية.

(٢) قال أبو السعود في تفسيره ﴿لِيَعْرِفَ لَكَ اللَّهُ﴾: «غاية للفتح، من حيث إنه مترتب على سعيه عليه الصلاة والسلام في إغلاء كلمة الله - تعالى -، بمكابدة مشاق الحروب، واقتحام موارد الخطوب. ﴿مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾: أي جمع ما فرط منك من ترك الأولى. وتسميته ذنباً بالنظر إلى منصبه الجليل».

(٣) هنا سبق قلم من المصنف رحمه الله، فهذه الآية، والموضع الثاني في الآية (١٢) من هذه السورة، وهو قوله تعالى: ﴿وَوظنتم ظن السوء﴾ ليس فيها إلا فتح السين باتفاق القراء، وليس فيها ضمها باتفاقهم. وأما الضم والفتح؛ ففي قوله تعالى: ﴿عليهم دائرة السوء﴾ فقط؛ بفتح السين وضمها، والضم قراءة ابن كثير وأبي عمرو.

[١٠] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ هو نحو ﴿مَنْ طَبَعَ الرَّسُولَ فَقَدْ طَبَعَ اللَّهَ﴾^(٣) ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ التي يبايعوا بها النبي؛ أي: هو تعالى مطلع على مبايعتهم فيجازيهم عليها^(٤) ﴿فَمَنْ تَكَبَّ﴾ نقض البيعة ﴿فَأَمَّا يَنْتَكِبُ﴾ يرجع وبال نقضه ﴿عَلَى نَفْسِهِ﴾ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا^(٥) ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

[١١] ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾ حول المدينة؛ أي: الذين خلفهم الله عن صحبتك، لما طلبتهم ليخرجوا معك إلى مكة، خوفًا من تعرض قريش لك عام الحديبية، إذا رجعت منها: ﴿سَخَّطْنَا أَمْوَالَنَا وَأَهْلُونَا﴾ عن الخروج معك ﴿فَأَسْتَغْفِرْ لَنَا﴾ الله، من ترك الخروج معك، قال - تعالى - مكذبًا لهم: ﴿يَقُولُونَ بِاللَّيْسِيَّةِ﴾ أي: من طلب الاستغفار وما قبله ﴿مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ فهم كاذبون في اعتذارهم ﴿فَلَمَنْ﴾ استفهام بمعنى النفي؛ أي: لا أحد ﴿يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ إِنَّ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا﴾ بفتح الضاد وضمها^(٦) ﴿أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا﴾ بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ أي: لم يزل متصفاً بذلك.

[١٢] ﴿بَلْ﴾ في الموضعين للانتقال من غرض إلى آخر ﴿ظَنَنْتُمْ أَن لَّنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا﴾ وَوَرَّيْتَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ أي: أنهم يُستأصلون بالقتل، فلا يرجعون ﴿وَلظننتم ظن السوء﴾ هذا وغيره ﴿وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾ جمع بائر؛ أي: هالكين عند الله بهذا الظن.

[١٣] ﴿وَمَنْ لَّمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا﴾ نازا شديدة.

[١٤] ﴿وَاللَّهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا رَّحِيمًا﴾ أي: لم يزل متصفاً بما ذكر.

[١٥] ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ﴾ المذكورون: ﴿إِذَا أَنْطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَكَانٍ﴾ هي معانم خيبر ﴿لِتَأْخُذُواهَا دَرُونَا﴾ اتركونا ﴿نَتَّبِعْكُمْ﴾ لناخذ منها ﴿يُرِيدُونَ﴾ بذلك ﴿أَن يَسِّرَلُوا كَلِمَ اللَّهِ﴾ وفي قراءة^(٧): ﴿كَلِمَ اللَّهِ﴾ بكسر اللام؛ أي: مواعيده بغنائم خيبر أهل الحديبية خاصة ﴿قُلْ لَن نَّبْعُوثُنَا﴾ كَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: قبل عودنا ﴿فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا﴾ أن نصيب معكم من الغنائم، فقلتم ذلك ﴿بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ﴾ من الدين ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ منهم.

إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ تَكَبَّ فَإِنَّمَا يَنْتَكِبُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَخَّطْنَا أَمْوَالَنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِاللَّيْسِيَّةِ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا بَلْ ظَنَنْتُمْ أَن لَّنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَرَّيْتَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَّتُمْ ظَنَ السَّوِّءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا وَمَنْ لَّمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا وَاللَّهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا رَّحِيمًا سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا أَنْطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَعَانِمِ لِنَأْخُذُواهَا دَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يَسِّرَلُوا كَلِمَ اللَّهِ قُلْ لَن نَّبْعُوثُنَا كَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا

[٨] ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا﴾ على أمتك في القيامة ﴿وَمُشِيرًا﴾ لهم في الدنيا بالجنة ﴿وَنَذِيرًا﴾ منذرًا، مُحَوِّفًا فيها مَنْ عمل سوءًا بالنار.
[٩] ﴿الْيُؤْمِنُونَ﴾ يَأْتِيَهُمْ وَرَسُولُهُ﴾ بالياء والتاء^(١)، فيه وفي الثلاثة بعده ﴿وَيُؤْمِنُونَ﴾ ينصروه، وقرئ^(٢) برلين مع الفوقانية ﴿وَيُؤْمِنُونَ﴾ يعظموه، وضميرها لله أو لرسوله ﴿وَيُسَبِّحُونَ﴾ أي: الله ﴿بِحَمْدِهِ وَأَصِيلًا﴾ بالغداة والعشي.

(١) بالياء قراءة ابن كثير وأبي عمرو، وقرأ بقية السبعة بالتاء.

(٢) أي شذوذاً.

(٣) النساء: ٨٠.

(٤) وهذا تفسير باللام، ولا يمنع ذلك من إثبات اليد حقيقة لله ﴿يَقْبَلُ عَلَىٰ مَا يَلِيقُ بِهِ﴾ كما هو مذهب أهل السنة.

(٥) بالنون قراءة نافع وابن كثير وابن عامر، وقرأ بقية السبعة بالياء.

(٦) بالضم قراءة حمزة والكسائي.

(٧) لحمزة والكسائي.

[١٦] ﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سُدُّونَ إِلَى قَوْمِ آبَائِكُمْ لِمَا هُمْ فِيهَا مِنَ الْبَأْسِ فَسَدُّوا إِلَيْكُمْ قُلُوبَهُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ الْوَيْلَ وَالْجَلَدَ الْبَاسَ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ الْقُرْآنَ الَّذِي فَصَّلْنَا لَكُمْ فِيهِ آيَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ قال: هم بنو حنيفة أصحاب اليمامة، وقيل: فارس والروم ﴿تَقْبَلُونَهُمْ﴾ حال مقدرة، هي المدعو إليها في المعنى ﴿أَوْ﴾ هم ﴿يَسْلُبُونَ﴾ فلا تقاتلون ﴿فَإِن تَطِيعُوا﴾ إلى قتالهم ﴿يُؤْتِكُمْ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِن تَنكَبُوا كَمَا نَتَكَبَّرُ لَكُمْ تَنكَبُوا إِلَيْنَا﴾ مؤلماً.

[١٧] ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ فِي الْمَجَاهِدِ وَمَن يَطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ بِالْبَاءِ وَالنُّونِ (١) الْجَنَّةَ يَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَن يَتَوَلَّ يَؤْذِبْهُ بِالْبَاءِ وَالنُّونِ (٢)﴾

[١٨] ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ بِالْحُدَيْبِيَةِ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ هي سمرة، وهم ألف وثلاثمائة أو أكثر، ثم بايعهم على أن يباجزوا قريباً وأن لا يفروا من الموت ﴿فَلَيْمَ﴾ الله ﴿مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ من الصدق والوفاء ﴿فَأَنزَلَ التَّسْكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ هو فتح خيبر، بعد انصرافهم من الحديبية.

[١٩] ﴿وَمَعَانِدَ كَثِيرَةٍ يَأْخُذُونَهَا﴾ من خيبر ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ أي: لم يزل متصفاً بذلك.

[٢٠] ﴿وَعَدَدَكُمْ اللَّهُ مَعَانِدَ كَثِيرَةٍ تَأْخُذُونَهَا﴾ من الفتوحات ﴿فَعَجَلَ لَكُمْ هَذِهِ﴾ غنيمة خيبر ﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ﴾ في عيالكم لما خرجتم وهمت بهم اليهود، فغذف الله في قلوبهم الرعب ﴿وَلَيَكُونَنَّ﴾ أي: المعجزة، عطف على مقدر؛ أي: لتشكروه ﴿آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ في نصرهم ﴿وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ أي: طريق التوكل عليه، وتفويض الأمر إليه - تعالى ..

[٢١] ﴿وَأَنزَلْنَا﴾ صفة «مغامم» مقدراً، مبتدأ ﴿لَقَدْ قَدَرُوا عَلَيْهَا﴾ هي من فارس والروم ﴿قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا﴾ علم أنها ستكون لكم ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ أي: لم يزل متصفاً بذلك.

[٢٢] ﴿وَلَوْ فَتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالحديبية ﴿لَوْلُوا الْأَذْدَرُ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا﴾ يحرسهم ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾.

[٢٣] ﴿سُنَّةَ اللَّهِ﴾ مصدر مؤكّد لمضمون الجملة قبله، من هزيمة

قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سُدُّونَ إِلَى قَوْمِ آبَائِكُمْ لِمَا هُمْ فِيهَا مِنَ الْبَأْسِ فَسَدُّوا إِلَيْكُمْ قُلُوبَهُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ الْوَيْلَ وَالْجَلَدَ الْبَاسَ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ الْقُرْآنَ الَّذِي فَصَّلْنَا لَكُمْ فِيهِ آيَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ وَإِن تَنكَبُوا كَمَا نَتَكَبَّرُ لَكُمْ تَنكَبُوا إِلَيْنَا لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ وَمَن يَطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَن يَتَوَلَّ يَؤْذِبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَعَانِدَ كَثِيرَةٍ يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَدَكُمْ اللَّهُ مَعَانِدَ كَثِيرَةٍ تَأْخُذُونَهَا فَعَجَلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلَيَكُونَنَّ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأَخْرَى لَقَدْ قَدَرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَوْ فَتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلُوا الْأَذْدَرُ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلُ وَلَن يَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾

الكافرين ونصر المؤمنين؛ أي: سن الله ذلك سنة ﴿الَّتِي قَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلُ﴾ وَلَن يَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا منه.

(١) بالنون قراءة نافع وابن عامر.

(٢) بالنون قراءة نافع وابن عامر.

وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿١٤﴾ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدَىٰ مَعَكُمْ فَأَنْ يُبَلَغَ مَجْلَهُ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَرِيسَاءٌ مُؤْمِنَةٌ لَمْ تَعْلَمُوهُنَّ أَنْ تَطَّوَّهُنَّ فَصَّيْبِكُمْ مِنْهُنَّ مَعْرَةٌ يَعْبُرُ عِلْمٌ لِئُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٥﴾ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ الْحَمِيَّةَ مِنَ الشَّيْءِ حَمِيَّةٌ كَالْحَمِيَّةِ بَدَلٌ مِنَ «الحمية» وهي صدهم النبي وأصحابه عن المسجد الحرام ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ فصالحوهم على أن يعودوا من قابل، ولم يلحقهم من الحمية ما لحق الكفار، حتى يقالوهم ﴿وَأَلَزَمْتَهُمْ﴾ أي: المؤمنين ﴿كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ﴾ لا إله إلا الله محمد رسول الله، وأضيفت إلى التقوى؛ لأنها سببها ﴿وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا﴾ بالكلمة من الكفار ﴿وَأَهْلَهَا﴾ عطف تفسيري ﴿وَكَانَ اللَّهُ يَكْلِفُ شَيْءٌ عِلْمًا﴾ أي: لم يزل متصفاً بذلك، ومن معلومه - تعالى - أنهم أهلها. [٢٧] ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ﴾ رأى رسول الله ﷺ في النوم عام الحديبية قبل خروجه أنه يدخل مكة هو وأصحابه، آمنين ويحلقون ويقصرون، فأخبر بذلك أصحابه ففرحوا، فلما خرجوا معه وصددهم الكفار بالحديبية ورجعوا وشق عليهم ذلك وراب بعض المنافقين نزلت، وقوله: ﴿بِالْحَقِّ﴾ متعلق بـ﴿صَدَقَ﴾، أو حال من ﴿الرُّؤْيَا﴾ وما بعدها تفسيرها ﴿لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ للبرك ﴿عَامِينَ تَحِيَّينَ رُؤُوسِكُمْ﴾ أي: جمع شعورها ﴿وَمُقَصِّرِينَ﴾ بعض شعورها، وهما حالان مقدرتان ﴿لَا تَخَافُوتَ﴾ أبداً ﴿فَعَلِمَ﴾ في الصلح ﴿مَا لَمْ تَعْلَمُوا﴾ من الصلاح ﴿فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ﴾ أي: الدخول ﴿فَقَتَحًا قَرِيبًا﴾ هو فتح خيبر، وتحققت الرؤيا في العام القابل.

﴿٢٦﴾ [٢٦] ﴿إِذْ جَعَلَ﴾ متعلق بـ﴿عَذَّبْنَا﴾ ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فاعل ﴿فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ﴾ الأنفة من الشيء ﴿حَمِيَّةٌ كَالْحَمِيَّةِ﴾ بدل من «الحمية»، وهي صدهم النبي وأصحابه عن المسجد الحرام ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ فصالحوهم على أن يعودوا من قابل، ولم يلحقهم من الحمية ما لحق الكفار، حتى يقالوهم ﴿وَأَلَزَمْتَهُمْ﴾ أي: المؤمنين ﴿كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ﴾ لا إله إلا الله محمد رسول الله، وأضيفت إلى التقوى؛ لأنها سببها ﴿وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا﴾ بالكلمة من الكفار ﴿وَأَهْلَهَا﴾ عطف تفسيري ﴿وَكَانَ اللَّهُ يَكْلِفُ شَيْءٌ عِلْمًا﴾ أي: لم يزل متصفاً بذلك، ومن معلومه - تعالى - أنهم أهلها. [٢٧] ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ﴾ رأى رسول الله ﷺ في النوم عام الحديبية قبل خروجه أنه يدخل مكة هو وأصحابه، آمنين ويحلقون ويقصرون، فأخبر بذلك أصحابه ففرحوا، فلما خرجوا معه وصددهم الكفار بالحديبية ورجعوا وشق عليهم ذلك وراب بعض المنافقين نزلت، وقوله: ﴿بِالْحَقِّ﴾ متعلق بـ﴿صَدَقَ﴾، أو حال من ﴿الرُّؤْيَا﴾ وما بعدها تفسيرها ﴿لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ للبرك ﴿عَامِينَ تَحِيَّينَ رُؤُوسِكُمْ﴾ أي: جمع شعورها ﴿وَمُقَصِّرِينَ﴾ بعض شعورها، وهما حالان مقدرتان ﴿لَا تَخَافُوتَ﴾ أبداً ﴿فَعَلِمَ﴾ في الصلح ﴿مَا لَمْ تَعْلَمُوا﴾ من الصلاح ﴿فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ﴾ أي: الدخول ﴿فَقَتَحًا قَرِيبًا﴾ هو فتح خيبر، وتحققت الرؤيا في العام القابل.

﴿٢٨﴾ [٢٨] ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ﴾ أي: دين الحق ﴿عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ على جميع باقي الأديان ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ أنك مرسل بما ذكر.

﴿٢٤﴾ [٢٤] ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ بِالْحَدِيْبِيَّةِ﴾ أي: بعد أن أظفركم عليهم، فإن ثمانين منهم طافوا بعسكركم؛ ليصيبوا منكم فأجذوا وأتى بهم إلى رسول الله ﷺ فعفا عنهم وخلي سبيلهم، فكان ذلك سبب الصلح^(١) ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ بصيركم ﴿بَالِيَاءَ وَالنَّاءِ﴾؛ أي: لم يزل متصفاً بذلك. [٢٥] ﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أي: عن الوصول إليه ﴿وَالْهُدَىٰ﴾ معطوف على «كم»^(٢)

(٥) ما جاء في نزول الآية (٢٤): أخرجه مسلم عن أنس رضي الله عنه أن ثمانين رجلاً من أهل مكة، هبطوا على رسول الله ﷺ من جبل التنعيم متسلحين، يريدون غرة النبي ﷺ وأصحابه، فأخذهم سلماً فاستحياهم، فأمر الله ﷻ: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾. مسلم - كتاب الجهاد والسير (٣٢) باب (٤٦) (وهو الذي كف أيديهم عنكم).

وأخرج مسلم أيضاً عن سلمة بن الأكوع قال: ... فلما اصطلحنا نحن وأهل مكة واخلط بعضنا بعضاً، أتيت شجرة دكسخت^(١) أي كسخت^(٢) شوكها فاضطجعت في أصلها. قال: فأتاني أربعة من المشركين من أهل مكة، فجعلوا يقعون في رسول الله ﷺ فأبغضتهم، فتحولت إلى شجرة أخرى، وعلقوا سلاحهم واضطجعوا، فبينما هم كذلك؛ إذ نادى مناد: يا للهاجرين؛ قتل ابن زينم. قال: فاحترطت سفي، ثم شدت على أولئك الأربعة وهم رقود، فأخذت سلاحهم، فجعلته ضيقاً [حزمة] في يدي. قال: ثم قلت: والذي كرم وجهه محمد، لا يرفع أحد منكم رأسه، إلا ضربت الذي فيه عيابه. قال: ثم جئت بهم أسوقهم إلى رسول الله ﷺ فنظر إليهم رسول الله ﷺ فقال: «دعهم يكن لهم بدء الفجور وثناؤه فعفا عنهم رسول الله ﷺ، وأنزل الله: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ﴾ الآية. مسلم - كتاب الجهاد والسير (٣٢) باب (٤٥) غزوة ذي قرد وغيرها.

وأخرج البخاري عن المنصور بن مخزوم ومروان في حديث طويل، وفيه قصة أبي بصير وتربصه ومن أوى إليه من المسلمين حتى لا يردهم المسلمون إلى قريش - كما في شروط صلح الحديبية - وقطعهم الطريق على قوافل قريش وغيرها - فأرسلت قريش إلى النبي ﷺ تناشده الله والرحم لئلا أرسل فمن أتاه فهو آمن، فأرسل النبي ﷺ إليهم، فأمر الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ﴾... الآية. البخاري - كتاب الشروط (٥٤) - باب (١٥) الشروط في الجهاد. قال الحافظ: ووظاهره أنها نزلت في شأن أبي بصير. وفيه نظر. والمشهور في سبب نزولها ما أخرجه مسلم من حديث سلمة بن الأكوع ومن حديث أنس بن مالكه الفتح (٤١٤/٥).

(٢) أي: الضمير في (صدوكم)، والمعنى منعكم ومنعوا الهدى.

(١) بالياء قراءة أبي عمرو.

[٢٩] كما قال الله - تعالى: **﴿مُحَمَّدٌ﴾** مبتدأ **﴿رَسُولُ اللَّهِ﴾** خبره **﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾** أي: أصحابه من المؤمنين، مبتدأ، خبره: **﴿أَيُّدَاءُ﴾** غلاظ **﴿عَلَى الْكُفَّارِ﴾** لا يرحمونهم **﴿وَحِمَاءَ يَنْهَمُ﴾** خبر ثان؛ أي: متعاطفون متوادون، كالوالد مع الولد **﴿زَيْنَهُمْ﴾** تصبرهم **﴿رُكْمًا سَجْدًا﴾** حالان **﴿يَنْتَوُونَ﴾** مستأنف يطلبون **﴿فَسَلَا مِنَّ اللَّهُ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ﴾** علامتهم، مبتدأ **﴿فِي وَجُوهِهِمْ﴾** خبره، وهو نور وياض يعرفون به في الآخرة أنهم سجودوا في الدنيا^(١) **﴿مِنَ آثَرِ السُّجُودِ﴾** متعلق بما تعلق به الخبر؛ أي: كائنه، وأغرب حالاً من ضميره المنتقل إلى الخبر **﴿ذَلِكَ﴾** الوصف المذكور **﴿مَثَلَهُمْ﴾** صفتهم، مبتدأ **﴿فِي التَّوْبَةِ﴾** خبره **﴿وَمَتْلَعُهُ فِي الْإِنجِيلِ﴾** مبتدأ، خبره: **﴿كَرَجٍ أَخْرَجَ سَطْفَهُ﴾** بسكون الطاء وفتحها^(٢)؛ فراحه^(٣) **﴿فَارْزَرَهُ﴾** بالمد والقصر^(٤)؛ قواه وأعانه **﴿فَأَسْتَغْلَطَ﴾** غلظ **﴿فَأَسْتَوَى﴾** قوي واستقام **﴿عَلَى سُوْقَيْهِ﴾** أصوله، جمع ساق **﴿يَعْجِبُ الزُّرَّاعَ﴾** أي: زراعته؛ لحسنه، مثل الصحابة - رضي الله عنهم - بذلك؛ لأنهم بدأوا في قلة وضعف، فكثروا وقوّوا على أحسن الوجوه **﴿يَعْبِطُ بِهِمُ الْكُفَّارُ﴾**^(٥) متعلق بمحذوف دل عليه ما قبله؛ أي: شبهوا بذلك **﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ﴾** الصحابة، و«من» لبيان الجنس لا للتبعض؛ لأنهم كلهم بالصفة المذكورة **﴿مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾** وهما^(٦) لمن بعدهم - أيضاً - في آيات.

سُورَةُ الْحُجْرَاتِ (٢٤)

[مدنية، ثمان عشرة آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا﴾** من قَدَّمَ بمعنى تقدم؛ أي: لا تقدموا بقول ولا فعل **﴿بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾** المبلغ عنه؛ أي: بغير إذنهما **﴿وَأَنْتُمْ أَلَّهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾** لقولكم **﴿عَلَيْكُمْ﴾** بفعلكم، نزلت في مجادلة أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - على^(٧) النبي ﷺ في تأمير الأقرع بن حابس أو القعقاع بن معبد^(٨)، [٢] ونزل فيمن رفع صوته عند النبي ﷺ: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ﴾** إذا نطقتم **﴿فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾** إذا نطق **﴿وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ﴾** إذا ناجيته **﴿كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾** بل دون ذلك إجلالاً له **﴿أَنْ تَحِطَّ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾** أي: خشية ذلك بالرفع والجهر المذكورين^(٩)، [٣] ونزل فيمن كان يخفض صوته عند النبي ﷺ كأبي بكر وعمر^(١٠) وغيرهما^(١١) **﴿إِنَّ الَّذِينَ يَعْضُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ﴾**

﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سَجْدًا يَنْتَوُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وَجُوهِهِمْ مِنْ آثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْبَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَرَجٍ أَخْرَجَ سَطْفَهُ فَفَارَزَهُ وَفَأَسْتَغْلَطَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوْقَيْهِ يَعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾

سورة الحجرات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحِطَّ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنْ الَّذِينَ يَعْضُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِنْ الَّذِينَ يَتَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾

أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اختبر **﴿اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى﴾** أي: لتظهر منهم **﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾** الجنة. [٤] ونزل في قوم جاؤوا وقت الظهيرة والنبي ﷺ في منزله فنادوه: **﴿إِنَّ الْكَلْبَ يَتَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ﴾** حجار نساته ﷺ، جمع حجرة، وهي ما يحجر عليه من الأرض بحائط ونحوه، وكان كل واحد منهم نادى خلف حجرة - لأنهم لم يعلموه في أي حجرة - مناداة الأعراب بغلظة وجفاء^(١) **﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾** - فيما فعلوه - محلك الرفع وما يناسبه من التعظيم.

(٥) ما جاء في نزول الآيتين (٢، ١): أخرج البخاري عن عبد الله بن الزبير **﴿عنه﴾**: أنه قدم ركب من بني تميم على النبي ﷺ، فقال أبو بكر: أمر القعقاع بن معبد بن زرارة، فقال عمر: بل أمر الأقرع بن حابس، قال أبو بكر: ما أردت إلا خلافي، قال عمر: ما أردت خلافك، فماريا حتى ارتفعت أصواتهما، فنزلت في ذلك: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾** حتى اقتضت =

(١) الظاهر أن المراد بالسيما هنا علامتهم في الدنيا، وإن كانوا في الآخرة كذلك يعرفون بالمر المحجلين، قال بعض المفسرين: أي قد أثرت العبادة من كثرتها وحسنها في وجوههم حتى استنارت، لما استنارت بالصلاة بواطهم استنارت بالجلال ظواهرهم. (٢) بالفتح قراءة ابن كثير وابن ذكوان. (٣) السطفة: فراخ النخل. (٤) بالقصر قراءة ابن ذكوان. (٥) استنبط الإمام مالك من هذه الآية تكفير الشيعة والروافض الذين يُعَضُّون الصحابة رضي الله عنهم؛ فإنهم يغيظونهم، ومن غاظه الصحابة فهو كافر، وواقفه كثير من العلماء. انتهى من «المواهب» نقلًا عن روح المعاني للأوسلي. (٦) أي: المغفرة والأجر العظيم؛ لمن بعدهم من المؤمنين. (٧) كذا في أكثر النسخ المطبوعة، وفي حاشية الجمل والصابوي: «الأولى أن يقول: «عند النبي»، وفي نسخة القاضي: «عنده». (٨) البخاري (٤٣٦٧، ٤٨٤٧). (٩) أي: حين بلغها النبي عن رفع الصوت؛ فصاروا يخفضان صوتهما عند النبي ﷺ؛ كما قال ابن الزبير عند البخاري (٤٨٤٥): فما كان عمر يُسَمِع رسول الله ﷺ بعد هذه الآية حتى يستفهمه. (١٠) لعله يشير إلى ما أخرجه الطبري في جامع البيان (٧٥/٢٦٦)، والطبراني في الكبير (٦٨/٢) رقم (١٣١٦)، والهيثمي في المجمع (٣٢١/٩) أنها نزلت في ثابت بن قيس بن شماس. وإسناده ضعيف كما ذكر في الاستيعاب (٢٦١/٣). (١١) يشير إلى ما أخرجه الطبري في جامعه (٧٧/٢٦٦)، والطبراني في الكبير (٨٧٨/١) وغيرهما عن الأقرع بن حابس أنه أتى النبي ﷺ، فقال: يا محمد، اخرج إلينا، فلم يُجِبْه، فقال: يا محمد، إن حمدي زين، وإن ذمي شين؛ فقال **﴿عنه﴾**: «ذاك الله؛ فأزل الله تعالى: **﴿إِنَّ الْكَلْبَ يَتَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾**. وأخرجه أحمد في مسنده مختصراً؛ دون ذكر أنه سب نزول الآية. وصححه في الاستيعاب (٢٦٣/٣).

عنهم: ﴿يَأْتِيَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ إن جاءكم فاسقاً بئسما خبر ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ صدقه من كذبه، وفي قراءة (٤): ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ من الثبات ﴿أَنْ تُبَيَّنُوا قَوْمًا﴾ مفعول له؛ أي: خشية ذلك ﴿بِحِيلَةٍ﴾ حال من الفاعل؛ أي: جاهلين ﴿فَنَصَّبُوا﴾ تصيروا ﴿عَلَى مَا قَعَلْتُمْ﴾ من الخطأ بالقوم ﴿تَدْمِينًا﴾ وأرسل إليهم بعد عودهم إلى بلادهم خالداً، فلم يرفيهم إلا الطاعة والخير فأخبر النبي بذلك (٥).

[٧] ﴿وَأَعْلَمُوا أَنْ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ﴾ فلا تقولوا الباطل، فإن الله يخبره بالحال ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ﴾ الذي تخبرون به على خلاف الواقع، فيرتب على ذلك مقتضاه ﴿لَعَنَتُمْ﴾ لأنتم دونه، إنتم التائب إلى المرتب ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ لَكُمْ﴾ حسنه ﴿فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْغَيْبَانَ﴾ استدراك من حيث المعنى دون اللفظ؛ لأن من حبب إليه الإيمان... إلخ، غايرت صفته صفة من تقدم ذكره ﴿أُولَئِكَ هُمُ﴾ فيه التفات عن الخطاب ﴿الرَّاشِدُونَ﴾ الثابتون على دينهم.

[٨] ﴿فَضَلَّ مِنْ اللَّهِ﴾ مصدر منصوب بفعله المقدر؛ أي: أفضل ﴿وَيَفْتَمَهُ﴾ منه ﴿وَأَلَّهَ عَلَيْهِ﴾ بهم ﴿حِكْمَةً﴾ في إنعامه عليهم.

[٩] ﴿وَلَنْ طَافِيئَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الآية، نزلت في قضية هي أن النبي ﷺ ركب حمازاً، ومر على ابن أبي، فبال حمارة، فسد ابن أبي أنفه، فقال ابن رواحة: والله لبول حمارة أطيب ريحاً من مسكك؛ فكان بين قوميها ضرب بالأيدي والنعال والسعف (١) ﴿أَقْتَتَلُوا﴾ جمع؛ نظراً إلى المعنى؛ لأن كل طائفة جماعة، وقرئ (٧): ﴿أَقْتَتَلْنَا﴾ ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ ثني نظراً إلى اللفظ ﴿فَإِنْ بَعَثَ﴾ تعدت ﴿إِحَادَهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَبِلُوا﴾ التي تبني حنئ تبيء ﴿ترجع﴾ إلى أمر الله ﴿الْحَقُّ﴾ فإن فآتت فأصلحوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ ﴿بِالْإِنصَافِ﴾ وَأَقْبَلُوا اعدلوا ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (٢).

[١٠] ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ في الدين ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخْوَيْكُمْ﴾ إذا تنازعا، وقرئ (٨): ﴿أَخْوَيْكُمْ﴾ بالفوقانية ﴿وَأَتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

[١١] ﴿يَأْتِيَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ الآية، نزلت في وفد تميم حين سخروا من قراء المسلمين؛ كعمار، وصهيب (٩)، والسخرية: الازدراء والاحتقار ﴿قَوْمٌ﴾ أي: رجال منكم ﴿وَمِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ﴾ عند الله ﴿وَلَا يَسَاءُ﴾ منكم ﴿مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ لا تعيبوا قعابوا؛ أي: لا يعب بعضهم بعضاً ﴿وَلَا تَنَابَرُوا﴾

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿يَأْتِيَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ إن جاءكم فاسقاً بئسما ﴿أَنْ تُبَيَّنُوا قَوْمًا﴾ تصيروا ﴿عَلَى مَا قَعَلْتُمْ﴾ من الخطأ بالقوم ﴿تَدْمِينًا﴾ وأرسل إليهم بعد عودهم إلى بلادهم خالداً، فلم يرفيهم إلا الطاعة والخير فأخبر النبي بذلك (٥).
[٧] ﴿وَأَعْلَمُوا أَنْ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ﴾ فلا تقولوا الباطل، فإن الله يخبره بالحال ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ﴾ الذي تخبرون به على خلاف الواقع، فيرتب على ذلك مقتضاه ﴿لَعَنَتُمْ﴾ لأنتم دونه، إنتم التائب إلى المرتب ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ لَكُمْ﴾ حسنه ﴿فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْغَيْبَانَ﴾ استدراك من حيث المعنى دون اللفظ؛ لأن من حبب إليه الإيمان... إلخ، غايرت صفته صفة من تقدم ذكره ﴿أُولَئِكَ هُمُ﴾ فيه التفات عن الخطاب ﴿الرَّاشِدُونَ﴾ الثابتون على دينهم.
[٨] ﴿فَضَلَّ مِنْ اللَّهِ﴾ مصدر منصوب بفعله المقدر؛ أي: أفضل ﴿وَيَفْتَمَهُ﴾ منه ﴿وَأَلَّهَ عَلَيْهِ﴾ بهم ﴿حِكْمَةً﴾ في إنعامه عليهم.
[٩] ﴿وَلَنْ طَافِيئَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الآية، نزلت في قضية هي أن النبي ﷺ ركب حمازاً، ومر على ابن أبي، فبال حمارة، فسد ابن أبي أنفه، فقال ابن رواحة: والله لبول حمارة أطيب ريحاً من مسكك؛ فكان بين قوميها ضرب بالأيدي والنعال والسعف (١) ﴿أَقْتَتَلُوا﴾ جمع؛ نظراً إلى المعنى؛ لأن كل طائفة جماعة، وقرئ (٧): ﴿أَقْتَتَلْنَا﴾ ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ ثني نظراً إلى اللفظ ﴿فَإِنْ بَعَثَ﴾ تعدت ﴿إِحَادَهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَبِلُوا﴾ التي تبني حنئ تبيء ﴿ترجع﴾ إلى أمر الله ﴿الْحَقُّ﴾ فإن فآتت فأصلحوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ ﴿بِالْإِنصَافِ﴾ وَأَقْبَلُوا اعدلوا ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (٢).
[١٠] ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ في الدين ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخْوَيْكُمْ﴾ إذا تنازعا، وقرئ (٨): ﴿أَخْوَيْكُمْ﴾ بالفوقانية ﴿وَأَتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

[٥] ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا﴾ «أنهم» في محل رفع بالابتداء، وقيل: فاعل لفاعل مقدر؛ أي: ثبت (١) ﴿حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لمن تاب منهم. [٦] ونزل في الوليد بن عقبة، وقد بعثه النبي ﷺ إلى بني المصطلق مُضِدِّقًا، فخافهم؛ لثرة (٢) كانت بينه وبينهم في الجاهلية، فرجع وقال: إنهم منعوا الصدقة وهما بقتله، فهم النبي ﷺ بغزوهم (٣)، فجاؤوا منكرين ما قاله

الآية. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة الحجرات (٤٩) باب (٢) وأخرج البخاري أيضاً عن ابن أبي مليكة؛ قال: كاد الحيران أن يهلكا؛ رفع أصواتهما عند النبي ﷺ حين قدم عليه ركب بني تميم؛ فأشار أحدهما بالأفزع بن حابس أخي بني مجاشع، وأشار الآخر برجل آخر. قال نافع: لا أحفظ اسمه. فقال أبو بكر لعمر: ما أردت إلا خلافي، فارتفعت أصواتهما في ذلك؛ فأنزل الله تعالى: ﴿يَأْتِيَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ سَعِيْتُمْ يَسْمَعُونَ﴾ أن تحبوا أصواتكم وأصواتهم لا تتشرون. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة الحجرات باب (٣).

(٥) ما جاء في نزول الآية (٩): أخرج البخاري عن أنس بن مالك قال: قيل للنبي ﷺ: لو أتيت عبد الله بن أبي، فانطلق إليه النبي ﷺ وركب حمازاً، فانطلق إليه النبي ﷺ حين قدم عليه ركب سيخة. فلما أتاه النبي ﷺ قال: إليك عني، والله لقد أذاني نتن حمارك، فقال رجل من الأنصار منهم: والله لعمار رسول الله ﷺ أطيب ريحاً منك، فغضب لعبد الله رجل من قومه فشمته، فغضب لكل واحد منهما أصحابه، فكان بينهما ضرب بالجرید والأيدي والنعال، فبلغنا أنها أنزلت: ﴿وَلَنْ طَافِيئَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أَقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا. البخاري - كتاب الصلح (٥٢) باب (١) ما جاء في الإصلاح بين الناس.

- (١) أي: ثبت صبرهم.
(٢) روي ذلك من حديث جابر بن عبد الله، كما عند الطبراني في الأوسط (١٣٣/٤)، ١٣٤ رقم (٣٧٩٧)، والهشيمي في المجمع (١١٠/٧) وقال: «وفيه عبد الله بن عبد القدوس التميمي، وقد ضعف الجمهور ووقفه ابن حبان، وبقية رجاله ثقات». وضعفه في الاستيعاب (٢٧٦/٣). وقد جاء من عدة طرق ذكرها الطبري والسيوطي وغيرهما، حسن بعضها صاحب الاستيعاب (٢٧٥/٣).
(٣) لحمزة والكسائي.
(٤) روي ذلك عن قتادة، ذكره الطبري في جامعه (٧٩/٢٦)، والسيوطي في الدر المنثور (٥٥٨/٧)، وهو ضعيف لإرساله كما في الاستيعاب (٢٧٧/٣).
(٥) أخرج نحوه البخاري (٢٦٩١) ومسلم (١٧٩٩) عن أنس بن مالك. وليس فيه ذكر البول ولا المسك.
(٦) أي: شذوذاً.
(٧) روي ذلك عن مقاتل، ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥٦٣/٧)، ونسبه لابن أبي حاتم، وهو ضعيف لإعضائه، كما في الاستيعاب (٢٨٢/٣).

يَأْتِيهِمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّجْمِ إِذْ هُمْ يُسَبِّحُونَ ﴿١١﴾ وَاللَّهُ يَخْتَارُ مَا يَسِّرُ وَيَصْعَقُ ﴿١٢﴾
 بِاللَّيْلِ وَالنَّجْمِ إِذْ هُمْ يُسَبِّحُونَ ﴿١١﴾ أي: المذکور من السخريه (١) واللمز والتناير ﴿الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ بدل من الاسم؛ لإفادته أنه فسق؛ لتكرره عادة ﴿وَمَنْ لَمْ يَتُبْ﴾ من ذلك ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (٢).

[١٢] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَجَنُّبًا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّكُم بِبَعْضِ الظَّنِّ إِتَدَّ﴾ أي: مؤثم، وهو كثير، كظن السوء بأهل الخير من المؤمنين، وهم كثير، بخلافه بالفساق منهم، فلا إثم فيه، في نحو ما يظهر منهم ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ حذف منه إحدى التائين؛ لا تتبعوا عورات المسلمين ومعابهم، بالبحث عنها ﴿وَلَا يَغْتَابَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ لا يذكره بشيء يكرهه، وإن كان فيه ﴿أَيُّبُ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ بالتخفيف والتشديد (٣)؛ أي: لا يحسُنْ به ﴿فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ أي: فاغتيابه في حياته كأكل لحمه بعد مماته، وقد عرض عليكم الثاني فكرهتموه، فآكروها الأول ﴿وَأَتَقُوا اللَّهَ﴾ أي: عقابه في الاعتباب، بأن تتوبوا منه ﴿إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ﴾ قابل توبة التائبين ﴿رَجِيمٌ﴾ بهم. [١٣] ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْتُم مِّن ذَرِّئٍ وَأُنثَىٰ ۖ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا ۖ جَمَعَ شَعْبٍ يَفْتَحُ الشَّيْنِ، هُوَ أَعْلَىٰ طَبَقَاتِ النَّسَبِ ﴿وَقَابِلٌ﴾ هي دون الشعوب، وبعدها: العماثر، ثم البطون، ثم الأفخاذ، ثم الفصائل آخرها. مثاله: خزمية: شعب، كنانة: قبيلة، قريش: عمارة - بكسر العين، قمي: بطن، هاشم: فخذ، العباس: فصيلة ﴿لِتَعَارَفُوا﴾ حذف منه إحدى التائين؛ ليعرف بعضكم بعضًا، لا لتفخروا بعلو النسب، وإنما الفخر بالتقوى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَىٰ﴾ أي: أكملكم ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بكم ﴿خَيْرٌ﴾ بيواطنكم.

[١٤] ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ﴾ نفر من بني أسد: ﴿أَمَّا﴾ صدقنا بقلوبنا ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿لَمْ تُوْثِقُوا وَلَكِن فُؤَلُوا اسْتَمْنَا﴾ انقدنا ظاهرًا ﴿وَلَمَّا﴾ أي: لم يدخل الإيمن في قلوبكم ﴿إِلَى الْأَن﴾ لكنه يتوقع منكم ﴿وَأَن تَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ بالإيمان وغيره ﴿لَا يَأْتِيكُمْ﴾ بالهزم، وتركه، وبإبداله (٤)؛ لا ينقصكم ﴿وَأَن أَعْمَلِكُمْ﴾ أي: من ثوابها ﴿شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ للمؤمنين ﴿رَجِيمٌ﴾ بهم.

[١٥] ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ﴾ أي: الصادقون في إيمانهم، كما صرح به بعد ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ لم يشكوا في الإيمان ﴿وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ فجاهدهم يُظهر صدق إيمانهم ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ في إيمانهم، لا من قالوا: أمنا، ولم يوجد منهم غير الإسلام.

[١٦] ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿أَعْمَلُونَ اللَّهَ يَدِينَكُمْ﴾ مُضَعَّفٌ عَلِيمٌ بمعنى شعر؛ أي: أُنشعرون بما أنتم عليه في قولكم: أمنا؟ ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَجَنُّبًا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِتَدَّ ﴿١١﴾
 وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَابِلٌ لِّتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَيْرٌ ﴿١٢﴾
 قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن فُؤَلُوا اسْمًا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَأْتِيَكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْءٌ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٣﴾
 إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٤﴾
 قُلْ أَعْمَلُونَ اللَّهَ يَدِينَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٥﴾
 عَلَيَّكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٦﴾
 غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾

[١٧] ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾ من غير قتال، بخلاف غيرهم ممن أسلم بعد قتاله منهم ﴿قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ﴾ منصوب بنزع الخافض «الباء»، ويقدر قبل «أن» في الموضعين (٤) ﴿بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في قولكم: أمنا.

[١٨] ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: ما غاب فيها ﴿وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ بالياء والتاء (٥)؛ لا يخفى عليه شيء منه.

(١) ما جاء في نزول الآية (١١): أخرج أبو داود عن أبي جبرية بن الضحاک قال: فبنا نزلت هذه الآية؛ في بني سلمة: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا بِاللَّيْلِ وَالنَّجْمِ إِذْ هُمْ يُسَبِّحُونَ﴾ قال: قدم علينا رسول الله ﷺ وليس منا رجل إلا وله اسمان وثلاثة، فجعل النبي ﷺ يقول: يا فلان، فيقولون: مه يا رسول الله! إنه بغضب من هذا الاسم، فأنزلت هذه الآية: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا بِاللَّيْلِ وَالنَّجْمِ﴾ أبو داود - كتاب الأدب (٣٥) باب (٧١) في الألقاب. (صحيح) صحيح سنن أبي داود (٤١٥١).

(١) في نسخة القاضي: «الشكر».

(٢) بالتشديد قراءة نافع.

(٣) قرأ أبو عمرو بهززة ساكنة بين الياء واللام، ويدل منها ألفًا إذا سهل كل همزة ساكنة، وقرأ بقية السبعة: ﴿لَا يَلْتَمِسْكُمْ﴾.

(٤) أي: في «أن أسلموا»، وأن هداكم.

(٥) بالياء قراءة ابن كثير، وقرأ بقية السبعة بالياء.

سورة ق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ۝ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكُفُورُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ۝ إِنْ دَامَتْنا وَكُنَّا آباءَ ذَٰلِكَ رَجَعُوا بِعَيْدٍ ۝ فَذَعَلْنَا مَا نَقُصُّ الْأَرْضِ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كَنْبٌ حَفِيفٌ ۝ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ ۝ أَفَأَمَرَ يُطْرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَيِّنُهَا وَرَبِّهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ۝ وَالْأَرْضِ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رِيسِي وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ۝ تَبَصَّرَةٌ وَدَكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ۝ وَزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبْدِرًا فَابْتَنَّا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ۝ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ۝ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ ۝ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّيِّسِ وَثَمُودُ ۝ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ۝ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ۝ أَفَعَيَّنَّا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ۝

سورة ق

[مكية، إلا: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَالْآيَةَ﴾، فمدنية، خمس وأربعون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿ق﴾ الله أعلم بمراده به ﴿وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ الكريم، ما آمن كفار مكة بمحمد ﷺ (١).
[٢] ﴿بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ﴾ رسول من أنفسهم يخوفهم بالنازل

بعد البعث ﴿فَقَالَ الْكُفُورُونَ هَذَا﴾ الإنذار ﴿شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾.

[٣] ﴿أَوَدَا﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين (١) ﴿وَسَنَّا وَكُنَّا زُرَابًا﴾ نرجع ﴿ذَٰلِكَ رَجَعُوا بِعَيْدٍ﴾ في غاية البعد.
[٤] ﴿فَدَعَلْنَا مَا نَقُصُّ الْأَرْضِ﴾ تأكل ﴿مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كَنْبٌ حَفِيفٌ﴾ هو اللوح المحفوظ، فيه جميع الأشياء المقدرة.

[٥] ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ﴾ بالقرآن ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ﴾ في شأن النبي ﷺ والقرآن ﴿فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ﴾ مضطرب؛ قالوا مرة: ساحر وسحر، ومرة: شاعر وشعر، ومرة: كاهن وكهانة.

[٦] ﴿أَفَأَمَرَ يُطْرُوا﴾ يعيونهم، معتبرين بعقولهم، حين أنكروا البعث ﴿إِلَى السَّمَاءِ﴾ كائنه ﴿فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَيِّنُهَا﴾ بلا عمد ﴿وَرَبِّئِنَّهَا﴾ بالكواكب ﴿وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ شقوق تعيبيها؟.

[٧] ﴿وَالْأَرْضِ﴾ معطوف على موضع «إلى السماء»، كيف ﴿مَدَدْنَاهَا﴾ دحوناها على وجه الماء (٢) ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رِيسِي﴾ جبالاً بنتبتها ﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ﴾ صنف ﴿بَهِيجٍ﴾ يُعْجِبُ به؛ لحسنه.

[٨] ﴿تَبَصَّرَةٌ﴾ مفعول له؛ أي: فعلنا ذلك؛ تبصيراً منا ﴿وَدَكْرَى﴾ تذكرياً ﴿لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ راجع إلى طاعتنا.

[٩] ﴿وَزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبْدِرًا﴾ كثير البركة ﴿فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ﴾ بساتين ﴿وَحَبَّ﴾ الزرع ﴿الْحَصِيدِ﴾ المحصود.

[١٠] ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ﴾ طويلاً، حال مقدرة ﴿لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ﴾ مترابك بعضه فوق بعض.

[١١] ﴿رِزْقًا لِلْعِبَادِ﴾ مفعول له ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا﴾ يستوي فيه الذكر والمؤنث ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: مثل هذا الإحياء ﴿الْخُرُوجِ﴾ من القبور، فكيف تنكرونه؟ والاستفهام للتقرير، والمعنى: أنهم نظروا وعلموا ما ذكر.

[١٢] ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ تأيبت الفعل لمعنى «قوم» ﴿وَأَصْحَابُ الرَّيِّسِ﴾ هي بئر كانوا مقيمين عليها بمواشيهم، يعبدون الأصنام، ونبئهم قبل: حنظلة بن صفوان، وقيل: غيره ﴿وَتَمُودُ﴾ قوم صالح.

[١٣] ﴿وَعَادٌ﴾ قوم هود ﴿وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ﴾.

[١٤] ﴿وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ﴾ الغيضة، قوم شعب ﴿وَقَوْمُ تَبَّعٍ﴾ هو ملك كان باليمن، أسلم ودعا قومه إلى الإسلام، فكذبه ﴿كُلُّ﴾ من المذكورين ﴿كَذَّبَ الرُّسُلَ﴾ كفر يش ﴿لِحَقِّ وَعِيدٍ﴾ وجب نزول العذاب على الجميع، فلا يضيق صدرك من كفر قريش بك.

[١٥] ﴿أَفَعَيَّنَّا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ﴾ أي: لم نغي به، فلا نعيها بالإعادة ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ﴾ شك ﴿مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ وهو البعث.

(١) أي: أن قوله - تعالى -: ﴿وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ قسم جوابه محذوف، تقديره ما ذكر.

(٢) سهل الهزرة الثانية مع الإدخال قالون وأبو عمرو، وسهلها من غير إدخال ورش وابن كثير، وحققها بقية السبعة من غير إدخال إلا هشاماً فله الإدخال وعدمه.

(٣) قال ابن كثير: «مددناها»: أي: وسعناها وفرشناها. وقال الطبري: بسطانها.

[١٦] ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ حَالًا بَتَقْدِيرٍ ﴿نَحْنُ﴾ ﴿مَا﴾ مصدرية ﴿تُسَوِّسُونَ﴾ تحدث ﴿يَدُهُ﴾ الباء زائدة، أو للتعدي، والضمير للإنسان ﴿نَفْسَهُ﴾ ﴿نَفْسُهُ﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ﴾ بالعلم ﴿مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ الإضافة لليبان، والوريدان: عرقان بصفتي العنق.

[١٧] ﴿إِذْ﴾ منصوبة بـ«اذكر» مقدرًا ﴿بَلَّغْنَا﴾ يأخذ ويثبت ﴿الْأَلْفَيَانَ﴾ الملكان الموكلان بالإنسان، ما يعمله ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ﴾ منه ﴿فِيهِ﴾ أي: قاعدان، وهو مبتدأ خبره ما قبله.

[١٨] ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ﴾ حافظ ﴿عَيْنُهُ﴾ حاضر، وكل منهما بمعنى المثني.

[١٩] ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ غَمْرَةً وَسَدْتُهُ﴾ ﴿بِالْحَقِّ﴾ من أمر الآخرة، حتى يراه المنكر لها عيانًا، وهو نفس الشدة ﴿ذَلِكَ﴾ أي: الموت ﴿مَا كُنْتُ مِنْهُ نَجِيدٌ﴾ تهرب وتفرغ.

[٢٠] ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ للبعث ﴿ذَلِكَ﴾ أي: يوم النفخ ﴿يَوْمَ الْوَعْدِ﴾ للكفار بالعذاب.

[٢١] ﴿وَجَاءَتْ فِيهِ﴾ ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾ إلى المحشر ﴿مَتَمَّهَا سَائِقٌ﴾ ملك يسوقها إليه ﴿وَسَهِيْدٌ﴾ يشهد عليها بعملها، وهو الأيدي والأرجل وغيرها، ويقال للكافر: ﴿لَقَدْ كُنْتُ﴾ في الدنيا ﴿فِي عَقْلَةٍ مِّنْ هَذَا﴾ النازل بك اليوم ﴿فَكَفَنَّا عَنْكَ عِظَاءَكَ﴾ أزلنا غفلتك بما تشاهده اليوم ﴿فَصَرَكَ أَيَّامَ حَيَاتِكَ﴾ حادّ تترك به ما أنكرته في الدنيا.

[٢٣] ﴿وَقَالَ رَبُّهُ﴾ الملك الموكل به: ﴿هَذَا مَا﴾ أي: الذي ﴿لَدَى عَيْنَيْكَ﴾ حاضر. [٢٤] فيقال للمالك: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ﴾ أي: ألي أنتي، أو «الفتنة»، وبه قرأ الحسن^(١)، فأبدلت النون ألفًا ﴿كُلَّ كَفَّارٍ عَيْنِي﴾ معاند للحق.

[٢٥] ﴿مَنَاعَ الْيَحْيَى﴾ كالزكاة ﴿مُعْتَدٍ﴾ ظالم ﴿مُرِيْبٍ﴾ شاك في دينه. [٢٦] ﴿الَّذِي جَمَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ مبتدأ ضَمَّنَ معنى الشرط، خبره: ﴿فَأَلْفَيَا﴾ في ألمذاب النَّبِيِّينَ تفسيره مثل ما تقدم.

[٢٧] ﴿قَالَ رَبُّهُ﴾ الشيطان: ﴿رَبَّنَا مَا أَفْعَيْتُنَا﴾ أضللتنا ﴿وَلَكِنْ كَانُوا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ فدعوته فاستجاب لي، وقال هو: أطعاني بدعائه له.

[٢٨] ﴿قَالَ﴾ تعالى: ﴿لَا تَخْصِمُوا لَدَيْ﴾ أي: ما ينفع الخصام هنا ﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ﴾ في الدنيا ﴿بِالْوَعْدِ﴾ بالعذاب في الآخرة لو لم تؤمنوا، ولا بد منه. [٢٩] ﴿مَا يَبْدُلُ يُغَيِّرُ﴾ ﴿الْقَوْلَ لَدَى﴾ في ذلك ﴿وَمَا أَنَا بِظَلْمٍ لِلنَّبِيِّينَ﴾ فأعذبهم بغير جرم، و«ظلام» بمعنى: ذي ظلم؛ لقوله: ﴿لَا ظَلَمَ أَيُّومٌ﴾^(٢).

[٣٠] ﴿يَوْمَ﴾ ناصبه «ظلام» ﴿تَقُولُ﴾ بالنون والياء^(٣) ﴿لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ﴾ استفهام تحقيق؛ لوعده بملئها ﴿وَتَقُولُ﴾ بصورة الاستفهام كالسؤال: ﴿هَلِ مِنْ مَّرْيُومٍ﴾ أي: لا أسع غير ما امتلأت به؛ أي: قد

وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تُوسِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿إِذْ تَلَقَى الْمَتَّقِيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَيْنٌ ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ نَجِيدٌ ﴿١٨﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمَ الْوَعْدِ ﴿١٩﴾ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢٠﴾ لَقَدْ كُنْتَ فِي عَقْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَرِيدٌ ﴿٢١﴾ وَقَالَ رَبُّهُ هَذَا مَا الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْفَيَا فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَبُّهُ رَبَّنَا مَا أَفْعَيْتُنَا وَلَكِنْ كَانُوا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَا تَخْصِمُوا لَدَيْ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعْدِ ﴿٢٤﴾ مَا يَبْدُلُ الْقَوْلَ لَدَى وَمَا أَنَا بِظَلْمٍ لِلنَّبِيِّينَ ﴿٢٥﴾ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَّرْيُومٍ ﴿٢٦﴾ وَأَزَلَّتْ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ هَذَا مَا تُوَعَّدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٢٨﴾ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْعَلِيمَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٢٩﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمَ الْخُلُودِ ﴿٣٠﴾ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣١﴾

امتلأت^(٤). [٣١] ﴿وَأَزَلَّتْ الْجَنَّةُ﴾ قربت ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ مكانًا ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ منهم فيرونها. [٣٢] ويقال لهم: ﴿هَذَا﴾ المرئي ﴿مَا تُوَعَّدُونَ﴾ بالناء والياء^(٥)؛ في الدنيا، ويبدل من ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ قوله: ﴿لِكُلِّ أَوَّابٍ رَّجَّاعٍ﴾ إلى طاعة الله ﴿حَفِيظٍ﴾ حافظ لحدوده. [٣٣] ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْعَلِيمَ﴾ خافه ولم يره ﴿وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾ مقبل على طاعته. [٣٤] ويقال للمتقين - أيضًا -: ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ﴾ سالمن من كل مخوف، أو مع سلام؛ أي: سلموا وادخلوا ﴿ذَلِكَ﴾ اليوم الذي حصل فيه الدخول ﴿يَوْمَ الْخُلُودِ﴾ الدوام في الجنة. [٣٥] ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ زيادة على ما عملوا وطلبوا.

(١) وهي قراءة شاذة، وقال القاضي في قرّة العينين: وهذا سهو من الجلال الحلبي، صوابه: أن قراءة الحسن هي: بهزرة مكسورة، وبألف ممدودة بعد القاف، وهزرة منصوبة منونة؛ أي: «اللقاء» مصدر «ألقى». اهـ.

(٢) غافر: ١٧.

(٣) بالياء قراءة نافع وشعبة، وقرأ بقية السبعة بالنون.

(٤) هذا قول عطاء ومجاهد ومقاتل بن سليمان. وقيل: هذا استفهام بمعنى الاستزادة. وهو مروى عن ابن عباس، وقال ابن كثير: هذا هو الظاهر من سياق الآية، وعليه تدل الأحاديث. اهـ. ويؤيده ما في الصحيحين من حديث أنس عن النبي ﷺ قال: «أُلْفَى فِي النَّارِ» ﴿وَتَقُولُ هَلِ مِنْ مَّرْيُومٍ﴾ حتى يضع قدمه، فتقول قط قطه. وفي رواية في الصحيحين أيضًا: «... حتى يضع رب العزة فيها قدمه؛ فتقول قط قط وعزتك...». البخاري (٤٨٤٨)، (٦٦٦١)، ومسلم (٢٨٤٨). وفي رواية أبي هريرة عندها مرفوعًا: «... فلا تلتقي حتى يضع رجله؛ فتقول: قط قط؛ فهالك تلتقي...».

البخاري (٤٨٥٠)، ومسلم (٢٨٤٦).

(٥) بالياء قراءة ابن كثير.

وغيرهم، من التشبيه والتكذيب ﴿وَسَبَّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ صل حامدا ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾ أي: صلاة الصبح ﴿وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ أي: صلاة الظهر والعصر.

[٤٠] ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ أي: صل العشاءين ﴿وَأَذِّنْ الشُّجُورَ﴾ بفتح الهمزة: جمع ذُرٌّ، وكسرهما^(٦) مصدر أذبر؛ أي: صل النوافل المستنونة عقب الفرائض، وقيل: المراد حقيقة التسبيح في هذه الأوقات، ملائسا للحمد.

[٤١] ﴿وَأَسْتَبِيعْ﴾ يا مخاطب مقولي ﴿يَوْمَ يَبْدَأُ الْسَّادَ﴾ هو إسرائيل ﴿وَمِنَ السَّكَّانِ قَرِيبٍ﴾ من السماء^(٧)، وهو صخرة بيت المقدس، أقرب موضع من الأرض إلى السماء، يقول: أيها العظام البالية، والأوصال المقطعة، واللحوم المتسزقة، والشعور المتفرقة، إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء.

[٤٢] ﴿يَوْمٍ﴾ بدل من «يوم» قبله ﴿يَسْمَعُونَ﴾ أي: الخلق كلهم ﴿الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ﴾ بالبعث، وهي النفخة الثانية من إسرائيل، ويحتمل أن تكون قبل نداءه وبعده ﴿ذَلِكَ﴾ أي: يوم النداء والسماع ﴿يَوْمَ الْخُرُوجِ﴾ من القبور، وناصب «يوم ينادي» مقدر؛ أي: يعملون عاقبة تكذيبهم^(٧).

[٤٣] ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ﴾.

[٤٤] ﴿يَوْمٍ﴾ بدل من «يوم» قبله، وما بينهما اعتراض ﴿تَشْفَقُ﴾ بتخفيف الشين، وتشديدها بإدغام التاء الثانية في الأصل فيها^(٨) ﴿الْأَرْضُ عَنْهُمْ يَرَاءُ﴾ جمع «سريع»، حال من مقدر؛ أي: فيخرجون مسرعين ﴿ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ فيه فصل بين الموصوف والصفة بمعلقها، للاختصاص وهو لا يضر، و«ذلك» إشارة إلى معنى الحشر المخبر به عنه، وهو الإحياء بعد الفناء، والجمع للعرض والحساب.

[٤٥] ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ أي: كفار قريش ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِبَارٍ﴾ تجبرهم على الإيمان، وهذا من قبل الأمر بالجهاد ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِبِدُ﴾ وهم المؤمنون.

سورة الذاريات

[مكية، ستون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَالذَّارِيَاتُ﴾ الرياح تذررو التراب وغيره ﴿ذُرُورًا﴾ مصدر، ويقال: تذرره ذرًّا: تهبُّ به. [٢] ﴿فَالْحَالِيَاتُ﴾ السحب تحمل الماء ﴿وَقَرَارًا﴾ نقلاً، مفعول «الحاملات». [٣] ﴿فَالْبَارِئَاتُ﴾ السفن تجري على وجه الماء ﴿يَبْرَأًا﴾ بسهولة، مصدر في موضع الحال؛ أي: ميسرة. [٤] ﴿فَالْمَقْسِمَاتُ أَمْرًا﴾ الملائكة تقسم الأرزاق والأمطار وغيرها، بين البلاد والعباد. [٥] ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ﴾ «ما» مصدرية؛ أي: إن وعدهم بالبعث وغيره ﴿لَصَادِقٌ﴾ لوعده صادق. [٦] ﴿وَإِنَّ الْآزِينَ﴾ الجزاء بعد الحساب ﴿لَوَاقِعٌ﴾ لا محالة.

وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَّجِيسٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبِرَ الشُّجُورِ ﴿٤٠﴾ وَأَسْتَبِيعْ يَوْمَ بِنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمَ الْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشْفَقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ يَرَاءُ مَاذَا آتَى رَبُّكَ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ ﴿٤٤﴾ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِبِدُ ﴿٤٥﴾

سورة الذاريات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالذَّارِيَاتُ ذُرُورًا ﴿٣٦﴾ فَالْحَالِيَاتُ ﴿٣٧﴾ وَالْقَرَارُ ﴿٣٨﴾ وَالْبَارِئَاتُ ﴿٣٩﴾ وَالْمَقْسِمَاتُ أَمْرًا ﴿٤٠﴾ وَإِنَّمَا تُوَعَّدُونَ ﴿٤١﴾ وَإِنَّ الْآزِينَ لَوَاقِعٌ ﴿٤٢﴾

[٣٦] ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ﴾ أي: أهلنا قبل كفار قريش قرونا كثيرة من الكفار ﴿هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا﴾ قوة ﴿فَنَقَّبُوا﴾ قَشُوا ﴿فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَّجِيسٍ﴾ لهم أو لعيرهم من الموت؟ فلم يجدوا.

[٣٧] ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿لَذِكْرًا﴾ لعظة ﴿لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ عقل ﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ﴾ استمع العوظ ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ حاضر بالقلب.

[٣٨] ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أولها الأحد وأخرها الجمعة^(١) ﴿وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ تعب، نزل رداً على اليهود في قولهم: إن الله استراح يوم السبت^(٢)، وانتفاء التعب عنه؛ لتنزيهه تعالى - عن صفات المخلوقين^(٣)، ولعدم المماسه بينه وبين غيره ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٤).

[٣٩] ﴿فَأَصْبِرْ﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾ أي: اليهود

(١) راجع التعليق على تعيين هذه الأيام وتحديدها في تفسير سورة فصلت، الآيات (٩ - ١٢).

(٢) روي هذا عن ابن عباس، كما عند الحاكم في مستدرکه (٥٤٣/٢)، وضححه، وتقفيه الذهبي، وأخرجه أيضاً الطبري في جامع البيان (٦١/٢٤)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٣١٤/٧)، وضعفه في الاستيعاب (٢٩٠/٣، ٢٩١).

(٣) إن أراد نفي مشابهة صفاته - شبيهاً - لصفات المخلوقين فهذا حق، وإن أراد نفي الصفات عنه كصفة اليد والوجه وغيرها من الصفات الذاتية؛ فهذا باطل وهو مذهب أهل التعطيل.

(٤) يس: ٨٢. (٥) بالكسر قراءة نافع وابن كثير وحزمة.

(٦) روي هذا عن كعب الأبحار، وليس فيه نص صحيح ثابت مرفوع إلى النبي ﷺ.

(٧) قال في حاشية الجمل: «ولو قدره الشارح بجنب منصوبه؛ لكان أسهل في الفهم؛ لأنه قوله: ﴿ذلك يوم الخروج﴾ من جملة الاعتراض الآتي التنبيه عليه؛ فالعامل في «يوم ينادي» بقدر قلبه».

(٨) بالتشديد مع ما ذكر، قراءة نافع وابن كثير وابن عامر، وقرأ بقية السبعة بالتخفيف.

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ﴿٧﴾ إِنَّكُمْ لَبِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ
 أَفَكَ ﴿٩﴾ قِيلَ الْخَرُوصُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي عَمْرِهِمْ سَاهُونَ ﴿١١﴾ يَسْتَلُونَ
 أَيَّانَ يَوْمَ إِلْيَينَ ﴿١٢﴾ يَوْمَهُمْ عَلَى النَّارِ يُقَمِّتُونَ ﴿١٣﴾ ذُو قُوَّةٍ فَتَنَتْكُمْ
 هَذَا الَّذِي كُتِبَ بِهِ تَسْتَعِجِلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ
 ﴿١٥﴾ آخِذِينَ مَاءً تَارِهِمْ رِيحُهُمْ وَأُفْقَالًا ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾
 كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِلَّا سَحَابًا مُّسَوِّغُونَ ﴿١٨﴾
 وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ
 لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ
 وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ قُرْبِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ
 تَنْطِقُونَ ﴿٢٣﴾ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثٌ ضَلِّفَ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ
 دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلِّمًا قَالَ سَلِّمٌ قَوْمٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَأَى إِلَهُ
 أَهْلِهِ فَمَاءٌ يُعْجِلُ سَمِينَ ﴿٢٦﴾ فَفَرَّقَهُ إِلَهُ عَلَيْهِ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ
 ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَحْزَنْ وَبَشِّرْهُ بِعَلِيمٍ عَلَيْهِ ﴿٢٨﴾
 فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صِرَافٍ فَصَكَتَ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ
 ﴿٢٩﴾ قَالُوا كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾

[٢٧] ﴿فَرَّقَهُ: إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ عرض عليهم الأكل. فلم يجيبوا
 [٢٨] ﴿فَأَوْجَسَ﴾ أضمر في نفسه ﴿مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَحْزَنْ﴾ إنا رسل
 ربك ﴿وَبَشِّرْهُ بِعَلِيمٍ عَلَيْهِ﴾ ذي علم كثير، وهو إسحاق كما ذكر في
 «هود».
 [٢٩] ﴿فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ﴾ سارة ﴿فِي صِرَافٍ﴾ صبيحة، حال؛ أي: جاءت
 صابحة ﴿فَصَكَتَ وَجْهَهَا﴾ لطمته ﴿وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ لم تلد قط، وعمرها
 تسع وتسعون سنة، وعمر إبراهيم مائة سنة، أو: عمره مائة وعشرون سنة،
 وعمرها تسعون سنة.
 [٣٠] ﴿قَالُوا كَذَٰلِكَ﴾ أي: مثل قولنا في البشارة ﴿قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ
 الْحَكِيمُ﴾ في صنعه ﴿الْعَلِيمُ﴾ بخلقه.

[٧] ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ جمع «حبيكة»؛ كطريقة و«طرق»؛ أي: صاحبة
 الطرق في الخلقة؛ كالطريق في الرمل. [٨] ﴿إِنَّكُمْ﴾ يا أهل مكة، في شأن
 النبي ﷺ والقرآن ﴿لَبِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾ قيل: شاعر، ساحر، كاهن، شعر، سحر،
 كهانة. [٩] ﴿يُؤْفَكُ﴾ يصرف ﴿عَنْهُ﴾ عن النبي ﷺ والقرآن؛ أي: عن
 الإيمان به ﴿مَنْ أَفَكَ﴾ صرف عن الهداية في علم الله - تعالى .. [١٠] ﴿قِيلَ
 الْخَرُوصُونَ﴾ لعن الكذابون، أصحاب القبول المختلف. [١١] ﴿الَّذِينَ هُمْ
 فِي عَمْرِهِمْ﴾ جهل بغمرهم ﴿سَاهُونَ﴾ غافلون عن أمر الآخرة.
 [١٢] ﴿يَسْتَلُونَ﴾ النبي استفهام استهزاء: ﴿أَيَّانَ يَوْمَ إِلْيَينَ﴾ أي: متى
 مجيئه؟ وجوابهم: يحيى [١٣] ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُقَمِّتُونَ﴾ أي: يعذبون
 فيها. [١٤] ويقال لهم حين التعذيب: ﴿ذُو قُوَّةٍ فَتَنَتْكُمْ﴾ تعذيبكم ﴿هَذَا﴾
 التعذيب ﴿الَّذِي كُتِبَ بِهِ تَسْتَعِجِلُونَ﴾ في الدنيا استهزاء. [١٥] ﴿إِنَّ
 الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ﴾ بسنتين ﴿وَعُيُونٍ﴾ تجري فيها. [١٦] ﴿آخِذِينَ﴾ حال
 من الضمير في خبر «إن» ﴿مَاءً تَارِهِمْ﴾ أعطاهم ﴿رِيحُهُمْ﴾ من الثواب ﴿إِيْتَهُمْ
 كَانُوا قَلِيلًا ذَٰلِكَ﴾ أي: دخلهم الجنة ﴿مُحْسِنِينَ﴾ في الدنيا. [١٧] ﴿كَانُوا قَلِيلًا
 مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ ينامون، و«ما» زائدة، و«يهجعون» خبر «كان»، و«قليلًا»
 ظرف؛ أي: ينامون في زمن يسير من الليل، ويصلون أكثره. [١٨]
 ﴿وَأَلَّا سَحَابًا مُّسَوِّغُونَ﴾ يقولون: اللهم اغفر لنا. [١٩] ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ
 لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ الذي لا يسأل لتعففه. [٢٠] ﴿وَفِي الْأَرْضِ﴾ من الجبال
 والبحار والأشجار والثمار والنبات وغيرها ﴿آيَاتٌ﴾ دلالات على قدرة الله -
 سبحانه وتعالى - وحدانيته ﴿لِّلْمُوقِنِينَ﴾. [٢١] ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ﴾ آيات - أيضًا
 - من مبدأ خلقكم إلى منتهاه، وما في تركيب خلقكم من العجائب ﴿أَفَلَا
 تُبْصِرُونَ﴾ ذلك فتستدلون به على صانعه وقدرته؟ [٢٢] ﴿قُرْبِ السَّمَاءِ
 رِزْقُكُمْ﴾ أي: المطر المسبب عنه النبات، الذي هو رزق ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾ من
 المآب والثواب والعقاب؛ أي: مكتوب ذلك في السماء. [٢٣] ﴿قُرْبِ السَّمَاءِ
 وَالْأَرْضِ إِنَّهُ﴾ أي: ما توعدون ﴿لَحَقٌّ﴾ [مثل] ما أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ ﴿برفع «مثل»:
 صفة، و«ما» مزيدة، وفتح اللام: مركبة مع «ما»^(١)، المعنى: مثل نطقكم في
 حقيقته؛ أي: معلوميته عندكم ضرورة صدور عنيكم. [٢٤] ﴿هَلْ أَتَاكَ
 حَدِيثٌ﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿حَدِيثٌ ضَلِّفَ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ وهم ملائكة؛ اثنا
 عشر، أو عشرة، أو ثلاثة، منهم جبريل. [٢٥] ﴿إِذْ﴾ ظرف لـ«حديث
 ضيف» ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلِّمًا﴾ أي: هذا اللفظ ﴿قَالَ سَلِّمٌ﴾ أي: هذا
 اللفظ^(٢) ﴿قَوْمٌ مُّكْرَمُونَ﴾ لا نعرفهم، قال ذلك في نفسه، وهو خير مبتدأ
 مقدر؛ أي: هؤلاء.
 [٢٦] ﴿فَرَأَى إِلَهُ أَهْلِهِ﴾ سرًّا ﴿فَمَاءٌ يُعْجِلُ سَمِينَ﴾ وفي
 سورة هود ﴿يُعْجِلُ حَمِيمٌ﴾^(٣) أي: مشوي.

(١) بالرفع قراءة حمزة والكسائي وشعبة، وقرأ بقية السبعة بالفتح.

(٢) أي: الذي صدر منهم هو لفظ: «سلامًا»؛ منصوب بفعل مقدر، والذي صدر منه هو لفظ «سلام»؛ مرفوع على الخبرية لمبتدأ مضمرة.

(٣) هود: ٦٩.

[٣٨] ﴿وَفِي مَوْسَىٰ﴾ معطوف على ﴿فِيهَا﴾، المعنى: وجعلنا في قصة موسى آية ﴿إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ ملتبساً ﴿بِشَطْرَيْنِ ثِيْبَيْنِ﴾ بحجة واضحة.

[٣٩] ﴿فَتَوَلَّىٰ﴾ أعرض عن الإيمان ﴿بِرَبِّهِ﴾ مع جنوده؛ لأنهم له كالركن ﴿وَقَالَ﴾ لموسى: هو ﴿سِحْرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾.

[٤٠] ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ﴾ طرحناهم ﴿فِي الْيَمِّ﴾ البحر، فغرقوا ﴿وَهُوَ﴾ أي: فرعون ﴿مُتَّبِعٌ﴾ أت بما يلام عليه؛ من تكذيب الرسل، ودعوى الربوبية.

[٤١] ﴿وَفِي﴾ إهلاك ﴿عَادٍ﴾ آية ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ هي التي لا خير فيها؛ لأنها لا تحمل المطر، ولا تلقح الشجر، وهي الذئبور^(١).

[٤٢] ﴿مَا نَذَرُ مِنْ شَيْءٍ﴾ نفس أو مال ﴿أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْنَاهُ كَالرِّمِيمِ﴾ كالباقي المنفقت.

[٤٣] ﴿وَفِي﴾ إهلاك ﴿ثَمُودَ﴾ آية ﴿إِذْ قِيلَ لَهُمْ﴾ بعد عقر الناقة: ﴿تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ﴾ أي: إلى انقضاء آجالكم، كما في آية: ﴿تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾^(٢).

[٤٤] ﴿مَعْتَدًا﴾ تكبروا ﴿عَنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ أي: عن امتثاله ﴿فَأَخَذْنَاهُمُ الصَّيْحَةَ﴾ بعد مضي الثلاثة أيام؛ أي: الصيحة المهلكة ﴿وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ أي: بالنهار.

[٤٥] ﴿فَمَا اسْتَبَقُوا مِنَ قِيَامِهِ﴾ أي: ما قدروا على النهوض حين نزول العذاب ﴿وَمَا كَانُوا مُتَّبِعِينَ﴾ على من أهلكتهم.

[٤٦] ﴿وَقَوْمٍ نُّوحٍ﴾ بالجر عطف على ﴿ثَمُودَ﴾ أي: وفي إهلاكهم بما في^(٣) السماء والأرض آية، وبالنصب^(٤)؛ أي: وأهلكنا قوم نوح ﴿بَيْنَ قَبْلٍ﴾ أي: قبل إهلاك هؤلاء المذكورين ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾.

[٤٧] ﴿وَالسَّمَاءَ بَيْنَهُمَا بِأَيُّدٍ﴾ بقوة^(٥) ﴿وَأَنَا لَمُوسِمُونَ﴾ قادرون؛ يقال: أد الرجل بيد قوي، وأوسع الرجل: صار ذا سعة وقوة.

[٤٨] ﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا﴾ مهدناها ﴿فَيَتَمَّ الْمَهْدُونَ﴾ نحن.

[٤٩] ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ متعلق بقوله: ﴿خَلَقْنَا﴾ ﴿خَلَقْنَا رِجْسِينَ﴾ صنفين؛ كالذكر والأنثى، والسماء والأرض، والشمس والقمر، والسهل والجليل، والضيف والشتاء، والحلو والحامض، والنور والظلمة ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ بحذف إحدى التاءين من الأصل؛ فتعلمون أن خالق الأرواح فرد فتعبده.

[٥٠] ﴿فَقَرَّبُوا إِلَى اللَّهِ﴾ أي: إلى ثوابه من عقابه؛ بأن تطيعوه ولا تعصوه ﴿إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ يبين الإنذار.

[٥١] ﴿وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾.

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ ﴿قَالُوا إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ ثَمُودَ مِنْ قَبْلِهِمْ جِبَارَةً مِنْ طِينٍ﴾ ﴿مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾ ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسَابِقِينَ﴾ ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ ﴿وَفِي مَوْسَىٰ إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ ﴿فَتَوَلَّىٰ بِرُكْبِهِ﴾ ﴿وَقَالَ سِحْرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَةَ﴾ ﴿مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْنَاهُ كَالرِّمِيمِ﴾ ﴿وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ﴾ ﴿فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذْنَا هُمْ الصَّيْحَةَ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ ﴿فَمَا اسْتَبَعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُتَّبِعِينَ﴾ ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلِ إِيَّاهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ ﴿وَالسَّمَاءَ بَيْنَهُمَا بِأَيُّدٍ وَإِنَّا لَمُوسِمُونَ﴾ ﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمُهَدُونَ﴾ ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا رِجْسِينَ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿فَقَرَّبُوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ ﴿وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾

[٣١] ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ﴾ شأنكم ﴿أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾. [٣٢] ﴿قَالُوا إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ ثَمُودَ﴾ كافرين، هم قوم لوط.

[٣٣] ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ جِبَارَةً مِنْ طِينٍ﴾ مطبوخ بالنار. [٣٤] ﴿مُسَوَّمَةً﴾ معلمة، عليها اسم من يُرمى بها ﴿عِنْدَ رَبِّكَ﴾ ظرف لها ﴿لِلْمُسْرِفِينَ﴾ بإتيانهم المذكور مع كفرهم.

[٣٥] ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا﴾ أي: قري قوم لوط ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ لإهلاك الكافرين.

[٣٦] ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسَابِقِينَ﴾ وهم لوط وابنتاه، وصفوا بالإيمان والإسلام؛ أي: هم مصدقون بقلوبهم، عاملون بجوارحهم الطاعات.

[٣٧] ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا﴾ بعد إهلاك الكافرين ﴿آيَةً﴾ علامة على إهلاكهم ﴿لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ فلا يفعلون مثل فعلهم.

(١) كما عند البخاري ومسلم من حديث ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «فُصِرَتْ بِالضَّبَا، وَأَهْلَكَتْ عَادَ بِالذَّبُورِ». والضبا: هي الريح التي تهب من مطلع الشمس، والذبور: هي التي تهب من مغربها. البخاري (١٠٣٥)، ومسلم (٩٠٠).

(٢) هود: ٦٥.

(٣) قرأ أبو عمرو وحزمة والكسائي بالخفض، وقرأ بقية السبعة بالنصب.

(٤) في نسخة القاضي: «بماء».

(٥) الأيد هنا مصدر أد؛ وليس بجمع ليد، فليس في الآية تأويل، ومن ثم فيها متمسك لمن زعم تناقض السلف في آيات الصفات تأويلاً وتركاً له.

[٥٢] يُقَدَّرُ قَبْلَ ﴿فَيُرَوُّا﴾: قل لهم: ﴿كَذَلِكَ مَا آتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾: سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ: أي: مثل تكذيبهم لك، بقولهم: إنك ساحر، أو مجنون، تكذيب الأم قبلهم رسَلهم، بقولهم ذلك.

[٥٣] ﴿أَنْتُمْ أَصَوُّوا﴾: كلهم ﴿يُؤَدُّونَ؟﴾ استفهام بمعنى النفي ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُوتٌ﴾: جمعهم على هذا القول طغاباتهم.

[٥٤] ﴿فَتَوَلَّى﴾: أعرض ﴿عَنَّهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ﴾: لأنك بلغتهم الرسالة. [٥٥] ﴿وَذَكَرْنَا عِظَ الْقُرْآنِ﴾: فَإِنَّ الَّذِينَ نَفَعُوا الْمُؤْمِنِينَ ﴿من علم الله - تعالى - أنه يؤمن. [٥٦] ﴿وَمَا سَلَّمْنَا الْآيِنَ وَالْإِنْسَانَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَهُ﴾: ولا ينافي ذلك عدم عبادة الكافرين؛ لأن الغاية لا يلزم وجودها كما في قولك: برئت هذا القلم لأكتب به، فإنك قد لا تكتب به. [٥٧] ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ﴾: لي، ولأنفسهم وغيرهم ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَهُ﴾: ولا أنفسهم ولا غيرهم. [٥٨] ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾: الشديد.

[٥٩] ﴿فَأَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: أنفسهم بالكفر، من أهل مكة وغيرهم ﴿ذُنُوبًا﴾: نصيبًا من العذاب ﴿مِثْلَ ذُنُوبِهِمْ﴾: نصيب ﴿أَصْحَابِهِمْ﴾: الهاككين قبلهم ﴿فَلَا يَسْتَعِجِلُونَ﴾: بالعذاب؛ إن أخرتهم إلى يوم القيامة.

[٦٠] ﴿قَوْلِهِمْ﴾: شدة عذاب ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ﴾: في ﴿يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾: أي: يوم القيامة.

سُورَةُ الطُّورِ

[مكية، تسع وأربعون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- [١] ﴿أَلْقُرْآنُ﴾: أي: الجبل الذي كلم الله عليه موسى. [٢] ﴿وَكُنْتُمْ مَسْطُورِينَ﴾: [٣] ﴿فِي رَبِّكَ مَشْهُورٌ﴾: أي: التوراة أو القرآن. [٤] ﴿وَالْيَأْيَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾: هو في السماء الثالثة^(١) أو السادسة^(٢) أو السابعة^(٣)، بحيال الكعبة^(٤)، يزوره كل يوم سبعون ألف ملك، بالطواف والصلاة لا يعودون إليه أبدًا^(٥). [٥] ﴿وَأَلْسِنَتِ الْمُرُوجِ﴾: أي: السماء. [٦] ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾: أي: المملوء^(٦). [٧] ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾: لنازل بمستحقه. [٨] ﴿مَا لَكُمْ مِنْ دَافِعٍ﴾: عنه.

كَذَلِكَ مَا آتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾
 ﴿أَنْتُمْ أَصَوُّوا بِهِمْ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُوتٌ ﴿٥٣﴾ فَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾
 وَذَكَرْنَا الْآيَةَ الَّتِي تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾
 فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥٩﴾
 قَوْلِهِمْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾

سُورَةُ الطُّورِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالطُّورِ ﴿١﴾ وَكُنْتُمْ مَسْطُورِينَ ﴿٢﴾ فِي رَبِّكَ مَشْهُورٌ ﴿٣﴾ وَالْيَأْيَيْتِ
 الْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ إِنَّ
 عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ﴿٨﴾ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ
 مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾ قَوْلِهِمْ يَوْمَئِذٍ لِمُكَذِّبِينَ
 ﴿١١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي حَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَدْعُوتُ إِلَى نَارٍ
 جَهَنَّمَ دَعَاً ﴿١٣﴾ هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾

- [٩] ﴿يَوْمَ﴾: معمول لواقع ﴿تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾: تتحرك وتدور. [١٠] ﴿وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا﴾: تصير هباء منثورًا، وذلك في يوم القيامة. [١١] ﴿قَوْلِهِمْ﴾: شدة عذاب ﴿يَوْمَئِذٍ لِمُكَذِّبِينَ﴾: للرمل. [١٢] ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي حَوْضٍ﴾: باطل ﴿يَلْعَبُونَ﴾: أي: يشاغلون بكفرهم. [١٣] ﴿يَوْمَ يَدْعُوتُ إِلَى نَارٍ جَهَنَّمَ دَعَاً﴾: يدفعون بعنف، بدل من ﴿يَوْمَ تَمُورُ﴾، ويقال لهم تبيكتنا: [١٤] ﴿هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾.

- (١) لم أجد، وروي عن أبي هريرة مرفوعًا أنه في السماء الدنيا، وهو مخالف لما في الصحيحين من حديث أنس أنه في السابعة، وسيأتي. (٢) وهو مروي عن علي، وأخرج ابن المنذر وابن جرير عن الضحاك في قوله: ﴿وَالْيَأْيَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾ قال: «أقول من الجنة فكان يعمر بمكة، فلما كان الفرق رفعه الله فبه في السماء السادسة، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، من قبلة إبليس، ثم لا يرجع إليه أحد يومًا واحدًا أبدًا» [الدر المنثور (١٤٤/٦)]. (٣) أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن مردويه والحاكم وصححه البيهقي في شعب الإيمان عن النبي ﷺ قال: «البيت المعمور في السماء السابعة يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه حتى تقوم الساعة» [الدر المنثور (١٤٤/٦)]، وهو في الصحيحين من حديث أنس كما سيأتي. (٤) أخرج ابن المنذر والعمري وابن أبي حاتم وابن مردويه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «في السماء بيت يقال له المعمور بحيال الكعبة... الحديث، وضعفه السيوطي في الدر المنثور (١٤٤/٦). وأخرج ابن مردويه عن عبد الله بن عمرو رفعه قال: «إن البيت المعمور بحيال الكعبة لو سقط شيء منه لسقط عليها... الحديث. وأخرج ابن جرير عن قتادة في قوله: ﴿وَالْيَأْيَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾ قال: ذكر لنا أن رسول الله ﷺ قال يومًا لأصحابه: «هل تدرؤن ما البيت المعمور؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «فإنه مسجد في السماء بحيال الكعبة لو خر لعلها... الحديث. وهناك آثار وأحداث أخرى. انظر: [الدر المنثور (١٤٤/٦)، (١٤٥)، (١٤٥)، وإسناده مرسل صحيح كما في الصحيحة. وقال الألباني: وجملته القول: إن هذه الزيادة: «حيال الكعبة» ثابتة بمجموع طرقها...»؛ الصحيحة (١٧٨١/١). (٥) البخاري (٢٩٦٨) ومسلم (٢٣٤) من أنس بن مالك وفيه «رفع في البيت المعمور فسألت جبريل فقال: هذا البيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم...» وفي صحيح مسلم (٢٣٤) من حديث أنس بن مالك مرفوعًا: «... من عرج إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل فقيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ. قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا فإذا أنا بإبراهيم ﷺ مستنًا ظهره إلى البيت المعمور وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه...». (٦) هذا قول قتادة والحسن وجهمور اللغويين. وقال محمد بن كعب والضحاك: يعني «الموقد» المحمي؛ بمنزلة النور - أي القرن - المسجور. وهو قول ابن عباس؛ كما في تفسير البغوي. وقيل غير ذلك.

﴿عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ﴾ بعضها إلى جنب بعض ﴿وَرَوَّجْتَهُمْ﴾ عطف على ﴿جَنَّتْ﴾؛ أي: قرناهم ﴿يُحَوِّرُ عَيْنَ﴾ عظام الأعين حسنا(١).

[٢١] ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ مبتدأ ﴿وَأَتَيْنَاهُمْ﴾ (١) وفي قراءة: ﴿وَأَتَيْنَهُمْ﴾ معطوف على ﴿ءَامَنُوا﴾ ﴿ذُرِّيَّتِهِمْ﴾ (٢) وفي قراءة: ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ الصغار وال كبار ﴿يَا بَنِيَّ﴾ من الكبار، ومن الآباء في الصغار (٤)، والخبر: ﴿الْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ المذكورين في الجنة، فيكونون في درجاتهم وإن لم يعملوا بعملهم؛ تكرامة للآباء، باجتماع الأولاد إليهم ﴿وَمَا أَكْتَنَهُمْ﴾ بفتح اللام وكسرها(٥): نقصناهم ﴿بِمَنْ عَلَيْهِمْ مِنْ زَائِلَةٍ﴾ (٦) براد في عمل الأولاد ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ﴾ من عمل خير أو شر ﴿رِهِينٌ﴾ مرهون؛ يؤاخذ بالشر، ويجازى بالخير.

[٢٢] ﴿وَأَمَدَدْنَاهُمْ﴾ زدناهم في وقت بعد وقت ﴿بِفِكَهَتِهِمْ﴾ وأخبرناهم ﴿بِشَيْئِهِمْ﴾ وإن لم يصرحوا بطلبه.

[٢٣] ﴿يَتَنَزَّعُونَ﴾ يتعاطون بينهم ﴿فِيهَا﴾ أي: الجنة ﴿كَأَسَا﴾ حمرا ﴿لَا لَعُوًّا فِيهَا﴾ أي: بسبب شربها يقع بينهم ﴿وَلَا تَأْتِيهِمْ﴾ به يلحقهم، بخلاف حمر الدنيا.

[٢٤] ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾ للخدمة ﴿عِلْمَانٌ﴾ أرقاء(٧) ﴿فَهُمْ كَاتِبِينَ﴾ حسنا ولطافة ﴿لَوْ لَوْ مَكُونُونَ﴾ مصون في الصلدف؛ لأنه فيها أحسن منه في غيرها.

[٢٥] ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ يسأل بعضهم بعضا عما كانوا عليه وما وصلوا إليه؛ تلذذا واعترافا بالنعمة.

[٢٦] ﴿قَالُوا﴾ إيماء إلى علة الوصول: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلَ فِي أَهْلِيْنَا﴾ في الدنيا ﴿مُشْفِقِينَ﴾ خائفين من عذاب الله.

[٢٧] ﴿فَمَرَجْنَا اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ بالمغفرة ﴿وَوَقَّعْنَا عَذَابَ السَّمُورِ﴾ النار؛ لدخولها في المسامح.

[٢٨] وقالوا إيماء - أيضا -: ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ﴾ أي: في الدنيا ﴿نَدْعُوهُ﴾ نعبده موحدين ﴿إِنَّهُ﴾ بالكسر استئناف؛ وإن كان تعليلا معنى، وبالفتح(٨) تعليلا لفظا ﴿هُوَ الْبَرُّ﴾ الحسن الصادق في وعده ﴿الْرَحِيمُ﴾ العظيم الرحمة.

[٢٩] ﴿فَذَكَرَكَ﴾ ذم على تذكير المشركين، ولا ترجع عنه لقولهم لك: كاهن مجنون ﴿فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ﴾ بإنعامه عليك ﴿يَكَاهِنُ﴾ خبير ﴿مَا﴾ ﴿وَلَا يَحْتَوِنُ﴾ معطوف عليه.

[٣٠] ﴿أَمْ﴾ بل ﴿يَقُولُونَ﴾ هو ﴿شَاعِرٌ تَرْتَضُ بِهِ رَبِّي الْمُنُونُ﴾ حوادث الدهر، فيهلك كغيره من الشعراء.

[٣١] ﴿قُلْ تَرَضُّوا﴾ هلاكي ﴿إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُرْتَضِينَ﴾ هلاككم، فغذبوها بالسيف يوم بدر، والترضى: الانتظار.

أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا بُشَيْرُونَ ﴿١٥﴾ أَصْلَوْهَا فَأَصْبِرُوا
أَوْ لَا تَصْبِرُوا وَسَوَاءَ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْرُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾
إِنَّ الْمُنْفِقِينَ فِي جَنَّتِ وَيَعِيرُ ﴿١٧﴾ فَكَيْهِنَ بِمَاءِ أَنْتَهُمْ رَبُّهُمْ
وَوَقَّعَهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كَلُوا وَأَشْرَبُوا هَيْتَا بِمَا
كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَرَوَّجْتَهُمْ
يُحَوِّرُ عَيْنَ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَتَّبَعَهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا
بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلْتَمَسُوهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا
كَسَبَ رِهِينٌ ﴿٢١﴾ وَأَمَدَدْنَاهُمْ بِفِكَهَتِهِمْ وَخَجَرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾
يَتَنَزَّعُونَ فِيهَا كَأَسَا لَا لَعُوًّا فِيهَا وَلَا تَأْتِيهِمْ ﴿٢٣﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ
عِلْمَانٌ لَهُمْ كَمَا أَنْتَهُمْ لَوْ لَوْ مَكُونُونَ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى
بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلَ فِي أَهْلِيْنَا مُشْفِقِينَ
﴿٢٦﴾ فَمَنْ أَلَّهَ عَلَيْنَا وَوَقَّعْنَا عَذَابَ السَّمُورِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا
مِنْ قَبْلَ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ فَذَكَرْكَ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ
رَبِّكَ يَكَاهِنُ وَلَا يَحْتَوِنُ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ تَرْتَضُ بِهِ رَبِّي
الْمُنُونُ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَضُّوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُرْتَضِينَ ﴿٣١﴾

[١٥] ﴿أَفَسِحْرٌ هَذَا﴾ العذاب الذي ترون، كما كنتم تقولون في الوحي: هذا سحر ﴿أَمْ أَنْتُمْ لَا بُشَيْرُونَ﴾؟

[١٦] ﴿أَصْلَوْهَا فَأَصْبِرُوا﴾ عليها ﴿أَوْ لَا تَصْبِرُوا﴾ صبركم وجزعكم ﴿سَوَاءَ عَلَيْكُمْ﴾ لأن صبركم لا ينفعكم ﴿إِنَّمَا تُجْرُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: جزاءه.

[١٧] ﴿إِنَّ الْمُنْفِقِينَ فِي جَنَّتِ وَيَعِيرُ﴾.

[١٨] ﴿فَكَيْهِنَ﴾ متلذذين ﴿بِمَاءٍ﴾ مصدرية ﴿ءَانْتَهُمْ﴾ أعطاهم ﴿رَبُّهُمْ﴾ ووقَّعَهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿عَطَفًا عَلَى﴾ أي: بإتيانهم ووقايتهم.

[١٩] ويقال لهم: ﴿كَلُوا وَأَشْرَبُوا هَيْتَا﴾ حال؛ أي: مهنتين ﴿بِمَا﴾ الباء سببية ﴿كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

[٢٠] ﴿مُتَّكِينَ﴾ حال من الضمير المستكن في قوله: ﴿فِي جَنَّتِ﴾

(١) هذا المذكور تفسير عين؛ ومفردها عيناء. وأما معنى «حوره» فهو اسوداد المقلة، ولا يقال للمرأة حوراء إلا للبيضاء مع حورها. ويقال: حورت العتق، أي اشتد يابض يابضا، وسواد سوادها.

(٢) وهي قراءة أبي عمرو، وقرأ بقية السبعة: ﴿وَأَتَيْنَهُمْ﴾.

(٣) وهي قراءة أبي عمرو وابن عامر، لكن الأول مع النصب، والثاني مع الرفع، وقرأ بقية السبعة: ﴿ذُرِّيَّتِهِمْ﴾.

(٤) أي: وبايمان الآباء في الصغار.

(٥) بالكسر قراءة ابن كثير.

(٦) أي كالأرقاء في الحيازة والاستيلاء؛ مسخرين لخدمتهم.

(٧) بالفتح قراءة نافع والكسائي.

[٣٢] ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَعْدَانُكُمْ﴾ عقولهم ﴿عِدًّا﴾ قولهم له: ساحر، كاهن، مجنون؟ أي: لا تأمرهم بذلك ﴿أَمْ﴾ بل ﴿هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ بعادهم.

[٣٣] ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُ﴾ اختلق القرآن؟ لم يختلقه ﴿بل لَا يُؤْمِنُونَ﴾ استكباراً.

[٣٤] فإن قالوا: اختلقه ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ﴾ مختلق ﴿يشبهه﴾ إن كانوا صدّيقين في قولهم.

[٣٥] ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾ من غير خالق ﴿أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ أنفسهم؟ ولا يُعْقَل مخلوق بغير خالق، ولا معدوم يُخلَق، فلا بد لهم من خالق هو الله الواحد، فلم لا يوجدونه ويؤمنون برسوله وكتابه؟

[٣٦] ﴿أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ ولا يقدر على خلقهما إلا الله الخالق، فلم لا يعبدونه؟ ﴿بل لَا يُؤْمِنُونَ﴾ به، وإلا لأمنوا بنبيه.

[٣٧] ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رِزْقِ رَبِّكَ﴾ من النبوة والرزق وغيرهما، فيخصوا من شاؤوا بما شاؤوا؟ ﴿أَمْ هُمُ الْمُصَيِّرُونَ﴾ المتسلطون الجبارون، وفعله: سيطر، ومثله: يطر ويقر^(١).

[٣٨] ﴿أَمْ لَمْ نُنزِّلْ﴾ مرقي إلى السماء ﴿يَسْمَعُونَ فِيهِ﴾ أي: عليه؛ كلام الملائكة، حتى يمكنهم منازعة النبي، بزعمهم، إن ادعوا ذلك؟ ﴿فَلْيَأْتِ شَهِدَهُمْ﴾ مدعي الاستماع عليه ﴿بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ بحجة بينة واضحة.

[٣٩] ولبسه هذا الزعم بزعمهم أن الملائكة بنات الله قال - تعالى -: ﴿أَمْ لَهُ الْكِنُزُتُ﴾ بزعمكم ﴿وَلَكُمْ الْبُنُونَ﴾؟ تعالى الله عما زعمتموه.

[٤٠] ﴿أَمْ تَتْلُوهُمْ أُجْرًا﴾ على ما جنتهم به من الدين ﴿فَهُمْ مِنْ مَفْرَمٍ﴾ غرم ذلك ﴿مُتَقَلِّبُونَ﴾ فلا يسلّمون؟

[٤١] ﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ﴾ أي: علمه ﴿فَهُمْ يَكْتُمُونَ﴾ ذلك، حتى يمكنهم منازعة النبي ﷺ في البعث وأمور الآخرة، بزعمهم؟

[٤٢] ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا﴾ بك، ليهلكوك في دار الندوة؟ ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾ المغلوبون المهلكون، فحفظه الله منهم، ثم أهلكهم بيد.

[٤٣] ﴿أَمْ لَمْ يَلِدْهُ إِلَّا عَذْرَاءٌ شَاحِنٌ اللَّهُ عَنَّا يَكْفُرُونَ﴾ به من الآلهة، والاستفهام بداهة ﴿في مواضعها للتفويض والتوبيخ.

[٤٤] ﴿فَإِنْ رَوَّا كَسْفًا﴾ بعضا ﴿مِنَ السَّمَاءِ سَاطِئًا﴾ عليهم، كما قالوا: ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كَسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾^(٢)؛ أي: تعذبتنا لهم ﴿يَقُولُوا﴾: هذا ﴿سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾ متراكب نرتوي به، ولا يؤمنون.

[٤٥] ﴿فَدَرَّهْمٌ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾ يموتون.

[٤٦] ﴿يَوْمٌ لَا يُعْنَى﴾ بدل من: ﴿يَوْمِهِمْ﴾ ﴿عَنَّهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُصْرُونَ﴾ يمنعون من العذاب في الآخرة.

[٤٧] ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بكفرهم ﴿عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ﴾ في الدنيا قبل

﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَعْدَانُكُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاعُونَ﴾^(٣) ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُ﴾ بل لَا يُؤْمِنُونَ ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ﴾ إن كانوا صدّيقين ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾^(٤) ﴿أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ بل لَا يُؤْمِنُونَ ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رِزْقِ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيِّرُونَ﴾^(٥) ﴿أَمْ لَهُ الْكِنُزُتُ وَلَكُمْ الْبُنُونَ﴾^(٦) ﴿أَمْ لَسْنَا لَهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَفْرَمٍ مُتَقَلِّبُونَ﴾^(٧) ﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ﴾^(٨) ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾^(٩) ﴿أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^(١٠) ﴿وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَلْقَاوُا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾^(١١) ﴿فَدَرَّهْمٌ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾^(١٢) ﴿يَوْمٌ لَا يُعْنَى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُصْرُونَ﴾^(١٣) ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(١٤) ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَرَ الْجُومِ﴾^(١٥)

سورة التين

موتهم، فَعَذَّبُوا بالجوع والقحط سبع سنين، وبالقتل يوم بدر ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن العذاب ينزل بهم.

[٤٨] ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ بإمهالهم، ولا يضق صدرك ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ برأى منا نراك ونحفظك^(٣) ﴿وَسَبِّحْ﴾ متلبسا ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أي: قل: سبحان الله وبحمده ﴿حِينَ تَقُومُ﴾ من منامك، أو من مجلسك.

[٤٩] ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ حقيقة أيضا ﴿وَإِدْبَرَ الْجُومِ﴾ مصدر؛ أي: عقب غروبها سبحه أيضا، أو: صل في الأول والعشاءين، وفي الثاني: الفجر^(٤)، وقيل: الصبح^(٥).

(١) أي في الوزن «مُفْعِل»، ولم يأت على هذا الوزن إلا خمسة أفعال. ومُتْبِعِي، من: يقر؛ أي فسد وهلك، ومشى مشية المتكبر.

(٢) الشعراء: ١٨٧، ﴿كَيْسَفًا﴾ في آية الطور؛ هي بسكون السين، باتفاق القراء.

(٣) وفي الآية إثبات صفة العين له - سبحانه - على الوجه اللان بجلا، وأما أفرادها في بعض النصوص وجمعها في البعض الآخر؛ فهذا مما تسعه لغة العرب؛ حيث يعبر فيها عن الاثنين بلفظ الجمع، ويقوم فيها الواحد مقام الاثنين، فلا حجة في ذلك على نفيها.

(٤) أي: سنة الفجر.

(٥) أي: الفريضة. واختاره الطبري.

يريه نفسه، على صورته التي خلُق عليها، فواعده بـ«حراء»، فنزل جبريل له في صورة آدميين^(١). [٨] ﴿ثُمَّ دَنَا﴾ قرب منه ﴿كُنُودًا﴾ زاد في القرب.

[٩] ﴿فَكَانَ﴾ منه ﴿قَابٌ﴾ قدر ﴿فَوَسَّيَ أَوْ أَدْنَى﴾ من ذلك حتى أفاق وسكن روعه. [١٠] ﴿فَأَوْحَى﴾ تعالى ﴿إِلَى عَبْدِهِ﴾ جبريل ﴿مَا أَوْحَى﴾ جبريل إلى النبي ﷺ، ولم يذكر الموحى؛ فسخيما لشأته. [١١] ﴿مَا كَذَبَ﴾ بالتخفيف والتشديد^(٢)؛ أنكر ﴿الْفُؤَادَ﴾ فؤاد النبي ﴿مَا رَأَى﴾ ببصره من صورة جبريل. [١٢] ﴿أَفْتَمَرْتُهُ﴾ تجادلونه وتغلبونه ﴿عَلَى مَا رَى﴾ خطاب للمشركين المنكرين برؤية النبي ﷺ لجبريل. [١٣] ﴿وَلَقَدْ رَآهُ﴾ على صورته ﴿نَزَّلًا﴾ مرة ﴿أُخْرَى﴾. [١٤] ﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴾ لما أسرى به في السماوات، وهي شجرة تنبثق عن بين العرش، لا يتجاوزها أحد من الملائكة وغيرهم. [١٥] ﴿عِنْدَمَا جَنَّ الْمَأْوَى﴾ تأوى إليها الملائكة، وأرواح الشهداء، والمؤمنين^(٤). [١٦] ﴿إِذْ﴾ حين ﴿يَقْتُلُ السَّيِّدَةُ مَا يَغْتَنِي﴾ من طير وغيره، و«إذ» معمولة لـ«رأه». [١٧] ﴿مَا رَأَى الْبَصَرَ﴾ من النبي ﷺ ﴿وَمَا طَنَّ﴾ أي: ما مال بصره عن مرثيه المقصود له، ولا جازوه تلك الليلة. [١٨]

﴿لَقَدْ رَأَى﴾ فيها ﴿مِثْرَ بَابِ رَبِّهِ الْكَرْبَى﴾ العظام؛ أي: بعضها؛ فرأى من عجائب الملكوت فرقا أخضر سدأ أفق السماء^(٥)، وجبريل له ستمائة جناح^(٦). [١٩] ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْكُتُبَ وَالْعُرَى﴾. [٢٠] ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ﴾ يلتفت قبلها ﴿الْأُخْرَى﴾ صفة ذم للثالثة، وهي: أصنام من حجارة، كان المشركون يعبدونها، ويؤمنون أنها تشفع لهم عند الله، ومفعول «أفرايتهم» الأول:

«اللوات»، وما عطف عليه، والثاني محذوف، والمعنى: أخبروني، ألهذه الأصنام قدرة على شيء ما، فعبدونها دون الله القادر على ما تقدم ذكره؟ [٢١] ولما زعموا - أيضا - أن الملائكة بنات الله مع كراهتهم البنات نزلت:

﴿الَّذِينَ الذَّكَّرَ لَهُ الْأُنثَى﴾. [٢٢] ﴿تِلْكَ إِذًا سُمَّةٌ ضَيْرٌ﴾ جائرة، من ضاره يضيره: إذا ظلمه وجار عليه. [٢٣] ﴿إِنْ هِيَ﴾ ما المذكورات ﴿إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمِيَّتُهُمْ﴾ أي: سميت بها ﴿أُنثَى وَمَا أَبَاؤُكُمْ﴾ أصناما تعبدونها ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا﴾ أي: عبادتها ﴿بِإِنْ سُلْطَنٍ﴾ حجة وبرهان ﴿إِنْ﴾ ما ﴿يَدْعُونَ﴾ في عبادتها ﴿إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ﴾ مما زين لهم الشيطان، من أنها تشفع لهم عند الله - تعالى - ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهَدَى﴾ على لسان النبي ﷺ بالبرهان القاطع، فلم يرجعوا عما هم عليه. [٢٤] ﴿أَمْ لِلْإِنسَانِ﴾ أي: لكل إنسان منهم ﴿مَا تَشَاءُ﴾ من أن الأصنام تشفع لهم؟ ليس الأمر كذلك. [٢٥] ﴿فَلِلَّهِ الْكَرْبُ وَالْأُولَى﴾ أي: الدنيا، فلا يقع فيها إلا ما يريد - تعالى - .. [٢٦] ﴿وَكَمْ مِنْ مَلِكٍ﴾ أي: وكثير من الملائكة ﴿فِي السَّمَوَاتِ﴾ وما أكرمهم عند الله ﴿لَا تَعْنَى شَفَعَتُهُمْ سَيِّئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ﴾ لهم فيها ﴿لَعَنَ بَشَاءَهُ﴾ من عباده ﴿وَيَرْضَى﴾ عنه؛ لقوله: ﴿وَلَا يَسْتَفْعَمُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرْضَى﴾^(٧)، ومعلوم أنها لا توجد منهم إلا بعد الإذن فيها ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾^(٨)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَبْطِئُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِن هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰ إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١١﴾ أَفَتَمَرَّوْنَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِنْدَ مَا جَاءَتْهُ الْمَأْوَىٰ ﴿١٥﴾ إِذِ يَعْنَى السَّيِّدَةَ مَا يَعْنَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴿١٨﴾ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنْوَةَ الثَّلَاثَةَ الْآخِرَىٰ ﴿٢٠﴾ أَلَمْ يَكُن لَّهُنَّ الْآلُ الْكُفْرُ وَالَهُنَّ الْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمِيَّتُوهَا أَنْعَمَ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَىٰ ﴿٢٣﴾ أَمْ لِلْإِنسَانِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا يَعْنَى شَفَعَتُهُمْ سَيِّئًا إِلَّا مَنْ بَعْدَ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ ﴿٢٦﴾

سورة النجم

[مكية، اثنتان وستون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَالنَّجْمِ﴾ الثريا ﴿إِذَا هَوَىٰ﴾ غاب. [٢] ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾ محمد - عليه الصلاة والسلام - عن طريق الهداية ﴿وَمَا غَوَىٰ﴾ ما لابس الغي، وهو جهل من اعتقاد فاسد. [٣] ﴿وَمَا يَبْطِئُ﴾ بما يأتيكم به ﴿عَنِ الْهَوَىٰ﴾ هوى نفسه. [٤] ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ إليه. [٥] ﴿عَلَّمَهُ﴾ ملك ﴿شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾. [٦] ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ قوة وشدة؛ أو: منظر حسن؛ أي: جبريل الطليق ﴿فَاسْتَوَىٰ﴾ استقر. [٧] ﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ﴾ أفق الشمس؛ أي: عند مطلعها، على صورته التي خلُق عليها، فرأه النبي ﷺ وكان بـ«حراء»، قد سد الأفق إلى المغرب، فخر مغشيا عليه^(١)، وكان قد سأله أن

(١) كما في حديث جابر في الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «جاورت بحراء، فلما قضيت جوارى بهبط، فتوديت فنظرت عن يميني فلم أر شيئا، ونظرت عن شمالي فلم أر شيئا، ونظرت خلفي فلم أر شيئا، فرفعت رأسي؛ فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض، فجلست منه رعبا...» البخاري (٤)، ومسلم (١٦١).

(٢) يشير إلى ما أخرجه أحمد عن ابن عباس قال: سأل النبي ﷺ جبريل أن يراه في صورته، فقال: ادع ربك، قال: فدعا ربه. قال: فطلع عليه سواد من قبل المشرك. قال: فجعل يرتفع وينثر. قال: فلما رآه النبي ﷺ ضيق. فأنابه فعشه، ومسح اللباق عن شيدته. وأخرجه الطبراني في الكبير (٥٧/١١)، والهيتمي في الجمع (٢٥٧/٨)، وقال: رواه أحمد والطبراني، ورجالهما نقات. وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح. (السند ٣٤٨/٤) حديث رقم (٢٩٦٧)، ووضعت الأرفاظ لإسناده في تخريجه على المسند (٢٩٦٥).

(٣) بالتشديد قراءة هشام. (٤) في نسخة القاضي: فأو: أرواح الشهداء؛ أو: المنقون. (٥) كما في الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود البخاري (٣٢٣٣)، ومسلم (١٧٤). والرفرف: كساء، أو ثوب رفيع. (٦) البخاري (٣٢٣٢)، ومسلم (١٧٤) من حديث ابن مسعود. (٧) الأنبياء: ٢٨. (٨) البقرة: ٢٥٥.

[٢٧] ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسْمُونُ لِأَنَّكَ تَسْمِيَةُ الْإِنْتِنِ﴾ حيث قالوا: هم بنات الله.

[٢٨] ﴿وَمَا لَكُمْ بِهِمْ﴾ بهذا المقول ﴿مِنْ عَلَيْهِمْ إِنْ﴾ ما ﴿يَتَّبِعُونَ﴾ فيه ﴿إِلَّا الظَّنُّ﴾ الذي تخيلوه ﴿وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْعَمَلِ شَيْئًا﴾ أي: عن العلم، فيما المطلوب فيه العلم.

[٢٩] ﴿فَأَعْرَضَ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا﴾ أي: القرآن ﴿وَلَوْ رُدُّهُ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ وهذا قبل الأمر بالجهاد.

[٣٠] ﴿ذَلِكَ﴾ أي: طلب الدنيا ﴿سَبَلُهُمْ مِنَ الْعَالَمِ﴾ أي: نهاية علمهم؛ أن أتروا الدنيا على الآخرة ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ أَهْتَدَى﴾ أي: عالم بهما، فيجازيهم.

[٣١] ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: هو مالك لذلك، ومنه الضلال والمهتدي، يضل من يشاء، ويهدي من يشاء، ﴿يَجْزِي الَّذِينَ الَّذِينَ أَسْتَفَا وَمَا عَمِلُوا﴾ من الشرك وغيره ﴿وَيَجْزِي الَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ بالتوحيد وغيره من الطاعات ﴿يَأْتِسُّ﴾ الجنة.

[٣٢] ﴿وَيَسِّرُ الْحَسَنِينَ بِقَوْلِهِ﴾ ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَثِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ إِلَّا اللَّغْمَ﴾ هو صغار الذنوب؛ كالنظرة والقيلة واللحمة، فهو استثناء منقطع، والمعنى لكن اللغم يغفر باجتناب الكبائر ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَسِعَ الْمَغْفِرَةَ﴾ بذلك ويقبول التوبة، ونزل فيمن كان يقول: صلاتنا صيامنا حجنا^(١): ﴿هُوَ أَعْلَمُ﴾ أي: عالم ﴿بِكُلِّ إِذٍ أَتَى كُرْمًا مِنَ الْأَرْضِ﴾ أي: خلق أباهم آدم من التراب ﴿وَإِذْ أَنْشَأَ آجِنَةً﴾ جمع جنين ﴿فِي بَطْنِ أُمِّهِنَّ كَمَا فَلَا تُرْكُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ لا تمدحوها على سبيل الإعجاب، أما على سبيل الاعتراف بالنعمة فحسن ﴿هُوَ أَعْلَمُ﴾ أي: عالم ﴿بِمَنْ أَتَى﴾.

[٣٣] ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى﴾ عن الإيمان، ارتد لما عُزِّبَ به، وقال: إني خفيت عقاب الله، فضمن له المعير له أن يحمل عنه عذاب الله، إن رجع إلى شركه، وأعطاه من ماله كذا، فرجع^(٢).

[٣٤] ﴿وَأَعْطَى قَلِيلًا﴾ من المال المسمى ﴿وَأَكْدَى﴾ منع الباقي، مأخوذ من الكدية، وهي أرض صلبة كالصخرة، تمتع حافر البشر إذا وصل إليها من الحفر.

[٣٥] ﴿أَعْدَدُ عِلْمُ الْعَلِيِّ فَهُوَ بَرِيءٌ﴾ يعلم من جملة أنه غيره يتحمل عنه عذاب الآخرة؟ لا، وهو الوليد بن المغيرة أو غيره، وجملة: «أعنده» المفعول الثاني لـ«رأيت»، بمعنى: أخبرني.

[٣٦] ﴿أَمْ﴾ بل ﴿لَمْ يَبْتَأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى﴾ أسفار التوراة، أو صحف قبلها [٣٧] ﴿وَوَقَّ﴾ صحف إبراهيم الذي وقَّ، تم ما أمر به، نحو: ﴿وَإِذْ أَنْتَقَ إِبراهيمُ رُؤْيُ بَكْبَتِهِ فَاتَّهَنَ﴾^(٣).

[٣٨] وبيان «ما»: ﴿لَا تُرْزُ وَازْرُؤُ وَرَدَّ أُخْرَى﴾ إلخ، و«أن» مخففة

(١) أي: يقولون ذلك، على سبيل الإعجاب والإدلال بعملهم.

(٢) روي ذلك عن زيد بن أسلم، كما عند الطبري في جامع البيان (٤٢/٢٧)، وهو ضعيف جدًا، كما في الاستيعاب (٢٩٩/٣).

(٣) البقرة: ١٢٤.

(٤) أي: شذوذًا.

من الثقيلة؛ أي: لا تحمل نفس ذنب غيرها.

[٣٩] ﴿وَأَنْ﴾ أي: أنه ﴿لَيْسَ لِلنَّاسِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ من خير، فليس له من سعي غيره الخبز شيء.

[٤٠] ﴿وَأَنْ سَعَيْهِ سَوْفَ يُرَى﴾ يصير في الآخرة.

[٤١] ﴿لَمْ يَجْزِهِ الْجَزَاءُ الْأَوْفَى﴾ الأكمل، يقال: جزيته سعيه وبسعيه.

[٤٢] ﴿وَأَنْ﴾ بالفتح عطفًا، وقرئ^(٤) بالكسر استئنافًا، وكذا ما بعدها، فلا يكون مضمون الجملة في الصحف على الثاني ﴿إِلَى رَبِّكَ الْمُسْتَهْنِ﴾ المرجع والمصير بعد الموت، فيجازيهم.

[٤٣] ﴿وَأَنْتُمْ هُمْ أَصْحَابُ﴾ من شاء أفرحه ﴿وَأَبْكِي﴾ من شاء أحزنه.

[٤٤] ﴿وَأَنْتُمْ هُمْ أَمَاتٌ﴾ في الدنيا ﴿وَأَحْيَا﴾ للبعث.

أهلكناهم ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْلَمَ﴾ من عاد وثمود؛ لظول لبت نوح فيهم ﴿فَلَيْتَ فِيهِمْ أَلْفَ سَكَّةٍ إِلَّا حَسِبْتِ عَامَا﴾^(١) وهم - مع عدم إيمانهم به - يؤذونه ويضربونه. [٥٣] ﴿وَأَلْمُؤْتِفِكَةُ﴾ وهي: قرى قوم لوط ﴿أَهْوَى﴾ أسقطها بعد رفعها إلى السماء، مقلوبة إلى الأرض بأمره جبريل بذلك.

[٥٤] ﴿فَنَسْنَبَهَا﴾ من الحجارة بعد ذلك ﴿مَا عَشَى﴾ أيهم تهربوا، وفي هود: ﴿جَمَلْنَا عَلَيْهَا سَابِلَهَا وَأَمَطَرْنَا عَلَيْهَا جِجَارَةً مِّن سَبِيلِ﴾^(٢).

[٥٥] ﴿وَيَايَ مَا لَا رَيْكَ﴾ أنعمه الدالة على وحدانيته وقدرته ﴿تَمَائِي﴾ تشكك أيها الإنسان أو تكذب؟ [٥٦] ﴿هَذَا﴾ محمد ﴿بَدِيرٌ مِّنَ الْأَنْذَرِ الْأَوَّلِ﴾ من جنسهم؛ أي: رسول كالرسل قبله، أرسل إليكم، كما أرسلوا إلى أقوامهم. [٥٧] ﴿أَرَأَيْتَ الْآزِفَةَ﴾ قرب القيامة. [٥٨] ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ نَفْسٌ كَافَّةٌ﴾ أي: لا يكشفها ويظهرها إلا هو؛ كقولهم: لا يجيئها لوقتها إلا هو^(٣). [٥٩] ﴿أَفَإِن هَذَا الْحَدِيثُ﴾ القرآن ﴿تَعْجِبُونَ﴾ تكذيباً. [٦٠] ﴿وَتَقْسَحُونَ﴾ استهزاء ﴿وَلَا تَبْكُونَ﴾ لسماع وعده ووعيدته. [٦١] ﴿وَأَنْتُمْ سَعِيدُونَ﴾ لاهون غافلون عما يطلب منكم؟

[٦٢] ﴿فَاتَّبِعُوا لِلَّهِ﴾^(٤) الذي خلقكم ﴿وَأَعْبُدُوا﴾ ولا تسجدوا للأصنام ولا تعبدوها.

سُورَةُ الْقَبْرِ

[مكية، إلا ﴿سَبِّحْهُمُ الْجَمْعُ﴾ الآية. وهي: خمس وخمسون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿أَفَرَأَيْتَ السَّاعَةَ﴾ قرب القيامة ﴿وَأَنْشَقَّ الْقَمَرَ﴾ انفلق فلقتين، على أبي قبيس وقَعَيْفَعَان، آية له ﷺ، وقد سنلها فقال: «أشهدوا» [رواه الشيخان]^(١). [٢] ﴿وَلَانَ بَرَوَاءُ﴾ أي: كفار قريش ﴿عَائِيَةً﴾ معجزة له ﷺ ﴿يَعْرِضُونَ وَيَقُولُونَ﴾: هذا «يسخر مستحضر» قوي، من المزة: القوة، أو دامت^(٢).

[٣] ﴿وَكَذَّبُوا﴾ النبي ﷺ ﴿وَأَيَّبُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ في الباطل ﴿وَكَسَلُ أَمْرِهِ﴾ من الخير والشر ﴿مُسْتَقَرٌّ﴾ بأهله في الجنة أو النار. [٤] ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِّنَ الْأَنْبَاءِ﴾ أخبار إهلاك الأمم المكذبة رسلكم ﴿مَا فِيهِ مُرْدَجَرٌ﴾ لهم، اسم مصدر، أو اسم مكان، والدال بدل من تاء الافتعال، وازدجرته وزجرته: نهيته بغلظة، و«ما» موصولة أو موصوفة. [٥] ﴿حِكْمَةٌ﴾ خير مبتدأ محذوف، أو بدل من «ما»، أو من «مردجر» تامة ﴿فَمَا تُعْنِ﴾ تنفع فيهم ﴿الْأَنْذَرُ﴾ جمع نذير، بمعنى منذر؛ أي: الأمور المنذرة لهم، و«ما» للنفي، أو للاستفهام الإنكاري، وهي على الثاني مفعول مقدم.

[٦] ﴿فَنَزَّلَ عَنْهُمْ﴾ هو فائدة ما قبله، وتم به الكلام ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعُ﴾ هو إسماعيل، وناصب «يوم»: «يخرجون» تغد ﴿إِلَى شَيْءٍ تُكْذِرُ﴾ بضم

(١) ما جاء في نزول الآيتين (١، ٢): أخرج الترمذي عن أنس بن مالك قال: سألت أهل مكة النبي ﷺ آية فأنشق القمر بمكة مرتين، فنزلت: ﴿أَفَرَأَيْتَ السَّاعَةَ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرَ﴾ إلى قوله: ﴿يَسْحَرُ مُسْتَحْضِرٌ﴾ يقول: ذاهب. الترمذي - تفسير القرآن (٤٨) باب (٥٤). (صحيح) صحيح سنن الترمذي (٢٦٢٠)، وهو في الصحيحين مختصراً.

(١) بالمد قراءة ابن كثير وأبي عمرو، وقرأ بقية السبعة بالفتحة: «النشأة». (٢) لأبي عمرو وورش، وقرأ قائلون كذلك، لكنه يأتي بهمة ساكنة بعد اللام.

(٣) بالتونين قراءة السبعة عدا حمزة وعاصم. (٤) العنكبوت: ١٤. (٥) هود: ٨٢. (٦) الأعراف: ١٨٧.

(٧) هذه أول آية سجدة نزلت، كما عند البخاري (١٠٧١) من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: «سجد النبي ﷺ بالنجم، وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس». ولا علاقة لهذا السجود بقصة الغرائق الباطلة، والتي سبق التنبيه على بطلانها في تفسيره سورة الحج آية (٥٢).

(٨) قصة انشقاق القمر جاء ذكرها مختصرة في البخاري (٣٨٦٩)، ومسلم (٢٨٠٠)، من حديث عبد الله بن مسعود، وهي عندهما أيضاً من حديث أنس بن مالك؛ البخاري (٤٨٦٧)، ومسلم (٢٨٠٢). وأما التفاصيل المذكورة؛ فجاءت فيما أخرجه أبو نعيم في الحلية، من طريق عطاء والضحاك عن ابن عباس كما في الدر المنثور [١٧٧٦].

وَأَنَّهُ خَلَقَ الزُّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴿٥١﴾ مِّن تَطْفَافٍ إِذَا تَمَنَّى ﴿٤١﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَعْنَى وَأَقْنَى ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَى ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى ﴿٥٠﴾ وَتَمُودًا فَمَا أَتَقَى ﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى ﴿٥٢﴾ وَالْمُؤْتِفِكَةَ أَهْوَى ﴿٥٣﴾ فَعَشَاهَا مَأْسَى ﴿٥٤﴾ فَيَايَ آءِ الرَّبِّكَ تَمَارَى ﴿٥٥﴾ هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النَّذِيرِ الْأُولَى ﴿٥٦﴾ أَرَأَيْتَ الْآزِفَةَ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَإِن هَذَا الْحَدِيثُ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنْتُمْ سَلْمَدُونَ ﴿٦١﴾ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَعَبُدُوا ﴿٦٢﴾

سُورَةُ الْقَيْمَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَفَرَأَيْتَ السَّاعَةَ وَالنَّشْأَةَ الْقَمَرِ ﴿١﴾ وَإِن بَرِوَاءَ آيَةٍ يُعْرِضُونَ وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَعْتَبٌ ﴿٢﴾ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقَرٌّ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُرْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةٌ بَلِغَةٌ فَمَا تُعْنِ النَّذْرَ ﴿٥﴾ فَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعُ إِلَى شَيْءٍ نَّكِرٍ ﴿٦﴾

[٤٥] ﴿وَأَنْتُمْ عَلَى الزُّوْجَيْنِ الذَّكَرِ وَالْأُنثَى﴾.

[٤٦] ﴿مِن تَطْفَافٍ﴾ مني ﴿إِذَا تَمَنَّى﴾ تصب في الرحم.

[٤٧] ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ﴾ بالمد والفتحة^(١) ﴿الْأُخْرَى﴾ الحلقة الأخرى للبعث، بعد الحلقة الأولى. [٤٨] ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَعْنَى﴾ بالناس، بالكفاية بالأموال ﴿وَأَقْنَى﴾ أعطى المال المتخذ فية. [٤٩] ﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَى﴾ هو: كوكب خلف الجوزاء، كانت تعبد في الجاهلية.

[٥٠] ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى﴾ وفي قراءة^(٢) بإدغام التنوين في اللام وضما بلا همزة، وهي قوم عاد، والأخرى قوم صالح. [٥١] ﴿وَتَمُودًا﴾ بالصرف اسم للأب، وبلا صرف^(٣) للقبيلة، وهو معطوف على «عاد»، ﴿فَمَا أَتَقَى﴾ منهم أحدًا. [٥٢] ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ﴾ أي: قبل عاد وثمود،

(١) ما جاء في نزول الآيتين (١، ٢): أخرج الترمذي عن أنس بن مالك قال: سألت أهل مكة النبي ﷺ آية فأنشق القمر بمكة مرتين، فنزلت: ﴿أَفَرَأَيْتَ السَّاعَةَ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرَ﴾ إلى قوله: ﴿يَسْحَرُ مُسْتَحْضِرٌ﴾ يقول: ذاهب. الترمذي - تفسير القرآن (٤٨) باب (٥٤). (صحيح) صحيح سنن الترمذي (٢٦٢٠)، وهو في الصحيحين مختصراً.

(١) بالمد قراءة ابن كثير وأبي عمرو، وقرأ بقية السبعة بالفتحة: «النشأة». (٢) لأبي عمرو وورش، وقرأ قائلون كذلك، لكنه يأتي بهمة ساكنة بعد اللام.

(٣) بالتونين قراءة السبعة عدا حمزة وعاصم. (٤) العنكبوت: ١٤. (٥) هود: ٨٢. (٦) الأعراف: ١٨٧.

(٧) هذه أول آية سجدة نزلت، كما عند البخاري (١٠٧١) من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: «سجد النبي ﷺ بالنجم، وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس». ولا علاقة لهذا السجود بقصة الغرائق الباطلة، والتي سبق التنبيه على بطلانها في تفسيره سورة الحج آية (٥٢).

(٨) قصة انشقاق القمر جاء ذكرها مختصرة في البخاري (٣٨٦٩)، ومسلم (٢٨٠٠)، من حديث عبد الله بن مسعود، وهي عندهما أيضاً من حديث أنس بن مالك؛ البخاري (٤٨٦٧)، ومسلم (٢٨٠٢). وأما التفاصيل المذكورة؛ فجاءت فيما أخرجه أبو نعيم في الحلية، من طريق عطاء والضحاك عن ابن عباس كما في الدر المنثور [١٧٧٦].

الكاف وسكونها^(١)؛ أي: منكر تنكره النفوس، وهو الحساب.

[٧] ﴿حُشَعًا﴾ أي: ذليلاً، وفي قراءة^(٢): ﴿حُشَعًا﴾ بضم الحاء وفتح الشين مشددة ﴿أَبْصُرُهُمْ﴾ حال من الفاعل ﴿يَعْرِجُونَ﴾ أي: الناس ﴿وَمِنَ الْأَكْدَانِ﴾ القبور ﴿كَأَنَّهُمْ جِرَادٌ مُّثَيَّرٌ﴾ لا يدرون أين يذهبون، من الخوف والحيرة، والجملة حال من فاعل «يخرجون»، وكذا قوله: [٨] ﴿مُهْطِعِينَ﴾ مسرعين مادين أعناقهم ﴿إِلَى الدَّلَاجِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ﴾ منهم: ﴿هَذَا يَوْمٌ عَرِيرٌ﴾ صعب على الكافرين؛ كما في المدثر: ﴿يَوْمٌ عَرِيرٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾^(٣).

[٩] ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ﴾ قبل قريش ﴿قَوْمٌ نُوحٍ﴾ تأنيث الفعل لمعنى قوم ﴿فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا﴾ نوحاً ﴿وَقَالُوا بَحْثُونُوا زُرِّيْرَ﴾ انتهره بالسب وغيره.

[١٠] ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي﴾ بالفتح؛ أي: بأني ﴿مَعْلُوبٌ فَانصُرْ﴾.

[١١] ﴿فَفَتَحْنَا﴾ بالتحفيف والتشديد^(٤) ﴿أَنْزَبَ السَّمَاءَ بِمَاءٍ مُّنْهَرٍ﴾

منضَّب انصباباً شديداً. [١٢] ﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا﴾ تبع ﴿فَالْتَقَى الْمَاءُ﴾ ماء السماء والأرض ﴿عَلَى أَمْرٍ﴾ حال ﴿فَدَفَّرَ قَدِيرٌ﴾ قضى به في الأزل، وهو هلاكهم غرقاً. [١٣] ﴿وَحَمَلْنَاهُ﴾ أي: نوحاً ﴿عَلَى سَفِينَةٍ﴾ ذَاتِ الْأَوْجِ وَدُسْرٍ وهو ما تشد به الأرواح من المسامير وغيرها، واحداً وشار؛ ككتاب.

[١٤] ﴿تَجْرَى بِأَعْيُنِنَا﴾ برأى منا^(٥)؛ أي: محفوظة ﴿جِرَاءً﴾ منصوب بفعل مقدر؛ أي: أغرقوا انصهاراً ﴿لِيَمُنَّ كَانُ كَيْفٍ﴾ وهو نوح التَّيْلَانِ، وقرئ^(٦):

﴿كَعَمْرٍ﴾ بالبناء للفاعل؛ أي: أغرقوا عقاباً لهم. [١٥] ﴿وَلَقَدْ رَكَنَهَا﴾ أبقينا هذه الفعلة ﴿بِأَيْدِي﴾ لمن يعتبر بها؛ أي: شاع خبرها واستمر ﴿فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾ معتبر ومتعظ بها؟ وأصله: مذتكر؛ أبدلت التاء دالاً مهمله، وكذا

المعجمة وأدغمت فيها. [١٦] ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ أي: إنذاري؟ استفهام تقرير، و«كيف»: خير «كان»، وهي للسؤال عن الحال، والمعنى:

تحفل المخاطبين على الإقرار بوقوع عذابه - تعالى - بالمكذبين لوح موقعه.

[١٧] ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾ سهلناه للحفظ وهيأناه للتذكر ﴿فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾ متعظ به وحافظ له؟ والاستفهام بمعنى الأمر؛ أي: احفظوه وانعطوا به، وليس يُحْفَظُ من كُتِبَ اللَّهُ عن ظهر القلب وغيره. [١٨] ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ﴾ نبيهم هوذا فعذبوا ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ إنذاري لهم بالعذاب

قبل نزوله؛ أي: وقع موقعه. [١٩] وقد بينه بقوله: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ أي: شديدة الصوت ﴿فِي يَوْمٍ نَحِيزٍ﴾ شؤم ﴿مُسْتَسْمِرٍ﴾ دائم الشؤم،

أو: قويته، وكان يوم الأربعاء آخر الشهر^(٧). [٢٠] ﴿تَنْزِجُ النَّاسَ﴾ تفلعهم من حُفِرِ الْأَرْضِ الْمُنْدُسِينَ فِيهَا، وتصرعهم على رؤوسهم، فتدق رقابهم، فتيبُ الرُّؤسِ عَنِ الْجَسَدِ ﴿كَأَنَّهُمْ﴾ وحالهم ما ذكر ﴿أَعْبَاجٌ﴾ أصول ﴿تُخَلِّجُ مُنْفَعِرٍ﴾ منقطع ساقط على الأرض، وشبهوا بالنخل لطولهم، ودُكِرَ هنا وَأُنْتُ فِي الْحَاقَةِ ﴿تُخَلِّجُ حَاوِيِيَوْمٍ﴾^(٨)؛ مراعاة للفواصل في الموضوعين. [٢١] ﴿فَكَيْفَ

كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾؟ [٢٢] ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾؟

[٢٣] ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ﴾ جمع نذير بمعنى: منذر؛ أي: بالأمور التي أنذرتهم بها نبيهم صالح، إن لم يؤمنوا به ويطيعوه. [٢٤] ﴿فَقَالُوا أَبْتْرَأُكُمْ

حُشَعًا أَبْصُرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جِرَادٌ مُنْشَرٌ﴾

مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّلَاجِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَرِيرٌ﴾ ﴿٨﴾ ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمٌ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدَجِرْ﴾ ﴿٩﴾ ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَعْلُوبٌ فَانصُرْ﴾ ﴿١٠﴾ ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَرٍ

﴿١١﴾ ﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ الْأَوْجِ وَدُسْرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرَى بِأَعْيُنِنَا جِرَاءً لِمَنْ كَانَ كُفْرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ رَكَنَهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ ﴿١٧﴾

كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذري ﴿١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ نَحِيزٍ مُسْتَسْمِرٍ ﴿١٩﴾ تَنْزِجُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْبَاجٌ تُخَلِّجُ مُنْفَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ ﴿٢٢﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوا أَبْتْرَأُكُمْ مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ وَإِنَّا إِذَا لَفِيَ ضَلَالٍ وَسُعْرٍ ﴿٢٤﴾ أَنَّا لَنَأْتِيكَ بِدَلِيلٍ مِّن بَيْنِنَا أَلَيْسَ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَمِعَ الْمُؤْمِنُونَ عَادًا مِّنَ الْكذَّابِ الْأَشِرِّ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَبِعْهُمْ وَأَصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾

منصوب على الاشتغال ﴿مِنَّا وَاحِدًا﴾ صفتان له «بشروا» ﴿نَتَّبِعُهُ﴾ مفسر للفعل الناصب له، والاستفهام بمعنى النفي، المعنى كيف نتبعه ونحن جماعة كثيرة، وهو واحد منا، وليس بملك؟ أي: لا نتبعه ﴿إِنَّا إِذَا﴾ إن اتبعناه ﴿لَفِيَ ضَلَالٍ﴾ ذهب عن الصواب ﴿وَسُعْرٍ﴾ جنون. [٢٥] ﴿أَنَّا لَفِيَ﴾ بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين، وتركه^(٩) ﴿الذِّكْرُ﴾ الوحي ﴿عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا﴾ أي: لم يوح إليه ﴿بَلْ هُوَ كَذَّابٌ﴾ في قوله: إنه أوحى إليه ما ذكر ﴿أَشِرٌّ﴾ متكبر بطر. [٢٦] قال - تعالى -: ﴿سَمِعَ الْمُؤْمِنُونَ عَادًا﴾ في الآخرة ﴿مِّنَ الْكذَّابِ الْأَشِرِّ﴾ وهو: هم، بأن يعذبوا على تكذيبهم نبيهم صالحاً. [٢٧] ﴿إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ﴾ مخرجوها من الهضبة الصخرة، كما سألوها ﴿وَبِنْتَهُ﴾ محنة ﴿لَهُمْ﴾ لنخبتهم ﴿فَارْتَبِعْهُمْ﴾ يا صالح؛ أي: انتظر ما هم صانعون، وما يصنع بهم ﴿وَأَصْطَبِرْ﴾ الطاء بدل من تاء الافتعال؛ أي: اصبر على أذاهم.

(١) بالسكون قراءة ابن كثير.

(٢) المدثر: ٩، ١٠.

(٣) المدثر: ٩، ١٠.

(٤) بالشدشيد قراءة ابن عامر.

(٥) وفيها إثبات صفة العين له - شَيْخَانَةٌ - على الوجه اللاتح به.

(٦) هذا مما لا سبيل ولا دليل صحيح لثبوته، كما لا فائدة من ذكره.

(٧) الحاقة: ٧.

(٨) راجع التعليل على الآية (٨) من سورة ص.

بِالنُّذْرِ ﴿٢٨﴾ أي: بالأمور المنذرة لهم على لسانه. [٣٤] ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ ريحاً ترميهم بالحصباء، وهي صغار الحجارة، الواحد دون ملء الكف، فهلوكوا ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ﴾ وهم ابنتاه معه ﴿يَجْتَنِبُهُمْ بِسَحَرٍ﴾ من الأسحار، وقت الصبح من يوم غير معين، ولو أريد من يوم معين لمنع من الصرف؛ لأنه معرفة معدول عن السحر؛ لأن حقه أن يستعمل في المعرفة بال، وهل أرسل الحاصب على آل لوط أو لا؟ قولان، وعبر عن الاستثناء على الأول بأنه متصل، وعلى الثاني بأنه منقطع، وإن كان من الجنس تنسجماً. [٣٥] ﴿يَتَمَعَمَّ﴾ مصدر؛ أي: إنعاماً ﴿وَمَنْ عِنْدَنَا كَذَابٌ﴾ أي: مثل ذلك الجزء ﴿يَجْرِي مِنْ شَكْرٍ﴾ أتعمتاً وهو مؤمن، أو من آمن بالله ورسوله ﴿وأطاعهم. [٣٦] ﴿وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ﴾ خوفهم لوط ﴿بَطَشَاتِنَا﴾ أخذتنا إياهم بالعذاب ﴿فَتَمَارَوْا﴾ تجادلوا وكذبوا ﴿بِالنُّذْرِ﴾ بإنذاره. [٣٧] ﴿وَلَقَدْ زُودُوا عَنْ صَيِّفٍ﴾ أن يخلي بينهم وبين القوم الذين أتوه في صورة الأضياف؛ ليخبتوا بهم، وكانوا ملائكة ﴿فَطَسَّتْ أُغْيُنُهُمْ﴾ أعينها، وجعلناها بلا شئ كباقي الوجه، بأن صفقها جبريل بجناحه ﴿فَذُوقُوا﴾ قلنا لهم: ذوقوا ﴿عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ أي: إنذاري وتخويفي؛ أي: ثمرته وفائته. [٣٨] ﴿وَلَقَدْ صَبَحَهمُ بَكْرَةٌ﴾ وقت الصبح من يوم غير معين ﴿عَذَابٌ مُسْتَقَرٌّ﴾ دائم متصل بعذاب الآخرة.

[٣٩] ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذْرِي﴾. [٤٠] ﴿وَلَقَدْ بَيَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ [٤١] ﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ قَوْمَهُ مَعَهُ النَّذْرُ﴾ الإنذار، على لسان موسى وهارون، فلم يؤمنوا. [٤٢] بل ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كَذَّابًا﴾ أي: التسع التي أوتيتها موسى ﴿فَأَخَذْنَاهُمُ﴾ بالعذاب ﴿أَخَذَ عَزِيزٌ﴾ قوي ﴿مُقَدِّرٌ﴾ قادر، لا يعجزه شيء. [٤٣] ﴿أَكْفَارُكُمْ﴾ يا قريش ﴿عَبْرٌ مِّنْ أَوْلِيَاءِكُمْ﴾ المذكورين من قوم نوح إلى فرعون، فلم يُعذبوا؟ ﴿أَمْ لَكُمْ قَرِيشَ بَرَاءَةٌ﴾ من العذاب ﴿فِي الرُّبُوبِ﴾ الكذب؟ والاستفهام في الموضعين بمعنى النفي؛ أي: ليس الأمر كذلك. [٤٤] ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ أي: كفار قريش: ﴿نَحْنُ جَمِيعٌ﴾ جمع ﴿مُنْتَصِرُونَ﴾ على محمد. [٤٥] ولما قال أبو جهل يوم بدر: إنا جمع منتصر، نزل: ﴿سَيَبْرَهُمُ الْبَصَرُ وَيُولُونَ الدُّبُرَ﴾ ﴿١٣﴾ فهزموا بيدر، وتُصَيَّرُ رسول الله ﷺ عليهم. [٤٦] ﴿بَلِ الْآسَاءَةُ مَوْعِدُهُمْ﴾ بالعذاب ﴿وَالسَّاعَةُ﴾ أي: عذابها ﴿أَذْنٌ﴾ أعظم بلية ﴿وَأَمْرٌ﴾ أشد مرارة من عذاب الدنيا. [٤٧] ﴿إِنَّ النَّجْرِمِينَ فِي سَنَلٍ﴾ هلاك بالقتل في الدنيا ﴿وَسُعْرٍ﴾ نار مسقرة بالتشديد؛ أي: مهيجة، في الآخرة. [٤٨] ﴿يَوْمَ يُسْجَوْنَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهمُ﴾ أي: في الآخرة، ويقال لهم: ﴿ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ إصابة جهنم لكم. [٤٩] ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ﴾ منصوب بفعل يفسره ﴿خَلَقْنَاهُ﴾ يقدِّر، بتقدير، حال من «كل»؛ أي: مقدراً، وقرئ: ﴿كُلُّ﴾ بالرفع، مبتدأ خبره: ﴿خَلَقْنَاهُ﴾. ﴿٥﴾

وَيَبِّئُهُمُ أَنَّ الْمَاءَ قَسَمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شَرِبٍ فَخَضَرَ ﴿٢٩﴾ فَنَادُوا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ ﴿٣٠﴾ كَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿٣١﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَالْهَشِيمِ الْمَحْتَضِرِ ﴿٣٢﴾ وَلَقَدْ بَيَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٣٣﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذْرِ ﴿٣٤﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ جَمَعْتُمْ سَبْحَرٍ ﴿٣٥﴾ نَعْمَةٌ مِّنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ يَجْرِي مِّنْ شَكْرٍ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذْرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ زُودُوا عَنْ صَيِّفِهِ فَطَمَسَتْ أَعْيُنُهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿٣٨﴾ وَلَقَدْ صَبَحَهمُ بَكْرَةٌ عَذَابٌ مُسْتَقَرٌّ ﴿٣٩﴾ وَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ بَيَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٤١﴾ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النَّذْرُ ﴿٤٢﴾ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كَذَّابًا فَآخَذْنَاهُمْ أَخَذَ عَزِيزٌ مُقَدِّرٌ ﴿٤٣﴾ أَكْفَارُكُمْ حَبْرٌ مِّنْ أَوْلِيَاءِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الرُّبُوبِ ﴿٤٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرُونَ ﴿٤٥﴾ سَيَبْرَهُمُ الْبَصَرُ وَيُولُونَ الدُّبُرَ ﴿٤٦﴾ وَيُولُونَ الدُّبُرَ ﴿٤٧﴾ بَلِ الْآسَاءَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذْنٌ وَأَمْرٌ ﴿٤٨﴾ إِنَّ الْمَجْرِمِينَ فِي سَنَلٍ وَسُعْرٍ ﴿٤٩﴾ يَوْمَ يُسْجَوْنَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهمُ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٥١﴾

[٢٨] ﴿وَيَبِّئُهُمُ أَنَّ الْمَاءَ قَسَمَةٌ﴾ مقسوم ﴿بَيْنَهُمْ﴾ وبين الناقة؛ يوم لهم، ويوم لها ﴿كُلُّ شَرِبٍ﴾ نصيب من الماء ﴿فَخَضَرَ﴾ يحضره ^(١) القوم يومهم والناقة يومها، فنادوا على ذلك، ثم ملأوه، فهزموا بقتل الناقة. [٢٩] ﴿فَنَادُوا صَاحِبَهُمْ﴾ فَنَادُوا؛ ليقنلتها ﴿فَتَعَاطَى﴾ تناول السيف ﴿فَعَقَرَ﴾ به الناقة؛ أي: قتلها موافقة لهم. [٣٠] ﴿كَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ أي: إنذاري لهم بالعذاب قبل نزوله؛ أي: وقع موقعه. [٣١] ﴿وَبَيَّهْ﴾ بقوله: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَالْهَشِيمِ الْمَحْتَضِرِ﴾ هو الذي يجعل لغنمه حظيرة، من بابس الشجر والشوك، يحفظهن فيها من الذئاب والسباع، وما سقط من ذلك فداسته هو: الهشيم. [٣٢] ﴿وَلَقَدْ بَيَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾. [٣٣] ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ

(٥) ما جاء في نزول الآيتين (٤٨، ٤٩): أخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء مشركو قريش بخاصمون رسول الله ﷺ في القدر؛ فنزلت: ﴿يَوْمَ يُسْجَوْنَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهمُ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ ﴿٥٠﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ. مسلم - كتاب القدر (٤٦) باب (٤) كل شيء بقدر.

(١) في نسخة القاضي: «يحضره».

(٢) في نسخة الصاوري: «ورسوله»، والثبت من نسخة القاضي المطبوعة.

(٣) جاء نحو ذلك عن ابن عباس، كما في المصنف لابن أبي شيبة (٣٥٧/١٤ رقم ١٨٥٠٩)، دون ذكر أن قائل ذلك هو أبو جهل، وأخرجه أيضاً الطبري في جامع البيان (٦٤/٢٧)، وحسنه في الاستيعاب (٣٠٥/٣). وفي صحيح البخاري (٤٩٩٣) عن عائشة قالت: لقد أنزل على محمد ﷺ بمكة، وإني لحارية العلب: ﴿بَلِ الْآسَاءَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذْنٌ وَأَمْرٌ﴾. وظاهر هذا أن قوله تعالى قل هذه الآية: ﴿سَيَبْرَهُمُ الْبَصَرُ وَيُولُونَ الدُّبُرَ﴾ مما نزل أيضاً بمكة، ويؤيده ما ذكره الحافظ في الفتح قال: «وفي رواية أيوب عن عكرمة عن ابن عباس: لما نزلت: ﴿سَيَبْرَهُمُ الْبَصَرُ وَيُولُونَ الدُّبُرَ﴾ قال عمر: أي جمع لهم؟ قال: فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله ﷺ تثبت في الدروع ويقول: ﴿سَيَبْرَهُمُ الْبَصَرُ﴾... فظاهر هذا أن الآية نزلت بمكة، ولا ينافي ذلك أن يتلوها الرسول ﷺ في بدر، دون أن يكون ذلك سبب نزولها، أو يقال: إنها نزلت مرتين؛ إحداهما بيدر، والله أعلم. (٤) أي: شذوذاً.

[٥٠] ﴿وَمَا أَمْرُنَا﴾ لشيء نريد وجوده ﴿إِلَّا﴾ أمره ﴿وَجِدَّةٌ﴾ كَتَبَج بِالْبَصْرِ في السرعة، وهي قول: كن، فيوجد، ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(١).

[٥١] ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ﴾ أشباهكم في الكفر، من الأمم الماضية ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ استفهام بمعنى الأمر؛ أي: اذكروا واتعظوا.

[٥٢] ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ﴾ أي: العباد، مكتوب ﴿فِي الزُّبُرِ﴾ كتب الحفظه.

[٥٣] ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ﴾ من الذنوب، أو العمل ﴿مُسْتَظَرٌّ﴾ مكتوب في اللوح المحفوظ.

[٥٤] ﴿إِنَّ الْمُنْفِقِينَ فِي جَحَنَّمَ﴾ بساتين ﴿وَنَهَرٍ﴾ أريد به الجنس، وقرئ^(٢): بضم النون والهاء جمعاً؛ كأشد وأشد، والمعنى: أنهم يشربون من أنهارها الماء واللبن والعسل والخمر.

[٥٥] ﴿فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ﴾ مجلس حق، لا لغو فيه ولا تأنيب، أريد به الجنس، وقرئ^(٣): ﴿مَقْعِدٌ﴾، المعنى: أنهم في مجالس من الجنات سالمة من اللغو والتأنيب، بخلاف مجالس الدنيا، فقل أن تسلم من ذلك، وأعرب هذا خيراً ثانياً، وبدلاً، وهو صادق يبدل البعض، وغيره^(٤) ﴿عِنْدَ مَلِكٍ﴾ مثال مبالغة؛ أي: عزيز الملك واسعه ﴿مُقَدِّرٍ﴾ قادر لا يعجزه شيء، وهو الله - تعالى، و«عند» إشارة إلى الرتبة والقربة من فضله. تعالى^(٥).

سُورَةُ الرَّحْمَنِ

مكية، إلا: ﴿يَسْتَأْذِنُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الآية، وهي: ست، أو: ثمان وسبعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الرَّحْمَنُ﴾ الله - تعالى. [٢] ﴿عَلَّمَ﴾ من شاء ﴿الْقُرْآنَ﴾. [٣] ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ أي: الجنس. [٤] ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ النطق. [٥] ﴿السَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ يجريان بحساب. [٦] ﴿وَالنَّجْمُ﴾ ما لا ساق له من النبات ﴿وَالنَّجْرُ﴾ ما له ساق ﴿بِسَجْدَانٍ﴾ يخضعان لما يراد منهما. [٧] ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ أثبت العدل. [٨] ﴿أَلَّا تَطْغَوْا﴾ أي: لأجل أن لا تجوروا ﴿فِي الْمِيزَانِ﴾ ما يوزن به. [٩] ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ تنقصوا الموزون. [١٠] ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا﴾ أثبتها ﴿لِلْأَنْبَاءِ﴾ للخلق؛ الإنس

وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا الْوَجْدَةُ كَتَبَج بِالْبَصْرِ ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾ ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَظَرٌّ﴾ ﴿إِنَّ الْمُنْفِقِينَ فِي جَحَنَّمَ وَنَهَرٍ﴾ ﴿فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾

سُورَةُ الرَّحْمَنِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّحْمَنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٤﴾ السَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴿٩﴾ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنْبَاءِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ﴿١١﴾ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾ فَبِأَيِّ آيَةِ الرَّبِّ كَذَّبْتُمْ ﴿١٣﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ ﴿١٥﴾ فَبِأَيِّ آيَةِ الرَّبِّ كَذَّبْتُمْ ﴿١٦﴾ رَبُّ الْمَسْرِقِينَ وَرَبُّ الْمَعْرِيْنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ آيَةِ الرَّبِّ كَذَّبْتُمْ ﴿١٨﴾

والجن وغيرهم. [١١] ﴿فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ﴾ المعهود ﴿ذَاتُ الْأَكْمَامِ﴾ أوعية طلعتها. [١٢] ﴿وَالرَّيْحَانُ﴾ كالحنطة والشعير ﴿ذُو الْعَصْفِ﴾ الثين ﴿وَالرَّيْحَانُ﴾ الورق المشموم. [١٣] ﴿فَبِأَيِّ آيَةِ الرَّبِّ كَذَّبْتُمْ﴾ أيها الإنس والجن ﴿تُكذِّبَانِ﴾ ذكرت إحدى وثلاثين مرة، والاستفهام فيها للتحقير؛ لما روى الحاكم عن جابر قال: قرأ علينا رسول الله ﷺ سورة الرحمن حتى ختمها، ثم قال: «مالي أراكم سكوناً!! للجن كانوا أحسن منكم رداً؛ ما قرأت عليهم هذه الآية من مرة: ﴿فَبِأَيِّ آيَةِ الرَّبِّ كَذَّبْتُمْ﴾ إلا قالوا: ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب؛ فلك الحمد»^(١). [١٤] ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ آدم ﴿مِنْ صَلْصَلٍ﴾ طين يابس، يسمع له صلصلة؛ أي: صوت إذا نُقِر ﴿كَالْفَخَّارِ﴾ وهو ما طبخ من الطين. [١٥] ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ﴾ أبا الجن، وهو إبليس ﴿مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ﴾ هو لهبها الخالص من الدخان. [١٦] ﴿فَبِأَيِّ آيَةِ الرَّبِّ كَذَّبْتُمْ﴾

(١) يس: ٨٢.

(٢) أي: شذوذاً.

(٣) أي: شذوذاً.

(٤) أي: وهو بدل الاشتغال؛ لأن الجنات مشتتة على المقعد.

(٥) وفي هذا التفسير نظر؛ ومبناه على نفي العلو لله ﷻ؛ فهذه العنيدة مما استدلل به السلف على إثبات العلو لله ﷻ.

(٦) أخرج نحوه الترمذي (٣٢١٣) وابن المنذر وأبو الشيخ في العظمة والحاكم وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن جابر بن عبد الله كما في الدر المنثور [١٨٩/٦] وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٥١٣٨)، والسلسلة الصحيحة (٢١٥٠).

للمفعول والفاعل ^(١) ﴿مِنْهُمَا﴾ من مجموعهما الصادق بأحدهما، وهو الملح ﴿الَّذِينَ وَالْمُرْجَاتِ﴾ حرز أحمر، أو: صغار اللؤلؤ. [٢٣] ﴿فِي أَيِّ آيَةٍ رَيْبِكُمْ تُكْذِبَانِ﴾.

[٢٤] ﴿وَالْجَبْرُاطِ﴾ السفن ﴿الْمُشْتَاتِ﴾ المحدثات ﴿فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ كالجلال عظاما وارتفاعا. [٢٥] ﴿فِي أَيِّ آيَةٍ رَيْبِكُمْ تُكْذِبَانِ﴾. [٢٦] ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا﴾ أي: الأرض من الحيوان ﴿فَإِنْ﴾ هالك، وعبر به «من» تغليبا للعقلاء [٢٧] ﴿وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ﴾ ذاته ^(٢) ﴿ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ العظمة ﴿وَالْإِكْرَامِ﴾ للمؤمنين ^(٣)، بأنعمه عليهم. [٢٨] ﴿فِي أَيِّ آيَةٍ رَيْبِكُمْ تُكْذِبَانِ﴾. [٢٩] ﴿يَسْتَأْذِنُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: ينطق، أو: حال ^(٤)، ما يحتاجون إليه، من القرة على العبادة، والرزق والمغفرة، وغير ذلك ﴿كُلُّ يَوْمٍ﴾ وقت ﴿هُوَ فِي سَائِرِ﴾ أمر؛ يظهره على وفق ما قدره في الأول؛ من إحياء وإماتة، وإعزاز وإذلال، وإغناء وإعدام، وإجابة داع، وإعطاء سائل، وغير ذلك. [٣٠] ﴿فِي أَيِّ آيَةٍ رَيْبِكُمْ تُكْذِبَانِ﴾. [٣١] ﴿سَنَفَعُ لَكُمْ﴾ سنقصد لحسابكم ﴿آيَةَ الْفُلْقَانِ﴾ الإنس والجن. [٣٢] ﴿فِي أَيِّ آيَةٍ رَيْبِكُمْ تُكْذِبَانِ﴾. [٣٣] ﴿يَتَمَعَّرُ الْبَيْنَ وَالْإِنْسِ إِنْ اسْتَنْفَعْتُمْ أَنْ تَنْفَعُوا﴾ تخرجوا ﴿مِنْ أَقْطَارِ﴾ نواحي ﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفَعُوا﴾ أمر تعجيز ﴿لَا تَنْفَعُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ بقوة، ولا قوة لكم على ذلك. [٣٤] ﴿فِي أَيِّ آيَةٍ رَيْبِكُمْ تُكْذِبَانِ﴾.

[٣٥] ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمُ شَوَاظٌ مِّنْ نَّارٍ﴾ هو لهيها الخالص من الدخان، أو: معه ﴿وَنَحَّاسٌ﴾ أي: دخان لا لهب فيه ^(٥) ﴿فَلَا تَنْصُرَانِ﴾ تمتنعان من ذلك، بل يسوقكم إلى المحشر. [٣٦] ﴿فِي أَيِّ آيَةٍ رَيْبِكُمْ تُكْذِبَانِ﴾. [٣٧] ﴿فَإِذَا أَنْشَقَّتْ السَّمَاءُ﴾ انفرجت أبوابها لنزول الملائكة ﴿فَكَانَتْ زُرَّةً﴾ أي: مثلها محمرة ﴿كَالْإِهْسَانِ﴾ كالأدم الأحمر، على خلاف العهد بها، وجواب «إذا»: فما أعظم الهول. [٣٨] ﴿فِي أَيِّ آيَةٍ رَيْبِكُمْ تُكْذِبَانِ﴾. [٣٩] ﴿فَيَرْبِزُونَ لَهَا﴾ يبرزون ﴿لَهَا﴾ عن ذنبه، ويسألون في وقت آخر؛ ﴿فَوَرِيدًا لِّلشَّجَرَةِ﴾ شجرة ﴿أَجْمَعِينَ﴾ ^(٦)، والجان هنا وفيما سيأتي ^(٧) بمعنى: الجني، والإنس فيها بمعنى: الإنسي. [٤٠] ﴿فِي أَيِّ آيَةٍ رَيْبِكُمْ تُكْذِبَانِ﴾.

مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٨﴾ بَيْنَهُمَا بَرْحٌ لَّا يَبْعِيَانِ ﴿١٩﴾ فِي أَيِّ آيَةٍ رَيْبِكُمْ تُكْذِبَانِ ﴿٢٠﴾ مَرْجٌ مِنْهُمَا اللَّوْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٢١﴾ فِي أَيِّ آيَةٍ رَيْبِكُمْ تُكْذِبَانِ ﴿٢٢﴾ وَالْجَبْرُاطُ الْمُسْتَاتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٢٣﴾ فِي أَيِّ آيَةٍ رَيْبِكُمْ تُكْذِبَانِ ﴿٢٤﴾ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَإِنْ ﴿٢٥﴾ وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٦﴾ فِي أَيِّ آيَةٍ رَيْبِكُمْ تُكْذِبَانِ ﴿٢٧﴾ يَسْتَأْذِنُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٨﴾ فِي أَيِّ آيَةٍ رَيْبِكُمْ تُكْذِبَانِ ﴿٢٩﴾ سَنَفَعُ لَكُمْ آيَةَ الْفُلْقَانِ ﴿٣٠﴾ فِي أَيِّ آيَةٍ رَيْبِكُمْ تُكْذِبَانِ ﴿٣١﴾ يَتَمَعَّرُ الْبَيْنَ وَالْإِنْسِ إِنْ اسْتَنْفَعْتُمْ أَنْ تَنْفَعُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفَعُوا لَّا تَنْفَعُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ﴿٣٢﴾ فِي أَيِّ آيَةٍ رَيْبِكُمْ تُكْذِبَانِ ﴿٣٣﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمُ شَوَاظٌ مِّنْ نَّارٍ وَنَحَّاسٌ فَلَا تَنْصُرَانِ ﴿٣٤﴾ فِي أَيِّ آيَةٍ رَيْبِكُمْ تُكْذِبَانِ ﴿٣٥﴾ إِذَا أَنْشَقَّتْ السَّمَاءُ فَكَانَتْ زُرَّةً كَالْإِهْسَانِ ﴿٣٦﴾ فِي أَيِّ آيَةٍ رَيْبِكُمْ تُكْذِبَانِ ﴿٣٧﴾ فَيَرْبِزُونَ لَهَا عَنْ ذُنُوبِهِمْ لَهَا بِرِيبٍ لَّا يَسْتَلْعَنُونَ ﴿٣٨﴾ فِي أَيِّ آيَةٍ رَيْبِكُمْ تُكْذِبَانِ ﴿٣٩﴾ يَرْبِزُونَ لَهَا بِرِيبٍ لَّا يَسْتَلْعَنُونَ ﴿٤٠﴾ فِي أَيِّ آيَةٍ رَيْبِكُمْ تُكْذِبَانِ ﴿٤١﴾

[١٧] ﴿رَبُّ الشَّرْقَيْنِ﴾ مشرق الشتاء ومشرق الصيف ﴿وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ كذلك. [١٨] ﴿فِي أَيِّ آيَةٍ رَيْبِكُمْ تُكْذِبَانِ﴾. [١٩] ﴿مَرْجٌ﴾ أرسل ﴿الْبَحْرَيْنِ﴾ العذب والملح ﴿يَلْتَقِيَانِ﴾ في رأي العين. [٢٠] ﴿بَيْنَهُمَا بَرْحٌ﴾ حاجز من قدرته - تعالى - ﴿لَّا يَبْعِيَانِ﴾ لا يبغي واحد منهما على الآخر، فيحتلط به.

[٢١] ﴿فِي أَيِّ آيَةٍ رَيْبِكُمْ تُكْذِبَانِ﴾. [٢٢] ﴿يُخْرَجُ﴾ بالبناء

(٥) فائدة: أخرج ابن ماجه عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ في قوله: ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ قال: «من شأنه أن يغفر ذنبا، ويفرح كربا، ويرفع قوما، ويضع آخرين». ابن ماجه - المقدمة باب (١٣) فيما أنكرت الحموية. وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (١٦٧).

(١) بالبناء للمفعول قراءة نافع وأبي عمرو، وقرأ بقية السبعة بالبناء للفاعل.
(٢) وهذا لا ينافي صفة الوجه التي أثبتها ربنا ﷻ لنفسه، ونشبهها له حقيقة على الوجه اللائق به، ومن لوازم بقاء الوجه بقاء الذات؛ لكن لا يقال: إن الوجه هو الذات، وقال ابن كثير في تفسير الآية: «... ولا يبقى أحد سوى وجهه الكريم؛ فإن الرب - تعالى - وتقديس لا يموت، بل هو الحي الذي لا يموت أبداً».
(٣) قوله ﷻ: ﴿ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ في الآية هي صفة لوجهه «وليس لهرب»؛ كما قال ابن كثير والطبري، ووجهه - شيخنا - ذو الجلال والإكرام كما أنه - شيخنا - ذو الجلال والإكرام. فقوله المفسر: (للمؤمنين) دليل على إرادة نفي صفة الوجه، لا عن مجرد إرادة الدلالة على أن بقاء الوجه يلزم منه بقاء الذات.
(٤) أي: بلسان الحال.
(٥) وهذا قول ابن عباس المشهور عنه، وسعيد بن جبير وغيرهما، واختاره الطبري. وقال آخرون: هو النحاس المذاب؛ يصب على رءوسهم. وروي ذلك عن ابن عباس وقادة وغيرهما.
(٦) الحجر: ٩٢.

(٧) أي في قوله تعالى: ﴿لَهُمْ يَلْبِغُونَ يَوْمَ لَا حِجَابَ﴾ في الآيتين: (٥٦)، (٧٤) من السورة.

[٤١] ﴿يَعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِمَتِهِمْ﴾ سواد الوجوه وزرقة العيون ﴿فَيُؤَخِّدُ بِالرَّيْصِ وَالْأَفْئَامِ﴾ [٤٢] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ أي: تضم ناصية كل منهم إلى قدميه، من خلف أو قدام، ويلقى في النار، ويقال لهم: ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ [٤٣]

[٤٤] ﴿يَطُوفُونَ﴾ يسعون ﴿بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ﴾ ماء حار ﴿ءَانِ﴾ شديد الحرارة، يسقونه إذا استغاثوا من حر النار، وهو منقوص؛ كـ «قاضي».

[٤٥] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾

[٤٦] ﴿وَلَمَّا حَادَّ﴾ أي: لكل منهم، أو: لمجموعهم ﴿مَقَامَ رَبِّهِ﴾ قيامه بين يديه للحساب، فترك معصيته ﴿جَنَّتَانِ﴾.

[٤٧] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾

[٤٨] ﴿ذَرَاتًا﴾ تنبيه «ذوات» على الأصل^(١)، ولامها باء^(٢) ﴿أَفْتَانِ﴾ أغصان، جمع «فن»؛ كـ «طلل».

[٤٩] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾

[٥٠] ﴿فِيهَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾

[٥١] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾

[٥٢] ﴿فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ﴾ في الدنيا، أو: كل ما يتفكه به ﴿زُجَبَانِ﴾ نوعان؛ رطب وياابس، والمرمهما في الدنيا كالخضطل حلو.

[٥٣] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾

[٥٤] ﴿مُتَّكِفِينَ﴾ حال عامله محذوف؛ أي: يتنعمون ﴿عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَرْبٍ﴾ ما غلظ من الديباج وخشن، والظهاثر من السندس ﴿وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ﴾ ثمرهما ﴿ءَانِ﴾ قريب، يناله القائم والقاعد والمضطجع.

[٥٥] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾

[٥٦] ﴿فِيهِمَا﴾ في الجنة، وما اشتملنا عليه من العلالى والقصور ﴿فَصَبْرُتِ الْأَعْرَابِ﴾ العيين، على أزواجهن المتكفين، من الإنس والجن ﴿لَمْ يَطْمِئِنُّوا﴾ يفتضهن، وهن من الحور، أو: من نساء الدنيا المنشآت^(٣) ﴿إِنِّسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾

[٥٧] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾

[٥٨] ﴿كَأَنَّهنَّ الْأَبْقَاثُ﴾ صفاء ﴿وَالْمَرْجَاتُ﴾ أي: اللؤلؤ بياضاً.

[٥٩] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾

[٦٠] ﴿هَلْ﴾ ما ﴿جَزَاءُ الْإِحْسَانِ﴾ بالطاعة ﴿إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ بالنعيم.

[٦١] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾

فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١١﴾ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانِ ﴿١٣﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٤﴾ وَلَمَّا حَادَّ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴿١٥﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾ ذَوَاتَا أَفْتَانِ ﴿١٧﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿١٩﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٠﴾ فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زُجَبَانِ ﴿٢١﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٢﴾ مُتَّكِفِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَرْبٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانِ ﴿٢٣﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٤﴾ فِيهِمَا قَصِيرَتِ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِئِنُّوا إِنِّسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٢٥﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٦﴾ كَأَنَّهنَّ الْأَبْقَاثُ وَالْمَرْجَاتُ ﴿٢٧﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴿٢٩﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾ تَكْذِبَانِ ﴿٣١﴾ وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٣٢﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٣﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٣٤﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٥﴾ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٣٦﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٧﴾

[٦٢] ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا﴾ أي: الجنة المذكورتين ﴿جَنَّتَانِ﴾^(٤) أيضًا، لمن خاف مقام ربه.

[٦٣] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾

[٦٤] ﴿مُدَّهَاتَانِ﴾ سوداوان من شدة خضرتهما.

[٦٥] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾

[٦٦] ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ فوارتان بالماء، لا ينقطعان.

[٦٧] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾

(١) فائدة: أخرج البخاري عن عبد الله بن قيس أن رسول الله ﷺ قال: «جنتان من فضة آتيتهما وما فيها، وجنتان من ذهب آتيتهما وما فيها». وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبر على وجهه في جنة عدن. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة الرحمن (٥٥) باب (١) ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾.

(٢) أي: على ما قبل حذف الواو؛ وبعد الحذف تصبح «ذات» فتثنى على «ذاتان». والفصحى في تنبيها: «ذواتا»، كما في الآية.

(٣) أي لأن أصلها: «ذوي»؛ تحركت الياء، وانفتح ما قبلها؛ فقلت ألفًا، فأصبحت: «ذوي»؛ كـ «فتى».

(٤) كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَهُمْ إِنفَاةً ۖ فَجَعَلْنَهُمْ أَيْكَاةً﴾ [الواقعة: ٣٥، ٣٦]؛ أي: يجعلهن بعد الثبوة أيكَاة.

- [٧٦] ﴿مُتَّكِبِينَ﴾ أي: أرواجهن، وإعراجهن كما تقدم ﴿عَلَى رَقْوِي حُضْرٍ﴾ جمع روفة؛ أي: بُسَط، أو: وسائد ﴿وَعَبْقَرِي حَسَانٍ﴾ جمع عبقرية؛ أي: طنافس. [٧٧] ﴿فِي أَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تَكْذِبَانِ﴾. [٧٨] ﴿تَبَرَّكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ تقدم، ولفظ «اسم» زائد.

سُورَةُ الْوَاقِعَةِ

[مكية، إلا ﴿أَنهَذَا الْخُبْرُ﴾ الآية، و﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ الآية، وهي: ست، أو: سبع، أو: تسع وتسعون آية^(٥)]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- [١] ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ قامت القيامة. [٢] ﴿لَيْسَ لَوْعِهَا كَاذِبَةٌ﴾ نفس تُكذَّب؛ بأن تفيها كما تفتها في الدنيا. [٣] ﴿خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ﴾ هي مظهرة لخفض أقوام بدخولهم النار، ولرفع آخرين بدخولهم الجنة. [٤] ﴿إِذَا رَجَوتِ الْأَرْضُ رَجَاً﴾ حُرُوت حركة شديدة. [٥] ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا﴾ قُتَّت. [٦] ﴿فَكَانَتْ هَبَاءً مُبْتَثًّا﴾ غباراً ﴿مُتَّبَتًّا﴾ منشراً، و﴿إِذَا الْثَانِيَةَ بَدَلُ مِنَ الْأُولَى﴾. [٧] ﴿وَكُنْتُمْ فِي الْغِيَابِ﴾ أصنافاً ﴿ثَلَاثَةٌ﴾ [٨] ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ وهم الذين يُؤْتُونَ كتبهم بأيمانهم، مبتدأ خبره: ﴿مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ تعظيم لشأنهم بدخولهم الجنة. [٩] ﴿وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمِ﴾ أي: الشمال، بأن يُؤْتَى كل منهم كتابه بشماله ﴿مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمِ﴾ تحمير لشأنهم بدخولهم النار. [١٠] ﴿وَالسَّائِقُونَ﴾ إلى الخير، وهم الأنبياء، مبتدأ ﴿السَّائِقُونَ﴾ تأكيد تعظيم شأنهم. [١١] ﴿أُولَئِكَ الْمَقْرُونُونَ﴾ [١٢] ﴿فِي جَنَّتِ النَّجْمِ﴾. [١٣] ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ مبتدأ؛ أي: جماعة من الأمم الماضية [١٤] ﴿وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ من أمة محمد ﷺ، وهم السابقون من الأمم الماضية وهذه الأمة^(٦). [١٥] والخبر: ﴿عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ﴾ منسوجة بقضبان الذهب والجواهر. [١٦] ﴿مُتَّكِبِينَ عَلَيْهِا مُتَّقِلِينَ﴾ حالان من الضمير في الخبر.

فِيهِنَّ خَيْرَاتُ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَيَأْتِي آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تَكْذِبَانِ ﴿٧٧﴾ حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴿٧٨﴾ فَيَأْتِي آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تَكْذِبَانِ ﴿٧٩﴾ لَوِيظَتُهُنَّ اسْنَ قِبَلَهُمْ وَلَا جَانٌ ﴿٨٠﴾ فَيَأْتِي آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تَكْذِبَانِ ﴿٨١﴾ مُتَّكِبِينَ عَلَى رَقْوِي حُضْرٍ وَعَبْقَرِي حِسَانٍ ﴿٨٢﴾ فَيَأْتِي آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تَكْذِبَانِ ﴿٨٣﴾ تَبَرَّكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٨٤﴾

سُورَةُ الْوَاقِعَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لَوْعِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رَجَوتِ الْأَرْضُ رَجَاً ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَاءً مُبْتَثًّا ﴿٦﴾ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿٩﴾ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمِ ﴿١٠﴾ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمِ ﴿١١﴾ وَالسَّائِقُونَ ﴿١٢﴾ أُولَئِكَ الْمَقْرُونُونَ ﴿١٣﴾ فِي جَنَّتِ النَّجْمِ ﴿١٤﴾ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿١٦﴾ عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ ﴿١٧﴾ مُتَّكِبِينَ عَلَيْهِا مُتَّقِلِينَ ﴿١٨﴾

- [٦٨] ﴿فِيهَا فَتْكُهُمْ﴾ وَعَلَى رَقْوَانٍ ﴿١٩﴾ هما منها^(١)، وقيل: من غيرها. [٦٩] ﴿فَيَأْتِي آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تَكْذِبَانِ﴾. [٧٠] ﴿فِيهِنَّ﴾ أي: الجنة وما فيها^(٢) ﴿خَيْرَاتُ﴾ أخلاقاً ﴿حِسَانٍ﴾ وجوهاً. [٧١] ﴿فَيَأْتِي آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تَكْذِبَانِ﴾. [٧٢] ﴿حُورٌ﴾ شديدات سواد العيون وبياضها ﴿مَقْصُورَاتٌ﴾ مستورات ﴿فِي الْخِيَامِ﴾ من دُو مجوف، مضافة إلى القصور، شبيهة بالحدود. [٧٣] ﴿فَيَأْتِي آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تَكْذِبَانِ﴾. [٧٤] ﴿لَوِيظَتُهُنَّ اسْنَ قِبَلَهُمْ﴾ قبل أرواجهن ﴿وَلَا جَانٌ﴾. [٧٥] ﴿فَيَأْتِي آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تَكْذِبَانِ﴾.

(٥) فائدة: أخرج الترمذي عن ابن عباس قال: قال أبو بكر ﷺ: يا رسول الله، قد شئت؟! قال: شيتني هود، والواقعة، والمرسلات، و﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾، و﴿إِذَا الْفَتْشُ كُوَّتَ﴾. وسبق تخريجه في أول سورة هود.

(١) أي: النخل والزئمان من الفاكهة.

(٢) في نسخة القاضي: «وقصورهما»، بدلاً من: «وما فيها». وقال ابن الجوزي في زاد المسير: ﴿فِيهِنَّ﴾ يعني في الجنان الأربع. اهـ، وكذا قال البغوي. وفي حديث أبي موسى الأشعري في الصحيحين؛ البخاري (٤٨٧٨)، ومسلم (١٨٠) أن رسول الله ﷺ قال: «جنتان من نفضة؛ أنتهما وما فيها، وجنتان من ذهب؛ أنتهما وما فيها».

(٣) هذا قول مجاهد والحسن البصري، واختاره ابن جرير، ولم يحك غيره. قال ابن كثير: «وهذا الذي اختاره ابن جرير فيه نظراً بل هو قول ضعيف؛ لأن هذه الأمة هي خير الأمم بنص القرآن؛ فيبعد أن يكون المقرونين في غيرها أكثر منها، اللهم إلا أن يقابل مجسوع الأمم بهذه الأمة. والظاهر أن المقرونين من هؤلاء أكثر من سائر الأمم، والله أعلم اهـ».

ثم قال ابن كثير: «فالقول الثاني في هذا المقام هو الراجح، وهو أن يكون المراد بقوله: ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: من صدر هذه الأمة، ﴿وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ أي: من هذه الأمة. اهـ. وأول هذه الأمة هم الصحابة والتابعون وتابعوهم بإحسان، وآخرها: الصلحاء، وهم قليل».

[١٧] ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾ للخدمة ﴿وَلِدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ على شكل الأولاد، لا يهرمون. [١٨] ﴿يَا كُؤَبٍ﴾ أقداح لا غرى لها ﴿وَأَبَارِينٍ﴾ لها عرى وخراطيم ﴿وَكُؤَبِينَ﴾ إناء شرب الخمر ﴿مِنْ تَمِينٍ﴾ أي: خمر جارية من منبع لا ينقطع أبداً.

[١٩] ﴿لَا يَصُدُّوْنَ عَنْهَا وَلَا يَنْزِفُونَ﴾ بفتح الزاي وكسرها^(١)، من نِزْفِ الشارب وأَنْزَفَ أي: لا يحصل لهم منها صداع، ولا ذهاب عقل، بخلاف خمر الدنيا. [٢٠] ﴿وَفَكَهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾. [٢١] ﴿وَلَقَدْ طَلَّرِ يَمَّا يَنْتَهَبُونَ﴾. [٢٢] ﴿ذِي لَهُم لِلإِسْتِمَاعِ﴾ حُرٌّ ﴿نَسَاءَ شَدِيدَاتِ سَوَادِ الْعَيُونِ وَبِيَاضِهَا﴾^(٢) ﴿عَيْنٍ﴾ ضخام العيون، كسرت عينه بدل ضمها؛ مجانسة الياء^(٣)، ومفردة: عيناء؛ كحمرءاء، وفي قراءة^(٤) بجر «حور عين». [٢٣] ﴿كَأَمْثَلِ الْوَلُولِ الْمَكُونِ﴾ المصون. [٢٤] ﴿جَزَاءً﴾ مفعول له، أو: مصدر، والعامل مقدر؛ أي: جعلنا لهم ما ذكر للجزاء، أو: جزيتهم ﴿يَمَّا كَانُوا يَتَمَلَّوْنَ﴾. [٢٥] ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا﴾ في الجنة ﴿لَقَوَاهُ﴾ فاحشاً من الكلام ﴿وَلَا تَأْتِيهَا﴾ ما يؤتم. [٢٦] ﴿الْأُفَّ﴾ لكن ﴿يَقِيلُ﴾ قولاً ﴿سَلَكْنَا سَلَكًا﴾ بدل من: ﴿يَقِيلُ﴾ فإنهم يسمعون. [٢٧] ﴿وَأَصْحَابِ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾. [٢٨] ﴿فِي سِدْرٍ مَّشْهُورٍ﴾ شجر التَّقِىُّ ﴿مَنْشُورٍ﴾ لا شك فيه. [٢٩] ﴿وَطَلْحٍ﴾ شجر الموز ﴿مَنْشُورٍ﴾ بالحمل، من أسفله إلى أعلاه. [٣٠] ﴿وَطَلْحٍ مَّتَدُورٍ﴾^(٥) دائم. [٣١] ﴿وَمَاءٍ مَّشْكُوبٍ﴾ جار دائماً. [٣٢] ﴿وَفَكَهَةٍ كَثِيرَةٍ﴾. [٣٣] ﴿لَا مَقْطُوعَةٍ﴾ في زمن ﴿وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ بنمن. [٣٤] ﴿وَفَرِّشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ على السرر. [٣٥] ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنثَاءً﴾ أي: الحور العين من غير ولادة.

[٣٦] ﴿فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا﴾ عذارى، كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن عذارى، ولا وجع. [٣٧] ﴿عُرْبًا﴾ بضم الراء وسكونها^(٥)؛ جمع غزوب، وهي: المتحبة إلى زوجها عشقاً له ﴿أَرْبَابًا﴾ جمع تزوب؛ أي: مستويات في السن. [٣٨] ﴿لَأَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ صلة «أنشأناهن» أو «جعلناهن».

[٣٩] وهم ﴿نَلَّةٌ مِنَ الْأَرْزَاقِ﴾. [٤٠] ﴿وَنَلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾^(٦). [٤١] ﴿وَأَصْحَابِ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابِ الشِّمَالِ﴾. [٤٢] ﴿فِي سَمُورٍ﴾ ريح حارة من النار، تنفذ في المسام ﴿وَرَكِيمٍ﴾ ماء شديد الحرارة. [٤٣] ﴿وَطَلْحٍ مِّنْ يَّمُوتٍ﴾ دخان شديد السواد. [٤٤] ﴿لَا بَارِدٍ﴾ كغيره من الظلال ﴿وَلَا كَرِيمٍ﴾ حسن المنظر. [٤٥] ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ﴾ في الدنيا ﴿مُتْرَفِينَ﴾ منعمين؛ لا يتعبون في الطاعة. [٤٦] ﴿وَكَانُوا يُبْرُونَ عَلَى الْيَمِينِ﴾ الذنب ﴿الْعَطِيمِ﴾ أي: الشرك.

يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وَلِدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ يَا كُؤَبٍ وَأَبَارِينٍ وَكُؤَبِينَ مِنْ تَمِينٍ ﴿١٨﴾ لَا يَصُدُّوْنَ عَنْهَا وَلَا يَنْزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ طَلَّرِ يَمَّا يَنْتَهَبُونَ ﴿٢٠﴾ وَأَصْحَابِ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٢١﴾ وَلَا تَأْتِيهَا ﴿٢٢﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَمًا سَلَمًا ﴿٢٣﴾ وَأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٢٤﴾ فِي سِدْرٍ مَّشْهُورٍ ﴿٢٥﴾ وَطَلْحٍ مَّنْشُورٍ ﴿٢٦﴾ وَطَلْحٍ مَّتَدُورٍ ﴿٢٧﴾ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٢٨﴾ وَفَكَهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٢٩﴾ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٠﴾ وَفَرِّشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣١﴾ إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنثَاءً ﴿٣٢﴾ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٣﴾ عُرْبًا أَرْبَابًا ﴿٣٤﴾ لَأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٣٥﴾ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿٣٧﴾ وَأَصْحَابِ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابِ الشِّمَالِ ﴿٣٨﴾ فِي سَمُورٍ وَرَكِيمٍ ﴿٣٩﴾ وَطَلْحٍ مِّنْ يَّمُوتٍ ﴿٤٠﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤١﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٢﴾ وَكَانُوا يُبْرُونَ عَلَى الْيَمِينِ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَابِ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابِ الشِّمَالِ ﴿٤٤﴾ وَكَانُوا يُبْرُونَ عَلَى الْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا يُبْرُونَ عَلَى الْيَمِينِ ﴿٤٦﴾

[٤٧] ﴿وَكَانُوا يُقُولُونَ أَيَّدًا مِّنَّا وَكُنَّا نُرَاكُمَا وَعِظْمًا إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ في الهمزتين في الموضوعين: التحقيق، وتسهيل الثانية، وإدخال ألف بينهما على الوجهين^(١).

[٤٨] ﴿أَوْ أَبَائِنَا الْأَوَّلُونَ﴾ بفتح الواو للعطف، والهمزة للاستفهام، وهو في ذلك وفيما قبله للاستبعاد، وفي قراءة^(٢): بسكون الواو، عطفاً به أو^(٣) والمعطوف عليه: محل «إن» واسمها. [٤٩] ﴿قُلْ إِنَّكَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ﴾. [٥٠] ﴿لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتٍ يَوْمَ مَعْلُومٍ﴾ أي: يوم القيامة.

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه يبلغ به النبي ﷺ قال: «إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها، واقرءوا إن شئتم: ﴿وَطَلْحٍ مَّتَدُورٍ﴾». البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة الواقعة (٥٦) باب (١) ﴿وَطَلْحٍ مَّتَدُورٍ﴾.

(٥٥) ما جاء في نزول الآيتين (٣٩، ٤٠): أخرج أحمد عن أبي هريرة قال: لما نزلت: ﴿نَلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ و﴿نَلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ شق ذلك على المسلمين، فنزلت: ﴿نَلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ و﴿نَلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ فقال: «أفتم ثلث أهل الجنة، بل أنتم نصف أهل الجنة، وتقاسموهم النصف الباقي». أخرجه أحمد في المسند (٣٩١/٢)، وصححه الشيخ أحمد شاكر في تخريجه على المسند (١٣٢/٧) رقم (٩٠٦٩).

(١) بالفتح قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ بقية السبعة بالكسر.

(٢) أي: سواد الخلدقة وبياض ما حولها، وقيل مع شدة بياض الجسد كذلك.

(٣) لأن أصلها: «عُيِّن» بضم العين وسكون الياء.

(٤) لحمزة والكسائي.

(٥) بالسكون قراءة حمزة وشعبة.

(٦) أي وتركه، وقرأ نافع والكسائي بالاستفهام في الأول والإخبار في الثاني، وراجع التعليق على الآية (٨١) من سورة الأعراف.

(٧) بالسكون قراءة ابن عامر وقائلون.

خَلَقْنَاكُمْ ﴿٥١﴾ أوجدناكم من عدم ﴿فَلَوْلَا﴾ هلاً ﴿تَصَدَّقُونَ﴾ بالبعث؛ إذ القادر على الإنشاء قادر على الإعادة. [٥٨] ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَرِيقُونَ﴾ من النبي في أرحام النساء. [٥٩] ﴿ءَأَنْتُمْ﴾ بتحقيق الهمزتين، وإبدال الثانية ألفاً، وتسهيلها، وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى، وتركه^(١) في المواضع الأربعة ﴿تَخْلُقُونَهُ﴾ أي: النبي بشراً ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ الْخَالِقِينَ﴾. [٦٠] ﴿تَحْسَبُ فَذَرْنَا﴾ بالتشديد والتخفيف^(٢) ﴿بَيْنَكَ الْمَوْتُ وَمَا تَحْسَبُ بِمَسْبُوبِينَ﴾ بعاجزين.

[٦١] ﴿عَلَى﴾ عن ﴿أَنْ نُبَدِّلَ﴾ نجعل ﴿أَنْتُمْ﴾ مكانكم ﴿وَنُنشِئُكُمْ﴾ نخلقكم ﴿فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من الصورة؛ كالقردة والخنازير. [٦٢] ﴿وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ النَّشْأَةَ﴾^(٤) الأول ﴿وَفِي قِرَاءَةِ سَكُونِ الشَّيْنِ﴾ فلولا [تذكروا] فيه إدغام الناء الثانية في الأصل في الدال^(٥). [٦٣] ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُوثُونَ﴾ تثيرون في الأرض، وتلقون البذر فيها؛ [٦٤] ﴿ءَأَنْتُمْ تَرِزُونَهُ﴾ تبتئونه ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ الرِّزْقَ﴾ [٦٥] ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حَطَلًا﴾ نباتاً يابساً، لا حب فيه ﴿فَطَلْتُمْ﴾ أصله: ظلمتم بكسر اللام، حذفتم تخفيفاً؛ أي: أقمتم نهاراً ﴿تَفْكُهُونَ﴾ حذفتم منه إحدى التائين في الأصل؛ تعجبون من ذلك، وتقولون: [٦٦] ﴿إِنَّا لَمَعْرُومُونَ﴾ نفقة رزعتنا. [٦٧] ﴿بَلْ تَحْسَبُ عُرْوَتُونَ﴾ ممنوعون رزقنا.

[٦٨] ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ﴾. [٦٩] ﴿ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ السحاب، جمع «مؤنة» ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ السَّمَاوَاتَ﴾ [٧٠] ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ أُنْحَامًا﴾ ملحاً لا يمكن شربه ﴿فَلَوْلَا﴾ فهلاً ﴿تَشْكُرُونَ﴾.

[٧١] ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾ تخرجون من الشجر الأخضر. [٧٢] ﴿ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَهَا﴾ كالموخ والعفار والكلح^(٦) ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ السَّمَاوَاتَ﴾ [٧٣] ﴿تَحْسَبُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً﴾ نار جهنم ﴿وَمَتَّعْنَا﴾ بلغة ﴿لِلْمُقْوِينَ﴾ للمسافرين؛ من: أقوى القوم؛ أي: صاروا بالقوا، بالقصر والمد؛ أي: القفر، وهو: مفازة لا نبات فيها ولا ماء. [٧٤] ﴿فَسَبِّحْ﴾ زُور ﴿يَاسِّرُ﴾ زائدة^(٧)

﴿رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ أي: الله. [٧٥] ﴿فَلَا أَقْسَمُ﴾ «لا» زائدة ﴿بِمَوْقِعِ الشُّجَيْرِ﴾ بمساقطها لغروبها^(٨). [٧٦] ﴿وَإِنَّهُ﴾ أي: القسم بها ﴿لَقَسْرٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ لو كنتم من ذوي العلم لعلمتم عظم هذا القسم.

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ لَأِنَّمَا سَأَلْتُمُ النَّكُّوتُونَ﴾. [٥٢] ﴿لَا يَكُونُ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُرُقِهِ﴾ ﴿فَمَا لَوْ لَوْ مِنْهَا الْبَطُونَ﴾ ﴿فَقَشَرْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيرِ﴾ ﴿فَقَشَرْتُمْ شَرِبَ الْأَهْمِيرِ﴾ ﴿هَذَا زُرْقُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ﴾ ﴿تَحْسَبُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تَصَدَّقُونَ﴾ ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَأْتُمُونَ﴾ ﴿ءَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ﴾ ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ الْخَالِقِينَ﴾ ﴿تَحْسَبُ فَذَرْنَا بَيْنَكَ الْمَوْتُ وَمَا تَحْسَبُ بِمَسْبُوبِينَ﴾ ﴿عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَلَكُمْ وَنُنشِئُكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى﴾ ﴿فَلَوْلَا تَذْكُرُونَ﴾ ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُوثُونَ﴾ ﴿ءَأَنْتُمْ تَرِزُونَهُ﴾ ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ الرِّزْقَ عُرْوَةٌ﴾ ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَلًا﴾ ﴿فَمَا لَوْ لَوْ تَفْكُهُونَ﴾ ﴿إِنَّا لَمَعْرُومُونَ﴾ ﴿بَلْ تَحْسَبُ مَحْرُومُونَ﴾ ﴿أَفَرَأَيْتُمْ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ﴾ ﴿ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ السَّمَاوَاتَ﴾ ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ أُنْحَامًا﴾ ﴿فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾ ﴿ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَهَا﴾ ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ الْمُنْتَشِقُونَ﴾ ﴿تَحْسَبُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً﴾ ﴿وَمَتَّعْنَا لِلْمُقْوِينَ﴾ ﴿فَسَبِّحْ بِأَسْمَاءِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ ﴿فَلَا أَقْسَمُ بِمَوْقِعِ الشُّجَيْرِ﴾ ﴿وَإِنَّهُ لَقَسْرٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾

[٥١] ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ لَأِنَّمَا سَأَلْتُمُ النَّكُّوتُونَ﴾. [٥٢] ﴿لَا يَكُونُ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُرُقِهِ﴾ بيان للشجر. [٥٣] ﴿فَمَا لَوْ لَوْ مِنْهَا الْبَطُونَ﴾ من الشجر ﴿الْبَطُونَ﴾. [٥٤] ﴿فَقَشَرْتُمْ عَلَيْهِ﴾ أي: الرقوم الماكول ﴿بِئِنَّ اللَّيْمِ﴾. [٥٥] ﴿فَقَشَرْتُمْ [شَرِبَ]﴾ بفتح الشين وضماً^(٩) مصدر ﴿الْأَهْمِيرِ﴾ الإبل العطاش، جمع هيمان للذكر، وهيمي للأنثى؛ كعطشان وعطشى. [٥٦] ﴿هَذَا زُرْقُهُ﴾ ما أعد لهم ﴿يَوْمَ الدِّينِ﴾ يوم القيامة. [٥٧] ﴿تَحْسَبُ

(١) بالفتح قراءة الكسائي وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ بقية السبعة بالضم.
 (٢) انظر التعليق على الآية (١٧) من سورة الفرقان.
 (٣) بالتخفيف قراءة ابن كثير.
 (٤) لابن كثير وأبي عمرو، وقرأ بقية السبعة: «النشأة» بسكون الشين.
 (٥) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ بقية السبعة بتخفيف الدال: «تذكروا».
 (٦) أنواع من الشجر سريعة القلدح.
 (٧) أي: الباء، وليس لفظة (اسم)؛ كما قال - تعالى -: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]. وكما يجب تنزيه الله عما لا يليق به؛ فإنه يجب أن تُشْرَه أسماءه التي سُمي بها نفسه، أو سماه بها رسوله ﷺ.
 (٨) هذا قول قتادة، وقال عطية: مواقع النجوم؛ منازلها. وهذا أظهر؛ فإنه كما للشمس مشارق ومغارب؛ فللقمر بروج ومنازل.

[٧٧] ﴿إِنَّهُ﴾ أي: المثلو عليكم ﴿لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾. [٧٨] ﴿فِي كِتَابٍ﴾ مكتوب ﴿مَكْتُوبٍ﴾ مضمون وهو المصحف^(١). [٧٩] ﴿لَا يَمَسُّهُ﴾ خبر بمعنى النهي ﴿إِلَّا أَنْطَهَرُونَ﴾ الذين طهروا أنفسهم من الأحداث. [٨٠] ﴿تَنْزِيلٍ﴾ منزل ﴿مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. [٨١] ﴿أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ﴾ القرآن ﴿أَنْتُمْ مُذْهَبُونَ﴾ مهاونون مكذبون؟
 [٨٢] ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾ من المطر؛ أي: شكره ﴿أَنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ بسقيا الله حيث قلم: فطرننا بنوء كذا؟^(٢)
 [٨٣] ﴿فَلَوْلَا﴾ فهلاً ﴿إِذَا بَلَغَتِ﴾ الروح وقت النزح ﴿الْحُلُقُومَ﴾ هو: مجرى الطعام. [٨٤] ﴿وَأَنْتُمْ﴾ يا حاضري الميت ﴿جِنْدِبٌ نَنْظُرُونَ﴾ إليه.
 [٨٥] ﴿وَتَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ﴾ بالعلم ﴿وَلَكِنْ لَا تَبْصُرُونَ﴾ من البصرة؛ أي: لا تعلمون ذلك. [٨٦] ﴿فَلَوْلَا﴾ فهلاً ﴿إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ مجزيين بأن تبعوا؛ أي: غير مبعوثين بزعمكم.

[٨٧] ﴿تَرْجِعُونَهَا﴾ تردون الروح إلى الجسد، بعد بلوغ الحلقوم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فيما زعمتم، فـ«لولا» الثانية تأكيد للأولى، و«إذا» ظرف لـ«ترجعون» المتعلق به الشرطان، والمعنى: هلاً ترجعونها، إن نفيتم البيعت صادقين في نفيه؛ أي: لينتفي عن محلها^(٣) الموت كالبيعت. [٨٨] ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ من الموت ﴿وَرَزَقْنَاكَ مِنْ حَسَنٍ﴾ ورحمتي بغير ﴿وَرَحْمَتٍ بَعِيرٍ﴾ وهل الجواب لـ«أما»^(٤) أو لـ«إن»، أو لهما؟ أقول. [٩٠] ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَعْيُنِ السَّعِيرِينَ﴾. [٩١] ﴿فَسَلِّدْ لَهُمْ﴾ أي: له السلامة من العذاب^(٥) ﴿وَمِنْ أَعْيُنِ السَّعِيرِينَ﴾ من جهة أنه منهم. [٩٢] ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكْفُورِينَ﴾ الضالين^(٦). [٩٣] ﴿فَتَرَلْ مِنْ جَهَنَّمَ﴾. [٩٤] ﴿وَتَضَلِيلِهِ جَحِيمٍ﴾. [٩٥] ﴿إِنْ هَذَا لَمَوْحٌ حَقٌّ لِلْقِيَامِ﴾ من إضافة الموصوف إلى صفته. [٩٦] ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ تقدّم.

إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَكْتُوبٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنْزِيلٍ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُذْهَبُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكْفِرُونَ ﴿٨٢﴾ إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَتَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تَبْصُرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرِيحَانٌ وَرَحْمَةٌ بَعِيرٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَعْيُنِ السَّعِيرِينَ ﴿٩٠﴾ فَسَلِّدْ لَهُمْ مِنْ حَسَنٍ ﴿٩١﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكْفُورِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَرَلْ مِنْ جَهَنَّمَ ﴿٩٣﴾ وَتَضَلِيلِهِ جَحِيمٌ ﴿٩٤﴾ إِنْ هَذَا لَمَوْحٌ حَقٌّ لِلْقِيَامِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾

سُورَةُ الْبَقَرَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾

وجيء بـ«أما» دون «من» تعليلاً للأكثر ﴿وَهُوَ الْقَرِيبُ﴾ في ملكه ﴿الْحَكِيمُ﴾ في صنعته^(٥).

[٢] ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي﴾ بالإنشاء ﴿وَيُمِيتُ﴾ بعده ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[٣] ﴿هُوَ الْأَوَّلُ﴾ قبل كل شيء، بلا بداية ﴿وَالْآخِرُ﴾ بعد كل شيء، بلا نهاية ﴿وَالظَّاهِرُ﴾ بالأدلة عليه ﴿وَالْبَاطِنُ﴾ عن إدراك الحواس^(١) ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

سُورَةُ الْحَجَرِ

[مكية، أو: مدنية، وأياتها تسع وعشرون]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: زهده كل شيء، فاللام مزيدة،

(٥) ما جاء في نزول الآيات (٧٥ - ٨٢): أخرج مسلم عن ابن عباس قال: مطر الناس على عهد النبي ﷺ فقال: أصبح من الناس شاكر ومنهم كافر. قالوا: هذه رحمة الله، وقال بعضهم: لقد صدق نوره كذا وكذا. قال: فنزلت هذه الآية: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوْجِعِ الثُّجُوبِ﴾ حتى بلغ ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكْفِرُونَ﴾. مسلم - كتاب الإيمان (١) باب (٢٢) كفر من قال مطرنا بالنوء.

(١) أكثر المفسرين أن المراد الكتاب المكون هو اللوح المحفوظ، والمظهرون هم الملائكة، ولا يحسه يفيد النفي على ظاهره، وهذا هو الأرجح.

(٢) أي: عن محل الروح، وهو الجسد.

(٣) أي: وجواب (إن) محذوف؛ لدلالة المذكور عليه، وهذا معهود كثيراً.

(٤) أشار بهذا إلى أن «السلام» في الآية بمعنى: السلامة، وهذا قول ابن عباس. وقال عطاء: تسلّم عليه الملائكة وتخبر أنه من أصحاب البعير، وهو قريب من قول البخاري: مُسَلِّمٌ لك أنك من أصحاب البعير، وقيل المعنى: سلام لك يا صاحب البعير، ففيه التفات من الغيبة إلى الخطاب؛ تعظيماً لصاحب البعير.

(٥) سبق التبيه في سورة البقرة آية (١٢٩) على أن الأولى التعميم من متعلّق الحكمة؛ فقال: الحكيم في كل شأن من شئونه؛ من صنعته، وقدره، وتشريعها، وجزائها، وإرساله رسله، وإنزاله كتبه... الخ. ونعيده هنا للتذكير والتأكيد.

(٦) والأولى تفسير هذين الاسمين بما فسرهما به النبي ﷺ في قوله: «وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ» فيكون اسمه الظاهر دالاً على علوه، واسمه الباطن دالاً على إحاطة علمه.

[٥] ﴿لَهُ مَلِكٌ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ الموجودات جميعها.

[٦] ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ﴾ يدخله ﴿فِي النَّهَارِ﴾ فيزيد وينقص الليل ﴿وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ فيزيد وينقص النهار ﴿وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ بما فيها من الأسرار والمعتقدات.

[٧] ﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ داوموا على الإيمان ﴿يَاللَّهُ وَرَسُولِهِ﴾ وأنفقوا في سبيل الله ﴿وَمَا جَعَلَكُمْ مُتَخَلِّفِينَ فِيهِ﴾ من مال من تقدمكم، وسيخلفكم فيه من بعدكم، نزل في غزوة العشرة، وهي غزوة تبوك^(١) ﴿يَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا﴾ إشارة إلى عثمان ^(٢) ﴿لَمْ أَجِرْ كَبِيرٌ﴾.

[٨] ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ﴾ خطاب للكفار؛ أي: لا مانع لكم من الإيمان ﴿يَاللَّهُ وَالرَّسُولَ يَدْعُونَكَ لِيُؤْمِنُوا بِرَبِّكَ وَقَدْ أُخِذَ﴾ بضم الهمزة وكسر الحاء، وفتحها ونصب ما بعده^(٣) ﴿مِيثَاقَكُمْ﴾ عليه؛ أي: أخذه الله في عالم الدُّنْيَا حين أشهدهم على أنفسهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾^(٤) ﴿إِن كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ﴾ أي: مردين الإيمان به، فبادروا إليه.

[٩] ﴿هُوَ الَّذِي يُرْسِلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ ءَايَاتٍ يَبَيِّنُ﴾ آيات القرآن ﴿لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ﴾ الكفر ﴿إِلَى النُّورِ﴾ الإيمان ﴿وَإِنَّ اللَّهَ بِكُم﴾ في إخراجكم من الكفر إلى الإيمان ﴿لَرَوْفٌ رَّحِيمٌ﴾.

[١٠] ﴿وَمَا لَكُمْ﴾ بعد إيمانكم ﴿أَلَا﴾ فيه إدغام نون «أن» في لام «لا» ﴿تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ بما فيهما؛ فصل إليه أموالكم من غير أجر الإنفاق، بخلاف ما لو أنفقتم فتؤجرون ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُمْ مَن أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ﴾ ملكة ﴿وَقَاتِلَ أَوْلِيَّكَ أَتَّكُمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتِلُوا وَكُلًّا﴾ من الفريقين، وفي قراءة^(١): بالرفع؛ مبتدأ ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنْفِقِينَ﴾ الخنة ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ فيجازيكم به.

[١١] ﴿مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ﴾ يانفاق ماله في سبيل الله ﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾ بأن ينفقه لله ﴿فِيضْعَافَهُ﴾ وفي قراءة^(١) ﴿فِيضْعَافَهُ﴾ بالتشديد ﴿لَهُ﴾ من عشر إلى أكثر من سبعائة، كما ذكر في البقرة ﴿وَلَهُ﴾ مع المضاعفة ﴿أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ مقترن به رضا وإقبال.

هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنْ السَّمَاءِ وَمَا يَصْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٥﴾ لَهُ مَلِكٌ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٦﴾ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾ ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُتَسَخِّفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٨﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩﴾ هُوَ الَّذِي يُرْسِلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ ءَايَاتٍ يَبَيِّنُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُم لَرَوْفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنكُمْ مَن أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتِلَ أَوْلِيَّكَ أَتَّكُمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتِلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ رُءُوسًا كَثِيرًا ﴿١٢﴾

[٤] ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ من أيام الدنيا؛ أولها الأحد وآخرها الجمعة^(١) ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الرَّسُولِ﴾ الكرسي^(٢) استواء^(٣) يليق به ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ﴾ يدخل ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ كالطرر والأموات ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ كالنبات والمعادن ﴿وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ كالرحمة والعذاب ﴿وَمَا يَصْرُجُ﴾ يصعد ﴿بَيْنَهَا﴾ كالأعمال الصالحة والسيئة^(٤) ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ بعلمه^(٥) ﴿أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

(١) سبق الرُّدُّ على تعيين هذه الأيام بأسمائها على النحو الذي ساقه المحلي هنا، أو في نحوها من الآيات وأن هذا لا سند له. وذلك في سورة فصلت الآية (٩).

(٢) والعرش غير الكرسي كما سبق، وهو أعظم منه كما في الحديث.

(٣) سبق التعليق على تفويض الاستواء، وأنه إذا كان يريد تفويض الكيفية فهذا حق، وإن كان يريد تفويض المعنى؛ فغير صحيح، إذ إن السلف يعلمون من معناه: الاستقرار والعلو.

(٤) المناسب حذفه؛ لأن الذي يرفع إما هو الأعمال الصالحة كما في قوله - تعالى -: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾.

(٥) أي: وهو فوق عرشه بذاته المقدسة، لا يخفى عليه شيء من خلقه، وسبق بيان قسمة المية العام والخاص وحقيقتها في آخر سورة النحل.

(٦) لم أتف على أحد من المفسرين غير المحلي ذكر أن هذا سبب نزول الآية، والصحيح أنها عامة، وليست بما نزل على سبب، والله أعلم.

(٧) وكذا غيره من الصحابة رضوان الله عليهم، ولا دليل على قصرها على عثمان ^(٨).

(٨) بالضم قراءة أبي عمرو، وقراءة السبعة بالفتح: ﴿أُخِذَ﴾، ونصب: ﴿مِيثَاقَكُمْ﴾.

(٩) الأعراف: ١٧٢.

(١٠) لابن عامر.

(١١) لابن كثير وابن عامر، لكن ابن كثير مع الرفع.

[١٢] اذكر ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ أمامهم ﴿وَوَجْهًا يَكُونُ بِأَيْمَانِهِمْ﴾ ويقال لهم: ﴿بَشِّرْكُمْ الْيَوْمَ بِجَنَّتِكُمْ﴾ أي: ادخلوها ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

[١٣] ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا﴾ أبصرونا، وفي قراءة (١) بفتح الهمزة وكسر الطاء؛ أمهلونا ﴿فَقَيْسٌ﴾ نأخذ القيس والإضاءة ﴿مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ﴾ لهم استهزاء بهم: ﴿أَرْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾ فرجعوا ﴿فَضْرِبَ بَيْنَهُمْ﴾ وبين المؤمنين ﴿بِسُورٍ﴾ قيل: هو سور الأعراف ﴿لَهُمْ بَابٌ بِأَيْمَانِهِمْ فِيهِ الرِّحْمَةُ﴾ من جهة المؤمنين ﴿وَبَابٌ بِيَسْؤِهِمْ﴾ من جهة المنافقين ﴿مِنْ فِيهِ الْإِعْدَابُ﴾.

[١٤] ﴿يُنَادُوهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ﴾ على الطاعة ﴿فَأَلْوَأْنَا بِكَ وَكَانَ قَدَرُكَ أَنفُسَكُمْ﴾ بالنفاق ﴿وَتَرْتَضِينَ﴾ بالمؤمنين الدوائر ﴿وَأَرْتَبْتُمْ﴾ شككم في دين الإسلام ﴿وَعَزَّيْتُمْ الْأَمَانِي﴾ الأطماع ﴿حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ الموت ﴿وَعَزَّيْتُمْ يَأْتِيهِ الْعُرُورُ﴾ الشيطان.

[١٥] ﴿فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ﴾ بالياء والتاء (٢) ﴿بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ وَلَا مِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ماؤنكم أنار هي مؤنكم ﴿أولى بكم﴾ ويس المصير هي.

[١٦] ﴿أَلَمْ يَأْنِ﴾ يحين ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ نزلت في شأن الصحابة، لما أكرموا المزاح (٣) ﴿أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِلذِّكْرِ﴾ وما [نزل] بالشديد والتخفيف (٤) ﴿مِنْ الْحَقِّ﴾ القرآن؟ ﴿وَلَا يَكُونُوا﴾ معطوف على «تخشع» ﴿كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ﴾ هم اليهود والنصارى ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ﴾ الزمن بينهم وبين أنبيائهم ﴿فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ لم تلن لذكر الله ﴿وَكَبُرَتْ بَيْنَهُمْ قَسِيْفَةٌ﴾.

[١٧] ﴿اعْلَمُوا﴾ خطاب للمؤمنين المذكورين ﴿أَنَّ اللَّهَ يَحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ بالنبات، فكذاك يفعل بقلوبكم؛ يردها إلى الخشوع ﴿فَدَبَّابًا لَكُمْ الْأَنْبِيَاءُ﴾ الدالة على قدرتنا بهذا وغيره ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

[١٨] ﴿إِنَّ الْأَمْصِدِينَ﴾ من الصدق، أدمغت التاء في الصاد؛ أي: الذين تصدقوا ﴿وَالْمُصَدِّقَاتِ﴾ اللاتي تصدقن، وفي قراءة (٥) بتخفيف الصاد فيها؛ من التصديق والإيمان ﴿وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ راجع إلى الذكور والإناث

يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ
وَبِأَيْمَانِهِمْ بِشَرِّكُمْ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ
فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ
لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا وَانْقَتِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ
فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضْرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُمْ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ
وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٤﴾ يُنَادُوهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى
وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرْتَضِيْنَ وَأَرْتَبْتُمْ وَعَزَّيْتُمْ الْأَمَانِي
حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَعَزَّيْتُمْ بِاللَّهِ الْعُرُورُ ﴿١٥﴾ فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ
فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَاؤُنْكُمْ أَنْتَارُ هِيَ مَوْلَانِكُمْ وَمَوْلَانِكُمْ
وَيَسُّ الْمَصِيرِ ﴿١٦﴾ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ
لِلذِّكْرِ وَاللَّهُ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا
الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ
مِنْهُمْ فَسِيْقُونَ ﴿١٧﴾ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا
لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّ الْأَمْصِدِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ
وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٩﴾

بالغلب، وعطف الفعل على الاسم في صلة «أل»؛ لأنه فيها حل محل الفعل، وذكر القرض بوصفه بعد التصديق تقييد له ﴿يَضْعَفُ﴾ وفي قراءة (٦): ﴿يَضْعَفُ﴾ بالشديد؛ أي: قرضهم ﴿لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾

(١) حمزة؛ أي: ﴿انظُرُونَا﴾.
(٢) ببناء قراءة ابن عامر، وقرأ بقية السبعة بالياء.
(٣) يشير إلى ما أخرجه ابن شيبه في مصنفه (٦٠/١٤ رقم ١٧٥٦٤) عن ابن أبي رواد، وضعفه في الاستيعاب (٣٢٠/٣) لإعضاله. وأخرج مسلم في صحيحه (٣٠٢٧) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية؛ ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِلذِّكْرِ﴾ إلا أربع سنين».
(٤) بالتشديد قراءة السبعة عدا نافع وحفص.
(٥) بالتخفيف قراءة ابن كثير وشعبة.
(٦) وهي قراءة ابن كثير وابن عامر بغير ألف مع تشديد العين، وقرأ بقية السبعة بالألف وتخفيف العين.

وَيُورِثُهُمُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴿الدالة على وحدانيتنا
﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ النار.

[٢٠] ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ دَرَجَةٌ ﴿١﴾ وَتَفَاخُرٌ
بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ﴿٢﴾ أَي: الاشتغال فيها، وأما الطاعات وما
يعين عليها فمن أمور الآخرة ﴿كَمَثَلِ﴾ أي: هي في إعجابها لكم
واضحلالها كمثل ﴿عَيْبٍ﴾ مطر ﴿عَجَبَ الْكُفَّارِ﴾ الزراع^(١) ﴿بِنَاتِهِمْ﴾
الناشئ عنه ﴿ثُمَّ يَهْبِجُ﴾ يبسس ﴿فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا﴾ فَنَاتًا
يضمحل بالرياح ﴿وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ لمن أثر عليها الدنيا ﴿وَمَغْفِرَةٌ
مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ﴾ لمن لم يؤثر عليها الدنيا ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ ما التمتع
فيها ﴿إِلَّا مَتَاعٌ الْعُرُورِ﴾.

[٢١] ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ﴾ لو وصلت إحداهما بالأخرى، والعرض: الشعة ﴿أَعِدَّتْ لِلَّذِينَ
ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤَيِّدُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ
الْعَظِيمِ ﴿.

[٢٢] ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ﴾ بالجذب^(٢) ﴿وَلَا فِي
أَنْفُسِكُمْ﴾ كالمرض، وفقد الولد ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ يعني اللوح المحفوظ ﴿مِن
قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا﴾ نخلقها، ويقال في النعمة كذلك ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ
يَسِيرٌ﴾.

[٢٣] ﴿لِكَيْلَا﴾ «كي» ناصبة للفعل بمعنى «أن»؛ أي: أخير - تعالى -
بذلك لئلا ﴿تَأْسَوْا﴾ تحزنوا ﴿عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا﴾ فرح بطر، بل فرح
شكر على النعمة ﴿وَمَا آتَاكُمْ﴾ بالمد: أعطاكم، وبالقصر^(٣): جاءكم منه
﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ﴾ متكبر بما أوتي ﴿فَخُورٍ﴾ به على الناس.

[٢٤] ﴿الَّذِينَ يَبْتَخُلُونَ﴾ بما يجب عليهم ﴿وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾
به، لهم وعيد شديد ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾ عما يجب عليه ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ
فَضْلٌ﴾ وفي قراءة^(٤) بسقوطة ﴿الْقَى﴾ عن غيره ﴿الْحَمِيدُ﴾ لأوليائه.

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشُّهَدَاءُ
عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَوَرثُهُمُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا
بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١﴾ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ
الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ دَرَجَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ
وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ عَيْبٍ عَجَبَ الْكُفَّارِ بِنَاتِهِ ثُمَّ يَهْبِجُ فَتَرَاهُ
مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ
مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعٌ الْعُرُورِ ﴿٢﴾
سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ أَعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ
اللَّهِ يُؤَيِّدُهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٣﴾ مَا أَصَابَ
مِن مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن
قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٤﴾ لِكَيْلَا
تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ
لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٥﴾ الَّذِينَ يَبْتَخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ
النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦﴾

[١٩] ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ المبالغون في
التصديق ﴿وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ على المكذبين من الأمم ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ

(١) وهذا قول كثير من المفسرين، وقيل: المراد الكافرون بالله ﷻ؛ لأنهم أشد إعجابًا وافتتانًا بزينة الحياة الدنيا. وهذا القول أقرب، واستحسنه القرطبي.

(٢) ونحوه كالوباء والغلاء والقحط، والأولى: أن يقول: كالجذب؛ ليكون ذلك على سبيل التمثيل.

(٣) بالقصر قراءة أبي عمرو.

(٤) لنافع وابن عامر.

[٢٥] ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا إِلَى الْأَنْبِيَاءِ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ الملائكة إلى الأنبياء ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالحجج القواطع ﴿وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾ بمعنى الكتب ﴿وَالزُّبُرَانَ﴾ العدل ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾ أخرجه من المعادن ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ يقابل به ﴿وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ﴾ علم مشاهدة، معطوف على: ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ﴾ ﴿مَنْ يَصْرُفْ﴾ بأن ينصر دينه بالآلات الحرب، من الحديد وغيره ﴿وَرُسُلُهُ بِالْقَيْبِ﴾ حال من هاء ﴿يَصْرُفْ﴾ أي: غابنا عنهم في الدنيا؛ قال ابن عباس: ينصرونه ولا يصرونه ﴿إِنْ اللَّهُ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ لا حاجة له إلى النصر، لكنها تنفع من يأتي بها.

[٢٦] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ يعني الكتب الأربعة: التوراة، والإنجيل، والزيور، والفرقان؛ فإنها في ذرية إبراهيم ﴿فِيهِمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فُسِقُونَ﴾.

[٢٧] ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آدَامَ إِبْرَاهِيمَ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابَانِيَّةً﴾ هي رفض النساء واتخاذ الصوامع ﴿أَبْتَدَعُوهَا﴾ من قبل أنفسهم ﴿مَا كُنْتُمْ عَلَيْهِنَّ﴾ ما أمرناهم بها ﴿إِلَّا﴾ لكن فعلوها ﴿أَيْتَاءَ رِضْوَانٍ﴾ مرضاة ﴿اللَّهِ﴾ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَابِهَا﴾ إذ تركها كثير منهم، وكفروا بدين عيسى، ودخلوا في دين ملكهم، وبقي على دين عيسى كثير منهم فأمنوا ببنينا ﴿فَقَاتَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ به ﴿مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فُسِقُونَ﴾.

[٢٨] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بعيسى ﴿أَتَقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرُسُولِهِ﴾ محمد ﷺ وعيسى ﴿يُؤْتِيكُمْ كَفَالَيْنِ﴾ نصيبين ﴿بَيْنَ رَحْمَتِهِ﴾ لإيمانكم بالنبين ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾ على الصراط ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

[٢٩] ﴿لَيْلًا بَعَثَهُ﴾ أي: أعلمكم بذلك، ليعلم ﴿أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ التوراة، الذين لم يؤمنوا بمحمد ﷺ ﴿أَنْ﴾ مخففة من التقلية، واسمها ضمير الشأن، والمعنى: أنهم ﴿لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ خلاف ما في زعمهم أنهم أعباء الله وأهل رضوانه ﴿وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ﴾ يعطيه ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ فأتى المؤمنين منهم أجرهم مرتين، كما تقدم ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾^(٤).

(٤) ما جاء في نزول الآيات (٢٧ - ٢٩): أخرج النسائي عن ابن عباس قال: كانت ملوك بعد عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام بدلوا التوراة والإنجيل، وكان فيهم مؤمنون بقرؤون التوراة، قيل للموكلهم: ما نجد شقًا أشد من شتم بشتونا هؤلاء؛ إنهم يقرءون: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ وهؤلاء الآيات، مع ما يعيونا به في أفعالنا في قراءتهم، فادعهم فليقرؤا كما نقرأ، وليؤمنوا كما آمننا، فدعاهم فجمعهم وعرض عليهم القتل أو يتركوا قراءة التوراة والإنجيل إلا ما بدلوا منها. فقالوا: ما تريدون إلى ذلك، دعونا، فقالت طائفة منهم: ابنوا لنا أسطوانات ثم اقرءونا إليها ثم أعطونا شيئًا نرفع به طعامنا وشرابنا فلا نرد عليكم. وقالت طائفة منهم: دعونا نسيح في الأرض ونهيم ونشرب كما يشرب الوحش، فإن قدرتم علينا في أرضكم فاقبلوا، وقالت طائفة منهم: ابنوا لنا دورًا في الفيافي، ونحفر الآبار ونحترق البقول فلا نرد عليكم ولا نمر بكم، وليس أحد من القبائل إلا وله حميم فيهم. قال ففعلوا ذلك، فأمر الله ﷻ: ﴿وَرَهَابَانِيَّةً أَبْتَدَعُوا مَا كُنْتُمْ عَلَيْهِنَّ إِلَّا أَيْتَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَابِهَا﴾ والأخرون قالوا: تبعد كما تبعد فلان، ونسيح كما ساح فلان، ونخذ دورًا كما اتخذ فلان، وهم على شركهم لا علم لهم بإيمان الذين اقتدوا به. فلما بعث الله النبي ﷺ ولم يبق منهم إلا قليل انحط رجل من صومعته، وجاء سائح من سياحته، وصاحب الدير من دير، فأقنوا به وصدقوه، فقال الله - تبارك وتعالى -: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنشُرُوا اللَّهُ وَأَمِنُوا بِرُسُولِهِ يُؤْتِيكُمْ كَفَالَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾: أجريين؛ لإيمانهم بعيسى وبالقرآن والإنجيل، وإيمانهم بمحمد ﷺ وتصديقهم. قال: ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾ القرآن وإتباعهم النبي ﷺ، قال: ﴿لَيْلًا بَعَثَهُ أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ يشتمون بكم: ﴿أَلَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ الآية. النسائي. كتاب آداب القضاة (٤٩) باب (١٢). (صحيح الإسناد موقوف) صحيح سنن النسائي (٤٩٩٠).

وقال ابن كثير: «هذا السباق فيه غرابة، وسيأتي تفسير هاتين الآيتين الأخيرتين على غير هذا.

سورة المجادلة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ
وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِينَ يَظْهَرُونَ
مِنْكُمْ مَنْ نَسِيَ بَيْعَهُمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا الَّتِي
وَلَدْتَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ
اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ يَظْهَرُونَ مِنْ نَسَائِهِمْ تُمْ يَعُوذُونَ
لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا ذَلِكَ نُوحَظُونَ
بِهِ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ
مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فِإِطْعَامُ سِتِّينَ
مَسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ
وَاللَّكَفِيرِينَ عَذَابُ أَلِيمٌ ﴿٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
كَيْتُوكُمْ كَأَمْكَيْتِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ
وَاللَّكَفِيرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ
بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَسُئُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾

سورة المجادلة

[مدنية، اثنتان وعشرون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ ﴾ تُراجعك أيها النبي

﴿ فِي زَوْجِهَا ﴾ المظاهر منها، وكان قال لها: أنت علي كظهر أمي. وقد سألت النبي ﷺ عن ذلك؛ فأجابها بأنها حرمت عليه، على ما هو المعهود عندهم، من أن الظهار موجبة فرقة مؤبدة، وهي خولة^(١) بنت ثعلبة، وهو: أوس بن الصامت ﴿ وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ ﴾ وحدتها وافتقارها وصبيته، صغاراً؛ إن ضقتهم إليه ضاعوا أو إليها جاعوا ﴿ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا ﴾ تراجمكما ﴿ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ عالم^(٢).

[٢] ﴿ الَّذِينَ يَظْهَرُونَ ﴾^(٣) أصله يظهرون؛ أدغمت التاء في الظاء، وفي قراءة^(٤) بآلف بين الظاء والهاء الخفيفة، وفي أخرى^(٥): «كـ» يقاثلون»، والموضع الثاني^(٦) كذلك ﴿ يَمْنَكُمْ مِنْ نَسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا الَّتِي ﴾ بهمة وياء وبلا ياء^(٧) ﴿ وَلَدْتَهُمْ وَإِنَّهُمْ ﴾ بالظهار ﴿ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا ﴾ مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴾ كذباً ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴾ للمظاهر بالكفارة.

[٣] ﴿ وَالَّذِينَ يَظْهَرُونَ ﴾ مِنْ نَسَائِهِمْ تُمْ يَعُوذُونَ لِمَا قَالُوا ﴿ أَي: فِيهِ، بَأَنْ يَخَالَفُوهُ يَمْسَاكُ الْمَظَاهِرَ مِنْهَا، الَّذِي هُوَ خِلَافُ مَقْصُودِ الظَّاهِرِ، مِنْ وَصْفِ الْمَرَأَةِ بِالْحَرَمِ ﴿ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ﴾ أَي: إِعْتَاقُهَا عَلَيْهِ ﴿ وَمَنْ قَبِلَ أَنْ يَتَمَاسًا ﴾ بِالْوَطءِ ﴿ ذَلِكَ نُوحَظُونَ بِهِ ﴾ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿

[٤] ﴿ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ ﴾ رِقَبَةً ﴿ فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا ﴾ فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ ﴿ أَي: الصِّيَامِ ﴿ فِإِطْعَامُ سِتِّينَ مَسْكِينًا ﴾ عَلَيْهِ، أَي: مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا؛ حَمَلًا لِلْمَطْلُوقِ عَلَى الْمُقْبِدِ؛ لِكُلِّ مَسْكِينٍ مَثَدٌ مِنْ غَالِبِ قُوَّةِ الْبَلَدِ ﴿ ذَلِكَ ﴾ أَي: التَّخْفِيفُ فِي الْكُفَّارَةِ ﴿ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ وَتِلْكَ ﴿ أَي: الْأَحْكَامُ الْمَذْكُورَةُ ﴿ حُدُودُ اللَّهِ وَاللَّكَفِيرِينَ ﴾ بِهَا ﴿ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ مَوْجِبٌ ﴿

[٥] ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادُونَ ﴾ يَخَالَفُونَ ﴿ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ كَيْتُوكُمْ ﴾ كَمَا كَيْتُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴿ فِي مَخَالَفَتِهِمْ رَسُلَهُمْ ﴿ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ﴾ دَالَّةٌ عَلَى صِدْقِ الرَّسُولِ ﴿ وَاللَّكَفِيرِينَ ﴾ بِالْآيَاتِ ﴿ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ ذُو إِهَانَةٍ.

[٦] ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَسُئُوهُ ﴾ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿

(٥) ما جاء في نزول الآيات (١ - ٤): أخرج أبو داود عن خويلة بنت مالك بن ثعلبة، قالت: ظاهري مني أوس بن الصامت، فجئت رسول الله ﷺ أشكو إليه، ورسول الله ﷺ يجادلني فيه، ويقول: «اتقي الله؛ فإنه ابن عمك». فما برحت حتى نزل القرآن: ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا ﴾ إِلَى الْفَرَضِ، فَقَالَ: «بِعْتَرُ رَقَبَةً. قَالَ: لَا يَجِدُ. قَالَ: «فِيصَوْمِ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ». قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّهُ شَيْخٌ كَبِيرٌ مَا بِهِ صِيَامٌ. قَالَ: «فَلْيَطْعَمْ سِتِّينَ مَسْكِينًا» قَالَتْ: مَا عِنْدِي شَيْءٌ يَصْدُقُ بِهِ. قَالَتْ: فَأَتَيْتُ سَاعِدَةَ بَعْرَاقٍ مِنْ تَمْرٍ. قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَإِنِّي أَعِينُهُ بِعَرَقٍ آخَرَ. قَالَ: «قَدْ أَحْسَنْتِ، إِذْ هِيَ فَاطِمَةُ بِنْتُ أَبِي عَمْرٍو وَرَجَعِي إِلَى ابْنِ عَمِّكَ». قَالَ: وَالتَّرَقُّبُ سِتُّونَ صَاعًا. أَبُو دَاوُدَ - كِتَابُ الطَّلَاقِ (١٧) فِي الظَّاهِرِ. حَسَنٌ دُونَ قَوْلِهِ: «والتَّرَقُّبُ سِتُّونَ صَاعًا». صَحِيحٌ سَنَنَ أَبِي دَاوُدَ (١٩٣٤).

(١) ويقال لها أيضاً: «خويلة» بالتصغير.

(٢) العلم غير النسخ والبصر؛ فالسمع تدرك به الأصوات، والبصر تدرك به المرئيات، والعلم يشمل هذا وغيره، وكلها صفات ثابتة لله ﷻ يجب الإيمان بها على الوجه اللائق به - شَيْخَانَةٌ ..

(٣) أَي: «يَظْهَرُونَ»، وَهِيَ قِرَاءَةٌ نَافِعٌ وَابْنُ كَثِيرٍ وَأَبِي عَمْرٍو.

(٤) لِحَمْزَةِ وَالْكَسَائِيِّ وَابْنِ عَامِرٍ.

(٥) وَهِيَ قِرَاءَةُ عَاصِمٍ.

(٦) أَي: فِي قَوْلِهِ: ﴿ وَالَّذِينَ يَظْهَرُونَ مِنْ نَسَائِهِمْ ﴾ آيَةٌ (٣).

(٧) انظُرِ التَّعْلِيقَ عَلَى كَلِمَةِ (الَّتِي) فِي سُورَةِ الْأَحْزَابِ، آيَةٌ (٢).

[٧] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تعلم ﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ بعلمه ^(١) ﴿وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ إِنْ مَا كَانُوا ثُمَّ يَنْتَهُمُ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

[٨] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تنظر ﴿إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَجَّوْنَ بِالْأَنْوَاعِ وَالْعُدُونِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ﴾ هم اليهود، نهاهم النبي ﷺ عما كانوا يفعلون من تناجيتهم؛ أي: تحدثهم سرًا ناظرين إلى المؤمنين؛ ليقفوا في قلوبهم الريبة ﴿وَلِذَا جَاءُوكَ حَيَّوكَ﴾ أيها النبي ﴿بِمَا لَمْ يَجِيكَ بِهِ اللَّهُ﴾ وهو قولهم: السام عليك؛ أي: الموت ﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا﴾ هلا ﴿يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ من النجوة، وأنه ليس بنبي، إن كان نبيًا؟ ﴿حَسْبُكُمْ جَهَنَّمُ بَصُورًا يُبَيِّنُ الْمَصِيرَ﴾ هي ^(٢).

[٩] ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَنَجَّوْا بِالْأَنْبِيَاءِ وَالْعُدُونِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَجَّوْا بِالْبِرِّ وَالْتَّقْوَىٰ وَأَتَقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾.

[١٠] ﴿إِنَّمَا النَّجْوَىٰ﴾ بالإنم ونحوه ﴿مِنَ الشَّيْطَانِ﴾ بغيره ﴿لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَكِنْ هُوَ﴾ بصائرهم شيئًا إلا بإذن الله ﴿أَي: لرادته ﴿وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

[١١] ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ فَتَحُوا﴾ توسعوا ﴿فِي الْمَجْلِسِ﴾ ^(٣) ﴿مَجْلِسِ النَّبِيِّ ﷺ﴾ والذكر حتى يجلس من جاءكم، وفي قراءة: ﴿الْمَجْلِسِ﴾ ﴿فَاتَّخَذُوا بِسْمِ اللَّهِ كَلِمَةً﴾ في الجنة ﴿وَإِذَا قِيلَ [انْشُرُوا]﴾ قوموا إلى الصلاة وغيرها من الخيرات ﴿فَانْشُرُوا﴾ ^(٤)، وفي قراءة: بضم الشين فيهما ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ﴾ بالطاعة في ذلك ﴿وَيَرْفَعُ الَّذِينَ آمَنُوا أَوْلِيَاءَ لَوْلَا دَرَجَاتُ﴾ في الجنة ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ إِنْ مَا كَانُوا ثُمَّ يَنْتَهُمُ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَجَّوْنَ بِالْأَنْبِيَاءِ وَالْعُدُونِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوكَ بِمَا لَمْ يَجِيكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُكُمْ جَهَنَّمُ بَصُورًا يُبَيِّنُ الْمَصِيرَ ﴿٨﴾ يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَنَجَّوْا بِالْأَنْبِيَاءِ وَالْعُدُونِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَجَّوْا بِالْبِرِّ وَالْتَّقْوَىٰ وَأَتَقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَرَارِهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ فَتَحُوا فِي الْمَجْلِسِ فَاتَّخَذُوا بِسْمِ اللَّهِ كَلِمَةً يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ فَانْشُرُوا فَانْشُرُوا يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَوْلِيَاءَ لَوْلَا دَرَجَاتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾

(٥) ما جاء في نزول الآية (٨): أخرج مسلم عن عائشة قالت: أتى النبي ﷺ أناس من اليهود فقالوا: السام عليك يا أبا القاسم! قال: «وعليكم»، قالت عائشة: قلت: بل عليكم السام والنام، فقال رسول الله ﷺ: «يا عائشة، لا تكوني فاحشة» فقالت: وما سمعت ما قالوا؟ فقال: «أو ليس قد رددت عليهم الذي قالوا، قلت: وعليكم». فأقول الله ﷻ: ﴿وَلِذَا جَاءُوكَ حَيَّوكَ بِمَا لَمْ يَجِيكَ بِهِ اللَّهُ﴾ إلى آخر الآية. مسلم، كتاب السلام (٣٩) باب (٤) النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام.

(١) أي: وهو فوق عرشه بذاته المقدسة، لا يخفى عليه شيء من خلقه، وسبق بيان تسمي المعية العام والخاص وبيان حقيقتها في آخر سورة النحل.

(٢) وهي قراءة السبعة عدا عاصم، وقرأ عاصم: ﴿الْمَجْلِسِ﴾.

(٣) وهي قراءة حمزة والكسائي وابن كثير وأبي عمرو وشعبة بخلاف عنه، وقرأ بقية السبعة، وهو الوجه الثاني للشعبة: ﴿فَانْشُرُوا فَانْشُرُوا﴾ بضم الشين فيهما.

فلا عليكم في المناجاة من غير صدقة.

[١٣] ثم نسخ ذلك بقوله: ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفاً وتسهيلها وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه^(١) أي: خفتن من أن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ نَجْوَى كَرِيمٍ صَدَقْتُمْ لَكُمْ وَأَطَّهَرْتُمْ لَكُمْ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ عَلَيْكُمْ﴾ رجع بكم عنها ﴿فَأَقِمْوَا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ أي: دارموا على ذلك ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

[١٤] ﴿إِنَّمَا تَرَى إِلَى الَّذِينَ تُولَوْنَ﴾ هم المنافقون ﴿فَوَمَا هُمْ مِنَ الْيَهُودِ﴾ غضب الله عليهم ما هم ﴿أي: المنافقون﴾ ﴿يُنْكِرُكُمْ﴾ من المؤمنين ﴿وَلَا يَمُنُّكُمْ﴾ من اليهود، بل هم مذنبون ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكُذِّبِ﴾ أي: قولهم: إنهم مؤمنون ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنهم كاذبون فيه^(٢).

[١٥] ﴿أَمَدَ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

[١٦] ﴿أَتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً﴾ سترًا على أنفسهم وأموالهم ﴿فَصَدَّقُوا﴾ بها المؤمنين ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: الجهاد فيهم، يقتلهم وأخذ أموالهم ﴿فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ ذو إهانة.

[١٧] ﴿لَنْ تَنفَعَكَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ من عذابه ﴿سَيَتَّبِعُكَ مِنَ الْإِغْنَاءِ أَوْلِيكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

[١٨] اذكر ﴿يَوْمَ يَبْتَسِمُ اللَّهُ جَمِيعًا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾ أنهم مؤمنون ﴿كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيُحْسِنُونَ أَيْمَانَهُمْ عَلَى فَوَاحِشٍ﴾ من نفع حلفهم في الآخرة كالديار ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾.

[١٩] ﴿أَسْتَعْوَدُ﴾ استولى ﴿عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ﴾ بطاعتهم له ﴿فَأَسْتَهْمُ ذَكَرَ اللَّهُ أَوْلِيكَ جَزْبُ الشَّيْطَانِ﴾ أتباعه ﴿أَلَا إِنَّ جَزْبُ الشَّيْطَانِ هُمُ الْمُخَلَّفُونَ﴾.

[٢٠] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادُونَ﴾ يخالفون ﴿اللَّهَ وَرَسُولَهُ أَوْلِيكَ فِي الْآدَاءِ﴾ المخلوبين.

[٢١] ﴿كُتِبَ اللَّهُ﴾ في اللوح المحفوظ، أو: قضى ﴿لَأَعْطِيَنَّكَ أَنَا وَرُسُلِي﴾ بالحجة، أو: السيف^(٣) ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾.

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِ مُؤَيَّنِينَ بِيَدِي جُنُودِكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطَّهَرٌ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٣﴾ ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ جُنُودِكُمْ صَدَقْتُمْ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِمْوَا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا تَرَى إِلَى الَّذِينَ تُولَوْنَ فَوَمَا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكُذِّبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٥﴾ أَمَدَ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ أَتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدَّقُوا بَيْنَ يَدَيْ جُنُودِكُمْ وَأَطَّهَرْتُمْ لَكُمْ وَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٧﴾ لَنْ تَنفَعَكَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ سَيَتَّبِعُكَ أَوْلِيكَ أَصْحَابُ النَّارِ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٨﴾ يَوْمَ يَبْتَسِمُ اللَّهُ جَمِيعًا يَحْلِفُونَ لَكُمْ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيُحْسِنُونَ أَيْمَانَهُمْ عَلَى شَيْءٍ ءَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٩﴾ أَسْتَعْوَدُ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَسْتَهْمُ ذَكَرَ اللَّهُ أَوْلِيكَ جَزْبُ الشَّيْطَانِ ءَلَا إِنَّ جَزْبُ الشَّيْطَانِ هُمُ الْمُخَلَّفُونَ ﴿٢٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أَوْلِيكَ فِي الْآدَاءِ كُتِبَ اللَّهُ لَآعْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾

[١٢] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ﴾ أردتم مناجاة ﴿فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُنُودِكُمْ﴾ قبلها ﴿صَدَقَةٌ﴾ ذلك خير لكم وأطهر ﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا﴾ ما تصدقون به ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لمناجاتكم ﴿رَحِيمٌ﴾ بكم؛ يعني:

(٥) ما جاء في نزول الآية (١٤، ١٨): أخرج أحمد عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ جالسا في ظل حجرته... فقال لبعض أصحابه: «يجيكم رجل ينظر إليكم بعين شيطان، فإذا رأيتموه فلا تكلموه، فجاه رجل أرق، فلما رآه النبي ﷺ دعا، فقال: علام تشتمني أنت وأصحابك؟ قال: كما أنت حتى أتيتك بهم، قال: فذهب فجاه بهم فجعلوا يحلفون بالله ما قالوا وما فعلوا، وأمر الله ﷻ: ﴿يَوْمَ يَبْتَسِمُ اللَّهُ جَمِيعًا يَحْلِفُونَ لَكُمْ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾ إلى آخر الآية. أحمد - للمسنند (١/ ٣٥٠). ونحوه في (١/ ٢٤٠) لكن فيه نزلت هذه الآية في المجادلة: ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكُذِّبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾

وصحح الشيخ أحمد شاكر إسناده في المسند (١٧/ ١٨) رقم (٢١٤٧)، وحسن الأناؤوط إسناده في تخريجه على المسند (٤٨/٤).

(١) انظر التعليق على الآية رقم (١٧) من سورة الفرقان.

(٢) أو: بهما جميعا.

[١٢٢] ﴿لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ﴾ يصادقون ﴿مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ بل يقصدونهم بالسوء، ويقاتلونهم على الإيمان، كما وقع لجماعة من الصحابة - رضي الله عنهم (١) - ﴿أُولَئِكَ﴾ الذين لا يوادونهم ﴿كَتَبَ﴾ أنبت ﴿فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ ﴿بِنُورٍ﴾ مِنَّمَا ﴿تَعَالَى﴾ وَيَدَّبُّنَاهُمْ جَنَّتْ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴿الَّذِينَ خَلَدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ بطاعته (٢) ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ بنوابه ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ﴾ يتبعون أمره، ويجتنبون نهيه ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون.

لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيَدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ الَّذِينَ خَلَدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٢٢﴾

سُورَةُ الْحَشْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَّتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّا نَعْتَهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ﴿٣﴾ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ﴿٤﴾

سُورَةُ الْحَشْرِ

[مدنية، أربع وعشرون آية] (*)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: نزهته، فاللام مزيدة، وفي الإتيان بـ«ما» تغليب للأكثر ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ في ملكه وصنعه.
[٢] ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ هم: بنو النضير من اليهود ﴿مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ مساكنهم بالمدينة ﴿لِلأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾ هو: حشرهم إلى الشام (٣)، وآخروه: أن أجلاهم عمر في خلافته إلى خيبر (٤) ﴿مَا ظَنَّتُمْ﴾ أيها المؤمنون ﴿أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّا نَعْتَهُمْ﴾ خير ﴿أَنَّ﴾ ﴿حُصُونَهُمْ﴾ فاعله، به تم الخبر ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ من عذابه ﴿فَأَتَاهُمُ اللَّهُ﴾ أي: أمره وعذابه ﴿مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾ لم يخطر ببالهم، من جهة المؤمنين ﴿وَقَذَفَ﴾ ألقى ﴿فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾ بسكون العين وضمة (٥): الخوف؛ بقتل سيدهم كعب بن الأشرف ﴿يُخْرِبُونَ﴾ بالتشديد والتخفيف (٦) من: «أخرب» ﴿بُيُوتَهُمْ﴾ لينقلوا ما استحسنته منها، من خشب وغيره ﴿وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ﴾

[٣] ﴿وَلَوْلَا أَن كَتَبَ اللَّهُ﴾ قضى ﴿عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ﴾ الخروج من الوطن (٧) ﴿لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا﴾ بالقتل والسي، كما فعل بقريظة من اليهود ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ﴾.

(٥) ما جاء في نزول السورة: أخرج البخاري عن سعيد بن جبيرة قال: قلت لابن عباس... سورة الحشر. قال: نزلت في بني النضير. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة الحشر (٥٦) باب (١).
(١) كأي عبيدة بن الجراح قتل أباه يوم أحد، ومصعب بن عمير قتل أخاه عبيد بن عمير يوم أحد، وعمر قتل خاله العاص بن هشام يوم بدر، وعلي وحجرة قنابة وشيبة يوم بدر.
(٢) كان المفسر يريد تأويل رضا الله عن المؤمنين بالتوفيق إلى الطاعة، وهذا خلاف مذهب السلف في إثبات هذه الصفة وغيرها مما أثبتته الله سبحانه على الوجه اللائق.
(٣) اتفق المفسرون على أن «أول الحشر» هو: إخراجهم من المدينة.
(٤) هذا سبق قلم أو سهو من المصنف رحمه الله، وصوابه: «من خيبر»؛ حيث إن عمر بن الخطاب رحمه الله أجلاهم من خيبر وجميع جزيرة العرب، إلى أذرعات وأريحا من أرض الشام. وتفسير الحشر الثاني بذلك؛ هو قول مرة الهذلي. وقال الحسن: هو: إلى أرض الحشر يوم القيامة. وقبل غير ذلك.
(٥) بالضم قراءة الكسائي وابن عامر.
(٦) بالتشديد قراءة أبي عمرو.
(٧) في نسخة القاضي (المواطن).

[٦] ﴿وَمَا آفَاءُ اللَّهِ﴾ رد ﴿اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ﴾ أسرعتهم يا مسلمون ﴿عَلَيْهِمْ مِنْ﴾ زائدة ﴿حَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾ إيل؛ أي: لم تقاسوا فيه مشقة ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رَسُولَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فلا حق لكم فيه، ويختص به النبي ﷺ، ومن ذكر معه في الآية الثانية من الأصناف الأربعة على ما كان يقسمه؛ من أن لكل منهم خمُس الخُفْس، وله ﷺ الباقي، يفعل فيه ما يشاء؛ فأعطى منه المهاجرين، وثلاثة من الأنصار (١) لفقهم.

[٧] ﴿مَا آفَاءُ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَيْشِ﴾ «كالصفراء» و«وادي القرى» و«يثع» و«فيلو» يأمر فيه بما يشاء «وَالرَّسُولِ وَالَّذِي» صاحب «الْقُرَيْشِ» قرابة النبي؛ من بني هاشم وبني المطلب «وَالَّذِينَ» أطفال المسلمين الذين هلكت أبواؤهم وهم فقراء «وَالَّذِينَ» ذوي الحاجة من المسلمين «وَأَبْنِ السَّبِيلِ» المنقطع في سفره من المسلمين؛ أي: يستحقه النبي ﷺ والأصناف الأربعة على ما كان يقسمه من أن لكل من الأربعة خُمُس الخُفْس، وله الباقي «كَنْ لَا» «كي» بمعنى اللام، و«أن» مقدرة بعدها «يَكُونُ» الفيء؛ علة لتقسيمه كذلك «دَوْلَةٌ» متداولاً «بَيْنَ الْأَخْيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَيْنَاكُمْ» أعطاكم «الرَّسُولُ» من الفيء وغيره «فَحُدُودُهُ» وما آتاكم «عَنْ قَائِلِهِمْ» وَأَقْبُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ».

[٨] ﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾ متعلق بمحذوف؛ أي: اعجبوا (٢) ﴿وَالْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ﴾

[٩] ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ﴾ أي: المدينة «وَالْإِيمَانَ» أي: ألفوه، وهم الأنصار «مَنْ قَبْلَهُمْ يُجِبُونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا» أي: أتى النبي ﷺ المهاجرين من أموال بني النضير المختصة بهم «وَيُؤْتُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَكُلَّ يَوْمٍ تَخَاصُّةٌ» حاجة إلى ما يؤثرون به «وَمَنْ يُؤْتِ شَيْءًا مِنْهُ» حرصها على المال «فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» (٣).

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٦﴾ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِمَنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيْخَزِيْرَ الْفَلْسِقِينَ ﴿٧﴾ وَمَا آفَاءُ اللَّهِ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رَسُولَهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾ مَا آفَاءُ اللَّهِ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَيْشِ فَلِلَّهِ وَالرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَنْ لَا يَكُونَ دَوْلَةً بَيْنَ الْأَخْيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَيْنَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَيْكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٩﴾ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٠﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُجِبُونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْتُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُؤْتِ شَيْءًا مِنْهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١١﴾

[٤] ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا﴾ خالفوا ﴿اللَّهُ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ له.

[٥] ﴿مَا قَطَعْتُمْ﴾ يا مسلمون ﴿مِنْ لِمَنَةٍ﴾ نخلة ﴿أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾ أي: خيركم في ذلك ﴿وَلِيْخَزِيْرَ﴾ بالإذن في القطع ﴿الْفَلْسِقِينَ﴾ اليهود، في اعتراضهم أن قطع الشجر الممر فساد (٤).

(٥) ما جاء في نزول الآية (٥): أخرج الترمذي عن ابن عباس في قوله ﷺ: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِمَنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾ قال: اللينة: النخلة. ﴿وَلِيْخَزِيْرَ الْفَلْسِقِينَ﴾ قال: استنزولهم من حصونهم، قال: وأمروا بقطع النخل فحك في صدورهم. فقال المسلمون: قد قطعنا بعضاً وتركنا بعضاً، فلنسلأ رسول الله ﷺ هل لنا فيما قطعنا من أجر؟ وهل علينا فيما تركنا من وزر؟ فأقول الله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِمَنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا﴾ الآية. الترمذي. كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٥٩) ومن سورة الحشر. (صحيح الإسناد) صحيح سنن الترمذي (٢٦٣١). وهو في الصحيح عن ابن عمر مختصراً.

(٥٥) ما جاء في نزول الآية (٩): أخرج البخاري عن أبي هريرة ﷺ قال: أتى رجل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أصابني الجهد، فأرسل إلى نساء فلم يجد عندهن شيئاً، فقال رسول الله ﷺ: «ألا رجل يضيفه الليلة بريحه الله؟» فقام رجل من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله، فذهب إلى أهله، فقال لامرأته: ضيف رسول الله ﷺ لا تدخره شيئاً. فقالت: والله ما عندي إلا قوت الصبية. قال: فإذا أراد الصبية العشاء فنوميهن، وتعالى فأطعني السراج ونظري بطوننا الليلة، ففعلت. ثم غدا الرجل على رسول الله ﷺ فقال: «لقد عجب الله ﷻ - أو ضحك - من فلان وفلانة». فأقول الله ﷻ: ﴿وَيُؤْتُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَكُلَّ يَوْمٍ تَخَاصُّةٌ﴾. البخاري - التفسير (٦٥) سورة الحشر (٥٩) باب (٦).

(١) هم: أبو دجانة يمتك بن غرشة، وضهل بن حنيفة، والحارث بن الضمعة. وقال ابن إسحاق: بل أعطى اثنين فقط؛ أبا دجانة وسهلًا.

(٢) الأقرب أن الكلام متعلق بما قبله، وهو قوله: ﴿مَا آفَاءُ اللَّهِ عَلَىٰ رَسُولِهِ﴾، فالعنى: الفيء والغنائم لهؤلاء الفقراء من المهاجرين والأنصار.

وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا
 الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ
 آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ
 نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ
 لَئِن أُخْرِجْتُمْ لَخُرُوجٌ مَعَكُمْ وَلَا يَطْمِئِنُّ فِيكُمْ أَحَدٌ أَبَدًا
 وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١﴾
 لَئِن أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُوهُمْ
 وَلَئِن نَصَرُوهُمْ لَيُولِيَنَّ الْأَدْبَارَ مَا يُبْصِرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَنْتُمْ
 أَشَدُّ رَهَبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ
 لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يَقُولُونَ كُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحْضَنَةٍ
 أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُبٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا
 وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ
 الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَفُؤُوا وَكَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ
 أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا
 كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾

[١٠] ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ من بعد المهاجرين والأنصار إلى يوم
 القيامة ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا
 تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا﴾ حقدًا ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

[١١] ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ
 كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ وهم: بنو النضير، وإخوانهم في الكفر: ﴿لَئِن
 لَام قَسَمَ فِي الْأَرْبَعَةِ﴾ ^(١) ﴿أُخْرِجْتُمْ﴾ من المدينة ﴿لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نَطِيعُ
 فِيكُمْ﴾ في خذلانكم ﴿أَمَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ﴾ حذفت منه اللام الموطئة
 ﴿لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾.

[١٢] ﴿لَئِن أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُوهُمْ وَلَئِن
 نَصَرُوهُمْ﴾ أي: جاؤوا لنصرهم ﴿لَيُولِيَنَّ الْأَدْبَارَ﴾ واستغني بجواب
 القسم المقدّر، عن جواب الشرط، في المواضع الخمسة ^(٢) ﴿ثُمَّ لَا يُبْصِرُونَ﴾
 أي: اليهود.

[١٣] ﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهَبَةً﴾ خوفًا ﴿فِي صُدُورِهِمْ﴾ أي: المنافقين ﴿مِنَ
 اللَّهِ﴾ لتأخير عذابه ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾.

[١٤] ﴿لَا يَقُولُونَ كُمْ جَمِيعًا﴾ مجتمعين ﴿إِلَّا فِي قُرَى
 مُحْضَنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُبٍ﴾ [جُدُب] ^(٣) ﴿سُور، وَفِي قِرَاءة:﴾ ﴿جُدُبٍ﴾ ﴿بَأْسُهُمْ﴾
 حربهم ﴿بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا﴾ مجتمعين ﴿وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾
 متفرقة خلاف الحساب ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾.

[١٥] مثلهم في ترك الإيمان ﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا﴾ بزمن
 قريب، وهم أهل بدر من المشركين ﴿ذَافُوا وَكَالَ أَمْرِهِمْ﴾ عقوبته في الدنيا من
 القتل وغيره ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم في الآخرة.

[١٦] مثلهم - أيضًا - في سماعهم من المنافقين وتخلفهم عنهم ﴿كَمَثَلِ
 الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي
 أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ كذبًا منه ورياء.

(١) وهي: ﴿لئن أُخْرِجْتُمْ﴾، و﴿لئن أُخْرِجُوا﴾، و﴿لئن قُوتِلُوا﴾، و﴿لئن نَصَرُوهُمْ﴾.

(٢) هي: الأربعة المتقدمة المشار إليها في التعليق السابق، والخامس هو قوله تعالى: ﴿وإن قُوتِلُوا﴾.

(٣) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو، وقراء بقية السبعة ﴿جُدُبٍ﴾.

﴿كَانَ﴾ أي: «أَنَّهَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ» أي: الكافرين.

[١٨] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفُوا اللَّهُ وَلَسْتَ تَرَى نَفْسَ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ يوم القيامة ﴿وَأَتَفَوْا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

[١٩] ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ﴾ تركوا طاعته ﴿فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ أن يقدموا لها خيرا ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

[٢٠] ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ الْفَائِزُونَ﴾.

[٢١] ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ﴾ وجعل فيه تمييز كالإنسان ﴿لَرَأَيْتَهُ خَشِيعًا مُّصَدِّعًا﴾، منشفقا ﴿مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ﴾ المذكورة ﴿تَضَرَّبَهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيؤمنون.

[٢٢] ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ السر والعلانية ﴿هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾.

[٢٣] ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ﴾ الطاهر عما لا يليق به ﴿الْقَلْبُ﴾ ذو السلامة من النقائص ﴿الْمُؤْمِنُ﴾ المصدق رسله،

بخلق المعجزة لهم^(١) ﴿الْمُهَيَّبُ﴾ من هيمن بهيمن؛ إذا كان رفيقا على الشيء؛ أي: الشهيد على عبادته بأعمالهم ﴿الْعَزِيزُ﴾ القوي ﴿الْجَبَّارُ﴾ جبر خلقه على ما أراد ﴿الْمُتَكَبِّرُ﴾ عما لا يليق به ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ﴾ نزه نفسه ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ به.

[٢٤] ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ﴾ المنشئ من العدم ﴿الْمُصَوِّرُ لَهُ﴾ الأسماء الحسن^(٢)، التسعة والتسعون الوارد بها الحديث^(٣)، و«الحسنى» مؤنث الأحسن ﴿يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ تقدم أولها.

فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفُوا اللَّهَ وَلَسْتَ تَرَى نَفْسَ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَأَتَفَوْا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٢٠﴾ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ الْفَائِزُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَشِيعًا مُّصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ الْمُذَكَّرَةُ لِرَأْيَتِهِ خَشِيعًا مُّصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ تَضَرَّبَهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّبُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٤﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٥﴾

سُورَةُ الْحٰشِرِ

[١٧] ﴿كَانَ عَاقِبَتُهُمَا﴾ أي: الغاوي والمغوي، وقرئ^(١): بالرفع؛ اسم

(١) أي: شذوذاً.

(٢) وقيل: الذي يؤمن خلقه من ظلمه، وقيل غير ذلك، وهذا من التفسير الجزئي، وهو يشمل ذلك كله.

(٣) سبق التنبيه إلى أن الأسماء الحسنى أكثر من ذلك ولا يحصيها إلا الله ﷻ، وأن الحديث إنما هو في فضل من يحصي تسعة وتسعين اسماً منها.

سُورَةُ التَّوْحِيدِ

[مدنية، ثلاث عشرة آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ كفار مكة ﴿أَوْلِيَاءَ تَلْفُوتُونَ﴾ تواصلون ﴿إِلَيْهِمْ﴾ قُضِيَ النَّبِيُّ ﷺ غزومهم، الذي أسره إليهم، ووَرَى بَحْيَيْنَ ﴿بِالْمُؤَدَّةِ﴾ بينكم وبينهم؛ كتب حاطب بن أبي بلتعة إليهم كتاباً بذلك لما له عندهم من الأولاد والأهل المشركين فاسترده النبي ﷺ من أرسله معه، بإعلام الله - تعالى - بذلك، وقيل عذر حاطب فيه (١) ﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ﴾ أي: دين الإسلام والقرآن ﴿يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ﴾ من مكة بتضييقهم عليكم ﴿أَنْ تُؤْمِنُوا﴾ أي: لأجل أن آمنتم ﴿بِاللَّهِ رَبِّكُمْ﴾ إن كُنتُمْ حَرَجْتُمْ جِهَادًا لِلْجِهَادِ ﴿فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي﴾ وجواب الشرط دل عليه ما قبله؛ أي: فلا تتخذوهم أولياء ﴿شُرُونِ إِلَيْهِمْ بِالْمُؤَدَّةِ﴾ وَأَنَا أَتْلُو مَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَمْتُمْ وَمَنْ يَقَعَلْهُ مِنْكُمْ﴾ أي: إسرار خير النبي إليهم ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ أخطأ طريق الهدى، والسواء في الأصل: الوسط (٢).

[٢] ﴿إِنْ يَنْفَقُواكُمْ﴾ يظفروا بكم ﴿يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَسْطُورُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ بالقتل والضرب ﴿وَأَلْسِنَتُهُم بِالسُّوءِ﴾ بالسب والشتم ﴿وَوَدُّوا﴾ تمناؤا ﴿لَوْ تَكْفُرُونَ﴾.

[٣] ﴿لَنْ تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ﴾ قراباتكم ﴿وَلَا أَوْلَادُكُمْ﴾ المشركون، الذين لأجلهم أسرتهم الخير، من العذاب في الآخرة ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [يفضل] بالبناء للمفعول والفاعل (٣) ﴿بَيْنَكُمْ﴾ وبينهم، فتكونون في الجنة، وهم في جملة الكفار في النار ﴿وَاللَّهُ﴾ يَمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿[٤]﴾ ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ إِسْوَةٌ﴾ بكسر الهمزة وضمها (٤) في الموضوعين (٤): ﴿قُدْوَةٌ﴾ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ﴾ أي: به، قولاً وفعلًا ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ من المؤمنين ﴿إِذْ قَالُوا لَقَوْمِهِمْ إِنَّا بِرَأْيِهِ رَأَوْنَا﴾ «بريء»؛ كـ «ظريف» ﴿وَمِنْكُمْ وَمِمَّا تَقْدِرُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَرْتًا يَكْرًا﴾ أنكرناكم ﴿وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية واوًا (٥) ﴿حَتَّى تُوْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ﴾ إِذْ قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ مستثنى من «أسورة»، فليس لكم التأسى به في ذلك؛ بأن تستغفروا للكفار، وقوله: ﴿وَمَا أَمَّا لَكَ مِنَ اللَّهِ﴾ أي: من عذابه وتوابه ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ كنى به عن أنه لا يملك له غير الاستغفار، فهو مبني عليه مستثنى من حيث المراد منه (٦)، وإن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تَلْفُوتُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمُؤَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُوْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ حَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمُؤَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَمْتُمْ وَمَنْ يَقَعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ إِنْ يَنْفَقُواكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَسْطُورُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتُهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ لَنْ تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ يَمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أَسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لَقَوْمِهِمْ إِنَّا بِرَأْيِهِ رَأَوْنَا وَإِنَّكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَرْتًا يَكْرًا وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُوْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ إِذْ قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمَّا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلِّمْنَا لَكَ مَا تَشَاءُ وَتُبْنَا عَلَيْكَ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ

كان من حيث ظاهره مما يُتأسى فيه ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ (١) واستغفاره له قبل أن يتبين له أنه عدو لله، كما ذكره في «براءة» (٨). ﴿رَبَّنَا عَلِّمْنَا لَكَ مَا تَشَاءُ وَتُبْنَا عَلَيْكَ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ من مقول الخليل ومن معه؛ أي قالوا (٩): ﴿[٥]﴾ ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: لا تظهرهم علينا، فيظنوا أنهم على الحق، فيفتنوا؛ أي: تذهب عقولهم بنا ﴿وَأَعْرِضْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ في ملكك وصنعك.

(٥) ما جاء في نزول الآية (١): أخرج البخاري عن الحميدي عن سفيان عن عمرو بن دينار... عن عبيد الله بن رافع كاتب علي قال: سمعت علياً عليه السلام يقول: بعثني رسول الله ﷺ أنا والزيد والمقداد قال: «انطلقوا حتى تأتوا روضة عجاج؛ فإن بها طعينة معها كتاب فخذوه منها»، فذهبا تعادى بنا خيلنا حتى أتينا الروضة، فإذا نحن بالطعينة، فقلنا: أخرجنا الكتاب. فقالت: ما معي من كتاب. فقلنا: لتخرجن الكتاب أو لقلين الثياب، فأخرجته من عقاصها، فأتينا به النبي ﷺ فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين ممن بمكة، يخبرهم ببعض أمر النبي ﷺ فقال النبي ﷺ: «ما هذا يا حاطب؟» قال: لا تعجل علي يا رسول الله، إني كنت امرأ من قريش ولم أكن من أنفسهم، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمسون بها أهلهم وأولادهم بمكة، فأحببت إذ فاتني من النسب فيهم أن أسطع إليهم بئدأ يحمون قرياتي، وما فعلت ذلك كفسراً ولا ارتداداً عن ديني، فقال النبي ﷺ: «إنه قد صدقكم». فقال عمر: دعني يا رسول الله فأضرب عنقه! فقال: «إنه شهد بدراً؛ وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم». قال عمر بن دينار: ونزلت فيه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة التوحدة (٦٠) باب (١).

(١) قصة حاطب في الصحيحين وغيرهما من حديث علي بن أبي طالب عليه السلام، البخاري (٣٩٨٣)، ومسلم (٢٤٩٤).
 (٢) البناء للمفعول قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو. وفرأ ابن عامر كذلك مع تشديد الصاد.
 (٣) بالكسر قراءة السبعة عدا عاصم.
 (٤) أي في هذه الآية، وفي الآية السادسة الآتية.
 (٥) تحقيق الهمزتين هو قراءة حمزة والكسائي وعاصم وابن عامر، وإبدال الثانية واوًا، هو قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو.
 (٦) قوله: «فهو مبني عليه» أي: للاستغفار لك، ومرتب به، ولكنه مستثنى منه كما أفاده قوله بعد ذلك: «مستثنى... الخ» والمعنى: واقتدوا به إلا في الاستغفار لكفارهم.
 (٧) الفصح: ١١، والآية أتى بها المنصف على سبيل الاستدلال لقوله: «ما يتأسى فيه»؛ فكانه قال: بدليل قوله - تعالى -: ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾.
 (٨) وهو قوله - تعالى -: ﴿فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُمْ أَنَّهُمْ عَدُوٌّ لَكُم بَدَّ لَهُمْ كَيْفًا وَسِيئًا﴾ [براءة: ١١٤].
 (٩) في نسخة القاضي: «وقالوا».

﴿وَاللَّهُ قَدِيرٌ﴾ على ذلك، وقد فعله بعد فتح مكة ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ لهم ما سلف ﴿رَجِيمٌ﴾ بهم.

[٨] ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ﴾ من الكفار ﴿فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ﴾ بدل اشتغال من «الدين» ﴿وَتُقْسَطُوا﴾ تقضوا ﴿إِلَيْهِمْ﴾ بالقسطة، أي: بالعدل، وهذا قبل الأمر بجهادهم ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسَطِينَ﴾ العادلين^(١).

[٩] ﴿إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ﴾ عاونوا ﴿عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوْلَوْهُمْ﴾ بدل اشتغال من «الدين»؛ أي: تخذلوهم أولياء ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

[١٠] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ﴾ بالسنتهن ﴿مُهَاجِرَاتٌ﴾ من الكفار، بعد الصلح معهم في الحديبية، على أن من جاء منهم إلى المؤمنين يُرَدُّ ﴿فَأَمْتَحِنُوهُنَّ﴾ بالخلف على أنهن ما خرجن إلا رغبة في الإسلام، لا بغضا لأزواجهن الكفار، ولا عشقا لرجال من المسلمين، كذا كان يُحْلِفُهُنَّ ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمْنَ إِذَا عَلِمْتَهُنَّ﴾ ظنتموهن بالخلف ﴿مُؤَيَّنَاتٌ﴾ ولا ترجوهن ﴿تَرُدُّوهنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَأَنْ هُنَّ لَهُنَّ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآؤُهُنَّ﴾ أي: أعطوا الكفار أزواجهن^(٢) ﴿مَا أَنْفَقُوا﴾ عليهن من المهور ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ بِشْرَطِهِ﴾ إذا آتيتموهن بُجُورَهُنَّ مهورهن ﴿وَلَا تُمْسِكُوا﴾ بالشديد والتخفيف^(٣) ﴿بِعِصْمِ الْكُفَّارِ﴾ زوجاتكم، لقطع إسلامكم لها بشرطه، أو اللاحقات بالمشركين مرتدات، لقطع ارتدادهن نكاحكم بشرطه ﴿وَسَلُّوا﴾ اطلبوا ﴿مَا أَنْفَقْتُمْ﴾ عليهن من المهور، في صورة الارتداد، من تزوجهن من الكفار ﴿وَلَيْسَ لَكُمْ مَا أَنْفَقُوا﴾ على المهاجرات كما تقدم أنهم يؤتونه ﴿ذَلِكَ حَكْمُ اللَّهِ يُحَكِّمُ بَيْنَكُمْ﴾ به ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾^(٤).

[١١] ﴿وَإِنْ فَاتَكُمْ نِسَاءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ﴾ أي: واحدة فأكثر منهن، أو شيء من مهورهن بالذهاب ﴿إِلَى الْكُفَّارِ﴾ مرتدات ﴿فَمَا قَاتِلُوهُنَّ﴾ فغزوتهم وغنمتم ﴿فَمَا تَوَاتُوا إِلَيْهِنَّ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ﴾ من الغنيمة ﴿بِمَثَلِ مَا أَنْفَقُوا﴾ لفواته عليهم من جهة الكفار ﴿وَأَنْفَقُوا اللَّهُ الَّذِي أَنْشَأَ يَدَيْ مُؤْمِنَاتٍ﴾ وقد فعل المؤمنون ما أمروا به من الإتياء للكفار والمؤمنين، ثم ارتفع هذا الحكم^(٥).

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيمُ ﴿١٠﴾ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ رَجِيمٌ ﴿١١﴾ لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسَطُوا إِلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُقْسَطِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ وَعَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوْلَوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مِهَاجِرَاتٍ فَأَمْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمْنَ إِذَا عَلِمْتَهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَأَنْ هُنَّ لَهُنَّ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآؤُهُنَّ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصْمِ الْكُفَّارِ وَمَسَالُومًا أَفْقُوا وَلَيْسَ لَكُمْ مَا أَنْفَقُوا ذَلِكَ حَكْمُ اللَّهِ يُحَكِّمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٤﴾ وَإِنْ فَاتَكُمْ نِسَاءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَابَقْتُهُنَّ فَانُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَأَنْفَقُوا اللَّهُ الَّذِي أَنْشَأَ يَدَيْهِ مُؤْمِنَاتٍ ﴿١٥﴾

[٦] ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ﴾ يا أمة محمد، جواب قسم مقدر ﴿فِيهِمْ إِسْوَةٌ﴾ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ ﴿بِدَلِّ اشْتِمَالِ مِنْ «كَمْ»﴾^(١) بإعادة الجار ﴿يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ أي: يخافهما، أو: يظن الثواب والعقاب ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ﴾ بأن يوالي الكفار ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيمُ﴾ عن خلقه ﴿الْحَكِيمُ﴾ لأهل طاعته.

[٧] ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ﴾ من كفار مكة، طاعة لله - تعالى - ﴿مَوَدَّةً﴾ بأن يهدبهم للإيمان، فيصيروا لكم أولياء

(٥) ما جاء في نزول الآية (٨): أخرج البخاري عن الحميدي عن سفيان بن عيينة ... عن أسماء ابنة أبي بكر - رضي الله عنهما - قالت: أتتني أمي وهي راقبة، في عهد النبي ﷺ فسألت النبي ﷺ: أصلها؟ قال: نعم. قال ابن عيينة: فأقول الله - تعالى. فيها: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾. البخاري - كتاب الأدب (٧٨) باب (٧) صلة الوالد المشرك.

(٥) ما جاء في نزول الآية (١٠): أخرج البخاري عن مروان بن مسور بن مخرمة - رضي الله عنهما - يخبران عن أصحاب رسول الله ﷺ قال: لما كتب سهيل بن عمرو يومئذ كان فيما اشترط سهيل ابن عمرو على النبي ﷺ: أنه لا يأتيك منا أحد - وإن كان على دينك - إلا رددته إلينا... وجاء المؤمنات مهاجرات، وكانت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ممن خرج إلى رسول الله ﷺ يومئذ - وهي عاتق - فجاه أهلها يسألون النبي ﷺ أن يرجعها إليهم، فلم يرجعها إليهم لما أنزل الله فيهن: ﴿إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مِهَاجِرَاتٍ فَأَمْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمْنَ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآؤُهُنَّ﴾. البخاري - كتاب الشروط (٤٥) باب (١) ما يجوز من الشروط في الإسلام.

(٥٥) ما جاء في نزول الآية (١١): أخرج البخاري عن الزهري قال عروة: فأخبرتني عائشة أن رسول الله ﷺ كان يمتحنهن. وبلغنا أنه لما أنزل الله - تعالى. أن يردوا إلى المشركين ما أنفقوا على من هاجر من أزواجهم، وحكم على المسلمين أن لا يسكروا بعصم الكفار - أن عمر طلق امرأتين: قريبة بنت أبي أمية، وابنة جرول. فتزوج قريبة معاوية، وتزوج الأخرى أبو جهم، فلما أبى الكفار أن يقرؤا بأداء ما أنفق المسلمون على أزواجهم أنزل الله - تعالى: ﴿وَإِنْ فَاتَكُمْ نِسَاءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَمَا قَاتِلُوهُنَّ﴾. والعقب: ما يؤدي المسلمون إلى من هاجرت امرأته من الكفار، فأمر أن يعطي من ذهب له زوج من المسلمين ما أنفق من صدقات نساء الكفار اللاتي هاجرن. وما تعلم أحدًا من المهاجرات ارتدت بعد إيمانها. البخاري - السابق باب (١٥) الشروط في الجهاد.

(١) أي في قوله: «ولكم».

(٢) أي: الذين هم أزواجهن.

(٣) بالشديد قراءة أبي عمرو، وقرأ بقية السبعة بالتخفيف.

سُورَةُ الْجُمُعَةِ

سُورَةُ الْجُمُعَةِ

[مدنية، إحدى عشرة آية*]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْقُدُّوسُ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِينَ رَسُولًا يُخَوِّفُهُمْ سَبَّأُوا عَلَيْهِمْ
ءَايَاتِهِ وَزَيَّنَّ لَهُمْ وَيَعْمَهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا
مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢﴾ وَءَاخِرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ
وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ
ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٤﴾ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ
يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ
الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ
﴿٥﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنْكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ
دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ
أَبَدًا إِمَّا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ
إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ
إِلَىٰ عِلَاقِ الْعُيُوبِ وَالشَّهَادَةُ فِي بُيُوتِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾

ومبدؤها الموت، فتمنوه.

[٧] ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ من كفرهم بالنبي المستلزم
لكذبهم ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ الكافرين.
[٨] ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ﴾ الفاء زائدة ﴿مُلَاقِيكُمْ
تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلَاقِ الْعُيُوبِ وَالشَّهَادَةُ﴾ السر والعلانية ﴿فِي بُيُوتِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ
تَعْمَلُونَ﴾ فيجازيكم به.

[١] ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ﴾ يبرِّهه، فاللام زائدة ﴿مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي
الْأَرْضِ﴾ في ذكر «ما» تغليب للكثرة ﴿الَّذِي الْقُدُّوسُ﴾ المنزه عما لا يليق به
﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ في ملكه وصنعه.

[٢] ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِينَ﴾ العرب، والأمة: من لا يكتب ولا
يقرأ كتاباً ﴿رَسُولًا يُخَوِّفُهُمْ﴾ هو محمد ﷺ ﴿يَتَلَوُّوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ﴾ القرآن
﴿وَزَيَّنَّ لَهُمْ﴾ يظهريهم من الشرك ﴿وَيَعْمَهُمُ الْكِتَابَ﴾ القرآن
﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ ما فيه من الأحكام ﴿وَإِنْ﴾ مخففة من الثقيلة، واسمها
محذوف؛ أي: وإنهم ﴿كَانُوا مِنْ قَبْلُ﴾ قبل مجيئه ﴿لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾
يَبِينُ.

[٣] ﴿وَءَاخِرِينَ﴾ عطف على ﴿الْأُمَمِينَ﴾ أي: الموجودين ﴿مِنْهُمْ﴾
والآتين منهم بعدهم ﴿لَمَّا﴾ لم يَلْحَقُوا بِهِمْ ﴿فِي السَّابِقَةِ﴾ والفضل^(١)
﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ في ملكه وصنعه، وهم التابعون^(٢)، والافتقار
عليهم كاف في بيان فضل الصحابة المبعوث فيهم النبي ﷺ على من عداهم،
من بعث إليهم وأمنوا به، من جميع الإنس والجن، إلى يوم القيامة؛ لأن كل
قرن خير من يليه.

[٤] ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ النبي ومن ذكر معه ﴿وَاللَّهُ ذُو
الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

[٥] ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ﴾ كُفُّوا الْعَمَلَ بِهَا ﴿ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾
لم يعملوا بما فيها، من نعمة ﷺ، فلم يؤمنوا به ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ
أَسْفَارًا﴾ أي: كسبأ؛ في عدم انتفاعه بها ﴿بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا
بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ المصدقة للنبي ﷺ، والخصوص بالذم محذوف تقديره: هذا
المثل ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين.

[٦] ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنْكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ
الَّذِينَ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ تعلق بـ«تمنوا» الشرطان على أن الأول
قيد في الثاني؛ أي: إن صدقتم في زعمكم أنكم أولياء لله، والولي يؤثر الآخرة

(ه) فائدة: أخرج مسلم عن ابن عباس أن النبي ﷺ كان يقرأ في صلاة الجمعة سورة الجمعة والمنافقين. مسلم - كتاب الجمعة (٧) باب (١٧) ما يقرأ في يوم الجمعة.

(١) أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال: كنا جلوساً عند النبي ﷺ فأثرت عليه سورة الجمعة: ﴿وَءَاخِرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ قال: قلت: من هم يا رسول الله؟ فلم يرجعه حتى سألت ثلاثاً - وفينا سلمان الفارسي - وضع رسول الله ﷺ يده على سلمان، ثم قال: «لو كان الإيمان عند الثريا لئله رجال أو رجل من هؤلاء». البخاري (٤٨٩٨)، ومسلم (٢٥٤٦).

(٢) هذا قول عكرمة ومجاهد في تفسير قوله - تعالى -: ﴿وَءَاخِرِينَ﴾، وقال آخرون: هم العجم. قاله ابن عمر وسعيد بن جبير ورواية ليش عن مجاهد. ويشهد له حديث الصحيحين المتقدم. وقيل غير ذلك.

[١١] ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجْرَةً أَوْ لَوْا أَنْفَصُوا إِلَيْهَا﴾ أي: التجارة؛ لأنها مطلوبهم دون الله ﴿وَتَرَكُوكَ﴾ في الخطبة ﴿قَالِيمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ من الثواب ﴿خَيْرٌ﴾ للذين آمنوا ﴿مِنَ اللَّهِ وَمِنَ التِّجْرَةِ وَاللَّهِ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ يقال: كل إنسان يرزق عائلته؛ أي: من رزق الله - تعالى (١٠) (١١).

سُورَةُ الْمُنَافِقِينَ

[مدنية، إحدى عشرة آية] (**)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا﴾ بأستهم على خلاف ما في قلوبهم: ﴿نَتَّبِعُكَ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ﴾ يعلم ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَذِبُونَ﴾ فيما أضمره، مخالفا لما قالوه.
 [٢] ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً﴾ ستره على أموالهم ودمائهم ﴿فَصَدَّقُوا﴾ بها ﴿عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: عن الجهاد فيها (٣) ﴿إِنَّمَا سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.
 [٣] ﴿ذَلِكَ﴾ أي: سوء عملهم ﴿بِأَيْمَانِهِمْ﴾ باللسان ﴿ثُمَّ كَفَرُوا﴾ بالقلب؛ أي: استمروا على كفرهم به ﴿فَطُغِيَ﴾ ختم ﴿عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ بالكفر ﴿فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ الإيمان.
 [٤] ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ لجمالها ﴿وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ﴾ لفصاحته ﴿كَأَنَّهُمْ﴾ من عظم أجسامهم؛ في ترك التفهم ﴿[حُشِبَتْ]﴾ بسكون الشين وضمها (٤) ﴿مُسْنَدَةٌ﴾ مائلة إلى الجدار ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صِدْقَةٍ﴾ تُصَاح؛ كنداء في العسكر، وإنشاد ضالة ﴿عَلَيْهِمْ﴾ لما في قلوبهم من الرعب؛ أن ينزل فيهم ما يبيح دماءهم ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاسْتَدْرِكُوا﴾ فإنهم يفشون سرًّا للكفار ﴿فَتَلَاهُمُ اللَّهُ﴾ أهلهم ﴿أَلَمْ يَبْقُوكُونِ﴾ كيف يصرفون عن الإيمان بعد قيام البرهان!؟

يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٠﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١١﴾ وَإِذَا رَأَوْا تِجْرَةً أَوْ لَوْا أَنْفَصُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَالِيمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١٢﴾

سُورَةُ الْمُنَافِقِينَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا لَنْ نَبْرُكَ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَذِبُونَ ﴿١﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشْبٌ مُسْنَدٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صِدْقَةٍ عَلَيْهِمْ هُمْ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَتَلَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ يَبْقُوكُونَ ﴿٤﴾

[٩] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ﴾ بمعنى في ﴿يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا﴾ فامضوا ﴿إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ للصلاة ﴿وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ اتروا عقده ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنه خير فافعلوه.
 [١٠] ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ أمر بإباحة ﴿وَابْتَغُوا﴾ اطلبوا الرزق ﴿مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ ذكرا ﴿كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ تفوزون؛ كان ﷺ يخطب يوم الجمعة، قدمت غير وضرِب لقدمها الطبل (١١) على العادة، فخرج لها الناس من المسجد غير اثني عشر رجلاً فنزلت.

(٥) ما جاء في نزول الآية (١١): أخرج البخاري عن جابر بن عبد الله قال: بينما نحن نصلي مع النبي ﷺ إذ أقبلت غير تحمل طعاما، فالتفتوا إليها حتى ما بقي مع النبي ﷺ إلا اثنا عشر رجلاً فنزلت هذه الآية: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجْرَةً أَوْ لَوْا أَنْفَصُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَالِيمًا﴾ البخاري - كتاب الجمعة (١١) باب (٣٨) إذا نفر الناس عن الإمام في صلاة الجمعة.
 (٥٥) ما جاء في نزول السورة: أخرج البخاري عن زيد بن أرقم قال: كنت في غزاة فسمعت عبد الله بن أبي يقول: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله، ولكن رجعا من عنده ليخرجن الأعرس منها الأذل، فذكرت ذلك لعلمي - أو لعمر - فذكره للنبي ﷺ فدعاني فحدثني، فأرسل رسول الله ﷺ إلى عبد الله بن أبي وأصحابه فحلفوا ما قالوا. تكذبت رسول الله ﷺ وصدقه، فأصابني هم لم يصيني مثله قط، فجلست في البيت، فقال لي عمي: ما أردت إلى أن تكذبك رسول الله ﷺ ومقتك، فأنزل الله - تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ﴾ بعث إلي النبي ﷺ فقرأ فقال: إن الله قد صدقك يا زيد. البخاري - التفسير (٦٥) سورة المنافقون (٦٣) باب (١).

(١) أخرج نحوه البخاري (٩٣٦) ومسلم (٨٦٣) عن جابر بن عبد الله، وليس فيه ذكر الطبل، ولكن جاء ذكر الطبل فيما ذكره البغوي في تفسيره عن مقاتل، وقصر مجاهد اللغو بأنه الطبل كما أخرجه عنه الطبري.
 (٢) يشير المفسر إلى أن اسم التفضيل في قوله: ﴿خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ على يابه؛ أي فالرازقون متعددون، ولكن على سبيل المجاز، وإلا فالرازق حقيقة هو الله تعالى وحده.
 (٣) في نسخة القاضي: «فيه».
 (٤) بسكونها قراءة الكسائي وأبي عمرو وقيل، وقرأ بقية السبعة بضم الشين: ﴿حُشِبَتْ﴾.

[٥] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا﴾ معتردين ﴿سَتَغْفِرَ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوْ أَوْءَا﴾ بالتشديد والتخفيف (١): عطفوا ﴿رُؤُوسَهُمْ﴾ ورأيتهم يصدون ﴿يعرضون عن ذلك وهم مُسْتَكْبِرُونَ﴾.

[٦] ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ﴾ استغني بهمزة الاستفهام عن همزة الوصل ﴿أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.

[٧] ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ لأصحابهم من الأنصار: ﴿لَا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ﴾ من المهاجرين ﴿حَتَّىٰ يَنْفَضُوا﴾ يفرقوا عنه ﴿وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ بالرزق، فهو الرزاق (٢) للمهاجرين وغيرهم ﴿وَلَكِنَّ الْمُنْفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾.

[٨] ﴿يَقُولُونَ لَيْنَ رَجَعْنَا﴾ أي: من غزوة بني المصطلق ﴿إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعْرَجُ﴾ عونا به أنفسهم ﴿مِنْهَا الْأَذَلُّ﴾ (٣) عونا به المؤمنين (٤) ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ﴾ الغلبة ﴿وَلِرَسُولِهِ﴾ وللمؤمنين ولكن المنفقين لا يعلمون ذلك.

[٩] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ﴾ تشللكم ﴿أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ﴾ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴿الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ﴾ (٥) ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

[١٠] ﴿وَأَنْفِقُوا﴾ في الزكاة ﴿مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقْتُ﴾ بإدغام التاء في الأصل في الصاد؛ أتصدق بالزكاة ﴿وَأَكُنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ بأن أحجج؛ قال ابن عباس (٦): ما قصر أحد في الزكاة والحج إلا سأل الرجعة عند الموت (٧).

[١١] ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ بالثناء والبياء (٨).

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا سَتَغْفِرَ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوْ أَوْءَا وَسَهُمُ
وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ
أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ
إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ
لَا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنْفَضُوا وَلِلَّهِ
خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنْفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ
﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَيْنَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعْرَجُ
مِنْهَا الْأَذَلُّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ
الْمُنْفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ
أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ
ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ
مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي
إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقْتُ وَأَكُنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَنْ
يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾

سُورَةُ النَّافِثُونَ

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن زيد بن أرقم قال: لما قال عبد الله بن أبي: ﴿لَا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ﴾. وقال أيضا: ﴿لَيْنَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ﴾ أخبرته به النبي ﷺ فلامني الأنصار، وحلف عبد الله بن أبي ما قال ذلك، فرجعت إلى المنزل فمنت، فدعاني رسول الله ﷺ فاتبعه، فقال: إن الله قد صدقك، ونزل: ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا﴾ الآية. البخاري. كتاب التفسير (٦٥) سورة المنافقين (٦٣) باب (٣) ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا﴾. وتقدم بسياق آتم من هذا.

(١) بالتخفيف قراءة نافع، وقرأ بقية السبعة بالتشديد.

(٢) في نسخة القاضي: «الرزاق».

(٣) الذي عليه جماهير العلماء من أهل السير والتفسير أن قائل ذلك هو هذا المنافق عبد الله بن أبي ابن سلول، عنى بالأعز نفسه الخبيثة ومن معه من المنافقين، وبالأذل رسول الله ﷺ ومن معه من المؤمنين، والأمر عكس ما قاله اللعين، وذكر ابن كثير تفصيل ذلك ومناسبته، فراجع.

(٤) هذا من التفسير بالمثال، والتنبيه للمطلوب بأهم جزئياته؛ لأن ذكر الله أعم من الصلوات الخمس، وكذا الإنفاق أعم من الزكاة، والصلاح أعم من الحج.

(٥) أخرجه الترمذي (٣٣١٦)، وضعف الألباني إسناده في ضعيف سنن الترمذي (٦٥٣).

(٦) بالياء قراءة شعبة، وقرأ بقية السبعة بالتاء.

[٢] ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾ في أصل الخلق، ثم يبيّنكم ويعيدكم على ذلك ﴿وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

[٣] ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ يَلْحَقُ بِصُورِكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ﴾ إذ جعل شكل الأدمي أحسن الأشكال ﴿وَاللَّيْلِ الْمَعْيِيرِ﴾.

[٤] ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُنْهَوْنَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ بما فيها من الأسرار والمعتقدات.

[٥] ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ يَا كُفَّارَ مَكَّةَ نَبَأُ خَيْرٍ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾ عقوبة الكفر في الدنيا ﴿وَاللَّهُمَّ﴾ في الآخرة ﴿عَذَابُ أَلِيمٌ﴾ مؤلم.

[٦] ﴿ذَلِكَ﴾ أي: عذاب الدنيا ﴿يَأْتِيهِمْ﴾ ضمير الشأن ﴿كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ الحجج الظاهرات على الإيمان ﴿فَقَالُوا أَأَبْشَرُ﴾ أريد به الجنس ﴿يَهْدُونَنَا فَكُفَرُوا وَتَوَلَّوْا﴾ عن الإيمان ﴿وَأَسْتَفْتَى اللَّهُ﴾ عن إيمانهم ﴿وَاللَّهُ عَنِّي﴾ عن خلقه ﴿حَمِيدٌ﴾ محمود في أفعاله.

[٧] ﴿رَضِمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ﴾ مخففة، واسمها محذوف؛ أي: أنهم ﴿لَنْ يَغْتَرَوْا قُلُوبَ بَلٍ وَرَبِّي لَتُبْعِنُنَّ ثُمَّ لَنُنَبِّئَنَّ بِمَا عَمَلْتُمْ﴾ وذلك على الله يسير.

[٨] ﴿فَتَامُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ القرآن ﴿الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ حَبِيرٌ﴾.

[٩] اذكر ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ﴾ يوم القيامة ﴿ذَلِكَ يَوْمَ النَّعَابِ﴾ يعين المؤمنون الكافرين، بأخذ منازلهم وأهلهم في الجنة، لو آمنوا ﴿وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ﴾ وفي قراءة^(١) بالون في الفعلين ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَسْجُدُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ يَلْحَقُ بِصُورِكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٣﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾ ذَلِكَ بَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبْشَرُ أَفَكُفَرُوا وَقَوْلُوا وَاسْتَفْتَى اللَّهُ وَاللَّهُ عَنِّي حَمِيدٌ ﴿٥﴾ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٦﴾ فَتَامُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَالتَّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ حَبِيرٌ ﴿٧﴾ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ النَّعَابِ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٨﴾

سُورَةُ التَّتَائِينَ

[مكية، أو: مدنية، ثمان عشرة آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿يَسْجُدُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ينزهه، فاللام زائدة، وأنى بـ«ما» دون «من» تعليبا للأكثر ﴿لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

(١) لتافع وابن عامر؛ أي «تكفر»، و«تدخله».

[١٠] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ هي.

[١١] ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بفضائه ﴿وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ فِي قَوْلِهِ: إِنَّ الْمِصْبَةَ بِفَضَائِهِ ﴿يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ لِلصبر عليها ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

[١٢] ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَاطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَّغُ الْمُبِينُ﴾ البين.

[١٣] ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

[١٤] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن مِّنْ أَرْزَاقِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَأَحْذَرُوهُمْ﴾ أن تطيعوهم في الخلف عن الخير؛ كالجهاد والهجرة، فإن سبب نزول الآية الإطاعة في ذلك ﴿وَإِن تَعَفَّوْا﴾ عنهم في تنبيطهم إياكم عن ذلك الخير معتلين بمشقة فراقكم عليهم ﴿وَتَصَفَّحُوا وَتَعَفَّوْا﴾ فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ^(٥).

[١٥] ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ لَّكُمْ شَاغِلَةٌ عَنِ أُمُورِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ فلا تقوتوه، باشتغالكم بالأموال والأولاد.

[١٦] ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ ناسخة لقوله: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِلِهِ﴾^(١) ﴿وَأَسْمَعُوا﴾ ما أمرتم به سماع قبول ﴿وَاطِيعُوا وَأَنْفِقُوا﴾ في الطاعة ﴿خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ﴾ خير «يكن» مقدره؛ جواب الأمر ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ، فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون.

[١٧] ﴿إِن تَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ بأن تصدقوا عن طيب قلب ﴿يُضْعِفَهُ لَكُمْ﴾ وفي قراءة^(٢): ﴿يُضْعِفُهُ﴾ بالشديد؛ بالواحدة عشراً إلى سعمائة وأكثر ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ ما يشاء ﴿وَاللَّهُ شَكُورٌ﴾ مجاز على الطاعة ﴿حَلِيمٌ﴾ في العقاب على المعصية.

[١٨] ﴿عَلِمَ الْغَيْبِ﴾ السر ﴿وَالشَّهَادَةِ﴾ العلانية ﴿الْعَزِيزِ﴾ في ملكه ﴿الْحَكِيمِ﴾ في صنعه.

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٠﴾ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ وَاطِيعُوا اللَّهَ وَاطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَّغُ الْمُبِينُ ﴿١٢﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن مِّنْ أَرْزَاقِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَأَحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَعَفَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمَعُوا وَاطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِن تَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا عَلَيْهِ الْعَيْبُ وَالشَّهَادَةُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٧﴾ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾

سُورَةُ الظَّلَافِقِ

(٥) ما جاء في نزول الآية (١٤): أخرج الترمذي عن عكرمة عن ابن عباس، وسأله رجل عن هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن مِّنْ أَرْزَاقِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَأَحْذَرُوهُمْ﴾ قال: هؤلاء رجال أسلموا من أهل مكة، وأرادوا أن يأتوا النبي ﷺ، فأبى أزواجهم وأولادهم أن يدعوهم أن يأتوا رسول الله ﷺ، فلما أتوا رسول الله ﷺ رأوا الناس قد فقوه في الدين عموا أن يعاقبهم، فأنزل الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن مِّنْ أَرْزَاقِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَأَحْذَرُوهُمْ﴾. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٤٦) ومن سورة التغاين. (حسن) صحيح سنن الترمذي (٤٦٤٢).

(١) آل عمران: ١٠٢.

(٢) لابن كثير وابن عامر.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ
وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ
يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَإِلَّا فَحُدُودَ اللَّهِ وَمَنْ يُتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ
فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾
فَإِذَا بَلَغَ الْأَجُوهْنَ فَأَمْسَكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارُقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ
وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ يُوعَظُ
بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ
مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ
فَهُوَ حَسْبُهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَبَلِيغٌ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ
قَدْرًا ﴿٣﴾ وَاللَّتِي يَيْسِرُ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ
أَرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّتِي لَمْ يَحِيضْ وَأُولَاتُ
الْأَحْمَالِ أَجُوهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ
يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴿٤﴾ ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ لِتَكْفُرَ
وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴿٥﴾

سُورَةُ الطَّلَاقِ

[مدنية، ثلاث عشرة آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ المراد أمته، بقرينة ما بعده، أو: قل لهم: ﴿إِذَا
طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ أي: أردتم الطلاق ﴿فَطَلِقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾ لأولها؛ بأن يكون
الطلاق في طهر لم تمس فيه؛ لتفسيره ﷺ بذلك رواه الشيخان (١) ﴿وَأَحْصُوا
الْعِدَّةَ﴾ احفظوها؛ لثراجعوا قبل فراغها ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ﴾ أطيعوه في
أمره ونهيه ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ﴾ منها، حتى تنقضي
عدتهن ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ﴾ زنا ﴿مُبَيَّنَةٍ﴾ بفتح الباء وكسرها (٢)؛

يُبَيِّنُ أَوْ بَيِّنَةٌ، فيخرجن لإقامة الحد عليهن ﴿وَتَوَكَّلْ﴾ المذكورات ﴿حُدُودَ اللَّهِ
وَمَنْ يُتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ
الطلاق ﴿أَمْرًا﴾ مراجعة فيما إذا كان واحدة أو اثنتين.

[٢] ﴿فَإِذَا بَلَغَ الْأَجُوهْنَ﴾ قاربن انقضاء عدتهن ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾ بأن
تراجعوهن ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ من غير ضرار ﴿أَوْ فَارُقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ اتركوهن
حتى تنقضي عدتهن، ولا تضاروهن بالمراجعة ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾
على المراجعة أو الفراق ﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾ لا للمشهدود عليه، أو له
﴿ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ
لَهُ مَخْرَجًا﴾ من كرب الدنيا والآخرة.

[٣] ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ يخطر بباله ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى
اللَّهِ﴾ في أمره ﴿فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ كافيه ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾ [تالغ أمرة] (٣) مراده،
وفي قراءة بالإضافة ﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ كرخاء وشدة ﴿قَدْرًا﴾
ميقانًا.

[٤] ﴿وَالَّتِي يَيْسِرُ﴾ بهمرة وياء، وبلا ياء في الموضعين (٤) ﴿يَيْسِرَ مِنْ
الْمَحِيضِ﴾ بمعنى الحيض ﴿مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ أَرْتَبْتُمْ﴾ شككتم في عدتهن
﴿فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّتِي لَمْ يَحِيضْ﴾ لصغرهن؛ فعدتهن ثلاثة أشهر،
والنساءتان في غير التوقي عنهن أزواجهن، أما هُنَّ فعدتهن ما في آية:
﴿يَرْبِضْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ (٥) ﴿وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجُوهُنَّ﴾
انقضاء عدتهن؛ مطلقات أو متوفى عنهن أزواجهن: ﴿أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ
يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ في الدنيا والآخرة.

[٥] ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور في العدة ﴿أَمْرُ اللَّهِ﴾ حكمه ﴿أَنْزَلَهُ لِتَكْفُرَ
بِئِنَّ اللَّهَ يَكْفُرُ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾.

(١) البخاري (٤٩٠٨) ومسلم (١٤٧١) عن عبد الله بن عمر، ولفظه عند البخاري: وأنه طلق امرأته وهي حائض، فذكر عمر لرسول الله ﷺ: فتعظف فيه رسول الله ﷺ ثم قال: «اليراجعها، ثم
يُكْفِسُهَا حَتَّى تَطْهَرُ، ثُمَّ يَحِيضُ فَطَهَرَ؛ فَإِنْ بَدَأَ لَهَا أَنْ يُطَلِّقَهَا فَلْيَطْلُقْهَا طَاهِرًا قَبْلَ أَنْ يَمْشِيَ؛ فَتَلِكُ الْعِدَّةُ كَمَا أَمَرَ اللَّهُ ﷻ».

(٢) بالفتح قراءة ابن كثير وشعبة، وقرأ بقية السبعة بالكسر.

(٣) وهي قراءة السبعة عدا حفص، وقرأ حفص بالإضافة: «بِالْبَالِغِ أَمْرِهِ».

(٤) قرأ الكوفيون وابن عمر بهمزة محققة بعدها ياء وقرأ الباقون بحذف الباء، وحقق الهمزة منهم قالون وقبيل، وسهلها ورش، وأبدلها ياء ساكنة مع مد الألف بالإشباع بالساكنين البري وأبو عمرو.

(٥) البقرة: ٢٣٤.

[٦] ﴿أَنْكِحُوهُنَّ﴾ أي: المطلقات ﴿وَمِنْ حَيْثُ سَكَتُمْ﴾ أي: بعض
 مساكنتكم ﴿وَمِنْ وَجِدِكُمْ﴾ أي: سعتكم، عطف بيان، أو بدل مما قبله بإعادة
 الجار وتقدير مضاف؛ أي: أمكنة سعتكم لا ما دونها ﴿وَلَا تَضَارُّوهُنَّ لِيُضَيِّقُوا
 عَلَيْهِنَّ﴾ المساكن فيحتجج إلى الخروج: أو: النفقة، فيفتدين منكم ﴿وَأَنْ
 أُؤْتِيَ حَمْلٌ فَأُفَيْقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَنْضَعْنَ لَكُمْ﴾ أولادكم منهن
 ﴿فَأُجْرُوهُنَّ أَجْرَهُنَّ﴾ على الإرضاع ﴿وَأُتْرِبُوا بِبَنَاتِكُمْ﴾ وبسنتهم ﴿بِمَعْرِيفٍ﴾
 بحميل في حق الأولاد، بالتوافق على أجر معلوم على الإرضاع ﴿وَأَنْ
 تَمَسَّرْتُمْ﴾ تضايقتم في الإرضاع، فامتنع الأب من الأجرة، والأم من فعله
 ﴿تَمَسَّرْتُمْ لَهُنَّ﴾ للأب ﴿أُخْرَبَ﴾ ولا تكره الأم على إرضاعه.
 [٧] ﴿لِيُفَيْقُوا﴾ على المطلقات والمرضعات ﴿ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتَيْهِ وَمَنْ
 أَدْرَكَهُ﴾ ضيق ﴿عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُفَيْقْ مِمَّا آتَاهُ﴾ أعطاه ﴿اللَّهُ﴾ على قدره ﴿وَلَا
 يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ وقد جعله بالفتح.
 [٨] ﴿وَكَايُنَ﴾ هي: كاف الجزم، دخلت على «أي» بمعنى: «كم» ﴿بَيْنَ
 قَرِيْبَةٍ﴾ أي: وكثير من القرى ﴿عَدَّتْ﴾ عصت؛ يعني: أهلها ﴿عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا
 وَرُسُلِهِ فَمَاسَسَتْهَا﴾ في الآخرة، وإن لم تجز؛ لتحقق وقوعها ﴿حَسَابًا شَدِيدًا
 وَعَدَّتْهَا عَذَابًا تُكْرَهُ﴾ بسكون الكاف وضمها^(١)؛ فظليقا، وهو عذاب النار.
 [٩] ﴿فَدَاقَتْ وَيَالِ أَثْرِيهَا﴾ عقوبته ﴿وَكَانَ عِقَابُهُ أَمْْرًا حَسْرًا﴾ حسارًا
 وهلاكًا.
 [١٠] ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ تكرير الوعيد توكيد ﴿فَأَتَقُوا اللَّهَ
 يَتَذَكَّرُ الْأَلْبَابَ﴾ أصحاب العقول ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ نعت للمنادى، أو بيان
 له ﴿فَدَأَزَلَّ إِلَهُهُ وَإِنَّا لَنَكْرَهُ دِكْرًا﴾ هو القرآن.
 [١١] ﴿رَسُولًا﴾ أي: محمداً ﷺ، منصوب بفعل مقدر؛ أي: وأرسل
 ﴿يُنزِلُوا عَلَيْكَ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ﴾ بفتح الباء وكسرها^(٢) كما تقدم ﴿لِيُخْرِجَ
 الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ بعد مجيء الذكر والرسول ﴿مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾
 الكفر الذي كانوا عليه ﴿إِلَى النُّورِ﴾ الإيمان الذي قام بهم بعد الكفر ﴿وَمَنْ
 يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ﴾ وفي قراءة^(٣) بالنون ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
 الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا﴾ هو رزق الجنة، التي لا ينقطع
 نعمتها.

من السماء السابعة إلى الأرض السابعة ﴿لِيَعْلَمُوا﴾ متعلق بمحذوف؛ أي:
 أعلمكم بذلك الخلق والتنزيل ﴿أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ
 بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾.

[١٢] ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ يعني: سبع أرضين
 ﴿يُنزِلُ الْأَمْزَارَ﴾ الوحي ﴿بَيْنَهُنَّ﴾ بين السماوات والأرض، ينزل به جبريل

(١) بالضم قراءة نافع وابن ذكوان وشعبة.

(٢) بالفتح قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وشعبة.

(٣) لنافع وابن عامر.

سورة التحريم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبَتَّغَى مَرْصَاتَ أَرْوَاحِكَ وَاللَّهُ
 عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ
 الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ وَإِذْ أَسْرَأَ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَرْوَاحِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا
 بَيَّنَّاتٍ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا
 بَيَّنَّاهُ بِهِ قَالَتْ مَنَ أَنْبَأُكَ هَذَا قَالَ تَبَيَّنَّا الْغَيْبَ لِنَبِيِّ إِنْ
 تَوَّابًا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ
 هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلِحَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةَ بَعْدَ ذَلِكَ
 ظَهِيرٌ ﴿٣﴾ عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَرْوَاحًا خَيْرًا مِنْكَ
 مُسَلِّمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَيِّنَاتٍ تَيَّبَنَّتِ عَيْدَاتٍ سَلَّحَاتٍ تَبَيَّنَّتِ
 وَأَبْكَارًا ﴿٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا
 وَفُودَهَا النَّاسَ وَالْحِجَارَةَ عَلَيْهَا مَلِكٌ عِظَاطٌ شِدَادٌ
 لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
 كَفَرُوا لَا تَعْتَدُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا جُزُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦﴾

سورة التحريم

[مدنية، اثنتا عشرة آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ من أنتك مارية القبطية؛ لما
 واقعها في بيت حفصة وكانت غائبة، فجاءت وسق عليها كون ذلك في بيته
 وعلى فراشها؛ حيث قلت: «هي حرام علي» «تبتغي» بتحريمها ﴿مَرْصَاتَ
 أَرْوَاحِكُمْ﴾ أي: رضاهن ﴿وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ غفر لك هذا التحريم.

[٢] ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ﴾ شرع ﴿لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾ تخليتها؛ بالكفارة
 المذكورة في سورة «المائدة»^(١)، ومن الأيمان: تحريم الأمة، وهل كفر ﴿تَبَتَّغَى﴾؟ قال
 مقاتل: أعتق رقية في تحريم مارية، وقال الحسن: لم يكفر؛ لأنه ﴿عَفُورٌ﴾ مغفور له
 ﴿وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ﴾ ناصركم ﴿وَالْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾.

[٣] ﴿وَإِذْ أَسْرَأَ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَرْوَاحِهِ﴾ هي حفصة
 ﴿حَدِيثًا﴾ هو تحريم مارية، وقال لها: «لا تفسيه» ﴿فَلَمَّا بَيَّنَّاتٍ بِهِ﴾ عاتشة؛
 ظناً منها أن لا حرج في ذلك ﴿وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ﴾ أطلعه ﴿عَلَيْهِ﴾ على المنبأ به
 ﴿عَرَفَ بَعْضَهُ﴾ لحفصة ﴿وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ﴾ تكرماً منه ﴿فَلَمَّا بَيَّنَّاهُ بِهِ﴾ قَالَتْ
 مَنَ أَنْبَأُكَ هَذَا قَالَ تَبَيَّنَّا الْغَيْبَ لِنَبِيِّ أَي: الله.

[٤] ﴿إِنْ تَوَّابًا﴾ أي: حفصة وعاتشة ﴿إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾
 مالت إلى تحريم مارية؛ أي: سرّكما ذلك، مع كراهة النبي ﷺ له، وذلك
 ذنب، وجواب الشرط محذوف؛ أي: تُقْبَلَا، وأطلق «قلوب» على قلبين ولم
 يعثر به؛ لاستقلال الجمع بين تفتين فيما هو كالكلمة الواحدة ﴿وَإِنْ
 تَظَاهَرَا﴾ يادغام التاء الثانية في الأصل في الظاء^(٢)، وفي قراءة بدونها؛

تصاونا ﴿عَلَيْهِ﴾ أي: النبي فيما يكرهه ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ﴾ ضمير فصل
 ﴿مَوْلَاكُمْ﴾ ناصره ﴿وَجِبْرِيلُ وَصَلِحَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أبو بكر وعمر^(٣). رضي الله
 عنهما - معطوف على محل اسم «إن»، فيكونون ناصره ﴿وَالْمَلَائِكَةَ بَعْدَ
 ذَلِكَ﴾ بعد نصر الله والمذكورين ﴿ظَهَرَا﴾ ظهره؛ أعوان له في نصره
 عليهما^(٤). [٥] ﴿عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ﴾ أي: طلق النبي أزواجه ﴿أَنْ
 يُبَدِّلَهُ﴾ بالتشديد والتخفيف^(٥) ﴿أَرْوَاحًا خَيْرًا مِنْكَ﴾ خير «عسى»، والجملة
 جواب الشرط، ولم يقع التبدل؛ لعدم وقوع الشرط ﴿مُسَلِّمَاتٍ﴾ مقرات
 بالإسلام ﴿مُؤْمِنَاتٍ﴾ مخلصات ﴿قَيِّنَاتٍ﴾ مطيعات ﴿تَبَيَّنَّتِ عَيْدَاتٍ﴾

سَلَّحَاتٍ صامتات أو مهاجرات ﴿تَبَيَّنَّتِ وَأَبْكَارًا﴾^(٦).
 [٦] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ﴾ بالحمل على طاعة الله
 ﴿نَارًا وَفُودَهَا النَّاسَ﴾ الكفار ﴿وَالْحِجَارَةَ﴾ كأصنامهم منها؛ يعني: أنها
 مفرطة الحرارة تنقد، بما ذكر، لا كتار الدنيا، تنقد بالخطب ونحوه ﴿عَلَيْهَا
 مَلِكٌ عِظَاطٌ﴾ خزنتها، عدتهم تسعة عشر، كما سبأتي في «المذثر» ﴿عِظَاطٌ﴾ من:
 عِظَ القلب ﴿شِدَادٌ﴾ في البطش ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ﴾ بدل من لفظ
 الجلالة؛ أي: لا يعصون أمر الله ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ تأكيد، والآية تخويف
 للمؤمنين عن الارتداد، وللمنافقين المؤمنين بأستهم دون قلوبهم.

[٧] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَدُوا الْيَوْمَ﴾ يقال لهم ذلك عند دخولهم
 النار؛ أي: لأنه لا ينفعكم ﴿إِنَّمَا جُزُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: جزاءه.

(٥) ما جاء في نزول الآيات (١ - ٤): أخرج البخاري عن عائشة أن النبي ﷺ كان يمكث عند زيب ابنة جحش ويشرب عندها عسلاً، فواصبت أنا وحفصة أن أيتنا دخل عليها النبي ﷺ فلتقل: إني لأجد منك ريح مغافير، أكلت مغافير؟ فدخل على إحداها فقالت له ذلك، فقال: «لا، بل شربت عسلاً عند زيب ابنة جحش، ولن أعرد له»، فنزلت: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ إلى ﴿إِنْ تَوَّابًا﴾ إلى الله فقد صغت قلوبكم، لعائشة وحفصة ﴿وَإِذْ أَسْرَأَ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَرْوَاحِهِ﴾ لقوله: شربت عسلاً. البخاري - كتاب الطلاق (٦٨) باب (٨).

وأخرج السنائي عن أنس أن رسول الله ﷺ كانت له أمة يطؤها، فلم تزل به عائشة وحفصة حتى حرمها على نفسه، فأنزله الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ إلى آخر الآية. السنائي - كتاب عشرة النساء (٣٧) باب (٤) الغيرة. (صحيح الإسناد) صحيح سنن السنائي (٣٦٩٥). قال الحافظ: «وقد اختلف في الذي حرم على نفسه وعوتب على تحريمه... والراجع من الأقوال كلها: قصة مارية؛ لاختصاص عائشة وحفصة بها بخلاف العسل فإنه اجتمع فيه جماعة منهن». انظر: [الفتح (٩/ ٢٠٠، ٢٠١)].

وقال القرطبي وابن كثير: والصحيح أنه كان في العسل، وأنه شره عند زيب، وتظاهرت عليه عائشة وحفصة فيه، فجرى ما جرى، فحلف ألا يشربه وأسر بذلك إليها، ونزلت الآية في الجميع. اهـ. (٥٥) ما جاء في نزول الآية (٥): أخرج البخاري عن أنس قال: قال عمر ﷺ: اجتمع نساء النبي ﷺ في الغيرة عليه، فقلت لهن: «عسى ربه إن طلقكن أن يبدلهن أزواجاً خيراً منكن» فنزلت هذه الآية. البخاري - كتاب التفسير (١٥) سورة التحريم (٦٦) باب (٥).

(١) الآية (٨٩).

(٢) نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ بقية السبعة بالتخفيف؛ ﴿تَظَاهَرَا﴾.

(٣) هذا قول ابن مسعود وعكرمة والضحاك، وقيل غير ذلك، ولعل هذا على سبيل التمثيل والتنبه بفضل الصالحين خاصة، والله أعلم. (٤) بالتشديد قراءة نافع وأبي عمرو.

[٨] ﴿يَأْتِيهَا اللَّذِينَ ءَامَنُوا نُورًا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ بفتح النون وضمة (١)؛ صادقة؛ بأن لا يُعاد إلى الذنب، ولا يُراد العود إليه ﴿وَعَسَىٰ رَبُّكُمْ﴾ تَوْجِيهَةٌ تَفْعُ ﴿أَنْ يُكْفِرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمُ جَنَّاتٍ﴾ بساكنين ﴿يَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ﴾ يادخال النار ﴿الَّذِينَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بِيَدِهِمْ﴾ أمامهم ﴿وَرَبُّكُمْ﴾ يكون ﴿بِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ﴾ مستأنف: ﴿رَبَّنَا آتِنَا لَنَا نُورًا﴾ إلى الجنة، والمنافقون يطفأ نورهم ﴿وَأَغْفِرْ لَنَا﴾ ربنا ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[٩] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ جَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُنْفِقِينَ﴾ باللسان والحنة ﴿وَأَغْلَظَ عَلَيْهِمْ﴾ بالانتهاز والغت ﴿وَمَا وَهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّرَ الْمَصِيرَ﴾ هي.

[١٠] ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتٍ نُوحٍ وَامْرَأَتٍ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا﴾ في الدين؛ إذ كفرتا، وكانت امرأة نوح واسمها «واهلة» تقول لقومه؛ إنه مجنون. وامرأة لوط واسمها «واعلة» تدل قومها على أضيافه إذا نزلوا به ليلاً؛ بإيقاد النار ونهازا بالتدخين ﴿فَلَمَّا بَغْيَا﴾ أي: نوح ولوط ﴿عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ﴾ من عذابه ﴿وَسَيِّئًا وَقِيلَ لَهُمَا﴾: ﴿أَدْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ﴾ من كفار قوم نوح وقوم لوط.

[١١] ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَتٍ فِرْعَوْنَ﴾ أمنت بموسى، واسمها (آسية)، فعذبها فرعون، بأن أوتد يديها ورجليها، وألقى على صدرها رحي عظيمة، واستقبل بها الشمس، فكانت إذا تفرقت عنها من وُكِّل بها ظللتها الملائكة ﴿إِذْ قَالَتْ﴾ في حال التعذيب: ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾ فكشيف لها فرأته، فسهل عليها التعذيب ﴿وَوَجَّحْنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِيهِ﴾ وتعذبه ﴿وَوَجَّحْنِي مِنَ الْقُبُورِ الظَّالِمِينَ﴾ أهل دينه، فقبض الله روحها، وقال ابن كيسان: رفعت إلى الجنة حية، فهي تأكل وتشرب (٢).

[١٢] ﴿وَوَصَّيْنَا﴾ عطف على: «امرأة فرعون» ﴿أَبْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَيْنَا فِرْجَهَا﴾ حفظته ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا﴾ أي: جبريل، حيث نفخ في جيب درعها، بخلق الله - تعالى (٣). فعلة الواصل إلى فرجها، فحملت بعيسى ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا﴾ شرائعه ﴿وَكَلِمَةٍ﴾ المنزلة ﴿وَكَانَ مِنَ الْقَائِلِينَ﴾ من القوم المطيعين.

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا نُورًا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمُ جَنَّاتٍ جَارِيَةٍ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بِيَدِهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا آتِنَا لَنَا نُورًا وَأَغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾

يَأْتِيهَا الَّذِينَ جَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُنْفِقِينَ ﴿٩﴾ وَمَا وَهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّرَ الْمَصِيرَ ﴿١٠﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتٍ نُوحٍ وَامْرَأَتٍ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمَّا بَغْيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ سَيِّئًا وَقِيلَ لَهُمَا ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ ﴿١١﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَتٍ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَوَجَّحْنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِيهِ وَوَجَّحْنِي مِنَ الْقُبُورِ الظَّالِمِينَ ﴿١٢﴾ وَمَرَّسَمَ أَبْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَيْنَا فِرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكَلِمَةٍ مِنَ الْقَائِلِينَ ﴿١٣﴾

(١) بالضم قراءة شعبة.

(٢) هذا من الأمور الغيبية التي يحتاج إثباتها إلى دليل صحيح ثابت.

(٣) قوله: «بخلق الله تعالى» متعلق بـ «فنفخنا»، وكان المقام للإضمار بأن يقول: «بخلقنا»، وفعله: أي: فعل جبريل، وهو: النفخ، ومعنى: خلقه: إيصال أثره، وهو: الريح، والهواء الحاصل به إلى فرجها.

سُورَةُ التَّلَاكِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَفُورُ ﴿٢﴾ الَّذِي خَلَقَ سَمْعَ سَمَوَاتٍ طَبَاقًا مَاتَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوُّتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ حَاسِنًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ رَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِصَيْبٍ وَجَعَلْنَاهَا حُجُومًا لِلشَّيْطَانِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴿٥﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لِيَرْبِهِنَّ عَذَابَ جَهَنَّمَ وَيُبْسَ الْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَا الْفُؤَادُ فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّرُ مِنَ الْعَيْظِ كَمَا آتَى فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا بَلَى فَرَجَاءَ نَأْذِيرُ فَكَلَّمْنَا وَلَقَدْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَأَعْرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحِقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١١﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَحْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾

سُورَةُ التَّلَاكِ

[مكية، ثلاثون آية] ﴿١﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿تَبَرَّكَ﴾ تَبَرَّكَ: تنزه عن صفات المحدثين^(١) ﴿الَّذِي بِيَدِهِ﴾ تصرفه^(٢) ﴿الْمُلْكُ﴾ السلطان والقدرة ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

(١) فائدة: أخرج أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: سورة من القرآن ثلاثون آية تشفع لصاحبها حتى يفر له: ﴿تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾. أبو داود - كتاب الصلاة (٢) في عدد الآيات وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١٢٤٧).

(١) هذه العبارة موهمة، ويستخدمها البعض لنفي الصفات الثابتة لله - عز وجل - كالسمع والبصر وغيرها من الصفات؛ التي يؤولها البعض بزعم تزويه الله عز وجل عن مشابهة خلقه، و«تبارك» على وزن تفاعل؛ من البركة والنماء والزيادة وكثرة الخير ودوامه. وقال الطبري: تعاطم وتعالى.

(٢) وهذا تعطيل لصفة اليد وعدول عن ظاهر اللفظ، وخلاف ما فهمه السلف منها؛ كما قال ابن جرير: ﴿الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ بيده ملك الدنيا والآخرة وسلطانها نافذ فيما أمره وقضاؤه كما أن تقدير الكلام على تفسيره: «بيده» أي: «في تصرفه» يكون مضطرباً كما قال الشيخ عبد الرزاق عفيفي، وتكون العبارة غير مستقيمة؛ ويكون المعنى: «تنزه عن صفات المحدثين الذي في تصرفه السلطان والقدرة»، وهذا ليس في التصرف. فنؤمن بهذه الصفة لله تعالى ونثبتها له على الوجه اللائق به.

(٣) يشير المصنف إلى اختلاف المتكلمين في الموت؛ حيث ذهب بعضهم إلى أنه أمر وجودي؛ أي: شيء يوجد، وهو ضد الحياة؛ وذهب آخرون إلى أنه أمر عدمي؛ أي: ليس شيئاً يخلق وإنما هو عدم الحياة؛ وعلى هذا القول يكون «خلق الموت» بمعنى قدر الموت. والأول هو الصحيح أن الموت أمر وجودي كالحياة؛ يخلق الله عند نهاية الحياة. وهو ظاهر الآية.

(٤) أي: شذوفاً.

(٥) بعضها قراءة الكسائي.

[٢] ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ﴾ في الدنيا ﴿وَالْحَيَاةَ﴾ في الآخرة، أو هما في الدنيا، فالنطفة تعرض لها الحياة، وهي: ما به الإحساس، والموت: ضدّها، أو: عدمها^(١)؛ قولان، والخلق على الثاني بمعنى التقدير ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ ليختبركم في الحياة ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ أطوع لله ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ في انتقامه ممن عصاه ﴿الْعَفُورُ﴾ لمن تاب إليه.

[٣] ﴿الَّذِي خَلَقَ سَمْعَ سَمَوَاتٍ طَبَاقًا﴾ بعضها فوق بعض، من غير ماسة ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ﴾ لهن: أو: لغيرهن ﴿مِنْ تَفَوُّتٍ﴾ تباين وعدم تناسب ﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ﴾ أعده إلى السماء ﴿هَلْ تَرَى فِيهَا مِنْ فُطُورٍ﴾ صدوع وشقوق؟ [٤] ﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾ كرة بعد كرة ﴿يَنْقَلِبْ﴾ يرجع ﴿إِلَيْكَ الْبَصَرُ حَاسِنًا﴾ ذليلاً؛ لعدم إدراك خلل ﴿وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ منقطع عن رؤية خلل.

[٥] ﴿وَلَقَدْ رَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا﴾ القربى إلى الأرض ﴿بِمَصْبِيحٍ﴾ بنجوم ﴿وَجَعَلْنَاهَا حُجُومًا﴾ مراجم ﴿لِلشَّيْطَانِ﴾ إذا استرقوا السمع، بأن يفصل شهاب عن الكوكب، كالقيس يؤخذ من النار، فيقتل الجني أو يخيله، لا أن الكوكب يزول عن مكانه ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ النار الموقدة.

[٦] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لِيَرْبِهِنَّ عَذَابَ جَهَنَّمَ وَيُبْسَ الْمَصِيرُ﴾ هي.

[٧] ﴿إِذَا الْفُؤَادُ فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا﴾ صوتاً منكراً كصوت الحمام ﴿وَهِيَ تَفُورُ﴾ تغلي.

[٨] ﴿تَكَادُ تَمَيَّرُ﴾ وقرئ^(١): ﴿تَتَمَيَّرُ﴾ على الأصل تنقطع ﴿وَمِنَ الْعَيْظِ﴾ غضباً على الكافر ﴿كَمَا آتَى فِيهَا فَوْجٌ﴾ جماعة منهم ﴿سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾ سؤال توبيخ: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ رسول يذركم عذاب الله - تعالى؟

[٩] ﴿قَالُوا بَلَى فَرَجَاءَ نَأْذِيرُ فَكَلَّمْنَا﴾ قلنا ما نزل الله من شيء إن ﴿مَا أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾. يحتمل أن يكون من كلام الملائكة للكفار حين أخبروا بالتكذيب، وأن يكون من كلام الكفار للثندر.

[١٠] ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ﴾ أي: سماع تفهم ﴿أَوْ نَعْقِلُ﴾ أي: عقل تفكر ﴿مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾.

[١١] ﴿فَأَعْرَفُوا بِذَنبِهِمْ﴾ حيث لا ينفع الاعتراف ﴿بِذَنبِهِمْ﴾ وهو تكذيب النذر ﴿فَسُحِقًا﴾ بسكون الحاء وضمها^(٢) ﴿لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ بعدد لهم عن رحمة الله.

[١٢] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَحْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ يخافونه ﴿بِالْغَيْبِ﴾ في غيبتهم عن أعين الناس؛ فيطيعونه سؤواً، فيكون علانية أولى ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ أي: الجنة.

[١٣] ﴿وَأَيُّرَا﴾ أيها الناس ﴿فَوَلَّكُمُ أَوْ أَجْعَلُوا بِهِ إِنتُمْ﴾ تعالى ﴿عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ بما فيها، فكيف بما نطقتم به؟ وسبب نزول ذلك: أن المشركين قال بعضهم لبعض: أسروا قولكم لا يسمعكم إله محمد^(١).

[١٤] ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ ما تسرون؛ أي: أنتني علمه بذلك ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ﴾ في علمه ﴿الْخَبِيرُ﴾ فيه؟ لا.

[١٥] ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا﴾ سهلة للمشي فيها ﴿فَأَمْسُوا فِي مَتَابِعِهَا﴾ جوانبها ﴿وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾ المخلوق لأجلكم ﴿وَأَلَيْهِ النُّشُورُ﴾ من القبور للجزاء.

[١٦] ﴿وَأَمْسُوا﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية، وإدخال ألف بينها وبين الأخرى، وتركه، وإبدالها ألفاً^(٢) ﴿مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ﴾ سلطانه وقدرته^(٣) ﴿أَنْ يَخْفِيَ﴾ بدل من «من» ﴿يَكُمُ الْأَرْضُ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ تنحرك بكم وترتفع فوقكم.

[١٧] ﴿أَمْ أَيْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ أَنْ يُرْسِلَ﴾ بدل من «من» ﴿عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ ريحا ترميكم بالحصباء ﴿فَسَتَعْلَمُونَ﴾ عند معاينة العذاب ﴿كَيْفَ نَذِيرٍ﴾ إنذار بالعباد؛ أي: إنه حق.

[١٨] ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَذِيرٍ﴾ إنكارى عليهم بالتكذيب عند إهلاكهم؛ أي: إنه حق.

[١٩] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ ينظروا ﴿إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ﴾ في الهواء ﴿صَفَّتْ﴾ باسطات أجنحتهن ﴿وَيَفْقِصْنَ﴾ أجنحتهن بعد البسط؛ أي: وقابضات ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ﴾ عن الوقوع في حال البسط والقبض ﴿إِلَّا الرَّحْمَنُ﴾ بقدرته ﴿إِنَّهُ يَكْفِي شَيْءٌ بَصِيرٌ﴾ المعنى: ألم يستدلوا بثبوت الطير في الهواء، على قدرتنا أن نفعل بهم ما تقدم، وغيره من العذاب؟

[٢٠] ﴿أَنْتُمْ﴾ مبتدأ ﴿هَذَا﴾ خبره ﴿الَّذِي﴾ بدل من «هذا» ﴿هُوَ جُدُّكُمْ﴾ أعوان ﴿لَكُمْ﴾ صلة «الذي» ﴿يَضْرِبُكُمْ﴾ صفة الجند ﴿مَنْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ﴾ أي: غيره، يدفع عنكم عذابه؛ أي: لا ناصر لكم ﴿إِنْ﴾ ما ﴿الْكُفْرُونَ﴾ إلا في غرورٍ ﴿غَرَّهُمُ الشَّيْطَانُ﴾ بأن العذاب لا ينزل بهم.

[٢١] ﴿أَنْتُمْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ﴾ الرحمن ﴿رِزْقَكُمْ﴾ أي: المطر عنكم، وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله؛ أي: فمن يرزقكم؟ أي: لا رازق لكم غيره ﴿بَلْ لَجُّوا﴾ تمادوا ﴿فِي عُتُوِّكُمْ﴾ تكبر ﴿وَتَقْوَرُ﴾ تباعد عن الحق.

[٢٢] ﴿أَفَنْ يَبْشَى مِثْلًا﴾ واقفا ﴿عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَبْشَى سَوِيًّا﴾ معتدلاً ﴿عَلَى صِرَاطٍ﴾ طريق ﴿مُسْتَقِيمٍ﴾ وخبر «من» الثانية محذوف دل عليه خير الأولى؛ أي: أهدي، والمتمثل في المؤمن والكافر، أيهما على هدى.

(١) ذكره الواحدي في أسباب النزول. وعراه في زاد المسير لابن عباس.

(٢) راجع التعليق على الآية رقم (٦) من سورة البقرة.

(٣) وهذا تعطيل لصفة الملو، وعدول عن ظاهر اللفظ، وخلاف ما دلت عليه النصوص المتواترة من علوه. شيبانته وتعالى. على خلقه بذاته المقدسة واستوائه على عرشه.

وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ وَأَجْعَلُوا بِهِ إِيَّاهُ وَعَلَيْمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ۝ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْسُوا فِي مَتَابِعِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَآلَيْهِ النُّشُورُ ۝ أَمْ أَمْسْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ۝ أَمْ أَمْسْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرٍ ۝ وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَذِيرٍ ۝ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَّتْ وَبَقِصْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ۝ أَمْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدُكُمْ يَنْصُرُكُمْ مَنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنْ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ۝ أَمْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُورٍ ۝ أَفَنْ يَبْشَى مِثْلًا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَبْشَى سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۝ قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۝ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝ قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ۝

[٢٣] ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ﴾ خلقكم ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾ القلوب ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ «ما» مزيدة، والجملة مستأنفة مخبرة بقلة شكرهم جدًا على هذه النعم.

[٢٤] ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ﴾ خلقكم ﴿فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ للحساب.

[٢٥] ﴿وَيَقُولُونَ﴾ للمؤمنين: ﴿مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ وعد الحشر ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فيه.

[٢٦] ﴿قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ﴾ بمجيئه ﴿عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ بين الإنذار.

بعض المتجربين فقال: تأتي به الفؤوس والمعاول! فذهب ماء عينه وعمي، نعوذ بالله من الجراءة على الله وعلى آياته.

سُورَةُ الْقَائِرَةِ

[مكية، ثنتان وخمسون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿ت﴾ أحد حروف الهجاء، الله أعلم بمراده به ﴿وَالْقَائِرَةِ﴾ الذي كتب به الكائنات في اللوح المحفوظ ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ أي: الملائكة من الخير والصلاح.

[٢] ﴿مَا أَنْتَ﴾ يا محمد ﴿بِنِعْمَةِ رَبِّكَ﴾ يعني: انتفى الجنون عنك، بسبب إنعام ربك عليك بالنبوة وغيرها، وهذا رد لقولهم: إنه مجنون.

[٣] ﴿وَأَنَّكَ لَآتٍ بِجَنَّتَيْنِ﴾ مقطوع.

[٤] ﴿وَأَنَّكَ لَمَلَكٌ خَلِيٌّ﴾ دين ﴿عَظِيمٌ﴾.

[٥] ﴿فَسْتَصِيرُ وَتَصِيرُونَ﴾.

[٦] ﴿يَأْتِيَكُمْ الْمَقْتُولُ﴾ مصدر؛ كالمعقول؛ أي: الفتون؛ بمعنى: الجنون؛ أي: أبك أم بهم؟

[٧] ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ له، «وأعلم» بمعنى عالم.

[٨] ﴿فَلَا تُطِيعُ الشَّاكِرِينَ﴾.

[٩] ﴿وَدَاؤُكُمْ﴾ تنموا ﴿لَوْ﴾ مصدرية ﴿تُدْهِنُ﴾ تلين لهم ﴿فَيُدْهِنُونَ﴾ يلينون لك، وهو معطوف على ﴿تُدْهِنُ﴾، وإن جعل جواب التمني المفهوم من «ودوا»، فدر قبله بعد الفاء: «هم».

[١٠] ﴿وَلَا تُطِيعُ كُلَّ حَلَاقِي﴾ كثير الحلف بالباطل ﴿مَهِينٍ﴾ حقير [١١] ﴿هَمَّازٍ﴾ عتاب؛ أي: مغتاب ﴿مَشَّائٍ بِبَنِيٍّ﴾ ساع بالكلام بين الناس، على وجه الإفساد بينهم.

[١٢] ﴿مَنْعٍ لِّلنَّارِ﴾ بخيل بالمال عن الحقوق ﴿مُتَدَرِّجٍ﴾ ظالم ﴿أَنبِيٍّ﴾ أتم. [١٣] ﴿عَتَلٍ﴾ غليظ جاف ﴿بَعْدَ ذَلِكَ رَنِيٍّ﴾ ذمعي في قريش، وهو الوليد بن المغيرة ادعاه أبوه بعد ثمانين سنة، قال ابن عباس^(٤): لا نعلم أن الله وصف أحداً بما وصفه به من العيوب فألحق به عازراً لا يفارقه أبداً، وتعلق بـ«رني» الظرف قبله.

[١٤] ﴿أَنَّ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾ أي: لأن، وهو متعلق بما دل عليه. [١٥] ﴿إِذَا تَنَّتْ عَلَيْهِ أَيْنُنَا﴾ القرآن ﴿قَالَ﴾: هي ﴿أَسْطُرُ الْأَكْرَبِينَ﴾ أي: كذب بها لإنعامنا عليه بما ذكر، وفي قراءة^(٥): ﴿أَنَّ﴾ بهمزتين مفتوحتين.

فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّتَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ ﴿٧﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكِنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابِ إِلِيمِ ﴿٨﴾ قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ عَمَّتَابُ بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ ﴿١٠﴾

سُورَةُ الْقَائِرَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ت وَالْقَائِرَةِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَبْيَعِكُمُ الْمُتَقُونَ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾ فَلَا تُطِيعُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدَاؤُكُمْ تَدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تُطِيعُ كُلَّ حَلَافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَشَّائٍ بِبَنِيٍّ ﴿١١﴾ مَنَّاعٍ لِّلنَّارِ مُعْتَدٍ أَنبِيٍّ ﴿١٢﴾ عَتَلٌ بَعْدَ ذَلِكَ رَنِيٌّ ﴿١٣﴾ أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تَنَّتْ عَلَيْهِ أَيْنُنَا قَالِ اسْطُرُ الْأَكْرَبِينَ ﴿١٥﴾ سَنَسِمْهُ عَلَى الْخُرُومِ ﴿١٦﴾

[٢٧] ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾ أي: العذاب بعد الحشر ﴿زُلْفَةً﴾ قريباً ﴿سَيِّتَتْ﴾ اسودت ﴿وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ﴾ أي: قال الخزنة لهم: ﴿هَذَا﴾ أي: العذاب ﴿الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ﴾ بإنذاره ﴿تَدْعُونَ﴾ أنكم لا تبغون، وهذه حكاية حال تأتي، عبر عنها بطريق المضي؛ لتحقق وقوعها.

[٢٨] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكِنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ﴾ من المؤمنين بعذابه، كما تقصدون ﴿أَوْ رَحِمَنَا﴾ فلم يعذبنا ﴿فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابِ إِلِيمِ﴾ أي: لا مجير لهم منه. [٢٩] ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ عَمَّتَابُ بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ﴾ بالباء والياء^(١)، عند معاينة العذاب ﴿مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ بين، أنحن، أم أنتم، أم هم؟ [٣٠] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا﴾ غائراً في الأرض ﴿فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾ جار؛ تناله^(٢) الأيدي والدلاء كما فكتم؛ أي: لا يأتي به إلا الله - تعالى - فكيف تنكرون أن يبعثكم؟! ويستحب أن يقول القارئ عقب «معين»: الله رب العالمين، كما ورد في الحديث^(٣)، وتليت هذه الآية عند

(١) بالياء قراءة الكسائي.

(٢) في نسخة القاضي: «لا تناله» وهو خطأ بين.

(٣) وهذا الحكم يحتاج إلى دليل من المعصوم ﷺ ولم يرد حديث بذلك.

(٤) وأخرج البخاري (٤٩١٧) عنه قال: ﴿عَتَلٌ بَعْدَ ذَلِكَ رَنِيٌّ﴾، قال: رجل من قريش، له زعنة مثل زعنة الشاة. والزعنة: ما يقطع من أذن الشاة. وقيل: المعنى: أنه الذي يعرف بالشو كما تعرف الشاة بزعمها.

(٥) لحزمة وشعبة، وكذلك ابن عامر لكن مع تسهيل الهجزة الثانية.

[١٦] ﴿سَيَسْمُرُ عَلَ الْمُرْتَابِ﴾ سنجعل على أنه علامة، يُعْمَرُ بها ما عاش، فحُطِمَ أنه بالسيف يوم بدر.

[١٧] ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ﴾ امتحنا أهل مكة بالهط والجوع ﴿كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْبَنَاتِ﴾ البستان ﴿إِذْ أَتَوْا لِصِرْمَتِهَا﴾ يقطعون ثمرتها ﴿مُضِيِّينَ﴾ وقت الصباح؛ كي لا يشعر بهم المساكين؛ فلا يعطونهم منها ما كان أبوهم يتصدق به عليهم منها.

[١٨] ﴿وَلَا يَسْتَنْوُونَ﴾ في يمينهم بمشيقة الله - تعالى - ، والجملة مستأنفة؛ أي: وشأنهم ذلك.

[١٩] ﴿فَلَمَّا عَلِمْنَا لَمَافٍ مِّن رَّبِّكَ﴾ نار أحرقتها ليلاً ﴿وَهُمْ نَائِمُونَ﴾.

[٢٠] ﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾ كالليل الشديد الظلمة؛ أي: سوداء.

[٢١] ﴿فَنَادَوْا مُصِيبِينَ﴾.

[٢٢] ﴿أَنْ أَعْدُوا عَلَيَّ حَرْبًا﴾ عَلَيْكُمْ، تفسير لـ«تنادوا» أو «أن» مصدرية؛ أي: بأن ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ مریدين القطع، وجواب الشرط دل عليه ما قبله.

[٢٣] ﴿فَأَطْلِقُوا وَهَرَبَتْنَ عَنَّا﴾ يتساورون.

[٢٤] ﴿أَنْ لَا يَدْخُلَهَا أَيُّومٌ عَلَيْكَ﴾ تَسِيرُكُمْ، تفسير لما قبله، أو «أن» مصدرية؛ أي: بأن.

[٢٥] ﴿وَنَدَّأَ عَلَيَّ حَرْبٌ﴾ منع للفقراء ﴿قَدِيرِينَ﴾ عليه في ظنهم.

[٢٦] ﴿فَمَّا رَأَوْهَا﴾ سوداء محترقة ﴿فَأَلَّا إِذَا لَمَّالُونَ﴾ عنها؛ أي: ليست هذه.

[٢٧] ثم قالوا لم علموها: ﴿بَلْ نَحْنُ بَعْرُونَ﴾ نمرتها، بمنعنا الفقراء منها.

[٢٨] ﴿فَالْأَوْسَطُ﴾ خيرهم: ﴿أَلْزَأْفَلْ لَكَ لَوْلَا﴾ هَلَا ﴿فَسَيُحُونَ﴾ اللَّهُ تَائِبِينَ.

[٢٩] ﴿فَأَلَّا سُبْحَانَ رَبَّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ يمنع الفقراء حقهم.

[٣٠] ﴿فَأَقْبَل بَعْضُهُمْ عَلَيَّ بَعْضًا يَتَلَوْنَهُ﴾.

[٣١] ﴿فَأَلَّا يَاكَ لِلنَّبِيِّ﴾ وَبَلْنَا هَلَا كُنَّا ﴿إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾.

[٣٢] ﴿عَسَىٰ رَبَّنَا أَنْ يُجِئَنَا﴾ بالتشديد والتخفيف (١) ﴿حَبْرًا نَبِيًّا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾ ليقبل توبتنا، ويرد علينا خيرا من جنتنا، روي أنهم أبدلوا خيرا منها.

[٣٣] ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: مثل العذاب لهؤلاء ﴿الَّذِينَ﴾ لمن خالف أمرنا، من كفر مكة وغيرهم ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ عذابها، ما خالفوا أمرنا.

[٣٤] ونزل لما قالوا: إن بعثنا نُعطى أفضل منكم: ﴿إِنَّ لِلَّذِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ الْتِيمَ﴾.

[٣٥] ﴿فَتَجْمَلُ السُّلَيْمِينُ كَلْبَرُونَ﴾ أي: تابعين لهم في العطاء.

[٣٦] ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ هذا الحكم الفاسد؟.

[٣٧] ﴿أَمْ﴾ أي: بل أ ﴿لَكُمْ كَيْفَ﴾ منزل ﴿فِيهِ تَدْرُسُونَ﴾ أي: تقرأون؟.

[٣٨] ﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهَا مَا تَحْتَرُونَ﴾ تختارون.

[٣٩] ﴿أَمْ لَكُمْ أَنْتُمْ﴾ عهد ﴿عَلَيْنَا بَلِغَةٌ﴾ واثقة ﴿إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾

(١) بالتشديد قراءة نافع وأبي عمرو، وقرأ بقية السبعة بالتخفيف.

(٢) هذا أحد قولي العلماء في تفسير الآية، وأنها ليست من آيات الصفات، وأصحاب هذا القول من السلف لا ينفون عن الله - تعالى - صفة الساق التي ثبتت بالسة الصحيحة، وإنما يثبتونها له - سبحانه - على الوجه اللائق به.

والقول الثاني: أن المراد في الآية هنا أن الله يكشف عن ساقه - سبحانه - ، ويدل على هذا القول ما ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ قال: «يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة...»

الحديث. رواه البخاري (٤٩١٩).

إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَنْوُونَ ﴿١٨﴾ فَمَا عَلِمْنَا لَمَافٍ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَنَادَوْا مُصِيبِينَ ﴿٢١﴾ أَنْ أَعْدُوا عَلَيَّ حَرْبًا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٢﴾ فَأَطْلِقُوا وَهَرَبَتْنَ عَنَّا ﴿٢٣﴾ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا أَيُّومٌ عَلَيْكُمْ مَسِيرِينَ ﴿٢٤﴾ وَعَدُوا عَلَيَّ حَرْبًا إِنْ كَانُوا لَمَّالِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَأَصْحَابُ لُؤْلُؤٍ نَّحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٦﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلْزَأْفَلْ لَكَ لَوْلَا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٧﴾ فَأَقْبَل بَعْضُهُمْ عَلَيَّ بَعْضًا يَتَلَوْنَهُ ﴿٢٨﴾ قَالُوا لَوْلَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾ عَسَىٰ رَبَّنَا أَنْ يُجِئَنَا خَيْرًا مِنَّا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٣٠﴾ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٣١﴾ إِنَّ لِلَّذِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ ﴿٣٢﴾ أَفَتَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٥﴾ إِنْ لَكُمْ فِيهِ لَمَافٍ وَإِن لَكُمْ لَأَنْبَاءٌ عَلَيْنَا بَلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنْ لَكُمْ لَمَّا تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ سَأَهْمُ أَيُّهُمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٣٩﴾ طَبَقًا وَاحِدًا.

متعلق معنى بـ«علينا»، وفي هذا الكلام معنى القسم؛ أي: أقسمنا لكم، وجوابه: [٤٠] ﴿إِنَّ لَكُمْ لَمَّا تَحْكُمُونَ﴾ به لأنفسكم.

[٤١] ﴿سَأَهْمُ أَيُّهُمْ بِذَلِكَ﴾ الحكم الذي يحكمون به لأنفسهم، من أنهم يعطون في الآخرة أفضل من المؤمنين ﴿زَعِيمٌ﴾ كفيل لهم؟ ﴿أَمْ هُمْ﴾ أي: عندهم ﴿شُرَكَاءُ﴾ موافقون لهم في هذا القول، يكفلون به لهم؟ فإن كان كذلك ﴿فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ﴾ الكافلين لهم به ﴿إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾.

[٤٢] اذكر ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ هو عبارة عن شدة الأمر يوم القيامة للحساب والجزاء (٢)؛ يقال: كشفت الحرب عن ساق: إذا اشتد الأمر فيها ﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ﴾ امتحانًا لإيمانهم ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ تصير ظهورهم طبقًا واحدًا.

- [٥٠] ﴿فَأَجْنِبْهُ رَبُّهُ﴾ بالنبوة ﴿فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ الأنبياء.
 [٥١] ﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُرْقِلُونَ﴾ بضم الياء وفتحها (١) ﴿بِأَصْدِرِهِ﴾ ينظرون إليك نظراً شديداً، يكاد أن يصرعك، ويسقطك من مكانك ﴿لَنَا سَمِعُوا الذِّكْرَ﴾ القرآن ﴿وَيَقُولُونَ﴾ حسداً: ﴿إِنَّهُمْ لَمُحْضُونَ﴾ بسبب القرآن الذي جاء به.
 [٥٢] ﴿وَمَا هُوَ﴾ أي: القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾ موعظة ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ الجن والإنس، لا يحدث بسبب جنون.

سُورَةُ الْحَاقَّةِ

[مكية، إحدى، أو: اثنتان وخمسون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- [١] ﴿الْحَاقَّةُ﴾ القيامة، التي يحق فيها ما أنكروا من البعث والحساب والجزاء، أو: المظاهرة لذلك.
 [٢] ﴿مَا لِحَاقَّةٍ﴾ تعظيم لشأنها، وهما: مبتدأ وخبر، خبر: «الحاقَّة» (٢).
 [٣] ﴿وَمَا أَذْرَبُكَ﴾ أعلمك ﴿مَا لِحَاقَّةٍ﴾ زيادة تعظيم لشأنها، ف«ما» الأولى مبتدأ، وما بعدها خبره، و«ما» الثانية وخبرها في محل المفعول الثاني لد«أدرى».
 [٤] ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ﴾ القيامة؛ لأنها تفرع القلوب بأهلها.
 [٥] ﴿فَأَنقَا ثَمُودٌ فَأُهْلِكُوا بِالنَّاصِيَةِ﴾ بالصبحة المجاوزة للحد في الشدة.
 [٦] ﴿وَأَنقَا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ مَّصْرُورٍ﴾ شديد الصوت ﴿عَالِيَةٍ﴾ قوية شديدة على عاد، مع قوتهم وشدتهم.
 [٧] ﴿سَخَّرَهَا﴾ أرسلها بالهجر ﴿عَلَيْهِمْ سَجَّ لِيَالٍ وَتَكْنِيَةَ أَيَّامٍ﴾ أولها من صبح يوم الأربعاء لثمان بقين من شوال، وكانت في عجز الشتاء (٣) ﴿حُسُونًا﴾ متتابعات، شُبهت بتتابع فغل الحاسم، في إعادة الكي على الداء كوة بعد أخرى، حتى ينحسم.
 ﴿فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى﴾ مطروحين هالكين ﴿كَأَنَّهُمْ أَحْمَارٌ﴾ أصول ﴿تَعْلَى حَاوِيَةٍ﴾ ساقطة فارغة.
 [٨] ﴿فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾ صفة «نفس» مقدره (٤)، أو التاء للمبالغة؛ أي: باقى؟ لا.

خَشَعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعُونَ إِلَى اللَّهِ سُجُودًا وَهُمْ سَالِمُونَ ﴿١٣﴾ فَذَرْنِي وَمَنْ يَكْذِبْ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٥﴾ أَمْ تَسْتَأْجِرُهُمْ أَجْرًا قَلِيلًا مِنْ مَعْرَمٍ مُتَقَلَّبُونَ ﴿١٦﴾ أَمْ عِنْدَهُمْ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿١٨﴾ لَوْلَا أَنْ تَذَرِكُهُ رِجْمَةً مِنْ رَبِّهِ لَكُنْتُمْ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿١٩﴾ فَأَجْتَبْتَهُ رَبُّهُ وَفَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُرْقِلُونَ بِأَصْدِرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمُحْضُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٢٢﴾

سُورَةُ الْحَاقَّةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- لِحَاقَّةٍ ﴿١﴾ مَا لِحَاقَّةٍ ﴿٢﴾ وَمَا أَذْرَبُكَ مَا لِحَاقَّةٍ ﴿٣﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادُ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَالِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَمْعَ لِيَالٍ وَتَكْنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُجْرَاءٌ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾
- [٤٣] ﴿خَشَعَةً﴾ حال من ضمير «يدعون»؛ أي: ذليلة ﴿أَصْرُهُمْ﴾ لا يرفعونها ﴿تَرْهَقُهُمْ﴾ تغشاهم ﴿ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعُونَ﴾ في الدنيا ﴿إِلَى السُّجُودِ﴾ وهم سَالِمُونَ ﴿فلا يأتون به، بأن لا يصلوا. [٤٤] ﴿فَذَرْنِي﴾ دعني ﴿وَمَنْ يَكْذِبْ بِهَذَا الْحَدِيثِ﴾ القرآن ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ﴾ نأخذهم قليلاً قليلاً ﴿وَمَنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾. [٤٥] ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ﴾ أمهلهم ﴿إِنِّي كَيْدِي مَتِينٌ﴾ شديد لا يطاق.
 [٤٦] ﴿أَمْ﴾ بل ﴿تَسْتَأْجِرُهُمْ﴾ على تبليغ الرسالة ﴿أَجْرًا قَلِيلًا مِنْ مَعْرَمٍ﴾ مما يعطونك ﴿مُتَقَلَّبُونَ﴾ فلا يؤمنون لذلك؟
 [٤٧] ﴿أَمْ عِنْدَهُ الْغَيْبُ﴾ أي: اللوح المحفوظ، الذي فيه الغيب ﴿فَهُمْ يَكْتُمُونَ﴾ منه ما يقولون؟

- [٤٨] ﴿فَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ فيهم بما يشاء ﴿وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾ في الضجر والعجلة، وهو يونس التَّاسِيَةُ ﴿إِذْ نَادَى﴾ دعا ربه ﴿وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ مملوء غمًا في بطن الحوت.
 [٤٩] ﴿لَوْلَا أَنْ تَذَرِكُهُ﴾ أدركه ﴿رِجْمَةً﴾ رحمة ﴿مِنْ رَبِّهِ لَكُنْتُمْ بِالْعَرَاءِ﴾ من بطن الحوت ﴿بِالْعَرَاءِ﴾ بالأرض الفضاء ﴿وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ لكنه رجم فليد غير مذموم.

(١) بالفتح قراءة نافع.

(٢) أي: وجملة المبتدأ والخبر: خبر «الحاقَّة».

(٣) الأولى عدم تعيين هذه الأيام، على هذا النحو، من غير دليل صحيح يُصار إليه. ويكفي إطلاق القرآن أنها «سبع ليال وثمانية أيام».

(٤) أي: «من نفس باقية».

[٩] ﴿وَيْمَاءٌ يَرَوْنَ وَنَن يُبْقِلُهُ﴾^(١) أتباعه، وفي قراءة بفتح القاف وسكون الباء أي: مَنْ تقدمه من الأمم الكافرة ﴿وَالَّذِينَ كُفُّوا أَعْيُنُهُمْ﴾ أي: أهلها، وهي قري قوم لوط ﴿بِالْحَاطِطَةِ﴾ بالفعلات ذات الخطأ.

[١٠] ﴿فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ﴾ أي: لوطاً وغيره ﴿فَلَخَدَهُمْ أَخَذَهُ رَبِّيَّةٌ﴾ زائدة في الشدة على غيرها.

[١١] ﴿إِنَّا لَنَّا طَعْنَا أَلَمَهُ﴾ علا فوق كل شيء، من الجبال وغيرها، زمن الطوفان ﴿حَمَلْنَا كُرًّا﴾ يعني آباءكم؛ إذ أنتم في أصلابهم ﴿فِي لَمَّارِيَّةٍ﴾ السفينة التي عملها نوح، ونجا هو ومن كان معه فيها، وغرق الباقون.

[١٢] ﴿لِيَجْزِلَنَّهُا﴾ أي: هذه الفعلة وهي إغناء المؤمنين، وإهلاك الكافرين ﴿لَكُرٍّ نَذْرَةٍ﴾ عظة ﴿وَتِيهًا﴾ ولتحفظها ﴿أَذُنٌ رَّصِيَّةٌ﴾ حافظة لما تسمع.

[١٣] ﴿فَإِذَا نَبَّخَ فِي الصُّورِ نَفْحَةً وَجِدَةً﴾ للفصل بين الخلائق، وهي الثانية.

[١٤] ﴿وَحُمِلَتْ﴾ رفعت ﴿الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَذُكُّنَا﴾ دفنا ﴿ذِكَّةً وَجِدَةً﴾.

[١٥] ﴿فَيَوْمَئِذٍ قَامَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ قامت القيامة.

[١٦] ﴿وَأَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَفِي يَوْمِئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ ضعيفة.

[١٧] ﴿وَالْمَلَائِكُ﴾ يعني الملائكة ﴿عَلَى أَرْسَابِهَا﴾ جوانب السماء ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ﴾ أي: الملائكة المذكورين ﴿يَوْمَئِذٍ مُّخَيَّبَةٌ﴾ من الملائكة، أو من صفوفهم.

[١٨] ﴿يَوْمَئِذٍ نَعْرَضُونَ﴾ للحساب ﴿لَا تَحْفَى﴾ بالناء والياء^(٢) ﴿يَسْكُرُ حَافِيَةً﴾ من السرائر.

[١٩] ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِرَيْبِيهِ﴾ يَقُولُ ﴿خَطَابًا لِّجَمَاعَتِهِ لِمَا شَرَّ بِهِ: هَاؤُمُ﴾ خذوا ﴿أَفْرَعُوا كِتَابَهُ﴾ تنازع فيه «هاؤم» و«افرعوا»^(٣).

[٢٠] ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلْكٌ حَسْبِيَّةٌ﴾.

[٢١] ﴿فَهُوَ فِي عَيْشِهِ رَاضِيَةٌ﴾ مرضية.

[٢٢] ﴿فِي حَسْبَةٍ عَالِيَةً﴾.

[٢٣] ﴿فَقَطَّوْفَهَا﴾ ثمارها ﴿وَدَائِيَةً﴾ قريبة، يتناولها القائم والقاعد والمضطجع.

[٢٤] فيقال لهم: ﴿كُلُوا وَأَشْرَبُوا حَيْثُ بَأْسٌ﴾ حال؛ أي: متبهتين ﴿بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ الماضية في الدنيا.

[٢٥] ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ﴾ يَقُولُ يَا ﴿لِنتيبي لَرَأُونَ كِتَابِيَّةً﴾.

[٢٦] ﴿وَلَرَأُونَ مَا حَسْبِيَّةٌ﴾.

[٢٧] ﴿يَلْتَبِتُهَا﴾ أي: الموتة في الدنيا ﴿كَانَتْ الْقَاضِيَةَ﴾ القاطعة لحياتي، بأن لا أبعث.

[٢٨] ﴿مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَّةٌ﴾.

[٢٩] ﴿هَلَاكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ﴾ قوتي وحجتي، وهاء «كتابه» و«حسابيه» و«ماليه» و«سلطانيه» للسكت تثبت وقتاً ووصلاً؛ اتباعاً للمصحف الإمام

(١) وهي قراءة الكسائي وأبي عمرو، وقراءة نبيه السبعة: ﴿قَبْلَهُ﴾ بفتح القاف وسكون الباء.

(٢) بالياء قراءة حمزة والكسائي.

(٣) التنازع هو: توجه عاملين إلى معقول واحد. والعمالان هنا هما: «هاؤم» و«افرعوا»، والمعقول هو: «كتابه» فأيهما أعلمت، فيقدر للأخر مفعوله، وقد عمل الثاني عند البصريين، والأول عند الكوفيين، وأضمر في الآخر، وحذف لأنه فضلة.

(٤) أي عن النبي ﷺ.

(٥) أي السبعة، وهو حمزة، والعشرة، وهو يعقوب.

والنقل^(٤)، ومهم^(٥) من حذفها وصلًا.

[٣٠] ﴿خُدُّوهُ﴾ خطاب لخرنثة جهنم ﴿فَعَلُّوهُ﴾ اجتمعوا يديه إلى عنقه في الغُل.

[٣١] ﴿قُرٌّ لِلْجَحِيمِ﴾ النار المحرقة ﴿سَوَّوهُ﴾ أدخلوه.

[٣٢] ﴿قُرٌّ فِي سَلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا﴾ بذراع الصلْك ﴿فَأَسْلَكُوهُ﴾ أدخلوه فيها بعد إدخاله النار، ولم تمتع الفاء من تعلق الفعل بالظرف المتقدم.

[٣٣] ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ﴾.

[٣٤] ﴿وَلَا يُحِصُّ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾.

يُنْزِلُ مِنْ أَسْفَلٍ هُوَ اسْمُ «مَا»، وَ«مِنْ» زَائِدَةٌ لِتَأْكِيدِ النَّفْيِ، وَ«مِنْكُمْ» حَالٌ مِنْ «أَحَدٍ»
 ﴿عَنْ حَجْرِينَ﴾ مَعْنَى خَيْرِ «مَا»، وَجُمِعَ لِأَنَّ «أَحَدًا» فِي سِيَاقِ النَّفْيِ مَعْنَى
 الْجَمْعِ، وَضَمِيرُ «عَنْهُ» لِلنَّبِيِّ ﷺ؛ أَي: لَا مَانِعَ لَنَا عَنْهُ، مِنْ حَيْثُ الْعِقَابُ.
 [٤٨] ﴿وَإِنَّهُ﴾ أَي: الْقُرْآنُ ﴿لَنْذَرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾. [٤٩] ﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمَنَّ أَنَّ
 مِنْكُمْ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ ﴿شُكْرًا﴾ بِالْقُرْآنِ، وَمُصَدِّقِينَ. [٥٠] ﴿وَإِنَّهُ﴾ أَي:
 الْقُرْآنُ ﴿لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ إِذْ رَأَوْا ثَوَابَ الْمُصَدِّقِينَ، وَعِقَابَ الْمُكْذِبِينَ بِهِ
 ﴿وَإِنَّهُ﴾ أَي: الْقُرْآنُ ﴿لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾ أَي: لِلْيَقِينِ الْحَقُّ. [٥١] ﴿فَسَبِّحْهُ﴾ نَزْهُ
 ﴿وَأَسْمِرْ﴾ زَائِدَةٌ (٧) ﴿رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ سُبْحَانَهُ.

سورة الماعجাজ

[مكية، أربع وأربعون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- [١] ﴿سَأَلَ سَائِلٌ﴾ دَعَا دَاعٍ ﴿بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾.
- [٢] ﴿لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُمْ دَافِعٌ﴾ هُوَ النَّصْرُ بْنُ الْحَارِثِ (٤)، قَالَ: ﴿اللَّهُمَّ
 إِنْ كَانَتْ هَذِهِ هُوَ الْحَقُّ﴾ الْآيَةَ (٥).
- [٣] ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ مُتَّصِلٌ بِوَقَاعٍ ﴿ذِي الْمَعَارِجِ﴾ مُصَاعِدِ الْمَلَائِكَةِ، وَهِيَ
 السَّمَاوَاتُ.
- [٤] ﴿تَنْزِيلٌ﴾ الْبِنَاءُ وَالْبَيَاءُ (١) ﴿الْمَلَكُوتِ وَالرُّوحِ﴾ جِبْرِيلُ ﴿إِلَيْهِ﴾ إِلَى
 مَهبطِ أَمْرِهِ مِنَ السَّمَاءِ (٢) ﴿فِي يَوْمٍ﴾ مُتَّعِلٌ بِمَحذُوفٍ؛ أَي: يَقَعُ الْعَذَابُ بِهِمْ
 فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴿كَأَنَّ يَمْدَادُ حَمِيمٍ﴾ حَمِيمٌ أَلْفٌ سَنَدٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْكَافِرِ، لَمَا يَلْقَى
 فِيهِ مِنَ الشَّدَائِدِ، وَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَكُونُ أَحْفَى عَلَيْهِ مِنْ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ يَصِلُهَا فِي
 الدُّنْيَا؛ كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ (٨).
- [٥] ﴿فَاصْبِرْ﴾ وَهَذَا قَبْلُ أَنْ يُؤْمَرَ بِالْقِتَالِ ﴿صَبْرًا جَمِيلًا﴾ أَي: لَا جُرْعَ
 فِيهِ.
- [٦] ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ﴾ أَي: الْعَذَابَ ﴿بَعِيدًا﴾ غَيْرَ وَاقِعٍ.
- [٧] ﴿وَزَنَهُ قَرِيبًا﴾ وَاقِعًا لَا مُحَالَةً.
- [٨] ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ﴾ مُتَّعِلٌ بِمَحذُوفٍ أَي: يَقَعُ ﴿كَالْمُهْلِ﴾ كَذَابِ
 الْفِضَّةِ.
- [٩] ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾ كَالصُّوفِ؛ فِي الْخِفَةِ وَالطَّيْرَانِ بِالرِّيْحِ.
- [١٠] ﴿وَلَا يَسْئَلُ حِمِيمٌ حَمِيمًا﴾ قَرِيبٌ قَرِيبُهُ؛ لِاسْتِغْثَالِ كُلِّ بِحَالِهِ.

وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَشَلِينَ ﴿لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾ فَلَا أَقْسَمُ
 بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿وَمَا هُوَ
 يَقُولُ شَاعِرٌ قَلِيلًا مَّا تُوْمَنُونَ ﴿١﴾ وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَّا تَدَّكُرُونَ
 ﴿٢﴾ نَزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤﴾
 لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٦﴾ فَمَا مِنْكُمْ
 مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِيزٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُ لَتَذِكْرٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّا
 لَنَعْلَمَنَّ أَنَّ مِنْكُمْ مُّكْذِبِينَ ﴿٩﴾ وَإِنَّا وَلِحَسْرَةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ
 ﴿١٠﴾ وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ﴿١١﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿١٢﴾

سورة الماعجাজ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ﴿٢﴾
 مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَنْزِيلٌ مِنَ السَّمَاءِ وَالرُّوحِ إِلَيْهِ
 فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا
 ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَزَنَهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ
 كَالْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْئَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾

[٣٥] ﴿فَلَيْسَ لَهُ نَاصِرٌ مِمَّنْ هُنَا جَمِيمٌ﴾ قَرِيبٌ يَنْتَفِعُ بِهِ. [٣٦] ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَشَلِينَ﴾
 صَدِيدِ أَهْلِ النَّارِ أَوْ شَجَرِ فِيهَا. [٣٧] ﴿لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾
 الْكَافِرُونَ. [٣٨] ﴿وَإِنَّا﴾ «لَا» زَائِدَةٌ ﴿أَقْسَمُ بِمَا تُبْصِرُونَ﴾ مِنَ الْمَحَلُّوَاتِ.
 [٣٩] ﴿وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾ مِنْهَا؛ أَي: بِكُلِّ مَحَلُّوَةٍ [٤٠] ﴿وَإِنَّهُ﴾ أَي: الْقُرْآنُ
 ﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ أَي: قَالَهُ رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ - تَعَالَى .. [٤١] ﴿وَمَا هُوَ يَقُولُ
 شَاعِرٌ قَلِيلًا مَّا تُوْمَنُونَ﴾. [٤٢] ﴿وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَّا تَدَّكُرُونَ﴾ بِالْبِنَاءِ
 وَالْبَيَاءِ (١) فِي الْفَعْلَيْنِ، وَ«مَا» مُزِيدَةٌ مُؤَكِّدَةٌ، وَالْمَعْنَى: أَنَّهُمْ آمَنُوا بِأَشْيَاءَ يَسِيرَةٍ
 وَتَدَّكُرُوا، مِمَّا أَتَى بِهِ النَّبِيُّ ﷺ، مِنَ الْخَيْرِ وَالصَّلَةِ وَالْعَفَافِ فَلَمْ تَغْنِ عَنْهُمْ
 شَيْئًا. [٤٣] بَلْ هُوَ ﴿نَزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. [٤٤] ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ﴾ أَي: النَّبِيُّ
 ﴿عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ﴾ بَلْ قَالَ عَلَيْنَا مَا لَمْ نَقُلْهُ. [٤٥] ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ لِيَلْمَنَا
 بِمَنْدَقَاتِهِ﴾ عَقَابًا ﴿بِالْيَمِينِ﴾ بِالْقُوَّةِ وَالْقُدْرَةِ (٢). [٤٦] ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾
 نِيَاطَ الْقَلْبِ، وَهُوَ عِرْقٌ مُتَّصِلٌ بِهِ، إِذَا انْقَطَعَ مَاتَ صَاحِبُهُ. [٤٧] ﴿فَمَا مِنْكُمْ

(١) بالياء قراءة ابن كثير وابن عامر في الفعلين: «يؤمنون»، ويتدكرون.
 (٢) تفسير اليمين بالقوة والقدرة بخلاف ظاهر اللفظ عدول به عنه، ولو قال: لأنها أشد في البطش، أو أقوى، لكان أوضح وأظهر، مع ما فيها من إثبات صفة اليمين لله ﷻ على الوجه اللائق به،
 وكلنا يديه سبحانه يمين. كما عند مسلم وغيره (١٨٢٧) من حديث عبد الله بن عمرو.
 (٣) أي: البناء، كما تقدم، وليس لفظة «اسم».
 (٤) قاله ابن عباس، كما عند النسائي في تفسيره (٤٦٣/٢ رقم ٦٤٠)، وحسنه في الاستيعاب (٤٥٧/٣).
 (٥) قال: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذِهِ هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِدِكَ فَاطْمَئِنِّ عَلَيْنَا جِسَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ أَثْبِتْنَا بِعَذَابِ الْيَوْمِ الْأَنْفَالِ: ٣٢.
 (٦) وهذا من تأويل المعطلة الذين ينفون علو الله - سبحانه - بذاته على خلقه، وفي الآية إثبات عروج الملائكة إلى الله - سبحانه - ..
 (٧) بالياء قراءة الكسائي.
 (٨) حديث أبي سعيد الخدري عند أحمد وغيره، وضعفه الألباني، وانظر التعليق على الآية رقم (٥) من سورة السجدة.

[١١] ﴿يَصْرُوفُهُمْ﴾ أي: يبصر الأجناء بعضهم بعضاً، ويتعارفون ولا يتكلمون، والجملة مستأنفة ﴿يُؤَدُّ الْمُتْرَمِّمُ﴾ يمتنى الكافر ﴿تَوَّجَّهْتُ﴾ بمعنى «أن» ﴿يَقْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِيذٍ﴾ بكسر الميم وفتحها^(١) ﴿يَسْبِيهِ﴾.

[١٢] ﴿وَصَحْبِيَّتِهِ﴾ زوجته ﴿وَأُجْرِيهِ﴾.

[١٣] ﴿وَفَصِيلَتِهِ﴾ عشيرته؛ لفصله منها ﴿أَلَّتْهُ تَوْبِيهِ﴾ تضمه.

[١٤] ﴿وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُبْجِيهِ﴾ ذلك الافتداء، عطف على «يفندي».

[١٥] ﴿كَلَّا﴾ ردٌّ لما يؤذيه ﴿إِنَّمَا﴾ أي: النار ﴿لَطْفِي﴾ اسم لجهنم؛ لأنها تلظني؛ أي: تلهب على الكفار.

[١٦] ﴿زُرَاعَةُ لِلشَّوِيِّ﴾ جمع «شواة»، وهي جلدة الرأس.

[١٧] ﴿تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى﴾ عن الإيمان؛ بأن تقول: إليّ إليّ.

[١٨] ﴿وَجَمَعَ﴾ المال ﴿فَأَرْعَى﴾ أمسكه في وعائه، ولم يؤد حق الله منه.

[١٩] ﴿إِنَّ الْأِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ حال مقدره، وتفسيره:

[٢٠] ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جُرُوعًا﴾ وقت مس الشر.

[٢١] ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ وقت مس الخير؛ أي: المال، لحق الله منه.

[٢٢] ﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾ أي: المؤمنين.

[٢٣] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ مواظبون.

[٢٤] ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ﴾ هو الزكاة.

[٢٥] ﴿لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ المتعفف عن السؤال؛ فيخرم.

[٢٦] ﴿وَالَّذِينَ يَصَّدَّقُونَ يَوْمَ الَّذِينَ﴾ الجزاء.

[٢٧] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾ خائفون.

[٢٨] ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَا تُوعَدُونَ﴾ نزوله.

[٢٩] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِغُرُوحِهِمْ حَافِظُونَ﴾.

[٣٠] ﴿إِلَّا عَلَىٰ أَرْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ من الإماء ﴿فَلَا تَنْهَىٰ عَنْهُمُ﴾

[٣١] ﴿وَمَنْ أَتَىٰكَ مِنْ ذَلِكَ فَاعْلَمْ أَنَّهُ الْمَجْرُومُ﴾ المتجاوزون الحلال إلى الحرام.

[٣٢] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْثَلِهِمْ﴾ وفي قراءة^(٢) بالإفراد؛ ما اتسموا عليه من أمر الدين والدنيا ﴿وَعَهْدِهِمْ﴾ المأخوذ عليهم في ذلك ﴿رُغُوعُونَ﴾ حافظون.

[٣٣] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ﴾^(٣) وفي قراءة بالجمع ﴿قَائِلُونَ﴾ يقيمونها ولا يكتمنونها.

[٣٤] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ بأدائها في أوقاتها.

[٣٥] ﴿أُولَٰئِكَ فِي جَنَّةٍ مُّكْرَمُونَ﴾.

يُصْرُوفُهُمْ يُؤَدُّ الْمُتْرَمِّمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِيذٍ بِبَنِيهِ

وَصَحْبِيَّتِهِ وَأُجْرِيهِ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤَيِّبُهَا وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا

ثُمَّ يُبْجِيهِمْ كَلَّا إِنَّهَا لَطْفِي نَزَاعَةٌ لِلشَّوِيِّ تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ

وَتَوَلَّى وَجَمَعَ فَأَرْعَى إِنَّ الْأِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ

جُرُوعًا وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا إِلَّا الْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ

عَنْ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ لِلسَّائِلِ

وَالْمَحْرُومِ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ عَذَابِ

رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَا تُوعَدُونَ وَالَّذِينَ هُمْ

لِغُرُوحِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَىٰ أَرْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ

فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ فَمَنْ أَتَىٰكَ مِنْ ذَلِكَ فَاعْلَمْ أَنَّهُ الْمَجْرُومُ

وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْثَلِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رُغُوعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِلُونَ

وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ أُولَٰئِكَ فِي جَنَّةٍ مُّكْرَمُونَ

فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ لَهُمْ هَاطُوا عَنِ الِجْمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ

عَرِيزِينَ يُطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ

مِمَّا يَعْلَمُونَ فَلَا أَقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ

[٣٦] ﴿فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِيلَ لَهُمْ﴾ نحوك ﴿مُهَيَّبِينَ﴾ حال؛ أي: مدمي النظر.

[٣٧] ﴿عَنِ الِجْمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ﴾ منك ﴿عَرِيزِينَ﴾ حال - أيضًا؛ أي: جماعات حلقًا حلقًا، يقولون استهزاء بالمؤمنين: لمن دخل هولاء الجنة لندخلها قبلهم.

[٣٨] قال تعالى: ﴿يُطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾.

[٣٩] ﴿كَلَّا﴾ ردع لهم عن طمعهم في الجنة ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ﴾ كغيرهم ﴿مِمَّا يَعْلَمُونَ﴾ من نطف، فلا يُطمع بذلك في الجنة، وإنما يُطمع فيها بالنقوى.

(١) بالفتح قراءة نافع والكسائي.

(٢) لابن كثير.

(٣) وهي قراءة السبعة عدا حفص، وقرأ حفص بالجمع: ﴿بشهاداتهم﴾.

سورة نوح

[مكية، ثمان، أو: تسع وعشرون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- [١] ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ إن لم يؤمنوا ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم في الدنيا والآخرة.
- [٢] ﴿قَالَ يَقُولُونَ إِنِّي لَكُلِّمٌ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ بين الإنذار.
- [٣] ﴿أَنْ﴾ أي: بأن أقول لكم: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا﴾.
- [٤] ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ «من» زائدة، فإن الإسلام يُغفر به ما قبله، أو: تبعيضية؛ لإخراج حقوق العباد ﴿وَيُؤَخِّرَكُمْ﴾ بلا عذاب ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ أجل الموت ﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ﴾ بعذابكم إن لم تؤمنوا ﴿إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ذلك لآمتنم.
- [٥] ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾ أي: دائماً متصلاً.
- [٦] ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَايَ إِلَّا زُرَّارًا﴾ عن الإيمان.
- [٧] ﴿وَإِنِّي كُنْتُ مَدْعُوهُمْ لِيَتَّقُوا اللَّهَ فَاسْتَفْسَحُوا لِيَتَّقُوا اللَّهَ﴾ لئلا يسمعوا كلامي ﴿وَاسْتَفْسَحُوا لِيَتَّقُوا اللَّهَ﴾ غطوا رؤوسهم بها؛ لئلا ينظروني ﴿وَاسْتَفْسَحُوا﴾ على كفرهم ﴿وَاسْتَفْسَحُوا﴾ تكبروا عن الإيمان ﴿أَسْتَكْبَرُوا﴾.
- [٨] ﴿فَدَعَا رَبِّي دَعْوَةً جَهَارًا﴾ أي: بأعلى صوتي.
- [٩] ﴿ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ صَوْتِي وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾.
- [١٠] ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ من الشرك ﴿إِنَّهُ كَانَ عَفَّارًا﴾.

سورة نوح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَقُولُونَ إِنِّي لَكُلِّمٌ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٢﴾ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَايَ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُنْتُ مَدْعُوهُمْ لِيَتَّقُوا اللَّهَ فَاسْتَفْسَحُوا لِيَتَّقُوا اللَّهَ ﴿٧﴾ وَإِنِّي كُنْتُ مَدْعُوهُمْ لِيَتَّقُوا اللَّهَ فَاسْتَفْسَحُوا لِيَتَّقُوا اللَّهَ ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾

- [٤٠] ﴿فَلَا﴾ «لا» زائدة ﴿أَقِيم رَبِّكَ النَّبِيَّ وَالتَّوْبَةَ لِلشَّمْسِ وَالْقَمَرِ﴾ وسائر الكواكب ﴿إِنَّا لَقَدْرُونَ﴾.
- [٤١] ﴿عَلَىٰ أَنْ يُبَدَّلَ﴾ تأتي بدلهم ﴿خَيْرًا يُغْنِي عَنْهُمْ وَيَمْسُحُ بِرُءُوسِهِمْ﴾ بعاجزين عن ذلك.
- [٤٢] ﴿فَدَرَّهْمٌ﴾ اتركهم ﴿يُخَوِّضُوا﴾ في باطلهم ﴿وَيَلْعَبُوا﴾ في دنياهم ﴿حَتَّىٰ يُلَاقُوا﴾ بلقوا ﴿يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ فيه العذاب.
- [٤٣] ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾ القبور ﴿يَرَاءُكَا﴾ إلى الحشر ﴿كَاثِمَةً﴾ إلى ﴿نَضْبٍ﴾^(١) وفي قراءة بضم الحرفين؛ شيء منصوب؛ كعلم أو راية ﴿يُؤْفَضُونَ﴾ يسرعون.
- [٤٤] ﴿خَشِيعَةً﴾ ذليلة ﴿أَبْصَرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ﴾ تغشاهم ﴿ذَلِكَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ «ذلك» مبتدأ، وما بعدها الخبر، ومعناه: يوم القيامة.

(١) وهي قراءة السبعة عدا حفص وابن عامر، وقرأ حفص وابن عامر: ﴿نَضْبٍ﴾ بضم النون والصاد.

(٢) في نسخة القاضي: «يصروني».

وهم الذين ذكروا في قوله - تعالى -: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ﴾ الآية (٢) ﴿فَقَالُوا﴾ لقومهم لما رجعوا إليهم: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ يتعجب منه؛ في فصاحته وغازرة معانيه، وغير ذلك.

[٢] ﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾ الإيمان والصواب ﴿فَقَامَنَا بِرُّهُ﴾ وَكُنْ نُفَرًا بِرُّهُ بعد اليوم ﴿بِرِّيًّا أَحَدًا﴾.

[٣] ﴿وَأَنَّهُ﴾ الضمير للشأن، فيه وفي الموضعين بعده ﴿تَعَلَّى جَدُّ رَبِّنَا﴾ تنزهه جلالة وعظمته، عما نسب إليه ﴿مَا أَخَذَ صَاحِبَةٌ﴾ زوجة ﴿وَلَا وَلَدًا﴾.

[٤] ﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا﴾ جاهلنا ﴿عَلَى اللَّهِ سَطَطًا﴾ غلوا في الكذب؛ بوصفه بالصاحبة والولد.

[٥] ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن﴾ مخففة؛ أي: أنه ﴿أَنَّ نَقُولَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بوصفه بذلك، حتى تبينا كذبهم بذلك.

[٦] قال - تعالى -: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يُوقُونَ﴾ يستعيذون ﴿بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ﴾ حين ينزلون في سفرهم بمخوف، فيقول كل رجل: أعوذ بسيد هذا المكان من شر سفهائه ﴿فَرَادَوْهُمْ﴾ بعدوهم بهم ﴿رَهَقًا﴾ فقالوا: شذنا الجن والإنس.

[٧] ﴿وَأَنَّهُمْ﴾ أي: الجن ﴿ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ﴾ يا إنس ﴿أَنَّ﴾ مخففة من الثقيلة؛ أي: أنه ﴿أَنَّ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا﴾ بعد موته.

[٨] قال الجن: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ﴾ زُنا استراق السمع ﴿فَوَجَدْنَا فِيهَا﴾ من الملائكة ﴿شَدِيدًا وَسَهْبًا﴾ نجومًا مُخْرِقَةً، وذلك لما بعث النبي ﷺ.

[٩] ﴿وَأَنَّا كُنَّا﴾ أي: قبل بعثته ﴿نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدًا لِّلسَّمْعِ﴾ أي: نستسمع ﴿فَمَن يَسْمَعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّسَدًا﴾ أُرْصِدْ لَهُ لِيُرْمَى بِهِ.

[١٠] ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أُرِيدُ﴾ بعد استراق السمع ﴿وَمِنَ فِي الْأَرْضِ أَرَادَ إِلَيْهِمْ رَهْمٌ رَّسَدًا﴾ خيرا.

[١١] ﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ﴾ بعد استماع القرآن ﴿وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ﴾ أي: قوم غير صالحين ﴿كَمَا طَرِيقَ قَدَدَا﴾ فِرْقًا مختلفين؛ مسلمين وكافرين.

[١٢] ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن﴾ مخففة من الثقيلة؛ أي: إنه ﴿لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا﴾ لا نفوته كائنين في الأرض، أو: هارين منها في السماء.

[١٣] ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْمَدَى﴾ القرآن ﴿ءَامَنَّا بِهِ﴾ فَمَن يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ﴾ بتقدير: «هو» بعد الفاء ﴿بِحَسَابٍ﴾ نقضا من حسناته ﴿وَلَا رَهَقًا﴾ ظلما؛ بالزيادة في سيئاته.

سورة الجن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُ وَتَعَلَّى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ سَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَنْ نَقُولَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَا فِيهَا هَلَكًا مِّنْ حَرِّ سَاءِ شَدِيدًا وَشُهَبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدًا لِّلسَّمْعِ فَمَن يَسْمَعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّسَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أُرِيدَ بَيْنَ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كَمَا طَرِيقَ قَدَدَا ﴿١١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْمَدَى الْعُدَىٰ ءَامَنَّا بِهِ فَمَن يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَحْسَ الْأَوْلِيَاءِ أَلَّا يَقُولُوا مَاذَا سَمِعْتُمْ ﴿١٣﴾

سورة الجن

[مكية، ثمان وعشرون آية]*

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿قُلْ﴾ يا محمد للناس: ﴿أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ أي: أخبرت بالوحي من الله - تعالى - ﴿وَأَنَّهُ﴾ الضمير للشأن ﴿اسْتَمَعَ﴾ لقراءتي ﴿نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ جن نصيبين، وذلك في صلاة الصبح بطن نخل^(١) (موضع بين مكة والطائف)،

(٥) ما جاء في نزول السورة: أخرج البخاري عن ابن عباس قال: انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ، وقد حبل بين الشياطين وخبر السماء وأرسلت عليهم الشهب، فرجعت الشياطين فقالوا: ما لكم؟ فقالوا: حبل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب. قال: ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا ما حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها فانظروا ما هذا الأمر الذي حدث، فانطلقوا فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها ينظرون ما هذا الأمر الذي حال بينهم وبين خبر السماء. قال: فانطلق الذين توجهوا نحو تهامة إلى رسول الله ﷺ بنخلة وهو عامد إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن سمعوا له، فقالوا: هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فهناك رجعوا إلى قومهم فقالوا: يا قومنا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد فآمننا به ولن نشرك بربنا أحدا، وأنزل الله ﷻ على نبيه ﷺ: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ وإنما أوحى إليه قول الجن. البخاري. كتاب التفسير (٦٥) سورة ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ (٧٢) باب (١).

(١) الصواب: «بطن نخلة» كما تقدم في تفسير سورة الأحقاف الآية (٢٩). «بطن نخلة»: موضع بين مكة والطائف. أما «بطن نخل»: فهو موضع في نجد على بعد ليلتين من المدينة.

(٢) الأحقاف: ٢٩.

[١٤] ﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ﴾ الجائرُونَ بكفرهم ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّتْ رُسُلُهُمْ﴾ قصودوا هداية.

[١٥] ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ وقوداً، و﴿أَنَّا﴾ و﴿أَنَّهُمْ﴾ و﴿أَنَّهُ﴾ في اثني عشر موضعاً؛ هي: ﴿وَأَنَّهُ مَكَلَّ﴾ و﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ﴾ وما بينهما، بكسر الهمزة: استئنافاً، وفتحها^(١) بما يوجه به.

[١٦] قال - تعالى - في كفار مكة: ﴿وَأَنَّهُ﴾ ن مخففة من الثقيلة، واسمها محذوف؛ أي: وأنهم، وهو معطوف على ﴿أَنَّهُ استمع﴾ ﴿لَوْ أَسْتَقَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ﴾ أي: طريقة الإسلام ﴿لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً عَذْبًا﴾ كثيراً من السماء، وذلك بعد ما رفع المطر عنهم سبع سنين.

[١٧] ﴿لِنُفِثَنَّهُمْ﴾ لنختبرهم ﴿فِيهِ﴾ فنعلم كيف شكرهم، علم ظهور ﴿وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ﴾ القرآن ﴿نَسْلُكُهُ﴾ بالنون والياء^(٢)؛ ندخله ﴿عَذْبًا صَعْدًا﴾ شاقاً.

[١٨] ﴿وَأَنَّ السَّجْدَ﴾ مواضع الصلاة ﴿لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا﴾ فيها ﴿مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ بأن تشركوا، كما كانت اليهود والنصارى، إذا دخلوا كنائسهم ويصومهم أشركوا.

[١٩] ﴿وَأَنَّهُ﴾ بالفتح، والكسر^(٣) استئنافاً، والضمير للشأن ﴿لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ﴾ محمد النبي ﷺ ﴿يَدْعُوهُ﴾ يعبدُه بيطن نخل^(٤) ﴿كَأَدْوَاهُ﴾ أي: الجن المستمعون لقراءته ﴿يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِيكًا﴾ بكسر اللام وضمها^(٥)؛ جمع ليدة؛ كاللبد في ركوب بعضهم بعضاً ازدحاماً، حرصاً على سماع القرآن.

[٢٠] ﴿قَالَ﴾^(٦) ﴿مَجِيبًا لِلْكَفَّارِ فِي قولهم: ارجع عما أنت فيه، وفي قراءة: ﴿قُلْ﴾: ﴿إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي﴾ إِلَهًا ﴿وَلَا أَشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾.

[٢١] ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ صَرًّا﴾ غِيًّا ﴿وَلَا رَحْمَةً﴾ حِمِيزًا.

[٢٢] ﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ﴾ من عذابه إن عصيته ﴿أَمَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ﴾ أي: غيره ﴿مُلْتَحَدًا﴾ ملجأً.

[٢٣] ﴿وَلَا بَلَاغًا﴾ استثناء من مفعول ﴿أَمْلِكُ﴾؛ أي: لا أملك لكم إلا البلاغ إليكم ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ أي: عنهُ ﴿وَرِسَالَتِي﴾ عطف على ﴿بَلَاغًا﴾، وما بين المستثنى منه والاستثناء اعتراض؛ لتأكيد نفي الاستطاعة ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ في التوحيد، فلم يؤمن ﴿وَإِنْ لَمْ تَرَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ﴾ حال من ضمير ﴿مَنْ﴾ في: ﴿لَهُ﴾ رعاية لمنها، وهي حال مقدرة، والمعنى: يدخلونها مُقَدَّرًا خلودهم ﴿فِيهَا أَبَدًا﴾.

[٢٤] ﴿حَقٌّ إِنَّا نُرَاوُكُمُ﴾ ابتدائية، فيها معنى الغاية لمقدر قبلها؛ أي: لا يزالون على كفرهم، إلى أن يروا ﴿مَّا يُوعَدُونَ﴾ به من العذاب ﴿فَسَيَعْلَمُونَ﴾ عند حلوله بهم يوم بدر، أو: يوم القيامة ﴿مَنْ أضعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا﴾ أعواناً، أهم أم المؤمنون؟ على القول الأول، أو: أنا أم هم؟ على الثاني.

[٢٥] فقال بعضهم: متى هذا الوعد؟ فنزل: ﴿قُلْ إِنِّي﴾ ما ﴿أَدْرِيَتُ أَقْرَبُ مَّا تُوعَدُونَ﴾ من العذاب ﴿أَمْ يَجْعَلُ لَكُمْ رَبِّي أَمَدًا﴾ غاية وأجلاً لا

(١) بالكسر قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وشعبة، وقرأ بقية السبعة بالفتح.

(٢) بالنون قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

(٣) بالكسر قراءة نافع وشعبة.

(٤) الضواب: «تَحْلَةٌ» كما تقدم.

(٥) بالضم قراءة هشام بخلاف عنه.

(٦) وهي قراءة السبعة عدا حمزة وعاصم، وقرأ حمزة وعاصم: ﴿قُلْ﴾.

(٧) كذا بالأصل، والمناسبات حذف «به».

يعلمه إلا هو؟

[٢٦] ﴿عَلَّمَ الْقَعِيبَ﴾ ما غاب به^(٧) عن العباد ﴿فَلَا يَظْهَرُ﴾ يطلع ﴿عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ من الناس.

[٢٧] ﴿إِلَّا مَنْ أَرَضَّ مِنْ رُسُولِي فَإِنَّهُ﴾ مع اطلاعه على ما شاء منه معجزة له ﴿يَسْلُكُ﴾ يجعل ويسير ﴿مِنْ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي: الرسول ﴿وَمَنْ خَلَّوهُ رَصَدًا﴾ ملائكة يحفظونه، حتى يبلغه في جملة الوحي.

[٢٨] ﴿يَعْلَمُ﴾ الله علم ظهور ﴿أَنْ﴾ مخففة من الثقيلة؛ أي: أنه ﴿قَدْ أَبْلَغُوا﴾ أي: الرسل ﴿رِسَالَتِ رَبِّهِمْ﴾ روعي بجمع الضمير معنى «مَنْ» ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ عطف على مقدر؛ أي: فعلم ذلك ﴿وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ تمييز، وهو محول عن المفعول، والأصل: أحصى عدد كل شيء.

التكاليف.

[٦] ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ﴾ القيام بعد النوم ﴿هِيَ أُنْتُدُ [وِطَاءً]﴾^(١) موافقة السمع للقلب على تفهم القرآن ﴿وَأَقْرَبُ قِيلًا﴾ أيقن قولاً.

[٧] ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْعًا طَوِيلًا﴾ تصرفاً في أشغالك لا تفرغ فيه لتلاوة القرآن.

[٨] ﴿وَأَذْكُرُ اسْمَ رَبِّكَ﴾ أي: قل: بسم الله الرحمن الرحيم في ابتداء قراءتك^(٢) ﴿وَتَبْتَئِلُ﴾ انقطع ﴿إِلَيْهِ تَبْتِيلاً﴾ مصدر «تبئل»، جيء به رعاية للفواصل، وهو ملزوم التبتل.

[٩] ﴿هُوَ رَبُّ الشَّرْقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ موكلًا له أمورك.

[١٠] ﴿وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ أي: كفار مكة، من أذاهم ﴿وَأَهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَبِيلًا﴾ لا جرح فيه، وهذا قبل الأمر بقتالهم.

[١١] ﴿وَوَدَّعَىٰ﴾ اتركني ﴿وَالْمُكَذِّبِينَ﴾ عطف على المفعول، أو: مفعول معه، والمعنى: أنا كافيكم، وهم صناديد قريش ﴿أُولَى النَّعْمَةِ﴾ التمتع ﴿وَمَهْلِكُ قِيلًا﴾ من الزمن؛ فقتلوا بعد يسير منه بيدي.

[١٢] ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أُنكَالَ﴾ قيودًا تقالًا؛ جمع «نكل» بكسر النون ﴿وَجَحِيمًا﴾ نازًا محرفة.

[١٣] ﴿وَكَلِمًا نَا غُصَّةً﴾ يعصُّ به في الخلق، وهو: الرُّقُوم، أو: الضَّرِيع، أو: الغسليين، أو: شوك من نار لا يخرج ولا ينزل ﴿وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾ مؤلمًا، زيادة على ما ذكر لمن كذب النبي ﷺ.

[١٤] ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَيْبًا﴾ رملاً مجتمعاً ﴿مَهِيلاً﴾ سائلاً بعد اجتماعه، وهو من: هال يهيل، وأصله: مهؤول؛ استقبلت الضممة على الياء فقلبت إلى الهاء، وحذفت الواو ثاني الساكنين لزيادتها، وقلت الضمة كسرة لمجانسة الياء.

[١٥] ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ﴾ يا أهل مكة ﴿رَسُولًا﴾ هو محمد ﷺ ﴿سَهْبًا عَلِيًّا﴾ يوم القيامة، بما يصدر منكم من العصيان ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾ هو موسى - عليه الصلاة والسلام -.

[١٦] ﴿فَقَصَّ فِرْعَوْنَ أَخَذَهُ أَخَذًا مُّبِينًا﴾ في الدنيا ﴿يَوْمًا﴾ مفعول «تتقون»؛ أي: عذابه؛ أي: بأي حصن تحصنوا من عذاب يوم ﴿يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ جمع أشيب؛ لشدة هوله، وهو يوم القيامة، والأصل في شين «شيبًا» الضم، وكسرت لمجانسة الياء، ويقال في اليوم الشديد: يوم يُشَيِّبُ نواصي الأطفال، وهو مجاز، ويجوز أن يكون المراد في الآية الحقيقة.

[١٧] ﴿أَلْسِمَاءَ مَنفُطِرًا﴾ ذات انقطاع؛ أي: انشقاق ﴿بِئْسَ الَّذِي كَانُوا يَحْكُمُونَ﴾ لشدته ﴿كَانَ وَعْدُهُمْ﴾ - تعالى - مجيء ذلك ﴿مَفْعُولًا﴾ أي: هو كائن لا محالة.

[١٨] ﴿إِنَّ هَذِهِ﴾ الآيات الخوفاة ﴿تَذَكُّرًا﴾ عظة للخلق ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ طريقاً بالإيمان والطاعة.

[١٩] ﴿إِنَّ هَذِهِ﴾ الآيات الخوفاة ﴿تَذَكُّرًا﴾ عظة للخلق ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ طريقاً بالإيمان والطاعة.

[٢٠] ﴿إِنَّا سَأَلْنَا عَلَيْكَ قَوْلًا﴾ قرأنا ﴿قِيلًا﴾ مهيبًا، أو: شديدًا؛ لما فيه من

سُورَةُ الْمُرْتَدِّينَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَأْتِيهَا الْمُرْتَدُّونَ ﴿١﴾ فِي النَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِصْفَهُ، أَوْ أَنْقَضَ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدَ عَلَيْهِ وَرَزَّلَ الْقُرْآنَ تَرْوِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَأَلْنَا عَلَيْكَ قَوْلًا قَبِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأًا وَأَقْرَبُ قِيلًا ﴿٦﴾ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْعًا طَوِيلًا ﴿٧﴾ وَأَذْكُرُ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبْتَئِلُ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً ﴿٨﴾ رَبُّ الشَّرْقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَأَهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَبِيلًا ﴿١٠﴾ وَوَدَّعَىٰ وَالْمُكَذِّبِينَ أُولَى النَّعْمَةِ وَمَهْلِكُ قَلِيلًا ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيْنَا أُنكَالَ وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَيْبًا مَهِيلاً ﴿١٤﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكَ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَصَصَّىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخَذًا وَبِيلاً ﴿١٦﴾ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴿١٧﴾ أَلْسِمَاءَ مَنفُطِرًا بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾ إِنَّ هَذِهِ تَذَكُّرٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿١٩﴾

سُورَةُ الْمُرْتَدِّينَ

[مكية، أو: إلا قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ...﴾ إلى آخرها؛ فمدني، تسع عشرة، أو: عشرون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- [١] ﴿يَأْتِيهَا الْمُرْتَدُّونَ﴾ النبي، وأصله: «المرتذل»، أدغمت التاء في الزاي؛ أي: المثلّف بشيابه حين مجيء الوحي له؛ خوفًا منه لهيبته.
- [٢] ﴿فِي النَّيْلِ﴾ صل ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾.
- [٣] ﴿نِصْفَهُ﴾ بدل من «قيلًا»، وقلته بالنظر إلى الكل ﴿أَوْ أَنْقَضَ مِنْهُ﴾ من النصف ﴿قِيلًا﴾ إلى الثلث.
- [٤] ﴿أَوْ زِدَ عَلَيْهِ﴾ إلى الثلثين، و«أو» للتخيير ﴿وَرَزَّلَ الْقُرْآنَ﴾ ثبتت في تلاوته ﴿تَرْوِيلًا﴾.
- [٥] ﴿إِنَّا سَأَلْنَا عَلَيْكَ قَوْلًا﴾ قرأنا ﴿قِيلًا﴾ مهيبًا، أو: شديدًا؛ لما فيه من

(١) هذه قرأة أبي عمرو وابن عامر، وقرأ بقية السبعة: (وظئط) بفتح الواو وسكون الطاء؛ أي أثبت قراءة وقاما.

(٢) ذكر اسم الرب في الآية أهم من قصره على ذكر البسملة في ابتداء القراءة، وإنما المعنى: دم على ذكره تعالى ليلاً ونهاراً، بالتوحيد والتعظيم، على أي وجه كان من تسبيح وتهليل وتحميد وصلاة وقراءة قرآن وغير ذلك.

الإيمان ﴿وَأَسْتَكَرَّ﴾ تكبر عن اتباع النبي ﷺ. [٢٤] ﴿فَقَالَ﴾ فيما جاء به: ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هَذَا﴾ إلا يخبر بؤثره ﴿يَقُولُ﴾ عن السحرة. [٢٥] ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هَذَا﴾ إلا قول البشر ﴿كَمَا قَالُوا﴾: ﴿إِنَّمَا يَعْلَمُهُ مَسَرُّهُ﴾^(١). [٢٦] ﴿سَأُطِيبُهُ﴾ أدخله ﴿سَقْرًا﴾ جهنم. [٢٧] ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقْرٌ﴾ تعظيم لشأنها. [٢٨] ﴿لَا يَتَّبِعِي﴾ ولا تدرك شيقاً من لحم ولا عصب إلا أهلكته، ثم يعود كما كان. [٢٩] ﴿لَوَئِمَّةٌ لِلنَّارِ﴾ مُحْرقة لظاهر الجلد. [٣٠] ﴿عَلَيْهَا سِتْرَةٌ عَشْرٌ﴾ ملكاً خزنها؛ قال بعض الكفار وكان قوياً شديد البأس: أنا أكفيكم سبعة عشر، واكفوني أتم اثنين^(٢).

[٣١] قال - تعالى -: ﴿وَمَا جَعَلْنَا النَّارَ إِلَّا مَلَكًا﴾ أي: فلا يطاقون كما يتوهمون ﴿وَمَا جَعَلْنَا عَدِيَّتَهُمْ﴾ ذلك ﴿إِلَّا قِتْنَةً﴾ ضلالاً ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بأن يقولوا: لِمَ كانوا تسعة عشر؟ ﴿لِيَسْتَيِّقَنَ﴾ ليستبين ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ أي: اليهود صدق النبي ﷺ في كونهم تسعة عشر، الموافق لما في كتابهم ﴿وَزَادَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ من أهل الكتاب ﴿إِسْنًا﴾ تصديقاً؛ لموافقته ما أتى به النبي ﷺ لما في كتابهم ﴿وَلَا يَزِيدُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالَّذِينَ أُوتُوا فِيهِمْ﴾ في عدد الملائكة ﴿وَلَيَقُولُ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ نَرَاهُمْ﴾ شك بالمدينة غيرهم، ﴿وَالْكٰفِرُونَ﴾ بمكة: ﴿مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا﴾ العدد ﴿مَثَلًا﴾ سموه لغرابته بذلك، وأعرب حالاً ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: مثل إضلال منكر هذا العدد، وهدى مُصَدِّقَهُ ﴿يُقِيلُ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ وَمَا يَعْلَمُ جُودَ رَبِّكَ أَي: الملائكة؛ في قوتهم وأعاونهم ﴿إِلَّا هُوَ وَمَا يَلْمِ﴾ أي: سقر ﴿إِلَّا ذَكَرَى لِلْبَشَرِ﴾.

[٣٢] ﴿كَلَّا﴾ استفتاح بمعنى: ألا ﴿وَالنَّمْرِ﴾. [٣٣] ﴿وَاللَّيْلِ﴾ إذا ﴿بَفَتْحِ النَّالِ﴾ [دنبر]^(٣) جاء بعد النهار، وفي قراءة: ﴿إِذْ أَدْبَرَ﴾ بسكون الدال بعدها همزة؛ أي: مضى. [٣٤] ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا أَشْفَرَ﴾ ظهر. [٣٥] ﴿إِنَّمَا﴾ أي: سقر ﴿لِيَحْدَى الْكٰفِرَ﴾ البلايا العظام. [٣٦] ﴿يَذِيرًا﴾ حال من «إحدى»، وذكر لأنها بمعنى العذاب ﴿لِلْبَشَرِ﴾. [٣٧] ﴿لِيَمُنَّ شَاءَ يَنْكُرُ﴾ بدل من «البشر» ﴿أَنْ يَفْقَهُمْ﴾ إلى الخير، أو: الجنة، بالإيمان ﴿أَوْ يَنْتَحِرَ﴾ إلى الشر، أو: النار، بالكفر. [٣٨] ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ مرهونة مأخوذة بعملها في النار. [٣٩] ﴿إِلَّا أَصْحَابُ الْآيَاتِ﴾ وهم المؤمنون، فجاجون منها. [٤٠] كائنون ﴿فِي جَنَّاتٍ يَبْسُؤُونَ﴾ بينهم. [٤١] ﴿عَنِ الْمُجْرِمِينَ﴾ وحالهم. [٤٢] ويقولون لهم بعد إخراج الموحدين من النار: ﴿مَا سَلَكَكُمْ﴾ ما أدخلكم ﴿فِي سَقْرٍ﴾. [٤٣] ﴿قَالُوا لَرَبِّكَ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾. [٤٤] ﴿وَلَوْ أَنَّكَ لَطَعُمُ الْآيسِطِينَ﴾. [٤٥] ﴿وَكُنَّا نَحْوُكُمْ﴾ في الباطل ﴿مَعَ الْفٰطِيضِينَ﴾. [٤٦] ﴿وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الَّذِينَ﴾ البعث والجزاء [٤٧] ﴿حَتَّىٰ آتَيْنَا آلِيَيْنَ﴾ الموت.

فَقِيلَ كَيْفَ قَدَرْنَا ﴿فُقِيلَ كَيْفَ قَدَرْنَا﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَسَمَرَ ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ وَأَسْتَكَرَّ﴾ فَقَالَ إِنَّ هَذَا لِأَسْحَرُؤُوتُرُ ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ سَأُصَلِّيه سَقْرًا ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقْرٌ﴾ لَا يَتَّبِعِي وَلَا تَدْرُكُ ﴿لَوَاحَةٌ لِلْبَشَرِ﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةٌ عَشْرٌ ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَحْصَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عَنْدَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيِّقَنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكٰفِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ ﴿كَلَّا وَالْقَمَرِ﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا أَشْفَرَ﴾ إِنَّمَا لِيَحْدَى الْكٰفِرَ ﴿يَذِيرًا لِلْبَشَرِ﴾ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَّقَىٰ أَوْ يَتَّخِرَ ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ إِلَّا أَصْحَابُ الْآيَاتِ ﴿فِي جَنَّاتٍ يَبْسُؤُونَ﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقْرٍ﴾ قَالُوا رَبُّنَا كُنَّا مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿وَلَوْ أَنَّكَ لَطَعُمُ الْآيسِطِينَ﴾ وَكُنَّا نَحْوُكُمْ مَعَ الْفٰطِيضِينَ ﴿وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الَّذِينَ﴾ حَتَّىٰ آتَيْنَا آلِيَيْنَ

والولد ﴿فَتَهَيَّأَ﴾. [١٥] ﴿ثُمَّ يَطْعُ أَنْ أُرِيدَ﴾. [١٦] ﴿كَلَّا﴾ لا أزيد على ذلك ﴿إِنَّهُ كَانَ لَآيَاتِنَا﴾ القرآن ﴿عِيدًا﴾ معاندا. [١٧] ﴿سَأُهِقُهُ﴾ أكلفه ﴿صَعُودًا﴾ مشقة من العذاب، أو: جبلًا من نار، يصعد فيه ثم يهوي أبداً.

[١٨] ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ﴾ فيما يقول في القرآن، الذي سمعه من النبي ﷺ ﴿وَقَدَّرَ﴾ في نفسه ذلك. [١٩] ﴿فُقِيلَ﴾ لِعَمٍ وَعُذِبَ ﴿كَيْفَ قَدَرْنَا﴾ على أي حال كان تقديره. [٢٠] ﴿ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَرْنَا﴾. [٢١] ﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾ في وجهه قومه، أو فيما يقدر به فيه. [٢٢] ﴿ثُمَّ عَبَسَ﴾ قبض وجهه وكلفه؛ ضيقاً بما يقول ﴿وَوَسَّوَسَ﴾ زاد في القبض والكُلُوح. [٢٣] ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ﴾ عن

وأخرج البخاري عن يحيى بن أبي كثير قال: سألت أبا سلمة: أي القرآن أنزل أول؟ فقال: ﴿يَتَّبِعُوا النَّبِيَّ﴾. فقلت: أنبت أنه ﴿أَفَرَأَيْتُمْ رَبَّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾، فقال أبو سلمة: سألت جابر بن عبد الله: أي القرآن أول؟ فقال: ﴿يَتَّبِعُوا النَّبِيَّ﴾. فقلت: أنبت أنه ﴿أَفَرَأَيْتُمْ رَبَّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾. فقال: لا أبحرك إلا بما قال رسول الله ﷺ. البخاري. كتاب التفسير (٦٥) سورة المدثر (٧٤) باب (١). قال الحافظ: المراد بالأولية في قوله: «أول ما نزل سورة المدثر» أولية مخصوصة بما بعد فطرة الوحي، أو مخصوصة بالأمر والإنذار، لأن المراد أنها أولية مطلقة. [الفتح ٥٤٨/٨]. وقال النووي: الصواب أن أول ما نزل على الإطلاق: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ رَبَّكَ﴾، كما صرح به في حديث عائشة.

(١) النحل: ١٠٣.

(٢) ذلك عن رجل يقال له: أبو الأئند أسيد بن كلدة بن خلف الجمحي. كما في تفسير البغوي وغيره، وروي غير ذلك، ولم يثبت منه شيء صحيح تقوم به الحجة.

(٣) وهي قراءة الكسائي وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ بقية السبعة: ﴿إِذْ أَدْبَرَ﴾ بسكون الدال بعدها همزة.

[٤٨] ﴿فَمَا تَعْمَهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ من الملائكة والأنبياء والصالحين، والمعنى: لا شفاعة لهم.

[٤٩] ﴿فَمَا﴾ مبتدأ ﴿لَهُمْ﴾ خبره، متعلق بمحذوف انتقل ضميره إليه^(١) ﴿عَنِ التَّذَكُّرَةِ مُعْرِضِينَ﴾ حال من الضمير، والمعنى: أي شيء حصل لهم في إعراضهم عن الاتعاض؟ [٥٠] ﴿كَانَهُمْ حُمْرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ﴾ وحمشية. [٥١] ﴿فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾ أسد؛ أي: هربت منه أشد الهرب. [٥٢] ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنْتَشَرَةً﴾ أي: من الله - تعالى - باتباع النبي؛ كما قالوا: ﴿وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُفِيكَ حَتَّى تَنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ﴾^(٢).

[٥٣] ﴿كَلَّا﴾ رده عما أرادوه، ﴿بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ﴾ أي: عذابها. [٥٤] ﴿كَلَّا﴾ استفتاح ﴿إِنَّهُمْ﴾ أي: القرآن ﴿تَذَكُّرَةٌ﴾ عظة. [٥٥] ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ﴾ قرأه فاتعظ به. [٥٦] ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ﴾ بالياء والتاء^(٣) ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى﴾ بأن يتقى ﴿وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾ بأن يعفر لمن اتقاه.

سُورَةُ الْقِيَامَةِ

[مكية، أربعون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿لَا﴾ زائدة في الموضعين ﴿أَقِيمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾. [٢] ﴿وَلَا أَقِيمُ بِالنَّفْسِ الْوَلَّامَةِ﴾ التي تلوم نفسها وإن اجتهدت في الإحسان، وجواب القسم محذوف؛ أي: لتبضع، دل عليه: [٣] ﴿أَحْسَبُ الْإِنْسَانَ﴾ أي: الكافر ﴿أَنْ تَجْعَ عِظَامُهُ﴾ للبعث والإحياء؛ [٤] ﴿سَجَلٌ﴾ نجعها ﴿فَتَذِيرُنَّ﴾ مع جمعها ﴿عَلَى أَنْ سُئِيَ بَنَاتُهُ﴾ وهو: الأصابع؛ أي: نعيد عظامها كما كانت مع صغرها، فكيف بالكبيرة؟ [٥] ﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ﴾ اللام زائدة، ونصبه به ﴿أَنْ﴾ مقدرة؛ أي: أن يكذب ﴿أَمَانَتُهُ﴾ أي: يوم القيامة، دل عليه: [٦] ﴿سَيَسْأَلُ أَيَّانُ﴾ متى ﴿يَوْمَ الْيَوْمِ﴾ سؤال استهزاء وتكذيب. [٧] ﴿فَإِذَا رَافَعُ الصَّرُورُ﴾ بكسر الراء وفتحها^(٤)؛ دَهَشَ وَتَحَيَّرَ، لما رأى مما كان يكذبه. [٨] ﴿وَحَسَفَ الْقَمَرُ﴾ أظلم وذهب ضوءه. [٩] ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ فطلعا من المغرب، أو: ذهب ضوءهما، وذلك في يوم القيامة.

[١٠] ﴿يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَنْ لَمَّا فرار﴾ [١١] ﴿كَلَّا﴾ رده عن طلب الفرار ﴿لَا وَرَرْتُ﴾ لا ملجأ ليحصن به. [١٢] ﴿إِنِّي رَيْكٌ يَوْمَئِذٍ مُنْتَفِرٌ﴾ مستقر الخلاق؛ فيحاسبون ويجازون. [١٣] ﴿يُنَبِّئُ الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ يَمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ بأول عمله وأخره. [١٤] ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ شاهد؛ تنطلق جوارحه بعمله، والهال للمبالغة، فلا بد من جزائه. [١٥] ﴿وَلَوْ أَلْفٌ مَعَادِيرُ﴾ جمع

فَمَا تَعْمَهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذَكُّرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَانَهُمْ حُمْرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنْتَشَرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا إِنَّهُ تَذَكُّرَةٌ ﴿٥٣﴾ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ﴿٥٤﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ﴿٥٥﴾

سُورَةُ الْقِيَامَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا أَقِيمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿١﴾ وَلَا أَقِيمُ بِالنَّفْسِ الْوَلَّامَةِ ﴿٢﴾ أَحْسَبُ الْإِنْسَانَ أَنْ تَجْمَعَ عِظَامَهُ ﴿٣﴾ بَلِ الْإِنْسَانُ لَيْسَ لَكَ بِذِكْرٍ عَلَى أَنْ سُئِيَ بَنَاتُهُ ﴿٤﴾ بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ﴿٥﴾ سَيَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا رَافَعُ الْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَحَسَفَ الْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ إِنَّ الْمَفْرُورَ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَرَرَ ﴿١١﴾ إِلَى رَيْكٍ يَوْمَئِذٍ مُنْتَفِرٌ ﴿١٢﴾ يَنْبِئُ الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ يَمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْفٌ مَعَادِيرُ ﴿١٥﴾ لَا تَحْرُكُهُ بِهِ لِسَانُكَ لَتَعَجَّلَ بِهِ ﴿١٦﴾ إِنْ عَلَيْنَا جَمْعُهُ وَفُرْقَانُهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾ قُرْآنٌ عَلَيْنَا بَيَانُهُ ﴿١٩﴾

«معدرة»، على غير قياس؛ أي: لو جاء بكل معذرة ما قبلت منه.

[١٦] قال - تعالى - ليهي: ﴿لَا تَحْرُكُهُ يَوْمَ﴾ بالقرآن قبل فراغ جبريل منه ﴿لِسَانِكَ لَتَعَجَّلَ يَوْمَ﴾ خوف أن ينفلت منك. [١٧] ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ﴾ في صدرك ﴿وَقُرْآنَهُ﴾ قراءتك إياه؛ أي: جريانه على لسانك. [١٨] ﴿فَإِذَا قَرَأْتَهُ﴾ عليك بقراءة جبريل ﴿فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ استمع قراءته، فكان يستمع ثم يقرؤه. [١٩] ﴿قُرْآنٌ عَلَيْنَا بَيَانُهُ﴾ بالتفهم لك، والمناسبة بين هذه الآية وما قبلها أن تلك تضمنت الإعراض عن آيات الله، وهذه تضمنت المبادرة إليها بحفظها^(٥).

(٥) ما جاء في نزل الآيات: (١٦ - ١٩). أخرج البخاري عن ابن عباس في قوله: ﴿لَا تَحْرُكُهُ يَوْمَ لِسَانِكَ لَتَعَجَّلَ يَوْمَ﴾ قال: كان رسول الله ﷺ إذا نزل جبريل عليه بالوحي، وكان مما يحرك به لسانه وشفتيه فيشند عليه، وكان يعرف منه، فأنزل الله الآية التي في ﴿لَا أَقِيمُ يَوْمَ الْيَوْمِ﴾: ﴿لَا تَحْرُكُهُ يَوْمَ لِسَانِكَ لَتَعَجَّلَ يَوْمَ﴾ [١٦] ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ قال: علينا أن نجتمع في صدرك وقراءته أن تقرأه ﴿فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ فإذا أنزلناه فاستمع ﴿قُرْآنٌ عَلَيْنَا بَيَانُهُ﴾ علينا أن يبيح لسانك، قال: فكان إذا أتاه جبريل أطرق، فإذا ذهب قرأه كما وعد الله. البخاري. كتاب التفسير (٦٥) باب (٢) سورة القيامة (٧٦).

(١) لأن القاعدة: أن الجار والمجرور إذا وقع خبراً؛ حذف متعلقه وجواباً، وانتقل ضميره إليه.
(٢) الإسراء: ٩٣.
(٣) بالتاء قراءة نافع.
(٤) بالفتح قراءة نافع.

أي: الشوق، وهذا يدل على العامل في «إذا»، والمعنى: إذا بلغت النفس الحلقوم تساق إلى حكم ربها. [٣١] ﴿فَلَا صَدَقَ﴾ الإنسان ﴿وَلَا صَلَّى﴾ أي: لم يصدق ولم يصل. [٣٢] ﴿وَلَكِنْ كَذَّبَ﴾ بالقرآن ﴿وَتَوَلَّى﴾ عن الإيمان. [٣٣] ﴿ثُمَّ دَبَّ إِلَيْهِمْ بَطْنَجٌ﴾ يبتخر في مشيته إعجاباً. [٣٤] ﴿أَوَّلَى﴾ لك. فيه التفات عن الغيبة، والكلمة اسم فعل، واللام للثنين؛ أي: وليك ما تكره ﴿فَأَوَّلَى﴾ أي: فهو أولى بك من غيرك. [٣٥] ﴿ثُمَّ أَوَّلَى لَكَ فَأَوَّلَى﴾ تأكيد. [٣٦] ﴿أَيَحْسَبُ﴾ يظن ﴿الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ هملًا، لا يكلف بالشرائع؟ أي: لا يحسب ذلك. [٣٧] ﴿أَلَمْ يَكُنْ لَكَ فِئْتَةٌ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ بالياء والتاء^(١)؛ نُصِّتَ في الرحم؟ [٣٨] ﴿شَرُّدٌ كَانَ﴾ المنى ﴿عَلَقَةً﴾ فَمَلَأَ اللهُ منها الإنسان ﴿سُوءُونَ﴾ عدل أعضائه؟ [٣٩] ﴿فَمَلَأَ بَيْتَهُ﴾ المنى الذي صار علقه، أي: قطعة دم ثم مضغته؛ أي: قطعة لحم ﴿الزَّوْجَيْنِ﴾ النوعين ﴿الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ يجتمعان تارة، وينفرد كل منهما عن الآخر تارة. [٤٠] ﴿الَّذِينَ ذَكَرُوا﴾ الفعَّال لهذه الأشياء ﴿يَقْدِرُونَ﴾ بِقَدْرِ عَيْنِ أَنْ يُحْيِيَ الْكُلُوفَ﴾ قال ﷺ: «بلى»^(٢).

كَلَابِلُ تُجَبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿١﴾ وَتَدْرُونَ الْآخِرَةَ ﴿٢﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ ﴿٣﴾ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٤﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٥﴾ تَنْظُرُونَ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٦﴾ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴿٧﴾ وَقِيلَ لَهَا مِمَّن رَاقٍ ﴿٨﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴿٩﴾ وَالْتَفَتَتْ إِلَى الْسَاقِ بِالسَّاقِ ﴿١٠﴾ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴿١١﴾ فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى ﴿١٢﴾ وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿١٣﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى آهْلِهِ يَمْتَسِرٌ ﴿١٤﴾ أَوَّلَى لَكَ فَأَوَّلَى ﴿١٥﴾ ثُمَّ أَوَّلَى لَكَ فَأَوَّلَى ﴿١٦﴾ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴿١٧﴾ أَلَمْ يَكُنْ نُطْقَةً مِنْ مِثْلِ مِمْسَى ﴿١٨﴾ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ فَخْلَقَ فَمَسْوَى ﴿١٩﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴿٢٠﴾ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَيَّ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى ﴿٢١﴾

سورة الإنسان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْقَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَعَلَّمْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا وَأَعْتَدْنَا وَسْعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ الْأَثَرِ الرَّسْمَ بِنُورٍ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِرَاجِهَا كَافُورًا ﴿٥﴾

سورة الإنسان

[مكية أو مدنية، وآياتها إحدى وثلاثون]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾ آدم ﴿حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ﴾ أربعون سنة^(٥) ﴿لَمْ يَكُنْ﴾ فيه ﴿شَيْئًا مَذْكُورًا﴾ كان فيه مصورًا من طين لا يذكر، أو: المراد بالإنسان الجنس، وبالحين: مدة الحمل. [٢] ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ الجنس ﴿مِنْ نُطْقَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ أخلاطه؛ أي: من ماء الرجل وماء المرأة، المختلطين المتترجين ﴿نَبْتَلِيهِ﴾ نخبته بالتكليف، والجملة مستأنفة؛ أو: حال مقدره؛ أي: مريدين ابتلاء حين تأمله ﴿فَعَلَّمْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾. [٣] ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾ بيَّنا له طريق الهدى، بيعت الرسل ﴿إِنَّمَا شَاكِرًا﴾ أي: مؤمنًا ﴿وَإِمَّا كَفُورًا﴾ حالان من المفعول؛ أي: بيَّنا له في حال شكره أو كفره، المقدره، و﴿إمّا﴾ لتفصيل الأحوال. [٤] ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا﴾ هيأنا ﴿لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا﴾ يسحبون بها في النار ﴿وَأَعْتَدْنَا﴾ في أعناقهم، تُشد فيها السلاسل ﴿وَسَعِيرًا﴾ نازًا مسعرة؛ أي: مهتجة، يعذبون بها.

[٥] ﴿إِنَّ الْأَثَرِ الرَّسْمَ بِنُورٍ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِرَاجِهَا كَافُورًا﴾ جمع «بُرٌّ» أو «بَارٌّ»، وهم: المطيعون ﴿بِنُورٍ مِنْ كَأْسٍ﴾ هو إناء شرب الخمر وهي فيه، والمراد: من خمر؛ تسمية للحال باسم المحل، و﴿من﴾ للتعبير ﴿كَانَ مِرَاجِهَا كَافُورًا﴾ ما تخرج به ﴿كَافُورًا﴾.

[٢٠] ﴿كَلَّا﴾ استفتاح بمعنى: ألا ﴿بَلْ يُجِيبُونَ﴾ العاجلة ﴿الدنيا بالياء والتاء في الفعلين^(١)﴾. [٢١] ﴿وَيَذَرُونَ﴾ الآخرة ﴿فلا يعملون لها. [٢٢] ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ﴾ أي: في يوم القيامة ﴿نَاصِرَةٌ﴾ حسنة مضيفة. [٢٣] ﴿إِلَى رَبِّهَا نَازِرَةٌ﴾ أي: يرون الله - سبحانه وتعالى - في الآخرة. [٢٤] ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾ كالحة شديدة العبوس. [٢٥] ﴿تَنْظُرُونَ﴾ توفن ﴿أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ داهية عظيمة، تكسر فقار الظهر. [٢٦] ﴿كَلَّا﴾ بمعنى: ألا ﴿إِذَا بَلَغَتِ النَّفْسَ التَّرَاقِيَ﴾ عظام الحلق. [٢٧] ﴿وَقِيلَ﴾ قال من حوله: ﴿مِمَّن رَاقٍ﴾ يرقيه ليشفي؟

[٢٨] ﴿وَالْتَفَتَتْ﴾ أيقن من بلغت نفسه ذلك ﴿إِلَى الْسَاقِ﴾ فراق الدنيا. [٢٩] ﴿وَالْتَفَتَتْ إِلَى الْسَاقِ بِالسَّاقِ﴾ أي: إحدى ساقيه بالأخرى عند الموت، أو: التفت شدة فراق الدنيا بشدة إقبال الآخرة. [٣٠] ﴿إِنْ يَكُنْ رَبُّكَ بِيَوْمَئِذٍ أَلْسِنًا﴾

(١) أي: «يجوبون» و«يذرون»، وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

(٢) بالناء قراءة السبعة عند حفص.

(٣) أخرجه نحوه أبو داود (٧٥٣) وأحمد (٧٠٨٦) من حديث أبي هريرة، وأخرج الطبري (٨٢/٢٤) عن قتادة: ذكر لنا أن نبي الله ﷺ كان إذا قرأها قال: «سبحانك بلى». وأخرج أبو داود (٧٥٠) عن موسى بن أبي عائشة قال: كان رجل يصلي فوق بيته وكان إذا قرأ ﴿الَّذِينَ ذَكَرُوا﴾ يقول: «بلى» فسألوه عن ذلك. فقال: سمعته من رسول الله ﷺ.

وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٧٨٦).

(٤) أي: فليست هل للاستفهام. وقيل: إنها للاستفهام التقريري. والمقصود إزام الخصم المنكر للبعث؛ لأن القادر على إيجاد الإنسان من عدم قادر على إعادته.

(٥) قيل: مرت عليه أربعون سنة، وكان مصورًا من طين لم ينفخ فيه الروح.

[٦] ﴿عَيْنَا﴾ بدل من: ﴿كَأَفْوَارًا﴾ فيها راحته ﴿يَسْتَرْبِيهَا﴾ منها ﴿عِبَادَ اللَّهِ﴾ أولياؤه ﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ يفردونها حيث شاءوا من منازلهم.
 [٧] ﴿يُؤْتُونَ يَأْتَذَرُونَ﴾ في طاعة الله ﴿وَيَخْفُونَ يَوْمًا كَانَتْ شَرُّهُ مَسْطُورًا﴾ منتشرا.
 [٨] ﴿وَيَطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حَيْثُ بِهِ﴾ أي: الطعام وشهوتهم له ﴿وَيَسْكَبُونَ﴾ فقيرا ﴿وَيَسْكَبُونَ﴾ لا أب له ﴿وَأَسِيرًا﴾ يعني: المحبوس بحق. [٩] ﴿إِنَّمَا تَطْعَمُكَ يَوْمَئِذٍ اللَّهُ﴾ لطلب ثوابه ^(١) ﴿لَا تُرِيدُ مِنْكَ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا﴾ شكرا، فيه علة الإطعام، وهل تكلموا بذلك، أو: علمه الله منهم، فأتى عليهم به؟ قولان.
 [١٠] ﴿إِنَّمَا تَخَافُ مِنْ رَبِّكَ يَوْمًا عَبَسَ﴾ تكلح الوجوه فيه، أي: كرهه المنظر لشدته ﴿فَطَوَّيَرًا﴾ شديدا في ذلك.

[١١] ﴿فَوَقَّعَهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكِ الْيَوْمِ وَلَقَّعَهُمْ﴾ أعطاهم ﴿فَصَرَّةٌ﴾ حشنا وإضاعة في وجوههم ﴿وَسُرُورًا﴾. [١٢] ﴿وَيَجْرَهُمْ بِمَا صَبَرُوا﴾ بصبرهم عن المعصية ﴿جَنَّةً﴾ أدخلوها ﴿وَحَرِيرًا﴾ أليسوه.
 [١٣] ﴿مُتَّكِنِينَ﴾ حال من مرفوع: «أدخلوها» المقدر ﴿فِيهَا عَلَى الْأَرْبَابِ﴾ الشرطي في الحال ﴿لَا يَرَوْنَ﴾ لا يجدون، حال ثانية ﴿فِيهَا سُنَسًا وَلَا زَمَهْرِيرًا﴾ لا حرا ولا بردا، وقيل: الزمهرير: القمر، فهي مضيقه من غير شمس ولا قمر.
 [١٤] ﴿وَدَانِيَةً﴾ قريبة، عطف على محل: «لا يرون»؛ أي: غير راين ﴿عَلَيْهِمْ﴾ منهم ﴿يَلْتَلِنُهَا﴾ شجرها ﴿وَوَدَّعَتْ فُطُوفُهَا نَدِيلًا﴾ أدنيت ثمارها؛ فينالها القائم والقاعد والمضطجع. [١٥] ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ﴾ فيها ﴿وَيَلَيَّيْنِ بَيْنَ فِضَّةٍ وَأَكْرَابٍ﴾ أقداح بلا عرى ﴿كَانَتْ قَوَارِيرًا﴾ ^(١). [١٦] ﴿قَوَارِيرًا مِنْ فِضَّةٍ﴾ أي: إنهما من فضة، يرى باطنها من ظاهرها كالزجاج ﴿فَدَّرَّوْهَا﴾؛ أي: الطاقون ﴿تَقِيرًا﴾ على قدر رأي الشارين، من غير زيادة ولا نقص، وذلك ألد الشراب. [١٧] ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا﴾ خمرا ﴿كَانَ مِرْآجُهَا﴾ ما تخرج به ﴿زَجْجِيلًا﴾. [١٨] ﴿عَيْنًا﴾ بدل من: ﴿زَجْجِيلًا﴾ ﴿فِيهَا سُنَسٌ سَلْسَبِيلًا﴾ يعني أن مائها كالزنجبيل الذي تستلذ به العرب، سهل المساج في الحلق.

عَيْنًا يَسْتَرْبِي بِهَا عِبَادَ اللَّهِ يَفَجِّرُوهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ وَيُؤْتُونَ يَأْتَذَرُونَ وَيَخْفُونَ يَوْمًا كَانَتْ شَرُّهُ مَسْطُورًا وَيَطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حَيْثُ بِهِ وَيَسْكَبُونَ لَهُ وَيَسْكَبُونَ لَهُ لَا أَبَ لَهُ وَلَا شُكْرًا ﴿٧﴾ إِنَّمَا تَطْعَمُكَ يَوْمَئِذٍ اللَّهُ لَطَبُ ثَوَابِهِ ﴿٨﴾ لَا تُرِيدُ مِنْكَ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ﴿٩﴾ إِنَّمَا تَخَافُ مِنْ رَبِّكَ يَوْمًا عَبَسَ وَوَسَّوْرًا ﴿١٠﴾ وَجَزَّوْرًا بِمَا صَبَرُوا وَجَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١١﴾ مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرْبَابِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا سُنَسًا وَلَا زَمَهْرِيرًا ﴿١٢﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلَّتْ فُطُوفُهَا نَدِيلًا ﴿١٣﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بَيْنَ فِضَّةٍ مِّنْ فِضَّةٍ وَأَكْرَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا ﴿١٤﴾ قَوَارِيرًا مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٥﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِرْآجُهَا زَجْجِيلًا ﴿١٦﴾ عَيْنًا فِيهَا سُنَسٌ سَلْسَبِيلًا ﴿١٧﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ وَلَدُنَّ نُحَادُونَ إِذَا رَأَوْهُمُ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مِّثْرًا ﴿١٨﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمْرًا رَأَيْتَ رَيْثًا وَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَطَلْحًا مِّنْ أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعِيرًا ﴿٢١﴾ مَشْكُورًا ﴿٢٢﴾ إِنَّا نَحْنُ رَبُّنَا عَلَيْكَ الْفَرَّانَ نَنْزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَطِعْ مِنْهُمَ إِنَّمَا أَوْكْفَرُوا ﴿٢٤﴾ وَادْكُرْ أَسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾

رَبُّهُمْ سَرَابًا طَهُورًا ﴿٢٠﴾ مبالغة في طهارته ونظافته، بخلاف خمر الدنيا.
 [٢٢] ﴿إِنَّا نَحْنُ﴾ تأكيد لاسم «إن»، أو: فصل ﴿نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْفَرَّانَ نَنْزِيلًا﴾ خبر «إن»؛ أي: فصلناه ولم نزله جملة واحدة.
 [٢٤] ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ عليك بتبليغ رسالته ﴿وَلَا تَطِعْ مِنْهُمْ﴾ أي: الكفار ﴿إِنَّمَا أَوْ كَفَرُوا﴾ أي: عتبه بن ربيعة، والوليد بن المغيرة؛ فلا للنبي ﷺ يرجع عن هذا الأمر، ويجوز أن يراد كل آثم وكافر؛ أي: لا تطع أحدهما أيًا كان، فيما دعاك إليه من إثم أو كفر.
 [٢٥] ﴿وَادْكُرْ أَسْمَ رَبِّكَ﴾ في الصلاة ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ يعني الفجر والظهر والعصر.

(١) وفيها إثبات صفة الوجه لله ﷻ حقيقة على الوجه اللاتني به، وقد أفاض ابن القيم - رحمه الله - في الرد على من قال إن لفظ الوجه مجاز، وفيه بطلان هذا القول من ستة وعشرين وجهًا في الصواعق المرسله.
 (٢) قرأ نافع والكسائي وشعبة بالنون في الموضوعين، وقرأ ابن كثير بالنون في الأول وغير النون في الثاني، والباقون بغير نون فيهما، وكلهم وقف على الأول بألف، إلا حمزة فوقف بغير ألف.
 (٣) هذا جواب عما يقال: ما الحكمة في تشبيههم باللؤلؤ المنثور دون المطوف؟ فأجاب بذلك.
 (٤) نافع وحمزة.
 (٥) بعض النسخ المطبوعة: «للمطوف» بدلًا من «المطوف»، والصواب اللبث.
 (٦) لأي عمرو وابن عامر.
 (٧) أي وهو جؤ «خضرب»، ورفع «إستبرق» وهي قراءة ابن كثير وشعبة.
 (٨) نافع وحفص.
 (٩) حمزة والكسائي، وحاصل ما ذكر المصنف من القراءات أربع وكلها سبعة؛ رفع «خضرب»، و«إستبرق»، وجرهما، ورفع الأول وجر الثاني، وعكسه.
 (١٠) كما في قوله - تعالى -: ﴿يَجْعَلُونَ فِيهَا مِنَ الْأَسَاوِرِ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾ [إطاف: ٣٣].

[٣١] ﴿يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ جنته^(٣)، وهم المؤمنون ﴿وَالظَّالِمِينَ﴾ ناصبه فعل مقدر؛ أي: «أوعد»، يفسره: «أعد لهم عذاباً أليماً» مؤلماً، وهم الكافرون.

سورة المرسلات

[مكية، خمسون آية]*

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَالْمُرْسَلَاتُ عُرْفًا﴾ أي: الرياح متتابعة؛ كعُرف الفرس، يتلو بعضه بعضاً، ونصبه على الحال.

[٢] ﴿فَالْمُصَفِّتُ عَصْفًا﴾ الرياح الشديدة.

[٣] ﴿وَالنَّاشِرَاتُ فَرْقًا﴾ الرياح تنشر المطر.

[٤] ﴿فَالْقَارِعَاتُ قَرَعًا﴾ أي: آيات القرآن، تفرق بين الحق والباطل، والحلال والحرام.

[٥] ﴿فَالْمُلَاقِيَاتُ كِرَاءً﴾ أي: الملائكة تنزل بالوحي إلى الأنبياء، والرسول يلقون الوحي إلى الأمم.

[٦] ﴿عَذْرًا أَوْ تَذْرًا﴾ أي: للإعذار والإنذار من الله - تعالى - وفي قراءة^(٤): بضم ذال «تذراً»، وقرئ^(٥): بضم ذال «عذراً».

[٧] ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لِكُفْرَانِهِمْ﴾ أي: كفار مكة؛ من البعث والعذاب ﴿لَوْ يَعْلَمُونَ﴾ كائن لا محالة.

[٨] ﴿وَإِنَّمَا الْجَنُومُ لَطِيسَةٌ﴾ محي نورها.

[٩] ﴿وَإِنَّمَا السَّمَاءُ فُرْجَاتٌ﴾ شُتَّتْ.

[١٠] ﴿وَإِنَّمَا الْجِبَالُ بُسُوفٌ﴾ قُتَّتْ وُسِّيرَتْ.

[١١] ﴿وَإِنَّمَا الْأَرْضُ لِبُؤْسٍ﴾ بالواو، وبالهمزة^(٦) بدلاً منها؛ أي: جمعت لوقت.

[١٢] ﴿لَا يَأْتِيهِمْ يَوْمَئِذٍ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ أُجِلَّتْ للشهادة على أهمهم بالتبليغ.

[١٣] ﴿لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ بين الخلق، ويؤخذ منه جواب «إذاه»؛ أي: وقع الفصل بين الخلائق.

[١٤] ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ تهويل لشأنه.

[١٥] ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ هذا وعيد لهم.

[١٦] ﴿أَلَمْ تَنْهَى الْأَعْيُنَ﴾ تكذيبهم؛ أي: أهلكتهم.

[١٧] ﴿فَلْيَنْتَهِبُوا الْكُفْرَانَ﴾ من كذبوا؛ ككفار مكة؛ فنهلكهم.

[١٨] ﴿كَذَلِكَ﴾ مثل ما فعلنا بالمكذبين ﴿فَنَعْمَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ بكل من أجرم فيما يستقبل؛ فنهلكهم.

[١٩] ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ تأكيد.

وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٦﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذُرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٧﴾ تَحْنُ خَلْقَهُمْ وَشَدَدْنَا آسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَلْنَا أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٨﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ تَذَكَّرُوا فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٩﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠﴾ يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١١﴾

سورة المرسلات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْمُرْسَلَاتُ عُرْفًا ﴿١﴾ فَالْمُصَفِّتُ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَالنَّاشِرَاتُ نَشْرًا ﴿٣﴾ فَالْقَارِعَاتُ قَرَعًا ﴿٤﴾ فَالْمُلَاقِيَاتُ كِرَاءً ﴿٥﴾ عَذْرًا أَوْ تَذْرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوْعَفَ ﴿٧﴾ فَإِذَا التَّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ سُفِفَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا الرَّسُلُ أَقْتَتَ ﴿١١﴾ لَا يَأْتِي يَوْمَ أُجِّلَتْ ﴿١٢﴾ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿١٣﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿١٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ أَلَمْ تَنْهَى الْأَوْلِيْنَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نَبَّيْتَهُمُ الْآخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَلِكَ نَعْمَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾

[٢٦] ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ﴾ يعني المغرب والعشاء ﴿وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ صل التطوع فيه؛ كما تقدم من: ثلثه أو نصفه أو ثلثه.

[٢٧] ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ الدنيا ﴿وَيَذُرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ شديدًا؛ أي: يوم القيامة لا يعملون له.

[٢٨] ﴿تَحْنُ خَلْقَهُمْ وَشَدَدْنَا آسْرَهُمْ﴾ قوبنا ﴿آسْرَهُمْ﴾ أعضائهم ومفاصلهم ﴿وَإِذَا شِئْنَا بَدَلْنَا﴾ جعلنا ﴿أَمْثَلَهُمْ﴾ في الحلقة بدلاً منهم، بأن نهلكهم ﴿تَبْدِيلًا﴾ تأكيد، ووقعت «إذاه» موقع «إن» نحو: «إن ينشأ يذهبكم»^(١)؛ لأنه تعالى لم يشأ ذلك، وإذا لما يقع.

[٢٩] ﴿إِنَّ هَذِهِ﴾ السورة ﴿تَذَكَّرُوا﴾ عظة للخلق ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ طريقاً بالطاعة.

[٣٠] ﴿وَمَا تَشَاءُونَ﴾ بالتاء والياء^(٢): اتخاذ السبيل بالطاعة ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ ذلك ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بخلقهم ﴿حَكِيمًا﴾ في فعله.

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن عبد الله بن مسعود قال: بينما نحن مع النبي ﷺ في غار إذ نزلت عليه: ﴿وَالْمُرْسَلَاتُ﴾ فإنه ليتلوها وأنا لأتلقاها من فيه، وإن فاه لرطب بها، إذ وثبت علينا حية، فقال النبي ﷺ: «أقلوها» فابتدرناها فذهبت، فقال النبي ﷺ: «وقيت شركم كما وقيت شرها». البخاري. كتاب التفسير (٦٥) سورة المرسلات (٧٧) باب (٤).

(٢) بالياء قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر بخلاف عنة.

(١) فاطر: ١٦.

(٣) الجنة من آثار رحمة الله ﷻ، وليست هي، وفي الآية إثبات صفة الرحمة لله ﷻ، فنشئها له - سبحانه - على الوجه اللائق به.

(٤) لنافع وابن كثير وابن عامر وشعبة.

(٥) أي: شذوذاً.

(٦) بالواو قراءة أبي عمرو، وقرأ بقية السبعة: «أقتت» بالهمزة.

[٢٠] ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَهِينٍ﴾ ضعيف، وهو المني.
 [٢١] ﴿فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾ حريز، وهو الرحم.
 [٢٢] ﴿إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ وهو وقت الولادة.
 [٢٣] ﴿فَقَدَرْنَا﴾ على ذلك ﴿فَنِعْمَ الْقَدِيرُونَ﴾ نحن.
 [٢٤] ﴿وَيَلِّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾.
 [٢٥] ﴿أَلَمْ تَعْمَلِ الْأَرْضَ كِنَانًا﴾ مصدر «كَفَّت» بمعنى ضَمَّ؛ أي: ضامة.
 [٢٦] ﴿أَحْيَاءَ﴾ على ظهرها ﴿وَأَمْوَاتًا﴾ في بطنها.
 [٢٧] ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رِوْاسٍ شَامِخَاتٍ﴾ جبالاً مرتفعات ﴿وَأَنْعَمْنَا مَاءَ قُرْآنًا﴾ عذبا.

[٢٨] ﴿وَيَلِّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾.
 [٢٩] ويقال للمكذبين يوم القيامة: ﴿أَنْظِلُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ مِنَ الْعَذَابِ نُكُذِّبُونَ﴾.
 [٣٠] ﴿أَنْظِلُوا إِلَى ظِلِّ ذِي تَلْدَتٍ شَعْرٍ﴾ هو دخان جهنم، إذا ارتفع افرق ثلاث فرق ليعظمه.

[٣١] ﴿لَا ظَلِيلٍ﴾ كنين يظلمهم من حر ذلك اليوم ﴿وَلَا يُغْنِي﴾ يرد عنهم شيئاً ﴿وَيَنْ أَلْهَبٍ﴾ النار.

[٣٢] ﴿وَيَنْ أَلْهَبٍ﴾ أي: النار ﴿تَرَى بِسُكَّرٍ﴾ هو ما تطاير منها ﴿كَالْقَصْرِ﴾ من البناء، في عظمه وارتفاعه [٣٣] ﴿كَأَنَّهُ جِمَالَاتٌ﴾ جمع: «جمالة»، جمع: «جامل»، وفي قراءة: ﴿جَمَلَاتٌ﴾ «صَفْرٌ» في هيبتها ولونها، وفي الحديث: «شرار النار أسود كالقير»^(١)، والعرب تُسمي سود الإبل: صفراً؛ لشوب سوادها بصفرة، فقليل: «صفر» في الآية بمعنى سود؛ لما ذكر، وقيل: لا، و«الشُّرر» جمع: «شُررة»، و«الشرار» جمع «شُرارة»، والقير: القار»^(٢).

[٣٤] ﴿وَيَلِّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾.
 [٣٥] ﴿هَذَا﴾ أي: يوم القيامة ﴿يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ﴾ فيه بشيء.

[٣٦] ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ﴾ في العذر ﴿فَيَعْبُدُونَ﴾ عطف على «يؤذن»، من غير تسبب عنه^(٣)، فهو داخل في حيز النفي؛ أي: لا إذن فلا اعتذار.

[٣٧] ﴿وَيَلِّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾.
 [٣٨] ﴿هَذَا يَوْمُ الْقَضَايِ﴾ أيها المكذبون من هذه الأمة ﴿وَالْأُولَى﴾ من المكذبين قبلكم، فتحاسبون وتعذبون جميعاً.

[٣٩] ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ﴾ حيلة في دفع العذاب عنكم ﴿فَكِيدُوا﴾ فافعلوها.

[٤٠] ﴿وَيَلِّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾.
 [٤١] ﴿إِنَّ السَّمَوَاتِ فِي ظُلُلٍ﴾ أي: تكاثف أشجار، إذ لا شمس يُظلل من حرها ﴿وَيُؤْتُونَ﴾ نابعة من الماء.

[٤٢] ﴿وَفَوْكَ وَمَا يَنْسَهُونَ﴾ فيه إعلام بأن المأكَل والمشرب في الجنة بحسب شهواتهم، بخلاف الدنيا فيحسب ما يبعد الناس في الأغلب.

[٤٣] ويقال لهم: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَيْبًا﴾ حال؛ أي: متهينين ﴿بِمَا كُنْتُمْ

(١) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ بقية السبعة: ﴿جِمَالَاتٍ﴾.

(٢) ذكر البغوي في تفسيره أنه جاء في الحديث أن شرار نار جهنم أسود كالقير (٣٠٧/٨)، ولم أصف عليه بهذا اللفظ.

(٣) وهو الرفض، وفي حديث أبي هريرة مرفوعاً: عند مالك والبيهقي في الشعب مختصراً: «أثرونها حمراء ككارمك هذه!» لهن أشد سواداً من القار والقال: الرفض، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٦٧٠).

(٤) أي: ليست الفاء في «فيحذرون» فاء السببية؛ ليقدر بعدها «أن»، وينصب بها الفعل المضارع؛ نحو: ﴿لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا﴾ [فاطر: ٣٦].

أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَعَرَاهُ الْقَدْرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيَلِّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾ أَلَمْ تَعْمَلِ الْأَرْضَ كِنَانًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رِوْاسٍ شَامِخَاتٍ وَأَنْعَمْنَا مَاءَ قُرْآنًا ﴿٢٧﴾ وَأَنْظِلُوا إِلَى ظِلِّ ذِي تَلْدَتٍ شَعْرٍ ﴿٢٨﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ الْأَلْهَبِ ﴿٢٩﴾ إِنَّهَا تَرَى بِسُكَّرٍ كَالْقَصْرِ ﴿٣٠﴾ كَأَنَّهُ رِجَالٌ صُفْرٌ ﴿٣١﴾ وَيَلِّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٢﴾ هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْبُدُونَ ﴿٣٤﴾ وَيَلِّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٥﴾ هَذَا يَوْمُ الْقَضَايِ جَمَعْتُمْ وَالْأُولَى ﴿٣٦﴾ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُوا ﴿٣٧﴾ وَيَلِّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٨﴾ إِنَّ السَّمَوَاتِ فِي ظُلُلٍ وَعِيُونَ ﴿٣٩﴾ وَفَوْكَ وَمَا يَنْسَهُونَ ﴿٤٠﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَيْبًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّكَ كَذَلِكَ تَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٤٢﴾ وَيَلِّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٣﴾ كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ تُجْرِمُونَ ﴿٤٤﴾ وَيَلِّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٦﴾ وَيَلِّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيَلِّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ ﴿٥٠﴾ فَيَأْتِي حَدِيثٌ بَعْدَهُ أَي: الْقُرْآنَ ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ أَي: لَا يُمْكِنُ إِيمَانُهُمْ بِغَيْرِهِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ بَعْدَ تَكْذِيبِهِمْ بِهِ؛ لِأَسْتِمَالِهِ عَلَى الْإِعْجَازِ الَّذِي لَمْ يَشْتَمَلْ عَلَيْهِ غَيْرُهُ.

تَمَلَّؤُونَ﴾ من الطاعة.

[٤٤] ﴿إِنَّا كَذَلِكَ﴾ كما جزينا المتقين ﴿تَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾.

[٤٥] ﴿وَيَلِّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾.

[٤٦] ﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا﴾ خطاب للكفار في الدنيا ﴿قَلِيلًا﴾ من الزمان، وغاية إلى الموت، وفي هذا تهديد لهم ﴿إِنَّكُمْ تُجْرِمُونَ﴾.

[٤٧] ﴿وَيَلِّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾.

[٤٨] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ارْكَعُوا﴾ صلوا ﴿لَّا يَرْكَعُونَ﴾ لا يصلون.

[٤٩] ﴿وَيَلِّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾.

[٥٠] ﴿فَيَأْتِي حَدِيثٌ بَعْدَهُ﴾ أي: الْقُرْآنَ ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ أي: لَا يُمْكِنُ إِيمَانُهُمْ بِغَيْرِهِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ بَعْدَ تَكْذِيبِهِمْ بِهِ؛ لِأَسْتِمَالِهِ عَلَى الْإِعْجَازِ الَّذِي لَمْ يَشْتَمَلْ عَلَيْهِ غَيْرُهُ.

سُورَةُ النَّبَاِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَمَّ بَسَّأَةٌ لُونٌ ﴿١﴾ عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾
 كَلَّا سَيَعْمُونَ ﴿٤﴾ تُوْكَلَّا سَيَعْمُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ تَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا ﴿٦﴾
 وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْتَهُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا تَوْمَكُمُ سُبَاتًا ﴿٩﴾
 وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَدَيْنَا
 فَوْقَكُمُ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ
 الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَمَرًا ﴿١٤﴾ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلْنَا
 الْأَفْقَاةَ ﴿١٦﴾ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُفْعَخُ فِي الصُّورِ
 فَتَأْتُونَ أَقْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ
 الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِلظَّالِمِينَ
 مَعَابًا ﴿٢٢﴾ لَيْسَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَا يَدْخُلُونُ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾
 إِلَّا لِأَجِيمٍ وَأَسْقَابًا ﴿٢٥﴾ جَزَاءً وَفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا
 لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَيْءٍ
 أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا فَن تَزِيدُكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾

سُورَةُ النَّبَاِ (١)

[مكية، إحدى وأربعون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿عَمَّ﴾ عن أي شيء ﴿بَسَّأَةٌ لُونٌ﴾ يسأل بعض قريش بعضًا.
 [٢] ﴿عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ﴾ بيان لذلك الشيء، والاستفهام لتفخيمه، وهو ما جاء
 به النبي ﷺ من القرآن، المشتمل على البعث وغيره. [٣] ﴿الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾
 فالؤمنون يثبتونه، والكافرون ينكرونه. [٤] ﴿كَلَّا﴾ ردع ﴿سَيَعْمُونَ﴾ ما
 يحل بهم على إنكارهم له. [٥] ﴿تُوْكَلَّا سَيَعْمُونَ﴾ تأكيد، وجيء فيه بـ«ثم»
 للإيدان بأن الوعيد الثاني أشد من الأول. [٦] ﴿مِهْدًا﴾ ثم أوما - تعالى - إلى القدرة
 على البعث فقال: ﴿أَلَمْ تَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا﴾ فرأشأ كالمهد.
 [٧] ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ تثبتت بها الأرض، كما تثبتت الخيام بالأوتاد؟

والاستفهام للتقرير.

[٨] ﴿وَمَخْلُوقًا آزْوَاجًا﴾ ذكورا وإناثا.
 [٩] ﴿وَجَعَلْنَا تَوْمَكُمُ سُبَاتًا﴾ راحة لأبدانكم.
 [١٠] ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَاسًا﴾ ساترا بسواده.
 [١١] ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ وقتا للمعاش.
 [١٢] ﴿وَبَدَيْنَا فَوْقَكُمُ سَبْعًا﴾ سبع سماوات ﴿شِدَادًا﴾ جمع «شديدة»؛
 أي: قوية محكمة، لا يؤثر فيها مرور الزمان.
 [١٣] ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا﴾ منيرا ﴿وَهَاجًا﴾ وقادا؛ يعني: الشمس.
 [١٤] ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ﴾ السحابات التي حان لها أن تمطر؛
 كالمُعْصِرَةِ الحارِية التي دنت من الحيض ﴿مَاءً ثَمَرًا﴾ صبايا.
 [١٥] ﴿لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا﴾ كالحنطة ﴿وَنَبَاتًا﴾ كالنبن.
 [١٦] ﴿وَجَعَلْنَا سَبَاتِينَ﴾ جمع: «لغيف»؛ كـ«شريف»
 و«أشراف».

[١٧] ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ﴾ بين الخلائق ﴿كَانَ مِيقَاتًا﴾ وكان ميعتًا ﴿وَقَتًا﴾ للثواب
 والعقاب.
 [١٨] ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ القرن، بدل من «يوم الفصل»؛ أو: بيان له،
 والنافع لإسرائيل ﴿فَتَأْتُونَ أَقْوَاجًا﴾ من قبوركم إلى الموقف ﴿أَقْوَاجًا﴾ جماعات
 مختلفة.

[١٩] ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ﴾ بالتشديد والتخفيف^(١)، شققت؛ لنزول
 الملائكة ﴿فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾ ذات أبواب.
 [٢٠] ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ﴾ دُهب بها عن أماكنها ﴿فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ هباء؛
 أي: ينثله في خفة سيرها.
 [٢١] ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ راصدة؛ أو: مرصدة.
 [٢٢] ﴿لِلظَّالِمِينَ﴾ الكافرين فلا يتجاوزونها ﴿مَعَابًا﴾ مرجعا لهم
 فيدخلونها.

[٢٣] ﴿لَيْسَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ حال مقدره؛ أي: مقدرا لبشهم ﴿وَيْبًا﴾ حَقَابًا ﴿دَهْوَرًا﴾ لا
 نهاية لها، جمع: «حُفْب» بضم أوله.
 [٢٤] ﴿لَا يَدْخُلُونَ فِيهَا بَرْدًا﴾ نوما^(٢)، فإنهم لا يدوقونه ﴿وَلَا شَرَابًا﴾ ما
 يشرب تلذذاً.

[٢٥] ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿حَيْمًا﴾ ماء حارًا غاية الحرارة ﴿وَعَسَاقًا﴾
 بالتخفيف والتشديد^(٣)؛ ما يسيل عن صديد أهل النار، فإنهم يدوقونه.
 [٢٦] ﴿مُجْرَوًا﴾ بذلك ﴿وَفَاقًا﴾ موافقا لعملهم، فلا ذنب أعظم من
 الكفر، ولا عذاب أعظم من النار.
 [٢٧] ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ﴾ يخافون ﴿حِسَابًا﴾ لإنكارهم البعث.
 [٢٨] ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ القرآن ﴿كِذَابًا﴾ تكذبا. [٢٩] ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ﴾
 من الأعمال ﴿أَحْصَيْنَاهُ﴾ ضبطناه ﴿كِتَابًا﴾ كُتِبَ في اللوح المحفوظ؛
 ليجازي عليه، ومن ذلك تكذيبهم بالقرآن.
 [٣٠] ﴿فَذُوقُوا﴾ أي: يقال لهم في الآخرة عند وقوع العذاب: ذوقوا
 جزاءكم ﴿فَلَنْ تَزِيدُكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ فوق عذابكم.

(١) بالتشديد قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ بقية السبعة بالتخفيف.

(٢) وتسمى سورة النبط.

(٣) شعبي النوم بردا؛ لأنه يبرد صاحبه. وهي لغة هذيل. وقال ابن عباس: البرد: برد الشراب. وقال الزجاج: لا يدوقون فيها برد ربيع، ولا ظل نوم. فجعل البرد: برد كل شيء له راحة.

(٤) بالتخفيف قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ بقية السبعة بالتشديد.

[٣١] ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ مكان فوز في الجنة. [٣٢] ﴿حَدَائِقَ﴾ بستين، بدل من: «مفازاه»، أو: بيان له ﴿وَأَعْنَابًا﴾ عطف على «مفازاه». [٣٣] ﴿وَكَوَائِبَ﴾ جوارى تكعبت نُؤَيْدُهُنَّ، جمع «كاعب» ﴿أَرْبَابًا﴾ على سن واحد، جمع «ترب» بكسر التاء وسكون الراء. [٣٤] ﴿وَكُنُوسًا﴾ خمرًا مائلة محلأها، وفي سورة «القتال»: ﴿وَأَنْتُمْ مِنْ حَرَمٍ﴾. [٣٥] ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا﴾ أي: الجنة، عند شرب الخمر، وغيرها من الأحوال ﴿لَعْنًا﴾ باطلاً من القول ﴿وَلَا كِبْدَانًا﴾^(١) بالتخفيف؛ أي: كذبًا، وبالتشديد؛ أي: تكذيبًا من واحد لغيره، بخلاف ما يقع في الدنيا عند شرب الخمر. [٣٦] ﴿جَزَاءَ يَنْ رَبِّكَ﴾ أي: جزاءهم الله بذلك جزاء ﴿عَطَاكَ﴾ بدل من «جزاء» ﴿حِسَابًا﴾ أي: كثيرًا، من قولهم: أعطاني فأحسبني؛ أي: أكثر علي حتى قلت: حشبي. [٣٧] ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ بالجر والرفع^(٢) ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ﴾ كذلك^(٣)، ويرفعه مع جر «رب»^(٤) ﴿لَا يَلْكُونُ﴾ أي: الخلق ﴿وَمِنْهُ﴾ تعالى ﴿خَطَابًا﴾ أي: لا يقدر أحد أن يخاطبه، خوفًا منه.

[٣٨] ﴿يَوْمَ﴾ ظرف لـ «لا يملكون» ﴿يَوْمَ الرُّوحِ﴾ جبريل، أو: جند الله ﴿وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا﴾ حال؛ أي: مصطفين ﴿لَا يَتَكَلَّمُونَ﴾ أي: الخلق ﴿إِلَّا مَنْ أِذْنٌ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾ في الكلام ﴿وَقَالَ﴾ قولاً ﴿صَوَابًا﴾ من المؤمنين والملائكة كأن يشفَعُوا لِمَنْ ارْتَضَى. [٣٩] ﴿ذَلِكَ الْيَوْمَ لَعْنٌ﴾ الثابت وقوعه، وهو يوم القيامة ﴿فَمَنْ شَاءَ أَخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَنَابًا﴾ مرجعًا؛ أي: رجع إلى الله بطاعته؛ ليسلم من العذاب فيه. [٤٠] ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ يا كفار مكة ﴿عَذَابًا قَرِيبًا﴾ عذاب يوم القيامة الآتي، وكلُّ آتٍ قريب ﴿يَوْمَ﴾ ظرف لـ «عذابًا» بصفته ﴿يَنْظُرُ الْمَرْءُ﴾ كل امرئ ﴿مَا قَدَّمَتْ يَدَهُ﴾ من خير وشر ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا﴾ حرف تنبيه ﴿يَلْتَنِي كُفْرًا﴾ يعني: فلا أعذب، يقول ذلك عندما يقول الله تعالى: للبهائم بعد الافتقاص من بعضها البعض: كوني ترابًا^(٥).

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَائِقَ ﴿٣٢﴾ وَأَعْنَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَوَائِبَ ﴿٣٤﴾ أَرْبَابًا ﴿٣٥﴾ وَكُنُوسًا ﴿٣٦﴾ دِهَاقًا ﴿٣٧﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَعْنًا ﴿٣٨﴾ وَلَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَعْنًا ﴿٣٩﴾ وَلَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَعْنًا ﴿٤٠﴾ حِسَابًا ﴿٤١﴾ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أِذْنٌ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٤٣﴾ ذَلِكَ الْيَوْمَ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اخْتَدِ إِلَىٰ رَبِّهِ مَنَابًا ﴿٤٤﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا ﴿٤٥﴾

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا ﴿٢﴾ وَالسَّيِّحَاتِ سَبْحًا ﴿٣﴾ فَالْمَسِيحَاتِ سَبْحًا ﴿٤﴾ فَالْمَدْبُورَاتِ آمْرًا ﴿٥﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتَّبِعُنَّهَا الرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَخِيفَةٌ ﴿٨﴾ أَبْصُرْهَا خَشِيعَةً ﴿٩﴾ يَقُولُونَ يَا لَئِمَّا كَرِهُوا فِي الْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ إِذْ ذَاكَ عَظَمْنَا نَجْرَهُ ﴿١١﴾ قَالُوا يَا لَئِمَّا كَرِهُوا خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾ فَالْمَاهِي نَجْرَهُ وَجِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَالِدِ الْفُقْدَانِ طَوًى ﴿١٦﴾

والجملة حال من «الراجفة»، فاليوم واسع للنفختين وغيرهما، فصح ظرفيته للبعث الواقع عقب الثانية. [٨] ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَخِيفَةٌ﴾ خائفة قلقة. [٩] ﴿أَبْصُرْهَا خَشِيعَةً﴾ ذليلة؛ لهول ما ترى. [١٠] ﴿يَقُولُونَ﴾ أي: أرباب القلوب والأبصار استهزاء وإنكارًا للبعث: ﴿أُوهُنَا﴾ بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية، وإدخال ألف بينهما على الوجهين في الموضعين^(١) ﴿لَمْ تَرُدُّوهُنَّ فِي الْحَافِرَةِ﴾ أي: أنرد بعد الموت إلى الحياة؟! والحافرة: اسم لأول الأمر، ومنه رجع فلان في حافرته: إذا رجع من حيث جاء. [١١] ﴿إِذْ ذَاكَ كُنَّا عَظَمْنَا نَجْرَهُ﴾ وفي قراءة^(٢): ﴿ناجرة﴾ بالية مفتحة نُحْيَا؟ [١٢] ﴿قَالُوا يَا لَئِمَّا كَرِهُوا﴾ رجعتنا إلى الحياة ﴿إِذَا﴾ إن صَحَّتْ ﴿كِرَّةٌ﴾ رجعة ﴿خَاسِرَةٌ﴾ ذات خسران. [١٣] قال - تعالى -: ﴿فَالْمَاهِي نَجْرَهُ﴾ أي: الرادفة التي يعقبها البعث ﴿نَجْرَهُ﴾ نفخة ﴿وَجِدَةٌ﴾ فإذا نفخت. [١٤] ﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ بالسَّاهِرَةِ ﴿وَالسَّاهِرَةُ﴾ بوجه الأرض أحياء، بعدما كانوا يبطنها أمواتًا. [١٥] ﴿هَلْ أَتَاكَ﴾ يا محمد ﴿حَدِيثُ مُوسَىٰ﴾ عامل في:

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

[مكية، ست وأربعون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
[١] ﴿وَالنَّازِعَاتِ﴾ الملائكة تنزع أرواح الكفار ﴿غَرْقًا﴾ نزغًا بشدة.
[٢] ﴿وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا﴾ الملائكة تَنَشِّطُ أرواح المؤمنين؛ أي: تشلها برفق.
[٣] ﴿وَالسَّيِّحَاتِ سَبْحًا﴾ الملائكة تنسج من السماء بأمره - تعالى -: أي: تنزل.
[٤] ﴿فَالنَّاشِطَاتِ سَبْحًا﴾ الملائكة تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة.
[٥] ﴿فَالْمَدْبُورَاتِ آمْرًا﴾ الملائكة تدبر أمر الدنيا؛ أي: تنزل بتدبيره، وجواب هذه الأقسام محذوف؛ أي: لتبعثن يا كفار مكة، وهو عامل في: [٦] ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾ النفخة الأولى بها يرجف كل شيء؛ أي: يتزلزل، فوصفت بما يحدث منها. [٧] ﴿تَتَّبِعُنَّهَا الرَّادِفَةُ﴾ النفخة الثانية، وبينهما أربعون سنة^(٣).

(١) محمد: ١٥. (٢) بالتحفيف قراءة الكسائي. (٣) بالرفع قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو. (٤) أي: بالجر والرفع، والرفع قراءة السبعة عدا ابن عامر وعاصم. (٥) وهي قراءة ثالثة سبعة. لحمزة والكسائي. (٦) كما في حديث أبي هريرة مرفوعًا إلى النبي ﷺ قال: «يقضي الله بين خلقه: الجحيم والإنس والبهائم، وأنه يُقَيِّدُ يومئذٍ الجماء من القرناء، حتى إذا لم يبق تبعة عند واحدة لأخرى، قال الله: كونوا ترابًا، فمعد ذلك يقول الكفار: يا ليتني كنت ترابًا». أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٨، ١٧/٣٠)، ووصحه الألباني في الصحيحة (١٩٦٦) (٦٠٦/٤). (٧) الأولى عدم التعيين؛ وإنما يقال: «أربعون» فقط كما في الحديث. (٨) أي: وتركه، وقرأ نافع والكسائي وابن عامر بالاستفهام في الأول والإخبار في الثاني. وراجع التعليق على الآية (٨١) من سورة الأعراف. (٩) لحمزة والكسائي وشعبة.

أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿٧٧﴾ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَرْكِبَ ﴿٧٨﴾ وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَحْشَى ﴿٧٩﴾ فَأَرْبَهُ الْكِبْرَى ﴿٨٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَى ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَذْبَرَ سَعْيَهُ ﴿٨٢﴾ فَحَسْرَةً دَأَى ﴿٨٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴿٨٤﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ﴿٨٥﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَن يَحْشَى ﴿٨٦﴾

ءَأَنشُرَ أَشْدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَدَلُهَا ﴿٨٧﴾ رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا ﴿٨٨﴾ وَأَعْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ صُحُفَهَا ﴿٨٩﴾ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴿٩٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٩١﴾ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴿٩٢﴾ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَعْيُنِكُمْ ﴿٩٣﴾ فَإِنِ اجْتَابَتْ الْأَطَمَّةُ الْكِبْرَى ﴿٩٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى ﴿٩٥﴾ وَبُرِّزَتِ الْجَبَابِلُ لِمَن يُرَى ﴿٩٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَى ﴿٩٧﴾ وَءَاتَرَ الْحَيَوَةَ الدُّنْيَا ﴿٩٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٩٩﴾ وَأَمَّا مَن خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿١٠٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿١٠١﴾ يَسْئَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴿١٠٢﴾ فِيمَا أَنتَ مِن ذِكْرِهَا ﴿١٠٣﴾ إِلَى رَبِّكَ مُتَمِّتْهَا ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ مَّن يَحْشَاهَا ﴿١٠٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَسُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴿١٠٦﴾

تَبْيُورَاتُ الْكَلِمَاتِ

[١٦] ﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْأَيْمَنِ ثَمُودَ﴾ اسم الوادي، بالتثوين وتركه^(١)، فقال: [١٧] ﴿أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِذْهُ طَغَى﴾ تجاوز الحد في الكفر.

[١٨] ﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَرْكِبَ﴾ وفي قراءة^(٢) بتشديد الزاي بإدغام التاء الثانية في الأصل فيها؛ تتطهر من الشرك بأن تشهد أن لا إله إلا الله.

[١٩] ﴿وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ﴾ أدلك على معرفته بيهان ﴿فَتَحْشَى﴾ فتخافه.

[٢٠] ﴿فَأَرْبَهُ الْكِبْرَى﴾ من آياته التسع، وهي اليد أو العصا.

[٢١] ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَى﴾ فرعون موسى ﴿وَعَصَى﴾ الله - تعالى.

[٢٢] ﴿ثُمَّ أَذْبَرَ﴾ عن الإيمان ﴿يَسْعَى﴾ في الأرض بالسفاد.

[٢٣] ﴿فَحَسْرَةً﴾ جمع السحرة وجنده ﴿فَكَادَى﴾.

[٢٤] ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ لا رب فوقي.

[٢٥] ﴿فَأَنذَرَهُ اللَّهُ﴾ أهلكه بالفرق ﴿نَكَالَ﴾ عقوبة ﴿الْآخِرَةِ﴾ أي: هذه الكلمة ﴿وَالْأُولَى﴾ أي: قوله قبلها: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِن إِلَهٍ غَيْرِي﴾^(٣)، وكان بينهما أربعون سنة.

[٢٦] ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿لَعِبْرَةً لِمَن يَتَّقَى﴾ الله - تعالى ..

[٢٧] ﴿ءَأَنشُرَ﴾ بتحقيق الهمزتين، وإبدال الثانية ألفًا، وتسهيلها، وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى، وتركه^(٤)؛ أي: منكرو البعث ﴿أَشْدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ﴾ أشد خلقًا؟ ﴿بَدَلُهَا﴾ بيان لكيفية خلقها.

[٢٨] ﴿رَفَعَ سَمَكَهَا﴾ تفسير لكيفية البناء؛ أي: جعل سمتها في جهة العلو ربيعًا، وقيل: سَمَكُهَا: سقفها ﴿فَسَوَّاهَا﴾ جعلها مستوية بلا عيب.

[٢٩] ﴿وَأَعْطَشَ لَيْلَهَا﴾ أظلمه ﴿وَأَخْرَجَ صُحُفَهَا﴾ أبرز نور شمسها، وأضيف إليها الليل؛ لأنه ظلها، والشمس؛ لأنها سراجها.

[٣٠] ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ بسطها، وكانت مخلوقة قبل السماء من غير دخو.

[٣١] ﴿وَأَخْرَجَ﴾ حال بإضمار «قد»؛ أي: مُخْرِجًا ﴿مِنَهَا مَاءَهَا﴾ بفتح عيونها ﴿وَمَرْعَاهَا﴾ ما ترعاه النعم من الشجر والعشب، وما يأكله الناس من الأقوات والثمار، وإطلاق المرعى عليه استعارة.

[٣٢] ﴿وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾ أثبتها على وجه الأرض لتسكن.

[٣٣] ﴿مَتَاعًا﴾ مفعول له لمقدار؛ أي: فعل ذلك متعة، أو: مصدر؛ أي: تمتعًا ﴿لَكُمْ وَلِأَعْيُنِكُمْ﴾ جمع نعم، وهي الإبل والبقر والغنم.

[٣٤] ﴿فَإِنِ اجْتَابَتْ الْأَطَمَّةُ الْكِبْرَى﴾ الفسخة الثانية.

[٣٥] ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ﴾ بدل من «إذا» ﴿مَا سَعَى﴾ في الدنيا من خير وشر.

[٣٦] ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَبَابِلُ﴾ أظهرت ﴿الْجَبَابِلُ﴾ النار المحرقة ﴿لِمَن يَرَى﴾ لكل راء، وجواب «إذا»: [٣٧] ﴿فَأَمَّا مَن طَغَى﴾ كفر. [٣٨] ﴿وَأَتَرَ الْحَيَوَةَ الدُّنْيَا﴾ اتباع الشهوات. [٣٩] ﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ مأواه.

[٤٠] ﴿وَأَمَّا مَن خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾ قيامه بين يديه ﴿وَنَهَى النَّفْسَ﴾ الأمانة ﴿عَنِ الْهَوَىٰ﴾ المُرُودِي الشهوات. [٤١] ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ وحاصل الجواب: فالعاصي في النار، والمطيع في الجنة.

[٤٢] ﴿يَسْئَلُونَكَ﴾ أي: كفار مكة ﴿عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ متى وقوعها وقيامها؟

[٤٣] ﴿فِيمَ﴾ في أي شيء ﴿أَنتَ مِن ذِكْرِهَا﴾ أي: ليس عندك علمها حتى تذكرها.

[٤٤] ﴿إِلَى رَبِّكَ مُتَمِّتْهَا﴾ منتهى علمها، لا يعلمه غيره.

[٤٥] ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ﴾ إنما ينفع إنذارك ﴿مَن يَحْشَاهَا﴾ يخافها.

[٤٦] ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَسُوا﴾ في قبورهم ﴿وَلَا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ عشية يوم أو بكرته، وصح إضافة الضحى إلى العشيّة؛ لما بينهما من الملاسة؛ إذ هما طرفا النهار، وحسّن الإضافة وقوع الكلمة فاصلة.

(١) برك التنوين قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو.

(٢) نافع وابن كثير.

(٣) الفصص: ٣٨.

(٤) فالقراءات خمس كلها سبعة. راجع التعليق على الآية رقم (١٧) من سورة الفرقان.

سُورَةُ عَبَسَ

[مكية، اثنتان وأربعون آية]*

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] عَبَسَ النَّبِيُّ؛ كَلَجَ وَجْهَهُ ﴿وَتَوَلَّى﴾ أَعْرَضَ، لِأَجْلِ [٢] «أَنْ جَاءَهُ الْآخِثُنُ» عَبْدُ اللَّهِ بْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ، فَقَطَعَهُ عَمَّا هُوَ مَشْغُولٌ بِهِ، مِنْ يَرْجُو إِسْلَامَهُ مِنْ أَسْرَافِ قُرَيْشٍ الَّذِي (١) هُوَ حَرِيصٌ عَلَى إِسْلَامِهِمْ، وَلَمْ يَدْرِ الْأَعْمَى أَنَّهُ مَشْغُولٌ بِذَلِكَ فَنَادَاهُ: عَلِمَنِي مِمَّا عَلِمْتُكَ اللَّهُ. فَانصَرَفَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى بَيْتِهِ؛ فَعَوَّتَبَتْ فِي ذَلِكَ بِمَا نَزَلَ فِي هَذِهِ السُّورَةِ؛ فَكَانَ بَعْدَ ذَلِكَ يَقُولُ لَهُ إِذَا جَاءَ: «مَرْحَبًا بِمَنْ عَاتَبْتَنِي فِيهِ رَبِّي» (٢) وَيَسْطَلُّ لَهُ رِداءَهُ. [٣] «وَمَا يَدْرِيكَ» يَعْلَمُكَ ﴿لَعَلَّكَ يَرْبُذُ﴾ فِيهِ إِدْغَامُ النَّاءِ فِي الْأَصْلِ فِي الزَّيْ؛ أَيُّ: يَنْظُرُ مِنَ الذَّنُوبِ، بِمَا يَسْمَعُ مِنْكَ. [٤] «أَوْ يَذَّكَّرُ» فِيهِ إِدْغَامُ النَّاءِ فِي الْأَصْلِ فِي الذَّالِ؛ أَيُّ: يَنْعَظُ ﴿فَتَنْفَعُهُمُ الذِّكْرُ﴾ الْعِظَةُ الْمَسْمُوعَةُ مِنْكَ، وَفِي قِرَاءَةٍ (٣) يَنْصَبُ «تَنْفَعُهُ» جَوَابَ التَّرْجِيئِ. [٥] «أَنَا مَنِ اسْتَفْتَيْتُكَ» بِالْمَالِ [٦] «فَأَنْتَ لَمْ تَصَدَّقْ» وَفِي قِرَاءَةٍ (٤) بِتَشْدِيدِ الصَّادِ؛ يَادْغَامُ النَّاءِ الثَّانِيَةِ فِي الْأَصْلِ فِيهَا؛ تُقْبَلُ وَتَعْتَرَضُ. [٧] «وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَرْبُذَ» يُؤْمِنُ.

[٨] «وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى» حَالٌ مِنْ فاعِلٍ «جَاءَهُ». [٩] «وَهُوَ يَخْتَصِي» اللَّهُ، حَالٌ مِنْ فاعِلٍ «يَسْعَى»، وَهُوَ الْأَعْمَى. [١٠] «فَأَنْتَ عَنْتَ لِلْعَمَى» فِيهِ حَذْفُ النَّاءِ الْأُخْرَى فِي الْأَصْلِ؛ أَيُّ: تَتَشَاغَلُ؟ [١١] «كَلَّا» لَا تَفْعَلُ مِثْلَ ذَلِكَ ﴿إِنَّمَا﴾ أَيُّ: السُّورَةُ أَوْ الْآيَاتُ ﴿يَذَكَّرُ﴾ عِظَةُ لِلخَلْقِ. [١٢] «فَسَاءَ سَاءَ ذَكَرْتُ» حَفِظَ ذَلِكَ، فَاتَعَظُ بِهِ. [١٣] «فِي صُغْفَى» خَيْرٌ ثَانٍ لِذُنُوبِهَا (٥)، وَمَا قَبْلَهُ اعْتِرَاضٌ ﴿مُكْرِمًا﴾ عِنْدَ اللَّهِ. [١٤] «مَرْوُوعًا» فِي السَّمَاءِ ﴿مُطَهَّرًا﴾ مَنزَهَةً عَنِ مَسِّ الشَّيَاطِينِ. [١٥] «بِأَيْدِي سَفَرَةٍ» كَتَبَتْ يَنْسَخُونَهَا مِنَ اللَّوْحِ الْمُحْفَظِ. [١٦] «كِرَامٍ بَرَرَةٍ» مُطِيعِينَ لِلَّهِ تَعَالَى، وَهُمْ الْمَلَائِكَةُ. [١٧] «فَقِيلَ لِلْإِنْسَانِ» لِمَنْ الْكَاْفِرُ ﴿مَا أَكْفَرُوا﴾ اسْتِفْهَامٌ تَوْبِيخٌ؛ أَيُّ: مَا حَمَلَهُ عَلَى الْكُفْرِ؟ [١٨] «بَيْنَ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ» اسْتِفْهَامٌ تَقْرِيرٌ. [١٩] ثُمَّ يَبِينُهُ فَقَالَ: «مِنْ نَفْطَةٍ خَلَقَهُ مُقَدَّرًا» عِلْقَةٌ ثُمَّ مَضْعَةٌ، إِلَى أَحْسَرِ خَلْقِهِ. [٢٠] «ثُمَّ السَّبِيلَ» أَيُّ: طَرِيقَ خُرُوجِهِ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ ﴿يَسْتَرْوُ﴾. [٢١] «ثُمَّ أَمَّا لَهُ فَاقْرَأْ» جَعَلَهُ فِي قَبْرِ يَسْتَرِهِ. [٢٢] «ثُمَّ إِذَا سَاءَ أَنْشَرَهُ» لِلبَعثِ. [٢٣] «كَلَّا» حَقًّا ﴿لَمَّا بَقِيَ﴾ لَمْ يَفْعَلْ ﴿مَا أَمَرُ﴾ بِهِ رَبَّهُ. [٢٤] «فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ» نَظَرَ اعْتِبَارًا ﴿إِلَى طَمَائِيهِ» كَيْفَ قَدَّرَ وَذُبِّرَ لَهُ. [٢٥] «أَنَا صَبَبْتُ اللَّهَةَ» مِنَ السَّحَابِ ﴿صَبَّابًا﴾. [٢٦] «ثُمَّ سَفَقْنَا الْأَرْضَ» بِالنَّبَاتِ ﴿سَفَقًا﴾. [٢٧] «فَأَلْبَنَّا فِيهَا حَبًّا» كَالْحِنْطَةِ وَالشَّعِيرِ. [٢٨] «وَعَبَّأَ وَقَضَّبَّا» هُوَ الْقَشُّ الرَّطْبُ. [٢٩] «وَوَرَّتُونَا وَخَلَّأَ». [٣٠] «وَحَدَّائِقَ عُلْبًا» بَسَاتِينَ كَثِيرَةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَبَسَ وَتَوَلَّى ۚ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّاهُ يَنْزِلُ ۚ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى ۚ أَمَّا مَنْ اسْتَعْتَى ۚ فَأَنْتَ لَهُ رَصَدَى ۚ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَرْبُذَ ۚ وَآمَانَ مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى ۚ وَهُوَ يَخْتَصِي ۚ فَأَنْتَ عَنْتَهُ لَعَلَّاهُ يَنْزِلُ ۚ كَلَّا إِنَّمَا تَذَكَّرُ ۚ فَمَنْ سَاءَ ذَكَرُهُ ۚ فِي صُغْفَى ۚ مُكْرِمًا ۚ مَرْوُوعًا مُطَهَّرًا ۚ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ۚ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ۚ قِيلَ لِلْإِنْسَانِ مَا أَكْفَرُهُ ۚ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۚ مِنْ نَفْطَةٍ ۚ خَلَقَهُ ۚ فَقَدَرَهُ ۚ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرُهُ ۚ ثُمَّ أَمَّا لَهُ فَاقْرَأْ ۚ ثُمَّ إِنَّا إِذَا سَاءَ أَنْشَرُهُ ۚ كَلَّا لَمَّا بَقِيَ ۚ فَمَنْ سَاءَ ذَكَرُهُ ۚ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ۚ إِنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبَابًا ۚ ثُمَّ سَفَقْنَا الْأَرْضَ سَفَقًا ۚ فَأَلْبَنَّا فِيهَا حَبًّا ۚ وَعَبَّأَ وَقَضَّبَّا ۚ وَوَرَّتُونَا وَخَلَّأَ ۚ وَحَدَّائِقَ عُلْبًا ۚ وَفَلَّأَهُ ۚ وَإِنَّا لَمَسَّ عَالِكُنَّ لِئَلَّا يَتَعَمَّكُنَّ ۚ إِذَا جَاءَتِ الصَّاحَّةُ ۚ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۚ وَأُمُّهُ وَأَبِيهِ ۚ وَصَاحِبَتَهُ وَبَنِيهِ ۚ لِكُلِّ أُمَّرِيٍّ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ۚ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ ۚ ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ ۚ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ۚ

الأشجار. [٣١] «وَفَلَّأَهُ وَأَلْبَنَّا» مَا تَرَعَاهُ الْبَهَائِمُ، وَقِيلَ: الثَّنُّ. [٣٢] «وَسَفَقْنَا» مَتَعَةً، أَوْ تَمْتِيحًا، كَمَا تَقَدَّمَ فِي السُّورَةِ قَبْلَهَا ﴿لِكُرِّ الْإِسْتِخْرَةِ﴾ تَقَدَّمَ فِيهَا أَيْضًا. [٣٣] «وَإِذَا جَاءَتِ الصَّاحَّةُ» النَّفْخَةُ الثَّانِيَةُ. [٣٤] «يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ». [٣٥] «وَأُمُّهُ وَأَبِيهِ». [٣٦] «وَصَاحِبَتِهِ» زَوْجَتُهُ «وَبَنِيهِ» «يَوْمَ» بَدَلَ مِنْ «إِذَا»، وَجَوَابُهَا دَلَّ عَلَيْهِ: [٣٧] «لِكُلِّ أُمَّرِيٍّ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ» حَالٌ يَشْغَلُهُ عَنِ شَأْنِ غَيْرِهِ؛ أَيُّ: اشْتَغَلَ كُلُّ وَاحِدٍ بِنَفْسِهِ. [٣٨] «وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ» مُضْبِغَةٌ. [٣٩] «ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ» فَرِحَةٌ، وَهُمْ الْمَوْتُمُونَ. [٤٠] «وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ» غَبَارٌ. [٤١] «رَمَعْمَا» تَغَشَّاهَا «فَقَرَّةٌ» ظِلْمَةٌ وَسَوَادٌ. [٤٢] «أُولَئِكَ» أَهْلُ هَذِهِ الْحَالَةِ ﴿هُمْ الْكَاْفِرَةُ الْفَجَرَةُ﴾ أَيُّ: الْجَامِعُونَ بَيْنَ الْكُفْرِ وَالْفَجْرِ.

(٥) مَا جَاءَ فِي نَزُولِ السُّورَةِ: أَحْرَجَ التِّرْمِذِيُّ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: أَنْزَلَ ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ فِي أَمِّ ابْنِ مَكْتُومِ الْأَعْمَى؛ أَيُّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَعَجَلَ يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ارْشُدْنِي، وَعِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَجُلٌ مِنْ عِظَمَاءِ الْمُشْرِكِينَ، فَعَجَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْضَ عَنِّهِ وَيَقِيلُ عَلَى الْآخَرِ وَيَقُولُ: «أَتَرَى مَا أَقُولُ بَأْسًا؟» يَقُولُ: لَا، فَنَفِي هَذَا أَنْزَلَ. التِّرْمِذِيُّ - كِتَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ (٤٨) بَابُ (٧٣) وَمِنْ سُورَةِ عَبَسَ. (صَحِيحُ الْإِسْنَادِ)، صَحِيحُ سَنَنِ التِّرْمِذِيِّ (٦٦١).

(١) كَذَا فِي أَكْثَرِ الطَّبُوعِ، وَفِي حَاشِيَةِ الصَّارِي قَالَ: «نَعَتْ لِأَسْرَافِ قُرَيْشٍ، وَكَانَ الْمُنَاسِبُ التَّعْبِيرُ بِالذَّنْبِ». وَفِي حَاشِيَةِ الْجَمَلِ قَالَ: «... فَكَانَتْ جَاءَ عَلَى الِاسْتِعْمَالِ الْقَلِيلِ مِنْ اسْتِعْمَالِ «الَّذِي» فِي الْجَمْعِ؛ عَلَى حَذِّ: «وَصُغْفَى كَالَّذِي حَسَّابًا» [التَّوْبَةُ: ٦٩].»
 (٢) ذَكَرَهُ الْوَاحِدِيُّ فِي سَبَابِ الزُّلُومِ ص ٣٨٥، وَقَالَ ابْنُ حَجْرٍ فِي الْكَافِي الشَّافِئِيِّ (١٨١): ذَكَرَهُ التَّلْبِي بِإِسْنَادٍ، وَأَخْرَجَهُ الدَّبْلِيُّ فِي الْفَرْدُوسِ (٦٨٥) مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ، مِنْ غَيْرِ إِسْنَادٍ. وَهُوَ فِي مُسْنَدِ أَبِي يَعْلَى (٤٣١/٤) رَقْمٌ (٣١٢٣) عَنْ أَنَسٍ بِإِسْنَادٍ ظَاهِرِهِ الصَّحَّةُ بِلَفْظِ: «... فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ يَكْرَهُ.»
 (٣) بِالزَّائِعِ قِرَاءَةُ السَّبْعَةِ عِدَا عَاصِمٍ، وَقَرَأَ عَاصِمٌ بِالنَّصْبِ.
 (٤) لِنَافِعِ وَابْنِ كَثِيرٍ. (٥) وَالْخَيْرُ الْأَوَّلُ: «تَذَكَّرَهُ.»

فرت بأجسادها. [٨] ﴿وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ﴾ الجارية تدفن حية، خوف العار والحاجة ﴿سُيِّتَتْ﴾ تبيكتا لغاتهما. [٩] ﴿بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ وقرئ (٣) بكسر التاء حكاية لما تخاطب به، وجوابها أن تقول: قُتِلَتْ بلا ذنب. [١٠] ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ﴾ صحف الأعمال ﴿شُيِّرَتْ﴾ بالتخفيف والتشديد (٤)؛ فُتحت وبُسطت. [١١] ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾ نُزعت عن أماكنها، كما ينزع الجلد عن الشاة. [١٢] ﴿وَإِذَا الْجَبَابِغُ﴾ النار ﴿شُعِرَتْ﴾ بالتخفيف والتشديد (٥)؛ أُججت. [١٣] ﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُنزِلَتْ﴾ قُرِبت لأهلها ليدخلوها. وجواب «إذا» أول السورة، وما عطف عليها: [١٤] ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ﴾ كل نفس وقت هذه المذكورات، وهو يوم القيامة ﴿مَّا أَحْضَرَتْ﴾ من خير وشر. [١٥] ﴿فَلَا أَفْسِدُ﴾ «لا» زائدة ﴿بِالْحَنِينِ﴾. [١٦] ﴿الْجَوَارِ الْكُنُوسِ﴾ هي النجوم الخمسة: زحل، والمشتري، والمريخ، والزهرة، وعطارد نخس. بضم النون؛ أي: ترجع في مجراها وراءها، بينما نرى النجم في آخر البرج إذ كُوراجعاً إلى أوله، وتكيس بكسر النون: تدخل في كتابتها؛ أي: تعقب في المواضع التي تعقب فيها. [١٧] ﴿وَإِلَىٰ إِيَّاهُ عَسَعَسَ﴾ أقبل بظلامه، أو: أدبر. [١٨] ﴿وَالصُّبْحُ إِذَا نَفَسَ﴾ امتد حتى يصير نهاراً شيئاً. [١٩] ﴿إِنذِرْ﴾ أي: القرآن ﴿لِقَوْلِ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ على الله تعالى، وهو جبريل، أُضيف إليه لنزوله به. [٢٠] ﴿ذِي قُوَّةٍ﴾ أي: شديد القوى ﴿عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ﴾ أي: الله تعالى - ﴿مَكِينٍ﴾ ذي مكانة، متعلق به عند. [٢١] ﴿سَمْعًا ثُمَّ﴾ تطيعه الملائكة في السماوات ﴿أَيُّنَ﴾ على الوحي. [٢٢] ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ﴾ محمد ﷺ عطف على «إنه»، إلى آخر المقسم عليه ﴿يَمْحُوجُنَّ﴾ كما زعمتم. [٢٣] ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ﴾ رأى محمد ﷺ جبريل على صورته التي خلق عليها ﴿بِالْأَفُقِ الْمُبِينِ﴾ البين، وهو الأعلى بناحية المشرق. [٢٤] ﴿وَمَا هُوَ﴾ محمد ﷺ ﴿عَلَى النَّبِيِّ﴾ ما غاب من الوحي وخبر السماء ﴿بِظُنِينٍ﴾ (٦)؛ أي: بمشهم، وفي قراءة بالضاد؛ أي: بيخيل، فينتقص شيئاً منه. [٢٥] ﴿وَمَا هُوَ﴾ أي: القرآن ﴿بِقَوْلِ سَيِّطَانٍ﴾ مسترق السمع ﴿رَجِيمٍ﴾ مرجوم. [٢٦] ﴿فَأَن تَذَهَبُونَ﴾ فبأي طريق تسلكون في إنكاركم القرآن وإعراضكم عنه؟ [٢٧] ﴿إِنَّ﴾ ما ﴿هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾ عظة ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ الإنس والجن. [٢٨] ﴿لِيَسْأَلَنَّ يَنْكُرُ﴾ بدل من العالمين بإعادة الجار ﴿أَن يَسْتَقِيمَ﴾ باتباع الحق. [٢٩] ﴿وَمَا تَشَاءُونَ﴾ الاستقامة على الحق ﴿إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ الخلاق، استيقانكم عليه (٧).

تَرَاهُ قَاتِرَةً ﴿١١﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٢﴾

سورة التكاوير

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾ وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُيِّتَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾ وَإِذَا الْجَبَابِغُ سُعِرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُنزِلَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾ فَلَا أَفْسِدُ بِالْحَنِينِ ﴿١٥﴾ الْجَوَارِ الْكُنُوسِ ﴿١٦﴾ وَإِلَىٰ إِيَّاهُ عَسَعَسَ ﴿١٧﴾ وَالصُّبْحُ إِذَا نَفَسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُ لِقَوْلِ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْحُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِالْأَفُقِ الْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى الْعَرْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَن تَذَهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِن هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَاءَ مِنْكُم أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾

سورة التكاوير

[مكية، تسع وعشرون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ لُفَّت وذُهب بنورها. [٢] ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ انْفَطَتْ وتساقت على الأرض (١). [٣] ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ ذُهب بها عن وجه الأرض؛ فصارت هباءً منبثاً. [٤] ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ﴾ النوق الحوامل ﴿عُطِّلَتْ﴾ تُركت بلا راع، أو: بلا حلب؛ لما دهاهم من الأمر، ولم يكن مال أعجب إليهم منها. [٥] ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ مُجمعت بعد البعث؛ ليقتص بعض من بعض، ثم تصير تراباً. [٦] ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ بالتخفيف والتشديد (٢)؛ أوقدت فصارت ناراً. [٧] ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾

(١) النجوم لا تساقط على الأرض، وإنما تفتت وتتأثر. فالأولى: عدم ذكر الأرض.

(٢) بالتخفيف قراءة ابن كثير وأبي عمرو.

(٣) أي: شدوداً ﴿قُتِلَتْ﴾.

(٤) بالتشديد قراءة حمزة والكسائي وابن كثير وأبي عمرو.

(٥) بالتخفيف قراءة السبعة عدا نافع وابن ذكوان وحفص.

(٦) وهي قراءة الكسائي وابن كثير وأبي عمرو. وقرأ بقية السبعة بالضاد؛ ﴿بضنين﴾.

(٧) قال الشيخ عبد الرزاق عفيفي في تعليقه على الجلالين ص (٢٦١): «العميم في متعلق المشيئة أولى؛ لحذف المفعول. والتقدير: وما تشاءون شيئاً من خير أو شر؛ إلا أن يشاء الله ذلك. ويدخل في ذلك الاستقامة دخولاً أولياً للآية السابقة، وبذلك تدل الآية على مشيئة الله الكونية خلافاً للمعتزلة».

فغشيها ﴿مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ من المعاصي، فهو كالصدا. [١٥] ﴿كَلَّا﴾ حقًا ﴿إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمِئِذٍ﴾ يوم القيامة ﴿لَمَّحْجُورُونَ﴾ فلا يرونه.

[١٦] ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَمَّا كَانُوا فِي الْحَمِيمِ﴾ لداخل النار المحرقة. [١٧] ﴿ثُمَّ يُقَالُ لَهُمْ: هَذَا﴾ أي: العذاب ﴿الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَكْتُمُونَ﴾.

[١٨] ﴿كَلَّا﴾ حقًا ﴿إِنَّ كِتَابَ الْأَنْبِيَاءِ﴾ أي: كتاب أعمال المؤمنين، الصادقين في إيمانهم ﴿لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ قيل: هو كتاب جامع لأعمال الخير من الملائكة ومؤمني الثقلين، وقيل: هو مكان في السماء السابعة تحت العرش. [١٩] ﴿وَمَا أَزِيدُكَ﴾ أعلمك ﴿مَا عِلِّيُّونَ﴾ ما كتاب عليين؟

[٢٠] هو ﴿كِتَابٌ مَرْثُومٌ﴾ مختموم. [٢١] ﴿يَسْأَلُهُ الْمُفْرَبُونَ﴾ من الملائكة. [٢٢] ﴿إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَفِي نُعِيمٍ﴾ جنة. [٢٣] ﴿عَلَى الْأَرْيَاقِ﴾ الشُّرُجِ فِي الْحِجَالِ^(١) ﴿يَنْظُرُونَ﴾ ما أعطوا من النعيم.

[٢٤] ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ بهجة النعم وحشنة. [٢٥] ﴿يَسْقُونَ مِنْ رَجِيقٍ﴾ خمر خالصة من الدنس ﴿مَّحْجُورٍ﴾ على إناثها، لا ينفك ختمه إلا هم.

[٢٦] ﴿حِجْنَتُهُمْ مِنْهَا﴾ أي: آخر شربه، تفوح منه رائحة المسك ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ فليرغبوا بالمبادرة إلى طاعة الله.

[٢٧] ﴿وَمَنْ أَمْرٌ﴾ أي: ما يبرح به ﴿بَيْنَ تَنْبِيهِ﴾، فُسِّرَ بقوله: [٢٨] ﴿عَيْنًا﴾ فصبه بـ«أمدح» مقدرًا ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِهَا الْمُتَرَبِّصُونَ﴾ منها، أو: ضُغْنَ «يشرب» معنى: يلتذ.

[٢٩] ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُجْرِمُوا﴾ كأني جهل ونحوه ﴿كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ كعقار وبلال ونحوهما ﴿يَضْحَكُونَ﴾ استهزاء بهم.

[٣٠] ﴿وَإِذَا رُجُوا﴾ أي: المؤمنون ﴿بِهِمْ يَتَعَامَرُونَ﴾ بشير المحرمون إلى المؤمنين، بالجنف والحاجب استهزاء.

[٣١] ﴿وَإِذَا انْقَلَبُوا﴾ رجعوا ﴿إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا﴾ ﴿فَأَكْبَهِينَ﴾ وفي قراءة^(٢): ﴿فَكَبِهِينَ﴾: معجبين بذكرهم المؤمنين.

[٣٢] ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ﴾ أي: المؤمنون ﴿قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَأَصْحَابُنَا﴾ لإيمانهم بمحمد ﷺ.

[٣٣] قال - تعالى -: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا﴾ أي: الكفار ﴿عَلَيْهِمْ﴾ على المؤمنين ﴿حَافِظِينَ﴾ لهم، أو: لأعمالهم؛ حتى يردوهم إلى مصالحهم.

[٣٤] ﴿فَالْيَوْمِ﴾ أي: يوم القيامة ﴿الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾.

لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُتُورِ لَفِي سِجِّينٍ﴾ ﴿وَمَا أَزِيدُكَ مَا سِجِّينَ﴾ ﴿كِتَابٌ مَرْثُومٌ﴾ ﴿وَلَمْ يَوْمِئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ ﴿الَّذِينَ يَكْتُمُونَ يَوْمَ الَّذِينَ﴾ ﴿وَمَا كَذَّبَ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾ ﴿إِذَا تَنَالَىٰ عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا قَالَ أَسْطِطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمِئِذٍ لَمَّحْجُورُونَ﴾ ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ﴾ ﴿ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَكْتُمُونَ﴾ ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَنْبِيَاءِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ ﴿وَمَا أَزِيدُكَ مَا عِلِّيُّونَ﴾ ﴿كِتَابٌ مَرْثُومٌ﴾ ﴿يَسْأَلُهُ الْمُفْرَبُونَ﴾ ﴿إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَفِي نُعِيمٍ﴾ ﴿عَلَى الْأَرْيَاقِ يَنْظُرُونَ﴾ ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ ﴿يَسْقُونَ مِنْ رَجِيقٍ مَّحْجُورٍ﴾ ﴿حِجْنَتُهُمْ مِنْهَا﴾ ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ ﴿وَمَنْ أَمْرٌ﴾ ﴿بَيْنَ تَنْبِيهِ﴾ ﴿عَيْنًا يَتَرَبَّصْنَ بِهَا الْمُتَرَبِّصُونَ﴾ ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَأَصْحَابُنَا﴾ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ﴾

[٧] ﴿كَلَّا﴾ حقًا ﴿إِنَّ كِتَابَ الْفُتُورِ﴾ أي: كتاب أعمال الكفار ﴿لَفِي سِجِّينَ﴾ قيل: هو كتاب جامع لأعمال الشياطين والكفرة، وقيل: هو مكان أسفل الأرض السابعة، وهو محل إبليس وجنوده.

[٨] ﴿وَمَا أَزِيدُكَ مَا سِجِّينَ﴾ ما كتاب سجين.

[٩] ﴿كِتَابٌ مَرْثُومٌ﴾ مختموم.

[١٠] ﴿وَلَمْ يَوْمِئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾.

[١١] ﴿الَّذِينَ يَكْتُمُونَ يَوْمَ الَّذِينَ﴾ الجراء، بدل، أو: بيان «للمكذبين».

[١٢] ﴿وَمَا كَذَّبَ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ﴾ متجاوز الحد ﴿أَثِيمٍ﴾ صيغة مبالغة.

[١٣] ﴿إِذَا تَنَالَىٰ عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا﴾ القرآن ﴿قَالَ أَسْطِطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ الحكايات التي سطرت قديمًا، جمع: «أسطورة» بالضم أو: «إسطارة» بالكسر.

[١٤] ﴿كَلَّا﴾ ردة وزجر لقلوبهم ذلك ﴿بَلْ رَانَ﴾ غلب ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾

(١) جمع: «حجلة»، وهي: القبة فوق السرير.

(٢) للبيعة عدا حفص وابن عامر بخلاف عنه.

[٣٥] ﴿عَلَىٰ الْأَرْيَافِ﴾ في الحجة يُنظَرُونَ من منازلهم إلى الكفار وهم يعبثون، فيضحكون منهم، كما ضحك الكفار منهم في الدنيا.
[٣٦] ﴿هَلْ تُؤْتِي﴾ جوزي ﴿الْكُفَّارَ مَا كَانُوا يَسْتَغْلِبُونَ﴾؟ نعم.

سُورَةُ الْاِنْشِقَاقِ

[مكية، ثلاث، أو: خمس وعشرون آية]*

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾. [٢] ﴿وَأَذِنَتْ﴾ سمعت وأطاعت في الانشقاق ﴿لِرَبِّهَا وَحُقَّت﴾ أي: وحق لها أن تسمع وتطع.
[٣] ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّت﴾ زيد في سمعتها، كما يُمدُّ الأديم، ولم يبق عليها بناء ولا جبل.
[٤] ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا﴾ من الموتى إلى ظاهرها ﴿وَوَقَّتْ﴾ عنه.
[٥] ﴿وَأَذِنَتْ﴾ سمعت وأطاعت في ذلك ﴿لِرَبِّهَا وَحُقَّت﴾ وذلك كله يكون يوم القيامة، وجواب «إذا» وما عطف عليها محذوف، دل عليه ما بعده؛ تقديره: لقي الإنسان عمله.
[٦] ﴿يَتَأَيَّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ﴾ جاهد في عملك ﴿إِلَى﴾ لقاء ﴿رَبِّكَ﴾ وهو الموت ﴿كَذَمًا فَلْيَقْبِهِ﴾ أي: ملاق عملك المذكور، من خير أو شر يوم القيامة.

[٧] ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْرِقَ كِتَابُهُ﴾ كتاب عمله ﴿بِيسِينِهِ﴾ هو المؤمن.
[٨] ﴿فَسَوْفَ يُحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ هو عرض عمله عليه كما في حديث الصحيحين، وفيه: ﴿مَنْ نُورِقَ الْحِسَابَ هَلَكَ﴾^(١) وبعد العرض يجاوز عنه.
[٩] ﴿وَيَقْلَبُ﴾ إلى أهلِهِ ﴿فِي الْجَنَّةِ مَسْرُورًا﴾ بذلك.
[١٠] ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْرِقَ كِتَابُهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾ هو الكافر، نُعِلُّ مِثْلَهُ إِلَى عُنُقِهِ وَيُجْعَلُ سِرَاهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ؛ فأخذ بها كتابه.

[١١] ﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا﴾ عند رؤيته ما فيه ﴿ثُجُورًا﴾ ينادي هلاكه بقوله: يا ثوراه.

[١٢] ﴿وَيَصَلِّي سَعِيرًا﴾ يدخل النار الشديدة، وفي قراءة^(٢) بضم الياء وفتح الصاد واللام المشددة.

[١٣] ﴿إِنَّهُ كَانَ فِي الدُّنْيَا﴾ عشيرته في الدنيا ﴿مَسْرُورًا﴾ بطرا باتباعه هواه.
[١٤] ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَنَّهُ﴾ مخففة من الثقيلة، واسمها محذوف؛ أي: أنه ﴿لَنْ يَجُورَ﴾ يرجع إلى ربه.

[١٥] ﴿بَلَىٰ﴾ يرجع إليه ﴿إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِرُبِّيْبِيرًا﴾ عالمًا برجوعه إليه^(٣).
[١٦] ﴿فَلَا أَقْسِمُ﴾ لا زائدة ﴿بِالْشَّفَقِ﴾ هو الحمرة في الأفق، بعد غروب الشمس.

[١٧] ﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾ جتمع ما دخل عليه، من الدواب وغيرها.
[١٨] ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾ اجتمع وتم نوره، وذلك في الليالي البيض.

[١٩] ﴿لَتَرْكَبُنَّ﴾ أيها الناس، أصله: «تركبون» حذف نون الرفع؛ لتوالي الأمثال، والواو؛ للالتقاء الساكنين ﴿طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ حالاً بعد حال، وهو

فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿١﴾ عَلَى الْأَرْيَافِ يُنظَرُونَ ﴿٢﴾ هَلْ تُؤْتِي الْكُفَّارَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣﴾

سُورَةُ الْاِنْشِقَاقِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّت ﴿٢﴾ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّت ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّت ﴿٥﴾ يَتَأَيَّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمَلِّقْهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوْرِقَ كِتَابُهُ بِيسِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَقْلَبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوْرِقَ كِتَابُهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصَلِّي سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَنْ يَجُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ﴿١٥﴾ فَلَا أَقْسِمُ بِالشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْءَانُ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يَكْذِبُونَ ﴿٢٢﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾

الموت ثم الحياة وما بعدها من أحوال القيامة.

[٢٠] ﴿فَمَا لَهُمْ﴾؛ أي: الكفار ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: أي مانع من الإيمان، أو: أي حجة لهم في تركه مع وجود براهينه؟

[٢١] ﴿وَالَّذِينَ﴾ مالم ﴿إِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْءَانُ لَا يَسْمَعُونَ﴾ يخضعون؛ بأن يؤمنوا به لإعجازه.

[٢٢] ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يَكْذِبُونَ﴾ بالبعث وغيره.

[٢٣] ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾ يجمعون في صحفهم، من الكفر والتكذيب وأعمال السوء.

[٢٤] ﴿فَبَشِّرْهُمْ﴾ أخبرهم ﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ مؤلم.

[٢٥] ﴿بَلَىٰ﴾ لكن ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ غير مقطوع ولا منقوص ولا يُحْتَمَلُ بِهِ عَلَيْهِمْ.

(ه) فائدة: أخرج الترمذي عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «من سُرَّه أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي عين فليقرأ: ﴿إِذَا انشَقَّتْ كُورَتُ﴾ و﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾». الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٧٤) من سورة ﴿إِذَا انشَقَّتْ كُورَتُ﴾، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢١٥٣).

(١) البخاري (٤٩٣٩)، مسلم (٢٨٧٦) من حديث عائشة رضي الله عنها. (٢) لنافع وابن كثير وابن عامر والكسايني؛ «يُصَلِّي». (٣) البصر غير العلم، فالواجب إثبات ما أثبتته الله لنفسه أو أثبتته له رسوله ﷺ على الوجه اللائق بجلاله - سبحانه ..

[٤] ﴿قِيلَ لَنْ﴾ **أَصْحَبُ الْأَعْدُوِّ** ﴿الشق في الأرض.

[٥] ﴿النَّارِ﴾ بدل اشتمال منه **ذَاتِ الرَّوْدِ** ما توقد به.

[٦] ﴿إِذْ هَرَّتْهَا﴾ حولها على جانب الأعدود على الكراسي **تَمُودُ**.

[٧] ﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ بالله، من تعذيبهم بالإلقاء في النار، إن لم يرجعوا عن إيمانهم **شُهُودٌ** حضور، روي أن الله أنجى المؤمنين الملقين في النار بقبض أرواحهم قبل وقوعهم فيها، وخرجت النار إلى من نَمَّ فأحرقهم^(١).

[٨] ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ﴾ في ملكه **الْحَمِيدِ** المحمود.

[٩] ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ أي: ما أنكر الكفار على المؤمنين إلا إيمانهم.

[١٠] ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ بالإحراق **﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ﴾** بكفرهم **﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ الْحَرِيقِ﴾** أي: عذاب إحراقهم المؤمنين في الآخرة، وقيل: في الدنيا بأن أخرجت النار فأحرقهم، كما تقدم.

[١١] ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ **﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾**.

[١٢] ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ﴾ بالكفار **﴿لَشَدِيدٌ﴾** بحسب إرادته.

[١٣] ﴿إِنَّهُ هُوَ بَرِيءٌ﴾ الخلق **﴿وَتَجِدُ﴾** فلا يعجزه ما يريد.

[١٤] ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ﴾ للمذنبين المؤمنين **﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾** المتوَدِّد إلى أوليائه بالكرامة.

[١٥] ﴿ذُو الْعَرْشِ﴾ خالقه ومالكة^(٢) **﴿الْمَجِيدُ﴾** بالرفع؛ المستحق لكمال صفات العلو^(٣).

[١٦] ﴿فَعَالَ لِمَا يُرِيدُ﴾ لا يعجزه شيء.

[١٧] ﴿هَلْ أَنْتَ﴾ يا محمد **﴿حَدِيثُ الْجُودِ﴾**.

[١٨] ﴿فِرْعَوْنَ وَتَمُودَ﴾ بدل من «الجنود»، واستغني بذكر فرعون عن أتباعه، وحديثهم أنهم أهلكوا بكفرهم، وهذا تنبيه لمن كفر بالنبي ﷺ والقرآن؛ ليتعظوا.

[١٩] ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ﴾ بما ذكر.

[٢٠] ﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مَحِيطٌ﴾ لا عاصم لهم منه.

[٢١] ﴿بَلِ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ﴾ عظيم.

[٢٢] ﴿فِي لَيْلٍ﴾ هو في الهواء، فوق السماء السابعة **﴿مَحْفُوظٌ﴾** بالجر^(٤)، من الشياطين، ومن تغيير شيء منه، طوله ما بين السماء والأرض، وعرضه ما بين المشرق والمغرب، وهو من درة بيضاء؛ قاله ابن عباس^(٥).

إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٥٥﴾

سُورَةُ الْبُرُوجِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ قِيلَ أَصْحَابُ الْأَعْدَادِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوُفُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا فُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَهَنَّمُ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴿١١﴾ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴿١٢﴾ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٣﴾ إِنَّهُ هُوَ بَرِيءٌ وَيُعِيدُ ﴿١٤﴾ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴿١٥﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٦﴾ فَعَالَ لِمَا يُرِيدُ ﴿١٧﴾ هَلْ أَنْتَ حَدِيثُ الْجُودِ ﴿١٨﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مَحِيطٌ ﴿٢٠﴾ بَلِ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَيْلٍ مَحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾

سُورَةُ الْبُرُوجِ

[مكية، اثنتان وعشرون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ الكواكب اثنا عشر برجاً تقدمت في الفرقان^(١).

[٢] ﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾ يوم القيامة.

[٣] ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ يوم الجمعة **﴿وَمَشْهُودٌ﴾** يوم عرفة، كذا فسرت الثلاثة في الحديث^(٢)؛ فالأول: موعود به، والثاني: شاهد بالعمل فيه، والثالث: تشهد الناس والملائكة، وجواب القسم محذوف صَدْرُهُ، تقديره: لقد.

(١) الفرقان: ٦١.

(٢) يشير إلى ما أخرجه الترمذي في سننه (٣٢٦٢) عن أبي هريرة مرفوعاً، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٨٢٠١).

(٣) روي ذلك عن الربيع بن أنس، وحكاه الفراء، وأكثر المفسرين أن هذا العذاب في جهنم.

(٤) الله **﴿يَحْكُمُ﴾** خالق كل شيء، والإضافة هنا لأمر اختص به العرش دون سائر المخلوقات، وهو استواؤه سبحانه عليه بنفسه المقدسة استواء يليق بجلاله.

(٥) وكذا بالجر في قراءة حمزة والكسائي.

(٦) وهي قراءة السبعة غير نافع.

(٧) تحميد اللوح بما ذكر من الأمور الغيبية التي يحتاج الجازم بها إلى دليل صحيح عن المصوم ﷺ.

سورة الطارق

[مكية، سبع عشرة آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَالسَّمَاءَ وَالطَّارِقَ﴾ أصله: كل آت ليلاً، ومنه النجوم تطلوعها ليلاً.

[٢] ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ أعلمك ﴿مَا الطَّارِقُ﴾ مبتدا وخبر، في محل المفعول الثاني له «أدرك»، وما بعد «ما» الأولى خبرها، وفيه تعظيم لشأن الطارق المفسر بما بعده. [٣] هو ﴿النَّجْمُ﴾؛ أي: الثريا، أو: كل نجم ﴿النَّاقِبُ﴾ المضيء؛ لقبه الظلام بضوئه. وجواب القسم: [٤] ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَتَهَا حَافِظٌ﴾ بتخفيف «ما» فهي مزيدة، و«إن» مخففة من الثقيلة، واسمها محذوف؛ أي: إنه، واللام فارقة، وبشديدها^(١) ف«إن» نافية، و«لما» بمعنى «إلا»، و«الحافظ» من الملائكة، يحفظ عملها من خير وشر. [٥] ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ﴾ نظر اعتبار ﴿مِمَّ خُلِقَ﴾ من أي شيء؟ جوابه: [٦] ﴿خُلِقَ مِنْ نَّوَارِقٍ﴾ ذي اندفاعي من الرجل والرواة، في رجوعها. [٧] ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ للرجل ﴿وَأَنْزَابٍ﴾ للمرأة؛ وهي: عظام الصدر. [٨] ﴿إِنَّهُ﴾ - تعالى - ﴿عَلَى سَبِيلِهِ﴾ بعث الإنسان بعد موته ﴿فَتَأْتِرُ﴾ فإذا اعتبر أصله عليم أن القادر على ذلك قادر على بعثه. [٩] ﴿يَوْمَ يُبْلَى﴾ تختبر وتكشف ﴿النَّازِعَاتُ﴾ ضمائر القلوب في العقائد والنيات. [١٠] ﴿مَا لَمْ﴾ لمنكر البعث ﴿وَمِنْ قُوَّةٍ﴾ يتمتع بها من العذاب ﴿وَلَا تَأْوِيهِ﴾ يدفعه عنه.

[١١] ﴿وَالسَّمَاءَ ذَاتَ الرَّجْعِ﴾ المطر؛ لغوده كل حين. [١٢] ﴿وَالْأَرْضَ ذَاتِ أَنْفَاقٍ﴾ الشق عن النبات. [١٣] ﴿إِنَّهُ﴾ أي: القرآن ﴿لَقَوْلٌ قَسَلٌ﴾ يفصل بين الحق والباطل. [١٤] ﴿وَمَا هُوَ بِالْقُرْآنِ﴾ باللب والباطل. [١٥] ﴿إِنَّهُمْ﴾ أي: الكفار ﴿يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ يعملون المكائد للنبي ﷺ. [١٦] ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ أستدرجهم من حيث لا يعلمون. [١٧] ﴿فَهَلْ﴾ يا محمد ﴿الْكُفْرَيْنِ﴾ أمهاتهم ﴿تَأْكِيدُ﴾ حشنة مخالفة اللفظ؛ أي: أنظرهم ﴿رُؤُودًا﴾ قليلاً، وهو مصدر مؤكد لمعنى العامل، مصغر: «رؤودا»؛ أي: «إزوادا» على الترخيم، وقد أخذهم الله تعالى - بيذر، ونسخ الإمهال بآية السيف؛ أي: الأمر بالقتال والجهاد.

سورة الأعلى

[مكية، تسع عشرة آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ﴾ أي: نزهه ربك عما لا يليق به، و«اسم» زائد^(٢) ﴿الْأَعْلَى﴾ صفة ل«ربك»^(٣). [٢] ﴿الَّذِي خَلَقَ سَوْنٌ﴾ مخلوقه؛ جعله متناسب الأجزاء غير متفاوت. [٣] ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ﴾ ما شاء ﴿فَهَدَى﴾ إلى ما قدره من خير وشر. [٤] ﴿وَالَّذِي أُنزِلَ الْأَنْزِيلَ﴾ أنبت العشب. [٥] ﴿نَجْمَةً﴾ بعد الحضرة ﴿عَنَاءً﴾ جافاً هشياً ﴿أَحْوَى﴾ أسود يابسا. [٦] ﴿سَنَفَرُوكَ﴾ القرآن ﴿فَلَا تَسْتَسْ﴾ ما تعرفوه. [٧] ﴿إِلَّا مَا سَاءَ اللَّهُ﴾ أن تنساه بنسخ تلاوته وحكمه، وكان ﷺ يجهر بالقراءة مع قراءة جبريل خوف النسيان، فكانه قيل

سورة الطارق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءَ وَالطَّارِقَ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ ﴿٢﴾ مَا الطَّارِقُ ﴿٣﴾ النَّجْمُ النَّاقِبُ ﴿٤﴾ إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَتَهَا حَافِظٌ ﴿٥﴾ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٦﴾ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٧﴾ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٨﴾ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٩﴾ يَوْمَ بُنِيَ السَّرَائِرُ ﴿١٠﴾ فَهَالِكٌ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١١﴾ وَالسَّمَاءَ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴿١٢﴾ وَالْأَرْضَ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴿١٣﴾ إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٤﴾ وَمَا هُوَ بِالْقُرْآنِ ﴿١٥﴾ إِنْهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٦﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٧﴾ فَهَلْ الْكُفْرَيْنِ أَمَهُلُهُمْ رُؤُودًا ﴿١٨﴾

سورة الأعلى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ سَوْنٌ ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ﴿٣﴾ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُ غَنَاءً أَحْوَى ﴿٥﴾ سَنَفَرُوكَ ﴿٦﴾ فَلَا تَسْتَسْ ﴿٧﴾ إِلَّا مَا سَاءَ اللَّهُ بِعَالَمِ الْجَهَنَّمَ وَمَا يُخْفَى ﴿٨﴾ وَيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى ﴿٩﴾ فَذِكْرُنْ لِقَعْتِ الذِّكْرَى ﴿١٠﴾ سَيَذَكِّرُنْ مَنْ يَخْشَى ﴿١١﴾

له: لا تعجل بها، إنك لا تنسى ولا تشعب نفسك بالجهنم بها. ﴿إِنَّهُ﴾ تعالى ﴿يَعْلَمُ الْجَهَنَّمَ﴾ من القول والفعل ﴿وَمَا يُخْفَى﴾ منها. [٨] ﴿وَيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى﴾ للشرعية السهلة، وهي الإسلام. [٩] ﴿فَذَكِّرْ﴾ عظم بالقرآن ﴿إِنْ نَقَعْتَ الذِّكْرَى﴾ مَنْ تُذَكِّرُهُ، المذكور في: «سيدكرك»؛ يعني: وإن لم تنفع، ونفعها لبعض، وعدم النفع لبعض آخر. [١٠] ﴿سَيَذَكِّرْ﴾ بها ﴿مَنْ يَخْفَى﴾ يخاف الله - تعالى - كآية ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخْفَى وَعِيدٌ﴾^(٤). [١١] ﴿وَيَسِّرُهَا﴾ أي: الذكري؛ أي: يتركها جانباً لا يلتفت إليها ﴿الْأَشْفَى﴾ بمعنى الشقي؛ أي: الكافر. [١٢] ﴿الَّذِي يَصَلُّ النَّارَ الْكُرَى﴾ هي نار الآخرة، والصغرى نار الدنيا. [١٣] ﴿مَنْ لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾ فيستريح ﴿وَلَا يَحْيَى﴾ حياة هنيئة. [١٤] ﴿فَقَدْ أَفْلَحَ﴾ فاز ﴿مَنْ تَرَى﴾ تطهر بالإيمان. [١٥] ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ﴾ مكبراً ﴿فَصَلَّى﴾ الصلوات الخمس. وذلك من أمور الآخرة، وكفار مكة معرضون عنها.

(١) فائدة: أخرج النسائي عن أبي بن كعب قال: كان رسول الله ﷺ يوتر بـ ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾، و﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾. النسائي - كتاب قيام الليل (٢٠) باب (٤٦) القراءة في الوتر، وضححه الألباني في صحيح سنن النسائي (١٦٢٣).

(٢) بالتخفيف قراءة نافع وابن كثير والكسائي وأبي عمرو. (٣) الأعلى اسم من أسماء الله ﷻ، وهو يشتغل على إثبات صفة العلو لله - تعالى - ومعناه: الأعلى من كل شيء؛ ذاتاً وقهراً وشأناً. (٤) ق: ٤٥.

(٢) بل يجب تنزيه الاسم كذلك، كما يجب تنزيه ذاته المقدسة سبحانه.

بأهلها.

- [٢] ﴿وَمُؤْمِنًا يُؤْتِيهِمْ﴾ عبر بها عن الذوات في الموضعين ﴿خَشِيعَةً﴾ ذليلة.
 [٣] ﴿عَائِلَةً نَّاصِبَةً﴾ ذات نصيب وتعب، بالسلاسل والأغلال.
 [٤] ﴿تَصَلَّى﴾ ففتح الناء وضما^(١) ﴿نَارًا حَامِيَةً﴾.
 [٥] ﴿تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ مَّائِيَةٍ﴾ شديدة الحرارة.
 [٦] ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ صَرِيحٍ﴾ هو نوع من الشوك، لا ترعاه دابة؛ لحيته.
 [٧] ﴿لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾.
 [٨] ﴿وَجُودٌ يُؤْمِرُ بِعَائِمَةٍ﴾ حسنة.

- [٩] ﴿لَسَعِبًا﴾ في الدنيا بالطاعة ﴿رَاضِيَةً﴾ في الآخرة لما رأت ثوابه.
 [١٠] ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ جِدَا وَمَعْنَى﴾.
 [١١] ﴿لَا يُسْمَعُ﴾ بالياء والناء^(٢) ﴿فِيهَا﴾ [لاغية] أي: نفس ذات لغو، أي: هذيان من الكلام.
 [١٢] ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ بالياء؛ بمعنى: عيون.
 [١٣] ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ﴾ ذاتا وقدرا ومحلا.
 [١٤] ﴿وَأَكْوَابٌ﴾ أفداح لا غرى لها ﴿مَوْضُوعَةٌ﴾ على حافات العيون، معدة لشربهم.

- [١٥] ﴿وَنَارًا﴾ وسائد ﴿مَصْفُوفَةٌ﴾ بعضها بجانب بعض، يستند إليها.
 [١٦] ﴿وَرِزْقًا﴾ بسطط طنافس لها حمل^(٣) ﴿مَثْوًى﴾ مسوطة.
 [١٧] ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ﴾ أي: كفار مكة؛ نظر اعتبار ﴿إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾.

- [١٨] ﴿وَالِى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾. [١٩] ﴿وَالِى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾.
 [٢٠] ﴿وَالِى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ أي: بسطت، فيستدلون بها على قدرة الله - تعالى - ووحديته، وضدَّت بالإبل؛ لأنهم أشد ملاسة لها من غيرها، وقوله: ﴿سُطِحَتْ﴾ ظاهر في أن الأرض سطح؛ وعليه علماء الشرع، لا كره؛ كما قاله أهل الهيئة وإن لم ينقض ركنًا من أركان الشرع^(٤).

- [٢١] ﴿فَذَكِّرْ﴾ لهم نعم الله ودلائل توبيخه ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾.
 [٢٢] ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾ وفي قراءة بالصاد بدل السين؛ أي: بمسلط، وهذا قبل الأمر بالجهاد.

- [٢٣] ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿مَنْ تَوَلَّى﴾ أعرض عن الإيمان ﴿وَكَفَرَ﴾ بالقرآن.
 [٢٤] ﴿فَعَذِّبْنَاهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ﴾ عذاب الآخرة، والأصغر عذاب الدنيا بالقتل والأسر.

- [٢٥] ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾ رجوعهم بعد الموت.
 [٢٦] ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا جِسْمَهُمْ﴾ جزاءهم لا نتركه أبدًا.

(٥) فائدة: أخرج مسلم عن العمان بن بشير قال: كان رسول الله ﷺ يقرأ في العيدين وفي الجمعة بـ ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَكْبَرُ﴾، و﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْعَنكبُوتِ﴾ قال: وإذا اجتمع العيد والجمعة في يوم واحد يقرأ بهما أيضًا في الصلواتين. مسلم - كتاب الجمعة (٧) باب (١٦) ما يقرأ في صلاة الجمعة.

(١) بالياء لأني عمرو.
 (٢) بالضم قراءة أبي عمرو وشعبة، وقرأ بقية السبعة: ﴿تصلى﴾ بالفتح.
 (٣) بالياء لابن كثير وأبي عمرو، وقرأ نافع بالياء مع ضمها؛ منيًّا للمجهول؛ ﴿تسمع﴾، وقرأ بقية السبعة: ﴿تسمع فيها لاغية﴾ للفاعل مع نصب ﴿لاغية﴾.
 (٤) ﴿رِزْقًا﴾؛ جمع: ﴿رُزْقًا﴾ بتثنية الزاي. و﴿طنافس﴾؛ جمع: ﴿طنافسة﴾ بتثنية الفاء والطاء، وتسمى أيضًا: سجادة. وال ﴿تخلل﴾: ال وهذب.
 (٥) بل الصحيح أنها كروية كما ثبت بالعلم الحديث وبينه ثقات من علماء المسلمين من قبل، وأما بسطها وتسطيحها فلا يتنافى مع كرويتها في نفسها وذلك لتباعذ أطرافها، فكل قطعة منها على حدة ممدودة مسطحة، والكروية كائنة لجللتها، كما قال - تعالى -: ﴿وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَكَّةً﴾.
 (٦) ليشام، وقرأ حمزة بخلف عن خلاد: بإشمام الصاد الزاي، وقرأ بقية السبعة بالصاد، وهو الوجه الثاني لخلاد.

وَتَجَبَّبَهَا الْأَشْقَى ﴿١١﴾ الَّذِي صَلَّى النَّارَ الْكُبْرَى ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ﴿١٣﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَنْتُمْ ﴿١٧﴾ إِنْ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴿١٩﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْعَنكبُوتِ ﴿١﴾ وَجُودٌ يُؤْمِرُ بِعَائِمَةٍ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ مَّائِيَةٍ ﴿٥﴾ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ صَرِيحٍ ﴿٦﴾ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ﴿٧﴾ وَجُودٌ يُؤْمِرُ بِعَائِمَةٍ ﴿٨﴾ لَسَعِبًا رَاضِيَةً ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَارًا قَدْ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَرِزْقًا مَثْوًى ﴿١٦﴾ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكَرْهُمْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ﴿٢٢﴾

- [١٦] ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ﴾ بالثخانة والفرقانية^(١) ﴿الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ على الآخرة. [١٧] ﴿وَالْآخِرَةَ﴾ المشتملة على الجنة ﴿خَيْرٌ وَأَنْتُمْ﴾.
 [١٨] ﴿إِنَّ هَذَا﴾ أي: إفلاح من تزكى، وكون الآخرة خيرًا ﴿لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ أي: المنزلة قبل القرآن.
 [١٩] ﴿صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ وهي: عشر صحف لإبراهيم، والتوراة لموسى.

سورة العنكبوت

[مكية، ست وعشرون آية]^(*)
 بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 [١] ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْعَنكبُوتِ﴾ قد ﴿أَتَاكَ حَدِيثُ الْعَنكبُوتِ﴾ القيامة؛ لأنها تغشى الخلائق

سُورَةُ الْقَجْرِ

[مكية، أو: مدنية، ثلاثون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَالْقَجْرِ﴾ أي: فجر كل يوم.

[٢] ﴿وَالْيَلِّ عَشْرٍ﴾ أي: عشر ذي الحجة.

[٣] ﴿وَالشَّفَعِ﴾ الروح ﴿وَالْوَتْرِ﴾ يفتح الواو وكسرهما^(١)؛ لغتان: الفرد.

[٤] ﴿وَالْيَلِّ إِذَا بَسَّرَ﴾ مقبلاً ومدبراً.

[٥] ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ﴾ القسم ﴿فَقَسَمَ لِيَّي جَمْرٍ﴾ عقل؟ وجواب القسم محذوف؛ أي: لتعذُّبِي يا كفار مكة.

[٦] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تعلم يا محمد ﴿كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾.

[٧] ﴿إِنَّمَا﴾ هي عاد الأولى، ﴿فإِرم﴾ عطف بيان، أو: بدل، ومنع الصرف؛ للعلمية والتأنيث ﴿ذَاتِ الْاِيمَانِ﴾ أي: الطول، كان طول الطويل

منهم أربعاً ذراعاً^(٢).

[٨] ﴿الَّتِي لَمْ يَخْلُقْ يَتْلُهَا فِي الْيَلْدِ﴾ في بطشهم وقوتهم.

[٩] ﴿وَتَمُودَ الَّذِي جَاءُوا﴾ قطعوا ﴿الصَّخْرَ﴾ جمع «صخرة»، واتخذوها

بيوتاً ﴿بِالْوَادِ﴾ وادي القرى.

[١٠] ﴿وَفَرَعُونَ ذِي الْاَوْتَادِ﴾ كان يتد أربعاً أوتاد، يشد إليها يدي ورجلي

من يعذبه.

[١١] ﴿الَّذِينَ طَعَوْا﴾ تجبروا ﴿فِي الْيَلْدِ﴾.

[١٢] ﴿فَأَكْرَمُوا فِيهَا الْفَسَادَ﴾ القتل وغيره.

[١٣] ﴿فَقَسَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوَاطِئَ﴾ نوع ﴿عَذَابٍ﴾.

[١٤] ﴿إِنَّ رَبَّكَ لِكَلِيمٍ رَّصِيدٍ﴾ يرصد أعمال العباد، فلا يفوته منها شيء؛

ليجازيهم عليها.

[١٥] ﴿فَأَمَّا الْاِيسْنَ﴾ الكافر ﴿إِذَا مَا ابْتَلَاهُ﴾ اختبره ﴿رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ﴾

بالمال وغيره ﴿وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾.

[١٦] ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ﴾ ضيق ﴿عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ﴾.

[١٧] ﴿كَلَّا﴾ ردع؛ أي: ليس الإكرام بالغنى، والإهانة بالفقر، وإنما هو

الطاعة والمعصية، وكفار مكة لا ينتهون لذلك ﴿بَلْ لَا يُكْرَمُونَ﴾ الْاَيْتِمَ

لا يحسنون إليه مع غناهم، أو: لا يعطونه حقه من الميراث.

[١٨] ﴿وَلَا يَتَخَصَّصُونَ﴾ أنفسهم أو غيرهم ﴿عَلَى طَعَاوِرِ﴾ أي: إطعام

الْيَيْسَكِينَ.

[١٩] ﴿وَيَأْكُلُونَ﴾ الْاَثْرَاتِ الميراث ﴿أَكْثَرًا لَّمَّا﴾ أي: شديداً،

لأنهم نصيب النساء والصبيان من الميراث، مع نصيبهم منه أو: مع مالهم.

[٢٠] ﴿وَيُحِبُّونَ﴾ اَلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ أي: كثيراً فلا ينفقونه، وفي قراءة

(١) بالكسر حمزة والكسائي.

(٢) هذا من الإسرائيليات التي لا تصح، وتتنافى مع ما صح عنه من تناقض الخلق من لندن آدم عليه السلام، والذي كان طوله ستون ذراعاً فقط، ومعنى ﴿ذَاتِ الْاِيمَانِ﴾ أي: ذات الأبهة المرفوعة على العنق، أو: البناء

المرتفع، وقال مجاهد وقادة: كانوا أهل عمود لا يقيمون؛ أي لحياهم، واختاره ابن جرير، ورواه ابن كثير.

(٣) والقراءة المذكورة أولاً بالياء في الأربعة لأبي عمرو. وقرأ بقية السبعة بالتاء، إلا أنه قرأ نافع وابن كثير وابن عامر ﴿مُحْضُونَ﴾. وقرأ بقتبهم: ﴿مُحَاضُونَ﴾.

(٤) تأويل الجيء بأمر الله خلاف ظاهر النص، وعدول عما فهمه السلف من الآية، والجيء صفة من صفات الفعل التابئة لله تعالى على ما يليق به.

(٥) كما جاء في حديث ابن مسعود عند مسلم (٢٨٤٢) مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم: «يؤتى بهنم يومئذ، لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها». والزمام: هو: الحطام الذي يقاد به البعير.

إِلَّا مَن تَوَلَّى وَكَفَرَ ﴿٢١﴾ فَيَعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ﴿٢٢﴾

إِنَّ اِلْتِنَاءَ آيَاتِهِمْ ﴿٢٣﴾ ثُمَّ إِنَّا عَلَيْنَا حِسَابُهُمْ ﴿٢٤﴾

سُورَةُ الْقَجْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْقَجْرِ ﴿١﴾ وَالْيَلِّ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَالشَّفَعِ وَالْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَالْيَلِّ إِذَا بَسَّرَ ﴿٤﴾

هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ ﴿٥﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾

إِرمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يَخْلُقْ مِثْلَهَا فِي الْاَلْبَدِ ﴿٨﴾ وَتَمُودَ الَّذِي

جَاءُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ وَفَرَعُونَ ذِي الْاَوْتَادِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ طَعَوْا فِي

الْيَلْدِ ﴿١١﴾ فَأَكْرَمُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوَاطِئَ

عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبَاِئِرٌ رَّصِيدٌ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا الْاِيسْنَ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ

رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ

فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا بَلْ لَا تُكْرَمُونَ

الْيَيْسِمَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَتَخَصَّصُونَ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ

الْاَثْرَاتِ أَكْثَرًا لَّمَّا ﴿١٩﴾ وَحِبُّونَ اَلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ كَلَّا إِذَا

ذُكِرَ اَلْأَرْضُ ذُكِّرًا كَمَا ﴿٢١﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾

بالفوقانية في الأفعال الأربعة^(٣).

[٢١] ﴿كَلَّا﴾ ردع لهم عن ذلك ﴿إِذَا ذُكِرَ اَلْأَرْضُ ذُكَّا ذُكَّا﴾ زلزلت،

حتى يهدم كل بناء عليها وينعدم.

[٢٢] ﴿وَسَاءَ رَبُّكَ﴾ أي: أمره^(٤) ﴿وَالْمَلَكُ﴾ أي: الملائكة ﴿صَفًّا صَفًّا﴾

صَفًّا؛ حال؛ أي: مصطفين، أو: ذوي صفوف كثيرة.

[٢٣] ﴿وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ تقاد بسبعين ألف زمام، كل زمام بأيدي

سبعين ألف ملك^(٥) لها زفير وتغيظ. ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ بدل من «إِذَا»، وجوابها:

﴿يَذُكَّرُ اَلْاِنْسَانُ﴾ أي: الكافر ما فرط فيه ﴿وَأَنَّى لَهُ اَلَّذِكْرُونَ﴾ استفهام

بمعنى النفي؛ أي: لا ينفعه تذكره ذلك.

سورة البقرة

[مكية، عشرون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَحَقُّ بِهَذَا الْبَيْتِ مِنْكَ﴾ مكية.
 [٢] ﴿وَأَنْتَ يَا مُحَمَّدٌ ﴿حَلَّالٌ﴾ بِهَذَا الْبَيْتِ﴾ بأن يحل لك
 فنقاتل فيه، وقد أنجز الله له هذا الوعد يوم الفتح، فالجملة اعتراض بين المقسم
 به وما عطف عليه.

[٣] ﴿وَوَالِدٍ﴾ أي: آدم ﴿وَمَا وَلَدٌ﴾ أي: ذريته، و«ما» بمعنى «من».

[٤] ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ أي: الجنس ﴿فِي كَيْدٍ﴾ نصب وشدة؛ يكابد
 مصائب الدنيا وشدائد الآخرة.

[٥] ﴿أَيْحَسِبُ﴾ أيظن الإنسان؛ قوي قریش، وهو أبو الأشد ابن كندة،
 بقوته ﴿أَنْ﴾ مخففة من الثقيلة، واسمها محذوف؛ أي: أنه ﴿أَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾
 أحدٌ ﴿وَاللَّهُ قَادِرٌ عَلَيْهِ﴾.

[٦] ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ﴾ على عدواة محمد ﴿مَا لَا لُبْدًا﴾ كثيرًا بعضه على
 بعض. [٧] ﴿أَيْحَسِبُ أَنْ﴾ أي: أنه ﴿نَمَّ رَوْهُ أَحَدٌ﴾ فيما أنفقه، فيعلم قدره؟
 والله عالم^(٦) بقدره، وأنه ليس مما يكثر به، ومجازيه على فعله السيئ.

[٨] ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ﴾ استفهام تقرير؛ أي: جعلنا ﴿لَهُ عَيْنَيْنِ﴾.

[٩] ﴿وَلِسَانًا وَمَنْفَرَتَيْنِ﴾.

[١٠] ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ بيِّنًا له طريق الخير والشر.

[١١] ﴿فَلَا﴾ فهلاً ﴿أَفَنَحْمُ الْعَقَبَةَ﴾ جاوزها.

[١٢] ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ أعلمك ﴿مَا الْعَقَبَةُ﴾ التي يقتحمها؛ تعظيمًا لشأنها،
 والجملة اعتراض.

[١٣] ﴿وَيَسِّرْ﴾ سبب جوازها بقوله: ﴿فَكُ رَقِيَّةٌ﴾^(٧) من الرق بأن أعتقها.

[١٤] ﴿أَوْ﴾ [أَطْعَمَ]^(٨) في يوم ذي مسغبةٍ ﴿مَجَاعَةً﴾.

[١٥] ﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ قرابة.

[١٦] ﴿أَوْ﴾ [مَشِيكًا ذَا مَقْرَبَةٍ] لُصُوقٌ بِالرَّابِ؛ لفقره، وفي قراءة بدل
 الفعلين^(٩)؛ مصدران مرفوعان مضاف الأول لرقية^(١٠)، وبنون الثاني^(١١)، فيقدر
 قبل العقبة: اقتحام^(١٢)، والقراءة المذكورة^(١٣) بيانه.

[١٧] ﴿ثُمَّ﴾ [كَانَ] عطف على «اقتحم»، و«ثم» للترتيب الذكري،
 والمعنى: كان وقت الاقتحام ﴿مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا﴾ أوصى بعضهم بعضًا
 ﴿بِالْقَسْرِ﴾ على الطاعة، وعن المعصية ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ الرحمة على
 الخلق. [١٨] ﴿أُولَئِكَ﴾ الموصوفون بهذه الصفات ﴿أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ اليمين.

[١٩] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَانِبَانَا﴾ أي: أصحاب الشمال.

[٢٠] ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ﴾ بالهمزة والواو بدله^(١٤)، مُطْبَقَةٌ.

وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى
 لَهُ الذِّكْرَى ﴿٣١﴾ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴿٣٢﴾ فَيَوْمَئِذٍ
 لَا يُعَدِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا ﴿٣٣﴾ وَلَا يُؤْتِيهِمْ وَتَاقَهُ أَحَدًا ﴿٣٤﴾ يَا أَيُّهَا
 النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٣٥﴾ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٣٦﴾
 فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٣٧﴾ وَادْخُلِي جَنَّاتِي ﴿٣٨﴾

سورة البقرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَيْتِ ﴿١﴾ وَأَنْتَ حَلُّهُ الْبَيْدِ ﴿٢﴾ وَالْوَالِدِ وَمَا وُلِدَ
 ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ﴿٤﴾ أَيْحَسِبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ
 أَحَدٌ ﴿٥﴾ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَا لَا لُبْدًا ﴿٦﴾ أَيْحَسِبُ أَنْ لَنْ يَمُرَّهُ أَحَدٌ
 ﴿٧﴾ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَاهُ
 النَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ فَلَا أَفْتَحُمُ الْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾
 فَكُ رَقِيَّةٌ ﴿١٣﴾ أَوْ اطْعَمٌ فِي يَوْمِ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ
 ﴿١٥﴾ أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا
 بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾

[٢٤] ﴿يَقُولُ﴾ مع تذكره: ﴿يَا﴾ للتنبيه ﴿لَيْتَنِي قَدَّمْتُ﴾ الخير والإيمان
 ﴿لِحَيَاتِي﴾ الطيبة في الآخرة، أو: وقت حياتي في الدنيا. [٢٥] ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا
 يُعَدِّبُ﴾ بكسر الذال ﴿عَذَابُهُ﴾ أي: الله ﴿أَحَدٌ﴾ أي: لا يكله إلى غيره.
 [٢٦] ﴿وَوَ﴾ كذا ﴿لَا يُؤْتِيهِمْ﴾ بكسر التاء ﴿وَتَاقَهُ أَحَدٌ﴾ وفي قراءة^(١) بفتح
 الذال والتاء، فضمير «عذابه» و«تواقه» للكافر، والمعنى: لا يُعَدِّبُ أَحَدٌ مِثْلَ
 تَعْدِيهِ، وَلَا يُؤْتِيهِمْ مِثْلَ إِتِاقِهِ. [٢٧] ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ وهي
 المؤمنة. [٢٨] ﴿ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ يقال لها ذلك عند الموت؛ أي: ارجعي إلى
 أمره وإرادته^(٢) ﴿رَاضِيَةً﴾ بالثواب ﴿مَرْضِيَّةً﴾ عند الله بملكك؛ أي: جامعة
 بين الوصفين، وهما حالان، ويقال لها في القيامة: [٢٩] ﴿فَادْخُلِي فِي﴾ جملة
 ﴿عِبَادِي﴾ الصالحين [٣٠] ﴿وَادْخُلِي جَنَّاتِي﴾ معهم.

(١) للكسائي.

(٢) وهذه طريقة نفاة الصفات بزعم تنزيه الله ﷻ عن مشابهة خلقه، والصواب أن الرجوع إلى الله: لقاؤه - سبحانه - يوم القيامة، والوقوف بين يديه للحساب والجزاء، على ما يليق بجلاله، أو يكون المراد بالنفس: الروح، ولقاؤها ربها حين خروجها من الجسد ساعة الموت.

(٣) العلم غير الرؤية وإن كان من لوازمها؛ وصنع المفسر جريًا على طريقته في تأويل الصفات كما هي طريقة أهل التأويل.

(٤) (٥) للكسائي وابن كثير وأبي عمرو.

(٦) (٧) أي: «فكُ رقية».

(٨) أي: «إطعام».

(٩) أي: بالمصدرين المرفوعين: «فكُ»، و«إطعام». وقوله: «بيانه» أي هذه القراءة بيان لمعنى الاقتحام المقدر؛ أي: اقتحام العقبة هو: فكُ رقية أو إطعام.

(١٠) (١١) بالواو قراءة السبعة عدا حمزة وحفص وأبي عمرو.

سُورَةُ الشَّمْسِ

[مكية، خمس عشرة آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴿١﴾ ضوئها. [٢] وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَّهَا ﴿٢﴾ تبعها طالما عند غروبها. [٣] وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّهَا ﴿٣﴾ بارتفاعه. [٤] وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ﴿٤﴾ يغطيها بظلمته، و«إذا» في الثلاثة مجرد الظرفية^(١)، والعامل فيها فعل القسم. [٥] وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ﴿٥﴾ [٦] وَالْأَرْضِ وَمَا طَرَاهَا ﴿٦﴾ بسطها. [٧] وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ يعني نفوس «وَمَا سَوَّاهَا» في الحلقة، و«ما» في الثلاثة مصدرية، أو بمعنى «من». [٨] فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ يبيِّن لها طريق الخير والشر، وأختر التقوى؛ رعاية لرؤوس الآي. [٩] وَجواب القسم: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ﴿٩﴾﴾ حذف منه اللام طول الكلام ﴿مَنْ رَزَقْنَاهَا ﴿٩﴾﴾ طهرها من الذنوب. [١٠] ﴿وَقَدْ خَابَ ﴿١٠﴾﴾ خس ﴿مَنْ دَسَّانَاهَا ﴿١٠﴾﴾ أخفاها بالمعصية، وأصله: دسَّسها؛ أبدلت السين الثانية ألفًا تخفيفًا. [١١] ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ﴿١١﴾﴾ رسولها صالحًا ﴿يَطَّعُونَهَا ﴿١١﴾﴾ بسبب طغيانها. [١٢] ﴿إِذْ أَبْعَثَ ﴿١٢﴾﴾ أسرع ﴿أَشَقَّانَهَا ﴿١٢﴾﴾ واسمه قُدَّار، إلى عقر الناقة برضاهم. [١٣] ﴿فَقَالَ لِمُ ﴿١٣﴾﴾ رَسُولِ اللَّهِ ﴿صالح: ﴿نَاقَةَ اللَّهِ ﴿١٣﴾﴾ أي: ذروها ﴿وَسَقَّانَهَا ﴿١٣﴾﴾ شربها في يومها، وكان لها يوم ولهم يوم. [١٤] ﴿فَكَذَّبُوهُ ﴿١٤﴾﴾ في قوله ذلك عن الله، المرتب عليه نزول العذاب بهم، إن خالفوه ﴿فَعَقَرُوهَا ﴿١٤﴾﴾ قتلوها ليسلم لهم ماء شربها. [١٥] ﴿فَدَمَّرْنَا ﴿١٥﴾﴾ أطبق ﴿عَلَيْهِمْ رُجُومَهُ ﴿١٥﴾﴾ العذاب ﴿يَدْبِيهِمْ فَسَوَّاهَا ﴿١٥﴾﴾ أي: الدممة عليهم؛ أي: عثمهم بها، فلم يفلت منهم أحد. [١٦] ﴿وَلَا ﴿١٦﴾﴾ بالواو والفاء^(٢) ﴿يَخَافُ ﴿١٦﴾﴾ يعتتها.

سُورَةُ اللَّيْلِ

[مكية، إحدى وعشرون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾ بظلمته، كل ما بين السماء والأرض. [٢] وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ تكشَّف وظهر، و«إذا» في الموضعين مجرد الظرفية، والعامل فيها فعل القسم. [٣] ﴿وَمَا ﴿٣﴾﴾ بمعنى «من» أو: مصدرية ﴿خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣﴾﴾ آدم وحواء، وكل ذكر وكل أنثى، والخنثى المشكِل عندنا ذكر أو أنثى عند الله - تعالى - فيحنث بكليمه من حلف لا يكلم ذكرًا ولا أنثى. [٤] ﴿إِنَّ سَعْيَكُمُ ﴿٤﴾﴾ عملكم ﴿لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾﴾ مختلف؛ فعامل اللجنة بالطاعة، وعامل للنار بالمعصية. [٥] ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ ﴿٥﴾﴾ حق الله ﴿وَأَتَّقَىٰ ﴿٥﴾﴾ الله.

(١) أي: فلا تنفيذ الشرطية.

(٢) بالفاء قراءة نافع وابن عامر، وقراء بقية السبعة بالواو.

(٣) أي: في هذه الآية، والآية التاسعة من نفس السورة.

(٤) أي: شذوذًا.

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَإِيَّاكُمْ أَصْحَابَ الْمَشْجَمِ ﴿١٠﴾ عَلَيْهِمْ تَارٌ مِّنْ مَّوْصَدَةٍ ﴿١٠﴾

سُورَةُ الشَّمْسِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴿١﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَّهَا ﴿٢﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّهَا ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ﴿٤﴾ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ﴿٥﴾ وَالْأَرْضِ وَمَا طَرَاهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَزَقْنَاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّانَاهَا ﴿١٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَّغْوَاهَا ﴿١١﴾ إِذْ أَبْعَثَ أَشَقَّانَهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقَّانَهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمَّرْنَا عَلَيْهِمْ رُجُومَهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴿١٥﴾

سُورَةُ اللَّيْلِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣﴾ إِنَّ سَعْيَكُمُ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَدِّسِرُهُ لِّلْجَنَّةِ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ كَبَّلَ وَالْأَسَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾

[٦] ﴿وَصَدَقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾﴾ أي: بلا إله إلا الله، في الموضعين^(٣).

[٧] ﴿فَسَدِّسِرُهُ لِّلْجَنَّةِ ﴿٧﴾﴾ للجنة.

[٨] ﴿وَأَمَّا مَنْ كَبَّلَ ﴿٨﴾﴾ بحق الله ﴿وَأَسْتَقْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ عن ثوابه.

[٩] ﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾﴾.

[١٠] ﴿فَسَدِّسِرُهُ ﴿١٠﴾﴾ نهيبه ﴿لِلْجَنَّةِ ﴿١٠﴾﴾ للنار.

[١١] ﴿وَمَا ﴿١١﴾﴾ نافية ﴿يُنْفِ عَنهُ مَالَهُ إِذَا تَرَدَّىٰ ﴿١١﴾﴾ في النار.

[١٢] ﴿إِنَّ عَيْنَنَا لَلْهَدَىٰ ﴿١٢﴾﴾ لتبيين طريق الهدى من طريق الضلال؛ ليمتثل أمرنا بسلك الأول، ونهيننا عن ارتكاب الثاني.

[١٣] ﴿وَلَنَا لَنَا لَلْخَيْرِ وَالْأَرْشَىٰ ﴿١٣﴾﴾ أي: الدنيا؛ فمن طلبهما من غيرنا فقد أخطأ.

[١٤] ﴿فَأَنْذَرْتَهُمْ ﴿١٤﴾﴾ خوفتكم يا أهل مكة ﴿نَارًا تَلْقَىٰ ﴿١٤﴾﴾ بحذف إحدى التاءين من الأصل، وقرئ^(٤) بنبوتها؛ أي: تتوقد.

﴿وَتَعْبُرُ مَا دُونَهُ ذَلِكَ لِمَنْ نَبَاةٌ﴾^(١) فيكون المراد الضحى المؤبد. [١٧] ﴿وَسَيَجْزِيَنَّهَا﴾ يعبد عنها ﴿الْأَنْفَى﴾ بمعنى التقى. [١٨] ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾ متركيها به عند الله تعالى. بأن يخرجها لله تعالى. لا رياء ولا سمعة؛ فيكون زاكيا عند الله، وهذا نزل في الصديق عليه السلام لما اشترى بلالاً للمعذب على إيمانه وأعتقه، فقال الكفار: إنما فعل ذلك ليد كانت له عنده فنزلت: [١٩] ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَىٰ إِلَّا الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾. [٢٠] ﴿إِلَّا﴾ لكن فعل ذلك ﴿أَنْبَاءً وَسَبَّوْهُ رَبِّهُ أَلْقَىٰ﴾ أي: طلب ثواب الله^(٢). [٢١] ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ بما يُعطاه من الثواب في الجنة^(٣)، والآية تشمل من فعل مثل فعله رضي الله عنه. فيبعد عن النار ويثاب.

سورة الضحى

[مكية، إحدى عشرة آية]

ولما نزلت كبر عليه السلام آخرها فسُنَّ التكبير آخرها^(٤). وروي^(٥) الأمر به خاتمتها وخاتمة كل سورة بعدها، وهو: الله أكبر، أو: لا إله إلا الله والله أكبر.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَالضُّحَىٰ﴾ أي: أول النهار أو كله. [٢] ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ غطى بظلامه أو سكن. [٣] ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾ تركك يا محمد ﴿وَمَا قَلَّ﴾ أبغضك، نزل هذا لما قال الكفار عند تأخر الوحي عنه خمسة عشر يوماً: إن ربه ودعه وفلاه^(٦). [٤] ﴿وَاللَّآخِرَةَ حَبْرِ لَكَ﴾ لما فيها من الكرامات لك ﴿وَمِنَ الْأُولَىٰ﴾ الدنيا. [٥] ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ﴾ في الآخرة من الخيرات عطاءً جزيلًا ﴿فَرِحْتَنِي﴾ به، فقال عليه السلام: «إذن لا أرضى وواحد من أمتي في النار»^(٧) إلى هنا تم جواب القسم بمُتَّبِعِينَ بعد مُتَّبِعِينَ. [٦] ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا﴾ استفهام تقرير؛ أي: وجدك ﴿يَتِيمًا﴾ بفقد أبيك قبل ولادتك، أو: بعدها ﴿فَتَوَكَّلْ﴾ بأن ضُمَّكَ إلى عمك أبي طالب. [٧] ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا﴾ عما أنت عليه من الشريعة ﴿فَهَدَىٰ﴾ أي: هداك إليها. [٨] ﴿وَوَجَدَكَ

فَسَيَرْضَىٰ رَبُّكَ لِلْعُسْرَىٰ﴾ وَمَا يُعْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ ﴿١﴾ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَنَا الْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ﴿٣﴾ فَأَنْزَلْنَاهُ نَارًا طَالِقًا ﴿٤﴾ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿٥﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٦﴾ وَسَيَجْزِيَنَّهَا ﴿٧﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ﴿٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَىٰ ﴿٩﴾ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ﴿١٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿١١﴾

سورة الضحى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ وَالْآخِرَةَ حَبْرِ لَكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾

سورة الشرح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنَّا وَزْرَكَ ﴿٢﴾

[١٥] ﴿لَا يَصْلَاهَا﴾ يدخلها ﴿إِلَّا الْأَشْقَى﴾ بمعنى الشقي. [١٦] ﴿الَّذِي كَذَّبَ﴾ النبي ﴿وَتَوَلَّى﴾ عن الإيمان، وهذا الحصر مؤول؛ لقوله - تعالى -:

(٥) جاء في نزول الآيات (٣٠١): أخرجه البخاري عن جندب بن سفيان رضي الله عنه قال: اشتكى رسول الله ﷺ فلم يبق ليدين أو ثلاثاً، فجاءت امرأة فقالت: يا محمد، إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك؛ لم أره قربك منذ ليلتين أو ثلاثاً، فأقول الله ﷻ: ﴿وَالضُّحَىٰ﴾ ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾. البخاري. كتاب التفسير (٦٥) سورة الضحى (٩٣) باب (١) كيف نزل الوحي وأول ما نزل.

(١) النساء: ٤٨.

(٢) في الآية إثبات صفة الوجه لله ﷻ، وسبق الإشارة إلى كلام ابن القيم في الرد على من قال: إن لفظ الوجه مجاز، وبيان بطلان هذا القول. وقال ابن كثير في تفسير الآية: أي طمعا في أن يحصل له رؤيته في الدار الآخرة في روضات الجنات.

(٣) أخرجه نحوه الواحدي في أسباب النزول ص (٣٩٢) عن ابن عباس، وأخرجه نحوه أيضاً الأجرى في الشريعة (٥٤ / ٣) رقم (١٣٥١)، وإسناده ضعيف لانقطاعه كما في الاستيعاب (٥١٨/٣)، ٥١٩. وفي الطبري (١٤٦/٣٠)، والطبراني في الكبير (٣/٢٠) عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال: نزلت هذه الآية في أبي بكر الصديق رضي الله عنه. دون ذكر قصة بلال واعتناقه له، ولا قول الكفار عن ذلك. وقال الهيثمي في المجمع (١٣٨/٧): «رواه البراز، وفيه مصعب بن ثابت، وثقه ابن حبان، وضعفه جماعة، وشيخ الزبار لم يسمعه». وأخرجه الحاكم (٥٢٥/٢) وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي فهو حسن بمجموع طرقه؛ وانظر الاستيعاب (٥١٧/٣).

(٤) قال الشيخ ابن باز رحمته الله في مجموع فتاوى ومقالات الجزء الأول عندما سئل: هل ثبت التكبير من سورة الضحى إلى آخر القرآن؟ قال: لم يثبت ذلك عن النبي ﷺ كما صرح بذلك الحافظ ابن كثير رحمته الله في أول تفسير سورة الضحى، ولكن ذلك عادة جرى عليها بعض القراء لحديث ضعيف ورد في ذلك، فالأولى ترك ذلك لأن العبادات لا تثبت بالأحاديث الضعيفة والله الموفق.

(٥) أخرجه الحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في الشعب من طريق أبي الحسن البرقي المقرئ عن أبي بن كعب مرفوعاً [الدر المنثور (٦٠٨/١)]، ورواه الحافظ الذهبي في ميزان الاعتدال (١/ ١٤٥) ثم قال: «هذا حديث غريب، وهو مما أنكر على البرقي، قال أبو حاتم: منكره»، وانظر أول تفسير سورة الضحى لابن كثير حيث ذكر عن الشافعي ما يدل على تصحيحه لهذا الحديث.

(٦) متفق عليه من حديث جندب بن سفيان رضي الله عنه؛ البخاري (٤٩٥٠)، ومسلم (١٧٩٧).

(٧) لم أجد بهذا اللفظ، وأخرج البيهقي في شعبه عن ابن عباس قال: رضاه أن يدخل أمته كلهم الجنة. شعب الإيمان (١٦٤/٢). وقال ابن القيم في الجواب الكافي ص (٢٦) في معرض الرد على من يحتج بذلك؛ قال: «ومنهم من يعتر بفهم فاسد، فهمه هو وأضرابه من نصوص القرآن والسنة؛ فانكروا عليه؛ كانكال بعضهم على قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ قالوا: وهو لا يرضى أن يكون في النار أحد من أمته، وهذا من أفتح الجهل، وأبين الكذب عليه؛ فإنه يرضى بما يرضى به ربه ﷻ، والله تعالى يرضيه تعذيب الظلمة والفسقة والحفوة والمصرين =

عَايِلًا ﴿فَقِيرًا﴾ ﴿فَأَعْفَنَ﴾ أَغْنَاكَ بِمَا فَعَلْتَ بِهِ مِنَ الْغَنِيمَةِ وَغَيْرِهَا، وَفِي الْحَدِيثِ: «لَيْسَ الْغَنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ وَلَكِنْ الْغَنَى غِنَى النَّفْسِ» (١). [٩] ﴿فَأَمَّا آلِيَبَدِّ فَمَا نَفَهَرُ﴾ بِأَخْذِ مَالِهِ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ. [١٠] ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرُ﴾ تَنْجِرُهُ لِفَقْرِهِ. [١١] ﴿وَأَمَّا بِسَعْمَةَ رَبِّكَ﴾ عَلَيْكَ بِالْبُيُوتِ وَغَيْرِهِ ﴿فَوَحِّدْتُ﴾ أَخْبِرِي، وَحَدَفَ ضَمِيرُهُ ﷺ فِي بَعْضِ الْأَعْمَالِ رِعَايَةَ الْفُرَاصِلِ.

الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾
إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْجَبْ﴾

سُورَةُ التِّينِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿٣﴾
لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾
إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾
فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدَ الْبَيِّنَاتِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ﴿٨﴾

سُورَةُ الْعَجَلِقِينِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَقْرَأَ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ أَقْرَأَ
وَرَبِّكَ الْأَكْثَرُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنسَانَ
مَا لَمْ يَكُنَّ يَعْلَمُ ﴿٥﴾ كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَ طَغْيَىٰ ﴿٦﴾
أَنْ رَأَاهُ اسْتَعْجَىٰ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ﴿٨﴾ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا
إِذَا صَلَّىٰ ﴿١٠﴾ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ ﴿١٢﴾

ذلك من الشاهدين (٤).

سُورَةُ الْعَجَلِقِينِ

امكية، تسع عشرة آية. صدرها إلى: ﴿مَا لَوْ يَتَمُّ﴾ أول ما نزل من القرآن، وذلك بغار حراء. رواه البخاري (٥٠٠٠).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿أَقْرَأَ﴾ أوجد القراءة، مبتدأ ﴿بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ الخلائق. [٢] ﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ﴾ الجنس ﴿مِنْ عَلَقٍ﴾ جمع علقه، وهي القطعة اليسيرة من الدم الغليظ. [٣] ﴿أَقْرَأَ﴾ تأكيد للأول ﴿وَرَبِّكَ الْأَكْثَرُ﴾ الذي لا يوزا به كريم، حال من الضمير في «اقرأ». [٤] ﴿الَّذِي عَلَّمَ﴾ الخط ﴿بِالْقَلَمِ﴾ وأول من خط به إدريس عليه السلام (١). [٥] ﴿عَلَّمَ الْإِنسَانَ﴾ الجنس ﴿مَا لَمْ يَتَمُّ﴾ قبل تعليمه؛ من الهدى والكتابة والصناعة وغيرها. [٦] ﴿كَلَّا﴾ حقاً ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ﴾

سُورَةُ الشَّرْحِ

مكية، ثمان آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الَّذِي نَشْرَحُ﴾ استفهام تقرير؛ أي: شرحنا ﴿لَكَ﴾ يا محمد ﴿صَدْرَكَ﴾ بالنبوة وغيرها. [٢] ﴿وَوَضَعْنَا﴾ حططنا ﴿عَنكَ﴾ وَوَرَدَكَ. [٣] ﴿الَّذِي أَنْقَضَ﴾ أُنْقَلَ ﴿ظَهْرَكَ﴾ وهذا كقولہ - تعالى -: ﴿يَعْفِرُ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ﴾ (١). [٤] ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ بأن تُذَكَّرَ مع ذكري، في الأذان والإقامة، والشهد والخطبة، وغيرها. [٥] ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ﴾ الشدة ﴿يُسْرًا﴾ سهولة. [٦] ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ والنبي ﷺ قاسى من الكفار شدة، ثم حصل له اليسر بصره عليهم. [٧] ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ﴾ من الصلاة ﴿فَانصَبْ﴾ اتعب في الدعاء. [٨] ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْجَبْ﴾ تضرع.

سُورَةُ التِّينِ

مكية، أو: مدنية، ثمان آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾؛ أي: المأكولين، أو: جبلين بالشام، يثبتان المأكولين. [٢] ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ الجبل الذي كلم الله - تعالى - عليه موسى، ومعنى «سينين»: المبارك، أو: الحسن بالأشجار المثمرة. [٣] ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ مكة؛ لأمن الناس فيها جاهليةً وإسلامًا. [٤] ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ﴾ الجنس ﴿فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ تعديل لصورته. [٥] ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ﴾ في بعض أفرادہ ﴿أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ كناية عن الهرم والضعف، فينقص عمل المؤمن عن زمن الشباب ويكون له أجره؛ لقوله - تعالى -: [٦] ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ مقطوع، وفي الحديث: ﴿إِذَا بَلَغَ الْمُؤْمِنُ مِنَ الْكِبَرِ مَا يُعْجِزُهُ عَنِ الْعَمَلِ، كُحِبَّ لَهُ مَا كَانَ يُفْعَلُ﴾ (٣). [٧] ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ﴾ أيها الكافر ﴿بَعْدَ﴾ بعد ما ذكر من خلق الإنسان في أحسن صورة، ثم رده إلى أرذل العمر، الدال على القدرة على البعث ﴿بِالذِّينِ﴾ بالجزاء المسبوق بالبعث والحساب؛ أي: ما يجعلك مكذبًا بذلك، ولا جاعل له!؟ [٨] ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ﴾ أي: هو أفضى القاضين، وحكمه بالجزاء من ذلك، وفي الحديث: «من قرأ والتين إلى آخرها فليقل: بلى وأنا على

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن يحيى بن أبي كثير قال: سألت أبا سلمة: أي القرآن أنزل أول؟ فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾. قلت: أنبت أنه ﴿أَقْرَأَ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾؛ قال أبو سلمة: سألت جابر بن عبد الله: أي القرآن أول؟ فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾. قلت: أنبت أنه ﴿أَقْرَأَ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾؛ فقال: لا أحرك إلا بما قال رسول الله ﷺ سبق تخريجه والتعليق عليه في أول سورة المدثر.

= على الكبار، فحاشا رسول الله لا يرضى بما يرضى به ربه تبارك وتعالى. (١) أخرجه البخاري (٦٤٤٦) ومسلم (١٠٥١) عن أبي هريرة مرفوعا. (٢) الفتح: ٢. (٣) أخرجه الطبري عن إبراهيم بن قوله (٥١١/٢٤)، وأخرج البخاري (٢٩٩٦) عن أبي موسى الأشعري مرفوعا: «إذا مرض العبد أو سافر، كُحِبَّ له مثل ما كان يعمل مقبها صحيحا». (٤) أخرجه الترمذي (٣٣٤٧) وأبو داود (٨٨٧) وأحمد (٧٣٤٤) عن أبي هريرة مرفوعا، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٥٧٨٤). (٥) البخاري (٤٩٥٣). (٦) قاله الضحاك. وقيل: بل آدم عليه السلام.

يَعْلَمُ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ﴿١٧﴾ ما صدر منه؛ أي: يعلمه (١٧) فيجازه عليه؛ أي: اعجب منه يا مخاطب؛ من حيث نبيه عن الصلاة، ومن حيث إن النبي على الهدى أمر بالتقوى، ومن حيث إن الناهي مكذب متول عن الإيمان. [١٥] ﴿كَلَّا﴾ ردع له ﴿لَيْنٌ﴾ لام قسم ﴿لَوْ بَدَيْتُ﴾ عما هو عليه من الكفر ﴿لَسَفَعْنَا بِالنَّاصِيَةِ﴾ لنجوت ناصيته إلى النار. [١٦] ﴿نَّاصِيَةٍ﴾ بدل نكرة من معرفة ﴿كَذِبَةٍ خَائِفَةٍ﴾ وضمها بذلك مجاز، والمراد صاحبها. [١٧] ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ أي: أهل ناديه، وهو المجلس يتنقذ، يتحدث فيه القوم، وكان قال للنبي ﷺ لما انتهره حيث نهاه عن الصلاة: لقد علمت ما بها رجل أكثر نادياً مني؛ لأملأن عليك هذا الوادي إن شئت خيلاً مجرداً ورجالاً مردداً. [١٨] ﴿سَنَنْتُكَ أَزْوَاجًا﴾ الملائكة الغلاظ الشداد لإهلاكه، كما في الحديث: «لو دعا ناديه لأخذته الزبانية عياناً» (٤). [١٩] ﴿كَلَّا﴾ ردع له ﴿لَا تُلْمَعُونَ﴾ يا محمد في ترك الصلاة ﴿وَأَسْجُدْ﴾ صل لله ﴿وَأَقْرَبْ﴾ منه بطاعته (٤).

سُورَةُ الْقَدْرِ

[مكية، أو: مدنية، خمس، أو: ست آيات]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ أي: القرآن، جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ﴿فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ أي: الشرف العظيم. [٢] ﴿وَمَا أَذْرُوكَ﴾ أعلمك يا محمد ﴿مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ تعظيم لشأنها، وتعجب منه. [٣] ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ ليس فيها ليلة القدر، فالعمل الصالح فيها خير منه في ألف شهر ليست فيها. [٤] ﴿نَزَّلْنَا الْمَلَأِكَةَ﴾ بحذف إحدى التائين من الأصل ﴿وَالرُّوحِ﴾ أي: جبريل ﴿فِيهَا﴾ في الليلة ﴿يَأْذِنُ رَبِّهِمْ﴾ بأمره ﴿وَمَنْ كَلَّمَ رَبَّهُ﴾ قضاة الله فيها، لتلك السنة إلى قابل، و«من» سببية بمعنى الباء. [٥] ﴿سَلَّمَ مِنْ حَيْثُ خَبِرَ مَقْدَمًا وَمَبْتَدَأً﴾ (٥) ﴿حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ بفتح اللام وكسرهما (١)، إلى وقت طلوعه، جعلت سلاماً؛ لكثرة السلام فيها من الملائكة، لا تشعروا بمؤمن ولا بمؤمنة إلا سلمت عليه.

سُورَةُ الْبَيِّنَاتِ

[مكية، أو: مدنية، تسع آيات] (**)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿لَا يَكْفُرُ الْإِسْلَامُ﴾ أي: لا يفر محمد وجهه بين أظهركم؟ قال: فقول: نعم. فقال: واللوات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته أو لأعفرن وجهه في التراب. قال: فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي، زعم ليطأ على رقبته. قال: فما فجعهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ويثني يديه. قال: فقول له: مالك؟ فقال: إن بيني وبينه خندقاً من نار وهولاً وأجنحة، فقال رسول الله ﷺ: «لو دنا مني لا حطفتنه الملائكة عضواً عضواً» قال: فأقول الله ﷻ لا ندري في حديث أبي هريرة أو شيء بلغه: ﴿كَلَّا إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَكُورٌ﴾ إلى قوله: ﴿كَلَّا لَا تُلْمَعُونَ﴾ زاد عبد الله في حديثه قال: وأمر بما أمره به. وزاد ابن عبد الأعلى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ (١) يعني قومه. وأخرج أحمد عن ابن عباس قال: جاء أبو جهل إلى النبي ﷺ وهو يصلي فنهاه، فهدده النبي ﷺ فقال: أتهددني، أما والله إني لأكثر أهل الوادي نادياً. فأقول الله ﷻ ﴿أَنْتَ إِلَّا نَكُورٌ﴾ (١) يعني قومه. وأخرج أحمد عن ابن عباس قال: جاء أبو جهل إلى النبي ﷺ وهو يصلي فنهاه، فهدده النبي ﷺ فقال: أتهددني، أما والله إني لأكثر أهل الوادي نادياً. فأقول الله ﷻ ﴿أَنْتَ إِلَّا نَكُورٌ﴾ (١) يعني قومه. وأخرج أحمد عن ابن عباس قال: جاء أبو جهل إلى النبي ﷺ وهو يصلي فنهاه، فهدده النبي ﷺ فقال: أتهددني، أما والله إني لأكثر أهل الوادي نادياً. فأقول الله ﷻ ﴿أَنْتَ إِلَّا نَكُورٌ﴾ (١) يعني قومه.

أَرَبَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿١٧﴾ أَرَبَعْلَمُ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ﴿١٨﴾ كَلَّا لَئِنْ لَوَيْتَهُ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٩﴾ نَّاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَائِفَةٍ ﴿٢٠﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴿٢١﴾ سَنَنْتُكَ أَزْوَاجِيَةَ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَا تُطِيعُهُ وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴿٢٣﴾

سُورَةُ الْقَدْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَا أَذْرُوكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ نَزَّلْنَا الْمَلَأِكَةَ وَالرُّوحَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَّمَ مِنْ حَيْثُ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴿٥﴾

سُورَةُ الْبَيِّنَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا يَكْفُرُ الْإِسْلَامُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ الْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيُعْبَدُوا اللَّهَ مُحْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حَفَافًا وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴿٥﴾

[٧] ﴿أَنْ رَبَّاهُ﴾ أي: نفسه ﴿سَتَفْتَنُ﴾ بالمال، نزل في أبي جهل، و«رأى» علمية (١)، و«استغنى»: مفعول ثان، و«أن رآه» مفعول له. [٨] ﴿إِنْ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ يا إنسان ﴿الرَّحِيمِ﴾ أي: الرجوع، تخويف له فيجازي الطاعني بما يستحقه. [٩] ﴿أَرَبَيْتَ﴾ في مواضعها الثلاثة للتعجب ﴿الَّذِي يَتَّبِعُ﴾ هو أبو جهل. [١٠] ﴿عَبْدًا﴾ هو النبي ﷺ ﴿إِذَا صَلَّى﴾ [١١] ﴿أَرَبَيْتَ إِنْ كَانَ﴾ المنهي ﴿عَلَى الْمَلَأِكَةِ﴾ [١٢] ﴿أَوْ﴾ للتقسيم (١) ﴿أَمْرٍ بِالْقَوَى﴾ [١٣] ﴿أَرَبَيْتَ إِنْ كَذَّبَ﴾ أي: الناهي النبي ﷺ عن الإيمان. [١٤] ﴿أَرَبَيْتَ﴾

(٥) ما جاء في نزول الآيات (١٩-٦): أخرج مسلم عن أبي هريرة قال: قال أبو جهل: هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم؟ قال: فقول: نعم. فقال: واللوات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته أو لأعفرن وجهه في التراب. قال: فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي، زعم ليطأ على رقبته. قال: فما فجعهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ويثني يديه. قال: فقول له: مالك؟ فقال: إن بيني وبينه خندقاً من نار وهولاً وأجنحة، فقال رسول الله ﷺ: «لو دنا مني لا حطفتنه الملائكة عضواً عضواً» قال: فأقول الله ﷻ لا ندري في حديث أبي هريرة أو شيء بلغه: ﴿كَلَّا إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَكُورٌ﴾ إلى قوله: ﴿كَلَّا لَا تُلْمَعُونَ﴾ زاد عبد الله في حديثه قال: وأمر بما أمره به. وزاد ابن عبد الأعلى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ (١) يعني قومه. وأخرج أحمد عن ابن عباس قال: جاء أبو جهل إلى النبي ﷺ وهو يصلي فنهاه، فهدده النبي ﷺ فقال: أتهددني، أما والله إني لأكثر أهل الوادي نادياً. فأقول الله ﷻ ﴿أَنْتَ إِلَّا نَكُورٌ﴾ (١) يعني قومه. وأخرج أحمد عن ابن عباس قال: جاء أبو جهل إلى النبي ﷺ وهو يصلي فنهاه، فهدده النبي ﷺ فقال: أتهددني، أما والله إني لأكثر أهل الوادي نادياً. فأقول الله ﷻ ﴿أَنْتَ إِلَّا نَكُورٌ﴾ (١) يعني قومه. وأخرج أحمد عن ابن عباس قال: جاء أبو جهل إلى النبي ﷺ وهو يصلي فنهاه، فهدده النبي ﷺ فقال: أتهددني، أما والله إني لأكثر أهل الوادي نادياً. فأقول الله ﷻ ﴿أَنْتَ إِلَّا نَكُورٌ﴾ (١) يعني قومه.

(١) أي: تنصب مفعولين.
 (٢) العلم غير الرؤية وإن كان من لوازمها، وسبق التنبيه على ذلك مراوفاً.
 (٣) أخرج نحوه الترمذي (٣٤٤٩) وأحمد (٢٣١٧) وموقوفاً، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٥٥٧/١).
 (٤) أي: مبتدأ مؤخر.
 (٥) أي: بالكسر قراءة الكسائي.

عَبْدَةُ الْأَصْنَامِ، عَطَفَ عَلَى «أَهْلِ» ﴿مُنْفَكِينَ﴾ خَيْرَ «يَكْرَهُ» أَي: زَائِلِينَ عَمَّا هُمْ عَلَيْهِ ﴿حَقِّ تَأْيِيدُهُمْ﴾ أَي: أَنْتَهُمْ ﴿الْيَتِيمَةَ﴾ أَي: الْحِجَّةَ الْوَاضِحَةَ، وَهِيَ مُحَمَّدٌ ﷺ [٢] ﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ بَدَلَ مِنَ «الْبَيْتَةِ»، وَهُوَ النَّبِيُّ ﷺ ﴿يَتْلُوا صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾ مِنَ الْبَاطِلِ. [٣] ﴿وَيَبَيِّنُ كُتُبَ﴾ أَحْكَامَ مَكْتُوبَةٍ ﴿قِيَمَةً﴾ مُسْتَقِيمَةً؛ أَي: يَتْلُو مَضْمُونِ ذَلِكَ، وَهُوَ الْقُرْآنُ، فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ. [٤] ﴿وَمَا نَفَرُوا الَّذِينَ أُوتُوا الْكُتُبَ﴾ فِي الْإِيمَانِ بِهِ ﷺ ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ﴾ أَي: هُوَ ﷺ، أَوْ: الْقُرْآنُ الْجَائِي بِهِ مُعْجَزَةٌ لَهُ، وَقَبْلَ مَجِيئِهِ ﷺ كَانُوا مَجْتَمِعِينَ عَلَى الْإِيمَانِ بِهِ إِذَا جَاءَهُ، فَحَسَدَهُ مَنْ كَفَرَ بِهِ مِنْهُمْ. [٥] ﴿وَمَا أُمِرُوا﴾ فِي كِتَابِهِمُ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿إِلَّا لِيُعْبُدُوا اللَّهَ﴾ أَي: أَنْ يَعْبُدُوهُ، فَحَذَفَتْ «أَنْ» وَزِيدَتْ اللَّامُ ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ﴾ مِنَ الشَّرِكِ ﴿حُفَاءً﴾ مُسْتَقِيمِينَ عَلَى دِينِ إِبْرَاهِيمَ، وَدِينِ مُحَمَّدٍ إِذَا جَاءَهُ، فَكَيْفَ كَفَرُوا بِهِ؟ [٦] ﴿وَتَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَذَكَرُوا يَوْمَ الْحُجَّةِ﴾ الْمَلَّةَ ﴿الْقِيَمَةَ﴾ الْمُسْتَقِيمَةَ. [٧] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكُتُبِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ حَالٌ مُّقَدَّرَةٌ؛ أَي: مُقَدَّرًا خُلِدُوا فِيهَا مِنَ اللَّهِ - تَعَالَى - ﴿أُولَئِكَ هُمُ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾. [٨] ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ الْخَالِقَةِ. [٩] ﴿جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ إِقَامَةٌ ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ بِطَاعَتِهِ ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ بِثَوَابِهِ ﴿ذَلِكَ لِمَنْ حَسِبَ رَبَّهُ﴾ خَافَ عِقَابَهُ فَانْتَهَى عَنْ مَعْصِيَتِهِ - تَعَالَى.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكُتُبِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ حَسِبَ رَبَّهُ

سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا يَوْمَئِذٍ تُخْبِتُ أَعْيَانَهَا يَا أُنثَى تِلْكَ أَوْحَى لَهَا
 يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ

سُورَةُ الْعَلَقِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 وَالْعَدِيدِ صَبْحًا فَاَلْمُورِيكَ قَدْحًا فَاَلْمُغِيرَتِ صَبْحًا فَاتَّرَنَ بِهِ نَقْعًا فَوْسَطَنَ بِهِ جَمْعًا

سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ

[مكية، أو: مدنية، تسع آيات]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ﴾ حُرُوكَتْ لِقِيَامِ السَّاعَةِ ﴿زِلْزَالَهَا﴾ حُرُوكِهَا الشَّدِيدِ الْمُنَاسِبِ لِعَظَمَتِهَا. [٢] ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ كَبْرُوزِهَا وَمَوْتَاهَا، فَالْتَقَتْهَا عَلَى ظَهْرِهَا. [٣] ﴿وَقَالَ الْإِنْسَانُ﴾ الْكَافِرُ بِالْبَعْثِ: ﴿مَا لَهَا﴾ إِكْرَارًا لِتِلْكَ الْحَالَةِ. [٤] ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ بَدَلَ مِنَ «إِذَا»، وَجَوَابِهَا: ﴿تُخْبِتُ أَعْيَانَهَا﴾ تَخْبِرُ بِمَا عَمِلَ عَلَيْهَا مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ. [٥] ﴿يَا أُنثَى﴾ بِسَبَبِ أَنَّ ﴿رَبِّكَ أَوْحَى لَهَا﴾ أَي: أَمَرَهَا بِذَلِكَ، وَفِي الْحَدِيثِ: «تَشْهَدُ عَلَى كُلِّ عَبْدٍ أَوْ أُمَّةٍ بِكُلِّ مَا عَمِلَ عَلَى ظَهْرِهَا»^(١). [٦] ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ﴾ يَنْصَرِفُونَ مِنْ مَوْقِفِ الْحِسَابِ ﴿أَشْتَاتًا﴾ مُتَفَرِّقِينَ؛ فَأَخَذَ ذَاتَ الْيَمِينِ إِلَى الْجَنَّةِ، وَأَخَذَ ذَاتَ الشَّمَالِ إِلَى النَّارِ ﴿يُسْرَوُا أَعْمَالَهُمْ﴾ أَي: جَزَاءُهَا؛ مِنَ الْجَنَّةِ أَوْ النَّارِ. [٧] ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ زَنَةَ نَمْلَةٍ صَغِيرَةٍ ﴿خَيْرًا يَرَهُ﴾ يَرُ ثَوَابَهُ. [٨] ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ يَرُ جَزَاءَهُ^(٢).

سُورَةُ الْعَلَقِ
 [مكية، أو: مدنية، إحدى عشرة آية]
 بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 [١] ﴿وَالْعَدِيدِ﴾ الْخَيْلُ تَعْدُو فِي الْعَزْوِ، وَتَضْبَعُ ﴿صَبْحًا﴾ هُوَ صَوْتُ أَجْوَاهِهَا إِذَا عَدَّتْ. [٢] ﴿فَاَلْمُورِيكَ﴾ الْخَيْلُ، تُورِي النَّارَ ﴿قَدْحًا﴾ بِجَوَافِهَا؛ إِذَا سَارَتْ فِي الْأَرْضِ ذَاتَ الْحِجَارَةِ بِاللَّيْلِ. [٣] ﴿فَاَلْمُغِيرَتِ صَبْحًا﴾ الْخَيْلُ، تَغِيرُ عَلَى الْعَدُوِّ وَقْتَ الصَّبْحِ، بِإِغَارَةِ أَصْحَابِهَا. [٤] ﴿فَاَتَّرَنَ﴾ هَيَّجَنَ ﴿بِهِ﴾ بِمَكَانِ عَذُوبِهِ؛ أَوْ: بِذَلِكَ الْوَقْتِ ﴿نَقْعًا﴾ غِيَارًا، بِشِدَّةِ حُرُوكَتِهِ. [٥] ﴿فَوْسَطَنَ بِهِ﴾ بِالنَّقْعِ ﴿جَمْعًا﴾ مِنَ الْعُدُوِّ؛ أَي: صَرِنَ وَسَطُهُ، وَغَطَفَ الْفِعْلُ عَلَى الْأَسْمِ؛ لِأَنَّهُ فِي تَأْوِيلِ الْفِعْلِ؛ أَي: وَاللَّاتِي عَدُوٌّ فَأَوْزِينَ فَأَعْوَزُونَ. [٦] ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ﴾ الْكَافِرَ ﴿لِرَبِّهِ﴾ لِكُتُوبِهِ ﴿لَكفورًا﴾ بِجُحْدِ نِعْمَتِهِ - تَعَالَى - .. [٧] ﴿وَإِنَّهُ عَلَيَّ ذَلِكُ﴾ أَي: كِتُوبُهُ ﴿لِتَشْهَدُ﴾ بِشَهِدِ عَلَى نَفْسِهِ بِصَنْعِهِ. [٨] ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ﴾ أَي: الْمَالِ ﴿لَشَدِيدٌ﴾ الْحُبُّ لَهُ، فَيُخَلِّعُ بِهِ. [٩] ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ﴾ أُنْبِرَ وَأُخْرِجَ ﴿مِمَّا فِي الْأَشْفُورِ﴾ مِنَ الْمَوْتَى؛ أَي:

(١) فائدة: سُمِّيَ الرَّسُولُ ﷺ هَذِهِ الْآيَةَ: «الْجَمَاعَةُ الْفَاعِدَةُ» كَمَا فِي الصَّحِيحِينَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا شُئِلَ عَنْ زَكَاةِ الْحَمْرِ فَقَالَ: «مَا أَنْزَلَ عَلَيَّ فِيهَا إِلَّا هَذِهِ الْآيَةَ الْجَمَاعَةُ الْفَاعِدَةُ» وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ. وَمَعْنَى «الْفَاعِدَةُ»: الْوَحِيدَةُ الْفَرِيدَةُ فِي أَحْكَامِهَا. الْبُخَارِيُّ (٢٣٧١)، وَمُسْلِمٌ (٩٨٧).

(٢) إِنْ كَانَ مُرَادُ الْمَفْسَرِ أَنَّ الرِّضَا حَصَلَ لَهُمْ بِسَبَبِ طَاعَتِهِمْ لِلَّهِ - شَيْخَانَهُ - فَهَذَا حَقٌّ، وَإِنْ كَانَ يَقْصِدُ تَفْسِيرَ الرِّضَا بِالْتَوْفِيقِ إِلَى الطَّاعَةِ فَيَكُونُ مِنْ تَأْوِيلِ صِفَةِ الرِّضَا لِلَّهِ ﷻ بَعْضُ لَوَازِمِهَا، وَمَذْهَبُ السَّلَفِ إِبْتِنَاهَا لِلَّهِ ﷻ عَلَى الْوَجْهِ اللَّاتِي بِهِ - شَيْخَانَهُ - .. (٢) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (٣٣٥٣) وَأَحْمَدُ (٨٦٥٠) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعًا، وَضَعَفَهُ الْأَبْنَاءِيُّ فِي السَّلْسَلَةِ الضَّعِيفَةِ (٤٨٣٤).

[٣] ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ أعلمك ﴿مَا الْقَارِعَةُ﴾ زيادة تهويل لها، و«ما» الأولى مبتدأ، وما بعدها خبره، و«ما» الثانية وخبرها في محل المفعول الثاني ل«أدرى». [٤] ﴿يَوْمٌ﴾ ناصبه دل عليه «القارعة»؛ أي: تفرع ﴿يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ كغوغاء الجراد المنتشر، يموج بعضهم في بعض للخيزرة، إلى أن يدعوا للحساب.

[٥] ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ كالصوف المنذوف، في خفة سيرها حتى تستوي مع الأرض.

[٦] ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ بأن رجحت حسناته على سيئاته ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ في الجنة؛ أي: ذات رضى؛ بأن يرضاها؛ أي: مرضية له.

[٧] ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ بأن رجحت سيئاته على حسناته.

[٨] ﴿فَأَمُّهُ﴾ فسكنه ﴿هَاسِبَةً﴾ [٩] ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ﴾ أي: ما هابوية؟ هي: [١٠] ﴿نَارٌ حَامِيَةٌ﴾ شديدة الحرارة، وهاء «هية» للسكت تثبت وصلًا ووقفًا، وفي قراءة (٢) تحذف وصلًا.

سُورَةُ الْبَكَارِثِ

[مكية، ثمان آيات] *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الْهَلْكَاتِ﴾ شغلتم عن طاعة الله ﴿الْكَافِرِ﴾ التفاخر بالأموال والأولاد والرجال.

[٢] ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ بأن متم فدفنتم فيها، أو: عددم الموتى تكاثرا.

[٣] ﴿كَلَّا﴾ ردع ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾. [٤] ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ سوء عاقبة تفاخركم، عند النزاع، ثم في القبر.

[٥] ﴿كَلَّا﴾ حقًا ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ علمًا يقينًا، عاقبة التفاخر ما اشتغلتم به.

[٦] ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ النار؛ جواب قسم محذوف، ولحذف منه لام الفعل وعينه وألقت حركتها على الراء (٣).

[٧] ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا﴾ تأكيد ﴿عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ مصدر؛ لأن «رأى» و«عين» بمعنى واحد.

[٨] ﴿ثُمَّ لَتَسْتَلُنَّ﴾ لحذف منه نون الرفع لتوالي النونات، وواو ضمير الجمع لانقضاء الساكنين ﴿يَوْمَ يَمِيزُ﴾ يوم رؤيتها ﴿عَنِ الْجَوْرِ﴾ ما يلتذ به في الدنيا، من الصحة والفراغ والأمن والمطعم والمشرب، وغير ذلك.

(٥) فائدة: أخرج أحمد عن محمود بن لبيد قال: لما نزلت: ﴿الْهَلْكَاتِ الْكَافِرِ﴾ فقرأها حتى بلغ: ﴿لَتَسْتَلُنَّ يَوْمَ يَمِيزُ عَنِ الْجَوْرِ﴾ قالوا: يا رسول الله، عن أي نعيم نسأل وإنما هما الأسودان: الماء والنمر، وسيفنا على رقابنا والعدو حاضر، فمن أي نعيم نسأل؟ قال: «إن ذلك سيكون». أحمد - المسند (٥/٤٢٩). وأخرجه الترمذي عن الزبير بن العوام وعن أبي هريرة، وفيه لما نزلت: ﴿ثُمَّ لَتَسْتَلُنَّ يَوْمَ يَمِيزُ عَنِ الْجَوْرِ﴾. (حسن الإسناد صحيح سنن الترمذي (٢٦٧٢، ٢٦٧٣).

(١) كنا في النسخ المطبوعة، وفي نسخة القاضي إشارة إلى الاختلاف في عدد آياتها؛ فقيل: عشر آيات، أو: إحدى عشرة آية.

(٢) وهي قراءة حمزة.

(٣) أي من: «الترون»، وأصله: «ترعون» بوزن: «فعللون»؛ فحذفت لام الفعل وعينه؛ أي: الهزرة والباء من أصل الفعل: «رأى»، ثم ألقت حركة الهزرة، وهي الفتحة، على الراء قبلها، فسقطت الهزرة، وتحركت الباء وانفتح ما قبلها؛ فقلبت ألفًا؛ فالنقى ساكنان، فحذفت الألف، ثم دخلت نون التوكيد الثقيلة؛ فحذفت نون الرفع لتوالي الأفعال، وحركت الواو بالضم؛ فصارت «لترؤن».

إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴿١﴾ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٢﴾ وَإِنَّهُ لَرِجْحٌ ﴿٣﴾ الْحَبِيرَ لَشَدِيدٌ ﴿٤﴾ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعِثَ رَمَاهُ فِي الْقُبُورِ ﴿٥﴾ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴿٧﴾

سُورَةُ الْقَارِعَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوْمَ

يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ

كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ﴿٥﴾ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي

عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾ فَأَمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾

﴿١٠﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ ﴿١١﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿١٢﴾

سُورَةُ الْبَكَارِثِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْهَلْكَاتِ الْكَافِرِ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ

كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴿٦﴾

لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتَسْتَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴿٨﴾

بُعثوا. [١٠] ﴿وَحِصْلٌ﴾ يُسِّنُّ وَأَفْرَزُ ﴿مَا فِي الصُّدُورِ﴾ القلوب من الكفر والإيمان. [١١] ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ لعالم؛ فيجازيهم على كفرهم، أعيد الضمير جمعًا نظرًا لمعنى الإنسان، وهذه الجملة دلت على مفعول «يعلم»؛ أي: إنا نجازيه وقت ما ذكر، وتعلق «خبير» ب«يومئذ» وهو - تعالى - خبير دائم؛ لأنه يوم المجازة.

سُورَةُ الْفَاتِحَةِ

[مكية، ثمان آيات] (١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الْقَارِعَةُ﴾ القيامة التي تفرع القلوب بأهوالها.

[٢] ﴿مَا الْقَارِعَةُ﴾ تهويل لشأنها، وهما مبتدأ وخبر؛ خبر القارعة.

سُورَةُ الْعَصْرِ

[مكية، أو: مدنية، ثلاث آيات]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَالْعَصْرِ﴾ الدهر، أو: ما بعد الزوال إلى الغروب، أو: صلاة العصر.

[٢] ﴿إِنَّا لِلَّهِ أَسْنَنُ﴾ الجنس ﴿لَفِي حُسْرٍ﴾ في تجارته^(١).

[٣] ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ فليسوا في خسران ﴿وَتَوَصَّوْا﴾ أوصى بعضهم بعضاً ﴿بِالْحَقِّ﴾ الإيمان ﴿وَتَوَصَّوْا بِالصَّبْرِ﴾ على الطاعة وعن المعصية.

سُورَةُ الْبُهَجَةِ

[مكية، أو: مدنية، وآياتها تسع آيات]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَيْلٌ﴾ كلمة عذاب، أو: واد في جهنم ﴿لِكُلِّ هُمْزٍ لُزْمَةٌ﴾

أي: كثير الهمز واللمز؛ أي: الغيبة، نزلت فيمن كان يغتاب النبي ﷺ والمؤمنين؛ كأمية بن خلف والوليد بن المغيرة وغيرهما.

[٢] ﴿الَّذِي جَمَعَ﴾ بالتخفيف والتشديد^(٢) ﴿مَا لَا وَعَدَدٌ﴾ أحصاه وجعله عدَّة حوادث الدهر^(٣).

[٣] ﴿يَحْتَسِبُ﴾ لجهله ﴿أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدُوهُ﴾ جعله خالداً لا يموت.

[٤] ﴿كَلَّا﴾ ردع ﴿لِيُبَدِّلَنَّهُ﴾ جواب قسم محذوف؛ أي: ليطرحنَّ ﴿فِي الْأُظْمَةِ﴾ التي تحطم كل ما ألقى فيها.

[٥] ﴿رَبِّمَا أَدْرَيْكَ﴾ أعلمك ﴿مَا الْأُظْمَةُ﴾.

[٦] ﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ﴾ المسقرة.

[٧] ﴿الَّتِي تَطَّلُعُ﴾ تشرف ﴿عَلَى الْأَفْقِدَةِ﴾ القلوب فتحرقها، وألها أشدُّ من ألم غيرها للظفها.

[٨] ﴿إِنَّمَا عَلَيْهِمْ﴾ جمع الضمير رعاية معنى «كل» ﴿مُؤَصَّدَةٌ﴾ بالهمز وبالواو بلغة^(٤): مطبقة.[٩] ﴿فِي عُقْدٍ﴾ بضم الحرفين، ويفتحهما^(٥) ﴿مُؤَمَّدَةٌ﴾ صفة لما قبله، فتكون النار داخل العقدة.

سُورَةُ الْفِيلِ

[مكية، خمس آيات]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الَّتِي تَرَى﴾ استفهام تعجب؛ أي: اعجب ﴿كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ﴾

بأحسبِ الْفِيلِ﴾ هو: «محمود» وأصحابه: أبرهة ملك اليمن وجيشه؛ بتى بصنعاء كنيسة؛ ليضربَ إليها الحاج عن مكة؛ فأحدث رجل من كنانة فيها

سُورَةُ الْعَصْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْعَصْرِ﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي حُسْرٍ ﴿١﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَصَّوْا بِالْحَقِّ وَتَوَصَّوْا بِالصَّبْرِ ﴿٢﴾

سُورَةُ الْهُمَزَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمْزٍ لُزْمَةٌ ﴿١﴾ الَّذِي جَمَعَ مَا لَا وَعَدَدَهُ ﴿٢﴾

يَحْتَسِبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ﴿٣﴾ كَلَّا لِيُبَدِّلَنَّهُ فِي الْأُظْمَةِ ﴿٤﴾

وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْأُظْمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ الَّتِي تَطَّلُعُ

عَلَى الْأَفْقِدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّمَا عَلَيْهِمْ مُؤَصَّدَةٌ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴿٩﴾

سُورَةُ الْفِيلِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الَّتِي تَرَى كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ﴾ بِأَحْسَبِ الْفِيلِ ﴿١﴾ الَّتِي تَجْعَلُ

كَيْدَهُمْ فِي تَضَلُّيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾

تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾

ولطخ قبائلها بالغيظة احتقاراً بها؛ فحلف أبرهة ليهدم الكعبة، فجاء مكة بجيشه على أفيال اليمن مقدمها «محمود»، فحين توجهوا لهدم الكعبة أرسل الله عليهم ما قصه في قوله: [٢] ﴿الَّتِي تَجْعَلُ﴾ أي: جعل ﴿كَيْدَهُمْ﴾ في هدم الكعبة ﴿فِي تَضَلُّيلٍ﴾ خسارة وهلاك. [٣] ﴿وَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ جماعات جماعات؛ قيل: لا واحد له؛ كأساطير، وقيل: واحده «أبويل»، أو: «إبائل»، أو: «أبيل»؛ كعُجُول ومفتاح وسكين. [٤] ﴿تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ﴾ طين مطبوخ. [٥] ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ كورق زرع أكلته الدواب وداسته وأفته؛ أي: أهلكتهم الله - تعالى - كل واحد بحجره المكتوب عليه اسمه، وهو أكبر من العدسة، وأصغر من الحبيضة، يخرق البيضة والرجل والفيل، ويصل إلى الأرض^(١)، وكان هذا عام مولد النبي ﷺ.

(١) أي في مناجرتهم ومساعيتهم وصرف أعمارهم في أمور لا تنفعهم في الآخرة. والخسران: ذهاب رأس مال الإنسان، في هلاك نفسه وعمره بالمعاصي.

(٢) بالتشديد قراءة حمزة والكسائي وابن عامر.

(٣) هذا قول عكرمة. وقال غيره: المعنى: أي عدته مرة بعد أخرى حتى له وشغفًا به. وقيل: جعله أصنافاً وأنواعاً؛ كقمار، ومناج، ونقود.

(٤) بالواو قراءة السبعة عدا حمزة وحفص وأبي عمرو.

(٥) بالضم قراءة حمزة والكسائي وشعبة، وقرأ بقية السبعة بالفتح.

(٦) ما ذكره المفسر من أوصاف ودقائق يحتاج إلى دليل صحيح ثابت عن المعصوم ﷺ.

سُورَةُ الْمَاعُونِ

[مكية، أو: مدنية، أو: نصفها، ونصفها، ست، أو: سبع آيات]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِاللَّيْلِ﴾ بالجزء والحساب؛ أي: هل عرفته؟ وإن لم تعرفه [٢] ﴿فَذَلِكِ﴾ بتقدير «هو» بعد الفاء ﴿الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾ أي: يدفعه بعنف عن حقه.

[٣] ﴿وَلَا يَحِضُّ﴾ نفسه ولا غيره ﴿عَلَىٰ طَعَامِ الْيَتِيمِ﴾ أي: إطعامه، نزلت في العاصي بن وائل، أو: الوليد بن المغيرة.

[٤] ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾. [٥] ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ غافلون، يؤخرونها عن وقتها.

[٦] ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾ في الصلاة وغيرها. ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ كالإبرة والفأس والقيدر والقضعة.

سُورَةُ الْكَوثرِ

[مكية، أو: مدنية، ثلاث آيات]*

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿إِنَّا أَنْعَمْنَاكَ﴾ يا محمد ﴿الْكَوثرِ﴾ هو نهر في الجنة، هو حوضه ترد عليه أمته، أو: الكوثر: الخير الكثير؛ من النبوة والقرآن والشفاعة ونحوها.

[٢] ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾ صلاة عيد النحر ﴿وَأَنْحَرْ﴾ نسكك.

[٣] ﴿إِن كُنتَ تَشَاكُرُ﴾ أي: تبتغض ﴿هُوَ الْأَيْتَرُ﴾ المنقطع عن كل خير، أو المنقطع العقب، نزلت في العاصي بن وائل^(١)؛ سقى النبي ﷺ أبتير عند موت ابنه القاسم.

سُورَةُ قُرَيْشٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۚ إِلَهِ الْفِهْرِ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ
فَلْيَعْبُدُو رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۚ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ
مِّنْ جُوعٍ ۚ وَآمَنَهُمْ مِّنْ خَوْفٍ ۚ

سُورَةُ الْمَاعُونِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِاللَّيْلِ ۚ فَذَلِكِ الَّذِي يَدْعُ
الْيَتِيمَ ۚ وَلَا يَحِضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ ۚ فَوَيْلٌ
لِّلْمُصَلِّينَ ۚ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ
ۚ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ۚ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ۚ

سُورَةُ الْكَوثرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّا أَنْعَمْنَاكَ الْكَوثرِ ۚ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ۚ
إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ۚ

سُورَةُ قُرَيْشٍ

[مكية، أو: مدنية، أربع آيات]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ تأكيد، وهو مصدر «ألف» بالمد. [٢] ﴿رِحْلَةَ الشِّتَاءِ﴾ إلى اليمن ﴿وَالصَّيْفِ﴾ إلى الشام في كل عام، يستعينون بالرحلتين للتجارة على المقام بمكة لخدمة البيت الذي هو فخرهم، وهم: ولد النضر بن كنانة. [٣] ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِّنْ جُوعٍ﴾ أي: من أجله ﴿وَأَمَنَهُمْ مِّنْ خَوْفٍ﴾ أي: من أجله، وكان يصيهم الجوع لعدم الزرع بمكة، وخافوا جيش الفيل.

(٥) فائدة: أخرج مسلم عن أنس قال: بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ أغشى إغشاءً ثم رفع رأسه مبتسماً، قلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: «نزلت عليّ سورة»، فقرأ: «بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿إِنَّا أَنْعَمْنَاكَ الْكَوثرِ ۚ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ۚ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ۚ﴾». مسلم. كتاب الصلاة (٤) باب (١٤) حجة من قال: «بسم الله» من أول كل سورة.

(١) أخرجه الواحدى بنحوه في أسباب النزول عن يزيد بن رومان عن (٤٠٤)، وهو مرسل. وأخرج البراز عن ابن عباس قال: قدم كعب بن الأشرف مكة، فقالت له قريش: أنت سيدهم؛ ألا ترى إلى هذا الصنوبر المنتثر من قومه، يزعم أنه خير منا، ونحن أهل الحجيج وأهل السدانة، وأهل السقاية؟! فقال: أتم خير منه، قال: فنزلت: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ۚ﴾. وهو في الصحيح المسند من أسباب النزول لمقبل الوادعي ص (٢٣٧). والآية تعم كل من أبغض النبي ﷺ.

المقصود في الحوائج على الدوام. [٣] ﴿لَمْ يَكِدْ﴾ لانتهاء مجانسته ﴿وَلَمْ يُؤَكِّدْ﴾ لانتهاء الحدوث عنه. [٤] ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ أي: مكافئاً ومماثلاً، والله متعلق بـ «كفوؤه» وقدم عليه؛ لأنه محط القصد بالنفي، وأخر «أحد» وهو اسم «يكن» عن خبرها؛ رعاية للفاصلة.

سُورَةُ الْفَلَقِ

[مكية، أو: مدنية، خمس آيات] (**)

نزلت هذه السورة والتي بعدها لما سحر لبيد اليهودي النبي ﷺ في وتر به إحدى عشرة عقدة، فأعلمه الله بذلك وبمحلها^(١)، فأحضر بين يديه ﷺ وأمر بالتعوذ بالسورتين؛ فكان كلما قرأ آية منها انحلت عقدة ووجد شقفة، حتى انحلت العقد كلها، وقام كأنما تُنشط من عقال.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ الصبح. [٢] ﴿وَمِنَ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ من حيوان مكلف وغير مكلف وجماد كالسم وغير ذلك. [٣] ﴿وَمِنَ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ أي: الليل إذا أظلم، والقمر إذا غاب. [٤] ﴿وَمِنَ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ﴾ السواحر تنفث ﴿فِي الْعُقَدِ﴾ التي تعقدوها في الخيط، تنفخ فيها بشيء تقوله من غير ريق، وقال الزمخشري معه^(٢) كينات لبيد المذكور. [٥] ﴿وَمِنَ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ أظهر حسده وعمل بمقتضاه؛ كلبيد المذكور من اليهود الحاسدين للنبي ﷺ، وذكر الثلاثة الشامل لها «ما خلق» بعده؛ لشدة شرها.

سُورَةُ النَّاسِ

[مكية، ست آيات]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ خالقهم ومالكهم، خصصوا بالذكر تشريفًا لهم، ومناسبة للاستفادة من شرّ الموشوسين في صدورهم. [٢] ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾. [٣] ﴿إِلَهِ النَّاسِ﴾ بدلان، أو: صفتان، أو: عطفًا بيان، وأظهر المضاف إليه فيهما زيادةً للبيان.

سُورَةُ الْإِخْلَاصِ

[مكية، أو: مدنية، أربع، أو: خمس آيات] (**)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] سئل النبي ﷺ عن ربه؛ فنزل: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فإله خبير هو، و«أحد» بدل منه، أو: خير ثانٍ. [٢] ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ مبتدأ وخبر؛ أي:

= لبطون قريش حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً ليقظ ما هو، فجاء أبو لهب وقريش، فقال: «أرأيكم لو أخرجتكم أن تخيلوا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي؟» قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقًا. قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد»، فقال أبو لهب: تباً لك سائر اليوم، ألهذا جمعنا؟ فنزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ مَا أَفْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴿١﴾. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) باب (٢).

(٥) ما جاء في نزول السورة: أخرج الترمذي عن أبي بن كعب ؓ أن المشركين قالوا لرسول الله ﷺ: انسب لنا ربك؛ فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾. الترمذي، كتاب تفسير القرآن (٤٨)، باب ومن سورة الإخلاص. وأخرجه أيضًا الإمام أحمد في المسند (١٣٤ / ٥)، وحسن الألباني هذا الجزء من الحديث في ضعيف سنن الترمذي (٢٦٦)، وحسنه في الاستيعاب (٥٨٠/٣).

(٥٥) فائدة: أخرج الترمذي عن عفة بن عامر الجهني عن النبي ﷺ قال: قد أنزل الله عليّ آيات لم يُر مثلهن: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ إلى آخر السورة، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ إلى آخر السورة. الترمذي - كتاب فضائل القرآن (٤٦) باب (١٢)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٦٨٢)، وأخرجه مسلم (٨١٤) أيضًا مختصراً. وأخرج الترمذي أيضًا عن أبي سعيد قال: كان رسول الله ﷺ يعوذ من الجان وعين الإنسان حتى نزلت المعوذتان، فلما نزلت أخذ بهما وترك ما سواهما. الترمذي - كتاب الطب (٢٩) باب (١٦) ما جاء في الرقية بالمعوذتين. وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (١٦٨١).

(١) جاء نحو هذا عن زيد بن أرقم؛ قال: سحر النبي ﷺ رجل من اليهود؛ قال فاشتكى؛ فاتاه جبريل فنزل عليه بالمعوذتين، وقال: «إن رجلاً من اليهود سحرك، والسحر في بئر فلان»، قال: فأرسل عليًّا فجاء به. قال: فأمره أن يخل العقد ويقرأ آية، فجعل يقرأ ويصل حتى قام النبي ﷺ كأنما أنتشط من عقال... أخرجه عبد بن حميد في مسنده (٢٤٧/١)، رقم (٢٧١)، وأخرجه بنحوه دون ذكر النزول بالمعوذتين - السنائي في الجبى (٤٠٨٠)، وأحمد في المسند (٣٦٧/٤)، وصححه في الاستيعاب (٥٨٩/٣).

وقال الشيخ عبد الرزاق عفيفي في تعليقه على الجلالين ص (٣١٥): «... وإذا ثبت أن السورتين مكيان؛ فقد أن يكون سحر الرسول ﷺ سب نزولهما؛ إلا أن يقال بجواز تكرار النزول للآية، أو السورة، أو السورة» اهـ.

(٢) أي: الريق؛ ففي النفت قولان.

[٤] ﴿مِنَ سَرِّ الْوَسْوَاسِ﴾ الشيطان، سُمي بالحدث^(١) لكثرة ملابسته له ﴿الْحَنَاسِ﴾ لأنه يَحْتَسُّ ويتأخر عن القلب، كلما ذُكِرَ الله.

[٥] ﴿الَّذِي يُوسِّسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ قلوبهم، إذا غَفَلُوا عن ذكر الله.

[٦] ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ بيان للشيطان الموسوس أنه جنى وإنسى؛ كقوله - تَعَالَى -: ﴿شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾^(٢)، أو: «من الجنة» بيان له، و«الناس» عطف على «الوسواس»، وعلى كُلِّ بِشْمَلِ شَرِّ لِبِيدِ وَبَنَاتِهِ الْمَذْكُورِينَ. واعترض الأول بأن النَّاسَ لا يوسوس في صدورهم النَّاسُ؛ إنما يوسوس في صدورهم الجن، وأجيب بأن الناس يوسوسون أيضًا بمعنى يليق بهم في الظاهر، ثم تصل وسوستهم إلى القلب وتثبت فيه، بالطريق المؤدي إلى ذلك. واللَّهُ - تَعَالَى - أعلم.

[واللَّهُ أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب، وصلى اللَّهُ على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، وسلَّم تسليمًا كثيرًا، دائمًا أبدًا، وحسبنا اللَّهُ ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا باللَّهِ العلي العظيم]^(٣).



خاتمة

(نَسألُ اللَّهَ حَسَنها)

يقول مُراجعه وجامع حواشيه

الفقير إلى عفو مولاه ورضاه وجميل ستره وحسن لقاها

أبو عبد الرحمن هُشَيْبُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ عَشْرَانَ

كان الفراغ من مراجعة تفسير الجلالين وجمع حواشيه ليلة الجمعة غرة جمادى الأولى ١٤٢٨ هـ،

وكان البدء في هذا العمل قبل قرابة عشر سنوات، واللَّهُ أسأل أن يتقبله بقبول حسن، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم.

(١) أي: المصدر، وقوله: «لكثرة ملابسته له»؛ أي ملازمته للوسوسة، كما تقول: زيد عدل. وما ذكره المفسر ليس بمعنى: فإن الوسواس - كما يستعمل في المصدر - يطلق كذلك على نفس الشيطان، وعلى ما يخطر بالقلب من شر.

(٢) الأنعام: ١١٢.

(٣) ما بين المعرفين موجود في نهاية تفسير الفاتحة، وأثبتته هنا للمناسبة. وقال في حاشية الجمل: كأن هذه العبارة من وضع تلامذة الخليلي، أو من وضع السيوطي، قصد بها حتم تفسير الخليلي، والإشارة إلى فراغه وانقضائه، ويعدُّ جدًّا أنها من كلام الخليلي؛ لما عرفت سابقًا أنه كان قد شرع في تفسير النصف الأول، وأنه ابتداءً بالفاتحة، وأنه اخترمه المنية بعد الفراغ منها، وقبل الشروع في البقرة وما بعدها، وإذا كان كذلك فيبعد منه أن يأتي بعبارة تشعر بالانتهاء والاختتام أثناء تفسير النصف الأول. فتأمل. وآخر هذه العبارة هو قوله: «وإليه المآب»... ثم قال: «...فعلى هذا يكون ما في هذه النسخة من قوله: وصلى اللَّهُ على سيدنا محمد... إلى آخره» ليس من نسخة الخليلي، وإنما هو من وضع بعض الناس، ويدل عليه ثبوته في بعض النسخ دون بعض.

فهرس الكتاب

٢٨٥	سورة القصص	(ا)	تقرير فضيلة الشيخ الدكتور/ أحمد عيسى المعصراوي	□
٢٩٦	سورة العنكبوت	(ج)	مقدمة الشيخ وحدي الغزاوي	□
٤٠٤	سورة الروم	(هـ)	مقدمة المحقق	□
٤١١	سورة لقمان	(ز)	التعريف بالتفسير والمفسرين	□
٤١٥	سورة السجدة	(ح)	مكانة هذا التفسير بين العلماء وعنايتهم به	□
٤١٨	سورة الأخراب	(ي)	منهج العمل في الكتاب	□
٤٢٨	سورة سبأ	١	سورة الفاتحة	
٤٣٤	سورة هاجر	٢	سورة البقرة	
٤٤٠	سورة يس	٥٠	سورة آل عمران	
٤٤٦	سورة الصافات	٧٧	سورة النساء	
٤٥٢	سورة ص	١٠٦	سورة المائدة	
٤٥٨	سورة الزمر	١٢٨	سورة الأنعام	
٤٦٧	سورة غافر أو المؤمن	١٥١	سورة الأعراف	
٤٧٧	سورة حم السجدة	١٧٧	سورة الأنفال	
٤٨٣	سورة الشورى	١٨٧	سورة التوبة	
٤٨٩	سورة الزحرف	٢٠٨	سورة يونس	
٤٩٦	سورة الدخان	٢٢١	سورة هود	
٤٩٩	سورة الجاثية	٢٢٥	سورة يوسف	
٥٠٢	سورة الأحقاف	٢٤٩	سورة الزمر	
٥٠٧	سورة القاتل (محمّد)	٢٥٥	سورة إبراهيم	
٥١١	سورة الفتح	٢٦٢	سورة الحجر	
٥١٥	سورة الحجرات	٢٦٧	سورة النحل	
٥١٨	سورة ق	٢٨٢	سورة الإسراء	
٥٢٠	سورة الداريات	٢٩٢	سورة الكهف	
٥٢٣	سورة الطور	٢٠٥	سورة مريم	
٥٢٦	سورة النجم	٢١٢	سورة طه	
٥٢٨	سورة القمر	٢٢٢	سورة الأنبياء	
٥٣١	سورة الرحمن	٢٣٢	سورة الحج	
٥٣٤	سورة الواقعة	٢٤٢	سورة المؤمنون	
٥٣٧	سورة الحديد	٢٥٠	سورة النور	
٥٤٢	سورة المجادلة	٢٥٩	سورة الفرقان	
٥٤٥	سورة الحشر	٢٦٧	سورة الشعراء	
٥٤٩	سورة الممتحنة	٢٧٧	سورة التمثل	

٥٩٢	سُورَةُ الْغَاشِيَةِ -	٥٥١	سُورَةُ الصَّفِّ -
٥٩٣	سُورَةُ الْفَجْرِ -	٥٥٣	سُورَةُ الْجُمُعَةِ -
٥٩٤	سُورَةُ الْبَلَدِ -	٥٥٤	سُورَةُ الْمُنَافِقُونَ -
٥٩٥	سُورَةُ الشَّمْسِ -	٥٥٦	سُورَةُ التَّغَابُنِ -
٥٩٥	سُورَةُ اللَّيْلِ -	٥٥٨	سُورَةُ الطَّلَاقِ -
٥٩٦	سُورَةُ الضُّحَى -	٥٦٠	سُورَةُ النَّحْرِيمِ -
٥٩٧	سُورَةُ الشَّرْحِ -	٥٦٢	سُورَةُ الْمُتَكِّبِ -
٥٩٧	سُورَةُ التِّينِ -	٥٦٤	سُورَةُ الْقَلَمِ -
٥٩٧	سُورَةُ الْعَلَقِ -	٥٦٦	سُورَةُ الْحَافَةِ -
٥٩٨	سُورَةُ الْقَدْرِ -	٥٦٨	سُورَةُ الْمُعَارِجِ -
٥٩٨	سُورَةُ الْبَيِّنَةِ -	٥٧٠	سُورَةُ نُوحٍ -
٥٩٩	سُورَةُ الزُّزُرَةِ -	٥٧٢	سُورَةُ الْجِنِّ -
٥٩٩	سُورَةُ الْعَايَاتِ -	٥٧٤	سُورَةُ الْمُزَّمِّلِ -
٦٠٠	سُورَةُ الْقَارِعَةِ -	٥٧٥	سُورَةُ الْمُنَادِرِ -
٦٠٠	سُورَةُ التَّكْوِينِ -	٥٧٧	سُورَةُ الْقِيَامَةِ -
٦٠١	سُورَةُ الْقَصْرِ -	٥٧٨	سُورَةُ الْإِنْسَانِ -
٦٠١	سُورَةُ الْهُمَزَةِ -	٥٨٠	سُورَةُ الْمُرْسَلَاتِ -
٦٠١	سُورَةُ الْفِيلِ -	٥٨٢	سُورَةُ النَّبَاِ (التَّسَاوُلِ) -
٦٠٢	سُورَةُ هُرَيْثِ -	٥٨٢	سُورَةُ النَّازِعَاتِ -
٦٠٢	سُورَةُ الْمَاعُونِ -	٥٨٥	سُورَةُ عَبَسَ -
٦٠٢	سُورَةُ الْكُوثرِ -	٥٨٦	سُورَةُ التَّكْوِينِ -
٦٠٢	سُورَةُ الْكَافِرُونَ -	٥٨٧	سُورَةُ الْإِنْفِطَارِ -
٦٠٣	سُورَةُ النَّصْرِ -	٥٨٧	سُورَةُ الْمُصَفِّينِ -
٦٠٣	سُورَةُ الْمَسَدِ -	٥٨٩	سُورَةُ الْإِنْشِقَاقِ -
٦٠٤	سُورَةُ الْإِحْلَاصِ -	٥٩٠	سُورَةُ الْبُرُوجِ -
٦٠٤	سُورَةُ الْفَلَقِ -	٥٩١	سُورَةُ الطَّارِقِ -
٦٠٤	سُورَةُ النَّاسِ -	٥٩١	سُورَةُ الْأَعْلَى -

رَفَع

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الحمد لله

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي

أسكنه الله الفردوس

www.moswarat.com

www.moswarat.com

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com